

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (١)

اللهم صل على محمد وآله وسلم .

قال الفقيه القاضى الإمام الحافظ أبو الفضل عيَّاضُ بن موسى بن عيَّاض اليحصبي^(٢) رضى الله عنه: الحمد لله المتفرد^(٣) باسمه الأسمى^(٤)، المختص بالملك الأعز الأسمى^(٥)، الذى ليس دونه منتهى، ولا وراءه مرعى^(٦)، الظاهر لا تحيلاً ووهماً^(٧)،

(١) فى ب : زيادة : وبه نستعين .

(٢) هو مؤلف الكتاب . وفوق كلمة « اليحصبي » فى ا : « معا » ، وضبطت بالحركات الثلاث . وقال القارى : اليحصبي بثلاث الصاد ، والفتح أخف ، وهو نسبة إلى يحصب بن مالك : قبيلة من حمير باليمن . وقال : لاشك أن هذا الإدخال من المقال صدر من بعض أرباب السجال من تلاميذ المصنف ، أو من بعده .

(٣) فى ب : المتفرد . وهما معنى للتوحد الممتاز عن المشاركة .

(٤) الاسمى : الأعلى ؛ من السمو ؛ وهو العلو ، والارتقارح ؛ أى الممتاز عن المشاركة فى اسمه الأعلى .

(٥) الأعز : من العز والمنة . والعز : حالة مانعة للإنسان عن أن يهان أو يقهر ويغلب . والأسمى : من حميته ، إذا صنته ؛ أى هو فى غاية المنعة ، ونهاية الحماية بحيث لا يقربه أحد أولاً وآخراً .

(٦) أى ليس بعد الله لطالب مطلب ؛ لأن العقول وقفت ثمة ، فليس وراء الله ، ولا وراء معرفته ، والإيمان به - غاية تقصد . وأصل المرعى : الغرض الذى يرمى إليه ، وإليه ينتهى سهم الرامى ، وبه يجوز السبق ، كما أنه إلى الله تنتهى العقول ، وتقف ؛ فليس وراء معرفته والإيمان به مامتس ولا غاية يرمى إليها .

(٧) يعنى أن ظهوره تعالى - والظاهر الذى علم بالبصيرة ، أو الغالب - محقق مكشوف للعقول ، ويقين صادق عند من له بصيرة لقيام الأدلة القاطعة والبراهين البينة الدالة على وجوده ووحدانيته ، لا بحسب التخيل والوهم والظن . وفى ب : ولا وهما .

الباطنِ تَقَدُّسًا لَا عُدْمًا^(١) ، وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا^(٢) ، وَأَسْبَغَ عَلَى أَوْلِيَائِهِ نِعْمًا عَمَّا^(٣) ، وَبَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ ، أَنْفَسَهُمْ عُرْبًا وَعُجْمًا^(٤) ، وَأَزْكَاهُمْ مَحْتَدًا وَمَنْمَى^(٥) ، وَأَرْجَحَهُمْ عَقْلًا وَحِلْمًا^(٦) ، وَأَوْفَرَهُمْ عِلْمًا وَفَهْمًا^(٧) ، وَأَقْوَاهُمْ يَتِيمًا وَعَزْمًا ، وَأَشَدَّهُمْ بِهِمْ رَأْفَةً وَرُحْمَى^(٨) ، وَزَكَّاهُمْ رُوحًا وَجِسْمًا^(٩) ،

(١) الباطن : الذى لا يدرك بالأبصار إدراك إحاطة ؛ والمراد أنه ظاهر بكثرة الأدلة وقوتها وبنموت ذاته وأفعاله التى لا تخفى . باطن خفى عن إدراك كنه ذاته وحقيقة صفاته . والتقدس : الطهارة والتنزه . أى لتنزّهه عن أن يحيط أحد بكنهه ، هذا إن أريد بالباطن الخفى عن البصر فى الدنيا . والعدم : الفقد .

(٢) وسع كل شيء رحمة وعلما: أى أحاط بكل شيء رحمة وعلمه ؛ فإن كل شيء لا يستغنى عن رحمته وإيجادا وإمدادا ، وعلمه شامل للجزئيات والسكليات .

(٣) وأسبغ : أتم وأكمل . والأولياء : جمع ولى . عما : جمع عميمة ، أى عامة ، شاملة تامة .

(٤) أنفسهم - بضم الفاء : جمع نفس . والمراد أنه من جنس البشر ؛ وإنما امتاز عنهم بالرسالة والخصائص المودعة التى أهله الله تعالى بها لأن يكون أهلا لأمانته . وأنفسهم - بفتح الفاء : من النفاسة ، ونفس - بضم الفاء : صار مرغوبا فيه ؛ فهو نفيس عظيم فى النفوس يحرص عليه . وقيل الأنفس الأعلى والأشرف ، والأفضل .

(٥) أزكاهم : أكثرهم وأطهرهم . والمحتد : الأصل . منمى : نسبا أو نموا وزيادة ، وارتقاء . والمراد أنه صلى الله عليه وسلم أشرف العرب والعجم ، وأعظمهم نسبا ، وحسبه ونسبه الذى انتمى إليه أزكى وأشرف من جميع الأنساب .

(٦) أرجحهم : رجحان العقل : زيادته . والحلم : قوة توجب الصبر على الأذى ، وضبط النفس عن هيجان الغضب .

(٧) وأوفرهم : أكثرهم وأتمهم .

(٨) فى ا ، ب : ورحمى - مقصور . والرحم ، والرحمى : الرحمة ، والمطف ، والشفقة وهو تعميم بعد تخصيص .

(٩) زكاه : التزكية : التطهير ، والزيادة ؛ أى خلقه الله زائدا على من سواه ، منزها عن دنس البشرية ، وجعله فى أكمل تقويم وأحسن صورة .

وحاشاهُ عَيْباً وَوَضْمًا^(١) ؛ وآتاهُ حِكْمَةً وَحُكْمًا^(٢) ، وفتح به أعينا عُمياً ، وقلوبا غُلْفًا^(٣) ، وآذانا صُماً ؛ فأمن به وعزَّره^(٤) ، ونصره مَنْ جعل اللهُ له في مَغْنَمِ السَّعَادَةِ قِسْمًا^(٥) ، وكذَّبَ به وصدَفَ عن آياته مَنْ كتب اللهُ عليه الشَّقَاءَ حَتْمًا^(٦) ، وَمَنْ كان في هذه أَعْمَى فهو في الآخرة أَعْمَى^(٧) . صلى اللهُ عليه وسلم صلاةً تَنُمُو وتَنَمَّى^(٨) ، وعلى آله وسلم تسليماً [كثيراً]^(٩) .

أما بَعْدُ أَشْرَقَ اللهُ قَلْبِي وَقَلْبِكَ بِأَنْوَارِ الْيَتِيمِينَ ، ولطفَ لي ولكَ بما لطفَ لأوليائه الْمُتَّقِينَ ، الذين شَرَّفَهم اللهُ بِنُزُلِ قُدْسِهِ^(١٠) ، وأوحَشَهم من الخَلِيقَةِ بِأَنسِهِ^(١١) ،

(١) حاشاه : جنبه ، ونزَّهه ، وبرَّاه . والوصم : كل عيب ، وعار .

(٢) آتاه : أعطاه . والحكمة : العدل ، والنبوة ، والسلام الحق . وحكما : قضاء وفصلا للأُمور على الحق .

(٣) غلفا : جمع أغلف ؛ أى مغطى . ومعناه أن قلوبهم كانت محجوبة عن الهداية ، فأزال النبي صلى اللهُ عليه وسلم حجباها ، وكشف غطاءها حتى اهتدت .

(٤) عزَّره : وقره ، وعظَّمه ، وأعانَه .

(٥) مغنم : بمعنى النعم والغنيمة ، وهى ما يفتنم من كل شيء . قسما : حظا ونصيبا .

(٦) صدَفَ عن آياته : أَعرض عن تدبیر علامات نبوته .

(٧) فى هذه : فى الدنيا . قال القارى : والمعنى : من كان فى الدنيا لا يبصر طريق هدايته لا يرى فى العقبى سبيل عنايته .

(٨) تنمو : تزيد : وتنمى : ترفع . وفى ب . وتنمى - بالبناء للمجهول ، من الإنماء ؛ أى ويزيدها اللهُ ، أو يزيد ثوابها أبدا ، والمعنى تزيد فى نفسها أو يزداد فيها .

(٩) من ب . قال القارى (٨) : وهو محل بالسجع المرعى فى الفواصل .

(١٠) النزول - بضم نين ، ويسكن الثانى فيها (وهما بالسكون فى ا ، ب) : الفضل والكرامة . والقدس : من أسماء اللهُ تعالى ، بمعنى المنزه عما لا يليق به . والمنزل والنزل : ما يهيباً للضيف من الكرامة ، والبارك . وقدس اللهُ : الجنة ؛ أى شرفهم بإكرامه لهم فى جنته ؛ أى بإسكانه إياهم فيها ؛ وخصهم بشريفه ، وعلو منازلهم ، وتطهيره لهم عن النقائص .

(١١) أوحشهم : جعلهم فى وحشة ونفرة عما لا يلائم . والحليقة : الخلق . والأنس : ارتفاع العشمة مع وجود الهيبة . يعنى أن أنسهم بالله واستفراقهم فى مشاهدته تبعدهم عن سواه .

وخصّهم من معرفته ومشاهدة [٢] عجائب مذكّوته وآثار قُدْرته بما ملأ قلوبهم حَبْرَة ، وولّه عقولهم ^(١) في عَظَمَتِهِ ^(٢) حَبْرَة ؛ فجعلوا همّهم به واحداً ^(٣) ، ولم يروا في الدارين غيرَه [مشاهداً] ^(٤) ؛ فهم بمشاهدة جَمَالِهِ وَجَلَالِهِ ^(٥) يتنعمون ، وبين آثار قُدْرته وعجائب عَظَمَتِهِ يتردّدون ، وبالانتطاع إليه أو التوكل عليه يتعزّزون ^(٦) ، لهجّين ^(٧) بصادقِ قوله ^(٨) : ﴿ قُلْ اللَّهُ ، ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴾ ^(٩) .

فإنك ^(١٠) كرّرت على السّؤال في مجموع ^(١١) يتضمّن التعريف بقدر المصطفى عليه [الصلاة] ^(١٢) والسلام ، وما يجب له من توقير ^(١٣) وإكرام ، وما حُكْمٌ مَنْ لَمْ يُؤَفِّ

(١) حبرة : مسرة . والوله : الحزن أو ذهاب العقل ؛ أى جمالها والهمة متحيرة بتدبرها وتفكرها في عظمتها . (٢) في ب : من عظمتها .

(٣) الهم : العزيمة ، والإرادة ، والقصد ، وكل مطلوب يهتك ويعنيك . والمراد أنهم لما شاهدوا بآثار قدرته تحيرت عقولهم في كبرياء عظمتها ، وعلموا أن مسواها كلاً شيء ، فوجهوا جميع وجوه الإرادة والعزيمة إليه ، وجعلوا قبلتهم واحدة ؛ فلا مراد لهم سواها ، لاشتغالهم به عما عداها .

(٤) ليس في ١ . قال القارى : لعل بعض أرباب النسخ استنكر لفظ « مشاهداً » فأسقطه مع أنه لا يتم بدونه التسجيع .

(٥) في ب : كماله . والجلال : العظمة ؛ يعنى أنهم يشاهدون جمال ربهم ، وأنوار ذاته يعيون البصائر في الآخرة ، فيكونون بذلك في نعم .

(٦) يتعززون : التعزز : تفعل من العز ، ضد النذل ، ويكون بمعنى القوة . قال القارى : وفيه إشارة لطيفة إلى أنهم إلى غيره لا يتذللون ، لأنهم بما آتاهم الله تعالى يرضون ويقنعون . (٧) لهجّين : ملازمين مداومين ، مولعين ، متمسكين .

(٨) سورة الأنعام ، آية ٩١

(٩) يعنى أن هؤلاء الخاصين لله المختصين به الذين شغلوا ظاهرهم وباطنهم بحجته ، وردم دائماً ذكر الله والإعراض هما سواها ، متمثلين بهذه الآية .

(١٠) فإنك جواب « أما » في : « أما بعد » التى سبقت .

(١١) مجموع : كتاب يجمع فيه صنف من الشاغل النبوية ، ومؤلف اجتمع فيه نوع من الفضائل المصطفوية . (١٢) ليس في ب . (١٣) توقير : تعظيم ، واحترام .

واجب^(١) عظيم ذلك القدر، أو قصر في حق منصبه الجليل قلامة ظفر^(٢)؛ وأن أجمع لك ما لأسلافنا وأئمتنا في ذلك من مقال، وأبينه بتنزيب^(٣) صور وأمثال.

فاعلم - أكرمك الله - أنك حملتني من ذلك أمراً إمبراً^(٤)، وأرهقتني فيما ندبتني إليه عسراً^(٥)، وأرقيتني بما كلفتنني مررتني صعباً، ملا قلبي رعباً^(٦)؛ فإن الكلام في ذلك يستدعي تقرير أصول وتحرير فصول، والكشف عن غوامض ودقائق من علم الحقائق^(٧)، مما يجب للنبي صلى الله عليه وسلم ويضاف إليه، أو يمتنع أو يجوز عليه، ومعرفة النبي والرسول، والرسل والنبوّة، والمحبة والخلة^(٨)، وخصائص هذه الدرجة العلية، وها هنا مهامه فيج تحار فيها القطا، وتقتصر بها الخطأ^(٩)؛

(١) في ب : يوف - بتخفيف الفاء . ويوف : يتم ويكمل .

(٢) قلامة ظفر : تقصيراً قليلاً بتقدير قلامة الظفر . والظفر للإنسان معروف . والقلامة : ما قطع منه . وقلامة الظفر كناية عن القلة والحقارة .

(٣) بتنزيل صور : بتصوير صور وأمثال ، وتقرير محامل يزول به الإشكال ، إيضاحاً للمعنى ، وإيضالاً إلى الذهن في البنى .

(٤) إمرا : عظيماً ، أو عجيبياً ، أو شاقاً ؛ أى كلفتنى أمراً عظيماً ؛ أو عجيبياً طاب به منى ؛ لأنى لست بأهل له ؛ وفيه تواضع وهضم لنفسه .

(٥) الإرهاق : تكليف ما لا يطاق . ندبتنى إليه : طلبته منى ودعوتنى إليه . عسراً : أمراً عسيراً . (٦) رعباً : خوفاً وفزعاً .

(٧) في ب : والكشف عن دقائق غوامض من علم الحقائق .

(٨) الخلة : الصداقة (القاموس) .

(٩) مهامه : جمع مهمه ؛ وهو القفر والمفازة البعيدة . فيج : جمع أفيج أو فيحاء ، وهى الأرض الواسعة . والقطا : جمع قطة ، طائر ؛ وتوصف بسرعة الطيران والاهتداء فى الظلمات والتبكير . ويضرب بها المثل فيقال : أهدى من القطا . والمعنى أن هذه المهامه مع ستمها وكونها لا يعلمها سالكها ، أو لكونها وعرة ذات شوكة وصخور تمنع الماشى فيها من مد الخطأ . والمراد صعوبة ما كاف به . وفى ا : وتقتصر - بالبناء للمجهول .

وَمَجَاهِلٌ تَضَلَّ فِيهَا الْأَحْلَامُ ^(١) إِنْ لَمْ تَهْتَدِ بِعِلْمٍ وَعِلْمٍ وَنَظَرٍ سَدِيدٍ؛ وَمَدَا حِضُّ
تَزَلَّ [٣] بِهَا الْأَقْدَامُ ^(٢) إِنْ لَمْ تَعْتَمِدْ عَلَى تَوْفِيقٍ مِنَ اللَّهِ وَتَأْيِيدٍ .

لكنني لما رجوتُه لى ولكَ فى هذا السوءِ الِ والجوابِ من نَوَالٍ وثوابِ ^(٣) ،
بمعريفِ قَدْرِهِ الجسيمِ ، وَحُلَّتِهِ العَظِيمِ ، وبيانِ خصائصه التى لم تجتمع قبِلُ فى مخلوقِ ،
وما يُدَانُ اللهُ تعالى ^(٤) به من حقِّه الذى هو أرفعُ الحقوقِ ، ليستيقن ^(٥) الذين
أوتوا الكتابِ ، وَيَزِدَادَ الذين آمنوا إيماناً ، ولما أخذَ اللهُ تعالى على ^(٦) الذين أوتوا
الكتابِ ليُبَيِّنَنَّه للناسِ ولا يَكْتُمونه ؛ ولما حدثنا به أبو ^(٧) الوليد هشام بن أحمد
الفيقيه بقراءتى عليه ؛ قال : حدثنا الحسين بن محمد ، حدثنا أبو عمر النعمري ^(٨)
حدثنا أبو محمد بن عبد المؤمن ^(٩) ، حدثنا أبو بكر محمد ^(١٠) بن بكر ، حدثنا سليمان

(١) تضل بها الأحلام : تضل : لانهتدى . والأحلام : العقول .

(٢) مداحض : مزلق . تزل : تزلق .

(٣) النوال : العطاء . والثواب : الجزاء . (٤) يدان الله : يعبد ويطاع .

(٥) استيقن : علم علماً محققاً لاشبهة فيه . أى يتيقن أهل الكتاب حقيقة رسالته ، ويزداد
إيمان المؤمنين من أمته بتحقيق ماله صلى الله عليه وسلم من الحماد . والمراد بأهل الكتاب :
اليهود والنصارى . والكتاب : التوراة والإنجيل . وغيرهما من الكتب السماوية .

(٦) كانت مكتوبة فى ا : ولما أخذ الله تعالى ميثاق الدين ... وكتب أمامها فى الهامش :
على الدين ، وعليها علامة الصحة .

(٧) هو الإمام القرطبي الزاهد المحدث المعروف بابن العواد ، أحد شيوخ المصنف ، وتوفى
بقرطبة سنة تسع وخمسة . وفى شرح القارى : وهو هشام بن أحمد بن هشام ، يعرف بابن
بقوة ؛ وهو إمام حافظ ، وشيخ من شيوخه الذين اعتمد على النقل عنهم فى هذا الكتاب وغيره .

(٨) هو ابن عبد البر صاحب الاستيعاب وغيره من الكتب الجليله . وهو يوسف بن عبد الله
ابن محمد بن عبد البر بن عامر الجمرى القرطبي الأندلسى . توفى سنة ٤٦٣ هـ .

(٩) من شيوخ ابن عبد البر . وفى ب : أخبرنا - بدل حدثنا . واسمه : عبد الله بن محمد
ابن عبد المؤمن . وله ترجمة فى اليزان (٢ - ٤٩٨) .

(١٠) هو ابن داسة ، من مشايخ الحديث المشهورين . وهو أحد رواة سنن أبى داود عنه .

ابن الأشعث^(١) ، حدثنا موسى بن إسماعيل ، حدثنا حماد^(٢) ، حدثنا علي بن الحكم ، عن عطاء^(٣) ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ؛ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مَنْ سَأَلَ عَنْ عِلْمٍ فَكْتَمَهُ^(٤) أَجَلَهُ اللهُ بِلِجَامٍ مِنْ نَارِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ^(٥) .

فَبَادَرْتُ إِلَى نِكْتِ مُسْفِرَةٍ عَنْ وَجْهِ الْفَرَضِ ، مُؤَدِّيَا مِنْ ذَلِكَ الْحَقِّ الْمُفْتَرَضِ^(٦) ، اخْتَلَسْتُهَا عَلَى اسْتَعْجَالِ^(٧) ، لِمَا المرءُ بَصَدَدِهِ مِنْ شُغْلِ الْبَدَنِ وَالْبَالِ ، بِمَا^(٨) طَوَّقَهُ مِنْ مَقَالِيدِ الْمُحْنَةِ الَّتِي ابْتَلَى بِهَا ، فَكَادَتْ تَشْغَلُ عَنْ كُلِّ فَرَضٍ وَنَقْلِ ، وَتَرُدُّ بَعْدَ حُسْنِ التَّقْوِيمِ إِلَى أَسْفَلِ سَفَلٍ^(٩) ؛ وَلَوْ أَرَادَ اللهُ بِالْإِنْسَانِ خَيْرًا لَجَمَلَ شُغْلَهُ وَهَمَّهُ كَمَا فِيمَا يُحَمَّدُ غَدًّا أَوْ يَذَمُّ مَحَلَّهُ^(١٠) ؛ فَلَيْسَ ثَمَّ سِوَى حَضْرَةِ النَّعِيمِ^(١١) ، أَوْ عَذَابِ

(١) في ب : ابن أشعث . وهو صاحب سنن أبي داود . مات سنة ٢٧٥ هـ .

(٢) هو حماد بن سلمة بن دينار ، أحد الأعلام ، توفي سنة ١٦٧ هـ . وله ترجمة في

الميزان : (١ - ٥٩٠) . (٣) هو عطاء بن أبي رباح ، أو ابن يسار .

(٤) في ب : وكتمه . وفي الترمذى : ثم كتمه .

(٥) المراد بالعلم التواعد على كتمه ما يلزم تعليمه ويتعين ؛ كتعليم حديث عهد بإسلام

ما يتعلق بالصلاة ، ومستفت في الحلال والحرام . والحديث في سنن الترمذى : ٥ - ٢٩ . وسنن

أبي داود : ٢ - ٨٢

(٦) نكت : جمع نكتة ، وهي المعنى الدقيق النادر ، والسكلام القليل الحسن . مسفرة :

مضيئة وكاشفة . وفي ب : مسفرة ، وأمامها في الهامش : سافرة ، وعليها علامة الصحة .

والمفترض : اللازم .

(٧) الاختلاس : اختطاف الشيء بسرعة .

(٨) في ب : بما ، والمراد ما كفه ولزمه من الأمور الشاغلة ، ومنه تقليد الأعمال السلطانية ،

من الأمور الدنيوية .

(٩) أى تعدل بي عن الطريق المستقيم المستبين إلى أسفل سافلين .

(١٠) شغله : ما يشغل به نفسه من أفعاله وأقواله . وهمه : ما يهتم به ويعتني به . محله :

مكانه . والحاء تفتح وتكسر فيها .

(١١) النعيم : الجنة . وحضرته ، حضوره .

الجسيم، والسكان عليه خُوِيَصْتَه ، واستِنْقَاذِ مُهَجَّتِه (١) وعَمَلِ صَالِحٍ يَسْتَزِيدُهُ ، وَعِلْمِ نَافِعٍ يُفِيدُهُ أَوْ يَسْتَفِيدُهُ .

جَبَرَ اللَّهُ صَدْعَ قُلُوبِنَا (٢) ، وَغَفَرَ عَظِيمَ ذُنُوبِنَا ، وَجَعَلَ جَمِيعَ [٣] اسْتِعْدَادِنَا لِمَعَادِنَا ، وَتَوَفَّرَ دَوَاعِينَا فِيمَا يُنْجِينَا وَيَقْرُبُنَا إِلَيْهِ زُلْفَى (٣) ، وَيُحْطِئُنَا بِمَنِّهِ [وَكْرَمِهِ] (٤) وَرَحْمَتِهِ .

وَمَا نَوَيْتُ تَقَرُّبِيهِ (٥) ، وَدَرَجَتُ تَبْوِيْبِيهِ (٦) ، وَمَهَّدْتُ تَأْصِيلَهُ (٧) ، وَخَلَّصْتُ (٨) تَفْصِيلَهُ ، وَانْتَحَيْتُ حَصْرَهُ وَتَحْصِيلَهُ ، تَرْجَمْتُهُ (٩) بِ« الشِّفَا بِتَعْرِيفِ حُقُوقِ الْمُصْطَفَى » ؛ وَحَصَرْتُ الْكَلَامَ فِيهِ فِي أَرْبَعَةِ أَرْبَعَةٍ :

التقسيم الأول - في تعظيم العلى الأعلى لقدّر هذا النبي قولاً وفِعْلاً ، وَتَوَجَّهَ الْكَلَامُ فِيهِ فِي أَرْبَعَةِ أَبْوَابٍ :

الباب الأول : في ثنائه تعالى عليه ، وإظهاره عَظِيمَ قَدْرِهِ (١٠) لديه ؛ وفيه عشرة فصول .

(١) خويصته : نفسه . والمهجة : الروح .

(٢) الجبر : إصلاح ما انكسر : والصدع : الشق .

(٣) زلفى : قرباً ، أو تقريباً ، كاملاً . (٤) من ب .

(٥) تحت « نويت تقريبه » في ب : أى للأفهام .

(٦) تحت كلمة : « درجت تبويبه » أدنيت . والمراد أنه جعل تبويبه مرتباً ومدرجاً ،

درجة درجة في التأليف .

(٧) ومهدت تأصيله : التأصيل : ذكر القواعد والأصول . يعنى أنه ذكر فيه قواعد

وأدلة تنبئ عليها مشاكل أبوابه . وتحت كلمة « تأصيله » ؛ أى ذكرت أصوله .

(٨) في ب : وخلصت .

(٩) المراد سميته .

(١٠) الثناء : الوصف بالجميل . وقدر الشيء : مقداره وشرف رتبته .

الباب الثانى : فى تكميله تعالى له المحاسنَ خَلْقًا وَخُلُقًا ، وَقِرَانِهِ جَمِيعَ الْفَضَائِلِ الدِّينِيَّةِ وَالذَّنْبِيَّةِ فِيهِ نَسَقًا^(١) ؛ وفيه سبعةٌ وعشرون فصلًا .

الباب الثالث : فيما ورد من صحيح الأخبار ومشهورها [٤] بعظيم قدره عند ربه ومنزله ، وما خصه به فى الدارين من كرامته^(٢) ؛ وفيه اثنا عشر فصلًا^(٣) .

الباب الرابع : فيما أظهره الله تعالى على يديه من الآيات والمعجزات^(٤) ، وشرفه به من الخصائص والكرامات ؛ وفيه ثلاثون فصلًا^(٥) .

القسم الثانى - فيما يجب على الأنام^(٦) من حقوقه عليه السلام ، ويترتب القولُ فيه فى أربعة أبواب :

الباب الأول : فى فرض الإيمان به ووجوب طاعته واتباع سنته ؛ وفيه خمسة^(٧) فصول .

الباب الثانى : فى لزوم محبته ومناصحته^(٨) ؛ وفيه ستة فصول^(٩) .

الباب الثالث : فى تعظيم أمره ولزوم توقيره وبره ؛ وفيه سبعة^(١٠) فصول .

(١) قرانه : جمعه . نسقا : المراد أنه جمعها على وجه متناسب يأخذ بعضه بحجز بعض .

(٢) من كرامته : أى مما فيه تكريم وتبجيل له .

(٣) فى هذا الباب خمسة عشر فصلًا ، كما سيأتى . وقال القارى : (١ - ٢٢) هكذا فى كل النسخ التى عليها الرواية والتصحيح والمقابلة ، والذى فى هذا الباب من الفصول خمسة عشر ، ولعله أراد بالاثنى عشر فصولًا مهمة وبزيادة الثلاثة مكلمة ومتممة .

(٤) الآيات : جمع آية ، وهى العلامة الدالة على نبوته ؛ والآية والمعجزة يشتركان فى الدلالة على صدقه ، غير أن المعجزة تخص بالتحدى .

(٥) هى تسعة وعشرون فصلًا ، كما يأتى .

(٦) الأنام : الخلق ، أو الإنس والجن .

(٧) هى أربعة ، كما سيأتى .

(٨) المناصحة : إرادة الخير للغير ، وإرشاده له .

(٩) هى خمسة كما سيأتى .

(١٠) هى ستة كما سيأتى .

الباب الرابع: في حكم الصلاة عليه والتسليم وفرض ذلك وفضيلته ؛ وفيه عشرة فصول^(١) .

القسم الثالث - فيما يستحيل^(٢) في حقه ، وما يجوزُ عليه شرعا ، وما يمتنعُ ويصحُّ من الأمور البَشَرِيَّة أَنْ يضاف^(٣) إليه .

وهذا القسم - أكرمك الله - هو سِرُّ الْكِتَابِ ، ولُبَّابُ نَمْرَةٍ^(٤) هذه الأبواب ، وما قبله له كالتواعد والتمهيدات والدلائل على ما نُورِدُه فيه من النَّكَّتِ الْبَيِّنَاتِ ، وهو الحاكم على ما بعده ، والمُنْجِزُ مِنْ غَرَضِ هَذَا التَّأْلِيفِ وَعَدَّه ، وعند التَّقْصِي لموعده ، والتَّقْصِي عن عهده^(٥) ، يَشْرِقُ صَدْرُ الْعَدُوِّ اللَّعِينِ^(٦) ، وَيَشْرِقُ قَلْبُ الْمُؤْمِنِ بِالْيَقِينِ ، وتَمَلُّأُ أَنْوَارُهُ جَوَانِحُ^(٧) صَدْرِهِ وَيَقْدُرُ الْعَاقِلُ النَّبِيَّ حَقَّ قَدْرِهِ^(٨) . ويتحرَّرَ الْكَلَامُ فِيهِ فِي بَابَيْنِ [٥] :

الباب الأول : فيما يختصُّ بالأُمُورِ الدِّينِيَّةِ ، ويتشَبَّثُ بِهِ الْقَوْلُ فِي الْعَصْمَةِ^(٩) ؛ وفيه ستة عشر فصلا .

(١) هي تسعة كما سيأتي . (٢) يستحيل : يمتنع امتناعا قويا حتى يلحق بالحال عقلا .

(٣) يضاف إليه : ينسب إليه . (٤) لباب كل شيء : خالصة .

(٥) التقصي : الاستقصاء ؛ وهو بلوغ أقصى الشيء وغايته . وقال الشهاب : أو هي التقضي -

بالضاد المعجمة ، من تقضي الأمر : إذا تم . والتقضي : الخروج والتخلص .

(٦) يشرق : أصل معناه وقوف الشراب ونحوه في الخلق ، والمراد يتألم ويفتأظ . والمراد

بالعدو اللعين : إبليس ، أو جنس العدو .

(٧) جوانح صدره : الجوانح : جمع جانحة ، وهي الضلوع التي تلي الصدر تحت الترائب .

(٨) يقدره : يعرف مقداره ، ويتصور عظيم مقامه .

(٩) ويتشبت : يتعلق . والعصمة : منع الله عبده عن جميع ما لا يرضاه من الذنوب

بمجرد حفظ الله له ، أو بخلق الله له صفة نفسانية تمنعه من ارتكابها . والعصمة أيضا تكون

بمعنى صونه عن أذية أعدائه بحيث لا يقدرُون عليها .

الباب الثاني : في أحواله الدنيوية، وما يجوز طرؤه عليه من الأعراض البشرية^(١)؛
وفيه تسعة فصول^(٢) .

القسم الرابع - في تصرف وجوه الأحكام على من تنقصه أو سبه^(٣) صلى الله
عليه وسلم ، وينقسم الكلام فيه في باين :

الباب الأول : في بيان ما هو في حقه سب ونقص ؛ من تعريض ، أو نص ؛
وفيه^(٤) عشرة فصول .

الباب الثاني : في حكم شائته ومؤذيه ومُتنقصه وعقوبته^(٥) ، وذِكْر استنابته،
والصلاة عليه ، وورائته ؛ وفيه عشرة فصول .

وختمناه بباب ثالث جملناه تكملة لهذه المسألة [٥] ، ووصلة للباين الذين قبله
في حكم من سب الله تعالى ورأسه وملائكته وكتبه ؛ وآل النبي صلى الله عليه وسلم
وصحبه .

واختصر الكلام فيه في خمسة^(٦) فصول، وبتمامها ينتجز^(٧) الكتاب ، وتم
الأقسام والأبواب ، وتلوح في غرّة الإيمان أمة منيرة^(٨) ، وفي تاج التراجم درة

(١) طرؤه : عروضه وحدوثه . الأعراض : جمع عرض ؛ وهو ما يعرض له من الأمور
البشرية .

(٢) هي ثمانية ، لاسعة ، كاسيأتي .

(٣) تنقصه : نسب النقص إليه . والسب : الشتم . (٤) هي تسعة كاسيأتي .

(٥) الثاني : البفض . وتنقصه : أتى بما فيه نقص لكامل قدره من قول أو فعل .

(٦) سيأتي أنها عشرة . (٧) ينتجز : يتم ويكمل .

(٨) يلوح : يظهر . والغرة في الأصل : بياض في جبهة الفرس ، واللمعة : من لمع الشيء .

أضاء . والمراد أنه إذا تم ما في كتابه وانتقش في صحائف الأذهان ازداد نور الإيمان ؛ لأن
الإيمان بالله ورسله عليهم الصلاة والسلام إذا قرن بتعظيم هذا النبي الكريم ومحبته والعلم بما
تؤدى إليه مخالفته من النكال أوصل صاحبه لأعلى عليين .

خَطِيْرَة ، تُزِيحُ كُلَّ لَبْسٍ ^(١) ، وَتُوضِحُ كُلَّ تَحْمِيْنٍ وَحَدْسٍ ^(٢) ، وَتَشْفِي صُدُوْرَ قَوْمٍ مُؤْمِنِيْنَ ، وَتُصَدِّعُ بِالْحَقِّ ^(٣) ، وَتُعْرَضُ عَنِ الْجَاهِلِيْنَ ؛ وَبِاللّٰهِ تَعَالَى - لَا إِلَهَ سِوَاهُ - أَسْتَعِيْن .

القِسْمُ الْأَوَّلُ

فِي تَعْظِيْمِ الْعَلِيِّ الْأَعْلَى لِقَدْرِ هَذَا ^(٤) النَّبِيِّ

قَوْلًا وَفِعْلًا

قَالَ [الْفَقِيْه] ^(٥) الْقَاضِي الْإِمَامُ أَبُو الْفَضْلِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :
لَا خِزَاءَ عَلَى مَنْ مَارَسَ شَيْئًا مِنَ الْعِلْمِ ^(٦) ، أَوْ حُصَّ بِأَدْنَى لِحَّةٍ مِنْ فِهْمٍ ^(٧) ،
بِتَعْظِيْمِ اللَّهِ تَعَالَى قَدْرَ نَبِيْنَا عَلَيْهِ [الصَّلَاةُ وَ] ^(٨) السَّلَامُ ، وَخُصُوْصِهِ ^(٩) إِيَّاهُ بِنَضَائِلِ

(١) تزيح : تزيل . واللبس : الخلط ، والاشتباه .

(٢) للتخمين والحدس : التخمين : قول من غير تحقيق . والحدس : قول صادر عن

ظن و وهم .

(٣) تصدع بالحق : تجهر بما يدل على الحق .

(٤) في ب : لقدّر النبي المصطفى صلى الله عليه وسلم قولاً وفعلاً . والمثبت في ا .

قال الخفاجي : في هذا الفصل ثناء الله ومدحه لنبيه صلى الله عليه وسلم لئلا يكونه أنفس الناس ذاتا وحسبا ونسبا ، وكونه خيرا ورحمة عامة في حياته ومماته ، وكونه نورا محضا للعالم ، وكونه ذا صدور واسع منشرح ، ورفعة قدره واسمه بمقارنته لاسم ربه وذكره ، وأنه الصراط المستقيم .

(٥) من ب . وقال في نسيم الرياض : ما وقع في النسخ من مثل هذا وما شابهه ، من قوله :

الإمام - من تلامذته النساخ ؛ لأنه لا يمدح نفسه . وقال القاري : فيه إشعار بأنه من كلام غيره .

(٦) مارس : عالج ، ولازم ، وزاول .

(٧) لحة من فهم : شيء قليل من الفهم . (٨) من ب .

(٩) وخصوصه إياه : وتخصيصه .

ومحاسن ومناقب لا تنضب لزمَام^(١)، وتنويهه^(٢) مِنْ عَظِيم^(٣) قَدْرِهِ بما تَكَلُّ عَنْهُ
الْأَلْسِنَةُ وَالْأَقْلَامُ :

فَمِنْهَا مَا صَرَّحَ بِهِ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ ، وَنَبَّهَ بِهِ عَلَى جَلِيلِ نِصَابِهِ^(٤) ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ
مِنْ أَخْلَاقِهِ وَأَدَابِهِ ، وَحَضَّ الْعِبَادَ عَلَى التَّزَامِهِ^(٥) ، وَتَقَلَّدَ إِجَابَهُ ؛ فَكَانَ جَلَّ جَلَالُهُ
هُوَ الَّذِي تَفَضَّلَ وَأَوْلَى^(٦) ، ثُمَّ طَهَّرَ وَزَكَّى ، ثُمَّ مَدَحَ بِذَلِكَ وَأَثْنَى ، ثُمَّ أَثَابَ عَلَيْهِ
الْجِزَاءَ الْأَوْفَى^(٧) ، فَهُوَ الْفَضْلُ بَدَأَ [٦] وَعَوَّدًا^(٨) ، وَالْحَمْدُ أَوْلَى وَأُخْرَى^(٩) .

وَمِنْهَا مَا أَبْرَزَهُ^(١٠) لِلْعِيَانِ مِنْ خَلْقِهِ عَلَى أَمِّ وَجْهِهِ السَّمَكِ وَالْجَلَالِ ، وَتَخَصَّصَهُ
بِالْحَاسِنِ الْجَمِيلَةِ ، وَالْأَخْلَاقِ الْحَمِيدَةِ ، وَالْمَذَاهِبِ الْكَرِيمَةِ^(١١) ، وَالْفَضَائِلِ الْعَدِيدَةِ ؛ وَتَأْيِيدُهُ

(١) لزمَام : لضابط يريد ضبطها ، ويقصد ربطها ، ويجتهد في إحصائها .

(٢) يقال : نوهت باسمه ؛ إذا رفعت ذكره وأشمت تعظيمه .

(٣) في ب : بعظيم قدره .

(٤) النصاب والمنصب : العلو والرفعة والشرف ؛ أي إن الله جل وعلا بذكره له صلى الله

عليه وسلم في كتابه المنزل نبه على جليل قدره ورفعته وشرفه .

(٥) الحض : الحث والطلب الشديد السريع .

(٦) أولى : أعطى . أو أنعم عليه بما علم المولى بأنه الأولى .

(٧) الأوفى : التام الكامل .

(٨) بدءا وعودا ؛ البدء : الابتداء . والعود : الرجوع ؛ أي أولا وآخرا .

(٩) أولى وأخرى : أي هو مستحق للحمد في أول الأمر وآخره . أو في الدنيا والآخرة .

(١٠) ما أبرزه : ما أظهره ظهورا تاما . والعيان - بكسر العين : المعاينة . وفي ب : كتب

تحتها بكسر العين .

(١١) المذاهب : جمع مذهب ، وهو الطريق ، ويطلق على ما اختير من الأفعال وغيرها ،

كما يقال مذهب الفقهاء . والمراد مسالكه صلى الله عليه وسلم في أحواله مع أمته أو في نفسه .

بالمعجزات الباهرة^(١) ، والبراهين الواضحة ، والكرامات البيّنة^(٢) التي شاهدها من عاصره ، ورآها من أدركه ، وعامها علم يقين من جاء بعده ، حتى انتهى علم حقيقة ذلك إلينا ، وقاضت أنواره علينا ، صلى الله عليه وسلم كثيرا .

حدثنا القاضي الشهيد أبو علي الحسين بن محمد الحافظ ، رحمه الله ، قراءة مني عليه^(٣) ؛ قال : أبو الحسين المبارك بن عبد الجبار ، وأبو الفضل أحمد بن خيرون ؛ قال : حدثنا أبو يعلى البغدادي ؛ قال : حدثنا أبو علي السنجى ؛ قال : حدثنا محمد ابن أحمد بن محبوب ، قال : حدثنا أبو عيسى بن سورة الحافظ^(٤) ؛ قال : حدثنا إسحاق بن منصور ، حدثنا عبد الرزاق ، أنبأنا معمر ، عن قتادة ، عن أنس - أن^(٥) النبي صلى الله عليه وسلم أتى بالبراق^(٦) ليلة أُسرى به مُلجماً مُسرجاً^(٧) ، فاستصعب عليه^(٨) ؛ فقال له جبريل : أيا محمد تفعل هذا ؟ فاركبك أحد أكرم على الله منه . قال : فرفض عرقاً^(٩) .

-
- (١) الباهرة : العجيبة ، أو الظاهرة ظهوراً لا يمكن ستره ، أو الفائقة الغالبة القاهرة .
 (٢) الكرامات : جمع كرامة ، وهي أمر أكرم الله به من اصطفاه من عباده التقيين بدون تحد ودعوى نبوة ؛ فيكون للنبي وللولى ، وأعم من المعجزة لاشتراط مقارنة النبوة والتحدى فيها . والبينة : الظاهرة .
 (٣) هو شيخ المصنف قرأ عليه بالأندلس . وهو المعروف بابن سكرة ، استشهد بشعر الأندلس سنة أربع عشرة وخمسةائة ، وكان من أهل الحديث .
 (٤) هو الترمذى ، صاحب الجامع الصحيح .
 (٥) في نسيم الرياض : وهذا حديث حسن مسند في الترمذى وغيره (سنن الترمذى : ٥ - ٣٠١) .
 (٦) البراق : دابة فوق الحمار ودون البغل ، سمى به لشدة سرعته .
 (٧) ملجماً مسرجاً : مهياً للركوب بسرجه ولجامه . وفي ب ضبطت الجيم والراء بالكسرة .
 (٨) فاستصعب عليه ؛ صعب ، أى إنه صلى الله عليه وسلم لما أراد ركوبه لم يقر حتى يركبه ، أى امتنع وأبى أن يركب بسهولة .
 (٩) فرفض عرقاً : سال وتعبب عرقه .

البَابُ الْأَوَّلُ

في ثناء الله تعالى عليه وإظهاره عظيم قدره لديه
اعلم أن في كتاب الله العزيز آيات كثيرةً مفصحة^(١) يجميل ذكر المصطفى ،
وعدّ محاسنه ، وتعظيم أمره ، وتنويه قدره^(٢) ، اعتمدنا منها على ما ظهر معناه ، وبان
فجواه ، وجمعنا ذلك في عشرة فصول :

الفِصْلُ الْأَوَّلُ

فيما جاء من ذلك مجيء المدح والثناء وأعداد المحاسن ؛ كقوله تعالى^(٣) : ﴿ لَقَدْ
جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم ﴾ .
قال السمرقندي^(٤) [٦] : ﴿ قرأ بعضهم : من أنفسكم - بفتح الفاء . وقراءة
الجمهور بالضم .

قال^(٥) القاضي الإمام أبو الفضل - [وفقه الله]^(٦) : أعلم الله تعالى المؤمنين ،
أو العرب ، أو أهل مكة ، أو جميع الناس ، على اختلاف المفسرين : من الواجبه بهذا

(١) مفصحة : دالة كاشفة ، مبينة .

(٢) وتنويه قدره : أي رفعة شأنه بإشاعته على وجه التعميم والتكريم .

(٣) سورة التوبة ، آية ١٢٨ . رسول من أنفسكم : من جنسكم البشري ، ومن قبيلتكم
العربي . عزيز عليه ما عنتم : شديد شاق عليه عنتم وتعبكم ووقوعكم في العذاب . حريص
عليكم أن تؤمنوا .

(٤) السمرقندي : نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي الفقيه المحدث المفسر .
وسياتي في مواضع من كتاب الشفاء حيث يروى عنه القاضي بواسطة واحدة .

(٥) هو المؤلف . وانظرها مش رقم ٢ صفحة ٢ .

(٦) ليس في ب .

الخطاب^(١) أنه بعث فيهم رسولا من أنفسهم يعرفونه^(٢)، ويتحققون مكانه^(٣)، ويعلمون صدقه وأمانته؛ فلا يتهمون بالكذب وترك النصيحة لهم، لكونه منهم، وأنه لم تكن في العرب قبيلة^(٤) إلا ولها على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولادة أو قرابة^(٥)، [وهو عند ابن عباس وغيره معنى قوله تعالى^(٥): ﴿إِلَّا الْمُوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾]^(٦)؛ وكونه من أشرفهم، وأرفعهم، وأفضلهم، على قراءة الفتح^(٧)؛ وهذه نهاية للدح؛ ثم وصفه بعد بأوصاف حميدة، وأثنى عليه بحامد^(٨) كثيرة؛ من حرصه على هدايتهم ورشدهم وإسلامهم^(٩)، وشدة ما يعنئهم^(١٠) ويضر بهم في دنياهم وأخراهم، وعزته ورأفته ورحمته بمؤمنهم.

قال بعضهم: أعطاه اسمين من أسمائه: رؤوف، رحيم.
ومثله في الآية الأخرى: قوله تعالى^(١١): ﴿لقد منَّ اللهُ على المؤمنين إذ بعثَ فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم، ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين﴾.

-
- (١) الخطاب في الآية السابقة: لقد جاءكم . . .
(٢) يعرفونه: أي يعرفون ذاته وصفاته وأحواله، وذكره في الكتب القديمة.
(٣) مكانه: قدره ورتبته ومنزله.
(٤) ولادة أو قرابة: يعنى أن كل قبيلة من العرب فيها للنبي صلى الله عليه وسلم أب أو جد أو أم . أو قرابة له . أو المراد بالولادة: القرابة القريبة، وبالقرابة: القرابة البعيدة.
(٥) سورة الشورى، آية ٢٣ .
(٦) ما بين القوسين في هامش ١، وكتب فيها بعد العبارة: من الأم العتيقة، وليس من الرواية . وليس ما بين القوسين في ب مما يدل على زيادتها . (٧) في كلمة: أنفسهم - بفتح الفاء .
(٨) حميدة: محمودة . والحامد: جمع محمداً، وهى المحمودة أيضاً .
(٩) رشدهم: إرشادهم . وإسلامهم؛ أى انقيادهم واستسلامهم .
(١٠) ما يعنئهم: ما يشق عليهم . وفي ب: ما يعنتهم - بضم الياء وسكون العين .
(١١) سورة آل عمران، آية ١٦٤ .

وفي الآية الأخرى^(١) : ﴿ هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين ﴾ .
وقوله تعالى^(٢) : ﴿ كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون ﴾ .

وروى عن علي بن أبي طالب ، عنه صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى^(٣) :
من أنفسكم^(٤) - قال : نسباً وصهرراً وحسباً^(٥) ؛ ليس في آبائي من الدن آدم سفاح ،
كُلّمنا^(٦) نِكَاح .

[قال ابن السكبي^(٧) : كتبت للنبي صلى الله عليه وسلم خمسمائة أمّ ، فما وجدتُ
فيهن سفاحاً ولا شيئاً مما كان عليه الجاهلية .

-
- (١) سورة الجمعة ، آية ٢ . قال القاري : في الأميين ؛ أي العرب الذي غالبهم ماقراً ولا كتب .
(٢) سورة البقرة ، آية ١٥١ (٣) سورة آل عمران ، آية ١٦٤
(٤) في نسيم الرياض : قال ابن المنير : من أنفسهم : من جنسهم يعرفون حاله ، وأنه
ماقرأ ولا درس ، وقد جاءه العلم فقص سير الأولين والآخرين على ما هم عليه حرفاً بحرف ؛ فيعلم
المائل أنه أمر خارق من عند الخالق ، كل ذلك إبلاغ في ظهور حجته ووضوح معجزته .
(٥) النسب : القرابة مطلقاً ، أو من جهة الآباء . والصهر : واحد الأصهار : أهل بيت
المرأة . وقيل : كل أصهار : من كان من قبل الزوج ، ومن كان من قبل المرأة . والحسب : ما يعد
من المآثر ، والشرف .
(٦) أي ليس في آبائي من حيث أبوتهم ، ولا في أمهاتي سفاح ؛ والسفاح : الزنا والفجور .
والنكاح هنا عقد النكاح والزواج . وفوق كلمة سفاح في ب : أي الزنا .
فقد صانه الله وأسلافه عما يشين ، وطهر أرحامهم عن دنس السفاح ، فلم يزل الرسول ينقل
من الإصلاّب الطاهرة إلى الأرحام الطيبة مصفي مهذباً .
(٧) ابن السكبي : هو محمد بن السائب ، المفسر النسابة الأخباري (ميزان الاعتدال :

وعن ابن عباس رضى الله عنه - في قوله تعالى^(١) : ﴿وتقَابِكِ فِي السَّاجِدِينَ﴾ - قال^(٢) : مِنْ نَبِيِّ إِلَى نَبِيٍّ ، حَتَّى أُخْرِجَكَ نَبِيًّا [٣].

وقال جعفر بن محمد : عَلِمَ اللَّهُ عَجْزَ خَلْقِهِ عَنِ طَاعَتِهِ ، فَعَرَّفَهُمْ ذَلِكَ ؛ لِكَيْ يَعْلَمُوا أَنَّهُمْ لَا يَنَالُونَ الصَّفْوَةَ^(٤) مِنْ خِدْمَتِهِ ؛ فَأَقَامَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ مَخْلُوقًا مِنْ جِنْسِهِمْ فِي الصُّورَةِ ، وَأَلْبَسَهُ مِنْ نَعْتِهِ^(٥) [٧] الرَّأْفَةَ وَالرَّحْمَةَ ، وَأَخْرَجَهُ إِلَى الْخَلْقِ سَفِيرًا^(٦) صَادِقًا ، وَجَمَلَ طَاعَتَهُ طَاعَتَهُ ، وَمَوَافَقَتَهُ^(٧) مَوَافَقَتَهُ ؛ فَقَالَ تَعَالَى^(٨) : ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَتَدَّ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ . وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى^(٩) : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ .

قال أبو بكر بن طاهر : زَيَّنَ اللَّهُ تَعَالَى مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِزِينَةِ الرَّحْمَةِ ؛ فَكَانَ كَوْنُهُ^(١٠) رَحْمَةً ، وَجَمِيعُ شَمَائِلِهِ وَصِفَاتِهِ رَحْمَةً عَلَى الْخَلْقِ ؛ فَمَنْ أَصَابَهُ شَيْءٌ مِنْ رَحْمَتِهِ فَهُوَ النَّاجِي فِي الدَّارَيْنِ مِنْ كُلِّ مَكْرُوهٍ ، وَالْوَاصِلُ فِيهِمَا إِلَى كُلِّ مَحْبُوبٍ ؛

(١) سورة الشعراء ، آية ٢١٩

(٢) قال السيوطي : هذا الحديث أخرجه ابن سعد ، والبخاري ، وأبو نعيم في الدلائل بسند صحيح عن ابن عباس ، رضى الله عنها (١ - ٦٧) . وفي تفسير ابن كثير (٣ - ٣٥٢) : وروى البخاري ، وابن أبي حاتم من طريقين عن ابن عباس أنه قال في هذه الآية يعنى تقبله من صلب نبي إلى صلب نبي حتى أخرجه نبيا .

(٣) ما بين القوسين في هامش ١ ، وكتب بعده : من الام ، وليست من الرواية . وليس في ب ، ولا في هامشه .

(٤) الصفو : الصافي الخالص . وخدمته : عبادته وطاعته .

(٥) نعته : صفته .

(٦) سفيرا : الرسول .

(٧) بين السطور في ب : بنزع الخافض ، وقال القاري (١ - ٣٥) : هو تشبيه بليغ مفيد للمبالغة ؛ وهو أن طاعته عين طاعته . وكذلك قوله : وموافقته موافقته .

(٨) سورة النساء ، آية ٨٠

(٩) سورة الأنبياء ، آية ١٠٧

(١٠) كان كونه : كان وجوده .

أَلَا تَرَى أَنَّ اللَّهَ يَقُولُ (١) : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ ؛ فَكَانَتْ حَيَاتُهُ رَحْمَةً ، وَمَمَاتُهُ رَحْمَةً ؛ كَمَا قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ (٢) : حَيَاتِي خَيْرٌ لَّكُمْ وَمَوْتِي خَيْرٌ لَّكُمْ . وَكَأَنَّ (٣) قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ (٤) : إِذَا أَرَادَ اللَّهُ رَحْمَةً بِأُمَّةٍ قَبَضَ نَدِيهَا قَبْلَهَا ؛ فَجَعَلَهُ لَهَا فَرَطًا وَسَلَفًا (٥) . وَقَالَ السَّمَرَقَنْدِيُّ : رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ : يَعْنِي لِلْجَنِّ وَالْإِنْسِ . وَقِيلَ : لِجَمِيعِ الْخَلْقِ ؛ لِلْمُؤْمِنِ رَحْمَةٌ بِالْهُدَايَةِ ، وَرَحْمَةٌ لِّلْمُنَافِقِ (٦) بِالْأَمَانِ مِنَ الْقَتْلِ ، وَرَحْمَةٌ لِّلْكَافِرِ بِتَأْخِيرِ الْعَذَابِ .

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : هُوَ رَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَاللَّكَّافِرِينَ ؛ إِذْ عُوِفُوا بِمَا أَصَابَ غَيْرَهُمْ مِنَ الْأُثْمِ الْمَكْدُوبَةِ (٧) .

وَحُكِيَ (٨) أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِجَبْرِئِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : هَلْ أَصَابَكَ مِنْ

(١) سُورَةُ الْأَنْبِيَاءِ ، آيَةٌ ١٠٧ .

(٢) هَذَا الْحَدِيثُ رَوَاهُ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ ، وَرَوَاهُ الْحَارِثُ بْنُ أَبِي أُسَامَةَ فِي مُسْنَدِهِ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ . (نَسِيمُ الرِّيَاضِ) . وَفِي شَرْحِ الْقَارِي : رَوَاهُ الْحَارِثُ بْنُ أَبِي أُسَامَةَ فِي مُسْنَدِهِ ، وَالْبَزَّازُ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ . وَرَحْمَتُهُ لَهُمْ فِي حَيَاتِهِ لِأَنَّهُ هَدَاهُمْ لِسَبِيلِ الْخَيْرِ ، وَرَحْمَتُهُ لَهُمْ فِي مَمَاتِهِ لِتَقْدِيمِهِ فَرَطًا لَهُمْ .

(٣) فِي ب : كَأَنَّ - مِنْ غَيْرِ وَאו .

(٤) هَذَا الْحَدِيثُ صَحِيحٌ مُتَنَا وَسَنَدًا ، رَوَاهُ مُسْلِمٌ (صَحِيحُ مُسْلِمٍ : ١٧٩٢) وَفِيهِ : إِذَا أَرَادَ اللَّهُ رَحْمَةً أُمَّةً . وَبَقِيَّةُ الْحَدِيثِ كَمَا فِي مُسْلِمٍ : وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ هَلَكَةَ أُمَّةٍ عَذَّبَهَا وَنَبِيَّهَا حَتَّى فَأَهْلَكَهَا وَهُوَ يَنْظُرُ ، فَأَقْرَبَ اللَّهُ عَيْنَهُ بِهَلَكَتِهَا حِينَ كَذَّبُوهُ وَعَصَوْا أَمْرَهُ .

(٥) فَرَطًا وَسَلَفًا : أَيُّ مُتَقَدِّمًا وَسَابِقًا .

(٦) الْمُنَافِقُ : مَنْ يُخْفِي الْكُفْرَ وَيُظْهِرُ الْإِيمَانَ .

(٧) أَيُّ الْمَكْدُوبَةِ لِّلْأَنْبِيَاءِ ؛ فَإِنَّ اللَّهَ عَاقَبَ مَنْ كَفَرَ مِنْهُمْ بِالْإِسْتِثْصَالِ وَالْحَسْفِ وَالْمَسْخِ ، وَمَا نَزَلَ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ .

قَالَ فِي نَسِيمِ الرِّيَاضِ : وَقَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ هَذَا مُسْنَدٌ إِلَيْهِ فِي الطَّبْرَانِيِّ ، وَدَلَائِلُ الْبَيْهَقِيِّ ، وَفِي تَفْسِيرِ ابْنِ جَرِيرٍ ، وَابْنِ أَبِي حَاتِمٍ . وَكَذَلِكَ قَالَ الْقَارِي فِي شَرْحِهِ (١ - ٣٧) .

(٨) قَالَ فِي نَسِيمِ الرِّيَاضِ : لَمْ يَوْجَدْ هَذَا فِي شَيْءٍ مِنْ كُتُبِ الْحَدِيثِ ،

هذه الرحمة شيء؟ قال : نعم ؛ كنتُ أَخْشَى العاقبة^(١) فَأَمِنْتُ لِثَنَاءِ^(٢) الله عز وجل على بقوله^(٣) : ﴿ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ^(٤) . مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴾ .
وروى عن جعفر بن محمد الصادق - في قوله تعالى^(٥) : ﴿ فَسَلِّمْ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴾ : أى بك^(٦) ؛ إنما وَقَعَتْ سلامتهم من أجل كرامة محمد صلى الله عليه وسلم .

وقال الله تعالى^(٧) : ﴿ اللهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ . الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ ، الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ، نُورٌ عَلَى نُورٍ ، يَهْدِي اللهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ .
قال كعب^(٨) ، وابن جبير : المراد بالنور الثاني هنا محمد عليه السلام [٧] .
وقوله تعالى : مِثْلُ نُورِهِ ؛ أى نور محمد صلى الله عليه وسلم .

وقال سهل بن عبد الله^(٩) : المعنى : اللهُ هادى أهل السموات والأرض؛ ثم قال :

(١) أَخْشَى العاقبة : أى سوء العاقبة .

(٢) إِذْ ثَنَاءَ العَظِيمِ يَقْتَضِي رِضَاهُ وَقَبُولُهُ ، وَهُوَ لَا يَرْضَى وَيَقْبَلُ إِلَّا مَنْ كَانَ مَرْحُومًا مَقْرَبًا ، فَلَمَّا عَلِمَ ذَلِكَ مِنَ الْقُرْآنِ الَّذِي هُوَ رَحْمَةٌ نَازِلَةٌ بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَطْمَأَنَّ خَاطِرُهُ وَأَمِنَ سَوْءَ الْخَافَةِ .

(٣) سُورَةُ التَّكْوِيْرِ ، آيَةٌ ٢٠ ، ٢١

(٤) مَكِينٍ : مُتَمَكِّنٌ ذِي قَدْرٍ وَمَنْزِلَةٍ ، أَوْ صَاحِبُ مَكَانَةٍ .

(٥) سُورَةُ الْوَاقِعَةِ ، آيَةٌ ٩١

(٦) أَيْ بَكَ : أَيْ بِسَبَبِ وَجُودِكَ ، أَوْ بِسَبَبِ كَرَمِكَ وَجُودِكَ .

(٧) سُورَةُ النُّورِ ، آيَةٌ ٣٥

(٨) فِي ب : قَالَ كَعْبُ الْأَجْبَارِ . . .

(٩) هُوَ التَّسْتَرِيُّ ، وَقَدْ تَوَفَّى سَنَةَ ثَلَاثٍ وَثَمَانِينَ وَمِائَتَيْنِ .

مَثَل نورِ محمدٍ إذ كان مستودعا في الأَصْلَابِ (١) كَمِشْكَاةٍ (٢) صَفَتْهَا كَذَا ؛ وَأَرَادَ بِالصَّبَاحِ قَلْبَهُ ، وَبِالزَّجَاجَةِ صَدْرَهُ ؛ أَي كَأَنَّهُ كَوَكَبٌ دُرِّيٌّ (٣) لَمَّا فِيهِ مِنَ الْإِيمَانِ وَالْحِكْمَةِ ، تَوَقَّدَ (٤) مِنْ شَجَرَةٍ مَبَارَكَةٍ ؛ أَي مِنْ نُورِ إِبْرَاهِيمَ . وَضُرِبَ (٥) الْمَثَلُ بِالشَّجَرَةِ الْمَبَارَكَةِ .

وقوله : يكاد زيتها يضيء ؛ أي تكاد نبوة محمد صلى الله عليه وسلم تبين للناس قبل كلامه (٦) كهذا الزيت .

وقيل في هذه الآية غير هذا . والله أعلم .

وقد سماه الله تعالى في القرآن في غير هذا الموضع نورا وسراجا منيرا ؛ فقال تعالى (٧) : ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴾ :

وقال تعالى (٨) : ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا . وَدَاعِيَا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴾ .

ومن هذا قوله تعالى (٩) : ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ . وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ . الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ . وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ . فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا . فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ . وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ ﴾ .

(١) الأَصْلَابُ : جمع صلب : الظهر ؛ والمراد أصْلَابُ الآبَاءِ .

(٢) المَشْكَاةُ : كوة غير نافذة ؛ أي صفة نور محمد كصفة نور مشكاة

(٣) كَأَنَّهُ : كَأَنَّ صَدْرَهُ . وَالدَّرِيُّ ؛ السُّكُوكِبُ الْمُضِيُّ .

(٤) فِي ب : تَوَقَّدَ - بِالْبِنَاءِ لِلْمَجْهُولِ .

(٥) وَضُرِبَ الْمَثَلُ : أَي شَبِهَ ظَهْرُ نُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ الْمُتَّصِلَةَ بِأَيِّهِ إِبْرَاهِيمَ ، بِصَبَاحِ أَضَاءِ بَزِيَّتِهِ مِنْ شَجَرَةٍ مَبَارَكَةٍ . « وَضُرِبَ » - فِي أ : بِالْبِنَاءِ لِلْمَجْهُولِ . وَفِي ب : بِالْبِنَاءِ لِلْمَعْلُومِ .

(٦) قَبْلَ كَلَامِهِ : قَبْلَ دَعْوَاهِ النَّبُوَّةِ وَتَحْدِيدِهِ .

(٧) سُورَةُ الْمَائِدَةِ ، آيَةٌ ١٥ (٨) سُورَةُ الْأَحْزَابِ ، آيَةٌ ٤٥ ، ٤٦

(٩) سُورَةُ الشُّرَحِ .

شرح: وسع . والمراد بالصِّدْر هنا: القلب . قال ابن عباس: شرحه بالإسلام^(١) .
وقال سهل : بنور الرسالة .
وقال الحسن^(٢) : مَلَأَهُ حُكْمًا^(٣) وَعِلْمًا .

وقيل : معناه ألم نُظهِر قلبك حتى لا يؤذيك الوسواس^(٤) . ووضَعْنَا عنك وِزْرَكَ
الذي أنقض ظهرك :

قيل : ماسلف من ذَنْبِكَ - يعني قبل النبوة .

وقيل : أراد ثَقَل أيام الجاهلية^(٥) .

وقيل : أراد ما أتقل ظَهْرَهُ من الرسالة^(٦) حتى بَأْفَهَا . حكاه الماوردي
والسُّلَمِيُّ^(٧) .

(١) في ب : شرحه بنور الإسلام .

(٢) هو الحسن البصرى . مات بالبصرة سنة عشر ومائة .

(٣) -حكا- بضم الحاء وسكون الكاف : الحكمة . أو حكا - بكسر الحاء وفتح الكاف :

جمع حكمة . والحكمة : العلم بالحقائق النافعة والشرعية .

(٤) الوسواس : الشيطان ، أو الوسوسة . وقال القارى (٢ - ٤٣) : أى لا يشوش

عليك الموسوسون من الإنس والشياطين .

(٥) ثقل أيام الجاهلية : الثقل ضد الخفة . وثقلها : عدم رضاه بما كانوا عليه من الشرك

وعبادة الأصنام والحاربة والمقاتلة ، وغير ذلك مما استقبجه النبي بسلامة فطرته .

(٦) من أعبأها ، أى لما قاساه من المشقة فى تلقيه الوحي ؛ من هيبة الملك ، وحفظ ما يلقى

إليه ، وتكذيب قومه ، وغيرهم ، لما عرض نفسه على القبائل ، وشدة أذيتهم له عليه السلام

ولأصحابه ، ووضع ذلك عنه بما فيه من قوة الصبر ، وتسهيل الله ذلك عليه .

(٧) الماوردي : هو أبو الحسن علي بن حبيب ، صنف فى الفقه والتفسير والأصول .

توفى سنة خمسين وأربعمائة .

والسلى : هو أبو عبد الرحمن السلمى النيسابورى ، واسمه محمد بن الحسين بن موسى ،

النيسابورى ، شيخ الصوفية ، وصاحب تاريخهم وطبقاتهم وتفسيرهم . مولده سنة ثلاثين وثلاثمائة ،

وتوفى فى شعبان سنة اثنتى عشرة وأربعمائة . (ميزان الاعتدال : ٣ - ٥٢٤ ، وشرح القارى : ١ - ٤٤)

وقيل : عَصَمْنَاكَ ، ولولا ذلك لَأَفْتَلتِ الذنوبُ ظَهْرَكَ^(١) ؛ حكاها السَّمَرَقَنْدِيُّ .
ورَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ : قال يحيى بن آدم^(٢) : بالنبوة . وقيل : إذا ذُكِرَتْ ذُكِرَتْ
معى قول^(٣) : لا إله إلا الله ، محمد رسول الله . وقيل : فى الأذَانِ [٨] .

قال القاضى أبو الفضل^(٤) : هذا تقرير^(٥) من الله جلَّ اسمُه لنبيه صلى الله عليه
وسلم على عظيمِ نعمه لدينه ، وشريفِ منزلته عنده ، وكرامته عليه ؛ بأن شرح قلبه
للإيمان والهداية ، ووسعه لوعى^(٦) العلم ، وحمل الحكمة ، ورفَع عنه ثقل أمور
الجاهلية عليه ، وبغضه لسيرها^(٧) ، وما كانت عليه بظهور^(٨) دينه على الدين كله ،
وحطَّ عنه عهدَة أعباء^(٩) الرسالة والنبوة لتبليغه للناس ما نزل إليهم ، وتنويره بعظيم
مكانه ، وجليل رتبته ، ورفع ذِكْرَه ، وقرآنه مع اسمه [اسمه]^(١٠) .

- (١) قال القارى : وهذا معنى بديع .
(٢) هو يحيى بن آدم بن سليمان الأموى ، مولاهم بالكوفة ، أحد الأعلام ، أخرج له أصحاب
الكتب الستة ، توفى سنة ثلاث ومائتين .
(٣) قال القارى (١ - ٤٤) : الأظهر أن يقال : فى قوله : لا إله . . .
(٤) هو المؤلف .
(٥) التقرير : تثبيت وتمهيد . والإشارة لما وقع فى سورة ألم نشرح . وهو بيان لحاصلها .
(٦) الوعى : الحفظ .
(٧) لسيرها : السير : جمع سيرة ، والمراد بالسيرة : الحالة والطريقة ، والضمير للجاهلية .
وكامة « بغضه » جاءت بصيغة المصدر فى ا ، والضبط المثبت فى ب .
(٨) ظهور دينه : الظهور بمعنى النبلية .
(٩) الأعباء : الأحمال والأثقال ، والمعنى هنا أن الله حملة أحمال الرسالة ، وألزمه بإجراء
أحكامها وتبليغها ؛ فكان فى أول الأمر فى حرج ومشقة من خوف التقصير ، فلما يسر الله له
ذلك انشرح صدره ، واستراح من ثقلها ، وبرئت ذمته من عهدتها لما بلغ الأمة ، وأدى
الرسالة ؛ فامتن الله عليه بما يتضمن الثناء العظيم من أنه أقدره على التحمل والصبر (الشهاب) .
(١٠) أى كان ذكرك عين ذكرى ، لعدم انفكاكه عنه غالباً . « واسمه » الثانية ليست فى ب .

قال قتادة : رفع الله ذكرك في الدنيا والآخرة فليس خطيب ولا متشهد ولا صاحب صلاة إلا يقول : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله .

وروى أبو سعيد الخدري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : أتاني جبريل عليه السلام ، فقال : إن ربّي وربك يقول : تدري كيف رفعت ذكرك؟ قلت : الله ورسوله أعلم . قال : إذا دُكرتُ دُكرتَ معي .

قال ابن عطاء^(١) : جعلتُ تمامَ الإيمانِ بِذِكْرِي معك .

وقال أيضا : جعلتُ ذكراً من ذكري ، فمن ذكرك ذكرتي .

وقال جعفر بن محمد الصادق : لا يذكر أحد بالرسالة إلا ذكرني بالربوبية^(٢) . وأشار بعضهم في ذلك إلى الشفاعة .

ومن ذكركه معه تعالى أن قرن طاعته بطاعته واسمه باسمه ؛ فقال تعالى^(٣) : ﴿ أطيعوا الله والرسول ﴾ . و﴿ آمنوا ﴾^(٤) بالله ورسوله ﴿ ؛ فجمع بينهما بواو العطف المُشْرَكة .

ولا يجوز جمعُ هذا الكلام في غير حقه عليه السلام .

حدثنا الشيخ أبو علي الحسين بن محمد الجبائي^(٥) الحافظ فيما أجازنيه [٨] ،

(١) ابن عطاء : هو أبو العباس أحمد بن محمد بن سهل بن عطاء ، الزاهد البغدادي ، أحد مشايخ الصوفية بالعراق ، مات سنة تسع وتسعين وثلاثمائة (القارى : ١ - ٤٦)

(٢) معنى كلام جعفر أنه لا يعترف أحد برسالتك إلا بعد أن يعترف بوحدانية الله وربوبيته ، لأنه يجب معرفة الله عقلاً قبل ذلك .

(٣) سورة آل عمران ، آية ٣٣ وغيرها .

(٤) سورة النساء ، آية ١٣٦ ، وغيرها .

(٥) الجبائي : نسبة إلى بلدة بالأندلس ، مات سنة ثمان وتسعين وأربعمائة (القارى : ١ - ٤٦) .

وقال : « الحافظ » في اصطلاح المحدثين : من أحاط علمه بمائة ألف حديث .

وقرأته على الثقة عنه ؛ قال ^(١) : حدثنا أبو عمَر النَمْرِي ^(٢) ؛ قال : حدثنا أبو محمد ابن عبد المؤمن ، حدثنا أبو بكر بن دَاسَةَ ؛ حدثنا أبو داود السَّجْزِي ، حدثنا أبو الوليد الطَّيَالِسِيُّ ^(٣) ، حدثنا شُعبَة ، عن منصور ، عن عبد الله بن يسار ، عن حُدَيْفَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ قال ^(٤) : لَا يَقُولَنَّ أَحَدٌ كَمَا شَاءَ اللهُ وَشَاءَ فُلَانٌ ، وَلَكِنْ مَا شَاءَ اللهُ ثُمَّ شَاءَ فُلَانٌ ^(٥) .

قال الخطَّابِيُّ ^(٦) : أُرشدَهُمْ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْأَدَبِ فِي تَقْدِيمِ مَشِيئَةِ اللهِ تَعَالَى عَلَى مَشِيئَةِ مَنْ سِوَاهُ ، وَاخْتَارَهَا بِمِثْلِ التِّي هِيَ لِلنَّسَقِ وَالتَّرَاخِي ، بِخِلَافِ الوَاوِ الَّتِي هِيَ لِلإِشْتِرَاكِ .

ومثله ^(٧) الحديثُ الآخر ^(٨) : إِنْ خَطَبِيًّا ^(٩) خَطَبَ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ فَقَالَ : مَنْ يُطِيعِ اللهُ وَرَسُولَهُ فَقَدْ رَشِدَ ، وَمَنْ يَعْصِمُهُمَا ^(١٠) .

(١) في ب : فقال .

(٢) هو ابن عبد البر ، صاحب الاستيعاب وغيره .

(٣) مات سنة سبع وعشرين ومائتين .

(٤) في نسيم الرياض : هذا الحديث روى من طرق كثيرة ، وهو حديث صحيح .

(ابن ماجه : ٦٨٤) .

(٥) في نسيم الرياض : هذا النهي تنزيهي لرعاية الأدب بترك العطف بالواو الموهمة للتساوي ،

بخلاف ثم الدالة على البمدرتبة وزمانا .

(٦) الخطَّابِيُّ : هو أبو سليمان البستي ، كان إماما كبيرا تفقه على القفال وغيره . توفي سنة

ثمان وثمانين وثلاثمائة (القارى : ١-٤٧) .

(٧) ومثله : أى مثله في التنزيه عما يوهم .

(٨) وهو حديث صحيح في صحيح مسلم ، وسنن أبي داود مسندا . (صحيح مسلم : ٥٩٤)

(٩) هذا الخطيب هو عدى بن حاتم ، أو ثابت بن قيس .

(١٠) رشد : الرشد : الصلاح ، وهو خلاف الضلال . وأمام هذه العبارة في ب : « فقد

غوى » ، وعليها علامة الصحة . وغوى : ضل عن طريق الهدى .

فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : بِئْسَ خَطِيبُ الْقَوْمِ أَنْتَ ! قُمْ . أو قال :
اذهب . قال أبو سليمان^(١) : كره منه الجمع بين الاسمين بحرف الكناية^(٢) لما فيه
من التسوية .

وذهب غيره إلى أنه إنما كره له الوقوف على « يَعْصِمَا » .

وقول أبي سليمان^(١) أصح ؛ لما روى في الحديث الصحيح أنه قال : وَمَنْ يَعْصِمَا
فقد غَوَى ، ولم يذكر الوقوف على يَعْصِمَا^(٣) .

وقد اختلف المفسرون وأصحاب المعاني في قوله تعالى^(٤) : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ
يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ﴾ ؛ هل « يُصَلُّونَ »^(٥) راجعة على الله تعالى والملائكة أم لا ؟
فأجازه بعضهم ، ومنعه آخرون ، لعل التشريك^(٦) ، وخصوا الضمير بالملائكة ؛
وقدروا الآية : إِنَّ اللَّهَ يُصَلِّي ، وملائكته يُصَلُّونَ^(٧) .

(١) هو الخطابي السابق .

(٢) أى كره أن يعبر عنهما بضمير واحد هو ضمير التثنية ، إذ قال : ومن يعصما .

(٣) فى نسيم الرياض : قال النووى : الصواب أن سبب النهى أن الخطبة شأنها الإيضاح
واجتناب الرمز ؛ ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثاً لتفهم ، لا كراهة
الجمع بين الاسمين بالكناية ؛ لأنه ورد فى مواضع ، منها قوله صلى الله عليه وسلم : أن يكون الله
ورسوله أحب إليه مما سواهما .

(٤) سورة الأحزاب ، آية ٥٦ .

(٥) هل يصلون : أى الضمير ، وهو الواو . . .

(٦) لعل التشريك ؛ أى للزوم التشريك بين الله والملائكة والتسوية بينهما فى عبارة واحدة
فى ضمير الواو .

(٧) أى من ذهب إلى أن اللفظ التشريك ، ولم يجوزه مطلقاً - خص الضمير بالملائكة ، وقدر
فى الأول ضميراً . وفى ب : والملائكة - بدل : وملائكته .

وقد زوى عن عمر رضى الله عنه أنه قال ^(١) : من فضيلتك عند الله أن جعل طاعتك طاعته ؛ فقال تعالى ^(٢) : ﴿ مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾ .

وقد قال [٩] تعالى ^(٣) : ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ . قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴾ .

رؤى أنه لما نزلت هذه الآية قالوا ^(٤) : إن محمداً يريد أن نتخذَه حناناً ^(٥) كما اتخذت النصرارى عيسى ؛ فأنزله الله تعالى ^(٦) : ﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ ﴾ ؛ فقرن طاعته بطاعته رَغماً لهم ^(٧) .

وقد اختلف المفسرون فى معنى قوله تعالى فى أم ^(٨) الكتاب ^(٩) : ﴿ اِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ ؛ فقال أبو العالية ، والحسن البصرى : الصراط المستقيم هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وخيار أهل بيته وأصحابه ؛ حكاه ^(١٠)

(١) فى نسيم الرياض : هذا الحديث قال المخرجون : إنهم لم يجدوه فى شيء من كتب الحديث ، وإن ورد ما هو بمنه فى صحيح البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه : من أطاعنى فقد أطاع الله ومن عصانى فقد عصى الله ، ومن أطاع أميرى فقد أطاعنى ، ومن عصى أميرى فقد عصانى . (سنن النسائى : ٧ - ١٣٨) ، (صحيح مسلم ١٤٦٦) .

(٢) سورة النساء ، آية ٨٠ (٣) سورة آل عمران ، آية ٣١ ، ٣٢

(٤) الذين قالوا : هم بعض الكفار ، والنافقون .

(٥) حنانا : رحمة وعطفا ، والرزق والبركة . والمراد أن محمداً يريد أن يجعلنا ممن تبرك به ، ونخضع له خضوعاً يؤدي لعبادته كما عبدت النصرارى عيسى بن مريم . وفى هامش ١ : الحنان : الرحمة والعطف والبركة ، ومر ورقة بن نوفل بيلال ، وهو يمدب فقال : والله لئن قتلتموه لأتخذنه حناناً ؛ أى لآتمسحن به . (٦) سورة آل عمران ، آية ٣٢

(٧) رَغماً لهم : الرغم : الغيظ ، والتذليل ، والقهر ، والإكراه ؛ أى إرادة ذلك بهم وتحصيله .

(٨) أم الكتاب : الفاتحة . (٩) سورة الفاتحة ، آية ٦ ، ٧

(١٠) هذا الأثر رواه الحاكم فى المستدرک عن ابن عباس ، وصححه (الشهاب الخفاجى :

عنهما أ. و الحسن الماوردي، وحكى مكّي عنهما [نحوه] ^(١)؛ وقال : هو رسول الله
الله صلى الله عليه وسلم وصاحبه : أ. و بكر وعمر رضى الله عنهما .
وحكى أبو الليث السمرقندي مثله ، عن أبي العالمة ، فى قوله تعالى ^(٢) : ﴿ صِرَاطَ
الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ ؛ قال : فبلغ ذلك الحسن ؛ فقال : صدقَ اللهُ ونصَحَ .
وحكى الماوردي ذلك فى تفسير ^(٣) : ﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ ، عن
عبد الرحمن بن زيد .

وحكى أبو عبد الرحمن السلمى ، عن بعضهم ، فى تفسير قوله تعالى ^(٤) : ﴿ فَتَدَّ
اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا ^(٥) ، واللهُ سميعٌ عليمٌ ﴾ - أنه محمد صلى الله عليه
وسلم . وقيل : الإسلام . وقيل : شهادة التوحيد ^(٥) .
وقال سهل فى قوله تعالى ^(٦) : ﴿ وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ﴾ - قال :
نعمتهُ بمحمد صلى الله عليه وسلم .
وقال تعالى ^(٧) : ﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالصَّدَقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ . لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ
عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴾ .
أكثرُ المفسرين على أن الذى جاء بالصّدق هو محمد صلى الله عليه وسلم .

(١) ليس فى ب .

(٢) سورة الفاتحة ، آية ٧

(٣) سورة البقرة ، آية ٢٥٦

(٤) استمسك : تمسك . والعروة فى الأصل : النبات الثابت فى الأرض . ويقال لما يعقد فى الجبل
ليدخل فيه اليد للتمسك . ومنه عروة القميص والكوز ، واستعمل هنا لما يستمضم به ويتجأ
إليه . والوثقى : المحكمة . والمراد أن من صدق وآمن به سلم من كل سوء فى الدنيا والآخرة .
(٥) شهادة التوحيد : قول لا إله إلا الله .

(٦) سورة إبراهيم ، آية ٣٤ ، وسورة النحل ، آية ١٨

(٧) سورة الزمر ، آية ٣٣ ، ٣٤

وقال بعضهم : وهو الذى صدق به .

وقرى : صدق^(١) - بالتخفيف .

وقال غيرهم : الذى صدق^(٢) به المؤمنون [٩] . وقيل أبو بكر . وقيل على .

وقيل غير هذا من الأقوال .

وعن مجاهد - فى قوله تعالى : ﴿ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ - قال : بمحمد

صلى الله عليه وسلم وأصحابه .

الفصل الثانى

فى وصفه تعالى له بالشهادة^(٤) وما يتعلق بها من الثناء والكرامة^(٥)

قال الله تعالى^(٦) : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا . وداعياً

إلى الله يآذنه وسراجاً منيراً ﴾^(٧) : جمع الله تعالى فى هذه الآية ضرباً^(٨) من رتب

(١) فوق كلمة « صدق » فى ا : « خف » .

(٢) بالتخفيف أيضاً فى ب . (٣) سورة الرعد ، آية ٢٨

(٤) أى بأنه صلى الله عليه وسلم شاهد على أمته بالتبليغ إليهم ، وعلى سائر الأمم بتبليغ

أنبيائهم لهم .

(٥) الكرامة : الإكرام له ؛ يعنى أن المقصود فى الأول ثناء الله ومدحه لنبيه صلى الله

عليه وسلم بكونه أنفس الناس ذاتاً وحسباً ونسباً ، وكونه خيراً ورحمة عامة فى حياته ومماته ،

وكونه نوراً محضاً منوراً للعالم ، وكونه ذا صدر واسع منشرح ؛ ورفعة قدره واسمه بمقارنته

لاسم ربه وذكره وأنه الصراط المستقيم . قال الحفاجى : وسيدكر فى هذا الفصل أن الله جعله

شاهداً على أمته وسائر الأمم وأنبيائهم ؛ وما ذكر فيه من الثناء والإكرام مذكور بالتبعية

للشهادة استطراداً لمناسبته له . وبهذا تتبين منارة ماعقد له الفصلان (الشهاب الحفاجى :

١ - ١٨٣) . (٦) سورة الأحزاب ، آية ٤٥ ، ٤٦

(٧) ذكر المؤلف هذه الآية قبل ذلك صفحة ٢٦ لتأييد كونه نوراً ، ثم ذكرها هنا

لكونه شاهداً على التبليغ . (٨) ضرباً : أنواعاً .

الأثرية^(١)، وجملة أوصاف من المدحة^(٢)؛ فجعله شاهداً على أمته لنفسه بما بلاغهم الرسالة؛ وهي^(٣) من خصائصه صلى الله عليه وسلم؛ ومبشراً لأهل طاعته؛ ونذيراً لأهل معصيته، وداعياً إلى توحيده وعبادته؛ وسراجاً منيراً يهتدى به للحق.

حدثنا الشيخ أبو محمد^(٤) بن عتاب رحمه الله، حدثنا أبو القاسم حاتم بن محمد، حدثنا أبو الحسن القابسي، حدثنا أبو يزيد المرزوي، حدثنا أبو عبد الله محمد ابن يوسف، حدثنا البخاري، حدثنا محمد بن سنان، حدثنا فليح، حدثنا هلال، عن عطاء بن يسار؛ قال^(٥) : أقيت عبد الله بن عمرو بن العاص، قلت : أخبرني عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال : أجل^(٦)، والله، إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن^(٧) : ﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً﴾^(٧)، وحرزاً للأميين^(٨)، أنت عبدى ورسولى، سميتك المتوكل،

(١) الرتب : جمع رتبة، وهي للمرتبة والمنزلة . والأثرية - بضم الهجزة وسكون الشاء : المكرمة . وفتح الهجزة والشاء : الانفراد بالشيء . والمراد أن في الآية أموراً مخصوصة انفرد بها النبي صلى الله عليه وسلم . ويرجع الشهاب المعنى الأول . ويرجع النووي المعنى الثانى . وقد جاء الضبط الأول في ١ ، والضبط الثانى في ب . (٢) المدحة : الشاء ، والذكر الحسن . (٣) وهى : أي شهادته عليهم لنفسه بدون بينة .

(٤) قال الشهاب (١ - ١٨٦) : هو عبد الرحمن بن عتاب شيخ المصنف ، سمع منه في رحلته للأندلس . وهو من علماء الحديث . توفي سنة عشرين وخمسمائة (والقارى : ١ - ٥٣) . (٥) هذا الحديث تفرد به البخارى (البخارى : ٣ - ٨٣) . وقريب من معناه حديث فى الترمذى : ٤ - ٣٦٩ ، وفى هامش ١ : قلت لعبد الله بن عمرو بن العاص . والثبت على كل كلمة فيه علامة صح فى ١ .

(٦) أجل : نعم . (٧) قال القارى (١ - ٥٥) : وهذا مذكور فى القرآن ، ولعل معناه مذكور فى التوراة . (٨) الحرز : أصل معناه : الحفظ ، ثم أطلق على المكان الذى يحفظ به ، فيقال : حرز حرز . والمراد بالأميين العرب : لقلية الأمية فيهم ، أو لأنهم لا كتاب لهم .

ليس بَقَطٍّ ولا غليظ ولا صَخَّابٌ في الأسواق^(١) ، ولا يدفَعُ بالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ ، ولكن يَمْفُو وَيَغْفِرُ^(٢) ، ولن يَقْبِضَهُ اللهُ حتى يُقِيمَ بِهِ المِلَّةَ العَوْجَاءَ^(٣) ، بأنَّ يقولوا : لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ^(٤) ، وَيَفْتَحْ بِهِ أَعْيُنَا عُمْيَا ، وَأَذَانَا صُمًّا ، وقلوبنا غُلْفًا^(٥) .

وذكر مثله عن عبد الله بن سلام [١٠] وكعب الأحبار ؛ وفي بعض طرقه ، عن ابن إسحاق^(٦) : ولا صَخَبٌ في الأسواق ، ولا مُتَزَيْنٌ بالفحش^(٧) ، ولا قَوَالٍ لِلخَنَاءِ^(٨) ؛ أَسَدُّهُ لكلِّ جَمِيلٍ^(٩) ، وَأَهَبُّ لَهُ كُلِّ خَلْقٍ كَرِيمٍ^(١٠) ، وأجعلُ

(١) اللفظ : الرجل الشديد الغليظ القلب ؛ أي ليست له قسوة قلب ، ولا تشديد على الناس ؛ لأن مائة سمحاء . وليس بغليظ : ليس بعنيف ، والمراد أنه ليس بسوء الخلق . والصخاب : من الصخب ، وهو ارتفاع الصوت وشدته . والمراد نفي الصخب عنه مطلقا ؛ لأنه إذا اتقى في المحل المعتاد فيه اتقى في غيره بالطريق الأولى . والصخاب بالسین في ا ، والبخارى ، وبالصاد في ب ، وهما بمعنى واحد .

(٢) لا يسيء لمن أساء إليه ، ويدفع بالتي هي أحسن ؛ وذلك لأن خلقه صلى الله عليه وسلم القرآن ، وقد قال الله تعالى : وجزاء سيئة سيئة مثلها ، فمن عفا وأصلح فأجره على الله . (٣) يقبضه : يتوفاه . الملة : الدين . العوجاء : غير المستقيمة . والمراد بالملة هنا ملة إبراهيم عليه السلام التي عوجتها العرب بتغييرها ؛ لأنهم ذرية إسماعيل بن إبراهيم ، وكانوا يزعمون أنهم على ملته الحنيفية .

(٤) اقتصر على هذا من الدين القيم ؛ لأن العوج الواقع فيها يؤدي إلى الشرك وعبادة الأصنام .

(٥) قلوبنا غلفا : لا تسمى ماجئت به .

(٦) في ب : عن إسحاق ، وزاه تحريفا .

(٧) الفحش : القبح ، وكل شيء جاوز الحد فهو فاحش . والمراد كل قبيح قولا كان

أو فعلا ؛ أي لا يتابس بأمر قبيح ، أو يتجمل ويباهى به .

(٨) الخنا : قبيح الكلام ؛ أي لا يصدر عنه شيء من ذلك .

(٩) أسدده : أوفقه للسداد ، وهو الصواب من القول والعمل .

(١٠) أهب له : أعطيه .

السكينة لبأسه، والبرِّ شِعَارَه^(١)، والتقوى ضَمِيرَه^(٢)، والحكمة مَعْقُولَه^(٣)، والصدق والوفاء طبيعته^(٤)، والعمو والمعروف خُلُقَه، والعدل سيرته، والحق شريعته، والهدى إمامه^(٥)، والإسلام مِلَّتَه، وأحمد اسمه، أهدى به بعد الضلالة، وأعلم به بعد الجهالة، وأرفع به بعد الخِماله^(٦)، وأسمى به بعد النُّسكرة^(٧)، وأكثر به بعد القِلَّة، وأغنى به بعد العيلة^(٨)، وأجمع به بعد الفُرقة، وأؤلف به بين قلوب مختلفة، وأهواء متشتتة، وأممٍ مُتفرقة، وأجعل أُمَّتَه خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ للناس^(٩).

وفي حديث آخر: أخبرنا رسولُ الله صلى اللهُ عليه وسلم عن صِفته في التَّوراة: ^(١٠):

(١) السكينة: الوقار والطمأنينة. والشعار: اللباس الذي يلي الجسد.

(٢) التقوى: ما يقى من العذاب في الآخرة. والضمير: ما يضم في القلب وينوي في خاطره بحيث لا ينساه.

(٣) الحكمة: كل كلام جامع لما يرشد إلى الحق. معقوله: المراد أن الحكمة بعقله وإدراكه. أو المراد ما يعقله كله بحكم ومواظ وعنوم؛ لأنه لا ينطق عن الهوى.

(٤) أي لا ينطق بغير ما وافق الواقع، وإذا عاقد أحدا؛ أو وعد وعدا لا يخلفه؛ وهذا أمر طبيعي له جعله الله فيه.

(٥) إمامه: قد تكون بكسر الهمزة؛ أي قدوته؛ أو بفتح الهمزة، ويكون المعنى أن الهدى إمامه وقدامه، فهو ملاحظ له دائماً.

(٦) الخامل: الساقط الذي لا نباهة له. والخمالة: الخمول؛ أي بعد أن لم يكن لهم ذكر وقدر وشأن في الظاهر وإن كانوا في علم الله خير أمة.

(٧) النُّسكرة: خلاف المعرفة، ويطلق بمعنى المجهول. والمراد: إن أرسله في زمان جهالة، وضلالة، وفترة، فيؤمن به أول مساكين الناس وضمفاؤهم وهي على عادة الرسل عليهم السلام؛ فيصيرون به بعد خمولهم وكونهم مجهولين أعز الناس وأكرمهم.

(٨) العيلة: الفقر.

(٩) أخرجت: أوجدت وخلقت وأخرجت من العدم.

(١٠) رواه الطبراني، وأبو نعيم في الدلائل عن ابن مسعود (الدلائل: ١ - ٨٢). والداري

عن كعب موقفاً، ورواه بإسناد ضعيف. (الشهاب: ١ - ٢٠٣، والقارى: ١ - ٥٩).

عَبْدِي أَحْمَدُ الْمُخْتَارُ ، مَوْلَاهُ بِمَكَّةَ ، وَمُهَاجِرُهُ ^(١) بِالْمَدِينَةِ ، أَوْ قَالَ : طَبِيبَةٌ ^(٢) ،
أُمَّتُهُ الْحَمَادُونَ ^(٣) اللَّهُ عَلَى كُلِّ حَالٍ .

وقال تعالى ^(٤) : ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا
عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ
وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ، فَالَّذِينَ آمَنُوا
بِهِ وَعَزَّوْهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ، أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ . قُلْ يَا أَيُّهَا
النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ
يُحْيِي وَيُمِيتُ ، فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ
لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ .

وقد قال تعالى ^(٥) : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ ، وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ
لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ، فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ، فَإِذَا عَزَمْتَ
فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ .

قال السمرقندي : ذَكَرَهُمُ اللَّهُ مِنْتَهُ ^(٦) أَنَّهُ جَعَلَ رَسُولَهُ رَحِيمًا بِالْمُؤْمِنِينَ ، رِعْوًا

(١) مهاجره : محل هجرته التي هاجر إليها .

(٢) طيبة : اسم من أسماء المدينة .

(٣) الحمادون : الكثيرو الحمد .

(٤) سورة الأعراف ، آية ١٥٧ ، ١٥٨

(٥) سورة آل عمران ، آية ١٥٩ ، وذكر المؤلف هذه الآية لتعلقها بما تقدم في التوراة ؛

من قوله : ليس بفظ ولا غليظ .

(٦) منته : إنعامه وامتنانه عليهم . وفي هامش : ١ : كتبت ذكرهم ، وعليها علامة الصحة .

وفي ١ : منته . والمثبت في ب .

لَيْنَ الْجَانِبِ ، ولو كان فظًا خَشِنًا في القول لتفرَّقُوا من حوله ، ولكن ^(١) جعله الله تعالى سَمْحًا سَهْلًا ، طَلَقًا بَرًّا لَطِيفًا ^(٢) .

هكذا قاله الضعَّاك .

وقال تعالى ^(٣) : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ .

قال أبو الحسن القاسبي : أَبَانَ اللهُ تَعَالَى فَضْلَ نَبِيِّنَا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَفَضَلَ أُمَّتَهُ بِهَذِهِ الْآيَةِ ، وَفِي قَوْلِهِ فِي الْآيَةِ [١٠] الْآخَرَى ^(٤) : ﴿ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾ . وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى ^(٥) : ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾ .

قوله تعالى : وسطا : أى عدلا خيارا .

ومعنى هذه الآية : وكأهديناكم فكذلك خصصناكم وفضلناكم بأن جعلناكم أمةً خياراً عدولاً ؛ لتشهدوا للأنبياء عليهم السلام على أممهم ، ويشهد لكم الرسول بالصدق .

(١) فى ب : لكن .

(٢) سمحا : سهلا جوادا كريما . طلقا : غير عبوس ، فيه بشاشة وسرور . والبار : من

فيه خير وشفقة ورفق وإحسان ورحمة . واللطيف : الشفيق .

(٣) سورة البقرة ، آية ١٤٣

(٤) سورة الحج ، آية ٧٨

(٥) سورة النساء ، آية ٤١ .

(٦) الأمة : الجماعة . والشهيد : هو النبي الذي يشهد على ماعملوه . وجئنا بك على هؤلاء

شهيذا : أى جئنا بك يا محمد على هؤلاء الشهداء شهيدا على صدقهم ؛ أو على الأمم ، أو على التبليغ .

وقيل : إن الله جلَّ جلاله إذا سأل الأنبياء : هل بلغتُم^(١) . فيقولون : نعم .
فتقول أممهم : ما جاءنا من بشيرٍ ولا نذيرٍ ؛ فتشهد أمةُ محمدٍ صلى الله عليه وسلم للأنبياء ؛
ويُرَكَّبُ عليهم النبيُّ صلى الله عليه وسلم^(٢) .
وقيل : معنى الآية : إنكم حُجَّةٌ على كلِّ مَنْ خالفكم ، والرسولُ حُجَّةٌ عليكم^(٣) .
حكاها السمرقندى .

وقال اللهُ تعالى^(٤) ﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾ .
قال قتادة ، والحسن ، وزيد بن أسلم : « قَدَمَ صِدْقٍ » : هو محمدٌ صلى الله عليه
وسلم ، يَشْتَعُ لهم^(٥) .

وعن الحسن أيضا : هي مصيبتهم بنبيهم^(٦) .
وعن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه : هي شفاعَةُ نبيهم محمدٍ صلى الله عليه
وسلم ؛ هو^(٧) شَفِيعُ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ .

(١) هل بلغتكم : سؤال الله ليظهر حال الأمم وفضل هذه الأمة ، وإلا فالله سبحانه وتعالى
يعلم السر وأخفى .

(٢) هذا حديث مرفوع أخرجه البخارى من حديث أبي سعيد الخدري . (صحيح البخارى :
٩ - ١٣٢) .

(٣) أى إجماعهم حجة ، وشهادتهم مقبولة معتبرة ، والنبي صلى الله عليه وسلم حجة على الجميع .
(٤) سورة يونس ، آية ٢

(٥) قدم صدق : تقدم ورتبة رفيعة عند الله . ويراد بقدم الصدق : تزكيتة المقرونة
بتصديقه ، وفيه مناسبة تامة لما نحن فيه . وفي تفسير القرطبي (٨ - ٣٠٦) - عن الحسن
وقتادة : هو محمد صلى الله عليه وسلم ، فإنه شافع مطاع يتقدمهم ، كما قال : أنا فرطكم (أى
متقدمكم) على الحوض . وارجع إلى القرطبي ففيه أقوال أخرى كثيرة في معنى « قدم صدق » -
إن أردت .

(٦) أى وفاته صلى الله عليه وسلم قبلهم . وهذا المعنى منقول في القرطبي (٨ - ٣٠٦)
عن الحسن .

(٧) فى ب : وهو .

وقال سهل بن عبد الله التستري : هي سابقةٌ رَحْمَةٌ أودعها اللهُ في محمد صلى اللهُ عليه وسلم .

وقال محمد بن علي الترمذی^(١) : هو^(٢) إمامُ الصادقين والصدِّيقين ، الشفيعُ المطاع ، والسائلُ المُجابُّ محمدُ صلى اللهُ عليه وسلم ، حكاه عنه السُّلَمِيُّ .

الفصل الثالث

فما ورد من خطابه إياه مَوْرِدَ الملائمةِ والمَبْرَةِ^(٣)

من ذلك قوله تعالى^(٤) : ﴿ عَفَا اللهُ عَنْكَ ، لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ ﴾ .

قال أبو محمد مَكِّيٌّ : قيل هذا افتتاحُ كلامٍ بمنزلة : أصلحك اللهُ ، وأعزك اللهُ .

وقال عَوْنٌ^(٥) بن عبد الله : أخبره بالعفو قبل أن يُخبره بالذَّنْبِ^(٦) .

وحكى السَّمَرَقَنْدِيُّ عن بعضهم أن معناه : عافاك اللهُ يا سَلِيمَ القلبِ : لم أَذِنْتَ لَهُمْ ؟

قال : ولو بدأ النبيُّ صلى اللهُ عليه وسلم بقوله ، لم أَذِنْتَ لَهُمْ لَخِيفَ عَلَيْهِ أَنْ

يَنْشُقَّ قَلْبُهُ مِنْ هَيْبَةِ هَذَا الْكَلَامِ^(٧) ، لَكِنَّ اللهَ تَعَالَى بِرَحْمَتِهِ أَخْبَرَهُ بِالْعَفْوِ حَتَّى

(١) هو الحكيم الترمذی، وهو غير صاحب السنن .

(٢) في ب : هي - أي القدم . وفي تفسير القرطبي (٨ - ٣٠٦) : وقال الترمذی الحكيم :

قدمه صلى اللهُ عليه وسلم في المقام المحمود .

(٣) أي خطاب اللهُ تعالى لنبيه الكريم . والملائمة : المعاملة باطِّف وشفقة . والمبرة :

بمعنى البر ، وهو الإحسان والخير .

(٤) سورة التوبة ، آية ٣٤

(٥) هو عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الكوفي الزاهد الفقيه ، توفي في حدود

سنة ستين ومائة .

(٦) الذَّنْبُ هنا : خلاف الأولى والأليق ؛ لأن حسنات الأبرار سيئات المقربين .

(٧) لأنه حينئذ يشعر بأنه وقع في الآثام .

سكن قلبه ، ثم قال له : لم أذنت لهم بالتخلف ^(١) حتى يتبين لك الصادق في عذره من الكاذب .

وفي هذا من عظيم منزلته عند الله ما لا يخفى على ذي لب ^(٢) .
ومن إكرامه إياه وبره به ما ينقطع دون معرفة غايته نياط القلب ^(٣) . قال
نفظوبه ^(٤) : ذهب ناس إلى أن النبي صلى الله عليه وسلم مُعَاتَبُ بِهِ الآيَة ،
وحاشاه ^(٥) من ذلك ، بل كان مُحَيَّرًا ^(٦) فلما أذن لهم أعلمه الله تعالى أنه لو لم يأذن
لهم لقعّدوا لنفّاقهم ، وأنه لا حرج عليه في الإذن [لهم] ^(٧) .

قال القاضي ^(٨) أبو الفضل : يجب على المسلم المجاهد نفسه ^(٩) ، الراض بزمام
الشريعة خلقه ^(١٠) أن يتأدّب بأدب القرآن في قوله ونعله ، ومُعَاطَاتِهِ ^(١١) ومُحَاوَرَاتِهِ ،

(١) كان هذا التخلف عن غزوة تبوك . (٢) اللب : العقل .

(٣) نياط القلب : نياط : عرق غليظ يملق به القلب من الوتين . وقيل : هو الوتين
نفسه ؛ فإذا انقطع مات صاحبه ؛ فلذا كنى به عن الموت .

(٤) نفظوبه : هو أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن محمد بن عرفة الأزدي النحوي ، توفي
سنة ثلاث وثلاثمائة بينداد ودفن بباب الكوفة .

(٥) وحاشاه من ذلك : أي والنبي صلى الله عليه وسلم منزّه عن أن يفعل ما يستحق العتاب
عليه . قال في نسيم الرياض : لاعتاب في هذه الآية ، بل فيها إعزاز له وإكرام بالدعاء له ،
وتصويب لفعله .

(٦) بل كان محيرا : بين الإذن وعدمه ؛ لقوله تعالى : ﴿ فَأَذْنِ لِمَن شِئْتَ مِنْهُمْ ﴾ . وفي ب :
مخبرا - بكسر الباء .

(٧) ليس في ب . (٨) هو المؤلف ، كما سبق .

(٩) المجاهد نفسه : بتهديب الأخلاق ، والصبر ، وكسر شهوتها ؛ فإنه الجهاد الأكبر .
وفي ب : بنفسه .

(١٠) راض : من رضت الدابة أروضها ؛ إذا ذلتها لتتقاد لما تريد وتلين شكيمتها . والزمام :
ما يقودها كاللجام . (١١) معاطاته : المراد بالمعاطاة هنا الأفعال الواقعة منه .

فهو عنصُرُ المعارفِ الحقيقيةِ ، وروضةُ الآدابِ الدينيةِ والدُّنيويةِ ^(١) ، وليتأملْ هذه الملاحظةَ ^(٢) العجيبةَ في السؤالِ من رَبِّ الأربابِ ، المُنعمِ على الكلِّ ، المستغني عن الجميعِ ، وَيَسْتَتِرُ ما فيها من الفوائدِ ^(٣) ، وكيف ابتدأ بالإكرامِ قبل العتابِ ، وأنسَ ^(٤) بالعمو قبل ذِكْرِ الذنبِ إن كان تمَّ ذنبٌ .

وقال تعالى ^(٥) : ﴿ وَلَوْلَا أَنْ مَبْتَئْنَاكَ لَقَدْ كِدْتُمْ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا ﴾ ^(٦) .

قال بعضُ المتكلمين : عاتبَ اللهُ تعالى الأنبياءَ عليهم السلام بعد [١١] الزلَّاتِ ^(٧) ، وعاتبَ نبيَّنَا عليه السلام قبل وقُوعِهِ ، ليكونَ بذلكَ أشدَّ انتهاءً ومحافظةً لشرائطِ الحُجبةِ ، وهذه غايةُ العنايةِ .

ثم انظرْ كيف بدأ بثباتِهِ ^(٨) وسلامتِهِ قبل ذِكْرِ ما عَتَبَهُ ^(٩) عليه ، وخيفَ أنْ

(١) فهو : الضمير للنبي ، أو للقرآن . والعنصر : الأصل . والروضة : أرض ذات مياه وأشجار وأزهار طيبة .

(٢) وليتأمل : وليتدبر ؛ أي المسلم .

(٣) يستتر : يبرز ويحرك ، أي يظهره لنفسه ولنيره . وفي ب : يتبين ويستتر . وقال القاري : يستتر : من ثار للشيء إذا ارتفع وانتشر ، والمراد يظهر وينتشر ويبحث ويستخرج . ما فيها : أي الملاحظة والآداب القرآنية .

(٤) في ب : وأنس .

(٥) سورة الإسراء ، آية ٧٤

(٦) أي لولا أن ثبتناك على الحق والصواب والسداد قاربت الميل إلى مرادهم ميلا ما قليلا ؛ ففي هذه الآية تصرح بأن الله عصمه عن الميل إلى خلاف الصواب ، فضلا عن الوقوع فيه . وفيه دليل ظاهر على ما قدمه من أنه لا ذنب له رأسا .

(٧) الزلَّات : جمع زلَّة ، من الزلل ، وأصله دحوض القدم ، ثم عبر به عن الوقوع فيما لا يرضى من غير قصد ؛ ولذا فسر بالخطأ ؛ فإن الزلَّة ما صدر من سالك الطريق من غير قصد المخالفة .

(٨) أي لم يقل : لقد كدت تركزن إليهم شيئا قليلا لولا أن ثبتناك ، فبدأ بثباته على الموافقة ،

وسلامته من المخالفة . (٩) في ب : ما عاتبه عليه .

بَرَّ كُنَ إِلَيْهِ ، ففى أثناء عتبه براءته ، وفى طى تخويفه تأمينه وكرامته .
ومثله قوله تعالى ^(١) : ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِى يَقُولُونَ ، فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ
ولكن الظالمين بآياتِ اللهِ يَجْحَدُونَ ﴾ ^(٢) .

قال على رضى الله عنه ^(٣) : قال أبو جهل للنبي صلى الله عليه وسلم : إنا
لا نُكذِّبُكَ ولكن نُكذِّبُ ما ^(٤) جئتَ به ، فأنزل الله تعالى : ﴿ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ
ولكن الظالمين بآياتِ اللهِ يَجْحَدُونَ ﴾ .

وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم ^(٥) لما كذبه قومه حزن ، فجاءه جبريل عليه
السلام فقال : ما يُحْزِنُكَ ^(٦) ؟ قال : كذبى قومى ! فقال : إنهم يعلمون أنك صادق ،
فأنزل الله تعالى الآية .

ففى هذه الآية منزع ^(٧) لطيف المأخذ ، من تسليته ^(٨) تعالى له عليه السلام ،
وإلطافه به فى القول ، بأن قرَّرَ ^(٩) عنده أنه صادقٌ عندهم ، وأنهم غيرُ مكذِّبين له ،
مُعْتَرِفُونَ بصِدْقِهِ قَوْلًا واعتقادًا ، وقد كانوا يُسْمُونَهُ - قبل النبوة - الأمينَ ،

(١) سورة الأنعام ، آية ٣٣ (٢) يجحدون : ينكرون .

(٣) فى تفسير القرطبي (٦ - ٤١٦) : قال أبو ميسرة : إن رسول الله مر بأبى جهل وأصحابه
فقالوا : يا محمد ، والله ما نكذبك ، وإنك عندنا لصادق ، ولكن نكذب ما جئت به ، فنزلت
هذه الآية .
(٤) فى ب : بما .

(٥) قال السيوطى فى تحريجه هذا الحديث : لم أجده . وقال القارى : حديث جبريل
هذا أورده بصيغة روى ، ولم أعرف من رواه .

(٦) فى ب . ما يحزنك - بفتح الياء .

(٧) منزع لطيف : المراد به شىء يرجع إليه . لطيف المأخذ : حسن دقيق أخذه واستنباطه

منها .

(٨) التسلية : تطيب القلب بما يذهب حزنه ويفرج كربه .

(٩) قرر : بين وأثبت .

فَدَفَعَ بِهَذَا التَّقْرِيرِ ارْتِمَاضَ نَفْسِهِ بِسِمَةِ الكَذِبِ ^(١) ، ثم جعل الذَّم لهم بتسميتهم جاحدين ظالمين ، فقال تعالى : ﴿ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ .

فحاشاه من الوَصْمِ ^(٢) ، وطوقهم ^(٣) بالمعاندة بتكذيب الآياتِ حَقِيقَةِ الظُّلْمِ ، إِذِ الحَجْدُ إِنَّمَا يَكُونُ مِمَّنْ عَلمَ الشَّيْءِ . ثم أنكره ، كقوله تعالى ^(٤) : ﴿ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾ .

ثم عزَّاه وآنسه ^(٥) بما ذكره عَمَّنْ قَبْلَهُ ، ووعدَه النَّصْرَ بقوله تعالى ^(٦) : ﴿ وَلَقَدْ كَذَّبْتَ رَسُولٌ مِّنْ قَبْلِكَ فَصَبْرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأَوَدُوا حَتَّىٰ أَنَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَّبِإِ الرُّسُلِينَ ﴾ ^(٧) .

فَمَنْ قرأ ^(٨) « لَا يُكذِّبُونَكَ » بالتخفيف ، فعنائه : لَا يَجِدُونَكَ كاذبًا . وقال ^(٩) الفراء ، والكسائي : لَا يَقُولُونَ إِكَّ كاذب .

وقيل : لَا يَحْتَجِّجُونَ عَلَى كَذِبِكَ ، وَلَا يُشَبِّهُونَهُ .

ومن قرأ بالتشديد ^(١٠) فعنائه : لَا يَنْسُبُونَكَ إِلَى الكَذِبِ . وقيل : لَا يَعْتَدُونَ كَذِبَكَ .

(١) الارتماض : أصل الارتماض من الرمضاء ، وهي شدة الحرارة ، شبه بها ما اشتد عليه وأقلقه من ألم قلبه . والسمة : العلامة .

(٢) حاشاه من الوصم : أى نزه الله النبي وبرأه من الوصم ؛ وهو النقص والعيب . والمراد به الكذب المذكور فى الآية .

(٣) وطوقهم : وأزهمهم . (٤) سورة النمل ، آية ١٤

(٥) التعزية : تسلية للصاب بما يخفف حزنه . وآنسه : أذهب وحشته وفاقه مما لقيه منهم .

(٦) سورة الأنعام ، آية ٣٤

(٧) لكلمات الله : أى مواعيده بنصر أنبيائه وأوليائه بقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَاتُنَا لِعِبَادِنَا الرُّسُلِينَ ﴾ . وقوله تعالى : ﴿ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا ﴾ .

(٨) وهو نافع ، والكسائي . (٩) فى ب : قال . (١٠) وهم الباقون .

وما ذُكِرَ من خصائصه ^(١) وبرَّ الله تعالى به أن الله تعالى خاطبَ جميعَ الأنبياءِ بأسمائهم ، فقال تعالى : يا آدم ، يا نوح ، [يا موسى] ^(٢) ، يا داود ، يا عيسى ، يا زكريا ، يا يحيى . ولم يخاطبَ هو إلا : يا أيها الرسول ، يا أيها النبي ، يا أيها المرسل ، يا أيها المدثر .

الفصل الرابع

في قسَمِه تعالى بعظيم قدره

قال الله تعالى ^(٣) : ﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ ﴾ ^(٤) . يَعْمَهُونَ .
اتفق أهلُ التفسير في هذا أنه قَسَمَ من الله جلَّ جلاله بمُدَّةِ حياةِ محمد صلى الله عليه وسلم ، وأصله ضمُّ العين ، من العَمْرُ ، ولكنها فُتِحَتْ لكثرة ^(٥) الاستعمال . ومعناه : وبتأمك يا محمد . وقيل : وعيشك . وقيل : وحياتك .
وهذه نهايةُ التعظيم ، وغايةُ البرِّ والتشريف . قال ابنُ عباس رضي الله عنهما : ما خلقَ اللهُ تعالى ، وما ذرأَ ^(٦) ، وما برأَ نفساً - أكرمَ عليه من محمد ^(٧) صلى اللهُ عليه وسلم ، وما سمعتُ اللهُ تعالى أقسمَ بحياةِ أحدٍ غيرِه ^(٨) .
وقال أبو الجوزاء ^(٩) : ما أقسمَ اللهُ تعالى بحياةِ أحدٍ غيرِ محمدٍ صلى اللهُ عليه وسلم ؛ لأنه أكرمُ ^(١٠) البريةِ عنده .

- (١) خصائص : جمع خصيصة . وهي ما خص به دون غيره تمييزاً له وتفضيلاً له على غيره .
(٢) ليس في ١ . (٣) سورة الحجر ، آية ٧٢
(٤) سكرتهم : غفلتهم . يعمهون : يتحيرون ويترددون .
(٥) في ب : بآثرة . (٦) ذرأ : خلق . وبرأ : خلق .
(٧) في ب : غير محمد صلى اللهُ عليه وسلم .
(٨) قول ابن عباس هذا رواه البيهقي في دلائله ، وأبو نعيم ، وأبو يعلى .
(٩) أبو الجوزاء : أوس بن عبد الله الراهبي البصرى ، يروى عن عائشة وغيرها ، وعنه قتادة وعدة ، وهو ثقة ، كما قال الحاكم . وتوفى سنة ثلاث وثمانين . وفي ب : أبو الخبر .
(١٠) البرية : الخليفة .

وقال تعالى^(١) : ﴿يَس . وَالْقُرْآنَ الْحَكِيمَ . . .﴾ الآيات .

اختلف المُفسِّرون في معنى « يَس » على أقوال ؛ فحكى أبو محمد مَكِّيَّ [أَنَّهُ]^(٢) رُوِيَ عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : لى عند رَبِّي عشرةُ أسماء ، ذكر منها : طه ويَس - اسمان له^(٣) .

وحكى أبو عبد الرحمن السُّلَمِيُّ ، عن جَعْفَرِ الصَّادِقِ - أنه أراد : يا سيِّدُ ، مخاطبةً لنبيه صلى الله [١٢] عليه وسلم .

وعن ابن عباس : يَس - يا إنسان^(٤) ، أرادَ محمداً صلى الله عليه وسلم ، وقال : هو قَسَمٌ ، وهو من أسماء الله تعالى^(٥) .

وقال الزَّجَّاجُ^(٦) : قيلَ معناه : يا محمد . وقيل : يا رجل . وقيل : يا إنسان .

وعن ابنِ الحَنَفِيَّةِ : يَس : يا محمد .

وعن كَعْبٍ : يَس : قَسَمٌ أَقْسَمَ اللهُ تعالى به قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاءَ والأَرْضَ بِأَلْفِي عامٍ : يا مُحَمَّدُ إِنَّكَ لَمِنَ المُرْسَاينِ . ثم قال : وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ إِنَّكَ لَمِنَ المُرْسَاينِ .

(١) سورة يس ، آية ١ ، ٢ .

(٢) اسمان له : أى هما اسمان له صلى الله عليه وسلم . وقال القارى (١ - ٧٤) : ومع هذا ليس الحديث المذكور بصحيح ، وقد ضعفه القاضى أبو بكر بن العربى . وقال الشهاب . (١ - ٢٤٠) : فى سنده مقال .

(٤) رواه ابن أبى حاتم . وعن من اتل إنها لفة حبشية ، يسمون الإنسان « يس » . وعن ابن عباس إنها لفة طيء .

(٥) قال السيوطى : أخرجه ابن جرير .

(٦) الزجاج : أبو إسحاق إبراهيم بن محمد شيخ العربية ، الإمام فى الأدب . توفى سنة ست أو إحدى عشرة وثلاثمائة (الشهاب : ١ - ٢٤٣) . وقال القارى (١ - ٧٥) : توفى سنة عشر وثلاثمائة يمتداد .

فإن قرّر أنه بين أسمائه صلى الله عليه وسلم ، وضَحَ فيه ^(١) . أنه قسمٌ كان فيه من التعظيم ما تقدّم ^(٢) . ويؤكّد فيه القسمَ عطفُ القسمِ الآخرِ عليه ، وإن كان بمعنى النداء فقد جاء قسمٌ آخرٌ بعده لتحقيقِ رسالته ، والشهادةِ بهدأيته : أقسم الله تعالى باسمه ^(٣) وكتابه إنه لمن المرسلين بوحيه إلى عباده ، وعلى صراطٍ مستقيم من إيمانه ، أى طريقٍ لا اعوجاج فيه ، ولا عدول عن الحق .

قال النقاش ^(٤) : لم يقسم الله تعالى لأحدٍ من أنبيائه بالرسالة في كتاب إلا له ، وفيه من تعظيمه وتمجيدِه - على تأويل من قال : إنه ياسيد - ما فيه ؛ وقد قال عليه السلام : أنا سيّدُ ولدِ آدمَ ، [ولا فخر] ^(٥) .

وقال تعالى ^(٦) : ﴿ لا أقسمُ بهذا البلدِ ، وأنتَ حلٌّ بهذا البلدِ ﴾ .
 قيل : لا أقسمُ به إذا لم تسكنُ فيه بعد خروجه منه ، حكاه مكي ^(٧) .
 وقيل : « لا » زائدة ؛ أى أقسم به وأنتَ به يا محمد حلالٌ ^(٨) . أو حلٌّ لك ما فعلتَ فيه على التفسيرين .

-
- (١) أنه : الضمير لـ « يس » . (٢) ما تقدم : أى من القسم بقوله : لمبرك .
 (٣) باسمه : وهو يس : العلم الدال على ذاته .
 (٤) النقاش : أبو بكر محمد بن الحسن بن محمد بن زياد الموصلى البغدادي المفسر المقرئ توفى سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة .
 (٥) ما بين القوسين ليس في بـ . والفخر : ادعاء العظمة والشرف والإعلان بذكره ؛ أى لا أقول ذلك تبجحاً ولا افتخاراً بل تحديثاً بنعم الله وشكره . والحديث في مسلم (١٧٨٢) ، وابن ماجه (١٤٤٠) . (٦) سورة البلد ، آية ١ ، ٢ .
 (٧) أى « لا » نافية ، والبلد : مكة . وفي شرح القارى (١ - ٧٧) : هذا الذى حكاه مكي لا يستقيم تنزيله على الآية ، لأنه عكس مقتضاها ، ألا ترى أن الواو من قوله تعالى : وأنت حل . واو الحال ، وإذا كانت كذلك فيكون معنى الآية : لا أقسم بهذا البلد إذا كنت فيه ، وهو ضد ما قال مكي .
 (٨) حلال : مقيم .

والمراد بالبلد عند هؤلاء مَكَّة .

وقال الواسطيُّ : أى تحلف لك بهذا البلد الذى شرّفته بمكانك فيه حيًّا ،
وبيركتك مبيّتا - يعنى المدينة .

والأولُ أصحُّ ؛ لأنَّ السورة مكية ، وما بعده يُصحّحه : قوله تعالى : ﴿ وَأَنْتَ
حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ ﴾ .

وتحوُّه قولُ ابن عطاء فى تفسير قوله تعالى (١) : ﴿ وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ﴾ قال :
أَمَّنْهَا اللهُ تَعَالَى بِمُعَامَلِهِ فِيهَا وَكَوْنِهِ بِهَا ، فَإِنَّ كَوْنَهُ (٢) أَمَانًا حَيْثُ كَانَ .

ثم قال (٣) : « وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ » : وَمَنْ قَالَ : أَرَادَ آدَمَ فَهُوَ عَامٌّ (٤) ؛ وَمَنْ
قَالَ : هُوَ إِبْرَاهِيمَ وَمَا وَلَدَ - إِنْ شَاءَ اللهُ - إِشَارَةٌ إِلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَتَتَضَمَّنُ
السُّورَةُ الْقَسَمَ بِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَوَاضِعٍ (٥) .

وقال تعالى (٦) : ﴿ أَلَمْ - ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ :

قال ابن عباس : هذه الحروفُ أقسامٌ (٧) أقسم اللهُ تعالى بها . وعنه وعن غيره
فيها غيرُ ذلك .

وقال سهيل بن عبد الله التستري (٨) : الألف هو الله تعالى . واللام جبريل .
والميم محمد صلى الله عليه وسلم .

(١) سورة التين ، آية ٣

(٢) فإن كونه ، أى وجوده . أمان : موجب للأمانة . حيث كان : حيث وجد بذاته الشريفة .

(٣) سورة البلد ، آية ٣

(٤) فالقسم على هذا بنوع الإنسان ، لأنه أشرف مخلوقاته .

(٥) أجدهما فى البلد الذى هو محله ، والثانى فى قوله : ومولود - على هذا التفسير .

(٦) سورة البقرة ، آية ١ ، ٢

(٧) الأقسام : جمع قسم ، بمعنى القسم به .

(٨) رواه ابن جرير ، وابن أبي حاتم .

وحكى هذا القول السمرقنديُّ ، ولم ينسبه إلى سهل ، وجعل معناه : الله أنزل جبريل على محمد بهذا القرآن لا ريب فيه .

وعلى الوجه الأول ^(١) يحتمل القسم أن هذا الكتاب حق لا ريب فيه ، ثم فيه من فضيلة قرآن اسمه باسمه نحو ما تقدم .

وقال ابن عطاء - في قوله تعالى ^(٢) : ﴿ ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ﴾ - أقسم بقوة قلب ^(٣) حبيبه [محمد] ^(٤) صلى الله عليه وسلم حيث حمل ^(٥) الخطاب والمشاهدة ولم يؤثر ذلك فيه لعلو حاله ^(٦) .

وقيل : هو اسم للقرآن . وقيل : هو اسم لله تعالى ^(٧) . وقيل : جبل محيط بالأرض . وقيل غير هذا .

وقال جعفر بن محمد - في تفسير ^(٨) : ﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى ﴾ : إنه محمد صلى الله عليه وسلم ، وقال ^(٩) : النجم قلب محمد صلى الله عليه وسلم : انشرح من الأنوار .

(١) الوجه الأول الذي رواه عن ابن عباس ، وهو القسم بالحروف .

(٢) سورة ق ، آية ١

(٣) فالقاف بمعنى القوة على طريق الاكتفاء كما في قوله : قات لها قف قالت قاف .

(٤) ليس في ب .

(٥) حمل : تحمل ، وأطاق خطاب الله ليلة الإسراء ومشاهدة الملكوت ومهابته .

(٦) أى إن له صلى الله عليه وسلم حالا في ثبات جنانه ورفعة شأنه ، لما أودع في قلبه من

اليقين .

(٧) هو : أى ق .

(٨) على نحو ما مر من إطلاق حرف من الاسم على مسماه ، فهو على هذا بمعنى قيوم ، أو

قدير ، ونحوه .

(٩) سورة النجم ، آية ١

(١٠) وقال : أى جعفر ، فله فيه تفسيران ، أو عنه فيه روايتان .

وقال : انقطع^(١) عن غير الله .

وقال ابن عطاء - في قوله تعالى^(٢) : ﴿ وَالْفَجْرِ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴾ - الفجر : محمد صلى الله عليه وسلم ، لأن منه تفجر الإيمان^(٣) .

الفصل الخامس

في قسمه تعالى [١٣] جذه ، له ، ليحقق مكانته عنده^(٤)

قال جل اسمُه : ﴿ وَالضُّحَى . وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى . مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى .
وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى ، وَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ، أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا
فَأَوَى . وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى . وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغَى ، فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ .
وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ . وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾ .

اختلف في سبب نزول هذه السورة^(٥) ؛ فقيل : كان ترك النبي صلى الله عليه وسلم قيام الليل لمذير نزل به ، فتكلمت امرأة^(٦) في ذلك بكلام . وقيل : بل تكلم

(١) هذا تفسير آخر لهوله : هوى . وهذا المعنى الأخير أظهر ، لأنه من هوى النجم .
إذا سقط من بين النجوم ، وهو إذا انقطع إلى ربه فارق الناس .

(٢) سورة الفجر ، آية ١

(٣) قال في نسيم الرياض : من فسر الفجر بمحمد صلى الله عليه وسلم يفسر الليالي العشر بعشر رمضان . ثم قال : والذي عليه المحققون من المفسرين أنه على حقيقته ، أو هو بتقدير مضاف : أى وصلاة الفجر . والليالي العشر : عشر ذى الحجة .

(٤) تعالى جذه : عظمته . له : متعلق بالقسم . والضمير للنبي صلى الله عليه وسلم .

(٥) سبب النزول : أمر حادث في زمن النبوة ينزل القرآن في حقه ، ويجوز تمدده .

(٦) روى أن هذه المرأة هي أم جميل بنت حرب ، امرأة أبي لهب .

به المشركون عند فَتْرَةِ^(١) الوحي ، فنزلت السورة .
قال القاضي الإمام أبو الفضل : تَضَمَّتْ هذه السورة من كرامةِ اللهِ تعالى له ،
وتنويهه^(٢) به وتمظيمه إياه ستة وجوه :

الأول : القَسَمُ له عما أخبره به من حاله بقوله تعالى : «الضحى . والليل إذا سجى»^(٣) ،
أى وربِّ الضحى ، وهذا من أعظم درجات المَبْرَةِ^(٤) .

الثانى - بَيَانُ مكانته عنده وحُظُوتِه لَدَيْهِ بِقوله تعالى^(٥) : ﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ
وَمَا قَاتَى ﴾ ؛ أى ما تركك وما أبغضك . وقيل : ما أهملك بعد أن اصطفاك^(٦) .

الثالث - قوله تعالى^(٧) : ﴿ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى ﴾ ؛ قال ابن إسحاق :
أى مالك فى مَرَجِيكَ عند الله أعظم مما أعطاك من كرامة الدنيا .
وقال سهل : أى ما ما ذخرتُ لك من الشفاعة والمقام المحمود^(٨) خيرٌ لك
مما أعطيتك فى الدنيا .

الرابع - قوله تعالى^(٩) : ﴿ وَلَسَوْفَ يُمْطِرُكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ﴾ .

(١) أصل الفترة : مدة قليلة بين الشيتين ، والسكون . والمراد انقطاع الوحي عنه مدة .
وكان الوحي قد تأخر عن النبي صلى الله عليه وسلم بضعة عشر يوماً . وقيل : كانت المدة سنتين
ونصفا . والأول أصح . فقالت قريش ، إن محمدا ودعه ربه وقلاده .

(٢) كرامة الله : إكرامه ، أى توقيره . وتنويهه به ، أى رفعة قدره ، وإشاعة فضله .

(٣) الضحا : جمع ضحوة - كقريبة : وهى أول النهار . سجدى : دخل وأظلم . أو سكن .

(٤) المبرة : بمعنى البر ، وهو الإحسان ، وكل أمر مرضى .

(٥) سورة الضحى ، آية ٣

(٦) اصطفاك : اختارك وقربك .

(٧) سورة الضحى ، آية ٤

(٨) المقام المحمود : مقام الشفاعة العظيم الذى يحمد فيه الأولون والآخرون .

(٩) سورة الضحى ، آية ٥

وهذه آية جامعةٌ لوجوه الكرامة، وأنواع السعادة، وشتات الإنعام في الدارين. والزيادة^(١).

قال ابن إسحاق: يُرْضِيهِ بِاللَّج (٢) في الدنيا، والثواب في الآخرة. وقيل: يُعْطِيهِ الْخَوْضَ وَالشَّفَاعَةَ.

وروى عن بعض آل النبي^(٣) صلى الله عليه وسلم أنه قال: ليس آية في القرآن أَرْجَى مِنْهَا^(٤)، ولا يَرْضَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَدْخُلَ أَحَدٌ مِنْ أُمَّتِهِ النَّارَ.

الخامس - ما عَدَدَهُ تَعَالَى عَلَيْهِ مِنْ نِعَمِهِ، وقرّره من الآلهة^(٥) قَبْلَهُ فِي بَقِيَةِ السُّورَةِ؛ مِنْ هِدَايَتِهِ إِلَى مَا هَدَاهُ لَهُ، أَوْ هِدَايَةِ النَّاسِ بِهِ عَلَى اخْتِلَافِ التَّفْسِيرِ، وَلَا مَالَ لَهُ؛ فَأَغْنَاهُ بِمَا آتَاهُ، أَوْ بِمَا جَعَلَهُ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْقِنَاعَةِ وَالغَنَى، وَيَتِمُّ فَحَدِّبَ عَلَيْهِ عُمَّهُ وَأَوَاهُ^(٦) إِلَيْهِ.

(١) شتات الإنعام: متفرقاته، والزيادة: أى والزيادة على ذلك بما خصه به. أو الزيادة على النعم المعروفة بلفائه ورضوانه.

(٢) فى أ: بالفاج - بضم الفاء، وسكون اللام. وفى هامش ب: الفلج: النصر. والفالج: الفوز والظفر بالأعداء، فالمراد أنه يفوز فى الدنيا وينصره الله ويحميه.

(٣) هو على رضى الله عنه. أو الحسن بن محمد ابن الحنفية، أو غيرهما: قال فى النسيم: وطرقه متمدة فهى تعضده، وهو فى تفسير القرطبي: ٢٠ - ٩٦، وانظر أيضا صحيح

مسلم: ٢١٣٦

(٤) منها: أى من قوله تعالى: ولسوف يمطيك ربك فترضى. وارجع إلى القارى (١-٨٦)، ففيه حديث طويل عن أرجى آية فى القرآن - إن أردت.

(٥) آلهة: نعمه.

(٦) فحذب: المراد العطف والشفقة. وعمه: هو عمه أبو طالب. وآواه: ضمه إليه لتربيته وحمايته. وفى هامش ب: فحذب عليه - بالجيم وضم الدال؛ أى رقى عليه. ولم أقف عليه.

وقيل : آواه إلى الله^(١) . وقيل : يتما : لا مثال لك ، فأواك إليه .
 وقيل : المعنى : ألم يجدك فهدى بك ضالاً ، وأغنى بك عائلاً ، وآوى بك
 يتما^(٢) - ذكروه بهذه المنن^(٣) ، وأنه على المعلوم من التفسير لم يمهله في حال صغره وعيَلته^(٤)
 ويئمه وقبل معرفته به ، ولا ودعه ولا قلاه^(٥) ، فكيف بعد اختصاصه واصطفائه !
 السادس : أمره بإظهار نعمته عليه وشكر ما شرفه بنشره وإشادة^(٦) ذكروه
 بقوله تعالى : « وأما بنعمة ربك فحدث » ؛ فإن من شكر النعمة الحديث بها ؛
 وهذا خاص له ، عام لأئمه .

وقال تعالى^(٧) : ﴿ والنجم إذا هوى . ماضل صاحبكم وما غوى . وما ينطق
 عن الهوى . إن هو إلا وحي يوحى . علمه شديد القوى . ذو مرة فاستوى .
 وهو بالأفق الأعلى . ثم دنا فتدلى . فكان قاب قوسين أو أدنى . فأوحى إلى عبده
 ما أوحى . ما كذب الفؤاد ما رأى . أفتمارونه على ما يرى . ولقد رآه نزلةً أخرى .
 عند سدرة المنتهى . عندها جنة المأوى . إذ ينشى السدرة ما ينشى . ما زانغ
 البصر وما طغى . لقد رأى من آيات ربه الكبرى ﴾ .

(١) أى قيل في تفسير هذه الآية : إن معناها آواه الله ، أى ضمه إلى نفسه ، ولم يحوجه
 لحماية أحد وإيوانه .

(٢) فى نسيم الرياض : حكاة بـ « قيل » إشارة إلى ضعفه ، لأن هذا القول لا يساعده
 إعراب ، ولا يصحبه صواب ، فالأولى تركه .

(٣) المنن : جمع منة ، وهى الإحسان .

(٤) لم يمهله : لم يتركه . والعيلة : الاحتياج والفقير .

(٥) ماودعه ولا قلاه : ما تركه ولا أبفضه ، وقد تقدم .

(٦) بنشره : بإذاعته ، وإظهاره للناس . وأصل معنى الإشادة : رفع الصوت ، والمراد :

إعلام الثقاتين .

(٧) سورة النجم ، آية ١ ، وما بعدها .

اختلف المفسرون في قوله تعالى : « والنجم » بأقوالٍ معروفة ، منها النجم على ظاهره ، ومنها القرآن^(١) .

وعن جعفر بن محمد أنه محمدٌ عليه السلام ؛ وقال : هو قلبُ محمد^(٢) .
وقد قيل في قوله تعالى^(٣) : ﴿ والسماء والطارق . وما أدراك ما الطارق .
النجم الثاقب ﴾^(٤) - إن النجم هنا أيضا محمد صلى الله عليه وسلم ؛ حكاه السلمي .
تضمنت هذه الآيات من فضله وشرفه العدم ما يقف دونه العدم^(٥) ، وأقسم جلَّ
اسمه على هداية المصطفى ، وتنزيهه عن الهوى^(٦) ، وصدقته فيما تلا ، وأنه وحيُّ يوحي
أوصله إليه - عن الله - جبريل ، وهو الشديدُ القوي .

ثم أخبر تعالى عن فضيلته بقصة الإسراء^(٧) ، وانتهائه إلى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى^(٨) ،

(١) لأنه نزل نجوما متفرقة بحسب المصالح .

(٢) قال الخفاجي : إطلاق النجم على قاب النبي لإشراقه بالأنوار الإلهية ، وهو منبعها
ومنبع الهداية ، وفيه خفاء . وقال القاري (١ - ٩٠) : ولعل المراد بهواه على هذا : ميله إلى
ربه وغيبته عن غيره ، واستراقه في حبه . وقد تقدم هذا القول لجعفر بن محمد .

(٣) سورة الطارق ، آية : ١ - ٣

(٤) الطارق : أصل معناه : الذي يأتي ليلا ، لأنه يطرق الباب المنطق ليلا . أو يطرق
الأرض برجله ، ثم غلب على النجم لظهوره ليلا . والثاقب : المضيء ؛ وكأنه يشق الظلام بضوئه
فينفذ فيه .

(٥) العدم - بكسر العين : الكثير . العدم - بفتح العين : الإحصاء . وفي هامش ب : العدم -
بكسر العين : الذي يقف دونه الحصر ، والماء الكثير الذي له مادة لا تنقطع ، والله أعلم .
والمد - بفتح العين : العدد .

(٦) هذا ما دل عليه قوله تعالى : ماضل صاحبكم وما عوى . وما ينطق عن الهوى .

(٧) قال الشهاب (١ - ٢٧٢) الإسراء : إسراؤه من مكة لبيت المقدس . والمعراج :
عروجه إلى الملائكة الأعلى ، وإن كان كل منها يطلق على الآخر . وابتداء القصة من قوله :
« فاستوى . . . » إلى قوله : « لقد رأى من آيات ربه الكبرى . . . » في المعراج . وقال
القاري : بقصة الإسراء ، أي بقصة المعراج المبتدأ بعد الإسراء إلى المسجد الأقصى ، كما أشار
إليه بقوله : وانتهائه إلى سدرة المنتهى .

(٨) سدرة المنتهى : شجرة .

وتصديق بَصْرِهِ فيما رَأَى^(١) ، وأنه رأى من آيات رَبِّهِ الكُبرى . [١٤] . وقد نَبَّهَ على مثل هذا في أول سورة الإسراء .

ولما كان ما كاشفَهُ به عليه السلام من ذلك الْجَبْرُوتِ^(٢) ، وشاهدَهُ من عجائب اللَّذَكُوتِ لا تُحِيطُ به العبارات ، ولا تستقلُّ بِحَمْلِ سَمَاعِ أَدْنَاهُ^(٣) العُقُولُ - رَمَزَ عنه تعالى بالإيماء والسكناية الدالة على التعميم^(٤) ؛ فقال تعالى^(٥) : ﴿ فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى ﴾ .

وهذا النوعُ من الكلام يُسَمِّيهِ أهلُ النقد والبلاغة بالوَحْيِ والإشارة ، وهو عندهم أبلغُ أبوابِ الإيجاز .

وقال تعالى : ﴿ لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الكُبرى ﴾ - انحسرت الألفهامُ عن تفصيل ما أَوْحَى ، وتاهت^(٦) الأحلامُ في تعيين تلك الآياتِ الكُبرى .

قال القاضي أبو الفضل^(٧) : اشتملت هذه الآياتُ على إعلَامِ اللَّهِ تعالى بَبَزْكِيةِ^(٨) جُمْلته عليه السلام ، وَعِصْمَتِهَا من الآفاتِ في هذا الْمَسْرَى^(٩) ، فَرَكَى فَوَادَهُ ولسانَهُ

(١) أى تصديق الله له في رؤيته في قوله تعالى : « ما زاغ البصر . . . » ؛ أى ما رآه واعتقده بسبب رؤيته حق مطابق للواقع .

(٢) كاشفه : عاينه . أى عين الجبروت واطلع عليه . والجبروت : بمعنى العظمة والجلالة .

(٣) لا تستقل : لاتنفرد ولا تقوى . وأدنى : أقل .

(٤) رمز : أشار . والسكناية : ما يراد به لازم معناه الحقيقي مع جواز إرادته . والسكناية :

ما يقابل الصريح ، وهو المراد هنا . (٥) سورة النجم ، آية ١٠

(٦) انحسرت : أعيت وكأت . وتاهت : ضات وتحيرت . والأحلام : العقول .

(٧) هو المصنف .

(٨) التزكية : تطهيره عن النقائص البشرية . والمراد بَبَزْكِيةِ جملته : تطهير ذاته ، وتنمية

صفاته .

(٩) وعصمتها : حفظها . والآفات : جمع آفة ، ما يمرض من المفاسد . والمسرى : مكان

السرى .

وَجَوَارِحَهُ : [فزگى] ^(١) قلبه بقوله : ﴿ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى ﴾ . ولسانه بقوله : ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى ﴾ . وبصره بقوله : ﴿ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى ﴾ ^(٢) .

وقال تعالى ^(٣) : ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنُوسِ . الْجَوَارِ الْكُنُوسِ ^(٤) . وَاللَّيْلِ إِذَا عَسَفَ . وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ^(٥) : إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ . ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ^(٦) . مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ . وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ . وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأَفْقِ الْمُبِينِ . وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ . وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ ﴾ .

« لا أقسم » : أى أقسم . « إنه لقول ^(٧) رسول كريم » ؛ أى كريم عند مرسله . « ذى قوّة » على تبليغ ما حمله من الوحي ، « مكين » : أى متمكن المنزلة من ربه ، « رفيع المحلّ عنده » ؛ « مطاع ثمّ » : أى فى السماء . « أمين » على الوحي . قال على بن عيسى ^(٨) وغيره : الرسول الكريم هنا محمد صلى الله عليه وسلم ؛ فجميع الأوصاف بعد على هذا له .

(١) من ب .

(٢) أى ما مال بصره يمينا ولا شمالا ، ولا تجاوز حده فى نظره لما هو أمامه . وفى هذا بيان لثبات جنانه ، أو كمال أدبه ، وهو فى رؤيته لربه فى معراجيه .

(٣) سورة التكوير : الآيات من ١٥ - ٢٥

(٤) الخنس الجوار الكنس : الكواكب التى تخنس بالنهار : أى ترجع . (مفردات القرآن) . والكنس : التى تغيب فى منارها .

(٥) عسفس : أقبل وأدبر ، وذلك فى مبدأ الليل ومنتهاه . فالمسمة : رقة الظلام ، وذلك فى طرفى النهار ، وسيأتى ذلك .

(٦) ذى قوّة : هو جبريل - وقيل : هو النبي .

(٧) إنه ، أى القرآن .

(٨) هو على بن عيسى الرماني النحوى ، وهو من أصحاب ابن دريد ، وصاحب كتاب النكت فى إعجاز القرآن ، إمام مشهور فى سائر العلوم ، توفى سنة أربع وثمانين وثلاثمائة (القارى : ١ - ٩٤) .

وقال غيره^(١) : هو جبريل ، فترجع الأوصافُ إليه .
 ولقد رآه - يعني محمدا . قيل : رأى ربّه . وقيل : رأى جبريل في صورته .
 « وما هو على الغيب بظنين » ، أى : بمتهم . ومن قرأها بالضاد فعناه : ما هو
 ببخيل بالدعاء به ، والتذكير بحكمه^(٢) وبعلمه ، وهذه لحمد عليه السلام باتفاق .
 وقال تعالى^(٣) : ﴿ ن . وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُورُونَ . مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ .
 وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ . وَإِنَّكَ لَمَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ . فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ . بِأَيْكُمْ
 الْمَفْتُونُ . إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ . فَلَا تُطِعِ
 الْمَكذِبِينَ . وَذُوا لَوْ تَدَّهِنُ فَيُدْهِنُونَ . وَلَا تُطِعِ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ . هَمَّازٍ مَشَاءٍ
 بِنَوْمٍ . مَنَاعٍ لِلخَيْرِ مُعْتَدٍ أَيْمٍ . عَتَلٌ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٌ . أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ .
 إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ . سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرطومِ ﴾ .
 أقسم الله تعالى بما أقسم به من عظيم قسمه على تنزيه المصطفى بما غمصته^(٤) ،
 الكفرةُ به ، وتكذيبهم له ، وأنسه^(٥) ، وبسط أماله^(٦) . بقوله - محسنا خطابه :
 « ما أنت بنعمة ربك بمجنون » .
 وهذه نهاية المبرّة في المخاطبة ، وأعلى درجات الآداب في المحاوراة ؛ ثم أعلمه
 بما له عنده من نعمٍ دائمٍ ، وثوابٍ غير منقطع ، لا يأخذه عد^(٧) ، ولا يُعتمَنُ به عليه ؛
 فقال تعالى : ﴿ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴾^(٨) .

-
- (١) وهم الأكثرون من العلماء ، وهو قول جمهور المفسرين .
 (٢) الدعاء : بمعنى الدعوة . والتذكير : التنبيه أو الوعظ .
 (٣) سورة القلم ، الآيات من : ١ - ١٦ .
 (٤) غمصته : عابته وحقرته .
 (٥) هذا الضبط في أ ، ب . والمراد أنه جملة ذا أنس بقره ، ومستأنسا بحبه .
 (٦) وبسط أماله : الأمل : الرجاء ؛ وبسطه : توسيعه .
 (٧) لا يأخذه عد : أى لا يحصى ولا يعد .
 (٨) غير ممنون : غير منقطع ، أو غير ممنون عليك به من غيرك ، لأنه موهبة إلهية .

ثم أننى عايه بما منحه من هباته ، وهداهُ إليه ، وأكّد ذلك تنميماً للتمجيد^(١) ،
بحرّفى التأكيد^(٢) ؛ فقال تعالى : ﴿ وَإِنَّكَ أَعْلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ . قيل : القرآن . وقيل :
الإسلام . وقيل : الطَّبَعُ الكَرِيم . وقيل : ليس لك همة^(٣) إلا الله .

قال الواسطى : أننى عليه بحسُنِ قبوله لما أسداهُ^(٤) إليه من نعمه ، وفضّاهُ
بذلك على غيره ؛ لأنه جبّلهُ^(٥) على ذلك الخلق ؛ فسبحان اللطيفِ الكَرِيم ، المحسنِ
الجواد ، الحميد الذى يَسِّرُ للخير^(٦) وهدى إليه ، ثم أننى على فاعله ؛ وجازاه عليه
سُبْحانه ، ما أَعْمَرَ نَوَالَهُ^(٧) ، وأوسع إفضاله^(٨) ؛ ثم سلّاه عن قولهم بعد هذا بما وعدّه
به من عِقَابِهِمْ^(٩) ، وتوعّدّم بقوله : ﴿ فَسْتَبْصِرْ وَيُبْصِرُونَ بِأَيْكُمُ الْفِتْنُونَ . إِنَّ رَبَّكَ
هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ صَلََّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ .

ثم عطف^(١٠) بعد مدّحه على ذمّ عدوّه^(١١) ، وذِكْرِ سَوْءِ خُلُقِهِ ، وعدّد معايبه ،
متولّياً ذلك بفضله ، ومُنْتَصِراً للنبيه ؛ فذكر بضعَ عشرةَ خصلةً من خصالِ الذمّ فيه

(١) التمجيد : التعظيم . (٢) حرفاً التأكيد هما : إن ، واللام .

(٣) ليس لك همة : الهمة : العزم والمقصد . وفى أ : همه - بالهاء .

(٤) أسداه : أسدى : أعطى .

(٥) جبّله : خلقه مطبوعاً .

(٦) يشير إلى قوله تعالى : « أعطى كل شئ خلقه ثم هدى » . وتيسير الخير : تسهيله

بهيئة أسبابه ، كما قال تعالى : ﴿ فسنيسره لليسرى ﴾ .

(٧) ما أَعْمَرَ نَوَالَهُ : ما أكثر عطاءه .

(٨) وأوسع إفضاله : الإفضال : الإينعام .

(٩) فى ب : عقابهم . وفى هامشه : خ : فى عقابهم ، يشير إلى ما فى نسخة أخرى .

وعقابهم : سوء عاقبتهم .

(١٠) عطف : التفت وعاد .

(١١) قيل : هو الأخنس بن شريق . وقيل : الوليد بن المغيرة ، أو أبو جهل : أو المراد

به جنس المدو .

بقوله^(١): ﴿فَلَا تُطِيعُ الْمَكْذِبِينَ . وَذُوا لَوْ تَدُهْنُ فَيُدْهِنُونَ^(٢) . وَلَا تُطِيعُ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ^(٣) . هَمَّازٍ مَشَاءٍ بِنَمِيمٍ^(٤) . مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أُثِيمٍ^(٥) . عَتَلٌ^(٦) بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ . أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ . إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَلَّ أَصَاطِيرَ الْأُولِينَ^(٧) . ثُمَّ خَتَمَ ذَلِكَ بِالْوَعِيدِ الصَّادِقِ بِتَمَامِ شِقَاؤِهِ وَخَاتَمَهُ بِوَارِهِ^(٨) بقوله : ﴿سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرَطُومِ^(٩)﴾ ؛ فَكَانَتْ نُصْرَةُ اللَّهِ [١٥] لَهُ أَتَمَّ مِنْ نَصْرَتِهِ لِنَفْسِهِ ، وَرَدَّهُ تَعَالَى عَلَى عَدُوِّهِ أَبْلَغَ مِنْ رَدِّهِ ، وَأَثْبَتَ فِي دِيْوَانِ مَجْدِهِ^(١٠) .

(١) سورة القلم ، آية ٨ - ١٥

(٢) ودوا لو تدهن فيدهنون : أى لو تلين فتدع نهبهم عن الشرك فيميلون إليك في بعض ما تدعوهم إليه .

(٣) حلاف : كثير الحلاف حقا وباطلا . مهين : ذو مهانة وحقارة .

(٤) هماز : عياب في أعراض الناس . مشاء بنميم : تقال للحديث على وجه السعاية للفساد .

(٥) مناع للخير : كثير النع منه . أثير : كثير الإثم .

(٦) عتل : جاف غليظ . زعيم : دعى ، كالوليد بن المغيرة ، ادعاه أبوه بعد ثمانى عشرة

سنة من مولده .

(٧) أساطير : جمع أسطورة ، أو إسطار ، والمراد : الأباطيل النسوبة إلى المتقدمين .

(٨) البوار : الهلاك والدمار .

(٩) سنسمه على الخراطوم : الوسم : العلامة والسكى . والخراطوم : الأنف هنا . والمراد :

التشهير بالقبائح في الدنيا أو في الآخرة ، أو فيهما .

(١٠) وأثبت في ديوان مجده : أى أعظم وأقوى ثباتا وأبقى في صحف الدهر من أن

يشبته هو لنفسه .

الفصل السادس

فما ورد من قوله تعالى في جهته عليه السلام مورد الشفقة والإكرام^(١)

قال تعالى^(٢): ﴿ طه . ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى ﴾ .

قيل : طه : اسم من أسمائه^(٣) عليه السلام . وقيل : هو اسم الله ، وقيل : معناه

يارجل . وقيل : يا إنسان . وقيل : هي حروف متطمة لِمَعَان .

وقال الواسطي^٤ : أراد يا طاهر ، يا هادي^(٤) . وقيل : هو أمر من الوطء .

والهاء كناية عن الأرض ؛ أي اعتمد على الأرض بقدميك ، ولا تععب نفسك

بالاعتماد على قدم واحدة ، وهو قوله تعالى : « ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى » .

نزلت الآية فيما كان النبي صلى الله عليه وسلم يتكلمه من السهر والتعب

وقيام الليل .

أخبرنا القاضي أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن^(٥) ، وعزيز واحد ، عن القاضي

أبي الوليد الباجي إجازة ، ومن أصله نقلت ؛ قال : حدثنا أبو ذرّ الحافظ ، حدثنا

أبو محمد الحموي^(٦) ، حدثنا إبراهيم بن خزيم^(٧) الشاشي ، حدثنا عبد بن حميد ،

حدثنا هاشم بن القاسم ، عن أبي جعفر ، عن الربيع بن أنس ؛ قال : كان النبي

صلى الله عليه وسلم إذا صلى قام على رجل ورفع الأخرى ؛ فأنزل الله تعالى : طه -

(١) يعني ما جاء في القرآن من الآيات الدالة على إكرام الله له والشفقة به ، والرحمة له .

(٢) سورة طه : ١ ، ٢

(٣) من أسمائه : أي من أسماء النبي .

(٤) فالطاء في « طه » من طاهر ، والهاء فيها من هادي وفي أ : يا هاد . والمثبت في ب .

(٥) أحد العلماء الصالحين ، من رجال الأندلس . مات سنة ثلاث وخمسة ياشيبيلية .

(٦) هذا الضبط في الخفاجي والقاري مؤكدا بالمعارة .

(٧) عليها علامة الصحة بهامش أ ، وفي هامش ب : بالزاي .

يعنى طًا الأرضَ يا محمد ، « ما أنزلنا عليك القرآنَ لِتَشْتَى . إِلَّا تَذَكِّرَةٌ لِمَن يَخْشَى .
تنزيلا مِّنْ خَلْقِ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى » .
ولا خفاء بما فى هذا كله من الإكرام وحسنِ المعاملة .
وإن جعلنا « طه » من أسمائه عليه السلام كما قيل ، أو جعلت قسما لحقِّ الفصلِ
بما قبله (١) .

ومثلُ هذا من نَمَطِ (٢) الشفقةِ والمبَرَّةِ قوله تعالى (٣) : ﴿ فَلَمَّا كَبَّخِعُ مُنْفَكِّكُ
على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديثِ أسفًا ﴾ ؛ أى قاتل نفسك لذلك غضبا أو غيظا ،
أو جزعا .

ومثله قوله تعالى أيضا (٤) : ﴿ لعلك باخعٌ مُنْفَكِّكُ إِلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ ؛
ثم قال (٥) : ﴿ إِنْ نَشَأْ نُزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةٌ فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ﴾ (٦) .
ومِنَ هذا الباب قوله تعالى (٧) : ﴿ فاصدغْ بما تُوَمِّرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ .
إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ . الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ . وَلَقَدْ نَعْلَمُ
أَنَّكَ بِضَيْقِ صَدْرِكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴾ .

وقوله (٨) : ﴿ وَلَقَدْ اسْتَهْزَيْتَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ (٩) بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ
ما كانوا به يستهزئون ﴾ .

(١) أى التحقت هذه الآية المذكورة فى هذا الفصل بالفصل الذى قبله ، لإتيانه بما أقسم به تعالى ،
تحقيقا لمكاته عنده ، وبما أفاده من نهاية المبرة فى مخاطبته ، وأعلى درجات الأدب فى محاورته .

(٢) النمط : الطريق ، وهو هنا النوع . (٣) سورة الكهف ، آية ٦

(٤) سورة الشعراء ، آية ٣ (٥) سورة الشعراء ، آية ٤

(٦) الخضوع : التذلل والانقياد . (٧) سورة الحجر ، الآيات : من ٩٤ - ٩٧

(٨) سورة الأنعام آية ١٠ ، وسورة الأنبياء ، آية ٤١ . قال فى نسيم الرياض : ويحتمل

أن تكون آية الوعد (٣٣) وتماها : ﴿ فأمليت للذين كفروا ثم أخذتهم فكيف كان عقاب ﴾ ،
أى أمهلتهم برهة من الزمان فى دعة وأمن ، ثم أخذتهم فكيف كان عقابى إياهم ؟

(٩) حاق : أحاط بهم حيث أهلكوا .

قال مكيّ : سَلَاةٌ بِمَا ذَكَرَ ، وَهُوَ نَعْلِيهِ مَا يَلْقَى مِنَ الْمُشْرِكِينَ ، وَأَعْلَمُهُ أَنْ
مَنْ تَمَادَى ^(١) عَلَى ذَلِكَ يُحِلُّ بِهِ مَا حَلَّ بِمَنْ قَبْلَهُ .
ومثلاً هذه التسليية قوله تعالى ^(٢) : ﴿ وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِنْ
قَبْلِكَ ﴾ .

ومِنْ هَذَا قَوْلُهُ تَعَالَى ^(٣) : ﴿ كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا
قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجْنُونٌ ﴾ .

عَزَاهُ اللَّهُ تَعَالَى بِمَا أَخْبَرَ بِهِ عَنِ الْأُمَمِ السَّالِفَةِ ^(٤) وَمَقَالِهَا لِأَنْبِيَائِهِمْ قَبْلَهُ ،
وَمِخْنَتِهِمْ بِهِمْ ؛ وَسَلَاةٌ بِذَلِكَ مِنْ مِخْنَتِهِ ^(٥) بِمِثْلِهِ مِنْ كَفَّارِ مَكَّةَ ، وَأَنَّهُ لَيْسَ أَوَّلَ
مَنْ لَقِيَ ذَلِكَ ، ثُمَّ طَيَّبَ نَفْسَهُ ، وَأَبَانَ عُدْرَةَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى ^(٦) : « فَتَوَلَّ عَنْهُمْ » ؛ أَيْ
أَعْرَضَ عَنْهُمْ ؛ « فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٌ » ؛ أَيْ فِي أَدَاءِ مَا بَلَغْتَ وَإِبْلَاغِ مَا حَمَلْتَ .
ومثله قوله تعالى ^(٧) : ﴿ وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ ؛ أَيْ اصْبِرْ عَلَى أَذَاهِمْ
فَإِنَّكَ بِحَيْثُ نَرَاكَ وَنَحْفَظُكَ ^(٨) .

سَلَاةٌ اللَّهُ تَعَالَى بِهَذَا فِي آيٍ كَثِيرَةٍ مِنْ هَذَا الْمَعْنَى .

(١) تَمَادَى : تَطَاوَلَ ، وَأَصْرٌ ، وَاسْتَمَرَّ .

(٢) سُورَةُ فَاطِرٍ ، آيَةُ ٤

(٣) سُورَةُ الدَّارِيَّاتِ ، آيَةُ ٥٢

(٤) السَّالِفَةُ : التَّقَدِمَةُ .

(٥) المِخْنَةُ : الِاخْتِبَارُ وَالِابْتِلَاءُ .

(٦) سُورَةُ الدَّارِيَّاتِ ، آيَةُ ٥٤

(٧) سُورَةُ الطُّورِ ، آيَةُ ٤٨

(٨) أَيْ دَمٌ عَلَى الصَّبْرِ فِي تَنْفِيذِ مَا حَكَّمَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ ، وَلَا تَحْزَنُ ، وَلَا تَخَفُ مِنَ الْأَعْدَاءِ ؛

فَإِنَّكَ مَحْفُوظٌ مَحْرُوسٌ ، لَا يَصِلُونَ إِلَيْكَ .

الْفَصْلُ السَّامِعُ

فَمَا أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى (١) بِهِ فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ مِنْ عَظِيمِ قَدْرِهِ
وَشَرِيفِ مَنْزِلَتِهِ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ وَحِظْوَةِ رُتْبَتِهِ

قَوْلِهِ تَعَالَى (٢): ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ (٣) لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ،
ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ، قَالَ: أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ
عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي (٤)؟ قَالُوا: أَقْرَرْنَا. قَالَ: فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾.
قَالَ أَبُو الْحَسَنِ الْقَاسِمِيُّ: اسْتَخْصَ (٥) اللَّهُ تَعَالَى [١٦] مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
بِفَضْلٍ لَمْ يُؤْتِهِ غَيْرَهُ، أَبَانَهُ بِهِ (٦)، وَهُوَ مَا ذَكَرَهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ؛ قَالَ الْمَفْسُورُونَ:
أَخَذَ اللَّهُ الْمِيثَاقَ بِالْوَحْيِ (٧)، فَلَمْ يَبْعَثْ نَبِيًّا إِلَّا ذَكَرَ لَهُ مُحَمَّدًا وَنَعَمَتَهُ (٨)، وَأَخَذَ عَلَيْهِ
مِيثَاقَهُ إِنْ أَدْرَكَهُ لِيَوْمٍ مَنَنْ بِهِ.

وَقِيلَ: أَنْ يُبَيِّنَهُ لِقَوْمِهِ، وَيَأْخُذَ مِيثَاقَهُمْ أَنْ يُبَيِّنُوهُ لِمَنْ بَعْدَهُمْ.

وَقَوْلُهُ: «ثُمَّ جَاءَكُمْ»: الْخُطَابُ لِأَهْلِ الْكِتَابِ الْمَعَاصِرِينَ لِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(١) فِي ب: فَمَا أَخْبَرَ بِهِ تَعَالَى . . .

(٢) سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ، آيَةُ ٨١

(٣) وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ: يَحْتَمَلُ أَنْ يَرَادَ: أَخَذَ اللَّهُ الْمِيثَاقَ عَلَى النَّبِيِّينَ، أَوْ أَخَذَ
اللَّهُ عَلَى الْأُمَّةِ الْمِيثَاقَ الَّذِي شَرَعَ النَّبِيُّونَ تَمْظِيهِه، فَأَضِيفَ إِلَيْهِمْ. أَوْ هُوَ بِتَقْدِيرِ مِضَافٍ؛ أَيْ
مِيثَاقَ أُمَّةِ النَّبِيِّينَ.

(٤) إِصْرِي: عَهْدِي وَمِيثَاقِي.

(٥) اسْتَخْصَ: خَصَّ، وَاسْتَخْصَ.

(٦) أَبَانَهُ بِهِ: أَيْ أَظْهَرَ ذَلِكَ الْفَضْلَ لَهُ. أَوْ فَضْلَهُ وَمِيزَهُ بِهِ عَنِ غَيْرِهِ.

(٧) بِالْوَحْيِ: أَيْ إِلَى الْأَنْبِيَاءِ.

(٨) وَنَعَمَتُهُ: النَّمْتُ: الصِّفَةُ. وَهَذَا رَوَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ، وَابْنُ كَثِيرٍ، بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ.

قال علي بن أبي طالب رضى الله عنه : لم يبعث الله نبينا من آدمَ فَعَنَ بَعْدَهُ إِلَّا أَخَذَ عَلَيْهِ الْعَهْدَ فِي مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لَنْ بَعِثَ وَهُوَ حَيٌّ لِيُؤْمِنَ بِهِ وَلِيَنْصُرَنَّهُ ، وَيَأْخُذَ الْعَهْدَ بِذَلِكَ عَلَى قَوْمِهِ .

ونحوه عن السُّدِّيِّ وَقَتَادَةَ فِي آيٍ (١) تَضَمَّتْ فَضْلَهُ مِنْ غَيْرِ وَجْهِ وَاحِدٍ .

قال الله تعالى (٢) : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ (٣) وَمِنْكَ وَمَنْ نُوحَ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴾ (٤) .

وقال تعالى (٥) : ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ ، وَإِسْحَاقَ ، وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ ، وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسليمانَ ، وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا . وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا . رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لئَلَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حِجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا . لَكِنَّ اللَّهَ يُشْهِدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴾ .

رَوَى عَنْ عُمَرَ (٦) بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ فِي كَلَامِ زَكِّيٍّ (٧) بِهِ

(١) فِي آيٍ : جَمْعُ آيَةٍ . أَيْ هَذَا الْمَذْكُورُ مَرُورٍ فِي جَمْلَةِ آيَاتٍ . وَهَذِهِ الرَّوَايَةُ عَنْهَا أَثْبَتَهَا ابْنُ جَرِيرٍ . (٢) سُورَةُ الْأَحْزَابِ ، آيَةٌ ٧ .

(٣) قِيلَ : أَخَذَ عَلَيْهِمِ الْمِيثَاقَ بِتَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ ، وَتَصْدِيقِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا ، وَقِيلَ : بَانَ يَمْلَنُوا بِنُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَيَمْلَنُ مُحَمَّدٌ بِأَنَّهُ لَانَبِيٌّ بَعْدَهُ ، فَفِيهَا تَفْصِيلٌ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . (٤) مِيثَاقًا غَلِيظًا : عَظِيمًا شَأْنُهُ . (٥) سُورَةُ النِّسَاءِ آيَةٌ : ١٦٣ - ١٦٦ .

(٦) قَالَ الصِّيُوطِيُّ : لَمْ أَجِدْهُ فِي شَيْءٍ مِنْ كُتُبِ الْأَثَرِ . وَقَالَ فِي نَسِيمِ الرِّيَاضِ : لَكِنَّ صَاحِبَ اقْتِبَاسِ الْأَنْوَارِ وَابْنَ الْحَاجِّ فِي مَدْخَلِهِ ، ذَكَرَاهُ فِي ضَمَنِ حَدِيثٍ طَوِيلٍ ، وَكَفَى بِذَلِكَ سِنْدًا لِمَثَلِهِ ، فَإِنَّهُ لَيْسَ مِمَّا يَتَعَلَّقُ بِالْأَحْكَامِ . وَهَذَا الْكَلَامُ مِمَّا قِيلَ بَعْدَ وَفَاةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَقَدْ قَالَهُ عُمَرُ بَعْدَ تَحْقِيقِهِ - مِنْ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - مَوْتَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . (٧) فِي ب : بَكَى : أَيْ رَثَاهُ بَعْدَ مَوْتِهِ .

النبي صلى الله عليه وسلم، فقال^(١) «بأبي أنت وأمي يا رسول الله ! لقد بلغ من فضيلتك عند الله أن بعثك آخر الأنبياء ، وذَكَرَكَ في أولهم ، فقال : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴾ .

بأبي أنت^(٢) وأمي يا رسول الله ! لقد بلغ من فضيلتك عنده أن أهل النار يودون أن يكونوا أطاعوك وهم بين^(٣) أطباقتها يعذبون يقولون^(٤) : ﴿ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ ﴾ .

قال قتادة : إن النبي صلى الله عليه وسلم قال : كنتُ أوَّل الأنبياء في الخلق ، وآخرهم في البعث ، فلذلك وقع ذِكرُهُ مقدما هنا قبل نوح وغيره .
قال السمرقندي : في هذا تفضيلُ نبينا صلى الله عليه وسلم ، لتخصيصه بالذِّكر قبلهم ، وهو آخرهم .

المعنى : أخذ الله تعالى عليهم الميثاق ، إذ أخرجهم من ظَهْرِ آدَمَ كَالذَّرِّ^(٥) .

(١) أول هذا الكلام : بأبي أنت وأمي يا رسول الله ! لقد كان لك جذع تحبب الناس عليه ، فلما كثرت الناس اتخذت منبراً لتسميهم ، فحن الجذع لفراقك حتى جعلت يدك عليه فسكن . فأمتك أولى بالحنين عليك حين فارقهم . بأبي أنت وأمي يا رسول الله ! لقد بلغ من فضيلتك عند ربك أن جعل طاعتك طاعته ، فقال الله تعالى : من يطع الرسول فقد أطاع الله . . .

(٢) بأبي أنت وأمي : هذا مما تقوله العرب لمن تريد تكريمه وإظهار محبته ، أى لو نزل بك أمر يقبل فيه الفداء بأحد من البشر بذلت في فدائك أبوى فضلا عن المال وغيره .

(٣) أطباقتها : طبقات النار .

(٤) سورة الأحزاب ، آية ٦٦

(٥) الذر : جمع ذرة ، وهى الخلة الصغيرة البيضاء أو الحمراء ، أو جزء من مائة وأربعة وعشرين جزءاً من شميرة ، وقيل : جزء من ألف وسبعة وعشرين جزءاً منها . وقيل : أصغر شيء لا يعلمه إلا الله .

وقال تعالى (١) : ﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ، مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ ، وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيْنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُّسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتُلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا ﴾ .
قال أهلُ التفسير : أراد بقوله : ﴿ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ ﴾ - محمداً صلى الله عليه وسلم ؛ لأنه بُعِثَ إلى الأحمر (٢) والأسود ، وَأُحِلَّتْ لَهُ الْفَنَاءُ (٣) ، وظهرت على يديه المعجزات ، وليس أحدٌ من الأنبياء أُعطيَ فضيلةً أو كرامةً إلا وقد أُعطيَ محمدٌ صلى الله عليه وسلم مثلاً (٤) .

قال بعضهم : ومن فضله أن الله تعالى خاطب الأنبياء بأسمائهم ، وخاطبه بالنبوة والرسالة في كتابه ، فقال : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ ﴾ ، و﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ ﴾ .
وحكى السمرقندي عن الكلبي - في قوله تعالى (٥) : ﴿ وَإِنْ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ ﴾ - أن الهاء عائدة على محمد ؛ أي إن من شيعته (٦) محمد لإبراهيم ؛ أي على دينه ومنهاجه (٧) . وأجازه الفراء ، وحكاه عنه مكي (٨) . وقيل : المراد نوح عليه السلام (٩) .

(١) سورة البقرة ، آية ٢٥٣

(٢) الأحمر والأسود : أي جميع الناس . أو العرب والعجم . أو العرب وغيرهم .

(٣) الفناء : جمع غنيمة ، وهي ما يؤخذ من مال الكفار قهراً ، ولم تكن الغنيمة تحل للأمم السالفة كما تحل لهذه الأمة .

(٤) مثلها ، أي ما هو من جنسها ونوعها ، وما هو مشابه لها بحسب الظاهر وإن كان أعظم منها في الحقيقة .

(٥) سورة الصافات ، آية ٨٣ (٦) الشيعة : الأتباع ، والمعروف في كلام العرب إطلاقه على التأخر زماناً ، وقد يطلق على المتقدم ، كقول السكيت :

وما لي إلا آل أحمد شيعة وما لي إلا مذهب الحق مذهب

(٧) منهاجه : طريقه الواضح . (٨) أشار بهذا إلى أنه قول صحيح منقول عن المفسرين ؛ لأن منهم من ضعفه وادعى أنه بعيد .

(٩) قال في نسيم الرياض : هو القول الصحيح . والمراد بكونه من شيعة أنه من نسله وعلى منهاجه في الدين والتوحيد .

الفصل الثامن

في إعلام الله تعالى خَلَقَهُ بصلواته^(١) عليه وولايته له ورَفَعَهُ العذابَ بسببه
 قال اللهُ تعالى^(٢) : ﴿وما كان اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾ ؛ أى ما كُنْتَ بِمكة ،
 فلما خرج النبيُّ صلى اللهُ عليه وسلم من مكة ، وَبَقِيَ فِيهَا مَنْ بَقِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ نَزَلَ^(٣) :
 ﴿وما كان اللهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ .
 وهذا مِثْلُ قَوْلِهِ^(٤) : ﴿لَوْ تَزِيلُوا^(٥) لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ .
 وقوله تعالى^(٥) : ﴿ولولا رجالٌ مؤمنون ونساءٌ مؤمناتٌ لم تعلموهم أن تطؤوهم
 فَتُصِيبَكُم مِنْهُم مَعْرَةٌ بغيرِ عِلْمٍ لِيُدْخِلَ اللهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ : فلما هاجر المؤمنون
 نزلت^(٦) : ﴿وما لهم ألا يُعَذِّبَهُمُ اللهُ﴾ .
 وهذا من أَيْبِنِ ما يُظْهِرُ مكانته صلى اللهُ عليه وسلم ، وَدَرَأَ^(٧) به العذابَ عن
 أهل مكة بسبب كونه^(٨) ، ثم كَوْنِ أصحابه بعده [١٧] بين أظهرهم^(٩) ، فلما خَلَّتْ
 مكةُ منهم عَذَّبَهُمُ [اللهُ]^(١٠) بتسليطِ المؤمنين عليهم ، وغلبتهم إياهم ، وحاكَمَ فيهم
 سيوفهم ، وأورسهم أرضهم وديارهم وأموالهم .

(١) في ب : بصلاته .

(٢) سورة الأنفال ، آية ٣٣

(٣) سورة الفتح ، آية ٢٥

(٤) تزيلوا : تفرقوا . (المفردات) .

(٥) سورة الفتح ، آية ٢٥

(٦) سورة الأنفال ، آية ٣٤

(٧) درأ به : دفع به . وفي ب : درأته - بكسر الدال المهملة وسكون الراء وهمز وتاء ؛

وفسره القارى (١ - ١١٣) فقال : أى ومن أيبين ما يظهرها دفعه سبحانه العذاب .

(٨) بسبب كونه : بسبب وجوده .

(٩) بين أظهرهم ، أى يقيمون معهم .

(١٠) ليس في ب .

وفي الآية أيضا ^(١) تأويل آخر :

حدثنا القاضي الشهيد أبو علي رحمه الله بقراءتي عليه ، قال : حدثنا أبو الفضل ابن خَيْرُون ، وأبو الحسين الصَّيرَفِي ، قالَا : حدثنا أبو يَعْلَى ابن زَوْج الحُرَّة ، حدثنا أبو علي السَّنَجِي ، حدثنا محمد بن محبوب المَرْوَزِي ، حدثنا أبو عيسى ^(٢) الحافظ ، حدثنا سفيان بن وَكيع ، حدثنا ابن نُمَيْر ^(٣) ، عن إسماعيل بن إبراهيم بن مهاجر ، عن عباد بن يوسف ، عن أبي بَرْدَةَ بن أبي موسى ، عن أبيه ؛ قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : أنزل الله على أمانينِ لأمتي ^(٤) : ﴿ وما كان الله ليعذبهم وأنتَ فيهم وما كان الله مُعذبهم وهم يستغفرون ﴾ ^(٥) فإذا مضيتُ تركتُ فيهم الاستغفار ^(٦) . ونحوُّ منه قوله تعالى ^(٧) : ﴿ وما أرسلناك إلا رحمةً للعالمين ﴾ . وقال عليه السلام ^(٨) : أنا أمان لأصحابي . قيل : من البدع . وقيل : من الاختلاف والفتن .

(١) الآية هي : وما كان الله ليعذبهم . . . وقد سبقت .

(٢) هو الإمام الترمذي ، صاحب السنن .

(٣) ضبطت « نُمير » - ضبط قلم - بفتح النون وكسر الميم في ا ، والضبط الثابت في الحفاجي

والقاري .

(٤) سورة الأنفال ، آية ٣٣

(٥) أي أوحى الله بقرآن يدل على شيئين فيهما ما يدل على أن الله آمن أمتي من العذاب بهما . والحديث في سنن الترمذي : ٥ - ٢٧٠ ، وقال : هذا حديث غريب ، وإسماعيل بن مهاجر يضعف في الحديث .

(٦) فإذا مضيت : ارتحلت إلى الآخرة ؛ أي إذا مت بقي فيكم الأمان الآخر ، وهو الاستغفار . والاستغفار : هو الدعاء بالمغفرة . وقيل المراد به الصلاة . وقيل للإسلام .

(٧) سورة الأنبياء ، آية ١٠٧

(٨) قال القاري (١ - ١١٥) : أنا أمان لأصحابي ، وفي لفظ : أنا أمانة لأصحابي ،

وهو حديث صحيح رواه مسلم (١٩٦١) .

قال بعضهم : الرسولُ صلى الله عليه وسلم هو الأمانُ الأعظمُ ما عاشَ ، وما دامت سنتُهُ ^(١) باقيةً فهو باقٍ ، فإذا أميتت سنتُهُ فانتظرِ البلاءَ والفِتَنَ ^(٢) .
وقال الله تعالى ^(٣) : ﴿ إِنْ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴾ وملائكته يصلُّونَ على النبي ، يا أيُّها الذين آمنوا صلُّوا عليه وسلِّموا تسليماً .

أبانَ اللهُ تعالى فضلَ نبيِّه صلى الله عليه وسلم بصلواته عليه ، ثم بصلاةِ ملائِكَته ، وأمرَ عباده بالصلاة والتسليم عليه .

[وقد حكى أبو بكر بن فُورَك أن بعضَ العلماء تأوَّل قولَه عليه السلام : وجُعِلَت قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ عَلَى هَذَا ؛ أَي فِي صَلَاةِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيَّ وَمَلَائِكَتِهِ وَأَمْرِهِ الْأُمَّةَ بِذَلِكَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ] ^(٤) . والصلاةُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ [اسْتِغْفَارٌ] ^(٥) ، وَمَنَّا لَهُ دَعَاءٌ ، وَمِنَ اللَّهِ عِزٌّ وَجَلٌّ رَحْمَةٌ .

وقيل : يُصَلُّونَ : يُبَارَكُونَ ^(٦) .

وقد فرَّقَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم - حينَ عَلمَ الصَّلَاةَ عَلَيْهِ بَيْنَ لَفْظِ الصَّلَاةِ وَالْبَرَكَةِ .

وسنذكر حكم الصلاة عليه .

وذكر بعضُ المتكلمين ^(٧) في تفسير حروف « كهيمص » - أن الكافَ من

(١) سنته : طريقته التي شرعها .

(٢) أميتت : تركت ولم يعمل بها ، ولم يحرص الناس على تعلمها . والبلاء : المصائب ، كاطاعون ، والظلم . والفتن : محاربة الناس بعضهم بعضاً .

(٣) سورة الأحزاب ، آية ٥٦ (٤) ما بين القوسين كتب أمامه في هامش ١ : من

الأم بخطه رضى الله عنه ، وليس من الرواية . (٥) ليس في ب .

(٦) يباركون : يمطيه الله البركة ، والملائكة يطلبونها له . والبركة : النمو والخير الكثير .

(٧) بعض المتكلمين : يريد المفسرين .

« كَافٍ » ^(١) ، أى كفاية الله تعالى لنبيه ، قال تعالى ^(٢) : ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ ﴾ . والهاء هدايته له ، قال ^(٣) : ﴿ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴾ . والياء تأييده ، قال ^(٤) : ﴿ هُوَ الَّذِي أَيْدِكَ بِنَصْرِهِ ﴾ . والعين عصمته له ، قال ^(٥) : ﴿ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ . والصاد : صلواته عليه ؛ قال ^(٦) : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ﴾ . وقال تعالى ^(٧) : ﴿ وَإِنْ تَظَاهَرَا ^(٨) عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ ^(٩) وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ ، وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ ^(١٠) ﴾ ؛ مولاة أى وليه . وصالح المؤمنين : قيل : الأنبياء ^(١١) . وقيل ^(١٢) : الملائكة . وقيل ^(١٣) : أبو بكر ، وعمر . وقيل ^(١٤) : على . وقيل : المؤمنون على ظاهره ^(١٤) .

-
- (١) أى الكاف حرف من « كاف » الذى هو اسم لله تعالى : الكافي .
 (٢) سورة الزمر ، آية ٣٦ (٣) سورة الفتح ، آية ٢
 (٤) سورة الأنفال ، آية ٦٢ (٥) سورة المائدة ، آية ٦٧
 (٦) سورة الأحزاب ، آية ٥٦ ، وفى هذه الحروف أقوال آخر ؛ أحدها أنه من التشابه الذى لا يعلمه إلا الله . وقيل : إنها أسماء للسور (٧) سورة التحريم ، آية ٤
 (٨) تظاهرا عليه : تعاونا وتناصرنا . (٩) الولي ، والمولى : المعين والناصر .
 (١٠) ظهير : نصير ومعين . قال فى نسيم الرياض : وأفرد كلمة « ظهير » - لأنه جعل من ذكروا لاتفاقهم على ذلك - كالواحد ؛ أو لأن فعلا قد يقع للواحد وغيره .
 (١١) هذا لتفسير مروى عن قتادة .
 (١٢) رواه القرطبي عن أبي زيد .
 (١٣) رواه القرطبي والثعلبي عن عكرمة وابن جبير مرفوعا للنبي صلى الله عليه وسلم .
 (١٤) واختاره الإمام الرازى .
 قال فى نسيم الرياض : والآية دالة على ولاية الله له بنصره وتسخير القلوب له ، الذى هو من مقاصد هذا الفصل .

الفصل التاسع

فَمَا تَضَمَّنَتْهُ سُورَةُ «الْفَتْحِ» مِنْ كَرَامَاتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 قَالَ اللَّهُ تَعَالَى (١): ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا (٢). لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ
 ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَبُيِّنَ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا. وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا
 عَزِيزًا. هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزِدُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ، وَاللَّهُ
 جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا. لِيُدْخَلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ
 تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرُ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ، وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ
 فَوْزًا عَظِيمًا. وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّالِمِينَ بِاللَّهِ ظَنًّا
 السُّوءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السُّوءِ، وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا.
 وَاللَّهُ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا. إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا
 وَنَذِيرًا. لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا.
 إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ .

تَضَمَّنَتْ هَذِهِ الْآيَاتُ مِنْ فَضْلِهِ وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ وَكَرِيمِ مَنْزِلَتِهِ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى، وَنِعْمَتِهِ
 لَدَيْهِ - مَا يَقْصُرُ الْوَصْفُ عَنِ الْإِتِّهَاءِ (٣) إِلَيْهِ؛ فَابْتَدَأَ جَلَّ جَلَالُهُ - بِإِعْلَامِهِ بِمَا قَضَاهُ
 لَهُ مِنَ الْقَضَاءِ الْبَيِّنِ (٤) بِظُهُورِهِ، وَغَلَبَتِهِ عَلَى عَدُوِّهِ، وَعُلُوِّ كَلِمَتِهِ وَشَرِيعَتِهِ، وَأَنَّهُ مَغْفُورٌ لَهُ،
 غَيْرٌ مُؤَاخَذٌ بِمَا كَانَ وَمَا يَكُونُ (٥).

(١) سورة الفتح، الآيات : ١ - ١٠

(٢) من فسرهُ بفتح مكة اقتصر على المقصود، والمراد فتح مكة وما كان وسيلة له كقصة
 الحديبية. ومن فسرهُ بالحديبية سماه فتحاً لأنه وسيلة لما بعده من الفتح فأندرج غيره فيه
 بطريق الإشارة. (٣) الإتهاء إليه : أى بلوغه والوصول إلى نهايته.

(٤) القضاء البين : أى المقضى الظاهر الذى لا يشتهه.

(٥) أى إعلامه بأنه مغفور له بقوله : ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر.

قال بعضهم : أراد عُفْرَان ما وقع وما لم يَقَع^(١) ، أى إنك مغفور لك .
وقال مَكِّي : جعل اللهُ المِنَّةَ سبباً للمغفرة ، وكلُّ^(٢) مِنْ عنده ، لا إله غيره ،
[١٨] مِنَّةٌ بعد مِنَّةٍ ، وفضلاً بعد فَضْلٍ .

ثم قال : « وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ » : قيل : بخضوع مَنْ تكبرَ عليك^(٣) .
وقيل : بفتح مكة والطائف . وقيل : برفع ذِكْرِكَ في الدنيا وينصرك ويفررك ؛
فأعلمه بتمام نعمته عليه بخضوع متكبري عدوه له ، وفتح^(٤) أمم البلاد عليه وأجبا
له^(٥) ، ورفع ذكره ، وهدايته الصراط المستقيم المبلغ الجنة والسعادة ، ونصره النصر
العزیز^(٦) ، ومنته على أمته المؤمنين بالسكينة والطمأنينة التي جعلها في قلوبهم ، وبشارتهم
بما لهم بعد^(٧) ، وفوزهم العظيم^(٨) ، والعفو عنهم ، والستر^(٩) لذنوبهم ، وهلاك عدوه^(١٠)
في الدنيا والآخرة ، ولعنهم وبعدهم من رحمته ، وسوء منقلبهم^(١١) .

-
- (١) أى مما يصح أن يعاتب عليه ، كما في قوله تعالى : « لَمَلِكٌ بِأَخْعِ نَفْسِكَ عَلَى آثَارِهِمْ » .
و « عبس وتولى أن جاءه الأعمى » .
(٢) وكل : أى المنة والمغفرة حاصل من عنده تعالى . والمراد بالمنة الامتنان أو النعمة
التي هي الفتح ، أو قضاؤه ، ولما كان الفتح ناشئاً عن جهده وسعيه مع ما يرتب عليه من
الأمور العظيمة صار سبباً للمغفرة .
(٣) الخضوع : الانقياد . وفي أ : لك ، وغلبها علامة الصحة .
(٤) في ب : بفتح . (٥) وهى مكة .
(٦) النصر العزیز : العز لصاحبه ، أو العزیز : قليل النظير .
(٧) بعد : أى بعد ذلك ، أو بعد الحياة الدنيا من النعم الحالد في الجنة .
(٨) الفوز : النجاة والظفر بالخير . وذلك في قوله تعالى : « وكان ذلك عند الله فوزاً
عظيماً » . (٩) في قوله تعالى : « ويكفر عنهم سيئاتهم » .
(١٠) بقوله تعالى : « ويمدب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات الظانين بالله ظن
السوء عليهم دائرة السوء » .
(١١) بقوله تعالى : « وغضب الله عليهم ولعنهم وأعد لهم جهنم وساءت مصيراً » .

ثم قال: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا. لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ .
 فعدَّ محاسنه وخصائصه^(١)؛ من شهادته على أمته لنفسه، بتبليغه الرسالة لهم .
 وقيل : شاهدًا لهم بالتوحيد ، ومُبَشِّرًا لأُمَّته بالثواب . وقيل : بالمغفرة .
 ومنذِرًا عدوّه بالمذاب .

وقيل : مُحَذِّرًا من الضلالات لِوَأَمِّنَ بِاللَّهِ ، ثم به صلى الله عليه وسلم مَنْ سبقت له من الله الحسنَى .

ويعزِّزوه ؛ أى يُجِلُّونه . وقيل : ينصرونه . وقيل : يبالفون . فى تعظيمه .
 ويوقِّروه ؛ أى يعظموه .

وقرأه بعضهم : تُعزِّزوه - بزاهين : من العزِّ ، والأكثر والأظهر^(٢) أن هذا فى حقِّ محمد صلى الله عليه وسلم ؛ ثم قال : « وَتُسَبِّحُوهُ » ؛ فهذا راجعٌ إلى الله تعالى .
 قال ابن عطاء : جُمع للنبي صلى الله عليه وسلم فى هذه السورة نِعَمٌ مختلفةٌ ؛ من الفتح المبين ، وهو من أعلام^(٣) الإجابة . والمغفرة^(٤) ، وهى من أعلام المحبة ، وتمام النعمة ، وهى من أعلام^(٥) الاختصاص . والهداية ، وهى من أعلام الولاية^(٦) ، فالمغفرة تبرئةٌ من العيوب ، وتمام النعمة إبلاغُ الدرجة الكاملة ، والهداية وهى الدعوة إلى المشاهدة .

(١) خصائصه : فضائله .

(٢) يعنى أنهم اختلفوا فى هذه الضمائر : هل كلها لله ، أو للرسول ، أو بعضها لله وبعضها للرسول . واختار المؤلف أن يكون الضمير فى « يعزروه » ، و « يوقروه » - للرسول .

(٣) أعلام : جمع علم ؛ وهو الأمانة والدليل . الإجابة : أى إجابة دعائه صلى الله عليه وسلم .

(٤) ضبط هذه الكلمة وما بعدها بما عطف عليها فى ا ، ب .

(٥) أى دليل على أنه تعالى جعله من خواص أنبيائه لإنعامه عليه بما لم ينله غيره .

(٦) أى إن الله تعالى تولى أموره ؛ إذ هداه إلى الطريق الموصل إلى قربته .

وقال جعفر بن محمد : من تمام نعمته عليه أن جعله حَبِيبَهُ ^(١) ، وأقسم بحياته ^(٢) ، ونسخ به شرائع غيره ، وعرج ^(٣) به إلى المَحَلِّ الأعلى ، وحفظه في المعراج حتى مازاغ البَصْرُ وما طغى ، وبعثه إلى الأحمر والأسود ^(٤) ، وأحلَّ له ولأمته الغنائم ، وجعله شَفِيعاً مُشَفَّعاً ، وسيِّدَ وَاِدِّ آدَمَ ، وقَرَنَ ذِكْرَهُ بِذِكْرِهِ ^(٥) ، ورضاه برضاه ^(٦) ، وجعله أحدَ رُكْنِي التوحيد .

ثم قال ^(٧) : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ﴾ - يعني بيعة الرضوان ^(٨) ؛ أى إنما يبايعون الله ببيعتهم إياك .

﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ : يريد عند البيعة . قيل : قوة الله ^(٩) ، وقيل : قوابله ^(١٠) . وقيل ^(١١) : منته . وقيل ^(١٢) : عقده ، وهذه استعارة ، وتجنيس ^(١٣) في الكلام ، وتأكيده لعقد بيعتهم إياه . وعِظَمَ شَأْنِ الْمُبَايَعِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

(١) أى اصطفاه . وخصه وأكرمه إكرام المحب لحبيبه حتى لقب بالحبيب ، كما ورد عنه صلى الله عليه وسلم : أنا حبيب الله ولا خسر . (سنن الترمذى : ٥ - ٥٨٨) .

(٢) وأقسم بحياته فى قوله تعالى : ﴿لِلمرك﴾ - على أحد الأقوال .

(٣) عرج : صعد . (٤) الأحمر والأسود : جميع الخلق .

(٥) قرن ذكره بذكره : فى التشهد والأذان ، وفى مواضع فى القرآن .

(٦) فى مثل قوله تعالى : ﴿والله ورسوله أحق أن يرضوه﴾ . (٧) سورة الفتح ، آية ١٠ .

(٨) بيعة الرضوان كانت بالحديبية ، وسميت بيعة الرضوان لقوله تعالى : ﴿ لقد رضى الله

عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة ﴾ . والمبايعة كانت على ألا يفروا ؛ أو على الموت ؛ أو

على السمع والطاعة فى النشاط والكسل ، وعلى النفقة فى العسر واليسر ، والأمر بالمعروف والنهى

عن المنكر . . . (٩) أى قوة الله وقدرته فى نصر رسوله فوق قواهم .

(١٠) أى ثواب الله لرسوله فوق ثوابهم فى مبايعتهم والوفاء بهمدهم .

(١١) منته : أى نعمته عليهم ببيعتهم مما منحوه من العز فى الدنيا والثواب فى الآخرة فوق

منتهم عليك ، بمبايعتهم وبذل أنفسهم وأموالهم .

(١٢) يعنى أن الله تعالى أوجد هذه البيعة وتممها .

(١٣) تجنيس فى الكلام : تفنن فى المبارات الإيمانية .

وقد يكون من^(١) هذا قوله تعالى^(٢) : ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ ،
 وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى ﴾^(٣) ؛ وإن كان الأول في باب المجاز^(٤) ،
 وهذا^(٥) في باب الحقيقة ، لأن القاتل والرامي بالحقيقة هو الله ، وهو خالقُ نِعْلِهِ وَرَمِيهِ ،
 وَقُدْرَتِهِ عَلَيْهِ وَمُسَبِّبُهُ^(٦) ، ولأنه ليس في قدرة البشر توصيلُ تلك الرمية حيثُ
 وصلتُ ، حتى لم يَبْقَ منهم مَنْ لم تَمَلَأْ عَيْنِيهِ^(٧) ، وكذلك قَتَلَ الْمَلَائِكَةَ لَهُمْ حَقِيقَةً^(٨) .
 وقد قيل في هذه الآية الأخرى إنها على المجاز العربي^(٩) ، ومتابله اللفظ
 ومناسبتُه ؛ أى ما قتلتموهم ، وما رَمَيْتَهُمْ أَنْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَجُوهَهُمْ بِالْحَصْبَاءِ
 وَالتَّرَابِ ، وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى قُلُوبَهُمْ بِالْجَزَعِ^(١٠) ، أى إن [١٩] منفعَةَ الرَّمَى كَانَتْ مِنْ
 فِعْلِ اللَّهِ ؛ فَهُوَ الْقَاتِلُ وَالرَّامِي بِالْمَعْنَى وَأَنْتَ بِالْأَسْمِ .

(١) من هذا ؛ أى من قبيل جعل فعل العبد عين فعل الله .

(٢) سورة الأنفال ، آية ١٧

(٣) أى لم تقتلوا قريشا إذ سلطكم الله عليهم ونصركم ، ولكن الله قتلهم ؛ إذ هو الخالق
 لهذا الفعل فيكم وإن كنتم مباشرين له .

وهذه الآية نزلت في بدر ، أو في حنين (الشهاب : ١ - ٣٥٤) .

(٤) الأول : يد الله فوق أيديهم .

(٥) وهذا : أى القتل والرمى .

(٦) ضبظت الباء في ب بشدة مفتوحة .

(٧) أى من لم تملأ الرمية عينيه من التراب .

(٨) وكذلك قتل الملائكة ؛ أى هو مثل إسناد القتل إلى الأفراد البشرية ، وقدرة
 الملائكة مثل القوى البشرية في الاحتياج إلى القوة الإلهية ، والمخلوقات بأسرها متساوية في
 رتبة العبودية .

(٩) المجاز العربي : يريد المجاز اللغوي في الاصطلاح العربي ، وهو استعمال اللفظ في

غير ما وضع له لملاقة بين المعنى المجازى والحقيقى . والملاقة هنا السببية (القارى : ١ - ١٢٩) .

(١٠) الجزع : الرعب والفرع .

الفصل العاشر

فما أظهره الله تعالى في كتابه العزيز من كرامته عليه ومكانته عنده ،
وما خصّه الله به من ذلك سوى ما انتظم^(١) فيما ذكرناه قبل

من ذلك ما قصّه تعالى في قصة الإسراء في سورة : سبحان ، والنجم ؛ وما انطوت
عليه القصة من عظيم منزلته وقربه ومشاهدته ما شاهد من العجائب .

ومن ذلك عصمته من الناس بقوله تعالى^(٢) : ﴿ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ .
وقوله تعالى^(٣) ؛ ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ
وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ ، وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾ .

وقوله^(٤) : ﴿ إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيًا أَنِينِ إِذْ
هَمَّ فِي النَّارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ
بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا ، وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ
حَكِيمٌ ﴾ . وما رفع الله به عنه في هذه القصة من أذاهم بمد تحزبهم^(٥) لهملكه
وخلصهم نجياً في أمره^(٦) ، والأخذ على أبصارهم^(٧) عند خروجه عليهم ، وذوولهم

(١) أى غير ما دخل فيما قبله من الفصول . (٢) سورة المائدة ، آية ٦٧

(٣) سورة الأنفال ، آية ٣٠

(٤) سورة التوبة ، آية ٤٠ ، وقوله : إلا تنصروه ؛ أى إن لم تنصروه وتخرجوا معه إلى
غزوة تبوك فسينصروه من نصره عند قلة أوليائه وكثرة أعدائه ، إذ أخرجه الذين كفروا وليس
معه إلا أبو بكر ، وهذا كان لما بايع الأنصار النبي بالمعقة ، وأمر أصحابه بالذهاب إلى المدينة ،
وأشفقت قريش من ظهور النبي ، فاجتمعوا بدار الندوة للمشاورة في أمره ثم هجرته
إلى المدينة ونجاته من مكرم . (٥) تحزبهم : تجمعهم في مشاورتهم مع أحزابهم .

(٦) وخلصهم ؛ أى بمد إخلاصهم في أذيته منفردين في دار الندوة للمشاورة في أمره

متاجين في ذلك .

(٧) أخذ الله على أبصارهم : منعها من رؤية النبي مع ترقبهم له لما خرج من داره مارا عليهم .

عن طلبه في النار، وما ظهر في ذلك من الآيات^(١)، ونزول السكينة عليه، وقصة سُرّاقَة بن^(٢) مالك حسب ما ذكره أهل الحديث والسِّير في قصة النار، وحديث الهجرة.

ومنه قوله تعالى^(٣): ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ . فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ . إِنَّ شَانِثَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴾ .

أعلمه الله تعالى بما أعطاه . والكوثرُ حَوْضُهُ . وقيل : نهر في الجنة^(٤) . وقيل : الخير الكثير . وقيل : الشفاعة . وقيل : المعجزات الكثيرة . وقيل : النبوة . وقيل : المعرفة . ثم أجاب عنه عدوه ، وردّ عليه قوله^(٥) ، فقال تعالى : ﴿ إِنَّ شَانِثَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴾ ؛ أي عدوك ومُبغضك . والأبتر : الخفير الذليل ، أو المفرد الوحيد ، أو الذي لا خير فيه . وقال تعالى^(٦) : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمُنَافِي (٧) وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴾ .

قيل : السبع المنافي السور الطوال الأولى . والقرآن العظيم : أم القرآن^(٨) . وقيل^(٩) : السبع المنافي : أم القرآن^(١٠) . والقرآن العظيم : سائر^(١١) . وقيل : السبع

-
- (١) من الآيات الدالة على نبوته كمنسج المنكبوت وتمشيش الحمام وبيضه . . .
 - (٢) كان سراقَة يتبع النبي بعد خروجه ، لينال مكافأة جعلتها قريش لمن يأتي به .
 - (٣) سورة الكوثر . والأبتر : مقطوع الخير والبركة .
 - (٤) في نسيم الرياض : وهو الصحيح .
 - (٥) رد عليه قول عدوه : إنه منقطع العقب والذكر بوجه يتضمن شتمه وتنقيصه . . .
 - (٦) سورة الحجر : آية ٨٧
 - (٧) المنافي : جمع منى . وقال القاري : السبع المنافي : السور الطوال . وهو منقول عن ابن عباس ، وابن عمر ، وابن مسعود .
 - (٨) أم القرآن : هي الفاتحة . وهذا التفسير مروى عن ابن عباس .
 - (٩) في نسيم الرياض : وعليه أكثر الصحابة والتابعين ؛ وهو قول جمهور المفسرين .
 - (١٠) في القاري (١ - ١٣٦) : وهو ما يقتضيه حديث البخاري : أم القرآن هي السبع المنافي (صحيح البخاري : ٦ - ١٠٢) .
 - (١١) سائر^(١١) : باقيه بعد الفاتحة .

الثاني : مافي القرآن ، من أمر ، ونهى ، وبُشْرَى ، وإِنْذَار ، وَضَرْبٍ مِثْلٍ ، وإِعْدَادٍ نِعَمٍ ^(١) ، وَآتِنَاكَ نَبَأَ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ ^(٢) .

وقيل : سميت أمّ القرآن مَثَانِي لأنها تُثَنَّى في كل ركعة . وقيل : بل الله تعالى استثناهما لمحمد صلى الله عليه وسلم ، وَذَخَّرَهَا لَهُ دُونَ الْأَنْبِيَاءِ ^(٣) .
وُسِّمِيَ الْقُرْآنُ مَثَانِي ؛ لِأَنَّ الْقِصَصَ تُثَنَّى فِيهِ ^(٤) .

وقيل : السبع الثاني : أكرمناك بِسَبْعِ كَرَامَاتٍ ^(٥) : الهدى ، والنبوة ، والرحمة ، والشفاعة ، والولاية ، والتعظيم ، والسكينة .

وقال ^(٦) : ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ .

وقال ^(٧) : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ^(٨) ﴾ .

وقال تعالى ^(٩) . ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ

السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ ، فَأَمِّنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ

الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ .

قال القاضي ^(١٠) : فهذه ^(١١) من خصائصه .

(١) وإعداد نعم : تعداد نعم كثيرة .

(٢) أى أعطيناك علم ما اشتمل عليه من قصص ومواعظ .

(٣) فالثاني من الاستثناء المعروف ، واستثناهما : ميزها وخصها من بين الآيات . والمراد أنه اختارها ، أو حفظها ، ولم يبذلها لغيره من الرسل ، ولم يدخرها وبمطها غيره لتمييزه من بينهم .

(٤) ثنّى : تكرر .

(٥) وهذا مروى عن الإمام جعفر الصادق .

(٦) سورة النحل ، آية ٤٤ (٧) سورة سبأ ، آية ٢٨ (٨) كافة : جميعا .

(٩) سورة الأعراف ، آية ١٥٨

(١٠) هو المؤلف .

(١١) فهذه : أى البعثة العامة لم يشارك فيها غيره من الرسل .

وقال تعالى ^(١) : ﴿ وما أرسلنا من رَسولٍ إلا بلسان ^(٢) قومِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾ ؛
نَحَصَّهُمْ بِقَوْمِهِمْ ، وبعث محمداً صلى الله عليه وسلم إلى الخلق كافة ، كما قال عليه السلام :
مُبَيِّنْتُ إِلَى الْأَحْمَرِ وَالْأَسْوَدِ ^(٣) .

وقال تعالى ^(٤) : ﴿ النبيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ^(٥) وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ ﴾ .
قال أهلُ التفسير : أولى بالمؤمنين من أنفسهم : أى ما أنفذه فيهم من أمر فهو ماضٍ
عليهم كما يَمْضِي حُكْمُ السَّيِّدِ عَلَى عِبْدِهِ .

وقيل ^(٦) : اتباعُ أمره أَوْلَىٰ مِنْ اتِّبَاعِ رَأْيِ النَّفْسِ .

وأزواجه أمهاتهم ؛ أى هنَّ في ^(٧) الْحُرْمَةِ كَالْأُمَّهَاتِ ؛ حَرَّمَ نِكَاحَهُنَّ عَلَيْهِمْ
بعده ؛ تَكْرِمَةً ^(٨) لَهُ وَخُصُوصِيَّةً ، ولأنهنَّ له أزواجٌ في الآخرة .

(١) سورة إبراهيم ، آية ٤

(٢) أى إلى العرب وغيرهم ، أو الإنس والجن - كما تقدم . والحديث في صحيح مسلم : ٣٧١

(٣) سورة الأحزاب ، آية ٦

(٤) يعنى أنه - صلى الله عليه وسلم - مقدم عند كل أحد على نفسه .

(٥) وهذا التفسير مروى عن ابن عباس ؛ فالأولى هنا بمعنى أولية اتباعه . وقيل : أولية

محبه . وقيل : معناه أرف وأعطف . قال في نسيم الرياض (١ - ٣٧٢) : والأحسن ما فى

الكشاف من أنه - صلى الله عليه وسلم - أولى بهم فى جميع أمور الدين والدنيا من غيره ؛

فإنه سبب حياتهم الأبدية . وفى البخارى أنه - صلى الله عليه وسلم - قال : ما من مؤمن

إلا وأنا أولى الناس به فى الدنيا والآخرة ؛ اقرءوا إن شئتم : النبى أولى بالمؤمنين . . .

فإنما مؤمن ترك مالا فليرثه عصبته من كانوا ، فإن ترك ديناً أو ضياعاً فليأتني وأنا مولاه

(صحيح البخارى : ٦ - ١٤٥) .

قال القرطبي : هذا تفسير الولاية .

(٧) فى ب : من .

(٨) هذا فى ب . وفى هامشه : مكربة . وفى ا : كتب فوقها «معا» ؛ أى هى تكربة ،

ومكربة .

وقد قرىء^(١) : وهو أبٌ لهم . ولا يُقرأ^(١) به الآن [٢٠] لخالفته المصحف .
وقال الله تعالى^(٢) : ﴿ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ^(٣) ، وَعَلَّمَكَ
مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ ، وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾ .
قيل : فَضْلُهُ الْعَظِيمُ بِالنَّبُوَّةِ ^(٤) . وقيل : بما سبق له في الأزل ^(٥) . وأشار الواسطي
إلى أنها إشارةٌ إلى احتمال الرؤية التي لم يحتملها موسى ، صلى الله عليهما ^(٦) .

(١) فهي قراءة شاذة .

(٢) سورة النساء ، آية ١١٣

(٣) الكتاب : القرآن . والحكمة : الشريعة والسنة .

(٤) فضله العظيم : أى في هذه الآية بالنبوة ؛ فإنها أعظم النعم .

(٥) الأزل : القدم ، والوجود الذي لا أول له .

(٦) هذا في ا ، ب .

الباب الثاني

في تكميل الله تعالى له المحاسن خلقا وخلقا، وقرآنه^(١)
جميع الفضائل الدينية والديوية فيه نسقا^(٢)

اعلم أيها المحب لهذا النبي الكريم صلى الله عليه وسلم، الباحث عن تفاصيل مجمل
قَدْرِهِ العظيم - أن خصال الجلال والكمال^(٣) في البشر نوعان : ضروري دُنْيَوِي^(٤)
اقتضته الجبلة^(٥) وضرورة الحياة الدنيا ؛ ومكتسب دِينِي ؛ وهو ما يُحمد فاعله ،
ويقرَّب إلى الله تعالى زُلفِي .

ثم هي على قَتْنَيْنِ^(٦) أيضا : منها ما يتخلص لأحد الوصفين^(٧) . ومنها ما يمازج
ويتداخل .

فأما الضروري المَحْضُ^(٨) فما ليس للمرء فيه اختيار ولا اكتساب ، مثل ما كان
في جبيلته من كمال خالقه ، وجمال صورته ، وقوة عقله ، وصحة فهمه ، وفصاحة لسانه ،
وقوة حواسه وأعضائه ، واعتدال حركاته ، وشرف نسبه^(٩) ، وعزّة قومه ، وكرم^(١٠)
أرضه ؛ ويلحق به^(١١) ما تدعوه ضرورة حياته إليه ، من غذائه ونومه ، وملبسه
ومسكنه ، ومنكحه ، وماله وجاهه .

(١) قرآنه : جمعه . (٢) نسقا : أي جميع الفضائل فيه متناسبة منتظمة .

(٣) الجلال : العظمة . والكمال : التمام .

(٤) دُنْيَوِي : لا يتعلق به ثواب ؛ أو بما لا بد منه فيها .

(٥) اقتضته الجبلة : دعت إليه . والجبلة : ما جبله الله عليه وخلقه . وفي هامش ب :

جبلة - بالتشديد والتخفيف . (٦) ثم هي ؛ أي خصال الجلال والكمال على ضربين .

(٧) لأحد الوصفين : أي الضرورة والمكتسب المفهومين من التقسيم السابق .

(٨) المحض : الخالص . (٩) شرف نسبه : أي شرفه الحاصل له بسبب نسبه .

(١٠) وكرم أرضه : التي هي موطنه ومولده : مكة .

(١١) يلحق به ؛ أي بالضروري .

وقد تلحق هذه الخصال الآخرة^(١) بالأخرى إذا قصد بها التقوى ومَعُونَةُ
البدن على سلوك طريقها^(٢) ، وكانت على حدود^(٣) الضرورة وقوانين الشريعة^(٤) .

وأما المكتسبة الأخرى فمئات الأخلاق العلية^(٥) ، والآداب الشرعية : من
الدين والعلم^(٦) ، والحلم، والصبر، والشكر، والعدل، والزهد، والتواضع، والعفو،
والعفة، والجود، والشجاعة، والحياء، والروءة، والصمت، والتؤدة^(٧) ، والوقار
والرحمة، وحسن الأدب والمعاشرة^(٨) ، وأخواتها، وهي التي جماعها^(٩) حسن
الخلق.

وقد يكون من هذه الأخلاق ما هو في الفريضة^(١٠) وأصل الجيلة لبعض الناس .
وبعضهم لا تكون فيه ، فيكتسبها ، ولكنه لا بد أن يكون فيه من أصولها
في أصل الجيلة شعبة^(١١) كما سنبيته إن شاء الله .

(١) في ب : الأخيرة . (٢) سلوك طريقها ؛ أي طريق الآخرة .

(٣) معنى كونها على حدودها أن يأخذ منها بمقدار حاجته من غير زيادة وإسراف
ونقص وتفریط .

(٤) المعنى أن يكون ما يفعله من هذه الأمور على وفق الشريعة المطهرة ؛ فإنه إن لم يكن
كذلك لاتفنعه نية التقرب إلى الله تعالى ؛ وذلك كمن يأكل حراما ويلبس منصوبا ، ليعبد
به ، أو يتصدق بمال حرام . (٥) العلية : الشريفة المحمودة .

(٦) والعلم : أي العلم بماله وما عليه ، بما به نظام معاشه ومعهده .

(٧) والصمت : المراد ترك الكلام فيما لا ينبغي وترك الفضول . والتؤدة : التأني وترك
المجلة .

(٨) والمعاشرة : أي حسن المعاشرة والاختلاط مع الناس ، وترك التحجب وهجر
الإخوان بغير داع .

(٩) التي جماعها : التي يشملها ويجمعها .

(١٠) الفريضة : الطبيعية ، والجيلة . والمراد تكون في بعض الناس من غير تعلم من أحد .

(١١) شعبة : حصة . وأصل معناه الفرقة والقطعة .

وتكون هذه الأخلاق دُنْيوية إذا لم يُرَدِّدْ بها وجهُ الله والدارُ الآخرة؛ ولكنها كلها محاسنٌ وفضائلٌ باتِّفاق أصحابِ العقول السليمة، وإن اختلفوا في موجب^(١) حُسْنِها وتفضيلها.

فصل

إذا^(٢) كانت خصالُ الكمال والجمال ما ذكرناه، ووجدنا الواحدَ منا يَشْرُفُ بواحدةٍ منها أو باثنتين إن اتفقت^(٣) له - في كلِّ عصرٍ، إمَّا من نَسَبٍ أو جمالٍ، أو قوةٍ، أو عِلْمٍ، أو حِلْمٍ، أو شجاعةٍ، أو سماحةٍ، حتى يعظمَ قَدْرَهُ، ويُشْرَبَ باسمه الأمثال، ويتقرَّرَ له بالوصفِ بذلك في القلوبِ إِيْرَةٌ^(٤) وعظمة، وهو منذ عصورِ خَوَالِ رِمَمٍ بَوَالٍ^(٥)، فما ظنُّك بعظيمِ قَدْرِ من اجتمعت فيه كلُّ هذه الخصالِ إلى حالٍ يأخذُه^(٦) عَدَتْ، ولا يعبرُ عنه مَقَالٌ، ولا يُنالُ بكسْبٍ ولا حيلةٍ إلا بتخصيصِ الكبير المتعال^(٧)، مِنْ فضيلةٍ^(٨) النبوة والرسالة، والخلَّةِ^(٩) والمحبة، والاصطفاءِ^(١٠).

-
- (١) موجب : سبب . وقد ضبطت في ابفتح الجيم . وفي ب بكسرها . وقال الشهاب :
ببكر الجيم لا بفتحها ، وكذلك قال القارى .
- (٢) هذا الفصل معقود لحصال محمودة مخصوصة به صلى الله عليه وسلم ، مقتبسة من الكتاب والسنة . (٣) اتفقت له : حصلت له طى وجه يشرف به بغير كسب .
- (٤) أئمة - بضم الهمزة وفتحها وكسرها ، وسكون المثناة وفتحها ؛ والمأثرة والسكرمة من تلك الخصال التى وصف وانفرد واستأثر بها عن غيره .
- (٥) رمم بوال : الرمم جمع رمة ، أو رميم ؛ وهى العظام وأجزاء البدن البالية . بوال : جمع بالية .
- (٦) ما لا يأخذُه عد : لا يحيط به . والراد : لا يمد لكثرة .
- (٧) أى ينال بأن يخص الله به من يشاء . (٨) هذا بيان لقوله : ما لا يأخذُه عد .
- (٩) الخلة : الخاللة والصدقة .

(١٠) إشارة إلى ما ورد في الحديث: إن الله اصطفى من ولد آدم إبراهيم وإسماعيل، واصطفى من ولد إسماعيل بنى كنانة، واصطفى من بنى كنانة قريشا، واصطفى من قريش بنى هاشم، واصطفانى من بنى هاشم . والحديث في صحيح مسلم : ١٧٨٢

والإسراء، والرؤية^(١)، والتزب والدفن، والوحي، والشفاعة والوسيلة، والفضيلة والدرجة الرفيعة، والنتقام^(٢) المحمود، والبُرَاق والمعراج، والبعث إلى الأحر والأسود^(٣)، والصلاة بالأنبياء^(٤)، والشهادة بين الأنبياء والأمم، وسيادة ولدِ آدم [٢١]، ولواء الحمد، والبشارة، والندارة^(٥) والمكانة عند ذى العرش والطاعة لله^(٦)، والأمانة والهداية ورحمة العالمين. وإعطاء الرضا والسؤل^(٧)، واللكوثر، وسماع القول^(٨)، وإتمام النعمة والنفوس عما تقدم وتأخر، وشرح الصدر، ووضع الوزر، ورفع الذكر وعزة النصر، ونزول السكينة، والتأييد بالملائكة، وإيتاء الكتاب والحكمة والسمع الثماني والقرآن العظيم، وتزكية^(٩) الأمة والدعاء إلى الله، وصلاة الله تعالى والملائكة، والحكم بين الناس بما أراه الله، ووضع^(١٠) الإصر والأغلال عنهم، والقسم باسمه، وإجابة دعوته، وتكليم الجمادات والمعجم^(١١)، وإحياء الموتى، وإسماع الصم، ونبع الماء من بين أصابعه، وتكثير القليل، وانشقاق القمر، وردّ

(١) الرؤية : رؤية ربه . أو رؤية آياته الكبرى . أو رؤيته جبريل في صورته الأصلية .
(٢) والمقام المحمود : هو مقام يقوم فيه النبي للشفاعة العظمى ، فيحمده فيه الأولون والآخرون .
(٣) أى عموم رسالته .

(٤) إمامته لهم حين اجتمع بهم في المسجد الأقصى حين أسرى به .

(٥) أى كونه بشيرا ونذيرا . (٦) ثم : هناك . (٧) السؤل : كل مسؤل .

(٨) سماع القول : أى سماع الله لقوله صلى الله عليه وسلم وقبوله الوارد في حديث الشفاعة

الطويل ، بقوله : قل يسمع لك . وسل تعط . وحديث الشفاعة سيأتي في بابها .

(٩) إشارة إلى الآية الكريمة : يتلو عليهم آياته ويزكيهم . . .

(١٠) وضع الإصر : أى ثقل التكليف التي كانت في الأمم السابقة .

(١١) تكليم الجمادات كما ورد في الحديث : إني لأعرف حجرا بمكة كان يسلم على (صحیح

مسلم : ١٧٨٢) : قيل : هو الحجر الأسود . وقيل غيره . والمعجم : المراد به الحيوان القدي

ليس من شأنه النطق .

الشمس ، وقلب الأعيان^(١) ، والنصر بالرعب^(٢) ، والاطلاع على الغيب ، وظل الغمام^(٣) ، وتسبيح الحصا ، وإبراء الآلام^(٤) ، والعصمة من الناس ، إلى ما لا يحويه مُحْتَفِل^(٥) ، ولا يحيط بعلمه إلا ما نَحَهُ ذلك ومفضله به^(٦) ، لا إله غيره ، إلى ما أَعَدَّ له في الدار الآخرة من منازل الكرامة ، ودرجات القدس^(٧) ، ومراتب السعادة والحسنى والزيادة التي تَقِفُ دونها العقول ويحار دون أدانيها الوهم^(٨) .

فصل

إن قلت - أكرمك الله : لا خفاء على القَطْع بالجملة^(٩) أنه صلى الله عليه وسلم أعلى الناس قَدْرًا ، وأَعْظَمَهُمْ مَحَلًّا ، وأَكْمَلَهُمْ مَحَاسِنَ وَفَضْلًا ، وقد ذهبت في تفاصيل خِصَالِ الكَمَالِ مذهبًا جميلًا شَوْقِي إلى أن أَقِفَ عليها من أوصافه صلى الله عليه وسلم تفصيلًا . . . فاعلم - نوَرَ اللهُ قَلْبِي وَقَائِكَ ، وضاعف في هذا النبي الكريم حُبِّي وَحَبِّكَ - أنك إذا نظرت إلى خِصَالِ الكَمَالِ التي هي غَيْرُ مُكْتَسِبَةٍ وفي جِبِلَّةِ الخَلْقَةِ

(١) الأعيان : جمع عين ، وهي ذات الشيء نفسه . (٢) الرعب : الخوف .

(٣) ظل الغمام : تظليلها له عليه السلام لئلا يؤذيه حر الشمس .

(٤) الآلام : جمع ألم ؛ وهو الوجع . والمراد ما يعم الأمراض والأوجاع .

(٥) يحويه : يشمله ويجمعه فيحتوى عليه . والمعنى أن من اهتم بجمع هذه الصفات وأمثالها

لا يمكنه الإحاطة بها .

(٦) وهو الله تعالى .

(٧) القدس : أصل معناه الطهر . وقد ضبط في ، ب بالسكون . وقال القاري (١-١٤٩) :

القدس - بضم وبضمتين ؛ أى المنزهة عن النقصان والزوال في الجنة .

(٨) الأدانى : جمع أدنى ، بمعنى أسفل ، أو أقرب ، أو أنزل ؛ أى لا يدرك العقل سافلها

فضلا عن عاليها ، ولا يصل لما يقرب منها فضلا عما يبعد عنها . وفي هامش ب : خ : الفهم .

(٩) على القَطْع : على سبيل القَطْع . والجملة بمعنى الإجمال ، ضد التفصيل . والمراد أن هذه

المجمل قطعى .

وَجَدْتَهُ حَائِزًا لْجَمِيعِهَا ، مُحِيطًا بِشَتَاتٍ^(١) مَحَاسِنِهَا دُونَ خِلَافٍ بَيْنَ نَقَلَةِ الْأَخْبَارِ لِذَلِكَ ؛ بَلْ قَدْ بَلَغَ بَعْضُهَا مَبْلَغَ الْقَطْعِ^(٢) .

أَمَّا الصُّورَةُ وَجَمَالُهَا ، وَتَنَاسُبُ أَعْضَائِهِ فِي حُسْنِهَا ، فَقَدْ جَاءَتْ الْآثَارُ الصَّحِيحَةُ وَالْمَشهُورَةُ الْكَثِيرَةُ بِذَلِكَ ، مِنْ حَدِيثِ عَلِيٍّ ، وَأَنْسُ بْنُ مَالِكٍ ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ ، وَالْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ ، وَعَائِشَةَ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ ، وَابْنَ أَبِي هَالَةَ ، وَأَبِي جُحَيْفَةَ ، وَجَابِرَ ابْنَ سَمْرَةَ ، وَأُمَّ مَعْبَدٍ ، وَابْنَ عَبَّاسٍ ، وَمَعْرُضَ بْنَ مَعْتِقِيبٍ^(٣) ، وَأَبِي الطُّفَيْلِ ، وَالْعَدَاءِ بْنَ خَالِدٍ ، وَخُرَيْمَ^(٤) بْنَ فَاثِكٍ ، وَحَكِيمَ بْنَ حِرْزَامٍ ، وَغَيْرِهِمْ ، مِنْ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ أَزْهَرَ اللَّوْنِ^(٥) ، أَدْعَجَ ، أَنْجَلَ ، أَشْكَلَ^(٦) ، أَهْدَبَ الْأَشْفَارَ^(٧) ، أَبْلَجَ ، أَزَجَ ، أَقْنَى^(٨) ، أَفْلَجَ^(٩) ، مَدُورَ الْوَجْهِ ، وَاسِعَ الْجَبِينِ ،

(١) شتات محاسنها : المتفرق من محاسنها .

(٢) مبلغ القطع : القطع : الجزم ؛ وذلك لتواتره وكثرة روايته المؤدية إلى الجزم .

(٣) في ب : ومعرض - وضبطه بكسر الميم وسكون الميم وفتح الراء - وفي هامشه : خ : ومعرض - وضبطه كما أثبتنا . وفي ا : ومعرض - وضبطه بفتح الميم وسكون الميم وفتح الراء ، وتحتها « من الام » . وفي الهامش : ومعرض - وضبطه كما أثبتناه وعليها صح . وقال القارى : وقال التسانى : معرض - بكسر الميم وفتح الراء ، وهو مخالف للأصول المصححة ، وللحواشى المصححة . (٤) في ا ، ب : خريم ، وفي هامش ا ، ب : صح بالراء .

(٥) أزهر اللون : قيل نير . وقيل حسن . وقيل أبيض . أو أبيض مشرب بحمرة . وفي الصحيح : عن أنس ، لم يكن بالأبيض الأمهق ؛ أى الخالص البياض كاون الجير فإنه غير محمود . وفي الثمائل للترمذى : فسر الأزهر بالأبيض النير للشرق . وفي نسيم الرياض (١ - ٤٠٧) : والحق أنه كان أبيض مشرباً بحمرة ، وهو أحسن الألوان .

(٦) أدعج : شدة سواد العين مع سمها . وقيل سواد السواد وبياض البياض . أنجل أشكل : النجلة : سعة شق العين . وحسنا . والشكلة : حمرة يسيرة في بياض العين . (٧) أهدب الأشفار : الأهدب : الطويل الشعر النابت على الجفن . والأشفار : جمع شفر : طرف الجفن . (٨) أبلج : الباج : نقاء ما بين الحاجبين من الشعر . أزج : مقوس الحاجب مع طول امتداد . والأقنى : طول أنفه ودقة أرنبته مع حذب في وسطه .

(٩) أفلاج : الفلاج : تباعد ما بين الشايبا ، أو ما بين الأسنان .

كَتَّ اللَّحِيَّةَ^(١) تَمَلَأُ صَدْرَهُ ، سَوَاءَ الْبَطْنِ وَالصَّدْرِ^(٢) ، وَاسِعَ الصَّدْرَ ، عَظِيمَ
الْمَنْكَبِينَ^(٣) ، ضَخْمَ الْعِظَامِ ، عَيْلَ الْعُضْدَيْنِ وَالذَّرَاعِينَ وَالْأَسَافِلِ^(٤) ، رَحْبَ
الْكُفَيْنِ وَالْقَدَمَيْنِ^(٥) ، سَائِلَ الْأَطْرَافِ^(٦) ، أَنْوَرَ الْمُتَجَرَّدِ^(٧) ، دَقِيقَ الْمَسْرُوبَةِ^(٨) ،
رَبْعَةَ الْقَدِ^(٩) ، لَيْسَ بِالطَّوِيلِ الْبَائِنِ ، وَلَا بِالْقَصِيرِ الْمُرْتَدِّ^(١٠) ، وَمَعَ ذَلِكَ فَلَمْ يَكُنْ
يُمَاشِيهِ أَحَدٌ يُنْسَبُ إِلَى الطَّوِيلِ إِلَّا طَالَهُ^(١١) صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، رَجَلَ الشَّعْرِ^(١٢) ،
إِذَا افْتَرَّ ضَاحِكًا^(١٣) افْتَرَّ عَنْ مِثْلِ سَنَا الْبَرْقِ ، وَعَنْ مِثْلِ حَبِّ الْغَمَامِ^(١٤) ،

(١) كت اللحية : لحيته كثيفة غير خفيفة .

(٢) سواء : مستويهما . وفي هذا إشارة إلى اعتدال خلقهما وعدم خروجها أو أحدهما
عن الاعتدال ؛ فإن البطن إذا كان بارزا أو مضمرا لم يكن من الصفات الحسنة ، وكذلك إذا
برز الصدر أو تطامن . (٣) المنكب : مجمع عظم المضد والكتف . أى إنه ضخمهما .

(٤) عيل : ضخم قوى . والمضدين : مثنى عضد ، وهو ما بين المرفق والكتف . والأسافل :
جمع أسفل ؛ يريد رجليه ، أو الفخذين والساقين . (٥) رحب : واسع .

(٦) سائل الأطراف : أى ممتدتها امتدادا معتدلا بغير إفراط ولا تفريط . والمراد
بالأطراف الأصابع .

(٧) أنور : نير . والمتجرد : الجسد الذى من شأنه أن يتجرد من الثياب .

(٨) دقيق المسروبة : المراد ليس بمریض ولا متكاثف الشعر . والمسروبة : شعر مستطيل من
الصدر للسرة ؛ فهو خط من الشعر بينهما .

(٩) ربة القد : القد بمعنى القامة . وربة : معتدل ، أى مربع القامة .

(١٠) ليس بالطويل البائن . البائن : الظاهر ؛ أى لم يكن مفرط الطول . والمتردد : المتناهي
فى القصر .

(١١) ينسب إلى الطويل : يوصف به . طاله : غلبه فى الطول وزاد عليه .

(١٢) رجل الشعر : يقال شعر رجل : فيه ثثن قليل . فشمه بين الجمودة والسبوبة .

(١٣) إذا افتتر ضاحكا : كشف عن أسنانه متبسما وضاحكا . والسنا : اللعنان ؛ أى إذا كشف
النبي عن أسنانه فى حال ضحكه ظهر فمه وبياض أسنانه كامعان البرق .

(١٤) عن مثل حب الغمام : حب الغمام هو البرد ؛ أى مثله فى بياضه وتقائه وصفائه .

إذا تكلم رُئي كالنور يخرجُ من ثناياه ، أحسن الناسِ عُنفا ، ليس بمُطَّهم ولا مُكَلَّم (١) ، مُتَماسِكِ البَدَنِ ، ضَرَبَ اللِّحْمَ (٢) .

قال البراء [بن عازب] (٣) : ما رأيتُ من ذِي لِمَّةٍ (٤) في حَلَّةٍ حمراءِ أحسنَ من رسولِ الله صلى الله عليه وسلم (٥) .

وقال أبو هريرة رضى الله عنه : ما رأيتُ شيئا أحسنَ من رسولِ الله صلى الله عليه وسلم [٢٢] ، كأنَّ الشمسَ تجرى في وجهه ، وإذا ضحك يتلألأ في الجُدْرِ (٦) .

وقال جابر بن سُمرة - وقال له رجلٌ : كان وجهه (٧) - صلى الله عليه وسلم - مِثْلَ السِّيفِ (٨) ؟ فقال : لا ، بل مثل الشمس والقمر . وكان مستديرا .

وقالت أمُّ مَعْبِدٍ (٩) - في بعض ما وصفته به : أجمَلُ الناسِ من بَعِيدٍ ، وأَحْلَاهُ وأَحْسَنُهُ من قَريبٍ [صلى الله عليه وسلم تسليما كَمَا ذَكَرَهُ الذَّاكِرُونَ ، وَغَفَلَ عَنِ ذِكْرِه الغافلون] (١٠) .

(١) المطهم : السمين الفاحش السمن ، والنحيف الجسم الدقيقة ، فهو من الأضداد .
والمكلم : البادن كثير اللحم .

(٢) ضرب اللحم : أي قليل لحم البدن خفيفه لا إلى حد الهزال .

(٣) في هامش ب ، وعليها علامة صح .

(٤) اللمة - بكسر اللام وتشديد الميم : ما طال من شعر الرأس في أحد جانبيه .

(٥) في نسيم الرياض (٤١٧) : هذا الحديث رواه الترمذى وصححه . وهو في سنن

الترمذى (٥ - ٥٩٩) .

(٦) التلألؤ : اللمعان والإضاءة . جدر : جمع جدار ، والناس تستعمله بمعنى الأساس .

أي نور وجه الشريف يشرق إشراقا يصل إلى الجدران المقابلة له .

(٧) في ب : كان وجه رسول الله . (٨) وتشبيهه بالسيف هنا في البريق واللمعان .

(٩) هي عاتكة بنت خالد الصحابية التي كانت نازلة ببناء في طريق المدينة ، وقد نزل عليها

النبي في هجرته لما خرج من غار ثور ، وكان زوجها غائبا ، فلما أتاها أخبرته به ، فاستوصفها

إياه ، فتمتته له في كلام بليغ . (١٠) من ب .

وفي حديث ابن أبي هالة : يتلألاً^(١) وجهه تلاًلاً القمر ليلة البدر .
وقال علي رضي الله عنه في آخر وصفه له^(٢) : مَنْ رَأَاهُ بِدِيهَةٍ هَابَةٍ^(٣) ، وَمَنْ
خَالَطَهُ مَعْرِفَةً^(٤) أَحَبَّهُ ، يَقُولُ نَاعَتُهُ^(٥) : لَمْ أَرَ قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ مِثْلَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .
والأحاديثُ في بَسْطِ صِفَتِهِ مشهورةٌ كثيرةٌ ، فلا نَطَوَّلُ بِسَرْدِهَا .
وقد اختصرنا في وصفه نُكَّتَ^(٦) ما جاء فيها ، وَجُمَلَةٌ مما فيه الكفايةُ
في القصدِ إلى المطالب ، وختمنا هذه الفصولَ بحديثِ جامعٍ لذلك تَقِفُ عليه هناك إن
شاء الله .

فصل

وأما نظافةُ جسمه ، وَطِيبُ رِيحِهِ وَعَرَقُهُ ، وَنِزَاهَتِهِ^(٧) عن الأقدارِ وَعَوْرَاتِ^(٨)
الجسدِ . فكان قد خصَّه اللهُ في ذلكَ بِمُخَصِّصَاتٍ لم توجدْ في غيره ، ثم تَمَّهَا بِنِظَافَةِ الشَّرْعِ^(٩)

(١) يتلألاً : يضيء ويشرق .

(٢) في نسيم الرياض : رواه الترمذى والبيهقى عن محمد بن الحنفية في حديث مرسل ضعيف .
(الترمذى : ٥ - ٥٩٩) ، وبعده قال : قال أبو عيسى : هذا حديث حسن غريب ، ليس
إسناده بمتصل .

(٣) بديهية : جفأة . هابه : خافه ، وعظمه ، ووقره .

(٤) خالطه : صاحبه وعرفه .

(٥) ناعته : واصفه .

(٦) النكت : اللطائف والدقائق الخفية .

(٧) نزاهته : بعمده ، وخلوه منها ، وتنزهه عنها .

(٨) عورات : جمع عورة ؛ وهي كل ما يوجب خلافيه ، أو يُستر ويستحي منه ، ممَّا

يشين وينقص .

(٩) أى تم ما فطر عليه من ذلك ، وما خصه به . بما شرعه له من النظافة الدينية كالوضوء ؛

فانصف بالنظافة الكاملة .

وخصالِ الفِطْرَةِ العَشْرِ^(١) ، وقال^(٢) : بُنِيَ الدِّينُ عَلَى النِّظَافَةِ .

حدثنا سُفْيَانُ بْنُ العَاصِي وَغَيْرُهُ وَاحِدٌ ، قَالُوا : حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عُمَرَ . حَدَّثَنَا أَبُو العَبَّاسِ الرَّازِيُّ ، حَدَّثَنَا أَبُو أَحْمَدَ الجُلُودِيُّ^(٣) ، حَدَّثَنَا ابْنُ سَفْيَانَ ، حَدَّثَنَا مُسْلِمٌ ، [قَالَ]^(٤) : حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ ، حَدَّثَنَا جَمْفَرُ بْنُ سَلِيْمَانَ ، عَنْ ثَابِتٍ ، عَنْ أَنَسٍ ، قَالَ^(٥) : مَا شِمِمْتُ عَنِّبَرًا قَطُّ ، وَلَا مَسِكَ ، وَلَا شَيْئًا أَطْيَبَ مِنْ رِيحِ^(٦) رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وعن جابر بن سَمْرَةَ أَنَّهُ^(٧) صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَسَحَ خَدَّهُ ؛ قَالَ : فَوَجَدْتُ لِيَدِهِ بَرْدًا وَرِيحًا ، كَأَنَّمَا أَخْرَجَهَا مِنْ جُودَةٍ^(٨) عَطَّار .

(١) الفطرة : الطبيعة والجملة التي خلق عليها، وكونها عشرًا، رواه مسلم في حديث مرفوع: عشر من الفطرة : قص الشارب ، وإعفاء اللحية ، والسواك ، واستنشاق الماء ، وقص الأظفار ، وغسل البراجم ، وتنف الإبط ، وحلق العانة ، وانتقاص الماء .
قال مصعب : نسبت العاشرة ، إلا أن تكون المضمضة - قال القاضي : المنسى الختان .
(صحیح مسلم : ٢٢٣) .

والبراجم : عقد الأصابع من ظهر الكف . وغسل البراجم : إزالة وسخها . وانتقاص الماء : هو الاستنجاء .

(٢) وقال : أى النبي .

(٣) في هامش ١ ، ب : الجلودي - بضم الجيم هو الصحيح .

(٤) من ب . (٥) صحيح مسلم : ١٨١٤ (٦) ريح : رائحة .

(٧) قال الحفاجي : هذا الحديث أخرجه مسلم . وأول الحديث : صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم خرج وأنا معه ، فاستقبله ولدان ، فجعل يمسح خدي أحدهم واحدا واحدا ، وأما أنا فمسح خدي ، فوجدت ليدته بردا أو ريحا .

واقصر المؤلف على بعض هذا الحديث لمناسبته للفصل .

والحديث في مسلم : ١٨١٤ ، قال في نسيم الرياض : وكان من عادة النبي مسح وجوه الأطفال تأنيسا لهم ، وتطييبا لقلوب والديهم ، وشفقه عليهم .

(٨) الجودة : شبه صندوق صنير ممشى بآدم يضع فيه المطار عطره .

قال غيره ^(١) : مسحها بطيب أو لم يمسحها ^(٢) ، يُصَافِحُ الْمُصَافِحَ فيظلُّ يومه يحدُّ رِيحَهَا ؛ وَيَضَعُ يَدَهُ عَلَى رَأْسِ الصَّبِيِّ فَيُعْرِفُ مِنْ بَيْنِ الصَّبِيَانِ بِرِيحِهَا ^(٣) .
 ونام ^(٤) رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم في دار أنسِ فَعَرِقَ ، فجاءت أمه بقارورة ^(٥) تجمعُ فيها عرقه ، فسألها رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم عن ذلك ، فقالت : نجعله في طيبنا ، وهو مِن أطيبِ الطيب .

وذكر البخاري في تاريخه الكبير ، عن جابر : لم يكن النبيُّ صلى اللهُ عليه وسلم يمرُّ في طريقٍ فيتَّبِعُه أحدٌ إلا عُرِفَ أنه سلكه من طيبه ^(٦) .
 وذكر إسحاقُ بنِ راهويه أن تلك ^(٧) كانت رائحته بلا طيب ، صلى اللهُ عليه وسلم .

[وروى المُرزَنِيُّ ^(٨) ، عن جابر : أُرِدْفِي ^(٩) النبيُّ صلى اللهُ عليه وسلم خلفه ، فالتقمتُ ^(١٠) خاتم النبوة بعمي ، فكان يمين ^(١١) على مسك] ^(١٢) .

- (١) قال الحفاجي : هذا الحديث رواه البيهقي ، وأبو نعيم ، بسند فيه ضعف .
 (٢) في هذا إشارة إلى أن طيبه صلى اللهُ عليه وسلم ذاتي .
 (٣) أي برائحها الطيبة طيبا خلقيا خصه الله به تكريما له .
 (٤) هذا بعض من حديث رواه مسلم ، واقتصر المؤلف منه على ما يناسب المقام اختصارا ،
 والحديث في صحيح مسلم : ١٨١٥
 (٥) القارورة : إناء من زجاج يوضع فيه الطيب ونحوه .
 (٦) أي من أجل طيب الطريق برائحته الطيبة المخصوصة به ، الباقية فيه .
 (٧) أي تلك الرائحة التي كانت تشم منه وتبقى في الطريق .
 (٨) في ب : المرى . وفي هامشه : هكذا وقع المرى . وانثبت في أ .
 (٩) أردفتي : أركبني خلفه .
 (١٠) الالتقام : أخذ الشيء وجمله في فيه ، سواء ابتلعه أم لا .
 (١١) نم المسك : سطم .
 (١٢) في هامش ب : ما بين القوسين كتب أمامه : هذا الملم من الأم ، وليس من الرواية .

وقد حكى بعضُ الْمُعْتَنِينَ^(١) بأخباره وشمائله صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا أراد أن يتغوّطَ^(٢) انشقت الأرضُ فابتلمت غائطه وبوّأه ، وفاحت لذلك رائحة طيبة . صلى الله عليه وسلم .

[وأسند محمد بن سعد كاتب الواقدي في هذا خبرا عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم : إنك تأتي الخلاء^(٣) فلانرى منك شيئا من الأذى ! فقال : يا عائشة ، أو ما علمت أن الأرضَ تبتلع ما يخرج من الأنبياء ، فلا يرى منه شيء]^(٤) .

وهذا الخبرُ وإن لم يكن مشهورا^(٥) فقد قال قومٌ من أهل العلم بطهارة الحدّين منه صلى الله عليه وسلم . وهو قولُ بعضِ أصحابِ الشافعية ، [حكاه الإمام أبو نصر ابن الصبّاغ في شامله]^(٦) .

وقد حكى القولين عن العلماء في ذلك أبو بكر بن سابق المالكي في كتابه البديع في فروع المالكية ، وتخرّج ما لم يقع لهم منها على مذهبهم من تفاريع الشافعية . وشاهدُ هذا^(٧) أنه صلى الله عليه وسلم لم يكن منه شيء يسكره ، ولا ذيّر طيب .

(١) هو البيهقي - عن عائشة ، كما في نسيم الرياض الذي قال : إنه موضوع .

(٢) يتغوّط : يأتي النائط ، وهو المكان للمنخفص ، على عادتهم في البراز ؛ لأنه أستر .

(٣) الخلاء : المكان الخالي البعيد عن البيوت ، لأنهم كانوا قبل وضع المراحيض يأتونهُ لقضاء الحاجة ، ثم عبر به بعد ذلك عن محل التغوط مطاقا ، ثم صار عرفا سما للبناء المعد لذلك .

(٤) في هامش ١ ، ب : ليس من الأصل .

(٥) قال ابن دحية : سنده ثابت ، وهو أقوى ما في الباب ، فلهذا نسبى المصنف عنه

الشهرة دون الصحة .

(٦) في هامش ١ ، ب : ليس من الرواية . والشامل : اسم كتاب له .

(٧) وشاهد هذا : أي دليل القول بالطهارة .

ومنه حديث^(١) على رضى الله عنه^(٢): غسّلتُ النبيَّ صلى الله عليه وسلم ، فذهبتُ أنظُرُ ما يكونُ من الميت فلم أجدُ شيئاً؛ فقلت : طِبَّتَ حَيًّا وميتاً، [قال : وسطمت^(٣) منه ريحٌ طيِّبةٌ لم تجِدْ مثلها قطَّ] ^(٤) .

ومثله^(٥) قال أبو بكر رضى الله عنه حين قبِلَ النبيَّ صلى الله عليه وسلم بعد موته .
ومنه شُرْبُ مالك^(٦) بن سنان دمه يوم أُحُد ، ومصُّه إياه [٢٣] ، وتسويغُه^(٧) صلى الله عليه وسلم ذلك له ، وقوله : لن تُصِيبه النار .

ومثله شُرْبُ عَبْدِ اللَّهِ بن الزبير دمَ حجَّامته ؛ فقال له عليه السلام : وَيْلٌ لَكَ^(٨) من الناس ، وَيْلٌ لَهُم منك . ولم ينكره عليه^(٩) .

(١) ومنه : أى من الشاهد على أنه لم يكن منه - صلى الله عليه وسلم - شيء يكره ولا غير طيب .
(٢) قال الشهاب : رواه ابن ماجه ، وأبو داود ، في مراسيله : (ابن ماجه : ٤٧١) .
(٣) سطمت : ظهرت وارتفعت . (٤) في هامش ١ ، ب : من الأم ، وليست من الرواية .
(٥) ومثله : أى قول على : طبت حيا وميتا . (٦) فى ب : ملك .
(٧) وتسويغه : أى تجوزيه له من غير إنكار . (٨) ويل : للتحسر والتألم .
(٩) هذا محط الدليل ؛ فإن عدم إنكاره صلى الله عليه وسلم دليل على جوازِهِ وطهارته .
وفى نسيم الرياض : (١ - ٤٤٨) قال السخاوى : سئل شيخنا العلامة ابن حجر عن حديث ابن الزبير ، ومالك بن سنان ، وقوله للأول : ويل لك ، وقوله لمالك : لا تمسك النار - ما الحكمة فى تنوع القول مع اتحاد السبب ؟

فأجاب بأن ابن الزبير شرب دم الحجامة وهو قدر كثير ، فعلم صلى الله عليه وسلم أنه يسرى فى جميع جسده فتكتسب جميع أعضائه منه قوى من قوى النبي ، فتورد به غاية قوة البدن والقلب ، وتكسيه نهاية الشهامة والشجاعة ، فلا ينقاد لمن هو دونه بعد ضعف المدل وقلة ناصره ، وتمكن الظلمة وكثرة أعوانهم ؛ فيحصل له ما أشار إليه النبي صلى الله عليه وسلم من تلك الحروب الهائلة التى تنتهك بها حرمة ؛ أى الناشئة من حرمة صلى الله عليه وسلم وحرمة البيت العتيق ، فقيل : ويل له لقتله وانتهاك حرمة ، وويل لهم لظلمهم وتمديهم عليه وتسفيهم .

وأما مالك فإزدرد ما مصه من الجرح الذى فى وجه النبي ، وهو أقل من دم الحجامة ، وكأنه صلى الله عليه وسلم علم أنه يستشهد فى ذلك اليوم ، فلم يبق له من أحوال الدنيا ما يخبره ، فأعلمه بالأهم بما يتلقاه من أنواع مسرات الجنان .

وقد روى نحو من هذا عنه في امرأة شربت بوله ؛ فقال لها : لن تشككي وجع بطنك أبدا . ولم يأمر واحدا منهم ^(١) بفسل فم ، ولانتهاء عن عودة ^(٢) .
وحديث هذه المرأة التي شربت بوله ^(٣) صحيح أزم الدار قطنى مسلما والبخارى إخراجة في الصحيح ، واسم هذى المرأة بركة . واختلفت في نسبتها .
وقيل : هي أم أيمن ^(٤) : وكانت تخدم النبي صلى الله عليه وسلم ؛ قالت : وكان لرسول الله صلى الله عليه وسلم قدح من عيدان ^(٥) بوضع تحت سريره يقول فيه من الليل ، فبال فيه ليلة ، ثم افتقده ^(٦) ، فلم يجد فيه شيئا . فسأل بركة عنه ؛ فقالت :
قمت وأنا عطشانة فشربته وأنا لا أعلم .

روى حديثها ابن جرير وغيره :

وكان صلى الله عليه وسلم قد ولدنا مخطونا مقطوع ^(٧) الشرة .

[وروى عن أمه آمنة أنها قالت : قد ولدته نظيفا ما به ^(٨) قدر ^(٩) .

-
- (١) واحدا منهم : أى ممن شرب دمه ، ومن مصه ، ومن شرب بوله .
 - (٢) ولو كان نجسا لأمر به ، ونهاه أن يعود لثله .
 - (٣) فى نسيم الرياض : هو فى أعلى درجات الصحة . والحديث فى سنن النسائى : ١ - ٣١
 - (٤) مولاته وحاضنته ومرضعته .
 - (٥) القدح : هو الإه الذى يشرب منه . عيدان : نخلة طويلة .
 - وفى هامش ب : العبدان : شجر كبار ، تسكون باليمن ، صنارها تسمى الرتم ، ومنه قول الشاعر :

إن الرياح إذا ما أعصفت قصفت عيدان نجد ولم يعبان بالرتم
(٦) افتقده : طلبه وبحث عنه .

(٧) فى نسيم الرياض (١ - ٤٥٢) : سند هذا الحديث ضعيف جدا ، والذى صححه المحدثون - كما فى التمهيد لابن عبد البر - أن جده عبد المطلب ختنه يوم سابعه ، وجعل له مادة وسماه محدا .
(٨) ما به قدر ؛ أى ولدته نظيفا من الوسخ .

(٩) فى هامش ١ ، ب : من الأم ، من غير الرواية .

وعن عائشة رضى الله عنها : ما رأيتُ فرَجَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم قط .
وعن عليّ رضى الله عنه^(١) : أوصاني النبي صلى الله عليه وسلم لا يفسله^(٢) غيري؛
فإنه لا يرى أحدٌ عوزتي إلا طهّست عيناه^(٣) .

وفي حديث عكرمة ، عن ابن عباس رضى الله عنهما - أنه صلى الله عليه وسلم
نامَ حتى سُمِعَ له غَطِيْطٌ^(٤) ، فقام فصلى ولم يتوضأ^(٥) - قال عكرمة : لأنه صلى الله
عليه وسلم كان محفوظاً^(٦) .

فصل

وأما وفورُ عقله^(٧) ، وذكاءُ لُبِّه^(٨) ، وقوةُ حواسه ، وفصاحةُ لسانه ، واعتدالُ
حركاته ، وحسنُ شمائله - فلا مِرْيَةَ^(٩) أنه كان أعقلَ الناسِ وأذكاهم .
ومنَ تأمّلِ تدييره أمرَ بواطنِ الخلقِ وظواهرهم ، وسياسةِ العامةِ والخاصةِ^(١٠) ،
مع عَجيبِ شمائله ، وبديعِ سيره ، فضلاً عما أفاضه^(١١) من العلم ، وقرّره من الشرع دونَ

(١) قال الشهاب : هذا الحديث رواه البزار والبيهقي .

(٢) في ١ : ضبطت السين مشددة وغير مشددة . وفوقها « معا » .

(٣) طمس العين : إزالة ضوءها .

(٤) الغطيط : صوت النائم إذا ارتفع نفسه .

(٥) في نسيم الرياض : والأحاديث الدالة على أن نومه - صلى الله عليه وسلم - لا ينقض ،

وأنه تنام عينه ، ولا ينام قلبه - كثيرة صحيحة .

(٦) حاصله أن النوم ليس ناقضاً بنفسه ؛ وإنما نقض ، لأنه مظنة الحدث ، والله تعالى

حفظه عن أن ينام قلبه .

(٧) وفور عقله : تمامه ، وزيادته على عقل غيره .

(٨) لبه : عقله .

(٩) لا مريّة : لاشك ، ولا شبهة ، ولا جدال .

(١٠) سياسة العامة والخاصة : تدير أمورهم والتصرف فيها .

(١١) أفاضه : أذاعه .

تعلم سبق ، ولا ممارسة^(١) تقدمت ، ولأنهم طالعوا لا يكتب منه ، لم يمتَرَ^(٢) في رُجحان عقله ، وثقوب^(٣) فهمه لأول بديهة^(٤) ؛ وهذا ما لا يحتاج إلى تقريره لتحقيقه^(٥) .
وقد قال وهب بن منبه : قرأتُ في أحد وسبعين كتابا ، فوجدتُ في جميعها أن النبي صلى الله عليه وسلم أرجحُ الناسِ عقلا ، وأفضلهم رأيا .
وفي رواية أخرى^(٦) : فوجدتُ في جميعها أن الله تعالى لم يُعطِ جميعَ الناس من بدء الدنيا إلى انتضاها من العقل في جنب عقله صلى الله عليه وسلم إلا كحبة رمل من [بين]^(٧) رمال الدنيا .

وقال مجاهد^(٨) : كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إذا قام في الصلاة يرى من^(٩) خلفه كما يرى من بين يديه ، وبه فسّر قوله تعالى^(١٠) : ﴿ وَتَقَلِّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ ﴾ .

وفي الموطن عنه عليه السلام^(١١) : إني لأراكم من وراء ظهري .

-
- (١) الممارسة : معالجة الأمر ومزاولته ؛ أي لم يتعلم من غيره ، ولم يحاوله حتى يملسه من نفسه باجتهاد في استخراجِه بعقله .
(٢) لم يمتَرَ : لم يشك .
(٣) ثقوب فهمه : نفوذه وظهوره .
(٤) لأول بديهة : لأول نظرة نظرها .
(٥) لتحقيقه : بالشاهدة في عصره ، والتواتر بعد ذلك ، بحيث لا يشك فيه مسلم وعاقل .
وفي ب : لتحقيقه ، وعليها علامة الصحة .
(٦) عن وهب أيضا .
(٧) من ب .
(٨) هذا الحديث رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة . ورواه مالك ، وأحمد ، وغيرهما .
وفي لفظه اختلاف . والمعنى متفق . والحديث في مسلم : ٣١٩ .
(٩) في ب ضبطت الميم بالفتحة والكسرة ، وعليها « معا » .
(١٠) سورة الشعراء ، آية ٢١٩ .
والمعنى : ترى قلب بصرك في المصلين خلفك لترامهم وتعلم ما يفعلون . وسياق الحديث للاستدلال به على قوة حواسه - صلى الله عليه وسلم ؛ فيناسب التفسير بأنه يرام بعينه حقيقة .
(١١) في الموطن : ١ - ١٦٦ ، وصحيح مسلم : ٣١٩ .

ونحوه - عن أنس في الصحيحين^(١)، وعن عائشة مثله؛ قالت: زيادةٌ زاده الله إياها في حجته^(٢).

وفي بعض الروايات^(٣): إني لأنظرُ من^(٤) ورأى كما أنظر إلى من بين يدي .
وفي أخرى^(٥): إني لأبصرُ من قفأى كما أبصر من بين يدي .

وحكى يحيى بن مخلد، عن عائشة؛ [قالت]^(٦): كان النبي صلى الله عليه وسلم يرى في الظلمة كما يرى في الضوء^(٧).

والأخبارُ كثيرةٌ صحيحة في رؤيته صلى الله عليه وسلم للفلائكة والشياطين^(٨).
ورُفِع^(٩) النجاشيُّ له حتى صلى عليه^(١٠)، وبيتُ [٢٤] المقدس حين وصفه لقريش،
والكعبة حين بنى مسجده^(١١).

(١) صحيح مسلم: ٣٢٠، وفيه: من بعد ظهري .

(٢) في حجته: المراد بحجته الدلائل الدالة على نبوته وصدقه. وقيل: في حجته على الكفار؛

لأن هذه معجزة من معجزاته خارقة للعادة . (٣) لعبد الرزاق، والحاكم .

(٤) في ب: ضبطت الميم بالفتحة والكسرة وكتب فوقها « معا » .

(٥) لاسلم، فيه - صفحة ٣١٩: من ورأى ومن بعدى، و « من بعد ظهري » بدل

« من قفأى » صفحة ٣٢٠ (٦) ليس في ب .

(٧) في نسيم الرياض: رواه الثقات كابن مخلد؛ فلا وجه لإنكاره. وقد أخرجه البيهقي

عن عائشة أيضا. ونقل ابن دحية في كتابه الآيات البيّنات - عن ابن بشكوال - أنه ضعفه لأن

في سنده ضعيفا . (٨) في نسيم الرياض: وهذا مالا شبهة فيه .

(٩) يعني أن الله تعالى رفع بيت النجاشي وجنازته - وهو يبلاد الحبشة - فرآه النبي من

المدينة وصلى على جنازته . (١٠) قال السيوطي: إنه لم يجده في كتب الحديث .

(١١) أي رفعت له الكعبة وهو بالمدينة حين بنى مسجده بها. قال السيوطي: رفع الكعبة له

حين بنى مسجده رواه الثريبر بن بكار في أخبار المدينة، عن ابن شهاب ونافع بن جبير بن مطعم،

مرسلا . وقال في نسيم الرياض: والمعروف أن جبريل عليه السلام أعلمه بحقيقة القبلة، وأراه

سمتها؛ لأنه رفع له الكعبة حتى رآها . وبهذا جاءت الآثار .

وقد حُكي عنه صلى الله عليه وسلم أنه كان يرى في الثريا أحدَ عشر نَجْمًا ^(١) .
وهذه كلها محمولةٌ على رؤية العين ، وهو قولُ أحمد بن حنبل وغيره .
وذهب بعضهم إلى ردِّها ^(٢) إلى العِلْم ، والظواهرُ تُخالفُه ^(٣) ، ولا إحالة ^(٤)
في ذلك ، وهي ^(٥) من خواصِّ الأنبياء وخصَّالِم ، كما أخبرنا أبو محمد عبدُ الله بن أحمد
العدَل من كتابه؛ حدثنا أبو الحسن المقرئ الفرغاني ، حدثنا أمُّ القاسم بنت أبي بكر ^(٦)
عن أبيها ، حدثنا الشريف أبو الحسن علي بن محمد الحَسَنِي ، حدثنا محمد بن محمد بن سعيد ،
حدثنا محمد بن أحمد بن سليمان ، حدثنا محمد بن محمد بن مرزوق ، حدثنا همام ^(٧) ، قال :
حدثنا الحسن ، عن قتادة ، عن يحيى بن وثاب ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله
عليه وسلم ؛ قال : لما تجلَّى ^(٨) اللهُ لموسى عليه السلام كان يبصِّرُ النملةَ على الصفا ^(٩)
في الليلة الظلماء مسيرة عشرة فراسخ ^(١٠) : ولا يبعدُ على هذا أن يختصَّ نبيُّنا بما ذكرناه
من هذا الباب بعد الإسراء والحظوة ^(١١) بما رأى من آيات ربِّه الكبري .

(١) قال السيوطي : هذا لم يوجد في شيء من كتب الحديث .
(٢) إلى ردِّها : أي إلى تأويل الرؤية بالعلم وصرْفها عن ظاهرها .
(٣) والظواهر تخالفه : أي ظاهر العبارة يخالفه ، ولا مقتضى لصرْفها عن الظاهر .
(٤) ولا إحالة في ذلك : أي ليس في حملها على الرؤية البصرية أمر محال يقتضى العدول لأجله .
(٥) وهي : أي قوة البصر والحواس . (٦) هو أبو بكر محمد بن إسحاق الكلّاباذي .
(٧) في ب : هاني ، وعليها علامة الصحة . وفي هامشه : كانت في الأصل همام كما كتبت .
وهو هاني بن يحيى . وقال الشهاب (١ - ٤٧٢) : ولفظ همام وقع في كثير من النسخ .
والصواب هاني كما أصلح .

(٨) التجلَّى هنا : الظهور بلا كيف . (٩) الصفا : الحجر الصلد الأملس .
(١٠) في نسيم الرياض (١ - ٤٧٣) : تحقيقه أن الله تعالى لما قرَّبه حتى سمع كلامه حصل
له قوة روحانية ، واتصل به نور إلهي أثر في روحه الحيوانية ، وزاد في نورها الذي بانتشاره
في البدن يحصل الإدراك ؛ فأدرك بذلك إدراكًا خارقًا للعادة .
(١١) الحظوة : زيادة القرب مع المحبة .

وقد جاءت الأخبار^(١) بأنه صرَّع رُكَّانُهُ أَشَدَّ أَهْلٍ وَقْتَهُ، وَكَانَ دَعَاةً إِلَى الْإِسْلَامِ،
وَصَارَعَ أَبَا رُكَّانَةَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ شَدِيدًا، وَعَاوَدَهُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، كُلَّ ذَلِكَ يَصْرَعُهُ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وقال أبو هريرة: مارأيتُ أحدًا أُسرِعَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
فِي مَشْيِهِ، كَأَمَّا الْأَرْضُ تُطْوَى لَهُ، إِنْ لِنَجْهَدُ أَنْفُسَنَا وَهُوَ غَيْرُ مُكْتَرَثٍ^(٢).
وفِي صِفَتِهِ أَنْ ضَحِكَه كَانَ تَبَسُّمًا، إِذَا التَفَتَ التَّفَتَ مَعَا^(٣)، وَإِذَا مَشَى مَشَى تَقْلَمًا^(٤)
كَأَمَّا يَنْحَطُّ مِنْ صَبَبٍ^(٥).

فصل

وأما فصاحة اللسان، وبلاغة القول، فقد كان صلى الله عليه وسلم من ذلك
بالمحلِّ الأفضَل والموضع الذي لا يُجْهَل، سلاسة طَبع، وبراعة مَنزَع^(٦)،

(١) هذا إثبات لتفوقه على غيره في قوته البدنية بعدما أثبت قوة إدراكه صلى الله عليه وسلم.
والخبر في سنن الترمذى: ٤ - ٢٧٤
(٢) مكترث: الاكتراث: المبالاة والاعتناء بالأمر؛ أى إننا نتعب أنفسنا في مساواة مشيه،
وهو - صلى الله عليه وسلم - مستريح لا يرى به مشقة. أو إننا نبذل وسنا وطاقتنا، وهو غير
مبال بمشيه.

(٣) التفت معا: أى يقبل جميعا ويدبر جميعا. ومعنى «معا» بجميعة.
(٤) تقلما: المراد أنه - صلى الله عليه وسلم - يرفع رجليه من الأرض رفعا قويا من غير
مقاربة للخطى؛ فإنه مشى النساء والمختالين.

(٥) ينحط من صيب: ينحدر من موضع مرتفع. والحديث في سنن الترمذى: ٥ - ٥٩٨
(٦) السلاسة: السهولة؛ أى كانت سليقته صلى الله عليه وسلم في البلاغة تنقاد له بسهولة
من غير تكاف.

والبراعة: من برع الرجل؛ إذا فاق غيره، وكثيرا ما تستعمل بمعنى الفصاحة. والمنزع - بفتح
الميم والزاي: المأخذ، وما يرجع إليه الرجل من رأيه وأمره. والمراد أصله ومقره، يعنى إنه صلى
الله عليه وسلم مع بلاغته الجبيلية من قوم هم أفصح الناس.

وإيجاز مقطع^(١)، ونصاعة أفظ، وجزالة قول^(٢)، وصحة معانٍ، وقلة تكلف،
أوتى جوامع الكلم، وخص بیدائع الحكم^(٣)، وعلم السنة العرب^(٤)، يخاطب
كل أمة منها بلسانها، ويحاورها بلغتها، ويباريها في منزع بلاغتها^(٥)، حتى كان كثير
من أصحابه يسألونه في غير موطن^(٦) عن شرح كلامه وتفسير قوله .

ومن تأمل حديثه وسيره علم ذلك وتمحّته؛ وليس كلامه مع قريش والأنصار،
وأهل الحجاز وتجدد كلامه مع ذى المشعار الهمداني^(٧)، وطهفة النهدي^(٨)،
وقطن بن حارثة العليمي^(٩)، والأشعث بن قيس^(١٠)، ووائل بن حُجر

(١) الإيجاز: التمييز عن معان كثيرة بلفظ قليل. مقطع: أى موجز في محل القطع والفصل
للأمور. أى ومقطعا موجزا، من أوجز: أتى بكلام قلت مبانيه وكثرت معانيه .

(٢) النصاعة: الخلوص والوضوح؛ أى إن لفظه خالص من كل بشاعة، وواضح لكل أحد
لخاطبته كل واحد على قدر عقله وبلغته . والجزالة: القوة والإنتان .

(٣) أوتى جوامع الكلم: آتاه الله قوة ناطقة بحيث ينطق بالكلمات الجامعة للمعاني. وقيل
للمراد القرآن والحديث .

وخص بیدائع الحكم: أى خص النبي بنطقه بكل حكمة بديعة لم يسبق إليها .

(٤) السنة العرب: لغاتهم .

(٥) يباريها: يمارضها ويباريها .

(٦) في غير موطن: أى في مواطن كثيرة . وفي أعلى كلمة « أصحابه » علامة الصحة ،

وكتب أمامها فى الهامش: الصحابة: وعليها صح .

(٧) ذو المشاعر: وقد على النبي مرجمه من تبوك، وكتب له النبي كتابا سيأتي بعد قليل .

وفي ١: المشاعر - بالعين المهملة والنين المعجمة وكتب فوقها « معا » .

(٨) طهفة النهدي: هو خطيب نهد ووافدها إلى النبي صلى الله عليه وسلم في سنة تسع لله
قدمت عليه وفود العرب .

(٩) هو صحابي قدم على النبي وافدا لقومه، فكتب له كتابا . والكتاب في نسيم

الرياض: ١ - ٤٨٢

(١٠) الأشعث بن قيس وفد على رسول الله سنة عشر في ستين رابعا، فأسلموا ورجعوا

إلى اليمن وله قصة مع أبي بكر في نسيم الرياض: ١ - ٤٨٣

الْكِنْدِي^(١) ، وغيرهم من أقبال^(٢) حَضْرَمَوْت وملكِ اليمن .
وانظر كتابه إلى همدان^(٣) : إن لكم فراعها ووهاطها وعزازها^(٤) ، تأكلون
علافها^(٥) وترعون عفاءها^(٦) ، لنا من دفتهم وصرامهم ماسلوا بالميثاق والأمانة^(٧) ،
ولهم من الصدقة اللبُ والثابُ والفصيل^(٨) ، والفارض والداجن^(٩) ،

(١) وائل بن حجر : من أقبال حضرموت ، وأبوه ملك من ملوكهم . وقد طى رسول
الله مسلما . وقد بشر الرسول أصحابه قبل قدومه بثلاثة أيام . وقد كتب له رسول الله كتابا -
وهو في ١ - ٤٨٤ من نسيم الرياض .

(٢) الأقبال : جمع قيل ؛ وهو الملك من ملوك حمير واليمن .

(٣) كتبه النبي لما وفد عليه ذو الشمار الهمداني ، وارجع إليه في الفائق : ٣ - ٩٤ ،
إن شئت .

(٤) فراعها : ما ارتفع من الأرض من مرتفعات البقاع أو أعالي الجبال - يعنى أن النبي
أقطعهم ذلك . ووهاطها : ماسفل وانخفض من الأرض . وعزازها : ما اشتد وصلب من الأرض
مما لا ملك لأحد عليه .

(٥) علافها : جمع عاف ، وهو ما تأكاه الماشية .

(٦) عفاءها : ما ليس لأحد فيه ملك ولا أثر .

(٧) الدف : المراد الإبل والنعيم . والصرام : جمع صرمة ؛ وهى القطعة من النخل ، ويجوز
أن يكون التمر نفسه ، لأنه يصرم من النخل ؛ أى يجذ ويقطع . ماسلوا : ما داموا يعطون
من الزكاة المفروضة .

(٨) المراد بالصدقة : الزكاة . والثاب : الجمل المسن المهرم الذى سقطت أسنانه . والثاب :
مثل الثاب إلا أنه مخصوص بالذوق الإناث . والفصيل : ولد الناقة الصغير الذى فصل عن
رضاع أمه .

(٩) الفارض والداجن . الفارض : البقرة السنة . والداجن : الذى يربض حول المنازل
من شدة الهرم فلا يسرح للمرعى ولا يصالح للعمل والحمل . والمعنى أن ما ذكر يترك لهم ولا
يؤخذ منهم .

والكَبَشُ الحَوْرِي^(١) وعليهم فيها الصالح والقارح^(٢) .

وقوله لنهد^(٣) : اللهم بارِكْ لهم في مُحَضِّها ونَحْضِها ومَذْقِها^(٤) ، وابعث راعيها في الدثر^(٥) ، وافجرْ له الثَّمَدُ^(٦) ، وبارِكْ له في المال والولد ، مَنْ أقام الصلاة كان مُسْلِمًا ، ومَنْ آتى الزكاة كان مُحْسِنًا ، ومن شَهِد أن لا إله إلا الله كان مُخْلِصًا^(٧) ، لكم يا بنى نهد ودائعُ الشُّركِ ، ووَضَائِعُ المَلِكِ^(٨) ، لا تُلْطِطُ في الزكاة^(٩) ،

(١) الكَبَشُ : الذكر الكبير من النعم الذي يقودها غالبًا . والحورى : المراد الكبير من النعم؛ وهو لا يؤخذ في الصدقة لسكونه أنفها، ولأنه مما يحتاج إليه للضراب، وفي ا: الحوارى - بضم الحاء وتشديد الواو . والحوارى : الأبيض .

(٢) الصالح : هو من البقر والنعم : ما كمل وانتهى سنه في السنة السادسة . والقارح : الفرس الذى دخل في الخامسة .

(٣) هذا إشارة إلى ما قاله النبي لطفة النهدي السابق ذكره حين وفد على النبي وشكاه ما أصاب قومه من القحط .

(٤) المحض : الخالص . والمحض : أصله تحريك السقاء الذى فيه اللبن حتى يتميز زبده فيؤخذ منه . والمذق : أصل معناه الخلط والمزج ، ثم استعمل في اللبن المخلوط بالماء . يدعو لهم الرسول بأن يبارك الله لهم في ألبانهم بأقسامها : ما كان خالصًا لم يتميز زبده ، وما ميز منه زبده ، وما مزج بالماء . وذلك كله كناية عن خصب أرضهم وسمتها ؛ فإن الألبان إنما تكثر بنبات المرعى ، وهو إنما يكون بالمطر ؛ فكأنه قال : اللهم اسق بلادهم ، واجعلها مخصبة ملبنة .

(٥) ابعث راعيها في الدثر : ابعث : أرسل . والدثر : الإبل الكثيرة . وقيل : الدثر : الحصب وكثرة النبات .

(٦) وافجر له الثمد : اجر : من تفجير الماء ، وهو جعله جاريا . والتمد : الماء القليل . فالمراد أكثر ما قل من مائه .

(٧) كان مخلصًا : أى كان مخلصًا في إيمانه .

(٨) ودايع الشرك : المراد بها المهود والموثيق التى كانت بينهم وبين من جاورهم من الكفار في المهادنة . وقيل يجوز أن يكون المراد أن ما استودعوه من أموال الكفار حلال لهم . ووضائع الملك : الوضائع : جمع وضيفة - بمعنى موضوعة . والملك - بكسر الميم ؛ أى ما كان يوضع على الأملاك من الزكاة والصدقة ثابت لكم كسائر المسلمين ؛ يلزمكم ما يلزمهم من الوظائف من غير زيادة ولا نقص .

(٩) لا تلطط في الزكاة : لا تمنعها .

ولا تُلجِد^(١) في الحياة ، ولا تتناقلُ عن الصلاة .

وكتب لهم : في الوظيفَةِ الفريضة^(٢) : ولكم الفارضُ والفريش^(٣) ،
وذو العنانِ الرَّكوب^(٤) ، والفَلَوُ^(٥) الضَّيِّيس [٢٥] ، لا يُمنَع سَرْحُكم ، ولا يُعْضَد
طَلْحُكم ، ولا يُجْبَسُ دَرُّكم^(٦) ما لم تُضْمِرُوا الرَّماقَ ، وتأكلوا الرِّباقَ^(٧) ،
مَنْ أَقرَّ فله الوفاء بالمهد والذِّمَّة ، وَمَنْ أَى فعلية الربوة^(٨) .
ومن كتابه لوائل بن حُجر^(٩) :

- (١) ولا تلجد : ألد إلهادا : جار وعدل عن الحق .
(٢) لهم : لبني نهد . والوظيفة : المعين في كل يوم ، أو في زمان معين ، من الطعام
وغيره من الرزق . ويطلق على العهد والشرط ، والمراد الأخير ؛ أى كتب لهم في العهد وما
شرط عليهم في الزكاة لهم فيما يؤخذ منهم من الوظائف المرتبة عليهم . والفريضة : ما فرض عليهم .
(٣) الفريش : الحديث العهد بالتاج . وقيل : ما لا يطبق حمل الأثقال من الإبل لصفره .
(٤) الركوب : المركوب الذلول . يعنى : لا تؤخذ الزكاة من الفرس المعدل لركوب صاحبه ،
وكذا الصغير .
(٥) الفلو : المهر الصغير من الخيل ، لا يؤخذ في الزكاة . والضبيس : المهر الصر الركوب
الصعب ، وكأنه كفى به عن صفره .
(٦) سرحكم : السرح : المشية التي تسرح بالمداء للمرعى . والمراد أن مطلق المشية لا تمنع
عن مرعاها . يعضد : يقطع . والطلح : شجر عظام يقال له العضاء . دركم : الدر : اللبن ،
والمراد به هنا الأنعام ذوات الدر لا تجبس عن المرعى في مكان تجتمع فيه لتحشر إلى المصدق .
وفي ب : سرجكم - بالجيم .
(٧) تضمروا : تخفوا وتكتموا . الرماق : النفاق . والرباق : المراد اليهود . والمعنى ؛ إن
هذا أمر مقرر عليكم منا ما لم تنقضوا العهد وترجموا عن الإسلام ، فإذا كان كذلك فعليكم ما طي
غيركم من الكفرة ؛ فالمراد ما لم تضمروا النفاق ، ثم تظهروا نقض العهد . وفي ب : الإرماق .
وفي الفائق : وروى : الرماق ، والمراد النفاق .
(٨) هذا في ا ، ب . أى يؤخذ منه زيادة طى فريضة الزكاة عقوبة له .
(٩) ارجع إليه - إن شئت - في الفائق : ١ - ٤

إلى الأقيال العباهلة، والأزواع للشايب^(١).
 وفيه^(٢): في التيمة شاة، لا مقورة الألياط، ولا ضناك^(٣)، وأنطوا الشبجة^(٤)،
 وفي السيوب الخمس^(٥). ومن زنى ميم^(٦) بكر فاصعقوه مائة^(٧)، واستوفضوه
 عاما^(٨)، ومن زنى ميم^(٦) نيب فضر جوه بالأضاميم^(٩)، ولا توصيم في الدين^(١٠)،
 ولا عممة في فرائض الله^(١١)، وكل مسكر حرام. ووائل بن حنجر يترفل
 على الأقيال^(١٢).

(١) الأقيال: الملوك. العباهلة: للقرون على ما سلكهم، فلم يزالوا عنه. والأزواع: السادة
 الزهر الألوان الحسان الوجوه. وقيل: هم الذين يروعون الناس؛ أي يمجبونهم لمنظرهم
 وجملهم وهياتهم. والشايب: جمع مشبوب، وهو الحسن الأزهر اللون.

(٢) وفيه: في هذا الكتاب.

(٣) التيمة: الأربعون من النعم، وقيل: الخمس من الإبل. وقيل: هي أدنى ما تجب فيه الصدقة
 من النعم والإبل. مقورة الألياط: مقورة: مسترخية الجلد من المزال؛ فلا تؤخذ في الصدقة
 لردائها. والمقورة: السمينة أيضا؛ وهذه لا تؤخذ أيضا لأنها أعلى؛ والمأمور بأخذه الوسط.
 والألياط: جمع ليط - بكسر اللام؛ وهو قشر العود، والمراد الجلد. ولا ضناك: الضناك:
 الكثيرة اللحم السمينة فلا تؤخذ لجودتها.

(٤) أنطوا: أعطوا - لنة لأهل اليمن، أو لبني سعد. الشبجة: الوسط.

(٥) السيوب: جمع سيب؛ وهو الركا، وهو المال المدفون الجاهلي.

(٦) ميم: من. (٧) فاصعقوه: فاضربوه. (٨) واستوفضوه: انقوه.

(٩) فضر جوه بالأضاميم: أي ارجوه حتى يسيل دمه ويقتل. والأضاميم: الحجارة،

واحدتها إضامة، أو أضوم.

(١٠) ولا توصيم: للتوصيم: من الوصم؛ وهو العار والعيب؛ أي لا كبر، ولا عيب،

ولا عار، ولا كسل في إقامة حدود الله؛ فلا تحابوا فيها.

(١١) ولا عممة في فرائض الله: أي لا تخفي ولا تستر فرائضه تعالى؛ بل تظهر ويظهر بها.

(١٢) يترفل على الأقيال: أصل الترفل: تطويل الرداء والثوب، وهو كناية عن جملة رئيسا

عليهم محكما فيهم وفي أخذ صدقاتهم؛ أي جملة النبي واليا على أمورهم وقبض صدقاتهم.

أينَ هذا من كتابه لأنس في الصدقة^(١) المشهور . لما كان كلامُ هؤلاء على هذا الحدِّ ، وبلاغتهم على هذا النمط^(٢) ، وأكثر استعمالهم هذه الألفاظ استعمالها معهم ، ليبيِّن للناس ما نُزِّل إليهم ، وليحدِّث الناس بما يعلمون .

وكقوله في حديث عطية السَّمْدِي^(٣) : فإن اليدَ العليا هي المنطِية^(٤) واليدُ السفلى هي المنطاة .

قال^(٥) : فكلمنا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بلُغتنا .

وقوله في حديث العامري^(٦) حين سأله ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : سلْ عنك . أي سلْ عمَّ شئتَ ، وهي لغةُ بني عامر .

وأما كلامُه المعتاد ، وفصاحتهُ المعلومة ، وجوامعُ كَلِمِهِ ، وحِكْمُهُ المأثورة - فقد ألفَ الناسُ فيها الدواوين وُجمعت في ألفاظها ومعانيها الكتب ، وفيها ما لا يُوازى^(٧) فصاحةً ، ولا يُبارى بلاغةً^(٨) ؛ كقوله : المسلمون تتكافأ دِمَاؤُهُم^(٩) ، ويسعى بذمتهم أدناهم^(١٠) ، وهم يدُّ على من سواهم^(١١) .

(١) انظر هذا الكتاب في شرح الحفاجي : ١ - ٥٠٢ إن شئت . (٢) النمط : الطريقة .

(٣) قدم على رسول الله في ناس من بني سعد ، وهو أصغرهم ، خلفوه في رحالهم ، فأمرهم الرسول أن يبعثوا إليه ، فاتاه ، فلما رآه قال : ما أغناك الله فلا تسأل الناس شيئا ، فإن اليد ... وارجع إلى هذا القول في الفائق : ٣ - ١٠٣ ، وقال : هذه لغة سعد .

(٤) المنطية : العطية . والمنطاة : المعطاة . (٥) قال : أي عطية السمدى .

(٦) هذا الحديث رواه أبو نعيم في الدلائل . (٧) يوازي : يماثل ، ويقابل .

(٨) لا يبارى : لا يعارض فيؤتى بمثله .

(٩) تتكافأ دِمَاؤُهُم : التماثل ؛ أي هم متساوون في القصاص والدية ؛ فشریفهم

ومشروفهم ، وصغيرهم وكبيرهم ، وفقيرهم وغنيهم ، وأميرهم وسوقتهم سواء .

(١٠) يسعى بذمتهم أدناهم : المراد بالذمة العهد والأمان ؛ وأدناهم : أقلهم مقدارا ؛ أي

إذا أمن أحد من المسلمين واحدا من الكفار كان ذلك جاريا على جميع المسلمين ، لا يجوز

نقضه لأحد منهم . (١١) وهم يدُّ على من سواهم : معناه أنهم مجتمعون على أعدائهم ، يعاون

بعضهم بعضا ؛ أي هم مستولون قاهرون لغيرهم .

وقوله : الناس كَأَسنانِ الْمُشْطِ ^(١) . وَالرَّءِءِ مَعَ مَنْ أَحَبَّ ^(٢) . وَلَا خَيْرَ فِي صُحْبَةِ مَنْ لَا يَرَى لَكَ مَا تَرَى لَهُ ^(٣) . وَالنَّاسُ مَعَادِنٌ ^(٤) . وَمَا هَلَكَ أَمْرٌ وَعَرَفَ قَدْرَهُ ^(٥) . وَالْمُسْتَشَارُ مُؤْتَمَنٌ ، وَهُوَ بِالْخِيَارِ مَا لَمْ يَتَكَلَّمْ ^(٦) . وَرَحِمَ اللَّهُ عَبْدًا قَالَ خَيْرًا فَغَنِمَ أَوْ سَكَتَ فَسَلِمَ .

وقوله : أَسْلِمٌ تَسْلَمُ ، وَأَسْلِمٌ يُؤْتِيكَ اللَّهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ ^(٧) . وَإِنَّ أَحَبَّكُمْ إِلَيَّ

(١) هذا مثل في تساويهم في الأحكام الشرعية . أو المراد تساويهم في الأنساب ، فإنهم كلهم أولاد آدم . والليم من كلمة « المشط » ضبطت في ب بالكسرة والضمة ، وعليها « معا » .
(٢) وهو حديث صحيح رواه الشيخان عن أنس . وللرء مع من أحب ، والمراد أنه معه في الحشر ومنازل الآخرة ، فيرتقى من منزلته لمنزلهم بسبب خلوص المحبة . والحديث في مسلم : ٢٠٣٤ ، وسنن الترمذى : ٤ - ٥٩٥

(٣) حديث رواه ابن عدى في الكامل بسند ضعيف ، كما قال السيوطى في تحريجه .
(٤) رواه الشيخان عن أبي هريرة . والمعادن : جمع معدن : منبت الذهب والفضة ونحوه ، ويطلق على مكان كل شيء فيه أصله ، وعلى كل أصل ، وعلى بيوت العرب . والحديث في مسلم : ١٩٥٨ . ويعنى صلى الله عليه وسلم بذلك أن بنى آدم يختلفون باختلاف أصلهم ، فمن كان أصله شريفا أعقب مثله ، وسرى طيب عرقه لفرعه ؛ ومن كان دون ذلك كان عقبه مثله ، ومن كان خبيثا كان فرعه خبيثا .

(٥) قال السيوطى : قال السمعانى : إنه حديث روى مسندا عن علي . وفي سننه من لا يعرف حاله .

(٦) وهو بالخيار ما لم يتكلم : معناه أنه مخير إن شاء أشار عليه بما شاوره فيه ، وإن شاء سكت ولم يتكلم . فإذا تكلم لزمه بيان رأيه ونصحه ، وذكر الصواب عنده . وهذا الحديث أخرجه أحمد عن ابن مسعود .

(٧) من حديث رواه الشيخان في كتابه الذى كتبه صلى الله عليه وسلم لهرقل ملك الروم . والكتاب في نسيم الرياض : ١ - ٥١١ . وفي صحيح مسلم : ١٣٩٤ ، والبخارى :

وَأَقْرَبَكُمْ مِنِّي مَجَاسَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، أَحْسِنَ كُمْ أَخْلَاقًا لِمَوْطُونٍ أَكْنَفًا ^(١) الَّذِينَ يَأْلِفُونَ وَيُؤَلَّفُونَ ^(٢) .

وقوله : لعله ^(٣) كان يتكلم بما لا يعنيه ، ويبتخل بما لا يعنيه .

وقواه ^(٤) : ذو الوجهن لا يكون عند الله وجيهًا .

وسهيه ^(٥) عن قيل وقال ، وكثرة السؤال ، وإضاعة المال ، ومنع وهات ، وعقوق الأمهات ^(٦) ، ووأد البنات ^(٧) .

(١) هذا الحديث رواه الترمذي عن ابن مسعود : سنن الترمذي : ٤-٣٧٥ ، والموطون : الموطأ : من فيه لين ورفق وسهولة . والآكناف : جمع كنف ، وهو الجانب والناحية ؛ أى من يلين جانبه لغيره .

(٢) أى الذين يألفهم الناس ويألفونهم . (٣) هذا حديث صحيح روى من طرق . والضمير فى « لعله » راجع لرجل مذكور فى أول الحديث : إن رجلا من الصحابة استشهد بأحد ، فقالت أمه : يا بنى ، لهنتك الشهادة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لها : ما يدريك لعله . . . ويعنيه : يهمه وينفمه .

(٤) هذا حديث رواه أبو داود عن عمار . وانظر سنن أبي داود : ٢ - ١٩٣ . والوجيه : الذى له قدر ومنزلة .

(٥) هذا حديث صحيح رواه الشيخان ، عن مغيرة بن سهم . والحديث فى مسلم : ١٣٤٠ ، ١٣٤١ ، وقيل وقال : مصدران بمعنى القول ، أو فعلان أحدهما مبنى للمجهول والآخر غير مجهول . ومعناه : النهى عن كثرة الكلام لما يؤول إليه من الخطأ . وكثرة السؤال : أى سؤال الناس ما بأيديهم استعطاء . أو السؤال عن أخبار الناس وأحوالهم . ومنع : المراد منع بذل ما يجب أو يستحسن . وهات : أى طلب ما عند غيره وسؤاله . والضبط : المثبت فى أ . وفى ب : قيل وقال - بفتح لامها .

(٦) العقوق : مخالفة الوالدين وإيذاؤهم ، وخص الأمهات مع أن عقوق الوالدين من الكبائر ؛ لأنهن أكثر حقا ، وأشد شفقة على الولد . . والضبط : المثبت فى ب . وفى أ : ومنع وهات - بكسرة واحدة فيهما .

(٧) الوأد : دفن البنات فى حياتهن .

وقوله : اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ ، وَأَتَّبِعِ السَّبِيلَ الْحَسَنَةَ تَمَحُّبًا ، وَخَالِقِ النَّاسَ بِمُخْلِقِ حَسَنٍ ^(١) .

[وقوله] ^(٢) : وَخَيْرُ الْأُمُورِ أَوْسَطُهَا ^(٣) .

وقوله : أَحَبُّ حَبِيبِكَ هَوْنَا مَا عَسَى أَنْ يَكُونَ يَغِيضُكَ يَوْمًا ^(٤) مَا .

وقوله : الظُّلْمُ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ^(٥) .

وقوله في بعض دُعائه : اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِكَ تَهْدِي بِهَا قَلْبِي ، وَتَجْمَعُ بِهَا أَمْرِي ، وَتُلِمُّ بِهَا شَعْبِي ^(٦) ، وَتُصَلِّحُ بِهَا غَائِبِي ، وَتَرْفَعُ بِهَا شَاهِدِي ^(٧) ، وَتَزَكِّي بِهَا عَمَلِي ، وَتُلَهِّمَنِي بِهَا رُشْدِي ^(٨) ، وَتَرُدُّ بِهَا الْفِتْنَةَ ^(٩) ، وَتَعْصِمَنِي بِهَا مِنْ كُلِّ سُوءٍ .

(١) خالق الناس : عاشرهم ، وخالطهم وعاملهم .

وهذا الحديث رواه أحمد ، والترمذي ، والحاكم عن أبي ذر (سنن الترمذي : ٤ - ٣٥٥) .

(٢) من ب .

(٣) هذا الحديث أخرجه السمعاني في ذيل تاريخ بغداد عن علي كرم الله وجهه عنه صلى الله عليه وسلم . وابن جرير في تفسيره ، عن مطرف بن عبد الله ، وكذا أخرجه البيهقي بلا سند ، وذكره الديلمي بلا سند عن ابن عباس ، عن النبي صلى الله عليه وسلم .

(٤) الهون : من هان عليه الشيء : خف وسهل . أرشد النبي التحابين إلى الاقتصاد في المحبة وعدم البالغة فيها ، وأن يكونوا في ذلك على قدر متوسط ، فإن خير الأمور الوسط .

وهذا الحديث أخرجه البخاري في الأدب . والترمذي عن أبي هريرة وقال الترمذي :

الأصح أنه موقوف على علي . (سنن الترمذي : ٤ - ٣٦٠) .

(٥) هذا الحديث أخرجه البخاري : ٣ - ١٦٠ ، والترمذي : ٤ - ٣٧٧ .

(٦) الشعث : انتشار الأمر . أي تجمع ما تشعث وتفرق من أمرى .

(٧) غائبي : باطنى ، أو ماخفى من أمورى ، أو قلبى . شاهدى : ظاهرى . ومعنى زفغ :

أي تجعها عالية رفيعة بالأعمال الصالحة ، والصفات الحسنة .

(٨) الرشد : السداد والاستقامة .

(٩) ترد بها ألقى : ترد وتعيد وترجع ألقى إلى ما كانت عليه . والمراد عشيرته وأقرباؤه

وأهل جلده ، فدعا الله أن يؤانهم ويهديهم إلى الإسلام .

اللهم إني أسألك الفوزَ في القضاء^(١) ، ونزُلَ الشهداء^(٢) ، وعيشَ السعداء ،
والنصرَ على الأعداء^(٣) .

إلى ما رَوَتْهُ الكفاةُ عن الكفاة من مقاماته^(٤) ، ومُحاضراته ، وخطبه ،
وأدعيته ، ومحاطباته وعهوده ، بما لا خلافَ أنه نزل من ذلك مرتبةً^(٥) لا يُقاسُ
بها غيره ، وحاز فيها سبقاً لا يُقدَّر قدره^(٦) .

وقد جمعتُ من كلماته التي لم يسبق إليها ، ولا قدَّر أحدٌ أن يُفْرِغ في قلبه^(٧)
[٢٦] عليها ؛ كقوله : حمى الوطيس^(٨) . ومات حتف أنفه^(٩) . ولا يُلدغ المؤمنُ
من جُحرٍ مرتين^(١٠) . والسعيد من وعظَّ بغيره . . . في أخواتها مما يُدرك الناظر

(١) الفوز : النجاة : سأل الله النجاة من كل سوء ؛ أى مما قضيته وقدرته على من البلاء .
(٢) ونزل الشهداء : النزول : اسم لما يمد للضيف إذا نزل ، من القرى والكرامة . وضبطت
الزاي فى بالسكون ، وفى ب : بالسكون والضم .

(٣) تمام هذا الدعاء فى نسيم الرياض : ١ - ٥٢٢

(٤) المقامات : جمع مقامة : اسم لمكان القيام ، وتوسعوا فيه فاستعملوه لمطلق المكان ،
وزادوا فى التوسع حتى سموه به السلام الصادر فيه « مقامة » . فالمراد به السلام الصادر منه
فى مجالسه ، وخطاب أمته فى حال حكمه ، وحرابه .

(٥) فى ب : مرقبة - بالقاف . وفى هامشه : كذا وقع بالقاف ؛ وصوابه بالتاء . وقال :
المرقبة : الوضع المشرف العالى . (٦) قدره : مقداره . أى سبق كثير لا يلحقه فيه أحد .
(٧) القالب : ما يجب فيه ما يذاب من الجواهر ليصاغ ، والمراد بالقالب هنا الألفاظ ، لأنها
قوالب المعانى . عليها : على هيئتها .

(٨) حمى : اتقد . الوطيس : التور ، أو شئ يشبهه .

(٩) مات حتف أنفه : الحتف : الهلاك . والمعنى أنه مات من غير ضرب ولا قتل ولا
حرق ولا غرق ونحوه - على فراشه ، كأنه سقط على أنفه فمات . وهذا بعض حديث رواه
عبد الله بن عتيك .

(١٠) هذا حديث صحيح رواه أبوهريرة ، يعنى أن المؤمن الفطن لا يندفع مرة بعد مرة
(سنن ابن ماجه : ١٣١٨) .

العَجَبُ فِي مُضْمِنِهَا^(١)، وَيَذْهَبُ بِهِ الْفِكْرُ فِي أَدَانِي^(٢) حِكْمِهَا .

وَقَدْ قَالَ لَهُ أَصْحَابُهُ : مَا رَأَيْنَا الَّذِي هُوَ أَفْصَحُ^(٣) مِنْكَ . فَقَالَ : وَمَا يَمْنَعُنِي ؟
وَلِنَّمَا أُنْزِلَ الْقُرْآنُ بِلِسَانِي ، لِسَانِ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ .

وَقَالَ مَرَّةً أُخْرَى^(٤) : بَيِّدَ أُنَى^(٥) مِنْ قَرِيشٍ ، وَنَشَأْتُ فِي بَنِي سَعْدِ ؛ فَجُمِعَ لَهُ
بِذَلِكَ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قُوَّةُ عَارِضَةِ الْبَادِيَةِ وَجَزَائِلِهَا^(٦) ، وَنَصَاعَةُ الْفَاطِ
الْحَاضِرَةِ وَرَوْنَقُ كَلَامِهَا ، إِلَى التَّأْيِيدِ الْإِلَهِيِّ^(٧) الَّذِي مَدَدَهُ الْوَحْيُ الَّذِي لَا يُحِيطُ
بِعِلْمِهِ بِشَرِّ^(٨) .

وَقَالَتْ أُمُّ مَعْبِدٍ^(٩) فِي وَصْفِهَا لَهُ :

(١) مضمنا : ما تضمنته من المعاني والتراكيب البديعة . وفي ١ : ضبطت للميم بشدة
مكسورة .

(٢) في أداني : في أقل ما تضمنته من الحكم .

(٣) هذا الحديث رواه البيهقي في شعب الإيمان مسندا .

(٤) قال السيوطي : هذا الحديث أورده أصحاب التريب ، ولا يعرف له إسناد .

(٥) بيد : غير .

(٦) العارضة : التجلد والقدرة على الكلام . والجزالة : يقال كلام جزل ؛ أى قوى شديد ؛
أى حلاوة كلام أهل البادية .

(٧) النصاعة : الخلوص . والمراد خلوصها من التعقيد والفرابة والوحشية . والرونق :
البناء والحسن . وفي هامش ١ أمامها : وفصاحة ألفاظ .

فكلام أهل البادية قوى متين لعدم تصنمهم ، وكلام أهل الحاضرة رقيق لطيف ؛ فجمع
كلامه صلى الله عليه وسلم بين هاتين الصفتين مضموماً ذلك إلى التأييد الإلهي .

(٨) بشرى : أى إنسان ؛ منسوب إلى البشر ، وهم بنو آدم .

(٩) أم معبد : كانت تنزل بين مكة وجبالها ، فنزل عليها النبي صلى الله عليها وسلم وأبو بكر
رضي الله عنه لما هاجرا فقدمت لهما القرى ، فلما جاء زوجها أخبرته بذلك ووصفته له . وحديث

حُلُوُّ الْمُنْطِقِ ، فَصَلُّ لَا تَزُرْ وَلَا هَذَرٌ ^(١) ، كَأَنَّ مِنْطَقَهُ خَرَازَاتٌ تُنْظِمْنَ ^(٢) . وَكَانَ جَهْرَ الصَّوْتِ ، حَسَنَ النِّعْمَةِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(٣) .

فصل

وَأَمَّا شَرَفُ نَسَبِهِ وَكَرَمُ بَلَدِهِ وَمَنْشَأُهُ فَمِمَّا لَا يَحْتَاجُ إِلَى إِقَامَةِ دَلِيلٍ عَلَيْهِ ، وَلَا بَيَانِ مُشْكَلٍ وَلَا خَفِيِّ مِنْهُ ؛ فَإِنَّهُ نَحْبَةُ بَنِي هَاشِمٍ ، وَسُلَالَةُ قُرَيْشٍ وَصَمِيمِهَا ^(٤) ، وَأَشْرَفِ الْعَرَبِ ^(٥) ، وَأَعَزَّمِ نَفَرًا مِنْ قَبْلِ أَبِيهِ وَأُمِّهِ ^(٦) ، وَمِنْ أَهْلِ مَكَّةَ مِنْ أَكْرَمِ بِلَادِ اللَّهِ ^(٧) عَلَى اللَّهِ وَعَلَى عِبَادِهِ .

حَدَّثَنَا قَاضِي الْفُضَاةِ حُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ الصَّدَقِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا الْقَاضِي أَبُو الْوَلِيدِ سُلَيْمَانُ بْنُ خَلْفٍ ، حَدَّثَنَا أَبُو ذَرٍّ عَبْدُ بْنُ أَحْمَدَ ، حَدَّثَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ السَّرْحَسِيُّ ، وَابْنُ إِسْحَاقَ ، وَأَبُو الْهَيْثَمِ : [قَالُوا] ^(٨) : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَوْسُفَ ، [قَالَ] ^(٨) : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ ، [قَالَ] ^(٨) : حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ ؛ [قَالَ] ^(٨) : حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، عَنْ عَمْرٍو ، عَنْ سَعِيدِ الْمُقْبَرِيِّ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - أَنَّ رَسُولَ

(١) فصل: أى فاصل بين الحق والباطل . نزر : قليل لا يفهم . والهدر: الهديان، وضبطت الدال في ا ، ب بالفتح .

والهدر - بالسكون : مقابل للنذر ، أى ولا كثير فيعمل . وهو الضبط في الفائق .

(٢) منطقهُ : ما ينطق به . خرازات نظمن : أى متناسبة ، لها رونق كالمقعد المنظوم .

(٣) جهير الصوت : عالى الصوت ، ليس فيه خفاء ولا تكسر .

(٤) النخبة : المختار . والصميم : الخالص .

(٥) في ب : وأفضل العرب . وفي ا : وأشرف ، وعليها علامة الصحة . وفي هامشه

أمامها : وأفضل .

(٦) نفرا : قوما . وفي ب : وأعزها .

(٧) هذا في ا . وفي ب : أكرم . . . وفي هامشه : من .

(٨) من ب .

الله صلى الله عليه وسلم قال : بُعِثْتُ مِنْ خَيْرِ قُرُونِ بَنِي آدَمَ قَرْنَا فَعَرْنَا ، حَتَّى كُنْتُ مِنَ الْقَرْنِ الَّذِي كُنْتُ مِنْهُ (١) .

وعن (٢) العباس ، قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : إِنْ اللَّهُ خَلَقَ الْخَلْقَ لَجَعَلَنِي مِنْ خَيْرِهِمْ ، مِنْ خَيْرِ قَرَنِهِمْ ، ثُمَّ تَخَيَّرَ (٣) الْقَبَائِلَ لَجَعَلَنِي مِنْ خَيْرِ قَبِيلَةٍ ، ثُمَّ تَخَيَّرَ الْبُيُوتَ لَجَعَلَنِي مِنْ خَيْرِ بَيْتِهِمْ ، فَأَنَا خَيْرُهُمْ (٤) نَفْسًا ، وَخَيْرُهُمْ بَيْتًا (٥) .

وعن وائلة بن الأسقع ، قال (٦) : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إِنْ اللَّهُ اصْطَفَى مِنْ وَلَدِ إِبْرَاهِيمَ إِسْمَاعِيلَ ، وَاصْطَفَى مِنْ وَآدِ إِسْمَاعِيلَ بَنِي كِنَانَةَ ، وَاصْطَفَى مِنْ بَنِي كِنَانَةَ قُرَيْشًا ، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشِ بَنِي هَاشِمٍ ، وَاصْطَفَى مِنْ بَنِي هَاشِمٍ . قال الترمذى (٦) : وهذا حديث صحيح :

وفي حديث عن ابن عمر ، رواه الطبري - أنه صلى الله عليه وسلم قال : إِنْ اللَّهُ اخْتَارَ خَلْقَهُ (٧) ، فَاخْتَارَ مِنْهُمْ بَنِي آدَمَ ، ثُمَّ اخْتَارَ بَنِي آدَمَ فَاخْتَارَ مِنْهُمْ الْعَرَبَ ، ثُمَّ اخْتَارَ الْعَرَبَ فَاخْتَارَ [مِنْهُمْ قُرَيْشًا ، ثُمَّ اخْتَارَ قُرَيْشًا فَاخْتَارَ مِنْهُمْ] (٨) بَنِي هَاشِمٍ ، ثُمَّ اخْتَارَ بَنِي هَاشِمٍ فَاخْتَارَنِي مِنْهُمْ ، فَلَمْ أَزَلْ خِيَارًا مِنْ خِيَارِ ، أَلَا مَنْ أَحَبَّ الْعَرَبَ فَيُحِبُّ أَحَبَّهُمْ ، وَمَنْ أَبْغَضَ الْعَرَبَ فَيُبْغِضُنِي أَبْغَضَهُمْ .

(١) هذا حديث صحيح انفرد البخاري بإخراجه (صحيح البخاري : ٥-٣ ، ٤-٢٢٩) .
والقرن : مقدار من الزمان ، ويطلق على أهله . أراد تعلقه في أصلاب آبائه من إبراهيم - عليه السلام - إلى عبد الله بن عبد المطلب .

(٢) هذا الحديث رواه البيهقي مسنداً في دلائله . والترمذى وحسنه . (سنن الترمذى : ٥-٥٨٤) .

(٣) تخيّر : اختار . (٤) نفساً : روحاً وذاتاً .

(٥) وخيرهم بيتاً : أي حسباً وشرفاً وأصلاً .

(٦) صحيح مسلم : ١٧٨٢ ، وسنن الترمذى : ٥-٥٨٣ ، وقال الترمذى : هذا حديث حسن صحيح غريب .

(٧) إن الله اختار خلقه ؛ أي أراد أن يخلق خلقه ويوجدهم ، فلما أوجدهم تخيّرهم .

(٨) ما بين القوسين ليس في أ .

وعن ابن عباس^(١) : إنَّ قُرَيْشًا كانت نورا بين يدي الله تعالى قبل أن يَخْلُق آدمَ بألني عام ، يُسَبِّحُ ذلك النورُ ، وتسبح الملائكةُ بتسبيحه^(٢) ، فلما خلق الله آدمَ ألقى ذلك النورَ في صُلْبِهِ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فأهبطني الله إلى الأرضِ في صُلْبِ آدمَ ، وجعلني في صُلْبِ نوحَ ، وقذف بي في صُلْبِ إبراهيمَ ؛ ثم لم يزل الله تعالى يَنْقُلُنِي من الأصلابِ^(٣) الكريمةِ والأرحامِ الطاهرةِ^(٤) ، حتى أخرجني من بين أبوي^(٥) لم يَأْتِقِيَا على سِفَاحِ قَطِّ^(٦) .

ويشهدُ لصحةِ^(٧) هذا الخبرِ شعْرُ العباسِ في مَدْحِ النبي صلى الله عليه وسلم المشهورِ^(٨) .

فصل

[٢٧] وأما ما تَدْعُو ضرورةُ الحياةِ إليه مما فصلناه فعلى ثلاثةِ ضروبٍ^(٩) : ضَرْبُ الْفَضْلِ فِي قِلَّتِهِ ، وَضَرْبُ الْفَضْلِ فِي كَثْرَتِهِ ، وَضَرْبٌ تَخْتَلِفُ الْأَحْوَالُ فِيهِ . فأما ما التمدُّحُ والكمالُ بتلته انفاقا ، وعلى كل حال ، عادةً وشريعةً ، كالغذاء والنوم ، ولم تزلِ العَرَبُ والحِكْمَاءُ تَمَادِحُ^(١٠) بِقِلَّتِهِمَا ، وَتَدْمُ بِكَثْرَتِهِمَا ؛ لِأَنَّ كَثْرَةَ

(١) قال السيوطي : هذا الحديث رواه ابن أبي عمرو المدني في مسنده .

(٢) بتسبيحه : بتقديسه وتزجيه .

(٣) الأصلاب : يعني أصلاب أجداده .

(٤) في ب : إلى الأرحام . وفي هامشه : خ : والأرحام .

(٥) إخراجه من بين أبويه : تولده منهما ، وخالقه من نطفتهما .

(٦) السفاح : الزنا ؛ أي أبوا النبي - من ولد آدم وحواء إلى عبد الله وآمنة .

(٧) في ب : بصحة . (٨) أول هذا الشعر :

من قبلها طبت في الظلال وفي مستودع حيث يخصف الورق
وسياتي بمد في كلام القاضي .

(٩) ضروب : جمع ضرب : قسم ، ونوع . (١٠) تَمَادِحُ : تمدح بكثرة . أو تتفاخر .

الأكل والشرب دليلٌ على النهم^(١) والحِرْص والشَّرَه^(٢)، وغلبَةُ الشهوةِ مسبَّبٌ لِمَضَارِّ الدنيا والآخرة، جالبٌ لأدْوَاء^(٣) الجسد وخِثَارَةِ النفس^(٤)، وامتلاء الدِّماغ؛ وقِلَّتُهُ دليلٌ على القناعةِ، ومِلْكُ النفس؛ وقَمَعُ الشهوةِ^(٥) مسبَّبٌ للصحة، وصفاء الخاطر، وحدَّةُ الذَّهنِ^(٦)، كما أنَّ كثرةَ النومِ دليلٌ على الفُسُولةِ^(٧) والضعف؛ وعدمُ الذكاء والفِطنة، مسبَّبٌ للكسل، وعادةِ العجز، وتضييعِ العُمُرِ في غيرِ نفعٍ، وقساوةِ القلبِ وغَفْلته ومَوْتِه.

والشاهدُ على هذا ما يُعلمُ ضرورةً، ويوجدُ مشاهدةً، ويُنقلُ متواتراً^(٨) من كلامِ الأُمِّ المتقدمة، والحكماء السابقين، وأشعارِ العربِ وأخبارِها، وصحيحِ الحديثِ، وآثارِ مَنْ سلفٍ وخلفٍ، مما لا يُحتاجُ إلى الاستشهادِ عليه اختصاراً واقتصاراً على اشتهارِ العِلْمِ به^(٩).

-
- (١) النهم : الإفراط في شهوة الطعام .
 (٢) الشره : الحرص على الأكل والشرب .
 (٣) أدواء : جمع داء ، وهو المرض .
 (٤) خِثَارَةُ النفس : ثقلها وعدم نشاطها . وقد ضبطت الخاء في ا ، ب : بالفتح . وفي هامش ب ، خثرت نفسه - بالفتح : اختلطت .
 (٥) قمع الشهوة : القمع : القهر ؛ أى قهر شهوته ، وغلبتها حتى لا تخالفه .
 (٦) حدة الذهن : سرعة الفهم .
 (٧) الفسولة : عدم الهمة في أمور الدنيا والآخرة . وفي هامش ب : الفصل من الرجال ، وقد فصل فسلا وفسولة .

- (٨) أى نقلاً متواتراً متتابعاً ، مرة بعد مرة .
 (٩) كقول الحارث بن كلدة - حكيم العرب : أفضل الدواء الإِزام ؛ أى قلة الأكل . وقول داود : إِيَّاكَ وكثرة النوم فإنه يفكر إذا احتاج الناس إلى أعمالهم . وقول قيصر لقن بن ساعدة : ما أفضل الأكل ؟ قال : ترك الإِكثار .
 ومن الشعر :

قارب فديتك إن أكلت وإن شربت وإن عشيتنا
 وأنا الكفيل لك الحياة وأن تماقي ماحييتنا

وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد أخذ من هذين الفئتين بالأقل^(١).
هذا ما لا يدفع^(٢) من سيرته ، وهو الذى أمر به ، وحض عليه ، لاسيما بارتباط
أحدهما بالآخر .

حدثنا أبو علي الصدق الحافظ بقراءتى عليه ، حدثنا أبو الفضل الأصبهاني ،
حدثنا أبو نعيم الحافظ ، حدثنا سليمان بن أحمد ، حدثنا أبو بكر بن سهل ، حدثنا
عبد الله بن صالح ، حدثني معاوية بن صالح - أن يحيى بن جابر حدثته عن النقدام
ابن معد يكرب - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال^(٣) : ما ملأ ابن آدم وعاء شراً
من بطنه^(٤) ، حسب ابن آدم أكالات^(٥) يقمن صلبه^(٦) ، فإن كان لا محالة^(٧)
فثلث لطعامه ، وثلث لشرابه ، وثلث لنفسه^(٨) .

ولأن كثرة النوم من كثرة الأكل والشرب .

قال سفیان الثوري : بقلة الطعام يملك سهر الليل .

(١) أخذ من هذين الفئتين ؛ أى النوعين ، وهما الأكل والشرب .

(٢) ما لا يدفع : ما لا يناع فيه .

(٣) هذا الحديث رواه الترمذى ، وابن حبان والحديث صحيح (سنن الترمذى : ٤ - ٥٩٠) .

(٤) فى ب : من بطنه ؛ كما أثبتناه . وفى هامشه : من بطن ، وعليها علامة الصحة .

وفى الترمذى (٤ - ٥٩٠) : من بطن أيضا .

(٥) الكاف من « أكالات » ضبطت بالفتحة والضممة وعليها « معا » فى ا ، وفى هامشه :

قال الحافظ المزى : الأكلة - بفتح الهمزة : المرة من الأكل ، وبضم الهمزة مع سكن الكاف :

ما يجعل فى الفم ، وجمعه أكالات - بفتح الكاف وضمها مع ضم الهمزة . وقد ضبطت الكاف

فى الترمذى بالفتح .

(٦) حسب : كفى . يقمن : يقوين . صابه : عظام سلسلة ظهره .

(٧) لا محالة : لا بد ، ولا حيلة .

(٨) بعد الحديث فى الترمذى : قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح .

وقال بعضُ السَّلَفِ : لا تَأْكُلُوا كَثِيرًا فَتَشْرَبُوا كَثِيرًا ، فَتَرْقُدُوا كَثِيرًا ،
[فَتَخَسَّرُوا كَثِيرًا]^(١) .

وقد رَوَى عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ كَانَ أَحَبَّ الطَّعَامِ إِلَيْهِ مَا كَانَ عَلَى ضَفْفٍ ؛
أَي كَثْرَةَ الْأَيْدِي^(٢) .

وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : لَمْ يَمْتَلِئْ جَوْفُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْعًا قَطًّا ،
وَأَنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ لَا يَسْأَلُهُمْ طَعَامًا وَلَا يَنْشَهَاهُ ، إِنْ أَطْعَمُوهُ أَكَلَ ، وَمَا أَطْعَمُوهُ
قَبِلَ ، وَمَا سَتَوَّهُ شَرِبَ^(٣) .

وَلَا يُعْتَرِضُ عَلَى هَذَا بِحَدِيثِ بَرِيَّةَ^(٤) ، وَقَوْلِهِ : أَلَمْ أَرِ الْبُرْمَةَ فِيهَا لَحْمٌ ؛ إِذْ لَعَلَّ
سَبَبَ سَوَالِهِ ظَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اعْتِقَادَهُمْ أَنَّهُ لَا يَحِلُّ لَهُ ؛ فَأَرَادَ بَيَانَ سُنَّتِهِ^(٥) ،
إِذْ رَأَاهُمْ لَمْ يُقَدِّمُوهُ إِلَيْهِ ، مَعَ عَلَيْهِ أَنَّهُمْ لَا يَسْتَأْثِرُونَ عَلَيْهِ^(٦) بِهِ ، فَصَدَّقَ عَلَيْهِمْ
ظَنَّهُ^(٧) ، وَبَيَّنَّ لَهُمْ مَا جَهِلُوهُ مِنْ أَمْرِهِ بِتَوَالِهِ : هُوَ لَهَا صَدَقَةٌ وَلَنَا هَدِيَّةٌ .

(١) ليس في ١ .

(٢) قال السيوطي: هذا الحديث رواه أبو يعلى عن أنس وجابر رضي الله عنهما بسند جيد .

(٣) قال في نسيم الرياض (١ - ٥٥٠): وهذا كان غالب حاله ، فلا ينافي ما وقع له نادرا
على خلاف مقتضى طبعه .

(٤) مولاة عائشة . وحديثها هذا أخرجه مالك في الموطأ ، ورواه الشيخان ، وفيه :
ودخل رسول الله على أهل بيته والبرمة تفور باللحم ، فمربوا له خبزاً وإداماً من إدام البيت ،
فقال : ألم أرى البرمة فيها لحم ؟ فقالوا : بلى ، يا رسول الله ، ولكن هو لحم تصدق به على بريرة ،
وأنت لا تأكل هذا اللحم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هو لها صدقة ولنا هدية .
والبرمة : قدر ينحت من الحجارة . وقيل أعين من ذلك فيشمل النحاس والحديد وغيرهما .
وارجع إلى صحيح مسلم : (١١٤٤ ، وشوطاً : ٥٦٢ ، والبخاري : ٧ - ٦١) .

(٥) سنته : أي طريقته المشروعة له ، وهي جواز أكل الهدية ، وإن كانت صدقة .

(٦) لا يستأثرون عليه به : لا يخصوصون أنفسهم ويقدمونها على النبي في شيء من الطعام وغيره .

(٧) أي صدق في ظنه أنهم يجهلون ذلك .

وفي حِكْمَةِ نُفْهَانِ : يَا بَنِي ، إِذَا اِمْتَلَأَتِ الْمَعِدَّةُ نَامَتِ الْفِكْرَةُ ، وَخَرِسَتِ الْحِكْمَةُ ، وَقَمَدَتِ الْأَعْضَاءُ عَنِ الْعِبَادَةِ .

وَقَالَ سُحْنُونٌ ^(١) : لَا يَصْلُحُ الْعِلْمُ لِمَنْ يَأْكُلُ حَتَّى يَشْبَعَ .

وَفِي صَحِيحِ الْحَدِيثِ ^(٢) قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَمَا أَنَا فَلَآ آكُلُ مُتَّكِنًا . وَالْإِتِّكَاءُ : هُوَ التَّمَكُّنُ لِلْأَكْلِ ، وَالتَّقَعُّدُ ^(٣) فِي الْجُلُوسِ لَهُ كَالْمُتَرَبِّعِ ، وَشِبْهُهُ مِنْ تَمَكَّنَ الْجُلُوسَاتِ الَّتِي يَعْتَمِدُ فِيهَا الْجَالِسُ عَلَى مَا تَحْتَهُ [٢٨] : وَالْجَالِسُ عَلَى هَذِهِ الْمَهِيئَةِ يَسْتَدْعِي الْأَكْلَ وَيَسْتَكْتَرُ مِنْهُ .

وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا كَانَ جُلُوسَهُ لِلْأَكْلِ جُلُوسَ الْمُسْتَوْفِزِ مُتَّعِيًا ^(٤) ، وَيَقُولُ : [إِذَا] ^(٥) أَنَا عَبْدٌ آكُلُ كَمَا يَأْكُلُ الْعَبْدُ ، وَأَجْلِسُ كَمَا يَجْلِسُ الْعَبْدُ ^(٦) .

وَلَيْسَ مَعْنَى الْحَدِيثِ فِي الْإِتِّكَاءِ الْمِيلُ عَلَى شِقِّ عِنْدَ الْحَقِيقِينَ .

(١) سحنون : فقيه مالكي . وهذا لقبه ، واسمه عبد السلام بن سعيد التنوخي . انتهت إليه الرياسة في العلم بالمغرب ، وأدرك مالكا ، ولم يقرأ عليه ، وصنف كتاب المدونة في مذهب مالك . توفي سنة أربعين ومائتين . وقيل : سنة خمس وأربعين ومائتين .

(٢) سنن ابن ماجه : ١٠٨٦ ، والبخارى : ٧ - ٩٣ ، وسنن الترمذى : ٤ - ٢٧٣

(٣) التعمد : التثبت والتمكن من القعود .

(٤) المستوفز : الذى لا يكون مطمئنا بل مستعجلا للقيام . والإقعاء : معناه أن يلمصق إتيته بالأرض ، وينصب ساقيه وفخذه ويلصقهما بصدرة ، وربما يكون مع وضع يده على الأرض ، يشبه جلوس البدوى المصطلى ، أو أن ينصب قدميه واضعا على عقبه إتيته ضامسا ساقية وفخذه واضعا ركبتيه على الأرض . وإقعاء النبي للأكل كان بإلصاق مقدمه بالأرض ناصبا ساقيه .

(٥) ليس في ١ .

(٦) المعنى أنى لست مخلوقا للعالمية وترفها ، فنظري إنما هو لعبادة الله وتبليغ أوامره ، فلا ألتفت إليها ؛ وإنما أتناول منها بسرعة مقدارا يسيرا لدفع الجوع ، كالعبد الوكيل بمخدمة سيده .

وكذلك نومه صلى الله عليه وسلم كان قليلا ، شهدت بذلك الآثار الصحيحة ، ومع ذلك فقد قال ^(١) : إن عيني تنامان ولا ينام قلبي .
 وكان نومه على جانبه الأيمن استظهاراً ^(٢) على قلة النوم ؛ لأنه ^(٣) على الجانب الأيسر أهنأ ^(٤) ، لهدوء القلب وما يتعلق به من الأعضاء الباطنة حينئذٍ ، لميلها إلى الجانب الأيسر ؛ فيستدعى ^(٥) ذلك الاستئقال فيه والطول ^(٦) .
 وإذا نام النائم على الأيمن تعلق القلب وقلق ، فأسرع الإفاقة ^(٧) ولم يغمره الاستفراق .

فصل

والضرب الثاني ما يتفق المدح ^(٨) بكثرته ، والفخر بوفوره ^(٩) ، كالنكاح والجاه ^(١٠) : أما النكاح فمتفق فيه ^(١١) شرعاً وعادة ؛ فإنه دليل الكمال ، وصحة الذكورية ^(١٢) ، ولم يزل التفاخر بكثرته عادة معروفة ، والتماحُ به سيرة ماضية .
 وأما في الشرع فسنة مأثورة ؛ وقد قال ابن عباس ^(١٣) : أفضل هذه الأمة أكثرها نساء - يشير إليه صلى الله عليه وسلم .

(١) سنن أبي داود : ١ - ٢٠ ، ومسلم : ٥٢٨

(٢) استظهاراً : استعانة .

(٣) لأنه ؛ أى النوم .

(٤) أهنأ : أسهل وألد . وفي ب : أهدأ .

(٥) فيستدعى ذلك : فيقتضى ذلك .

(٦) الاستئقال فيه : ثقل بدنه في نومه ، وغلبة النوم حتى يستغرق فيه . والطول ؛ أى طول نومه .

(٧) الإفاقة : التيقظ .

(٨) الضرب الثاني مما تدعو ضرورة الحياة إليه . وفي ب : التمدح . (٩) بوفوره : زيادته .

(١٠) الجاه : علو القدر عند الناس ، والمهابة ، وتقوُّد الكلمة ، والاشتهار بذلك .

(١١) فيه : في مدحه وثنائه .

(١٢) صحة الذكورية : قوتها ، وسلامتها من الضعف والآفة .

(١٣) حديث صحيح رواه البخاري (صحيح البخاري : ٧ - ٤)

وقد قال عليه السلام : تَنَاكَحُوا تَنَاسَلُوا ، فَإِنِّي مُبَاهٍ ^(١) بكم الأُمم يوم القيامة .
 ونهى عن التَّبَتُّلِ ^(٢) مع ما فيه من قَمْعِ الشَّهْوَةِ ، وَغَضِّ البَصْرِ الَّذِينَ نَبَّهَ
 عليهما صلى الله عليه وسلم بقوله : مَنْ كَانَ ذَا طَوَّلٍ ^(٣) فَلْيَتَزَوَّجْ ؛ فَإِنَّهُ أَعْضٌ للبصر ،
 وَأَحْصَنُ للفرج ، حتى لم يره العلماء مما يَقْدَحُ ^(٤) في الزهد .

قال سهل بن عبد الله : قد حُبِّبَ ^(٥) إلى سيد المرسلين ، فكيف يُزهد فيهنّ ؟
 ونحوه لابن عيينة .

وقد كان زُهَادُ الصَّعَابَةِ كَثِيرِي الزَّوْجَاتِ وَالسَّرَارِي ^(٦) ، كَثِيرِي النِّكَاحِ .
 وَحُكِيَ فِي ذَلِكَ عَنْ عَلِيٍّ ، وَالْحَسَنِ ^(٧) ، وَابْنِ مُعْمَرٍ ، وَغَيْرِهِمْ غَيْرُ شَيْءٍ .
 وَقَدْ كَرِهَ غَيْرُ وَاحِدٍ أَنْ يَلْتَقِيَ اللَّهَ عَزَبًا ^(٨) .

فإِن قُلْتَ : كَيْفَ يَكُونُ النِّكَاحُ وَكَثْرَتُهُ مِنَ الْفَضَائِلِ ، وَهَذَا يَحْتَجِي بِنِ زَكْرِيَا
 عَلَيْهِ السَّلَامُ قَدْ أَثْنَى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ أَنَّهُ كَانَ حَاصِرًا ^(٩) ؛ فَكَيْفَ يُثْنِي اللَّهُ بِالْعَجْزِ
 عَمَّا تَعَدُّهُ فَضِيلَةً ؟

(١) تناكحوا : التناكح : التزوج . والمباهاة : المفاخرة .
 وهذا الحديث أخرجه ابن مردويه في تفسيره بسند ضعيف . ورواه الطبراني في الأوسط
 من حديث سهل بن حنيف .
 (٢) الحديث صحيح ، رواه الشيخان : مسلم : ١٠٢٠ ، والبخاري : ٧ - ٥ ، وسنن
 النسائي : ٦ - ٤٨ . والتبتل : الانقطاع عن النكاح . وقمع الشهوة : قهرها .
 (٣) ذا طول : الطول : سعة الرزق واللئال بحيث تكون له قدرة على نفقة زوجته وأهله .
 وارجع إلى البخاري : ٧ - ٣ .
 (٤) القدح : الطعن ؛ أى ليس مما ينقص الزهد حتى يعيبه الناس .
 (٥) حبين : أى النساء . (٦) السراري : جمع سرية ، والسرية : هى الأمة المنكوحة .
 (٧) الحسن بن علي . (٨) عزبا : ليست له امرأة .
 (٩) فى قوله تعالى : « وسيدا وحصورا » - سورة آل عمران ، آية ٣٩

وهذا عيسى عليه السلام تَبَتَّل^(١) عن النساء ، ولو كان كما قررته اَنْكَحَ^(٢) ؟
 فاعلم أنَّ ثناء الله تعالى على يحيى بأنه حَاصِرٌ ليس كما قال بعضهم :
 إنه كان هَيُوبًا^(٣) ، أو لا ذَكَرَ له^(٤) ؛ بل قد أنكر هذا حُذَّاقُ المفسرين ونَقَّادُ
 العلماء ، وقالوا : هذه نَعِيصَةٌ وَعَيْبٌ ، ولا تَلِيْقُ بالأنبياء .

وإنما معناه أنه معصوم من الذنوب ، أى لا يأتيها ، كأنه حَصِرَ عنها^(٥) .

وقيل : مانعا نفسه من الشبهوات .

وقيل : ليست له شهوةٌ في النساء .

قد بَانَ لَكَ من هذا أنْ عَدَمَ القدرة على النكاح نَقْصٌ ، وإنما النَصْلُ في كونها
 موجودة ، ثم قَمَعُهَا^(٦) ؛ إِمَّا بمجاهدةٍ ، كعيسى عليه السلام ، أو بِكِفَايَةٍ من الله تعالى ،
 كيحيى عليه السلام - فضيلةٌ زائدةٌ لكونها شَاغِلَةٌ^(٧) في كثير من الأوقات حَاطَةٌ
 إلى الدنيا^(٨) .

ثم هي^(٩) في حقِّ مَنْ أقدِرَ عليها ومُلِّكَهَا وقام بالواجب فيها^(١٠) ، ولم تَشغَلْهُ
 عن ربِّه - درجةٌ عُليا ، وهي درجةُ نبيينا صلى الله عليه وسلم الذى لم تَشغَلْهُ كثرتُهِنَّ
 عن عبادة ربِّه ؛ بل زَادَهُ ذلك عبادةً ، لِتَحْصِينِهِنَّ^(١١) ، وقيامه بمحقوقهن ، واكتسابه
 لهنَّ ، وهدايته إياهنَّ ؛ بل صرَّحَ أنها ليست من حَظُوظِ [٢٩] دُنْيَاهُ هو ، وإن

(١) تبتل عن النساء : انقطع عنهن بالكلية ولم يتزوج .

(٢) أنكح : لتزوج . (٣) هيوباً : جباناً عن النكاح .

(٤) في ب : معه . (٥) حصر عنها : منع . (٦) قمعا : منعها .

(٧) في ب : مشغلة . وفي هامشه أمامها : شاغلة .

(٨) أى تنزل الإنسان إلى شهوات الدنيا الدنية .

(٩) هي : أى الشهوة في الجماع .

(١٠) أى من ملك شهوته ، ولم تمنعه من القيام بما يجب عليه من مهمات دينه ودنياه .

(١١) لتحصينهن : أى جعلهن محصنات بنكاحه صلى الله عليه وسلم لهن .

كَانَتْ مِنْ حَظْوِظِ دُنْيَا غَيْرِهِ ؛ فَقَالَ ^(١) : حُبِّ ^(٢) إِلَى مِنْ دُنْيَا كَمْ . . فَدَلَّ عَلَى أَنْ حُبَّهُ لِمَا ذَكَرَ مِنَ النِّسَاءِ وَالطَّيِّبِ اللَّذَيْنِ هُمَا مِنْ أُمُورِ دُنْيَا غَيْرِهِ ، وَاسْتِعْمَالَ ذَلِكَ لَيْسَ لِدُنْيَاهُ ، بَلْ لِآخِرَتِهِ ؛ لِلْفَوَائِدِ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا فِي التَّرْوِيجِ ، وَلِلْقَاءِ الْمَلَائِكَةِ فِي الطَّيِّبِ ؛ وَلِأَنَّهُ ^(٣) أَيْضًا مَا يَحُضُّ عَلَى الْجَمَاعِ ، وَيُعِينُ عَلَيْهِ ، وَيَحْرُكُ أَسْبَابَهُ .
وَكَانَ حُبُّهُ لِهَاتَيْنِ الْخِصْلَتَيْنِ ^(٤) لِأَجْلِ غَيْرِهِ ، وَقَمَعَ شَهْوَتَهُ ؛ وَكَانَ حُبُّهُ الْحَقِيقِيُّ الْمُخْتَصُّ بِذَاتِهِ فِي مَشَاهِدَةِ جَبْرُوتِ مَوْلَاهُ وَمَنَاجَاتِهِ ^(٥) ؛ وَلِذَلِكَ مِيزَ بَيْنَ الْحُبِّينِ ^(٦) ، وَفَصَّلَ بَيْنَ الْحَالَتَيْنِ ؛ فَقَالَ : وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي ^(٧) فِي الصَّلَاةِ ؛ فَقَدَسَاوَى يَحْيَى وَعِيسَى فِي كِفَايَةِ فَتَنَتِهِنَّ ^(٨) ، وَزَادَ فَضِيلَةَ بِالْقِيَامِ بِهِنَّ ^(٩) .

(١) فِي ب : وَقَالَ .

(٢) الْحَدِيثُ : حُبٌّ إِلَى مِنْ دُنْيَا كَمْ ثَلَاثٌ : النِّسَاءُ ، وَالطَّيِّبُ ، وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ . قَالَ السِّيُوطِيُّ ، هَذَا الْحَدِيثُ رَوَاهُ الْحَاكِمُ ، وَالنَّسَائِيُّ ، عَنْ أَنَسٍ . وَرَوَاهُ أَحْمَدُ عَنْ عَائِشَةَ . (سنن النسائي : ٦ - ٤٤) .

(٣) وَلِأَنَّهُ : أَيْ الطَّيِّبِ .

(٤) الْخِصْلَتَانِ : هُمَا الْجَمَاعُ وَالطَّيِّبُ .

(٥) الْجَبْرُوتُ : الْمُرَادُ عِظْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى سَيِّدُهُ وَمَوْلَاهُ . وَالنَّجَاةُ : الْمَسَارَةُ بِتَلْقَى وَحْيِهِ ، وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ .

(٦) مِيزَ : فَارَقَ وَفَصَّلَ . بَيْنَ الْحُبِّينِ : أَيْ حُبِّ مَا هُوَ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا ظَاهِرًا ، وَبَيْنَ مَا هُوَ حَقِيقَةُ اللَّهِ .

(٧) قُرَّةُ الْعَيْنِ : مَا يَسُرُّ مِنْ يَنْظُرِهِ .

(٨) أَيْ أَنَّ يَحْيَى وَعِيسَى تَبَتَّلَا وَتَرَكَوا التَّرْوِيجَ مَعَ الْقُوَّةِ وَالْقُدْرَةِ خَوْفًا مِنْ قِتْنَةِ النِّسَاءِ ، وَهِيَ تَمَكَّنُ حُبَّهَا فِي الْقَلْبِ وَالِاسْتِغْنَالِ بِهِنَّ عَنِ الْعِبَادَةِ ؛ وَهِنَّ لَمْ يَشْتَغِلْنَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَلَمْ يَنْعَمَنَّ عَنْهَا فِي حَالِ مِنَ الْأَحْوَالِ ؛ فَسَاوَاهُمَا فِي عَدَمِ الْإِسْتِغْنَالِ ، حَتَّى كَانَ الْوَحْيُ يَنْزِلُ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ فِي فِرَاشِ زَوْجَاتِهِ ؛ وَأَعَاتَهُ خَدِيجَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فِي أَوَّلِ أَمْرِهِ .

(٩) بِالْقِيَامِ بِهِنَّ : أَيْ لَهُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَضِيلَةٌ زَائِدَةٌ عَلَى مَا ذَكَرَ بِقِيَامِهِ عَلَى زَوْجَاتِهِ ، وَكَسْبِهِ لِهِنَّ ، وَهَدَايَتِهِ لِهِنَّ ، مَعَ عَدَمِ غَفْلَتِهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - طَرْفَةَ عَيْنٍ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى .

وكان صلى الله عليه وسلم من أقدِرَ على القوة في هذا ، وأُعطيَ الكثيرَ منه ؛
ولهذا أُبيحَ له من عددِ الحُرَّاتِ ما لم يُبيحَ لغيره^(١) .

وقد رَوَيْنَا عن أنس أنه - صلى الله عليه وسلم - كان يَدُورُ على نِسائِهِ في الساعَةِ^(٢)
من الليل والنهار ، وهنَّ إحدى عشرة^(٣) .

[وعن طاوُس : أُعطيَ عليه السلام قوَّةَ أربعين رجلا في الجَماعِ .

ومثله عن صفوان بن سُلَيم .

وقالت سَلَى مولاتُهُ : طاف النبي^(٤) صلى الله عليه وسلم ليلةً على نِسائِهِ التسعِ ،
وتَطَهَّرَ من كل واحدة قبل أن يَأْتِيَ الأخرى ؛ وقال : هذا أَطيب وأظْهر^(٥) .

قال أنس : وكُنَّا نتحدَّثُ أنه أُعطيَ قوَّةَ ثلاثين رجلا . خرَّجه النِسائي ، ورَوَى
نحوه عن أبي رافع .

وقد قال سليمان - عليه السلام^(٦) : لأطوفنَّ الليلةَ على مائة امرأةٍ أو تسع وتسعين ،
وأنه فَعَلَ ذلك .

قال ابنُ عباس : كان في ظَهْرِ سُلَيمان مائة رجلٍ أو تسع وتسعين ، وكانت له
ثلاثمائة امرأةٍ وثلاثمائة سُرِّيَّةٍ^(٧) .

(١) هذا من خصائصه بالنسبة لامته ؛ فأبيحَ له أن ينكحَ من النساءِ ما شاء في أول أمره ،
ثم حرم الله عليه بعد ذلك أن يزيدَ على ما في عصمته من أزواجه ، فقال : « لا يحل لك النساءُ من
بعد ولا أن تبدلَ بهن من أزواجٍ ولو أعجبك حسنهن إلا ما مَلَكَت يمينك » .

(٢) في الساعَةِ : أى مقدار ساعة . والحديث في البخارى : ١ - ٧٣ ، ٧ - ٤٤

(٣) قال ابنُ جبان : كانت زوجته تسعا ، وكانت عنده جاريتان (نسيم الرياض ١ - ٥٧١)

(٤) سنن ابن ماجه : ١٩٤ ، والبخارى : ٧ - ٤

(٥) ما بين القوسين عليه علامة الصحة في ١ . وفي ب : من الأم من غير الرواية .

(٦) الحديث في صحيح مسلم : ١٢٧٥ ، ١٢٧٦ ، وروايته : على سبعين . . . مرة ،

وعلى تسعين . . . مرة أخرى . (٧) السرية : الأمة التي بوأتها بيتا (القاموس) .

وحكى النقاش وغيره سبعمائة امرأة وثلاثمائة سُرِّيَّة .
وقد كان لداود عليه السلام على زُهدِه وأَكْمَلِه من عَمَلٍ (١) يده تسع وتسعون
امرأة ، وتمت بزواج أورياً (٢) مائة .
وقد نبّه على ذلك في الكتاب العزيز بقوله تعالى (٣) : ﴿ إِن هَذَا أُخِي لَهُ تِسْعٌ
وتسعون نَجَّةً ﴾ .

وفي حديث أنس عنه ، عليه السلام : (٤) « فَضَّلْتُ عَلَى النَّاسِ بِأَرْبَعٍ : بِالسَّخَاءِ ،
وَالشُّجَاعَةِ ، وَكَثْرَةِ الْجَمَاعِ ، وَقُوَّةِ الْبَطْشِ .
وأما الجاهُ (٥) فمحمودٌ عند العقلاء عادةً وبقدْرِ جَاهِهِ عِظَمُهُ فِي الْقُلُوبِ (٦) .
وقد قال الله تعالى في صفة عيسى عليه السلام (٧) : ﴿ وَجِيهًا (٨) فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ﴾ ؛
لكن آفَاتُهُ كَثِيرَةٌ (٩) ؛ فَهُوَ مُضِرٌّ لِبَعْضِ النَّاسِ لِعُقْبَى الْآخِرَةِ (١٠) ، فَلِدَلِكَ ذَمُّهُ مِنْ
ذَمِّهِ ، وَمَدْحٌ ضِدَّةً (١١) .

-
- (١) لأن الله له الحديد ، فكان يصنع منه الدروع ويبيعها ويأكل هو وأهله من ثمنها مع ما آتاه الله من الملك .
(٢) الضبط في ب . وأورياء : اسم رجل - يمد ويقصر ، وزوجته هي المذكورة في القرآن في قوله تعالى : « إن هذا أخى له تسع وتسعون نجمة . . . » . (٣) سورة ص ، آية ٢٣
(٤) قال السيوطي : رواه الدارقطني في الأوسط بسند جيد .
(٥) الجاه : كونه وجيهاً عند الناس ، بتسخير القلوب وطاعتها ومحبتها وانقيادها له ، بحيث يقدر على استعمال أربابها في مقاصده ؛ وهي لانتقاد إلا باعتقاد الكمال التام عندها .
(٦) أى يعظم الإنسان ذو الجاه فى القلوب بمقدار عظمة جاهه .
(٧) سورة آل عمران ؛ آية ٥٥
(٨) وجيهاً : أى عظيماً ذا جاه عند الله فى الدارين .
(٩) أى يمرض له - أى الجاه - ما يفسده ويجعله مذموماً كثيراً .
(١٠) أى لما يعقبه ويترتب عليه فى الآخرة .
(١١) ضده : هو الخمول وعدم الشهرة بين الناس .

وورد في الشَّرْعِ مدحُ الخمول^(١) ، وذمُّ العلوِّ في الأرض .
وكان صلى الله عليه وسلم قد رُزِقَ من الحِشْمَةِ^(٢) ، والمساكنةِ في القلوب ، والعظمةِ
قبل النبوة عند الجاهلية وبعدها ، وهم يكذبون ويؤذون أصحابه ، ويقتصدون أذاه
في نفسه خُفْيَةً حتى إذا واجههم أعظموا أمره ، وقضوا حاجته^(٣) .
وأخباره في ذلك معروفة سياتى بعضها .
وقد كان يُبَهَّتُ^(٤) ويُفَرَّقُ لرؤيته^(٥) من لم تره ، كما روى عن قبيلة^(٦) أنها
لما رأته أرعدت من الفَرَقِ ؛ فقال : يا مسكينة ، عليك السكينة^(٧) .
وفي حديث أبي مسعود^(٨) أن رجلاً قام بين يديه فأرعد ؛ فقال : هوّنْ عليك
فإني لستُ بِمَلِكٍ . . . الحديث^(٩) .

(١) كما ورد في حديث : رب أشعث أغبر ذى طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره .
وفي حديث : إن الله يحب الأتقياء الأخفاء الذين إذا غابوا لم يفتقدوا ، وإذا حضروا لم
يعرفوا .

(٢) يريد بالحشمة : الهابة والعظمة في أعين الناس .

(٣) أى لأنهم لمهاتبه صلى الله عليه وسلم ، وعظته في قلوبهم ، لا يواجهونه بالأذى . وضبطت
الحاء في كلمة « خفية » في البضم والكسر ، وعليها « مما » .

(٤) يبهت : يتحير ويدهش . ويفرق : يخاف ويفزع .

(٥) في ب : من رؤيته .

(٦) هي قبيلة بنت محزومة . وحديثها مذكور في شمائل الترمذى ، وفي سنن أبي داود ،
وأخرجه ابن سعد بتمامه . وهو أنها رأته صلى الله عليه وسلم في المسجد ، وهو قاعد القرفصاء ؛
قالت : فلما رأته متخشما في الجلسة أرعدت من الفرق . . .

(٧) أرعدت : أى لحقتها رعدة من الخوف . والسكينة : الطمأنينة ، وعدم الخوف .

(٨) هذا الحديث رواه البيهقي من طريق قيس عنه موصولا . وعن قيس مرسلا . وأخرجه

الحاكم مثله وصححه .

(٩) وتامه : وإنما أنا ابن امرأة من قريش تأكل القديد .

وهون عليك : لا تخف .

فأما عِظْمُ قَدْرِهِ بالنبوة، وشريفُ منزلته بالرسالة، وإِنَافَةٌ رُبْنِيَّتُهُ ^(١) بالاصطفاء والكرامةِ في الدنيا فأمرٌ هو مبلغُ النهاية ^(٢)، ثم هو في الآخرة سَيِّدٌ وَلَدٌ آدَمَ ^(٣).
وعلى معنى هذا الفصل نظمنا هذا القسم ^(٤) بأسره.

فصل

وأما الضَرْبُ الثالثُ، فهو ما تختلفُ الحالاتُ في التمدُّحِ به والتفاخُرُ بسببه، والتفضيل [٣٠] لأجله، ككثرةِ المال - فصاحبه ^(٥) على الجملة مُعَظَّمٌ عند العامة، لا اعتقادِها توصله به إلى حاجاته، وتمكّنَ أغراضه بسببه، وإلا فليس فِضِيَّةً في نفسه، فمتى كان المالُ بهذه الصورة، وصاحبه مُنْفَقاً له في مُهِماتٍ من اعتراه ^(٦) وأمله ^(٧)؛ وتصريفه في مواضعه مُشْتَرِيًا به المعالي والثناء الحسن ^(٨)، والمنزلةَ في القلوب ^(٩) - كان فِضِيَّةً ^(١٠) في صاحبه عند أهل الدنيا، وإذا صرفه في وجوه البر، وأنفق في سبيل الخير، وقصد بذلك الله والدَّارَ الآخرة، كان فِضِيَّةً عند الكلِّ بكلِّ حال ^(١١)، ومتى كان صاحبه مُمَسِّكاً له غير موجهه وجوهه ^(١٢)، حريصاً على جمعه،

(١) إنافة : علو ، وارتفاع .

(٢) فأمر هو مبلغ النهاية : أى هو نهاية النهاية ليس فوقه مرتبة أخرى .

(٣) هذا بعض من حديث في سنن ابن ماجه (١٤٤٠)؛ وهو: أنا سيد ولد آدم ولا فخر .

(٤) هذا القسم ؛ أى القسم الأول من الكتاب ؛ أى جعلناه موضوعاً لبيانه . بأسره :

(٥) فصاحبه : صاحب المال . جميعه .

(٦) من اعتراه : من ورد عليه ، وقصده من الضيوف والإخوان وأرباب الحاجات .

(٧) وأمله : ورجاه ، ورجا إحسانه وإكرامه .

(٨) الثناء الحسن : الذكر الجميل . (٩) فى ب : من القلوب .

(١٠) كان فِضِيَّةً : أى أمراً فاضلاً محموداً .

(١١) عند كل الناس من أهل الدنيا وغيرهم ، من العامة والخاصة . بكل حال : أى سواء

اكتسب به العالى والثناء أم لا .

(١٢) غير موجهه وجوهه : غير صارف له فى مصارفه من مهماته ووجوه الخير .

عاد كُثْرُهُ كَالْعَدَمِ^(١)، وَكَانَ مَنَّقَصَةً فِي صَاحِبِهِ^(٢)، وَلَمْ يَقِفْ بِهِ عَلَى جَدَدٍ^(٣) السَّلَامَةِ؛
بَلْ أَوْقَعَهُ فِي هُوَّةٍ^(٤) رَذِيلَةٍ الْبُخْلِ، وَمَذْمَمَةِ النَّذَالَةِ^(٥)؛ فَإِذَا التَّمَدُّحُ بِالْمَالِ
وَفُضِيلَتُهُ عِنْدَ مُفَضِّلِهِ لَيْسَتْ لِنَفْسِهِ، وَإِنَّمَا هُوَ^(٦) لِلتَّوَصُّلِ بِهِ إِلَى غَيْرِهِ، وَتَهْرِيفِهِ فِي
مُتَصَرِّفَاتِهِ^(٧)، فِجَامِعُهُ إِذَا لَمْ يَضَعْهُ مَوَاضِعَهُ، وَلَا وَجَّهَهُ وَجْهَهُ غَيْرَ مَلِيٍّ^(٨) بِالْحَقِيقَةِ
وَلَا غَنَىٍّ بِالْمَعْنَى، وَلَا مُتَمَدِّحٍ عِنْدَ أَحَدٍ مِنَ الْعُقَلَاءِ؛ بَلْ هُوَ فَقِيرٌ أَبَدًا غَيْرٌ وَاصِلٌ
إِلَى غَرَضٍ مِنْ أَغْرَاضِهِ؛ إِذَا مَا بِيَدِهِ مِنَ الْمَالِ الْمَوْصَلُ لَهَا^(٩) لَمْ يَسَلْطُ عَلَيْهِ^(١٠)،
فَأَشْبَهَ خَازِنَ مَالٍ غَيْرِهِ، وَلَا مَالَ لَهُ؛ فَكَأَنَّهُ لَيْسَ فِي يَدِهِ مِنْهُ شَيْءٌ.

وَالْمَنْفِقُ مَلِيٌّ^(١١) وَغَنَىٌّ بِتَحْصِيلِهِ فَوَائِدَ الْمَالِ، وَإِنْ لَمْ يَبْقَ فِي يَدِهِ مِنَ الْمَالِ شَيْءٌ.
فَانظُرْ سِيرَةَ نَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَخُلُقَهُ فِي الْمَالِ تَجِدُهُ قَدْ أُوتِيَ خَزَائِنَ الْأَرْضِ،

(١) كثره : كثيره . كالعدم : إنما كان كالعدم ؛ لأنه لم ينتفع به ؛ فإنه خازن لغيره ، حارس
لنعمته ، يستعجل الفقر الذي هرب منه ، ويفوته الغنى الذي طابه ؛ فيعيش عيش الفقراء ،
ويحاسب عليه حساب الأغنياء .

(٢) وكان منقصة : وذلك لعدم الناس له ، ووصفه بالبخل .

(٣) الجدد : الأرض الصلبة ، والمراد الطريق السلوكية ؛ أى لم يحصل ما يسلم به من النقص
والبال والدم .

(٤) أصل الهوة : الحفرة العميقة .

(٥) النذالة : الدناءة والحسة . (٦) وإنما هو : أى المال .

(٧) قال فى نسيم الرياض: وفى الحديث (سنن الترمذى: ٤ - ٥٧٢): يقول ابن آدم مالى؛
وهل لك من مالك إلا ما تصدقت فأمضيت ، أو أأكلت فأنفيت ، أو لبست فأبليت . فمن
لم يتوصل بماله إلى ما ذكر ولم ينتفع به يكون كمن لا مال له .

(٨) غير ملىء : غير غنى . وفى ب : غير ملى ؛ أى غير نقمة .

(٩) فى ب : ولا متمدح .

(١٠) لها : أى لأغراضه .

(١١) لم يسلط عليه : لم يقدره الله على الإنفاق منه فى أغراضه .

(١٢) فى ب : ملى .

ومفاتيح البلاد^(١)، وأحلّت له الفنائم^(٢)، ولم تحلّ لنبيّ قبله، وفُتِحَ عليه في حياته صلى الله عليه وسلم بلادُ الحجاز واليمن، وجميعُ جزيرة العرب، وما دأني ذلك^(٣) من الشام والعراق، وُجِلِبَتْ إليه من أخصاسها وجزيرتها^(٤) وصدقاتها ما لا يُحِجِبِي^(٥) لفلوك إلا بعضه، وهادته^(٦) جماعةٌ من ملوك الأقاليم^(٧) فما استأثر بشيء منه^(٨)، ولا أمسك منه درهماً؛ بل صرفه مصارفةً، وأغنى به غيره، وقوى به المسلمين؛ وقال: ما يسرّني أن لي أحدًا^(٩) ذهباً بيتٌ عندي منه دينار، إلا ديناراً أرصده^(١٠) لدين.

[وأنته دنانير مرةً قسمها، وبقيت منه ستة^(١١)؛ فدفعها لبعض نسائه، فلم يأخذه نوم حتى قام وقسمها، وقال: الآن استرحت]^(١٢).

-
- (١) خزائن الأرض : دقاتها ومعادنها .
 - (٢) الفئيمة : ما يؤخذ من الكفار بقتال .
 - (٣) ما دأني ذلك : ما قرب منه .
 - (٤) من أخصاسها : من غنائمها ؛ لأنّ الفنائم تجمل خمسة أجزاء ، خمس للإمام ، وأربعة لأخصاس للجند . والجزية : ما يؤخذ من الكفار من الحراج على الرؤوس .
 - (٥) يحجبي : يجمع .
 - (٦) هادته : أهدت إليه . والهدية : ما يبعث بلا عوض للمهدى إليه إكراماً .
 - (٧) أراد بالأقاليم : النواحي والبلدان .
 - (٨) فما استأثر : ما اختص نفسه بشيء منها دون أصحابه .
 - (٩) أحد : جبل قريب من المدينة ، كانت فيه غزوة أحد المعروفة .
 - (١٠) أرصده : أجمله معداً لسداد دين .
 - (١١) وهذا الحديث في الصحيحين وشروحهما . (صحيح مسلم : ٦٨٧) .
 - (١٢) في ب : وبقى منها بقية .
 - (١٣) ما بين القوسين كتب عليه في ١ ، ب : ليس من الرواية .

ومات ودرعهُ مرهونةٌ في نَفَقَةِ عِيَالِهِ (١) .

واقصر من نَفَقَتِهِ وَمَلَبَسَهُ ومسكنه على ما تَدْعُو ضرورتهُ إليه .

وزَهْدٍ فيما سِوَاهُ (٢) ، فكان يَلْبَسُ ما وجده ؛ فَيَلْبَسُ في الغالب الشَّمْلَةَ (٣) ،

والكسَاءَ الخَشِينِ ، والبُرْدَ (٤) الغليظ ، وَيَقْسِمُ على مَنْ حضره أَقْبِيَةَ الديباج

المُخَوَّصَةِ (٥) بالذهب ، ويرفَعُ لِيَنْ لَمْ يحضره (٦) ؛ إِذِ المَبَاهَاةُ (٧) في الملابس والتزينُ

بها ليست من خصال الشرف والجلالة ، وهي من سِمَاتِ (٨) النساءِ .

والمحمودُ منها نِقَاوَةٌ (٩) الثوبِ ، والتوسطُ في جِنْسِهِ (١٠) ، وكونه لبسٍ مِثْلِهِ (١١) ،

(١) عياله : من تازمه مؤونته والإفناق عليه . وحديث رهن الدرع مذكور في صحيح

البخارى (٤ - ٤٩) ، وهو : عن عائشة قالت : توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ودرعه

مرهونة عند يهودى بثلاثين صاعا من شعير . (٢) أى فيما سوى مقدار الضرورة .

(٣) الشملة : كساء يشتمل به . (٤) البرد : ثوب فيه خطوط .

(٥) الأقبية : جمع قباء ، وهو الخيط من اللباس . والديباج : نوع من أقبية الحرير .

والمخوَّصة : المنسوجة بأعلام من ذهب كالخوص .

(٦) ويرفع لمن لم يحضره : أى يرفعها من مجلسه حتى يعطيها لمن لم يحضر القسمة . وهو

إشارة لقصة مخزومة التي رواها الشيخان عن مسور بن مخزومة ؛ (صحيح مسلم : ٧٣١ ، ٧٣٢ ،

وصحيح البخارى : ٨ - ٣٨) ؛ قال : قال لى أبى : يا مسور ، بلغنى أنه صلى الله عليه وسلم

جاءته أقبية ، فاذهب بنا إليه ، فذهبنا فوجدناه في منزله ، فقال : ادعه لى . فأعظمت ذلك ؛

فقال : يا بنى ، إنه ليس بجبار . فدعوته صلى الله عليه وسلم ، فخرج ومعه قباء من ديباج مزور

بالذهب ؛ فقال : يا مخزومة ، خبات لك هذا ؛ فجعل رسول الله يريه محاسنه ، ثم أعطاه له . فنظر

إليه وقد رضى . وفى ب : لم يحضر .

(٧) المباهاة : إظهار الفخر . (٨) سمات النساء : خصال النسوة ، وعلامتهن .

(٩) منها : من الملابس . ونقاوة الثوب : كونه نقياً من الوسخ والنجاسة .

(١٠) أى لا يكون تقيساً جداً ولا خسيساً .

(١١) أى كونه مما يلبسه أمثاله من جنسه . قال في نسيم الرياض (١ - ٥٩٠) : واللازم

أن يلبس كل أحد على قدر حاله ؛ فلا يلبس النقى ما هو دون حاله ، ولا الفقير ما هو فوق حاله .

غير مُسْقَطٍ لمرورة جنسه^(١) مما لا بُدَّ دَى إلى الشهرة في العِلْمَيْنِ^(٢) .
وقد ذمَّ الشرع ذلك^(٣) ؛ وغايةُ الفخر فيه في العادة عند الناس إنما يعودُ إلى
الفخر بكثرةِ الموجود ، ووفورِ الحال^(٤) .
وكذلك التباهي بمجودة المسكن ، وسعةِ المنزل ، وتكثير^(٥) آلاته وخدمته
ومركوياته .

وَمَنْ ملك الأرضَ ، وَجِبِي^(٦) إليه ما فيها ، فترك ذلك زُهْدًا وتزهدًا^(٧) ، فهو
حائز لفضيلة المال ، ومالكٌ للفخر بهذه الخصلة إن كانت فضيلةً زائد عليها في الفخر ،
ومُعْرِق^(٨) في المدح بإضرارِ أبيه عنها ، وزُهدهِ في فانيها ، وبذلها في^(٩) مظانها .

فصل

وأما الخصالُ المكتسبة من الأخلاق الحميدة [٣١] والآداب الشريفة
التي اتفق جميعُ العقلاء على تفضيل صاحبها ، وتعظيم المتصيف بالخلق الواحد منها ،

(١) في ب : لمرورة حسبه .

(٢) في الطرفين : غاية التعظيم ، وغاية الحسة ؛ فيكون بين بين ، وخير الأمور أوسطها .
والشهرة : اسم من الاشتهار ؛ وهو الظهور بين الناس . وقال النووي : كانوا يكرهون الشهرة بين
السياب الجدد ، والسياب الرذلة ؛ إذ الأبصار تمتد إليهما جميعا .

(٣) ذلك : إشارة إلى المباهاة في الملابس والتزين بها .

(٤) الغاية : النهاية . وكثرة الموجود : المراد به كثرة ما عنده من المال والملبس ونحوه .
وفور الحال : المراد به قوة حاله وقدرته على ما لا يقدر عليه غيره .

(٥) وتكثير آلاته : المراد بالآلات هنا : الفراش والأواني .

(٦) جبي : جمع .

(٧) الزهد : الرغبة عن الدنيا مع القدرة ، رغبة في الآخرة . وهذا في أ . وفي ب : زاهدا

بالنصب والرفع وعليها « مما » . (٨) معرق : أصل في الحسب وأكرم .

(٩) بذلها : إعطائها . مظانها : جمع مظنة : الموضع الذي يظن كونها فيه . والمراد أنه

صلى الله عليه وسلم يبذلها في محلها الذي يرجى فيه ؛ كحمال البر والصدقة .

فَصَلَاَ عَمَّا فَوْقَهُ (١) وَأَثْنَى الشَّرْعَ عَلَى جَمِيعِهَا، وَأَمَرَ بِهَا، وَوَعَدَ السَّعَادَةَ الدَّائِمَةَ لِلْمُتَخَلِّقِ (٢) بِهَا، وَوَصَفَ بَعْضَهَا بِأَنَّهُ مِنْ أَجْزَاءِ النَّبُوَّةِ (٣)، وَهِيَ الْمُسَامَاةُ بِحُسْنِ الْخُلُقِ؛ وَهُوَ الْإِعْتِدَالُ فِي قُوَى النَّفْسِ وَأَوْصَافِهَا، وَالتَّوَسُّطُ فِيهَا دُونَ الْمَيْلِ إِلَى مُنْحَرَفٍ (٤) أَطْرَافِهَا؛ فَجَمِيعُهَا قَدْ كَانَتْ خُلُقَ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْإِنْتِهَاءِ فِي كَلِمَاتِهَا، وَالْإِعْتِدَالِ إِلَى غَايَتِهَا، حَتَّى أَثْنَى اللَّهُ بِذَلِكَ عَلَيْهِ، فَقَالَ تَعَالَى (٥): ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقِي عَظِيمٌ﴾ .

قَالَتْ عَائِشَةُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: كَانَ خَلْقُهُ الْقُرْآنَ، يَرْضَى بِرِضَاةِ، وَيَسَخَطُ بِسَخَطِهِ (٦) .

وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ (٧) .

قَالَ أَنَسُ (٨): كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحْسَنَ النَّاسِ خُلُقًا .
وَعَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِثْلُهُ .

(١) عَمَّا فَوْقَهُ: أَي عَمَّا زَادَ عَلَى الْوَاحِدِ مِنْهُ .

(٢) الْمُتَخَلِّقُ بِهَا: الَّذِي اتَّخَذَهَا خُلُقًا، وَاتَّصَفَ بِهَا .

(٣) كَمَا وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ: السَّمْتُ الْحَسَنُ، وَالتَّوَدُّةُ، وَالْإِقْتِصَادُ جُزْءٌ مِنْ أَرْبَعَةٍ وَعِشْرِينَ

جُزْءًا مِنَ النَّبُوَّةِ (الموطأ: ٩٥٤) . وَالْمُرَادُ أَنَّ هَذِهِ الْحُصَالُ مِنْ شَمَائِلِ الْأَنْبِيَاءِ وَفَضَائِلِهِمْ .

(٤) الْمُنْحَرَفُ: الْمَائِلُ . أَي إِلَى أَطْرَافِهَا الْمُنْحَرَفَةِ . (٥) سُورَةُ الْقَلَمِ، آيَةٌ ٤

(٦) الْحَدِيثُ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ: ٥١٣؛ أَي كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَتَمَسِكًا بِأَوَامِرِ الْقُرْآنِ

وَنَوَاهِيهِ وَمَا يَشْتَمِلُ عَلَيْهِ مِنْ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ وَمَحَاسِنِ الْآدَابِ لَا يَتَمَدَّاهَا؛ فَيَرْضَى بِكُلِّ مَا يَرْضَى

اللَّهُ وَيَسَخَطُ كُلِّ مَا لَا يَرْضَاهُ، كُلَّ ذَلِكَ لِلَّهِ، لَا لِحَظِّ نَفْسِهِ . وَفِي هَامِشٍ ب: يَعْنِي التَّأْدِبَ بِأَدْبِهِ،

وَالْتَخَلُّقَ بِمَحَاسِنِهِ، وَالْإِتِّزَامَ لِأَوَامِرِهِ وَزَوَاجِرِهِ .

(٧) الْحَدِيثُ فِي الْمَوْطَأِ: ٩٠٤، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: هُوَ حَدِيثٌ مَدَنِيٌّ صَحِيحٌ

مُتَّصِلٌ مِنْ وَجْهِ صَحَّاحٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ وَغَيْرِهِ . وَمَكَارِمُ الْأَخْلَاقِ كَانَتْ مَوْجُودَةً قَبْلَهُ - لِأَسْبَابِ

فِي الْعَرَبِ - فَتَمَّهَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِشَرِيعَتِهِ السَّمِيعَةِ، وَزَادَ فِيهَا مَا لَمْ يَسْبِقْ إِلَيْهِ، وَجَمَعَ مَا

تَفَرَّقَ مِنْهَا فِيهِ وَفِي أُمَّتِهِ . (٨) الْحَدِيثُ فِي مُسْلِمٍ: ١٨٠٥ .

وكان^(١) فيما ذكره المحققون محبوباً^(٢) عليها في أصل خلقته وأوّل^(٣) فطرته ، لم تحصل له باكتساب ولا رياضة إلا بجودِ إلهي ، وخصوصية ربّانية .
وهكذا السائر^(٤) الأنبياء ، ومن طالع سيرهم منذ صباهم إلى مبعثهم حقّ^(٥) ذلك ، كما عرّف من حال عيسى وموسى ، ويحيى ، وسليمان ، وغيرهم عليهم السلام . بل غرّزت فيهم هذه الأخلاق في الجيلة ، وأودعوا العلم والحكمة في الفطرة ، قال الله تعالى^(٦) : ﴿ وَأَتَيْنَاهُ الْعُكُمَ صَبِيًّا ﴾ .

قال المفسّرون : أعطى يحيى العلم بكتاب الله تعالى في حال صباه .
وقال معمر : كان [يحيى] ^(٧) ابن سنتين أو ثلاث ، فقال له الصبيان : لم لا تلعب ؟ فقال : أَللَّعِبِ خُلِقْتُ !^(٨)
وقيل في قوله تعالى^(٩) : ﴿ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ ﴾ : صدّق يحيى بعيسى ؛ وهو ابن ثلاث سنين ، فشهد له أنه كلمة الله ورُوحه .
وقيل : صدّقه وهو في بطن أمه ؛ فكانت أم يحيى تقول لمريم : إني أجد ما في بطني يسجد لما في بطنك ؛ تحية له .

(١) وكان : أي النبي .

(٢) محبوباً : مخلوقاً مطبوعاً .

(٣) أي من غير تكلف ولا تعلم . (٤) في ب : وسائر . وسائر : باقي .

(٥) حقّ ذلك : عرف أن مكارم الأخلاق فيهم جيلة طبيعية .

(٦) سورة مريم ، آية ١٢ .

(٧) من ب ، وعليها علامة الصحة . وكلمة «معمر» ضبطت في ب بضم الميم الأولى وتشديد الميم الثانية للمفتوحة . وفي التبصير (١٣٠٣) : بفتح اليمين وسكون العين .

(٨) قال السيوطي : رواه الديلمي عن معاذ بن جبل ولم يصنده . والحاكم في التاريخ ، عن ابن عباس مرفوعاً ، وسنده واه . وأخرجه أحمد في الزهد ، وابن أبي حاتم في تفسيره عن معمر .

(٩) سورة آل عمران ، آية ٣٩ .

وقد نصَّ اللهُ تعالى على كلامِ عيسى لأمه عند ولادتها إياه بقوله لها^(١) :
« أَلَا تَحْزَنِي » - على قراءة « من قرأ » من تحتها ، وعلى قول مَنْ قال: إنَّ المُنَادِيَّ
عيسى .

ونصَّ على كلامه في مَهْدِهِ^(٢) ، فقال^(٣) : ﴿ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي
نَبِيًّا ﴾ .

وقال^(٤) : ﴿ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾ .

وقد ذُكِرَ من حِكْمِ سُلَيْمَانَ وهو صبي يلعبُ في قصة المَرْجُومَةِ^(٥) ، وفي قصة

(١) سورة مريم ، آية ٢٤

(٢) المهد كالمهاد بمعنى الفراش المهد للنوم ، ثم خص بما ينام فيه الطفل ويقر فيه .

(٣) سورة مريم ، آية ٣٠

(٤) سورة الأنبياء ، آية ٧٩ . آتيناه حكما : أى معرفة بموجب الحكومة . وعلمنا : بسائر

القضايا الشرعية . قال في نسيم الرياض : فهذا وأشباهه مما يدل على أنها أمور جبلية غير كسبية .

(٥) قال في نسيم الرياض (١ - ٦٠٢) : قصة المرجومة كالحكاها التمسالى أن امرأة كانت

بارعة الجمال - وهى من أهل الدين ، ولها حق ، فرفعت أمرها لأحد قضاة بنى إسرائيل ،

فلما رآها افتتن بها وراودها عن نفسها فامتنعت ؛ ثم ذهبت لثالث وثالث ورابع فكل راودها

عن نفسها ؛ فأنت نبي الله دود فحجبت عنه ، فأجمع الأربعة أن يقولوا لداود : إن لها كلبا

تمسكه من نفسها ويزنى بها ، ففعلوا فأمر برجمها فرجمت .

فبينما داود عليه السلام يوما فى عليه له مشرفا على صبيان يلعبون مع سليمان ، وفيهم صبي

جليل ، فجعلوا سليمان قاضيا ، والصبي كامرأة ذات حق وأربعة منهم قضاة ، وفعلوا مثل تلك

القصة بعينها من الراودة والتهمة ؛ وذلك بمرأى من داود عليه السلام - كما فى قصة المرجومة -

ففرقهم سليمان ، وقال لأحدهم : مالونه ؟ فذكر لونا ، ودعا كلابا بانقراده فذكر كل منهم لونا

مخالفا للآخر ؛ فأمر الصبيان فضربوهم .

فقال داود : لعل القضية هكذا ، فبعث للقضاة وسألهم عن لون الكلب على الانفراد ،

فاختلفوا كالصبيان فأمر بهم فقتلوا . (وانظر أيضا القصة فى شرح القارى : ١ - ٢٢٦) .

الصبي^(١) ما اقتدى به داودُ أبوه .

وحكى الطبري أنّ عمره كان حين أُوتى الملكَ اثني عشر عاماً .

وكذلك قصةُ موسى مع فرعون وأخذه بِلِحْيَتِهِ وهو طفّل .

وقال المفسرون - في قوله تعالى^(٢) : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ ﴾^(٣) من قبلُ ؛

أى هدّيناه صغيراً^(٤) ؛ قاله مجاهد وغيره .

وقال ابنُ عطاء : اصطفاه قبل إبداء خلقه .

وقال بعضهم : لمّا وُلِدَ إبراهيم عليه السلام بعث الله تعالى إليه ملكاً يأمره

عن الله أنّ يعرفه بقلبه ، ويذكّره بلسانه ؛ فقال : قد فعلتُ ، ولم يقلُ أفعل ؛

فذلك رُشْدُهُ^(٥) .

(١) في نسيم الرياض (١ - ٦٠٢) : وقصة الصبي رواها البخاري ومسلم عن أبي هريرة

رضي الله تعالى عنه ؛ قال : كانت امرأتان معها ابنتان لهما ، فأخذت أحدهما ، فتحاكها إلى

داود عليه السلام ، فقضى به للسكبري . فدعاها سليمان ، وقال : هاتوا سكيناً أشقه بينكما ؛

فقال الصغرى : رحمك الله ، هو ابنها لا تشقه ، فقضى به لها لشفقتها عليه ، ورضيت الأخرى

بشقه لتتشارك في المصيبة . ونص الحديث في : (صحيح مسلم : ١٣٤٤ ، والبخاري : ٨ - ١٩٥) .

ثم قال الحفاجي : وهذا مما لا شبهة في صحته . وأما الحديث الأول (قصة المرجومة) فالله أعلم

بصحته ، وقد ورد في الإسرائيليات على غير رواية ابن عساكر .

(٢) سورة الانبياء ، آية ٥١

(٣) الرشد : الاهتداء لوجوه الصلاح .

(٤) هذا أحد التفاسير لقوله تعالى : من قبل . وقيل : قبل موسى وهارون . وقيل : قبل

محمد عليه السلام .

(٥) يعني عبر بالماضي الدال على وقوعه قبل أمره ؛ فيكون المعنى آتيناه رُشْدَهُ قبل أمره ،

فيدل ذلك على أن الإيمان واشتغاله بذكر ربه أمر مجبول عليه ؛ وقيل : إنه بالغ في الامتثال

حتى عبر بالماضي عن الحال .

وقيل : إن إلقاء إبراهيم عليه السلام في النارٍ ومحنته^(١) كانت وهو ابنُ ستِّ عشر سنةً ، وإنَّ ابتلاء إسحاق^(٢) بالذَّبْحِ كان وهو ابنُ سبعِ سنين ؛ وإنَّ استدلال إبراهيم بالكوكب والقمر والشمس كان وهو ابنُ خمسةَ عشر شهراً^(٣) .

وقيل : أوحىَ إلى يوسف وهو صبي^(٤) عندما همَّ إخوتهُ بإلتهائه في الجُبِّ ، يقول اللهُ تعالى^(٥) : ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ ^(٦) بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ .

[٣٣] إلى غير ذلك مما ذكرنا من أخبارهم^(٧) .

وقد حكى أهلُ السير أنَّ^(٨) آمنةَ بنتَ وهبٍ أخبرت أنَّ نبيَّنا محمداً صلى اللهُ عليه وسلم وُلد حين وُلد باسطاً يديه إلى الأرض ، رافعاً رأسه^(٩) إلى السماء . وقال في حديثه - صلى اللهُ عليه وسلم^(١٠) : لَمَّا نَشَأْتُ بُغِضْتُ إِلَى الْاَوْثَانِ ، وَبُغِضَ إِلَى الشُّعْر ، وَلَمْ أُمَّمْ شَيْءٌ مِمَّا كَانَتِ الْجَاهِلِيَّةُ تَفْعَلُهُ إِلَّا مَرَّتَيْنِ^(١١) ، فمصفتي اللهُ منهما ، ثم لم أعد .

(١) ومحنته : التي وقعت له مع عمرو .

(٢) قال في نسيم الرياض : وهذا بناء على أن الذبيح إسحاق ، كما عليه أهل الكتاب وكثير من المفسرين والمحدثين . والمشهور - وهو مذهب الجمهور - أن الذبيح إسماعيل ؛ وهو قول أكثر الصحابة ، كابن عباس ، وابن عمر ، ومعاوية ، وهو الظاهر .

(٣) في ب : سنة ، وفي هامشه : الصواب شهر .

(٤) وعن الحسن : وله سبع عشرة سنة .

(٥) سورة يوسف ، آية ١٥ (٦) لتنبئهم : لتخبرن إخوتك .

(٧) من أخبارهم : أى أخبار الأنبياء الدالة على أنهم مجبولون على الكمال من ابتداء أمرهم

في صفرهم . (٨) مما يدل على هذه الصفة في الأنبياء .

وهذا رواه ابن الجوزى في الوفا ، عن أبي الحسين مرسل .

(٩) في ب : رافعاً يديه ينظر إلى السماء .

(١٠) هذا الحديث رواه أبو نعيم في الدلائل عن شداد بن أوس (الدلائل لأبي نعيم : ٢٣٦)

(١١) في نسيم الرياض : (١ - ٦٠٩) : وهذا إشارة إلى حديث صحيح رواه البراز مسنداً

عن علي كرم الله وجهه ، ولفظه : ما هممت بشيء مما كان أهل الجاهلية يعملون غير مرتين =

ثم يَتَمَكَّنُ الأَمْرُ لَهُمْ ، وَتَتَرَادَفُ نَفَحَاتُ اللهِ عَلَيْهِمْ^(١) ، وَتُشْرِقُ أَنْوَارُ المَعَارِفِ فِي قُلُوبِهِمْ ، حَتَّى يَصِلُوا الغَايَةَ ، وَيَبْتَلُّوا - بِاصْطِفَاءِ اللهِ تَعَالَى لَهُم بِالنَّبُوَّةِ فِي تَحْصِيلِ هَذِهِ الخِصَالِ الشَّرِيفَةِ - النّهَايَةَ دُونَ مُمَارَسَةِ وَلَا رِيَاضَةٍ^(٢) ؛ قَالَ اللهُ تَعَالَى^(٣) : ﴿وَمَا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتِنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾^(٤) .

وَقَدْ نَجِدُ غَيْرَهُمْ يُطَبِّعُ عَلَى بَعْضِ هَذِهِ الأَخْلَاقِ دُونَ جَمِيعِهَا ، وَيُوَادُّ عَلَيْهَا ، فَيَسْبِرُ عَلَيْهِ اِكْتِسَابُ تَمَامِهَا عِنَايَةً مِنَ اللهِ تَعَالَى ، كَمَا نَشَاهِدُ مِنْ خِلْقَةٍ بَعْضِ الصَّبِيَّانِ عَلَى حُسْنِ السَّمْتِ ، أَوِ الشّهَامَةِ^(٥) ، أَوِ صِدْقِ اللِّسَانِ ، أَوِ السَّمَّاحَةِ ؛ وَكَمَا نَجِدُ بَعْضَهُمْ عَلَى ضِدِّهَا ؛ فَبِالْإِكْتِسَابِ يَكْمُلُ نَاقِصُهَا ، وَبِالرِّيَاضَةِ وَالمُجَاهَدَةِ يُسْتَجَابُ^(٦) مَعْدُومُهَا ،

= كل ذلك يحول الله بيني وبين ما أريد؛ ثم ما هممت بمدحها بشيء حتى أكرمني الله تعالى برسالته. ورواه الحاكم في المستدرک بلفظ آخر : قلت ليلة لفتى من قریش كان بأعلى مكة يرعى غنما لاهله : أبصر لي غنمي حتى أسمر هذه الليلة بمكة كما يسمر الصبيان ، فجت أدنى دار من دور مكة فسمعت غناء وصوت دفوف ومزامير ، فقلت : ما هذا ؟ فقيل : فلان يتزوج فلانة . فلهوت بذلك الغناء وذلك الصوت حتى غلبتني عيني ، فما أيقظني إلا حر الشمس . ثم رجعت إلى صاحبي ، فقال لي : ما فاعت ؟ فأخبرته .

ثم فعات الليلة الأخرى كذلك . والله ما هممت بنيرها بما تفعله الجاهلية . قال في نسيم الرياض : وروى أن الله ألقى عليه النوم في المرتين صيانة له ، وليس في هذا ارتكابه لحرم .

وكذلك جاء في شرح القارى : ١ - ٢٢٩

(١) لهم : أى للأنبياء . ويتمكن : يقر ويثبت . والمراد بالأمر ما أودع فيهم من السكال . وتترادف : المراد تتوالى . والنفحات : جمع نفحة ، وهى بمعنى الهبة والعطية .

(٢) دون ممارسة : أى من غير تكرار عمل ومزاولته . والرياضة : التمرين فى العمل . (٣) سورة يوسف ، آية ٢٢ (٤) حكما : نبوة . وعلماء : معرفة بالدين وسياسة الأمة . (٥) السمت : الطريقة ، وهيئة أهل الخير . يقال : ما أحسن سمته . أى هديه وسيرته . والشهامة : حدة الفؤاد والذكاء والجلادة والنفاذ فى الأمور . يقال : رجل شهيم إذا كان سيديا نجيبا نشيطا فى اكتساب المال ، وعدم الالتفات للملاحاة والخصومة .

(٦) يستجاب : يكتب ويحصل لمن لم يطبع على شيء منها وطبع على ضدها .

وإمتدُّ مُنَحَرِّفُهَا ، وباختلاف^(١) هذين الحالين يتفاوتُ الناسُ فيها^(٢) . وكلُّ مُيسِّرٍ لما خُلِقَ له^(٣) . ولهذا ما [قد]^(٤) اختلف السلف^(٥) فيها : هل هذا الخلق جِبِلَّةٌ أو مُكْتَسِبَةٌ^(٦) ؟

فحكى الطبري عن بعض السلف أن الخلقَ الحسنَ جِبِلَّةٌ وُغْرِيزَةٌ فِي الْعَبْدِ ، وَحَكَاهُ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ، وَالْحَسَنِ ، وَبِهِ قَالَ هُوَ .
وَالصَّوَابُ مَا أَصَلَّنَاهُ^(٧) .

وقد رَوَى سَعْدُ بْنُ سَعْدٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : كُلُّ الْخِلَالِ^(٨) يُطَبِّعُ عَلَيْهَا الْمُؤْمِنَ إِلَّا الْخِيَانَةَ وَالْكَذِبَ^(٩) .

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه في حديثه : وَالْجُرْأَةُ ، وَالجُبْنُ^(١٠) غَرَائِزُ يَضَعُهَا اللَّهُ حَيْثُ يَشَاءُ .

وهذه الأخلاقُ الحمودةُ وَالْخِصَالُ الْجَمِيلَةُ^(١١) كثيرةٌ ، ولكننا نذكر أصولها ، ونشير إلى جميعها ، ونحققُ وَصْفَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِهَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

(١) هذين الحالين : أى الجبلى والكسبى . (٢) فيها : أى فى الصفات الجميدة .
(٣) هذا بعض من حديث صحيح : اعملوا فكل ميسر لما خلق له . . . وهو فى صحيح مسلم : ٢٠٤١ ، وميسر : معد مهياً . (٤) ليس فى ب . (٥) الساف : من تقدم من العلماء .
(٦) الخلق : أى الحسن الذى يحمد به الناس . وهذا فى ب . وفى ا : جيله أو مكتسبه . . .
— بالهاء .

(٧) ما أصلناه : قدمناه وجعلناه أصلاً وقاعدة ؛ من أن منها ما هو جيلة غير مكتسبة ، ومنها ما هو مكتسب بالعلم والرياضة . (٨) الخلال : الخصال والصفات .

(٩) فى نسيم الرياض (١ - ٦١٣) : هو حديث صحيح رواه أحمد فى مسنده ، والبيهقى فى شعب الإيمان ، وابن أبى شيبه فى المصنف . والخيانة : ضد الأمانة . يعنى أن هذين لا يكون كل منهما طبيعة مخلوقة فى المؤمن مطلقاً ؛ لأن المؤمن جبلته وفطرته سليمة ، وهاتان الخصلتان فى غاية القبح .
(١٠) الجبن : عدم الإقدام للخوف .

(١١) عليها علامة الصحة فى ا ، وأمامها فى هامشه : الشريفة .

فصل

[في بيان أصول هذه الأخلاق وتحقق وصف النبي بها^(١)]

أما أصلُ فروعها^(٢) ، وعنصرُ بناييعها^(٣) ، ونقطةُ دائرتها - فالعقلُ الذي منه ينبعثُ^(٤) العلمُ والمعرفةُ ، ويتفرعُ عن هذا ثقبُ^(٥) الرأى ، وجودةُ الفطنة^(٦) ، والإصابةُ ، وصدقُ الظنِّ ، والنظرُ للعواقبِ ومصالحِ النفسِ ، ومجاهدةُ الشهوةِ^(٧) ، وحسنُ السياسةِ والتدبيرِ ، واقتناءُ الفضائلِ^(٨) ، وتجنبُ الرذائلِ .

وقد أشرنا إلى مكانه^(٩) منه عليه السلام ، وبلوغه منه ومن العلمِ الغايةَ التي لم يبلغها بشرٌ سواه ، وإذ جلالَةُ محلِّه من ذلك ، ومما تفرعُ منه^(١٠) - متحققٌ^(١١) عند من تتبَّع مجارىَ أحواله^(١٢) ، وأطرادَ سيره ، وطالعَ جوامعِ كلامه^(١٣) . وحسنَ شمائله ، وبدائعَ سيره ، وحِكَمَ حديثه ، وعِلْمَه بما في التوراةِ والإنجيلِ والكتبِ المنزلةِ ، وحِكَمِ الحكماءِ ، وسيرِ الأممِ الخاليةِ^(١٤) ، وأيامها^(١٥) وضربِ الأمثالِ ،

(١) هذا الفصل معقود لبيان أصول الأخلاق صريحاً، والإشارة إلى جميعها تلويحاً؛ لتحقيق وصفه صلى الله عليه وسلم بها توضيحاً .

(٢) فروعها : أى الأخلاق . (٣) عنصر : أصل . (٤) ينبعث : ينشأ ويخرج .

(٥) ثقب الرأى : نفاذ الرأى فيما يفكر فيه ويدرك به عواقب الأمور .

(٦) الفطنة : الحدق ، وحسن الفهم .

(٧) مجاهدة الشهوة : مدافعتها وممانعتها عما تريده ؛ فإنه جهاد أكبر .

(٨) اقتناء الفضائل : اكتسابها والتحلى بها .

(٩) إلى مكانه منه : إلى مكان النبي ومحلّه من كمال العقل .

(١٠) ما تفرع منه من الأخلاق الشريفة ونمراتها . (١١) هذا فى ا ، ب .

(١٢) مجارى أحواله : المراد ماجرت به عادته فى أحواله .

(١٣) جوامع كلامه : الكتب الجامعة للحديث الشريف . أو كآمانه الجامعة للحكم التى

تتخير فيها عقول البلغاء والحكماء .

(١٤) الخالية : الماضية . (١٥) وأيامها : أى وقائعها فى حروبها ومجادلاتها .

وسياسات الأنام^(١)، وتقرير الشرائع، وتأصيل الآداب^(٢) النفيسة، والشيم الحميدة^(٣) إلى فنون العلوم التي اتخذ أهلها كلامه عليه السلام فيها قدوةً، وإشاراته حجةً؛ كالعبارة^(٤)، والطب، والحساب، والفرائض، والنسب^(٥)، وغير ذلك مما سنبيته في معجزاته إن شاء الله، دون تعليم ولا مُدَارسة^(٦)، ولا مطالعة كتب من تقدم، ولا الجلوس إلى علمائهم؛ بل نبى أمى^(٧) لم يُعرف بشئ [٣٣] من ذلك، حتى شرح الله صدره، وأبان أمره، وعلمه، وأقرأه^(٨)، يُعلم ذلك^(٩) بالمطالعة والبحث عن حاله ضرورةً، وبالبرهان القاطع على نبوته نظراً؛ فلا نُطَوِّلُ بسرد^(١٠) الأفاضل، وآحاد القضايا؛ إذ مجموعها مالا يأخذه حصر، ولا يُحِيطُ به حفظُ جامع، وبحسب عقله كانت معارفه صلى الله عليه وسلم إلى سائر ما علمه الله تعالى، وأطلعه عليه من علم ما يكون وما كان، وعجائب قدرته، وعظيم مذكوتيه^(١١)، قال تعالى^(١٢): ﴿ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ

(١) الأنام : الخلق .

(٢) وتأصيل : وتأسيس ؛ أى بيان أصول الآداب التي تتأدب بها الناس في مجالسهم ومحاوراتهم .

(٣) والشيم الحميدة : الشيم : جمع شيمة ؛ وهى المادة ، والخلق .

(٤) العبارة : المراد تمييز الرؤيا . وفى ا : العبادة - بالبدال .

(٥) الفرائض : علم يعرف به أحوال الموارث . والنسب : معرفة أنساب الناس .

(٦) ولا مدارسة : أى لم يعرفه بأخذه من الأفواه وحفظه لشيء من العلوم عن غيره .

(٧) الأمى : منسوب إلى الأم ؛ لأنه كيوم ولدته أمه : من غير قراءة وكتابة ؛ أو إلى أم

القرى . أو أمة العرب ؛ لأن القراءة والكتابة كانت عزيزة فيهم . والأمى : الذى لا يكتب ولا يقرأ الكتب .

(٨) أقرأه : أقدره على القراءة بما أوحاه إليه بواسطة الملك ؛ إذ قال الله له : اقرأ وربك الأكرم ...

(٩) يعلم ذلك : أى ما بلغه صلى الله عليه وسلم من العقل والعلم من غير تعلم .

(١٠) السرد : تمديد أمور من القصص ونحوها متتابعة متواليه .

(١١) المراد ما أطلعه الله عليه فى الإسراء من خلق الملائكة والسماوات وإقداره على ذلك

فى يرهة من الزمن . (١٢) سورة النساء ، آية ١١٣

تَكُنْ تَعْلَمُ ، وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ^(١) .
 حَارَتِ الْعُقُولُ فِي تَقْدِيرِ ^(٢) فَضْلِهِ عَلَيْهِ ، وَخَرَسَتِ الْأَلْسُنَ دُونَ وَصْفِ يَحِيطُ
 بِذَلِكَ أَوْ يَنْتَهَى إِلَيْهِ .

فصل

وَأَمَّا الْحِلْمُ ^(٣) وَالْإِحْتِمَالُ ، وَالْعَفْوُ مَعَ الْقُدْرَةِ ، وَالصَّبْرُ عَلَى مَا يُكْرَهُ ؛ وَبَيَّنَّ
 هَذِهِ الْأَقْبَابَ فَرَقَ ، فَإِنَّ الْحِلْمَ حَالَةٌ تَوْقُرُ ^(٤) وَثَبَاتٌ عِنْدَ الْأَسْبَابِ الْحَرَكَاتِ ^(٥) .
 وَالْإِحْتِمَالُ ^(٦) : حَبْسُ النَّفْسِ ^(٧) عِنْدَ الْأَلَامِ وَالْمَوْذِيَّاتِ . وَمِثْلُهَا الصَّبْرُ ، وَمَعَانِيهَا
 مِتَّارِبَةٌ .

وَأَمَّا الْعَفْوُ فَهُوَ تَرْكُ الْمَوْأَخِذَةِ ^(٨) .

وَهَذَا كُلُّهُ مِمَّا أَدَّبَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ نَبِيَّهٗ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ ^(٩) : ﴿ خُذِ
 الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ^(١٠) 》 .

رَوَى ^(١١) أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِ هَذِهِ الْآيَةُ سَأَلَ جَبْرِيْلَ عَلَيْهِ
 السَّلَامَ عَنْ تَأْوِيلِهَا ^(١٢) ، فَقَالَ لَهُ : حَتَّى أَسْأَلَ الْعَالِمَ ^(١٣) .

- (١) أَى عَمَلِكَ مَا لَمْ يَكُنْ مِنْ شَأْنِكَ وَمَا لَمْ يَكُنْ فِي قُدْرَتِكَ عَمَلُهُ .
- (٢) فَضْلُهُ عَلَيْهِ الْمَذْكُورُ فِي الْآيَةِ السَّابِقَةِ .
- (٣) الْحِلْمُ : ضَيْطُ النَّفْسِ وَالطَّبْعِ عِنْدَ هَيْجَانِ الْغَضَبِ وَعَدَمِ إِظْهَارِهِ .
- (٤) تَوْقُرُ : إِظْهَارُ الْوَقَارِ ، وَهُوَ السَّكُونُ . (٥) الْأَسْبَابُ الْحَرَكَاتُ ، كَالغَضَبِ مِثْلًا .
- (٦) ضَبَطَتِ اللَّامُ فِي بٍ بِالْفَتْحَةِ وَالضَّمَّةِ وَعَلَيْهَا « مِمَّا » .
- (٧) الْمُرَادُ بِحَبْسِ النَّفْسِ ضَيْطُهَا حَتَّى تَخْضَعُ لِسُلْطَانِ الْعَقْلِ وَتَطْمَئِنُّ لِمَا يَأْمُرُهَا بِهِ .
- (٨) الْمَوْأَخِذَةُ : الْجِزَاءُ عَلَى مَا فَعَلَ غَيْرَهُ . (٩) سُورَةُ الْأَعْرَافِ ، آيَةٌ ١٩٩ .
- (١٠) الْعَفْوُ : الْمَسَاهَلَةُ وَالْمَسَاحَةُ . وَالْعُرْفُ : الْمَعْرُوفُ . وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ : بِتَرْكِ الْمَقَابِلَةِ .
- (١١) هَذَا الْحَدِيثُ - كَقَالَ السِّيُوطِيُّ - رَوَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ ، وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ ، وَأَبُو الشَّيْخِ ، فِي تَفْسِيرِهِمْ .
- (١٢) عَنْ تَأْوِيلِهَا : عَنْ تَفْسِيرِهَا .
- (١٣) (١٣) يَعْنِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ .

ثم ذهب فأتاه^(١) ، فقال : يا محمد ، إن الله يأمرك أن تصل من قطعك ، وتعطي من حرمك ، وتعفو عمن ظلمك .

وقال له^(٢) : ﴿ واضبر على ما أصابك ، إن ذلك من عزم الأمور ﴾ .

وقال تعالى^(٣) : ﴿ فاضبر كما صبر أولو العزم من الرسل ﴾ .

وقال^(٤) : ﴿ وليعفوا وليصْفَحُوا أَلَّا تُجِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ، وَاللَّهُ غَفُورٌ

رَحِيمٌ ﴾ .

وقال^(٥) : ﴿ ولَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾^(٦) .

ولا خفاء بما يؤثر^(٧) من حلمه واحتماله ، وأن كلَّ حلِيمٍ قد عرقت منه زلّة^(٨) ،

وحفظت عنه هفوة^(٩) ، وهو صلى الله عليه وسلم لا يزيد مع كثرة الأذى إلا صبرا ،

وعلى إسراف الجاهل^(١٠) إلا حلما .

حدثنا القاضي أبو عبد الله محمد بن علي التتلي^(١١) وغيره ، قالوا : حدثنا محمد

ابن عتاب ، حدثنا أبو بكر بن وافد^(١٢) القاضي وغيره ، حدثنا أبو عيسى ، حدثنا

(١) في ب : ثم أتاه .

(٢) سورة لقمان ، آية ١٧ . من عزم الأمور ؛ أى مفروضاتها وواجباتها التي لا رخصة في إهمالها لأرباب كمالها .

(٣) سورة الاحقاف ، آية ٣٥ ، وأولو العزم : أصحاب الثبات والحزم من الرسل .

(٤) سورة النور ، آية ٢٢ (٥) سورة الشورى ، آية ٤٣

(٦) لمن عزم الأمور : من أهم الأمور التي ينبغى التصميم والعزم عليها .

(٧) يؤثر : ينقل ويروى من حلمه وتحمله للأذى ، فإنه شائع غير خفي على أحد .

(٨) الزلّة : السقطة والخطيئة . (٩) هفوة : سقطة .

(١٠) المراد بالجاهل هنا السبيء الخلق المجازف في أموره ، فهو خلاف الحلم . والإسراف :

الزيادة ومجاوزة الحد .

(١١) في أ : التتلي . والتتلي في ب ، عليها علامة الصحة . وقال القارى (١ - ٢٣٦) :

وقع في بعض النسخ بالثاء المثناة والمين المهملة ؛ وهو تصحيف في البنى وتحريف .

(١٢) بالفاء ، وعليها علامة الصحة في ١ ، ب .

عبيد الله ، قال : حدثنا يحيى بن يحيى ، حدثنا مالك ، عن ابن شهاب ، عن عروة ، عن عائشة رضي الله عنها ، قالت (١) : ما خيّر رسول الله صلى الله عليه وسلم في أمرين قط إلا اختار أيسرهما (٢) ما لم يكن إثماً ، فإن كان إثماً (٣) كان أبعد الناس منه ، وما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه (٤) إلا أن تنتهك حرمة الله تعالى ، فينتقم الله (٥) بها .

وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم لما كسرت رباعيته (٦) وشج وجهه (٧) يوم أحد شق ذلك على أصحابه شديداً ، وقالوا : لو دعوت عليهم ! فقال : إني لم أبعث لعاناً (٨) ، ولكني بعثت داعياً ورحمة (٩) . اللهم اهد قومى فإنهم لا يعلمون .
وروى عن عمر رضي (١٠) الله عنه أنه قال في بعض (١١) كلامه : بأبي أنت وأمي يا رسول الله (١٢) ! لقد دعا نوح على قومه ، فقال : رَبِّ لا تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنْ

(١) الحديث في الموطأ : ٩٠٣ ، والبخارى : ٤ - ٢٣٠ ، ومسلم : ١٨١٣

(٢) في هذا الحديث الأخذ بالأسهل والأرفق . ما لم يكن حراماً أو مكروهاً .

(٣) أى موجب إثم من حرام أو مكروه .

(٤) أى لا يعاقب أحداً بتقصير وقع منه في حقه هو .

(٥) حرمة الله : ما حرمه وجمله محرماً ممنوعاً . وانتهاكه : التمدي والتجاوز فيه .

والحديث في صحيح مسلم : ١٨١٣ ، ١٨١٤

(٦) رباعيته : سن بين الثنية والناص . والرباعيات أربع . وقد كسرها عتبة بن أبي وقاص .

(٧) شج وجهه : الشجة : جراحة في الوجه أو الرأس . وقد شجعه عبد الله بن شهاب

الزهرى . وارجع في تفصيل ذلك إلى سيرة ابن هشام : ٣ - ٢٧ ، ٢٨ إن أردت .

(٨) لعاناً : داعياً على الناس بالطرد والبعد عن رحمة الله .

(٩) داعياً ورحمة : أى داعياً للناس إلى الله ، ورحمة للناس أجمعين ، بإخراجهم من

الكفر للإيمان ، وتأخير المذاب عن كفر ؛ لا لطردهم عن رحمة الله ، وإبعادهم عنه . والحديث

في صحيح مسلم : ٢٠٠٦ ، وصحيح البخارى : ٨ - ١٥

(١٠) قال السيوطى : إن هذا لا يعرف عن عمر في شيء من كتب الحديث .

(١١) أى حين رأى ما أصابه صلى الله عليه وسلم من كسر رباعيته وشجته في غزوة أحد .

(١٢) معناه : إني أجمل أبوى فداء دونك وأبدلها في حمايتك .

الكافرين دياراً^(١) . ولو دعوت علينا مثلها لهلكنا من عند آخرنا^(٢) ، فلقد وُطِيَّ ظَهْرُكَ ، وأذْمِيَ وَجْهُكَ^(٣) ، وكُسرَت رِبَاعِيَّتُكَ ، فأبَيْتَ أَنْ تَقُولَ إِلَّا خِيْرًا ، فقلتَ : اللهم اغفر لقومي ، فإنهم لا يعلمون .

قال القاضي أبو الفضل^(٤) وفقه الله : انظُرْ في هذا القول من جماع^(٥) الفضل ، ودرجات الإحسان ، وحُسن الخلق ، وكرَمِ النفس ، وغاية الصبر [٣٤] والحلم ، إذ لم يقتصر صلى الله عليه وسلم على السكوت عنهم حتى عفا عنهم ، ثم أشفق^(٦) عليهم ورحمهم ، ودعا وشفع لهم ، فقال : اغفِرْ ، أو اهدِ ، ثم أظهر سبب الشفقة والرحمة بقوله : لتؤمى^(٧) ، ثم اعتذر عنهم بمجهلهم ، فقال : فإنهم لا يعلمون . ولما قال له الرجل^(٨) : اعدل ، فإن هذه قِسْمَةٌ ما أريد بها وجهُ الله - لم يزدْه في جوابه أن بيّن له ما جهله .

ووعظ نفسه ، وذكّرَها^(٩) بما قال له ، فقال : وَنَحْكَ^(١٠) إِنْ يَعْدِلُ إِنْ لَمْ أَعْدِلْ ، خَبِتُ وَخَيْرَتُ^(١١) إِنْ لَمْ أَعْدِلْ ! ونهى من أراد من أصحابه^(١٢) قتله .

- (١) لا تذر : لا تترك . ديارا : أحدا . (سورة نوح ، آية ٢٦) .
- (٢) هلكنا من عند آخرنا : المراد لهلكنا من أولنا إلى آخرنا ؛ أي جميعنا .
- (٣) أذمى وجهك : جرح وجهك وسال منه الدم . (٤) هو المؤلف .
- (٥) جماع الفضل : ما يجمع كل فضل . (٦) أشفق عليهم : أبدى شفقتهم ورحمته لهم .
- (٧) فإن الطبع البشري يقتضى العطف والحنو على الأهل والأقارب بأى حال كانوا .
- (٨) هو ذو الحويصرة التيمي ، وهو حرقرس بن زهير . وفي صحيح البخارى : هو عبد الله بن ذى الحويصرة التيمي . قال في نسيم الرياض : الصواب أن والده هو القائل . وهو حديث صحيح رواه مسلم : ٧٣٩ ، وأبو داود : ٢ - ١٨٥ ، والبخارى : ٤٧ - ٨ .
- (٩) وأخرجه البيهقي أيضا . (٩) أي عدل عن وعظ القائل إلى وعظ نفسه ؛ وهو نهاية الحلم .
- (١٠) ويح : كلمة ترحم وتوجع لمن وقع فيها لا يرضى . أو كلمة مدح وتعجب . فترحم له لما خالف رضاء الله تعالى عليه ، أو تعجب من صدور مثله من مسلم .
- (١١) ضبطت التاء في « خبت » ، و« خسرت » - بالضم والفتح ، في ا ، ب ، و على كل منها في النسختين « معا » . وفي هامش ا : الصواب بالفتح .
- (١٢) عمر بن الخطاب هو الذى أراد قتله وقيل : خالد بن الوليد .

ولما تصدَّى^(١) له غَوْرَثُ بن الحارث لِيَفْتِكَ به^(٢) ، ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم مُنْتَبِذٌ^(٣) تحت شجرةٍ وحده قائلًا ، والناسُ قائلون^(٤) ، في غَزَاةٍ ، فلم يَنْتَبِهْ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلا وهو قائمٌ والسيفُ صلْتًا^(٥) في يده ، فقال : مَنْ يَمْنَعُكَ مني ؟ فقال : الله . فسقط السيْفُ مِنْ يده ، فأخذه النبي صلى الله عليه وسلم ، وقال : مَنْ يَمْنَعُكَ مني ؟ قال : كُنْ خَيْرَ آخِذٍ^(٦) ، فتركه وعفأ عنه . فجاء إلى قومه فقال : جئْتُكُمْ مِنْ عِنْدِ خَيْرٍ^(٧) النَّاسِ .

وَمِنْ عَظِيمِ خَيْرِهِ فِي الْعَنْوِ عَفْوُهُ عَنِ الْيَهُودِيَّةِ^(٨) الَّتِي سَمَّيْتُمْ فِي الشَّاةِ بَعْدَ اعْتِرَافِهَا - عَلَى الصَّحِيحِ مِنَ الرَّوَايَةِ . وَأَنَّهُ لَمْ يُوَاخِذْ كَبِيدَ بْنَ الْأَعْصَمِ^(٩) إِذْ سَحَرَهُ ، وَقَدْ أَعْلَمَ بِهِ وَأَوْحَى إِلَيْهِ بِشَرْحِ أَمْرِهِ ، وَلَا عَتَبَ عَلَيْهِ فَضْلًا عَنِ مَعَاقِبَتِهِ .

وَكذَلِكَ لَمْ يُوَاخِذْ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ^(١٠) أَبِي وَأَشْبَاهَهُ مِنَ الْمُنَافِقِينَ بِعَظِيمِ مَا نُقِلَ عَنْهُمْ فِي جِهَتِهِ قَوْلًا وَفِعْلًا ؛ بَلْ قَالَ لِمَنْ أَشَارَ بِقَتْلِ^(١١) بَعْضِهِمْ : لَا يُتَحَدَّثُ أَنْ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ .

(١) تصدى : ترضى .

(٢) هذه القصة كانت في غزوة ذات الرقاع في السنة الرابعة من الهجرة .

(٣) منتبذ : جالس في ناحية منفرد .

(٤) قائلًا : أى مستريحًا في وقت القيلولة ، وهى وسط النهار إذا اشتد الحر .

والناس قائلون : أى كل منهم في قيلولة منفردًا عن أصحابه .

(٥) صلتا : مسلولا مجردا من غمده .

(٦) غير آخذ : أى خير رجل أخذ خصمه وتمسك منه فتكرم عليه ، أى متصفا بالحلم

والعفو والكرم . (٧) صحيح مسلم : ١٧٨٦ ، والبخارى : ٥ - ١٤٧ ، ٤ - ٤٨

(٨) هى زينب بنت الحارث بن سلام ، وحديثها فى « أبو داود » : ٢ - ١٥٩

(٩) هو رجل من بنى زريق ، وهم بطن من الأنصار وحديث هذا السحر فى البخارى : ٧ - ١٧٦

(١٠) كان رأس المنافقين . (١١) هو عمر بن الخطاب .

وعن أنس رضي الله عنه^(١): كنتُ مع النبي صلى الله عليه وسلم، وعليه بُرْدٌ^(٢) غليظ الحاشية، فجبَّده الأعرابي^(٣) بردائه جبَّدةً شديدة حتى أثرت حاشية البرد في صفحة عاتقه^(٤)، ثم قال: يا محمد، أحمل لي على بعيري هذين من مال الله الذي عندك، فإنك^(٥) لا تحملي لي من مالك ومال أبيك.

فسكت النبي صلى الله عليه وسلم، ثم قال: المال مال الله، وأنا عبده^(٦)، ثم قال: ويُقاد^(٧) منك يا أعرابي ما فعلت بي. قال: لا. قال: لم؟ قال: لأنك لا تكافي بالسينة السينة.

فضحك النبي صلى الله عليه وسلم؛ ثم أمر أن يُحمَل له على بعير شعير، وعلى الآخر تمر.

قالت عائشة رضي الله عنهما: ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم منتصرا^(٨) من مظالم ظلمها قطُّ ما لم تكن حرمةً من محارم الله. وما ضرب بيده شيئاً قطُّ إلا أن يُجاهد في سبيل الله وما ضرب خادماً قطُّ ولا امرأةً.

(١) قال السيوطي: هذا الحديث رواه الشيخان إلى قوله الآتي: من مال الله الذي عندك. قال: فضحك وأمر له بعماء. وأخرجه بلفظ المصنف البيهقي في الأدب من حديث أبي هريرة. وارجع إلى الحديث أيضاً في سنن النسائي: ٨ - ٣٠، وأبو داود: ٢ - ١٨٥.

(٢) برد: كساء كانت العرب تلتحف به. والحاشية: جانب الثوب.

(٣) جبَّده: جذبته. وفي ب: أعرابي.

(٤) صفحة عاتقه: الصفحة: الجانب. والعاتق: ما بين العنق والكتف.

(٥) لا تحملي لي: لا تمطيني.

(٦) وأنا عبده: أتصرف في ماله بإذنه، وأعطى من يأمرني بإعطائه. وهذا أطف رد.

(٧) يقاد منك: ويقتص منك؛ والمراد تجازي على ترك أدبك.

(٨) منتصرا: منتقها وناصر النفس على غيره.

وجيء إليه برجل^(١)، فقيل: هذا أراد أن يقتلك. فقال له النبي صلى الله عليه وسلم:
لن تُرَاعَ، لن تُرَاعَ^(٢)، ولو أردتَ ذلك لم تسلطْ علي^(٣).
وجاء زيد بن سَعْنَةَ^(٤) قبل إسلامه يتقاضاه ديناً عليه، فجدَّ ثوبه عن منكبيه،
وأخذ بمجامع ثيابه، وأغلظ له، ثم قال: إنكم، يا بني عبد المطلب، مُطل^(٥)،
فأنهره^(٦) عُمر، وشدَّ له في القول، والنبي صلى الله عليه وسلم يتسم.
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنا وهو كَأَنَا إلى غير^(٧) هذا أخوج منك
يا عمر، تأمرني بحُسن القضاء، وتأمره بحُسن التقاضي^(٨).
ثم قال: لقد بقيَ من أجله ثلاثٌ، وأمر عُمرَ بِقَضِيهِ^(٩) ماله ويزيده عشرين
صاعاً لما رَوَّعَهُ^(١٠)؛ فكان سببَ إسلامه.

-
- (١) قال السيوطي: هذا الحديث أخرجه أحمد، والطبراني بسند صحيح؛ ولم يسمي الرجل.
(٢) لن ترَاع: أى لا تخف منى ولا من غيرى، وكرره ليطمئن قلبه. والروع: الخوف
والفزع.
(٣) لم تسلط على: لأن الله عصمى، فلن ينالنى ما أردته أنت ولا غيرك.
(٤) هو جبر من أجاز اليهود. وفي ب: سمنة، وسعية، وعليها «معا». وفي: سمنية،
وفوقها «معا» أيضاً. وفي هامشه: سمنة - بالنون، وكان من أحبار يهود، وبنو سعية -
بالياء بائنتين: من أهل الكتاب أيضاً.
وأسيد بن سعية منهم، روي عنه المغازى، وهو من أسلم، وعنه يروى ابن إسحاق.
ويقال في زيد بن سعية - بالياء أيضاً، والدارقطنى ذكره بالنون.
(٥) مطل: جمع ماطل، ومطول. والمطل: التطويل في تأخير الحق، أو خالف الوعد
فيه مرارا، والتسويق في العدة والدين.
(٦) أنهره: زجره، والانتهاز: الإغلاظ في القول مع صياح.
(٧) إلى غير هذا: أى غير هذا المقال.
(٨) بحسن التقاضى: الطاب بلطف.
(٩) فى ب: يقضيه - بكسر الصاد، وبتشديده.
(١٠) لما روعه: أى لأجل ترويع عمر وتخويفه له.

وذلك أنه كان يقول^(١) : ما بقيَ من علامات النبوة شيء إلا وقد عرفتها في^(٢) محمد إلا اثنتين لم أخبرهما^(٣) : يسبقُ حلمه جهله [٣٥] ، ولا تزيده شدة الجهل إلا حلماً . فاختره^(٤) بهذا ، فوجده كما وُصف .

والحديثُ عن حلمه عليه السلام وصبره وعَفْوِهِ عند القدرة^(٥) أكثرُ من أن نأتى عليه ، وحسبك ما ذكرناه مما في الصحيح والمصنفات الثابتة إلى ما بلغ متواتراً مبلغَ اليقين : من صبره على مَقَاسَةِ^(٦) قريش ، وأذى الجاهلية^(٧) ، ومُصَابِرَتِهِ الشدائد الصعبةَ معهم إلى أن أظهره^(٨) اللهُ عليهم ، وحكّمه فيهم ، وهم لا يشكّون في استئصال شأقتهم^(٩) ، وإبادة خضرائهم^(١٠) ؛ فإزاد على أن عفا وصفح ، وقال : ما تقولون^(١١) أتى فاعلُ بكم ؟ قالوا : خيراً ؛ أخُ كريم ، وابنُ أخٍ كريم ، فقال : أقولُ كما قال أخى يوسف : ﴿ لا تثرِبْ ﴾^(١٢) عليكم اليومَ يَغْفِرُ اللهُ لكم وهو أرحمُ الرَّاحِمِينَ ﴿ ، اذهبوا فأنتم الطلقاء^(١٣) .

- (١) كان يقول: الذى كان يقول هو يزيد بن سعة اليهودى للتقدم . (٢) فى ب : من .
 (٣) لم أخبرهما : لم أعرفها . (٤) فى ب : فاخترته بهذا فوجدته كما وصف .
 (٥) فى ب : المقدرة . (٦) مقاساة قريش : المقاساة : معالجة أمور صعبة شاقة بحيث لا يتحمل مثلها ، وهذا فى أول بعثه .
 (٧) وأذى الجاهلية : أى أذى أهل الجاهلية ، وهم الكفار . (٨) فى ب : أظهره .
 (٩) استئصال شأقتهم : الاستئصال : قطع الشيء من أصله وإزالته بالسكينة . والشأفة : قرحة تخرج فى أصل القدم فتكوى فتذهب . والمراد : إهلاكهم أجمعين .
 (١٠) وإبادة خضرائهم : الإبادة : الإهلاك . والخضرة كالسواد تطلق على الناس والقوم . والمراد هلاكهم جميعاً ، وتقريب جمعهم . والمعنى أنه صلى الله عليه وسلم ظفر بهم فى حال تيقنوا هلاكهم بأسرهم بحيث لا يبقى منهم أحد .
 (١١) ما تقولون : ماتظنون .
 (١٢) سورة يوسف ، آية ٩٢ . والتثرِب : التعمير والتوبيخ ؛ أى لا أوبخكم وأعيركم بما ينجاسكم . أو لاعتب عليكم .
 (١٣) الطلقاء : جمع طليق ، وهو الأسير يطلق ويخلى سبيله . وقد قال النبى هذا القول لما فتح مكة . وارجع - فى ذلك - إلى سيرة ابن هشام : ٤ - ٣٢ إن أردت .

وقال أنس : هبط ثمانون رجلا من التَّعْمِيمِ ^(١) صلاة الصبح لِيَقْتُلُوا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فأخذوا ، فأعتتهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ؛ فأنزل اللهُ تعالى ^(٢) : ﴿ وهو الذي كفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ^(٣) ٠ ، وكان اللهُ بما تعملون بصيرا ﴾ .

وقال لأبي سفيان - وقد سيقَ إليه بعد أن جاب إليه الأحزاب ^(٤) ، وقتل عمه وأصحابه ومثَّلَ بهم ^(٥) ؛ فمفا عنه ، ولاطفه في القول : ويحك يا أبا سفيان ! ألم يأن ^(٦) لك أن تعلم أن لا إله إلا الله : فقال : بأبي أنت وأمي ! ما أحلمك وأوصلك وأكرمك ؟

وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أبعدَ الناس ^(٧) غضبا ؛ وأسرعهم ^(٨) رِضا ، صلى اللهُ وسلم .

(١) التعميم : موضع على أربعة أميال من مكة ، وهو طرف الحرم من جهة المدينة .

(٢) سورة الفتح ، آية ٢٤

(٣) بطن مكة : الحديبية . أظفركم عليهم : أظهركم ونصركم عليهم .

قال السيوطي : وحديث أنس هذا رواه مسلم والترمذي وأبو داود .

(٤) جلب : ساق وجمع . الأحزاب : جمع - زب : الناس المجتمعة من قبائل شق للحرب ،

وذلك في غزوة الخندق .

(٥) مثل بهم : شوه خلقهم بقطع الأطراف وشق البطن وإخراج القلب ونحوه . وكان

قتل عمه في أحد .

وقاتل حمزة هو وحشى بن حرب ، والتي مثلت به زوجة أبي سفيان هند ؛ ونسب هذا

وذلك لأبي سفيان ؛ لأنه الباعث عليه والسبب لذلك القتال والمهيج له .

(٦) ألم يأن لك : ألم يدين وقت علمك ؟

(٧) أى غضبه بعيد لا يكون منه إلا بعد أمور كثيرة ، بخلاف رضاه فإنه يرضى بأقل شيء .

(٨) فى ١ : وأسرعه ، وعليها علامة الصحة . وفى الهامش أمامها : وأسرعهم ، وعليها علامة

الصحة أيضا .

فصل

وأما الجودُ والكرمُ ، والسخاءُ والسَّماحةُ - فمعانيها متقاربة . وقد فرَّق بعضهم بينها بفروق ؛ فجعلوا الكرمَ الإنفاقَ بطيبِ النفس فيما يعظمُ خطره^(١) ونفعُهُ ، وسمَّوه أيضا حُرِّيَّةً^(٢) ، وهو ضدُّ النذالة^(٣) .

والسماحةُ : التجافى^(٤) عما يستحقُّه المرء عند غيره بطيبِ نفس ، وهو ضدُّ الشكاسة^(٥) .

والسخاءُ : سهولةُ الإنفاق ، وتجنُّبُ اكتسابِ ما لا يُحمد ، وهو الجود ، وهو ضدُّ التقتير^(٦) .

وكان صلى الله عليه وسلم لا يُوازى في هذه الأخلاقِ الكريمةِ ، ولا يُبَارَى^(٧) ، بهذا وصفه كلُّ مَنْ عرَّفه .

حدثنا القاضى الشهيد أبو على الصِّدِّقى رحمه الله ، حدثنا القاضى أبو الوليدِ الباجى ، حدثنا أبو ذرَّ الهَرَوِى ، حدثنا أبو الهيثم الكشميهنى^(٨) ، وأبو محمد السرخسى ،

(١) يعظم خطره : قدره ووقمه .

(٢) فى نسيم الرياض (٢ - ٣٩) : أما تسمية الكرم حرية فلأن الحر خلاف العبد ؛ فالحرية الخلاص من منن الناس ، فإذا طوقهم مننه خلصت له الحرية ، لأن الإنسان عبد الإحسان .

(٣) النذالة : الخسة والحقارة ، وهى من لوازم البخل المقابل للكرم .

(٤) التجافى : التباعد والترفع .

(٥) الشكاسة : سوء الخلق . وقيل : البخل . وفى هامش ب : أى صعب الخلق .

(٦) التقتير : التضييق فى الإنفاق . قال الشهاب (٢ - ٤٠) : واعلم أن كلام المصنف هنا

غير موافق للغة ولا للعرف ، ولا أدرى من أين أخذه ؛ فالمرءوف فى اللغة أن الجود ضد البخل . والتقتير : التضييق فى الإنفاق ، وهو ضد الإسراف والتبذير .

(٧) لا يوازى : لا يساوى ولا يقابل . ولا يبارى : لا يعارض . والمعارضة : أن تفعل مثل

ما يفعل .

(٨) هذا الضبط فى ا ، ب . وضبطه اللباب ، والشهاب (٢ - ٤٠) بكسر الميم .

وأبو إسحاق البلخي؛ قالوا: حدثنا أبو عبد الله الفربري؛ قال: حدثنا البخاري، قال: حدثنا محمد بن كثير، حدثنا سفيان، عن ابن المنذر، سمعت جابر بن عبد الله يقول: ما سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن شيء (١) فقال: لا (٢).

وعن أنس، وسهيل بن سعد مثله.

وقال ابن عباس: كان النبي صلى الله عليه وسلم أجود الناس بالخير (٣)، وأجود ما كان (٤) في شهر رمضان، وكان إذا ألقى جبريل عليه السلام أجود بالخير من الریح (٥) المرسلة.

وعن أنس أن رجلاً (٦) سأله فأعطاه غنماً بين جبليين (٧)، فرجع إلى بلده (٨)، وقال: أسلموا؛ فإن محمداً يعطي عطاءً من لا يخشى فاقةً (٩). وأعطى غير واحد (١٠).

(١) عليها علامة الصحة في ١، وفي هامشه: شيئاً وعليها «صح»، و«معا». وفي هامش ب: قال المزي: المعروف شيئاً.

(٢) صحيح مسلم: ١٨٠٥، وفيه: شيئاً.

(٣) بالخير: أي بما فيه نفع للناس.

(٤) في ب: ما يكون. وفي هامشه: ما كان. وفي هامش ب: أجود بالرفع، بل يتعين، وليس للنصب وجه مستقيم، ذكره ابن الحاجب رحمه الله.

(٥) إرسال الرياح: إطلاقها بإذن الله. والحديث في صحيح مسلم: ١٨٠٣، قال: المراد كالريح في إسرعتها وعمومها. (٦) هو صفوان بن أمية الجمحي.

(٧) بين جبليين: مائة وادي بين جبليين. والمراد أنها كثيرة، كأنها تملأ ما بين جبليين، والحديث في صحيح مسلم: ١٨٠٦.

(٨) إلى بلده: مكة. (٩) فاقة: فقرا.

(١٠) ممن أعطاهم النبي مائة ناس كثير، منهم أبو سفيان، وابنه معاوية، والحارث بن هشام، وقيل: إنهم يملنون ستين من المؤلفة قلوبهم.

مائة من الإبل. وأعطى صفوان مائة ثم مائة ثم مائة. وهذه كانت حاله^(١) صلى الله عليه وسلم قبل أن يبعث .

وقد قال له ورقة بن نوفل^(٢) : إنك تحمل الكلال وتكسب المعدوم .

ورد على هوازن سبأياها ، وكانوا سنة آلاف .

وأعطى العباس من الذهب ما لم يطق حمله .

وحل إليه تسعون ألف درهم ، فوضعت على حصير ، ثم قام إليها يقسمها ، فارد

سائلا حتى فرغ منها .

وجاءه رجل ، فسأله ، فقال : ما عندي شيء ، ولكن ابتع^(٣) علي ، فإذا [٣٦]

جاءنا شيء قضيناها . . .

فقال له عمر : ما كلفك الله ما لا تقدر عليه .

فكره النبي صلى الله عليه وسلم ذلك . فقال رجل من الأنصار : يا رسول الله ؛

أنفق ولا تخف من ذي العرش إقلالا^(٤) :

فتبسم النبي صلى الله عليه وسلم ، وعرف البشير في وجهه ، وقال : بهذا^(٥)

أمرت ، ذكره الترمذي^(٦) .

وذكر عن معوذ ابن^(٧) عفراء ، قال : أتيت النبي صلى الله عليه وسلم بتناع

(١) في ب : خلقه ، وعليها علامة الصحة .

(٢) هذا بعض من حديث في صحيح مسلم : ١٤١ . والكل : الإعياء والثقل .

(٣) ابتع : اشتر ، واستاف مقدار ما تختاره حوالة على . والمراد اشتر بشمن يكون ذلك

الثنى على وفي ذمتي . (٤) الإقلال : الفقر . وذو العرش : هو الله تعالى .

(٥) بهذا أمرت : أى بالإنتفاق من غير مخافة فقر .

(٦) ذكره الترمذي في شمائله .

(٧) في هامش ب : صوابه الربيع بنت ... وفي نسيم الرياض (٢ - ٤٨) : قال السيوطي :

ذكر هذا الحديث الترمذي في الشمائل ، والطبراني ، عن الربيع بنت معوذ ، وسنده حسن .

من رُطْب - يريد طَبَقًا ، وأَجْرٍ زُغْب (١) - يريد قِثَاءً ، فأعطاني مِلءَ كَفِّهِ حَلِيًّا
وَدَهَبًا .

وقال أنس (٢) : كان النبيُّ صلى الله عليه وسلم لا يدَّخِرُ شيئًا لِنَفْسِهِ .

والتَّخْبِرُ بِجُودِهِ صلى الله عليه وسلم وكرمه كثير .

وعن أبي هريرة : أتى رجلٌ النبيَّ صلى الله عليه وسلم يسأله ، فاستَسَلَفَ (٣) له

رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم نِصْفَ وَسْقٍ (٤) ، فجاء الرجلُ يتقاضاه ، فأعطاه وَسْقًا ،

وقال (٥) : نِصْفُهُ قِضَاءٌ وَنِصْفُهُ نَائِلٌ (٦) .

فصل

وأما الشجاعةُ والنجدةُ فالشجاعةُ فَضِيلَةٌ قُوَّةٌ (٧) الغضبِ وانقيادِها للعقلِ ،

(١) وأجر : قِثَاءٌ صغار . والزغب : جمع أزغب ؛ أى ذوات زغب ، أى صغار الريش

والشعر ؛ فشبه به ما يكون على الفاكحة ونحوها .

(٢) أخرجه الترمذى فى كتاب الزهد : ٤ - ٥٨٠ ، وقال : قال أبو يعىسى : هذا حديث غريب .

وقد روى هذا الحديث عن جعفر بن سليمان عن ثابت ، عن النبي صلى الله عليه وسلم مرسلًا .

(٣) السلف والقرض بمعنى . (٤) الوسق : ستون صاعًا .

(٥) القائل هو الرسول . (٦) نائل : عطاء .

(٧) فى نسيم الرياض (٢ - ٥٠) : هذا معنى ما قاله الحكماء فى علم الأخلاق : إن الله

تعالى ركب فى الإنسان قوة هى مبدأ الإقدام على الأهوال والمهلك لتصوره أن من خاطر بالنفس

ربما يهلك النفس ، وأنه لا يبنى حذر من قدر ، وهى القوة النفسية الشنيعة . والشجاعة : انقياد

هذه القوة لسُلطان العقل والنفس الناطقة ؛ ليكون إقدامها على حسب الروية من غير اضطراب

حتى يكون فعلها جميلًا محمودًا ؛ وإفراطها التهور وهو الإقدام حيث لا يبنى ؛ وتفريطها الجبن .

وبهذا عرفت معنى الشجاعة .

والجراءة أعم منها . وفسرها ابن القوطية بالإقدام ؛ وهو تفسير لفظى بالأعم .

والتَّجَدَّةُ^(١) : ثقةُ النفسِ عند استرسالها^(٢) إلى الموتِ حيث يُحَمَّدُ فعلُها دونَ خوفٍ .
 وكان صلى الله عليه وسلم منها^(٣) بالمكان الذي لا يُجْهَلُ ؛ قد حضر المواقِفَ الصعبةَ^(٤) ، وفرَّ الكُفَاةَ^(٥) والأبطالُ عنه شَيرَ مرَّةٍ ، وهو ثابتٌ لا يَبْرَحُ ، ومُقبِلٌ لا يُدْبِرُ ولا يترزح^(٦) . وما شجاعٌ إلا وقد أُحصيت له فرَّةٌ ، وحُفِظت عنه جَوَلَةٌ^(٧) ، سِوَاهُ .

حدثنا أبو علي الجبَّاني^(٨) فيما كتب لي^(٩) ؛ قال : حدثنا القاضي سراج ، حدثنا أبو محمد الأصيلي ، قال : حدثنا أبو زيد النقيع ، حدثنا محمد بن يوسف ، حدثنا محمد بن إسماعيل ، حدثنا ابن بشار ، حدثنا غنْدَر ، حدثنا شُعْبَةَ ، عن أبي إسحاق : سَمِعَ البراءَ وسأله رجلٌ^(١٠) : أفررتُم يوم حُنَيْنٍ عن رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : لكن رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لم يَفِرَّ .

(١) النجدة : شدة البأس .

(٢) استرسالها : انطلاقها ؛ أي إن الشجاعة جراءة وإقدام بخوض به المهالك ، والنجدة : ثباته على ذلك مطمئنا من غير خوف من أن يقع على الموت أو يقع الموت عليه ، حتى يقضى الله له بإحدى الحسينين : الظفر ، أو الشهادة ؛ فيحيا سعيدا أو يموت شهيدا .

(٣) منها : أي من الشجاعة والنجدة . (٤) المواقف الصعبة : مواضع القتال الشديدة .

(٥) الكفافة : جمع كفى ، وهو الشجاع . (٦) لا يترزح : لا يزول عن مقره .

(٧) الجولة : المرة من الجولان في المسكان ، وقيل الانكشاف والزوال عن الموقف .

(٨) هذا الضبط في نسيم الرياض (٢ - ٥٢) . وقال : هو الإمام الحافظ أبو علي النسائي

الجبَّاني - بفتح الجيم وتشديد التحتية ثم ألف ونون وياء : نسبة لبلدة جبان .

وقال القاري في شرحه (١ - ٢٥٤) : حدثنا أبو علي الجبَّاني - بفتح الحاء المهملة وتشديد

التحية وفي آخره نون ثم ياء النسبة ، وهو الحافظ النسائي . وقيل بكسر الجيم ، والظاهر

أنه تصحيف . (٩) في ب : فيما كتب لي .

(١٠) هذا الحديث في صحيح البخاري (٤ - ٣٩) ، ورواه مسلم في المنازي (١٤٠١) ،

ثم قال : لقد رأيتُه على بَعْلته البيضاء وأبو سفيان ^(١) آخِذٌ بِلِجَامِهَا ، والنبيُّ صلى الله عليه وسلم يقول : أنا النبيُّ لا كَذِبٌ ، وزاد غيره : أنا ابنُ عبدالمطلب ^(٢) .
قيل : فما رُميَ يومئذٍ أحدٌ كان أشدَّ منه .

وقال غَيْرُهُ ^(٣) : نزل النبيُّ صلى الله عليه وسلم عن بَعْلته .

وذكر مسلم - عن العباس ، قال ^(٤) : فلما التَمَقَى المسلمون والكفار وَلَّى المسلمون مُدْبِرِينَ ، فَطَفِقَ ^(٥) رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يركضُ بَعْلته ^(٦) نحو الكفار ، وأنا آخِذٌ بِلِجَامِهَا أَكْفَمًا ^(٧) إِرَادَةَ أَلَّا تُسْرِعَ ، وأبو سفيان آخِذٌ بِرِكَابِهِ ، ثم نادى : يَا لِلْمُسْلِمِينَ ^(٨) الحديث .

(١) هو أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ، وهو ابن عم النبي ، وأخوه من الرضاع .
(٢) هذا الضبط في ب ، ومسلم ، والترمذى . وفي أ - بكسر الباء . قال القارى (١-٢٥٦) :
هو بسكون الباء ، مع أنها في أصل الإعراب بالجر . ومن قرأه بالكسر أراد إخراجه من وزن الشعر .
(٣) أى غير البخارى ، ففي رواية مسلم رواه سلمة بن الأكوع رضى الله عنه ؛ قال : لما غشوا رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل عن البغلة ثم قبض قبضة من تراب الأرض ، ثم استقبل بها وجوههم ، وقال : شأهت الوجوه ، فلم يبق أحد منهم حتى امتلأت عيناه من تلك القبضة ترابا ، وهزمهم الله .

ولا شك أن النزول في وقت المحاربة فيه من الشجاعة ما لا يخفى .

(٤) صحيح مسلم : ١٣٩٨

(٥) طفق : جعل ، وشرع .

(٦) يركض بَعْلته : يسوقها ويسرع بها ، ويضربها برجله لتسرع . وفي صحيح مسلم :

قبل الكفار .

(٧) أكفمها : أمنعها من السرعة .

(٨) قال في نسيم الرياض (٢ - ٥٧) : وهذا الحديث نقله المصنف عن مسلم بالمعنى .

وقيل : وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إذا غضِبَ - ولا يَغْضَبُ إلا الله - لم يَقُمْ لِعُضْبِهِ شَيْءٌ (١) .

وقال ابنُ عمر : ما رأيتُ أشجعَ ، ولا أنجَدَ ، ولا أجودَ ، ولا أَرْضَى (٢) ، [ولا أَفْضَلَ] (٣) مِنْ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم .

وقال عليُّ رضي اللهُ عنه : إنا كنا إذا حَمِيَ البأسُ (٤) - ويروى : اشتدَّ البأسُ - واحمرَّتِ الحُدُقُ (٥) اتَّقينا برسولِ الله (٦) ؛ فإيكون أحدٌ أقربَ إلى العدوِّ منه ، ولقد رأيتني يومَ بدرٍ ونحنَ نَلُوذُ (٧) بالنبيِّ صلى اللهُ عليه وسلم ، وهو أقربُنا إلى العدوِّ ، وكان من أشدِّ الناسِ يومئذٍ بأساً .

وقيل : كان الشجاعُ (٨) هو الذي يَقْرُبُ منه صلى اللهُ عليه وسلم إذا دَنَا العدوُّ ، لِقُرْبِهِ مِنْهُ (٩) .

(١) في هذا إشارة إلى أنه صلى اللهُ عليه وسلم كان يعتربه الغضب والحدة أحياناً ، ولكن ذلك كان غيرَ على حدودِ الله لا لنفسه .
ومناسبة هذا لما نحن بصدده من ذكر الشجاعة أن الغضب مقتضى للبطش والإقدام ، وهو من نمطها .

وهذا بعض من حديث صحيح في شمائل الترمذى .

(٢) ولا أرضى : ولا أكثر رضا منه . (٣) من ب .

(٤) حمى البأس : المراد اشتد القتال . وفي صحيح مسلم : ١٤٠١ : احمر البأس .

(٥) الحُدُق : جمع حُدقة ، وهى ماتحت الأُجفان . واحمرارها يكون عند الغضب . والمراد : اشتد القتال ودام مدة .

(٦) اتقينا برسولِ الله : جعلناه وقاية لنا من العدو ، بأن يتقدم علينا ، فيدفع العدو ونحن خلفه .

(٧) نلوذ : نستتر ونلتجىء إليه .

(٨) هذا الضبط في ب . وفي ضبطت العين بالفتحة .

(٩) أى لقرب النبي من العدو .

وعن أنس^(١) : كان النبي صلى الله عليه وسلم أحسن الناس ، وأجود الناس ، وأشجع الناس ؛ لقد فرغ أهل المدينة ليلة ، فانطلق ناس قبيل^(٢) الصوت ، فتلقاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعاً ، قد سبتهم إلى الصوت ، واستبرأ الخيل^(٣) على فرس لأبي طلحة عري^(٤) ، والسيف [٣٧] في عنقه ، وهو يقول : لن ترأعوا^(٥) . وقال عمران بن حصين : ما تقى رسول الله صلى الله عليه وسلم كتيبة^(٦) إلا كان أول من يضرب .

ولما رآه أبي بن خلف يوم أحد وهو يقول : أين محمد ، لا تجوت إن نجا^(٧) . وقد كان يقول^(٨) للنبي صلى الله عليه وسلم - حين افتدى^(٩) يوم بدر : عندي فرس أعلفها كل يوم فرقا من^(١٠) ذرة أقتلك عليها . فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : أنا أقتلك إن شاء الله .

فلما رآه يوم أحد شد^(١١) أبي على فرسه على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاعترضه رجال من المسلمين ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : هكذا^(١٢) ، أي خلوا

(١) الحديث في صحيح البخاري : ٨ - ١٦ ، وسنن ابن ماجه : ٩٢٦

(٢) قبل الصوت : جهته ونحوه . (٣) استبرأ الخبر : وقف على حقيقته .

(٤) عري : ليس على ظهره شيء ، من سرج أو غيره .

(٥) لن ترأعوا : الروع : الخوف ؛ أي ليس هناك شيء تخافونه .

(٦) كتيبة : جماعة عظيمة من الجيش .

(٧) دعاء على نفسه بالهلاك إن نجا النبي .

وارجع في هذه الحادثة إلى المغازي للواقدي : ٢٥١ ، وسيرة ابن هشام : ٣ - ٣٢

(٨) القائل هو أبي بن خلف .

(٩) افتدى : أي افتدى أسيرا له ، وهو ابنه عبد الله . والافتداء : إعطاء الفدية لافتكك

الأسير . (١٠) للفرق : مكيال يسع ستة عشر رطلا (النهاية) .

(١١) شد : عدا وأسرع . (١٢) هكذا : أتركوا سبيله .

طريقه ؛ وتناول الحربة من الحارث بن الصمة ، فانتفض بها انتفاضةً تطايرُوا عنه
تطايرَ الشعراء عن ظُهر البعير إذا انتفض^(١) ، ثم استقبله النبي صلى الله عليه وسلم ،
فقطعه في عنقه طعنةً تدأداً منها^(٢) عن فرسه مِاراً .

وقيل : بل كسر ضامًا من أضلاعه ، فرجع إلى قريش بقول : قتلني محمد ،
وهم يقولون : لا بأسَ بك . فقال : لو كان^(٣) ما بي بجميع الناس لقتلهم ، أليس قد
قال : أنا أقتلك ، والله لو بصقَ عليّ لقتلني . فمات بسرّف في قفولهم إلى مكة^(٤) .

فصل

وأما الحياء والإغضاء : فالحياء^(٥) رقةٌ تعترى وجهَ الإنسان عند فعل
ما يتوقعُ كراهته^(٦) ، أو ما يكونُ تركه خيرا من فعله .

والإغضاء : التغافل^(٧) عما يكره الإنسان بطبيعته .

وكان النبي صلى الله عليه وسلم أشدَّ الناس حياءً ، وأكثرهم عن العوراتِ
إغضاءً^(٨) ؛ قال الله سبحانه^(٩) : ﴿ إِن ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ ،
وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ . . . ﴾ الآية .

(١) انتفض بها انتفاضة : قام بها قومة سريعة . تطايروا : تفرقوا فارين مسرعين . والشعراء :
ذبابه لها إبرة (هاشم ا ، ب) . وفي المنازى : تطاير الشعارير ، والشعارير : جمع الشعراء .
قال ابن هشام : الشعراء : ذباب صمير له لدغ . وفي النهاية : في الحديث : تطاير الشعر - بضم
السين وسكون العين ، وهو جمع الشعراء . وروى : الشعارير ، وقياس واحده شعور .

(٢) تدأداً : تدحرج ، وسقط ، ومال . وقال ابن هشام : تدأداً : يقول تقلب عن فرسه
فجعل يتدحرج . (٣) في المنازى : لو كان الذي بي بأهل ذى الجواز لما أتوا أجمعون .

(٤) سرف : اسم جبل قريب من مكة . قفولهم : رجوع الكفار إلى مكة .

(٥) في ا : والحياء . (٦) ما يتوقع كراهته : المراد ما من شأنه أن يكرهه .

(٧) التغافل : المراد التجاوز .

(٨) العورات : كل ما يقيح إظهاره ، وهو جمع عورة . إغضاء : سكوتها وتجاوزها .

(٩) سورة الأحزاب ، آية ٥٣

حدثنا أبو محمد بن عتاب ، بقراءتي عليه ؛ قال : حدثنا أبو القاسم حاتم بن محمد ، حدثنا أبو الحسن القاسبي ، حدثنا أبو زبند المرزوزي ، حدثنا محمد بن يوسف ، حدثنا محمد بن إسماعيل ، حدثنا عبدان ، حدثنا عبدُ الله [مولى أنس] ^(١) ، حدثنا شعبة ، عن قتادة ، سمعتُ عبدَ الله مولى أنس ، يحدثُ عن أبي سعيد الخُدري رضيَ اللهُ عنه : كان رسولُ الله صلى اللهُ عليه وسلم أشدَّ حياءً من العذراء في خِدرِها ^(٢) . وكان إذا كره شيئاً عرفناه في وجهه .

وكان صلى اللهُ عليه وسلم لطيفَ البشرة ^(٣) ، رقيقَ الظاهر ^(٤) ، لا يشافِه ^(٥) أحداً بما يكرهه حياءً وكرمَ نفسٍ .

وعن عائشةَ رضي اللهُ عنهما : كان النبيُّ صلى اللهُ عليه وسلم إذا بلغه عن أحدٍ ما يكرهه لم يَقُلْ : ما بال ^(٦) فلان يقول كذا؟ ولكن يقول : ما بال أقوام يصنعون ، أو يقولون ^(٧) كذا ! يَنْهَى عنه ، ولا يُسمَى فاعِلَه ^(٨) .

وروى أنس أنه دخل عليه رجلٌ به أثرٌ صُفرة ^(٩) ، فلم يَقُلْ له شيئاً - وكان

(١) من ب .

(٢) الحدر : البيت أو الستر في جانب البيت ، أو قبة تضرب لها . والحديث في ابن

ماجه : ١٣٩٩ ، وصحيح مسلم : ١٨٠٩ ، والبخاري : ٨ - ٣٥

(٣) البشرة : ظاهر جلد الوجه والجسد كله .

(٤) الظاهر : ما يظهر من بدنه رقيق ، يظهر فيه بسرعته آثار الانفعالات النفسية .

(٥) لا يشافِه أحداً : لا يكلم أحداً ولا يواجهه .

(٦) البال : هو الحال والشأن .

(٧) إشارة وكناية عما يكره ، فلا يمين الصانع أو القائل .

(٨) ولا يسمَى فاعله : أي بصريح اسمه ، بل يكفى عنه . ونهيه عما أنكره مأخوذ من الاستفهام

الإنكاري ، وسياق الكلام في قوله : ما بال فلان . والحديث في سنن أبي داود : ٣ - ١٨٦

(٩) المراد بالصفرة لون الورد والزعفران ، يعني أنه كان خضب بذلك فبق عليه بقية منها .

لا يواجهُ أحداً بما يكره - فلما خرج قال : لو قلمتُ له : يفسلُ هذا^(١) - ويُروى :
يَنْزَعُهَا^(٢) .

قالت عائشة في الصحيح^(٣) : لم يكن النبيُّ صلى الله عليه وسلم فاحشاً ولا مُتَفَحِّشاً^(٤) ،
ولا سَخَّاباً بالأسواق^(٥) ، ولا يَجْزِي بالسبيئة السبيئة ، ولكن يعفو ويصفحُ .
وقد حُكِيَ مثلُ هذا الكلام^(٦) عن التوراة ، ومن رواية [عبدالله]^(٧) بن سلام ،
وعبد الله بن عمرو بن العاص .

وروى عنه أنه كان من حيَّاته لا يُثبِتُ بصره في وجهِ أحد ، وأنه كان يَكْفِي
عما اضطره الكلامُ إليه مما يكره .
وعن عائشة : ما رأيتُ فرَجَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم قط .

فصل

وأما حُسْنُ عشرته وأدبه وبَسَطُ خلقه^(٨) صلى الله عليه وسلم مع أصناف الخلقِ
فبحيثُ انتشرت^(٩) به الأخبارُ الصحيحة .

- (١) هذا : أى أثر الصفرة والحضاب .
- (٢) ينزعها : يزيلها . والشك من الراوى . والحديث في سنن أبي داود : ٢ - ١٨٦
- (٣) في الحديث الصحيح المروى عنها ، كما أخرجه البخارى : ٨ - ١٥٠ ، والترمذى : ٤ - ٣٤٩
- (٤) الفحش : كل أمر قبيح ، أو شديد القبح قولاً وفعلًا ، والفاحش : من يصدر ذلك عنه . والمتفحش : من يتعمده ويبالغ فيه ؛ والظاهر أن المراد به بذاءة اللسان هنا .
- (٥) سخاب : من الصخب ، وهو رفع الصوت بمبالغة فيه ؛ وخص الأسواق ، لأنه فيها أقيح ، ولأنها محلّه ، وأما في المنزل ونحوه فلا حاجة إليه . وهو بالسين ، والصاد .
- (٦) مثل هذا : الذى قالته عائشة . (٧) من ب .
- (٨) بسط خلقه : المراد سعة خلقه . وقد ضبطت الطاء بالضم والكسرة وعليها «معا» في ١ .
- (٩) انتشرت : كثرت واشتهرت .

قال على رضي الله عنه [٣٨] في وصفه عليه الصلاة والسلام : كان أوسع الناس صدراً ، وأصدق الناس لهجة ، وألينهم عريكة ، وأكرمهم عشرة^(١) .

حدثنا أبو الحسن على بن مشرق^(٢) الأتخاطي فيما أجازنيه ، وقرأته على غيره ، قال : حدثنا أبو إسحاق الحبال ، حدثنا أبو محمد بن النجاس ، حدثنا ابن الأعرابي ، حدثنا أبو داود ، حدثنا هشام أبو مروان ، ومحمد بن المثني : قالوا : حدثنا الوليد ابن مسلم ، حدثنا الأوزاعي ، سمعت يحيى بن أبي كثير يقول : حدثني محمد بن عبد الرحمن بن أسعد بن زرارة ، عن قيس بن سعد ، قال : زارنا رسول الله صلى الله عليه وسلم - وذكر قصة في آخرها^(٣) : فلما أراد الانصراف قرَّب له سعد حماراً ، وطأ عليه^(٤) بقطيفة ، فركب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال سعد : يا قيس ؛ اصحب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال قيس : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اركب ، فأبى . فقال : إما أن تركب وإما أن تنصرف . فانصرفت .

(١) المراد بسعة صدره تحمله صلى الله عليه وسلم مشاق الناس وكثرة تسكليفهم . واللهجة : المراد الكلام . أصل العريكة : السنام ، والمراد أنه أسهل الناس طبعاً ، وأنه سلس مطاوع منقاد قليل المخالفة لتهور فيه . وفي ١ : أجود ، وعليها علامة الصحة . وفي هامشه : أوسع ، وعليها «صح» أيضاً . (٢) هذا الضبط في ١ ، ب . وهو بالفاء في ميزان الاعتدال : ٣-١٥٦ (٣) هي ما وقع له مع عبد الله بن أبي بن سلول ؛ إذ مر به وهو جالس مع أخلاط المسلمين وغيرهم ، فنشئ المجلس غبار دابته صلى الله عليه وسلم ، فغمر ابن سلول أنفه بردائه ، وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : لاتبروا علينا ، ارجع إلى رحلك ، فمن جاءك منا فاقصص عليه ؛ فاستب للمسلمون مع الشركيين حتى هموا أن يتواثبوا ، فمنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم ركب دابته حتى دخل على سعد رضي الله عنه ، وذكر ذلك له ، فقال له : يا رسول الله ؛ اعف عنه واصفح ، فلقد اتفق أهل هذه البحيرة على أن يعصبوه ، فلما رد الله ذلك بالحق الذي جئت به شرق بذلك ، فعا عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ... (نسيم الرياض : ٢-٧١) (٤) وطأ عليه بقطيفة : القطيفة : كساء له وبر وخنل وضعه على ظهر الحمار ليركب عليه .

[وفي رواية أخرى : اركب أمامي ، فصاحب الدابة أولى بمقدّمها] ^(١) .
 وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤلفهم ، ولا ينفقهم ^(٢) ، ويكرم كريم
 كل قوم ويؤليه عليهم ، ويحذر ^(٣) الناس ، ويحترس منهم من غير أن يطوي عن
 أحد منهم بشره ^(٤) ولا خلقه ؛ يتفقد أصحابه ^(٥) ، ويعطى كل جلسائه نصيبه ،
 لا يحسب جلساءه أن أحدا أكرم عليه منه . من جالسه أو قاربه لحاجة صابره ^(٦)
 حتى يكون هو المنصرف عنه ، ومن سأله حاجة لم يرده إلا بها ، أو بميسور ^(٧) من
 القول ؛ قد وسع الناس بسطه ^(٨) وخلقته ، فصار لهم أباً ، وصاروا عنده في
 الحق سواء .

بهذا وصفه ابن أبي هالة ؛ قال : وكان دائم البشر ^(٩) ، سهل الخلق ، لين
 الجانب ، ليس بنظّ ولا غليظ ^(١٠) ، ولا سخاب ، ولا فحاش ^(١١) ولا عيب ، ولا
 مدّاح ، يتفائل عملاً لا يشتهى ولا يؤيس منه ^(١٢) .

-
- (١) ما بين القوسين كتب عليه في ا ، ب : من غير الرواية .
 (٢) يؤلفهم : يؤلف المسلمين بإيثارهم ومدارعتهم ليزداد إيمان من كان قريب عهد بالإسلام ،
 وليحس من كان مخاصماً بحجره خاطره والتودد إليه .
 ولا ينفقهم : أى لا يتناهم بما يصير سبباً لنفورهم .
 (٣) في ا : ويحذر - بتشديد الدال . وفي ا : يحذر - بفتح الياء والدال .
 (٤) بشره : بشاشته .
 (٥) يتفقد أصحابه : أى من فقدته من أصحابه يسأل عنه أو يزوره ، أو يرسل إليه
 من يتعهده .
 (٦) صابره : أى صبر على سؤاله وعلى ذكر حوائجه .
 (٧) بميسور من القول : كوعده ، أو تسليته . (٨) بسطه : سرور ظاهره ، وطيب باطنه .
 (٩) البشر : طلاقة الوجه وبشاشته ، لا يعبس في وجه أحد . وابن أبي هالة : هو هند
 ربيبه من خديجة . (١٠) الغليظ : السكرية الخلق . والغليظ : ضد الرقة .
 (١١) سخاب - بالصاد والسين : كثير الصياح . فخاش : ذا خش في قوله أو فعله .
 (١٢) لا يؤيس منه : لا ييأس أحد من فيض جوده وأثر كرمه .

وقال الله تعالى^(١) : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا^(٢) مِنْ جَوْلِكَ ﴾ .

وقال تعالى^(٣) : ﴿ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيْئَةِ ، نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴾ .
وكان يُجيب مَنْ دَعَاهُ ، وَيَقْبَلُ الْهَدِيَّةَ وَلَوْ كَانَتْ كِرَاعًا^(٤) وَيُكَافِي عَلَيْهَا^(٥) .
قال أنس : خَدَمْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَشْرَ سِنِينَ ، فَمَا قَالَ لِي أُمَّتٌ قَطُّ^(٦) ، وَمَا قَالَ لَشَيْءٍ صَنَعْتُهُ : لَمْ صَنَعْتَهُ ؟ وَلَا لَشَيْءٍ تَرَكْتُهُ : لَمْ تَرَكْتَهُ^(٧) ؟

وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : مَا كَانَ أَحَدٌ أَحْسَنَ خُلُقًا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، مَا دَعَاهُ أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِهِ وَلَا أَهْلَ بَيْتِهِ إِلَّا قَالَ : لَبَّيْكَ^(٨) .
وقال جرير بن عبد الله : مَا حَجَبَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْذُ أُسَلِمْتُ ، وَلَا رَأَى إِلَّا تَبَسَّمَ .

وكان يَمَارِحُ أَصْحَابَهُ ، وَيُخَالِطُهُمْ وَيُحَادِثُهُمْ ، وَيُدَاعِبُ^(٩) صِبْيَانَهُمْ ، وَيُجَلِّسُهُمْ فِي حِجْرِهِ^(١٠) ، وَيُجِيبُ دَعْوَةَ الْحَرِّ وَالْبَدْوِ وَالْأُمَّةِ وَالْمَسْكِينِ ، وَيَعُودُ الْأَرْضَى فِي أَقْصَى^(١١) الْمَدِينَةِ ، وَيَقْبَلُ عُذْرَ الْمُعْتَذِرِ .

(١) سورة آل عمران ، آية ١٥٩

(٢) انفضوا : تفرقوا ولم يجتمعوا عليك ، ولسكنك باين جانبك لهم وشفقتك عليهم تؤلف قلوبهم وتزيد محبتهم .

(٣) سورة المؤمنون ، آية ٩٦
(٤) كراعا : السكراع : ماتحت الركبة إلى الخف والحافر والظاف . وفي هامش ب : السكراع - من الدواب : ماديون السكيب . والمراد أنه يقبل الهدية ولو كانت حقيرة .

(٥) ويكافي عليها : يجازي على الهدية بشيء مثلها أو أكثر .

(٦) أف : كلمة تقال لما يكره ويتضجر منه . وفي مسلم : أفا .

(٧) الحديث في صحيح مسلم (١٨٠٤) ، وأبو داود : ٢ - ١٨٥

(٨) لببيك : كلمة يجاب بها النداء . والحديث رواه أبو نعيم في دلائل النبوة بسند واه .

(٩) اللداعبة : المازحة مع لعب . (١٠) هذا في ب . وفي ١ : حجزه - بضم الحاء ، والزاي .

وحجر الإنسان - بالفتح والسكر : حاضنه وثوبه (اللسان - حجر) . والحجز : الناحية .

(١١) في أقصى المدينة : في أبعد مكان منها .

قال أنس : ما التَّعَمَّ أَحَدٌ^(١) أُذُنَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَنْحَى رَأْسَهُ حَتَّى يَكُونَ الرَّجْلُ هُوَ الَّذِي يَنْحَى^(٢) رَأْسَهُ ، وَمَا أَخَذَ أَحَدٌ بِيَدِهِ فَيُرْسِلُ^(٣) يَدَهُ حَتَّى يُرْسِلَهَا الْآخِرَ^(٤) ؛ وَلَمْ يُرْ مَقْدَمًا رُكْبَتَيْهِ بَيْنَ يَدَيْ جَلِيسٍ^(٥) لَهُ .

وَكَانَ يَبْدَأُ مَنْ لَقِيَهِ بِالسَّلَامِ ، وَيَبْدَأُ أَصْحَابَهُ بِالْمُصَاحِفَةِ ، وَلَمْ يُرْ قَطُّ مَا دَارَ رَجْلِيهِ بَيْنَ أَصْحَابِهِ حَتَّى يُضَيِّقَ بِهِمَا عَلَى أَحَدٍ . يَكْرَمُ مَنْ يَدْخُلُ عَلَيْهِ ، وَرَبَّمَا بَسَطَ لَهُ تَوْبَةً ، وَيُؤَثِّرُهُ^(٦) بِالْوِسَادَةِ الَّتِي تَحْتَهُ ، وَيَعَزِّمُ عَلَيْهِ فِي الْجُلُوسِ عَلَيْهَا إِنْ أَبَى ، وَيُسَكِّنِي أَصْحَابَهُ^(٧) ، وَيَدْعُوهُمْ بِأَحَبِّ أَسْمَائِهِمْ تَسْكَرَةً لَهُمْ ، وَلَا يَقْطَعُ عَلَى أَحَدٍ حَدِيثَهُ حَتَّى يَتَجَوَّزَ^(٨) فَيَقْطَعَهُ بِنَهْيٍ أَوْ قِيَامٍ - وَيُرْوَى : بِانْتِهَاءٍ أَوْ قِيَامٍ .

وَيُرْوَى أَنَّهُ كَانَ [٣٩] لَا يَجْلِسُ إِلَيْهِ أَحَدٌ وَهُوَ يَصَلِّي إِلَّا خَفَّ صَلَاتَهُ ، وَسَأَلَهُ عَنْ حَاجَتِهِ ، فَإِذَا فَرَغَ عَادَ إِلَى صَلَاتِهِ .

وَكَانَ أَكْثَرَ النَّاسِ تَبَسُّمًا ، وَأَطْيَبِهِمْ نَفْسًا ، مَا لَمْ يَنْزَلْ عَلَيْهِ قُرْآنٌ أَوْ يَعِظُ أَوْ يَخْطُبُ^(٩) .

(١) مَا التَّعَمَّ أَحَدٌ أُذُنَ رَسُولِ اللَّهِ : مَا جَعَلَ أَحَدٌ أُذُنَهُ مَحَازِيَةً لِقَمِهِ فَتَحَازِيهِ ، وَالْمُرَادُ مَا

حَدَّثَهُ أَحَدٌ عِنْدَ أُذُنِهِ . وَالْحَدِيثُ فِي سَنَنِ أَبِي دَاوُدَ : ١٨٧ .

(٢) يَنْحَى رَأْسَهُ : أَيَّ يَبْعُدُهَا وَيَجْعَلُهَا فِي نَاحِيَةٍ مِنْهُ .

(٣) فَيُرْسِلُ يَدَهُ : أَيَّ يَطْلُقُهَا وَيَفْسِكُهَا مِنْ يَدِهِ .

(٤) عَلَيْهَا عَلَامَةُ الصَّحَّةِ فِي أ ، ب . وَفِي هَامِشِهَا : الْآخِذُ .

(٥) وَلَمْ يُرْ مَقْدَمًا رُكْبَتَيْهِ : الْمُرَادُ أَنَّهُ يَخْفِضُ رُكْبَتَيْهِ تَمَظُّنًا لِجُلْسَانِهِ . وَقِيلَ الْمُرَادُ بِالرُّكْبَتَيْنِ

الرَّجْلَيْنِ ؛ أَيَّ كَانَ لَا يَمُدُّ رَجْلِيهِ بَيْنَ أَصْحَابِهِ ؛ يَعْنِي أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَسَاوِي جَلِيسَهُ ، وَلَا يَتَقَدَّمُ عَلَيْهِ بِرُكْبَتَيْهِ حَتَّى كَانَ التَّرْيِيبُ يَجِيءُ فَلَا يَعْرِفُهُ وَيَسْأَلُ عَنْهُ .

(٦) وَيُؤَثِّرُهُ ، الْإِيْثَارُ : تَقْدِيمُ غَيْرِهِ عَلَى نَفْسِهِ فِي بَعْضِ الْأُمُورِ ؛ أَيَّ يَفْضَلُ غَيْرَهُ .

(٧) يَسَكِّنِي أَصْحَابَهُ : يَضَعُ لَهُمْ كُنْيَةً ، كَأَبِي فُلَانٍ ، أَوْ يَدْعُوهُمْ بِالسُّكْنِيَّةِ تَسْكَرًا بِمَا لَهُمْ .

(٨) حَتَّى يَتَجَوَّزَ : حَتَّى يَكْتُرَ فَيَتَجَاوَزُ الْحُدُودَ . أَوْ يَخْرُجُ إِلَى مَا لَا يَلِيقُ .

(٩) هَذَا الضَّبْطُ فِي أ . وَفِي بِ ضَبْطِ الظَّاءِ فِي « يَعِظُ » وَالْبَاءِ فِي « يَخْطُبُ » بِالضَّمِّ .

قال عبدُ الله بن الحارث : ما رأيتُ أحداً أكثرَ تيسبُها من رسولِ الله صلى الله عليه وسلم .

وعن أنس^(١) : كان خَدَمُ المدينةِ يأتون رسولَ الله صلى الله عليه وسلم إذا صلى الغدَاةَ^(٢) بِأَنْيَتِهِمْ فِيهَا الْمَاءَ ، فَمَا يُؤْتَى بِأَنْيَةِ إِلَّا غَسَّ يَدَهُ فِيهَا ، وَرَبَّمَا كَانَ ذَلِكَ فِي الْغَدَاةِ^(٣) الْبَارِدَةِ - يَرِيدُونَ بِهِ التَّبَرُّكَ^(٤) .

فصل

وأما الشفقةُ والرأفةُ والرحمةُ لجميعِ الخلقِ^(٥) فقد قال الله تعالى فيه^(٦) : ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾^(٧) .
وقال تعالى^(٨) : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ .
قال بعضهم : من فضله عليه السلام أن الله تعالى أعطاه اسمين من أسمائه ، فقال :
« بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ » .

وحكى^(٩) نحوه الإمام أبو بكر بن فُورَك . حدثنا الفقيه أبو محمد عبد الله بن محمد الخُشَنِي بِقِرَاءَتِي عَلَيْهِ ، حَدَّثَنَا إِمَامُ الْحَرَمَيْنِ^(١٠) أَبُو عَلِي الطَّيْبِيُّ ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْغَافِرِ

(١) صحيح مسلم : ١٨١٢ (٢) النداء : صلاة الصبح .

(٣) النداء : أول النهار .

(٤) بدمه في ب : صلى الله عليه وسلم ، كما ذكره القداكرون ، وغفل عن ذكره النافلون .

(٥) قال في نسيم الرياض (٢ - ٨٢) : الفرق بين هذه الثلاثة أن الشفقة رحمة ورقة

قلب وخوف من نزول مكروه بمن يشفق عليه . والرأفة : التلطف بمن يريد إكرامه بالبشر والإناس ، وليست أشد من الرحمة كما توهمه بعضهم .

(٦) سورة التوبة ، آية ١٢٨

(٧) ما عنتم : العنت : الشقة ؛ أى يصعب عليه مشقتكم وما يؤلمكم لرأفته ورحمته .

(٨) سورة الأنبياء ، آية ١٠٧

(٩) في ب : قال : حدثنا نحوه . . .

(١٠) في ب : إمام الحرمين حدثنا أبو علي الطبري .

الفارسي، حدثنا أبو أحمد الجلودي، حدثنا إبراهيم بن سفيان، حدثنا مسلم ابن الحجاج، حدثنا أبو الطاهر، أنبأنا يونس، عن ابن شهاب، قال: غزى رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة^(١)، وذكر حنيناً^(٢)، قال: فأعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم صفوان بن أمية مائة من النعم^(٣)؛ ثم مائة، ثم مائة.

قال ابن شهاب، حدثنا سعيد بن المسيب أن صفوان قال: والله لقد أعطاني ما أعطاني وإنه لأبغض الخلق إليّ، فما زال يُعطيني حتى إنه لأحب الخلق إليّ^(٤). ورؤى أن أعرابيا جاءه يطلب منه شيئا، فأعطاه؛ ثم قال: أحسنت إليك؟ قال الأعرابي: لا، ولا أجملت^(٥).

فغضب المسلمون وقاموا إليه^(٥)، فأشار إليهم أن كفوا، ثم قام ودخل منزله، وأرسل إليه، وزاده^(٦) شيئا، ثم قال: أحسنت إليك؟ قال: نعم، فجزاك الله من أهل^(٧) وعشيرة خيرا.

(١) من غزوات الرسول. وحنين: واد بين مكة والطائف. وكانت هذه الغزوة في شوال سنة ثمان (شرح القارى: ١ - ٢٧٥). والحديث في صحيح مسلم: ١٨٠٦.
(٢) النعم: اسم جامع للإبل، لا واحد له من لفظه، وجمعه أنعام: وقال العزيرى: هو الإبل والبقر والنعم.

(٣) كان أشد الناس عداوة له لقتل أبيه يوم بدر، ولما شهد وهو كافر حينئذ ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الجعرانة؛ فبينما هو يسير في الغنائم ينظر إليها ومعه صفوان - جعل صفوان ينظر إلى شعب ملىء نعما وشاء - وأدام النظر إليها، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يرمقه. فقال له: أبا وهب؛ يعجبك هذا الشعب؟ قال: نعم. قال: هو لك وما فيه. فقال صفوان: ما طابت بهذا إلا نفس نبي! أشهد أن لا إله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله. وارجع إلى الإصابة (٣ - ٤٣٣). (٤) أجمت: فعات فملا جميلا محمدا.

(٥) وقاموا إليه ليضربوه ويجازوه بما يستحقه.

(٦) زاده شيئا: أى على ما أعطاه أولا.

(٧) من أهل وعشيرة خيرا: المراد بدلا من أهلى وعشيرتى الذين لم يحسنوا إلى.

فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : إنك قلت ما قلت وفي أنس أصحابي من ذلك شيء ، فإن أحببت فقل بين أيديهم ما قلت بين يدي حتى يذهب ما في صدورهم عليك .

قال : نعم . فلما كان الغد أو العشي^(١) جاء ، فقال صلى الله عليه وسلم : إن هذا الأعرابي قال ما قال ، فزدناه فزعم أنه رضى ، أ كذلك ؟ قال : نعم ، فجزاك الله من أهل وعشيرة خيرا .

فقال صلى الله عليه وسلم : مثلي ومثل هذا مثل رجل له ناقة شردت^(٢) عليه ، فاتبعها الناس فلم يزيدوها إلا نفورا ، فناداهم صاحبها : خلوا بيني وبين^(٣) ناقتي ، فإنى أرفقُ بها منكم وأعلم^(٤) ، فتوجه لها بين يديها^(٥) ، فأخذ لها من قمام الأرض^(٦) ، فردّها حتى جاءت واستناخت^(٧) ، وشدّها عليها رحلها^(٨) ، واستوى^(٩) عليها ، وإني لو تركتكم حيث قال الرجل ما قال فقتلتموه دخل النار^(١٠) .

(١) فلما كان الغد أو العشي : المراد بالغد صبيحة اليوم الذي بعد اليوم الذي كلمه فيه النبي .
والمنداة من طلوع الفجر إلى الزوال . والعشي : ما بعد الزوال إلى الغروب . والشك هنا من الراوى .

(٢) شردت ناقته : نفرت منه وذهبت في الأرض .

(٣) خلوا بيني وبين ناقتي : لاتتبعوها واتركوني أحتال في إمساكها .

(٤) أى أنا أشفق عليها وأعلم بحالها منكم .

(٥) أى جاءها من أمامها .

(٦) قمام الأرض : القمام : جمع قمامة : كناساة . والمراد بها النبات الذى ترعاه الدواب .

(٧) استناخت : بركت ومكثت عنده .

(٨) رحلها : الرحل للابل كالسرج للفرس .

(٩) واستوى عليها : ركبها .

(١٠) دخل النار عقوبة له بإساءته إلى النبي صلى الله عليه وسلم .

قال في نسيم الرياض : وهذا الحديث رواه البزار ، وأبو الشيخ بسند ضعيف عن أبي هريرة

رضى الله عنه ، وابن حبان في صحيحه ، وابن الجوزى في الوفا .

وروي عنه^(١) أنه صلى الله عليه وسلم قال : لا يُبْلِقُنِي^(٢) أحدٌ منكم عن أحدٍ من أصحابي شيئا ، فإني أحبُّ أن أخرج إليكم وأنا سليمُ الصدر^(٣) .
ومن شفقتة على أمته عليه السلام تخفيفه وتسهيله عليهم ، وكرهته أشياء مخافةً أن تُفرضَ عليهم ، كقوله : لولا أن أشقَّ على أمتي^(٤) لأمرتهم بالسواك مع كل وضوء^(٥) .

وخبرُ صلاةِ الليل^(٦) ، ونهْيهم عن الوصال^(٧) ، وكرهته دخولَ الكعبةِ اثلا يُعنت^(٨) أمته ، ورغبته لربه أن يجعلَ سببه ولعنه لهم رحمةً بهم ، وأنه كان يسمعُ بكاءَ الصبي فيتجوَّز^(٩) في صلاته .

ومن شفقتة صلى الله عليه وسلم [٤٠] أن دعا ربه وعاهده ، فقال : أيُّمَّا رَجُلٍ

(١) الزاوي له أبو داود والترمذي عن ابن مسعود (سنن أبي داود : ٢ - ١٩٢) .

(٢) ضبطت الباء بالسكون وبالفتحة ، وكتب عليها « معا » في ب .

(٣) سلامة الصدر كناية عن كونه ليس في قلبه بغض ولا غضب على أحد .

(٤) لولا أن أشق على أمتي : لولا مخافة المشقة عليهم .

(٥) هذا الحديث رواه أصحاب الكتب الستة . (صحيح مسلم : ٢٢٠)

(٦) قال لهم النبي : خشيت أن تفرض عليكم فتعجزوا عنها .

(٧) الوصال في الصوم : هو أن يصوم يومين أو أكثر من غير أكل وشرب بينهما ، ونهيه

عن الوصال ثابت في الصحيحين (صحيح مسلم : ٧٧٤)

(٨) يعنت : من العنت ؛ وهو المشقة والإثم . وفي ب ضبطت : يعنت كما أثبتنا ، وضبطت

أيضا بسكون العين وكسر النون ، وكتب عليها « معا » . وفي هامشه : خ : يتعب . وفي : يعنت كما أثبتنا ، وعليها علامة الصحة .

وحديث كراهته دخول الكعبة في حديث رواه أبو داود والترمذي عن عائشة رضي الله عنها وصححاه ، وكذا رواه ابن خزيمة ، والحاكم عنها أيضا مصححا مسندا . (سنن أبي

داود : ١ - ٢٠١)

(٩) المراد هنا أنه يخففها ويسرع فيها .

سَبَّبَتْهُ أَوْ لَعْنَتْهُ (١) فَاجْعَلْ ذَلِكَ لَهُ زَكَاةً وَرَحْمَةً (٢) ، وَصَلَاةً وَطَهُورًا ، وَقُوْبَةً تَقْرُبُهُ بِهَا إِلَيْكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ (٣) .

وَمَا كَذَّبَهُ (٤) قَوْمُهُ أَتَاهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ (٥) السَّلَامُ ، فَقَالَ لَهُ : إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ ، وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ ، وَقَدْ أَمَرَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ ، فَنَادَاهُ مَلَكُ الْجِبَالِ وَسَلَّمْ عَلَيْهِ ، وَقَالَ : مُرْنِي بِمَا شِئْتَ ، وَإِنْ شِئْتَ أَنْ أُطَبِّقَ عَلَيْهِمُ الْأَخْشَبِينَ (٦) .

قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ وَلَا يَشْرِكُ بِهِ شَيْئًا .

وَرَوَى ابْنُ الْمُنْكَدِرِ أَنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَمَرَ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَالْجِبَالَ أَنْ تُطِيعَكَ . فَقَالَ : أَوْخَرَّ عَنْ أُمَّتِي لَعْلَ اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ (٧) .

قَالَتْ عَائِشَةُ : مَا خَيْرُ رَسُولٍ اللَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلَّا اخْتَارَ أَيْسَرَهُمَا (٨) .

(١) اللعن : أصل معناه الطرد والإبعاد ، ثم خص بالبعد من رحمة الله .

(٢) زكاة : تطهيره له مما ارتكبه . (٣) صحيح مسلم : ٢٠٠٧ .

(٤) وهذا من عظيم شفقتة أيضا . وهذا الحديث في البخاري : ٤ - ١٤٠ .

(٥) في ب : عليهما .

(٦) الأخشابان : مثنى أخشب : جيلان يضافان تارة لمكة وتارة لثي ، فيقال : أخشاب مكة ، وأخشبا ثي ، وهما أبو قبيس وقميقعان . وفي هامش ١ : الأخشاب : جبال مكة ، وقد يقال لكل جبل أخشب . وأنشد أبو عبيد : كأن فوق منكبيه أخشبا .

(٧) أي يرجعوا عن المعاصي ، ويقبل الله منهم ذلك .

(٨) أيسرها : أسهلها وأهونها على الأمة شفقة ورحمة منه عليهم . وبقية الحديث : ما لم

يكن إنما ، فإن كان إنما كان أبعد الناس منه . والحديث في صحيح مسلم : ١٨١٣ ، وصحيح

البخاري : ٤ - ٢٣٠ .

وقال ابن مسعود رضى الله عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخولنا^(١) بالموعظة مخافة السامة علينا .

وعن عائشة أنها ركبت بعيرا وفيه صعوبة ، فجملت تردده^(٢) ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : عليك بالرفق^(٣) .

فصل

وأما خلقه صلى الله عليه وسلم في الوفاء ، وحسن العهد ، وصلة الرحم^(٤) - فحدثنا القاضى أبو عامر محمد بن إسماعيل بقراءتى عليه ؛ قال : حدثنا أبو بكر محمد بن محمد ، حدثنا أبو إسحاق الحبالب ، حدثنا أبو محمد بن النجاس ، حدثنا ابن الأعرابي ، قال : حدثنا أبو داود ؛ قال : حدثنا محمد بن يحيى ؛ قال : حدثنا محمد بن سنان ؛ قال : حدثنا إبراهيم بن طهمان ، عن بديل ، عن عبد الكريم بن عبد الله بن شقيق ، عن ابنه ، عن عبد الله بن أبي أخصاء^(٥) ، قال : بايعت النبي صلى الله عليه وسلم يبيع^(٦) قبل أن يبعث ، وبيعته له ببيعة ، فوعدته أن آتية بها في مكانه ، فنسيت^(٧) ، ثم ذكرت

(١) يتخولنا : يتعهدنا . والحديث في صحيح مسلم : ٢١٧٢

(٢) تردده : تمشى به وترجع ؛ وإنما فعات ذلك لتروضه حتى ينقاد لها .

(٣) فهذا دليل على شفقته . وهذا الحديث في صحيح مسلم : ٢٠٠٤

(٤) الوفاء : ضد الغدر ونقض العهد . وحسن العهد : أى معااهد عليه والتزمه .

وصلة الرحم : الإحسان إلى الأقارب والأصهار والرفق بهم والرفق عنهم ، ونصحهم واتوود لهم .

(٥) فى هامش ب : قال الحافظ المزى : بعضهم يرويه أبى الحساء - بتقديم السين على الميم .

والأول أصح . والله أعلم . وقال القارى (١ - ٢٨١) : وهو بتقديم السين تصحيف .

(٦) أى باع مبيعا للنبي صلى الله عليه وسلم .

(٧) فنسيت : أى الوعد الذى جرى بيننا .

بعد ثلاث ، فبحثُ فإذا هو في مكانه^(١) ، فقال : يا فتى ، لقد شققتَ عليّ ، أنا ها هنا منذ ثلاث أنتظرُك^(٢) .

وعن أنس : كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أتى بهدية قال : اذهبوا بها إلى بيتِ فلانة ؛ فإنها كانت صديقةً لخديجة ، إنها كانت تحبُّ خديجة^(٣) .

وعن عائشة قالت : ما غرتُ على امرأة ما غرتُ على خديجة ، لما كنتُ أسمعهُ يذُ كرها ، وإن كان ليذبحُ الشاةَ فيهديها إلى خلاتها^(٤) .
واستأذنتُ عليه أختها^(٥) فارتاحَ إليها .

ودخلت عليه امرأةٌ ، فهشَّ^(٦) لها ، وأحسنَ السؤالَ عنها ، فلما خرجت قال : إنها كانت تأتينا أيامَ خديجة ، وإنَّ حسنَ العهدِ من الإيمان^(٧) .

ووصفه بعضهم ، فقال : كان يصلُّ ذوى رَحِمِهِ من غير أن يؤثروهم^(٨) على مَنْ هو أفضلُ منهم .

(١) فإذا هو في مكانه : فإذا النبي في مكانه لم يفارقه .

(٢) هذا الحديث رواه أبو داود (٢ - ٢٠٣) ، وهو من أفرادهِ ، قال السيوطي : وأخرجه ابن مندة في المعرفة ، والخرائطى في مكارم الأخلاق .

(٣) هذا الحديث رواه البخارى في الأدب .

(٤) خلاتها : جمع خليلة ، بمعنى الصاحبة والصديقة .

والحديث في البخارى : ٥ - ٤٨ ، وفيه : وإن كان ليذبح الشاة فيهدى إلى خلاتها منها ما يسمهن .

وخلاتها : جمع خليلة ، أى صديقاتها .

(٥) أختها : أخت خديجة ، وهى هالة بن خويلد .

(٦) هش لها : فرح وأظهر المسرة بدخولها .

(٧) حسن العهد : أى رعاية العهود القديمة ، ورعاية من يحبك أو يحب من يحبك . من

الإيمان : من مقتضيات الإيمان .

(٨) يؤثروهم : يخصهم ويقدمهم .

وقال صلى الله عليه وسلم : إن آلَ أبي فلان ليسوا لي بأولياء غير أن لهم رَحماً سألها بِيَلَالِهَا^(١) .

وقد صلى عليه السلام بأمامة ابنة ابنته يَحْمِلُهَا على عاتقه ، فإذا سجد وضعها ، وإذا قام حملها^(٢) .

وعن أبي قتادة : وقد وَفِدٌ للنجاشي ، فقام النبي صلى الله عليه وسلم يَحْدُمُهُمْ ، فقال له أصحابه : نَسْكَفِيكَ^(٣) . فقال : إنهم كانوا لأصحابنا مُكْرِمِينَ^(٤) ، وإني أُحِبُّ أَنْ أَكْفَهُمْ^(٥) .

ولما جِيءُ بِأَخْتِهِ من الرضاعة الشِّمَاءِ في سبَايَا^(٦) هَوَازِنَ ، وتعرَّفت له بسط لها رِدَاءَهُ ، وقال لها : إن أُحِبِّتِ أَقَمْتِ عِنْدِي مُكْرَمَةً مُحِبَّةً ، أو مَتَعْتُكَ^(٧) ورجعت إلى قومك ؛ فاخترت قومها فتمتها .

وقال أبو الطفيل [٤١] : رأيتُ النبي صلى الله عليه وسلم وأنا غلام إذ أقبلت

(١) الآل : الأهل والأتباع . والمراد هنا أبو العاص بن أمية بن عبد شمس ، وكان منافقاً في أول أمره ، ثم حسن إسلامه . والأولياء : جمع ولي ، وهو القريب ومن يتولى أمره ؛ أي لا أتولاهم ولا أحسبهم من أوليائي لما علمت منهم .

أن لهم رحماً : أي قرابة سألها : سأصلها بصلتها اللاتفة بها . والبلال : الرطوبة والنداوة وكل ما يبل الحلق من المائعات . والمراد الصلة والإحسان . والحديث في صحيح مسلم : ١٩٢ ، وصحيح البخاري : ٨ - ٧ ، وقال في البخاري : أبلها ببالها ؛ يعني أصلها بصلتها .

(٢) عاتقه : كتفه . وهذا الحديث رواه البخاري في صحيحه (١ - ١٣٠)

(٣) نسكفيك : أي نحن نخدّمهم ونسكفيك من تعاطى خدمتهم .

(٤) لأصحابنا الذين هاجروا لأرض الحبشة .

(٥) قال السيوطي : هذا الحديث رواه البيهقي في دلائله مسنداً .

(٦) هي بنت حليمة السعدية التي أرضعت النبي صلى الله عليه وسلم . والسبايا : جمع سبية ،

أي مأسورة .

(٧) متعتك : أي يحسن إليها ويمطئها . وهذا منه صلة رحم .

امراً حتى دنت^(١) منه ، فبسط لها رداءه ، فجلست عليه ، فقالت : من هذه ؟ قالوا : أمه التي أرضعته .

وعن عمر بن السائب^(٢) - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جالسا يوما ، فأقبل أبوه^(٣) من الرضاعة ، فوضع له بعض ثوبه ، فقعده عليه ؛ ثم أقبلت أمه فوضع لها شق^(٤) ثوبه من جانبه الآخر فجلست عليه ، ثم أقبل أخوه من الرضاعة ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فأجلسه بين يديه .

[وكان يبعث إلى ثوبية^(٥) مولاة أبي لهب مرضعته بصلة وكسوة ، فلما ماتت سأل : من بقي من قرابتها . فقيل : لا أحد]^(٦) .

وفي حديث خديجة رضى الله عنها أنها قالت له صلى الله عليه وسلم^(٧) : أبشِرْ، فوالله لا يُخزِيكَ اللهُ أبداً ، إنك لتصل الرحم ، وتحمل الكل ، وتكسب^(٨) المدوم ، وتقربى الضيف ، وتعين على نوائب الحق .

(١) دنت منه : قربت من مكانه الجالس فيه .

(٢) هذا الحديث رواه أبو داود (٢ - ٢١٧) .

(٣) هو العمار بن عبد العزى .

(٤) شق ثوبه : جانبا من ثوبه .

(٥) ثوبية : أول من أرضعته مع ابنها مسروح أيا ما قبل حليلة . والخبر في الإصابة (٧ - ٥٤٩) .

(٦) في هامش ما بين القوسين من غير الرواية .

(٧) تقدم هذا وشرحه صفحة ١٤٦ والعديد في صحيح مسلم : ١٤١ .

(٨) ضبظت التاء في بالضم والفتحة ، وعليها « معا » . وفي هامشه : تكسب - بالفتح

التاء - أحسن . يقال ، فلان يكسب المدوم ، إذا كان مجدودا ينال ما يحرمه غيره . ويقال : هو

آكلكم للمأدوم ، وأكسبكم للمعدوم ، وأعطاكم للمحروم .

وفي هامش ب : تكسب - بفتح التاء - أحسن أيضا .

فصل

وأما تواضعه^(١) صلى الله عليه وسلم ، على علو منصبه^(٢) ورفعة رتبته - فكان أشد الناس تواضعا ، وأقلهم^(٣) كبرا .

وحسبك^(٤) أنه خير بين أن يكون نبيا مَلِكًا أو نبيا عَبْدًا ، فاختر أن يكون نبيا عَبْدًا ، فقال له إسرائيل عند^(٥) ذلك : فإن الله قد أعطاك بما تواضعت^(٦) له أنك سيد ولد آدم يوم القيامة ، وأول من تنشق الأرض عنه ، وأول شافع^(٧) .

حدثنا أبو الوليد بن العواد الفقيه - رحمه الله - بقرآتي عليه في منزله بقُرْطِبة سنة سبع وخمسة ، حدثنا أبو علي الحافظ ، حدثنا أبو عمر ، حدثنا ابن عبد المؤمن ، حدثنا ابن داسة ، حدثنا أبو داود ، حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ، حدثنا عبد الله ابن نصير ، عن مسعر ، عن أبي المنبَس ، عن أبي العَدَّاسِ ، عن أبي مرزوق ، عن أبي غالب ، عن أبي أمامة ، قال : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم متوكئا على عصا ، فقمنا له . فقال : لا تقوموا كما تقوم الأعاجم^(٨) ، يعضم بعضهم بعضا . وقال : إنما أنا عبد^(٩) آكل كما يأكل العبد ، وأجس كما يجلس العبد .

(١) التواضع : إظهار أنه وضيع ، وهو أشرف الناس (الشهاب الحفاجي) .

(٢) المنصب : الأصل والحسب .

(٣) في ب : وأعدمهم كبرا ، وعليها علامة الصحة . وقال القارى (٢ - ٢٨٧) : ذكر

الحجازي أنه رواية . والمعنى أفقدم كبرا .

(٤) حسبك : يكفيك في إثبات ما ذكر .

(٥) عند ذلك : عند اختياره العبودية .

(٦) بما تواضعت له : أى بسبب تواضعك له .

(٧) في صحيح مسلم (١٨٨) : أنا أول شفيع في الجنة .

(٨) الأعاجم : من عدا العرب ، وقد يختص بفارس .

(٩) أى لست بسلطان .

وكان يركب الحمار، ويُرْدَفُ^(١) خلفه، ويعمودُ للمساكين، ويجالس الفقراء، ويُجِيبُ دَعْوَةَ العبد، ويجلس بين أصحابه مختلطاً بهم حينما انتهى به المجلسُ جالساً. وفي حديثٍ عُمَرُ عنه: لا تُطْرُونِي^(٢) كما أطرت النصارى ابنَ مريمَ، إنما أنا عبدٌ فقولوا: عَبْدُ اللَّهِ ورسوله.

وعن أنس^(٣) أن امرأةً كان في عقلها شيءٌ^(٤) جاءت، فقالت: إن لي إليك حاجةٌ^(٥). قال: اجلسي يا أمَّ فلانٍ في أيِّ طُرُقِ المدينةِ شئتِ أجلس إليك حتى أقضي حاجتك.

قال: فجلست، فجلس النبيُّ صلى الله عليه وسلم إليها حتى فرغت من حاجتها. قال أنس: كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يركبُ الحمارَ، ويُجِيبُ دَعْوَةَ العبد؛ وكان يومَ بنى قُرَيْظَةَ^(٦) على حمارٍ مخطومٍ^(٧) بمجلٍ من ليفٍ عليه إكافٌ^(٨). قال: وكان يُدعى إلى حُبْزِ الشعيرِ، والإِهَالَةِ السَّنَخَةِ فيُجِيبُ^(٩).

قال: ووحجَّ صلى الله عليه وسلم على رَحْلِ رَثٍ^(١٠)، وعليه قَطِيفَةٌ^(١١) ما تساوي

-
- (١) يردف: يجمعه رديفاً له؛ أي راكبا خلفه على دابته التي ركبها.
 (٢) أطراه: بالغ في مدحه وجاوز الحد؛ أي لا تمدحوني.
 (٣) الحديث في سنن أبي داود: ٢ - ١٨٩ (٤) كان في عقلها شيء: أي من جنون.
 (٥) أي لي إليك حاجة أريد أن أنهيها إليك وأعلمك بها.
 (٦) يوم بنى قريظة: اليوم هنا بمعنى الوقعة والنزوة. وبنو قريظة: قوم من اليهود بقرب المدينة غزاهم النبي قبل غزوة الخندق.
 (٧) مخطوم: الحطام: ما يقاد به الدابة.
 (٨) إكاف: رحل يوضع على ظهر الحمار للركوب عليه، أو البردعة.
 (٩) الإهالة: كل ما يؤتمد به من الدهن. أو الدسم الجامد. أو ما يذاب من الإلية، والسنخة: متفيرة الرائحة.
 (١٠) الرحل للجمل كالسرج للفرس، ورث: بال خلق.
 (١١) قطيفة: كساء من صوف له خمل.

أربعة دراهم؛ فقال: اللهم اجعله حجًّا لا رياءَ فيه ولا مُنمعةً^(١).

هذا، وقد فتحت عليه الأرض، وأهدى في حجِّه ذلك مائة بدنة^(٢).

ولما فتحت عليه مكة ودخلها بجيوش المسلمين طأطأ على رَحله^(٣) رأسه حتى كاد يمسُّ قادمته تواضعاً لله تعالى^(٤).

وَمِنْ تواضعه صلى الله عليه وسلم قوله^(٥): لا تفضّلوني على يونسَ بن متى، ولا تفضّلوا بين الأنبياء، ولا تحيّروني على موسى، ونحن أحقُّ بالشك من إبراهيم، ولو لبثت ما لبث يوسف [٤٢] في السجن لأجبتُ الداعي^(٦).

وقال للذي قال له: يا خَيْرَ البرية: ذاك^(٧) إبراهيم.

وسياتي الكلامُ على هذه الأحاديث بعد هذا إن شاء الله.

وعن عائشة، والحسن، وأبي سعيد، وغيرهم - في صِفَتِهِ، وبعضهم يزيدُ على

(١) الرياء: ما يفعل من عبادة ونحوها لأجل أن يراه الناس فيمدحوا صاحبه به. والسمعة:

ما يفعل لأشيع ويسمع الناس به.

(٢) أهدى: بعث الهدى؛ وهو ما يرسل للبيت الحرام لينحر فيه ويتصدق به من الإبل والبقر، وكذا البدنة تطلق على الجمل والناقة والبقرة، وأكثر ما تطلق على الإبل؛ وسميت بدنة لكبر بدنها.

(٣) في هامش أ: راحاته. وفي ب: راحته، وفي هامشه: رحله.

(٤) الرحل له مقدم ومؤخر مرتفع عن محل الراكب. وقادمة الرحل: مقدمه.

(٥) قال في نسيم الرياض: قال السيوطي: لم أفف عليه بهذا اللفظ؛ والذي في البخاري، عن ابن مسعود رضي الله عنه: لا يقولن أحدكم أنا خير من يونس بن متى. وفي سنن أبي داود: ما ينبغي لني أن يقول: أنا أفضل من يونس بن متى.

(٦) لبث في السجن بضع سنين. والمراد بإجابة الداعي: رسول الملك الذي دعاه للخروج.

(٧) خص إبراهيم؛ لأن الله أمره باتباع ملة إبراهيم.

بعض : كان في بيته في مهنة^(١) أهله يُفلى ثوبه^(٢) ، ويخلب شاته ، ويرقع ثوبه ، ويخصف نعله^(٣) ، ويخدم نفسه ، ويقم البيت^(٤) ، ويعقل البعير ، ويعلف ناضجه^(٥) ، ويأكل مع الخادم ، ويمجن معها ، ويحمل بضاعته من السوق .

وعن أنس : إن كانت الأمة من إماء أهل المدينة لتأخذ بيد رسول الله صلى عليه وسلم فتنتلق به حيث شاءت حتى يقضى حاجتها .

ودخل عليه رجل فأصابته من هيئته رعدة^(٦) ، فقال له : هوّن عليك ، فإني لست بملك ، إنما أنا ابن امرأة من قريش تأكل القديد^(٧) .

وعن أبي هريرة : دخلت السوق مع النبي صلى الله عليه وسلم ، فاشترى سراويل^(٨) وقال للوزان : زن وأرجح^(٩) . وذكر القصة - قال : فوثب^(١٠) إلى

(١) مهنة أهله : المهنة : الخدمة . وكلمة « مهنة » ضبطت ميمه بالفتحة والكسرة ، وكتب فوقها « ما » في ١ ، ب . وفي هامش ب : بفتح الميم ، وخفضها خطأ ؛ قاله شمر عن مشايخه . وقال غيره : بالكسر وأنكر الفتح . قال الحافظ المزى : كسر الميم أحسن ، لأن مهنة على وزن خدمة ومعناه . وفي البخارى (٨ - ١٧) . . . سألت عائشة : ما كان النبي يصنع في أهله ؟ قالت : كان في مهنة أهله ، وإذا حضرت الصلاة قام إلى الصلاة .

(٢) قيل : المراد بفليه : تفتيشه لحرق فيه ، أو تعلق شيء به من شوك ونحوه ، وكل ذلك للتشريع وإظهار التواضع .

(٣) يخصف نعله : يجرزها .

(٤) ويقم البيت : يكدسه ويزيل قمامته .

(٥) ويعلف ناضجه : الناضح : البعير الذى يستقى عليه .

(٦) رعدة : الرعدة : أن يرجف الإنسان ويضطرب .

(٧) القديد : هو اللحم الذى يقطع ويجعل في الشمس حتى يبس .

(٨) قال السيوطى : قدر رأيت الذى ذكره المصنف في معجم الطبرانى الأوسط ، ومسند أبى يعلى ؛ وفيه أنه صلى الله عليه وسلم لبسها . والسراويل تذكر وتؤنث .

(٩) للوزان : أى الذى وزن الدرهم وينقدها وهو الصيرفى . وأرجح : أى زد له حتى

يترجح الميزان بزيادة الكفة التى فيها الدرهم ، فالرجحان : نزول كفة الميزان لزيادة ما فيها .

(١٠) الذى وثب هو الوزان كما فى القارى (١ - ٢٩٤) .

يَدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُقْبَلُهَا، فُجِزَ بِيَدِهِ، وَقَالَ: هَذَا تَفْعَلُهُ^(١) الْأَعَاجِمُ بِمُلُوكِهَا،
وَلَسْتُ بِمَلِكٍ، إِنَّمَا أَنَا رَجُلٌ مِنْكُمْ. ثُمَّ أَخَذَ السَّرَاوِيلَ، فَذَهَبَتْ لِأَخِيهِ، فَقَالَ:
صَاحِبُ الشَّيْءِ أَحَقُّ بِشَيْئِهِ أَنْ يَحْمِلَهُ.

فصل

وَأَمَّا عَدْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَمَانَتُهُ وَعَفَّتُهُ وَصِدْقُ لَهْجَتِهِ^(٢) - فَكَانَ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ آمَنَ النَّاسَ، وَأَعْدَلَ النَّاسَ، وَأَعْفَى النَّاسَ، وَأَصْدَقَهُمْ لَهْجَةً مَنْذُ كَانَ،
اعْتَرَفَ لَهُ بِذَلِكَ مُحَادُوهُ^(٣) وَعِدَاؤُهُ.

وَكَانَ يُسَمَّى قَبْلَ نُبُوَّتِهِ الْأَمِينِ.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ^(٤): كَانَ يُسَمَّى الْأَمِينَ بِمَا جَمَعَ اللَّهُ فِيهِ مِنَ الْأَخْلَاقِ الصَّالِحَةِ.
وَقَالَ تَعَالَى^(٥): ﴿مُطَاعٍ ثُمَّ أَمِينٍ﴾: أَكْثَرُ الْمَفْسُرِينَ^(٦) عَلَى أَنَّهُ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَلَمَّا اخْتَلَفَتْ قَرِيشٌ وَتَحَارَبَتْ^(٧) عِنْدَ بِنَاءِ الْكَعْبَةِ فِيمَنْ يَضَعُ الْحِجْرَ
حَكَمُوا^(٨) أَوَّلَ دَاخِلٍ عَلَيْهِمْ، فِإِذَا بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَاخِلًا - وَذَلِكَ قَبْلَ نُبُوَّتِهِ؛
فَقَالُوا: هَذَا مُحَمَّدُ الْأَمِينِ قَدْ رَضِينَا بِهِ.

(١) هذا؛ أى التقبيل.

(٢) لهجته: اللهجة: اللسان والسلام.

(٣) محادوه: جمع محاد - بتشديد الدال المهملة؛ وهو المعادى والمخالف له؛ وهو المحارب
أيضا. وعداؤه: أعداؤه ومعادوه.

(٤) قال السيوطى: هذا حديث صحيح رواه أحمد في مسنده، والحاكم، والطبرانى
عن علي كرم الله وجهه.

(٥) سورة التكوير، آية ٢١. مطاع: مكرم. ثم: عند الملاء الأعلى. أمين: موصوف
بالأمانة.

(٦) وكثير منهم على أنه جبريل.

(٧) تحاربت: صارت أحزابا وفرقا لاختلاف آرائهم. وفي: تحاربت - بالراء.

(٨) حكموا: ارتضوا بأن يكون الحاكم في ذلك أول داخل.

وعن الربيع بن خثيم: كان يتَّحَاكمُ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجاهلية قبل الإسلام .

وقال صلى الله عليه وسلم : وآلله إني لأَمِين في السماء آمِين في الأرض (١) .
حدثنا أبو علي الصَّدَقِي الحافظ بقراءتي عليه ، حدثنا أبو الفضل بن خَيْرُون ، حدثنا أبو يعلى ابن زَوْج الحُرَّة ، حدثنا أبو علي السَّنَجِي ، حدثنا محمد بن محبوب المرَّوَزِي ، حدثنا أبو عيسى (٢) الحافظ ، حدثنا أبو كَرَيْب ، حدثنا معاوية بن هشام ، عن سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن ناجية بن كعب ، عن علي - أن (٣) أبا جهل قال للنبي صلى الله عليه وسلم : إنا لا نُكذِّبُكَ ، ولكن نكذِّبُ بما جئت به ، فأنزل الله تعالى (٤) : ﴿ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ (٥) .
وروى غيره : لا نُكذِّبُكَ ولا أنتَ فينا بِمُكذِّب .

وقيل : إنَّ الأَخْنَس بن شَرِيق لَقِيَ أبا جهل يوم بَدْر ، فقال له : يا أبا الحَكَم ، ليس هنا غيري وغيرك بِسَمْعِ كَلَامِنَا ، تُخْبِرُنِي عن محمد ؛ صادق [هو] (٦) أم كاذب؟ فقال أبو جهل : والله إنَّ محمدا صادق ، وما كذب محمد قطُّ .
وسأل هرقل (٧) عنه أبا سفيان ، فقال : هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟ قال : لا .

(١) يعني أنه مشهور بذلك بين الملأ الأعلى وبين أهل الأرض ؛ لأنه لم يتهم قط بكذب وجور في أحكامه . وهذا الحديث رواه ابن أبي شيبة في مسنده عن أبي رافع .

(٢) هو الترمذی . (٣) سنن الترمذی : ٤ - ٢٦١ (٤) سورة الأنعام ، آية ٣٣ (٥) المراد : لا يكذبونك : لا يحكمون عليك بأن سجيتك الكذب ، لأنك موصوف بالصدق عندهم في جميع شئونك ما عدا قولك الذي جئت به من عند الله - وهو الآيات - فإنهم يجحدونه . (٦) من ب .

(٧) قصة أبي سفيان مع هرقل مروية في الصحيحين مفصلة . وارجع إليها في صحيح البخارى : ١ - ٧ إن أردت .

وقال النَّضْرُ بن الحارث ^(١) ثُرَيْش : قد كان محمد فيكم غلاما حدثا ^(٢) ،
أَرْضَاكُمْ فيكم ، وَأَصْدَقَكُمْ حديثا ، وَأَعْظَمَكُمْ أمانةً حتى [٤٣] إذا رأيتم
في صُدُغَيْهِ الشَّيْبَ ^(٣) ، وجاءكم بما جاءكم به قلتم : ساحر . لا ، وآلله ، ما هو بساحر .
وفي الحديث عنه : ما لَمَسَتْ يَدُهُ يَدَ امرأةٍ قط لا يملك رِقْمَهَا ^(٤) .

وفي حديث عليّ - في وصفه صلى الله عليه وسلم : أصدقُ الناسِ لَهْجَةً .
وقال في الصحيح : وَيَنْحَك ! فَمَنْ يَمْدُلُ إِنْ لَمْ أَعْدِلْ ، خِبْتُ وَخَسِرْتُ إِنْ
لَمْ أَعْدِلْ ^(٥) .

قالت عائشة ^(٦) : ما خَيْرَ رسولٍ اللهُ صلى الله عليه وسلم في أمرين إلا اختار
أيسرهما ما لم يكن إثمًا ، فَإِنْ كَانَ إِثْمًا كَانَ أَبَعَدَ الناسِ مِنْهُ .
قال أبو العباس المبرِّد : قَسَمَ ^(٧) كِسْرَى أَيامَهُ : فقال : يَصْلِحُ يَوْمُ الرِّيحِ لِلنَّوْمِ ^(٨) ،
ويومُ الغَيْمِ لِلصَّيْدِ ^(٩) ، ويومُ المطرِ للشُّرْبِ وَاللَّهُوِ ^(١٠) ، ويومُ الشمسِ للحِوَانِجِ ^(١١) .

(١) في حديث رواه ابن إسحاق ، والبيهقي ، عن ابن عباس . وكان النضر شديد الأذية
للمسلمين . (٢) حدثنا : شابا .

(٣) كنى بذلك عن أنه تمت رجوليته ، وكمل عقله بمجاوزته سن الشباب .

(٤) وهذا من عفته . وهذا الحديث رواه الشيخان عن عائشة : صحيح البخارى : ٩-٩٩

(٥) قد تقدم ذكر هذا الحديث ، وشرح غريبه صفحة ١٣٨ ، وقد ضبطت التاء في الكلمتين

هنا أيضا بالضمّة والفتحة وعليها « معا » في ١ ، ب .

(٦) تقدم أن هذا الحديث في صحيح مسلم صفحة ١٨١٣

(٧) ضبطت السين في الافتحة ، وشدت في ب .

(٨) للنوم والتغطية حتى يسلم من مس الريح الشديد .

(٩) لعدم أذية الشمس وحرها .

(١٠) لقلّة المصالح فيه ، والسلامة من البلل ، والنظافة من الوحول . والمراد باللهو : سماع

الفناء ومنادمة الندماء .

(١١) المراد بالحوانج : مصالح الناس ، وإنما اختير ذلك اليوم للحوانج لعدم المانع فيه .

قال ابن خالويه : ما كان أعرفهم بسياسة دُنْيَاهُمْ ، يعملون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة غافلون ، ولكن نبينا صلى الله عليه وسلم جزأً نهاره ثلاثة أجزاء ، جزءاً لله ^(١) ، وجزءاً للأهله ^(٢) ، وجزءاً لنفسه ، ثم جزءاً جزأه بينه وبين الناس ، فكان يستمين بالخاصة على العامة ، ويقول : أبلغوا ^(٣) حاجة من لا يستطيع إبلاغى ؛ فإنه من أبلغ حاجة من لا يستطيع [إبلاغها] ^(٤) آمنه الله يوم الفزع الأكبر ^(٥) .
وعن الحسن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يأخذ أحداً بقرء أحد ^(٦) ، ولا يصدق أحداً على أحد .

وذكر أبو جعفر الطبري ^(٧) عن عليّ عنه صلى الله عليه وسلم : ما هممتُ بشيء مما كان أهل الجاهلية يعملون به غير مرتين ، كل ذلك يحول الله بيني وبين ما أريدُ من ذلك ، ثم ما هممتُ بسوء حتى أكرمني الله برسالته ؛ قلت ليلة لفلان كان يرعى معي : لو أبصرت لى غنمى حتى أدخل مكة فاشهر بها كما يسمُر ^(٨) الشباب .

فخرجتُ كذلك حتى جئتُ أول دارٍ من مكة سمعتُ عزفاً بالدُفوف والمزامير لعُرُسٍ بعضهم . فجلستُ أنظرُ ، فضرب على أذنى ^(٩) فنمتُ ، فما أيقظنى إلا مَسُّ

(١) جزءاً لله : أى لعبادة الله وتلقى وحيه . (٢) وجزءاً لأهله : لمصالح أهل بيته .

(٣) فى ١ : أبلغونى . (٤) من ب .

(٥) يوم الفزع الأكبر : هو يوم البعث والحشر ، وحيث يكون الناس كلهم فى فزع وخوف من المذاب . وسيأتى هذا الحديث بعد . وهو فى شمائل الترمذى ، وغيره ، كما سيأتى .

(٦) قال السيوطى هذا الحديث رواه أبو داود فى مراسيله . والأخذ : المراد به هنا العقوبة . والقرف : التهمة . والذنب ، والسكب . وهذا من عدله . وفى هامش ١ ، ب : قرفت الرجل بسوء : ظننته به ، أو رميته به . وقرفته بالأمر ، إذا أضافه إليه .

(٧) قد تقدم هذا الحديث صفحة ١٣٠ ؛ وإنما أعاده المصنف هنا لبيان عفته صلى الله عليه وسلم عن اللهو ، وأن الله عصمه عن ذلك من أول أمره . وهو هنا فيه زيادة (دلائل النبوة للبيهقى : ١ - ٣٨٠) . (٨) السمر : التحدث بالليل . (٩) ضرب على أذنى : نمت .

الشمس ^(١)، فرجعت ولم أفض شيئاً. ثم عرّاني ^(٢) مرةً أخرى مثل ذلك، ثم لم أقم بعد ذلك بسوء.

فصل

وأما وقاره ^(٣) صلى الله عليه وسلم وصمته وتوّدته ومروءته وحسن هديه ^(٤) حدثنا أبو علي الجبائي الحافظ إجازةً، وعارضتُ بكتابه ^(٥)؛ قال: حدثنا أبو العباس اللدّائي، أنبأنا أبو ذرّ الهروي، أخبرنا أبو عبد الله الوراق، حدثنا اللؤلؤي، حدثنا أبو داود، حدثنا عبد الرحمن بن سلام، حدثنا حجاج بن محمد، عن عبد الرحمن ابن أبي الزناد عن عمر بن عبد العزيز بن وهيب ^(٦): سمعتُ خارجةً بن زيد يقول: كان النبي صلى الله عليه وسلم أوقر الناس في مجلسه ^(٧)، لا يكاد يُخرج شيئاً من أطرافه ^(٨).

وروى أبو سعيد الخدري: كان ^(٩) رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا جلس في المجلس احتبى بيديه، وكذلك كان أكثر جلوسه صلى الله عليه وسلم مُحْتَبِيًا ^(١٠).

-
- (١) مس الشمس: مس حرها .
 (٢) عرّاني: طرأ على، وعرض لي .
 (٣) وقاره: سكونه وطمانينته ورزاقته .
 (٤) حسن هديه: سيرته وطريقته .
 (٥) وعارضت بكتابه: قابلت نسختي بنسخته حال القراءة . فاللهي أنه حدثه به قراءة منه، وهو مقابل له، وفي يده كتابه .
 (٦) عليها علامة الصحة في ١، وفي هامشه: أهيب .
 (٧) أي أعظمهم وقاراً إذا برز للناس وجلس معهم، بخلاف ما إذا خلا مع أهله أو مع خاصته فإنه يَبْسُطُ معهم ويلاطفهم .
 (٨) من أطرافه: أي أطراف بدنه كرجليه .
 (٩) سنن أبي داود: ٢ - ١٩٠ .
 (١٠) الاحتباء: أن يجمع ظهره وساقيه بيديه أو عمامته ونحوه . وفي هامش ب: الحبوّة: ضم الساق إلى البطن بثوب . وفي ب: احتبى بثوبه .

وعن جابر بن سُمرة أنه تَرَبَّعٌ ^(١) ، وربما جلس القرفصاء ^(٢) ، وهو في حديث قَيْلَةَ ^(٣) ؛ وكان كثير السكوت لا يتكلم في غير حاجة ؛ يُعْرِضُ عَنْ تَكَلُّمٍ بِغَيْرِ جَمِيلٍ ، وكان ضَحِكُهُ تَبَسُّمًا ، وكلامه فَضْلًا ^(٤) ، لا فُضُولَ ولا تَقْصِيرَ ^(٥) ، وكان ضحك أصحابه عنده التَّبَسُّمُ ؛ توقيراله ، واقتداء به . مَجْلِسُهُ مَجَاسُ حِلْمٍ وَحَيَاءٍ [٤٤] ، وخَيْرٌ وَأَمَانَةٌ ^(٦) ، لا تُرْفَعُ فِيهِ الْأَصْوَاتُ ، ولا تُؤَبَّنُ فِيهِ الْحُرْمُ ^(٧) ، إذا تكلم أَطْرَقَ جِلْسَاؤُهُ كَأَنَّمَا عَلَى رِءُوسِهِمُ الطَّيْرُ ^(٨) .

وفي صفته : يَمْخُطُو تَكْفَأً ^(٩) ، وَيَمْشِي هَوْنًا ، كَأَنَّمَا يَنْحَطُّ مِنْ صَبَبٍ ^(١٠) .
وفي الحديث الآخر : إذا مشى مَشَى مَجْتَمَعًا ^(١١) ، يُعْرِفُ فِي مَشِيَّتِهِ أَنَّهُ غَيْرُ غَرِيضٍ ولا وَكِلٍ ^(١٢) ؛ أي غير ضَجِرٍ ولا كَسْلَانٍ .

(١) تربع : جلس متربعا ، وهو أن يقعد الرجل على وركيه ، ويمد ركبته اليمنى إلى جانب يمينه ؛ وقدمه اليمنى إلى جانب يساره ، وركبته اليسرى إلى جانب يساره ، وقدمه اليسرى إلى جانب يمينه ، وهذا في خارج الصلاة .

(٢) جلس على أليته بجلوس المحتبي بيديه من غير احتباء . وفي هامش ب : القرفصاء : جلسة المحتبي بيديه ، يقال : قرفص اللص : إذا شد يديه تحت رجله .

(٣) أي ورد في حديثها ، وانظر سنن أبي داود : ٢ - ١٩١

(٤) فضلا : فاصلا بين الحق والباطل . أو مفصلا لثمها فيه .

(٥) لا فضول : لزيادة . ولا تقصير ولا نقصان فيه عن قدر الحاجة ؛ فيدخل بفهم السامع .

(٦) وأمانة : يأمن المتكلمون فيه على أسرارهم .

(٧) تؤبن : أبته : عابه ورماه بقبيح . والحرم : جمع حرمة ؛ وهي كل ما يحرم هتكه .

(٨) وصفهم بالسكون وعدم الخفة والطيش . (٩) تكفأ : مال إلى قدام . أو مال

يميننا وشمالا كمشى الختال . (١٠) الصبب : هو الموضع المنحدر .

(١١) مجتمعا : ينقل أعضائه كلها دفعة واحدة من غير تحريك لرأسه ويديه .

(١٢) غرض : من الغرض ، وهو الضجر والملل ، وسيأتي للدوئل . وفي اضطبت الكاف

في « وكل » بالفتحة والسكرسة وعليها « معا » . وفي ب اضطبت الكاف بالفتحة فقط . وفي

هامشه : الوكل - بالفتح : الرجل الذي يتسكل على غيره .

وقال عبد الله بن مسعود: **إِنَّ أَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ^(١) مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.**
وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: **كَانَ فِي كَلَامِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**
تَرْتِيلٌ أَوْ تَرْسِيلٌ^(٢).

قَالَ ابْنُ أَبِي هَالَةَ: كَانَ سَكَوَتُهُ عَلَى أَرْبَعٍ: عَلَى الْحِلْمِ، وَالْحَذَرِ، وَالتَّقْدِيرِ،
والتفكّر^(٣).

قَالَتْ عَائِشَةُ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَحْدُثُ حَدِيثًا لَوْ عَدَّهُ الْعَادُّ
أَحْصَاهُ^(٤).

وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَجِبُ الطَّيِّبَ وَالرَّائِحَةَ الْحَسَنَةَ، وَيَسْتَعْمَلُهَا^(٥) كَثِيرًا،
وَيَحْضُ عَلَيْهِمَا^(٦)، وَيَقُولُ^(٧): حُبِّبَ إِلَيَّ مِنْ دُنْيَاكُمْ النِّسَاءَ، وَجُعِلَتْ قُرَّةَ عَيْنِي
فِي الصَّلَاةِ.

وَمِنْ مَرْوَاتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَيْهُ عَنِ النَّفْخِ فِي الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ^(٨)، وَالْأَمْرُ

(١) الهدى : السمىة والسيرة والطريقة والحالة التي يكون عليها .

(٢) ترتيل أو ترسيل : يبين الكلام من غير عجلة ولا غموض حتى يسبق فهم السامع إليه .
وقيل الترتيل : التبيين . والترسيل : التؤدة .

(٣) أى يقع على أربع خصال فيه : على الحلم : أى بسكت تارة لحلمه ، أو الاحتراس من كلام ربما أدى لأمر يخشى منه ، أو ليقدر النبي في نفسه وسكوته ما يابق به وبنيره ، أو للتفكر في مصنوعات الله .

(٤) وذلك لقلته ؛ ولثبته ، وعدم سرعته فيه .

(٥) هذا في أ ، ب . وفي هامش ب : ويستعملهما .

(٦) في ب : ويحض عليها .

(٧) قد تقدم هذا الحديث ، ونخرجه : صفحة ١١٧

(٨) مروءته : إنسانيته ، ومعناها التلبس بما يليق بالرجال ، وترك ما يخل به ؛ فارتكاب

ما يكرهه الصاحب يخل بالمروءة . والنفخ في الطعام والشراب قد يخرج منه ريق فيكره تناوله

بِالْأَكْلِ تَمَائِلِي ، وَالْأَمْرُ بِالسَّوَاكِ (١) ، وَإِتْقَاءُ الْبَرَاجِمِ وَالرَّوَاجِبِ (٢) ، وَاسْتِعْمَالُ خِصَالِ الْفِطْرَةِ (٣) .

فصل

وَأَمَّا زُهْدُهُ (٤) فِي الدُّنْيَا فَقَدْ تَقَدَّمَ مِنَ الْأَخْبَارِ أَثْنَاءَ هَذِهِ السَّيْرَةِ مَا يَكْفِي . وَحَسْبُكَ (٥) مِنْ تَقَلُّلِهِ مِنْهَا ، وَإِعْرَاضِهِ عَنْ زَهْرَتَيْهَا (٦) ؛ وَقَدْ سَمَّيْتُ إِلَيْهِ بِحِذَائِهَا (٧) ، وَتَرَادَفْتُ (٨) ،

(١) الأمر بالسواك : أمر ندب . وعده من المروءة لما فيه من النظافة وطيب رائحة الفم .
(٢) إتقاء : أتقاه : إذا نظفه . البراجم : مفاصل الأصابع التي بينها ، والسلاميات من ظهر الكف : التي ترتفع إذا قبض الإنسان كفه ، فهي المفاصل الظاهرة ، والبراجم : الباطنة . والرواجب : هي المفاصل التي تلي الأنامل . ونقل عن أبي عبيد أن البراجم والرواجب جميعا : مفاصل الأصابع كلها . قال في نسيم الرياض : وهو اللائق بكلام المصنف .
وفي هامش ١ : البراجم : رءوس السلاميات من ظاهر الكف ؛ إذا قبض القابض كفيه نشزت ، واحدها برجمة .

والرواجب : بطون السلاميات ، واحدها راجبة . والسلاميات : واحدها سلامي ، وهي العظام التي بين كل مفصلين من مفاصل الأصابع .
(٣) الفطرة : الحلقة ، والمراد السنة التي أمر بها النبي صلى الله عليه وسلم . وخصال الفطرة - فيما رواه الشيخان : الحتان ، والاستحداد ، وقص الشارب ، وتقليم الأظفار ، وتنف الإبط : (صحيح مسلم : ٢٢١) .

(٤) قال في نسيم الرياض (٢ - ١٣٨) : الزهد : معناه ترك الدنيا رغبة فيما عند الله ؛ وهو ثلاثة أقسام : ترك الحرام وهو زهد العوام ، وترك فضول الحلال وهو زهد الخواص ، وترك كل ما يشغل عن الله وهو زهد العارفين .
(٥) حسبك : يكفيك .

(٦) عن زهرتها : أي تركه صلى الله عليه وسلم ما يرغب فيه الناس من زخرف الحياة الدنيا .
(٧) بحذائها : بجملتها وكنيتها من جميع نواحيها ، وجوانبها .
(٨) ترادفت : تتابعت وتوالت ؛ فأنته الدنيا راغمة بما يسر الله له من الفنائم والأموال والأرزاق الواسعة الطيبة ، بحيث لو أراد توسع فيها وأنفق واقتطف زهرتها ، ولكنه لم يرضها ، واكتفى بأقل قليل منها .

عليه فتوحها إلى أن توفى صلى الله عليه وسلم ودرعُه مرهونةٌ عند يهودى في نفقة عياله^(١)، وهو يدعو ويقول : اللهم اجعل رزق آل محمد قوتاً^(٢) .

حدثنا سفيان بن العاصي ، والحسين بن محمد الحافظ ، والقاضي أبو عبد الله التميمي ؛ قالوا : حدثنا أحمد بن عمر ، قال : حدثنا أبو العباس الرازي ، قال : حدثنا أبو أحمد الجلودي ، حدثنا ابن سفيان ، حدثنا أبو الحسين [مسلم]^(٣) بن الحجاج ؛ حدثنا أبو بكر بن أبي شيبَةَ^(٤) ، حدثنا أبو معاوية عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن الأسود ، عن عائشة^(٥) ؛ قالت : ما شيع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام تباعاً^(٦) من خبز حتى مضى لسبيله^(٧) .

وفي روايةٍ أخرى : من خبز شعير يومين متواليين ، ولو شاء الله لأعطاه ما لا يحطُر بيال^(٨) .

وفي روايةٍ أخرى : ما شيع آل رسول الله صلى الله عليه وسلم من خبزٍ رٌ حتى لقي الله تعالى .

وقالت عائشة : ما ترك^(٩) رسول الله صلى الله عليه وسلم دينارا ولا درهما ولا شاة ولا بعيرا .

(١) العيال : أهل البيت ومن تلازمه نفقته . وهذا الحديث في صحيح البخارى : ٤ - ٤٩ ، وفي هامش ب : اليهودى اسمه أبو النجم .
 (٢) القوت : كل ما يتقوت به الإنسان من الطعام ؛ أى اجمله بما يسد الرق من غير زيادة . والحديث في سنن الترمذى : ٤ - ٥٨٠ ، وصحيح البخارى : ٨ - - ١٢٢ .
 (٣) من ب . (٤) فى هامش ب : ابن أبى شيبَةَ صاحب المصنف .
 (٥) الحديث فى صحيح مسلم : ٢٢٨٤ ، والبخارى : ٨ - ١٢١ ، وسنن الترمذى : ٤ - ٥٧٩ .
 (٦) تباعا : متتابعة متوالية . (٧) مضى لسبيله : توفى .
 (٨) البال : القلب والعقل والفكر . وخطر : ذكر وتصور ؛ أى يعطيه منها كل نفيس لم يتصوره أحد من الناس لجلالته وعظمته .
 (٩) ماترك : ماخف تركة .

وفي حديث عمرو بن الحارث^(١) : ماترك إله سلاحه وبغلته وأرضاً جعلها صدقة .
قالت عائشة : ولقد مات وما في بيتي شيء يأكله ذو كبد^(٢) إلا شطر شعير^(٣)
في رَفّ لي^(٤) .

وقال لي : إني عرضَ عليّ أن تُجعلَ لي بطحاء مكة^(٥) ذهباً . فقلتُ : لا ، يا رب ،
أجوعُ يوماً وأشبع يوماً ، فأما اليومُ الذي أجوعُ فيه فأترضّع إليك وأدعوك ،
وأما اليومُ الذي أشبعُ فيه فأحمدك وأثني عليك .

وفي حديث^(٦) آخر إن جبريلَ نزلَ عليه ، فقال له : إن الله تعالى يُقرئك
السلامَ ، ويقولُ لك : أتُحِبُّ أن أجعلَ هذه الجبالَ ذهباً ، وتكونُ معك حينما كنتَ ،
فأطرق^(٧) ساعةً ، ثم قال : يا جبريلُ ، إن الدنيا دارٌ من لا دارَ له^(٨) ، ومالٌ من

(١) الحديث في البخاري : ٨ - ١١٩

(٢) ذو كبد : ذو حياة .

(٣) أراد به نصف مكوك ، أو نصف وسق . والمكوك : المد ، وقيل : الصاع . وضبطت
الراء في شطر بالفتحة والضمة وعليها « معا » في ب .

(٤) في رف لي : الرف : شبه الطاق في الحائط . ويطلق على خشبة عريضة ترفع عن
الأرض تمد لوضع ما يراد حفظه .

(٥) البطحاء والأبطح : واد تجري فيه السيول . أو بطن واد فيه رمل وحصى . والمراد
بجعله ذهباً أن يملأه به ، أو أن يقلب حصاه ورماله ذهباً .

(٦) في نسيم الرياض (٢ - ١٤٣) : قال السيوطي : لم أجده هكذا . ولكن البيهقي
أخرجه في الزهد من طريق عطاء ، عن ابن عباس - أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يوماً :
ما أمسى لآل محمد كف سويق ولا سفة دقيق ، فأتاه إسرافيل عليه السلام ، فقال : إن الله
سمع ما ذكرت ، فبعثنى إليك بفتح الأرض ، وأمرني أن أعرض عليك إن أحببت أن أسير
معك جبال تهامة ياقوتاً وذهباً وفضة ، فقلت . . .

قال : فما ذكره المصنف رحمه الله رواية بالمعنى من عدة أحاديث .

(٧) أطرق ساعة : طأطأ رأسه يفكر فيها يجيبه به صلى الله عليه وسلم .

(٨) دار من لا دار له : لأنها فانية لا يقيم فيها أحد .

لا مال^(١) له ، قد يجمعها من لا عقل له .

فقال له جبريل : ثَبَّتَكَ اللَّهُ يَا مُحَمَّدُ بالقول الثابت^(٢) .

وعن عائشة^(٣) قالت : إِنْ كُنَّا آلَ مُحَمَّدٍ لَنَمَكْتُ شَهْرًا مَا نَسْتَوْقِدُ^(٤) نَارًا ؛

إِنْ هُوَ إِلَّا التَّمْرُ وَالْمَاءُ .

وعن عبدالرحمن بن عوف^(٥) : هلك رسولُ الله صلى الله عليه وسلم [٤٥] ، ولم يشبعْ

هو وأهلُ بيته من خُبزِ الشعيرِ .

وعن عائشة وأبي أمامة^(٦) ، وابن عباس نحوه .

قال ابنُ عباس : كان صلى الله عليه وسلم يبيتُ هو وأهلُه الليالي المتتابعةَ

طاوياً^(٧) لا يجدون عشاءً .

وعن أنس^(٨) : ما أكل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على خِوَانٍ

ولا في سُكْرُجَةٍ^(٩) ، ولا خُبزٍ له مَرَّقٌ^(١٠) ، ولا رأى شاةً سَمِيطًا قط^(١١) .

(١) ومال من لا مال له : أى إن ما يملكه المرء فيها يسلب منه ، فهو عارية أو ودیعة ،

فصاحبه لا ملك له حقيقة ، فشكل غنى فيها فقير . (٢) بالقول الثابت : الحق ؛ لأنه دائم لا يزول .

(٣) فى حديث صحيح فى البخارى : ٨ - ١٢١

(٤) هذا كناية عن أنهم ليس عندهم ما يطبخ .

(٥) هذا الحديث رواه الترمذى فى سننه : ٤ - ٥٨٠

(٦) حديث أبى أمامة فى سنن الترمذى : ٤ - ٥٨٠ ، وحديث ابن عباس هو الآتى

بمد ، وهو فى سنن الترمذى أيضا : ٤ - ٥٨٠

(٧) طاويا : جائئا . (٨) فى حديث رواه البخارى : ٨ - ١٢١

(٩) خوان : مائدة . والسكرجة : قصعة صغيرة يوضع فيها الكوامخ .

(١٠) المرقق : رقيق الخبز . كالرقاق . وفى ب : مرقق - بالرفع والنصب ، وعليها كلمة «معا» -

(١١) فى نسيم الرياض (٢-١٤٧) : أى لم يطبخ له صلى الله عليه وسلم شاة بتامها بعد ستمها -

أى عليها فى الماء الحار حتى يذهب شعرها ، ثم تشوى . وظاهر كلامهم أنها لم تلتخ ، وأن ما ذكر

فى الجمالان الصغيرة . وقال القارى (١ - ٣١٠) : سميطا ؛ أى مسموطا ، يعنى مشويا بجلده .

وعن عائشة ^(١) : إنما كان فراشه الذي ينام عليه آدمًا ^(٢) حشوه ليف .

وعن حفصة ^(٣) قالت : كان فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيته ^(٤)

مسهلاً ^(٥) نثنيه نثيتين ^(٦) ، فينام عليه ، فثيناه له ليلة بأربع ، فلما أصبح قال :

ما فرشتُم ^(٧) لي الليلة ؟ فذكرنا ذلك له ، فقال : ردوه بحاله ، فإن وطأته ^(٨) منعتني الليلة صلاتي .

وكان صلى الله عليه وسلم ينام أحياناً على سرير مرمول ^(٩) بشريط حتى يؤثر

في جنبه ^(١٠) .

وعن عائشة قالت : لم يمتلي جوف النبي صلى الله عليه وسلم شيئاً قط ، ولم يبت ^(١١)

شكوى إلى أحدٍ ، وكانت الفاقة ^(١٢) أحب إليه من الغنى ، وإن كان ليظل جاعاً

(١) الحديث في البخارى : ٨ - ١٢١ (٢) آدم : جلد مدبوغ لين .

(٣) حديث حفصة رواه الترمذى في الشمائل منقطعا . قال في نسيم الرياض : وحديثها

لا ينافى حديث عائشة المتقدم ، لجواز أن كلا منها ذكرت فراشه الذي كان عندها .

(٤) في ب : في بيتي . وفي هامشه : في بيته .

(٥) مسحا : المسح : ثوب للفراش شبه الكساء . وقيل : من شعر أسود . قال الشهاب

(٢ - ١٤٧) : وهو على كل حال شيء غليظ يتنزه عن مثله أهل الترفه .

(٦) ضبطت التاء في بالكسرة . وفي ب : ثنين . وضبطت التاء بالفتحة والكسرة ،

وكتب فوقها « معا » .

(٧) في ا ، ب : ما فرشتموني . وفي هامش ب : ما فرشتموني .

(٨) وطأته : لينه تحت جنبي . وضبطت الواو في ب بالكسرة . وفي ا : وطأته -

بفتح الواو وسكون الطاء .

(٩) مرمول ، ومرمل ، ورمال : ينسج في وجهه بالسعف وغيره ويشد بشريط ونحوه .

(١٠) كان يؤثر في جنبه لكونه بنير فراش يحول بينه وبينه . وهذا الحديث في صحيح

مسلم : ١٩٤٤ ، والترمذى : ٤ - ٥٨٨ ، وابن ماجه : ١٣٩٠ .

(١١) لم يبت : لم يذكر ويظهر .

(١٢) الفاقة : الحاجة والفقر .

بَلْتَوَى طَوْلَ لَيْلَتِهِ مِنَ الْجُوعِ فَلَا يَمْنَعُهُ صِيَامَ يَوْمِهِ ، وَلَوْ شَاءَ سَأَلَ رَبَّهُ جَمِيعَ كَنْوَرِ الْأَرْضِ وَثَمَارِهَا وَرَغَدِ عَيْشِهَا ، وَلَقَدْ كُنْتُ أَبْكِي لَهُ رَحْمَةً تَمَّا أَرَى بِهِ ، وَأَمْسَحُ بِيَدِي عَلَى بَطْنِهِ تَمَّا بِهِ مِنَ الْجُوعِ ، وَأَقُولُ : نَفْسِي لَكَ الْفِدَاءُ ؛ لَوْ تَبَلَّغْتَ مِنَ الدُّنْيَا بِمَا يَقُولُكَ ^(١) ! فيقول : يا عائشة ؛ مالي وللدنيا ، إخواني من أولى العزم من المرثل صبروا على ما هو أشد من هذا ، فضوا على حالهم ^(٢) ، فقدموا على ربهم ، فأكرم ما بهم ^(٣) ، وأجزل ثوابهم ^(٤) ؛ فأجدني أستحي إن ترفهت ^(٥) في معيشتي أن يقصر بي غذا دونهم ^(٦) ، وما من شيء هو أحب إلي من اللُّحُوقِ بإخواني وأخلائى ^(٧) .
 قالت : فما أقام بعدُ إلا شهرا حتى توفى صلى الله عليه وسلم .

فصل

وَأَمَّا جَوْفُهُ رَبَّهُ ، وَطَاعَتُهُ لَهُ ؛ وَشِدَّةُ عِبَادَتِهِ ، فَعَلَى قَدْرِ عِلْمِهِ بِرَبِّهِ ^(٨) ، وَلِذَلِكَ قَالَ فِيمَا حَدَّثَنَا أَبُو مُحَمَّدِ بْنِ عَتَّابٍ قِرَاءَةً مَنَى عَلَيْهِ . قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو الْقَاسِمِ الطَّرَابُلِسِيُّ ،

(١) التبليغ : من البلاغ ، وهو مقدار الكفاية . والمراد : لو اكتفيت من الدنيا بالكفاف من القوت من غير ضرورة ومحصنة .

(٢) مضوا على حلهم : استمروا عليه راضين بقضاء الله لهم إلى أن ماتوا .

(٣) ما بهم : مرجهم إليه .

(٤) أجزل ثوابهم : أكثر لهم المطاء والجزاء في دار المقام .

(٥) إن ترفهت : تنعمت وتوسعت في العيش .

(٦) فيكون مقامى دون مقامهم ، وتنزل مرتبى عن مرتبتهم .

(٧) المراد بالإخوان والاخلاء : الأنبياء عليهم السلام .

(٨) في نسيم الرياض (٢ - ١٥٣) : قال القشيري : من عرفه صدق في معاملاته ، وتنقى

من ردى أخلاقه وآفاته ؛ ومن أمارات المعرفة حصول الخوف مع الإجلال .

وإلى ذلك أشار المصنف ؛ فإن من قدر الله حق قدره اشتد خوفه منه ، وأطاعه وعبده

على قدر طاقته ؛ وإنما يعصى الله من جهل ربه ونفسه ؛ فإن الإيمان بحجة الله ، ومن أحبه أطاعه .

حدثنا أبو الحسن القاسمي ، حدثنا أبو زيد المرؤزي ، حدثنا أبو عبد الله الفربري ، حدثنا محمد بن إسماعيل ، حدثنا يحيى بن بكير ، عن الليث ، عن عقيل ، عن ابن شهاب ، عن سعيد بن المسيب - أن أبا هريرة كان يقول ^(١) : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ، ولبكيتم كثيرا .

زاد في روايتنا ، عن أبي عيسى الترمذي ^(٢) - رفعه إلى أبي ذر : إني أرى ما لا ترون ، وأسمع ما لا تسمعون ، أظت السماء وحق لها أن تظ ^(٣) ، ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك واضع جبهته ساجدا لله ، والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ، وما تلذذتم بالنساء على الفرش ، ولخرجنتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله ^(٤) ، لو ددت أني شجرة تُعضد ^(٥) .

رؤى هذا الكلام : وددت أني شجرة تُعضد - من قول أبي ذر نفسه ^(٦) ، وهو أصح .

وفي حديث المفيرة ^(٧) : صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتفخت قدماه ^(٨)

(١) هذا الحديث في سنن الترمذي : ٤ - ٥٥٧ (٢) سنن الترمذي : ٤ - ٥٥٦
(٣) أظت السماء : أصل معنى الأظيط : صوت الإبل إذا حنت ، والظت إذا ضغطه ثقل ما عليه ، ونحو ذلك ؛ أي إن السماء لكثرة ما عليها من الملائكة إذا تحركوا يسمع لها صوت سمعه النبي صلى الله عليه وسلم . وحق لها أن تظ : أي تصوت ، ويسمع لها صرير لثقل ما عليها . وهذا إيذان بكثرة ما في السماء من الملائكة . والمراد تقرير عظمة الله .

(٤) الصعدات : الطرقات . تجأرون : تضجون وتصيحون ، وتستغيثون الله ، وتتركون أهلكم ومساكنكم . وفي هامش ١ : تجأرون : ترفعون أصواتكم بالدعاء .

(٥) تعضد : تقطع من أصلها . والمراد تمنيه أن يكون غير ذي روح فلا يبعث ولا يسأل .

(٦) أي هذه العبارة من قول أبي ذر لا من الحديث وكلام النبي .

(٧) صحيح مسلم : ٢١٧١

(٨) انتفخت قدماه : ورمت من طول القيام .

وفي رواية^(١): كان يصلي حتى ترمَ قَدَمَاهُ ؛ فقيل له: أتسكف^(٢) هذا وقد غُفِرَ
لكَ ما تقدّم من ذنبكَ وما تأخّر! قال: أفلا أكونُ عبداً شكوراً^(٣).
ونحوه عن أبي سلمة، وأبي هريرة.

وقالت عائشة^(٤): كان عمَلُ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم دِيْمَةً^(٥)، وأيّكم
يُطِيقُ [٤٦] ما كان يُطِيقُ!

وقالت: كان يصومُ حتى نقولَ: لا يُفْطِرُ. ويُفْطِرُ حتى نقولَ: لا يصومُ.
ونحوه عن ابن عباس، وأم سلمة، وأنس^(٦).
وقالت^(٧): كنتَ لا تشاءُ أن تراهُ من الليل مُصَلِّياً إلا رأيتَه مُصَلِّياً، ولا نأتما
إلا رأيتَه نأتما.

وقال عَوْفُ بن مالك: كنتُ مع رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم ليلةً فاستأكَتُ ثم
توضاً، ثم قام يُصَلِّي، فقمتُ معه، فبدأً فاستفتح^(٨) البقرةَ، فلا يَمُرُّ بِآيَةِ رَحْمَةٍ إلا
وقف فسأل^(٩)، ولا يَمُرُّ بِآيَةِ عَذَابٍ إلا وقف فتعوذُ، ثم ركع، فكثتُ بقَدْرِ قِيَامِهِ،
يقول: سبحانَ ذِي الْجَبْرُوتِ^(١٠) والملسكوتِ والعظمةِ، ثم سجّد وقال مِثْلَ ذَلِكَ؛
ثم قرأ آلَ عمرانَ، ثم سورةَ سورةَ، يفعلُ مِثْلَ ذَلِكَ^(١١).

- (١) صحيح مسلم: ٢١٧٢ (٢) أتسكف: أتسكف؛ أي تتحمل مشقته وكلفته.
(٣) أي أترك الصلاة لمنفرته، وهي سبب موجب للعبادة لا لتركها.
(٤) صحيح مسلم: ٥٤١ (٥) ديمة: دائماً متصلاً.
(٦) قال في نسيم الرياض: والأحاديث التي رواها هؤلاء بمعنى ما تقدم مع اختلاف في
بعض ألفاظها، وكلها صحيحة مروية في الصحيحين وابن حبان.
(٧) في ١: وقال؛ أي قال كل منهم. وفي ب: وقالت؛ أي عائشة فيما رواه عنها أيضاً.
(٨) استفتح البقرة: شرع في قراءتها.
(٩) فسأل: سأل الله الرحمة.
(١٠) الجبروت والملسكوت: الجبروت: مبالغة في الجبر، وهو القهر. والملسكوت: الملك العظيم.
(١١) سنن أبي داود: ١ - ٨٨

وعن حَدِيثَهُ مَثَلُهُ ، وقال : سجد نَحْوًا مِنْ قِيَامِهِ ، وجلس بين السجدةِ تَيْنِ نَحْوًا مِنْهُ ، وقال : حتى قرأ البَقْرَةَ ، وآلِ عِمْرَانَ ، والنساءِ ، والمائدةِ (١) .

وعن عائشة : قام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بِآيَةٍ مِنْ (٢) القرآنِ لَيْلَةً .

وعن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الشَّخِيرِ : أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَصَلِّي ، وَالجَوْفُ فِيهِ أَزْرِيٌّ كَأَزْرِيٍّ الْمَرْجَلِ (٣) .

وقال ابنُ أَبِي هَالَةَ : كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مُتَوَاصِلَ الأَحْزَانِ ، دَائِمَ الفِكْرَةِ (٤) ، لَيْسَتْ لَهُ رَاحَةٌ .

وقال عليه السلام : إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي اليَوْمِ مائةَ مَرَّةٍ - وَرَوَى سَبْعِينَ مَرَّةً .

وعن عليِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قال : سألتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم عن سُنَّتِهِ (٥) ،

فقال : المعرفةُ رَأْسُ مَالِي (٦) ، والعقلُ أَصْلُ دِينِي (٧) ، والحبُّ أَساسِي (٨) ، والشوقُ

(١) أى قرأ في كل ركعة بسورة من هذه السور : سنن أبي داود : ١ - ٨٨

(٢) الآية التي ردها طول ليله هي من سورة المائدة : إن تمذهبهم فإتهم عبادك

(شرح القارى : ١ - ٣١٧) .

(٣) جوف كل شيء : باطنه ، والمراد به ما تحت صدره وأضلاعه ، والأزير : صوت

الغليان إذا اشتد . والمرجل : القدر . والمراد أنه صلى الله عليه وسلم - لشدة خوفه وخشيته من الله - يسمع حركة قلبه .

(٤) دائم الفكرة : يفكر دأماً في أمره وأمramته ، وفي عاقبة الأمر .

(٥) سننه : طريقته التي هو عليها .

قال في نسيم الرياض : وهذا الحديث ذكره في الإحياء . وقال الحافظ العراقي : إنه لا

أصل له . وقال السيوطي : إنه موضوع ، وآثار الوضع لائحة عليه ، وهو يشبه كلام الصوفية

(نسيم الرياض : ٢ - ١٦١) .

(٦) للمعرفة : المراد بها معرفة الله وصفاته والوقوف على غوامض الأمور مما لم يكن يعلمه .

(٧) أى دينه وشرعه ، أى ما تعبد به وتدين قبل البعثة مبنى على ما أودعه الله تعالى فيه

من كمال عقله الذي هداه إلى النظر في مصنوعات الله الدالة على وحدانيته وعظمته .

(٨) والحب : محبة الله أساس ما يبنى عليه أموره في اتباع أوامر الله ونواهيه .

مَرْكَبِي^(١)، وَذِكْرُ اللَّهِ أَنَيْسِي^(٢)، وَالذِّمَّةُ كَنْزِي، وَالْحَزَنُ رَفِيقِي، وَالْعِلْمُ سِلَاحِي،
وَالصَّبْرُ رِدَائِي، وَالرِّضَا غَنِيمَتِي، وَالْمَعْجَزُ فَخْرِي، وَالزُّهُدُ حِرْفَتِي^(٣)، وَالْيَقِينُ
قُوَّتِي، وَالصَّدْقُ شَفِيعِي، وَالطَّاعَةُ حَسْبِي، وَالْجِهَادُ خُلُقِي، وَقُرَّةُ عَيْنِي^(٤) فِي الصَّلَاةِ.
وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ: وَتَمْرَةٌ فَوَادِي فِي ذِكْرِهِ، وَعَمِّي لِأَجْلِ أُمَّتِي، وَشَوْقِي إِلَى رَبِّي.

فصل

اعلم وفقنا الله وإياك أن صفات جميع الأنبياء والرسل صلوات الله عليهم؛ من
كَمَالِ الْخَلْقِ، وَحُسْنِ الصُّورَةِ، وَشَرَفِ النَّسَبِ، وَحَسَنِ الْخُلُقِ، وَجَمِيعِ الْحَاسِنِ،
هِيَ هَذِهِ الصِّفَةُ؛ لِأَنَّهَا صِفَاتُ الْكَمَالِ^(٥)، وَالْكَمَالُ وَالْتِمَامُ الْبَشَرِيِّ وَالْفَضْلُ^(٦)
الْجَمِيعُ لَمْ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ؛ إِذْ رُتِبَتْهُمْ أَشْرَفُ الرُّتَبِ، وَدَرَجَاتُهُمْ أَرْفَعُ الدَّرَجَاتِ،
وَلَكِنْ فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى^(٧): ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ
عَلَى بَعْضٍ﴾. وَقَالَ^(٨): ﴿وَلَقَدْ اخْتَرْنَا هُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾.

وَقَدْ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ^(٩): «إِنَّ أَوْلَ زُمْرَةٍ^(١٠) يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ^(١١)؛

(١) والشوق مركبي: أى شوقى إلى اللطالِبِ العَالِيَةِ، وَإِلَى لِقَاءِ اللَّهِ تَعَالَى - هُوَ الَّذِى حَرَكَنِى
حَتَّى وَصَلْتُ لِمَرَادِي .

(٢) وذكر الله أنيسى: يعنى أنه يأنس فى خلوقه وجلوته بذكر الله؛ لأنه إذا أكثر من
ذِكْرِهِ صَارَ نَصَبَ عَيْنِيهِ حَتَّى كَأَنَّهُ مَعَهُ، وَمَنْ كَانَ اللَّهُ مَعَهُ أَنَسَ بِهِ، وَاسْتَوْحَشَ مِمَّا عَدَاهُ .

(٣) الحرفة: الصنعة التى يرتزق منها الإنسان .

(٤) قررة عيني: مسرتها وفرحتها فى الصلاة .

(٥) المعنى أن كمال الخلق، وحسن الصورة، وشرف النسب، وحسن الخلق - صفات جامعة

لجميع المحاسن، وهى صفة الرسل عليهم السلام، وهى على الوجه الأتم الأكل لا تجتمع فى غيرهم .

(٦) والفضل الجميع: أى الفضل جميعه . (٧) سورة البقرة، آية ٢٥٣ .

(٨) سورة الدخان، آية ٣٢ (٩) فى حديث رواه مسلم: ٢١٧٨، ٢١٧٩ .

(١٠) زمرة: طائفة؛ وجماعة. والمراد بهذه الزمرة: الأنبياء، أو الإنبياء والأولياء .

(١١) على صورة القمر: أى وجوههم مشرقة مضيئة. والقمر ليلة البدر يكون أضوا ما يكون .

ثم قال آخر الحديث : على خَلْقِ رَجُلٍ واحد ، على صورة أبيهم آدم ، طولُه ستون ذراعاً في السماء .

وفي حديث أبي هريرة^(١) : رأيتُ موسى فإذا هو رجلٌ ضَرْبٌ رَجُلٍ ، أَقْنَى كَأَنه مِنْ رَجَالِ شَنْوَاءَ^(٢) ورأيتُ عيسى فإذا هو رجلٌ رَبْعَةٌ ، كَثِيرُ خَيْلَانَ الْوَجْه ، أَحْمَرٌ كَأَنَّمَا خَرَجَ مِنْ دِيمَاسٍ^(٣) .

وفي حديث آخر : مُبْطَنٌ مِثْلُ السَّيْفِ^(٤) ؛ قال : وأنا أَشْبَهُهُ وَلَدِ إِبْرَاهِيمَ بِهِ . وقال في حديث آخر في صفة موسى : كَأَحْسَنَ مَا أَنتَ رَأَيْتَ مِنْ أَدَمٍ^(٥) الرَّجَالِ . وفي حديث أبي هريرة ، عنه صلى الله عليه وسلم : ما بعث الله تعالى من بَعْدِ لُوطٍ نَبِيًّا إِلَّا فِي ذُرْوَةٍ مِنْ قَوْمِهِ^(٦) .

(١) في صحيح مسلم : ١٥٣

(٢) ضرب : جسمه بين الهزال والسمن ، رجل : شعره متكسر قليلاً . ليس بسبط .
أقنى : طويل الأنف دقيق أرنبته . شنوءة : اسم قبيلة .

(٣) ربعة : بين الطول والقصر ، معتدل القامة . والخيлян : جمع خال ، وهو الشامة السوداء المعروفة . الديماس : الحمام . والمراد صفاء لونه مع حمرة فيه . وكامة « ديماس » ضبقت الدال فيها بالفتحة والكسرة ، وعليها « معا » في ١ .

وفي هامش ١ ، عن الثوريين للهرودي : الديماس : السكن ؛ أي كأنه مخدر لم يرشماً . وقال بعضهم : الديماس : السرب . ومنه يقال : دمسته ؛ إذا قبرته . ويقال : الديماس : الحمام .

وانظر أيضاً : النهاية : ٢ - ٣٢ ، والفائق : ١ - ٤١١

(٤) مبطن : ضامر البطن ، مثل السيف : في استوائه ودقته .

وفي هامش ١ : والبطنان ضده . والبطنون : الذي يشتكى بطنه .

(٥) آدم الرجال : من الأدمة ، وهي سمرة اللون . وجمع آدم : آدم .

(٦) الذروة : أعلى شيء ؛ أي بين قوم له ، ذوى جدة وسمة وشرف ، لا غرباء ، ولا من قوم ليسوا كذلك . وأشار بهذا الحديث إلى أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كلهم شاركوا نبينا صلى الله عليه وسلم في علو النسب ، وشرف القوم .

ويروى [٤٧] : في ثَرَوَةٍ ؛ أَي كَثْرَةٍ وَمَنْعَةٍ ^(١) .

وحكى الترمذى ^(٢) ، عن قتادة ، ورواه الدارقطني من حديث قتادة عن أنس : ما بعث الله نبيا إلا حسن الوجه ، حسن الصوت ، وكان ^(٣) نبيكم أحسنهم وجها ، وأحسنهم صوتا .

وفي حديث هرقل ^(٤) : وسألتك عن نَسَبِهِ ، فذكرت أنه فيكم ذو نَسَبٍ ^(٥) ، وكذلك الرسلُ تبعثُ في أنساب ^(٦) قومها .

وقال تعالى في أيوب ^(٧) : ﴿ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ ^(٨) .

وقال تعالى ^(٩) : ﴿ يَا يَحْيَىٰ ، خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ ﴾ ^(١٠) وآتيناه الحُكْمَ صَبِيًّا .

وحنانا من لدنا وزكاة ^(١١) وكان تقيا . وبرًا بالديه ولم يكن جبارا عصيا .
وسلامٌ عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعثُ حيا .

(١) ومنمة : أي قوم ينعمنه ويحومونه .

(٢) الحديث المذكور في الشائيل وغيرها مرسلا .

(٣) في ب : فكان .

(٤) هذا الحديث رواه البخارى : ١ - ٧ ، وكان هذا حين أرسل هرقل إلى أبي سفيان وهو بالشام للتجارة في ركب من قريش في مدة محادة رسول الله لكفار قريش ، فأتوه بإيليا ، فدعاهم وحوله عطاء الروم ، فسألهم عن أحوال النبي صلى الله عليه وسلم ؛ فكان أول ما سأله عنه أن قال : كيف نسبه فيكم ؛ فقال : هو فينا ذو نسب .

(٥) ذو نسب : ذو نسب عظيم .

(٦) أي كل نبي له نسب عال في قومه . (٧) سورة ص ، آية ٤٤

(٨) أو اب : كثير الرجوع لربه بمراجعة دعائه ، وامثال أوامره ونواهيته .

(٩) سورة مريم ، الآيات من ١٢ - ١٥

(١٠) بقوة : أي بقوة فهم ، وعزيمة على العمل بما فيه .

(١١) حنانا : في طبعه الرحمة . وزكاة : مطهرا من النقائص .

- وقال^(١): ﴿أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا^(٢) وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ .
- وقال^(٣): ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ. ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ .
- وقال - في نوح^(٤): ﴿إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ .
- وقال^(٥): ﴿إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَىٰ بْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ^(٦) وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ . وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ .
- وقال^(٧): ﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا . وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَمَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ .
- وقال تعالى^(٨): ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَىٰ فَبَرَأهُ^(٩) اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا﴾ .
- قال النبي صلى الله عليه وسلم: كان موسى رجلاً حَيِّياً سَتِيراً^(١٠) ما يُرى من جسده شيء استحياء... الحديث^(١١) .

- (١) سورة آل عمران ، آية ٣٩
- (٢) وحصورا : الحصور الذي لا يأتي النساء ، إما من العنة وإما من العفة والاجتهاد في إزالة الشهوة ، والثاني أظهر في الآية لأنه بذلك يستحق الحمدة (المفردات ١٢٠) .
- (٣) سورة آل عمران ، آية ٣٣ ، ٣٤ (٤) سورة الإسراء ، آية ٣
- (٥) سورة آل عمران ، آية ٤٥ ، ٤٦ ، وهذه الآية في عيسى .
- (٦) وجيها : شريفا قدره في الدارين . (٧) سورة مريم ، آية ٣٠
- (٨) سورة الأحزاب ، آية ٦٩
- (٩) عابوه - لشدة تستره حياء من الله ، بأن في بدنه برصا أو به أدره ، فبرأه الله من ذلك وبين أنه كامل الخلق والخلق .
- (١٠) حَيِّياً : كثير الحياء . ستيرا : شديد التستر لبدنه .
- (١١) الحديث رواه الترمذى في صحيحه: ٥-٣٥٩ ، وتمتمه أنه كان يكثر التستر ويفتسل =

وقال تعالى - عنه ^(١) : ﴿ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا ^(٢) وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ .
 وقال في وصف جماعة منهم ^(٣) : ﴿ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴾ .
 وقال ^(٤) : ﴿ إِنَّ خَيْرَ مَنْ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوَى الْأَمِينُ ﴾ .
 وقال ^(٥) : ﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ ﴾ .
 وقال ^(٦) : ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ
 وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي
 الْمُحْسِنِينَ . وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ . وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ
 وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ . وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ
 وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ . ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ
 عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ . أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ
 وَالْحُكْمَ وَالنَّبُوءَةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيَسُوًّا بِهَا بِكَا فِرِينَ .
 أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ ائْتَدِهِ . . . ﴾
 فوصفهم بأوصاف جمّة من الصّلاح والهدى والاجتباء والحكم والنبوة ^(٧) .

== وحده؛ قالوا: إنه إنما يفعل هذا لبرص أو أدرّة، فذهب مرة ليفتسل ووضع ثوبه على حجر،
 فلما أراد أن يلبسه فر الحجر ، وجرى خلفه يقول : ثوبى حجر ، ثوبى حجر ، حتى مر على
 بنى إسرائيل، فأروه أكمل الناس وأصحبهم بدنا ، فبرىء مما سمّوه وآذوه به .

(١) سورة الشعراء ، آية ٢١ (٢) حكما : علما ونبوة .

(٣) سورة الشعراء ، آية ١٠٧ ، وغيرها .

(٤) القائل هو موسى لشيب . سورة القصص ، آية ٢٦

(٥) سورة الأحقاف ، آية ٣٥

(٦) سورة الأنعام ، الآيات من ٨٤ - ٩٠

(٧) جمّة : كثيرة . والصّلاح : صفة جامعة لكل خير . والاجتباء : الاصطفاء والاختيار

لرسالة . والحكم : الحكمة ، أو فصل الأمر على مقتضى الحق .

- وقال^(١) : فَبَشِّرْناه بِغَلامٍ حَلِيمٍ . وَعَلِيمٍ .
 وقال^(٢) : ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا^(٣) قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجاءَهُم رَسولٌ كَرِيمٌ . أَن أَدُّوا
 إِلَيَّ عِبادَ اللَّهِ إِيَّاي لَكُمْ رَسولٌ أَمِينٌ ﴾ .
 وقال^(٤) : ﴿ سَتَجِدُنِي إِنْ شاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴾^(٥) .
 وقال^(٦) - في إسماعيل : ﴿ إِنَّه كانَ صادِقَ الوَعْدِ وكانَ رَسولاً نَبِيًّا . وكانَ
 يَأْمُرُ أهْلَهُ بالصلاةِ والزكاةِ وكانَ عِندَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ﴾ .
 وفي موسى^(٧) : ﴿ إِنَّه كانَ مُخْلِصًا ﴾^(٨) .
 وفي سليمان^(٩) : ﴿ نَعِمَ العَبْدُ إِنَّه أَوَّابٌ ﴾ .
 وقال^(١٠) : ﴿ واذكُرْ عِبادَنا إِبْراهِيمَ وإسحاقَ ويعقوبَ أُولى الأيْدي
 والأبصارِ^(١١) . إِنَّا أَخْلَصْناهُم مِخالِصَةً ذِكْرَى الدَّارِ^(١٢) وَإِنَّهُمْ عِندَنا لَمِنَ المُصْطَفَيْنِ
 الأَخْيَارِ ﴾^(١٣) .

-
- (١) سورة الصافات ، آية ١٠١ . وفي الداريات ، آية ٢٨ : وبشروه بغلام عليم .
 والبشر : هو إسحاق .
 (٢) سورة الدخان ، آية ١٧ ، ١٨ (٣) فتنا : المراد بالفتنة الاختبار والامتحان .
 (٤) سورة الصافات ، آية ١٠٢ ، والقائل هو إسماعيل لوأله إبراهيم .
 (٥) من الصابرين طي الذبح مسلما لله ، ولذلك سلمه الله وفداه .
 (٦) سورة مريم ، آية ٥٤ ، ٥٥ (٧) سورة مريم ، آية ٥١
 (٨) ضبطت اللام في « مخلصا » بالكسرة في ١ ، قال القاري (١ - ٧٢٣) : وفي قراءة
 للبعة بفتح اللام ؛ أي أخلصه الله واختاره ، واصطفاه .
 (٩) سورة ص ، آية ٣٠ ، ٤٤ . والأواب : كثير الرجوع إلى ربه .
 (١٠) سورة ص ، آية ٤٥ - ٤٧
 (١١) الأيدي : جمع يد ، بمعنى القوة . والأبصار : جمع بصر ، بمعنى بصيرة .
 (١٢) جعلناهم خالصين بسبب أنهم لا يذكرون إلا الدار الآخرة .
 (١٣) الأخيار : جمع خير .

وفي داود^(١) : ﴿ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ . ثم قال^(٢) : ﴿ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَضْلَ الْخُطَابِ ﴾^(٣) .

وقال - عن يوسف^(٤) : ﴿ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي خَفِيفٌ عَلَيْهِمْ ﴾ .
وفي موسى^(٥) : ﴿ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا ﴾ .

[وقال تعالى^(٦) - عن شعيب : ﴿ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾]^(٧) .
وقال^(٨) : ﴿ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ ﴾ .

وقال^(٩) : ﴿ وَلَوْ طَآءَنَّاكُمْ حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾ .

وقال^(١٠) : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴾^(١١) .

قال سفيان : هو^(١٢) الْحُزْنُ الدَّائِمُ .

(١) سورة ص ، آية ١٧ ، ١٩ (٢) سورة ص ، آية ٢٠

(٣) شددنا ملكه : قويناه . وفصل الخطاب : الكلام الفاصل بين الحق والباطل .

(٤) سورة يوسف ، آية ٥٥ (٥) سورة الكهف ، آية ٦٩

(٦) سورة القصص ، آية ٢٧ ، والمخاطب في قوله تعالى : « ستجدني » - هو موسى .

(٧) ما بين القوسين ساقط في أ .

(٨) سورة هود ، آية ٨٨ . أخالفكم : من قولهم : خالفت فلانا إلى كذا ، إذا قصدته مع

إعراضه عنه . والمعنى : ما أريد أن آتى ما نهيتكم عنه لأستبد به لعلى أنه خطأ ، وفي ارتكابه خطر ، فلو كان صوابا لآثرته ، ولم أتركه فضلا عن أن أنهى غيرى عنه .

(٩) سورة الأنبياء ، آية ٧٤

(١٠) الأنبياء : ٩٠ ، إنهم : أى الأنبياء المذكورون في سورتهم .

(١١) شأنهم المبادرة إلى فعل أنواع الخير ، وسؤال الله تعالى في الرغبة والرهبة ؛ أى للرغبة

في الثوبة والقربة ، والرهبة عن العقوبة .

(١٢) هو تفسير الحشوع في قوله تعالى : وكانوا لنا خاشعين .

في آي كثيرة ، ذكر فيها من خصالهم ومحاسن أخلاقهم الدالة على كمالهم .
وجاء من ذلك في الأحاديث كثير ، كقوله (١) : إنما الكريم ابن الكريم
ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم ، نبي ابن نبي
ابن نبي ابن نبي .

وفي حديث أنس (٢) : وكذلك الأنبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم .
وروى أن سليمان (٣) كان مع ما أعطى من الملك لا يرفع بصره إلى السماء تخشعاً
وتواضعاً لله تعالى . وكان يطعم الناس لذائد الأطعمة ويأكل خبز الشعير .
وأوحى الله إليه : يا رأس العابدين (٤) ، وأبى حجة الزاهدين (٥) .
وكانت العجوز تعترضه (٦) - وهو على الریح في جنوده ، فيأمر الریح فتقف فينظر
في حاجتها ويمضي .

وقيل ليوسف : مالك نجوع وأنت على خزائن الأرض ؟ قال : أخاف أن أشبع
فأنسى الجائع [٤٨] .

وروى أبو هريرة عنه (٧) صلى الله عليه وسلم : خُفِّفَ على داود القرآن (٨) ، فكان
يأمر بدوابه ، فنسرج ، فيقرأ القرآن قبل أن تسرج (٩) ، ولا يأكل إلا من عمل يده .

-
- (١) هذا الحديث في صحيح البخارى بدون : «إنما» (صحيح البخارى : ٤ - ٢٢٤) .
 - (٢) في حديث رواه البخارى : ٤ - ٢٣٢
 - (٣) رواه الطبراني ، عن أبي هريرة .
 - (٤) رأس العابدين : أعلام ورئيسهم .
 - (٥) حجة الزاهدين : مقصدهم ومقتردهم الذى يأسون بسنته ومسلكه .
 - (٦) تعترضه : تجي له وتقف مقابلته .
 - (٧) رواه البخارى : ٦ - ١٠٧
 - (٨) للراد قراءة كتابه ، وهو الزبور . والمراد بتخفيفه سرعة قراءته في زمن يسير .
 - (٩) قيل هذا من البركة في الزمن اليسير حتى يقع فيه العمل الكثير .

قال الله تعالى (١) : ﴿ وَأَلْنَا لَهُ الْحَدِيدَ . أَنْ أَعْمَلَ سَابِغَاتٍ وَقَدَّرَ فِي السَّرْدِ ﴾ (٢) .
 وكان (٣) سأل رَبَّهُ أَنْ يرزقه عَمَلًا بيده يُغْنِيه عن بَيْتِ الْمَالِ .

وقال عليه السلام (٤) : أَحَبُّ الصَّلَاةِ إِلَى اللَّهِ صَلَاةُ دَاوُدَ . وَأَحَبُّ الصِّيَامِ إِلَى اللَّهِ صِيَامُ دَاوُدَ : كَانَ يَنَامُ نِصْفَ اللَّيْلِ ، وَيَقُومُ ثُلُثَهُ ، وَيَنَامُ سُدُسَهُ ، وَيَصُومُ يَوْمًا وَيَفْطُرُ يَوْمًا . وَكَانَ يَلْبَسُ الصُّوفَ ، وَيَفْتَرِشُ الشَّعْرَ ، وَيَأْكُلُ خُبْزَ الشَّعِيرِ بِالْمِلْحِ وَالرَّمَادِ ، وَيَمْزُجُ شَرَابَهُ بِالذَّمُوعِ (٥) ، وَلَمْ يَرِ ضَاحِكًا بَعْدَ الْخَطِيئَةِ (٦) ، وَلَا شَاخِصًا يَبْصُرُهُ إِلَى السَّمَاءِ ، حَيَاءً مِنْ رَبِّهِ ، وَلَمْ يَزَلْ بِأَكْيَا حَيَاتِهِ كَلِمًا .

وقيل : بَكَى حَتَّى نَبَتَ الْعُشْبُ مِنْ دَمُوعِهِ (٧) ، وَحَتَّى اتَّخَذَتِ الدَّمُوعُ فِي خَدِّهِ أُخْدُودًا (٨) .

وقيل : كَانَ يَخْرُجُ مَبْتَكِرًا يَتَعَرَّفُ سِيرَتَهُ ، فَيَسْتَمِعُ الثَّنَاءَ عَلَيْهِ ، فَيَزِدَادُ تَوَاضَعًا .
 وقيل لعيسى عليه السلام : لَوْ اتَّخَذْتَ حِمَارًا . قَالَ : أَنَا أَكْرَمُ عَلَى اللَّهِ مِنْ أَنْ يَشْفَلَنِي بِحِمَارٍ .

وَكَانَ يَلْبَسُ الشَّعْرَ ، وَيَأْكُلُ الشَّجَرَ ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ بَيْتٌ أَيْنَمَا أَدْرَكَهُ النَّوْمُ نَامَ .
 وَكَانَ أَحَبُّ الْأَسْمَاءِ إِلَيْهِ أَنْ يُقَالَ لَهُ مَسْكِينٌ (٩) .

(١) سورة سبأ ، آية ١٠ ، ١١

(٢) سابغات : دروعا طويلة تامة . السرد : سرده : نسجه وعمله . ومعنى تقديره جعله ثوب طرفي الخلق على قدر المسامير ، وكون المسامير غير رقيقة فتفلق ، ولا غايظة فتكسر الخلق .

(٣) وكان : أى داود . (٤) صحيح مسلم : ٨١٦ (٥) لكثرة بكائه .

(٦) الخطيئة : تزوجه بامرأة أورياء . قال في نسيم الرياض : وليست هذه خطيئة ، ولكن

علو مقامه وزهده يقتضى خلاف ذلك ؛ فلذا عوتب عليه .

(٧) هذا رواه ابن أبي حاتم عن أنس رضى الله عنه مرفوعا ، وعن مجاهد وغيره موقوفا .

(٨) الأخدود : الشق المستطيل فى الأرض . والمراد أثرت أثرا فى خده .

(٩) رغبة فى التواضع لمعظمة الله . وقد ضبطت الباء فى «أحب» بالضمه وعليها علامة الصحة فى ا .

وقيل : إن موسى عليه السلام لما ورد ماء مدين كانت تُرَى خُضْرَةُ الْبَقْلِ^(١) في بطنه من الهزال .

وقال عليه السلام : لقد كان الأنبياء قبلي يُبْتَلَى أَحَدُهُمْ بِالْفَقْرِ وَالْقَمَلِ ، وكان ذلك أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ الْعَطَاءِ إِلَيْكُمْ .

وقال عيسى عليه السلام - لِحَنْزِيرٍ لَقِيَهُ : اذهب بسلام . فقيل له في ذلك ، فقال : أكرهه أن أعوِّد لساني المنطقَ بسوء .

وقال مجاهد : كان طعامُ يحيى العُشْبَ .

وكان يَبْكِي من خشية الله حتى اتخذ الدمع^(٢) مجرى في خده ، وكان يأكل من الوَحْشِ لئلا يُخَالِطَ النَّاسَ .

وحكى الطبريُّ ، عن وَهْبٍ ، أن موسى كان يستظلُّ بِعَرِيْشٍ^(٣) ، ويأكل في ثُقْرَةٍ من حَجَرٍ ، وَيَكْرَعُ فيها^(٤) إذا أراد أن يشرب كما تَكْرَعُ الدَّابَّةُ ، تواضعا لله بما أكرمه الله به من كلامه .

وأخبارُهُم في هذا كله مسطورةٌ ، وصفاتهم في الكمالِ وجميلِ الأخلاقِ ، وحسنِ الصُّوَرِ والشمائلِ معروفةٌ مشهورةٌ ؛ فلا نُطَوِّلُ بها ، ولا تَلْتَفِتْ إلى ما تجده^(٥) في كتبِ بعضِ جهلةِ المؤرِّخين والفسرين مما يخالفُ هذا .

(١) البقل : ما ليس بشجر من النبات مما تبقى أرومته وأصوله بمد أخذه .

(٢) في ب : الدموع .

(٣) العريش : هو ما يستظل به خيمة كانت أو خشبا أو نباتا .

(٤) يكرع فيها : أي يضع ما يشرب في ثقرة يكب عليها ويشرب منها بفيه .

(٥) في هامش ب : نجده - بالنون .

فصل

قد أتيناك - أكرمك الله - من ذِكْرِ الأخلاقِ الحميدة ، والفضائلِ الحميدة ،
 وخصالِ الكمالِ العديدة ، وأريناك صحَّتها^(١) له صلى الله عليه وسلم ، وجليتنا^(٢) من
 الآثارِ ما فيه مَنَعٌ ، والأمرُ أوسعُ ؛ فجالُ هذا البابِ في حقِّه صلى الله عليه وسلم مُمتدٌّ ،
 تَنقَطِعُ دونَ نَفَادِهِ الأدلَّةُ^(٣) ، وبِحَرِّ عِلْمِ خصائصِهِ زاخِرٌ لا تُكَدِّرُهُ الدَّلَالَةُ^(٤) ،
 لكننا أتينا فيه بالمعروفِ^(٥) بما أكَثَرَهُ في الصحيحِ والمشهورِ من المصنَّفاتِ ؛ واقتصرنا
 في ذلك بقُلٍّ من كُلِّ^(٦) ، وغِيضٍ من فيضٍ^(٧) ، ورأينا أن نختمَ هذه الفصولَ
 بذكرِ حديثِ الحسنِ^(٨) ، عن أبي هالة ، لجمعه من شمائله وأوصافِهِ كثيراً ، وإدماجه
 بجملةٍ كافيةٍ من سيرِهِ وفضائلِهِ ، وأنصَلُهُ بتنبيةٍ لطيفٍ على غريبِهِ ومُشْكَلِهِ .

حدثنا القاضي أبو علي الحسين بن محمد الحافظ - رحمه الله - بقرائه عليه سنة ثمانٍ
 وخمسةائة [٤٩] ؛ قال : حدثنا الإمامُ أبو القاسمِ عبد الله بن طاهر التميميُّ قراءةً عليه ،
 أخبركم الفقيهُ الأديبُ أبو بكر محمد بن عبد الله بن الحسن النيسابوري ، والشيخُ الفقيهُ
 أبو عبد الله محمد بن أحمد بن الحسن المُحمَّدي ، والقاضي أبو علي الحسن بن علي بن جعفر

(١) أي كونها صحيحة في حقِّه صلى الله عليه وسلم .

(٢) جليتنا : رويانا ونقلنا ، وأوردنا وشرحنا .

(٣) الأدلَّةُ : جمع دليل ، وهو من يتقدم الركب ليهديهم إلى الطريق .

(٤) الدلالة : جمع دلو . وهو ما يؤخذ به الماء . وعدم تكديره : عبارة عن عدم بلوغ

آخره ؛ لأنه إذا بلغه حرك طينه فيتكدر ماؤه . (٥) المعروف : المشهور الذي يعرفه الناس .

(٦) القل : القليل ، بمعنى القلة ؛ أي ذكرنا أمراً قليلاً منه لا كثيراً ، أو دون الجميع ،

لأنه لا يمكن الإحاطة به . وكلمة « كل » فوقها علامة الصحة في ب . وفي هامشه : كثير .

(٧) الفيض : المراد القليل . الفيض : المراد به الكثير .

(٨) رواه الترمذی في شمائله صفحة ٤ من نسختي المخطوطة . وهو في دلائل النبوة للبيهقي

الوَخْشِيِّ؛ قالوا: حدثنا أبو القاسم علي بن أحمد بن محمد بن الحسن الخزازي، أخبرنا أبو سعيد الهيثم بن كليب الشاشي، أنبأنا أبو عيسى بن سوزة الحافظ؛ قال: حدثنا سُفْيَانُ بن وَكَيْعٍ، حدثنا جَمِيعُ بن عُمر بن عبد الرحمن العجلي إماماً، من كتابه؛ قال: حدثني رجلٌ من بني تميم من ولدِ أبي هالة زوجِ خديجةَ أمِّ المؤمنين رضي الله عنها، يكنى أبا عبد الله، عن ابنِ لأبي^(١) هالة، عن الحسن بن علي بن أبي طالب رَحِمَهُ اللهُ؛ قال: سألتُ خالي هِنْدَ بنَ أبي هالة.

قال القاضي أبو علي رَحِمَهُ اللهُ^(٢): وقرأتُ على الشيخ أبي طاهر أحمد بن الحسن ابن أحمد بن خُذَادَاذِ^(٣) الكَرَجِيِّ^(٤) الباقِلَانِي؛ قال: وأجاز لنا الشيخُ الأجلُّ أبو النضل أحمد بن الحسين بن خَيْرُون؛ قالوا: حدثنا أبو علي الحسن بن أحمد ابن إبراهيم بن الحسن بن محمد بن شاذان بن حَرَبِ بن مِهْرَانَ الفارسي قراءةً عليه فأقرَّ به، قال: أخبرنا أبو محمد الحسن بن محمد بن يحيى بن الحسن بن جعفر ابن عبيد الله^(٥) بن الحسين بن علي بن [الحسين بن علي]^(٦) بن أبي طالب المعروف بابن أخي طاهر العلوي، قال: حدثنا إسماعيل بن محمد بن إسحاق بن جعفر بن محمد

(١) قال الذهبي: إن هذا الرجل لا يعرف اسمه؛ فهذا الحديث منقطع، لأن فيه راويًا مجهولاً (نسيم الرياض: ٢ - ١٨٣).

(٢) فروى هذا الحديث من طريقين. والقاضي هذا هو ابن سكرة.

(٣) في ب: خذاداد. وفي هامشه: معناه بالفارسية: عطاء الله. وقال الثماب (٢ - ١٨٣): إنه خذادادا - بألف مقصورة آخره.

(٤) عليه علامة الصحة في ب. وقال في هامشه: كذا وقع الكرجي - بالجيم. وضبطه كذلك الثماب (٢ - ١٨٣). وفي أ: الكرخي - بالخاء. وضبطه القاري (١ - ٣٣٥) بسكون الراء، ورواه بالجيم.

(٥) هذا في أ، ب. وفي شرح القاري، وشرح الخفاجي: عبد الله.

(٦) من ب، وعليه علامة الصحة.

ابن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ؛ قال : حدثني علي بن جعفر بن محمد بن علي ابن الحسين ، عن أخيه موسى بن جعفر ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه محمد بن علي ، عن علي بن الحسين ، قال : قال الحسن بن علي - واللفظ لهذا السند ^(١) : سألت خالي هند بن أبي هالة عن حليّة ^(٢) رسول الله صلى الله عليه وسلم - وكان وصافاً ^(٣) - وأنا أَرْجُو أَنْ يَصِفَ لِي مِنْهَا شَيْئًا أَتَمَلِّقُ ^(٤) به ، قال ^(٥) :

كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فَخْمًا مُفَخَّمًا ^(٦) ، بتلاً لأوجهِه تَلَالًا القدر ليلةَ البدر ^(٧) ، أطولَ من المربوع ^(٨) ، وأقصرَ من المشدبِ ، عظيمُ الهامة ^(٩) ، رَجَلِ الشَّعْرِ ؛ إن انفردتْ عَقِيقَتُهُ فَرَّقَ ، وإلا فلا يجاوزُ شعره شحمةَ أُذُنِهِ ^(١٠) ، إذا هو وفوه ، أزهر اللون ، واسع الجبين ، أزجّ الحواجب ، سوابغ ، من غير قرنين ، بينهما عِرْقٌ يُدْرِهُ ^(١١) الغضب ، أفتى العرنيين ، له نُورٌ يَمْلُوه ، ويحسبه ^(١٢) مَنْ لم يتأمله

(١) وهو الطريق الثاني في الإسناد، وهو في شمائل الترمذى صفحة ٤ من مخطوطى المحققة، وصفحة ١٨ من المواهب ، وستن الترمذى : ٥ - ٥٩٢

(٢) الحلية : ما يتحلى به من الصفات .

(٣) كان وصافا : كان فصيحاً له خبرة بوصف الناس لحذقه . أو كان معروفاً بذكر صفات النبي صلى الله عليه وسلم .

(٤) أتملق به : أحفظه وأتمسك به تبركاً .

(٥) سيأتى تفسير لتريب هذا الحديث في الفصل التالى ؛ ولهذا لن نشرح إلا ما تركه المصنف - فيما يأتى فى ذلك الفصل .

(٦) الفخم : العظيم ، والمراد أن أعضاءه صلى الله عليه وسلم تامة الحلقة واسعة سعة غير مفرطة . مفخماً : المراد أنه معظم فى العيون الناظرة إليه .

(٧) يتلأ لأوجهِه : يشرق ويضئ .

(٨) المربوع : الذى بين الطول والقصر . (٩) الهامة : الرأس .

(١٠) شحمة الأذن : مالان منها حيث يعلق القرط .

(١١) سوابغ : طوال كاملة . قرن : اقتران واتصال . يدره الغضب : المراد أنه يظهره لفلين

الدم بالغضب بعد ما كان خفياً . (١٢) يحسبه : يظنه .

أَشْمٌ ، كَثَّ اللَّحْيَةُ^(١) ، أَدْعَجَ ، سَهَلَ الْخَدَيْنِ^(٢) ، ضَلَّيَعَ الْفَمَ ، أَشْنَبَ ، مُفْلَجَ الْأَسْنَانَ ، دَقِيقَ الْمَسْرُوبَةِ ، كَأَنَّ عُنُقَهُ جَيْدٌ دُمِيَّةٌ فِي صَفَاءِ الْفِضَّةِ^(٣) ، مَعْتَدِلَ الْخَلْقِ ، بَادِنًا ، مُتَمَاسِكًا ، سِوَاءَ الْبَطْنِ وَالصَّدْرِ ، مُشِيحَ الصَّدْرِ ، يَمِيدًا مَا بَيْنَ الْمَنَكِبَيْنِ ، حَضَمَ الْكِرَادِيسَ ، أَنْوَرَ التُّجْرَدِ^(٤) ، مَوْصُولَ مَا بَيْنَ اللَّبَّةِ وَالسَّرَّةِ بِشَعْرٍ يَجْرِي كَالْخَطِّ ، عَارِي الثَّدْيَيْنِ ، مَا سِوَى ذَلِكَ^(٥) ، أَشْعَرَ الذَّرَاعَيْنِ^(٦) وَالْمَنَكِبَيْنِ وَأَعَالَى الصَّدْرِ ، طَوِيلَ الزَّنْدَيْنِ ، رَحْبَ الرَّاحَةِ ، شَتْنَ الْكَفَيْنِ^(٧) وَالْقَدَمَيْنِ ، سَائِلَ الْأَطْرَافِ - [أَوْ قَالَ : سَائِنَ الْأَطْرَافِ]^(٨) ، سَبَطَ الْعَصَبَ^(٩) ، حُمَصَانَ الْأَخْمَصَيْنِ ، مَسِيحَ الْقَدَمَيْنِ ، يَنْبُو عَنْهُمَا الْمَاءُ ، إِذَا زَالَ زَالَ تَقْلَعًا ، وَيَخْطُو تَكْفًا ، وَيَمشِي هَوْنًا ، ذَرِيعَ الْمَشْيَةِ ، إِذَا مَشَى كَأَنَّمَا يَنْحَطُّ مِنْ صَبَبٍ ، وَإِذَا التَفَتَ التَفَتَ جَمِيعًا^(١٠) ، خَافِضَ الطَّرْفِ^(١١) ، نَظَرَهُ إِلَى الْأَرْضِ أَطْوَلَ مِنْ نَظَرِهِ إِلَى السَّمَاءِ ، جُلُّ نَظَرِهِ

- (١) كث اللحية : لحيته كثيرة الشعر من غير طول ولا دقة شعر .
 (٢) سهل الخدين : غير مرتفع الوجنة وكثير اللحم فيها .
 (٣) جيد : عنق . والدمية : الصورة من رخام أو عاج ، والمراد شدة بياضه وطوله .
 (٤) أنور التجرد : يعنى ما خفى من البدن . وأنور : نير ، مشرق .
 (٥) ماسوى ذلك : أى ماسوى الشعر الذى بين السرة ، واللبة . واللبة : النحر . وقيل الصدر .
 وقيل موضع القلادة . وفى ب : بما سوى ذلك .
 (٦) أشعر الذراعين : أى كثير شعرهما .
 (٧) شتن الكفين : الشتن : الضخم المتلىء لحمًا .
 (٨) ما بين القوسين كتب أمامه ، فى هامش ا : ليس من الرواية . وفى ب : أَوْ قَالَ : هو سائِن .
 (٩) سبط العصب : سبط : تمتد ليس به تمقد .
 (١٠) التفت جميعًا : إذا أراد أن يدور إلى خلفه أو فى جانبه لا يلبى عنقه ؛ بل يصرف جميع بدنه فيقبل جميعًا ويدبر جميعًا .
 (١١) خافض الطرف : الطرف : العين .

الملاحظة^(١)، يسوق أصحابه^(٢)، [٥٠] ويبدأ من لقيه^(٣) بالسلام.

قلت : صِف لي مَنْطِقَه^(٤).

قال : كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم متواصلَ الأحرانِ^(٥)، دائمَ الفِكْرَةِ ، ليست له راحةٌ ، ولا يتكلمُ في غير حاجةٍ ، طويلَ السكوت ، يفتتح الكلامَ ويختمه بأشدِّ آوِه ، ويتكلمُ بجوامعِ الكلامِ فصلاً^(٦) ، لأفضول^(٧) فيه ولا تقصير ، دَمِثاً ليس بالجافي ولا المَهِينِ^(٨) ، يعظُّ النعمةَ وإن دَقَّت^(٩) ، لا يذمُّ شيئاً ، لم يكن يذمُّ ذواً^(١٠) ، ولا يمدحه ، ولا يُقَامُ لفضبه إذا تُعرِّضَ للحق بشيء^(١١) حتى ينتصِرَ له ، ولا يفضبُ لنفسه ولا ينتصِرَ لها ، إذا أشار أشار بكفه كلها ، وإذا تعجَّب قلبها^(١٢) وإذا تحدَّثَ

(١) جل نظره الملاحظة : جل : معظم ، وأكثر . والملاحظة : النظر باللحظ ، وهو طرف العين مما يلي الصدغ .

(٢) يسوق أصحابه : يمشى خلفهم ، ولا يدع أحدا منهم يمشى خلفه ، كما هي عادة التكبيرين .

(٣) في ب : لقي . (٤) منطقه : نطقه وكلامه .

(٥) أى لم يكن كلامه بفرح وبطر ، بل بحزن وأسف . وفي نسيم الرياض (٢ - ١٩٢) :

قال ابن قيم الجوزية : قول أبي هالة : متواصل الأحران - لم يثبت عنه ، وفي سنده مجهول ؛ كيف وقد صانه الله عن الحزن وأسبابه ، ونهاه عنه بقوله : لا تحزن ، وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، فلا خوف عليه ، ولا حزن في الدنيا والآخرة ؛ فمن أين يأتيه الحزن ؟

(٦) فصلاً : كلاماً فاصلاً للخصومة ، وفارقاً بين الحق والباطل .

(٧) لأفضول : لزيادة .

(٨) دمث : من الدمثة ، وهى سهولة الخلق . والجافي : غليظ الطبع . وقد ضبطت الميم

في كلمة « المهين » في ب - بالضمة . وفي النهاية : بالضم من الإهانة ؛ أى لا يهين أحدا من الناس ، وبالمفتح من المهانة ؛ أى الحقارة .

(٩) دقت : صغرت .

(١٠) ذواً : ما يذاق من ما كول ومشروب .

(١١) أى لا يثبت له أحد إذا غضب . إذا تعرض : إذا تعرض أحد للحق بما يبطله .

(١٢) في ب ضبطت اللام بالتشديد .

اتَّصَلَ^(١) بها، ففُضِرَبَ بِإِيْنَاهِمَا يَمْنَى رَاحَتَهُ الْبِيسْرَى ، وَإِذَا غَضِبَ أَعْرَضَ وَأَشَاحَ^(٢) ،
وإِذَا فَرِحَ غَضَّ طَرْفَهُ ، جُلَّ^(٣) ضَحِكَهُ التَّبَسُّمُ ، وَيَفْتَرُّ^(٤) عَنِ^(٤) مِثْلِ حَبِّ النَّعْمَامِ .
قَالَ الْحَسَنُ : فَكَتَمَهَا الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ زَمَانًا ، ثُمَّ حَدَّثْتُهُ فَوَجَدْتُهُ قَدْ سَبَقَنِي إِلَيْهِ^(٥) ،
فَسَأَلَ أَبَاهُ عَنْ مَدْخَلِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَخُرُوجِهِ وَتَجَلُّسِهِ وَشَكْلِهِ^(٦) ،
فَلَمْ يَدْعُ مِنْهُ شَيْئًا .

قَالَ الْحُسَيْنُ : سَأَلْتُ أَبِي عَنْ دُخُولِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ :
كَانَ دُخُولُهُ لِنَفْسِهِ مَأْذُونًا لَهُ فِي ذَلِكَ^(٧) ، فَكَانَ إِذَا أَوَى إِلَى مَنْزِلِهِ جِزَاءً
دُخُولِهِ^(٨) ثَلَاثَةَ أَجْزَاءَ : جُزْءًا لِلَّهِ ، وَجُزْءًا لِلْأَهْلِ ، وَجُزْءًا لِنَفْسِهِ ، ثُمَّ جِزْءًا جِزْءًا بَيْنَهُ
وَبَيْنَ النَّاسِ ، فَيَرُدُّ ذَلِكَ عَلَى الْعَامَّةِ بِالْخَاصَّةِ^(٩) ، وَلَا يَدْخُرُ عَنْهُمْ شَيْئًا ، فَكَانَ مِنْ
سِيرَتِهِ فِي جُزْءِ الْأُمَّةِ^(١٠) إِيْثَارُ أَهْلِ الْفَضْلِ بِإِذْنِهِ^(١١) وَقِسْمَتُهُ عَلَى قَدْرِ فَضْلِهِمْ

(١) اتصل بها : لا يزال يحركها ، أو وصل إحدى يديه بالأخرى . والمراد أنه كان إذا
حدث وصل حديثه بالإشارة بيده توكيداً له .

(٢) أشاح : صرف وجهه ، أو مال وانقبض . (٣) جل : أكثر ، ومعظم .

(٤) يفتَرُّ : من قولهم : افتَرَّ ضاحكاً ، إذا أبدى أسنانه . (٥) إليه : إلى الحديث .

(٦) المراد خروجه صلى الله عليه وسلم للناس ، ودخول بيته ؛ وجلسه عندهم . وشكله :

أى هيئته ، أو هى بكسر الشين بمعنى الهدى والسمت .

(٧) دخوله لنفسه : أى دخوله منزله ليجتمع بأهله لمصلحه وقضاء مآربه وقبولته .

مأذوناً له فى ذلك : من الله إذنا عاماً بحيث يدخل أى بيت من بيوته فى أى وقت .

(٨) جزأً دخوله : قسم زمن دخوله لبيته .

(٩) العامة : ما عدا الخاصة . ويرد : يوصل ويمطى ، كأنه لما كان لهم حق فى الجملة أخذ

منهم ثم رد إليهم . والمراد أن الخاصة كانت تخبر العامة بما سمعته منه صلى الله عليه وسلم إذا

لم يكن مما لا يبينى كتمته عنهم . (١٠) وهو الجزء الذى جعله للناس .

(١١) الإيثار : تقديم ما يؤثره على غيره . والمراد بإذنه أنه يأذن لهم فى الدخول فى

خلوته فى بيته .

في الدين^(١)؛ منهم ذو الحاجة، ومنهم ذو الحاجتين، ومنهم ذو الحوائج، فيتشاغل بهم، ويشغلهم فيما أصلحهم^(٢)، والأمة من مسأله عنهم وإخبارهم بالذي ينبغي لهم؛ ويقول: ليبلغ الشاهد منكم الغائب، وأبأقوني حاجة من لا يستطيع إبلاغى حاجته، فإنه من أبلغ سلطانا حاجة من لا يستطيع إبلاغها ثبت الله قدميه يوم القيامة^(٣)، لا يذكر عنده إلا ذلك، ولا يقبل من أحد غيره.

وقال^(٤) في حديث سفيان بن وكيع: يدخلون روادا^(٥)، ولا يتفرقون إلا عن ذواق^(٦)، ويخرجون أدلة - يعنى فقهاء^(٧).

قلت^(٨): فأخبرنى عن مخرجه^(٩) كيف كان يصنع فيه؟

قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخزن لسانه إلا مما يعنيه^(١٠) ويؤلفهم ولا يفرقهم؛ يسكرم كريم كل قوم، ويؤليه عليهم، ويحذر الناس، ويحترس منهم،

(١) أى قسمته جزأه فى حديثه معهم واشتغاله بأحوالهم على قدر تفاوتهم فى الدين، لأن أكرمهم عند الله أنقام.

(٢) أى ما فيه صلاحهم.

(٣) على الصراط يوم تزل الأقدام، والمراد نجاته من أهوال الموقف.

(٤) وقال: أى على رضى الله عنه فى رواية فى حديث سفيان بن وكيع.

(٥) روادا: جمع رائد، والمراد طالبين محتاجين للإرشاد. أو هى رواد - بكسر الراء

وتخفيف الواو؛ أى ملتجئين لأئذين به. وفى هامش ا: لوادا. ولوادا: ملتجئين إليه، ومتخصصين بمتنمين به، أو متقربين عنده.

(٦) ولا يتفرقون إلا عن ذواق: لا يتفرقون من مجلسه إلا عن علم وأدب هو غذاء

لأرواحهم. وفى ب: لا يفترقون.

(٧) فقهاء: عالمن بأمر الدين، هداة مرشدين للناس، يهتدى بهم غيرهم.

(٨) قلت: قاله الحسين لأبيه رضى الله عنه.

(٩) عن مخرجه: عن حاله صلى الله عليه وسلم بعد خروجه من منزله.

(١٠) يخزن لسانه: يصونه. يعنيه: يهمهم ويفهمهم.

مِنْ غَيْرِ أَنْ يَطْوِيَ عَنْ أَحَدٍ بَشْرَهُ ^(١) وَخُلُقَهُ ، وَيَتَفَقَّدُ أَصْحَابَهُ ^(٢) ، وَيَسْأَلُ النَّاسَ عَمَّا فِي النَّاسِ ، وَيَحْسِنُ الْحَسْنَ وَيُصَوِّبُهُ . وَيَقْبَحُ الْقَبِيحَ وَيُوهِنُهُ ^(٣) ، مَعْتَدِلَ الْأَمْرِ غَيْرَ مُخْتَلَفٍ ^(٤) ، لَا يَفْعَلُ مَخَافَةَ أَنْ يَفْعَلُوا أَوْ يَمَلُّوا ، لِكُلِّ حَالٍ عِنْدَهُ عِتَادٌ ^(٥) ، لَا يَقْصُرُ عَنِ الْحَقِّ ، وَلَا يَجَاوِزُهُ إِلَى غَيْرِهِ ، الَّذِينَ يَلُونَهُ ^(٦) مِنَ النَّاسِ خِيَارُهُمْ ، وَأَفْضَالُهُمْ عِنْدَهُمْ أَغْمَهُمْ ^(٧) نَصِيحَةٌ ؛ وَأَعْظَمُهُمْ عِنْدَهُ مَنْزِلَةٌ أَحْسَنُهُمْ مَوَاسَاةً وَمُؤَاوَزَةً ^(٨) .

فَسَأَلَتْهُ عَنْ تَجَلُّسِهِ : عَمَّا كَانَ يَصْنَعُ فِيهِ .

فَقَالَ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَجْلِسُ وَلَا يَقُومُ إِلَّا عَلَى ذِكْرٍ ^(٩) ، وَلَا يُؤْتِنُ الْأَمَّاكِنَ ، وَيَنْتَهِي عَنِ إِطْطَانِهَا ^(١٠) ، وَإِذَا انْتَهَى إِلَى قَوْمٍ جَلَسَ حَيْثُ يَنْتَهِي بِهِ الْجُلُوسُ ، وَيَأْمُرُ بِذَلِكَ ، وَيُعْطِي كُلَّ جُلُوسَانِهِ نَصِيبَهُ حَتَّى لَا يَحْسِبَ ^(١١) ، جَلِيْسُهُ أَنْ أَحَدًا أَكْرَمُ عَلَيْهِ فِيهِ ، مِنْ جَالِسِهِ أَوْ قَاوِمَهُ لِحَاجَةِ صَابِرِهِ حَتَّى [٥١] يَكُونَ هُوَ الْمُنْصَرِفَ عَنْهُ ^(١٢) .

- (١) يطوي : يخفي ويمنع . وبشره : طلاقة وجهه وانبساطه معه تأنيسا له وتأليفا لقلبه وإذهابا لخوف مهابته .
- (٢) يتفقّد أصحابه : يسأل عمن لم يحضر عنده منهم .
- (٣) يوهنه : أى يقول هو فعل قبيح وضعيف وساقط تنفيرا وتحذيرا ونصحا .
- (٤) غير مختلف : على سنن واحد في جميع أوقاته .
- (٥) العتاد : المدة ، والحاضر المدد لإصلاحه وتداركه إذا وقع .
- (٦) الذين يلونه : أى يقربون منه في مجلسه .
- (٧) في ب : أحسنهم . وفي هامشه : أغمهم .
- (٨) المواساة : إعطاء من يريد ما يحتاج إليه . والموازية : إعانة من يلجأ إليه .
- (٩) على ذكر لله ، أو إفادة علم ، أو بيان حمد وشكر .
- (١٠) المراد أنه لا يلزم مكانا بخصوصه في غير بيته . (١١) لا يحسب : لا يظن .
- (١٢) قاومه : قام مع قيامه لمرض حاجته أو لتغير ذلك . صابره : صبر عليه ، فلا ينصرف عنه حتى ينصرف هو ؛ كل ذلك لتطبيب قلوبهم .

مَنْ سَأَلَهُ حَاجَةً لَمْ يردْهُ إِلَّا بِهَا أَوْ بِمَيْسُورٍ مِنَ الْقَوْلِ ^(١) . قَدْ وَسَّعَ النَّاسَ ،
بَسَطَهُ وَخَلَقَهُ ^(٢) ؛ فَصَارَ لَهُمْ أَبَا ، وَصَارُوا عِنْدَهُ فِي الْحَقِّ سَوَاءً ، مُتَقَارِبِينَ مُتَفَاضِلِينَ
فِيهِ بِالتَّقْوَى .

وَفِي الرِّوَايَةِ الأُخْرَى : صَارُوا عِنْدَهُ فِي الْحَقِّ سَوَاءً ، مَجْلِسُهُ مَجْلِسُ حِلْمٍ وَحَيَاءٍ ،
وَصَبْرٍ وَأَمَانَةٍ ؛ لَا تُرْفَعُ فِيهِ الأَصْوَاتُ ، وَلَا تُؤْتَبَنُ فِيهِ الْحُرْمُ ^(٣) ، وَلَا تُتَنَّى
فَلَتَاتُهُ ^(٤) ، وَهَذِهِ السَّكْمَةُ ^(٥) ، مِنْ غَيْرِ الرِّوَايَتَيْنِ .

يَتَعَاطَوْنَ فِيهِ بِالتَّقْوَى مُتَوَاصِفِينَ ^(٦) ، يُؤَقَّرُونَ فِيهِ ^(٧) الكَبِيرُ ، وَيَرْحَمُونَ
الصَّغِيرَ ، وَيَرَفِدُونَ ^(٨) ذَا الْحَاجَةِ ، وَيَرْحَمُونَ ^(٩) الْغَرِيبَ .
فَسَأَلْتُهُ عَنْ سِيرَتِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي جَلْسَانِهِ .

فَقَالَ : كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَائِمَ البِشْرِ ^(١٠) ، سَهْلَ الخُلُقِ ، أَيْنَ

-
- (١) بميسور من القول : أى رده بقول لين سهل لاغلظة فيه .
(٢) بسطه : أى بسط يده ، وسماحته ، وطلاقة وجهه ، وإبداء سروره ، وحسن خلقه .
(٣) لا تؤبن فيه الحرم : لا تذكر بسوء . والحرم : جمع حرمة ، وهى ما لا
يجل ، والمراد النساء .
(٤) لا تنى : لا تذكر . فلتاته : جمع فلتة ؛ وهى الزلة ، أى القبيح الذى يقع بقتة .
وللراد أنه لا قبح فيه حتى يذكر . أو أن الفلتة إذا وقعت لا تذكر ؛ بل تستر .
(٥) وهذه السكامة : يريد قوله : لا تنى فلتاته - من غير روايتى الحسن عن خاله ، ورواية
الحسين عن أبيه .

- (٦) يتعاطون بالتقوى : يمطف بعضهم على بعض ، وبشفق عليه ويرحمه بسبب تقوى الله ،
لا رياء ولا سمعة ولا خوفا وانقاء شر .
(٧) فيه : أى فى المجلس .
(٨) يرفدون : يعينون ويواسون . وفى ب : يرفدون - بضم الياء ، ويرفدون
بفتحها وعليها « معا » .

(٩) فى ب : ويحفظون . وفى هامشه : ويرحمون . ويؤثرون .

(١٠) البشر : طلاقة الوجه وبشاشته ، وإظهار السرور .

الجانب ، ليس بَفَظٍّ ولا غَلِيظٍ^(١) ، ولا سَخَابٍ^(٢) ، ولا فَحَّاشٍ ، ولا عَيَّابٍ
 ولا مَدَّاحٍ^(٣) ، يتفأفلُ عما لا يَشْهَى ولا يُؤس منه^(٤) ، قد ترك نفسه من ثلاث :
 الرياء^(٥) ، والإكثار ، ومالا يَعْنِيهِ . وَتَرَكَ النَّاسَ من ثلاث : كان لا يذمُّ أحداً ،
 ولا يُعَيِّرُهُ ، ولا يطلب عَوْرَتَهُ^(٦) ، ولا يتكلم إلا فيما يرجو ثوابه ، إذا تكلم أطرقَ
 جلساؤه كأنما على رؤوسهم الطير^(٧) ، وإذا سكت تكلموا ، لا يتنازعون عنده
 الحديث^(٨) . مَنْ تَكَلَّمَ عنده أَنْصَتُوا له حتى يَفْرُغَ ، حديثهم حديثٌ أولهم^(٩) ،
 يضحك مما يضحكون منه ، ويتمعَّبُ مما يتعجبون^(١٠) منه ، ويصبرُ للغريب على

(١) اللفظ : السبء الخلق . والغليظ : الشديد التوعد .

(٢) ولاسخاب - بالسين والصاد : لا يرفع صوته جدا في خصومة ونحوها .

(٣) ولا فحاش : لا يتكلم بقبیح كالشتم . ولا عياب : ولا يذكر عيوب الناس
 وقائصهم . ولا مداح : أى لا يكثر المدح لغيره ويطريه بمبالغة .

(٤) ولا يؤس منه : يعنى إذا سئل عما لا يليق تنافل عنه ولم يرد السائل حتى يئأس ،
 أو يبين له أنه سأل ما لا يليق فيخجل سائله . وهذا الضبط فى ١ . وفى ب : يؤس - وضبطت
 الهمزة بالفتحة والكسرة ، وكتب فوقها « معا » . وقال فى هامشه : فى نسخة يؤس -
 مبنى لما لم يسم فاعله . والصحيح ما فى الأصل .

(٥) ترك نفسه : نزها ، وأبعدها ، ومنمها . والرياء : إظهار ما فيه من الصفات الحميدة
 والأفعال الجميلة للناس حتى يحمدها ويشيع ذلك عنه .

(٦) لا يطلب عورته : لا يتجسس عن معايب الناس ويبحث عنها .

(٧) كأنما على رؤوسهم الطير : بسكون ووقار من غير طيش ولا خفة .

(٨) لا يتنازعون عنده الحديث : إذا كانوا فى مجلسه لا يديرون الحديث بينهم ، فيحدث

بعضهم بمضا كما هو جار بين الناس إذا اجتمعوا فى ناد .

(٩) حديثهم حديث أولهم : أى حديث كل واحد منهم إنما هو حديث من قبله ، يعنى

أنه لا حديث له معه يقطعه . وفى ب : حديث أوليتهم . وفى هامشه : أولهم .

(١٠) فى ب : يعجب مما يعجبون .

الجَفْوَة^(١) في المنطق ، ويقول : إذا رأيتمُ صاحبَ الحُجَّةِ يطلبها فأرْفِدُوهُ^(٢) ، ولا يطلب الثناء إلا من مُكافئ ، ولا يقطعُ على أحد حديثه حتى يتجوزَه فيقطعهُ بانتهاء أو قيام .

هنا انتهى حديثُ سفيان بن وكيع .

وزاد الآخر^(٣) : قلتُ : كيف كان سكوتُه صلى الله عليه وسلم ؟

قال : كان سكوته على أربع : على الحِلْمِ ، والحَذَرِ ، والتقدير ، والتفكير . فأما تقديرُه ففي تسوية النظرِ والاستماعِ بين الناس^(٤) ، وأما تفكيرُه ففيه بَيِّنٌ وَبَيِّنَى .

وُجِّعَ له الحِلْمُ صلى الله عليه وسلم في الصبر ، فكان لا يُفَضِّيه شيء يستفزُه^(٥) . وُجِّعَ له في الحَذَرِ أربعٌ : أخذُه بالحسَنِ^(٦) لِيُقْتَدَى به ، وترَكُه القَبِيحَ لِيُنْتَهَى عنه ، واجتهادُ الرأى^(٧) بما أصلح أُمَّته ، والقيامُ^(٨) لهم بما جمع لهم أمرَ الدنيا والآخرة . انتهى الوصف بحمْدِ اللهِ وَعَوْنِهِ .

(١) الجفوة : النالطة والتكلم بما لا يليق ، أو بما يؤلم .

(٢) أرفدوه : أعينوه وأعطوه . وفي ١ : فإرفدوه - بهمزة وصل .

(٣) الآخر : صاحب الرواية الأخرى التي هي من رواية أبي علي الحافظ ابن سكرة .

(٤) تسوية النظر بين الناس : جعلهم متساوين في النظر إليهم ، والاستماع إلى حديثهم ؛

وفي ب : من الناس .

(٥) يَستَفِزُه : يستغفه ، بحيث يبدو منه خفة وقلق لأمر الدنيا .

(٦) أخذُه بالحسن : تمسكه بكل أمر مستحسن مشروع .

(٧) واجتهادُ الرأى : أى اجتهاده فيما يراه رأياً يصلح أُمَّته .

(٨) والقيام لهم : القيام : التمسك والالتزام والاجتهاد وبذل ما في وسعه وطاقته من أجل

إصلاحهم . ولا خلاف في أنه صلى الله عليه وسلم كان يجتهد في أمور الدنيا ويرجع إلى رأى

غيره في ذلك .

فصل

في تفسير غريب هذا الحديث ومشكله

قوله : المُشَدَّب ، أى البائن^(١) الطُّول في نحافة ، وهو مثلُ قوله في الحديث الآخر : ليس بالطويل المَمَّغِط^(٢) .

والشَّعْر الرَّجِل : الذى كأنه مُشِط فتكسَّر قليلا ؛ ليس بسَبِطٍ ولا جَعْد^(٣) .
والعَقِيْمَة : شعْر الرّأس^(٤) ، أراد إن انفردت من ذاتِ نفسها^(٥) فرَقَّها ،
وإلَّا تركها معقوصة^(٦) . ويرُوى : عَقِيصَتَه^(٧) .
وأزهر اللّون : نَيَّرَه . وقيل : أزهر : حَسَن . ومنه زَهْرَة الحياةِ الدنيا ، أى زينتُها .

وهذا كما قال في الحديث الآخر^(٨) : ليس بالأبيض الأَمْهَق ، ولا بالآدَم .
والأَمْهَق : هو الناصع البياض . والآدَم : الأَسْمَر اللّون .

-
- (١) البائن : الظاهر . وفي هامش ا : لم يكن بالطويل المنغط ؛ أى لم يكن بالبائن الطول . قال أبو زيد : يقال : امنط النهار ؛ أى امتد ، ومنطت الجبل فأمنط وامنط . وقال أبو تراب في كتاب الاعتقاب : منط وممط - بالنين والعين (من الفريبيين - للهروى) .
- (٢) المنغط : القدى ليس بفائق الطول .
- (٣) السبط : المرسل . والجعد : الذى فيه التواء وتقبض . وهو ضد المسترسل . وفي ب ضبطت الباء في « سبط » بالسكون والكسرة ، وعليها « معا » .
- (٤) أصله شعر المولود ، ثم أطلق على غيره . (٥) فى ب : من ذاتها .
- (٦) معقوصة : المقص : صفر الشعر على الرأس وليه ؛ أى إن لم تنفرق بنفسها والتفت واجتمعت تركها على حالها .
- (٧) أى بدل عقيقته ، وهى الشعر المعقوص ، أى الضفور .
- (٨) الحديث الآخر عن أنس ، فى صحيح مسلم : ١٨٢٤

ومثله في الحديث الآخر: أبيض مُشْرَب^(١)؛ أى فيه حُمْرَة .

والحاجِبُ الأَزَجُ : المقوَّس الطويل الوافِر الشعر .

والأَقْنَى : السائل الأنف ، المرتفع وَسَطُهُ .

والأَشْمُ^٢ : الطويل قَصَبَة الأنف .

والقرن : اتّصالُ شعر الحاجِبين^(٣) . وضده البَاج .

ووقع في حديث أمّ مَعْبِد وصفه بالقرن .

والأَدْعَجُ : الشديد سوادِ الخَدَقَة .

وفي الحديث الآخر^(٤) : [٥٢] أَشْكَلَ العَيْنِ ، وَأَسْجَرَ العَيْنِ^(٤) ، وهو الذى

في بياضها حُمْرَة .

والضَلِيعُ : الواسِع .

والشَنْبُ : رَوْنَقُ الأسنان ، وماؤها^(٥) .

وقيل : رِقَّتْهَا وتَحْزِزُ^(٦) فيها ، كما يُوجَدُ في أسنانِ الشبابِ .

والفَلَجُ : فَرَقٌ بين الثنايا .

ودَقِيقُ المَسْرُوبَةِ : خيط الشعر الذى بين الصَدْرِ والسُرَّةِ .

(١) مشرب : الإشراب : خلط لون بلون ، وأكثر ما يقال في الحمرَة .

(٢) قال في نسيم الرياض (٢ - ٢٠٨) : المشهور خلافه ، ويؤيده أن العرب تكبرهه .

وقال القارى (١ - ٣٥٣) : وقد جمع بينهما بأن أم معبد رآته من بعد ، فظنت أنه قرن ، لقرب طرفيهما التقاء ، فوصفته بالقرن ؛ وعلى كرم الله وجهه حققها من قرب ، فرآهما كادا يلتقيان فوصفه بالباج .

(٣) صحيح مسلم : ١٨٢٠

(٤) في هامش ١ : عين سجراء - بالجيم : إذا كانت في بياضها حمرة . وفي صحيح مسلم

(١٨٢٠) قال : قلت : ما أشكل العين ؟ قال : طويل شق العين . قال شارحه : هذا وهم

من سماك باتفاق وغلط ظاهر ، وصوابه - كما قال القاضى - أن الشكلة حمرة في بياض العين ،

وهو محمود . (٥) ماؤها : صفاؤها . (٦) أو المراد بتحزيزها كون أطرافها دقيقة .

بَادِن : ذُو لَحْمٍ مُتَمَاسِكٍ ، مَعْتَدِلٌ اَلْخَلْقِ ، يَمْسِكُ بَعْضُهُ بَعْضًا ، مِثْلُ قَوْلِهِ فِي الْحَدِيثِ الْآخِرِ : لَمْ يَكُنْ بِالْمُطَهَّمِ ، وَلَا بِالْمُكَلَّمِ ؛ أَي لَيْسَ بِمُسْتَرْخِي اللَّحْمِ ^(١) .
وَالْمُسَكَّلَمَ : الْقَصِيرَ الذَّقَنَ .

وَسَوَاءَ الْبَطْنِ وَالصَّدْرِ ؛ أَي مُسْتَوِيَهُمَا .

وَمُشِيحُ الصَّدْرِ ؛ إِنْ صَحَّتْ هَذِهِ اللَّفْظَةُ فَتَكُونُ مِنَ الْإِقْبَالِ ، وَهُوَ أَحْدَمَعَانِي ^(٢) « أَشَاح » ؛ أَي إِنَّهُ كَانَ بَادِي الصَّدْرِ ، وَلَمْ يَكُنْ فِي صَدْرِهِ قَعَسٌ ، وَهُوَ تَطَامُنٌ فِيهِ ^(٣) ، وَبِهِ يَتَضَحُّ ^(٤) قَوْلُهُ قَبْلَ : سَوَاءَ الْبَطْنِ وَالصَّدْرِ ؛ أَي لَيْسَ بِمُتَقَاعَسِ الصَّدْرِ ، وَلَا مُفَاضِ الْبَطْنِ ^(٥) .

وَلَعَلَّ اللَّفْظَةَ ^(٦) : مَسِيحٌ - بِالسِّينِ ، وَفَتْحِ الْمِيمِ ، بِمَعْنَى عَرِيضٍ ، كَمَا وَقَعَ فِي الرَّوَايَةِ الْآخَرَى . وَحِكَاةُ ابْنِ دُرَيْدٍ .

وَالْمَشَّاشُ رِءُوسُ الْعِظَامِ ، وَهُوَ مِثْلُ قَوْلِهِ فِي الْحَدِيثِ الْآخِرِ : جَلِيلٌ ^(٧) الْمَشَّاشُ وَالْمَكْتَدُ ^(٨) .

وَالْمَشَّاشُ : رِءُوسُ الْمَنَاقِبِ . وَالْمَكْتَدُ : مَجْتَمَعُ الْكُتِفَيْنِ .

وَشَتْنُ الْكَفَّيْنِ وَالْقَدَمَيْنِ : لَحِيمُهُمَا .

وَأَنَّ نَدَّانَ : عَظْمَا الذَّرَاعَيْنِ ^(٩) .

(١) المطهَّم : فاحش النسمن منتفخ الوجه .

(٢) ومن هذه المعاني أعرض .

(٣) فيه ؛ أي في الصدر . والتطامن : الانخفاض .

(٤) في ب : وبه يصح . وفي هامشه : وبه يتضح .

(٥) مفاض البطن : ضخم البطن . (٦) في ب : اللفظ . والمثبت في أ .

(٧) جليل : عظيم . والمشاش : رؤوس العظام ، كالمرفقين والكتفين والركبتين .

(٨) ضبطت التاء في كلمة « المكند » بالفتح والكسر ، وعليها « معا » في ب .

(٩) في ب : عظم الذراع . وفي هامشه : الذراعين .

وسائل الأطراف ؛ أى طويل الأصابع .

وذكر ابنُ الأنباري أنه روى سائل الأطراف ؛ وقال : سائن - بالنون ؛ [قال] (١) : وهما بمعنى ، تُبدل اللام من النون ، إن صحت الروايةُ بها (٢) .

وأما على الرواية الأخرى : وسائر الأطراف - فإشارة إلى نفاة جوارحه ، كما وقعت مُفصَّلةً في الحديث .

ورخب الراحة ؛ أى واسمها . وقيل : كنى به (٣) عن سمة العطاء والجود .
وخصان (٤) الأخصين : أى مُتجافِي أخص القدم ؛ وهو الموضعُ الذى لانناهُ الأرضُ من وسط القدم .

مسيح القدمين : أى أمسهما ، ولهذا قال : يَنْبُو عنهما الماء .
وفي حديث أبي هريرة خلافُ هذا ؛ قال فيه : إذا وطئَ بقدمه وطئَ بكُلِّها ، ليس له أخص (٥) .

وهذا يوافقُ معنى قوله : مَسِيحُ القدمين ، وبه قالوا : سُمِّيَ المسيحُ [عيسى] (٦)
ابن مريم ، أى [إنه] (٦) لم يكن له أخص .
وقيل مَسِيحٌ : لالحم عليهما .

(١) ليس فى ب . (٢) فى ب : بهما .

(٣) فى ب : كناية . وأثبت فى هامشه الرواية هنا : كنى به .

(٤) ضبطت الحاء فى ب بالفتحة ، وعليها علامة صح . والضبط للثبت فى ا ، والنهاية لابن

الأثير ، وشرح القارى ، والقاموس . وقال الخفاجى (٢ - ١٩٠) : بضم الحاء وفتحها .

(٥) قال القارى (١ - ٣٥٦) : ويمكن الجمع بينهما بأن مراد أبى هريرة أنه وطئ بكُلِّها

لايمضها كما يفعله بعض أرباب الخيلاء ؛ وأن قوله : ليس له أخص محمول على نفي البالغة . أو

أنه مدرج من الراوى بحسب ما فهمه من الحديث ؛ وهذا الجمع أولى مما اختاره المصنف حيث

قال : وهذا . . . (٦) من ب .

وهذا أيضا يخالفُ قوله : شَتْنُ الْقَدَمَيْنِ ^(١) .
والتقلع : [هو] ^(٢) رَفَعِ الرَّجْلِ بِقُوَّةٍ .
والتَّكْفُوفُ : الميلُ إِلَى سَنَنِ الْمَشْيِ ، وَقَصْدِهِ .
والمُهُونُ : ارْتَفَقَ وَالْوَقَارُ .

وَالذَّرِيعُ : الواسعُ الخَطْوُ ؛ أَي إِنْ مَشِيَهُ كَانَ يَرْفَعُ فِيهِ رِجْلِيهِ بِسُرْعَةٍ ، وَيَمُدُّ خَطْوَهُ ، خِلافَ مِشْيَةِ الْمُخْتَالِ ، وَيَقْصِدُ سَمْتَهُ ؛ وَكُلُّ ذَلِكَ رِفْقٌ وَتَثْبُتٌ دُونَ عَجَلَةٍ ، كَمَا قَالَ : كَاتِمًا يَنْحَطُّ مِنْ صَبَبٍ ^(٣) .

وقوله : يَفْتَتِحُ الْكَلَامَ وَيَخْتَمُهُ بِأَشْدَاقِهِ : أَي لَسَعَةً فِيهِ . وَالْعَرَبُ تَمَادِحُ بِهَذَا وَتَذَمُّ بِصِفَرِ الْقَمِ .
وَأَشَاحُ : مَالٌ وَانْقِبَاضٌ .
وَحَبُّ الْغَمَامِ : الْبَرْدُ .

وقوله : فَيَرَدُّ ذَلِكَ بِالْخَاصَّةِ عَلَى الْعَامَّةِ ؛ أَي جَعَلَ مِنْ جُزْءٍ نَفْسَهُ مَا يُوَصَّلُ الْخَاصَّةَ إِلَيْهِ فَتَوَصَّلُ عَنْهُ لِلْعَامَّةِ .

وقيل : يَجْعَلُ مِنْهُ لِلْخَاصَّةِ ، ثُمَّ يُبَدِّلُهَا فِي جُزْءٍ آخَرَ بِالْعَامَّةِ .

وَيَدْخُلُونَ رُؤُودًا ؛ أَي مُحْتَاجِينَ إِلَيْهِ وَطَالِبِينَ لِمَا عِنْدَهُ .

وَلَا يَتَفَرَّقُونَ إِلَّا عَنْ ذَوَاقٍ : قِيلَ : عَنْ عِلْمٍ يَتَعَلَّمُونَهُ ؛ وَبُشْبِهِ أَنْ يَكُونَ عَلَى ظَاهِرِهِ ، أَي فِي الْغَالِبِ وَالْأَكْثَرِ .

وَالْعَتَادُ : الْعُدَّةُ ، وَالشَّيْءُ الْحَاضِرُ الْمُعَدَّةً .

وَالْوَازِرَةُ : الْمَعَاوَنَةُ .

(١) فِي نَسِيمِ الرِّيَاضِ (٢ - ٢١٠) : إِذَا فَسَّرَ بِلُحْمَيْهِمَا . وَأَمَّا إِذَا فَسَّرَ بِعَيْلِهَا إِلَى الْمَلْظِ

وَالْقَصْرِ ، أَوْ بِنَلْظِ الْأَصَابِعِ فَلَا . (٢) مِنْ ب .

(٣) صَبَبٌ : مَنحَدَرٌ .

وقوله : لا يُوطِنُ ^(١) الأماكن ؛ أى لا يتخذ لمُصَلَّاه موضعا معلوما .
 وقد [٥٣] وردَ نَهْيُهُ عن هذا مفسِّرا ^(٢) فى غير هذا الحديث .
 وصابَرَه : أى حبس نفسه على ما يريدُ صاحِبُه .
 ولا تُؤَبِّنُ فيه الحُرَمَ : أى لا يُذْكَرَنَّ ^(٣) فيه بسوء .
 ولا تُنثَى فَلَواتُه ؛ أى لا يُتحدَّثُ بها ؛ أى لم تكن فيه فَلَنتُه ، وإن كانت من
 أَحَدٍ سُرَّتْ .
 وَيُرْفِدُونَ ^(٤) : يُعِينُونَ .
 والسَخَّابُ : الكَثِيرُ الصِّيَاحُ .
 وقوله : ولا يَقْبَلُ ^(٥) الثناء إلا من مُكافئٍ . قيل مقتصد فى ثنائه ومدحه .
 وقيل : إلا من مسلم .
 وقيل : إلا من مُكافئٍ على يَدِ ^(٦) سبقت من النبى صلى الله عليه وسلم له .
 ويستغزُهُ : يستغفهُ .
 وفى حديث آخر فى وصفِه ^(٧) : منهوس العقب ؛ أى قليل لَحْمِها .
 وأهدب الأشفار ^(٨) ؛ أى طویل شعرها ^(٩) .

-
- (١) هذا الضبط فى ١ ، ب . وفى القارى (١ - ٣٥٨) : بتشديد الطاء وتخفيفها .
 (٢) مفسرا : مصرحاً به ومبيناً .
 (٣) فى ١ بالثاء ، وفى ب بالياء .
 (٤) يعينون ذا الحاجة . وقد ضبطت الياء فى ١ بالفتحة ، وفى ب بالضمه .
 (٥) فى هامش ب : ولا يطاب . (٦) اليد - هنا : النعمة .
 (٧) فى صحيح مسلم : ١٨٢٠ .
 (٨) الأشفار : حروف الأجنان التى ينبت عليها الشعر المسمى بالهدب .
 (٩) هنا فى ب : انتهى التفسير . والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطيبين ،
 وسلم تسليماً كثيراً دائماً أبداً .

البَابُ الثَّالِثُ

فما ورد من صحيح الأخبار ومشهورها بمعظم قَدْرِهِ عند ربه ^(١) ومنزلته، وما خصّه به في الدارين من كرامته صلى الله عليه وسلم لاخلاف أنه أكرمُ البشر، وسيدُّ وَاَدِ آدَمَ، وأفضلُ الناس ^(٢) منزلةً عند الله، وأعلام درَجَةٍ، وأقربهم زُلْفَى ^(٣) .
واعلم أن الأحاديثَ الواردة في ذلك كثيرةٌ جداً، وقد اقتصرنا منها على صحیحِها ومُنْتَشِرِها ^(٤) وحَصَرْنَا معاني ما ورد منها في اثني عشر فصلاً ^(٥) :

الفِصَلُ الْأَوَّلُ

فما ورد من ذِكْرِ مكانته عند ربه، والاصطفاء ^(٦)، ورفعة الذِّكْرِ، والتفضيل وسيادة وَاَدِ آدَمَ، وما خصّه به في الدنيا من مَزَايَا ^(٧) الرُّتَبِ وَبَرَكَاتِهِ اسْمِهِ الطَّيِّبِ :
أخبرنا الشيخ أبو محمد عبد الله بن أحمد المدلّ إذناً بلفظه ؛ قال : حدثنا أبو الحسن ^(٨) الفرغانى ، حدثنا أمُّ القاسم بنت أبي بكر بن يعقوب ، عن أبيها ، قال :
حدثنا حاتم - هو ابن عقيل ، عن يحيى - هو ابن إسماعيل ، عن يحيى الحماني ، قال :
حدثنا قيس ، عن الأعمش ، عن عباية بن ربيعٍ ، عن ابن عباس ؛ قال ^(٩) : قال رسولُ

(١) عليها في ب علامة « صح » . وفي هامشه : الله .

(٢) في هامش ب : وأفضل الخلق .

(٣) زلفى : قرى . (٤) منتشراها : مشهورها .

(٥) بمد هذا في ا : والحمد لله وحده .

(٦) والاصطفاء : أى اختياره صلى الله عليه وسلم على غيره وتقديمه .

(٧) مزايا : جمع مزية ، وهى الفضيلة التى تقدمه على غيره .

(٨) هذا في ب ، والقارى (١ - ٣٥٩) . وقال النصاب (٢ - ٢١٤) : أبو الحسين ،

ووقع في بعض النسخ : أبو الحسن . والأصح الأول . (٩) دلائل النبوة للبيهقى : ١ - ١١٣

الله صلى الله عليه وسلم : إن الله قسم الخلق قسمين ، فجعلني من خيرهم قسماً^(١) ؛
فذلك قوله^(٢) : ﴿أصحاب اليمين﴾ ، و﴿أصحاب الشمال﴾ ؛ فأنا من أصحاب اليمين ،
وأنا خير أصحاب اليمين .

ثم جعل القسمين أمثالنا ؛ فجعلني في خيرها مثمناً ، وذلك قوله تعالى^(٣) : ﴿أصحاب
اليمين﴾ . و﴿أصحاب المشأمة﴾ ، و﴿السابقون السابقون﴾^(٤) ، فأنا من السابقين ،
وأنا خير السابقين ، ثم جعل الأمثال قبائل ؛ فجعلني من خيرها قبيلة ، وذلك قوله^(٥) :
﴿وجعلناكم شعوباً﴾^(٦) وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴿ .
فأنا أتقى ولد آدم ، وأكرمهم على الله ولا فخر^(٧) .

ثم جعل القبائل بيوتاً ، فجعلني من خيرها بيتاً^(٨) ؛ فذلك قوله تعالى^(٩) :
﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس﴾^(١٠) أهل البيت ويطهركم تطهيراً ﴿ .
وعن أبي سلمة ، عن أبي هريرة^(١١) ، قال : قالوا : يا رسول الله ، متى وجبت^(١٢)
لك النبوة ؟ قال ؛ وآدم بين الروح والجسد .

وعن عائشة بن الأسقع قال^(١٣) : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله
اصطفى^(١٤) من ولد إبراهيم إسماعيل . واصطفى من ولد إسماعيل بن كنانة ، واصطفى

-
- (١) من خيرهم قسماً : أى من القسم الذى هو خير - يعنى أصحاب اليمين .
(٢) سورة الواقعة ، آية ٢٧ ، ٤١ (٣) سورة الواقعة ، آية ٨ ، ٩
(٤) سورة الواقعة ، آية ١٠ (٥) سورة الحجرات ، آية ١٣
(٦) شعوباً : جمع شعب ، وهو أكثر من القبيلة .
(٧) ولا فخر : أى لا أقول هذا تفاخراً ومباهاة .
(٨) فى ب : فجعلني خيرها . (٩) سورة الأحزاب ، آية ٣٣
(١٠) الرجس : النجس المستقذر ، والمراد الماصى . وأهل البيت : الأقرباء .
(١١) سنن الترمذى : ٥ - ٥٨٥ (١٢) وجبت لك النبوة : فى أى زمان ثبتت لك .
(١٣) سنن الترمذى : ٥ - ٥٨٣ ، ودلائل النبوة للبيهقى : ١ - ١٠٨
(١٤) اصطفى : اختار .

من بنى كِنَانَةَ قُرَيْشًا ، واصطفي من قُرَيْشِ بنى هاشم ، واصطفاني من بنى هاشم .
ومن حديث أَنَسٍ (١) : أَنَا أَكْرَمُ (٢) وَلِدِ آدَمَ عَلَى رَبِّي وَلَا فَخْرَ .
وفي حديث ابن عباس (٣) : أَنَا أَكْرَمُ الْأَوَّابِينَ وَالْآخِرِينَ وَلَا فَخْرَ .
وعن عائشة (٤) ، عنه عليه السلام . أَنَا نِي جِبْرِيْلَ ، فَقَالَ : قَلْبَتُ (٥) مُشَارِقَ
الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا فَلَمْ أَرَّ رَجُلًا أَفْضَلَ مِنْ مُحَمَّدٍ ، وَلَمْ أَرَّ بَنِيَّ أَبِ أَفْضَلَ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ .
وعن أَنَسٍ (٦) : أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنِي بِالْبُرَاقِ (٧) لَيْلَةَ أُسْرِي بِهِ ،
فَاسْتَصَمَبَ (٨) عَلَيْهِ ، فَقَالَ لَهُ جِبْرِيْلُ : بِمُحَمَّدٍ تَفْعَلُ [٥٤] هَذَا ؟ فَمَا رَكِبَكَ أَحَدٌ
أَكْرَمُ عَلَى اللَّهِ مِنْهُ ، فَارْفُضْ (٩) عِرْقًا .

وعن ابن (١٠) عباس ، عنه عليه السلام : لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ أَهْبَطَنِي فِي صُلْبِهِ إِلَى
الْأَرْضِ ، وَجَعَلَنِي فِي صُلْبِ نُوْحٍ فِي السَّفِيْنَةِ ، وَقَذَفَنِي فِي النَّارِ فِي صُلْبِ إِبْرَاهِيْمَ ،
ثُمَّ لَمْ يَزَلْ يَنْقُلْنِي فِي الْأَصْلَابِ السَّكْرِيْمَةِ إِلَى الْأَرْحَامِ الطَّاهِرَةِ حَتَّى أَخْرَجَنِي بَيْنَ أَيْدِي
لَمْ يَلْتَمِيئًا عَلَى سِفَاحِ (١١) قَطُ .

(١) سنن الترمذى : ٥ - ٥٨٥

(٢) أكرم ولد آدم : أعزهم وشرفهم . (٣) سنن الترمذى : ٥ - ٥٨٨

(٤) رواه الطبراني ، وأبو نعيم ، والبيهقي في الدلائل مسندا (دلائل النبوة للبيهقي : ١ - ١٢١) .

(٥) قلبت : فتشت . وقد ضبطت اللام مشددة في ب ، وبالفتح في ا .

(٦) قد تقدم .

(٧) البراق - كما سبق : على شكل دابة فوق الحمار ودون البغل ؛ سمي به لسرعته كالبرق

الخاطف .

(٨) استصمب عليه : لم ينقد له وامتنع منه .

(٩) ارفض عرقا : سال عرقه .

(١٠) رواه ابن الجوزى فى الوفا ، وأبو نعيم فى الدلائل (١ - ٦٦) ، وقال السيوطى :

رواه ابن عمرو المعدنى فى مسنده . (نسيم الرياض : ٢ - ٢١٩) .

(١١) على سفاح : المراد بالسفاح نكاح بغير عقد (دلائل النبوة لأبي نعيم : ٦٥) .

وإلى هذا أشار العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه بقوله^(١) :

مِنْ قَبْلِهَا طُبَّتَ فِي الظَّلَالِ وَفِي مَسْتَوْدَعٍ حَيْثُ يَخْصَفُ الْوَرَقُ^(٢)
 ثُمَّ هَبِطَتْ الْبِلَادَ لَا بَشَرَ أَنْتَ وَلَا مُضَغَةً وَلَا عَلَقُ^(٣)
 بِلَ نُطْفَةٍ تَرَكِبُ السَّفِينِ وَقَدْ أَلْجَمَ نَسْرًا وَأَهْلَهُ الْفَرَقُ^(٤)
 تُنْقَلُ مِنْ صَالِبٍ إِلَى رَحِمٍ إِذَا مَضَى عَالَمٌ بَدَأَ طَبِقُ^(٥)

(١) هذا الشعر رواه الطبراني . وقد أنشد العباس هذا الشعر حين رجع النبي من غزوة تبوك . وهو في الاستيعاب : ٤٤٧

(٢) من قبلها : من قبل هذه النشأة . طبت : تظهرت من الأدناس البشرية لطيب عنصرك . والظلال : جمع ظل : يعنى فى ظلال الجنة فى صلب آدم قبل أن يهبط إلى الأرض . والمستودع : المحل الذى كان فيه آدم من الجنة . أو المراد به الرحم . وخصف الورق : إلصاق بعضه ببعض . والورق ورق الجنة الذى كان يستتر به آدم .

(٣) هبطت البلاد : هبطت ونزلت فى صلب آدم من الجنة إلى الدنيا . لا بشر : أى لم تسكن جسدا كأجساد البشر . والمضغة : قطعة لحم غير مخلقة . والعلق : جمع عاققة ؛ وهى دم متجمد .

(٤) النطفة : الماء الصافى ، والمنى فى الأصلاب . والسفين : جمع سفينة ، وهى المركب . وألجم : وصل إلى النعم ، وعلا محلا يوضع فيه لجام الفرس . والنسر : الطائر المعروف ، سمي به ضم كان يعبده قوم نوح . والمراد بالفرق : الماء المفقود . وفى الاستيعاب : وأهلها . والمثبت فى اللسان أيضا - نسر . وقال : قال ابن الأثير : يريد الضم الذى كان يعبده قوم نوح .

(٥) صالب : صاب ؛ أى فمات الظهر . والرحم : مقر الولد من المرأة . العالم : المراد به هنا : قرن من القرون . بدا : ظهر ووجد . وطبق : بمعنى قرن أيضا ؛ أى لا تزال تظهر فى عالم بعد عالم .

وفى نسيم الرياض : ويروى هنا بيت هو :

وردت نار الحليل مكتنفا تجول فيها ولست تحترق
 مكتنفا : محفوظا فى كنف ؛ أى تحيط بك نارها ؛ ولست تحترق .

في بعض للنسخ أبيات أخر ، وهي قوله ^(١) :

حتى احتوى بيتك المهيم من خندف علياء تحتها النطق ^(٢)
 وأنت تماوؤلدت أشرفت الـ أرض وضاعت بنورك الأفق
 فنحن في ذلك الضياء وفي الذـ ور وسبل الرشاد نخترق ^(٣)
 يبرد نار الخليل بأسبباً لعصمة النار وهي تحترق ^(٤)
 [النطق : أوسط الجبال العالية ^(٥)] .

وروى ^(٦) عنه صلى الله عليه وسلم ، أبو ذر ، وابن عمر ، وابن عباس ، وأبو
 هريرة ، وجابر بن عبد الله - أنه قال : أعطيت خمسا ، وفي بعضها ^(٧) ستا لم يعظهن
 نبي قبلي : نصرت بالرعب مسيرة شهر ^(٨) ، وجئت لي الأرض مسجدا وطهورا ،

(١) في ب : تمام الأبيات من غير الرواية . وذكر الأبيات الثلاثة الأولى وحدها في
 الهامش . وفي هامشه : ذكر ابن عبد البر هذه الأبيات ، وزاد عليها ثلاثة الأبيات . وفي
 الاستيعاب ذكرت الأبيات الثلاثة الأولى وحدها .

(٢) احتوى : حاز . والبيت بمعنى الشرف والنسب . والمهيم : الشاهد على فضلك ، أو
 الأمين . وخندف : يريد القبيلة . والنطق : جمع نطق ، وهو ما يشد في الوسط كالنطقة ،
 استعارته العرب لجبال واسعة ؛ أي إن شرفك وعلو نسبك وأصلك من خندف اشتمل على
 عليا دونها الجبال الشاهقة . أو المراد أنه أعلى قومه ، وهم دونه كالنطاق له .

(٣) تحترق : تقطعها ونجاوزها .

(٤) هذا البيت ليس في ١ ، ولا في الاستيعاب كما تقدم . وفي شرح القارى : وزاد بعضهم
 بيتا آخر وجد بخط أبي علي النسائي ، وهو : يبرد نار . . .

(٥) من ١ . (٦) صحيح مسلم : ٣٧٠

(٧) أى في بعض طرق هذا الحديث المعلومة من تعدد روايتها . والحديث في صحيح

مسلم : ٣٧١

(٨) أى نصرني الله تعالى على أعداء الدين الكفرة بشدة الخوف الذى ألقاه الله في

قلوبهم ، فإذا سمع بي من بيني وبينه مسيرة شهر ارتعد وخاف من غزوى له .

وأَيْمًا^(١) رجلٍ من أمتي أدركته الصلاةُ فليصل^(٢)، وأَحِلَّتْ لِي الْغَنَائِمُ^(٣)،
وَلَمْ تُحَلَّ لِنَبِيِّ قَبْلِي، وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً، وَأَعْطِيتِ الشَّفَاعَةَ.
وفي رواية - بدل هذه الكلمة^(٤) : وقيل لي : سَلَّ تُعَطَّه .
وفي رواية أخرى : وَعَرِضَ عَلَيَّ أُمَّتِي فَلَمْ يَخْفَ عَلَيَّ التَّابِعُ مِنَ الْمُتَّبِعِ^(٥) .
وفي رواية^(٦) : بُعِثْتُ إِلَى الْأَحْمَرِ وَالْأَسْوَدِ . قيل : السُّود : الْعَرَبُ ؛ لِأَنَّ الْغَالِبَ
عَلَى أَلْوَانِهِمُ الْأُذْمَةُ^(٧) ؛ فَهَمَّ مِنَ السُّودِ . وَالْحُمْرُ : الْعَجَمُ .
وقيل : الْبَيْضُ وَالسُّودُ مِنَ الْأُمَّمِ .
وقيل : الْحُمْرُ : الْإِنْسُ . وَالسُّودُ : الْجَنَّةُ .
وفي الحديث الآخر^(٨) - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ : نُهِرْتُ بِالرَّعْبِ ، وَأُتِيتُ جَوَامِعَ
السُّكْمِ^(٩) ، وَبَيْنَمَا أَنَا نَائِمٌ إِذْ جِيءَ بِمِفَاتِيحِ خَزَائِنِ الْأَرْضِ^(١٠) فَوُضِعَتْ فِي يَدِي^(١١) .

(١) هذا في ا ، ب . وفي هامش ب : فأبما . وفي صحيح مسلم : فأبما رجل .

(٢) قال القرطبي : هذا مما خص الله به نبيه صلى الله عليه وسلم ، وكانت الأنبياء قبله إنما
أبيحت لهم الصلاة في مواضع مخصوصة كالبيع والكنايس . وقال في نسيم الرياض (٢-٢٢٢) :
الخاص بهذه الأمة مجموع الأمرين لا كل واحد منهما ؛ لأن الأنبياء السالفة وأممهم كانت لهم
صلاة مفروضة ، وكانوا يسافرون ، فلولم تجز لهم الصلاة إلا في مساجدهم لزمهم إما ترك الصلاة ،
أو عدم صحتها ، وهو مخالف للظاهر ، فالخاص بهذه الأمة مجموع الأمرين لا كل واحد منهما .

(٣) الغنائم : جمع غنيمة : ما يؤخذ من الكفار بقتال ونحوه .

(٤) أراد بالكلمة قوله : وأعطيت الشفاعة .

(٥) التابع من المتبوع : أي الشريف من الوضيع .

(٦) صحيح مسلم : ٣٧١ (٧) الأذمة : السمرة . (٨) صحيح مسلم : ٣٧٢

(٩) جوامع السكْم : جوامع : جمع جامعة ؛ لجمعها الحكيم والمنافع في لفظ قليل . وقال

الهروي : يعني به القرآن .

(١٠) المراد ما في الأرض من الكنوز والأموال .

(١١) في صحيح مسلم : بين يدي . وفي رواية أخرى له : في يدي - كما هنا .

وفي رواية^(١) - عنه : وَخُتِمَ^(٢) بِي النَّبِيِّينَ .

وعن عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ أَنَّهُ قَالَ : قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : إِنِّي فَرَطُ^(٣) لَكُمْ ، وَأَنَا شَهِيدٌ عَلَيْكُمْ . وَإِنِّي وَاللَّهِ لَأَنْظُرُ إِلَى حَوْضِي الْآنَ^(٤) ، وَإِنِّي قَدْ أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِ الْأَرْضِ . وَإِنِّي - وَاللَّهِ - مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تُشْرِكُوا بَعْدِي^(٥) ، وَلَكِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنَافَسُوا فِيهَا^(٦) .

وعن^(٧) عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : أَنَا مُحَمَّدُ النَّبِيُّ الْأُمِّيُّ^(٨) ، لَا نَبِيَّ بَعْدِي ، أُوتِيتُ جَوَامِيعَ الْكَلِمِ وَخَوَاتِمَهُ ، وَعَلِمْتُ خَزَنَةَ^(٩) النَّارِ وَحَمَلَةَ الْعَرْشِ .

(١) في صحيح مسلم أيضا : ٣٧١

- (٢) في ب : وختم - بالبناء للمعلوم ، وبالبناء للمجهول ، وكتب عليها « معا » .
- (٣) فرط : الفراط ، والفارط : الذي يتقدم القوم ليهي لهم في منازل أسفارهم الماء والكلاء ونحوه مما يحتاجون إليه . والحديث في صحيح البخارى : ٤ - ٢٤٠ ، وفيه : إني فرطكم .
- (٤) لأنظر إلى حوضي الآن : أى أشاهده الآن .
- (٥) بعدى : بمد موتى ؛ لأن من ذاق حلاوة الإيمان لا يرجع عنه .
- (٦) فيها : أى فى الدنيا ؛ أى أخاف عليكم من رغبتكم فى تفاس الدنيا وانهما كم فى تحصيلها حتى يؤدى بكم ذلك إلى الهلاك وارتكاب ما يلهيكم عن الله تعالى .
- (٧) قال السيوطى : رواه الإمام أحمد بسند حسن (مسند أحمد : ٢ - ١٧٢ ، ٢١٢ ، وغيرها) .
- (٨) هو الذى لا يقرأ ولا يكتب ، نسبة لأمه ؛ كأنه على حاله يوم ولدته أمه ؛ أو إلى أم القرى ؛ لأن الكتابة كانت عزيزة فى أهلها ، أو إلى أمة العرب . قال فى نسيم الرياض (٢ - ٢٢٧) : وهذه الصفة فى حقه صلى الله عليه وسلم من أجل النعم عليه ، وأعظمها ؛ إذ أعطاه علم الأولين والآخرين وحفظ هذا الكتاب الذى لم يعادله كتاب ، وهو لا يقرأ ولا يكتب ؛ ولم يدارس ، ولم يلاق أحدا له شغل بذلك .
- (٩) خزنة النار : الملائكة الموكلون بها . وضبط كلمة « علمت » بالتخفيف فى ١ : وفى هامش ب : قال الحافظ للزى رحمه الله : يجوز « علمت خزنة النار » مخففا ، ولكن التضمين أحسن ، كلفظ القرآن فى قوله تعالى : « وعلمك ما لم تكن تعلم » .

وعن ابن عمر : بُعِثُ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ^(١) .

ومن رواية ابن وهب^(٢) - أنه عليه السلام قال : قال الله تعالى : سَلِّ يَا مُحَمَّدُ .
فَقُلْتُ : مَا أَسْأَلُ يَارَبُّ ؟ أَخَذَتْ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا^(٣) ، وَكَلَّمَتْ مُوسَى تَكَلِيمًا ، وَأَصْطَفَيْتَ
نُوحًا ، وَأَعْطَيْتَ سُلَيْمَانَ مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ^(٤) ، فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى :
مَا أَعْطَيْتُكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ ؛ أَعْطَيْتُكَ الْكُوْثَرَ^(٥) ، وَجَعَلْتُ اسْمَكَ مَعَ اسْمِي^(٦) ،
يُنَادِي بِهِ فِي جَوْفِ السَّمَاءِ^(٧) ، وَجَعَلْتُ الْأَرْضَ طَهْرًا لَكَ وَلَأُمَّتَكَ ، وَغَفَرْتُ لَكَ
مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ؛ فَأَنْتَ تَمْشِي فِي النَّاسِ مَغْفُورًا لَكَ ، وَلَمْ أَصْنَعْ ذَلِكَ
لِأَحَدٍ قَبْلَكَ ، وَجَعَلْتُ قُلُوبَ أُمَّتِكَ مَصَاحِفَهَا^(٨) ، وَخَبَأْتُ لَكَ شَفَاعَتَكَ ، وَلَمْ أَخْبَأْهَا
لِنَبِيٍّ غَيْرِكَ .

وفي حديث آخر رواه حُدَيْفَةُ^(٩) . بَشَّرَنِي - يَعْنِي رَبَّهُ : أَوَّلَ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ

(١) قال السيوطي : رواه أحمد بسند حسن . والمراد بكونه صلى الله عليه وسلم بين يدي الساعة أنه قدامها وقريب من وقوعها .

(٢) هذا بعض من حديث الإسراء الطويل الذي رواه البيهقي في الدلائل وغيره عن أبي هريرة . وسيأتي بعد حديث الإسراء مفصلاً .

(٣) اتخذت إبراهيم خليلًا : اصطفيته وخصصته بالخلعة وكرامتها .

(٤) لا ينبغي لأحد من بعده : لا يتيسر لغيره من الرسل والمسالك ؛ لتسخير الجن والإنس والريح . . .

(٥) الكوثر : نهر في الجنة . وقيل هو القرآن ، وقيل النبوة ، وقيل غير ذلك .

(٦) وجعلت اسمك مع اسمي : مقرونا باسم الله في التشهد والأذان . وكلمة الشهادة وغير ذلك .

(٧) نادى الملائكة به في السماء .
(٨) أى مننت عليك بأن جعلت في أمتك حفظة لم يكن في غيرهم من الأمم السالفة ، حتى إن حفظة القرآن والحديث من هذه الأمة لا يحصون في كل عصر . والمراد أنه جعل قلوبهم كالمصاحف التي تحفظ القرآن .

(٩) قال الحفاجي : هذا الحديث رواه ابن عساکر في تاريخه . وارجع إلى ابن ماجه ١٤٣٣

ومعى من أمتى [٥٥] سبعون ألفاً ، مع كلِّ ألفٍ سبعون ألفاً ليس عليهم حساب ؛ وأعطاني ألاَّ تجوع أمتى ولا تغلب ، وأعطاني النصر والعزة والرُّعبَ يسعَى بين يدي أمتى ^(١) شهراً ، وطيبَ لى ولأمتى المنغائم ^(٢) ، وأحلَّ لنا كثيراً مما شددَ على من قبلنا ، ولم يجعل علينا في الدين من حرج ^(٣) .

وعن أبي هريرة ^(٤) ، عنه عليه السلام : ما من نبيٍّ من الأنبياء إلا وقد أُعطيَ من الآيات ما مثله آمنَ عليه البشر ^(٥) ؛ وإنما كان الذي أُوتيتُ وحياً أوحى الله إليَّ ، فأرجو أن أكونَ أكثرهم تابعا يومَ القيامة ^(٦) .

معنى هذا عند المحققين بقاء معجزته ما بقيت الدنيا ، وسائر معجزات الأنبياء ذهبت للحين ^(٧) ، ولم يشاهدها إلا الحاضر لها ، ومعجزة القرآن يقفُ عليها قرنٌ بعد قرنٍ عياناً ^(٨) لا خبراً إلى القيامة .

وفيه ^(٩) كلامٌ يطولُ هذا نُخبته ^(١٠) . وقد بسطنا القولَ فيه ، وفيما ذُكرَ فيه سيوَى هذا آخرَ باب المعجزات .

(١) أى العدو الذى بينه وبينهم مسافة شهر يخافهم خوفا شديدا .

(٢) طيب لى : أحل لى ولأمتى . (٣) من حرج : من ضيق وشدة .

(٤) الحديث فى ابن ماجه : ١٤٣٨ ، وصحيح مسلم : ١٨٨

(٥) أى كل نبي جعل الله له معجزة أظهرها على يديه أطاعه بها الناس ، كمصاموسى ،

وإحياء الموتى لميسى .

(٦) وذلك لأن هذه المعجزة - وهى القرآن - لما كانت باقية إلى يوم القيامة ، وهى باهرة ظاهرة يؤمن بها كل من وقف عليها من الناس لزم أكثرية من آمن به واتبعه عليه السلام على من آمن بغيره من الرسل ، وصدق بمعجزته المخصوصة بعصره ، فإذا مات انقطع التحدى بمعجزته . (٧) ذهبت للحين : المراد ذهبت بذهابه ولم تبق بعده .

(٨) عيانا : مشاهدة ؛ أى يطلع عليها جميع القرون والناس الذين حدثوا بعد عصر

النبوة بخلاف غيرها .

(٩) وفيه : أى فى هذه الحديث ومعناه . (١٠) نخبته : مختاره وزبدته .

وعن علي رضي الله^(١) عنه : كل نبي أُعطي سبعة نجباء ، وأعطى نبيكم صلى الله عليه وسلم أربعة عشر نجيباً^(٢) ، منهم أبو بكر ، وعمر ، وابن مسعود ، وعمار . وقال صلى الله عليه وسلم^(٣) : إن الله قد حبس عن مكة الفيل^(٤) ، وسلط عليها رسوله والمؤمنين ؛ وإنها لا تجل^(٥) لأحدٍ بعدي ، وإنما أُحلت لي ساعة من نهار^(٦) .
وعن العريز بأضر^(٧) بن سارية : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إنني عبدُ الله وخاتم النبيين ؛ وإن آدمَ مُنجدِل^(٨) في طينته ، وعدةُ أبي إبراهيم^(٩) ، وإشارةُ عيسى ابن مريم^(١٠) .

(١) في حديث رواه ابن ماجه والترمذي وحسنه . (سنن الترمذي : ٥ - ٦٦٢) .

(٢) النجيب : الكريم الحبيب ، ويكون بمعنى الرفيق المعين في المهات والشدائد ؛ وهو المراد هنا . وفي هامش ب كمل عددهم - من الاستيعاب - فقال : وطى ، والحسن ، والحسين ، وسلمان ، وحمزة ، وأبو ذر ، وحذيفة ، والمقداد ، وجعفر ، وبلال .

ولفظ الترمذي : قلنا : من هم ؟ قال : أنا وابناي ، وجعفر ، وحمزة ، وأبو بكر ، وعمر ، ومصعب بن عمير ، وبلال ، وسلمان ، وعمار ، وابن مسعود .

ولم يذكر ابن عبد البر : مصعباً . وزاد تكملة لهم : حذيفة ، وأبا ذر ، والمقداد .
وارجع في ذلك أيضاً إلى شرح القاري (١ - ٣٧٠) إن أردت .

(٣) حديث رواه مسلم عن أبي شريح ؛ قاله يوم فتح مكة (صحيح مسلم : ٩٨٨) .
(٤) حبس : منع .

(٥) ضببطت كلمة « تحل » في ب بضم التاء - بالبناء للمجهول ، و « تحل » بفتح التاء وكسر الحاء وكتب عليها « معا » . والضبط الأخير في صحيح مسلم .

(٦) كان حل القتال للنبي في ساعة من نهار يوم الفتح .

(٧) قال الحفاجي : في حديث رواه أحمد ، والبيهقي ، والحاكم ، وقال : إنه صحيح الإسناد (مسند أحمد : ٤ - ١٢٧) . (٨) لمنجدل في طينته : أى مختلط في تربته ، أو ساقط فيها ، أو مطروح على الجدالة ، وهى الأرض الصلبة ، والمراد بطينته .

(٩) وعدة أبي إبراهيم ؛ أى وعده بمقتضى دعائه بقوله : ربنا وابتث فيهم رسولا منهم ...

(١٠) وبشارة عيسى ابن مريم : بمعنى في قوله تعالى - حكاية عنه : ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد .

وعن ابن عباس^(١) ، قال : إن الله فضل محمدا صلى الله عليه وسلم على أهل السماء ، وعلى الأنبياء صلوات الله عليهم ؛ قالوا : فما فضله على أهل السماء ؟ قال : إن الله تعالى قال لأهل السماء^(٢) : ﴿ وَمَنْ يَقُلْ^(٣) مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ، كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴾ .

وقال محمد صلى الله عليه وسلم^(٤) : ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا . لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ .

قالوا : فما فضله على الأنبياء ؟ قال : إن الله تعالى قال^(٥) : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ ﴾ .

وقال محمد^(٦) : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ ﴾ .

وعن خالد بن معدان أن تقرأ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا^(٧) : يا رسول الله ، أخبرنا عن نفسك .

وقد روى نحوه عن أبي ذرّ ، وشداد بن أوس ، وأنس بن مالك ، فقال : نعم ، أنا دعوة أبي إبراهيم - يعني قوله^(٨) : ﴿ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ ﴾ .

(١) قال الحفاجي والقارى : فى حديث رواه البيهقى ، والدارمى ، وابن أبى حاتم .

(٢) سورة الأنبياء ، آية ٢٩ (٣) منهم : من أهل السماء .

(٤) سورة الفتح ، آية ٢٤١ . ووجه الفضل أنه جملة مغفورا له غير مؤاخذ بما صدر منه .

أو وجه الفضل أنه هددهم على سبيل الفرض بمذاب جهنم ودخولها ولم يهدده بمثله ، وهذا يدل على علو رتبته فوق رتبهم .

(٥) سورة إبراهيم ، آية ٤

(٦) سورة سبأ ، آية ٢٨ ، وهذه الآية تدل على عموم رسالته ، والآية التى قبلها تدل على

تخصيص رسالة كل رسول بقومه .

(٧) قال الحفاجي : هذا الحديث روى من طرق ، كما أشار إليه المصنف .

(٨) سورة البقرة ، آية ١٢٩

وَبُشْرَى^(١) عيسى . ورأت أُمِّي حين حملت بي أنه خرج منها نورٌ أضَاءَ له قصور بُصْرَى من أرض الشام ، واسترُضِعتُ في بني سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ^(٢) ، فبينما أنا مع أخٍ لي خَلَفَ بيوتنا رَعَى بِهِمَا^(٣) لنا إذ جاءني رجلان عليهما ثيابٌ بيض .
وفي حديث آخر : ثلاثة رجال بطَّستِ من ذهب مملوءة^(٤) نُلجًا ، وأخذاني فشقَّا بطني .

قال في غير هذا الحديث : من تحرَّى إلى مَرَأَقِ بطني^(٥) ، ثم استخرجا منه قلبي ، فشقَّاه ، فاستخرجا منه علقَةً سَوْدَاءَ^(٦) فطرحاها ، ثم غَسَلَا قلبي وبطني بذلك النلج حتى أُنْقِيَاهُ^(٧) .

قال في حديث آخر : ثم تناول أحدهما شيئًا فإذا بخاتم في يده من نورٍ^(٨) يحارُّ الناظرُ دونه ، فحَمَّ به قلبي ، فامتلاً إيماناً وحِكْمَةً ، ثم أعاده مكانه ، وأمرَ الآخرُ يده على مَفْرَقِ صَدْرِي فالتأم^(٩) .

وفي رواية : إن جبريل قال : قَلْبٌ وَكَيْعٌ ؛ أي شديد ، فيه عينان تُبْصِرَانِ ، وأذنان سَمِيعَتَانِ ؛ ثم قال أحدهما [٥١] لصاحبه : زِنَهُ بعشرة من أمته ، فوزنني فرجعهم^(١٠) ، ثم قال : زِنَهُ بمائة من أمته ، فوزنني بهم فوزننهم ؛ ثم قال : زِنَهُ

(١) في هامش ب : خ : وبشري . (٢) أرضته حليلة السعدية .

(٣) بهما : جمع بهمة : اسم لأولاد الضأن .

(٤) هي بالناء في ا ، ب . قال القاري (١ - ٣٧٣) : لعل التاء للمبالغة أو باعتبار كونه آنية .

(٥) النحر : أعلى الصدر . ومراق البطن : مارق ولان من البطن . وفي هامش ا :

المراق - بتشديد القاف : أسفل البطن وما حوله حين استرق الجلد .

(٦) العلقة : دم متجمد كالعلقة المروفة في دود الماء . (٧) أنقياه : جملاه تقيًا نظيفًا .

(٨) من نور : يتلأ ويضيء إضاءة زائدة ، حتى كأنه مجسم من نور .

(٩) مفروق صدرى : محل الشق والافتراق الذي كان منه . التأم : انضم واجتمع حتى

لم يبق فرجة من الشق . وانظر في ذلك أيضا دلائل النبوة لأبي نعيم : ١ - ٢٠٢ .

(١٠) رجعتهم : الرجحان : زيادة ما في الكفتين وثقله ، فينزل الراجح ويملو مقابله .

والمراد بأمته : من اتبعه وآمن به .

بألفٍ من أمته ، فوزنتني بهم فوزنتهم ؛ ثم قال : دَعَهُ عَنْكَ ، فلو وزنته بأمته لوزنها (١) .

قال في الحديث الآخر : ثم ضموني (٢) إلى صدورهم ، وقَبَلُوا رَأْسِي ، وما بين عيني ، ثم قالوا : يا حبيب ، لم تُرْعَ (٣) ، إنك لو تدرى ما يُراد بك من الخير لقرت عيناك (٤) . وفي بقية هذا الحديث من قولهم (٥) : ما أكرمك على الله ! إن الله معك وملائكته .

قال في حديث أبي ذرٍّ : فما هو إلا أن ولياً عنى (٦) ، فكأنما أرى الأمر مُمَايِنَةً (٧) .

وحكى أبو محمد مَكِّي ، وأبو الليث السمرقندي وغيرهما - أن آدمَ عند مَعْصِيَتِهِ قال : اللهم بحقِّ محمدٍ اغفر لي خطيئتي .

ويُرْوَى (٨) : تقبلُ توبتي . فقال له اللهُ : من أين عرفتَ محمداً؟ فقال : رأيتُ في كل موضع من الجنة مكتوباً : لا إله إلا اللهُ ، محمد رسول اللهُ . ويُرْوَى : محمد عبدي ورسولي ؛ فقلتُ أنه أكرمُ خَلْقِكَ عليكَ ، فتاب اللهُ عليه ، وغفر له .

(١) لوزنها : لرجحها وغلبها في الوزن .

(٢) ضموني إلى صدورهم : عانقوني إظهاراً للمحبتهم وتسكريمهم لي .

(٣) لم ترع : لم تخف وتفرع . أى إنه حصل لك من قوة القلب ما لا يمتريك بعده خوف من شيء . والمراد تطمين قلبه بمد ما وقع من الشق له . وفي هامش ب : لن ترع .

(٤) لقرت عيناك : لسرت سرورا عظيماً .

(٥) من قولهم : أى قول الملائكة . (٦) وليا عنى : رجماً وانصرافاً عنى .

(٧) كأنما أرى الأمر مُمَايِنَةً : المراد بالأمر هنا ما أكرمه اللهُ به ، وما سيكرمه به ، من مقدمات النبوة وإرهاصاتِها ، وما زاد في فطنته وعلمه .

(٨) هذا الحديث رواه البيهقي والطبراني عن عمر بسند فيه ضعف .

وهذا (١) عند قائله تأويلُ قوله تعالى (٢) : ﴿ فَتَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ﴾ .

وفي روايةِ الآجُرِّي (٣) [قال] (٤) : فقال آدم ، لما خَلَقْتَنِي رَفَعْتُ رَأْسِي إِلَى عَرْشِكَ فَإِذَا فِيهِ مَكْتُوبٌ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ؛ فَعَلِمْتُ أَنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ أَعْظَمَ قَدْرًا عِنْدَكَ مِنِّي جَعَلْتَ اسْمَهُ مَعَ اسْمِكَ ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيَّ : وَعِزَّتِي وَجَلَالِي ، إِنَّهُ لِأَخْرُ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ وَلَوْلَاهُ مَا خَلَقْتُكَ .

قال : وكان آدم يُكْنَى بِأَبِي مُحَمَّدٍ ، وَقِيلَ : بِأَبِي الْبَشَرِ .
وَرَوَى عَنْ سُرَيْبِجِ بْنِ يُونُسَ أَنَّهُ قَالَ : إِنَّ لِلَّهِ مَلَائِكَةً سَيَّاحِينَ (٥) عِبَادَتِهَا (٦) كُلِّ دَارٍ فِيهَا أَحَدٌ ، أَوْ مُحَمَّدٌ ، إِكْرَامًا مِنْهُمْ لِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .
وَرَوَى ابْنُ قَانِعٍ (٧) الْقَاضِي ، عَنْ أَبِي الْحَمْرَاءِ ؛ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لَمَّا أُسْرِيَ بِي إِلَى السَّمَاءِ إِذَا عَلَى الْعَرْشِ مَكْتُوبٌ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ، أَيَّدْتُهُ بِعَلِيٍّ (٨) .

(١) وهذا : أى الحديث المذكور . تأويل : تفسير . (٢) سورة البقرة ، آية ٣٧
(٣) هذا فى ١ ، ب . قال القارى : قال الحلبي : الظاهر أنه الإمام القدوة أبو بكر محمد ابن الحسين بن عبد الله البغدادي مصنف كتاب الشريعة فى السنة ، والأربعين ، وغيرها . روى عنه أبو نعيم الحافظ ، وكان عالما عاملا ، سكن مكة ، ومات بها سنة ستين وثلاثمائة .
(٤) من ب .

(٥) سياحين : من السياحة ، وهى السير الطويل ، والمشى فى الأرض ، والسفر من غير مقصد وللنظر فى المصنوعات وغير ذلك .

(٦) عبادتهم : زيارتهم . وفى ب : عبادتها - بالياء الموحدة . وفى هامشه : عبادتها . وقال : زيارتها - تفسير لقوله : عبادتها . وفى ١ : على كل دار .

(٧) ابن قانع : اسمه عبد الباقي بن مرزوق ، صاحب معجم الصحابة ، وكتاب اليوم والليلة ، وتاريخ الوفيات من أول سنة الهجرة ، فروى معجم الصحابة له هذا .

(٨) التأيد : التقوية والنصر .

وفي التفسير ، عن ابن عباس - في قوله تعالى ^(١) : ﴿ وَكَانَ نَحْتَهُ كَنْزٌ لَهَا ﴾ - قال : لَوْحٌ مِنْ ذَهَبٍ فِيهِ مَكْتُوبٌ : عَجَبًا لِمَنْ أَيْقَنَ بِالْقَدَرِ كَيْفَ يَنْصَبُ ^(٢) عَجَبًا لِمَنْ أَيْقَنَ بِالنَّارِ كَيْفَ يَضْحَكُ ^(٣) ! عَجَبًا لِمَنْ رَأَى الدُّنْيَا وَتَقَلَّبَهَا بِأَهْلِهَا كَيْفَ يَطْمَئِنُّ إِلَيْهَا ! أَنَا اللَّهُ ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا ، مُحَمَّدٌ عَبْدِي وَرَسُولِي .

وعن ابن عباس ^(٤) : على باب الجنة مكتوب : إني أنا الله ، لا إله إلا أنا ، محمد رسول الله ، لا أعذبُ مَنْ قالها .

• وَذُكِرَ أَنَّهُ وَجَدَ عَلَى الْحِجَارَةِ الْقَدِيمَةِ مَكْتُوبٌ : مُحَمَّدٌ تَقِيٌّ مُصْلِحٌ ، وَسَيِّدٌ أَمِينٌ . وَذَكَرَ السَّمْنَطَارِيُّ ^(٥) أَنَّهُ شَاهَدَ فِي بَعْضِ بِلَادِ خُرَّاسَانَ مَوْلُودًا وُلِدَ عَلَى أَحَدِ جَنَبَيْهِ مَكْتُوبٌ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَعَلَى الْآخِرِ : مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ .

وَذَكَرَ الْأَخْبَارِيُّونَ ^(٦) أَنَّ بِيَلَادِ الْهِنْدِ وَرَدًّا أَحْمَرَ مَكْتُوبًا عَلَيْهِ بِالْأَبْيَضِ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ .

(١) سورة الكهف ، آية ٨٢ . نحته : أى الجدار . كنز لها : لليتيمين .

(٢) النصب : التعمب . أى كيف يتمب نفسه فى تحصيل رزقه ، وما قدر له لا يتخطف عنه مقدار ذرة أو لحظة .

(٣) أى من تيقن وجود النار ، وعلم أنه لا يخلو من زلة يعاقب عليها كيف لا يخاف منها ويكون ضاحكا مسرورا ، وهو لا يعلم أشقى هو أم سعيد ، والموت أقرب له من جبل الوريد .

(٤) قال القارى (١ - ٣٧٧) : قال الدجى : لا أعلم من رواه عنه .

(٥) هذا الضبط فى ب ، توفى سنة ٤٦٤ هـ وقال الشهاب (٢ - ٢٤٧) : قال التلسانى :

إنه من الاجلة ، ومن قال : لم أرله ترجمة ونحن فى غنية عما نقل عنه - فقد شهد على نفسه بقلة الاطلاع ، وقد ضبط بفتح السين فى ا .

وكذلك ضبطه ياقوت (٥ - ١٣١) ، ضبط قلم ، وقال : سمنطار : قيل : هى قرية فى جزيرة صقلية . وارجع إلى ياقوت إن شئت .

أما ضبط السين بالكسر فهو فى ب ، وأيده القارى (١ - ٣٧٨) ، والحفاجى : (٢ - ٢٤٦)

(٦) المراد بهم المؤرخون الذين لهم اعتناء بأخبار الأمم السالفة .

وروى عن جعفر بن محمد ، عن أبيه : إذا كان يومُ القيامة نادى منادٍ : أَلَا لِيَقُمَ من اسمِهِ محمد ، فليدخل الجنة لكرامةِ اسمِهِ عليه السلام .
 وروى ابنُ القاسم^(١) في سماعِهِ ، وابنُ وهب في جامعه ، عن مالك : سمعتُ أهلَ مكة يقولون : ما مِنْ بيتٍ فيه اسمُ محمدٍ إلَّا قَدَّ وَقُوا^(٢) .
 وعنه عليه السلام^(٣) : ما ضَرَّ أحدَكم أن يكونَ في بيته محمدٌ ومحمدان وثلاثة^(٤) .
 وعن عبدِ الله بن مسعود : إنَّ اللهَ نظرَ إلى قلوبِ العبادِ ، واختارَ منها قلبَ محمدٍ عليه السلام ، فاصطفاه لنفسه^(٥) ، فبعثه برسالته .

وحكى النقَّاشُ أنَ النبيَّ صلى اللهُ عليه وسلم لما نزلت^(٦) : ﴿ وما كانَ لَكُمْ أنْ تُؤذُوا رسولَ اللهِ ولا أنْ تنكحُوا أزواجَهُ مِن بَعْدِهِ أبداً إنْ ذلكم كانَ عندَ اللهِ عظيماً ﴾ - قام خطيباً ، فقال : يا مَعْشَرَ أَهْلِ الإِيمانِ ، إنَّ اللهَ تعالى فَضَّلَني عليكم تفضيلاً ، وَفَضَّلَ نِساءِي على نِساءِكُمْ تفضيلاً ... الحديث .

(١) ابن القاسم اسمه عبد الرحمن ، جمع بين الزهد والعلم ، وصحب مالكا عشرين سنة ، ومات بمصر . أخرج له البخاري ، وأبو داود ، والنسائي .

(٢) في هامش ١ ، ب : وفي نسختين صحيحتين : إلا نأمر ورزقوا . وفي هامش ب : خ : إلا رزقوا ورزق جيرانهم .

(٣) في حديث مرفوع مسند ، كما قاله السيوطي ، وذكر سند .

(٤) ونفي الضرر المراد به وجود النفع .

(٥) اصطفاه لنفسه : جملة صفيا له مقربا عنده .

(٦) سورة الأحزاب ، آية ٥٣

(٧) وما كان لكم : لا ينبغي لكم ، ولا يحل ، ولا يجوز .

فصل

في تفضيله بما تضمنته كرامة الإسراء من النجاة والرؤية^(١)، وإمامة الأنبياء،
والعروج به إلى سِدْرَةِ^(٢) المنتهى، وما رأى من آيات رَبِّهِ السُّكْبَرِيِّ

ومن خصائصه - عليه السلام قصة الإسراء وما انطوت عليه من درجاتِ
الرِّفْعَةِ بما نبّه عليه الكتابُ العزيزُ، وشرحته صِحَّاحُ الأخبار؛ قال الله تعالى^(٣) :
﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي
بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنَ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ .
وقال تعالى^(٤) : ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ. مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ . وَمَا يَنْطِقُ
عَنِ النَّهْوَىٰ ، إِنَّ هُوَ إِلَّا وَاخٍ يُوحَىٰ . عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ . ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ .
وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ . ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ . فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ . فَأُوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ
مَا أُوْحَىٰ . مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ . أَفَتَمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ . وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً
أُخْرَىٰ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ . عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ . إِذْ يَفِشَى السِّدْرَةَ مَا يَفِشَىٰ . مَا زَاغَ
الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ . لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ السُّكْبَرِيِّ﴾ .

فلا خِلاف بين المسلمين في صحة الإسراء به عليه السلام ، إذ هو نصُّ القرآن ،
وجاءت بتفصيله ، وشرح معجائبه، وخواصِّ نبينا محمد عليه السلام فيه أحاديثُ كثيرة

(١) النجاة : الكلام سرا . وتختص النجاة في العرف بكلام العبد مع ربه . والرؤية :
أي رؤيته صلى الله عليه وسلم لربه . أو رؤية ما في اللأ الأعلى من المعجائب .

(٢) العروج : الصعود في جهة الملو . وسدرة المنتهى : شجرة في السماء السابعة ، وسميت
سدرة المنتهى ؛ لأنه ينتهي إليها ما يهبط من فوقها وما يصدر من تحتها . وقيل : إنه ينتهي إليها
علم الخلائق . وقيل : لأن من وصل إليها انتهى لأقصى الكرامة .

(٣) سورة الإسراء ، آية ١ ، والمسجد الأقصى : بيت المقدس .

(٤) سورة النجم ، آية ١ - ١٨

منتشرة - رأينا أن تقدمَ أكلها^(١)، ونشير إلى زيادةٍ من غيره^(٢) يجب ذكرها :
 حدثنا القاضي الشهيد أبو علي ، والفقير أبو بحر بجاعي عليهما ، والقاضي
 أبو عبد الله التميمي ، وغيرُ واحدٍ من شيوخنا ؛ قالوا : حدثنا أبو العباس الأذري ،
 [قالوا]^(٣) : حدثنا أبو العباس الرازي ، حدثنا أبو أحمد الجلودي ، حدثنا ابن سفيان ،
 حدثنا مسلم بن الحجاج ، حدثنا شيبان بن فروخ ، حدثنا حماد بن سلمة ، حدثنا ثابت
 البناني ، عن أنس بن مالك رضى الله عنه - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال^(٤) :
 أتيتُ بالبراق ، وهو دابة^(٥) أبيضُ طويل ، فوق الحمار ، ودون البغل ، يضعُ حافره
 عند منتهى طرفه^(٦) - قال : فركبته حتى أتيتُ بيتَ المقدس ، فربطته بالحلقة التي
 يربطُ بها الأنبياء ، ثم دخلتُ المسجدَ فصليتُ فيه ركعتين ، ثم خرجتُ ، فجاءني
 جبريلُ بإناءٍ من خمر وإناءٍ من لبن ، فاخترتُ اللبن ، فقال جبريلُ : اخترتَ الفطرة^(٧) .

(١) أى الحديث الذى هو أكلها وأجمعها لهذه القصة وأصحها . وهذا الحديث رواه

مسلم : ١ - ١٤٥

(٢) من غيره : من غير هذا الحديث . وقعت روايتها لغير مسلم ، ولكنها مهمة .

(٣) من ب .

(٤) حديث الإسراء هذا فى صحيح مسلم : ١٤٥ ، وصحيح البخارى : ٤ - ١٣٣ ،

ومسند أحمد : ٢٥٧ ، ٣٠٩ ، ٣١٠ ، وسنن الترمذى : ٥ - ٣٠٠ وما بعدها ، ٣٠٧ ،

وسيرة ابن هشام : ٢ - ٣٦ ، وطبقات ابن سعد : ١ - ١٤٢ ، وتفسير ابن كثير : ٣ - ١٠٨ ،

والنورى : ١٦ - ٢٨٣ ، والسيرة الحلبية : ١ - ٤٧٨ ، وغيرها .

(٥) وهو دابة : على صورتها . والدابة : تذكر وتؤنث .

(٦) منتهى : انتهاء . والطرف : العين ، والمراد به النظر .

(٧) الفطرة : الجبلة والطبيعة التى فطر عليها الناس ، أى ما اخترته هو الموافق للخلة

الإنسانية التى خلق للناس عليها ، وللطباع المستقيمة ؛ فإن اللبن شراب لذيذ ، وطعام نافع

موافق للإنسان . وقيل : المراد بالفطرة هنا الإسلام والاستقامة ، وجعل اللبن علامة لكونه

سهلا طيبا سائغا للشاربين سليم العاقبة ، بخلاف الخمر .

ثم عَرَجَ^(١) بنا إلى السماء ، فاستفتَحَ^(٢) جبريلُ ، فقيل : مَنْ أَنْتَ ؟ قال : جبريل .
قيل : وَمَنْ مَعَكَ ؟ قال : محمد . قيل : وقد بُعِثَ إليهِ ؟ قال : قد بُعِثَ إليهِ ، ففتَحَ
لنا ، فإذا أنا بآدم صلى الله عليه وسلم ، فرحَّبَ بي ، ودعا لي بخير .

ثم عَرَجَ بنا إلى السماء الثانية ، فاستفتَحَ جبريلُ ، فقيل : مَنْ أَنْتَ ؟ قال :
جبريل . قيل : وَمَنْ مَعَكَ ؟ قال : محمد . قيل : وقد بُعِثَ إليهِ ؟ قال : قد بُعِثَ إليهِ .
فتَحَ لنا ، فإذا أنا بابنِ الخالَةِ : عيسى ابن مريم ، ويحيى بن زكريا صلى الله عليهما ؛
فرحَّبَا بي ، ودعوا لي بخير .

ثم عَرَجَ بنا إلى السماء الثالثة ، فذكر مثل الأول ، ففتَحَ لنا ، فإذا أنا بيوسف
صلى الله عليه وسلم ، وإذا هو قد أُعْطِيَ شَطْرَ الحُسْنِ^(٣) ، فرحَّبَ بي ، ودعا لي بخير .
ثم عَرَجَ بنا إلى السماء الرابعة ، وذكر مثله ، فإذا أنا بإدريس ، فرحَّبَ بي ،
ودعا لي بخير ، قال الله تعالى^(٤) : ﴿ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾ .

ثم عَرَجَ بنا إلى السماء الخامسة ، فذكر مثله ، فإذا أنا بهارون ، فرحَّبَ بي ،
ودعا لي بخير .

ثم عَرَجَ بنا إلى السماء السادسة ، فذكر مثله ، فإذا أنا بموسى ، فرحَّبَ بي ،
ودعا لي بخير .

ثم عَرَجَ بنا إلى السماء السابعة ، فذكر مثله ، فإذا أنا بإبراهيم مُسْنِدًا ظهره
إلى البيت المعمور^(٥) ، وإذا هو يَدْخُلُهُ كُلُّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ ، لا يَمُودُونَ^(٦) إليه .

(١) في ب : ثم عرج بي . والمثبت في صحيح مسلم أيضا : وعرج : صعد .

(٢) فاستفتح جبريل : أي طلب فتحها من الملائكة الوكلائن بها .

(٣) الشطر : النصف . (٤) سورة مريم ، آية ٥٧

(٥) في نسيم الرياض (٢ - ٢٦٠) : وهو بيت تطوف به الملائكة وتحج له للعبادة ،

وهو محاذ للكعبة . وسمى معمورا لكثرة الملائكة فيه .

(٦) لا يمودون إليه : لأن حجه مرة كفرض الحج علينا ، أو لاشتغال غيرهم .

ثم ذهب بن إلى سِدْرَةِ الْمُنتَهَى ^(١) ، وإذا ورقها كآذانِ الفِئَلَةِ ، وإذا نَمَرُها كالتَلَالِ ^(٢) ، قال : فلما غَشِيَهَا من أمر الله ما غَشَى تَغَيَّرَ ^(٣) ، فما [٥٨] أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنْعَمَها مِنْ حُسْنِها ؛ فأوحى اللهُ إِلَيَّ ما أَوْحَى ، ففرضَ عَلَيَّ خَمْسِينَ صَلَاةً فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ ، فَنَزَلْتُ إِلَى مُوسَى ، فَقَالَ : ما فَرَضَ رَبُّكَ عَلَيَّ أُمَّتِكَ ؟ قلت : خَمْسِينَ صَلَاةً . قال : ارجعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ ، فَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا يُطِيقُونَ ^(٤) ذَلِكَ ، فَإِنِّي قَدْ بَلَوْتُ ^(٥) بَنِي إِسْرَائِيلَ وَخَبَرْتُهُمْ .

قال : فَرَجَعْتُ إِلَى رَبِّي ، فَقُلْتُ : يَا رَبِّ ، خَفِّفْ عَن أُمَّتِي . فَحَطَّ عَنِّي خَمْسًا ، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى ، فَقُلْتُ : حَطَّ عَنِّي خَمْسًا ، قال : إِنَّ أُمَّتَكَ لَا يُطِيقُونَ ذَلِكَ ، فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ . قال : فَلَمْ أَزَلْ أَرْجِعُ بَيْنَ رَبِّي تَعَالَى وَبَيْنَ مُوسَى حَتَّى قَالَ : يَا مُحَمَّدُ ، إِنَّهُنَّ خَمْسُ صَلَوَاتٍ كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ لِكُلِّ صَلَاةٍ عَشْرٌ ، فَتِلْكَ ^(٦) خَمْسُونَ صَلَاةً ^(٧) ؛ وَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْها كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةٌ ^(٨) ، فَإِنِ عَمِلْها كُتِبَتْ لَهُ عَشْرًا . وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْها لَمْ تُكْتَبْ سَيِّئًا ، فَإِنِ عَمِلْها كُتِبَتْ سَيِّئَةً وَاحِدَةً .

(١) في صحيح مسلم : إلى السدرة المنتهى .

(٢) التلال : جمع قلة ، وهي الجرة الكبيرة .

(٣) غشيا : طرأ عليها وغطاها . من أمر الله : الظاهر أن المراد بأمر الله وحيه ، أو بجايه لرسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فإنها بذلك أشرق عليها نور إلهي ، فزهت به ، وحسنت حسنا لا ينبت ، وظهر عليها نور لا يمكن أن تقابله الأبصار . تغيرت : أي عن حالها التي كانت عليه .

(٤) لا يطيقون ذلك : يشق عليهم فيقصرون فيه .

(٥) بلوت بنو إسرائيل : خبرتهم . (٦) في صحيح مسلم : فذلك خمسون صلاة .

(٧) في الثواب والاعتبار ، لأن الحسنه بعشر أمثالها .

(٨) لنيته عمها . والهم : القصد .

قال : فنزلتُ حتى انتهيتُ إلى موسى ، فأخبرته ، فقال : ارجع إلى ربك فاسألهُ التخفيف .

قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : فقلتُ ^(١) : قد رجعتُ إلى ربي حتى استحييتُ ^(٢) منه .

قال القاضي - رضى الله عنه : جوّدَ ثابتٌ رضى الله عنه هذا الحديثَ عن أنسٍ ما شاء ، ولم يأتِ أحدٌ عنه بأصوب من هذا .

وقد خلطَ فيه غيره عن أنسٍ تخليطاً ^(٣) كثيراً ، لا سيّما من رواية شريكِ ابنِ أبي نمرٍ ؛ فقد ذكر في أوله مجيءَ الملكِ له ، وشقَّ بطنه ، وغَسَّاهُ بماءِ زمزمٍ ؛ وهذا إنما كان وهو صبيّ ، وقَبِلَ الوحي .

وقد قال شريكٌ في حديثه : وذلك قبل أن يُوحىَ إليه ؛ وذكر قصةَ الإسراءِ . ولا خلاف أنها كانت بعد الوحي .

وقد قال غيرُ واحدٍ : إنها كانت قبل الهجرة بسنة ، وقيل : قبل هذا .

وقد رَوَى ^(٤) ثابتٌ عن أنسٍ ، من رواية حماد بن سلمةٍ أيضاً مجيءَ جبريلِ إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم وهو يلعبُ مع الغلمانِ عند ظئره ^(٥) ، وشقَّ قلبه - تلك القصة مفردةٌ من حديث الإسراءِ كما رواه الناسُ ، فجوّدَ في القصتين ، وفي أن الإسراءِ إلى بيت المقدسِ وإلى سِدْرَةِ المنتهى كان قصةً واحدةً ، وأنه وصل إلى بيت

(١) في ب : قلت . والثبت في ا ، وصحيح مسلم .

(٢) في ا : استحييت منه . والثبت في ب ، وصحيح مسلم ؛ أى استحييت منه أن أراجعه في السؤال بعد ذلك .

(٣) المراد أنهم أدخلوا في حديث الإسراءِ ما ليس منه كشق الصدر ؛ كما يأتي .

(٤) صحيح مسلم : ١٤٧

(٥) عند ظئره : الظئر : المرضة التي ليست بأُم ؛ وهى حليلة السعدية .

المقدس ، ثم عرج (١) به من هناك ، فأزاح كلَّ إشكالٍ أو همٍّ غيره (٢) .
وقد روى يونس ، عن ابن شهاب ، عن أنس ، قال (٣) : كان أبو ذرٍّ يحدثُ
أنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، قال : فُرجٌ (٤) سَفَفُ بيتي ، [وأنا بمكة] (٥) ،
فَنزل جبريلُ ، ففَرَجَ صَدْرِي ، ثم غَسَلَهُ مِنْ (٦) ماء زمزم ، ثم جاء بِطَسْتٍ من ذهبٍ
ممتلئ حكمةً وإيماناً ، فأفَرغها في صَدْرِي ، ثم أطَبَقَهُ ، ثم أخذ بيدي فَعَرَجَ بنا إلى
السماء . . . فذكر القصة .

وروى قتادة (٧) الحديث ، بمثله ، عن أنس ، عن مالك بن صعصعة ، وفيها
تقديم وتأخير وزيادة ونقص ، وخلافٌ في ترتيب الأنبياء في السموات .

وحديثٌ ثابت ، عن أنس - أتقن وأجود .

وقد وقعت في حديث الإسراء زياداتٌ نذَّكرُ منها نُكْتَةً مفيدة (٨) في غرضنا :

منها في حديث ابن شهاب ، وفيه : قولُ كلِّ نبيٍّ له : مرحباً بالنبي الصالح ،

والأخ الصالح ، إلا آدم وإبراهيم فقالا له : والابن الصالح (٩) .

(١) في ب : عرج - بالبناء للمجهول .

(٢) أو همٍّ غيره : أوقمه في ذهن الناس ووههم . غيره : غير ثابت .

(٣) هذا الحديث في صحيح مسلم : ١٤٨ .

(٤) فرج : شق ، أو رفع جانب منه حتى صار مكشوفاً .

(٥) من صحيح مسلم :

(٦) في ب : بماء زمزم . والثبت في ١ ، وصحيح مسلم .

(٧) في صحيح مسلم : ١٤٩ .

(٨) النكتة : جمع نكتة . وللراد كل معنى دقيق يحصل بالفكر .

(٩) في صحيح مسلم : ١٤٩ .

وفيه - من طريق ^(١) ابن عباس : ثم عَرَجَ بي حتى ظَهَرْتُ ^(٢) بِمَسْتَوَى أَسْمَعُ فيه صَرِيفَ ^(٣) الأَقْلَامِ .

وعن أنس ^(٤) : ثم انطلق بي حتى أتيتُ سِدْرَةَ الْمُنتَهَى ، فَغَشِيَهَا أَلْوَانٌ لِأَدْرَى ما هِيَ ؟ قال : ثم أُدْخِلْتُ الْجَنَّةَ .

وفي حديث مالك بن صعصعة : فلما جَاوَزْتُهُ ^(٥) - يعنى [٥٩] موسى - بكى ، فَنُودِيَ : ما يُبْكِيكَ ؟ قال : رب ، هذا غلامٌ بعثته بَعْدِي يَدْخُلُ من أُمَّته الْجَنَّةَ أَكْثَرَ مِمَّا يَدْخُلُ من أُمَّتى ^(٦) !

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه ^(٧) : وقد رأيتني في جماعة من الأنبياء ، فحانت ^(٨) الصلاةُ ، فَأَمَمْتُهُمْ ^(٩) ، فقال قائل : يا محمد ، هذا مالكٌ خازنُ النار ، فسَلَّمَ عليه . فالتفتُ ^(١٠) فبدأني بالسَّلامِ .

وفي حديث أبي هريرة : ثم سار حتى ^(١١) أتى إلى بيت المقدس ، فنزل فربط فرسه إلى صخرةٍ ، فصلى مع الملائكة ، فلما قُضِيَت الصلاةُ قالوا : يا جبريل ؛ مَنْ هَذَا معك ؟ قال : هذا محمد رسولُ اللهِ خاتمُ النبيين . قالوا : وقد أُرْسِلَ إليه ؟ قال :

(١) في ب : حديث . وهو في صحيح مسلم : ١٤٩ (٢) ظهرت : علوت وصعدت .

(٣) صريف الأَقْلَامِ : الصريف : المراد به صوت القلم على الورق ؛ أى انتهى - صلى الله

عليه وسلم إلى محل سمع فيه صرير أقلام الملائكة المكتبة . وهى تكتب ما تنقله من اللوح ،

أو ما يؤمر بكتابته من الوحي وغيره . صحيح مسلم : ١٤٩

(٤) فيما رواه مسلم : ١٤٩ (٥) جاوزته : فارقته .

(٦) صحيح مسلم : ١٥٠

(٧) في حديث الإسراء الذى رواه البيهقي وغيره .

(٨) حانت الصلاة : دخل وقتها ، وجاء حينها .

(٩) فأممتهم : صليت بهم جماعة وأنا إمام لهم .

(١٠) فالتفت : أى إلى مالك . (١١) ثم سار : أى جبريل .

نعم . قالوا : حَيَّاهُ اللهُ^(١) مِنْ أَخٍ وَخَلِيفَةٍ ، فَنِعْمَ الْأَخُ وَنِعْمَ الْخَلِيفَةُ ! ثُمَّ لَقُوا أَرْوَاحَ الْأَنْبِيَاءِ فَأَثْنُوا عَلَى رَبِّهِمْ ، وَذَكَرَ كَلَامَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ ، وَهُمْ إِبْرَاهِيمُ ، وَمُوسَى وَعِيسَى ، وَدَاوُدُ ، وَسُلَيْمَانُ .

ثم ذكر كلام النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : وَإِنَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَثْنَى عَلَى رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَقَالَ : كَلِمَتِي عَلَى رَبِّي ، وَأَنَا أَثْنَى عَلَى رَبِّي . الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَرْسَلَنِي رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ، وَكَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا^(٢) ، وَأَنْزَلَ عَلَيَّ الْفُرْقَانَ فِيهِ تَبْيَانٌ كُلُّ شَيْءٍ^(٣) . وَجَعَلَ أُمَّتِي خَيْرَ أُمَّةٍ ، وَجَعَلَ أُمَّتِي أُمَّةً وَسَطًا^(٤) ، وَجَعَلَ أُمَّتِي هُمَ الْأَوَّلُونَ ، وَهُمْ الْآخِرُونَ^(٥) ، وَشَرَحَ لِي صَدْرِي ، وَوَضَعَ عَنِّي وَزْرِي^(٦) ، وَرَفَعَ لِي ذِكْرِي^(٧) ، وَجَعَلَنِي فَاتِحًا وَخَاتِمًا^(٨) .

فقال إبراهيم : بهذا فضلكم محمد .

(١) حياه الله : هي تحية ودعاء بالبقاء والسلامة .

(٢) بشيرا ونذيرا : مبشرا بالخير لمن آمن واتقى ، محذرا من كفر وعصى .

(٣) تبیان كل شيء : مبين لكل شيء .

(٤) أمة وسطا : عدولا أخيارا جامعين بين العلم والعمل ، وسائر الصفات التي بين

التفريط والإفراط .

(٥) علق الشيخ محمد حسنين مخلوف هنا - في النسخة - قال : الأولون ؛ أي في دخول

الجنة ، والآخرون ؛ أي في الوجود في الدنيا . وقال الشهاب الحفاجي : هم الأولون وهم

الآخرون : معنى أوليتهم سبقهم الناس في القيام من القبور وفي دخول الجنة وفصل القضاء .

وتأخرهم باعتبار الوجود الخارجي .

(٦) ووضع عنى وزرى : طهر قلبي من حظ الشيطان ، وعصفتي فلا أرتكب ما لا يرضى الله .

(٧) ورفع ذكرى : جعلني مذكورا في الملائكة الأعلى ، وجعل اسمي مقرونا مع اسمه على

كل لسان ، وعلى للناظر في كل إقامة وأذان .

(٨) وجعلني فاتحا وخاتما : للنبوته ؛ إذ خلق روعي قبل الأرواح ، ونبأها قبل كل نبي .

وجعلني خاتم النبيين .

ثم ذكر أنه عَرَجَ به إلى السماء الدنيا ، ومن سماء إلى سماء ، نحو ما تقدم .
 وفي حديث ابن مسعود^(١) : وانتهى بي إلى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى ، وهي في السماء
 السادسة ، إليها ينتهى ما يُعْرَجُ^(٢) به من الأرض فيقبض^(٣) منها ، وإليها ينتهى
 ما يهبط من فوقها^(٤) فيقبض منها ؛ قال^(٥) : ﴿ إِذْ يَفْشَى السِّدْرَةَ مَا يَفْشَى ﴾ ،
 قال : فَرَأَشَ من ذَهَبٍ^(٦) .

وفي رواية^(٧) أبى هريرة ، من طريق الربيع بن أنس : فقيل لى : هذه السِّدْرَةُ^(٨)
 الْمُنْتَهَى ينتهى إليها كلُّ أحد من أمتك خلا على سبيلك^(٩) ، وهي السِّدْرَةُ المنتهى ،
 يخرج من أصلها أنهار من ماء غير آسن^(١٠) ، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه ، وأنهار
 من خمر لذة للشاربين^(١١) ، وأنهار من عسل مصفى ، وهي شجرة يسير الراكب
 في ظلها سبعين عاما ، وإن ورقة منها مظلة الخلق^(١٢) ، فغشيتها نور ، وغشيتها
 الملائكة .

(١) الذى رواه ابن عرفة في جزأيه ، وأبونعيم في الدلائل . وهو فى صحيح مسلم : ١٥٧ .

(٢) ما يعرج به : ماتصمد به الملائكة من أمور الأرض .

(٣) فيقبض منها : تقبضه الكتابة وتكتبه .

(٤) من فوقها : من العرش بواسطة الملائكة القربين .

(٥) سورة النجم ، آية ١٦ .

(٦) الفرائش : دويبه ذات جناحين تنهافت فى ضوء السراج ، واحدته فراشة .

(٧) فى ب : وفى حديث أبى هريرة . . . (٨) هذا فى ا ، ب .

(٩) خلا : مضى . على سبيلك : على طريقتك وسنتك ؛ أى من مات من أمتك مؤمنا بك

عرج بروحه مع الملائكة إليها . وفى ا : خلى - بضم الحاء وتشديد اللام المكسورة .

(١٠) غير آسن : لا يتغير طعمه ولونه ورائحته أصلا ، وإن طال مكثه وعدم جريانه .

(١١) لذة للشاربين : أى ليس تحمر الدنيا المستكره شربها .

(١٢) مظلة الخلق : كناية عن سمة ظلها .

قال : فهو قوله ^(١) : ﴿ إِذْ يَفْشَى السَّدْرَةَ مَا يَفْشَى ﴾ .

فقال الله تبارك وتعالى له : سَلِّ . فقال : إِنَّكَ اتَّخَذْتَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا وَأَعْطَيْتَهُ مُلْكًا عَظِيمًا . وَكَأَمَّتْ مُوسَى تَكْلِيمًا ، وَأَعْطَيْتَ دَاوُدَ مُلْكًا عَظِيمًا ، وَأَنْتَ لَهُ الْحَدِيدَ ، وَسَخَّرْتَ لَهُ الْجِبَالَ ، وَأَعْطَيْتَ سُلَيْمَانَ مَلِكًا عَظِيمًا ، وَسَخَّرْتَ لَهُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ وَالشَّيَاطِينَ وَالرِّيَّاحَ ^(٢) ، وَأَعْطَيْتَهُ مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ ، وَعَلَّمْتَ عِيسَى التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ^(٣) ، وَجَعَلْتَهُ يُبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ ^(٤) ، وَأَعَدَّتْهُ وَأُمَّهُ مِنَ الشَّيْطَانِ ^(٥) الرَّجِيمِ ، فَلَمْ يَكُنْ لَهُ عَلَيْهِمَا سَبِيلٌ .

فقال له ربُّه تعالى : قَدْ اتَّخَذْتُكَ خَلِيلًا ^(٦) . فهو مكتوبٌ في التوراة ^(٧) : مُحَمَّدٌ حَبِيبُ الرَّحْمَنِ ، وَأَرْسَلْتُكَ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً ، وَجَعَلْتُ أُمَّتَكَ هَمَّ الْأَوْلَادِ ، وَهُمْ الْآخِرُونَ ، وَجَعَلْتُ أُمَّتَكَ لَا تَجُوزُ لَهُمْ خُطْبَةٌ ^(٨) حَتَّى يَشْهَدُوا ^(٩) أَنَّكَ عَبْدِي وَرَسُولِي ، وَجَعَلْتُكَ أَوَّلَ النَّبِيِّينَ خَلْقًا . وَآخِرَهُمْ بَعَثًا ، وَأَعْطَيْتُكَ سَبْعًا مِنَ الْمَمَائِنِ ^(١٠) ، وَلَمْ أُعْطِهَا نَبِيًّا قَبْلَكَ ، وَأَعْطَيْتُكَ خَوَاتِمَ سُورَةِ الْبَقَرَةِ مِنْ كَنْزٍ تَحْتَ عَرْشِي لَمْ أُعْطِهَا نَبِيًّا قَبْلَكَ [٦٠] ، وَجَعَلْتُكَ فَاتِحًا وَخَاتِمًا .

(١) سورة النجم ، آية ١٦ (٢) فكانت تجرى بأمره كما يشاء .

(٣) قال القارى : علمت موسى التوراه تبعية والإنجيل أصلية .

(٤) الأكمة : الذى ولد أعمى . ويروى : وعلمت موسى التوراة وعيسى الإنجيل .

(٥) وأعدته : حفظته وأجرته .

(٦) هذا فى ١ ، وعليها علامة الصحة . وفي هامشه : حبيبا ، ويجانبها « صح » وكلمة

« مما » . وفي ب بالعكس . (٧) هذا من كلام الراوى كالشاهد لصحة الزيادة المذكورة .

(٨) خطبة : هى كلام يقال على رؤوس الأشهاد للإعلام بأمر مهم .

(٩) حتى يشهدوا . . : أى لا يعتد بخطبهم إلا إذا أنوا فيها بكلمة الشهادة .

(١٠) سبعا من الثمانى : أى الفاتحة ، لأنها سبع آيات ، أو هي ثنتى وتسكّر في كل ركعة .

أو السبع الطوال : البقرة ، وآل عمران ، والنساء ، والمائدة ، والأنعام ، والأعراف ، والتوبة وحدها أو مع الأنفال بناء على أنهما سورة واحدة لعدم البسطة بينها ؛ لتكرير المواضع والمعرف بها .

وفي الرواية الأخرى^(١) قال : فَأُعْطِيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَلَاثًا : أُعْطِيَ الصَّلَاةَ الْحَسَنَ ، وَأُعْطِيَ خَوَاتِيمَ سُورَةِ الْبَقَرَةِ ، وَغُفِرَ لَمَنْ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا مِنْ أُمَّتِهِ الْمُفْجِحَاتِ^(٢) .

وقال^(٣) : ﴿ مَا كَذَبَ^(٤) اللَّهُ إِذْ مَا رَأَى . أَفْتَمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى . ﴾ : رأى جبريل في صورته له ستمائة جناح .

وفي حديث شريك أنه رأى موسى في السابعة - قال : بتفضيل كلام الله^(٥) . قال^(٦) : ثم علا به فوق ذلك بما لا يعلمه إلا الله ؛ فقال موسى : لم أعلن أن يرتفع عليّ أحد .

وقد روى عن أنس أنه صلى الله عليه وسلم صلى بالأنبياء بيت المقدس .
[وعن أنس رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بينما أنا قاعد ذات يوم إذ دخل جبريل ، فوَكَّزَ^(٧) بين كتفَيَّ ، فعمتُ إلى شجرة فيها مِثْلُ وَكْرِي الطائر^(٨) ، فعمد في واحدةٍ وعمدتُ في الأخرى^(٩) ، فنمت حتى سدت

(١) التي رواها مسلم : ١٥٧

(٢) المفجحات : المراد الكبائر التي تلتقي صاحبها في النار . وبين السطور فوقها في ب : المهلكات .

(٣) وقال : أي ابن مسعود في الحديث الذي رواه .

(٤) سورة النجم ، آية ١١ ، ١٢

(٥) بتفضيل كلام الله ؛ أي علو مرتبته عليه الصلاة والسلام ، وصعوده للسابعة إنما هو

أفضله على غيره بكونه كلام الله . (٦) قال : شريك في الحديث .

(٧) وكرز بين كتفي : وكرز : ضرب ضربا خفيفا كما يفعل من يوقظ غيره . وقيل :

الوكز : الضرب بجمع الكف .

(٨) الوكر للطير كالبيت للإنسان : العش .

(٩) قال في نسيم الرياض : قيل أنه لأنه كالشمس يذكر ويؤنث ، والغالب على السنة أهل

مكة تأنيثه . أو لتأويله بالزاوية والطاقة ونحوها .

الْخَافِقِينَ^(١). وَلَوْ شِئْتَ لَمَسَسْتَ^(٢) السَّمَاءَ، وَأَنَا أَقْلَبُ طَرْفِي^(٣)، وَنَظَرْتُ جِبْرِيلَ كَأَنَّهُ حَائِسٌ لَاطِي^(٤)، فَعَرَفْتُ فَضْلَ عَلَيْهِ بِاللهِ عَلَى^(٥)، وَفُتِحَ لِي بَابُ السَّمَاءِ، وَرَأَيْتُ النُّورَ^(٦) الْأَعْظَمَ، وَنُطِّدُونِي^(٧) الْحِجَابَ، وَفُرِّجُهُ الدَّرَّةَ وَالْيَاقُوتَ^(٨).
ثُمَّ أَوْحَى اللهُ إِلَيَّ مَا شَاءَ أَنْ يُوحِيَ^(٩).

وذكر البزار عن علي بن أبي طالب رضى الله عنه^(١٠): لما أراد الله تعالى أن يعلم رسوله الأذان جاء جبريل بدابة يقال لها البراق، فذهب يركبها، فاستصعبت عليه، فقال لها جبريل: اسكني، فوالله ما ركبت عبدك أكرم على الله من محمد صلى الله عليه وسلم؛ فركبها حتى أتى إلى الحجاب الذى يبلى الرحمن تعالى، فبينما هو كذلك إذ خرج ملك من الحجاب، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا جبريل، من هذا؟

- (١) فتمت: فزادت الشجرة وارتفعت. والخافقان: المشرق والمغرب.
- (٢) لملوها وقربى منها. (٣) تقليب طرفه: نظره في جوانبها.
- (٤) جلس لاطي: المجلس: كساء رقيق يوضع تحت القتب والبردعة ويبسط في البيت لاطي: لاصق بالأرض. والمراد أنه لما قرب من السماء غشيته مهابة حتى خضع والتصق بالأرض من النشى الذى هو فيه، والنبي صلى الله عليه وسلم لم تمسه روعة كما غشى جبريل عليه السلام. وفي ١: لاطئا.
- (٥) الملائكة المقربون قد يعرفون من أحوال الملائكة ما لا يعرفه غيرهم.
- (٦) النور الأعظم: قيل هو نور العرش، أو الله تعالى.
- (٧) لط دونى الحجاب: أرخى (هامش ب) يعنى أنه صلى الله عليه وسلم بعد ما شاهد النور أرخى بينه وبينه حجاب ستره عنه. وفي ١: وإذا دونى . . .
- (٨) وفرجه: جمع فرجة؛ وهى ما بين الشيتين من خلاء، أو بين أجزاء شئ مفتوحة؛ أى فرج الحجاب. وطاقاته التى يخرج منها نوره.
- (٩) ما بين القوسين فى هامش ب تحت كلمة: حاشية. وهو فى الأصل.
- (١٠) هذا الحديث رواه بسند متصل لعلى رضى الله عنه، قال القارى (١ - ٣٩٩):
وفى سنده زياد بن المنذر، وهو كذاب.

قال : والذي بعثك بالحق ، إني لأقرب الخلق مكاناً ، وإن هذا الملك ما رأيتُهُ منذ خُلقتُ قبل ساعتى هذه . فقال الملك : الله أكبر . الله أكبر . فقيل له من وراء الحجاب : صدق عبدي ، أنا أكبر . أنا أكبر .

ثم قال الملك : أشهد أن لا إله إلا الله . فقيل له من وراء الحجاب : صدق عبدي ، أنا الله لا إله إلا أنا .

وذكر^(١) مثل هذا في بقية الأذان ، إلا أنه لم يذكر جواباً عن قوله : حتى على الصلاة . حتى على الفلاح .

وقال^(٢) : ثم أخذ الملك بيد محمد ، فقدمه ، فأمام أهل^(٣) السماء ، فيهم آدم ونوح .

قال أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين ، راويه^(٤) : أكل الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم الشرف على أهل السموات والأرض^(٥) .

قال القاضي - رضى الله عنه : ما في هذا الحديث من ذكر الحجاب فهو في حق الخلق لا في حق الخالق ، فهم المحجوبون ، والباري جل اسمه منزّه عما يحجبه ، إذ الحجب إنما تحيط بمقدّر محسوس^(٥) ، ولو كان حجباً على أبصار خلقه وبصائرهم

(١) وذكر : أى الراوى . (٢) فأما : صار إماماً يؤم .

(٣) روايه : أى راوى هذا الحديث الذى رواه عن أبيه ، عن جده .

(٤) قال في نسيم الرياض (٢ - ٢٨٣) : بقى هنا أن ما ذكر يدل على أن الأذان شرع ليلة الإسراء قبل الهجرة مع أنهم جزموا بأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلى بغير أذان منذ فرضت الصلاة إلى أن هاجر إلى المدينة ، ثم رأى بعض الصحابة من دله على الأذان ، فأمر الرسول بلالا أن يؤذن . وذلك يدل على أن الأذان كان بدؤه في المدينة ، وهما متعارضان . قال : إلا أن الثانى صحيح ، والأول ضعيف .

(٥) بمقدّر محسوس : أى بذى مقدار له طول وعرض في جهة تحس بتوجه الناظر ؛ فيقتضى الجهة ، وهو - تعالى - منزّه عن ذلك .

وإدراكاتهم بما شاء^(١) وكيف شاء ، ومتى شاء ، كقوله تعالى^(٢) : ﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ ﴾ .

فقوله في هذا الحديث : « الحجاب » ، « وإذ خرج ملك من الحجاب » - يجب أن يقال^(٣) : إنه حجابٌ حَجَبَ به^(٤) مَنْ وَرَّاهُ من ملائكته عن الإطلاع على ما دونه^(٥) من سُلْطانه وعظمته ، ومجائب ملكوته وجبروته^(٦) .

وبدل^(٧) عليه من الحديث قولُ جبريل - عن الملك الذي خرج من ورائه : إن هذا الملك ما رأيته منذ خُلِقْتُ قبل ساعتى هذه .

فدلَّ على أن هذا الحجاب لم يختصَّ بالذات^(٨) .

وبدلُّ عليه قولُ كعب في تفسير : « سِدْرَةَ الْمُنْتَهَى » - قال : إليها ينتهى عِلْمُ الملائكة ، وعندها يجدون أمرَ الله ، لا يجاوزها علمُهُم .

وأما قوله : الذي يبلى الرحمن فيُحْمَلُ على حَذْفِ الضَّافِ ، أى يبلى عَرْشَ الرحمن ، أو أمراً ما من عظيم آياته ، أو مبادئ حقائق معارفه^(٩) ، مما هو أهُمُّ به ، كما قال تعالى^(١٠) : ﴿ واسأل القرية ﴾ ؛ أى أهلها .

(١) الحجب : جمع حجاب ، أى منهم عن رؤيته وإدراك ذاته ، ومعرفة حقيقته ، ليس بحجاب كحجاب البشر ؛ بل بسبب إرادة وكيفية لا يدركها ، فى أى زمان أَرَّاه .

(٢) سورة المطففين ، آية ١٥ (٣) أن يقال فى تفسيره . (٤) حجب به الله .

(٥) على مادونه : أى ما خلفه وما ورائه من جانب النيب وباطنه ، فهو الباطن الظاهر .

(٦) المراد بملكوته عالم غيب النيب ؛ أى ما غيب عن الملائكة . وبجبروته : عظمته

الملكوت وغرائبه مما احتجب عن غيره .

(٧) وبدل عليه : يدل على أن الحجاب لغيره لا لذاته .

(٨) بالذات : أى بذات الله .

(٩) أى أمر ما يكون مبدأ لما يتحقق به معرفة الله .

(١٠) سورة يوسف ، آية ٨٢

وقوله : فقيل من وراء الحجاب : صدق [٦١] [عُبْدِي] ^(١) ، أنا أكبر -
 فظاهره أنه سمع في هذا الموطن كلام الله ، ولكن من وراء حجاب ، كما قال ^(٢) :
 ﴿وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب﴾ ؛ أى وهو ^(٣) لا يراه ،
 حجبَ بصره عن رؤيته .

فإن صحَّ القول ^(٤) بأنَّ محمداً صلى الله عليه وسلم رأى ربه - عزَّ وجلَّ - فيُحتمل
 أنه في غير هذا المَوطِنِ بعد هذا أو قبله ، رُفِعَ الحجابُ عن بصره حتى رآه .
 والله أعلم .

فصل

ثم اختلف السالف ^(٥) والعلماء : هل كان إسرائاً برُوحه أو جسده ؟ هل ثلاث
 مقالات ^(٦) :

فذهبت طائفةٌ إلى أنه إسرائاً بالروح ، وأنه رؤياً منام ، مع اتفاقهم أن رؤيا
 الأنبياء حقٌّ ووحيٌّ ، وإلى هذا ذهب معاوية ^(٧) .
 وحُكي عن الحسن ^(٨) ، والمشهور عنه خلفه ^(٩) ، وإليه أشار محمد بن إسحاق ،
 وحجتهم قوله تعالى ^(١٠) : ﴿وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنةً للناس﴾ .

-
- (١) ليس في ١ . (٢) سورة الشورى ، آية ٥١ (٣) وهو ؛ أى البشر .
 (٤) ارجع إلى صحيح مسلم في ذلك : ١٥٨ ، وما بعدها . وشرح القارى : ١ - ٤٠٢ .
 (٥) المراد بالسلف الصحابة ومن عاصرهم ، وبالعلماء من بعدهم . وهذا الفصل تحقيق
 في الإسرائ . (٦) أى الاختلاف واقع على ثلاثة أقوال للسلف والخلف .
 (٧) معاوية بن أبي سفيان ، كما رواه عنه ابن جرير ، وابن إسحاق . وهو صحابي ابن صحابي .
 (٨) الحسن البصرى .
 (٩) له قولان : أشهرهما أنه كان يقظة . وحدث الإسرائ في الطبقات الكبرى : ١ - ١٤٢ .
 كما تقدم .
 (١٠) سورة الإسرائ ، آية ٦٠ .

وما حَكَّوْا^(١) عن عائشة رضى الله عنها : ما فقدت^(١) جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم .
وقوله : بينا أنا نائم .

وقول أنس : وهو نائم في المسجد الحرام ... وذكر القصة ، ثم قال في آخرها^(٢) :
فاستيقظتُ وأنا بالمسجد الحرام .

وذهب مُعْظَمُ السَّلَفِ والمسلمين إلى أنه إسراء بالجسد وفي اليقظة ، وهذا هو الحقُّ ، وهو قولُ ابنِ عباس ، وجابر ، وأنس ، وحُدَيْفَةَ ، وعُمر ، وأبى هريرة ، ومالك بن صعصعة ، وأبى حَبَّةَ البَدْرِي ، وابن مسمود ، والضحاك ، وسعيد بن جبيرة ، وقتادة ، وابن المسيب ، وابن شهاب ، وابن زَيْد ، والحسن ، وإبراهيم ، ومسروق ، ومجاهد ، وعِكرمة ، وابن جُرَيْج ، وهو دليلُ قول عائشة^(٣) ، وهو قولُ الطبري ، وابن حنبل ، وجماعةٍ عظيمةٍ من المسلمين . وقولُ^(٤) أكثر المتأخرين من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين والمفسرين .

(١) وما حَكَّوْا : أى وما احتجوا به أنها رؤيا منام . وستأتى الإشارة إلى هذا بمدى قال في نسيم الرياض (٢ - ٢٨٨) : وفي نسخة : ما فقد - بالبناء للمفعول . وفي رواية : لم يفقد - مجهول أيضا . قال التلمساني : وهى الأثبه بالصواب ؛ فهو إخبار منها عن غيرها ، لأنها لم تكن حينئذ زوجته ؛ بل لم توجد .

(٢) فى حديث الإسراء الذى رواه البخارى : ٤ - ١٣٣ ، وهو يدل على أنه كان مناما .
(٣) قال فى نسيم الرياض (٢ - ٢٨٩) : قيل : كيف يكون الإسراء يقظة دليل قول عائشة : ما فقدت جسده الشريف الدال على أنه كان مناما لا يقظة ؟ فهذا سهو منه بلا ريب . وقد يقال : إنه سقط منه شيء ؛ وأصله دليل على عدم صحة قول عائشة ، لأنه لم يثبت نقله عنها .

وقد يقال : مراده أنه دليل على قول عائشة قولاً موافقاً لما عليه أكثر الصحابة ، وأنها قائله بأنه يقظة كالجهور ، كما سيأتى ؛ فالمراد بإبطال ما نقلوه عنها .

وهذا الرد الأخير أسهل من تفليط المصنف ؛ وهو الأنسب بقوله بمدى : وهو قول الطبري .
(٤) فى ١ : وهذا .

وقالت طائفة^(١) : كان الإسراء بالجسد يَقَظَةً إلى بيت المقدس ، وإلى السماء بالروح ، واحتجُّوا بقوله تعالى^(٢) : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى ﴾ ، فجعل « إلى المسجد الأقصى » غاية^(٣) الإسراء الذي وقع التعجبُ فيه بعظيم التُدْرَةِ ، والتمدُّح بتشريف النبي محمد صلى الله عليه وسلم به^(٤) ، وإظهار الكرامة له بالإسراء إليه .

قال هؤلاء^(٥) : ولو كان الإسراء بجسده إلى زائدٍ على المسجد الأقصى لذكَّره ؛ فيكون أبلغَ في المدح .

ثم اختلفت هذه الفرقتان^(٦) : هل صلَّى بييت المقدس أم لا ؟
ففي حديث أنس وغيره ما تقدم من صلواته فيه . وأنكر ذلك حذيفةُ بن اليمان ، وقال : والله ما زال^(٧) عن ظهر البراقِ حتى رجعا .

(١) هذا هو القول الثالث . (٢) في ب : إلى المسجد الأقصى . وعليها علامة الصحة .

(٣) سورة الإسراء ، آية ١

(٤) أى إنه لما جعل المسجد الأقصى غاية اقتضى أنه لم يجاوزه إلى السماء بيده الشريف .

قال في نسيم الرياض (٢ - ٢٩٠) : ولا حجة فيه ، لأن كونه غاية مسيره في الأرض لا ينافي صعوده لما يجازيه في جهة العلو .

وقيل : إن الحكمة في تخصيص المسجد الأقصى أن تسأل قريش على سبيل الامتحان عن الأعلام التي عرفوها ، والصفات التي شاهدوها في بيت المقدس ؛ وقد علموا أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يسافر إليها قط ، فيجيبهم بما عاين ، ويوافق ما يعلمون ؛ فتقوم الحجة عليهم ؛ وكذلك وقع . ولذا لم يسألوه صلى الله عليه وسلم عما رأى في السماء ؛ إذ لا علم لهم بذلك .
(٥) به : بالإسراء .

(٦) قال هؤلاء : أى قال هؤلاء الداهيون إلى أن الإسراء بجسده إلى المسجد الأقصى ، وهم أصحاب المذهب الثالث .

(٧) الفرقتان الثانية والثالثة . وفي هامش ب أمام هذه : خ : هاتان .

(٨) ما زال : لم ينقصا وينزلا . والضمير لجبريل ولنبي .

قال القاضي ^(١) : والحق من هذا والصحيح إن شاء الله - أنه إسراء بالجسد والروح في القصة كلها ، وعليه تدلُّ الآية ، وصحيح الأخبار ، والاعتبار ^(٢) ، ولا يُعدَّلُ عن الظاهر والحقيقة إلى التأويل إلا عند الاستحالة ، وليس في الإسراء بجسده وحالٍ يَقْتَضِيهِ استحالة ؛ إذ لو كان مناماً لقال ^(٣) : بِرُوحِ عَبْدِهِ ، ولم يَقُلْ : « بِعَبْدِهِ » . وقوله تعالى ^(٤) : ﴿ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى ﴾ ، ولو كان مناماً لَمَا كَانَتْ فِيهِ آيَةٌ وَلَا مَعْجَزَةٌ ، ولما استبعده الكُفَّار ، ولا كَذَّبُوهُ فِيهِ ، ولا ارتدَّ بِهِ ضُعْفَاءُ مَنْ أَسْلَمَ ، وافتتنوا بِهِ ^(٥) ؛ إذ من شأن هذا من المنامات لا يُنْكَرُ ؛ بل لم يكن منهم ^(٦) ذلك [٦٢] إلا وقد علموا أَنَّ خَبْرَهُ إِنَّمَا كَانَ عَنْ جِسْمِهِ وَحَالِ يَقْتَضِيهِ ، إلى ما ذُكِرَ فِي الْحَدِيثِ مِنْ ذِكْرِ صَلَاتِهِ بِالْأَنْبِيَاءِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ فِي رِوَايَةِ أَنَسٍ - أَوْ فِي السَّمَاءِ عَلَى مَا رَوَى غَيْرُهُ ، وَذِكْرِ حَجِّي جِبْرِيلَ لَهُ بِالْبُرَاقِ ، وَخَبْرِ الْمَرَّاجِ ، وَاسْتِفْتَاكِ ^(٧) السَّمَاءِ ؛ فَيُقَالُ : مَنْ مَعَكَ ؟ فَيَقُولُ : مُحَمَّدٌ ، وَلِقَائِهِ الْأَنْبِيَاءِ فِيهَا ^(٨) ، وَخَبْرِهِمْ مَعَهُ ، وَتَرْحِيهِمْ بِهِ ، وَشَأْنِهِ فِي فَرَضِ الصَّلَاةِ وَمَرَاجَعَتِهِ مَعَ مُوسَى فِي ذَلِكَ .

(١) هو المؤلف .

(٢) والاعتبار : المراد به التقيح لأقوال السلف أو دقيق الفكر والتأمل في الأحاديث الروية والقصة . يعنى أنه يدل على ذلك العقل والنقل . وفسر القارى الاعتبار بالمقايسة ، وقال (١ - ٤٠٥) : يعنى إذا ثبت إسراؤه من الحرم إلى الحرم بدلالة الآية فيجوز إسراؤه إلى السماء بالمقايسة للقرونة بالأحاديث الثابتة ؛ إذ لا فرق .

(٣) أى فى قوله تعالى : سبحان الذى أسرى بعبده - سورة الإسراء ، آية ١

(٤) سورة النجم ، آية ١٧ ؛ إذ ليس للروح بصر . ومعنى الآية : ما مال بصره يمينا ولا

شمالا فى مقام أدبه مع ربه ، وما جاوز ما أمره . (القارى : ١ - ٤٠٦) .

(٥) افتتنوا به : وقعوا فى فتنة وبلية عظيمة توقعهم فى العذاب ، لردتهم ، وتكذيبهم له ،

وإنكارهم لما أخبر به النبي بما هو خارق للعادة ؛ وهو قد أخبر به لأنه معجزة تحدثهم بها .

(٦) فى ١ : ذلك منهم . (٧) واستفتاح السماء : أى طلب فتحها له .

(٨) فيها : أى فى السماء .

وفي بعض هذه الأخبار^(١): فأخذ - بمعنى جبريل - بيدي فعرّج بي إلى السماء... إلى قوله: ثم عرّج بي حتى ظهرت^(٢) مُسْتَوِيٍّ أَسْمَعُ فِيهِ صَرِيْفَ الْأَقْلَامِ، وأنه وصل إلى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى، وأنه دخل الجنة، ورأى فيها ما ذكره.

قال ابن عباس: هي رُؤْيَا عَيْنٍ رَأَاهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا رُؤْيَا مَنَامٍ .
وعن الحسن^(٣) فيه: بينا أنا نائم في الْحِجْرِ^(٤) جاءني جبريل فهمزني بَعْقِيهِ^(٥)، فتمتُ فجلستُ فلم أَرِ شَيْئًا، فعدتُ لِمَضْجَعِي^(٦) - ذكر ذلك^(٧) ثلاثا، فقال في الثالثة: فأخذ بَعْضِي^(٨) فخرّني إلى بابِ المسجد فإذا بِدَابَّةٍ... وذكر خبير البراق^(٩).

وعن أمّ هانئ: ما أَسْرَى بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا وَهُوَ فِي بَيْتِي، تِلْكَ اللَّيْلَةَ صَلَّى الْعِشَاءَ الْآخِرَةَ^(١٠)، ونام بيننا، فلما كان قُبَيْلَ الْفَجْرِ أَهْبْنَا^(١١) رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلما صَلَّى الصبح وضلّينا قال: يَا أُمَّ هَانِئُ، لقد صليتُ معكم

(١) في الحديث الذي رواه الشيخان عن أنس، وقد تقدم.

(٢) ظهرت: علوت وصعدت.

(٣) رواه ابن إسحاق وابن جرير مرسلًا عن الحسن البصري.

(٤) الحجر: بجانب البيت الشريف كنصف دائرة عليه جدار قصير. وفي ب: جالس، وفي هامشه: نائم. والعكس في أ.

(٥) همزني: منى بشدة لينهني - والعقب: مؤخر الرجل.

(٦) لمضجعي: أي رجعت لما كنت عليه من هيئة النائم.

(٧) في ب: فذكر، وللتب في أ. (٨) المضد: ما فوق المرفق.

(٩) وهذا رواه ابن إسحاق، وابن جرير، والطبراني. وعلق القاري (١ - ٤٠٧) على

هذا بقوله: قال الدجني: الله أعلم بصحة هذا الحديث لنزاهة جبريل عن أن يفعل ذلك.

(١٠) العشاء الأولى: المغرب. (١١) أهبنا: أيقظنا (هامش ب).

العشاء الآخرة كما رأيت بهذا الوادي^(١)، ثم جئتُ بيْتِ القُدسِ فصَلَّيتُ فيه، ثم صليتُ
الغدَاةَ معكم الآن كما تَرَوْنَ .
وهذا بَيِّنٌ في أَنه بِجِسْمِهِ .

وعن أبي بكر من رواية شدّاد بن أوْس عنه - أَنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم
ليلةَ أُسْرِي به : طلبتُكَ يا رسولَ الله البارحةَ في مكانِكَ فلم أَجِدْكَ^(٢) . فأجابهُ : إن
جبريلَ عليه السلام حملني^(٣) إلى المسجد الأقصى .

وعن عُمر رَضِيَ اللهُ عنه^(٤) ، قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : صليتُ

(١) بهذا الوادي : بمسكة ، وهي واد لإحاطة الجبل بها وانخفاضها .

قال في نسيم الرياض (٢ - ٢٩٥) : قالوا : وهذا مشكل من وجوه ؛ لأنها إنما أسلت
عام الفتح ، فكيف تكون قد صلت معه العشاء . وأيضاً إن الصلاة إنما فرضت في الإسراء ؛
ولهذا أشار المصنف لتضمين هذا في الفصل الذي يليه . وأيضاً المغرب لا تسمى عشاءً لفقو شرعاً .
ثم قال : أقول الذي يظهر لي في التوفيق بين الآراء والجواب عما ذكر - أن النبي صلى الله
وسلم كان يبيت أم هانئ ، ثم خرج إلى الحرم للصلاة ، فغشيه نوم ، ثم استيقظ وعرج به .
وأما قول أم هانئ : « وصاينا » فيدفع إشكاله المذكور أنها بنت أبي طالب ، وأبو طالب
وآله كانوا محبين له صلى الله عليه وسلم ممتقدين صدقه ولم يظهروا ذلك ؛ ولذا أسلم على في
صباه ، فلما خرج النبي من بيتها تلك الليلة وصلى بالحرم ومعه على فلاشك أنه كان يصلي قبل
الإسراء بالغدَاة والعشي صلاة غير الخمس المفروضة ؛ فقولها : « صاينا » كقولهم : بنو فلان
قتلوا قتيلاً ، والقائل واحد منهم ؛ لأن الفعل المرضى لجماعة إذا وقع من أحدهم ينسب للجميع ؛
أي صلى معه بعض آلنا ، وهو على .

أو يقال : إنها كانت مسلمة سرا ، كما نقل عن العباس .

فاندفاع الإيراد الذي ظنوه غير مندفع ظاهر .

(٢) البارحة : الليلة الماضية قبل ليالتك . ومعنى طلبتُك : إنني تفقدت جسدك في مضجعتك .

(٣) في ١ : حملة . (٤) كما رواه ابن مردويه من طرق .

ليلة أُسرى بي في مقدم المسجد^(١) ، ثم دخلت الصخرة^(٢) فإذا بملك^(٣) قائم معه آنية ثلاث^(٤) ... وذكر الحديث .

وهذه التصريحات ظاهرة^(٥) غير مستحيلة ، فتحمّل على ظاهرها^(٦) .

وعن أبي ذر^(٧) ، عنه صلى الله عليه وسلم : فرج سَفْهُ بيتي وأنا بمكة ، فنزل جبريل ، فشرح صدري ، ثم غسله بماء زمزم ... إلى آخر القصة^(٨) ، ثم أخذ بيدي ، فعرّج بي .

وعن أنس : أتيت فأنطلق^(٩) بي إلى زمزم ، فشرح عن صدري .

وعن أبي هريرة رضى الله عنه : لقد رأيتني في الحجر ، وقريش تسألني عن مسراي^(١٠) ، فسألتنى عن أشياء لم أثبتها ، فكربت كربتاً ما كربت مثله قط^(١١) ، فرفعه الله لى أنظر إليه .

ونحوه عن جابر .

(١) المسجد : المسجد الأقصى .

(٢) ثم دخلت الصخرة : أى دخلت للمسجد الذى تحت الصخرة .

(٣) فى ١ : فإذا ملك .

(٤) يعنى إناء من نخر ، وإناء من لبن ، وإناء من ماء ، وأنه خير فيه فاختر اللبن ، وقيل

له : اخترت الفطرة ، ولو اخترت الحجر غوت أمتك - وقد تقدم .

(٥) ظاهرة : فى أنه كان يقظة .

(٦) أى ولا يعدل إلى التأويل مع عدم الحاجة إليه .

(٧) يؤيد ظهور الرأى بأن الإسراء كان يقظة .

(٨) فرج : كشف من السقف جانب حتى انفتحت منه فرجة ، ولم يبق حائل بينه وبين

السماء . وقد تقدمت .

(٩) فى ١ : أتانى آت فأنطلقوا بي .

(١٠) عن مسراى : أى يسأله كفار قريش عن علاماته بعد ما كذبوه .

(١١) السكرب : الغم والحزن الشديد ، مع القلق والاضطراب .

وقد رَوَى مُعمرُ بنُ الخطابِ رضِيَ اللهُ عنه في حديثِ الإسراءِ عنه صلى اللهُ عليه وسلم أنه قال : ثم رجعتُ إلى خديجةٍ وما تحوّلتُ عن جانبها ^(١) .

فصل

في إبطال حُجَجٍ من قال إنها نوم

احتجُّوا بقوله تعالى ^(٢) : ﴿ وما جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَبْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ ﴾ ،

فسيماها رؤيا ؟

قلنا : قوله سبحانه وتعالى ^(٣) : ﴿ الَّذِي أُسْرِيَ بَعْدِهِ ﴾ - يرده ؛ لأنه لا يُقال في النوم : أُسْرِيَ ^(٤) .

وقوله : ﴿ فِتْنَةً لِلنَّاسِ ﴾ . يؤيدُ أنها رؤيا عين ، وإسراءُ بشخص ^(٥) ؛ إذ ليس في الحِلْمِ فِتْنَةٌ . ولا يكذبُ به أحد ؛ لأنَّ كلَّ أحدٍ يرى مثلَ ذلك في منامه من السَّكُونِ في ساعةٍ واحدةٍ في أقطارٍ متباينة [٦٣] .

على أنَّ المُفسِّرين قد اختلفوا في هذه الآية ؛ فذهب بعضهم إلى أنها نزلت في قَضِيَّةِ الحَدَيْبِيَّةِ ، وما وقع في نفوسِ الناسِ من ذلك ^(٦) . وقيل غيرُ هذا .

(١) وما تحوّلت عن جانبها : الذي كانت عليه حين فارقها النبي . وهذا يقتضى أنه كان في بيت خديجة . وقد تقدم أنه كان في بيت أم هانئ . وفي رواية إنه كان في الحجر ، وفي أخرى : في الحطيم .

قال القارى (١ - ٤٠٩) : وفيه إشعار بتقليل زمن الإسراء . ثم قل : ولعله أول ما رجع دخل على خديجة ، ثم ذهب إلى أم هانئ في بيتها .

(٢) سورة الإسراء ، آية ٦٠ (٣) سورة الإسراء ، آية ١

(٤) إذ الإسراء هو السير ليلا ، وهذا إنما يكون يقظة . (٥) في ١ : وإسراء شخص .

(٦) من ذلك : من صلح الحديبية حتى راجعه في ذلك عمر مرارا . وقضية الحديبية أنه

صلى الله عليه وسلم رأى في المنام أنه دخل المسجد الحرام ؛ فصدّه المشركون في ذلك . ولئسكن النبي لم يقل : في هذا العام ، ودخل من قافل المسجد الحرام .

وأما قولهم : إنه قد سَمَّاهَا في الحديث مَنَامًا .

وقوله في حديث آخر : بين النَّائِمِ وَالْيَقْظَانِ .

وقوله أيضا: وهو نائم. وقوله: ثم استيقظتُ - فلا حجةَ فيه^(١)؛ إذ قد يحتملُ أنَّ أولَ وصولِ الملَكِ إليه كان وهو نائم^(٢)، أو أولَ حمله والإسراءِ به وهو نائم، وليس في الحديث أنه كان نائما في القصة كَمَا إلا ما يدلُّ عليه: ثم استيقظتُ وأنا في المسجد الحرام؛ فعمل قوله: استيقظتُ بمعنى أصبحتُ^(٣)، أو استيقظ من نومٍ آخر بعد وصوله بيته .

ويدل عليه أن مَسْرَاهُ لم يكن طولَ ليله، وإنما كان في بعضه .

وقد يكون قوله: استيقظتُ وأنا في المسجد الحرام لِمَا كان غَمْرَهُ^(٤) من عجائب ما طالع^(٥) من ملكوتِ السموات والأرض، وخامرَ باطنه^(٦) من مُشاهدةِ الملائِ الأَعلى، وما رأى من آياتِ رَبِّهِ الكبرى، فلم يستفق^(٧) ويرجع إلى حالِ البشرية إلا وهو بالمسجد الحرام .

ووجهُ ثالث أن يكونَ نومه واستيقاظه حقيقةً على مقتضى لفظه، ولكنه أُسرى بجسده وقلبه حاضر، ورؤيا الأنبياء حق، تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم .

(١) فلا حجة فيه بأنها رؤيا منام . (٢) بدليل قوله في الحديث: فهمزني بعقبه . . .

(٣) أصبحت: دخلت في وقت الصباح .

(٤) كان غمره: أى لاجل القدى عرض له مما يدهشه ويستغرق له وفكره .

(٥) ما طالع: ما شاهد .

(٦) خامر باطنه: مزاجه وخلطه، والمراد بباطنه: قلبه وحواصه الباطنة .

(٧) فلم يستفق: لم يقننه ويستيقظ من نومه .

وقد مالَ بعضُ أصحابِ الإشارات^(١) إلى تحوُّر من هذا . قال : تغميضُ عينيه
لثلاثِ شغلةٍ شئٍ من المحسوسات عن الله تعالى .
ولا يصحُّ هذا أن يكون^(٢) في وقت صلاته بالأنبياء^(٣) ، واعلمه كانت له في هذا
الإسراء حالات^(٤) .

ووجهُ رابع ، وهو أن يعبرَ بالنوم ها هنا عن هيئة النائم من الاضطجاع ؛
ويقويهِ قوله في رواية عبد بن حميد ، عن همام : بينما أنا نائم - وربما قال :
مضطجع .

وفي رواية هُدبَة ، عنه : بينما أنا نائم في الحطيم^(٥) - وربما قال : في الحجر -
مضطجع . وقوله في الرواية الأخرى : بينَ النَّائمِ واليقظانِ .
فيكون سُمِّيَ هيئته بالنوم لما كانت هيئة النائم غالباً .

وذهب بعضهم إلى أن هذه الزيادات : من النوم ، وذِكْرِ شَقِّ البطن ، ودنوِّ
الرب عزَّ وجل الواقعة في هذا الحديث^(٦) إنما هي من رواية شريك عن أنس ، فهي
منكورة^(٧) من روايته ؛ إذ شَقُّ البطنِ في الأحاديث الصحيحة إنما كان في صغره
صلى الله عليه وسلم وقبل النبوة ؛ ولأنه قال في الحديث : « قبل أن يُبعث » ، والإسراء

(١) أصحاب الإشارات : يعنى بهم مشايخ الصوفية ؛ والمراد بالإشارة ما يأخذونه من
الحقائق من النصوص القرآنية وغيرها ، وهم لا يقصدون بتفسيرهم أنه صريح النص .

(٢) من أن الإسراء بجسده صلى الله عليه وسلم وهو نائم ، ليوفق بين الروایتين . وقال
القارى (١ - ٤١٢) : هذا ؛ أى تغميض العين . (٣) لأن النائم لا يبلى ، ولا تصح صلاته .
(٤) فكان في بعضها نائماً غاضاً لبصره تأديباً ، أو لكسلا يرى سوى ربه ، وفي بعضها :
مستيقظاً ، ووقت صلاته بهم قائماً ، وفي بعضها بين النائم واليقظان ، وبهذا يجمع بين الروايات .
(٥) الحطيم : بين الركن والباب . (٦) في هذا الحديث : أى حديث الإسراء .

(٧) قال في نسيم الرياض (٢ - ٣٠٣) : وشريك طعن فيه ابن حبان وغيره ، وقالوا :
ليس بثبت .

بإجماع^(١) كان بعد البعث ؛ فهذا كله يُوهَّن^(٢) ما وقع في رواية أنس^(٣) ، مع أن أنساً قد بين من غير طريق أنه إنما رواه عن غيره ، وأنه لم يسمعه من النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال - مرةً : عن مالك بن صَمْعَةَ ، وفي كتاب مسلم^(٤) : لعله عن مالك ابن صَمْعَةَ - على الشك . وقال مرةً^(٥) : كان أبو ذرٍّ يحدث .

وأما قولُ عائشة : ما فُقدَ جسدُه ؛ فمأثرةٌ لم تحدثْ به عن مشاهدةٍ ؛ لأنها لم تكن حينئذٍ زوجَه^(٦) ، ولا في سنٍّ من يضبط^(٧) ، واهلها لم تكن وُلدت بعدُ ، على الخلاف في الإسراء متى كان ؛ فإن الإسراء كان في أول الإسلام على قول الزُّهري ومن وافقه بعد البعث بعام ونصف^(٨) ، وكانت عائشة في الهجرة بنت نحو ثمانية أعوام^(٩) .

وقد قيل : كان الإسراء تخمس قبل الهجرة . وقيل : قبل الهجرة بعام . والأشبه^(١٠) أنه تخمس .

والحجة لذلك تطول ، [٦٤] وليست من غرضنا ؛ فإذا لم تشهد ذلك عائشة دَلَّ على أنها حدثت بذلك عن غيرها ، فلم يرجح خبرها على خبر غيرها ؛ وغيرها يقول خلافه مما وقع نصاً في حديث أم هانئ وغيره .

(١) في ١ : كان بإجماع . (٢) يوهن : يضعف . (٣) وهي التي رواها شريك .

(٤) صحيح مسلم : ١٥٠ (٥) صحيح مسلم : ١٤٨ (٦) في ١ : زوجة .

(٧) أي لم يكن سنّها وعمرها حينئذٍ سن ضبط وإتقان لعدم تمييزها لغيرها ؛ فالرواية عنها ليست مسلمة ؛ أو هي حدثت به عن غيرها .

(٨) قال القاري (١ - ٤١٤) : وهذا مخالف لما نقله النووي من أنه بعد البعث بخمسة

أعوام ، وسيأتي .

(٩) فعلى هذا لم تكن ولدت في زمن الإسراء .

(١٠) الأشبه : أي القول الأصح الأول والأحسن .

وأيضاً فليس حديث عائشة رضي الله عنها بانثابت، والأحاديث الأخر أثبتت،
ولسناً^(١) تعني حديث أم هانئ، وما ذكرت^(٢) فيه خديجة.

وأيضاً فقد روى في حديث عائشة^(٣) : « ما فقدت » ، ولم يدخل بها النبي
صلى الله عليه وسلم إلا بالمدينة .

وكُلُّ هذا يوهنه^(٤) ؛ بل الذي يدلُّ عليه صحيحُ قولها : إنه^(٥) يجسده ،
لإنكارها أن تكون رؤياه أربعة رؤياً عَيْنٍ ، ولو كانت عندها مناماً لم تُنكره .

فإن قيل : فقد قال تعالى^(٦) : ﴿ ما كذبَ الفؤادُ ما رأى ﴾ - فقد جعل ما رآه
للقاب ، وهنا يدلُّ على أنه رؤيا نومٍ ووحي ، لا مشاهدة عَيْنٍ وحس .

قلنا : يقابله قوله تعالى^(٧) : ﴿ ما زاعَ البصرُ وما طَفَى ﴾ - فقد أضاف الأمرَ للبصرِ .
وقد قال أهلُ التفسير في قوله تعالى^(٦) : ﴿ ما كذبَ الفؤادُ ما رأى ﴾ ؛ أي

بِئْوَمِّ الْقَلْبِ الْأَمِينِ غير الحقيقة ؛ بل صدق رؤيتها .

وقيل : ما أنكر قلبه ما رآته عينه .

(١) ضبطت هذه الكلمة في ا : بفتح اللام وسكون السين ، وفي ب بفتح اللام وضم السين .
وفي القاموس : اللسن - بكسر اللام وسكون السين : اللغة والكلام .

(٢) أي ولا تعني حديث عمر الذي ذكرت فيه خديجة لعدم ورودها في الصحيح .

(٣) كما روى : ما فقدت - بالبناء للمجهول .

وقد تقدمت هذه الرواية صفحة . . .

(٤) يوهنه : يضعفه : أي يضمف حديث : ما فقدت .

(٥) إنه : أي الإسراء . (٦) سورة النجم ، آية ١١

(٧) سورة النجم ، آية ١٧

فصل

وأما رؤيته ^(١) - صلى الله عليه وسلم لربه جلّ وعزّ - فاختلف السلف فيها ؛
فإنكرته عائشة .

حدثنا أبو الحسين سراج بن عبد الملك الحافظ بقراءتي عليه ؛ قال : حدثني
أبي وأبو عبد الله بن عتاب الفقيه ؛ قالوا : حدثنا القاضي يونس بن مغيث ، حدثنا
أبو الفضل الصقلّي ، حدثنا ثابت بن قاسم بن ثابت ، عن أبيه وجدّه ؛ قالوا : حدثنا
عبدُ الله بن علي ، قال : حدثنا محمود بن آدم ، حدثنا وكيع ، عن ابن أبي خالد ، عن عامر ،
عن مسروق ^(٢) - أنه قال لعائشة رضي الله عنها - يا أمّ المؤمنين ؛ هل رأى محمدُ ربه ؟
فقلت : لقد قفّ شعري ^(٣) مما قلت ثلاثٌ من حديثك بهنّ فقد كذب : من حدثك
أنّ محمدا رأى ربه فقد كذب ، ثم قرأت ^(٤) : ﴿ لا تدركه الأبصارُ وهو يدرك الأبصارَ
وهو اللطيفُ الخبيرُ ﴾ ^(٥) ؛ وذكر الحديث .

وقال جماعة بقول عائشة رضي الله عنها ، وهو المشهور عن ابن مسعود .
ومثله عن أبي هريرة أنه [قال] ^(٦) : إنما رأى جبريل . واختلف عنه ^(٧) .

-
- (١) رؤيته بعينه يقظة في إسرائه بجسده . (٢) صحيح مسلم : ١٦٠ .
(٣) قف شعري : قام وانتصب ؛ واقشعر ، وإنما يكون هذا غالبا عند الفزع والخوف القوي .
والمراد إنكار ما قاله واستنطاقه . مما قلت : أي خفت من كلامه أن يهلك الله من قاله واستمع به ؛
لأنه أمر منكر لا يرضاه الله ، ولم يثبت عندها . (٤) ثم قرأت : أي مستدلة لما قالته .
(٥) سورة الأنعام ، آية ١٠٣ (٦) ليس في ب . وهذه الرواية في صحيح مسلم : ١٥٨ .
(٧) قال مسروق : وكنت متكئا جلست وقلت : يا أمّ المؤمنين ، أنظريني ولا تمجلي ، ألم
يقُل الله تعالى : ولقد رآه بالأفق المبين . ولقد رآه نزلة أخرى . فقالت : أنا أول هذه الأمة
سأل عن ذلك رسول الله عليه الصلاة والسلام . فقال : إنما هو جبريل ؛ لم أره على صورته التي
خلق عليها غير هاتين المرتين - كما رواه مسلم : ١٥٩ .

وقال بإنكار هذا وامتناع رؤيته في الدنيا جماعة من المحدثين، وبالفقهاء، والمتكلمين.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه رآه بعينه^(١).

وروى عطاء عنه... أنه رآه بقلبه.

وعن أبي المالبة، عنه^(٢): رآه بفؤاده مرتين.

وذكر ابن إسحاق أن ابن عمر أرسل إلى ابن عباس رضي الله عنهما يسأله:

هل رأى محمد ربه؟ فقال: نعم.

والأشهر عنه أنه رأى ربه بعينه، روى ذلك عنه^(٣) من طريق، وقال: إن

الله تعالى اختص موسى بالكلام^(٤)، وإبراهيم بالخلة^(٥)، ومحمد بالرؤية.

وحجته^(٦) قوله تعالى^(٧): ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى. أَفَتُمَارُونَهُ﴾^(٨) على ما يرى.

ولقد رآه نزلةً أخرى^(٩).

قال الماوردي: قيل: إن الله تعالى قسم كلامه ورؤيته بين موسى ومحمد صلى الله

عليه وسلم؛ فراه محمد مرتين، وكلمه موسى مرتين.

وحكى أبو الفتح الرازي، وأبو الليث السمرقندي الحكاية^(١٠) عن كعب.

(١) في صحيح مسلم (١٥٨): عن ابن عباس، قال: رآه بقلبه.

(٢) عنه: عن أبي هريرة، والذي في صحيح مسلم (١٥٨): أن هذا عن ابن عباس:

قال: ما كذب الفؤاد ما رأى. ولقد رآه نزلةً أخرى؛ قال: رآه بفؤاده مرتين.

(٣) عنه: عن ابن عباس.

(٤) لقوله تعالى: واتخذ الله إبراهيم خليلاً.

(٥) وحجته: أي دليله على الرؤية.

(٦) سورة النجم، آية ١١، ١٢، ١٣.

(٧) أفتأرونه: أتجادلون في رؤيته لما رآه.

(٨) نزلةً أخرى: مرة أخرى.

(٩) الحكاية: أي التي ذكرها الماوردي.

ورَوَى عَبْدُ اللَّهِ بن الحارث ، قال : اجتمع ابنُ عباس و كَعْبٌ ؛ فقال ابنُ عباس : أَمَا نحن بنو هاشم فنقول : إنَّ محمداً قد رأى ربَّهُ مرَّتين ؛ فكَبَّرَ كَعْبٌ ^(١) حتى جاوبتهُ الجبال ^(٢) ، وقال : إنَّ اللهَ قسمَ رؤيته وكلامه بين محمد وموسى ؛ فكلامه موسى ، وراه محمد بقلبه .

وروى شريك [٦٥] عن أبي ذرّ رضی الله عنه في تفسير الآية ^(٣) ؛ قال : رأى النبيُّ صلى الله عليه وسلم ربّه .

وحكى السمرقندي ، عن محمد بن كعب القرظي ، وربيع بن أنس - أن النبيَّ صلى الله عليه وسلم سئل : هل رأيت ربك ؟ قال : رأيتهُ بهوادي ، ولم أره بعيني . وروى مالك بن يُحَامِر ، عن مُعَاذ ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ؛ قال ^(٤) : رأيتُ ربِّي . . . وذكر كلمةً ، فقال : يا محمد ؛ فيم ^(٥) يَخْتَصِمُ المَلَأُ الأعلى . . . الحديث .

وحكى عبد الرزاق أن الحسن ^(٦) كان يحلف بالله لقد رأى محمدٌ ربّه .

(١) فكبر كعب : لسروره بمقالته الموافقة لما عنده .

(٢) حتى جاوبته الجبال : أي رفع صوته بالتكبير حتى سمع صده من الجبال .

(٣) الآية : ما كذب الفؤاد ما رأى . . .

(٤) في حديث رواه أحمد بن حنبل وغيره ، وهو حديث صحيح أوله : قال معاذ رضی

الله عنه : صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الفداة ثم أقبل علينا فقال : إني سأحدثكم أني قمت من الليل فصليت ما قدر لي ونمت . . .

الحديث بتمامه في المسند : ٢٤٣-٥ ، ونسيم الرياض : ٣١٢-٢ ، وشرح القاري : ١-٤٢١

(٥) أي فيم يسأل الملائكة بعضهم بمضا عن المراتب المقرّبة إلى الله ، المكفرة للخطايا .

(٦) هو الحسن البصري .

وحكاه أبو عمر الطلمنكي^(١) عن عكرمة .

وحكى بعض المتكلمين هذا المذهب^(٢) عن ابن مسعود .

وحكى ابن إسحاق أن مروان سأل أبا هريرة . هل رأى محمد ربه ؟ فقال : نعم

وحكى النقاش ، عن أحمد بن حنبل - أنه قال : أنا أقولُ بحديث ابن عباس

بمينه رآه - حتى انقطع نفسه - يعنى نفس أحمد .

وقال أبو عمر : قال أحمد بن حنبل : رآه بقلبه ، وجبَّ عن القول برويته

في الدنيا^(٣) بالإبصار .

وقال سعيد بن جبَّير : لا أقول رآه ، ولا لم يره^(٤) .

وقد اختلف في تأويل الآية^(٥) عن ابن عباس ، وعكرمة ، والحسن ،

وابن مسعود ؛ فحكى عن ابن عباس وعكرمة : رآه بقلبه^(٦) . وعن الحسن

وابن مسعود : رأى جبريل .

وحكى عبد الله بن أحمد بن حنبل ، عن أبيه ، أنه قال : رآه^(٧) .

وعن ابن عطاء ، في قوله تعالى^(٨) : ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾ - قال : شرح

صدره للرؤية ، وشرح صدر موسى للكلام .

(١) في هامش ب : قوله : الطلمنكي - بفتح الطاء المهملة ، واللام والميم ، وسكون النون

وكسر الكاف : الحافظ للقرى أبو عمر .

روى عنه ابن عبد البر ، وابن حزم ، وغيرها . وكان رأسا في علم القراءات ذا عناية تامة
بالحديث ، إماما في السنة ، توفي سنة تسع وعشرين وأربعمائة (شرح القارى : ١ - ٤٢٢) .

(٢) وهو رؤية الله بعينه . (٣) أى لم يجترئ تأديبا .

(٤) أى توقف في ذلك ، ولم يعمل لأحد القولين .

(٥) يعنى قوله تعالى : ولقد رآه نزلة أخرى . عند سدره المنتهى . (٦) صحيح مسلم : ١٥٨

(٧) أى بعينه ؛ لأنه التبادر . وقد روى عنه التصريح به ، ولا ينافى ذلك ما مر من أنه

جبَّ عن القول بذلك ؛ لأنه قد يخفيه في بعض المجالس . (٨) سورة الشرح ، آية ١

وقال أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري رضي الله عنه وجماعة من أصحابه أنه رأى الله تعالى ببصره وعيني رأسه ، وقال : كل آية أوتيها نبي من الأنبياء عليهم السلام فقد أوتي مثلها نبينا ، وخص من بينهم بتفضيل الرؤيا (١) .
 ووقف (٢) بعض مشايخنا في هذا ، وقال : ليس عليه دليل واضح ؛ ولكنه جائز أن يكون .

قال القاضي أبو الفضل (٣) : والحق الذي لا امتراء (٤) فيه - أن رؤيته تعالى في الدنيا جائزة عقلا ، وليس في العقل ما يحيلها (٥) .

والدليل على جوازها في الدنيا سؤال موسى عليه السلام لها (٦) . ومحال أن يجهل نبي ما يجوز على الله وما لا يجوز عليه ؛ بل لم يسأل إلا جائزا غير مستحيل ، ولكن وقوعه ومشاهدته من الغيب الذي لا يعلمه إلا من علمه الله ، فقال له الله تعالى (٧) : ﴿ لَنْ تَرَانِي ﴾ ؛ أي لن تطيق ، ولا تحتمل رؤيتي (٨) ؛ ثم ضرب له مثلا بما هو أقوى من بنية موسى وأثبت ، وهو الجبل (٩) .

(١) بتفضيل الرؤيا : أي بتفضيله برؤية ربه عيانا في الدنيا ، فلم يره غيره فيها .

(٢) ووقف بعض مشايخنا : أي توقف فيه فلم يعتقد ثبوته ولا نفيه .

(٣) هو للؤلؤ . (٤) لا امتراء فيه : لاشك فيه ولا شبهة .

(٥) ما يحيلها : ما يقتضي أنها مستحيلة .

(٦) سؤال موسى : بقوله : رب أرني أنظر إليك . وموسى من أولى العزم لا يسأل من

الله تعالى ما لا يجوز ، فلم يعتقد صحة ذلك ما سأله ، وإلا كان جهلا منه بأحوال الربوبية ، وهو مبرأ منه . (٧) سورة الأعراف ، آية ١٤٣

(٨) لن تراني : أي الرؤيا جائزة ، ولكنك لاتصل إليها في الدنيا .

(٩) في قوله تعالى : ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني - فلما لم يثبت

الأقوى علم عدم ثباته بالطريق الأولى ؛ ولما كان استقرار الجبل ممكنا كان ما علق به ممكنا أيضا ؛ فلم منه جواز الرؤيا .

وكل هذا ليس فيه ما يُحِيل^(١) رؤيته في الدنيا ؛ بل فيه جَوَازُها على الجملة ؛ وليس في الشرع دليل قاطع على استحالتها ولا امتناعها ؛ إذ كل موجود فرؤيته جائزةٌ غيرٌ مستحيلة .

ولا حجة لمن استدلال على منعهما بقوله تعالى^(٢) : ﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ ﴾ ، لاختلاف التأويلات في الآية ، وإذ ليس يقتضى قول من قال في الدنيا^(٣) الاستحالة . وقد استدلال بعضهم بهذه الآية^(٤) نفسها على جواز الرؤية وعدم استحالتها على الجملة .

وقد قيل : لا تدركه أبصار الكفار . وقيل : لا تدركه الأبصار ؛ لأن محيطة به ، وهو قول ابن عباس . وقد قيل : لا تدركه الأبصار ، وإنما يدركه المبصرون .

وكل هذه التأويلات لا تقتضى منع الرؤية ولا استحالتها .

وكذلك لا حجة لهم بقوله تعالى^(٥) : ﴿ لَنْ تَرَانِي ﴾ . وقوله^(٥) : ﴿ تَبَّتْ إِلَيْكَ ﴾^(٦) - لما قدمناه [٦٦] ؛ ولأنها ليست على العموم^(٧) ؛ ولأن من قال : معناها : لن تَرَانِي في الدنيا - إنما هو تأويل .

وأبضا فليس فيه نص الامتناع ؛ وإنما جاءت في حق موسى ؛ وحيث تنطرق التأويلات وتتسائط الاحتمالات ، فليس للقطع إليه سبيل .

(١) ما يحيل رؤيته : أى يقتضى استحاله فيها .

(٢) سورة الأنعام ، آية ١٠٣

(٣) قول من قال في الدنيا : أى قول من قال بمنعها في الدنيا ، بل تخصيص الدنيا يقتضى وقوعه في الآخرة ، فيدل على الجواز في الدنيا .

(٤) آية : لا تدركه الأبصار - الأنعام ، آية ١٠٣

(٥) سورة الأعراف ، آية ١٤٣

(٦) تبَّتْ إِلَيْكَ من سؤال الرؤية ، لانه محال وطلب ما لا يليق ، فهو ذنب .

(٧) ليست على العموم : بل مخصوصة بموسى عليه السلام . والضمير للآية .

وقوله: ﴿ تَبَّتْ إِلَيْكَ ﴾ ؛ أَي مِنْ سُؤَالِي مَا لَمْ تُقَدِّرْهُ لِي (١) .

وقد قال أبو بكر الهذلي - في قوله: ﴿ لَنْ تَرَانِي ﴾ ؛ أَي لَيْسَ لِإِنْسَانٍ أَنْ يُطِيقَ

أَنْ يَنْظَرَ إِلَى فِي الدُّنْيَا ، وَإِنِّهِ مَنْ نَظَرَ إِلَى مَاتَ .

وقد رأيت لبعض السلف والمتأخرين ما معناه : إن رؤيته تعالى في الدنيا مُتَمَنِّعَةٌ ،

لضعف تركيب أهل الدنيا ، وقواهم ، وكونها (٢) متغيرة غرضاً (٣) للآفات والفناء ،

فلم تكن لهم قوة على الرؤية ؛ فإذا كان في الآخرة ورزقوا تركيباً آخر ، ورزقوا

قوى ثابتة (٤) باقية ، وأتم أنواراً أبصارهم (٥) وقلوبهم قووا بها على الرؤية .

وقد رأيت نحو هذا لمالك بن أنس رحمه الله ؛ قال : لم ير في الدنيا ؛ لأنه باق ،

ولا يرى الباقي بالفاني ؛ فإذا كان في الآخرة ورزقوا أبصاراً باقية رُئِيَ الباقي بالباقي .

وهذا كلام حسن مَلِيح ، وليس فيه دَلِيلٌ عَلَى الاستحالة إِلَّا من حيثُ ضَعْفُ

القدرة (٦) ؛ فإذا قوى اللهُ تعالى مَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادِهِ ، وَأَقْدَرَهُ عَلَى حَمْلِ أَعْبَاءِ (٧) الرُّؤْيَةِ

لَمْ تَمْتَنِعْ فِي حَقِّهِ .

وقد تقدّم ما ذكر في قوة بصير موسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام ، ونفوذ

إدراكهما بقوة إلهية منحأها (٨) لإدراك ما أدركاه ، ورؤية ما رأياه . والله أعلم .

(١) ما لم تقدره لي : في الدنيا في ذلك الوقت لحكمة خفية ، لما غشيه من أنوار عظيمته

حتى صمق .

(٢) وكونها متغيرة : ولكون التراكيب والقوى متغيرة بالازدياد والضعف .

(٣) غرضاً : هدفاً . وفي أ : عرضاً - بالعين المهملة . وفي هامش أ : وكونها متعرضة .

وعليها علامة الصحة .

(٤) في أ : ثانية . وفي ب : ثانية ، وثابتة ، وعليها « مما » .

(٥) أي جعلها تامة كاملة مستعدة للبقاء السرمدي .

(٦) ضعف القدرة : أي البشرية في الدنيا .

(٧) الأعباء : جمع عبء ، وهو الحمل الثقيل .

(٨) منحأها : أعطياها .

وقد ذكر القاضى أبو بكر ^(١) - فى أثناء أجوبته عن الآيتين ^(٢) - ما معناه :
 إن موسى عليه السلام رأى الله ؛ فذلك خَرَّ صَعْقًا ^(٣) ، وإن الجبل رأى ربه فصار ^(٤)
 دكًا يادراك خاتمة الله له . واستنبط ^(٥) ذلك ، والله أعلم ، من قوله ^(٦) : ﴿ وَالسَّيِّدِ
 أَنْظَرُ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنْ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْقَ تَرَانِي ﴾ .

ثم قال ^(٦) : ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا ﴾ .

وتجليُّه للجبل هو ظهوره له حتى رآه - على هذا القول ^(٧) .

وقال جعفر بن محمد : شغله بالجبل حتى تجلَّى ^(٨) ، ولولا ذلك لامت صعقًا

بلا إفاقة ^(٩) .

وقوله هذا يدلُّ على أن موسى رآه ^(١٠) .

وقد وقع لبعض المفسرين - فى الجبل - أنه رآه ، وبرؤية الجبل له ^(١١) استدلالٌ

من قال بروية محمدٍ نبينا له ^(١١) ؛ إذ جعله دليلًا على الجواز .

(١) يعنى الباقلانى ، لأن القاضى أبا بكر بن العربى معاصر للمصنف ؛ إذ مولده سنة ثمان
 وستين وأربعمائة . ومماته سنة ثلاث وأربعين وخمسة . ومولد المصنف سنة ست وسبعين
 وأربعمائة ، ومماته سنة أربع وأربعين وخمسة (هامش ب ، وشرح القارى : ١ - ٤٢٧) .

(٢) الآيتان هما : « لاتدرکه الأبصار » . و « لن ترانى » .

(٣) صعقا : منشيا عليه .

(٤) فصار دكا : انهد حتى صار ترابا من هيبه الله .

(٥) واستنبط : استخرج .

(٦) سورة الأعراف ، آية ١٤٣

(٧) على هذا القول : أى قول أبى بكر الباقلانى السابق بأن موسى والجبل رأياه معا .

(٨) تجلَّى : ظهر ظهورا تاما لموسى عليه السلام .

(٩) بلا إفاقة : من صعقته وغشيه .

(١٠) رآه : كالجبل ، لأنه معنى التجلى ؛ لأنه لا يقال تجلَّى له إلا إذا شاهده .

(١١) له : لله عز وجل . وإنما دكه ليعلم موسى عدم طاقته لمشاهدة نور الأنوار .

ولا مِرْيَةٌ فِي الْجَوَازِ^(١)؛ إذ ليس في الآيات نصٌّ بالمنع .
 وأما وجوبه^(٢) لنبينا صلى الله عليه وسلم ، والتَّوَلُّ بِأَنَّهُ رَأَاهُ بِعَيْنِهِ - فليس فيه
 قاطع^(٣) أيضا ولا نصٌّ ؛ إذ المَعْوَلُ فِيهِ عَلَى آيَةِ «النَّجْمِ»^(٤) ، والتنازعُ فِيهِمَا مَأْثُورٌ^(٥) ،
 والاحتمالُ لهما مُمْتَكِنٌ ، ولا أَرَّ قاطعٌ مُتَوَاتِرٌ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِذَلِكَ .
 وحديثُ ابنِ عباسٍ^(٦) خَبَّرَ عَنِ اعْتِقَادِهِ لَمْ يُسْنِدْهُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛
 فيجِبُ العَمَلُ بِاعْتِقَادِ مُضَمَّنِهِ^(٧) .

ومثله حديثُ أَبِي ذَرٍّ فِي تَفْسِيرِ الآيَةِ^(٨) .

وحديثُ معاذٍ^(٩) محتملٌ للتأويل ، وهو مضطرب الإسناد والمُتَنِّ .
 وحديثُ أَبِي ذَرٍّ الآخِرُ مُخْتَلَفٌ مُحْتَمِلٌ مُشْكِلٌ . فرموى : نورٌ أتى^(١٠) أَرَاهُ .

- (١) لامرية : لاشك . في الجواز : أى جواز الرؤية .
- (٢) وأما وجوبه : أى وجوب وقوع رؤيته لربه في الإسراء بعين رأسه .
- قال في نسيم الرياض (٢ - ٣٢٢) : الظاهر أن يقال : إن الوجوب هنا بمعناه الاصطلاحي ؛
 لأنه لو ورد مصرحاً به في نص قطعي من القرآن أو الحديث المتواتر أو المشهور وجب علينا اعتقاده ،
 ولا يسع أحداً من أهل الملة أن يخالف فيه . أو هو الوجوب بمعناه اللغوي ، وهو الوقوع .
- (٣) فليس فيه قاطع : أى دليل قطعي .
- (٤) آيتي النجم : ها : ما كذاب الفؤاد ما رأى . ولقد رآه نزلة أخرى .
- (٥) والتنازع فيهما مأثور : أى النزاع في المراد منها منقول عن سلف المفسرين والمتكلمين .
- (٦) الذى ذكر فيه أنه رآه بعينه . وقد تقدم .
- (٧) مضمته : أى ما تضمنه ودل عليه لفظه من رؤيته صلى الله عليه وسلم لربه بعينه .
- (٨) الآيَةُ هِيَ آيَةُ سُورَةِ النَّجْمِ . وحديثُ أَبِي ذَرٍّ القَارِي رَوَاهُ مُسْلِمٌ (١٦١) : قَالَ :
 سَأَلْتُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ ؟ قَالَ : رَأَيْتُ نُورًا . . .
- (٩) حديث معاذ : إني رأيت ربي في أحسن صورة .
- (١٠) أنى أراه : كيف أراه ؛ أى رأيت نورا غشيبى فكيف أرى ذات الله ، وقد حال
 بيني وبينه سبحات النور المانعة من الرؤية في جاري العادة . وحديثه هذا في صحيح مسلم : ١٦١
 هذا ما قاله الحفاجي . وقال القارى (١ - ٤٢٨) : أى قوله : رأى النبي صلى الله عليه وسلم لربه .

وحكى بعضُ شيوخنا أنه رُوِيَ : نَوَّرَ آتَى أَرَاهُ^(١) .

وفي حديثه الآخر: سألتُه ، فقال: رأيتُ نوراً. وليس يمكن الاحتجاجُ بواحدٍ^(٢) منها على صحةِ الرؤية ؛ فإن كان الصحيحُ رأيتُ نوراً فهو قد أخبر أنه لم يرَ الله ؛ وإنما رأى نوراً منعه وحجبه عن رؤية الله .

وإلى هذا يرجعُ قوله: نور أنى أراه؛ أى كيف أراه مع حجابِ النور المُغشى^(٣) للبصر ؛ وهذا مثلُ [١٦٧] ما فى الحديث الآخر : حجابُه النور^(٤) .

وفي الحديث الآخر : لم أره بعينى ، ولكن رأيتُه بقلبي مرتين ، وتلا^(٥) : ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى ﴾ . والله قادرٌ على خَلْقِ الإدراكِ الذى فى البَصَرِ فى القلب ، أو كيف شاء ، لا إلهَ غيره .

فإن ورد حديثُ نصٍّ بينَ فى الباب ، يتقدّمُ ووجب المصيرُ إليه^(٦) ؛ إذ لا استِحالةَ فيه ، ولا مانعَ قطعى يردُّه ، والله اعرف^(٧) .

(١) فى نسيم الرياض : قال المصنف فى شرح مسلم : هذه الرواية لم تثبت . وفى (ب) ضبطت النون بالضمة . (٢) فى ب : منهما . (٣) المغشى للبصر : السائر والمانع له من الرؤية . (٤) فى نسيم الرياض (٢ - ٣٢٥) : هذا الحديث رواه مسلم ، والطيالسى ، والبخارى ، عن أبى موسى الأشعري ؛ وهو : إن الله لا ينام ، ولا ينفى له أن ينام ، ولكنه يخفض القسط ويرفعه ، ويرفع عمل الليل قبل النهار ، وعمل النهار قبل الليل ، حجابُه النور ، لو كشفه أحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه . وهو فى صحيح مسلم : ١٦٢ (٥) سورة النجم ، آية ٩

(٦) ووجب المصيرُ إليه ؛ أى وجب علينا أن نذهب لاعتقاده ولا نعدل عنه .

(٧) قال القارى فى شرحه (١ - ٤٣٠) : أقول ، والله سبحانه وتعالى أعلم : إنه يمكن الجمع بين الأدلة فى هذه المسألة المشككة بأن ما ورد مما يدل على إثبات الرؤية إنما هو باعتبار تجلّى الصفات ، وما جاء مما يشير إلى نفي الرؤية فهو محمول على تجلّى الذات ؛ إذ التجلّى للشيء إنما يكون بالكشف عن حقيقته ، وهو محال فى حق ذاته تعالى باعتبار إحاطته وحياضته ، كما يدل عليه قوله تعالى : لا تدركه الأبصار . وقوله سبحانه وتعالى : لا يحيطون به علماً .

فصل

وأما ما ورد في هذه القصة^(١) مِنْ مُنَاجَاتِهِ^(٢) لله تعالى وكلامه معه بقوله^(٣) : ﴿ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ﴾ - إلى ما تَضَمَّنَتْهُ الأحاديثُ - فأكثرُ المفسرين على أَنَّ الْمَوْحَىٰ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ إلى جبريل ، وجبريلُ إلى محمد صلى الله عليه وسلم إلا شذوذاً^(٤) منهم ؛ فذُكِرَ عن جعفر بن محمد الصادق ، قال : أَوْحَىٰ إِلَيْهِ بِبِلَا وَاسِطَةٍ^(٥) ، ونحوه عن الواسطي ؛ وإلى هذا ذهب بعضُ المتكلمين - أَنَّ مُحَمَّدًا كَلَّمَ رَبَّهُ فِي الْإِسْرَاءِ .

وحكى عن الأشعري ، وحكوة عن ابن مسعود وابن عباس ؛ وأنكره آخرون^(٦) .

وذكر النقاش ، عن ابن عباس - في قصة الإسراء ، عنه صلى الله عليه وسلم في قوله^(٧) : ﴿ دَنَا فَتَدَلَّى ﴾ - قال : فارقتني جبريل^(٨) ، وانقطعت الأصواتُ عني ، فسمعتُ كلامَ ربي وهو يقولُ : لِيَهْدَأُ رَوْعَكَ^(٩) يا محمد ، اذُنُ ، اذُنُ^(١٠) .

(١) في هذه القصة ؛ أي قصة الإسراء .

(٢) من مناجاته لله ؛ أي مخاطبته له ومحادثته . (٣) سورة النجم ، آية ١٠ .

(٤) إلا شذوذاً : إلا جماعة من المفسرين قليلة شاذة خالفوهم فيه فشذوا .

(٥) أوحى إليه بلا واسطة : أي كلم الله محمداً بلا واسطة ملك أو غيره ، فالمراد بالوحي

هنا الكلام . (٦) وأنكره : أي أنكر تكليم الله له بلا واسطة قوم آخرون .

(٧) سورة النجم ، آية ٨

(٨) فارقتني جبريل : أي تخلف عني في مقام معين ؛ لأن له مقاماً لا يتعداه .

(٩) الروع : الخوف ؛ أي ليذهب خوفك . أو هي بضم الراء . والروع : القلب . والمراد

ليقر قلبك ولا يضطرب من الخوف .

(١٠) اذن : أي تقدم ، وادخل إلى حظائر القدس ؛ وإنما قال له ذلك تشريفاً له ، وإعلاء

لمنزله ، وتأنيساً لاستيحاشه لما انقطعت عنه الأصوات ، ولذلك أمره باطمئنان قلبه أولاً ، وكرر أمره تأكيدياً .

وفي حديث أنس في الإسراء نحو منه .

وقد احتجوا في هذا ^(١) بقوله تعالى ^(٢) : ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُسْكَتَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا ، أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ، أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ ۗ ﴾ ؛ فقالوا ^(٣) : هي ثلاثة أقسام : من وراء حجاب ^(٤) كتكليم موسى ؛ وإرسال الملائكة ^(٥) كحال جميع الأنبياء وأكثر أحوال نبينا صلى الله عليه وسلم . الثالث : قوله : وَحْيًا ^(٦) ، ولم يبقَ من تقسيم الكلام إلا المشافهة مع المشاهدة ^(٧) .

وقد قيل : الوحي هنا ^(٨) : هو ما يُبْقِيهِ فِي قَلْبِ النَّبِيِّ دُونَ وَاسِطَةٍ .

وقد ذكر أبو بكر البزار، عن عليّ في حديث الإسراء ما هو أوضح في سماع النبي صلى الله عليه وسلم لكلام الله من الآية : فذكر فيه : فقال الملك : الله أكبر . الله أكبر - فقيل لي من وراء الحجاب : صدق عبدي ، أنا أكبر ، أنا أكبر . وقال في سائر كلمات الأذان مثل ذلك ^(٩) .

ويجوز الكلام في مُشْكَلِ هَذَيْنِ الْحَدِيثَيْنِ فِي الْفَصْلِ بَعْدَ هَذَا مَعَ مَا يُشْبِهُهُ .
وفي أوّل فصلٍ من الباب منه .

(١) احتجوا في هذا : أي استدلوا على أنه تعالى كالمه بلا واسطة .

(٢) سورة الشورى ، آية ٥١

(٣) هي : أي أقسام الكلام المثبتة في هذه الآية .

(٤) أي يسمع كلامه من غير واسطة ، وهو لا يراه .

(٥) وإرسال الملائكة إلى رسل البشر ليبلغوهم كلامه تعالى ووحيه الذي أوحاه إليهم .

قال القاري (١ - ٤٣١) : الأظهر « الملك » - بصيغة الإفراد ؛ لأن المشهور أن جبريل هو

صاحب الوحي . (٦) قوله : وحيا ؛ أي إلقاء في قلبه بإلهام ونحوه .

(٧) مع المشاهدة : أي معاينة المخاطب لمن كالمه من غير واسطة ولا حجاب مانع من

الرؤية ؛ فيخص الله بها من شاء من خاص عباده المقربين كنبينا صلى الله عليه وسلم .

(٨) أي في الآية السابقة . (٩) قد تقدم : إلا قوله : حي على الصلاة . حي على الفلاح .

وكلامُ الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم ، ومن اختصه من أنبيائه ، جائزٌ غيرُ ممتنع عقلاً ، ولا ورد في الشرع قاطعٌ^(١) يمنعه ، فإن صحَّ في ذلك خبر احتِمِلَ^(٢) عليه ، وكلامه تعالى لموسى كائنٌ حقٌّ مقطوعٌ به ، نصٌّ ذلك في الكتاب^(٣) ، وأكده بالمصدر^(٤) دلالةً على الحقيقة ، ورفَّع مكانه^(٥) على ما رُود في الحديث : في السماء السابعة^(٦) بسبب كلامه^(٧) . ورفَّع محمداً فوق هذا كله حتى بلغ مستوى ، وسمِعَ صَريْفَ الأَقلامِ^(٨) ؛ فكيف يستحيل في حقِّ هذا أو يبعُدُ سماعُ^(٩) الكلام ؛ فسبحانَ من خصَّ من شاء بما شاء ، وجعل بعضهم فوق بعضٍ درجات !

فصل

وأما ما ورد في حديث الإسراء وظاهر الآية : من الدنوِّ والقرب من قوله^(١٠) : ﴿ دَنَا فَتَدَلَّى ﴾^(١١) . فكان قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ﴿^(١٢) - وأكثُرُ المفسرين أن الدنوَّ

- (١) قاطع : دليل قطعي يمنعه . (٢) هذا في ا ، ب . وفي هامش ب : خ : اعتمد .
 (٣) في الكتاب : في القرآن الكريم في قوله تعالى : وكلم الله موسى تكليماً .
 (٤) وأكده بالمصدر : أى أكده الله تعالى . والمصدر : هو « تكليماً » ، والتأكيد بالمصدر في قوله تعالى : « وكلم الله موسى تكليماً » لدفع الشك .
 (٥) رفع مكانه : أى مكان موسى . (٦) على بعض الروايات ، وقد سبق أنه في السماء السادسة .
 (٧) بسبب كلامه : أى سبب رفعته عليه السلام على غيره كونه شرفه بكلامه في الدنيا .
 (٨) صريف الأقلام : صوتها عند الكتابة .
 (٩) سماع الكلام : من كلام الله تعالى بنير واسطة .
 (١٠) سورة النجم ، آية ٨ ، ٩ .
 (١١) الدنو : القرب . والتدلى : الامتداد من علو إلى أسفل ، كما يلقى الدلو في البئر . هذا أصله ، ثم استعمل في القرب من علو حساً ، أو معنى .
 (١٢) فكان قَاب قَوْسَيْنِ : القاب : ما بين مقبض القوس وموضع ربط الوتر من طرفيه . ولـكـل قوس قَابَان . وقيل معناه : قدر . وقيل : هى هنا الذراع ؛ لأنه يقاس به ؛ فالعنى قدر ذراعين . وكان قَاب قَوْسَيْنِ : أى الله تعالى .

والتدلى مُنْقَسِمٌ ما بين محمد وجبريل عليه السلام ، أو مختصٌّ بأحدهما من الآخر ^(١) ،
أو من السِّدْرَةِ الْمُنتَهَى ^(٢) .

قال الرازي : وقال ابن عباس : هو محمد دنا فتدلى مِنْ رَبِّهِ .

وقيل : معنى [٦٨] دنا قَرُبَ ، وتدلى زاد في القُرْب . وقيل : هما بمعنى واحد ،
أى قَرُبَ ^(٣) .

وحكى مَكِّي ، والماوردي - عن ابن عباس : هو الرَّبُّ دنا محمد ، فتدلى ^(٤)
إليه ؛ أى أَمْرُهُ وَحُكْمُهُ .

وحكى النقاش عن الحسن ، قال : دنا من عبده محمد صلى الله عليه وسلم ، فتدلى ؛
فَقَرَّبَ مِنْهُ ، فأراه ما شاء أَنْ يُرِيَهُ مِنْ قُدْرَتِهِ وَعِظَمَتِهِ .

قال : وقال ابن عباس : هو مقدم ومؤخر ^(٥) : تدلى الرَّفِيفُ ^(٦) فحمد صلى الله
وسلم ليلة المعراج ، فجلس عليه ، ثم رُفِعَ فدنا من ربِّهِ .

قال : فارقتي جبريل ، واندتطعت عن الأصوات ، وسمعتُ كلامَ ربِّي عزَّ وجل .
وعن أنس في الصحيح : عَرَجَ بِي جَبْرِيْلُ إِلَى سِدْرَةِ الْمُنتَهَى ، وَدَنَا الْجَبَّارُ

(١) أى مختص بمحمد صلى الله عليه وسلم ، أو بجبريل ؛ وللمعنى دنا وتدلى محمد من جبريل ؛
أو دنا وتدلى جبريل من محمد . وفي هامش ب : دون الآخر .

(٢) أى يختص الدنو والتدلى من السدرة ، لامن الآخر .

(٣) ودنوه منه : كناية عن قرب منزلته ومشاهدته من قدسه ما لم يقبسر لغيره .

(٤) فتدلى إليه : أى نزل الرب لمحمد صلى الله عليه وسلم . أو نزل إليه صلى الله عليه وسلم

كما قال القارى . قال (١ - ٤٣٤) : والآنسب في معناه : قرب الرب منه فتقرب إليه .

(٥) مقدم ومؤخر : أى أصله فتدلى فدنا .

(٦) الرفرف : البساط مطلقا . وقيل : البساط الأخضر . وقيل : ما كان من الديباج

والمراد به مركب له صلى الله عليه وسلم كالبراق (نسيم الرياض : ٢ - ٣٣٤)

رَبُّ الْعِزَّةِ ، فَتَدَلَّى حَتَّى كَانَ ^(١) مِنْهُ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ، فَأَوْحَى إِلَيْهِ بِمَا شَاءَ ،
وَأَوْحَى إِلَيْهِ خَمْسِينَ صَلَاةً ... وَذَكَرَ حَدِيثَ الْإِسْرَاءِ .

وَعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ : هُوَ ^(٢) مُحَمَّدٌ دَنَا مِنْ رَبِّهِ ، فَكَانَ كَقَابِ قَوْسَيْنِ .

قَالَ : وَقَالَ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ : أَدْنَاهُ رَبُّهُ مِنْهُ حَتَّى كَانَتْ مِنْهُ كَقَابِ قَوْسَيْنِ ^(٣) .

وَقَالَ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ : وَالِدُنُوٌّ مِنْ اللَّهِ لَا حَدَّ لَهُ ^(٤) ، وَمِنْ الْعِبَادِ بِالْحُدُودِ ^(٥) .

وَقَالَ أَيْضًا : انْقَطَعَتِ السَّكَيْفِيَّةُ عَنِ الدُّنُوِّ ^(٦) ، أَلَا تَرَى كَيْفَ حَجَبَ جِبْرِيلَ

عَنِ دُنُوِّهِ ^(٧) ، وَدَنَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى مَا أُوذِعَ ^(٨) قَلْبَهُ مِنَ الْعُرْفَةِ وَالْإِيمَانِ ،

فَتَدَلَّى بِسُكُونٍ قَلْبِهِ إِلَى مَا أَدْنَاهُ ^(٩) ، وَزَالَ عَنِ قَلْبِهِ الشُّكُّ وَالْإِرْتِيَابُ ^(١٠) .

قَالَ الْقَاضِي أَبُو الْفَضْلِ ^(١١) - : اعْلَمْ أَنَّ مَا وَقَعَ مِنْ إِضَافَةِ الدُّنُوِّ وَالقُرْبِ هُنَا

مِنْ ^(١٢) اللَّهُ ، أَوْ إِلَى اللَّهِ - فَلَيْسَ بِدُنُوٍّ مَكَانًا ، وَلَا قُرْبٍ مَدًى ^(١٣) ؛ بَلْ كَمَا ذَكَرْنَا -

(١) حتى كان رب العزة .

(٢) في ا ، ب . هو ؛ أى الموصوف بأنه دنا .

(٣) أى مقدار قاب قوسين فى القرب منه .

(٤) أى الدنو من جانب الله ليس دنوا مكانيا محدودا بجزء كالأجسام ؛ بل دنو معنوى .

(٥) ومن العباد بالحدود للكافية الحاصرة لهم .

(٦) عن الدنو : من جانب الله ؛ أى دنوه من عباده ، ليس له كيفية مخصوصة ، وحالة

معمروفة ؛ لأنه أمر معنوى غير محسوس .

(٧) عن دنوه : إلى ربه .

(٨) فى ا : ما أودع - بفتح الهمزة بالبناء للمعلوم وفى ب بالبناء للمعلوم ، وبالبناء للمجهول

وعليها « معا » .

(٩) إلى ما أدناه إلى ربه لما اطمان قلبه .

(١٠) والارتياب فى أنه هل يصل إلى حضرة القرب وينال إنافته بالإكرام والإنعام ويترقى

إلى أعلى مقام ، فأنجح الله تعالى أمنيته .

(١١) هو المؤلف . (١٢) هنا : فى هذه الآية . (١٣) مدى : غاية أو نهاية .

عن جعفر الصادق : ليس بدنوَّ حدٍّ، وإنما دنوُّ النبي صلى الله عليه وسلم من ربه وقُرْبُه منه إبانةٌ ^(١) عظيمٌ منزلةً، وتشريفٌ رتبةً، وإشراقٌ أنوارٍ معرفته ^(٢)، ومشاهدةٌ أسرارٍ غيبيةٍ وقدرته ، ومن الله تعالى له مبرةٌ ^(٣) وتأنيسٌ ^(٤)، وبسطٌ، وإكرامٌ ^(٥)؛ ويُتأوَّل فيه ما يُتأوَّل في قواه : ينزلُ ربُّنا إلى السماء الدنيا ^(٦) - على أحد الوجوه : نزولُ إفضالٍ وإجمالٍ ^(٧)، وقبولٍ وإحسان .

قال الواسطي : مَنْ تَوَهَّم أَنَّهُ بِنَفْسِهِ ^(٨) دَنَا جَعَلَ نَمَّ مَسَافَةً ^(٩)، بَلْ كَلِمًا دَنَا ^(١٠) بِنَفْسِهِ مِنَ الْحَقِّ تَدَلَّى بَعْدًا ^(١١) - يَهْنِي عَنِ دَرَكِ حَقِيقَتِهِ ؛ إِذْ لَا دُنُوًّا لِلْحَقِّ وَلَا بَعْدًا ^(١٢) .

وقواه : « قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى » - فَمَنْ جَعَلَ الضَّمِيرَ عَائِدًا إِلَى اللَّهِ ، لَا إِلَى جَبْرِيْلَ عَلَى ^(١٣) هَذَا - كَانَ عِبَارَةً عَنِ نَهَابَةِ الْقُرْبِ ، وَلُطْفِ الْمَحَلِّ ^(١٤) ، وَإِيضًا

(١) إبانة : إظهار . (٢) أى إظهار آثار معرفة الله عليه . (٣) مبرة : قبول وإحسان .

(٤) وتأنيس : لطف به يذهب استيجاشه لما انقطعت عنه الأصوات وغاب أليفه وهو جبريل .

(٥) وبسط : توسعة ومسرة . والمراد تأنيسه بما يسره من مخاطبته صلى الله عليه وسلم .

(٦) أى كما أول النزول المسند إلى الله تعالى في حديث أبي هريرة رضى الله عنه المتفق على

صحته أنه صلى الله عليه وسلم ؛ قال : ينزل ربنا إلى السماء الدنيا كل ليلة حين يبقى ثلث الليل

الأخير يقول : من يدعوني فأستجيب له ، من يسألني فأعطيه ؛ من يستغفرني فأغفر له بالإقبال

عليهم بإنعامه وإجابة دعائهم ، ومغفرة ذنوبهم ، ، وإفاضة مواهب عليهم .

(٧) وإجمال : أى فعل جميل بهم على عادته .

(٨) بنفسه دنا : دنوا بحقيقيا محسوسا بذاته ، لادنو لطف وإكرام . (٩) ثم : هناك .

(١٠) دنا أحد من المحلوقات . من الحق : تعالى . وفى ب : كل ما - برفع كل .

(١١) تدلى بعدا : نزل من علو إلى أسفل ، لبعده عما قصد .

(١٢) لا دنو للحق ولا بعد : بالمعنى المسكأى ، لاستحالة ذلك عليه تعالى .

(١٣) على هذا التأويل السابق .

(١٤) ولطف المحل : أى هو عبارة عن دنو معنوى ومنزلة معنوية لا تحس بالأبصار .

المعرفة^(١) ، والإشراف على الحقيقة عن محمد صلى الله عليه وسلم ، وعبارة عن إجابة الرغبة ، وقضاء المطالب ، وإظهار التحفي^(٢) ، وإنافة^(٣) المنزل والمرتبة من الله له .
وَيَتَأَوَّل فِيهِ مَا يُتَأَوَّلُ فِي قَوْلِهِ^(٤) : مَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شَبْرًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ ذِرَاعًا^(٥) ،
وَمَنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرَوَلَةً^(٦) ؛ قُرْبٌ بِالْإِجَابَةِ وَالْقَبُولِ ، وَإِتْيَانٌ بِالْإِحْسَانِ
وَتَعْجِيلٌ لِلْمَأْمُولِ^(٧) .

فصل

في ذكر تفضيله في القيامة^(٨) بخصوص الكرامة

حدثنا [القاضي]^(٩) ، أبو علي ، حدثنا أبو الفضل ، وأبو الحسين ؛ قال :
حدثنا أبو يعلى السنجسي ، حدثنا ابن محبوب ، حدثنا الترمذي ، حدثنا الحسين
ابن يزيد الكوفي ، حدثنا عبد السلام ابن حرب ، عن ليث ، عن الربيع بن أنس ،
عن أنس رضي الله عنه ؛ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [٦٩] : أنا أول

(١) وإيضاح المعرفة الإلهية لمن خصه برفعة المنزلة من خاص عباده . وفي ١ : واتضح
المعرفة .

(٢) وإظهار التحفي : التباهة في البر .

(٣) إنافة : إعلاء ورفع .

(٤) في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري على طريق التثليل (صحيح مسلم: ٢٠٦١) .

(٥) من تقرب مني : من أطاعني وسمي في امتثال أوامري .

(٦) هرولة : هي المشي والجرى بسرعة . والمراد أنني أعجل له جزائي وأوصل إليه إحساني
سريعا .

(٧) هذا بعض من حديث قدسي صحيح رواه أبو هريرة رضي الله عنه . وهو بتمامه

في نسيم الرياض : ٢ - ٣٣٨

(٨) أي ؛ خصه الله يوم القيامة وفضله به على سائر الأنبياء والرسل عليه وعليهم الصلاة

(٩) ليس في ١ .

والسلام .

الناسِ خروجا إذا بُعثوا^(١)، وأنا خطيبهم إذا وفدوا^(٢)، وأنا مبشرهم إذا أيسوا^(٣)؛
لواء الحمد بيدي^(٤)، وأنا أكرمُ ولدِ آدمَ على ربِّي ولا فخر^(٥).

وفي رواية ابنِ زحر، عن الربيع^(٦) بن أنس - في لفظ هذا الحديث : أنا أولُ
الناسِ خروجا إذا بُعثوا، وأنا قائدُهم إذا وفدوا، وأنا خطيبهم إذا أنصتوا^(٧)،
وأنا شفيعهم إذا حُبِسوا^(٨)، وأنا مبشرهم إذا أبلِسوا^(٩)؛ لواء الكرمِ بيدي،

(١) إذا بمثوا : إذا خرجوا من قبورهم إلى المحشر .

قال في نسيم الرياض : وهذا الحديث انفرد به الترمذى ، وقال : إنه حسن غريب . سنن

الترمذى : ٥ - ٥٨٥

(٢) إذا وفدوا : إذا قدموا على الله ، وقاموا بين يديه للحساب . وأصل الوفد : الجماعة
تقدم إلى من لهم فيه رجاؤه وعنده قضاء أمورهم وعطاياهم . ولما كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم هو الشفيع المشفع في المحشر ، للأذون له في التكلم وفصل القضاء كان ثمة كالمخطيب في الجمع
على عادتهم ؛ إذ لكل وفد خطيب غالبا .

(٣) مبشرهم : بالخلاص من المحشر وطول موقعه . إذا أيسوا : إذا يسوا من النجاة من
شدة ذلك اليوم وهوله إذا أزفت الآزفة ، وبلغت القلوب الحناجر .

(٤) أى يوم القيامة ، ليمر به صلى الله عليه وسلم ويتبعه كل من في الموقف ، واللواء معروف :
هو لواء حقيقى ؛ قال في نسيم الرياض (٢ - ٣٣٩) : سمى لواء الحمد ، لأنه حمد الله بحماده
لم يحمد به غيره . فهو إشارة لتقدمه صلى الله عليه وسلم وعظمته وكثرة حمده . وفي الترمذى :
لواء الحمد يومئذ بيدي .

(٥) ولا فخر : أى أنا لا أذكره للفخر ؛ بل للتحدث بنعم الله ؛ أو لا أفخر بهذا ؛
إذ لى عند الله ما هو أعظم وأشرف من هذا . (٦) فى ب : عن أنس .

(٧) الإنصات : السكوت ؛ أى أنا التكلّم بين يدي ربى فى أمرهم والشفاعة لهم وقد
سكتوا ولم يطبقوا نطقا لحيرتهم .

(٨) إذا حبسوا فى الموقف ، واضطربوا ، وفزعوا للأنياب ؛ فقال كل منهم : نفسى ،
نفسى ، فيشفع لهم صلى الله عليه وسلم والشفاعة العظمى فى فصل القضاء .

(٩) مبشرهم إذا أبلِسوا : مبشرهم : أى بالخلاص من هول الموقف ، والحبس فيه . أبلِسوا :
انقطعت حجبتهم ، وتحيروا وسكتوا لياسهم من النجاة . وفى ا : أبلِسوا - بالبناء للمعوم . وفى
النهاية . أبلِسوا : تحيروا .

وَأَنَا أَكْرَمُ وَلَدِ آدَمَ عَلَى رَبِّي وَلَا فَخْرَ ؛ وَيَطُوفُ عَلَى أَلْفِ خَادِمٍ (١) كُنْهِمُ لَوْلَوْ مَكْنُونٌ (٢) .

وعن أبي هريرة رضى الله عنه (٣) : وَأَكْسَى حَلَّةً مِنْ حُلَلِ الْجَنَّةِ ، ثُمَّ أَقْوَمُ عَنِ يَمِينِ الْعَرْشِ لَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الْخَلَائِقِ (٤) يَقُومُ ذَلِكَ الْبَقَاءَ غَيْرِي .

وعن أبي سعيد (٥) ؛ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَيَبْدَى لَوَاءِ الْحَمْدِ وَلَا فَخْرَ ، وَمَا نَبِيٌّ (٦) يَوْمَئِذٍ ، آدَمُ فَمَنْ سِوَاهُ ، إِلَّا تَحْتَ لَوَائِي ؛ وَأَنَا أَوْلُ مَنْ تَنْشَقُّ (٧) عَنْهُ الْأَرْضُ وَلَا فَخْرَ .

وعن أبي هريرة (٨) ، عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَنَا سَيِّدٌ (٩) وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَأَوْلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ ، وَأَوْلُ شَافِعٍ ، وَأَوْلُ مُشْفَعٍ (١٠) .

وعن ابن عباس (١١) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : أَنَا حَامِلُ لَوَاءِ الْحَمْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ

(١) أى فى الجنة . قال فى نسيب الرياض : رواه الترمذى وصححه .

(٢) مكنون : محفوظ مستور لم تسمه الأيدي ، فهو كناية عن كونها بكر ذات بهاء ،

لم ير مثلها . (٣) فى حديث رواه الترمذى وصححه - سنن الترمذى : ٥ - ٥٨٥

(٤) الخلائق : جمع خليفة ؛ أى جماعات من المخلوقين .

(٥) فى حديث رواه ابن ماجه والترمذى وحسنه . سنن الترمذى : ٥ - ٥٨٧

(٦) هذا فى ا ، ب ، والترمذى . وفى هامش ا : وما من نبى . وضطبت كلمة « آدم »

بفتح الميم فى ب .

(٧) تنشق عنه الأرض : أى يوم تبعثر القبور وتنشق بقدره الله تعالى .

(٨) فى صحيح مسلم : ١٧٨٢

(٩) أى أشرفهم وأقربهم عند الله فى يوم لا يسود فيه غيرى .

(١٠) أول شافع : يشفع للناس فى الموقف . وأول مشفع : أول من يؤذن له فى الشفاعة ،

وتقبل شفاعته .

(١١) فى حديث رواه الترمذى ، والدارمى : سنن الترمذى : ٥ - ٥٨٨ ، وقال : قال

أبو عيسى : هذا حديث غريب .

وَأَنَا أَوَّلُ شَافِعٍ ، وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ ، وَلَا فَخْرَ ؛ وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ يَحْرُكُ حَلْقَ (١) الْجَنَّةِ ،
فَيُفْتَحُ لِي فَأَدْخِلُهَا (٢) وَمَعِيَ فَقَرَاهُ (٣) الْمُؤْمِنِينَ وَلَا فَخْرَ ؛ وَأَنَا أَكْرَمُ الْأَوَّلِينَ
وَالْآخِرِينَ وَلَا فَخْرَ .

وعن أنس : أَنَا أَوَّلُ النَّاسِ يُشَفَّعُ فِي الْجَنَّةِ ، وَأَنَا أَكْثَرُ النَّاسِ تَبَعًا (٤) .

وعن أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (٥) ؛ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؛ وَتَدْرُونَ بِمَ ذَلِكَ ؟ يَجْمَعُ اللهُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ - وَذَكَرَ حَدِيثَ
الشَّفَاعَةِ (٦) .

وعن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - أَنَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : أَطْمَعُ (٧)
أَكُونَ أَعْظَمَ الْأَنْبِيَاءِ أَجْرًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ .

وفى حَدِيثٍ آخَرَ : أَمَا تَرْضَوْنَ أَنْ يَكُونَ إِبْرَاهِيمَ وَعِيسَى فِيكُمْ (٨) يَوْمَ الْقِيَامَةِ!
ثُمَّ قَالَ : إِنَّهُمَا فِي أُمَّتِي (٩) يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؛ أَمَا إِبْرَاهِيمَ فَيَقُولُ : أَنْتَ دَعَوْتَنِي وَذُرِّيَّتِي (١٠) ،

(١) حلق : جمع حلقة .

(٢) هذا في ب . وفي أ : فَيَدْخُلُهَا ، وَفِي هَامِشِهِ : فَأَدْخَلَهَا وَمَعِيَ ، وَعَلَيْهَا عِلَامَةُ الصَّحَّةِ .

وفى الترمذى : فَيَدْخُلْنَهَا .

(٣) المراد بالفقراء : الفقراء الصابرون .

(٤) يعنى أن أمته صلى الله عليه وسلم أكثر من سائر الأمم .

(٥) كما رواه الشيخان : صحيح مسلم : ١٨٤

(٦) قال فى نسيم الرياض (٢ - ٣٤٢) : ولم يذكر حديث الشفاعة هنا ، لأنه سيأتى

فى باب الشفاعة .

(٧) أطمع : أرجو من الله تعالى طمعا ورجاء حققه لى .

(٨) فيكم : محسوبان من جملةكم ومحشوران معكم .

(٩) فى أمتى : أى يمدان فيها .

(١٠) أَمَا دَعَوْتَهُ فَقَوْلُهُ : رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ ، وَهُوَ صَلَّى اللهُ

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ نَسْلِ وَلَدِهِ إِسْمَاعِيلَ ؛ فَهُوَ مِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ .

فاجعلنى من أمتك . وأما عيسى فالأنبياء إخوة^(١) بنو علاتٍ ، أمهاتهم شتى ؛ وإنَّ عيسى أخى ليس بينى وبينه نبيٌّ^(٢) ، وأنا أولى الناسِ به^(٣) .

قوله^(٤) : أنا سيّدُ الناسِ^(٥) يوم القيامة : هو سيّدُهم في الدنيا، ويوم القيامة . ولكن أشار^(٦) صلى الله عليه وسلم لانفراده فيه بالسُّودِ والشُّعْبَةِ دون غيره ؛ إذ لجأ الناسُ إليه في ذلك^(٧) ، فلم يجدوا سِوَاهُ .

والسيّدُ : هو الذى بلجأ الناسُ إليه في حوائجهم^(٨) ؛ فكان حينئذ سيّدا مُنفردا^(٩) من بين البشر، لم يُرَ أحدهُ في ذلك، ولا ادّاعاه ؛ كما^(١٠) قال تعالى^(١١) : ﴿ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ؟ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴾ .

والمُلْكُ له تعالى في الدنيا والآخرة ، لكن في الآخرة انقطعَت دَعْوَى المدعى لذلك في الدنيا^(١٢) .

(١) أى كالأخوة . والمراد بالعلات : الزوجات الضرائر . والمراد أن الأنبياء بعثوا متفقين في أصول التوحيد مختلفين في فروع الشرائع .

(٢) لأنه لم يبعث في الفترة التي كانت بينها أحد من الأنبياء .

(٣) وهذا من حديث زرواه البخارى ومسلم ، وهو : أنا أولى الناس بعيسى بن مريم في الأولى والآخرة ، الأنبياء بنو علات ، أمهاتهم شتى ، ودينهم واحد ، وليس بيننا نبي . قال في نسيم الرياض : وهو حديث صحيح : صحيح مسلم : ١٨٣٧

(٤) في الأحاديث السابقة .

(٥) أشار : أى بقوله هذا - كما تقدم .

(٦) فى ذلك الوقت ، أو ذلك الأمر .

(٧) أى يتمدون عليه إذا قصدوه لقضاء مصالحهم .

(٨) حينئذ : أى فى وقت التجاهل إليه . منفردا ؛ أى عن جميع الناس حتى الأنبياء بهذه السيادة .

(٩) أى لمن قوله صلى الله عليه وسلم : أنا سيد ولد آدم اليوم ، كقوله تعالى : ﴿ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ؟ ﴾ ؛ ووجه الشبه أنه خص بالملك بذلك اليوم كما خص رسوله بسيادته به .

(١٠) سورة غافر ، آية ١٦

(١٢) المراد أن ملوك الدنيا لما تصرفوا فيها تصرف الملاك ظنوا أن لهم ملكا حقيقة ، فلما قهرهم بالموت وكشف النطاء ظهر أنهم عبيد عاجزون ليس لهم من الأمر شيء ؛ فانكشفت الدعاوى .

وكذلك لجأ إلى محمد صلى الله عليه وسلم جميع الناس في الشفاعة ؛ فكان سيدهم في الآخرة^(١) دُونَ دَعْوَى .

وعن أَنَسِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ^(٢) ؛ قال : قال رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم :
آتَى بَابَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَاسْتَفْتَحَ^(٣) ، فَيَقُولُ الْخَازِنُ : مَنْ أَنْتَ ؟ فَأَقُولُ : مُحَمَّد .
فَيَقُولُ : بِكَ^(٤) أَمْرٌ أَلَا أفتَحَ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ .

وعن عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو^(٥) ؛ قال : قال رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم : حَوْضِي
مَسِيرَةُ شَهْرٍ^(٦) ، وَزَوَايَاهُ سِوَاهُ [٧٠] ، وَمَاوُهُ أبيضُ مِنَ الْوَرَقِ^(٨) ، وَرِيحُهُ^(٩)
أَطْيَبُ مِنَ الْمَسْكِ ، وَكِيْزَانُهُ كَنَجْمِ السَّمَاءِ^(١٠) ؛ مَنْ شَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ أَبَدًا .

وعن أَبِي ذَرٍّ نَحْوُهُ ؛ وَقَالَ : طَوْلُهُ^(١١) مَا بَيْنَ عَمَانَ إِلَى أَيْلَةَ ، يَشْخَبُ فِيهِ مِيزَابَانِ
مِنَ الْجَنَّةِ^(١٢) .

(١) الأخرى : الآخرة . (٢) في حديث رواه مسلم (صحيح مسلم : ١٨٨) .

(٣) أستفتح : أطلب الفتح بتحريك الحلقة .

(٤) بك أمرت : أى بسبك أمرت بالفتح إذا قرع الباب .

(٥) حديث رواه الشيخان : صحيح مسلم : ١٧٩٣ .

(٦) الحوض : مجمع الماء ، معروف . وهذا الحوض العظيم مخصوص به .

(٧) يعنى أنه مربع . (٨) الورق : الفضة . وفي هامش ا ، ب : من اللبن .

(٩) وريحه : ورائحته .

(١٠) كيزان : السكيزان : جمع كوز ؛ وهو إناء صغير يتناول به الماء للشرب . والمراد بقوله :

كيزانه كنجوم السماء - أى هى تشبه نجوم السماء فى كثرتها ، وإشراقها ، وإضاءتها .

(١١) صحيح مسلم : ١٨٠١ ، طوله : طول الحوض كطول ما بين هاتين البلدتين . وقد

ضبطت عمان فى ب بضم أوله وفتح الليم . وضطبت فى ا بفتح العين وتشديد الميم . وهما بلدتان

مختلفتان كما هو معروف . وأيلة : فى آخر طرف الشام بساحل البحر متوسطة بين المدينسة

ودمشق ، بينها وبين مصر ثمان مراحل . وفى صحيح مسلم (١٨٠١) ضبطت عمان كما

ضبطت فى ا . (١٢) يشخب : ينصب مع صوت . والميزاب : مسيل الماء .

وعن ثوبان مثله؛ وقال: أحدهما^(١) من ذهب، والآخر من ورق.
 وفي رواية حارثة بن وهب: كما بين المدينة^(٢) وصنعاء.
 وقال أنس^(٣): أيلة وصنعاء.
 وقال ابن عمر: كما بين الكوفة والحجر الأسود.
 وروى حديث الخوض أيضا أنس، وجابر، وسمرة، وابن عمر، وعقبة^(٤)
 ابن عامر، وحارثة بن وهب الخزاعي، والمستورد، وأبو برزة الأسلمي، وحذيفة
 ابن اليمان، وأبو أمامة، وزيد بن أرقم، وابن مسعود، وعبدالله بن زيد، وسهيل
 ابن سعد، وسويد بن جبلة، [وأبو بكر، ومحمّد بن الخطاب، وابن بريدة]^(٥)،
 وأبو سعيد الخدري، وعبدالله الصنابحي، وأبو هريرة، والبراء، وجندب،
 وعائشة، وأسماء بنت أبي بكر، وأبو بكر، وأبو بكر، وخولة بنت قيس، وغيرهم.

فصل

في تفضيله بالحجة والخلة^(٦)

جاءت بذلك الآثار الصحيحة، واختصّ على السنة المسلمين بحبيب الله^(٧)؛
 أخبرنا^(٨) أبو القاسم بن إبراهيم الخطيب وغيره، عن كريمة بنت أحمد^(٩)،

(١) أحدهما: أحد الميزابين.

(٢) صحيح مسلم: ١٨٠١ (٣) صحيح مسلم: ١٨٠٠

(٤) حديث عقبة في البخاري: ٧-١١٢، وحديث أنس في صحيح البخاري: ٥-٤١

(٥) ما بين القوسين أمامه في هامش ١: من غير الرواية. وقع في الأم في الطرة دون تعليم

على موضع تخرج منه، وكان في الطرة تمرّض على اسم سويد بن جبلة.

(٦) أي بكونه حبيب الله وخليه. والخلة: الصداقة.

(٧) أي جرى على الألسنة تخصيصه صلى الله عليه وسلم بذلك دون خليل الله، لإطلاقه

على إبراهيم عليه السلام. (٨) هذا الحديث مسند عن البخاري - صحيح البخاري: ٥-٤، ٥

(٩) عليها علامة الصحة في ١، وفي هامشه: محمد.

حدثنا أبو الهيثم ، وحدثنا حسين بن محمد الحافظ سمعاً عليه ، حدثنا القاضي أبو الوليد ، حدثنا عبد بن أحمد ، حدثنا أبو الهيثم ، حدثنا أبو عبد الله محمد بن يوسف ، حدثنا محمد بن إسماعيل^(١) ، حدثنا عبد الله بن محمد ، حدثنا أبو عامر ، حدثنا فليح ، حدثنا أبو النضر ، عن بسر بن سعيد ، عن أبي سعيد ، عن النبي صلى الله عليه وسلم - أنه قال : لو كنت متخذاً خليلاً غير ربي لاتخذت أبا بكر^(٢) .

وفي حديث آخر^(٣) : وإن صاحبكم^(٤) خليل الله .

ومن طريق عبد الله بن مسعود : وقد اتخذ الله صاحبكم خليلاً .

وعن ابن عباس^(٥) ، قال : جلس ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ينتظرونه^(٦) ؛ قال : ففرج حتى إذا دنا منهم سمعهم يتذاكرون ؛ فسمع حديثهم ، فقال بعضهم : عجباً ! إن الله اتخذ من خلقه خليلاً ، اتخذ إبراهيم خليلاً . وقال آخر : ماذا بأعجب من كلام موسى ؛ كلفه الله تكليماً^(٧) . وقال آخر : فعيسى كلمة^(٨) الله وروحه .

(١) هو الإمام البخاري صاحب الصحيح .

(٢) في نسيم الرياض : هذا حديث صحيح رواه البخاري وغيره من طرق متعددة . والمعنى : لا أصل في محبة أحد من الخلق إلى مرتبة الخلقة ؛ فإنها مختصة بربي ، فلو فرض جماعها لأحد كان أبو بكر أليق بها من جميع الخلق لبذل نفسه وماله ووطنه وأهله في طاعته ؛ وهذا صريح في تفضيله على غيره وتقدمه عنده .

(٣) وسنن الترمذي : ٥ - ٦٠٦ (٤) يعنى نفسه صلى الله عليه وسلم .

(٥) في رواية الدارمي ، والترمذي - سنن الترمذي : ٥ - ٥٨٧

(٦) ينتظرونه : أى ينتظرون خروجه من بيته لمجلس أصحابه .

(٧) أى ليس اتخذ الله إبراهيم خليلاً أعجب من كلام موسى حين ناجاه ربه في الدنيا وكلمه تكليماً ، مع أنه تعالى لم يكلم أنبياءه إلا بواسطة ملك الوحي .

(٨) سمى عيسى كلمة الله ؛ لأن الله خلقه من دون أب بمجرد قوله : كن . والمراد : إذا

ذكرتم خليل الرحمن ، وكليمه ، وتمجبتن من ذلك ، فاذا ذكرنا عيسى وكونه كلمة الله وروحه .

وقال آخرُ : وآدمُ اصطفاهُ اللهُ .

نفرج عليهم فسلم ، وقال : قد سمعتُ كلامكم وعجببكم ؛ أن الله تعالى اتخذَ إبراهيمَ خليلًا ، وهو كذلك ^(١) ؛ وموسى نَجِيًّا ^(٢) اللهُ ، وهو كذلك ^(٣) ؛ وعيسى رُوحُ ^(٤) اللهُ ، وهو كذلك ؛ وآدمُ اصطفاهُ اللهُ ، وهو كذلك ؛ أَلَا وأنا حَبِيبُ ^(٥) اللهُ ولا فخر ؛ وأنا أولُ شافعٍ وأولُ مُشَفِّعٍ ولا فخر ، وأنا أولُ مَنْ يَمْرُكُ حَلَقَ الجنةِ فيفتَحُ اللهُ لي فيُدْخِلُنِيهَا ومعى قُفراءُ المؤمنين ولا فخر ؛ وأنا أكرمُ الأوَّلين والآخرين ولا فخر .

وفي حديث أبي هريرة ^(٦) رضى اللهُ عنه من قولِ اللهِ تعالى لنبيهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلم : إني اتخذتُكَ خليلًا ، فهو مكتوبٌ في التوراة : أسب ^(٧) حبيبُ الرحمن .

(١) وهو كذلك : أى اتخذهُ خليلًا .

(٢) نجى اللهُ : كليمة ، والمناجاة : المسألة .

وضبطت الياء في كلمة « نجى » بالضمّة والفتحة وعليها « معا » في ١ .

(٣) وهو كذلك : أى هو نجى اللهُ وكليمة .

(٤) في سنن الترمذى : وعيسى روح اللهُ وكلمته . وقد ضبطت الحاء في « روح »

بالضمّة والفتحة وعليها « معا » في ١ .

(٥) قرر أولاً ما ذكره من فضائلهم بقوله : هو كذلك ؛ ثم نبه على أنه أفضل منهم كلهم

بقوله : وأنا حبيبُ الرحمن .

(٦) رواه البيهقي ، وصححه .

(٧) في نسيم الرياض : هى لفظة عبرانية بمعنى أنت . ثم قال : وقيل : إن بعد السين تاء

مشناة فوقية ، ومعناها أنت . وقال القارى (١ - ٤٤٨) : اس : كذا في نسخة صحيحة

من غير ضبط على هذه الصورة وهى ألف بملها سين مهملة ثم جرة . وفى بعض النسخ

مكتوب بإزائها على الطرة : ذكر ابن جبير بخطه فى كتابه أن هذه اللفظة وقعت فى الأم

المبيضة بخط المؤلف كما هى هنا مبهمه ، فحكيها كما وقعت .

وفى ب : انسب محمد . وفى ا : انت حبيبُ الرحمن ، وقال فى هامش ا : است - كذا

وقعت هذه اللفظة فى طرة الأم المبيضة بخطه رحمه اللهُ مبهمه غير جاية فليتها كما وقعت ، قاله =

قال القاضي أبو الفضل^(١) : اختلف في تفسير الخلة ، وأصل اشتقاقها ؛ فقيل : الخليل : المنقطع إلى الله^(٢) الذي ليس في انقطاعه إليه ومحبتة له اختلال^(٣) .
وقيل : الخليل المختص^(٤) ، واختار هذا القول غير واحد .

وقال بعضهم : أصل الخلة الاستصفاء^(٥) : وسُمي إبراهيم [٧١] خليل الله ؛ لأنه يؤالي فيه ويُعادي فيه^(٦) ؛ وخلة الله له نصره ، وجعله إماما^(٧) لمن بعده .

وقيل : الخليل : أصله الفقير المحتاج المنقطع^(٨) ، مأخوذ من الخلة وهي الحاجة ؛ فسُمي بها إبراهيم ؛ لأنه قصر حاجته على ربه^(٩) ، وانقطع إليه بهم ، ولم يجعله

= ابن جعفر - نقلت من خطه . وفي هامش ب : كذا وقعت هذه اللفظة في طرة الأم للبيضة فكسبت كما وقعت ، وهي بخط المصنف رحمه الله مهمة غير جلية . قال القارى (١ - ٤٤٨) : ولا يبعد أن يكون بالناء الفوقية في آخر الكلمة ، وهي للربط في الجملة بالفارسية . وفي نسخة ضبط بكسر الهمة وسكون السين المهملة وضم الموحدة . وقيل : بفتح الهمة وسكون السين وضم الشاة فوق ؛ أى أنت .

(١) هو المصنف .

(٢) المنقطع إلى الله : الذى قطع رجاءه واعتماده عما عدا الله .

(٣) اختلال : خلل ونقص يحتاج إلى جبر وتكميل .

(٤) أى المختص بمن خالله ، وقال القارى (١ - ٤٤٨) : المختص ؛ أى بوصف الخلة ،

سواء كان مشتقا من الخلة - بضم الخاء ، كما سبق ، أو من الخلة - بالفتح ، بمعنى الفقر والحاجة ، من الخلل ؛ إذ كل خليل محتاج إلى أن يسد خلل صديقه .

(٥) الاستصفاء : أى كون محبته ومودته صافية ؛ أى خالصة .

(٦) اللوالة : المحبة : أى لا يجب إلا من أحبه الله من المؤمنين أهل الطاعة ، ولا يفيض

إلا أهل العصية والضلال .

(٧) إماما : مقتدى به ، متبعا لجميع من بعده .

(٨) المنقطع : المنفرد .

(٩) قصر حاجته : أى لم يكن له حاجة إلا إلى ربه ؛ فلا يؤمل نفعاً من غيره .

قَبْلَ غَيْرِهِ^(١)؛ إِذْ جَاءَهُ جَبْرِيلُ وَهُوَ فِي الْمَنْجَنِيْقِ^(٢)، لِيُزَمِّيَ بِهِ فِي النَّارِ، فَقَالَ: أَلَيْكَ حَاجَةٌ؟ قَالَ: أُمَّأَإِنَّيكَ فَلَآ.

وقال أبو بكر بن فُورَك: الخُلَّةُ: صفاء المودَّة التي توجب الاختصاصَ بتخلُّل الأسرار^(٣).

وقال بعضهم: أصلُ الخُلَّةِ الحُبَّةُ؛ ومعناها الإسعافُ، والإلطفُ، والترفيِعُ، والتشفيِعُ^(٤)؛ وقد بيَّن ذلك في كتابه تعالى بقوله^(٥): ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ، وَاللَّهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾. فأوجب للمحبوب ألاَّ يُؤاخَذَ بذنوبه.

قال: هذا، والخُلَّةُ أقوى من البنوَّة؛ لأنَّ البنوَّة قد تسكون فيها العداوَةُ^(٦)، كما قال تعالى^(٧): ﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ، وَإِنْ تَعَفَّوْا وَتَصَفَّحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

ولا يصح أن تسكون عداوَةً مع خُلَّةٍ^(٨)؛ فإذا تسمية إبراهيمَ ومحمدٍ عليهما السلام

(١) ولم يجعله قبل غيره: لم يطلب شيئاً من غيره، ولم يؤمله.

(٢) المنجنيق - بفتح الميم وكسر ها: آلة لرمى العدو، وهو فارسي معرب.

(٣) تخلل الأسرار: دخولها في باطنه لاطلاعه عليها وعلمها، فلا يخفى عليه شيء من أحواله.

(٤) الإسعاف: الإعانة والنصرة والإمداد بكل ما أراد. والإلطف: الإينام والإحسان.

والترفيِع: بإعلاء رتبته بالكلمات الظاهرة والباطنة. والتشفيِع: بإذنه له في الشفاعة وقبولها.

(٥) سورة المائدة، آية ١٨

(٦) ضيقت التاء في كلمة «العداوة» بالفتحة، وعليها علامة الصحة في أ.

(٧) سورة التغابن، آية ١٤

(٨) لأن الخُلَّة ضد العداوة، فلا يجتمعان، بخلاف البنوَّة فإنها وإن كانت ألفطرة تقتضي

الحُبَّة لكن قد تتخاف لعارض.

بالخُلَّةِ إِمَّا بَانْقِطَاعِهَا^(١) إِلَى اللَّهِ وَوَقْفِ حَوَائِجِهَا عَلَيْهِ ، وَالانْقِطَاعِ عَمَّنْ دُونِهِ ، وَالإِضْرَابِ^(٢) عَنِ الْوَسَائِطِ وَالْأَسْبَابِ ؛ أَوْ زِيَادَةِ الْإِخْتِصَاصِ مِنْهُ تَعَالَى لَهَا^(٣) ، وَخَفِيِّ^(٤) أَلْطَافِهِ عِنْدَهُمَا ، وَمَا خَالَ^(٥) بِوَاطِنِهِمَا مِنْ أَسْرَارِ إِلَهِيَّتِهِ ، وَمَكْتُونِ غُيُوبِهِ وَمَعْرِفَتِهِ ، أَوْ لاسْتِصْفَائِهِ^(٦) لَهَا ، وَاسْتِصْفَاءِ قُلُوبِهِمَا عَمَّنْ سِوَاهُ^(٧) ، حَتَّى لَمْ يُخَالِلْهُمَا^(٨) حَبٌّ لغيرِهِ ؛ وَلِهَذَا قَالَ بَعْضُهُمْ : الْخَلِيلُ مَنْ لَا يَتَّسِعُ قَلْبُهُ لِسِوَاهُ^(٩) وَهُوَ عِنْدَهُمْ مَعْنَى قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ^(١٠) : «لَوْ كُنْتُ مَتَّخِذًا خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا ؛ لَكِنَّ أُخُوَّةَ الْإِسْلَامِ .

وَاخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ وَأَرْبَابُ الْقُلُوبِ^(١١) : أَيُّهُمَا أَرْفَعُ دَرَجَةً : الْخُلَّةُ ، أَوْ دَرَجَةُ الْحُبِّ ؟ فَجَعَلَهُمَا بَعْضُهُمْ سِوَاءً ؛ فَلَا يَكُونُ الْحَبِيبُ إِلَّا خَلِيلًا ، وَلَا الْخَلِيلُ إِلَّا حَبِيبًا ؛ لَكِنَّهُ خَصَّ إِبْرَاهِيمَ بِالْخُلَّةِ ، وَمُحَمَّدًا بِالْحُبِّ . وَبَعْضُهُمْ قَالَ : دَرَجَةُ الْخُلَّةِ أَرْفَعُ ؛ وَاحْتَجَّ بِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ^(١٠) : «لَوْ كُنْتُ مَتَّخِذًا خَلِيلًا غَيْرَ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ . فَلَمْ يَتَّخِذْهُ .

(١) هذا على أن معنى الخلة : الحاجة .

(٢) الإضراب : الإعراض والترك .

(٣) وهذا على أن معنى الخلة : المحبة .

(٤) في ا : وحنى - بالحاء المهملة . وفي ب : وحنى ، وحنى : أى بالحاء المهملة ، والحاء المعجمة ، وعليها «مما» . وحنى - بالخاء : مستور . وحنى - بالحاء : زيادة مبالغته في إكرامه .

(٥) خال : تخال وداخل ، وخالط .

(٦) استصفأه : اختياره لهما من دون خلقه وجعلهما صفوة له حتى يستحقا وصف الخلة .

(٧) بحيث لا يكون فيها غير معرفته وجهه . (٨) يخالها : يدخل في خالها .

(٩) لا يتلائم بمحبته ومشاهدة جلاله ، بحيث لا يبقى في قلبه سواه ، وسوى مراقبته .

(١٠) في حديث البخارى - كما تقدم . صفحة ٢٨٠ .

(١١) أرباب القلوب : أصحاب القلوب الكمامة الصافية .

وقد أطلق المحبة لفاطمة ، وابنيتها^(١) ، وأسامة وغيرهم^(٢) .
 وأكثرهم جعل المحبة أرفع من الخلّة ؛ لأنّ درجّة الحبيب [نبينا]^(٣) أرفع
 من درجة الخليل إبراهيم^(٤) .
 وأصل المحبة الميل إلى ما يوافق المحب ؛ ولكن هذا في حق من يصح الميل
 منه والانتفاع بالوفق^(٥) ؛ وهي درجّة المخلوق ؛ فأما الخالق - جلّ جلاله - فنزهة
 عن الأغراض ؛ فمحبة عبده تمكينه من سعادته^(٦) ، وعصمته وتوفيقه وتهيئة
 أسباب القرب^(٧) ، وإفاضة رحمته^(٨) عليه ؛ وقصاها^(٩) كشف الحجب عن قلبه
 حتى يراه بقلبه^(١٠) ، وينظر إليه ببصيرته ؛ فيكون كما قال في الحديث : فإذا أحببته
 كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ولسانه الذي ينطق به^(١١) .

-
- (١) وابنهما : الحسن والحسين .
 - (٢) في ا : وغيرها . وفي هامشه : وغيرهم ، وعليها علامة الصحة .
 - (٣) ليس في ا .
 - (٤) فيقتضى أن صفته - وهي المحبة - أفضل من صفة إبراهيم ، وهي الخلّة .
 - (٥) الوفق : الموافقة . وفي ضبط الواو بالضمّة . ولم أقف عليه .
 - (٦) تمكينه من سعادته : إقداره على ما يفيد سعادة الدارين بتوفيقه لطاعته وعبادته .
 - (٧) وعصمته : من ارتكاب الذنوب . وتوفيقه : في أموره بحملها على وفق رضاه .
 - وتهيئة أسباب القرب : يبسر له كل سبب يقربه إلى ربه من صلاة وجهاد ومعرفة .
 - (٨) إفاضة رحمته عليه : إيصال للخيرات الدنيوية والأخروية اتصالا كثيرا متواليا .
 - (٩) قصاها : غايتها .
 - (١٠) يراه بقلبه : يعلمه علما يقينيا كالشاهدة المحسوسة .
 - (١١) هذا حديث قدسي رواه البخاري : صحيح البخاري : ٨ - ١٣١ ، ومعناه : إذا
 صفي قلبه ، وشغل نفسه بالله أحبه الله ؛ ومحبة الله : عنايته ولطفه به ، وإفاضة نعمه على ظاهره
 وباطنه ، فتكون حواسه وإدراكها ، وأعضاؤه وحركاتها ، كلها متوجهة لله ، ولما فيه رضاه ،
 من غير تصنع ومشقة ؛ فيقويه على ذلك ؛ حتى كأن أفعالها صادرة عن الله .

ولا ينبغي أن يفهم من هذا سوى التجرد لله^(١)، والانتطاع إلى الله، والإعراض عن غير الله، وصفاء القلب لله، وإخلاص الحركات لله^(٢)، كما قالت عائشة رضي الله عنها: كان خلقه^(٣) القرآن؛ برضاه برضى، وبسخطه بسخط^(٤)؛ ومن هذا عبر بعضهم عن الخلّة بقوله:

قد تخلّت مسلك الروح منى وبذا سُمّي الخليلُ خليلاً
فإذا ما نطقتُ كنتُ حديثي وإذا ما سكّنتُ كنتُ القليل^(٥)

[٧٢] فإذا مزية الخلّة، وخصوصية المحبة حاصلّة لنبينا صلى الله عليه وسلم بما دلّت عليه الآثار الصحيحة المنتشرة^(٦)؛ المتلقاة بالقبول من الأمة، وكفى بقوله تعالى^(٧): ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

حكى أهل التفسير أن هذه الآية لما نزلت قال الكفار: إنما يريد محمد أن

(١) التجرد لله: أى تجريد أفعاله وإحساسه عما يشغله عن الله.

(٢) وإخلاص الحركات لله: بالأى يحرك عضواً من أعضائه إلا لعبادته، أو لما يمين عليها.

(٣) أى كانت أخلاقه كلها على وفق ما أمر به فى القرآن.

(٤) بسخطه يسخط: أى يكره ما ذكر فيه أن الله يكرهه.

(٥) فى نسيم الرياض: وفى رواية: كنت الدخيل. قال: المراد بالليل ما كان داخل

القلب، من قولهم: تغلغل الساء بين النبات، إذا جرى تحتها مستترا. والمراد بالدخيل ما هو داخل القلب والبدن، لا الأجنبي.

(٦) المنتشرة: الشائعة المشهورة.

(٧) سورة آل عمران، آية ٣١.

قال فى نسيم الرياض (٢ - ٣٦٤): ووجه الدلالة فى هذه الآية أنه لما جعل من اتبعه

محبوباً لله علم أنه محبوب عند الله محبة ليس فوقها محبة، ومقرب تقرباً لا يبدانيه أحد؛ فلم منه خلته وجبه.

تَتَّخِذَهُ حَنَانًا^(١) كما اتخذت النصارى عيسى بن مريم؛ فأنزل الله - غَيْظًا^(٢) لهم ،
وَرَغْمًا^(٣) على مقاتلتهم هذه الآية^(٤) : ﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ ﴾ ، فزاده شرفاً
بأمرهم بطاعته ، وقرَّبها بطاعته ، ثم توعَّدهم على التَّوَلَّى^(٥) عنه بقوله^(٦) : ﴿ فَإِنْ
تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴾ .

وقد نقل الإمام أبو بكر بن فُورَك عن بعض المتكلمين كلاماً في الفرق بين
المحبة والخلة يطول^(٧) ، جملة إشاراتِهِ إلى تفضيل مقام المحبة على الخلة ؛ ونحن نذكر
منه طرفاً^(٨) يهْدِي إلى ما بعده :

فمن ذلك قولهم : الخليلُ يَصِلُ بالواسطة^(٩) ، من قوله تعالى^(١٠) : ﴿ وكذلك
نُرى إبراهيمَ مَلَكوْتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَيْكُونُ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴾ . والحبیبُ
يَصِلُ لِحَبِيبِهِ^(١١) به ، من قوله^(١٢) : ﴿ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ﴾ .

(١) حناناً : رحمة . والمراد : أن نطف عليه ونجمله موضع الخنان والرحمة ؛ أى تترك
به وتنتزع .

(٢) غيظاً لهم : أى لينفيظهم ويملمهم بنضبه عليهم .

(٣) رغماً : الرغم : الذل والحزى والإساءة ، والمراد أذلم بتوبيخهم ورد مقاتلتهم هذه .

(٤) سورة آل عمران ، آية ٣٣

(٥) التولى عنه : الإعراض عن طاعته .

(٦) سورة آل عمران ، آية ٣٣

(٧) فى هامش ب : ترجع . (٨) طرفاً : بمضا قليلاً .

(٩) بالواسطة : بتوسط آخر بينه وبين خليله .

(١٠) سورة الأنعام ، آية ٧٥

(١١) أى بذاته من غير واسطة . وفى هامش ا : إليه به . والثبت فى ا عليه علامة الصحة .

(١٢) سورة النجم ، آية ٩

وقيل : الخليل : الذى تكون مغفرته فى حدّ الطمع ^(١) ، من قوله ^(٢) : ﴿ والذى أطمع أن يعفّر لى خطيئتى يوم الدين ﴾ . والحبیب الذى مغفرته فى حدّ اليقين ^(٣) ، من قوله ^(٤) : ﴿ ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، ويؤمّ نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما ﴾ .

والخليلُ قال ^(٥) : ﴿ ولا تُخزنى يوم يُبعثون ﴾ . والحبیب قيل له ^(٦) : ﴿ يوم لا يُخزى الله النبي ﴾ ؛ فابتدىء بالبشارة قبل السؤال ^(٧) .

والخليلُ قال فى المحنة ^(٨) : ﴿ حسبي الله ﴾ . والحبیب قيل له ^(٩) : ﴿ يا أيها النبي حسبك الله ﴾ .

والخليلُ قال ^(١٠) : ﴿ اجعل لى لسان صدق فى الآخرين ﴾ . والحبیب قيل له ^(١١) : ﴿ ورفّعنا لك ذكرك ﴾ ، أُعطى بلا سؤال .

-
- (١) مغفرته : أى مغفرة الله له ما قد يصدر عنه محتاجا إلى عفوه عنه - واقعة فى حال يطمع صاحبها فى التجاوز عنها ؛ لأن الخليل لا يؤاخذ خليله بزلاته .
 (٢) سورة الشعراء ، آية ٨٢ (٣) فى حد اليقين : مستيقنه .
 (٤) سورة الفتح ، آية ٢
 (٥) سورة الشعراء ، آية ٨٧ ، والخليل : إبراهيم . وسيأتى : والحبیب : محمد .
 (٦) سورة التحريم ، آية ٨
 (٧) ابتدىء بالبشارة بنى الحزى عنه برؤية ما يسكره قبل سؤاله لذلك .
 (٨) المحنة : الابتلاء ، والمراد بذلك قصته مع تمرود حين ألقاه فى النار ، فكانت بردا وسلاما .

(٩) سورة الزمر ، آية ٣٨

(١٠) سورة الأتقال ، آية ٦٤

(١١) سورة الشعراء ، آية ٨٤

(١٢) سورة الشرح ، آية ٤

والخليلُ قال^(١) : ﴿ وَاجْتَنِبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴾ . والحبيبُ قيل له^(٢) :
﴿ إِنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ ﴾ .
وفيما ذكرناه^(٣) تنبيهٌ على مقصدِ أصحابِ هذا المقالِ مِنْ تفضيلِ المقاماتِ^(٤)
والأحوالِ ؛ وكلُّهُ يعملُ على شاكلته^(٥) ؛ فربُّكم أعلمُ بمن هو أهْدَى سبيلاً .

فصل

في تفضيله بالشفاعةِ والنقامِ^(٦) المحمودِ

قال اللهُ تعالى^(٧) : ﴿ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا ﴾ .

أخبرنا الشيخُ أبو عليَّ القسَّاسُ الجياني^(٨) فيما كتب إليَّ بخطِّه ، حدثنا سراجُ
ابن عبد الله القاضي ، حدثنا أبو محمد الأصيلي ، حدثنا أبو زيد ، وأبو أحمد ؛ قالوا :
حدثنا محمد بن يوسف ؛ قال : حدثنا محمد بن إسماعيل ؛ قال : حدثنا إسماعيل بن أبان ،
حدثنا أبو الأحوص ، عن آدم بن علي ؛ قال : سمعتُ ابنَ عمر يقول^(٩) : إِنْ النَّاسَ

(١) سورة إبراهيم ، آية ٣٥ (٢) سورة الأحزاب ، آية ٣٣

(٣) وفيما ذكرنا : من تفسير الحجة والحلة واشتقاقهما والخلاف في أيهما أرفع درجة . . .

(٤) المراد بالمقام هنا أمر يكون عليه العارف بالله تعالى من الأنبياء والأولياء يرتفع به

من حضيض البشرية في درجات العبودية حتى يرقى المقام الأعلى .

(٥) كلُّ يعمل على شاكلته : لسلك أحد طريقة يختارها .

(٦) المراد بالمقام المحمود : كل مقام يتضمن كرامة محمد .

(٧) سورة الإسراء ، آية ٧٩ (٨) في ١ : حدثنا الجياني .

(٩) هذا الحديث رواه البخاري موقوفاً على ابن عمر : وحديث الشفاعة في صحيح

البخاري : ٩ - ١٤٩ ، وصحيح مسلم : ١٨٠ ، وابن ماجه : ١٤٤٠ ، والترمذي : ٤ - ٦٢٨

وأبو داود : ٢ - ٢١٦

وانظر هذه الأحاديث وغيرها في تفسير ابن كثير : ٥ - ٩٨ ، وما بعدها .

يصيرون يوم القيامة جُنِي^(١)، كلُّ أمةٍ تَتَمَعُ نَدِيهَا، يقولون: يا فلان، اشفع لنا؛ يا فلان اشفع لنا^(٢)، حتى تنتهي الشفاعةُ إلى النبي صلى الله عليه وسلم فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود.

وعن أبي هريرة: سُئِلَ عَنْهَا^(٣) رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَعْنِي قَوْلَهُ^(٤): ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾، فَقَالَ: هِيَ الشَّفَاعَةُ^(٥).

وروى كعبُ بنُ مالك، عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَكُونُ أَنَا وَأُمَّتِي عَلَى تَلٍّ وَيَكْسُونِي رَبِّي حُلَّةَ خَضِرَاءَ، ثُمَّ يُؤْذَنُ^(٦) لِي فَأَقُولُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ أَقُولَ؛ فَذَلِكَ الْمَقَامُ الْمَحْمُودُ.

وعن ابن عمر [٧٣] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - وَذَكَرَ حَدِيثَ الشَّفَاعَةِ - قَالَ: فَيَمَشِي حَتَّى يَأْخُذَ بِحُلَّةِ الْجَنَّةِ، فَيَوْمِئِذٍ يَبْعَثُهُ اللَّهُ الْمَقَامَ الْمَحْمُودَ الَّذِي وَعَدَهُ^(٨).

وعن ابن مسعود عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ^(٩) قِيَامُهُ عَنِ الْعَرْشِ مَقَامًا لَا يَهْوَمُهُ غَيْرُهُ، يَفْبِطُهُ^(١٠) فِيهِ الْأَوَّلُونَ وَالْآخِرُونَ.

(١) بضم الجيم - مقصور منون . وجوز كسر جيمه أيضا : جمع جثوة (مثلث الأول) ، وأصله السكوم المجتمع من تراب ونحوه ؛ والمراد يجتمعون جماعات ، كل أمة جماعة تابعة لنبيها .
(٢) أى تنادى كل أمة نبيها باسمه ، يسألونه أن يشفع لهم عند ربهم فى الخلاص من هول الموقف .
(٣) عنها : عن الآية المذكورة .

(٤) سورة الإسراء ، آية ٧٩ (٥) هذا الحديث رواه أحمد ، والبيهقي .

(٦) هذا الحديث رواه أحمد بن حنبل مسندا (٣ - ٤٥٦) .

(٧) يؤذن لى : يأذن الله لى فى التكلم بين يديه .

(٨) القى وعده به فى القرآن فى قوله تعالى : « عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا » .

(٩) أنه : أى المقام المحمود . ورواه أحمد .

(١٠) النبطة : تمنى المرء أن ينال مثل ما رآه عند غيره من النعم ، وكل أمر محمود ، من

غير أن يحب زوالها ؛ فإن أحب زوالها فهو الحسد للذموم

وَنَحْوَهُ عَنِ كَعْبِ وَالْحَسَنِ .

وفي رواية : هو ^(١) المَقَامُ الَّذِي أَشْفَعُ لِأُمَّتِي فِيهِ .

وعن ابن مسعود ^(٢) ، قال : قال رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلَّمَ : إني لقائمُ المقامِ المحمودِ . قيل : وما هو ؟ قال : ذلكَ يومٌ يَنْزِلُ اللهُ تبارك وتعالى [على كُرْسِيِّهِ] ^(٣) . . . الحديث .

وعن أبي موسى رضى اللهُ عنه ^(٤) ، عنه صلى اللهُ عليه وسلم : خَيْرْتُ بَيْنَ أَنْ يَدْخُلَ نِصْفُ أُمَّتِي الْجَنَّةَ وَبَيْنَ الشَّفَاعَةِ فَاخْتَرْتُ الشَّفَاعَةَ ؛ لِأَنَّهَا أَعْمُ ^(٥) ؛ أَتْرَوْنَهَا ^(٦) لِلْمُتَّقِينَ ؟ لا ، وَلَكِنهَا لِلْمُذْنِبِينَ الْخَطَّائِينَ ^(٧) .

وعن أبي هريرة ^(٨) رضى اللهُ عنه ؛ قال : قلتُ : يا رسولَ اللهِ ؛ ماذا وَرَدَ ^(٩) عَلَيْكَ فِي الشَّفَاعَةِ ؟ فقال : شَفَاعَتِي لِمَنْ شَهِدَ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللهُ مُخْلِصًا ، يَصْدُقُ لِسَانَهُ قَلْبُهُ .

وعن أمِّ حَبِيبَةَ ^(١٠) ، قالت : قال رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم : أُرِيتُ ^(١١) مَا تَلَقَى أُمَّتِي مِنْ بَعْدِي ، وَسَفَكَ ^(١٢) بَعْضُهُمْ دِمَاءَ بَعْضٍ ، وَسَبَقَ لَهُمْ مِنَ اللهِ مَا سَبَقَ لِلْأُمَّمِ قَبْلَهُمْ ؛ فَسَأَلْتُ اللهُ أَنْ يُوَثِّقَنِي شَفَاعَةَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ فِيهِمْ ، ففَعَلَ ^(١٣) .

(١) هو : أى المقام المحمود . (٢) فى حديث رواه أحمد فى مسنده .

(٣) ليس فى ب . (٤) هذا الحديث رواه ابن ماجه فى سننه : ١٤٤١

(٥) فى سنن ابن ماجه : لأنها أعم وأكفى .

(٦) أترونها : أتظنون الشفاعة خاصة للمتقين .

(٧) فى ابن ماجه : الخطائين للتوئين . (٨) فى حديث صحيح رواه الحاكم ، والبيهقى .

(٩) ماذا ورد عليك : ورد جاء . أى ما أجابك به الله ، أو الملك ، لما سأله الشفاعة فى

أمتك ؟ وفى شرح القارى (١ - ٦٠) : ماذا ورد ؛ من الورد ، أى نزل .

(١٠) فى حديث رواه الحاكم ، والبيهقى .

(١١) أريت : أعلمنى الله ، وأخبرنى بواسطة الملك . (١٢) سفك الدم : إراقتة وصبه .

(١٣) ففعل : أى أعطاه الله تعالى ما سأله فشفعه فى المذنبين منهم .

وقال حذيفة^(١) : يجمعُ اللهُ الناسَ في صعيدٍ واحدٍ^(٢) حيثُ يُسمِعهم الداعي ،
وَيُنْفِذهم البصرَ ، حُفَاةٌ عُرَاةٌ كما خُلِقُوا ، سُكُوتًا لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِأَذْنِهِ ، فَيُنَادِي
مُحَمَّدٌ فيقول : لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ^(٣) ، وَانظُرْ في يَدَيْكَ ، وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ ، وَالْمُهْتَدَى
مَنْ هَدَيْتَ ، وَعَبْدُكَ^(٤) بَيْنَ يَدَيْكَ ، وَلَكَ وَإِلَيْكَ^(٥) ، لَا مَلْجَأَ وَلَا مَنَجَى مِنْكَ
إِلَّا إِلَيْكَ ، تَبَارَكْتَ وَتَعَالَيْتَ^(٦) ، سُبْحَانَكَ رَبَّ الْبَيْتِ - قال : فَذَلِكَ الْمَقَامُ الْمَحْمُودُ
الَّذِي ذَكَرَهُ اللهُ .

وقال ابنُ عباسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : إِذَا دَخَلَ أَهْلُ النَّارِ النَّارَ ، وَأَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ ،
فَتَبَقَى آخِرُ زُمْرَةٍ^(٧) مِنَ الْجَنَّةِ وَآخِرُ زُمْرَةٍ مِنَ النَّارِ ؛ فَتَقُولُ زُمْرَةُ النَّارِ لَزُمْرَةِ الْجَنَّةِ :
مَا نَفَعَكُمُ إِيمَانُكُمْ ، فَيَدْعُونَ رَبَّهُمْ وَيَضِجُونَ^(٨) ، فَيَسْمَعُهُمْ أَهْلُ الْجَنَّةِ فَيَسْكُونَ
آدَمَ وَغَيْرَهُ بَعْدَهُ فِي الشَّفَاعَةِ لَهُمْ ؛ فَكُلٌُّ يَعْتَدِرُ حَتَّى يَأْتُوا مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،
فَيَشْفَعُ لَهُمْ ، فَذَلِكَ الْمَقَامُ الْمَحْمُودُ^(٩) .

وَنَحْوَهُ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ أَيْضًا ، وَجَاهِدُ .

وَذَكَرَهُ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

(١) فِي حَدِيثٍ رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ ، وَالنَّسَائِيُّ .

(٢) فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ : فِي مَكَانٍ يَجْتَمِعُونَ فِيهِ غَيْرَ مُتَفَرِّقِينَ . وَأَصْلُ مَعْنَى الصَّيْدِ : التَّرَابُ ؛

فَأُرِيدُ بِهِ هُنَا أَرْضَ الْمُحْسَرِ .

(٣) أَيُ أَحْبَبْتُكَ إِجَابَةً بَعْدَ إِجَابَةٍ ، وَأَسَاعَدَكَ بِطَاعَتِكَ ، وَأَنَا مُقِيمٌ عَلَى ذَلِكَ لَا أَنْصَرِفُ عَنْهُ .

(٤) وَعَبْدُكَ : بَرِيدُ نَفْسِهِ الشَّرِيفَةِ .

(٥) وَلَكَ وَإِلَيْكَ : أَيُ أَمْرُهُ كُلُّهُ لَكَ ، فَإِنَّهُ عَبْدُكَ ، وَأَمْرُهُ مُوَكَّلٌ إِلَيْكَ .

(٦) تَبَارَكْتَ وَتَعَالَيْتَ : كَثْرَةُ خَيْرِكَ وَزَادَ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ ، وَعِلَا قَدْرِكَ فِي ذَاتِكَ وَصِفَاتِكَ ،

وَتَرَهَتْ عَمَّا لَا يَلِيْقُ بِكَ . (٧) الزُّمْرَةُ : الْجَمَاعَةُ الْقَلِيلَةُ .

(٨) وَيَضِجُونَ : وَيُرْفَعُونَ أَصْوَاتَهُمْ فَرَعًا مِمَّا لِحَقَّهُمْ مِنْ تَمْيِيرِ أَهْلِ النَّارِ لَهُمْ .

(٩) هَذَا الْحَدِيثُ مُوقُوفٌ عَلَى ابْنِ عَبَّاسٍ .

وقال جابر بن عبد الله ليزيدَ الفقير^(١) : سَمِيتَ بِمَقَامِ^(٢) محمد - يعنى الذى يبعثه الله فيه ؟

قلتُ : نعم . قال : فإنه مَقَامُ محمدِ المحمودُ الذى يُخْرِجُ اللهُ به مَنْ يُخْرِجُ - يعنى من النار - وذكر^(٣) حديثَ الشفاعةِ فى إخراجِ الجهنَمِيِّينَ^(٤) .
وعن أنس نحوه ، وقال : فهذا المقامُ المحمودُ الذى وَعِدَهُ .
[وعن سَدَّانَ : المقامُ المحمودُ هو الشفاعةُ فى أُمَّته يومَ القيامة .
ومثله عن أبى هريرة رضى الله عنه .

وقال قتادة : كان أهلُ العِلْمِ يرونَ المقامَ المحمودَ هو شفاعةُ يومِ القيامة ؛ وعلى أن المقامَ^(٥) المحمودَ مقامه عليه الصلاة والسلامُ للشفاعةِ مَذاهِبُ السلفِ من الصحابةِ والتابعين وعامة أئمة المسلمين .

وبذلك جاءت الشفاعةُ مفسَّرةً فى صحيح الأخبار عنه عليه الصلاة والسلامُ ؛ وجاءت مقالةً فى تفسيرها شاذَّةً عن بعض السلف^(٦) ، يجبُ ألاَّ تثبتَ ؛ إذا لم يعضدها صحيحُ أثر ، ولا سندٌ نظر .

ولو صحَّتْ لكان لها تأويلٌ غيرُ مستنكَّر ؛ لكن ما فتره النبيُّ صلى الله عليه وسلم فى صحيح الآثار يردُّه ؛ فلا يجبُ أن يُلتفتَ إليه ، مع أنه لم يأتِ

(١) هذا الحديث رواه مسلم : صحيح مسلم : ١٧٩

(٢) سميت : أى رويت فيه شيئاً يفسره . ورواية مسلم : هل سميت ؟

(٣) وذكر : أى جابر . والحديث بتمامه فى مسلم : ١٧٩

(٤) المنسوبون لجهنم ؛ لأنهم المؤمنون الذين دخلوا النار بمصائبهم . وهذا بعض الحديث

الذى رواه مسلم كما تقدم .

(٥) وعلى أن المقام المحمود : أى وكانوا على أن المقام المحمود . . .

(٦) وهو مجاهد ؛ يقول : إنه يجلسه معه على العرش .

في كتاب ولا سُنَّةٍ ، ولا اتَّفَقَ على المُقالِ أُمَّةٌ ؛ وفي إطلاقِ ظاهره منكرٌ من القولِ
وشُنعَةٌ [١].

وفي رواية أنس وأبي هريرة وغيرهما (٢) ، دخل حديثُ بعضهم في حديثِ بعضٍ :
قال صلى الله عليه وسلم : يجمعُ اللهُ الأوَّلينَ والآخِرِينَ يومَ القيامةِ فيهِمَّونَ (٣) -
أو قال : فيهِمَّونَ ؛ فيقولون : لو استشفَّعنا إلى ربِّنا (٤) .

ومن طريقِ آخرٍ ، عنه : ما ج (٥) الناسُ بعضهم في بعضٍ .
وعن أبي هريرة (٦) : وتَدْنُو الشمسُ (٧) ، فيبلغُ الناسَ من الغَمِّ ما لا يُطيقون
ولا يحتملون ؛ فيقولون : ألا تَنظُرُونَ مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ ؛ فيأتون آدمَ فيقولون ؛
زاد بعضهم : أنتَ آدمُ أبو البشرِ ، خلقك اللهُ بيده (٨) ، ونفخَ فيك مِنْ رُوحِهِ ،
وأَسَكَّنَكَ جَنَّتَهُ ، وَأَسَجَدَ لَكَ ملائِكَتَهُ ، وَعَلَّمَكَ أَسْمَاءَ كُلِّ شَيْءٍ ، اشْفَعْ لَنَا عِنْدَ
رَبِّكَ حَتَّى يُرِيحَنَا مِنْ مَكَانِنَا (٩) ؛ أَلَا تَرَى [٧٤] مَا نَحْنُ فِيهِ ؟

(١) ما بين القوسين ليس في ١ ، وهو في هامش ب ، وعليه علامة الصحة ، وقد أثبت
هذه الزيادة القارى في شرحه أيضا : ١ - ٤٦٣

(٢) في حديث رواه الشيخان : صحيح مسلم : وصحيح البخارى : ٩ - ١٤٩ ، وابن
ماجه : ١٤٤٢

(٣) فيهمون : من الهم والحزن ، أو من العزم والتصميم . ويأهمون : من الإلهام ؛ أى
ينهمهم الله سؤال ذلك .

(٤) لو استشفعنا إلى ربنا : لو طلبنا من يشفع لنا عند الله في أن يخلصنا من هول هذا
للقوف وشدته - وهذا ما تنوه .

(٥) ما ج الناس بعضهم في بعض : دخل بعضهم في بعض واختلطوا لاضطرابهم .

(٦) في حديث الشفاعة الذى رواه الشيخان : صحيح البخارى : ٩ - ١٤٩ ، وصحيح

مسلم : ١٨٠ (٧) تدنو الشمس : تقرب من رءوس أهل الموقف . وفي ١ : فتدنو .

(٨) بيده : أى أوجدك من العدم بقدرته من غير واسطة أم ولا أب .

(٩) من مكاننا : مكانهم هو المحشر .

فيقول : إِنَّ رَبِّي غَضِبَ الْيَوْمَ غَضِبًا لَمْ يَفْضُبْ مِثْلَهُ ^(١) ، ولا يفضب بعده مثله ،
ونهاى عن الشجرة فعصيت ؛ نفسى ، نفسى ؛ اذهبوا إلى غيرى ، اذهبوا إلى نوح .
فيأتون نوحاً فيقولون : أَنْتُ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ ، وَسَمَّاكَ اللهُ ^(٢)
عَبْدًا شَكُورًا ، أَلَا تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ ؛ أَلَا تَرَى مَا بَلَّغْنَا ^(٣) ! أَلَا تَشْفَعُ لَنَا إِلَى
رَبِّكَ ؟ فيقول : إِنَّ رَبِّي غَضِبَ الْيَوْمَ غَضِبًا لَمْ يَفْضُبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ ، ولا يفضب بعده
مثله ، نفسى ! نفسى !

قال - فى رواية أنس : ويذكر خطيئته التي أصاب ^(٤) : سؤاله ربه بغير علم ^(٥) .
وفى رواية أبي هريرة رضي الله عنه : وقد كانت لى دعوة دعوتها على قومي ؛
اذهبوا إلى غيرى . اذهبوا إلى إبراهيم ؛ فإنه خليل الله .
فيأتون إبراهيم ، فيقولون : أَنْتَ نَبِيُّ اللهِ وَخَلِيلُهُ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ ^(٦) ، اشفع
لنا إلى ربك ، أَلَا تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ ؟
فيقول : إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضِبًا . . . فذكر مثله ؛ ويذكر ثلاث

(١) أى أظهر شدة غضبه وسخطه على من عصاه ، مريدا إيقاع العذاب الذى فى الآخرة
يادخلهم النار؛ وهذا لم يكن قبل يوم القيامة ولا بعده؛ فلماذا خاف آدم عليه السلام، وقال: ونهاى...
(٢) فى الآية ٣ من سورة الإسراء : « ذرية من حملنا مع نوح ، إنه كان عبدا شكورا » .
على الأصح من أن الضمير راجع إلى نوح . (٣) ما بلفنا : ما وصل إلينا منه .
(٤) الأنبياء عليهم السلام معصومون ، ولكن أشدة تعظيمهم لله ، وخوفهم منه ،
يبدون ما صدر منهم نسيانا وسهوا ذنبا عظيما ، والمراد بخطيئته ما فسره بقوله : سؤاله ربه...
(٥) سؤاله هو قوله : « رب إن ابني من أهلى وإن وعدك الحق . . . » .
(٦) وخطيله من أهل الأرض : أى انفردت من بينهم بالخلعة - كما تقدم .

كلمات كَذَبَهُنَّ^(١) . نَفْسِي ، نَفْسِي ، لَسْتُ لَهَا^(٢) ، وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِمُوسَى ؛ فَإِنَّهُ
كَلِمَةُ اللَّهِ .

وفي رواية : فَإِنَّهُ عَبَّدَهُ آتَاهُ اللَّهُ التَّورَةَ ، وَكَلَّمَهُ وَقَرَّبَهُ نَجِيًّا^(٣) .
قال : فَيَأْتُونَ مُوسَى ؛ فَيَقُولُ : لَسْتُ لَهَا ، وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَ^(٤) ،
وَقَتَّلَهُ^(٥) النَّفْسَ ، نَفْسِي ، نَفْسِي ؛ وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِعِيسَى ؛ فَإِنَّهُ رُوحُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ .
فَيَأْتُونَ عِيسَى ؛ فَيَقُولُ : لَسْتُ لَهَا ، وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِمُحَمَّدٍ ، عَبْدِ اللَّهِ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ
مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ^(٦) .
فَأَوْتَى^(٧) ، فَأَقُولُ : أَنَا لَهَا^(٨) .

فَأَنْطَلِقُ فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي ، فَيُؤْذَنُ لِي ، فَإِذَا رَأَيْتَهُ وَقَعْتُ سَاجِدًا .
وفي رواية ، فَأَتَى تَحْتَ الْعَرْشِ ، فَأَخْرَجُ سَاجِدًا .

(١) هي قوله : إني سقيم - لما دعى إلى الخروج مع قومه . وقوله لزوجته - لما طلبها الملك
منه : إنها أختي . ولقوله في حق الأصنام : لعله كبيرهم . وهذا كله مخالف للواقع ولاعتقاده .
وهي في الصورة كذبات ، فقد أراد بقوله : إني سقيم : سأسقم ؛ لأن من عاش يسقم أو يهرم
ويعوت . وقوله أختي : أختي في الإسلام . وبقوله : فله كبيرهم : التبكييت ، بدليل قوله : إن كانوا
ينطقون .

(٢) لست لها : لست أهلاً للشفاعة لثبيري .

(٣) قربه نجياً : أي جملة قريباً منه ، مناجياً له ، ومخاطباً . والقرب ليس مكانياً .

(٤) هي التي وقعت منه وعاتبه الله عليها بقوله : « وما أعجلك عن قومك يا موسى ! »

(٥) هو القبطي الذي استغاثه الإسرائيلي عليه فوكزه موسى فمات .

(٦) غفر الله له كل ما صدر منه مما يماثب عليه ، وإن لم يكن معصية ؛ لمصته من الذنوب .

ومن كان كذلك فهو جدير بقبول الشفاعة منه .

(٧) فأوتى : فأتيتني أهل الموقف لسؤال الشفاعة لهم .

(٨) أنا لها : أنا أهل للشفاعة ، مدخر لها .

وفي رواية : فأقوم بين يديه ، فأحمده بمحامد لا أقدر عليها^(١) إلا أن يُلهمنيها الله^(٢) .

وفي رواية : فيفتح الله عليّ من محامده ، وحسن الثناء عليه شيئاً لم يفتحهُ عليّ أحد قبلي^(٣) .

قال - في رواية أبي هريرة : فيقال : يا محمدُ ، ارفعْ رأسك ، سل^(٤) ، تُعْطَه ، واشفَعْ تشفّع ؛ فأرفعُ رأسي ، فأقول : يارب ، أمتي^(٥) ؛ يارب ، أمتي . فيقول : أدخلْ من أمتك من لا حسابَ عليه^(٦) من الباب الأيمن من أبواب الجنة ؛ وم شرَكَه الناس فيما سِوى ذلك من الأبواب .

ولم يذكر في رواية أنس هذا الفصل ، وقال - مكانه : ثم أخِرَّ ساجداً؛ فيقال لي : يا محمد ، ارفعْ رأسك ، وقُلْ يُسْمَعُ لك ، واشفَعْ تشفّع ، وسلْ تُعْطَه . فأقول : يارب ، أمتي ، أمتي . فيقال : انطلق^(٧) ، فمن كان في قلبه مثقالُ حبةٍ من بُرَّةٍ أو شعيرةٍ من إيمان^(٨) فأخرجه ، فأنطلقُ فأفعلُ .

ثم أرجعُ إلى ربي ، فأحمدُه بتلك المحامد^(٩) . . . وذكر مثل الأول ؛ وقال

-
- (١) لا أقدر عليها : أى لا أحسنها ، ولا أعرف كيفيتها في الدنيا .
 - (٢) إلا أن يُلهمنيها الله : أى إلا أن يوقمها الله في قلبي بإلهام منه .
 - (٣) للراد أنه لم يقسر لغيره من الرسل قبله ولا بعده .
 - (٤) سل : أسأل ما شئت من الشفاعة وغيرها .
 - (٥) أى ارحم أمتي ، أو أجمع أمتي .
 - (٦) من لا حسابَ عليه : أى خواص المؤمنين الذين لا ذنب لهم يحاسبون بسببه .
 - (٧) انطلق : اذهب من مقام الشفاعة للمقرب . . .
 - (٨) مثقال : موازن ، مواز ، ومقابل ، مقدار؛ أى من كان في قلبه أقل قليل من الإيمان .
 - والبرة : حبة من البر ، وهو القمح .
 - (٩) بتلك المحامد التي ألهمتها .

فيه : مثقال حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ ^(١) . قال : فأفعل ، ثم أرجع ... وذَكَرَ مِثْلَ مَا تَقَدَّمَ ، وقال فيه ^(٢) : مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ أَذْنِي أَذْنِي أَذْنِي ^(٣) مِنْ مِثْقَالِ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ ؛ فَأَفْعَلُ .

وَذَكَرَ فِي الْمَرَّةِ الرَّابِعَةِ ^(٤) : فَيُقَالُ لِي : ارْفَعْ رَأْسَكَ ، وَقُلْ يُسْمَعُ ، وَاشْفَعْ تَشْفَعُ ، وَسَلْ ^(٥) تُعْطَى .

فَأَقُولُ : يَا رَبِّ ؛ ائْذَنْ لِي فِيمَنْ قَالَ ^(٦) : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ . قَالَ : لَيْسَ ذَلِكَ إِلَيْكَ ^(٧) .

وَلَكِنْ وَعِزَّتِي وَكِبْرِيائِي وَعِظْمَتِي وَجِبْرِيائِي ^(٨) لَا أُخْرِجَنَّ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ .

وَمِنْ رِوَايَةِ قَتَادَةَ عَنْهُ ؛ قَالَ : فَأَقُولُ : يَا رَبِّ ، مَا بَقِيَ فِي النَّارِ إِلَّا مَنْ حَبَسَهُ الْقُرْآنُ ، أَيْ وَجِبَ عَلَيْهِ الْخُلُودُ ^(٩) .

-
- (١) حبة من خردل : حب معروف في غاية الصغر . وهو كناية عن غاية قلة الإيمان .
 - (٢) كما رواه مسلم في صحيحه : ١٨٣
 - (٣) أذني : أقل ، وأصغر .
 - (٤) في المرة الرابعة : من رجوعه إلى ربه ومراجعتله في الشفاعة ، فإنه وقع مرارا في رواية البخاري : صحيح البخاري : ٩ - ١٤٩
 - (٥) في ١ : واسأل .
 - (٦) أي من نطق بكلمة التوحيد .
 - (٧) ليس ذلك إليك : ليس ذلك مفوضا إليك ، بل إلى .
 - (٨) العزة : الغلبة والقهر . والكبرياء : الترفع عن الانقياد . والمعظمة : ظهور ذلك وزيادته ، وجبريائي : وجبروتي .
 - (٩) في صحيح البخاري (٩ - ١٤٨) : ووجب عليه الخلود ؛ أي لم يبق بعد هؤلاء الحارجين إلا من حكم الله في القرآن بخلوده في العذاب ، ولم يؤذن في الشفاعة لهم .

وعن أبي بكر ، وعقبة بن عامر ، وأبي سعيد^(١) ، وحذيفة مثله ؛ قال^(٢) :
فيأتون [٧٥] محمداً فيؤذّن له ، وتأتى الأمانة والرحم فتقومان جنبتي^(٣) الصراط .
وذكر في رواية أبي مالك^(٤) ، عن حذيفة : فيأتون محمداً فيشفّع ؛ فيضرب^(٥)
الصراط ، فيمرون : أولهم^(٦) كالبرق ، ثم كالريح ، والظير ، وشدّ الرّجال^(٧) ،
ونبيّكم صلى الله عليه وسلم على الصراط يقول : اللهم سلّم سلّم ، حتى يجتاز^(٨)
الناس . وذكر آخرهم جوازاً^(٩) . . . الحديث .

وفي رواية أبي هريرة : فأكون أوّل من يُجيز^(١٠) .

وعن ابن عباس ، عنه صلى الله عليه وسلم : يوضعُ للأنبياء منابرٌ يجلسون عليها ،
ويبقى منبري لا أجلس عليه قائماً^(١١) ، بين يدي ربي مُنتصباً ، فيقول الله تبارك
وتعالى : ما تريدُ أن أصنعَ بأمتك ؟ فأقول : يا ربّ ، عَجِّل حسابهم ؛ فيُدعى
بهم ، فيحاسبون .

(١) برواية الترمذى : ٥ - ٣٠٨

(٢) قال : أى كل واحد منهم .

(٣) جنبتي : ناحيتي . والأمانة : ضد الخيانة . والرحم : القرابة . يعنى أنهما يمثلان أو يجسمان
بقدره الله ، ليشهدا على العائن ، وقاطع الرحم .

(٤) فى سنن أبى داود : ٢ - ٢١٦

(٥) يضرب الصراط : يوضع على متن جهنم جسراً ممدوداً (شرح القارى : ١ - ٤٧٠) .

(٦) أولهم كالبرق : فى السرعة .

(٧) قال الخفاجى : يروى بالجيم جمع رجل . وبالحاء أى بالرجال : جمع راحلة . والشد :
سرعة الجرى . وقال القارى : قد خطيء من رواه بالحاء المهملة .

(٨) يجتاز الناس : يمر الناس .

(٩) وذكر آخرهم جوازاً : أى سمى آخر من يمر على الصراط .

(١٠) فهو أول من يجيز أمته من الرسل .

(١١) قائماً : أى تاركاً جلوسى حال قيامى .

فمنهم مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ بِشَفَاعَتِي ، وَلَا أُرَازِلُ أَشْفَعُ حَتَّى أُعْطَى صِكَاكَ^(١) بِرِجَالٍ قَدْ أَمَرَ بِهِمْ إِلَى النَّارِ ، حَتَّى إِنْ خَازِنَ النَّارِ لِيَقُولَ : يَا مُحَمَّدُ ، مَا تَرَكْتَ لِغَضَبِ رَبِّكَ فِي أُمَّتِكَ مِنْ نِقْمَةٍ^(٢) .

وَمِنْ طَرِيقِ زِيَادِ النُّمَيْرِيِّ ، عَنْ أَنَسٍ^(٣) - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : أَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْفَلِقُ الْأَرْضَ^(٤) عَنْ جُجُمَتِهِ وَلَا فَخْرَ ، وَأَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ ، وَمَعَى لَوَاهِ الْحَمْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ^(٥) ، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ تُفْتَحُ لَهُ الْجَنَّةُ وَلَا فَخْرَ ، فَأَتَى فَأَخَذَ بِحُلَّةِ الْجَنَّةِ ، فَيَقَالُ : مَنْ هَذَا ؟ فَأَقُولُ : مُحَمَّدٌ ؛ فَيُفْتَحُ لِي ، فَيَسْتَقْبِلُنِي الْجَبَّارُ تَعَالَى ، فَأُخْرِجُهُ سَاجِدًا . . . وَذَكَرَ نَحْوَ مَا تَقَدَّمَ .

(١) صكك : جمع صك ، وهو الورقة التي تكتب للمصالح ؛ والمراد : كتبنا .

(٢) النضب : إرادة الانتقام . والنقمة : العذاب ؛ أي لم تدع أحدا ممن استحق العذاب

بمذنب .

(٣) هذا الحديث رواه البيهقي ، وأبو نعيم في الحلية .

(٤) تنفلق : تنشق . والفلق : شق الشيء وإبانة بعضه من بعض .

(٥) المراد لواء الرياسة العظمى الذي يحمده ويفبطه به سائر الخلق ، لتفردته - صلى الله

عليه وسلم - به ، وهو على حقيقته ، أو كناية عن تقدمه على غيره .

وفي هامش ب : قيل إنما نفي الفخر الذي هو الكبر الواقع في الناس المنهي عنه .

قال الخطابي - رحمه الله : وما زلت أسأل عن قوله : « لواء الحمد بيدي » حتى وجدته

في حديث روى عن عقبة بن عامر : إن أول من يدخل الجنة المحمداون لله تعالى على كل حال ؛

يقعد لهم لواءه فيدخلون الجنة .

وقوله - صلى الله عليه وسلم : « ولا فخر » - ساكنة الخاء ؛ يريد أنه لا يذكر ذلك على

مذهب الفخر الذي هو الكبر ؛ وعامة الناس يفتحون الخاء ، وهو خطأ ، وصوابه سكنها ،

والله أعلم .

ومن رواية أنس^(١) : سمعتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول : لأشْفَعَنَ يومَ القيامةِ لأكثرِ مما في الأرضِ من حَجَرٍ وشَجَرٍ .

فقد اجتمع من اختلافِ ألفاظِ هذه الآثارِ أن شفاعته - صلى اللهُ عليه وسلم ، ومقامه المحمودَ من أولِ الشفاعاتِ إلى آخرِها^(٢) ، من حينِ يجتمعُ الناسُ للحَشْرِ ، وتَضِيْقِ بهم الحناجرُ ، ويبلغُ منهم العرقُ والشمسُ والوقوفُ مَبْلَغَهُ^(٣) ، وذلك قبلَ الحسابِ ، فيشفَعُ حينئذٍ لإِراحةِ الناسِ من الموقفِ ، ثم يُوضَعُ الصِّراطُ ، ويحاسبُ الناسُ ، كما جاء في الحديثِ عن أبي هريرة وحذيفة .

وهذا الحديثُ أَثَقَنُ^(٤) ؛ فيشفَعُ في تعجيلِ مَنْ لا حسابَ عليه من أمتِه إلى الجنةِ - كما تقدم في الحديثِ - ثم يشفعُ فيمن وجب عليه العذابُ ، ودخل النارَ منهم حَسَبَ^(٥) ما تقتضيه الأحاديثُ الصحيحةُ ، ثم فيمن قال : لا إله إلا اللهُ . وليس هذا لسِوَاهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وفي الحديثِ المُنتَشَرِ الصحيحِ^(٦) : لكلِّ نبيٍّ دَعْوَةٌ يدعُوها ، واختيَّباتٌ دَعَوَتِي شفاعَةٌ لأمتي يومَ القيامةِ .

(١) هكذا في ا ، ب ، وفي هامش ا : أنيس ، وعليها علامة الصحة . وقال القارى : هو الصواب . وفي الاستيعاب (١ - ١١٤) : أنيس : رجل من الأنصار ، روى عنه شهر ابن حوشب ، ولم ينسبه ، ولم يرو عنه غيره - حديثه أن الرسول صلى اللهُ عليه وسلم قال : إني لأشفعُ يومَ القيامةِ لأكثرِ مما على وجه الأرضِ من حجرٍ ومدبرٍ - إسناده ليس بقوى .

(٢) الشفاعات : هى شفاعته العظمى في الخلاصِ من كربِ الموقفِ لجميعِ الناسِ ؛ وشفاعته لدخولِ أهلِ الجنةِ الجنةَ ؛ وللمذنبينِ في العفو عن ذنوبهم ، ولمن أمر به إلى النارِ ، ولمن قال : لا إله إلا اللهُ ؛ وإخراجِ من دخل النارَ منها ، ولرفعِ درجاتِ أهلِ الجنةِ - كما مر جميع ذلك في الأحاديثِ السابقة .

(٣) مبلغه : نهايته .

(٤) أثقن : أكثرُ إتقاناً من غيره .

(٥) حسب : مثل .

(٦) المنتشر : الشائع . وقد رواه الشيخان : صحيح مسلم : ١٨٨

قال أهل العلم: معناه^(١) دعوة أُعْلِمَ أنها تُستجابُ لهم ، ويبلغُ فيها مرغوبهم^(٢) ، وإلا فكم لكل نبيّ منهم من دَعْوَةٍ مستجابةٍ ، ولنبيِّنا صلى الله عليه وسلم منها ما لا يُعدُّ ؛ لكن حالم عند الدعاء بها بين الرجاء والخوف^(٣) ، وضُمنت لهم إجابة دعوة فيما شاءوه ، يدعون بها على يقينٍ من الإجابة .

وقد قال محمد بن زياد ، وأبو صالح ، عن أبي هريرة في هذا الحديث^(٤) : لكل نبيّ دعوةٌ دعا بها في أمته^(٥) ، فاستُجيب له ؛ وأنا أريدُ أن أدخر^(٦) ، دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة .

وفي رواية أبي صالح^(٧) : لكل نبيّ دعوةٌ مستجابةٌ ، فتعجل كلُّ نبيّ دعوته .

ونحوه في رواية أبي زُرعة عن أبي هريرة [٧٦] .

وعن أنس مثلُ رواية ابن زياد ، عن أبي هريرة .

فتكون هذه الدعوةُ المذكورةُ مخصوصةً بالأمة مضمونة الإجابة ؛ وإلا فقد أبخِر صلى الله عليه وسلم أنه سأل لأُمته أشياء من أمور الدين الدنيا وأعطى بعضها ،

(١) معناه : معنى هذا الحديث : المقصود منه .

(٢) مرغوبهم : مطلوبهم .

(٣) بين الرجاء والخوف : بين الرجاء لإصابتها ، والخوف من عدم قبولها .

(٤) في هذا الحديث وتفسيره .

(٥) سواء كانت لهم أو عليهم .

(٦) في ١ : أؤخر : وللتب في ب .

(٧) وهذا ما رواه الشيخان عنه : صحيح مسلم : ١٨٩

وَمُنِعَ^(١) بَعْضُهَا ، وَأَدَّخَرَهُمْ هَذِهِ الدَّعْوَةَ لِيَوْمِ الْفَاقَةِ^(٢) ، وَخَاتَمَةَ الْمِحْنِ^(٣) ، وَعَظِيمِ السُّؤَالِ وَالرَّغْبَةِ .

جَزَاهُ اللهُ أَحْسَنَ مَا جَزَى نَبِيًّا عَنْ أُمَّتِهِ ، وَصَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَثِيرًا .

فصل

في تفضيله في الجنة بالوسيلة والدرجة الرفيعة والكوثر والفضيلة^(٤)

حدثنا القاضي أبو عبد الله محمد بن عيسى التميمي ، والفقير أبو الوليد هشامُ ابن أحمد ، بقراءتي عليهما^(٥) ؛ قالوا : حدثنا أبو عليّ الفسّاني ، حدثنا النّمريّ^(٦) ، حدثنا ابنُ عبد المؤمن ، حدثنا أبو بكر التّمّار ، حدثنا أبو داود ، حدثنا محمد بن سلّمة ، حدثنا ابنُ وهب ، عن ابن لهيعة ، وحيوة ، وسعيد بن أبي أيوب ، عن كعب^(٧) ابن علقمة ، عن عبد الرحمن بن جُبَيْر ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص - أنه سمع

(١) هذا إشارة إلى ما في الصحيح من أنه صلى الله عليه وسلم قال : سألت الله عز وجل ثلاث خصال ؛ فأعطاني ثنتين ، ومنعني واحدة ؛ سألته ألا يهلكنا بما أهلك به الأمم ، فأعطانيها ؛ وسألته ألا يظهر علينا عدوا من غيرنا ، فأعطانيها ؛ وسألته ألا يلبسنا شيئا - وفي رواية : يذيق بعضنا بأس بعض ، فمنعها .

(٢) الفاقة : شدة الحاجة . والمراد به يوم القيامة .

(٣) المحن : جمع محنة ؛ وهي البلية المحيرة ؛ يعني هول الموقف ؛ إذ لابلية بعمده إلا النار .

(٤) بالوسيلة : حقيقة الوسيلة إلى الله مراعاة سبيله بالعلم والعبادة ، وتحري مكارم الشريعة ، والمراد بها منزلة عالية في الجنة . والدرجة الرفيعة : المنزلة . والفضيلة : من الفضل ضد النقص .

(٥) في ١ : عليه . والثبت في ب .

(٦) هو ابن عبد البر .

(٧) في ب : عن كعب ، عن عاقمة : قال القاري (١ - ٤٧٤) : والثبت في الأصل هو

الصواب .

النبي - صلى الله عليه وسلم - يقول (١) : إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول (٢) ، ثم صلوا على ؛ فإنه من صلى على مرة صلى الله عليه عشرين ؛ ثم سألوا الله لي الوسيلة (٣) ؛ فإنها منزلة في الجنة لا تنبغى (٤) إلا لعبد من عباد الله ؛ وأرجو أن أكون أنا هو . فمن سأل الله لي الوسيلة حلت (٥) عليه الشفاعة .

وفي حديث آخر - عن أبي هريرة (٦) : الوسيلة أعلى درجة في الجنة . وعن أنس (٧) : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بينا أنا أسير (٨) في الجنة إذ عرض لي نهرٌ حافتاه قباب (٩) اللؤلؤ .

قلت لجبريل : ما هذا ! قال : هذا الكوثر الذي أعطاكه الله . قال : ثم ضرب بيده إلى طينه ، فاستخرج مسكاً (١٠) .

(١) صحيح مسلم : ٢٨٨ ، وصحيح البخاري ١ - ١٥٠ ، وسنن أبي داود : ١ - ٥٥ ، وسنن الترمذي : ١ - ٤٠٧

(٢) قال في نسيم الرياض (٢ - ٣٩٣) : غير الحيملتين (حى على الصلاة ، حى على الفلاح) ؛ فإنه يقال عند سماعها : لا حول ولا قوة إلا بالله . ويقول عند قوله : قد قامت الصلاة : أقامها الله وأدامها . وهذا الاستثناء الذي ذكره الحنفاجى في حديث مسلم : ٢٨٩ ، وصحيح البخاري : ١ - ١٥٠

(٣) أى ادعوا الله أن يؤتيها فقولوا : اللهم آت محمدا الوسيلة . وفي ب : أسألوا . (٤) لاتنبغى : لا يليق إعطاؤها .

(٥) حلت عليه الشفاعة : وجبت . أو نزلت عليه . (٦) رواه الترمذي : ١ - ٤٠٧

(٧) في حديث رواه البخاري : صحيح البخاري : ٦ - ٢١٩

(٨) الظاهر أن سيره هذا كان مناما . ويحتمل أن يكون يقظة في الإسراء (نسيم الرياض :

٢ - ٣٩٤) .

(٩) قباب : جمع قبة . وفي صحيح البخاري : حافتاه قباب اللؤلؤ مجوفا .

(١٠) أى أخرج من قمره - ليمرفه بفضله ، وأن طينه مسك . وفي ن : طينة ، طينة ،

وعليها ممأ ، والثبت في أ .

وعن عائشة وعبد الله بن عمرو مثله ؛ قال : ونجراه^(١) على الدرِّ والياقوت ، وماؤه أحلى من العسل ، وأبيض من الثلج .

وفي رواية - عنه : فإذا هو يجرى ، ولم يشق شقاً^(٢) ، عليه حوض تردُّ عليه أمتى^(٣) . . . وذكر حديث الحوض .

ونحوه عن ابن عباس^(٤) .

وعن ابن عباس أيضاً ، قال : الكوثر^(٥) الخير الذي أعطاه الله إياه .

وقال سعيد بن جبیر : والنهر الذي في الجنة من الخير الذي أعطاه الله .

وعن حذيفة - فيما ذكر صلى الله عليه وسلم عن ربه : وأعطاني الكوثر ، وهو نهر في الجنة ، يسيل في حوضي^(٦) .

وعن ابن عباس - في قوله تعالى^(٧) : ﴿ وَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ﴾ ؛

قال : ألف قصر من لؤلؤ ترابهن المسك ، وفيه^(٨) ما يصلحهن .

وفي رواية أخرى : وفيه ما ينبغي^(٩) له من الأزواج والخدم .

(١) أي إن طينه مسك وحصاه الدر والياقوت .

(٢) أي لا يشق الأرض بشدة جريه ؛ وكذا سائر أنهار الجنة تجري من غير أن تتخذ

أخدودا .

(٣) ترد عليه أمتى : يأتونه للشرب منه .

(٤) سيأتي .

(٥) لعل ابن عباس أراد بيان المعنى اللغوي للكوثر . (نسيم الرياض : ٢ - ٣٩٦) .

والحديث في صحيح البخاري : ٦ - ٢١٩

(٦) كان يفسره بالحوض ، لأن ماءه منه .

(٧) سورة الضحى ، آية ٥ (٨) وفيه : في كل قصر .

(٩) ما ينبغي له : ما يناسبه ويليق به .

فصل

[في بيان شبهة ترد على ما تقدم]^(١)

فإن قلت: إذا تقرر من دليل القرآن، وصحيح الأثر، وإجماع الأمة- كونه
أكرم^(٢) البشر، وأفضل الأنبياء- فما معنى الأحاديث الواردة بنهيه عن^(٣) التفضيل؟
كقوله^(٤) - فيما حدثنا الأسدي؛ قال: حدثنا السمرقندي، حدثنا الفارسي،
حدثنا الجلودي، حدثنا ابن سفيان، حدثنا مسلم، حدثنا ابن مثنى، حدثنا محمد بن
جعفر، حدثنا شعبة، عن قتادة: سمعت أبا العالية يقول: حدثني ابن عم نبيكم
صلى الله عليه وسلم - يعني ابن عباس، عن النبي صلى الله عليه وسلم؛ قال:
ما ينبغي^(٥) لعبد أن يقول: أنا خير من يونس بن متى .

وفي غير هذا الطريق عن أبي هريرة [٧٧] قال - يعني رسول الله صلى الله
عليه وسلم: ما ينبغي لعبد... الحديث .

وفي حديث أبي هريرة^(٦) - في اليهودي الذي قال: والذي اصطنى موسى على
البشر؛ فلطمه رجل من الأنصار، وقال: تقول ذلك ورسول الله صلى الله عليه
وسلم بين أظهرنا^(٧) .

فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: لا تفضلوا بين الأنبياء .

(١) من نسيم الرياض (٢ - ٣٩٧) . (٢) أكرم البشر: أشرف بن آدم .

(٣) عن التفضيل بين الأنبياء، والناحية عن تفضيله عليهم .

(٤) في حديث رواه الشيخان، ورواه المصنف من طريق مسلم (صحيح مسلم: ١٨٤٦) .

(٥) ما ينبغي: ما يصح، ولا يجوز .

(٦) الذي رواه الشيخان في رجل من الأنصار تنازع مع يهودي بالمدينة (صحيح مسلم: ١٨٤٣) .

(٧) بين أظهرنا: أي مع وجود النبي صلى الله عليه وسلم بيننا، وهو أفضل من موسى وغيره .

وفي رواية^(١) : لا تخيروني على موسى - فذكر الحديث .
وفيه : ولا أقول : إن أحدا أفضل من يونس بن متى .
وعن أبي هريرة^(٢) : مَنْ قَالَ : أَنَا خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى فَقَدْ كَذَبَ .
وعن ابن مسعود : لا يقولنَّ أحدٌ كَمَ أَنَا خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى .
وفي حديثه الآخر^(٣) : فجاءه صلى الله عليه وسلم رجل ، فقال له : يَا خَيْرَ الْبَرِيَّةِ^(٤) ؛
فقال : ذاك إبراهيم . . .

فاعلم^(٥) أن للعلماء في هذه الأحاديث تأويلات :
أحدها - أن نهيته عن التفضيل كان قبيل أن يعلم أنه سيد ولد آدم ؛ فنهي
عن التفضيل ؛ إذ يحتاج إلى توقيف^(٦) ؛ وأن من فضل بلا علم فقد كذب .
وكذلك قوله : لا أقول إن أحدا أفضل منه^(٧) - لا يقتضى تفضيله هو ؛ وإنما
هو في الظاهر كف^(٨) عن التفضيل .

الوجه الثاني - أنه قاله صلى الله عليه وسلم على طريق التواضع ، ونفى التكبر
والمعجب^(٩) ؛ وهذا^(١٠) لا يسلم من الاعتراض .

-
- (١) وهذه الرواية في الصحيحين ، وصنف أبو داود ، والنسائي (صحيح مسلم : ١٨٤٤) .
 - (٢) في حديث رواه البخاري .
 - (٣) أي حديث ابن مسعود الذي رواه مسلم ، وأبو داود ، والترمذي (صحيح مسلم : ١٨٣٩) .
 - (٤) البرية : الخلق كلهم .
 - (٥) فاعلم - جواب الشرط في قوله أول الفصل : فإن قلت . . . وهو شروع من المصنف في تحقيق المسألة والجمع بين الأحاديث المتعارضة في التفضيل وعدمه .
 - (٦) توقيف : إعلام به من الله وسماع وإذن فيه .
 - (٧) أفضل منه : من يونس .
 - (٨) كف : امتناع ، أو منع لنفيه .
 - (٩) المعجب : أي عجبه وخيلاؤه بنفسه ومدحه لها . والتواضع : لين الجانب ، وخفض جناحه لنفيه .
 - (١٠) وهذا الجواب .

الوجه الثالث: أَلَّا يُفَضَّلَ بَيْنَهُمْ تَفْضِيلًا يُؤَدَّى إِلَى تَنْقِصٍ (١) بَعْضِهِمْ ،
 أو الغَضَّ (٢) مَعَهُ ، لاسِيَّمَا فِي جِهَةِ يُونُسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ؛ إِذْ أَخْبَرَ اللَّهُ عَنْهُ بِمَا أَخْبَرَ (٣)
 لثَلَا يَفْعَ فِي نَفْسٍ مَنْ لَا يَعْلَمُ (٤) مِنْهُ بِذَلِكَ غَضَّاضَةً (٥) وَانْحِطَاطًا مِنْ رُتْبَتِهِ الرَّفِيعَةِ ؛
 إِذْ قَالَ تَعَالَى عَنْهُ (٦) : ﴿ إِذْ أَتَى إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴾ . ﴿ إِذْ (٧) ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ
 أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ ﴾ - فَرَبِّمَا يُحْجَلُ لَمَنْ لَا عِلْمَ عِنْدَهُ حَطِيطَتَهُ (٨) ، بِذَلِكَ .

الوجه الرابع - مَنَعُ التَّفْضِيلِ فِي حَقِّ النُّبُوَّةِ وَالرَّسَالَةِ (٩) ؛ فَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ فِيهَا (١٠)
 عَلَى حَدٍِّ وَاحِدٍ ؛ إِذْ هِيَ شَيْءٌ وَاحِدٌ لَا يَتَفَاضَلُ ؛ وَإِنَّمَا التَّفَاضُلُ فِي زِيَادَةِ الْأَحْوَالِ
 وَالْخُصُوصِ ، وَالْكَرَامَاتِ ، وَالرُّتْبِ ، وَالْأَلْطَافِ (١١) ؛ وَأَمَّا النُّبُوَّةُ فِي نَفْسِهَا فَلَا
 تَتَفَاضَلُ ؛ وَإِنَّمَا التَّفَاضُلُ بِأُمُورٍ أُخْرَى زَائِدَةٌ عَلَيْهَا ؛ وَلِذَلِكَ مِنْهُمْ رُسُلٌ ، وَمِنْهُمْ أَوْلُو
 عَزْمٍ (١٢) مِنَ الرُّسُلِ ؛ وَمِنْهُمْ مَنْ رُفِعَ مَكَانًا عَلِيًّا ؛ وَمِنْهُمْ مَنْ أُوْتِيَ الْحُكْمَ

-
- (١) تنقص : وصفهم بما فيه نقص لهم ودم .
 (٢) الغض منه : الغض : النقص والعيب .
 (٣) أخبر عنه في قوله تعالى : « ولا تكن كصاحب الحوت إذ نادى وهو مكظوم » .
 (٤) من لا يعلم منه : من يونس وماقص من قصته .
 (٥) غضاضة : نقص وحقارة يتوهما من لا علم عنده .
 (٦) سورة الصافات ، آية ١٤٠ . وأبق إلى الفلك المشحون : خرج إلى سفينة مملوءة بما
 فيها من الناس والمتاع . والإباق : هروب العبد من سيده ، أطلق على يونس إذ خرج بغير
 إذن ربه .
 (٧) سورة الأنبياء ، آية ٨٧ : مناضبا لقومه لما لم يجيبوا دعوته . لن تقدر عليه : لن تريد عقوبته .
 (٨) حطيطته : نقصه ، ونزول مقامه عن مقام غيره من الرسل .
 (٩) في حق النبوة والرسالة نفسها لا الأنبياء والرسل . (١٠) فيها : في النبوة .
 (١١) الأحوال : العوارض الطارئة عليها . والخصوص : أى ماخص به بعضهم دون بعض .
 والألطف : العطايا التي أعطاها الله بعضهم .
 (١٢) العزم : القوة والشدة والتصميم على تنفيذ ما يراه أولى به وبغيره .

صَيِّبًا^(١)؛ وَأَوْتِيَ بَعْضُهُم الزُّبُرَ، وبَعْضُهُم البَيِّنَاتِ؛ وَمِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللهُ؛ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضِ دَرَجَاتٍ؛ قَالَ اللهُ تَعَالَى^(٢) : ﴿ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ﴾ .

وقال^(٣) : ﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾ .

قال بعضُ أهلِ العِلْمِ : والتفضيلُ المرادُ لم هنا في الدنيا؛ وذلك بثلاثة أحوال: أن تكون آياته ومجزئاته أبهر^(٤)، وأشهر؛ أو تكون أمته أزكى^(٥) وأكثر؛ أو يكون في ذاته أفضل وأطهر^(٦)، وفضله في ذاته راجعٌ إلى ما خصه اللهُ به من كرامته، واختصاصه من كلامٍ أو خلةٍ أو رؤيةٍ أو ما شاء اللهُ من الطافه^(٧)، وتُحَفِّ ولأيته، واختصاصه .

وقد روى^(٨) أن النبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: إِنْ لِلنَّبِيَّةِ أَنْتِقَالًا^(٩)؛ وَإِنْ يُونُسَ تَفْسَخَ مِنْهَا تَفْسَخَ الرَّبْعَ^(١٠)؛ فَحَفِظَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَوْضِعَ الْفِتْنَةِ^(١١)،

(١) هو يحيى، أو عيسى . (٢) سورة الإسراء، آية ٥٥

(٣) سورة البقرة، آية ٢٥٣ (٤) أبهر: أقوى وأغلب .

(٥) أزكى: أنقى، وأطهر . (٦) في ١: وأظهر .

(٧) الطافه: الألفاظ: المطايا .

(٨) وهذا رواه ابن أبي حاتم، والحاكم في مستدرکه - وهو رجوع إلى تنزيه يونس عليه السلام عما ذكر من الأوهام .

(٩) أنتقالا: أحمالا ثقيلة، أي تكاليف مثقلة .

(١٠) تفسخ: أي تقطعت أعضاؤه، وتفككت، لعدم طاقته بحملها . أو انسلخ منها وتجرد عنها . والربيع: الفصيل؛ أي ولد الناقة الصغير الذي يولد في الربيع . والمراد أنه لم يطق مشاقها، ولم يصبر عليها .

(١١) موضع الفتنة: أي ما يقع الناس بسببه في فتنة وأمر محذور؛ من تنقيص الأنبياء عليهم السلام، حفظ رسول الله بنبيه عن التفضيل بينهم .

مِنْ أَوْهَامٍ مَنْ يَسْبِقُ إِلَيْهِ بِسَبَبِهَا حَرَجٌ فِي نُبُوَّتِهِ^(١) ، أَوْ قَدْحٌ فِي اصْطِفَائِهِ^(٢) ، وَحَطٌّ عَنْ رُتْبَتِهِ ، وَوَهْنٌ فِي عَصْمَتِهِ^(٣) ، شَفَقَةٌ مِنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى أُمَّتِهِ^(٤) .
 وَقَدْ يَتَوَجَّهُ عَلَى هَذَا التَّرْتِيبِ^(٥) ، وَجَهٌ [٧٨] خَامِسٌ ؛ وَهُوَ أَنْ يَكُونَ « أَنَا » رَاجِعًا إِلَى الْقَائِلِ نَفْسِهِ ؛ أَيْ لَا يَبْظُنُّ أَحَدٌ - وَإِنْ بَلَغَ مِنَ الذِّكَاةِ وَالْعِصْمَةِ وَالطَّهَارَةِ^(٦) ، مَا بَلَغَ - أَنَّهُ خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ ، لِأَجْلِ مَا حَاكَى اللَّهُ عَنْهُ^(٧) ؛ فَإِنَّ دَرَجَةَ النَّبِيَّةِ أَفْضَلُ وَأَعْلَى ، وَإِنَّ تِلْكَ الْأَقْدَارَ لَمْ تَحْطَهُ^(٨) ، عَنْهَا حَبَّةٌ خَرَدَلٍ وَلَا أُدْنَى .

وسنزيد في القسم الثالث في هذا بيانا إن شاء الله تعالى .

قَدْ بَانَ لَكَ الْغَرَضُ ، وَسَقَطَ بِمَا حَرَّرْنَا شُبُهَةَ الْمُعْتَرِضِ ؛ [وَبِاللَّهِ التَّوْحِيدِ ، وَهُوَ الْمُسْتَعْمَانُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ]^(٩) .

(١) أَيْ صَانَهُ مِمَّا يَتَوَهَّمُ مِنْ يَسْبِقُ إِلَيْهِ - بِسَبَبِ الْفِتْنَةِ ، أَوْ بِسَبَبِ قِصَّةِ يُونُسَ - حَرَجٌ ؛ أَيْ ذَكَرَ مَا لَا يَلِيْقُ بِمَقَامِ النَّبِيَّةِ مِمَّا يَقْتَضِي عَدَمَ الْعِصْمَةِ .
 (٢) قَدْحٌ : الْقَدْحُ : ذِكْرُ الْمَائِبِ وَالنَّقَائِصِ . وَالِاصْطِفَاءُ : الْإِخْتِيَارُ ، وَالتَّفْضِيلُ .
 (٣) الْحَطُّ : تَنْزِيلٌ لَهُ مِنْ عُلُوِّ مَقَامِهِ . وَالْوَهْنُ : الضَّعْفُ . أَيْ عَدَّ عِصْمَتَهُ فِيهَا ضَعْفًا لِمَا تَوَهَّمَهُ مِنْ ظَاهِرِ قِصَّتِهِ السَّابِقَةِ ؛ فَلِذَا نَهَاهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ تَفْضِيلِهِ عَلَيْهِ فَضْلًا عَنْ تَنْقِيصِهِ ؛ لِتَسَاوِيهِمْ فِي حَقِيقَةِ النَّبِيَّةِ وَإِنْ تَفَاوَتَتْ أَحْوَالُهُمْ وَصِفَاتُهُمْ .
 (٤) خَوْفًا أَنْ يَقَعَ مِنْهُمْ مَا لَا يَلِيْقُ بِمَقَامِ النَّبِيَّةِ ، فَيَكُونُ مِنْهُمْ وَزْرٌ يَسْتَحِقُّونَ بِهِ سُوءَ الْعَاقِبَةِ بِسَخَطِ اللَّهِ تَعَالَى وَعِقَابِهِ .

(٥) عَلَى هَذَا التَّرْتِيبِ : عَلَى مَا رَتَبْنَاهُ مِنَ الْإِخْتِصَاصِ بِأُمُورٍ أَكْرَمَهَا اللَّهُ تَعَالَى بِهَا .

(٦) الْعِصْمَةُ : الْحِفْظُ مِنَ الْقُنُوبِ . وَالطَّهَارَةُ : الْبَرَاءَةُ مِنَ الْأَوْزَارِ .

(٧) مَا حَاكَى اللَّهُ عَنْهُ : مَا قَصَّهُ فِي قِصَّتِهِ مِنْ لَوْمَةٍ عَلَى تَضَجُّرِهِ وَعَدَمِ صَبْرِهِ عَلَى قَوْمِهِ ، لِتَأْدِيبِهِمْ

فِي غَيْبِهِمْ وَعَدَمِ إِجَابَتِهِمْ دَعْوَتَهُ لِلْإِيمَانِ .

(٨) الْأَقْدَارُ : جَمْعُ قَدْرٍ ؛ أَيْ مَا قَدَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ لِحِكْمَةِ بَاهِرَةٍ . لَمْ تَحْطَهُ : لَمْ تَنْزَلْ

يُونُسَ عَنْ دَرَجَتِهِ .

(٩) لَيْسَ فِي أ .

فصل

في أسمائه^(١) : صلى الله عليه وسلم ، وما تضمنته من فضيلته

حدثنا أبو عمران موسى بن أبي تليد الفقيه ؛ قال : حدثنا أبو عمر^(٢) الحافظ ، حدثنا سعيد بن نصر ، حدثنا قاسم بن أصبغ ، حدثنا محمد بن وضاح ، حدثنا يحيى ، حدثنا مالك ، عن ابن شهاب ، عن محمد بن جبير بن مطعم ، عن أبيه ؛ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لى خمسة^(٣) ، أسماء : أنا محمد ، وأنا أحمد ، وأنا الماحى ، الذى يمحو الله به الكفر^(٤) ، وأنا الحاشير الذى يخشع الناس على قدمي^(٥) ، وأنا العاقب^(٦) .

وقد سماه الله تعالى فى كتابه محمداً ، وأحمد^(٧) .

(١) كان الفصل المتقدم فى فضائله ؛ ولما كانت أسمائه صلى الله عليه وسلم دالة على فضائله أيضاً ذكرها عقبه .

(٢) هو ابن عبد البر .

(٣) فى نسيم الرياض (٢ - ٤٠٧) : قال السيوطى فى كتاب الرياض الأنيقة فى أسماء خير الخليقة : إنه قبل أن يطلعه الله تعالى على بقية أسمائه . وقال المصنف فيما يأتى : قيل إنها موجودة فى الكتب القديمة وعن الأمم السالفة .

ورد بأن فيها أكثر ؛ فالحق أن مفهوم المدد غير معتبر ؛ فلا يفيد الحصر . وقيل : المراد خمسة سماى بهاربي ، وبقاياها أوصاف .

(٤) يمحو به الكفر : يزيله ، وقيل : يمحو به سيئات من تبعه .

(٥) على قدمي : يحشرون على أترى .

(٦) وأنا العاقب : وأنا الآتى عقب الأنبياء عليهم السلام . وفى صحيح مسلم : العاقب :

الذى ليس بعده نبى . وحديث أسمائه فى صحيح مسلم : ١٨٢٨ ، وصحيح البخارى : ٤-٢٢٥

(٧) كتابه : هو القرآن . فقال : « ما كان محمداً أباً أحد من رجالكم » ؛ وقال : « يأتى

من بعدى اسمه أحمد » .

فمن خصائصه تعالى له أن ضمّن أسماءه ثناءه ؛ وطوّى^(١) أئناء ذِكْرِهِ عَظِيمِ
شُكْرِهِ .

فأما اسمُه أحد فأفضل مبالغةً مِنْ صِفَةِ الْحَمْدِ .

ومحمد : مفعّلٌ ، مبالغة من كثرة الحمد ؛ فهو - صلى الله عليه وسلم - أجلُّ
مَنْ حَمِدَ ، وأفضل مَنْ حَمِدَ ، وأكثرُ الناسِ حَمْدًا ؛ فهو أَحَدُ المَحْمُودِينَ ، وَأَحَدُ
الحَامِدِينَ ، ومعه لواء الحمد^(٢) يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِيَمَّ لَهُ كَالْحَمْدِ ، وَيَنْشَهَرُ^(٣) فِي تِلْكَ
الْمَرَصَاتِ^(٤) بِصِفَةِ الْحَمْدِ ، وَيَبْعَثُهُ رَبُّهُ هُنَاكَ^(٥) مَقَامًا مَحْمُودًا كَمَا وَعَدَهُ^(٦) ؛ يَحْمَدُهُ
فِيهِ الْأَوْلُونَ وَالْآخِرُونَ بِشَفَاعَتِهِ لَمْ ، وَيُفْتَحُ عَلَيْهِ فِيهِ^(٧) مِنَ الْحَامِدِ - كَمَا قَالَ

(١) طوى : كتم وأخفى . والمراد أخفى داخل ذكر النبي ؛ أى فى أسمائه التى سماه بها
شكره العظيم . وفى ب : فطوى .

(٢) اللواء : علم الجيش ، وهو أكبر من الراية : أى إنه تحت أمره أو فى قبضته ، وهذا
يحتمل أنه على حقيقته ؛ ليعلم أنه صلى الله عليه وسلم نال هذه للرتبة بتفوقه على كل مخلوق فى
كونه حامدا محمودا . ومعنى لواء الحمد أنه لواء يقبمه كل حامد ومحمود ؛ ويعلم ذلك بإلهام الله ،
أو بנדاء الملائكة .

ويحتمل أنه تمثيل لشهرته صلى الله عليه وسلم فى أهل الموقف .

قال فى نسيم الرياض (٢ - ٤١٠) : وعدم التأويل أسلم .

وانظر الهامش السابق .

(٣) هذا الضبط فى ا . وفى ب : ضبط بفتح الياء ، وضما ، وكتب عليه « ما » .

(٤) المرصات : جمع عرصة ؛ وعرصة الدار : ساحتها . والمراد أرض الموقف والمختر .

(٥) هناك : فى المرصات .

(٦) كما وعده فى قوله تعالى : « عسى أن ييمتك ربك مقاما محمودا » .

(٧) فيه : فى ذلك المقام .

صلى الله عليه وسلم - ما لم يُعْطَ غيره ، وَسَمِيَ أُمَّتَهُ فِي كِتَابِ أَنْبِيَائِهِ بِالْحَقَّادِينَ ^(١) ؛
فحقيقٌ أن يسمي محمداً واحداً ^(٢) .

ثم في هذين الاسمين من عجائب خصائصه ، وبدائع آياته - فن ^(٣) آخر ؛ وهو
أن الله جلَّ اسمه حمى ^(٤) أن يسمي بهما أحداً قبل زمانه ^(٥) .

أما أحمدُ الذي أتى في الكتب وبشّرت به الأنبياء فنعى الله تعالى بحكته أن
يسمى به أحداً غيره ، ولا يدعى ^(٦) به مدعوٌ قبله حتى لا يدخل لبسٌ على ضعيفِ
القلب ^(٧) أو شك .

وكذلك محمد أيضاً لم يُسمَّ به أحدٌ من العرب ولا غيرهم إلى أن شاع قبيل
وجوده صلى الله عليه وسلم وميلاده أن نديباً يُبعثُ اسمه محمد ؛ فسمى قومٌ قليلٌ من
العرب أبناءهم بذلك ؛ رجاء أن يكون أحدهم هو . والله أعلمُ حيثُ يجملُ رسالاته ؛
وهم : محمد بن أحيحة بن الجلاح الأوسى ، ومحمد بن مسلمة الأنصارى ، ومحمد

(١) بالحمادين : للبالغين في الحمد . كما في حديث الدارمي عن كعب بن جريح عن التوراة ؛
قال : نجد مكتوباً فيها : محمد رسول الله ، عبدى المختار ، لا فظ ولا غليظ وأمه
الحمادون يحمدون الله في السراء والضراء ، يحمدون الله في كل منزل ، ويكبرونه على كل شرف ،
رعاة للشمس ، يصلون للصلاة إذا جاء وقتها (شرح القارى : ١ - ٤٨٧) .

(٢) خليف : جدير ، وذلك لأنه إذا حمد بما لم يحمده غيره ، وجمده الأولون والآخرون ،
وكرر حمد أمته كان جديراً بذلك .

(٣) فن آخر : نوع آخر ، غير ما تقدم .

(٤) حمى : منع ، وصان ، وحفظ .

(٥) ليعلم إذا سمى بها أنه النبي الموعود به .

(٦) يدعى : يسمى .

(٧) لبس : التباس واشتباه ، لعدم تمييزه . وضعيف القلب : من لا عقل له تام ، ورأى

حائب ونظر مفرق بين الحق والباطل ؛ فيتردد في صدق مدعى النبوة بمجرد شئ سبق له .

ابن بَرَاء^(١) البكرى ، ومحمد بن سُفيان بن مُجاشع ، ومحمد بن خُمران الجعفي ، ومحمد
ابن خُزاعي السلمي ، لا سابق^(٢) لهم .

ويقال : أول من تسمى بمحمد محمد بن سُفيان . واليمنُ تقول : بل محمد بن اليَحمُد^(٣)
من الأزد .

ثم حَتَّى اللهُ كُلَّ مَنْ تَسَمَّى بِهِ^(٤) أَنْ يَدْعِيَ النَّبُوَّةَ أَوْ يَدْعِيهَا أَحَدُهُ ، أَوْ يُظْهِرَ
عليه سببٌ يَشْكُكُ أَحَدًا فِي أَمْرِهِ^(٥) حَتَّى تَحَقَّقَتِ السَّمْتَانِ^(٦) لَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،
وَلَمْ يَنَازِعْ فِيهِمَا .

وَأَمَّا قَوْلُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : وَأَنَا الْمَاحِي الَّذِي يَمْحُو اللهُ بِي الْكُفْرَ فَفُسِّرَ
فِي الْحَدِيثِ : وَيَكُونُ مَحْوُ الْكُفْرِ إِمَامًا مِنْ مَكَّةَ^(٧) وَبِلَادِ الْعَرَبِ ؛ وَمَا زُوِيَ^(٨) لَهُ
مِنَ الْأَرْضِ ، وَوَعِدَ أَنَّهُ يَبْلَغُهُ مُلْكُ أُمَّتِهِ ؛ أَوْ يَكُونُ اللَّحْوَ عَامًا ، بِمَعْنَى الظُّهُورِ
وَالغَلْبَةِ ؛ كَمَا [٧٩] قَالَ تَعَالَى^(٩) : ﴿ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ﴾ .

[وَقَدْ وَرَدَ تَفْسِيرُهُ فِي الْحَدِيثِ أَنَّهُ الَّذِي مُحِيتْ بِهِ سَيِّئَاتُ مَنْ اتَّبَعَهُ]^(١٠) .

(١) فِي شَرْحِ التَّارِي (١ - ٤٨٨) : مُحَمَّدُ بْنُ بَدَاءٍ - بِيَاءٌ مُوَحَّدَةٌ ، فِرَاءٌ مَمْدُودَةٌ . أَوْ
هُوَ ابْنُ بَدَاءٍ - بِيَاءٌ مُوَحَّدَةٌ مُفْتُوحَةٌ ، وَتَشْدِيدُ دَالٍ مَهْمَلَةٌ بَعْدَهَا أَلْفٌ مَمْدُودَةٌ .
(٢) قَالَ فِي نَسِيمِ الرِّيَاضِ (٢ - ٤١٤) : وَفِي سِيرَةِ مَنْطَلَايَ زَادَ تِسْعَةٌ أَوْ ثَمَانِيَةٌ . وَسَيِّئَاتِي
كَلَامٌ فِي هَذَا الْعَدَدِ بَعْدَ قَلِيلٍ .

(٣) ضَبَطَتِ الْمِيمُ فِي الْبَلْتَحِ ، وَفِي ب : بِالضَّمِّ .

(٤) فِي أ : مَنْ تَسَمَّى بِمُحَمَّدٍ . . .

(٥) أَيْ شَيْءٌ فِي ذَاتِهِ يَكُونُ سَبَبًا مَوْقِعًا لِلنَّاسِ فِي شَكِّ أَنَّهُ النَّبِيُّ الْمَوْعُودُ .

(٦) السَّمْتَانُ : أَيْ الصَّفَتَانِ اللَّتَانِ هُمَا الْمَحْمُودِيَّةُ وَالْأَحْمَدِيَّةُ .

(٧) مِنْ مَكَّةَ : بَعْدَ الْفَتْحِ ؛ إِذْ أَظْهَرَ اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ ، وَلَمْ يَبْقَ بِهَا مِنْهُ عَيْنٌ وَلَا أَثَرٌ .

(٨) زُوِيَ : جَمَعَ . (٩) سُورَةُ التَّوْبَةِ ، آيَةٌ ٣٣ .

(١٠) مَا بَيْنَ الْقَوْسَيْنِ كَتَبَ أَمَامَهُ فِي أ ، ب : مِنْ الْأَمِّ ، مِنْ غَيْرِ الرَّوَابِغِ .

وَرَوَى هَذَا التَّفْسِيرَ الَّذِي ذَكَرَهُ الْمَنْصَفُ لِلْمَاحِي - الْحَاكِمُ فِي مُسْتَدْرَكِهِ ، وَأَبُو نَعِيمٍ ، وَالْبَيْهَقِيُّ . =

وقوله : وأنا الحاشِرُ الذي يُحشِرُ الناسُ على قَدَمِي ؛ أي على زَمَانِي ^(١) وَعَمْدِي ؛
أي ليس بَعْدِي نبيُّ ، كما قال : وخاتم النبیین .
وسُمِّي عاقِباً ؛ لأنه عَقَبَ ^(٢) غَيْرَهُ من الأنبياء .

[وفي الصحيح : أنا العاقِبُ الذي ليس بعدي نبيُّ] ^(٣) .

وقيل : معنى على قَدَمِي ؛ أي يُحشِرُ الناسُ بِمُشَاهَدَتِي ^(٤) ؛ كما قال تعالى ^(٥) :
﴿ اَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ .

[وقيل على قَدَمِي : على سابِغَتِي ؛ قال الله تعالى ^(٦) : ﴿ أَنْ لَمْ يَكُنْ لَكَ صِدْقٌ
عند رَبِّهِمْ ﴾ .

وقيل : على قَدَمِي : أي قُدَامِي ، وَحَوْلِي ؛ أي يجتمعون إلىَّ يوم القيامة .

وقيل : على قَدَمِي : على سُنَّتِي] ^(٧) .

ومعنى قوله : لي خمسةُ أسماءَ : قيل : إنها موجودةٌ في السُّكُتِبِ المتقدمة ، وعند

أولى العِلْمِ من الأمم السالفة ، [والله أعلم] ^(٨) .

= وقال ابن حجر في شرح الثمائل : معناه أن من آمن به صلى الله عليه وسلم يحصى ذنب كفره ،
وما عمله فيه ؛ قال الله تعالى : « قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف » . وفي
الحديث : الإسلام يجب ما قبله ؛ أي يهدم ما قبله . (نسيم الرياض : ٢ - ٤١٦) .
(١) قال السيوطي : حشر الناس في زمان نبوته ؛ لأن ملته باقية ، لاتنسخ ، وليس بعدها
شرع آخر .

(٢) عقب غيره من الأنبياء : خلفهم في الخير . أو العاقب : الآخر ، بمعنى أنه لا نبي بعده . وسيأتي .

(٣) ما بين القوسين ليس في ١ ، وهو في هامش ب ، وعليه علامة الصحة .

(٤) بمشاهدتي : أي بقربي ، ومعنى ، بمرأى مني .

(٥) سورة البقرة ، آية ١٤٣ (٦) سورة يونس ، آية ٢

(٧) ما بين القوسين ليس في ب .

(٨) ليس في ١ .

وقد روى عنه صلى الله عليه وسلم^(١) : لى عشرة أسماء ، وذكر منها : طه ،
ويس ؛ حكاه مكّي .

وقد قيل فى بعض تفسير طه : إنه^(٢) يا طاهر ، يا هادى وفى يس : ياسيدٌ ؛ حكاه
السلى عن الواسطى ، وجعفر بن محمد .

وذكر غيره : لى عشرة أسماء ؛ فذكر الخمسة التى فى الحديث الأول ؛ قال^(٣) :
وأنا رسول الرحمة ، ورسول الراحة ، ورسول الملائم^(٤) ، وأنا المقتنى ؛ قفيت^(٥)
النبين .

وأنا قيمٌ ؛ والقيمٌ : الجامع الكامل^(٦) ؛ كذا وجدته^(٧) ، ولم أروه^(٨) .
وأرى أن صوابه قيمٌ - بالناء^(٩) كما ذكرناه بعد عن الحربى ؛ وهو أشبه بالتفسير .

(١) فى حديث رواه أبو نعيم فى الدلائل (١-٦٨) ، وابن مردويه فى تفسيره ، من طريق
أبى يحيى التيمى . قال القارى (١ - ٤٩٠) : وهو وضاع .

(٢) أى الطاء من كلمة « طاهر » ، والهاء من كله : « هادى » .

(٣) وهذا رواه البيهقى مسندا .

(٤) الملائم : جمع ملحمة ؛ وهى الحرب والقتال ، سميت بذلك لالتحام الناس فيها ؛ أى
ازدحامهم فيها ؛ لأنه - صلى الله عليه وسلم أرسل بالسيف ، وأمر بالجهاد .

(٥) قفيت : تبعت ، والمراد أنه خاتمهم .

(٦) أى الجامع لمكارم الأخلاق الكامل فيها . أو الجامع لشمل الناس بتأليفه بينهم وجمع
شئتهم ؛ لأن القيم يكون بمعنى السيد ، لقيامه بأمر الناس وأمر الدين .

(٧) كذا وجدته : أى تسميته صلى الله عليه وسلم بالقيم .

(٨) وقد رواه الديلمى فى مسند الفردوس ، وفى النهاية لابن الأثير حديث : أتانى ملك
فقال : أنت قيم ، وخلقك قيم ؛ أى حسن مستقيم .

(٩) فى نسيم الرياض (٢ - ٤٢١) : فى اشتقاقه معنيان : أحدهما من القم ؛ وهو

الإعطاء ، فسمى رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك لجوده وعطائه . والثانى من القم ؛ وهو
الجمع ؛ وقد كان صلى الله عليه وسلم جامعا للفضائل .

وقد وقع أيضا في كتب الأنبياء؛ قال داود عليه السلام: اللهم ابعث لنا محمدا
مُقيِّمَ السنَّةِ بعدَ الفِترَةِ^(١)؛ فقد يكون القِيمُ بمعناه^(٢).

وروى النقاش عنه صلى الله عليه وسلم: لى في القرآنِ سبعةُ أسماء: محمد، وأحمد،
وبس، وطه، والمدثر، والمزمل، وعبد الله.

[وفي حديث - عن جُبَيْرِ بنِ مُطَّيْمِ بنِ مُطَّيْمِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: هِيَ^(٣) ستُّ: محمد، وأحمد،
وخاتم، وعاقب، وحاشِر، ومَاحِ^(٤)] ^(٥).

وفي حديث أبي موسى الأشعري^(٦) - أنه كان صلى الله عليه وسلم يُسمِّي لنا
نَفْسَهُ أسماء، فيقول: أنا محمد، وأحمد، والمُقَفَّى، ونَبِيَّ التَّوْبَةِ، ونَبِيَّ المَلْحَمَةِ، ونَبِيَّ
الرَّحْمَةِ^(٧).

ويروى: المَرَحِمَةُ، والراحة^(٨).

وكلُّ صحيح إن شاء الله.

ومعنى المقفَّى معنى العاقب^(٩).

(١) السنة: الطريقة الشرعية، والدين. والفترة: انقطاع الوحي والرسول، أو الفتور
في الطاعة. وضمير «نا» للناس.

(٢) بمعناه: أى بمعنى المقيم للسنة، أو بمعنى القتم.

(٣) هى: أى أسماؤه.

(٤) سبقت معانيها: صفحة ٣١١، ٣١٥.

(٥) ما بين القوسين ليس فى ١، وهو فى هامش ب، وعليه علامة الصحة.

(٦) الحديث فى صحيح مسلم: ١٨٢٨.

(٧) فى ١: ونبي الرحمة والرحمة. والثبت فى صحيح مسلم: ١٨٢٩.

(٨) فى ب: ويروى: المرحمة، والراحة، والرحمة.

(٩) قال فى نسيم الرياض (٢ - ٤٢٣): الأولى تفسير كل منها بمعنى؛ هربا من التكرار؛

فمعنى المقفَّى: التابع لهدى النبيين وسنتهم. والعاقب: الخاتم لباب النبوة والرسالة.

وأما نبيُّ الرحمة والتوبة ، والمرحمة والراحة - فقال تعالى ^(١) : ﴿ وما أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ ، وكما وصفه بأنه يُرَكِّبُهُمْ ^(٢) وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ . وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ^(٣) . و﴿ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴾ ^(٤) رَدُّوف رَحِيمٍ ﴿ .
وقال في صفة ^(٥) أُمَّتِهِ : إنها أمةٌ مرحومة ^(٦) .

وقال اللهُ تعالى فيهم ^(٧) : ﴿ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالرَّحْمَةِ ﴾ ؛ أى يرحمُ بعضهم بعضاً ؛ فبمته ربُّه تعالى رحمةٌ لأُمَّتِهِ ، ورحمةٌ للعالمين ، ورحمةٌ بهم ، ومُتَرَحِّمًا ومستغفرًا لهم ، وجعل أُمَّتَهُ أُمَّةً مَرَحُومَةً ، ووصفها بالرحمة .
وأمرها ^(٨) صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالتَّرَاحُمِ ، وأُتِنِي عَلَيْهِ ؛ فقال ^(٩) : إِنَّ اللهَ يُحِبُّ مِنَ عِبَادِهِ الرَّحَمَاءَ .

وقال ^(١٠) : الرَّاحُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ . اِرْحُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمَكُمُ ^(١١) مَنْ فِي السَّمَاءِ .

وأما رواية نَبِيِّ الْمَلْحَمَةِ فإشارةٌ إِلَى مَا بُعِثَ بِهِ مِنَ الْقِتَالِ وَالسَّيْفِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ وهى ^(١٢) صَحِيحَةٌ .

(١) سورة الأنبياء ، آية ١٠٧

(٢) يركبهم : يظهرهم من الأخلاق الذميمة والآثام المدنسة . والكتاب : القرآن . الحكمة :

العلوم النافعة ، والمعائد الحقة ، وإصابة الحق قولاً وفعلًا .

(٣) يهديهم : يدلهم . الصراط المستقيم : الطريق الذى لا عوج فيه .

(٤) سورة التوبة ، آية ١٢٨ (٥) القائل هو الرسول .

(٦) مرحومة : فى الدنيا والآخرة ، فى الحياة والمات .

(٧) سورة البلد ، آية ١٧ (٨) وأمرها : أى أمر الأمة .

(٩) فى نسيم الرياض (٢ - ٤٢٤) : حديث صحيح مشهور . والحديث فى صحيح

مسلم : ٦٣٦ ، وصحيح البخارى : ٢ - ٩٦ (١٠) سنن الترمذى : ٤ - ٣٢٤

(١١) ضبطت اليم فى « يرحمكم » بالضمه والسكون وكتب فوقها « معا » .

(١٢) أى الرواية .

وَرَوَى حُدَيْفَةُ مِثْلَ حَدِيثِ أَبِي مُوسَى ، وَفِيهِ : وَنَبِيُّ الرَّحْمَةِ ؛ وَنَبِيُّ التَّوْبَةِ ، وَنَبِيُّ الْمَلَاةِ .

وَرَوَى ^(١) الْحَرْبِيُّ فِي حَدِيثِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : أَنَا نَبِيُّ مَلَكٍ فَقَالَ لِي : أَنْتَ قَوْمٌ ؛ أَيُّ مُجْتَمِعٍ ^(٢) قَالَ : وَالْقَوْمُ : الْجَامِعُ لِلْخَيْرِ ؛ وَهَذَا اسْمٌ هُوَ فِي أَهْلِ ^(٣) مِيثَةِ مَعْلُومٍ .

وَقَدْ جَاءَتْ مِنْ ألقَابِهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَسَمَاتِهِ ^(٤) فِي الْقُرْآنِ عِدَّةٌ كَثِيرَةٌ سِوَى مَا ذَكَرْنَاهُ ؛ كَالنُّورِ ، وَالسَّرَاحِ الْمُنِيرِ ^(٥) ، وَالْمُنْذِرِ ، وَالنَّذِيرِ ^(٦) ، وَالْمُبَشِّرِ ، وَالْبَشِيرِ ، وَالشَّاهِدِ ، وَالشَّهِيدِ ^(٧) ، وَالْحَقُّ الْمُبِينِ ، وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ^(٨) ، وَالرَّءُوفِ الرَّحِيمِ ، وَالْأَمِينِ ، وَقَدَّمَ الصِّدْقَ [٨٠] ، وَرَحْمَةَ الْعَالَمِينَ ^(٩) ، وَنِعْمَةَ اللَّهِ ، وَالْعُرْوَةَ الْوَثْقَى ، وَالصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ^(١٠) ، وَالنَّجْمَ الثَّاقِبَ ، وَالكَرِيمَ ، وَالنَّبِيَّ الْأُمِّيَّ ،

(١) رَوَاهُ أَبُو نَعِيمٍ فِي الدَّلَائِلِ ، عَنْ يُونُسَ بْنِ مَيْسَرَةَ . وَفِي هَامِشِ ب ، أ : وَقِيلَ هُوَ مُتَشَقِّقٌ مِنْ الْقَوْمِ ، وَهُوَ الْإِعْطَاءُ ، وَكَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَجُودَ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْهَابَةِ (مِنْ كَشْفِ الْمَشْكَلِ لِابْنِ الْجَوْزِيِّ) . (٢) مُجْتَمِعٌ : أَيُّ مَجْمُوعٍ فِيكَ كُلِّ كَالِ وَخَيْرٍ .

(٣) أَيُّ سَمِيٍّ بِهِ غَيْرُهُ . وَهُوَ قَوْمُ بَنِي الْمُبَاسِ . وَقَوْمُ عَمِّ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . (٤) سَمَاتُهُ : صِفَاتُهُ .

(٥) فِي الْقُرْآنِ (الْمَائِدَةُ : ١٥) : « قَدْ جَاءَكُمْ مِنْ اللَّهِ نُورٌ » . وَفِيهِ (الْفُرْقَانُ : ٦١) : « وَسِرَاجًا مُنِيرًا » .

(٦) قَالَ تَعَالَى : « إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ » . وَقَالَ تَعَالَى : « إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ » .

(٧) قَالَ تَعَالَى : « إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا » . وَقَالَ تَعَالَى : « إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا » . وَقَالَ : « يَكُونُ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا » .

(٨) فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : « حَتَّى جَاءَهُمُ الْحَقُّ ، وَرَسُولٌ مُبِينٌ » . وَقَالَ : « وَلَكِنْ رَسُولُ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ » .

(٩) قَالَ تَعَالَى : « مَطَاعٌ ثُمَّ أَمِينٌ » . وَقَالَ : « وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمٌ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ » . « وَقَالَ : وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ » .

(١٠) قَالَ تَعَالَى : « بَدَلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا » . وَقَالَ : « فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوَثْقَى » .

وَقَالَ : « أَهْدَانَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ » .

وَدَاعِيَ اللَّهِ^(١) - فِي أَوْصَافٍ كَثِيرَةٍ ، وَسِمَاتٍ جَلِيلَةٍ^(٢) .
 وَجَرَى مِنْهَا فِي كِتَابِ اللَّهِ الْمُتَقَدِّمَةِ ، وَكُتِبَ أَنْبِيَائِهِ ، وَأَحَادِيثَ رَسُولِهِ ، وَإِطْلَاقِ
 الْأُمَّةِ جَمَلَةً شَافِيَةً ؛ كَتَسْمِيَتِهِ بِالْمُضْطَّقِ ، وَالْمُجْتَبَى^(٣) ، وَأَبِي الْقَاسِمِ ، وَالْحَبِيبِ ،
 وَرَسُولِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، وَالشَّفِيعِ الْمُسْتَفْعِ ، وَالْمُتَّقِي ، وَالْمُصْلِحِ ، وَالطَّاهِرِ ، وَالْمُهَيَّبِ ،
 وَالصَّادِقِ ، وَالصَّدُوقِ ، وَالْهَادِي ، وَسَيِّدِ وَادِ آدَمَ ، وَسَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ ، وَإِمَامِ الْمُتَّقِينَ ،
 وَقَائِدِ الْغُرِّ الْمُحَجَّبِينَ^(٤) ، وَحَبِيبِ اللَّهِ ، وَخَلِيلِ الرَّحْمَنِ ، وَصَاحِبِ الْحَوْضِ^(٥)
 الْمُرُودِ ، وَالشَّفَاعَةِ ، وَالْمَقَامِ الْحَمُودِ ، وَصَاحِبِ الْوَسِيلَةِ^(٦) وَالنُّفُوسِ وَالذَّرَجَةِ الرَّفِيعَةِ ،
 وَصَاحِبِ التَّاجِ^(٧) ، وَالْمِعْرَاجِ ، وَاللَّوَاءِ ، وَالْقَضِيبِ^(٨) ، وَرَاكِبِ الْبُرَاقِ ، وَالنَّاقَةِ ،
 وَالتَّجِيبِ^(٩) ، وَصَاحِبِ الْحِجَّةِ وَالسُّلْطَانِ ، وَالْخَاتَمِ ، وَالْعَلَامَةِ وَالْبُرْهَانَ ، وَصَاحِبِ
 الْهَرَاوَةِ وَالنَّعْلَيْنِ^(١٠) .

(١) قَالَ تَعَالَى : « وَالنَّجْمِ الثَّاقِبِ » . وَقَالَ : « وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ » . وَقَالَ : « إِنَّهُ لَقَوْلُ
 رَسُولِ كَرِيمٍ » . وَقَالَ : « الَّذِينَ يَقْبَعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ » . وَقَالَ : « دَاعِيَا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ » .
 (٢) أَيْ وَرَدَ مَا ذَكَرَ فِي الْقُرْآنِ وَالْأَثَارِ مِنْ صِفَاتٍ أُخْرَى كَثِيرَةً أَطْلَقَتْ عَلَيْهِ كِبَارُ إِطْلَاقِ
 الْأَسْمَاءِ عَلَى مَسَامِهِ . (٣) الْمُجْتَبَى : الْمُخْتَارُ .

(٤) النَّعْرُ : جَمْعُ أَعْرٍ ، مُطْلَقٌ بِيَاضِ الْوَجْهِ . وَالتَّحْجِيلُ : بِيَاضٌ فِي الْقَوَائِمِ .
 (٥) قَالَ السِّيُوطِيُّ : حَدِيثُ الْحَوْضِ مَرْوِيُّ عَنْ أَكْثَرِ مِنْ خَمْسِينَ صَحَابِيًّا .
 (٦) الْوَسِيلَةُ : السَّبَبُ الْمَوْصِلُ لِأَمْرٍ عَظِيمٍ ، سُمِّيَ بِهِ ؛ لِأَنَّهُ سَبَبٌ لِكُلِّ خَيْرٍ .
 (٧) قِيلَ الْمُرَادُ بِالْتَّلَاجِ هُنَا الْعِمَامَةُ . وَالْعِمَامَةُ : تَبِيجَانُ الْعَرَبِ ، فَكُنِيَ بِهِ عَنْ أَنَّهُ مِنْ صَمِيمِ
 الْعَرَبِ وَأَشْرَفِهِمْ حَسَبًا وَنَسَبًا .

(٨) صَاحِبِ اللَّوَاءِ : الْمُرَادُ : لَوَاءُ الْحَمْدِ الَّذِي تَقْدُمُ . أَوْ اللَّوَاءُ الَّذِي كَانَ يَمْقُدُهُ صَلَّى اللَّهُ
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلْحَرْبِ ، فَهُوَ كِنْيَةٌ عَنِ الْقِتَالِ . وَالْقَضِيبُ : السِّيفُ ، كِنْيَةٌ عَنِ جِهَادِهِ وَكَثْرَةِ قِتَالِهِ .
 (٩) رَاكِبِ النَّاقَةِ فِي حِجَّةِ الْوُدَاعِ . وَالتَّجِيبُ : الْجَمَلُ ؛ كِنْيَةٌ عَنِ تَوَاضُعِهِ . أَوْ لِهَجْرَتِهِ
 عَلَيْهِ ، أَوْ كَوْنِهِ مِنْ صَمِيمِ الْعَرَبِ .

(١٠) وَالْعَلَامَةُ : عَلَامَةُ النَّبُوَّةِ ، وَهِيَ الْخَاتَمُ أَيْضًا . الْهَرَاوَةُ : الْعَصَا . قَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ : سُمِّيَ بِذَلِكَ
 لِأَنَّهُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كَانَ يَسْكُ بِيَدِهِ الْقَضِيبَ ، وَيَعْتَشِي بِالْعَصَا بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَتَفَرَّزَ لِيَصِلَ إِلَيْهَا .

وَمِنْ أَسْمَائِهِ فِي السُّكُتِبِ ^(١) : الْمُتَوَكَّلُ ، وَالْحَتَّارُ ^(٢) ، وَمُتِمِّمُ السَّنَةِ ^(٣) ،
وَالْمُقَدَّسُ ^(٤) ، [وَرُوحُ الْقُدُّوسِ] ^(٥) ، وَرُوحُ الْحَقِّ ؛ وَهُوَ مَعْنَى الْبَارَقَلِيطِ فِي الْإِنْجِيلِ .
وَقَالَ ثَعْلَبُ : الْبَارَقَلِيطُ : الَّذِي يَفْرِقُ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ ^(٦) .
وَمِنْ أَسْمَائِهِ فِي السُّكُتِبِ السَّالِفَةِ : مَاذُ مَاذُ ^(٧) ؛ وَمَعْنَاهُ طَيْبٌ ، طَيْبٌ ،
وَحَمَّطَايَا ^(٨) ، وَالْحَاتِمُ ، وَالْحَاتِمُ ^(٩) ؛ حَكَاهُ كَسْبُ الْأَحْبَارِ .
قَالَ ثَعْلَبُ : فَالْحَاتِمُ الَّذِي حَتَّمَ [اللَّهُ بِهِ] ^(١٠) الْأَنْبِيَاءَ . وَالْحَاتِمُ : أَحْسَنُ الْأَنْبِيَاءِ
خَلْقًا وَخُفَا .

-
- (١) فِي السُّكُتِبِ : أَيِ السُّكُتِبِ الْإِلَهِيَةِ الْمُنزَلَةِ عَلَى مَنْ قَبْلَهُ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ .
(٢) سُمِّيَ بِهِمَا فِي التَّوْرَةِ . (٣) سُمِّيَ بِهِ فِي التَّوْرَةِ وَالزَّبُورِ .
(٤) الْمُقَدَّسُ : الْمُطَهَّرُ الْمُتَقَيُّ مِنَ دَنَسِ الذُّنُوبِ ، أَوْ الْمُفَضَّلُ عَلَى غَيْرِهِ .
(٥) وَرُوحُ الْقُدُّوسِ : الرُّوحُ الْمُقَدَّسَةُ لِلطَّهْرَةِ مِنَ النِّقَاطِ . وَمَا بَيْنَ الْقَوْسَيْنِ لَيْسَ فِي أ .
(٦) قَالَ فِي نَسِيمِ الرِّيَاضِ (٢ - ٤٣٨) : الَّذِي عَلَيْهِ أَصْحَابُ الْإِنْجِيلِ أَنْ مَعْنَاهُ الْمُخْلِصُ .
وَهَذَا الضَّبْطُ فِي أ ، ب . وَفِي شَرْحِ الْقَارِي (١ - ٤٩٦) : الْبَارَقَلِيطُ - بِالْبَاءِ الْمُوَحَّدَةِ وَبِفَتْحِ
الرَّاءِ وَتَسْكَرُ وَبِسُكُونِ الْقَافِ ، وَقَدْ تَسَكَّنَ الرَّاءَ وَفَتْحَ الْقَافِ ، وَتَسْكَرُ اللَّامُ ، بِمَدِّهَا يَاءُ
مَثَلَةَ سَاكِنَةَ فِطَاءِ مَهْمَلَةٍ . وَرَوَى بِالْفَاءِ الْفَصِيحَةَ وَبِالْبَاءِ غَيْرَ صَافِيَةً .
(٧) فِي ب : بِالذَّالِ الْمَعْجَمَةِ ، وَالذَّالِ الْمَهْمَلَةِ ، وَعَلَيْهَا « مَعَا » .
(٨) فِي نَسِيمِ الرِّيَاضِ (٢ - ٤٣٩) : هَذَا وَمَا قَبْلَهُ رَوَاهُ أَبُو نَعِيمٍ فِي الدَّلَائِلِ عَنِ ابْنِ
عَبَّاسٍ . قَالَ : وَمَعْنَاهُ : يَمْنَعُ مِنَ الْحَرَامِ ، وَيَجْمَعُ الْحَرَمَ ؛ أَيُّ يَمْنَعُ مَا كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ مِنَ
الْإِنْسَكْحَةِ وَغَيْرِهَا مِنَ الْمَحْرَمَاتِ . وَقَدْ ضَبَطْتُ الْحَاءَ فِي أ بِالْكَسْرِ . وَضَبَطْتُ فِي ب :
بِالْفَتْحَةِ . وَفِي شَرْحِ الْقَارِي (١ - ٤٩٧) تَسَكَّنَ الْمِيمَ وَتَشَدَّدَ .
(٩) قَالَ فِي نَسِيمِ الرِّيَاضِ : الظَّاهِرُ أَنَّهُ مِنَ الْحَتْمِ ؛ وَهُوَ الْإِحْكَامُ ؛ لِإِحْكَامِ الْقَضَاءِ وَالْأَحْكَامِ .
وَالْحَاتِمُ : الْقَاضِي - كَمَا فِي الصَّحَاحِ .
(١٠) لَيْسَ فِي أ .

ويسمى بالسريانية : مُشَفَّحٌ ^(١) وَالْمُنْحَمَمَا ^(٢) ؛ واسمه في التوراة أُحِيد ^(٣) -
رَوَى ذَلِكَ عَنْ ابْنِ سِيرِينَ .

ومعنى صاحب القضيْب ؛ أى السيف ؛ وقع ذلك مفسّرا في الإنجيل ؛ قال : معه
قَضِيْبٌ مِنْ حَدِيدٍ يُقَاتِلُ بِهِ ، وَأُمَّتُهُ كَذَلِكَ .

وقد يحملُ على أنه القضيْب المشوق ^(٤) الذى كان يُمَسِّكُهُ صلى الله عليه وسلم ؛
وهو الآن عند الخلفاء ^(٥) .

وأما الهِراوة التى وُصِفَ بها فهى فى اللغة المَصَا ؛ وأراها - والله أعلم - العصا
المذكورة فى حديث الخوض ^(٦) : أذودُ الناسَ عنه بعصاى - لأهل اليمن .
وأما التاجُ فالمرادُ به العِمَامَةُ ، ولم تكن حينئذٍ إلّا للعرب ؛ والعمامُ تيجانُ
العرب .

وأوصافه ، وألقابه ، وسمائه فى الكتب كثيرة ؛ وفيما ذكرناه منها مَقْنَعٌ
إن شاء الله .

[وكانت كُنْيَتُهُ المشهورةُ أبا القاسم .

وروى ^(٧) عن أنس أنه لما وُلِدَ له إبراهيمُ جاءه جبريلُ فقال له : السلام عليك
يا أبا إبراهيمَ] ^(٨) .

(١) سُمِّيَ بِهِ فِي كِتَابِ شَعْبِيَا . وَقِيلَ مَعْنَاهُ مَجْدٌ . وَهَذَا الضَّبْطُ فِي ب . وَفِي أ بِالْقَافِ .

(٢) قِيلَ مَعْنَاهُ : مُحَمَّدٌ . وَقِيلَ : رُوحُ الْقُدُسِ . وَهَذَا الضَّبْطُ فِي ب . وَفِي أ ضَبَطَتْ

الْيَمِّ بِالْفَتْحَةِ .

(٣) هَذَا الضَّبْطُ فِي ب . وَفِي أ : بِفَتْحِ الْهَمْزَةِ وَكَسْرِ الْحَاءِ الْمَهْمَلَةِ .

(٤) مَشْهُوقٌ : طَوِيلٌ دَقِيقٌ . (٥) عِنْدَ الْخُلَفَاءِ : يُمْسِكُونَهُ تَبْرَكَا بِهِ .

(٦) صَحِيحٌ مُسْلِمٌ : ١٧٩٩ ، وَأَذُودٌ : أَدْفَعُ ، وَأَطْرَدُ . لِأَهْلِ الْيَمَنِ ؛ أَيْ لِأَجْزَائِهِمْ حَتَّى

يَتَقَدَّمُوا . (٧) كَمَا رَوَى فِي مُسْنَدِ أَحْمَدَ ، وَابِيهَيْمَى .

(٨) فِي هَامِشِ أ ، ب : مِنْ أُمِّ بَحْطَه ، مِنْ غَيْرِ الرِّوَايَةِ .

فصل

في تشریف الله تعالى له بما سَمَّاه من أسمائه الحسنی ووصفه به
من صفاته المَلَّا

قال القاضي أبو الفضل^(١) وفقه الله تعالى: ما أحرى هذا الفصل^(٢) بنهولِ الباب
الأول؛ لانخراطه^(٣) في سِلَاكِ مضمونها، وامتزاجه بَعْدَ مَمِئِنِهَا^(٤)؛ لكن لم يشرح
الله الصِّدْرَ للهداية^(٥) إلى اسْتِنْبَاطِهِ، ولا أنارَ الفِكرَ لاستخراجِ جَوْهره والتقاطه
إلا عند انخوضِ في الفصل الذي قبله؛ فرأينا أن نُضِيفَهُ إليه، ونَجْمَعُ به شَمْلَهُ^(٦).
فاعلم أن الله تعالى خصَّ كثيرا من الأنبياء بكرامةٍ خلَعها عليهم^(٧) من أسمائه؛
كنَسْمِيَةِ إِسْحَاقَ، وإِسْمَاعِيلَ بعلِيمَ، وحلِيمَ^(٨)؛ وإِبْرَاهِيمَ بِحَلِيمَ^(٩)، ونوحَ بِشَكُورَ^(١٠)،
وعيسى ويحيى بِبَيْرَ^(١١) وموسى بكرِيمَ، وقوى^(١٢)؛ ويوسف بحفيظِ عَلِيمَ^(١٣)؛

(١) هو المصنف .

(٢) وهو المقود لثناء الله عليه، وإظهار عظيم قدرته . أحرى : أحق وأولى .

(٣) لا نخراطه : أى لدخوله ، وانضمامه .

(٤) امتزاجه : اختلاطه . والمعين : الجارى . يريد بحلو ماؤها .

(٥) أى لم يفتح الله عليه به أولا بإخراجه في محله .

(٦) نجمع به شمله : أى نضمه إليه .

(٧) بكرامة : بأمر أكرمه وشرفه بها . والأصل في الخلة أنها ثوب يلقيه الملك على من
يكرمه أو يوليه ولاية ، وشاع في عرف الكتاب تسمية الخلة تشريفا . يريد ألقاها عليهم .

(٨) في قوله تعالى : « وبشروه بفلام عليم » - يعنى إسحاق . وقوله تعالى : « فبشرناه

بفلام حلیم » - يعنى إسماعيل . (٩) في قوله تعالى : « إن إبراهيم لأواه حلیم » .

(١٠) في قوله تعالى : « ذرية من حملنا مع نوح ، إنه كان عبدا شكورا » .

(١١) في قوله تعالى : « وبرا بوالديه » . « وبرا بوالدتي » .

(١٢) في قوله تعالى : « وقد جاءهم رسول كريم » . وقوله : « إن خير من استأجرت القوي

الأمين » . (١٣) في قوله تعالى : « اجعلنى على خزائن الأرض إني حفيظ عليم » .

وأيوب بصائر^(١)؛ وإسماعيل بصادق الوعد^(٢)؛ كما نطق بذلك [٨١] الكتاب العزيز من مواضع ذكرهم^(٣).

وفضل نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم: بأن حلاؤه منها في كتابه العزيز، وعلى السنة أنبيائه بعدة كثيرة اجتمع لنا منها جملة بعد إعمال الفكر، وإحضار الذكركر، إذ لم نجد من جمع منها فوق اسمين، ولا من تفرغ فيها لتأليف فصاين. وحررنا منها في هذا الفصل نحو ثلاثين اسماً؛ ولعل الله تعالى - كما ألهم^(٤) إلى ما علم منها وحققه - يتم النعمة بإبانه^(٥) ما لم يُظهِرهُ لنا الآن، ويفتح غلقه^(٦). فن أسماؤه تعالى: الحميد؛ ومعناه الحمود؛ لأنه حمد نفسه، وحمده عباده، ويكون أيضاً بمعنى الحامد لنفسه ولأعمال الطاعات:

وسمى الله تعالى النبي صلى الله عليه وسلم محمداً، وأحمد؛ فحمد بمعنى محمود، وكذا وقع اسمه في زبور داود.

وأحمد بمعنى أكبر من حمد؛ وأجل من حمد^(٨)؛ وأشار إلى نحو هذا حسان بقوله^(٩):

(١) في قوله تعالى: «إنا وجدناه صابراً نعم العبد».

(٢) في قوله تعالى: «واذكر في الكتاب إسماعيل إنه كان صادق الوعد». وذلك

لشهرته بوفاء ما وعده من صبره على الذبح.

(٣) من مواضع ذكرهم: أي مستفاداً من مواضع ذكرهم. وفي ب: في مواضع...

(٤) بعد أن اجتهد في جمعها، وبذل فيها جهده وطاقته.

(٥) ألهم: يريد أرشد وهدى.

(٦) إبانه: إظهاره. (٧) غلقه: ما يئلق ويقفل به.

(٨) في ابتشديد اليم للكسورة. وفي ب بكسر اليم غير المشددة.

(٩) هو حسان بن ثابت، والبيت من قصيدة له يمدح بها النبي صلى الله عليه وسلم. في

وَشَقَّ لَهُ مِنْ إِسْمِهِ لِجِلَّةِ فذو العرشِ محمودٌ وهذا محمدٌ^(١)
 ومن أسمائه تعالى : الرؤوف الرحيم ؛ وهما بمعنى متقارب .
 وقد سَمَّاهُ في كتابه بذلك ؛ فقال^(٢) : ﴿ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ .
 ومن أسمائه تعالى الحقُّ المبين . ومعنى الحقُّ : الموجود ، والمتحققُ أمرُهُ^(٣) ،
 وكذلك المبين ؛ أي البين^(٤) أمره وإلهيته .
 بان ، وأبان بمعنى واحد . ويكون بمعنى المبين لعباده أمرَ دينهم ومعادهم^(٥) .
 وسَمَّى النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِذَلِكَ في كتابه ؛ فقال^(٦) : ﴿ حَتَّى جَاءَهُمُ الْحَقُّ
 وَرَسُولٌ مُبِينٌ ﴾ . وقال تعالى^(٧) : ﴿ وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ ﴾ . وقال تعالى^(٨) :
 ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ . وقال^(٩) : ﴿ فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ ﴾ ؛ قيل :
 محمدٌ . وقيل القرآن . ومعناه هنا ضدُّ الباطل ، والمتحققُ صدقُهُ وأمرُهُ - وهو بمعنى
 الأوَّل .

والمُبِينُ : البينُ أمرُهُ ورسالتُهُ ، أو المُبِينُ عن الله ما بعثه به ؛ كما قال تعالى^(١٠) :
 ﴿ لَتُبَيِّنَنَّ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ .

(١) في شرح ديوان حسان : هذا البيت ليس من قول حسان ، وإنما هو لأبي طالب ،
 ضمنه حسان شعره . وفي نسيم الرياض (٢٠ - ٤٤٧) : والبيت المذكور رواه البخاري في
 تاريخه ، وعزاه لأبي طالب ؛ وهو منقول عن علي بن زيد ؛ فحسان رضى الله تعالى عنه توارد
 معه ، أو ضمنه ، واستعان به .

(٢) سورة التوبة ، آية ١٢٨

(٣) أى التصف بالوجود الأزلى الأبدى . والمتحقق بمعنى المتيقن وجوده لثبوته بالبراهين
 القاطمة . (٤) البين : الظاهر . (٥) معادهم : فى الآخرة .

(٦) سورة الزخرف ، آية ٢٩ (٧) سورة الحجر ، آية ٨٩

(٨) سورة يونس ، آية ١٠٨ (٩) سورة الأنعام ، آية ٥

(١٠) سورة النحل ، آية ٤٤

ومن أسمائه تعالى : النور ؛ ومعناه ذو النور ، أى خالقه ، أو مُنَوِّرِ السمواتِ والأرضِ بالأَنْوارِ^(١) ، ومُنَوِّرِ قلوبِ الْمُؤْمِنِينَ بِالهُدَايَةِ .

وسَمَاهُ نُورًا ؛ فَقَالَ^(٢) : ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴾ ؛ قِيلَ مُحَمَّدٌ . وَقِيلَ الْقُرْآنُ .

وَقَالَ فِيهِ^(٣) : « وَسِرَاجًا مُنِيرًا » ؛ سُمِّيَ بِذَلِكَ لِوُضُوحِ أَمْرِهِ ، وَبَيَانِ نُبُوَّتِهِ ، وَتَنْوِيرِ قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْعَارِفِينَ بِمَا جَاءَ بِهِ .

وَمِنْ أَسْمَائِهِ تَعَالَى : الشَّهِيدُ ؛ وَمَعْنَاهُ الْعَالِمُ^(٤) . وَقِيلَ : الشَّاهِدُ عَلَى عِبَادِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ .

وَسَمَاهُ شَهِيدًا وَشَاهِدًا ؛ فَقَالَ^(٥) : ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا ﴾ . وَقَالَ تَعَالَى^(٦) : ﴿ وَيَكُونُ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ ؛ وَهُوَ بِمَعْنَى الْأَوَّلِ^(٧) .

وَمِنْ أَسْمَائِهِ تَعَالَى : الْكَرِيمُ ؛ وَمَعْنَاهُ الْكَثِيرُ الْخَيْرِ . وَقِيلَ : الْمُفْضِلُ^(٨) . وَقِيلَ : الْعَفْوُ^(٩) وَقِيلَ : الْعَلِيُّ .

وَفِي الْحَدِيثِ الْمَرْوِيِّ^(١٠) فِي أَسْمَائِهِ تَعَالَى : الْأَكْرَمُ^(١١) .

(١) بِالْأَنْوَارِ الْفَائِضَةِ عَلَيْهَا بِوِاسْطَةِ الْكَوْكَبِ .

(٢) سُورَةُ الْمَائِدَةِ ، آيَةٌ ١٥ (٣) سُورَةُ الْأَحْزَابِ ، آيَةٌ ٤٦

(٤) لِأَنَّ مِنْ شَاهِدٍ شَيْئًا عَلِمَهُ عَلَمًا تَامًا .

(٥) سُورَةُ الْأَحْزَابِ ، آيَةٌ ٤٥ ، وَسُورَةُ الْفَتْحِ ، آيَةٌ ٨

(٦) سُورَةُ الْبَقَرَةِ ، آيَةٌ ١٤٣ (٧) بِمَعْنَى الْأَوَّلِ : أَيْ الشَّاهِدِ .

(٨) الْمَفْضِلُ : الَّذِي يَعْطَى عَفْوًا بِغَيْرِ وَسِيلَةٍ وَسُؤَالٍ .

(٩) الْعَفْوُ : الَّذِي يَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَمْحُوهَا .

(١٠) الَّذِي رَوَاهُ ابْنُ مَاجَةَ فِي سَنَنِهِ (١٣٧٠) فِيهِ : الْكَرِيمُ . وَقَدْ جَاءَ فِي الْقُرْآنِ

الْكَرِيمُ : « اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ » .

(١١) الْأَكْرَمُ : الزَّائِدُ عَلَى غَيْرِهِ فِي صِفَةِ الْكَرَمِ .

وسماه تعالى كريما بقوله ^(١) : ﴿إِنَّهٗ لَقَوْلُ رَسُوْلٍ كَرِيْمٍ﴾ ؛ قيل : محمد .
وقيل : جبريل .

وقال صلى الله عليه وسلم : أَنَا أكرمُ ولدِ آدَمَ .
ومعاني الاسمِ صحيحةٌ ^(٢) في حقِّه صلى الله عليه وسلم .
ومن أسمائه تعالى : العظيمُ ؛ ومعناه الجليلُ الشَّانُ ، الذي كلُّ شئٍ دونَه ^(٣) .
وقال في النبي صلى الله عليه وسلم ^(٤) : ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيْمٍ﴾ .
ووقع في أوَّلِ سِفْرِ ^(٥) من التَّوْرَةِ - عن إسماعيل : وستلِدُ عَظِيْمًا لِأُمَّةٍ [٨٢]
عَظِيْمَةٍ ؛ فهو عَظِيْمٌ وَعَلَى خُلُقٍ عَظِيْمٍ .
ومن أسمائه تعالى : الجَبَّارُ ، ومعناه المُصْلِحُ ، وقيل القاهر . وقيل العَلِيُّ العَظِيْمُ
الشَّانِ . وقيل المتكبر .

وسُمِّي النبيُّ - صلى الله عليه وسلم في كتاب داود ^(٦) جَبَّارًا ؛ فقال ^(٧) :
تَقَلَّدَ ^(٨) أَيُّهَا الْجَبَّارُ سَيْفَكَ ؛ فَإِنَّ نَامُوسَكَ ^(٩) وَشِرَائِكَ مَقْرُونَةٌ بِهَيْبَةِ يَمِيْنِكَ ^(١٠) .

(١) سورة الحاقة ، آية ٤٠ ، والتكوير ، آية ١٩

(٢) صحيحة لاتصافه بفاية الكرم .

(٣) دونه : قاصر عن بلوغ رتبته إذ لا كمال يدنو من كاله في ذاته وصفاته .

(٤) سورة القلم ، آية ٤

(٥) سفر : كتاب . عن إسماعيل : أى سفر يصدر عن إسماعيل عليه السلام ، أو المراد :

في حق إسماعيل . (٦) كتاب داود : أى الصحف الإلهية المنزلة عليه .

(٧) فقال : أى الله تعالى مخاطبا له صلى الله عليه وسلم لتنزله منزلة الوجود لتحققه في علمه .

(٨) تقلد السيف : إذا جعل حائله على عاتقه وحمله كالقلادة . وفيه إشارة إلى أنه سيؤمر

بالتقال .

(٩) ناموسك : الوحي المنزل عليك ؛ أو عظمتك في قلوب الناس . وأصل معنى التاموس

صاحب السر للمطلع على باطن أمرك .

(١٠) بهيبة يمينك : أى بالخوف من سيفك .

ومعناه^(١) في حق النبي - صلى الله عليه وسلم : إماماً لإصلاح الأمة بالهداية والتعليم ،
أو لِقَهْرِهِ أَعْدَاءَهُ ، أو لَعَلَّوْهُ مَنَزَلَتَهُ عَلَى الْبَشَرِ ، وَعَظِيمَ خَطَرِهِ^(٢) .
ونفى عنه تعالى - في القرآن - جَبَرِيَّةَ التَّكْبِيرِ الَّتِي لَا تَلِيْقُ بِهِ ؛ فَقَالَ^(٣) :
﴿ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ ﴾ .

وَمِنْ أَسْمَائِهِ - تعالى : الْخَبِيرُ ؛ وَمَعْنَاهُ الْمُطَّلِعُ بِكُنْهِ الشَّيْءِ^(٤) ، الْعَالِمُ بِحَقِيقَتِهِ .
وقيل معناه الْمُخْبِرُ^(٥) .

وقال الله تعالى^(٦) : ﴿ الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَيْرًا ﴾ .

قال القاضي بَكْرُ بْنُ الْعَلَاءِ : الْمَأْمُورُ بِالسُّؤَالِ غَيْرُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .
والمستول الخبير هو النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وقال غيره : بل السائل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . والمستول هو الله تعالى ؛
فالنبي خبيرٌ بِالْوَجْهِينِ الْمَذْكُورَيْنِ^(٧) ؛ قيل : لأنه عالمٌ عَلَى غَايَةِ مِثْلِ الْعِلْمِ بِمَا أَعْلَمَهُ
اللَّهُ مِنْ مَكْتُونِ عِلْمِهِ ، وَعَظِيمِ مَعْرِفَتِهِ ، مُخْبِرٌ لِأُمَّتِهِ بِمَا أَدْرَأَ لَهُ فِي إِعْلَامِهِمْ بِهِ .

ومن أَسْمَائِهِ تعالى : الْفَتَّاحُ ؛ وَمَعْنَاهُ الْحَاكِمُ بَيْنَ عِبَادِهِ ، أَوْ فَاتِحُ أَبْوَابِ^(٨)

(١) ومعناه : معنى الجبار . (٢) خطره : شرفه وقدره .

(٣) سورة ق ، آية ٤٥

(٤) المطلع بكنه الشيء : الواقف على حقائق الأشياء .

(٥) المخبر أنبياءه ورسله بكلامه للنزل عليهم . أو المخبر عباده يوم القيامة بأعمالهم ؛ فإنه

لا يمزب عن علمه شيء .

(٦) سورة الفرقان ، آية ٥٩

(٧) أما على الوجه الأول فظاهر لإطلاقه عليه ، ولأنه لو لم يكن خبيراً لم يأمر بسؤاله .

وأما على الثاني فلأن إذنه له في السؤال دال على إعلامه به .

(٨) بتيسير أرزاقهم لهم وتهيئة أسبابها وفتح أفعال موانعها . والرحمة : الإنعام ؛ أي

المنعم عليهم ، الرزاق لهم .

الرِّزْقِ وَالرَّحْمَةِ ، وَالْمُنْتَغَلِقَ مِنْ أُمُورِهِمْ عَلَيْهِمْ ^(١) ؛ أَوْ يَفْتَحُ قُلُوبَهُمْ وَبَصَائِرَهُمْ لِمَعْرِفَةِ الْحَقِّ ؛ وَيَكُونُ أَيْضًا بِمَعْنَى النَّاصِرِ ؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى ^(٢) : ﴿ إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ ﴾ ؛ أَيْ إِنْ تَسْتَنْصِرُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ النَّصْرُ ؛ وَقِيلَ : مَعْنَاهُ مُبْتَدَى الْفَتْحِ وَالنَّصْرِ .

وَسَمَّى اللَّهُ تَعَالَى نَبِيَّهٗ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْفَاتِحِ فِي حَدِيثِ الْإِسْرَاءِ الطَّوِيلِ - مِنْ رِوَايَةِ الرَّبِيعِ بْنِ أَنَسٍ ، عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ وَغَيْرِهِ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ؛ وَفِيهِ ^(٣) : مِنْ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى : وَجَعَلْتُكَ فَاتِحًا وَخَاتِمًا ^(٤) .

وَفِيهِ ^(٥) - مِنْ قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي ثَنَائِهِ عَلَى رَبِّهِ ، وَتَعْدِيدِ مَرَاتِبِهِ ^(٥) : وَرَفَعَ لِي ^(٦) ذِكْرِي ، وَجَعَلَنِي فَاتِحًا وَخَاتِمًا ؛ فَيَكُونُ الْفَاتِحُ هُنَا بِمَعْنَى الْحَاكِمِ ، أَوْ ^(٧) الْفَاتِحِ لِأَبْوَابِ الرَّحْمَةِ عَلَى أُمَّتِهِ ، أَوْ ^(٧) الْفَاتِحِ لِبَصَائِرِهِمْ لِمَعْرِفَةِ الْحَقِّ وَالْإِيمَانِ بِاللَّهِ ؛ أَوْ النَّاصِرِ لِلْحَقِّ ، أَوْ الْمُبْتَدَى بِهَدَايَةِ الْأُمَّةِ ، أَوْ الْمُبْدَأُ الْمَقْدَمُ فِي الْأَنْبِيَاءِ وَالْخَاتِمَ لَهُمْ ؛ كَمَا قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : كُنْتُ أَوَّلَ الْأَنْبِيَاءِ فِي الْخَلْقِ ، وَآخِرَهُمْ فِي الْبَعْثِ .

وَمِنْ أَسْمَائِهِ تَعَالَى ^(٨) فِي الْحَدِيثِ ^(٩) : الشُّكُورُ ؛ وَمَعْنَاهُ ^(١٠) الْمُنْتَبِهُ عَلَى الْعَمَلِ

(١) فَاتِحُ الْمُنْتَغَلِقِ ، أَيْ مَيَسِّرُ كُلَّ صَعْبٍ وَمُسَهِّلُهُ .

(٢) وَفِيهِ : أَيْ فِي حَدِيثِ الْإِسْرَاءِ - وَقَدْ تَقَدَّمَ هَذَا الْحَدِيثُ صَفْحَةَ ٢٤٠

(٤) أَيْ أَوَّلَ الْأَنْبِيَاءِ وَخَاتِمَهُمْ .

(٥) وَتَعْدِيدِ مَرَاتِبِهِ : أَيْ مَقَامَاتِهِ بَيْنَ يَدَيْ رَبِّهِ .

(٦) رَفَعَ لِي ذِكْرِي : يَجْعَلُهُ قَرِينًا لِقَدْرِهِ - كَمَا تَقَدَّمَ . (٧) فِي ١ : وَالْفَاتِحُ .

(٨) فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ الَّذِي رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَغَيْرُهُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ فِي تَعْدَادِ الْأَسْمَاءِ

الْحَسَنِي (سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ : ٥ - ٥٣٠ ، وَصَحِيحِ مُسْلِمٍ : ٥٠٦٢) .

(٩) وَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ إِنْ رَبَّنَا لَفَقُورٌ شُكُورٌ ﴾ .

(١٠) وَمَعْنَاهُ : أَيْ فِي حَقِّ اللَّهِ تَعَالَى .

القَلِيل . وقيل المُتَنَبِّئِ عَلَى الْمُطِيعِينَ^(١) ؛ ووصف بذلك نبيّه نوحا عليه السلام فقال^(٢) :
﴿إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ .

وقد وصف النبيُّ صلى الله عليه وسلم نفسه بذلك ؛ فقال^(٣) : أَفَلَا أكونُ عَبْدًا
شَكُورًا ؛ أَى مُعْتَرِفًا بِنِعْمِ رَبِّي ، عارفا بقدرِ ذلك ، مُشْنِئًا عليه ، مُجْهِدًا^(٤) نَفْسِي
فِي الزيادة من ذلك ؛ لقوله تعالى^(٥) : ﴿لئن شكرتم لأزيدنكم﴾ .

ومن أسمائه تعالى : العَلِيم ، وَالْعَلَّام . وَعَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ^(٦) .
ووصف نبيّه صلى الله عليه وسلم بِالْعَلِمِ ؛ وَخَصَّهُ بِمِزْيَةٍ^(٧) مِنْهُ ؛ فقال تعالى^(٨) :
﴿وَعَدَّتْ مَالم تَكُنْ تَعْلَمُ ، وَكان فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ . وقال^(٩) : ﴿وَيُعَلِّمُكُم
الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّالِم تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ .

ومن أسمائه تعالى : الْأَوَّل ، وَالْآخِرُ ؛ ومعناها السابقُ [٨٣] للأشياء قبل
وجودها ، والباقي بعد فَنائها .

وتحقيقه أنه ليس له أوَّل ولا آخِر^(١٠) .

وقال صلى الله عليه وسلم : كُنْتُ أَوَّلَ الْأَنْبِيَاءِ فِي الْخَلْقِ^(١١) ؛ وَآخِرَهُمْ فِي الْبَعْثِ ؛

(١) قال في نسيم الرياض (٢ - ٤٥٦) : وهذا أنسب بمعنى الشكر الحقيقي وأقرب .
(٢) سورة الإسراء ، آية ٣ (٣) والحديث في صحيح البخارى : ٦ - ١٦٩
(٤) مجهدا نفسى : باذلا جهدى وطاقتى ومتعبا نفسى . (٥) سورة إبراهيم ، آية ٧
(٦) عالم الغيب والشهادة : أحاط علمه بكل شئ مما غاب وخفى ، وما حضر وظهر ،
ودق وجل .

(٧) مزية : فضيلة . (٨) سورة النساء ، آية ١١٣ (٩) سورة البقرة ، آية ١٥١
(١٠) ولا ابتداء ولا انتهاء ؛ فلا سابق عليه ، ولا باقى عنده .
(١١) يعنى فى عالم الدر والأرواح ؛ خلقت روحه ، ونبى قبلهم . والحديث فى ابن كثير :
٦ - ٣٨٣ ، وأخرجه السيوطى فى الدر الثور عن الحسن بن سفيان ، وابن أبى حاتم ،
وابن مردويه ، وأبى نعيم فى الدلائل ، والدبلى .

وقُفِّرَ بهذا قوله تعالى (١): ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ (٢) وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ﴾؛
فقدّم محمداً صلى الله عليه وسلم (٣).

وقد أشار إلى تحوير منه عمر بن الخطاب (٤) رضى الله عنه .

ومنه قوله : نحن الآخرون السابقون .

وقوله (٥) : أنا أول من تنشق عنه الأرض ، وأول من يدخل الجنة ، وأول

شافع ، وأول مُشَفَّع ؛ وهو خاتم النبيين ، وآخِر الرُّسُلِ صلى الله عليه وسلم .

ومن أسمائه تعالى : القوي . وذو القوة المتين (٦) ؛ ومعناه : القادر .

وقد وصفه الله تعالى بذلك ؛ فقال (٧) : ﴿ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾؛

قيل محمد . وقيل جبريل .

ومن أسمائه تعالى : الصادق ، في الحديث المأثور (٨) .

وورد في الحديث أيضاً اسمه صلى الله عليه وسلم بالصادق المصدوق (٨) .

(١) سورة الأحزاب ، آية ٧

(٢) الميثاق : هو أن يؤمنوا بالله ويوحده .

(٣) قال في نسيم الرياض (٢ - ٤٥٨) : قدم محمداً في الذكر لتقدمه في الخلق ، بل

والبعث ؛ وهذا التفسير رواه قتادة عن الحسن ، عن أبي هريرة رضى الله عنه ؛ قال : سئل

رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله عز وجل : ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ . . .﴾

فقال : كنت أولهم في الخلق ، وآخرهم في البعث .

(٤) في قوله - كما تقدم - لما بكى على النبي صلى الله عليه وسلم إذ توفي : بأبي أنت وأمي

يارسول الله ! لقد بلغ من فضيلتك عند الله أن بعثك آخر الأنبياء وذكرك أولهم ، فقال : وإذ

أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح . . .

(٥) سنن الترمذى : ٥ - ٣٠٨ ، ٥٨٧

(٦) سورة القاربات ، آية ٥٨ (٧) سورة التكوير ، آية ٢٠

(٨) المصدوق : الصدق بما جاء به . في الحديث المأثور المروي بسند صحيح - كما رواه

ابن ماجه ١٢٧٠ ، وقد تقدم .

ومن أسمائه تعالى : الْوَلِيُّ ، وَالْمَوْلَى ؛ ومعناها النَّاصِرُ ؛ وقد قال الله تعالى (١) :
﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ﴾ .

وقال صلى الله عليه وسلم (٢) : أَنَا وَلِيُّ كُلِّ مُؤْمِنٍ .

وقال الله تعالى (٣) : ﴿ النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ﴾ (٤) .

وقال صلى الله عليه وسلم (٥) : مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ (٦) .

ومن أسمائه تعالى : الْعَفْوُ (٧) ؛ ومعناه الصَّفُوحُ .

وقد وصف الله تعالى بهذا نَبِيِّهِ فِي الْقُرْآنِ ، وَالتَّوْرَةِ ، وَأَمْرَهُ بِالْعَفْوِ ؛ فقال

تعالى (٨) : ﴿ خُذِ الْعَفْوَ ﴾ .

وقال (٩) : ﴿ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ ﴾ .

وقال له جبريلُ - وقد سأله عن قوله (٨) : ﴿ خُذِ الْعَفْوَ ﴾ ؛ قال (١٠) : أَنُ تَعْفُو

عَمَّنْ ظَلَمَكَ .

(١) سورة المائدة ، آية ٥٥

(٢) رواه البخارى عن أبي هريرة ، ورواه أحمد ، وأبو داود : أَنَا أَوْلَىٰ بِكُلِّ مُؤْمِنٍ .

وفي البخارى أيضا : أَنَا أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ، فَمَنْ مَاتَ وَعَلَيْهِ دِينٌ وَلَمْ يَتْرِكْ وَفَاءً فَعَلَىٰ

قِضَاؤِهِ . والحديث في صحيح البخارى : ٦ - ١٤٥

(٣) سورة الأحزاب ، آية ٦

(٤) أى أحق بهم من أنفسهم ؛ فإنه يتولى صلاحهم ، وينصرهم ، ويقضى ديونهم ، ويخلصهم

مما يكرهون في الدنيا والآخرة .

(٥) في حديث رواه الترمذى وحسنه (سنن الترمذى : ٥ - ٦٣٣) .

(٦) للرداء ولاء الإسلام ونصرته .

(٧) العفو : مبالغة في العفو عن السيئات ، وهو محوها وإزالتها .

(٨) سورة الأعراف ، آية ١٩٩ (٩) سورة المائدة ، آية ١٣

(١٠) هذا التفسير على غير رأى الأكثرين من المفسرين ؛ فهم يرون أن معنى العفو : المال

الفاضل عن نفقة الميال .

وقال - في التوراة والإنجيل في الحديث المشهور^(١) ، في صِفَتِهِ : ليس بفظٍ ولا غليظ ، ولكن بَعْفُو وَيَصْفَح .

ومن أسمائه تعالى : الهادي ؛ وهو بمعنى توفيقِ الله لمن أراد من عباده ، وبمعنى الدلالة والدعاء^(٢) . قال الله تعالى^(٣) : ﴿ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾^(٤) . وأصل الجميع^(٥) مِنَ الْمَيْلِ^(٦) . وقيل : من التقديم . وقيل في تفسير ﴿ طه ﴾ إنه يا طاهر ، يا هادي^(٧) ؛ يعني النبي صلى الله عليه وسلم . وقال الله تعالى له^(٨) : ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ .

وقال فيه^(٩) : ﴿ وداعياً إلى الله بإذنه ﴾ .

فالله تعالى مختص بالمعنى الأول^(١٠) ؛ قال تعالى^(١١) : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ، وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ﴾ .
وبمعنى الدلالة ينطلق على غيره تعالى .

ومن أسمائه تعالى : المؤمن المهتمين ؛ قيل : هما بمعنى واحد ؛ فمعنى المؤمن

(١) هذا الحديث تقدم عن عبد الله بن عمرو بن العاص .

(٢) الدعاء : الدعوة . (٣) سورة يونس ، آية ٢٥

(٤) أى يرشدهم إلى طريق مستقيم يوصلهم إلى الجنة بما خلقه فيهم من العقل وأرسل من

الرسل ، ووقفهم لاتباعهم .

(٥) الجميع من معاني الهداية .

(٦) فمضى هداه إلى كذا : صرفه إليه ، وأماله عن غيره .

(٧) على طريق الرمز والاكتفاء بحرفين من الاسمين بدلان على الباقي . فهو طاهر من

كل دنس ، وهو هداية لحلقه .

(٨) سورة الشورى ، آية ٥٢

(٩) سورة الأحزاب ، آية ٤٦

(١٠) وهو التوفيق بخلق الاهتداء ؛ فإنه لا يقدر عليه سواه .

(١١) سورة القصص ، آية ٥٦

في حقّه تعالى : المُصَدِّقُ وَعَدَهُ عِبَادَهُ ^(١) ، وَالْمُصَدِّقُ قَوْلَهُ الْحَقُّ ^(٢) ، وَالْمُصَدِّقُ لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ وَرُسُلِهِ ^(٣) . وَقِيلَ : الْمُوَحَّدُ نَفْسَهُ ^(٤) . وَقِيلَ : الْمُؤْمِنُ عِبَادَهُ فِي الدُّنْيَا مِنْ ظُلْمِهِ ^(٥) ، وَالْمُؤْمِنِينَ فِي الْآخِرَةِ مِنْ عَذَابِهِ .

وَقِيلَ : الْمُتَهَيِّمِينَ بِمَعْنَى الْأَمِينِ ، مُصَغَّرٌ مِنْهُ ، فَقُلِبَتْ الْهَمْزَةُ هَاءً .

وَقَدْ قِيلَ : إِنْ قَوْلُهُمْ فِي الدُّعَاءِ : آمِينَ - لِأَنَّهُ اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى ^(٦) ، وَمَعْنَاهُ مَعْنَى الْمُؤْمِنِ .

وَقِيلَ : الْمُتَهَيِّمِينَ بِمَعْنَى الشَّاهِدِ ^(٧) وَالْحَافِظِ .

وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمِينٌ ، وَمُهَيِّمٌ ، وَمُؤْمِنٌ ^(٨) ، وَقَدْ سَمَّاهُ اللَّهُ تَعَالَى أَمِينًا ؛ فَقَالَ ^(٩) : ﴿ مُطَاعٍ ثُمَّ أَمِينٌ ﴾ .

وَكَانَ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يُعْرَفُ بِالْأَمِينِ ، وَشُهِرَ بِهِ قَبْلَ النُّبُوَّةِ وَبَعْدَهَا ؛ وَسَمَّاهُ الْعَبَّاسُ ^(١٠) ، فِي شِعْرِهِ مُهَيِّمِنَا فِي قَوْلِهِ [٨٤] :

(١) أَي مَا وَعَدَ بِهِ عِبَادَهُ فِي الدُّنْيَا مِنَ الثَّوَابِ ، وَنَعِيمِ الْآخِرَةِ ، وَالنَّصْرَ الْعَزِيزَ فِي الدُّنْيَا إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ . . .

(٢) أَي الَّذِي صَدَّقَ مَا قَالَهُ مِنَ الْحَقِّ .

(٣) أَي بِصَدَقِ مَا قَالُوهُ ، أَوْ جَاعَلَهُمْ صَادِقِينَ فِي قَوْلِهِمْ مُلتزمين للصدق في أقوالهم وعهودهم .

(٤) لِلْمُوَحَّدِ نَفْسَهُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى : « شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ » . وَقَوْلُهُ : « إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا » - فَصَدَّقَ مَا نَطَقَتْ بِهِ السَّكَائِنَاتُ وَحِكْمَتُهُ الْبَرَاهِينُ مِنْ تَوْحِيدِهِ فِي أَوْهَيْتِهِ ؛ وَهَذَا كُلُّهُ عَلَى أَنَّهُ مِنَ الْإِيمَانِ بِمَعْنَى التَّصَدِيقِ .

(٥) مِنْ ظُلْمِهِ : لِنَتْنِزِهِ عَنْهُ : « وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ » .

(٦) قَالَ الْحَسَنُ . مَعْنَاهُ اسْتَجَبَ ، أَوْ لَا تَخْيِبُ .

(٧) الشَّاهِدُ : الْحَاكِمُ ، وَالَّذِي يَشْهَدُ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ .

(٨) أَي يُسَمَّى بِهَذِهِ الْأَسْمَاءِ الثَّلَاثَةِ . (٩) سُورَةُ التَّكْوِينِ ، آيَةٌ ٢١

(١٠) هُوَ فِي الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمَطْلُبِ عَمِ النَّبِيِّ ، وَالْبَيْتُ فِي اللِّسَانِ - نَطَقَ . وَقَدْ تَقَدَّمَ صَفْحَةُ ٢١٩

ثم (١) احتوى بَيْتُكَ الْمُهِيمِينَ مِنْ خِنْدِفٍ عَلَيْهِ تَحْتَهَا النُّطُقُ
 قيل : المراد : يأبىا الْمُهِيمِينَ ، قاله القُتَيْبِيُّ (٢) ، والإمام أبو القاسم القُشَيْرِيُّ .
 وقال تعالى (٣) : ﴿ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ ؛ أى يصدِّق .
 وقال صلى الله عليه وسلم : أنا أمانةٌ لأصحابي (٤) ؛ فهذا بمعنى المؤمن .
 ومن أسمائه تعالى : القدُّوس (٥) ، ومعناه المنزَّه عن النقائص المظهر من سماتِ
 الحدِّث ؛ وسُمِّيَ بيت المقدس ، لأنه يُتَطَهَّرُ فيه من الذنوب (٦) ؛ ومنه : الوادى
 المقدَّس ، ورُوح القدس (٧) .

(١) فى اللسان : حق احتوى . . . قال : والنطق : جمع نطاق ، وهى أعراس من جبال
 بعضها فوق بعض ؛ أى نواح وأوساط ، شبت بالنطق التى يشد بها أوساط الناس ، ضربه مثلا
 فى ارتفاعه وتوسطه فى عشيرته وجمالهم تحته بمنزلة أو ساط الجبال . وأراد ببيته شرفه . والمهيمن
 نعمته ؛ أى حق احتوى شرفك الشاهد على فضلك أعلى مكان من نسب خندف .

(٢) هذا فى ١ ، ب (٣) سورة التوبة ، آية ٦١

(٤) هذا طرف من حديث : النجوم أمانة فى السماء ، فإذا ذهب أتى السماء ما توعده ،
 وأنا أمانة لأصحابي ، فإذا ذهب أتى أصحابي ما يوعدون . وأصحابي أمانة لأمتي فإذا ذهب أصحابي
 أتى أمتي ما يوعدون . يعنى أن النجوم إذا رفعت قرب وقت فنائها وانشاقاقها ؛ ولذا أكثر سقوطها عند
 بعثته ؛ إشارة إلى قرب الساعة ، فهو صلى الله عليه وسلم أمان لأصحابه من وقوع بأسهم بينهم
 ووقوع الفتن ؛ فإذا توفاه الله ابتداء وقوع ذلك ؛ كقصة عثمان ، وعلى ، والحسين . وأصحابه
 صلى الله عليه وسلم أمان للناس من ظهور الفساد فى البر والبحر ؛ فإذا ذهبوا بدأ ظهور ذلك .
 والحديث فى صحيح مسلم : ١٩٦١ ، والشرح من شرح الشهاب (٢-٤٦٦) . وأمنة : أمان .
 (٥) القدوس : من القدس ؛ وهو الطهارة والنزاهة .

(٦) يتطهر فيه من الذنوب : بزيارته والعبادة فيه . روى النسائي بإسناد صحيح عن النبي
 صلى الله عليه وسلم : إن سليمان بن داود عليهما السلام لما بنى بيت المقدس سأل الله تعالى خللا ثلاثا :
 حكما يصادف حكمه . وماسكا لا يبنفى لأحد من بعده . وألا يأتى بيت المقدس أحد لا ينهره إلا
 الصلاة فيه يخرججه من خطيئته كيوم ولدته أمه ، فأعطى جميع ذلك (شرح الشهاب : ٢-٤٦٦) ،
 قال : ولهذا تشد إليه المطى ، كما تشد إلى مكة .

(٧) الوادى المقدس : هو طوى كلم الله فيه موسى . وروح القدس : جبريل .

ووقع في كتب الأنبياء في أسمائه صلى الله عليه وسلم : المقدّس ؛ أي المطهّر من الذنوب ، كما قال تعالى ^(١) : ﴿ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ .
 أو الذي يُتَطَهَّرُ به من الذنوب ، ويُتَنَزَّهُ بِاتِّبَاعِهَا عنها ، كما قال ^(٢) : « وَيُرَكَّبُ بِهِمْ » .
 وقال تعالى ^(٣) : ﴿ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾ .
 أو يكون مقدّساً بمعنى مطهّراً ^(٤) ، من الأخلاق الذميمة والأوصاف الدنيئة .
 ومن أسمائه تعالى : العزيز ، ومعناه : المُتَمَنِّع ^(٥) الغالب ، أو الذي لا نَظِيرَ لَهُ ،
 أو المُعِزُّ لغيره ؛ وقال تعالى ^(٦) : ﴿ وَلِلَّهِ العِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ ﴾ ؛ أي الامتناعُ وَجَلَالَةُ القَدْرِ .

وقد وصف الله تعالى نفسه بالبشارة والنذارة ، فقال ^(٧) : ﴿ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ ﴾ .

وقال ^(٨) : ﴿ أَنْ اللَّهُ يُبَشِّرُكَ بِيحْيَى ﴾ ؛ و ^(٩) ﴿ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ ﴾ .
 وسماه الله تعالى مُبَشِّرًا ، ونَذِيرًا ؛ أَي مُبَشِّرًا لِأهل طاعته ، ونَذِيرًا لِأهل مَعْصِيَتِهِ .

وَمِنْ أَسْمَائِهِ تَعَالَى فِيمَا ذَكَرَهُ بَعْضُ الْمُفَسِّرِينَ : طه ، ويس . وقد ذكر بعضهم أيضًا أَنَّهُمَا مِنْ أَسْمَاءِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَشَرَفَ وَكَرَّمَ .

(١) سورة الفتح ، آية ١

(٢) سورة البقرة ، آية ١٢٩ . ومعنى يركبهم : يطهرهم من الشرك وخيائث الجاهلية ، ويملهم ما يكفهم عن الآثام .

(٣) سورة المائدة ، آية ١٦ ، ويخرجهم من الظلمات إلى النور : من الكفر والمعاصي إلى الإيمان وتقوى الله وطاعته بإرشادهم وتوفيق الله لهم بركته .

(٤) في ١ : مطهر . (٥) الممتنع : الذي لا ينال ولا يدرك .

(٦) سورة « المنافقون » ، آية ٨ (٧) سورة التوبة ، آية ٢١

(٨) سورة آل عمران ، آية ٣٩ (٩) سورة آل عمران ، آية ٤٥

فصل

قال القاضى أبو الفضل^(١) : وقفه الله ، وهأنأ^(٢) أذكرُ نكته^(٣) أذْبَلُ بها هذا الفضلَ ، وأختمُ بها هذا القسم ، وأزيجُ الإشكَالَ بها فيما تقدم عن كلِّ ضعيف الوهم^(٤) ، سَقِمَ الفهمُ ، تخلصُه من مهاوى التشبيه^(٥) ، وتزحزحه عن شبه التمويه^(٦) ؛ وهو أن يعتقد أن الله تعالى جلَّ اسمه في عظمته وكبريائه ومملكوته، وحسنَى أسمائه، وعلَى صفاته، لا يشبهُ شيئاً من مخلوقاته، ولا يشبهُ به^(٧) ؛ وأنَّ ماجاء مما أطلقه الشرعُ على الخالقِ وعلى المخلوقِ ؛ فلا تشابهَ بينهما فى المعنى الحقيقى ؛ إذ صفات القديمِ بخلافِ صفات المخلوقِ ؛ فكما أن ذاته لا تشبه الذوات كذلك صفاته لا تشبه صفات المخلوقين ؛ إذ صفاتهم لا تنفك^(٨) عن الأعراضِ والأغراضِ ؛ وهو تعالى - منزَّهٌ عن ذلك ؛

(١) هو المؤلف : القاضى عياض . (٢) هذا فى ١ ، ب .

(٣) النكته : الأمر الدقيق المحتاج إلى فكر وتأمل ، سميت بها لأن صاحبها كثيراً ما يبحث فى الأرض بقضيب ونحوه .

(٤) للراد بالوهم هنا : الذهن ، والإدراك (الشهاب : ٢ - ٤٦٩) .

(٥) مهاوى : جمع مهواة ؛ وهى كالمهاوية : الحفرة العميقة التى من يقع فيها بصمب طلوعه .
والتشبيه : المراد به تشبيه الله وصفاته بغيرها ؛ لأن إطلاق بعض الأسماء على الله وعلى غيره قد يوهم ذلك .

(٦) والتمويه : المراد بالتمويه : زخرفة الكلام الذى لا حقيقة له وتحسينه حتى يروج على من لا علم عنده .

(٧) لا يشبه به : لا يمثل به شىء لسكأل ذاته وجلال صفاته .

(٨) لاتنفك : لاتفارق الأعراض ، والله تعالى - منزَّه عن الأعراض المحسوسة والكيفيات النفسانية ، لأنها تابعة للمزاج ، المستلزم للتركيب ، المستلزم للحدوث ، النافى لوجوب الوجود الذاتى . وأفعاله تعالى لاتعمل بالأغراض ، وإن كان لها ثمرات وحكم كثيرة جلية ، وهى تسمى غرضاً ، أيضاً ، ولكنه ليس عمل خلاف .

بل لم يَزَلْ^(١) بِصِفَاتِهِ وَأَسْمَائِهِ ، وَكَفَى فِي هَذَا قَوْلُهُ^(٢) : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ .
وَلِلَّهِ دَرَجَةٌ مَن قَالِ مِنَ الْعُلَمَاءِ الْعَارِفِينَ^(٣) الْحَقِّقِينَ : التَّوْحِيدُ إِثْبَاتُ ذَاتٍ غَيْرِ
مُشَبَّهَةٍ^(٤) لِلذَّوَاتِ وَلَا مَعْطَلَةٍ عَنِ الصِّفَاتِ^(٥) .

وَزَادَ هَذِهِ النَّسَكَةَ^(٦) الْوَاسِطَى - رَحِمَهُ اللَّهُ - بَيَانًا ؛ وَهِيَ^(٧) مَقْصُودُنَا ؛ فَقَالَ :
لَيْسَ كَذَاتِهِ ذَاتٌ ، وَلَا كَأَسْمِهِ اسْمٌ ، وَلَا كَفِعْلِهِ فِعْلٌ ، وَلَا كَصِفَتِهِ صِفَةٌ ، إِلَّا مِنْ
جِهَةِ مُوَافَقَةِ اللَّفْظِ اللَّفْظَ ؛ وَجَلَّتِ الذَّاتُ الْقَدِيمَةُ أَنْ تَكُونَ لَهَا صِفَةٌ حَدِيثَةٌ ،
كَأَسْتَحَالِ أَنْ تَكُونَ لِلذَّاتِ الْمُحَدَّثَةِ صِفَةٌ قَدِيمَةٌ .

وَهَذَا كُلُّهُ مَذْهَبُ أَهْلِ الْحَقِّ وَالسَّنَةِ وَالْجَمَاعَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ .
وَقَدْ فَسَّرَ الْإِمَامُ أَبُو الْقَاسِمِ الْقُشَيْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ - قَوْلَهُ^(٨) [٨٥] هَذَا ، لِزَيْدِهِ
بَيَانًا ؛ فَقَالَ : هَذِهِ الْحِكَايَةُ^(٩) تُشْتَمِلُ عَلَى جَوَامِعِ مَسَائِلِ التَّوْحِيدِ^(١٠) ، وَكَيْفِ
تُشْبِهُ ذَاتُ ذَاتٍ^(١١) الْمُحَدَّثَاتِ ؛ وَهِيَ بِوُجُودِهَا^(١٢) مُسْتَفْنِيَةٌ ؛ وَكَيْفِ يُشْبِهُ فِعْلُهُ فِعْلَ

(١) لم يزل موجودا أبدا بصفاته وأسمائه الدالة على ذاته وصفاته ؛ فهي قديمة .

(٢) سورة الشورى ، آية ١١ .

(٣) يقال : لله دره : للثناء عليه والتمجيب من محاسنه .

قال في نسيم الرياض (٢ - ٤٧٢) : أراد بالعارفين مشايخ الصوفية .

(٤) هذا الضبط في ١ ، وفي ب ضبطت بضم الميم وسكون الشين ، وبضم الميم وفتح الشين

ولتشديد الباء ، وكتب عليها « معا » .

(٥) المراد غير منفي عنها الصفات . (٦) النسكته : يريد معنى التوحيد الذي قاله المشايخ .

(٧) وهي : أى الزيادة . (٨) قوله : أى الواسطى المتقدم .

(٩) هذه الحكاية : أى المحكى النقول عن الواسطى .

(١٠) وهو اعتقاد أن الله تعالى واحد في ذاته وصفاته لا مثله ولا ضد ، ولا ند ولا شريك

له في ألوهيته واستحقاقه للعبادة .

(١١) في ب : ذوات . (١٢) مستفنية : مستقلة غير محتاجة لغيرها .

أَخْلَقَ ، وهو لغير جَلْبٍ (١) أَنَسٍ ، أو دَفَعَ نَقْصَ حَصَلٍ ، ولا لخواطرَ وأغراضٍ (٢) ووجد ، ولا بمباشرةٍ ومُعَالَجَةٍ ظَهَرَ ؛ وَفِعْلُ أَخْلَقَ لا يَخْرُجُ عن هذه الوجوه (٣) .
وقال آخر - مِنْ مَشَائِخِنَا (٤) : ما تَوَهَّمْتُمُوهُ بأوهامكم ، أو أَدْرَكْتُمُوهُ بقولكم فهو مُخَدَّثٌ مِثْلَكُمْ .

وقال الإمامُ أبو المعالي الجويني : مَنْ اطْمَأَنَّ إلى موجودٍ انتهى إليه فِكرُهُ ؛ فهو مُشَبَّهٌ (٥) ، وَمَنْ اطْمَأَنَّ إلى النِّقْيِ الحَضِّ فهو مَمْطَلٌّ (٦) وإن قطع بموجودٍ اعترف بالهَجْزِ عن دَرَكَ حَقِيقَتِهِ فهو مُوَحِّدٌ (٨) .
وما أَحْسَنَ قَوْلَ ذِي النُّونِ المِصْرِيِّ (٩) : حَقِيقَةُ التَّوْحِيدِ أن تَعْلَمَ أن قُدْرَةَ اللَّهِ تَعَالَى

(١) جلب : تحصيل ؛ والأنس : دفع الوحشة .

(٢) أى ليس شيء من أفعاله لدفع نقص حصل له ، أو لحاطر ، أو غرض ، وجد في نفسه .

(٣) هذه الوجوه هي : جلب النفع ، ودفع الضرر ، والأغراض ، والمباشرة ، والمعالجة .

(٤) أى يخاطب مردييه .

(٥) اطمان إلى موجود : تيقن أمرا موجودا على وجه معين ارتسم في ذهنه أنه الله . فهو

مشبه : معتقد لتشبيهه الله تعالى بغيره مما في خزانة فكره ؛ وهو خطأ ، لأنه ليس كمثل شيء ، وفكره إنما هو مدركاته المشاهدة ؛ فيأتيه التشبيه منها .

(٦) الحض : الخالص ؛ بأن نفي ذات الباري حقيقة أو حكما . معطل : ناف للصانع .

(٧) قطع : جزم . بوجود : بإله واجب الوجود .

(٨) فهو موحد : لأنه عرف الله ووحده ، واعترف بأنه لا يقدر على معرفته بكنهه وهو

التوحيد الصرف .

(٩) هو الزاهد الواعظ ؛ كان أبوه نوبيا ، وصار عالما فصيحا حكيما ، توفي سنة ٥٢٤٥ هـ .

في الأشياء بلا علاج^(١)، وصنعه لها بلا مزاج^(٢)؛ وعلة كل شيء صنعه^(٣)،
ولا علة لصنعه، وما تصور في وهمك فالله بخلافه^(٤).
وهذا كلام عجيب نفيس محقق، والفصل الآخر^(٥)، تفسير لقوله^(٦):
« ليس كمثل شيء » .

والثاني^(٧)، تفسير لقوله^(٨): « لا يسأل عما يفعل وهم يسألون ». والثالث^(٩)،
تفسير لقوله^(١٠): « إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون » .
ثبتنا الله وإياك على التوحيد والإثبات^(١١)، والتنزيه، وجنبنا طرقي الضلالة
والغواية من التعطيل والتشبيه بمنه ورحمته .

(١) في الأشياء : أى في إيجادها وإبداعها . بلا علاج : بلا معالجة ومكابدة واستعمال آلة .
(٢) بلا مزاج : المراد أن إيجادها لها لا يحتاج إلى مادة ومعاونة ؛ بل قدرته تعالى العلية
أوجدته ابتداء من العدم بعد أن لم تكن ، بمجرد قوله : « كن فيكون » .
(٣) صنعه : أى بمجرد قدرته . وفى ا : ضبطت التاء فى « علة » بالفتحة
والضمة ، وكتب عليها « معا » .
(٤) فإن ذاته لا تشبه الدوات ، وأفعاله لا تشبه أفعال غيره ؛ فهو منزه عن أن تتصوره
الأوهام .

(٥) من كلام « ذو النون » وهو قوله : وما تصوره وهمك .

(٦) سورة الشورى ، آية ١٠١ .

(٧) والثانى : أى الفصل الثانى ؛ وهو قوله : وعلة كل شيء صنعه .

(٨) سورة الأنبياء ، آية ٢٣ .

(٩) والثالث هو قوله : حقيقة التوحيد . . .

(١٠) سورة النحل ، آية ٤٠ .

(١١) والإثبات : أى إثبات ما يليق بذاته .

الباب الرابع

فيا أظهره الله تعالى على يديه من المعجزات^(١)
وشرفه به من الخصائص والكرامات

قال القاضى أبو الفضل : حَسْبُ التَّأَمُّلِ أَنْ يُحَقِّقَ أَنْ كِتَابَنَا هَذَا لَمْ نَجْمَعْهُ
لِئْسِكِرِ نَبْوَةِ نَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَلَا لَطَاعِنٍ فِي مَعْجَزَاتِهِ ؛ فَنَحْتَاجُ إِلَى
نَصْبِ^(٢) الْبَرَاهِينِ عَلَيْهَا ، وَتَحْصِينِ حَوَازِمِهَا^(٣) ، حَتَّى لَا يَتَوَصَّلَ الْطَاعِنُ إِلَيْهَا^(٤) ،
وَنَذْكُرُ شُرُوطَ الْمَعْجِزِ^(٥) وَالتَّحَدَى^(٦) وَحَدَّهُ ، وَفَسَادَ قَوْلٍ مَنْ أَبْطَلَ نَسْخَ الشَّرَائِعِ ،
وَرَدَّهُ ؛ بَلِ الْفَنَاءُ لِأَهْلِ مِلَّتِهِ^(٧) ، الْمُلْدَبِينَ لِدَعْوَتِهِ ، الْمَصْدِّقِينَ لِنَبْوَتِهِ ؛ لِيَكُونَ
تَأْكِيدًا فِي مَحَبَّتِهِمْ لَهُ ، وَمَنْمَاءً لِأَعْمَالِهِمْ^(٨) ؛ وَلِيَزِدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ .
وَنَبِّتُنَا أَنْ نَثَبَتْ فِي هَذَا الْبَابِ أُمَمَاتٍ^(٩) مَعْجَزَاتِهِ ، وَمَشَاهِيرَ آيَاتِهِ ؛ لِنَدُلَّ^(١٠) ،

(١) المعجزات : هى الامور الخارقة للعادة التى يظهرها الله تعالى على يد أنبيائه لإلزام من
كذبهم إذا عجزوا عن الإتيان بالمثل .

(٢) نصب البراهين : أى إقامة البراهين وإيضاحها وإثبات الأدلة القاطمة للزمتة لمن أنكرها
أو طعن فيها .

(٣) الحوزة : الناحية والجانب . وتحصينها : جعلها حصينة محفوظة كأن عليها حصنًا يحميها .
(٤) لاطاعن : جمع مطعن ، وهو الطعن ، والرد بالأباطيل الفاسدة التى تصدر عن أهل الإلحاد .
والضمير فى « إليها » للحوزة ، أو للمعجزة (شرح الحفاجى : ٢ - ٤٧٦) . وفى ب ،
وشرح القارى : الطاعن . (٥) فى ب : المعجزة . (٦) حده : تعريفه .

(٧) أى إنما الفناء لأهل ملة محمد من المؤمنين به .
(٨) مناة : زيادة ؛ أى يزيدهم رغبة فى أعمالهم الصالحة ، أو من نمت الحديث إذا بلغت ،
ويكون المعنى : يبلغ أعمالهم إلى الله تعالى .

(٩) أممات معجزاته : كبارها وعظامها .

(١٠) فى ب : لندل - بالنون .

على عظيم قدره عند ربه . وأتينا منها بالحقق والصحيح الإسناد ؛ وأكثره مما بلغ القطع^(١) ، أو كاد ؛ وأضفنا إليها بعض ما وقع في مشاهير كتب الأئمة^(٢) .

وإذا تأمل المتأمل المنصف ما قدمناه من جميل أثره ، وحميد سيره ، وبراعة^(٣) علمه ، ورجاحة عقله وحلمه ، وجملة كاله ، وجميع خصاله ، وشاهد حاله ، وصواب مقاله - لم يمتد^(٤) في صحة نبوته ، وصدق دعواته .

وقد كفى هذا غير واحد في إسلامه والإيمان به .

فروينا عن الترمذي^(٥) ، وابن قانع وغيرهما بأسانيدهم - أن عبد الله بن سلام ؛

قال : لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة جثته لأَنظَرَ إليه ؛ فلما استبنت^(٦) وجهه عرفت أَن وجهه ليس بوجه كذاب .

حدثنا به القاضي الشهيد أبو علي رَحِمَهُ اللهُ ؛ قال : حدثنا أبو الحسين الصيرفي ،

وأبو الفضل بن خيرون ، عن أبي يعلى البغدادي ، عن أبي علي [٨٦] السنجبي ،

عن ابن محبوب ، عن الترمذي ؛ حدثنا محمد بن بشار ، حدثنا عبد الوهاب الثقفي ،

ومحمد بن جعفر ، وابن أبي عدي ، ويحيى بن سعيد ، عن عوف بن أبي جميلة

الأعرابي ، عن زرارة بن^(٧) أوفى ، عن عبد الله بن سلام . . . الحديث .

(١) أي وصل إلى رتبة القطع ، بحيث لا يقبل التشكيك .

(٢) الأئمة : يريد أئمة الحديث الذين تلقى الأئمة كتبهم بالقبول ؛ كدلائل النبوة للبيهقي ،

والسنن ، وغيرها .

(٣) براعة علمه : علمه الفائق به على غيره .

(٤) لم يمتد : لم يشك ، ويقع له تردد .

(٥) الحديث في سنن الترمذي : ٤ - ٦٥٢ ، قال أبو عيسى : هذا حديث صحيح .

(٦) استبنت وجهه : رأيت ظاهر وجهه الدال على صدق سيرته وباطنه . وفي الترمذي

استبنت .

(٧) هذا في ١ ، ب ، وسنن الترمذي (٤ - ٦٥٢) . وفي هامش ب : ابن أبي أوفى .

وعن أبي رَمَثَةَ التَّمِيمِي: أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَعِيَ ابْنُ لِي، فَأَرَيْتُهُ ^(١)؛ فَلَمَّا رَأَيْتُهُ قُلْتُ: هَذَا نَبِيُّ اللَّهِ ^(٢).

وَرَوَى مُسْلِمٌ ^(٣) وَغَيْرُهُ أَنَّ ضِمَادًا لَمَّا وَقَدَّ عَلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ ^(٤) لَهُ؛ وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ. قَالَ لَهُ: أَعِدْ عَلَيَّ كَلِمَاتِكَ هَؤُلَاءِ، فَلَقَدْ بَلَغَنَ قَامُوسَ الْبَحْرِ ^(٥)، هَاتِي يَدَكَ أَبَايَعُكَ ^(٥).

وقال جامع بن شداد ^(٦): كان رجلٌ منا يُقالُ له طارق، فأخبر أنه رأى النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالمدينة، فقال: هل معكم شيءٌ تبيعونه؟ قلنا: هذا البعير.

(١) أرائيه بعض من يعرفه، وعرفني به غيري.

(٢) أي بمجرد تعلق نظره به اعترف بنبوته لما شاهده من عظمته ونور نبوته، فأوقع الله في قلبه علماً ضرورياً بصدقه صلى الله عليه وسلم.

(٣) الحديث في صحيح مسلم: ٥٩٣، فلا مضل له: أي لا يقدر أحد على إضلاله.

(٤) قاموس البحر: وسطه، أو لجهته، أو قمره. يريد اشتهرت مقالاتك هذه في جميع أقطار الأرض شرقاً وغرباً. يقال: قال فلان قولاً بلغ قاموس البحر؛ أي سمعه كل ذي روح حتى دواب البحر، وهو مبالغة في شيوخه. وفي هامش ١، ب: قاموس البحر: وسطه وممظمه. وفي صحيح مسلم (٥٩٣): ولقد بلغن ناعوس البحر. وفي هامشه: ناعوس البحر: ضبطناه بوجهين: أحدهما - ناعوس، وهذا هو الموجود في أكثر نسخ بلادنا. والثاني - قاموس. وهذا الثاني هو المشهور في روايات الحديث في غير مسلم.

وقال القاضي عياض: أكثر نسخ صحيح مسلم وقع فيها قاموس. قال أبو عبيد: قاموس البحر: وسطه. وقال ابن دريد: لجهته. وقال صاحب كتاب العين: قمره الأقصى.

(٥) وجه استشهاد المصنف به أنه بمجرد رؤيته وسماع كلامه صلى الله عليه وسلم آمن به من غير تردد، وليس في كلامه ما يدل على صدق مدعاه، ولكنه لما رأى نور وجهه الشريف وحسن بهجته آمن به.

(٦) في حديث رواه البيهقي.

قال : بكم ؟ قلنا : بكذا وكذا وسقا^(١) من تمر ؛ فأخذ بخطامه^(٢) ، وسار إلى المدينة ؛ فقلنا : بعنا من رجل لا ندرى من هو ؛ ومعنا ظمينة^(٣) ، قالت : أنا ضامنة لثمن البعير ؛ رأيت وجه رجل مثل القمر ليلة البدر لا يخيس^(٤) فيكم .

فأصبحنا ، فجاء رجل بتمر فقال : أنا رسول رسول الله إليكم ، يأمركم أن تأكلوا من هذا التمر ، وتكتالوا حتى تستوفوا^(٥) . ففعلنا .

وفي خبر الجندى ملك عُمَان^(٦) - لما بلغه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو إلى الإسلام - قال الجندى^(٧) : والله ؛ لقد دلّني على هذا النبي الأُمّي أنه لا يأمرُ بخَيْرٍ إلا كان أولَ آخِذٍ^(٨) به ، ولا ينهى عن شيءٍ^(٩) إلا كان أولَ تاركٍ له ، وأنه يغلبُ فلا يبَطِرُ^(١٠) ويغلبُ فلا يضجرُ^(١١) ، ويبي بالعمد ، وينجز^(١٢) الموعد ؛ وأشهدُ أنه نبي^(١٣) .

(١) وسقا من تمر : الوسق : ستون صاعا مما يكال .

(٢) الخطام : الزمام الذي يقاد به . (٣) الظمينة : الراد امرأة .

(٤) لا يخيس : لا يندر ، ويكذب ، فينكس وعده ، ويخلف عهده . فالمراد أن حسن

صورته يدل على حسن سيرته ؛ فمثله لا يبصر عنه ما ظننتموه .

(٥) وتكتالوا : أى تكيلوا منه ثمن البعير . وتستوفوا : تأخذوا الثمن من التمر القدي

جاء به وافيا كاملا غير ما أكتتموه ؛ فإنه هبة منه لكم . وفيه من السكارم وحسن المعاملة ما لا يخفى .

(٦) هذا الضبط في ب . وفي ا : بضم العين وتشديد الميم . وفي هامش ب : غسان .

(٧) في حديث رواه ابن إسحاق . (٨) أول آخذ به : أول عامل بما أمر به .

(٩) في ا : عن شر . (١٠) لا يبطر : لا يبطنى ولا يفتري ويظهر الفرج .

(١١) فلا يضجر : فلا يقلق ولا يجزع ؛ بل يصبر ويتحمل ما أصابه في سبيل الله احتسابا لأجره

ورضاه بما قدره الله تعالى . (١٢) ينجز للموعد : يعجل ما وعد به لكرمه .

(١٣) لما تحقق من أخلاقه وكال صفاته . وهذا شاهد لما عقد له الفصل من أن من تأمل

صفاته صلى الله عليه وسلم صدق بنبوته وإن لم يشاهد معجزة .

وقال نِفْطَوِيَه - في قوله تعالى (١) : ﴿ يَكَادُ زَيْبُهَا يُضِيءُ ، ولو لم تَمَسَّهُ نَارٌ ﴾ :
 هذا مثل ضربه الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ؛ يقول : يَكَادُ مَنْظَرُهُ يَدُلُّ
 على نبوته وإن لم يَتَلُ قُرْآنًا (٢) كما قال ابن رَوَاحَةَ (٣) :
 لو لَمْ تَكُنْ فِيهِ آيَاتٌ مُبَيِّنَةٌ لَكَانَ مَنْظَرُهُ (٤) يُنبِئُكَ بِالْخَبَرِ
 وقد آن أن نَأْخُذَ فِي ذِكْرِ النُّبُوَّةِ وَالوَحْيِ وَالرَّسَالَةِ ، وبعده في معجزة القرآن ،
 وما فيه من مُرْهَانٍ وَدَلَالَةٍ .

فصل

اعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ جَلَّ اسْمُهُ قَادِرٌ عَلَى خَلْقِ الْمَعْرِفَةِ فِي قُلُوبِ عِبَادِهِ ، وَالْعِلْمِ بِذَاتِهِ
 وَأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَجَمِيعِ تَكْلِيفَاتِهِ (٥) ابْتِدَاءً دُونَ وَاسِطَةً لَوْ شَاءَ ؛ كَمَا حُكِيَ عَنْ سُنَّتِهِ (٦)
 فِي بَعْضِ الْأَنْبِيَاءِ ، وَذَكَرَهُ بَعْضُ أَهْلِ التَّفْسِيرِ فِي قَوْلِهِ (٧) : ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يَكَلِّمَهُ
 اللَّهُ إِلَّا وَاَحْيَاءً ﴾ .

وَجَائِزٌ أَنْ يُوَصِّلَ إِلَيْهِمْ جَمِيعَ ذَلِكَ بِوَسِطَةِ تَبَلُّغِهِمْ كَلَامَهُ ، وَتَكُونُ تِلْكَ (٨)
 الْوَسِطَةُ ؛ إِمَّا مِنْ غَيْرِ الْبَشَرِ ، كَالْمَلَائِكَةِ مَعَ الْأَنْبِيَاءِ ؛ أَوْ مِنْ جِنْسِهِمْ ، كَالْأَنْبِيَاءِ
 مَعَ الْأُمَّمِ ، وَلَا مَا يَسَعُ لِهَذَا مِنْ دَلِيلِ الْعَقْلِ .

(١) سورة النورة ، آية ٣٥

(٢) وإن لم يتل قرآنا : المراد : وإن لم يظهر معجزة . وخص القرآن لأنه أعظم معجزاته .

(٣) البيت في الإصابة : ٤ - ٨٦

(٤) منظره : مرآه وظاهره . ينبئك : ويخبرك .

(٥) تكليفاته : التي ألزمهم بها من الأمور الشرعية والعبادات .

(٦) سنته : عاداته وطريقته . عن بعض الأنبياء : إذ عرفهم بعض الأمور السابقة بدون

واسطة ؛ فأوقع ذلك في قلوبهم وكشفه لهم ؛ أو ألهمهم ، أو أراهم ذلك في مناماتهم الصادقة .

(٧) سورة الشورى ، آية ٥١

(٨) في ١ ، ب : ذلك . ونراه تحريفا .

وإذا جاز هذا ولم يَسْتَحِلْ^(١)، وجاءت الرسلُ بما دَلَّ على صِدْقِهِمْ من مُعْجَزَاتِهِمْ - وجب تصديقُهُمْ في جميع ما أتوا به ؛ لأنَّ المعجزةَ مع التعدِّي^(٢) من النبيِّ صلى الله عليه وسلم قائمٌ مقامَ قولِ الله : صَدَقَ عَبْدِي فَأَطِيعُوهُ وَاتَّبِعُوهُ ، وشاهدٌ على صِدْقِهِ فيما يقوله ؛ وهذا كافٍ . والعطويلُ فيه خارج عن القرضِ [٨٧] ؛ فمن أرادَ تَبِعَهُ وجده مستوفى في مصنفاتِ أئمتنا رحمهم الله .
فالنبوَّةُ في لغةٍ من هز ماخوذة من النبا ، وهو الخبْر ، وقد لا تُهْمَزُ على هذا التأويلِ تَسْهِيلاً .

والمعنى أن الله تعالى أطلعه على غيبه ، وأعلمه أنه نبيُّه ؛ فيكون نبيُّه^(٣) مُتَّبَعاً فَعِيلٌ بمعنى مَفْعُولٍ ؛ أو يكون مُخْبِراً عما بمثله الله تعالى به ، ومُتَّبَعاً بما أطلعه الله عليه فَعِيلٌ بمعنى فاعلٍ ؛ ويكونُ عِنْدَ مَنْ لَمْ يَهْمَزْهُ مِنَ النَّبُوَّةِ ؛ وهو ما ارتفع من الأرض ؛ ومعناه أن له^(٤) رُتْبَةً شَرِيفَةً ، ومكانةً نَبِيَّةً^(٥) عند مولاه^(٦) مُنِيفَةً^(٧) ؛ فالوصفان في حَقِّهِ مُؤْتَلِفَانِ^(٨) .

وأما الرسولُ فهو الرُّسُلُ ، ولم يأتِ فَعُولٌ بمعنى مَفْعُولٍ في اللغة إلا نادراً . وإرساله أمرُ الله له بالإبلاغ^(٩) إلى مَنْ أرسله إليه ؛ واشتقاقه من التَّبَاعِ^(١٠) ؛

- (١) لم يستحل : أى لم يمد عملاً عقلاً .
(٢) أى إظهار النبيِّ معجزة له وطلبه ممن أنكر نبوته الإتيان بما يمانها .
(٣) هذا في ا ، ب . (٤) له : عند الله . (٥) نبيَّة : عالية مشهورة .
(٦) عند مولاه : ربه الذي تولى أمره . (٧) منيفة : عالية .
(٨) الوصفان : أى وصفه بمعنى الخبر ، أو بمعنى المرتفع . مؤتلفان : متوافقان بحسب المعنى ؛ لأن من بمثله الله وأطلعه على ما لم يطلع عليه غيره له منزلة عالية . ومن له مقام عال يطلع على ذلك .

- (٩) أى تبليغهم شريعته ودينه بنفسه أو بواسطة .
(١٠) التتابع : التوالى والتكرار لتبليغه .

ومنهُ قولهم : جاء الناسُ أرسالا^(١) ، إذا تبعَ بعضهم بعضا ؛ فكأنه أُرِمَ تكريرَ التبليغ ، أو أُرِمَت الأمةُ اتِّباعه .

واختلف العلماء : هل النبيُّ والرسولُ بمعنى ، أو بمعنىين ؟ فقيل : هما سواء ، وأصله من الإنباء وهو الإعلام ؛ واستدلُّوا بقوله تعالى^(٢) : ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسولٍ ولا نبيٍّ ﴾ ؛ فقد أثبتَ لهما معا الإرسال ، قال : ولا يكون النبيُّ إلا رسولا ، ولا الرسولُ إلا نبيا^(٣) .

وقيل : هما مُفترقان من وجه ؛ إذ قد اجتمعا في النبوة التي هي الأطلاقُ على الغيب^(٤) ، والإعلامُ بمخوَصِّ النبوة أو الرفعة لمعرفة^(٥) ذلك ، وحوز^(٦) درجتها ؛ واختلفا في زيادة الرسالة^(٧) للرسول ، وهو الأمرُ بالإنذار والإعلام كما قلنا . وحجَّتْهم من الآية نَفْسُها التفرُّيقُ بين الاسمين^(٨) ، ولو كانا شيئا واحدا لما حُسِنَ تكررُهما في الكلام البليغ ، قالوا : والمعنى : ما أرسلنا من رسولٍ إلى أمةٍ أو نبيٍّ ليس بمُرسلٍ إلى أحد .

وقد ذهب بعضهم إلى أن الرسولَ من جاء بشرعٍ مبتدأ^(٩) ، ومن لم يأت به^(١٠) نبيٌّ غيرُ رسولٍ ، وإن أمرَ بالإبلاغ والإنذار .

والصحيحُ ، والذي عليه الجماء الغفير^(١١) ، أن كلَّ رسولٍ نبيٌّ ، وليس كلُّ نبيٍّ رسولا .

-
- (١) أرسالا : فرقة بعد فرقة متتابعين ، يتبع بعضهم بعضا .
 (٢) سورة الحج ، آية ٥٢ (٣) أى طى هذا المعنى .
 (٤) أراد به ما لم يعلمه من أوامر الله تعالى ، وتشريعه له ما يختص به ، أو به وبغيره .
 (٥) فى ب : بمعرفة .
 (٦) حوز درجتها : حيازتها وتحصيلها .
 (٧) الرسالة : الأمر بالتبليغ .
 (٨) بين الاسمين : النبي ، والرسول .
 (٩) أى إن شرعه لم يسبق إليه .
 (١٠) به : بالشرع للبتدأ الذى لم يسبق إليه .
 (١١) الجماء الغفير : الجماعة للكثيرة .

وأول الرسلِ آدم ، وآخرُهم محمد صلى الله عليه وسلم .
وفي حديث أبي ذرٍّ^(١) رضى الله عنه : إنَّ الأنبياءَ مائةُ ألفٍ وأربعةَ وعشرون
ألفَ نبيٍّ .

وذكر أن الرسل^(٢) ، منهم ثلاثمائة وثلاثة عشر^(٣) ؛ أولهم آدم عليه السلام .
فقد بان لك معنى النبوة والرسالة ، وليستا عند المحققين ذاتاً للنبي ، ولا وصف^(٤)
ذاتٍ ، خلافاً للسكرامة^(٥) ، في تطويلِ لهم ، وتهويلِ^(٦) ، ليس عليه تعويل .
وأما الوحيُّ فأصله الإسراعُ ، فلما كان النبي يتلقى ما يأتيه من ربه بمجَلِّ سُمِّيَ
وَحْيًا^(٧) ، وسُمِّيَت أنواعُ الإلهاماتِ^(٨) وَحْيًا ، تشبيهاً بالوحيِّ إلى النبي ، وسُمِّيَ
الخطَّ وَحْيًا ، لسرعةِ حركةِ يَدِ كاتبه ؛ وَوَحْيُ الحَاجِبِ واللَّحْظِ سرعةُ إشارتهما^(٩)
ومنه قوله تعالى^(١٠) : ﴿ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾ ؛ أى أَوْماً وَرَمَزَ^(١١) .
وقيل : كتب ؛ ومنه قولهم : الوَحَا^(١٢) ، الوَحَا ؛ أى السرعة .

(١) رواه أحمد في مسنده (السند : ٥ - ٢٦٦) ، وابن حبان ، والحاكم في مستدرکه .
وقال الحاكم في مستدرکه : إنه طمن في بعض رواته . وقيل إنه منكر . وقال القرطبي : أنه
أصح حديث ورد في عدد الأنبياء والرسل عليهم السلام . (نسيم الرياض : ٢ - ٤٩١) .
(٢) منهم : من الأنبياء . وفي السند : ثلاثمائة وخمسة عشر جما غفيرا .
(٣) ولا وصف ذات : أى ليست صفة قائمة بذاته موجودة فيه - صلى الله عليه وسلم -
قبل الوحي إليه .

(٤) فهو لاء قالوا : إنها أمران غير الوحي ، وأمر الله بتبليغ شريعته ؛ فصاحبها متصف
بهما وإن لم يوح إليه . والسكرامية يفسبون إلى عهد بن كرام .
(٥) وتهويل : أى تخويف وتفزع لمن عدل عن مذهبهم في هذا .
(٦) كقوله تعالى : وأوحى ربك إلى النحل . والإلهام : إلقاء أمر في الروع باعث على
الفعل أو الترك .
(٧) أى حركتهما بسرعة للإشارة بهما .
(٨) سورة مريم ، آية ١١
(٩) رمز : أشار بالعين أو بأحد أعضائه .
(١٠) فى ا : الوحاء - ممدودا . وفى ب : الوحا - مقصور . وهو يمد ، ويقصر .

وقيل أصل الوَحْيِ السِّرُّ والإخفاء ، ومنه سُمِّيَ الإلهامُ وَحْيًا ، ومنه قوله ^(١) : ﴿ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ ﴾ ، أى يُوسِّسُونَ فى صدورهم ؛ ومنه قوله ^(٢) : ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ ﴾ ؛ أى أُنْقِيَ فى قلبها .
وقد قيل ذلك فى قوله تعالى ^(٣) : ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا ﴾ [٨٨] ؛ أى ما يُبْقِيهِ فى قلبه دونَ واسِطَةٍ ^(٤) .

فصل

اعلم أن معنى تَسْمِيَتِنَا ما جاءت به الأنبياء معجزة ، هو أن الخلقَ عجزوا عن الإتيانِ بِمِثْلِهَا ؛ وهى ^(٥) على ضَرْبَيْنِ ؛ ضرب هو مِنْ نوعِ قُدْرَةِ البَشَرِ ؛ فمعجزوا ^(٦) عنه ، فمعجزُهُم عنه فَعَلَّ اللَّهُ دَلَّ عَلَى صِدْقِ نَبِيِّهِ ؛ كَصَرْفِهِمْ عن تَمَنَّى الموتِ ^(٧) .

(١) سورة الأنعام ، آية ١٢١ . إلى أوليائهم : من يوالونهم ويصدقونهم من الشركين . والمراد بالشياطين مرده الجن . وبالأولياء : كفرة قريش .

(٢) سورة القصص ، آية ٧

(٣) سورة الشورى ، آية ٥١

(٤) قال فى نسيم الرياض (٢ - ٤٥٣) : والذى رجحوه فى هذه الآية أن المراد بالوحي فيها المشافهة بكلام الله تعالى لنبينا صلى الله عليه وسلم ليلة المراج ، وكلامه لموسى عليه السلام . وحديث أبى ذر للشار إليه بهامه فى نسيم الرياض (٢ - ٤٩٣) ، وشرح القارى (١ - ٥٣٠)
(٥) وهى : أى للمعجزة .

(٦) أى مقدورهم الذى يمكنهم الإتيان بما يمانه من نوعه . فمعجزوا عنه : أى فطلب منهم فمعجزوا عنه .

(٧) أى منع الله اليهود عن تمنى الموت لما قالوا : نحن أبناء الله وأحباؤه ؛ وقالوا : « لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى » ؛ فكذبهم الله تعالى ، وألزمهم بقوله : قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين . ثم أخبر عنهم بقوله : ولن يتمنوه أبدا بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين وقد قال صلى الله عليه وسلم : لو تمنى اليهود الموت لماتوا ، ورأوا مقاعدهم من النار .

وتمجيزهم عن الإتيان بمثل القرآن على رأى بعضهم^(١)، ونحوه .

وضربٌ هو خارجٌ عن قدرتهم ؛ فلم يقدرُوا على الإتيانِ بمثله ؛ كإحياء الموتى ،
وقلبِ العصا حية^(٢) ، وإخراجِ ناقةٍ من صخرةٍ^(٣) ، وكلامِ شجرةٍ ، ونبعِ الماءِ من
الأصابعِ ، وانشقاقِ القمرِ^(٤) ، مما لا يُمكنُ أن يفعله أحدٌ ، إلا الله ؛ فكَوْنُ ذلكِ على يَدِ
النبيِ صلى اللهُ عليه وسلمٍ مِنْ فِعْلِ اللهِ تعالى^(٥) وتحدّيه مَنْ يُكذِّبُه أَنْ يَأْتِيَ بمثله
تمجيزٌ له .

واعلمَ أنَ المعجزاتِ التي ظهرتْ على يَدِ نبيِّنا صلى اللهُ عليه وسلمٍ دلائلَ نبوتهِ
وبراهينَ صدقهِ - من هذينِ النوعينِ^(٦) معاً ؛ وهو أكثرُ الرسلِ معجزةً ، وأبهرهم آيةً^(٧) ،

= أى قل لهم يا محمد : إن كنتم أحباب الله تعالى والجنة مختصة بكم فاطلبوا الموت ؛ فإن من أحب
الله أحب لقاءه ، ومن كانت داره الجنة يبادر لدخولها ؛ فلم يتمنه أحد منهم ولو بلسانه .
لصرف الله لهم عن ذلك .

قال فى نسيم الرياض (٢ - ٤٩٥) : وهذا أعظم حجة على صدقه صلى الله عليه وسلم -
كما قاله المفسرون .

(١) هذا البعض هو القائل بأن إعجازه بالصرفة ؛ أى بصرف العرب الفصحاء عن معارضته
مع تحديه لهم وتقريرهم بذلك على ردوس الأشهاد حتى عدلوا عن مجادلة الحروف إلى مجادلة
السيوف .

(٢) كإحياء الموتى الذى وقع لإبراهيم وإميسى عليها السلام . وقلب العصا حية معجزة لموسى .
(٣) اقترح على صالح جندع بن عمرو سيد قومه أن يخرج لهم من صخرة ناقة عشراء ،
فصلى ودعا ربه ، وتمنخت تمنخص النتوج بولدها ، فانصدعت عن ناقة عشراء وهم ينظرون ؛
فآمن جندع فى جمع من قومه ، وتمادى غيرهم فى الكفر حتى عقروا الناقة ، فأخذتهم الرجفة ...
(٤) وهذه الثلاثة من معجزات نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، وستأتى مفصلة .

(٥) من فعل الله تعالى : أظهره على يده بقدرته .

(٦) أى ماهو من نوع قدرة البشر ، وما هو خارج عنها .

(٧) الآية : للمعجزة . وأبهر : من بهر ؛ أى ظهر وغلب . والمعنى أن معجزاته صلى الله
عليه وسلم أكثر وأظهر وأقوى .

وأظهرهم بُرْهانا ؛ كما سُنَّبِينُهُ ؛ وهي - في كثرتها - لا يحيطُ بها ضَبْطٌ^(١) ؛ فإنَّ واحداً منها - وهو القرآن ، لا يُحصى عددُ معجزاته بألفٍ ولا ألفين ، ولا أكثر^(٢) ؛ لأنَّ النبيَّ صلى اللهُ عليه وسلم قد تحدَّى بسورةٍ منه فَعُجِزَ عنها .
قال أهلُ العِلْمِ : وأَقْصَرُ السُّورِ : إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكُوثَرَ . . . فكلُّ آيةٍ أو آياتٍ منه بَمَدِّهَا^(٣) وَقَدَّرَهَا مُعْجِزَةٌ ؛ ثم فيها نَفْسِهَا مُعْجِزَاتٌ على ما سننصُّله فيما انطوى^(٤) عليه من المعجزات .

ثم معجزاته صلى اللهُ عليه وسلم على قسمين : قسمٌ منها عِلْمٌ قَطْعاً ، ونُقِلَ إلينا متواتراً كالقرآن ؛ فلا مِرْيَةَ^(٥) ، ولا خِلافَ ؛ بِمَجِيءِ النبيِّ به ، وظهوره من قِبَلِهِ^(٦) ؛ واستدلَّاه بِمُحِبَّتِهِ ؛ وإنَّ أنكر هذا مُعَانِدٌ جاحِدٌ^(٧) ، فهو كإنكاره وجودَ محمدٍ صلى اللهُ عليه وسلم في الدنيا^(٨) .

وإنما جاء اعتراضُ الجاحدين في الحجَّةِ به^(٩) ؛ فهو في نَفْسِهِ وجميع ما تضمَّنَه من مُعْجِزٍ معلوم ضرورةً .

ووَجْهُ إِمْحَازِهِ معلوم ضرورةً ونظراً ، كما سنشرِّحه .

-
- (١) لا يحيط بها ضبط : لا يحيط بها حصر ، أو عد ، أو حفظ .
 - (٢) لما في ألفاظه من البلاغة وفنونها ، كالتوكيد ، والتلميح ، والتشبيه ، والاستمارة ، والإيجاز ، وحسن الفوائج والخواتم ، والفواصل إلى غير ذلك مما لا يحصى .
 - (٣) بمدِّها : أى بمدد سورة الكوثر آيات وحرّوفاً وكلمات .
 - (٤) فيما انطوى : اشتمل القرآن .
 - (٥) فلا مِرْيَةَ : المِرْيَةُ : الشك ، والتردد ، والشبهة .
 - (٦) من قِبَلِهِ : من جهته وجانبه . (٧) جاحد : منكر له عناداً مع علمه به .
 - (٨) فهو إنكار للمحسوسات ؛ وذلك لا يصدر من عاقل .
 - (٩) في الحجَّةِ به : أى الاحتجاج به ، وأنه كلام الله ؛ كقول المشركين : هذا سحر مبین .
وأساطير الأولين .

قال بعض أئمتنا^(١) : ويجرى هذا المجرى^(٢) على الجملة أنه قد جرى على يديه صلى الله عليه وسلم آياتٌ وخوارقُ عاداتٍ إن لم يبلغْ واحدٌ منها معيّنًا القطعَ فيبلغه جميعها ؛ فلا مريّة في جريانِ معانيها على يديه ؛ ولا يختلفُ مؤمنٌ ولا كافرٌ - أنه جرتُ على يديه عجائبُ^(٣) ؛ وإنما خلافُ المَعَانِدِ في كونها من قبَلِ الله .

وقد قدّمنا كونها من قبَلِ الله ، وأن ذلك بمثابة قوله^(٤) : صدقت .

فقد علم وقوعُ مثلِ هذا أيضا من نبيّننا ضرورةَ لاتّفاقِ معانيها^(٥) ، كما يُعلم ضرورةَ جودِ حاتمٍ ، وشجاعةُ عنترةَ ، وحلمُ أحنفٍ ، لاتّفاقِ الأخبارِ الواردة عن كل واحدٍ^(٦) منهم على كرمِ هذا ، وشجاعةِ هذا ، وحلمِ هذا ، وإن كان كلُّ خبرٍ بنفسه^(٧) لا يُوجبُ العلمَ ، ولا يُقطعُ بصحّته^(٨) .

والقسمُ الثاني^(٩) ما لم يبلغْ مَبْلَغُ الضرورةِ والقطعِ ؛ وهو على نوعين : نوعٍ مُشْتَهَرٍ مُنْتَشِرٍ ، رواه العَدَدُ ، وشاعَ الخَبَرُ به عندَ المحدثينَ والرّواةِ ونَقَلَهُ السَّيَرُ والأخبارُ ؛ كَنَبِيْعِ الماءِ من بين الأصابعِ ، وتكثيرِ الطعامِ^(١٠) .

(١) بعض أئمتنا : أى علماء الحديث والتفسير ، وفي شرح القارى (١ - ٥٣٦) : بعض أئمتنا : أى أئمة المالكية .

(٢) يجرى هذا المجرى : يقارب ما تقدم ويشبهه ؛ أى مجرى القسم الأول من معجزاته لئى علم قطعا ونقل إلينا تواترا .

(٣) عجائب : أى أمور خارقة للمادة حيرت أبصارهم والباهم حتى يتمجب التمعجب منها .

(٤) قوله : قول الله . وقد تقدم صفحة ٣٤٦

(٥) لاتفاق معانيها : لتوفيقها كلها في معنى واحد .

(٦) حاتم الطائي المعروف بالكرم في الجاهلية . وعنترة العبيس المشهور بشجاعته في الجاهلية

أيضا . وأحنف بن قيس المشهور بالحلم - في الجاهلية والإسلام .

(٧) بنفسه : أى وحده ، وبانفراده .

(٨) ولا يقطع بصحّته لعدم تواتره بانفراده .

(٩) والقسم الثاني من للمعجزات . (١٠) الذى رواه أنس وغيره . وسيأتى بمد .

ونوعٌ منه اختصَّ به^(١) الواحدُ والاثنانُ ؛ ورَوَاهُ الْعَدَدُ الْيَسِيرُ ، ولم يَشْتَهَرِ
اشتهارَ غيره ، لكنه إذا جُمِعَ إلى مثله اتفقا^(٢) في المعنى ، واجتمعا على الإتيانِ
بالمُعْجِزِ ، كما قدَّمناه^(٣) .

قال القاضي أبو الفضل^(٤) [٨٩] : وأنا أقولُ صدعا بالحق : إن كثيراً من
هذه الآياتِ المأثورة عنه صلى الله عليه وسلم معلومةٌ بالقطع^(٥) :

أما انشقاقُ القمرِ فالقرآنُ نصٌّ بوقوعه ، وأخبر عن وجوده^(٦) ، ولا يُعدَّلُ
عن ظاهرٍ إلا بدليل ، وجاء برفع^(٧) احتمالهِ صحيحُ الأخبارِ من طرق كثيرة^(٨) ،
ولا يوهنُ عزمنا^(٩) خلافُ أخرق^(١٠) منحلُّ عرى الدين^(١١) ، ولا يلتفتُ إلى

(١) اختص به : أى بروايته .

(٢) اتفقا في المعنى : فى أصل الإيجاز وثبوته .

(٣) كما قدمناه : أى من جريانها على يديه ، وانضمام بعضها إلى بعض القوى له .

(٤) هو المصنف .

(٥) المأثورة : الروية . معلومة بالقطع : لتواترها .

(٦) فى قوله تعالى : « اقتربت الساعة وانشق القمر » : سورة القمر ، آية ١

(٧) برفع احتمالهِ : أى بدفع احتمال خلاف الظاهر .

(٨) فى نسيم الرياض (٢ - ٥٠١) : قال خاتمة الحفاظ ابن حجر : إن ماروى فى الصحيحين .

يفيد علما نظريا وإن لم يتواتر .

(٩) يوهن : يضعف . عزمنا : ما عزمنا عليه وقصدناه من إثبات هذه المعجزات وحمل

النصوص الواردة بها على ظاهرها من غير تأويل .

(١٠) خلاف أخرق : مخالفة أحقق : والمراد : جاهل لادراية له ، ولا معرفة بالأحداث .

(١١) المراد أنه غير متمسك بالدين .

سَخَافَةٌ مُبْتَدِعٌ يُبَلِّغِي الشُّكَّ عَلَى قُلُوبِ ضُعَفَاءِ الْمُؤْمِنِينَ ؛ بَلْ نُرْغِمُ بِهَذَا أَنفَهُ (١) ،
وَنَنْبِذُ بِالْعَرَاءِ سُخْفَهُ (٢) .

وكذلك قصة نَبْعِ الْمَاءِ ، وتكثير الطعام - رَوَاهَا الثَّقَاتُ وَالْعَدَدُ الْكَثِيرُ
عَنِ الْجَمَاءِ الْفَقِيرِ ، عَنِ الْعَدَدِ الْكَثِيرِ مِنَ الصَّحَابَةِ (٣) .

ومنها مَا رَوَاهُ السَّكَافَةُ عَنِ السَّكَافَةِ مُتَّصِلًا عَمَّا حَدَّثَ بِهَا مِنْ جُمْلَةِ الصَّحَابَةِ
وَإِخْبَارِهِمْ أَنَّ ذَلِكَ كَانَ فِي مَوْطِنِ اجْتِمَاعِ الْكَثِيرِ مِنْهُمْ فِي يَوْمِ الْخَنْدُقِ ، وَفِي غَزْوَةِ بُوَاطِ (٤) ،

(١) بل نرغم بهذا أنفه : أى نرد ما قاله ، ونظهر جهله وسخافة عقله ، حتى يفتضح
ويذلل ويخزى . (٢) ننبذ : نطرح ونلقى .

قال في نسيم الرياض (٢ - ٥٠٢) : وحاصله أن انشقاق القمر في الآية طى ظاهره ،
لوروده في الأحاديث الصحيحة من طرق متعددة ، فمن حملة طى أن المراد أنه سينشق إذا قامت
القيامة يوم تشقق السماء - لم يأت بشيء ؛ وإن ارتضاه جمع ؛ لأنه لو وقع شاع وذاع وملا
الاسماع لأنه آية عظيمة . وقيل معناه : ظهر الأمر ؛ لأن العرب تضرب المثل بالقمر لما وضع ؛
كما قال الشنفرى في لامية العرب :

فقد حمت الحاجات والليل مقمر
وشدت لطيات مطايا وأرحل
وقيل معناه انشقاق الظلم عنه بطلوعه ، كما يقال : انفلق الصبح وانشق ، كما قال النابغة :
فلسا أدبروا ولهم دوى دعانا عند شق الصبح داعى
والداعى لهم طى هذا عدم الوقوف طى ماورد في السنة والفهم لأقوال الحكماء الذاهبين
إلى امتناع الخرق والالتئام في الأجرام الفالسية ونحوه من الخرافات الفلسفية .

(٣) كالشيخين عن أنس ، والبخارى عن ابن مسعود . وستأتى هذه الأحاديث بعد .
(٤) بواط : اسم جبل من جبال جهينة بينه وبين المدينة أربعة برد بقرب رضوى ؛ وهو
جبل أيضا .

وأشار بالأول إلى قصة جابر رضى الله عنه لما دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم لعناق ذبحها
مع صاع من شميم خبز ، فأناه صلى الله عليه وسلم ومعه ناس كثير ، وكان دعاه وحده فأكلوا
وشبعوا ؛ وفضل ذلك الطعام وكانوا نحو ألف وأشار بالثاني إلى قصة بواط ؛ وهى أنه وضع
عنده صلى الله عليه وسلم ماء قليل للوضوء ، فقال لجابر : ادع الناس ، فلما أتوا وضع يده
الشريفة في الماء فنبع من بين أصابعه حتى توضوا كلهم . وسيأتى كل هذا بعد .

وَعُمْرَةَ الْحَدَيْبِيَّةِ ، وَغَزْوَةَ تَبُوكَ ^(١) ، وَأَمْثَالِهَا مِنْ مَحَافِلِ الْمُسْلِمِينَ ^(٢) وَجَمَعَ الْعَسَاكِرَ ، وَلَمْ يُؤَثِّرَ ^(٣) عَنْ أَحَدٍ مِنَ الصَّحَابَةِ مَخَالِفَةً لِلرَّوَايِ فِيهَا حِكَاةً ، وَلَا إِنْكَارًا لِمَا ذُكِرَ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ رَأَوْهُ كَمَا رَأَاهُ ^(٤) ، فَسَكَتَ السَّاكِتَ مِنْهُمْ كَنُطْقِ النَّاطِقِ ؛ إِذْ هُمُ الْمَنْزُهِونَ عَنِ السَّكُوتِ عَلَى بَاطِلٍ ، وَالْمَدَاهِنَةَ ^(٥) فِي كَذِبٍ ، وَلَيْسَ هُنَاكَ رَغْبَةٌ وَلَا رَهْبَةٌ تَمْنَعُهُمْ ^(٦) ، وَلَوْ كَانَ مَا سَمِعُوهُ مُذَكَّرًا عِنْدَهُمْ وَغَيْرَ مَعْرُوفٍ لَدَيْهِمْ

(١) الآية التي كانت في عمرة الحديبية أنه - صلى الله عليه وسلم - خرج من المدينة معتمرا، فلما وصل إليها صده الشركون عن البيت ، وكان بين يديه ركوة فتوضأ منها ، وماء البئر قليل جدا نزحه الناس ، وشكوا العطش إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنزع سهما من كنانته وأعطاه أناجية بن عميرة ، ففرزه في البئر ؛ ففأش ماؤها ، وجاءت جارية من الأنصار معها دلو ، فأقبلت به على ناجية ، وهو في القلب ، وقالت :

يَأَيُّهَا الْمَأْمُوحُ دَلْوِي دُونِكَ إِنْ رَأَيْتَ النَّاسَ يَمْحَدُونَكَ
يَتَنُونَ خَيْرًا وَيَمْحَدُونَكَ أَرْجُوكَ لِلْخَيْرِ كَمَا يَرْجُونَكَ

أما في تبوك . اسم موضع بين الشام والمدينة، سميت بيمين ماء : فقد أمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا يمسوا ماءها ، فسبق رجلان بسهمين جملاهما فيها ليكثر ماؤها فزجرهما رسول الله ، وقال لهما : ما زلتما تبوكانها ؛ أي تحفرانها ليخرج ماؤها .

وأشار المصنف إلى آية فيها رواها أبو هريرة ؛ وهي أن الناس أصابتهم مجاعة ، فقال عمر - رضي الله عنه : يا رسول الله ، ادع بفضل الأزواد ، فدعا بنطع وبسطه ، ودعا بفضل أزوادهم ، فجعل الرجل يجيء بكف من ذرة ، والآخر بكف من تمر ، والآخر بكف من شعير ؛ فجمع ذلك وبرك عليه ، ثم قال : خذوا ؛ فأخذوا في أوعيتهم حتى ما في المسكر وعاء إلا ملأوه ، وأكوا حتى شبعوا ، وفضلت فضلة .

(٢) المحافل : جمع محفل ، من حفل القوم ؛ إذا اجتمعوا وكثروا .

(٣) لم يؤثر : لم ينقل .

(٤) أي لم ينقل إنكار أنهم رأوا من النبي صلى الله عليه وسلم كما رآه منهم الآخر ، بل

سكتوا حين سمعوا من بعض الرواة أنه شاهد بعض آياته صلى الله عليه وسلم .

(٥) المداهنة : المطاوعة . (٦) تمنعهم : أي الصحابة .

لأنَّ تَكَرُّوهُ ، كما أنكر بعضهم على بعض أشياء رَوَاهَا من السَّنَنِ وَالسَّيْرِ وَحُرُوفِ الْقُرْآنِ (١) . وَخَطَأً بَعْضُهُمْ بَعْضًا ، وَوَهْمَهُ فِي ذَلِكَ ، مِمَّا هُوَ مَعْلُومٌ ؛ فَهَذَا النَّوْعُ (٢) كُلُّهُ يَلْحَقُ بِالْقَطْعِيِّ مِنْ مَعْجَزَاتِهِ لِمَا بَيَّنَّاهُ .

وَأَيْضًا فَإِنَّ أَمْثَالَ الْأَخْبَارِ الَّتِي لَا أَسْلَ لَهَا ، وَبُنِيَتْ عَلَى بَاطِلٍ ، لَا يَدُ بِعَدِّ مَرُورِ الْأَزْمَانِ وَتَدَاوُلِ النَّاسِ وَأَهْلِ (٣) الْبَحْثِ مِنْ انْكَشَافِ ضَعْفِهَا ، وَخَوَلِ ذِكْرِهَا (٤) ، كَمَا يَشَاهِدُ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَخْبَارِ السَّكَاذِبَةِ ، وَالْأَرَاجِيْفِ (٥) الطَّارِئَةِ . وَأَعْلَامُ (٦) نَبِيِّنَا هَذِهِ الْوَارِدَةُ مِنْ طَرِيقِ الْآحَادِ لَا تَزْدَادُ مَعَ مَرُورِ الزَّمَانِ إِلَّا ظَهُورًا (٧) ، وَمَعَ تَدَاوُلِ الْفِرَقِ (٨) ، وَكَثْرَةِ طَعْنِ الْعَدُوِّ ، وَحِرْصِهِ عَلَى تَوْهِينِهَا ، وَتَضْعِيفِ أَصْلِهَا ، وَاجْتِهَادِ الْمُلْحِدِ (٩) عَلَى إِطْفَاءِ نُورِهَا إِلَّا قُوَّةَ وَقَبُولًا ، وَلِلطَّاعِنِينَ عَلَيْهَا إِلَّا حَسْرَةً وَغَلِيلًا (١٠) .

وَكذَلِكَ إِخْبَارُهُ عَنِ الْغُيُوبِ ، وَإِنْبَاؤُهُ بِمَا يَكُونُ (١١) وَكَانَ (١٢) مَعْلُومًا مِنْ آيَاتِهِ عَلَى الْجُمْلَةِ بِالضَّرُورَةِ .

(١) وحروف القرآن : يريد قراءاته المتعددة .

(٢) هذا النوع كله من المعجزات المروية بطريق الآحاد ، ولم يشتهر اشتهاها يقرب من التواتر .

(٣) وأهل البحث : المراد علماء الحديث الذين يبحثون عن رواه الحديث صحة وضعفا .

(٤) وخول ذكرها : بأن تنسى ، ولا يشتهر لها ذكر ، لكونها لا أصل لها .

(٥) والأراجيف : الأكاذيب . (٦) أعلام نبينا : المراد معجزاته المعلومة المشهورة .

(٧) ولو كانت غير صحيحة ازدادت خفاء وضعفا .

(٨) تداول الفرق : تسكلم الناس بها فرقة بعد فرقة .

(٩) الملحد : الإلحاد : الليل عن الاستقامة ، والعدول عن الحق . وفي ا : وإجهاد .

(١٠) غليلا : حقدًا .

(١١) الغيوب : جمع غيب ، وهو ماخفي علمه عن الناس ، كالجدال وللهدى وغير ذلك ،

وإنباؤه بما يكون في المستقبل من أشرط الساعة ، ومما يقع بين أمته من الفتن وغيرها .

(١٢) وكان : أى حصل في الماضي .

وهذا حق لا غطاءً عليه^(١)؛ وقد قال به من أئمتنا القاضي^(٢)، والأستاذ أبو بكر^(٣) وغيرهما، رَحِمَهُمُ اللهُ؛ وما عندي أوجب قول القائل: إن هذه القصص المشهورة من باب خبر الواحد إلا قلة مطالعته^(٤) للأخبار وروايتها، وشغله بغير ذلك من المعارف؛ وإلا فن اعتنى بطرق النقل، وطالع الأحاديث والسير لم يرتب^(٥) في صحة هذه القصص المشهورة على الوجه الذي ذكرناه.

ولا يبعد أن يحصل العلم بالتواتر عند واحد ولا يحصل عند آخر؛ فإن أكثر الناس يملون - بالخبر - كون بغداد موجودة؛ وأنها مدينة عظيمة، ودار الإمامة والخلافة؛ وآحاد من الناس لا يملون اسمها؛ فضلا عن وصفها؛ وهكذا^(٦) يعلم الفقهاء من أصحاب مالك بالضرورة وتواتر النقل عنه - أن مذهبه إيجاب قراءة [٩٠] أم^(٧) القرآن في الصلاة للمنفرد والإمام، وإجزاء النية^(٨) في أول ليلة من رمضان عما سواه؛ وأن الشافعي يرى تجديد النية كل ليلة؛ والاقتنصار في المسح على بعض الرأس، وأن مذهبهما التقصص في القتل بالمحدد^(٩) وغيره، وإيجاب النية في الوضوء، واشتراط الولي في النكاح؛ وأن أبا حنيفة يخالفهما في هذه المسائل؛ وغيرهم ممن لم يشتغل بمذاهبهم ولا روى أقوالهم لا يعرف^(١٠) هذا من مذاهبهم فضلا عن^(١١) سواه.

وعند ذكرنا آحاد هذه المعجزات نزيد الكلام فيها بيانا إن شاء الله تعالى.

-
- (١) لا غطاءً عليه: ظاهر، منكشف، من غير ليس وشبهة، وخفاء.
 (٢) هو أبو بكر الباقلاني.
 (٣) أبو بكر: هو ابن فورك من الشافعية.
 (٤) وما عندي: في اعتقادي وحكمي. وأوجب: اقتضى واستلزم وألجأ؛ أي لم ياجته لذلك إلا قلة مطالعته للأخبار النبوية. ومطالعها: الاطلاع عليها.
 (٥) لم يرتب لم يشك.
 (٦) وهكذا: أي مثل أمر بغداد.
 (٧) أم القرآن: الفاتحة.
 (٨) إجزاء النية: نية صوم رمضان كله.
 (٩) بالمحدد: الذي له حد جرح كالسيف ونحوه.
 (١٠) في: لا يعلم.
 (١١) في: عما.

فصل

في إعجاز القرآن

[قال القاضي أبو الفضل رَحِمَهُ اللهُ] (١) :

اعلم - وَقَفْنَا اللهُ وَإِيَّاكَ - أن كتاب الله العزيز (٢) مُنْطَوٍ (٣) على وُجُوهِ من الإعجازِ كثيرة ، وتحصيلها من جهة ضَبْطِ أنواعِها في أربعة وجوه :
أولها - حُسْنُ تَأْلِيفِهِ ، وَالتَّشَامُ كَلِمَهُ (٤) ، وَفَصَاحَتُهُ ، وَوَجُوهُ إِعْجَازِهِ ، وَبِلاغَتُهُ
الجارية عادة العرب ؛ وذلك أنهم كانوا أربابَ هذا الشأن (٥) ، وَفُرْسَانَ الكَلَامِ ؛
قد خُصُّوا من البلاغة وَالْحِكْمِ (٦) بما لم يُخَصَّ به غيرهم من الأمم ، وَأوتُوا من ذَرَابَةِ
اللسان (٧) ما لم يُوتَ إنسان ، وَمِنْ فَضْلِ الخُطَابِ ما يُقَيِّدُ الأَلْبَابَ (٨) ؛ جعل اللهُ
لهم ذلك طَبَعًا وَخَلِيقَةً ، وَفِيهِمْ غَرِيزَةٌ وَقُوَّةٌ ، يَأْتُونَ مِنْهُ عَلَى البَدِيهِةِ بالعَجَبِ (٩) ،

(١) من ب .

(٢) العزيز :

(٣) منطو : مشتمل ومحتو .

(٤) حمن تأليفه : أى نظم كلماته مؤلفة متوافقة . والتشام كالمه : كونها متناسبة بحسب

الدلالة ومقتضى مقاماتها .

(٥) الشأن : الأمر العظيم ، والمراد به البلاغة ، وجمالهم أربابها ، أى أصحابها المالكين

لها ، الذين بيدهم أزمتهما . وفى معترك الأقران : الذين هم فرسان الكلام وأرباب هذا الشأن .

(٦) أى خصمهم الله تعالى من دون الناس ببلاغة كلامهم المخصوصة بلمناتهم وبما تفضته من

الحكم ؛ أى المغانى المحسنة للتقنة ، وما يبحث على مكارم الأخلاق ومحاسن الصفات .

(٧) الذرابة : أصل معناها حدة السيف والسنان ، والمراد طلاقة اللسان مع خلوه

عن اللسنة .

(٨) من فصل الخطاب : الخطاب البين الفاضل عند الحاجة الذى لا لبس فيه ولا خفاء .

والألبياب : جمع لب ، وهو العقل . ويقيد الألبياب : يحيرها إذا سمته ، حتى كأنها قيدت ومنعت

عن الإتيان بمثله لدهشتها من حسنه وبراعته .

(٩) البديهة : الفجاءة . والعجب : الأمر الذى يمد عجبيا لحسنه وسمو معناه ، فكأنه لم يمهده .

وَيُدَّلُّونَ بِهِ إِلَى كُلِّ سَبَبٍ ^(١)؛ فَيُخَطَّبُونَ بِدِيهَا فِي الْمَقَامَاتِ ^(٢)، وَشَدِيدِ الْخَطْبِ ^(٣)،
وَيُرْتَجَزُونَ ^(٤) بِهِ بَيْنَ الطَّعْنِ وَالضَّرْبِ، وَيَمْدَحُونَ وَيَقْدَحُونَ ^(٥)، وَيَتَوَسَّلُونَ
وَيَتَوَصَّلُونَ، وَيَرْفَعُونَ وَيَضَعُونَ ^(٦)، فَيَأْتُونَ مِنْ ذَلِكَ بِالسَّحْرِ الْحَلَالِ، وَيَطْوِقُونَ
مِنْ أَوْصَافِهِمْ أَجَلَ مِنْ سِمَطِ اللَّالِ ^(٧)، فَيَخْدَعُونَ الْأَبْيَابَ، وَيَذَلُّونَ الصَّعَابَ،
وَيَذْهَبُونَ الْإِحْنَ ^(٨)، وَيَهْجُونَ الدَّمْنَ، وَيَجْرَثُونَ الْجَبَانَ، وَيَبْسُطُونَ يَدَ الْجَعْدِ
الْبَنَانِ ^(٩)، وَيُصَيِّرُونَ النَّاقِصَ كَامِلًا، وَيَتْرَكُونَ النَّبِيَّ ^(١٠) خَامِلًا.

- (١) ويدلون به : يتوصلون . سبب : طريق ووسيلة إلى تحصيل مهمات أمورهم ؛
كالإزام الحضور ، وجلب محبة القلوب ، واستعطاف الملوك والرؤساء .
- (٢) بدياها : من غير تصنع ولا تكلف . والمقامات : محافل الناس ومجامعهم .
- (٣) الخطب : الأمر العظيم الشأن الذي من شأنه أن تقع فيه المخاطبات والنازعات ؛
فكان لسكل قوم خطيب يقوم بينهم يحمهم على مهماتهم .
- (٤) ويرتجزون به : أى يندشون رجزا ، وهو نوع من الشعر .
- (٥) يقدحون : يذمون ويهجون .
- (٦) يرفعون من مدحوه بمدائحهم ، فيصير نابه الذكر بمد أن كان خاملا ، ويضعون مقدار
من ذموه بقدحهم حتى يصير سبة بينهم .
- (٧) أجل : أزين وأحسن . وأصل السمط : للسلك ما دام فيه الخرز . واللآل : اللآلى .
وقد ضبطت سين كلمة السمط بالفتحة والكسرة وكتب عليها معا في ب . وفي ا : ضبطت
بالفتحة ، وكأنها جمع سمط مع أن القاموس قال : جمع سمط سموط . وضبط السين بالكسر .
- (٨) الإحن : جمع إحنة ، وهى الحقد . ويهجون : يجركون ويظهرون . والدمن : جمع دمنة ؛
وهى فى الأصل ما فى مبارك الإبل من بمرها المتبايد بما عليه من أبوالها ، والمراد الحقد المضمز
المجتمع فى البطن .
- (٩) يبسطون يد الجعد البنان : يمدون ، ويذهبون جمودتها ، وهى انقباضها . والمعنى
أنهم بفصاحتهم يصيرون البخيل كريما .
- (١٠) النبىه : الشريف المشهور .

منهم البدويُّ ذو اللفظِ الجزلِ^(١)، والقولِ الفصلِ^(٢)، والكلامِ الفخْمِ،
والطَّبْعِ الجوهريِّ^(٣)، والمَنْزَعِ القويِّ^(٤).

ومنهم الحَضْرِيُّ ذُو البِلاغةِ البَارِعَةِ، والألفاظِ النَّاصِعَةِ^(٥)، والكلماتِ الجَامِعَةِ،
والطَّبْعِ السَّهْلِ، والتصرُّفِ في القولِ القليلِ الكُفَّةِ^(٦)، الكثيرِ الرُّونِقِ، الرقيقِ
الحاشيةِ^(٧).

وَكِلَا البَابَيْنِ^(٨) لهما في البلاغةِ الحِجَّةُ البالغةُ، والقُوَّةُ الدامِنةُ^(٩)، والتَّدِيحُ
الفَالِجُ^(١٠)، والمُهَيِّعُ النَّاهِجُ^(١١)، لا يَشْكُونُ أَنَّ الكَلَامَ طَوَّعُ مُرَادِهِم، والبِلاغةُ مِثْلُ
قِيَادِهِم، قد حَوَّوْا فُنُونَهَا، واستَنْبَطُوا عِيُونَهَا^(١٢)، ودخلوا مِنْ كُلِّ بابٍ مِنْ

(١) اللفظ الجزل : اللفظ المحكم القاطع الفاصل .

(٢) الفصل : الذي يفصل بين الحق والباطل . (٣) الجوهري : النفيس .

(٤) والمنزع القوي : أى يأتون بنوع من الكلام يستخرجونه من بين أنواع الكلام

بطبائعهم السليمة بحيث إذا سمعه السامع شفي غليله .

(٥) لناصر : الحالصة من الألفاظ الوحشية النريبة السالمة من الركاكة .

(٦) والتصرف في القول القليل الكففة : التقليل صفة للتصرف ؛ أى يخرج من نوع إلى

نوع من غير تكلف لكونه سجية له . وقد تكون « التقليل » صفة للقول : أى لا يورد في
كلام ما يعسر فهمه على السامع لفرابته أو تعقيدته .

(٧) الرونق : الحسن واللطافة . والحاشية : أصل الحاشية : طرف البرد والثوب . ورقة

حاشيته عبارة عن رفقة وحسن نسجه ، وسهولته وسلاسته .

(٨) وكلا البابين : أى كلام البدوي ، والحضري .

(٩) الدامنة : الغالبة لغيرها .

(١٠) القدح : واحد قدح اللبس ؛ وهو سهم بغير ريش ، وقداح اللبس : كانوا يقامرون

بها في الجاهلية ، منها ماله نصيب ، ومنها ما لا نصيب له . والفالج : الفأز ؛ أى لهذه اللغة شرف
وفوز عند سامعها .

(١١) للمهيغ : الطريق الواسع . الناهج : البين الواضح السلوك .

(١٢) استنبطوا عيونها : استخرجوا خيلها ومحاسنها .

أبوابها، وعلوا صرحا بلوغ أسبابها^(١)؛ فقالوا في الخطير والمهين^(٢)، وتفننوا في الفث والسمين^(٣)، وتقاولوا في القل والكثير^(٤)، وتساجلوا في النظم والنثر^(٥)؛ فإراعتهم^(٦) إلا رسول كريم، بكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ؛ أحكمت آياته، وفصّلت كلماته، وبهرت^(٧) بلاغته العقول، وظهّرت فصاحته على كل متول، وتظاير إيجازه وإيجازه، وتظاهرت حقيقته ومجازته، وتبارت في الحسن مطامعه ومقاطعته^(٨) [٩١]، وحوّت كلّ البيان جوامعهم^(٩) وبدائعهم، واعتدل مع إيجازه حسن نظمه، وانطبق على كثرة فوائده مختار لفظه^(١٠)، وهم أفسح ما كانوا في هذا الباب مجالا، وأشهر

(١) وعلوا صرحا : علوا : صعدوا . والصرح : البيت العالى المزخرف بناؤه ، والبيت المنفرد . بلوغ أسبابها ؛ أى علوا قصر البلاغة ، ليصلوا إلى ما فيه من الأسباب الموصلة لمهامهم ومطالبهم النفيسة .

(٢) الخطير : : الأمر العظيم الذى له خطر ؛ أى شرف ومزية . والمهين : الحقير .

(٣) تفننوا : أتوا بكل فن من فنون الكلام . والفث : أصله المهزول ، والمراد به القبيح والفاسد . وضده السمين .

(٤) تقاولوا : أداروا الكلام بينهم . القل : القليل . والكثير : الكثير .

(٥) تساجلوا : المراد أنهم تناوبوا أو تفاخروا وتمارضوا فى عد المآثر ، كما هو معروف عندهم .

(٦) فإراعتهم : أى بيناهم كذلك جاءهم أمر بفتة لم يكن لهم علم به ، ولم يطرقت مسامعهم مثله .

(٧) بهرت : غلبت ، وأدهشت .

(٨) تبارت فى الحسن مطالمه ومقاطعته : تشابهت وتساوت أوائله وأواخره . والمعنى أن

مطامعه - وهو مبدؤه كفوائح السور ، ومقطعه - وهو منتهاه وغايته كخواتم السور - يجارى كل منهما الآخر ويسابقه ليحوز قصب السبق من الفصاحة وصحة المعانى . والمراد تشابههما .

(٩) جوامعهم : أى جوامع كلمه التى جمعت المعانى الكثيرة فى ألفاظ قليلة .

(١٠) انطبق : وافق ، واحتوى . كثرة فوائده : معانيها التى تنيدها . مختار لفظه : لفظه

المهذب الذى كأنه انتخب ونقى .

في الخطابة رجالا ، وأكثر في السجع والشعر سجالا^(١) ، وأوسع في الغريب واللفظ مَمَّالًا^(٢) ؛ بلغتهم التي بها يتحاورون ، ومنازِعهم التي عنها يتنازلون^(٣) ، صارخًا بهم في كل حين ، ومُقرِّعًا لهم بضمًّا^(٤) وعشرين عاما على رؤوس الملأ أجمعين : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ^(٥) افْتَرَاهُ قُلُوبُنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَمَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾^(٦) .

﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ^(٧) فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ . فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا . . . ﴾ .

و ﴿ قُلْ^(٨) آتَيْنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ .

و ﴿ قُلْ^(٩) فَأْتُوا بِعَشْرِ سُورٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ ﴾ . وذلك أَنْ الْمُفْتَرِيَ أَسْهَلُ ، وَوَضَعَ الْبَاطِلِ وَالْمُخْتَلَقِ عَلَى الْاِخْتِيَارِ أَقْرَبُ^(١٠) ، واللفظ إذا تبع المعنى الصحيح كان أَضْعَبُ ؛ ولهذا قيل : فلان يكتبُ كما يقال له ، وفلان يكتب كما يريد .

(١) سجالا : المراد بالسجال هنا المحاوره . أو المفاخرة . أو سجالا ؛ أي تارة ، تارة ، باعتبار النابوة والغالبه . وفي ا : ارتجالا ، وفي هامشه : سجالا . وفي ب : سجالا ، وفي هامشه : ارتجالا .

(٣) المناضلة : المفاخرة ، أو الغالبه بالكلام من النظم والنثر .

(٤) ومقرِّعًا لهم : أي مبررا وموبخا لهم . والبضع : من الثلاث إلى التسع من كسور المدد .

(٥) سورة يونس ، آية ٣٨

(٦) وادعوا من استطعتم : ادعوا كل من قدرتم على دعوته ليعينكم على اقتراء كلام بضاھيه .

(٧) سورة البقرة ، آية ٢٣ ، ٢٤ (٨) سورة الإسراء ، آية ٨٨

(٩) سورة هود ، آية ١٣ . ومفتریات : محض كذب واختلاق منسك .

(١٠) المراد بالاختيار ضد الإلجاء والاضطرار ؛ فإن الصادق مضطر إلى اتباع الحق ، وقد

يضيق عليه نطاق البيان بخلاف الكاذب فإنه يجد مجالا واسما .

وللأول^(١) على الثاني فضل ، وبينهما شأؤ^(٢) يعيد^(٣) .

فلم يزل يُقرَّعهم صلى الله عليه وسلم أشد^(٤) التقريع ، ويويجهم غاية التوبيخ ،
ويسفهُ أحلامهم^(٥) ، ويحطُ أعلامهم^(٥) ، ويشنتُ نظامهم^(٦) ، ويسدُمُ آلهمهم
وأبائهم ، ويستبيحُ أرضهم وديارهم وأموالهم ، وهم في كل هذا ناكصون^(٧) عن
معارضته ، مُخجِمون عن مُمائلته^(٨) ، يُخادِعون أنفسهم بالتشفيب والتكذيب ،
والإغراء بالافتراء^(٩) ، وقولهم^(١٠) : ﴿ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ ﴾ ، و ﴿ سِحْرٌ ﴾^(١١)
مستمر^(١٢) ، و ﴿ إِنْكَ ﴾^(١٣) افتراءه^(١٣) ، و ﴿ أساطير الأولين ﴾ ؛ واللباهته والرضا

(١) الأول : الذي يكتب كما يقال له . والثاني : الذي يكتب ما يريد . والمراد بالكتابة

هنا : الكلام ، وإن لم يكتب . (٢) شأؤ : غاية وأمد . والمراد التفاوت الزائد .

(٣) في ا: غاية . وفي هامشه : أشد ، وعليها علامة الصحة .

(٤) يسفه أحلامهم : السفه : الخفة . والأحلام : العقول ؛ أي يصفهم بالسفه وقلة العقل .

(٥) يحط أعلامهم : ينكس راياتهم ، ويذل ساداتهم ، ويذري بألبابهم . والمراد أنه يحقرهم ،

ويقهرهم بطمنه فيهم ، وإظهار ضلالهم وسوء حالهم .

(٦) ويشنت نظامهم : يفرق جمهم ، ويبطل آراءهم بجذاله وجلاله .

(٧) ناكصون : نكس : أحجم وتأخر . والمراد أنهم لم يمارضوه فيما فعله ، وفيما أتى

به ، ولم يأتوا بمثله .

(٨) عن ممائلته : عن الإتيان بشيء مماثل أقصر سورة منه لما تحداهم .

(٩) التشفيب : تهيبح الشر والفتن . والتكذيب : أي بادعائهم كذب رسول الله فيما

جاء به من الحق الذي لا مرية فيه . وفي ا : بالتكذيب . وفي هامشه : بالأكاذيب . والإغراء

الحث والتحريض . وفي ا : والافتراء .

(١٠) سورة المدثر ، آية ٢٤ ، يؤثر : ينقل .

(١١) سورة القمر آية ٢ ، وسحر مستمر : دائم باق ، أو محكم متقن .

(١٢) سورة الفرقان ، آية ٤ ، وإفك افتراء : كذب اخترعه واختلقه . والإفك : أسوأ

الكذب .

(١٣) سورة الأنعام ، آية ٢٥ وغيرها . وأساطير الأولين : شيء أخذه مما سطره الأولون

وزخرفوه . وقائل هذا هو النضر بن الحارث بن كلدة .

بِالَّذِي نَبَّيْتُمْ^(١)؛ كقولهم^(٢) : ﴿ قُلُوبُنَا غُلْفٌ ﴾ . و ﴿ فِي^(٣) أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ ،
وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ ، وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ ﴾ ؛ و ﴿ لَا تَسْمَعُوا^(٤) ﴾ لهذا القرءِ آنِ
وَالنَّوَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴾ .

والادعاء مع العجز بقولهم^(٥) : ﴿ لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا ﴾ .

وقد قال لهم الله : وَلَنْ تَفْعَلُوا ؛ فافعلوا ولا قدرُوا . وَمَنْ تَعَاطَى ذَلِكَ مِنْ
سُخْفَائِهِمْ^(٦) - كَمَسِيلَةٍ - كَشَفَ عَوَارِهِ^(٧) جيمهم ؛ وسلبهم الله ما أَلْفَوْهُ^(٨) ،

(١) الباهتة : الكذب الذى يبهت ويدهش سامعه . والذنية : النخلة الحقيرة الخسيسة
للمنحطة التى لا يرضى بها من له عقل ومروءة .

(٢) سورة البقرة ، آية ٨٨ ، والنساء ، آية ١٥٥ ، وظاهره الوصف بالحمالة وعدم الفهم ؛
وهو أمر مذموم لا يرتضيه العقل . وغاف : جمع أغلف ، أى فى غلاف .

(٣) سورة فصلت ، آية ٥ .

والأكنة : جمع كنان ؛ أى غطاء ؛ يريد منطاة ؛ أى لا تفهم ما تقول ، ولا يصل إليها
الدعوة . وما يدعوم إليه القرآن والإيمان . والوقر : الصمم ، وأصل معناه الثقل .

(٤) سورة فصلت ، آية ٢٦ .

لا تسمعوا لهذا القرآن : لا تصنوا ولا تصنعوا إليه . والنوا فيه : المراد رفع الصوت بأى كلام
كان ، حتى يشوش على قارئه ، فيقطع قراءته ، أو يمنع من استماعه . لملكم تغلبون قارئه بقطع
قراءته ؛ فغلبتم إنما هى بالجهل والسفه ، كما هو شأن العاجز المعاند .

(٥) سورة الأنفال ، آية ٣١ ، وقائل هذا هو النضر بن الحارث .

قال فى نسيم الرياض (٢ - ٥٢٦) : وهذه وقاحة لفرط عنادهم ومكابرة ؛ ولو استطاعوا
مأنهم أن يشاءوا ، وقد تحداهم وقرعهم بالمعجز عشرين سنة ، ثم قارعهم بالسيوف فلم يقدرُوا
مع استنكافهم من أن ينجبوا ، خصوصا فى الفصاحة .

(٦) من سخفائهم : ممن فيه طيش وقلة عقل .

(٧) عواره - بفتح العين وضما : عيبه وحماته . وقد ضبطت كذلك فى ب ، وكتب

عليها « مما » .

(٨) ما أَلْفَوْهُ : ما اعتادوه بطباعهم .

من فصيح كلامهم ، وإلا فلم يخف على أهل العيز منهم أنه ليس من نمط فصاحتهم (١) ، ولا جنس بلاغتهم ؛ بل وأوا عنه مُذْبِرِينَ ، وأتوا مُذْعِنِينَ مِنْ بَيْنِ مُهْتَدٍ وَبَيْنِ مَقْتُونٍ (٢) .

ولهذا لما سمع الوليد بن المغيرة من النبي صلى الله عليه وسلم : ﴿ إِنَّ (٣) اللَّهُ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ . قال : والله ، إن له لحلاوة (٤) ، وإن عليه لطلاوة ، وإن أسفله لمغدق ، وإن أعلاه لمثمر ، ما يقول هذا بشر (٥) .

وذكر أبو عبيد (٦) أن أعرابيا سمع رجلا يقرأ (٧) : ﴿ فاصدع بما تؤمر ﴾ ، وأعرض عن المشركين - فسجد ، وقال : سجدت لفصاحته .

وسمع آخر رجلا يقرأ (٨) : ﴿ فلما استنأسوا منه خلصوا نجيا ﴾ ، فقال : أشهد أن مخلوقا لا يتدر على مثل هذا الكلام .

(١) اليز : التميز والعقل . ونمط فصاحتهم : نوع فصاحتهم ، وطريقتها .

(٢) مذعنين : منقادين . والمقتون : التحير في أمره المنكر لإعجازه .

(٣) سورة النحل ، آية ٩٠ (٤) في ١ : حلاوة .

(٥) طلاوة : حسن وقبول ورونق . مغدق : من الندق ، وهو كثرة الماء .

لمشر : له ثمر طيب كثير . والمراد أن كلامه أصله قوى ، ليس من جنس كلام البشر . ومعانيه مفيدة مرشدة لسعادة الدارين وحسن العاقبة . وأراد بأسفله : ما تضمنه من المعاني ، كما يقال :

تحت هذا الكلام معان غزيرة . وأراد بأعلاه : ما ينتج من الفوائد والموائد التي تظهر من فهم معانيه وتيقنها . ما هذا بقول بشر : لا يشبه كلام البشر بوجه من الوجوه . وفي هامش ب

أمام هذه الجملة : وكذلك قال خالد بن عتبة . (٦) في هامش ب : خ : أبو عبيدة .

(٧) سورة الحجر ، آية ٩٤ . واصدع بما تؤمر : اجهر بما أمرت بتبليغه ، ولا تبالي بما

يقولونه .

(٨) سورة يوسف ، آية ٨٠ ، استنأسوا : يسأوا من يوسف . وخلصوا : اعتزلوا وانفردوا .

نجيا : متناجين في تدبير أمره .

وَحُكِّيَ أَنَّ عَمْرَ بْنَ الْخَطَّابِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - كَانَ يَوْمًا نَائِمًا فِي الْمَسْجِدِ فَإِذَا هُوَ بِقَائِمٍ عَلَى رَأْسِهِ يَتَشَدَّدُ شَهَادَةَ الْحَقِّ ؛ وَاسْتَخْبِرَهُ ، فَأَعْلَمَهُ أَنَّهُ مِنْ بَطَّارِقَةٍ ^(١) ، الرُّومُ مِمَّنْ يُحْسِنُ كَلَامَ الْعَرَبِ وَغَيْرِهَا ، وَأَنَّهُ سَمِعَ رَجُلًا مِنْ أَسْرَى ^(٢) ، الْمُسْلِمِينَ [٩٢] يَقْرَأُ آيَةً مِنْ كِتَابِكُمْ فَتَأَمَّلْتُهَا ، فَإِذَا [هِيَ] ^(٣) قَدْ جُمِعَ فِيهَا مَا أَنْزَلَ عَلَى عَيْسَى ابْنِ مَرْيَمَ مِنْ أَحْوَالِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ؛ وَهِيَ قَوْلُهُ تَعَالَى ^(٤) : ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ الَّذِي وَبَّيْتَهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾ .

وَحَكِّي الْأَصْمَعِيُّ أَنَّهُ سَمِعَ كَلَامَ جَارِيَةٍ ؛ فَقَالَ لَهَا : قَاتَلَكِ اللَّهُ مَا أَفْصَحَكَ ! فَقَالَتْ : أَوْ يُعَدُّ هَذَا فَصَاحَةً بَعْدَ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى ^(٥) : ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ ؛ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ ؛ فَجُمِعَ فِي آيَةٍ وَاحِدَةٍ بَيْنَ أَمْرَيْنِ وَنَهْيَيْنِ ، وَخَبْرَيْنِ ، وَبِشَارَتَيْنِ ^(٦) .

فهذا ^(٧) نوعٌ من إعجازهِ مُنفرد بذاته ، غَيْرُ مَضَافٍ إِلَىٰ غَيْرِهِ عَلَى التَّحْقِيقِ وَالصَّحِيحِ مِنَ الْقَوْلَيْنِ ^(٨) .

(١) البطارقة : جمع بطريق ، ومعناه الرئيس وقائد الجيش ، وجمعه بطارقة .

(٢) في ب : قوما من أسرى المسلمين يقرءون . (٣) من ب .

(٤) سورة النور ، آية ٥٢ (٥) سورة القصص ، آية ٧

(٦) الأمرين : أرضعيه ، وألقيه . والنهيين : لا تخافي ، ولا تحزني . والخبرين : أوحينا ،

وخفت عليه . والبشارتين : رادوه إليك ، وجاعلوه من المرسلين . فهذا الجمع .

(٨) قال في نسيم الرياض (٢ - ٥٣١) : الظاهر أن مراده بالقولين هنا - كما قاله بعضهم :

القول بأن إعجاز القرآن هل هو بمجموع بلاغته وأسلوب نظمه ؛ أو هو متحقق بكل واحد منهما على حدته وانفراد ، بدون إضافة أحدهما إلى الآخر ؛ فإن كلا منها خارق للعادة ، خارج عن طوق البشر .

وقيل : المراد بالقولين : القول بأن إعجازه يبلاغته التي لا يرتقى أحد إلى مرتبتها ؛ والقول

بأنه معجز بغير ذلك كالمصرفة ، والإخبار بالمغيبات . والأول هو المتبادر من سياقه .

وكون القرآن من قبيل النبي صلى الله عليه وسلم، وأنه أُنمى به - معلوم ضرورة ،
وكونه - عليه السلام - مُتَّعِدًّا به معلوم^(١) ضرورة ، وعَجَزُ العربِ عن الإتيانِ
به معلوم ضرورة ، وكونه في فصاحته خارقاً للعادة معلوم ضرورة للعالمين بالفصاحة
ووجوه البلاغة ؛ وسبيل^(٢) مَنْ لَيْسَ مِنْ أَهْلِهَا عَاطِمٌ^(٣) ذلك بعَجَزِ المفسِّرين من
أهلها عن مُعَارَضَتِهِ واعترافِ المُفسِّرينَ بإعجازِ بلاغته .

وأنتَ إذا تأملت قوله تعالى^(٤) : ﴿ وَأَلَّكُم فِي الْقِصَاصِ حَيَاةً ﴾ . وقوله^(٥) :

﴿ وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزَعُوا فَلَا قُوَّةَ وَأَخَذُوا مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ ﴾ . وقوله^(٦) :
﴿ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ .

وقوله^(٧) : ﴿ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ، وَيَأْسَمَاءُ أَقْلَمِي، وَغِيضَ الْمَاءِ وَقِضِي

الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ، وَقِيلَ : بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ .

وقوله^(٨) : ﴿ فَكَلَّمْنَا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ ، فَهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا ، وَمِنْهُمْ مَنْ

(١) في هامش ١ : التحدى : التعمد لنزاعة النابية .

(٢) سبيل : طريق من ليس من أهل الفصاحة الجبلية الموصلة لمعرفة إعجازه ، كالمولدين .

والمعجم .

(٣) في ب : فعل مبنى للمعلوم ، وللمجهول ، وكتب عليه مما . وفي ا : علم - بكسر العين

وسكون اللام . (٤) سورة البقرة آية ١٧٩

(٥) سورة سبأ ، آية ٥١ ، فزعوا : من حاول الأجل ، أو من بمتهم من القبور ، أو في

يوم بدر . وأخذوا من مكان قريب : من ظهر الأرض إلى بطنها . أو من الموقف إلى النار ،
أو من صحراء بدر إلى قلتها .

(٦) سورة فصلت ، آية ٣٤ ، أى ادفع سيئة من أساء إليك بالحسنة التي هي أحسن من

كل شيء حسن ، أو بأحسن دفع ممكن .

(٧) سورة هود ، آية ٤٤ ، والإفلاج : الإمساك .

(٨) سورة العنكبوت ، آية ٤٠ . حاصبا : أى ريمحا عاصفة فيها .

حصاباء ، وهى الحجارة الصغيرة - وهم قوم لوط . ومنهم من أخذته الصيحة : هم قوم

نود ومدين . ومن خسفنا به الأرض : قارون . ومن أغرقنا : قوم نوح وفرعون .

أخذته الصيحة ، ومنهم من خَسَفْنَا به الأرض ، ومنهم من أَعْرَقْنَا .
 وأشباهها من الآي ، بل أ كثر القرآن - حَقَّقَتْ مَا بَيَّنَّتْهُ مِنْ إِبْجَارِ الْفَاظِهَا ؛
 وكثرة معانيها ، ودِّيَابَجَةٍ (١) عبارتها ، وحُسن تَأْلِيفِ حُرُوفِهَا ، وتَلَاوُمِ كَلِمِهَا (٢) ،
 وَأَنَّ تَحْتَ كُلِّ لَفْظَةٍ مِنْهَا جُمْلَةٌ كَثِيرَةٌ ؛ وَفُصُولًا جَمَّةً (٣) ، وعلوما زواجر ، مُبَيَّنَّتْ (٤)
 الدواوين (٥) مِنْ بَعْضِ مَا اسْتَفِيدَ مِنْهَا ، وَكَثُرَتْ الْمَقَالَاتُ فِي الْمُسْتَنْبَطَاتِ (٦) عَنْهَا .
 ثم هو (٧) فِي سَرْدِ الْقِصَصِ الطَّوَالِ ، وَأَخْبَارِ الْقُرُونِ السَّوَالِفِ (٨) ، الَّتِي يَضَعُ
 فِي عَادَةِ الْفُصْحَاءِ عِنْدَهَا الْكَلَامُ ، وَيَذْهَبُ مَاءَ الْبَيَانِ (٩) - آيَةً (١٠) لِمَتَأَمَّلِهِ ؛ مِنْ
 رَبَطِ الْكَلَامِ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ ، وَالتَّمَامِ سَرْدِهِ (١١) ، وَتَنَاصُفِ وَجُوهِهِ (١٢) ؛ كَقِصَّةِ يُونُسَ
 عَلَى طَوْلِهَا .

-
- (١) المراد حسن عبارتها .
 (٢) تلاؤم كالمها : تناسب وموافقة .
 (٣) وفصولا جمّة : أنواعا كثيرة من محاسن الكلام .
 (٤) زواجر : كثيرة ، كالبحار الزواجر ؛ من زجر البحر ؛ إذا كثرت ماؤه وارتفعت
 أمواجه . (٥) الدواوين : الدفاتر ؛ يريد كتب التفسير وغيره من الفنون .
 (٦) في المستنبطات عنها : أى في اللغى والأحكام المستخرجة بطريق الإشارة والدلالات .
 (٧) هو : أى القرآن .
 (٨) المراد بالقرون السوالمف : الأمم المتقدمة على عصر النبوة . والقرن : مدة من الزمان
 مختلف فيها - والمراد أهله .
 (٩) ماء البيان : رونقه وحسنه .
 (١٠) آية : علامة .
 (١١) والتتام سرده : أى مناسبة كلماته السرودة المتتابعة مع فصاحتها ، وحسن
 تأليفها .
 (١٢) وتناصف وجوهه : المراد بالوجوه بلاغته . وتناصف تفاعل - من النصفة والإنصاف ،
 يقال أعضاء متناصفة حسنا ؛ أى لا ينقص حسن بعضها عن بعض .

ثم إذا^(١) ترددت قصصه اختلفت العبارات عنها على كثرة ترددها حتى تكاد كل واحدة تُنسَى في البيان صاحبها ، وتُنَاصِفُ في الحُسنِ وَجَهَ مُقَابَلَتِهَا ، ولا نفورَ للنفوسِ مِنْ تَرْدِيدِهَا ، ولا معاداةَ لِمَعَادِهَا^(٢) .

فصل

الوجه الثاني من إعجازه صورةُ نَظْمِهِ العَجِيبِ ، والأسلوبُ الغريبُ المخالفُ لآساليبِ كلامِ العربِ وَمَنَاهِجِ^(٣) نَظْمِهَا وَنَثْرِهَا الذي جاء عليه ، ووقفت مقاطعُ آية ، وانتهت فواصلُ كلماته إليه^(٤) ؛ ولم يوجد قبَّله ولا بعده نظيرُ له ، ولا استطاع أحدٌ مُماثلةَ شيءٍ منه ؛ بل حارت في عقولهم ، وتداولت دونه أحلامهم^(٥) ، ولم يهتدوا إلى مثله في جنس كلامهم من نثر أو نظم ، أو سجع أو رجز ، أو شعر . ولما سمع كلامه صلى الله عليه وسلم الوليد بن المغيرة ، وقرأ عليه القرآن - رَقَّ ؛ فجاء أبو جهل مُنْكَرًا عليه [٩٣] - قال : والله ما منكم أحدٌ أعلمُ بالأشعارِ مني ، والله ما يُشْبِهُ الذي يقولُ شيئًا من هذا .

(١) ترددت : تكررت .

(٢) أى لا تكرهه ، ولا تعادى الطباع المعادى في القرآن والتكرار من قصصه .

(٣) المناهج : جمع منهج ، وهو الطريق ؛ أى لا يشبه كلامهم المنظوم ، وهو الشعر ، ولا

النثر من الخطب وغيرها .

(٤) المقاطع : جمع مقطع ؛ وهو آخر الكلام الذى يقف عليه القارىء . والمراد انتهت

ووصلت . والفواصل : جمع فاصلة ؛ وهى الكلمة الأخيرة من الفقرة ونحوها .

(٥) تدللت : دهشت وتحيرت فى شأنه . والأحلام : جمع حلم ؛ وهو العقل . يعنى

أن عقولهم لم تصل إليه ؛ إذ تحيرت فيما هو أقل منه ، فكيف به ! وفى ب : وتولمت .

وفى خبره الآخر - حين جمع قريشا عند حضور الموسم^(١) ، وقال : إن وفود
 العرب ترد^(٢) فأجمعوا فيه رأيا^(٣) ، لا يكذبُ بمضكم بمضا؛ فقالوا : نقولُ كاهن .
 قال : والله ما هو بكاهن . ما هو بزَمَمته^(٤) ولا سَجَمه .
 قالوا^(٥) : مجنون . قال : ما هو بمجنون ، ولا بخنقه^(٦) ولا وسوسته .
 قالوا : فنقول شاعر . قال : ما هو بشاعر . قد عرفنا الشعر كله ، رجزه ،
 وهزجه ، وقريضه ، ومبسوطه ومقبوضه ، ما هو^(٧) بشاعر .
 قالوا : فنقول ساحر . قال : ما هو بساحر ، ولا نفته ولا عقده^(٨) .
 قالوا : فما نقول : قال : ما أنتم بقائلين من هذا شيئا ، إلا وأنا أعرف أنه باطل ،
 وإن أقرب القول أنه ساحر ؛ فإنه سحرٌ يفرق بين المرء وابنه^(٩) ، والمرء وأخيه ،
 والمرء وزوجه ، والمرء وعشيرته^(١٠) .

-
- (١) الموسم : المراد موسم الحج . وهذا الخبر في دلائل أبي نعيم : ١ - ٣٠٢ .
 (٢) ترد : أى يقدمون من غير البلاد .
 (٣) فأجمعوا فيه : أى فى النبي ؛ أى دبروا وتداركوا . رأيا : أى أمرا يعتقدون أن له
 فائدة ونتيجة . وفى ا : فاجموا - بهمة وصل .
 (٤) الزممة : صوت خفى لا يكاد يفهم ؛ أى ليس كلامه مشبها زممة الكاهن ، ولا سجمه .
 (٥) فى ا : فقالوا .
 (٦) الخنق - بفتح النون وكسرهما : الجنون . وقال القارى (١ - ٥٥٨) : أى ليس
 ممن أصابه الجن وخنقه ، ولا وسوس له فى صدره .
 (٧) المزج : اسم بحر من بحور الشعر . والقريض : الشعر ، ولعله يريد المقطوعات
 الشعرية . ومبسوطه : مطولات قصائده . ومقبوضه : المراد به مختصر أوزانه .
 (٨) النفث : النفخ مع ريق . والمقد : عقد حبال أو شعر مضمور ونحوه ؛ وكفى به
 عن أنه ليس له علم بما يعمله السحرة .
 (٩) فى ب : وأبيه ، وابنه ، وعليها « معا » . وفى ا : وابنه ، وعليها علامة الصحة .
 (١٠) وعشيرته : أى أقاربه الأذنون الماشرون له .

فتفرّقوا وجلسوا على السبيل^(١) يحذرون الناس؛ فأنزل الله تعالى في الوليد^(٢) : ﴿ ذَرْنِي^(٣) وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا . وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا . وَبَنِينَ شُهودًا . وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا . ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ . كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا . سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا . إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ . فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ . ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ . ثُمَّ نَظَرَ . ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ . ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ . فَقال : إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ^(٤) .

وقال عتبة بن ربيعة حين سمع القرآن : يا قوم ؛ قد علمتم أني لم أترك شيئاً إلا وقد علمته وقرأته وقلته ؛ والله لقد سمعت قولاً والله ما سمعت مثله قط ؛ ما هو بالشعر ، ولا بالسحر ، ولا بالكهانة^(٥) .

وقال النضر بن الحارث نحوه .

وفي حديث إسلام أبي ذر^(٦) ووصف أخاه أنيساً ، قال : والله ما سمعت بأشعر من أخي أنيس ؛ لقد ناقض^(٧) اثني عشر شاعراً في الجاهلية^(٨) ، أنا أحدهم ، وإنه انطلق إلى مكة ، وجاء إلى أبي ذرّ بنخبر النبي صلى الله عليه وسلم . قلت : فما يقول الناس ؟ قال : يقولون : شاعر ، كاهن ، ساحر ، لقد سمعت قول الكهنة فما هو

(١) السبل : الطرق . (٢) خبر الوليد في الدلائل لأبي نعيم : ١ - ٣٠٣

(٣) سورة المدثر ، من آية ١١ - ٢٤

(٤) ذرني ومن خلقت وحيداً : دعني معه ، فأنا أكفيه من كيد أعدائه وإن كان وحيداً

منفرداً عن أهله وعترته لتركهم له .

(٥) ضبطت الكاف بالفتحة والكسرة ، وعليها « معا » في ب .

(٦) الغفاري الصحابي ، وهو جندي بن جنادة . وحديث إسلامه في صحيح مسلم : ١٩١٩

(٧) نقاض الشعر في الجاهلية : إذا قال أحدهم شعراً ذكر فيه افتخاراً بآبائه وشرفهم

على قوم غيره ، أو ذكر فيه هجاء غيره ومثالبه ؛ فيعارضه غيره بشعر يذكر فيه ضد ما قاله ؛

فيسمى ذلك مناقضة . ويقال للقائد نقاض .

(٨) أي عارضهم في قصائدهم ، تأتي بمثلها ؛ وهذا يدل على فصاحته ومعرفته بالشعر .

بَتَوَلَّمْ ، ولقد وضعتُه على (١) أقرأ الشَّعر فلم يَلتَمَّ ، وما يَلتَمُّ على لسان أحدٍ بعدى
أنه شِعرٌ (٢) ؛ وإِنَّه لصادقٌ ، وإِنَّهم لَكاذِبُونَ .
والأخبارُ في هذا صحيحةٌ كثيرةٌ .

والإعجازُ بكل واحدٍ من النوعين : الإيجازُ والبلاغةُ بذاتها (٣) ؛ أو الأسلوبُ
الغريبُ بذاته (٤) ، كلُّ واحدٍ منهما نوعٌ إعجازٍ على التحقيق ، لم تَقْدِرِ العَرَبُ على
الإتيانِ واحدٍ منهما (٥) ؛ إذ كلُّ واحدٍ خارجٌ عن قُدْرَتِهَا ، مُبَايِنٌ (٦) لِفَصَاحَتِهَا
وكلامِهَا ؛ وإلى هذا ذهب غيرُ واحدٍ من أئمةِ المُحَقِّقين .

وذهب بعضُ [المُحَقِّقين] (٧) المُتَدَيِّ بهم إلى أَنَّ الإعجازَ في مجموعِ البلاغةِ
والأسلوبِ (٨) ، وأتى على ذلك بتَوَلِّ تَمَجُّهُ الأَسْمَاعُ ، وَتَنَفَّرُ مِنْهُ القُلُوبُ .
والصحيحُ ما قدَّمناه (٩) ، والعلمُ بهذا كلُّهُ ضرورةٌ قطعاً .
ومَنْ تَفَنَّنَ في علومِ البلاغةِ ، وأرهِفَ (١٠) خَاطِرَهُ ولسانَهُ أدبُ هذه الصناعاتِ
لم يَخْفَ عليه ما قلناه .

(١) وضعتُه على أقرأ الشعر : أنواعه وأنواعه وأمثاله ، أو قوافيه التي
يختم بها ، أي وضعت قوله ، وقابلته ، وقسته بالشعر .

(٢) فلم يَلتَمَّ : فلم يَتيسرَ ويتفق . والمعنى : لا يَلتَمُّ لأحدٍ غيري أن يقول إنه شعر ؛ لأنه ليس
أحدٌ بأعلم بالشعر وأقدر عليه مني ؛ فلو أمكن لأحد أن ينزله على الشعر ويمارضة به كنت
فمات ، فحيث لم يتيسر لي لا يتيسر لغيري . والمراد بإبطال كونه شعراً .

(٣) هذا في ا ، ب .

(٤) يعني كونه على نمط لا يشبه نمط كلامهم المنظوم ولا المنثور .

(٥) في ب : منها . (٦) مباین : مخالف .

(٧) من ب . (٨) أي لا بكل واحد منها .

(٩) من أن لكل واحد وجهها في الإعجاز كافيها .

(١٠) أرهف خاطره : أرهف : حدد ، ودقق ، وسن . خاطره : فكره . ولسانه : نطقه .

وقد اختلف أئمة أهل السنة في وجه عجزهم عنه ؛ فأكثرهم يقول : إنه ما جمع في قوة جزالته ، ونصاعة ألفاظه^(١) ، وحسن نظمه ، وإيجازه ، وبديع تأليفه وأسلوبه لا يصح أن يكون في مقدور البشر ، وأنه من باب الخوارق الممتعة عن إقدار الخلق عليها^(٢) ؛ كإحياء الموتى ، وقلب العصا ، وتسبيح الحصى .

وذهب الشيخ أبو الحسن^(٣) إلى أنه مما يمكن أن يدخل مثله تحت مقدور البشر ، ويُقدِّره الله عليه ؛ ولكنه لم يكن هذا ولا يكون ؛ فمنهم الله هذا [٩٤] ، وعجزهم عنه .

وقال به جماعة من أصحابه^(٤) .

وعلى الطريقين^(٥) فعجز العرب عنه ثابت ، وإقامة الحجج عليهم بما يصح^(٦) أن يكون في مقدور البشر ، وتحديثهم بأن يأتوا بمثله - قاطع^(٧) ؛ وهو أبلغ في التمجيز ، وأخرى^(٨) بالتفريع ، والاحتجاج بمجىء بشرٍ مثلهم بشيء ليس من قدرة البشر لازم ؛ وهو أبهر آية ، وأقنع دلالة^(٩) .

(١) الجزالة : الصلابة والقوة . والمراد إحكام نظمه ، وعدم ركاكته . ونصاعة ألفاظه : وضوحها وخلوصها .

(٢) من باب الخوارق : من جنسها ونوعها . الممتعة عن إقدار الخلق عليها : أى التى لا يقدرون عليها ، كأنها امتنعت عليهم ، وأبت مطاوعتهم .

(٣) هو أبو الحسن الأشعري : إمام أهل السنة .

(٤) قال القارى (١ - ٥٦١) : وهذا هو القول بالصرفة ، وهو مرجوح عند أكابر الأئمة .

(٥) الطريقين : إيجازه ببلاغته وأسلوبه ؛ أو بتمجيذه سبحانه وتمالى إياهم عن معارضته .

(٦) أى بتكليفهم بأقل قليل منه ، وهو ما يمكن أن يكون . . .

(٧) قاطع : أى بتمجيذهم . (٨) أخرى : أحق ، وأولى .

(٩) وهو : أى المذكور من عدم قدرتهم . أبهر آية : أظهر . وأقنع : من قنعه ؛ إذا قهره ،

وردعه ، وأذله بعجزه عن معارضته .

وعلى كل حال فما أتوا في ذلك بمقال ؛ بل صبروا على الجلاء^(١) ، والقَتْل ،
وتجرعوا كأساتِ الصَّغَارِ والذُّلِّ ؛ وكانوا من شموخِ الأَنْفِ ، وإبآيةِ الضَّيْمِ^(٢) ،
بحيث لا يؤثرون ذلك اختياراً^(٣) ، ولا يرضونه إلا اضطرارا ، وإلا فالمعارضةُ
لو كانت من قَدْرهم ، والشُّغْلُ بها أهونُ عليهم ، وأسرعُ بالنُّجْحِ وقَطْعِ العُذْرِ
وإفحامِ الحِصْمِ لديهم^(٤) ، وهم يَمَنُّ لم قُدْرَةٌ^(٥) على الكلام ، وقُدوةٌ في المعرفةِ به
لجميع الأنام ؛ وما منهم إلا مَنْ جَهِدَ جَهِدَهُ^(٦) ، واستنفد ما عنده في إخفاء ظهوره ،
وإطفاء نُورِهِ ، فما جَلَوْا في ذلك خَبِيثَةٌ مِنْ بَنَاتِ شِفَاهِهِمْ^(٧) ، ولا أتوا بنُظْفَةٍ مِنْ مَعِينِ
مِيَاهِهِمْ^(٨) ، مع طُولِ الأَمْدِ ، وكَثْرَةِ العَدَدِ ، وتَظَاهُرِ^(٩) الواهِدِ وما وَاوَدَ ؛ بل
أَبْلَسُوا فما نَبَسُوا^(١٠) ، وَمُنِعُوا فَانْقَطَعُوا^(١١) ؛ فهذان نوعان من إعجازهِ^(١٢) .

- (١) الجلاء : ترك الوطن والمال .
- (٢) الأنف : جمع أنف . شموخ الأنف : كناية عن غاية التكبر . والضيم : الدل والتحقير .
- (٣) لا يؤثرون : لا يرضون ، ولا يختارون .
- (٤) النجح : الظفر والفوز بمطلوبهم . وإفحام الحصم : إسكاته .
- (٥) في ١ : اقتدار .
- (٦) جهد جهده : بذل ما عنده من الجهد ، فلم يقدر على شيء منه .
- (٧) جلوا : أظهروا . خبيثة : حجة في ضمايرهم ، مستورة خلف أستار سرائرهم .
من بنات شفاهم : أى كلمة يتلفظون بها .
- (٨) بنطفة : بقطرة قليلة . والمعين : الماء الجارى ظاهرا ، والمراد من أنهار بلاغتهم
وأسرار فصاحتهم ؛ أى لم يقدرُوا على شيء مما طاب منهم .
- (٩) مع طول الأمد : أى اتساع زمن التحدى وطول وقته . تظاهر : تعاون ومساعدة .
- (١٠) أبلسوا : ينسوا . نطقوا .
- (١١) فانقطعوا عن المعارضة لمعجزهم .
- (١٢) أراد إعجازه بنص كلامه وخواص تراكيبه ، وبصورة نظمه وأسلوبه . ولم يلتفت
إلى الصرفة لضمف القول بها عنده كما تقدم . وقال القارى (١ - ٥٦٣) : نوعان من إعجازه ؛
أى اجتماعا وانفرادا .

فصل

الوجه الثالث من الإعجاز ما انطوى^(١) عليه من الإخبار بالمتنبآت ، وما لم يكن ولم يقع ؛ فوجد ؛ كما ورد ، وعلى الوجه الذي أخبر به ؛ كقوله تعالى^(٢) : ﴿ اتَّخَذَ خُلَّانَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ ﴾ .

وقوله تعالى^(٣) : ﴿ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴾ .

وقوله^(٤) : ﴿ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ .

وقوله^(٥) : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ

فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ، وَلِيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ ، وَلِيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ، يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ، وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ .

وقوله^(٦) : ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ . وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ

أَفْوَاجًا . فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴾ .

(١) ما انطوى عليه : ما اشتمل عليه .

(٢) سورة الفتح ، آية ٢٧ ، رأى النبي وهو بالمدينة قبل عام الحديبية أنه دخل المسجد الحرام مع أصحابه ، وأخبرهم بذلك ، فظنوا أنه سيقع في ذلك العام ، فلما صدم المشركون عن الدخول شق عليهم ذلك ، فأخبرهم الله بأنه سيقع بعد ذلك ، وكان كما أخبر .

(٣) سورة الروم ، آية ٣ ، أخبر الله تعالى أن الروم تغلب فارس بعد مدة ، وكان كما أخبر الله في كتابه .

(٤) سورة التوبة ، آية ٣٣ ، وعد الله بأن دين رسول الله سيظهر وتغلب أمته جميع الأمم ، وكان كما قال .

(٥) سورة النور ، آية ٥٥ ، ليستخلفنهم : أي يجعلهم خلفاء في أرضه ، مالكين لها منصورين على أعدائهم وكان كما قال .

(٦) سورة النصر ، نزلت مبشرة بفتح مكة ؛ وكان الفتح .

فكان جميعُ هذا ، كما قال ؛ فقلبت الرومُ فارسَ في بضْع سنين ، ودخل الناسُ في الإسلام أفواجا^(١) ؛ فامات صلى الله عليه وسلم وفي بلاد العرب كلها موضعٌ لم يدخله الإسلام .

واستخلف [الله]^(٢) للمؤمنين في الأرضِ ، وَمَكَنَ فِيهَا^(٣) دينهم ، ومدَّكهم إياها من أقصى المشرقِ إلى أقصى المغربِ^(٤) ؛ كما قال عليه السلام^(٥) : « زُوِيَت لِي^(٦) الأَرْضُ ، فَأُرَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا ، وَسَيَبْلُغُ مُلْكُ أُمَّتِي مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا » . وقوله^(٧) : ﴿ إِنَّا نَرَىٰ زُلْفَنَا الَّذِي كَرَّرَ وَإِنَّا لَهُ لِحَافِظُونَ^(٨) ﴾ ؛ فكان كذلك ، لا يكادُ يمدُّ مَنْ سَعَىٰ فِي تَغْيِيرِهِ وَتَبْدِيلِ مُحْكَمِهِ مِنَ اللَّاحِذَةِ وَالْمُعْطَلَةِ ، لاسِيَا القرامطة^(٩) ؛ فَأَجْمَعُوا كَيْدَهُمْ وَحَوْلَهُمْ^(١٠) وَقَوَّتَهُمْ ، الْيَوْمَ نَيْفًا عَلَى^(١١) خِصْمَانَةِ عَامٍ ، فَمَا قَدَرُوا عَلَىٰ إِطْفَاءِ شَيْءٍ مِنْ نُورِهِ ، وَلَا تَغْيِيرِ كَلِمَةٍ مِنْ كَلَامِهِ^(١٢) ، وَلَا تَشْكِيكِ الْمُسْلِمِينَ فِي حُرُوفٍ مِنْ حُرُوفِهِ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ .

(١) أفواجا : جماعات كثيرة ، بعد جماعات كثيرة .

(٢) ليس في ا . (٣) فيها : في الأرض .

(٤) من أقصى المشرق .. أى أبعاد مكان من جانب المشرق إلى أبعده من جانب المغرب .

(٥) في حديث صحيح رواه مسلم : ٢٢١٥ (٦) زويت لى الأرض : جمعت وطويت .

(٧) سورة الحجر ، آية ٩

(٨) أخبر الله تعالى أنه تولى حفظ القرآن من التبديل والتغيير في سائر الزمان .

(٩) الملحدة : من الإلحاد ، وهو الميل عن الحق ، سموا بذلك لمدولهم عن ظواهر الشريعة ،

وتأويلها بأمور سخيفة ، ويسمون باطنية : (نسيم الرياض : ٢ - ٥٥٣) .

والمعطلة : الذين نفقوا الصانع . والقرامطة : طائفة من الملحدين أيضا . قال السمعاني في

الأنسب : القرمطى - بكسر القاف نسبة لطائفة خبيثة ، وهم من أهل هجر والحسا ، وأصاهم

رجل من سواد السكوفة يقال له قرمط ، وقيل حمدان بن قرمط .

(١٠) حولهم : حولهم ، وجهدهم .

(١١) أى مدة تزيد على خمسمائة عام ،

أى بالنسبة لتاريخ زمن المصنف . (١٢) فى ب : من كاهه .

ومنه ^(١) قوله ^(٢) : ﴿ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴾ .
 وقوله ^(٣) : ﴿ فَاتْلُوهُمْ يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ
 صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ ﴾ .
 وقوله ^(٤) : ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظَاهِرَهُ عَلَى الدِّينِ
 كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ .
 وقوله ^(٥) : ﴿ لَنْ يَضُرَّوْكُمْ إِلَّا أَذًى ، وَإِنْ يِقَاتِلُوكُمْ يُؤَلُّوْكُمْ الْأَذْبَارَ ^(٦) ثُمَّ
 لَا يَنْصُرُونَ ﴾ . فكان كل ذلك .
 وما فيه ^(٧) من كشف أسرار المنافقين واليهود ، ومقاليهم وكذبيهم في حالفهم ،
 وتفرقهم بذلك ؛ كقوله ^(٨) : ﴿ وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ ﴾ .
 وقوله ^(٩) : ﴿ يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ ، يَقُولُونَ : لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ
 شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا ، قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى
 مَضَاجِعِهِمْ ، وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ
 الصُّدُورِ ^(١٠) ﴾ .

- (١) ومنه : أى مما أخبر به من النفيات المعجزة .
 (٢) سورة القمر ، آية ٤٥ ، أى سينهزم كفار قريش ، وسيجملهم المسلمون يولون أذبارهم
 بالظعن والضرب ؛ فمبر عن شدة انهزامهم بأبلغ عبارة .
 (٣) سورة التوبة ، آية ١٤
 (٤) سورة التوبة ، آية ٣٣
 (٥) سورة آل عمران ، آية ١١١
 (٦) لَنْ يَضُرَّوْكُمْ إِلَّا أَذًى ؛ أى لا يقدرُونَ عليكم إلا بأذية يسيرة ، كالظعن والتهديد .
 وإن يقاتلوكم يولوكم الأذبار : أخبر أنهم كلما قاتلوكم غلبوا ، وكان النصر للمسلمين عليهم .
 (٧) وما فيه : ما فى القرآن .
 (٨) سورة المجادلة ، آية ٨
 (٩) سورة آل عمران ، آية ١٥٤
 (١٠) هذا بيان لحال المنافقين ومكرهم ، والذي أخفوه يوم أحد .

وقوله^(١) : ﴿ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُواكَ بِحَرْفٍ مِنَ الْكَلِمِ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ : إِنْ أُوْتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ ، وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا ، وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا ، أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ .

وقوله^(٢) : ﴿ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ [٩٥] وَيَقُولُونَ : سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمِعٍ ، وَرَاعِنَا أَيْمًا بِالْأَسْتِمْ وَطَعْنَا فِي الدِّينِ ^(٣) .

وقد قال مُبْدِيًا^(٤) ، مَا قَدَّرَهُ اللَّهُ وَاعْتَقَدَهُ الْمُؤْمِنُونَ يَوْمَ يَذُرُّ^(٥) : ﴿ وَإِذْ يَبْدُكُمْ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنْ غَيْرَ ذَاتِ الشُّوْكَةِ^(٦) تَكُونُ لَكُمْ .

ومنه قوله تعالى^(٧) : ﴿ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ .

(١) سورة المائدة ، آية ٤١ ، والذين هادوا : اليهود .

(٢) سورة النساء ، آية ٤٦ .

(٣) راعنا : كانوا يقولون : راعنا ؛ وصفاله صلى الله عليه وسلم بالرعونة ، موهمين التماس نظره ورعايته لهم ، مسكرا منهم ولما بالستهم وكلامهم ، وطعنا في الدين بالكذب والاستهزاء والسخرية .

(٤) مبديا : مظهرا . (٥) سورة الأنفال ، آية ٧ .

(٦) إحدى الطائفتين : العير ، أو النفير . وغير ذات الشوكة : يريد العير ، وكانوا يودون أخذ العير لما فيها من المال ، وأقله ما عندهم من السلاح والرجال .

(٧) سورة الحجر ، آية ٩٥ ، وهؤلاء المستهزون كانوا يؤذون النبي صلى الله عليه وسلم أشد الأذى ، ويسخرون منه ؛ وهم : الأسود بن عبد يغوث ، والأسود بن عبد المطلب ، والوليد بن المغيرة ، والماص بن وائل السهمي ، وعدي بن قيس . وقيل : منهم الحارث بن عيطلة ، وفكبة بن عامر النهري ، والحارث بن الطلائع ، فأخبره الله تعالى بهلاكهم سريعا ، وكفايته أمرهم قبل وقوعه ؛ فكان كما قال .

ولما نزلت بَشْرُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِذَلِكَ أَصْحَابَهُ بِأَنَّ اللَّهَ كَفَاهُ إِيَّاهُمْ ؛
وكان المستهزئون نَفَرًا بِمَكَّةَ يَنْفَرُونَ النَّاسَ عَنْهُ وَيُؤْذُونَهُ فَهَلَكُوا .
وقوله ^(١) : ﴿ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ ؛ فَيَكُنْ كَذَلِكَ عَلَى كَثْرَةِ مَنْ رَامَ
ضُرَّهُ ^(٢) ، وَقَصِيدَ قَتْلِهِ ؛ وَالْأَخْبَارُ بِذَلِكَ مَعْرُوفَةٌ صَخِيحَةٌ .

فصل

الْوَجْهَ الرَّابِعَ ^(٣) مَا أَنْبَأَ بِهِ مِنْ أَخْبَارِ الْقُرُونِ ^(٤) السَّالِفَةِ ، وَالْأُمَّمَ الْبَائِدَةَ ^(٥) ،
وَالشَّرَائِعَ الدَّائِرَةَ ^(٦) ، مِمَّا كَانَ لَا يَعْلَمُ مِنْهُ الْقِصَّةَ الْوَاحِدَةَ إِلَّا الْقَدُّ مِنْ أَخْبَارِ ^(٧)
أَهْلِ الْكِتَابِ الَّذِي قَطَعَ عُمُرَهُ فِي تَعَلُّمِ ذَلِكَ ؛ فَيُؤَوِّدُهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى
وَجْهِهِ ، وَيَأْتِي بِهِ عَلَى نَصِّهِ ؛ فَيَعْتَرِفُ الْعَالِمُ بِذَلِكَ بِصِحَّتِهِ وَصِدْقِهِ ، وَأَنَّ مِثْلَهُ ^(٨)
لَمْ يَنْدَلُهُ بِتَعْلِيمِ .

وقد علّموا أنه صلى الله عليه وسلم أمي لا يقرأ ولا يكتب، ولا اشتغل بدارسة

(١) سورة المائدة ، آية ٦٧ (٢) رام : قصد ضرره .

(٣) من وجوه إعجاز القرآن .

(٤) القرون : جمع قرن ، وهم أهل كل عصر وزمان ؛ أي أخبار الأمم والملل للتقدمة
والبلاد البعيدة .

(٥) البائدة : الهالكة (هامش ب) .

(٦) الدائرة : الدارسة ، التي لم يبق لها أثر . فالمراد معرفته بالشرائع القديمة التي نسيت
ونسخت أحكامها .

(٧) القد : الفرد والشاذ . والأخبار : جمع خبر ، وهو العالم الحافظ الواسع علمه . والعرف
يخصه بعلماء أهل الكتاب .

(٨) مثله : مثل النبي ، أو مثل هذا الكلام لم يصل إليه النبي صلى الله عليه وسلم بتعليم من
البشر ، بل يوحى من الله تعالى .

ولا مُثَافِنَةٌ^(١)، ولم يَقْبِ عَنْهُمْ، ولا جَهْلَ حاله أحدٌ منهم .

وقد كان أهلُ الكتابِ كثيراً ما يسألونه - صلى الله عليه وسلم - عن هذا، فيُنزِلُ عليه من القرآنِ ما يَتَلَوُ عليهم منه ذِكْراً^(٢)؛ كقِصَصِ الأنبياءِ مع قَوْمِهِمْ، وخَبَرِ موسى والخضرِ، ويوسفَ وإخوته، وأصحابِ الكهفِ، وذِي القَرَنَيْنِ، ولُقْمَانَ وابنه، وأشباه ذلك من الأنبياءِ [والقِصَصِ]^(٣)، وبدءِ الخلقِ، وما في التَّوْرَةِ، والإنجيلِ، والزَّبُورِ، وصُحُفِ إبراهيمَ وموسى؛ بما صدَّقَهُ فيه العلماءُ بها، ولم يَقْدِرُوا على تكذيبِ ما ذكر منها؛ بل أذعنوا لذلك^(٤)، فَمِنْ مَوْفِقِ آمَنَ بما سَبَقَ لَهُ مِنْ خَيْرٍ، وَمِنْ شَقِيٍّ مُعَانِدٍ حاسِدٍ؛ ومع هذا لم يُحْكَمْ عن واحدٍ^(٥) من النصارى واليهودِ على شدَّةِ عداوتِهِمْ له، وحِرْصِهِمْ على تَكْذِيبِهِ، وطُولِ احتجاجِهِ عليهم بما في كُتُبِهِمْ، وتَقْرِيرِهِمْ^(٦) بما انطوتَ عليه مصاحفُهُمْ^(٧)، وكثرةِ سؤَالِهِمْ له صلى الله عليه وسلم، وتَعْنِيَتِهِمْ^(٨) إِيَّاهُ - عن أخبارِ أنبيائِهِمْ، وأسرارِ علومِهِمْ، ومستودعاتِ سِيرِهِمْ^(٩)، وإعلامِهِمْ لهم بِمَكْتُومِ شَرَائِعِهِمْ ومضمَّناتِ كُتُبِهِمْ؛ مِثْلُ

(١) بمدارسة: بحفظ وتلق من الأفواه. مثافنة: مداومة طلب، ومجالسة تحتك فيها الركب بالركب حتى يؤثر فيها الاحتكاك، وهو عبارة عن كثرة الجلوس مع أهل العلم بالأخبار والشرائع للتعلم عنهم. وفي ب: مثاقبة؛ قال القاري (١ - ٥٦٧): ولعلها مصحفة، أو يراد بها المزاحمة في المعرفة، من ثقب الذهن، وهو وصوله إلى الصواب.

(٢) المراد بالذكر القرآن المذكور لهم.

(٤) بل أذعنوا لذلك: أقرروا واعترفوا منقادين له.

(٥) في أ: عن أحد.

(٦) وتقريرهم: توبيخهم وتفضيخهم.

(٧) مصاحفهم: يريد كتبهم، وصحفهم.

(٨) تعنيتهم إياه: أي تكليفهم بما هو شاق.

(٩) مستودعات سيرهم: أي سؤالهم عما أودع في مصاحفهم من سير أنبيائهم.

(٣) من ب.

سؤالهم عن الروح ، وذى القرنين ، وأصحاب الكهف ، وعيسى ، وحكم الرجم ، وما حرّم إسرائيل على نفسه ؛ وما حرّم عليهم من الأنعام ، ومن طيبات أحلت لهم فحرّمت عليهم بيّنهم^(١) .

وقوله^(٢) : ﴿ ذلك مثاهم في التوراة ومثاهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه ، فأزّره فاستغلظ فاستوى على سوقه . عجيب الزرع ليغيظ بهم الكفار ﴾ .

وغير ذلك من أمورم التي نزل فيها القرآن ؛ فأجابهم وعرفهم بما أوحى إليه من ذلك^(٣) أنه أنكر ذلك أو كذبه ؛ بل أكثرهم صرّح بصحة نبوته ، وصدق مقالتيه ، واعترف بمناديه وحسد إياه ؛ كأهل بجران ، وابن سوريا ، وابني أخطب وغيرهم^(٤) .

ومن باهت في ذلك بعض المباهتة^(٥) ، وادّعى أن فيما عندهم من ذلك لما حكاه مخالفة - دُعي إلى إقامة حجّته ، وكشف دعوته^(٦) ؛ فقبل له^(٧) : ﴿ قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين . فن افتري على الله الكذب من بعد ذلك فأولئك هم الظالمون ﴾ .

(١) حرمت عليهم بيّنهم : أى حرمت عليهم عقوبة لهم بسبب ظلمهم .

(٢) سورة الفتح ، آية ٢٩ ، والإشارة إلى قوله في الآية نفسها : سيأمن في وجوههم من أثر السجود .

(٣) من ذلك : من السابق ذكره . وفي ب : فاسمع عن أحد منهم أنه أنكر . . .

(٤) هو عبد الله بن سوريا : حبر من أحبار اليهود الذين كانوا بالمدينة . وابنا أخطب : هما حي ، وأبو ياسر ؛ وهما يهوديان من يهود المدينة .

(٥) بهته وباهته : إذا كذبه ونسبه للبهتان ، أى من لم يقر بأن ما جاء به عهد صدق ، وادعى أنه كذب ؛ مكابرة منه .

(٦) في ب : وكشف عورته . (٧) سورة آل عمران ، آية ٩٣ ، ٩٤

فقرّع ووبّخ ، ودعاً إلى إحضارٍ ممكّنٍ غيرٍ ممتنعٍ^(١) ؛ فمنٍ مُعترفٍ بما جحدّه ، ومُتوافقٍ^(٢) يُبلى على فضيحتِهِ مِنْ كِتَابِهِ بِيَدِهِ . ولم يُؤثرْ^(٣) أن واحداً منهم أظهرَ خلافَ قولِهِ مِنْ كِتَابِهِ^(٤) ، ولا أبدى صحيحاً ولا سقياً^(٥) مِنْ صُحُفِهِ ؛ قال اللهُ تعالى^(٦) : ﴿ يَا هَلْ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ ، قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ . يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ .

فصل

هذه الوجوه الأربعة من إعجازه بيّنة لا نزاع فيها ولا مريّة^(٧) .
ومن الوجوه البيّنة في إعجازه من غير هذه الوجوه : آى وردت بتعجيز قوم في قضايا^(٨) ، وإعلامهم أنهم لا يفعلونها فما فعلوا ولا قدرُوا على ذلك ؛ كقوله لليهود^(٩) : ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً^(١٠) مِنْ دُونِ النَّاسِ

(١) إحضار ممكّن غير ممتنع : وهو أمرهم بالإتيان بالتوراة ، وهى حاضرة بين أيديهم .
(٢) جحدّه : أنكره . ومتوافق : متكلف للوقاحة ؛ وهى قلة الحياء ، وصلابة الوجه ، حتى لا يبالي بافتضاحه . والمراد به ابن سوريا الذى وضع يده على آية الرجم فقال له ابن سلام : ارفع يدك يا أعور . . . وذلك يفسر ما يأتى بعد فى العبارة .
(٣) ولم يؤثر : لم ينقل . (٤) فى ا : من كتابه .
(٥) ولا سقياً : محرّفاً لفظه أو مؤولاً معناه .
(٦) سورة المائدة ، آية ١٥ ، ١٦ . ويعفو عن كثير : لحسه وستره عليهم ، رجاء هدايتهم بتوفيق الله .
(٧) مريّة : شبهة وشك .
(٨) قضايا : جمع قضية ، وهى الحادثة الواقعة فى حكم قضاء الله تعالى وقدره .
(٩) سورة البقرة ، آية ٩٤ ، قال لهم ذلك لما ادعوا دعواى باطلة ؛ كقولهم : لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى . . .
(١٠) خالصة : خاصة بكم .

فَتَمَنُّوا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ^(١) . وَلَنْ يَتَمَنَّوَهُ أَبَدًا بِمَا قَدِمْتُمْ أَيْدِيَهُمْ . . . ﴿ .
 قال أبو إسحاق الزجاج : في هذه الآية أعظم حجة وأظهر دلالة على صحة
 الرسالة ؛ لأنه قال : ﴿ فَتَمَنُّوا الْمَوْتَ ﴾ ؛ وأعلمهم أنهم لن يتمنَّوه أبداً ، فلم يتمنه
 واحداً منهم .

وعن النبي صلى الله عليه وسلم : والذي نفسي بيده لا يقولها رجلٌ منهم
 إلا غصَّ بريقه^(٢) - يعني يموت مكانه .

فصرفهم الله عن تمنيه وجزعهم ؛ ليظهر صدق رسوله ، وصحة ما أوحى
 إليه ، إذ لم يتمنه أحدٌ منهم ؛ وكانوا على تكذيبه أحرص لو قدزوا ؛ ولكن الله
 يفعل ما يريد ؛ فظهرت بذلك معجزته ، وبانت حجته .

قال أبو محمد الأصبلي : من أعجب أمرهم أنه لا يوجد منهم جماعة ، ولا واحد ،
 من يوم أمر الله بذلك نبيه - يُقدم عليه^(٣) ، ولا يجيب إليه .
 وهذا موجودٌ مشاهدٌ لمن أراد أن يتمنَّه منهم .

وكذلك آية المبالغة^(٤) من هذا المعنى ، حيث وقد عليه أساقفة بجران وأبوا
 الإسلام ؛ فأرسل الله تعالى عليه آية المبالغة بقوله^(٥) : ﴿ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ
 مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَمَآلَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ
 ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴾^(٦) .

(١) إن كنتم صادقين في قولكم : إنكم من أهل الجنة ، وإنها مخصوصة بكم ؛ لأن من تيقن
 دخول الجنة اشتاق لها ، وأحب التخلص من هذه الدار الدنيا وأكدارها .

(٢) تفسير ابن كثير : ١ - ١٨٢ ، النص : ما تقف في الحلق ، وتمنع النفس حتى تهلكه .
 وغص بريقه : وقع الموت به سريماً .

(٣) يقدم عليه : على تمنى الموت . ولا يجيب إليه : أى إلى تمنيه ، إذا قيل له : تمنه .

(٤) المبالغة : الملائعة ، أى الدعاء باللعة على الظالم من الفريقين .

(٥) سورة آل عمران ، آية ٦١

(٦) وأنفسنا وأنفسكم : ليدع بعضنا بعضاً ، فالإنسان لا يدعو نفسه .

فامتنعوا منها^(١) ، وَرَضُوا بِأَدَاءِ الْجِزْيَةِ ؛ وَذَلِكَ أَنَّ « الْعَاقِبَ » عَظِيمَهُمْ قَالَ لَهُمْ : قَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّهُ نَبِيٌّ ، وَأَنَّهُ مَا لَاعَنَ قَوْمًا نَبِيٌّ قَطَّ فَبَقِيَ كَبِيرُهُمْ وَلَا صَغِيرُهُمْ . وَمِثْلُهُ قَوْلُهُ^(٢) : ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ ، وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ . فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا... ﴾ .

فَأَخْبِرُهُمْ أَنَّهُمْ لَا يَفْعَلُونَ ؛ كَمَا كَانَ . وَهَذِهِ الْآيَةُ أُدْخِلُ فِي بَابِ الْإِخْبَارِ عَنِ الْغَيْبِ ، وَلَكِنَّ فِيهَا مِنَ التَّمْجِيزِ مَا فِي التِّي قَبْلَهَا .

فصل

وَمِنْهَا الرُّوعَةُ^(٣) الَّتِي تَلْحَقُ قُلُوبَ سَامِعِيهِ وَأَسْمَاعِهِمْ عِنْدَ سَمَاعِهِ ، وَالْهِيبَةُ الَّتِي تَفْتَرِيهِمْ^(٤) عِنْدَ تَلَاوَتِهِ لِقْوَةَ^(٥) حَالِهِ ، وَإِنَافَةُ خَطَرِهِ^(٦) ؛ وَهِيَ^(٧) عَلَى الْمَسْكَذِّبِينَ بِهِ أَعْظَمُ ، حَتَّى كَانُوا يَسْتَمْتَقُونَ سَمَاعَهُ ، وَيَزِيدُهُمْ نَفُورًا ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى^(٨) ؛ وَبَوَدُّونَ انْقِطَاعَهُ لِكِرَاهَتِهِمْ لَهُ .

(١) مِنْهَا : مِنَ الْمَبَاهِلَةِ .

(٢) سُورَةُ الْبَقَرَةِ ، آيَةُ ٢٣ ، ٢٤ .

(٣) الرُّوعَةُ : الْمَرَّةُ مِنَ الرُّوعِ ، وَهُوَ الْفَزَعُ وَالْحَوْفُ الَّذِي يَطْرَأُ عِنْدَ سَمَاعِهِ لِجَلَالَتِهِ وَهَيْبَتِهِ .

(٤) الْهِيبَةُ : الْخَوْفُ . أَوْ الْإِجْلَالُ . تَعْتَرِيهِمْ : تَطْرَأُ عَلَيْهِمْ وَتَنْشَامُ .

(٥) لِقْوَةُ حَالِهِ : لِمَا فِيهِ مِنَ الْحَالَةِ الْقَوِيَّةِ بِاعْتِبَارِ مَا فِيهِ مِنَ الْمَوَاعِظِ وَالْإِنذَارِ .

(٦) وَإِنَافَةُ خَطَرِهِ : عَلُوُّ مَرْتَبَتِهِ عَلَى غَيْرِهِ مِنَ الْكَلَامِ .

(٧) وَهِيَ : أَى الرُّوعَةُ وَالْهِيبَةُ .

(٨) قَالَ تَعَالَى : « وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَوَّاعٌ عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ نَفُورًا » ؛ أَى

وَلَوْاعٌ مَرْضِينٌ عَنْهُ لِعَدَمِ ذِكْرِ آلِهَتِهِمْ فِيهِ .

ولهذا قال صلى الله عليه وسلم: **إِنَّ الْقُرْآنَ صَعْبٌ مُسْتَصْعَبٌ** ^(١) على مَنْ كَرِهَهُ ؛ وهو الحكم ^(٢) ، وأما المؤمنُ فلا تزالُ رَوْعَتُهُ بِهِ ، وهَيْبَتُهُ إِياه ، مع تِلَاوَتِهِ - تَوَلِيهِ انْجِذَابا ^(٣) ، وَتَكْسِيبُهُ هَشَاشَةً ^(٤) ، لَمَيْلِ قَلْبِهِ إِلَيْهِ ، وَتَصْدِيقِهِ بِهِ ؛ قال تعالى ^(٥) : ﴿ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ، ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ^(٦) 》 .

وقال ^(٧) : ﴿ لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ، وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ 》 .
ويدلُّ على أن هذا ^(٨) شَيْءٌ خُصَّ ^(٩) بِهِ - أَنَّهُ يَعْتَرِي ^(١٠) مَنْ لَا يَفْهَمُ مَعَانِيَهُ ، وَلَا يَعْلَمُ [٩٦] تَفْسِيرَهُ ، كَمَا رُوِيَ عَنِ نَضْرَانِي - أَنَّهُ مَرَّ بِقَارِيٍّ - فَوَقَفَ بِيكِيٍّ ؛ فَقِيلَ لَهُ : مِمَّ بَكَيْتَ ؟ قَالَ : لِلشَّجَا وَالنَّظْمِ ^(١١) .

-
- (١) صعب : أى لا يقدر أحد على محاكاته ، أو شديد . مستصعب : بصر فهمه وتفسيره بالرائى ، ولا يمكن تغييره وتحريفه ، لأنه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، ولأنه ليس من جنس كلام البشر .
- (٢) وهو الحكم : أى الحاكم الفاصل بين الحق والباطل ، بما تضمنه من الأحكام .
- (٣) فى هامش : غ : انجذابا .
- (٤) هشاشة : مسرة وخفة ولينا لما فيه من البشارة السارة والمعاني التي تجعل المؤمن فى نشاط .
- (٥) سورة الزمر ، آية ٢٣ .
- (٦) أى يمرض جلود أبدانهم قشعريرة ، أى قيام ، من الخوف من هيبته ؛ فإذا تأملوه وتدبروه لانت قلوبهم وجلودهم لأنهم وسرورهم به .
- (٧) سورة الحشر ، آية ٢١ .
- (٨) هذا : أى ما يحدث فى القلوب والأسماع من الروعة والمهابة .
- (٩) به : أى القرآن دون غيره من الكلام .
- (١٠) يمتري : يطرأ ويصيب .
- (١١) الشجا : الطرب ، أو الحزن . والنظم : المراد بالنظم رونق انتظامه وحسن انسجامه . فآثر ذلك فى نفسه ، وهو لا يفهمه حتى أبكاه .

وهذه الروعة قد اعترت جماعة قبل الإسلام وبعده ؛ فمنهم من أسلم لما لأول
وهلة وآمن به ، ومنهم من كفر (١) .

فحكى في الصحيح (٢) ، عن جبير بن مطعم ، قال : سمعتُ النبي صلى الله عليه
وسلم يقرأ في المغرب بالطور ، فلما بلغ هذه الآية (٣) : ﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ
الْخَالِقُونَ . أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِلَا يُوقِنُونَ . أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ
الْمُصَيِّرُونَ ﴾ - كاد قلبي أن يطيرَ للإسلام .

وفي رواية : وذلك أول ما وقرَّ (٤) الإيمان في قلبي .

وعن عتبة بن ربيعة (٥) أنه كلم النبي صلى الله عليه وسلم فيما جاء به من خلاف
قومه ، فتلا عليهم (٦) : ﴿ حم - تنزيلٌ من الرحمن الرحيم .. كتاب فصلت آياته
قرآنا عربيا لقوم يعلمون . بشيرا ونذيرا فاعرض أكرمهم فهم لا يسمعون . وقالوا
ظلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه وفي آذاننا وقرء ومن بيننا وبينك حجاب فاعمل
إننا عاملون . قل إنما أنا بشرٌ مثلكم يُوحى إليّ أنما إليكم إلهٌ واحد فاستقيموا
إليه واستغفروه وويلٌ للمشركين . الذين لا يؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم كافرون .
إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجرٌ غيرٌ ممنون . قل أئنكم لتكفرون
بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أندادا ذلك رب العالمين . وجعل فيها رواسي

(١) ومنهم من كفر : أى ومنهم من دام واستمر على كفره ، لإصراره على عناده .

(٢) رواه الشيخان مسندا .

(٣) سورة الطور ، آية ٣٥ - ٣٧ . من غير شيء : من غير خالق لهم ، أم هم الخالقون

لأنفسهم . والليطرون : المدبرون للأشياء كما يريدون . والحديث في صحيح مسلم : ٦ - ١٧٥ ،

وصحيح البخارى : ٦ - ١٧٥ ، ودلائل النبوة لأبي نعيم : ١ - ٣٠٨

(٤) وقر : ثبت .

(٥) هذا الحديث رواه ابن إسحاق في سيرة ابن هشام ١ - ٣١٤

(٦) سورة فصلت ، من آية ١ إلى ١٣

من فوقها وبارك فيها وقدّر فيها أوقاتها في أربعة أيامٍ سواءً للسائلين . ثم استوى إلى السماء وهي دُخانٌ فقال لها وللأرضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا : أَتَيْنَا طَائِعِينَ . فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ ، وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ . فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١﴾ .

فَأَمَّاكَ عْتَبَةٌ بِيَدِهِ عَلَى فِي النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَنَاشِدَةُ الرَّحِمِ أَنْ يَكْفَ (١) .

وفي رواية (٢) : فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ وعتبة مضع مضع يديه خلف ظهره ، مُعْتَمِدٌ عَلَيْهِمَا ، حَتَّى انْتَهَى إِلَى السُّجْدَةِ (٣) ؛ فَسَجَدَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَقَامَ عْتَبَةٌ لَا يَدْرِي بِمَا يُرَاجِعُهُ (٤) ، وَرَجَعَ إِلَى أَهْلِهِ ، وَلَمْ يَخْرُجْ إِلَى قَوْمِهِ حَتَّى أَتَوْهُ ؛ فَاعْتَذَرَ لَهُمْ ، وَقَالَ : وَاللَّهِ لَقَدْ كَلَّمَنِي بِكَلَامٍ وَاللَّهِ مَا سَمِعْتُ أَذْنَآيَ بِمِثْلِهِ قَطُّ ؛ فَمَا دَرَيْتُ مَا أَقُولُ لَهُ .

وقد حُكِيَ عَنْ غَيْرِ وَاحِدٍ مِنْ رِجَالِ رَامٍ مُعَارَضَتَهُ (٥) أَنَّهُ اعْتَرَتْهُ رَوْعَةٌ وَهَيْبَةٌ كَفَّ بِهَا عَنْ ذَلِكَ .

فَحُكِيَ أَنَّ ابْنَ الْمُقَفَّعِ طَلَبَ ذَلِكَ وَرَامَهُ ، وَشَرَعَ فِيهِ ؛ فَرَأَى بِصَبِيٍّ يَقْرَأُ (٦) :

(١) أَنْ يَكْفَ : أَيْ سَأَلَهُ مَقْسَمًا عَلَيْهِ بِالْقَرَابَةِ الْقَرِيبَةِ الْمُتَقَضِيَةِ لِلرَّحْمَةِ وَالْعَمْطَفِ عَلَيْهِمْ أَنْ يَكْفَ عَنِ الْقِرَاءَةِ وَيَمْتَنِعَ عَنْهَا .

(٢) وَهِيَ لِابْنِ إِسْحَاقَ أَيْضًا فِي سِيرَتِهِ عَنْ كَعْبِ الْقُرْظِيِّ .

(٣) السُّجْدَةُ فِي الْآيَةِ رَقْمٌ ٣٧ مِنْ سُورَةِ فَصَلَتْ : «لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَاللَّقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَنَ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ» .

(٤) بِمَا يُرَاجِعُهُ : بِأَيِّ شَيْءٍ يَكَلِّمُهُ بَعْدَ تَلَاوُثِهِ ؛ لِرَوْعَتِهِ الَّتِي أَدْهَشَتْهُ بِمَا سَمِعَ مِنْهُ .

(٥) رَامَ : طَلَبَ وَقَصَدَ . مُعَارَضَتَهُ : أَنْ يَأْتِيَ بِكَلَامٍ يَمِثَلُهُ فِي الْبَلَاغَةِ .

(٦) سُورَةُ هُودَ ، آيَةٌ ٤٤

﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَيْي مَاءَكِ﴾ - فَرَجَعَ فَمَحَا مَا عَمِلَ؛ وَقَالَ: أَشْهَدُ أَنْ هَذَا لَا يُعَارِضُ،
وَمَا هُوَ مِنْ كَلَامِ الْبَشَرِ؛ وَكَانَ مِنْ أَفْصَحِ أَهْلِ وَقْتِهِ .

وَكَانَ يَحْيَى بْنُ حَكَمٍ ^(١) الْغَزَالِ بَلِيغَ الْأَنْدَلُسِ فِي زَمَانِهِ؛ فَحَكِي أَنَّهُ رَامَ
شَيْئًا مِنْ هَذَا، فَنَظَرَ فِي سُورَةِ الْإِخْلَاصِ لِيَحْذُوا عَلَى مِثَالِهَا ^(٢)، وَيَنْسُجَ - بَزَعِيهِ -
عَلَى مِثْوَالِهَا - قَالَ: فَأَعْتَرَنِي خَشْيَةٌ وَرِقَّةٌ حَمَلْتَنِي عَلَى التَّوْبَةِ وَالْإِنَابَةِ ^(٣) .

فصل

وَمِنْ وَجُوهِ إِعْجَازِهِ الْمُدَوَّدَةِ كَوْنُهُ آيَةً بَاقِيَةً لَا تُعَدَّمُ مَا بَقِيَتْ الدُّنْيَا مَعَ تَكْفُلِ
اللَّهِ بِحِفْظِهِ؛ فَقَالَ ^(٤): «إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ» .

وَقَالَ ^(٥): «لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ» ^(٦)، تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ

حَكِيمٍ .

وَسَائِرُ مُعْجِزَاتِ الْأَنْبِيَاءِ انْقَضَتْ بِانْقِضَاءِ أَوْقَاتِهَا، فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا خَبْرُهَا؛
وَالْقُرْآنُ الْعَزِيزُ، الْبَاهِرَةُ آيَاتُهُ، الظَّاهِرَةُ مُعْجِزَاتُهُ عَلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ الْيَوْمَ ^(٧) -
مُدَّةَ خَمْسَمِائَةِ عَامٍ وَخَمْسٍ ^(٨) وَثَلَاثِينَ سَنَةً لِأَوَّلِ ^(٩) نَزْوَلِهِ إِلَى وَقْتِنَا هَذَا - حِجَّتُهُ

(١) فِي الشَّعْبَةِ: ابْنُ حَكِيمٍ . (٢) لِيَحْذُوا عَلَى مِثَالِهَا: لِيَقُولَ بِمِثْلِهَا .

(٣) الْإِنَابَةُ: الرَّجُوعُ عَنْ ذَلِكَ . وَفِي ب: وَالْأَوْبَةُ .

(٤) سُورَةُ الْحَجْرِ، آيَةُ ٩ (٥) سُورَةُ فَصَلت، آيَةُ ٤٢

(٦) مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ: لَا يَجِدُ إِلَيْهِ سَبِيلًا مِنْ جِهَةٍ مِنْ الْجِهَاتِ يَبْطُلُهُ، وَلَا
يَكُونُ قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ مَا يَكْذِبُهُ أَوْ يَنْسُخُهُ .

(٧) عَلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ الْيَوْمَ: أَيُّ إِلَى يَوْمِنَا هَذَا، وَالْمُرَادُ بِالْيَوْمِ عَصْرُ اللَّوْلَفِ .

(٨) فِي ب: وَسَبْعٍ . وَفِي هَامِشِهِ: وَالظَّاهِرُ: وَخَمْسٍ .

(٩) لِأَوَّلِ نَزْوَلِهِ: أَيُّ مِنْ ابْتِدَاءِ الْوَحْيِ وَنَزْوَلِ الْقُرْآنِ إِلَى وَقْتِ تَأْلِيفِ الْمَنْصُفِ لِهَذَا

الْكِتَابِ .

قاهرة^(١)، ومعارضته مُتَمَنِّعَةً، والأعصارُ كُلُّهَا طافحة^(٢) بأهلِ البيانِ، وحملةِ علمِ
اللسانِ، وأئمةِ البلاغةِ، وفُرُسانِ الكلامِ، وجهاً بذة^(٣) البراعةِ؛ والمُلْحِدُ^(٤)
فيهم كثيرٌ، والمُعَادِي للشرعِ عَتِيدٌ^(٥)؛ فإِ مِنْهُم مَنْ أَتَى بِشَيْءٍ يُؤَثِّرُ^(٦) فِي مُعَارَضَتِهِ،
وَلَا أَلْفَ كَلِمَتَيْنِ فِي مُنَاقَضَتِهِ، وَلَا قَدَّرَ فِيهِ عَلَى مَطْمَنِ صَحِيحٍ، وَلَا قَدَحَ الْمُتَكَفُّ
مِنْ ذِهْنِهِ فِي ذَلِكَ إِلَّا بَرَزَ نَدِي شَحِيحٍ^(٧)؛ بَلِ الْمَأْمُورُ عَنْ كُلِّ مَنْ رَامَ ذَلِكَ إِتْقَانَهُ
فِي الْعَجْزِ بِيَدَيْهِ، وَالنَّكُوصِ^(٨) عَلَى عَقَبَيْهِ.

فصل

وقد عدَّ جماعةٌ من الأئمةِ ومُقلِّدِي الأئمةِ في إعجازِهِ وجوهِاً كثيرةً؛ منها أن قارئَهُ لَا يَمْلَهُ،
وَسَامِعَهُ لَا يَمِجُّهُ^(٩)؛ بَلِ الْإِكْبَابُ عَلَى [٩٧] تَلَاوَتِهِ^(١٠) يَزِيدُهُ حَلَاوَةً، وَتَرْدِيدُهُ يُوْجِبُ لَهُ
مَحَبَّةً؛ لَا يَزَالُ غَضًّا طَرِيًّا^(١١)، وَغَيْرُهُ مِنَ الْكَلَامِ - وَلَوْ بَلَغَ^(١٢) فِي الْحُسْنِ وَالْبَلَاغَةِ مَبْلَغَهُ -

- (١) قاهرة : غالبة . وفي ب : ظاهرة .
- (٢) والأعصار : جمع عصر . طافحة : تفيض وتتدفق .
- (٣) جهاً بذة : جمع جهيد ، والجهيد : للعالم النحرير ، والنقاد البصير ، والصابغ الماهر الخبير .
- (٤) الملحد : المائل عن الحق .
- (٥) عتيد : مهياً حاضر باذل جهده في عداوته .
- (٦) يؤثر : يحفظ وينقل .
- (٧) الشحيح : البخيل ؛ أي لم ينده قدحه شيئاً غير الخيبة .
- (٨) النكوص : الرجوع عما قاله بالاعتراف بمعجزه .
- (٩) لا يمله : لا يسأم من كثرة قراءته ، ولو أعاده مرارا . لا يمجج : لا يكره تكراره .
- (١٠) الإكباب على تلاوته : ملازمة قراءته وتكراره .
- (١١) لا يزال : كلما كرر . غضاً : جديداً . طرياً : رطباً ناعماً ، فلا تنفخ بهجته ونضارته .
- (١٢) أي لو فرض ذلك .

يَمَلُّ مع التريديد، وبُعَادَى إِذَا أُعِيدَ؛ وَكِتَابُنَا^(١) يُسْتَلَذُّ به في الخلواتِ، وَبُوَسَّ بتلاوته في الأزمات^(٢)؛ وَسِوَاهُ مِنَ السُّكُتِ لَا يُوجَدُ فِيهَا ذَلِكَ؛ حَتَّى أَحْدَثَ أَصْحَابُهَا لِحُونًا وَطُرُقًا يَسْتَجَلِبُونَ^(٣) بِتِلْكَ اللَّحُونِ تَنْشِيطَهُمْ عَلَى قِرَائَتِهَا .

ولِذَا وَصَفَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلْقُرْآنِ أَنَّهُ لَا يَخْلُقُ عَلَى كَثْرَةِ الرَّدِّ^(٤)، وَلَا تَنْقُضِي عِبْرَهُ^(٥)، وَلَا تَفْنَى عَجَائِبُهُ؛ هُوَ الْفَصْلُ لَيْسَ بِالْهَزْلِ^(٦)، لَا يَشْبَعُ^(٧) مِنْهُ الْعُلَمَاءُ، وَلَا تَزْيِغُ^(٨) بِهِ الْأَهْوَاءُ، وَلَا تَلْتَبِسُ بِهِ الْأَلْسِنَةُ^(٩)؛ هُوَ الَّذِي لَمْ تَنْتَهِ الْجِنُّ حِينَ سَمِعْتَهُ أَنْ قَالُوا^(١٠): ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا . يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ﴾ .

ومِنْهَا جَمَعَهُ لِعُلُومٍ وَمَعَارِفٍ لَمْ تَعْمَدِ^(١١) الْعَرَبُ عَامَّةً وَلَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْلَ نُبُوَّتِهِ خَاصَّةً، بِمَعْرِفَتِهَا، وَلَا الْقِيَامَ بِهَا؛ وَلَا يُحِيطُ بِهَا أَحَدٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ الْأُمَمِ، وَلَا يَشْتَمَلُ عَلَيْهَا كِتَابٌ مِنْ كِتَابِهِمْ؛ فَجُمِعَ فِيهِ مِنْ بَيَانِ عِلْمِ الشَّرَائِعِ،

(١) أَى الْقُرْآنِ .

(٢) الْأَزْمَاتُ : جَمْعُ أَزْمَةٍ ؛ وَهِيَ الشَّدَّةُ .

(٣) يَسْتَجَلِبُونَ : يَطْلُبُونَ وَجُودَهَا ، أَوْ يَجْلِبُونَهَا لَهُمْ وَلَمَّا يَسْمَعُ .

(٤) لَا يَخْلُقُ : لَا يَبْلِي وَلَا يَتَغَيَّرُ حَالُهُ بِمَرُورِ الزَّمَانِ . وَالرَّدُّ : التَّرِيدُ وَالتَّكْرَارُ .

(٥) عِبْرُهُ : الْمُرَادُ بِهَا عَجَائِبُهُ ، أَوْ مَوَاعِظُهُ الَّتِي بِهَا يَتَّبَعُ .

(٦) هُوَ الْفَصْلُ : الْحَدُّ الْفَاصِلُ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ . لَيْسَ بِالْهَزْلِ : أَمْرُهُ جَدُّ كُلِّهِ .

(٧) فِي ب : وَلَا يَشْبَعُ .

(٨) لَا تَزْيِغُ : لَا تَمِيلُ وَتَمْدُلُ عَنْ مَنَهِجِهِ .

(٩) وَلَا تَلْتَبِسُ بِهِ الْأَلْسِنَةُ : الْمَعْنَى أَنَّهُ لَا يَشْبَهُ غَيْرَهُ مِنَ الْكَلَامِ ، فَلَا يُمْكِنُ اخْتِلَاطُهُ بِهِ وَإِدْخَالُهُ فِيهِ ؛ لِأَنَّ أَسْلُوبَهُ وَنَظْمَهُ لَا يَشْبَهُ غَيْرَهُ ؛ فَالْمُرَادُ أَنَّهُ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَدَسَّ فِيهِ دَسِيسَةٌ .

(١٠) سُورَةُ الْجِنِّ ، آيَةٌ ١ ، ٢ . يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ : يَدُلُّ عَلَى الصَّوَابِ ، مِنَ الْإِيمَانِ

وَالتَّوْحِيدِ . وَالحَدِيثُ فِي صَحِيحِ التِّرْمِذِيِّ ، مِنْ طَرِيقِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ : ٥ - ١٧٢ . وَفِي

هَامِشِ ب : وَقَدْ خَرَجَ هَذَا الْحَدِيثُ التِّرْمِذِيُّ مِنْ طَرِيقِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، وَفِي سَنَدِهِ الْحَارِثُ

الْأَعْوَرُ . هَذَا مِنْ غَيْرِ النُّسخَةِ الْمُنْقُولِ عَنْهَا . وَهِيَ نُسْخَةٌ مَعْتَمَدَةٌ .

(١١) لَمْ تَعْمَدِ الْعَرَبُ : أَى لَمْ تَعْرِفْهُ فِي زَمَانِهَا وَعَهْدِهَا .

والتنبيه على طُرُق الحُجَجِ العَقْلِيَّاتِ ^(١) ، والرَّدُّ على فِرَقِ الأُممِ ؛ بِيَرَاهِينِ قَوِيَّةٍ ،
وَأَدِلَّةٍ بَيِّنَةٍ سَهْلَةٍ الأَلْفَاظِ ، مَوْجِزَةٍ المَقَاصِدِ ، رَامَ المُتَحَدِّثُونَ بَعْدُ - أَنْ يَنْصِبُوا ^(٢)
أَدَلَّةً مِثْلَهَا فَلَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهَا ؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى ^(٣) : ﴿ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ ﴾ .

و ^(٤) : ﴿ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ .

و ^(٥) : ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ .

إِلَى مَا حَوَّاهُ مِنْ عُلُومِ السَّيْرِ ، وَأَنْبَاءِ الأُممِ ، وَالمَوَاعِظِ ، وَالحِكْمِ ، وَأَخْبَارِ
الدَّارِ الآخِرَةِ ، وَمَحَاسِنِ الآدَابِ وَالشِّيمِ ^(٦) .

قَالَ اللَّهُ - جَلَّ اسْمُهُ ^(٧) : ﴿ مَا فَرَطْنَا فِي الكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾ .

و ^(٨) : ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الكِتَابَ تَبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ ﴾ .

و ^(٩) : ﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا القُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ ﴾ .

(١) والتنبيه على طرق الحجج العقلية : أى تنبيه الناس وإرشادهم إلى نصب الأدلة العقلية
وكيفية إلزام الخصم بها . وفي هامش ا : خ : العقلية .

(٢) المتحدلقون : هم أهل الحدق الباحثون عن الأمور (هامش ب) . وقال الشهاب :
المتحدلقون : الذين يدعون الحدق ، وهو سرعة الفهم ؛ أى قصد الذين يدعون الذكاء فى
العلم وإقامة البراهين أن ينصبوا أدلة ؛ أن يقيموا أدلة .

(٣) سورة يس ، آية ٨١ (٤) سورة يس ، آية ٧٩

(٥) سورة الانبياء ، آية ٢٢

(٦) الشيم : جمع شيمة ، وهى الطبيعة ، والحلق .

(٧) سورة الأنعام ، آية ٣٨ ، أى لم تترك شيئاً يحتاج إليه إلا بيناه فى القرآن ، على أن

للمراد بالكتاب القرآن لا اللوح المحفوظ .

(٨) سورة النحل ، آية ٨٩ ، تبيان لكل شىء : مبيناً لكل شىء يحتاج إليه .

(٩) سورة الروم ، آية ٥٨ ، من كل مثل : أى أتينا لكل أمرهم بمثال يوضحه .

وقال - صلى الله عليه وسلم ^(١) : إن الله أنزل هذا القرآن أمراً وجزاءً ^(٢) ،
وسنة خالية ^(٣) ، ومثلاً مضرّوباً ، فيه نبؤكم ^(٤) ، وخبر ما كان قبلكم ، ونبأ
ما بعدكم ، وحكم ما بينكم ^(٥) ، لا يخلقُه طولُ الردِّ ، ولا تنقضي عجائبه ؛ هو
الحقُّ ليس بالهزل ؛ مَنْ قال به صدق ، ومَنْ حَكَمَ به عدلٌ ، ومَنْ خاصمَ به فلج ^(٦) ،
ومَنْ قَسَمَ به أقسط ^(٧) ، ومَنْ عَمِلَ به أجر ^(٨) ، ومَنْ تَمَسَّكَ به هُدًى إلى صراطٍ
مُسْتَقِيمٍ ؛ ومَنْ طَلَبَ الهدى مِنْ غيرِه أضلَّهُ اللهُ ؛ ومَنْ حَكَمَ بغيرِه قَصَمَهُ اللهُ ^(٩) ؛
هو الذِّكْرُ الحكيمُ ، والنُّورُ المبينُ ، والصِّراطُ المستقيمُ ، وحَبْلُ اللهِ المتينُ ^(١٠) ،
والشِّفاءُ النافعُ ، عِصْمَةٌ لِمَنْ تَمَسَّكَ بِهِ ، وَنَجَاةٌ لِمَنْ اتَّبَعَهُ ، لا يَعوُجُ فيقومُ ^(١١) ،
ولا يَزِيغُ فيستعْتَبُ ^(١٢) ، ولا تنقضي عجائبه ، ولا يخلقُ على كثرة الردِّ .

- (١) في حديث رواه الترمذى : ٥ - ١٧٢ ، قال أبو عيسى : هذا حديث لانعرفه إلا من
هذا الوجه ، وإسناده مجهول ، وفي الحارث مقال . (٢) وجزاء : مانما وناهايا .
(٣) وسنة خالية : طريقة متبعة مستقيمة لمن كان قبلكم من الأمم . (٤) النبأ : الخبر .
(٥) وحكم ما بينكم : أى بيان للأحكام فيما يقع ويحدث بينكم معاشر هذه الأمة المحمدية .
(٦) من خاصم به : من خاصم بحجة وأدلة مأخوذة منه . فلج : غلب ، وفاز بالنصر .
وفي هامش ب : فلج : انتصر .
(٧) أقسط : عدل . أى من تولى قسمة فقسما بما فى كتاب الله كقسمة الموارث والفتنم
وغيرها عدل . (٨) أجر : نال الأجر والثواب الجزيل .
(٩) قصمه الله : قتله وأهلكه هلاكاً شديداً .
(١٠) حبل الله المتين : عهده وأمانه الذى يؤمن به المغاب ، وكل ما يكره ويشق على النفس ،
ويتوصل به إلى ما ينجى ويوصل إلى المطالب . والمتين : القوى المحكم .
(١١) لا يعوج : ليس فيه خلل لفظاً ولا معنى . فيقوم : فيحتاج إلى تقويم يزيل عوجه ؛
فليس كغيره من الكلام المحتاج للإصلاح .
(١٢) لا يزيغ : لا يميل عن الحق والصواب . فيستعيب : لا يستحق العتاب واللوم لعدم خروجه
عن الاستقامة .

ونحوه عن ابن مسعود^(١) ؛ وقال فيه : ولا يختلف ، ولا يتشأن^(٢) ،
فيه نبأ الأولين والآخرين .

وفي الحديث^(٣) : قال الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم : إني منزلٌ عليك
توراة^(٤) حديثة ، تفتحُ بها أعينا عمياً ، وآذانا صمًا ، وقلوباً غلغفا^(٥) ، فيها ينابيعُ
العلم^(٦) ، وفهمُ الحكمة ، وربيعُ القلوب^(٧) .

وعن كعب : عليكم بالقرآن ، فإنه فهمُ العقول^(٨) ، ونورُ الحكمة .
وقال الله تعالى^(٩) : ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَاقُصُّ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ
فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ .

وقال^(١٠) : ﴿ هَذَا بَيَّانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ .

(١) قال السيوطي : رواه الحاكم من ابن مسعود .

(٢) لا يختلف : لا يقع فيه ما يخالف بضمه مع طوله . وفي ا : لا يخلق - بالقاف .
يتشأناً : المراد خلوه من تنافر الكلمات وعدم تناسبها ؛ فهو لا يكره ولا يمل . وفي هامش ا :
حوايه : ولا يتشأن - بالتشديد ؛ أى لا يخلق على الرد ، مأخوذ من الشن ، وهو الجلد اليابس
البالي ؛ أى لا تذهب طلاوته ، ولا تبلى طراوته حين تكثر تلاوته ، لما أودع فيه من بدائع
الكمال ، وروائع الجمال .

(٣) قال الشهاب : رواه ابن الضريس في فضائل القرآن عن كعب الأخبار . وهو حديث
قدسى .
(٤) توراة حديثة : أى كتاباً سماوياً شبيهاً بالتوراة .
(٥) غلغفا : لا يصل إليها ما يهدبها إلى السعادة ، كأنها في غلاف وغشاء مانع عن وصول
الحق إليها .

(٦) فيها ينابيع العلم : فيها : فى التوراة الحديثة - يعنى القرآن . ينابيع . جمع ينبوع ،
وهو العين التى ينبع منها الماء الجارى ؟ فشبه العلم بالماء الذى تحيا به النفوس .

(٧) ربيع القلوب : الربيع يكون بمعنى الحصب والطر ؛ أى فيها ما يحيا به القلوب ، وتنمو
وتخصب ، وتمرح وتسرح ، وتفرح . (٨) فهم العقول : أى مفهم للعقول ما يخفى عليها .

(٩) سورة آل عمران آية ١٣٨

(١٠) سورة النمل ، آية ٧٦

فَجُمِعَ [٩٨] فِيهِ مَعَ وَجَازَةِ أَلْفَاظِهِ، وَجَوَامِعَ كَلِمِهِ ^(١) أَضْعَافُ مَا فِي الْكُتُبِ قَبْلَهُ
الَّتِي أَلْفَاظُهَا عَلَى الضَّعْفِ مِنْهُ مَرَاتٍ .

وَمِنْهَا ^(٢) جَمْعُهُ فِيهِ بَيْنَ الدَّلِيلِ وَمَدُّوْلِهِ ^(٣) ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُ احْتَجَّ بِنَظْمِ الْقُرْآنِ ،
وَحُسْنِ رِصْفِهِ ^(٤) وَإِيجَازِهِ وَبِلَاغَتِهِ ؛ وَأَثْنَاءَ هَذِهِ ^(٥) الْبَلَاغَةِ أَمْرُهُ وَنَهْيُهُ ، وَوَعْدُهُ
وَوَعِيدُهُ ؛ فَالتَّالِي ^(٦) لَهُ يَفْهَمُ مَوْضِعَ الْحُجَّةِ وَالتَّكْلِيفِ مَعَا مِنْ كَلَامٍ وَاحِدٍ ،
وَسُورَةٍ مُنْفَرَدَةٍ .

وَمِنْهَا ^(٧) أَنْ جَعَلَهُ فِي حَيْزِ الْمَنْظُومِ الَّذِي لَمْ يُمَهَّدْ ^(٨) ، وَلَمْ يَكُنْ فِي حَيْزِ الْمُنْثُورِ ؛
لِأَنَّ الْمَنْظُومَ أَسْهَلُ عَلَى النُّفُوسِ ، وَأَوْعَى لِلْقُلُوبِ ، وَأَسْمَحُ ^(٩) فِي الْأَذَانِ ، وَأَحْلَى عَلَى
الْأَفْهَامِ ، فَالنَّاسُ إِلَى أَمِيلٍ ، وَالْأَهْوَاءُ إِلَيْهِ أَسْرَعُ .

وَمِنْهَا تَسْيِيرُهُ تَعَالَى حِفْظَهُ لِمَتَلَمِّيهِ ، وَتَقْرِيْبُهُ عَلَى مَتَحَفْظِيهِ ^(١٠) ؛ قَالَ اللَّهُ
تَعَالَى ^(١١) : ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ ﴾ .

(١) جُمِعَ فِيهِ : فِي الْقُرْآنِ . مَعَ وَجَازَةِ لَفْظِهِ : اخْتِصَارُهَا وَقَلَّتْهَا مَعَ كَثْرَةِ مَعَانِيهِ . وَجَوَامِعَ
كَلِمَةٍ : الْجَامِعَ لِلْمَعَانِي الْجَمَّةِ فِي الْفَافِظِ قَلِيلَةٍ وَاضِحَةٍ .

(٢) وَمِنْهَا : مِنْ وَجْهِهِ الْإِعْجَازِ الَّتِي ذَكَرُوهَا .

(٣) الدَّلِيلُ : هُوَ الدَّالُّ الْمُرْشِدُ ؛ أَيْ يُمْكِنُ التَّوَصُّلُ بِالنَّظَرِ فِيهِ إِلَى مَطْلُوبِ خَبْرِي .

وَالْمَدْلُولُ : هُوَ الْمَطْلُوبُ بِالدَّلِيلِ هُنَا . (٤) حَسَنَ رِصْفِهِ : الْمُرَادُ حَسَنَ نَظْمِهِ وَتَأْلِيْفِهِ .

(٥) وَأَثْنَاءَ هَذِهِ الْبَلَاغَةِ : فِي خِلَالِهَا . (٦) التَّالِي لَهُ : الْقَارِئُ لَهُ يَفْهَمُ وَتَدْبُرُ لِمَعَانِيهِ .

(٧) وَمِنْهَا : وَمِنْ وَجْهِهِ إِعْجَازِهِ . (٨) لَمْ يُمَهَّدْ : لَا يَشَابَهُ شَيْئًا مِنْ كَلَامِهِمُ الْمَنْظُومِ .

(٩) وَأَسْمَحُ : مِنَ السَّاحِ ، أَيْ أَسْهَلُ قَبُولًا ، وَأَقْرَبُ وَصُولًا .

(١٠) عَلَى مَتَحَفْظِيهِ : أَيْ تَسْهِيلُ حِفْظِهِ لِمَنْ يَرِيدُ .

(١١) سُورَةُ الْقَمَرِ ، آيَةُ ١٧

وَفِي الْكَشَافِ (٢ - ٤٢١) : مَعْنَى الْآيَةِ : سَهَّلْنَا لِلذِّكْرِ وَاللِّتَمَازِ ، بِأَنَّ شَحْنَاهُ
بِالْمَوَاعِظِ الشَّافِيَةِ ، وَصَرَفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ . وَقِيلَ : سَهَّلْنَا لِلْحِفْظِ ، وَأَعْنَاهُ عَلَيْهِ
مَنْ أَرَادَ حِفْظَهُ .

وسائرُ الأُمِّ لا يُحَفِّظُ كُتُبَهَا الواحدُ منهم ، فكيف الجماعة ^(١) على مُرور السنين عليهم . والقرآنُ مُيسَّرُ حِفْظِهِ لِلْعُلَمَانِ فِي أَقْرَبِ مُدَّةٍ .

ومنها مُشاكَلَةٌ بِمَعْضِ أَجْزَائِهِ بِمَعْضِ ^(٢) ، وَحُسْنُ انْتِلافِ أَنْواعِها ، وَالتَّيْنَامِ أَقسامِها ^(٣) ؛ وَحُسْنُ التَّخْلُصِ مِنْ قِصَّةٍ إِلَى أُخْرَى ، وَالخُرُوجِ مِنْ بابٍ إِلَى غَيْرِهِ عَلَى اِختِلافِ مَعانِيهِ ، وَانقسامِ السُّورَةِ الواحدةِ إِلَى أُمُورٍ وَنَهْيٍ ، وَخَبَرٍ وَاسْتِخْبَارٍ ^(٤) ، وَوَعْدٍ وَوَعْدٍ ، وَإِثباتِ نُبُوَّةٍ ، وَتوحيدِ وَتَفْريدٍ ^(٥) ، وَتَرْغِيبٍ وَتَرْهيبٍ ^(٦) ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ فَوائِدِهِ ، دُونَ خَلَلٍ يَتَخَلَّلُ فِصُولَهُ ^(٧) .

وَالكَلَامُ الفَصِيحُ إِذا اِعْتَوَرَهُ مِثْلُ هَذَا ضَعْفَتْ قُوَّتُهُ ، وَلا نَتَّ جَزائِلَهُ ، وَقَلَّ رَوْنَقُهُ ^(٨) ، وَتَقَلَّتْ أَلْفاظُهُ .

فَتأملُ أَوَّلَ «ص» ، وَما جُمِعَ فِيها مِنْ أَخْبارِ الكُفْارِ وَشِقائِقِهِمْ وَتَقَرُّ بِعَمِهِمْ بِإِهْلاكِ القُرُونِ مِنْ قَبْلِهِمْ ، وَما ذُكِرَ مِنْ تَكْذِيبِهِمْ بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَتَعْجَبِهِمْ مِمَّا آتَى بِهِ ، وَالْخَبَرِ عَنِ اجْتِماعِ مَلئِهِمْ ^(٩) عَلَى الكُفْرِ ، وَما ظَهَرَ مِنَ الحَسَدِ فِي كَلامِهِمْ ، وَتَعْجِيزِهِمْ وَتَوْهِينِهِمْ ^(١٠) ، وَوَعْدِهِمْ بِحِزْبِ الدُّنْيا وَالْآخِرَةِ ، وَتَكْذِيبِ الأُمِّ قَبْلَهُمْ ،

(١) الجماعة : الكثير . وفي ب : الجم ، وهو بمعنىناه .

(٢) مشاكلة بمعنى أجزاءه بعضا : مشابهة بمعنى بعض .

(٣) التئام أقسامها : توافقها ، وانضمام كل قسم إلى مشاكلة .

(٤) استخبار : استفهام . (٥) في ا : وتقرير .

(٦) ترهيب : تخويف .

(٧) دون خلل : أي أمر يخل به وينقصه يكون في أثناء كلامه .

(٨) اعتوره : ورد وطرا عليه . مثل هذا : يريد إذا تضمن أنواعا من المقاصد . جزائله :

صلايته وقوته . رونقه : صفاؤه .

(٩) اللأ : جماعة الاشراف والرؤساء .

(١٠) توهينهم : إظهار ضعفهم .

وإِهْلَاكِ اللَّهِ لِمَنْ ، وَوَعِيدِ هَؤُلَاءِ مِثْلَ مُصَابِهِمْ ^(١) ، وَتَصْبِيرِ النَّبِيِّ عَلَى أَذَاهُمْ ، وَتَسْلِيَتِهِ بِكُلِّ مَا تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ ؛ ثُمَّ أَخَذَ فِي ذِكْرِ دَاوُدَ وَقَصَصِ الْأَنْبِيَاءِ ؛ كُلُّ هَذَا فِي أَوْجَزِ كَلَامٍ وَأَحْسَنِ نِظَامٍ .

وَمِنْهُ ^(٢) الْجُمْلَةُ الْكَثِيرَةُ ^(٣) الَّتِي انطَوَتْ عَلَيْهَا الْكَلِمَاتُ الْقَلِيلَةُ ؛ وَهَذَا كُلُّهُ وَكَثِيرٌ مِمَّا ذَكَرْنَا أَنَّهُ ذُكِرَ فِي إِعْجَازِ الْقُرْآنِ ، إِلَى وَجُوهِ كَثِيرَةٍ ذَكَرَهَا الْأُمَّةُ لَمْ نَذْكُرْهَا ؛ إِذَا كَثُرَ مَا دَاخَلَ فِي بَابٍ بِبَلَاغَتِهِ ؛ فَلَا يَجِبُ ^(٤) أَنْ يُعَدَّ فَنَاءً مُنْفَرِدًا فِي إِعْجَازِهِ ؛ إِلَّا فِي بَابِ تَفْصِيلِ فُنُونِ الْبَلَاغَةِ ؛ وَكَذَلِكَ كَثِيرٌ مِمَّا قَدَّمْنَا ذِكْرَهُ عَنْهُمْ يُعَدُّ فِي خَوَاصِّهِ وَفَضَائِلِهِ ، لَا إِعْجَازِهِ .

وَحَقِيقَةُ الْإِعْجَازِ الْوَجُوهُ الْأَرْبَعَةُ الَّتِي ذَكَرْنَا ؛ فَلْيَعْتَمِدْ عَلَيْهَا ، وَمَا بَعْدَهَا مِنْ خَوَاصِّ الْقُرْآنِ وَعَجَائِبِهِ الَّتِي لَا تَنْقُضِي . وَاللَّهُ وَلِيُّ ^(٥) التَّوْفِيقِ .

فصل

فِي انشِقَاقِ الْقَمَرِ وَحَبْسِ الشَّمْسِ ^(٦)

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ^(٧) : ﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ . وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرَضُوا وَيَقُولُوا : سِحْرٌ ^(٨) مُسْتَمِرٌّ ﴾ .

(١) بقوله تعالى : وما ينظر هؤلاء إلا صيحة واحدة ما لها من فواق .

(٢) من وجوه إعجازه . (٣) الكثيرة - يريد الكثيرة للماني .

(٤) في ١ : فلا يجب . (٥) في ١ : وبالله التوفيق .

(٦) هذا الفصل في ذكر معجزته صلى الله عليه وسلم بشق القمر له ، وجمعه فلقين . وفي

منع الشمس عن مسيرها للغروب ، كما سيأتي بيانه .

(٧) سورة القمر ، آية ١

اقتربت : صارت قريبة من بئته صلى الله عليه وسلم ؛ كما في ورد في الحديث : بعثت أنا

والساعة كهاتين - وأشار بإصبعه الوسطى والسبابة .

(٨) سحر مستمر : دائم ، أو محكم .

أخبر تعالى بوقوع انشقاقه بلفظ الماضي ، وإعراض الكفرة عن آياته^(١)؛ وأجمع المفسرون وأهل السنة على وقوعه^(٢) :

أخبرنا الحسين بن محمد [٩٩] الحافظ من كتابه ، حدثنا القاضي سيراج بن عبد الله ، حدثنا الأصيلي ، حدثنا المروزي ، حدثنا الفربري ، حدثنا البخاري ، حدثنا مسدد ، حدثنا يحيى ، عن شعبة ، وسفيان ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن أبي معمر ، عن ابن مسعود رضي الله عنه ؛ قال : انشق القمر على عهد^(٣) رسول الله صلى الله عليه وسلم فرقتين^(٤) : فرقة فوق الجبل ، وفرقة دونه^(٥) ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اشهدوا^(٦) .

وفي رواية مجاهد^(٧) : ونحن مع النبي صلى الله عليه وسلم .

وفي بعض طرق الأعمش^(٨) : ونحن بمي .

(١) آياته : المراد معجزاته التي لا يمكن للبشر الإتيان بمثها .

(٢) قال في نسيم الرياض (٣ - ٣) : قال السبكي : إنه متواتر لا يجوز إنكاره ، وردوا قول الماوردي : إن الجمهور على خلافه ، وتأويل ينشق بمعنى سينشق ، فإنه لو وقع لم يبق أحد إلا رآه .

ولم يعتد للمصنف بهذه المقالة ، وهي لا تحرق إجماع السلف من أهل السنة ؛ ومثله ليس من أهل التفسير ، بل من أهل التأويل عنده .

(٣) على عهد رسول الله : في زمانه وحياته . (٤) فرقتين : المراد نصفين .

(٥) الجبل : هو حراء ، أو أبو قيس . ودونه : أي في مقابلته .

(٦) وذلك بمكة قبل الهجرة - رواه ابن الجوزي في «الوفا» عن ابن عباس . واشهدوا :

أي اشهدوا على معجزتي ونبوتي . ووقوع ما طلبوه ، لأنهم أهل بهتان وجحد .

(٧) سنن الترمذي : ٤ - ٤٧٧

(٨) رويت أحاديث انشقاق القمر في الصحيحين : صحيح البخاري : ٤ - ٢٥١ ،

٦ - ١٧٨ ، وصحيح مسلم : ٢١٥٨ ، ومسند الإمام أحمد : ٣ - ١٦٥

ورواه أيضا - عن ابن مسعود - الأسود، وقال: حتى رأيتُ الجبلَ بين
فُرَجَّتِي الْقَمَرِ (١).

ورواه عنه مسروق - أنه كان بمكة - وزاد: فقال كفارُ قُرَيْشٍ: سَحَرَكُم
ابْنُ أَبِي كَبْشَةَ (٢)!

فقال رجلٌ منهم: إنَّ محمداً إنَّ كان سَحَرَ الْقَمَرَ فإنه لا يَبْلُغُ مِنْ سِحْرِهِ أَنْ
يَسَحَرَ الْأَرْضَ كُلَّهَا، فَسَأَلُوا (٣) مَنْ يَأْتِيكُمْ مِنْ بَلَدٍ آخَرَ: هل رأوا هذا؟ فَاتَّوَأا،
فَسَأَلُوهم فَأَخْبَرُوهم أَنهم رأوا مِثْلَ ذَلِكَ.

وحكى السَّرَقَنْدِيُّ عَنِ الضَّحَّاكِ نَحْوَهُ، وَقَالَ: فقال أبو جهل: هذا سِحْرٌ؛
فابعدوا إلى أهل الآفاق (٤) حتى تنظروا: أَرَأُوا ذَلِكَ أم لا؟

فأخبر أهل الآفاق أَنهم رأوه مُنْشَقًّا؛ فقالوا - يعني الكفار: هذا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ.
وَرَوَاهُ أَيضاً - عن ابن مسعود - علقمة؛ فهؤلاء أربعةٌ عن عبد الله (٥).

وقد رواه غيرُ ابنِ مسعود، كما رواه ابنُ مسعود؛ منهم أنس، وابنُ عباس،
وابنُ عمر، وحذيفةُ، وعليٌّ، وجُبَيْرُ بنِ مُطْعِمٍ؛ فقال عليٌّ - من رواية أبي حذيفة
الأزجِي (٦): انشقَّ القمرُ ومَحْنُ مع النبي صلى الله عليه وسلم.

(١) فرجتي القمر: أي فلقتيه وقطعته؛ لبعد ما بينهما.

(٢) ابن أبي كبشة: يمنون النبي صلى الله عليه وسلم. وأبو كبشة: اسم رجل تأله قديماً،
وفارق دين الجاهلية، وعبد الشمرى، فشبّه المشركون النبي - صلى الله عليه وسلم - به. وقيل:
بل كانت للنبي صلى الله عليه وسلم أخت من الرضاة تسمى «كبشة»؛ وكان أبوه من الرضاة
يكفى بها. وقيل: بل كان في أجداده لأمه من يكفى بذلك (شرح القارى: ١ - ٥٨٦)

(٣) في ١: فسألوا.

(٤) الآفاق: جمع أفق، ومعناه هنا الناحية.

(٥) عن عبد الله بن مسعود. وفي هامش ب: الأربعة.

(٦) في ب: الأزجى.

وعن أنس : سأل أهل مكة النبي صلى الله عليه وسلم أن يرهبهم آية ، فأرأهم انشقاق القمر فرقتين ^(١) حتى رأوا حراء بينهما .
رواه عن أنس قتادة .

وفي رواية مَعْمَر وغيره ، عن قتادة ، عنه : أرأهم القمر مرتين انشقاقه ، فنزلت : ﴿ اقتربت الساعة وانشق القمر ﴾ .

ورواه ^(٢) عن جُبَيْر بن مُطْعِم ابنه مُحَمَّد ، وابن ابنه جُبَيْر بن محمد .

ورواه عن ابن عباس عبيد الله بن عبد الله ^(٣) بن عتبة .

ورواه عن ابن عمر مجاهد ، ورواه عن حذيفة أبو عبد الرحمن السلمي ومسلم ابن أبي عمران الأزدي .

وأكبر طرق هذه الأحاديث صحيحة ؛ والآية مُصَرَّحَةٌ ، ولا يلتفت إلى اعتراض مخدول ^(٤) ، بأنه لو كان هذا لم يخف على أهل الأرض ؛ إذ هو شيء ظاهر لجميعهم ؛ إذ لم يُنقل لنا عن أهل الأرض أنهم رصّده (٥) تلك الليلة فلم يروه انشق ؛ ولو نقل إلينا عن لا يجوز تماؤمهم - لكثرتهم - على الكذب ^(٦) ، أما كانت

(١) في ١ : مرتين .

(٢) في نسيم الرياض (٣ - ٦) : وهذه الروايات كلها في الكتب الستة وغيرها مخرجة ؛
فرواية أنس وابن عباس في الصحيحين ، ورواية ابن عمر في صحيح مسلم والترمذي ، ورواية
حذيفة بن اليمان في الدلائل وغيرها ، ورواية ابن مطعم في مسند أحمد والبيهقي .

(٣) في ب : بن عبيد الله بن عتبة .

(٤) مخدول : للراد من لم يكن على الحق وطريق الهداية ، ومن أنكر هذا بقصد
الظمن في المجزة .

(٥) رصّده : ترقبوه ، ونظروا إلى مطلقه .

(٦) ولو نقل إلينا : أنهم رصّده فلم يروه انشق . تماؤمهم على الكذب : اجتماعهم على
الكذب في خبرهم .

علينا به حجة؛ إذ ليس القمرُ في حدِّ واحدٍ لجميعِ أهلِ الأرضِ؛ فقد يطلعُ على قومٍ قبل أن يطلعَ على آخرين؛ وقد يكون من قومٍ بضدِّ ما هو من مُتَابِلِهِم من أقطارِ الأرضِ، أو يحوُلُ بين قومٍ وبينه سحابٌ أو جبالٌ؛ ولهذا نجدُ الكسوفاتِ في بعضِ البلادِ دونَ بعضٍ، وفي بعضِها جزئيةً، وفي بعضِها كليةً، وفي بعضها لا يعرفها إلا المدعوون لعلمها؛ ذلكَ تقديرُ العزيزِ العليمِ .

وآيةُ القمرِ كانتَ ليلاً، والمادةُ من الناسِ بالليلِ الهدوءُ والسكونُ وإيجافُ^(١) الأبوابِ، وقطْعُ التصرفِ، ولا يكادُ يعرفُ من أمورِ [١٠٠] السماءِ شيئاً، إلا مَنْ رَصَدَ ذلكَ، واهْتَبَلَ^(٢) به .

ولذلكَ ما يكونُ الكسوفُ القمريُّ كثيراً في البلادِ، وأكثرُهم لا يعلمُ به حتى يُخْبِرَ، وكثيراً ما يحدثُ الثقاتُ بمجائبَ يشاهدونها من أنوارِ ونجومٍ طَوَّالِعِ عَظَامِ تَظْهِرُ في الأحيانِ بالليلِ في السماءِ، ولا عِلْمَ عندَ أحدٍ منها .

وخرَجَ الطحاوي - في مشكلِ الحديثِ^(٣)، عن أسماءِ بنتِ عميسَ من طريقين - أنَ النبيَّ صلى اللهُ عليه وسلم كان يُوحَى إليه، ورأسُه في حجرِ عليٍّ، فلم يصلِّ العصرَ حتى غرُبَت الشمسُ؛ فقال النبيُّ صلى اللهُ عليه وسلم: أصليتَ يا عليُّ؟ قال: لا . فقال: اللهم إنه كان في طاعتك وطاعةِ رسولك فارْدُدْ عليه الشمسَ^(٤) .

(١) إيجافُ الأبوابِ: إغلاقُها . (٢) اهتبلَ به: بذلَ جهده واعتنى به غايةَ الاعتناء .
(٣) مشكلِ الحديثِ كتابُ للطحاوي . وهذا الحديثُ، في ردِّ الشمسِ أو حبسها، رواه الطبرانيُّ بأسانيدٍ مختلفةٍ . والطحاوي: مصريٌّ من أكابرِ علماءِ الحنفيةِ، توفي سنة ٣٣١ هـ .
وفي نسيمِ الرياضِ (٣ - ١١): قال ابنُ الجوزي: هذا الحديثُ موضوعٌ بلا شك، ورواياته مضطربة، وفي روايته رجالٌ متهمون بالكذبِ والوضع . وقال القاري (١ - ٥٩٠): وتبعه ابنُ القيم، وشيخه ابنُ تيمية، وذكروا تضعيفَ رجالِ الطحاوي ونسبوا بعضهم إلى الوضع .
(٤) ارْدَدَ عليه الشمسُ: أعدها لمكانها الذي غربت منه ليصلي الصلاةَ في وقتها . وفي هامشِ ب: فارْدَدَ عليه الشمسُ مشرقها . وفي هامشِ ا: فارْدَدَ عليه الشمسُ مشرقها . ومشرقها: في محلِّ شروقها .

قالت أسماء : فرأيتها غربت ، ثم رأيتها طلعت بعد ما غربت ، ووقفت على الجبال والأرض ، وذلك بالصهباء^(١) في خيبر .

قال : وهذان الحديثان ثابتان ورؤاؤهما ثقات^(٢) .

وحكى الطحاوي أن أحمد بن صالح كان يقول : لا ينبغي لمن [يكون]^(٣) سبيله العلم التخلف عن حفظ حديث أسماء ؛ لأنه من علامات النبوة^(٤) .

وردّوى يونس بن بكير في زيادة المغازي في روايته عن ابن إسحاق : لما أسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأخبر قومه بالرفقة والعلامة التي في العير^(٥) قالوا : متى تجي ؟ قال : يوم الأربعاء ؛ فلما كان ذلك اليوم أشرفت قريش بنظرون وقد ولّى النهار ولم تجي ؛ فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فزید له في النهار ساعة ، وحُبست عليه الشمس^(٦) .

(١) الصهباء : قلعة بخيبر . وخيبر : أرض بقرب المدينة ، فيها قلاع وقري ، كان بها مساكن اليهود ، ثم خربت .

(٢) قال في نسيم الرياض (٣ - ١٢) : اعترض عليه بعض الشراح ؛ وقال : إنه حديث موضوع ، ورجاله مطعون فيهم كذابون ووضعون .

ثم قال : وهذا الحديث صححه المصنف ، وأشار إلى أن تمدد طرقة شاهد صدق على صحته . وقد صححه قبله كثير من الأئمة كالطحاوي . وأخرجه ابن شاهين ، وابن منده ، وابن مردويه ، والطبراني في معجمه ؛ وقال : حسن . وحكاه العراقي في التقریب . وارجع في هذا الحديث إلى بحث قيم في نسيم الرياض (٣ - ١٢ ، ١٣) إن أردت .

(٤) أي من الآيات الدالة على النبوة . وهذا - في رأيه - مؤيد لصحته .

(٥) الرفقة : جمع رفيق ؛ أي أخبرهم بقافلتهم ومن فيها من الجماعة للرافقين ؛ والعلامة : هي قوله صلى الله عليه وسلم إنه يقدمها حمل أورك .

(٦) قال في نسيم الرياض (٣ - ١٤) : الذي ذكر هنا من حبس الشمس ، وأن العير قدمت بعد العصر قبيل الغروب يتنافيه ماورد من أنها قدمت صباحا ، وعليه اقتصر للفسرون ؛ =

فصل

في نَبْعِ الْمَاءِ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ وَتَكَثِيرِهِ بِرُكُوتِهِ (١)

[قَالَ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ] (٢) :

أَمَّا الْأَحَادِيثُ فِي هَذَا فَكَثِيرَةٌ جِدًّا (٣) .

رَوَى حَدِيثَ نَبْعِ الْمَاءِ مِنْ أَصَابِعِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَمَاعَةٌ مِنَ الصَّحَابَةِ ؛ مِنْهُمْ

أَنَسٌ ، وَجَابِرٌ ، وَابْنُ مَسْعُودٍ :

حَدَّثَنَا أَبُو إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمَ بْنُ جَعْفَرِ الْفَقِيهِ بِقِرَاءَتِي عَلَيْهِ ، حَدَّثَنَا الْقَاضِي عَيْسَى

ابْنُ سَهْلٍ ، حَدَّثَنَا أَبُو الْقَاسِمِ حَاتِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ ، حَدَّثَنَا أَبُو عُمَرَ (٤) بْنُ الْفَخَّارِ ، حَدَّثَنَا

أَبُو عَيْسَى ، حَدَّثَنَا يَحْيَى ، حَدَّثَنَا مَالِكٌ ، عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ ، عَنْ

أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (٥) : رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَحَانَتْ

صَلَاةُ (٦) الْعَصْرِ ؛ فَالْتَمَسَ النَّاسُ الْوُضُوءَ (٧) فَلَمْ يَجِدُوهُ ، فَأَتَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ

== كَالرَّحْمَتِ وَالْبَيْضَاوَى فِي أَوَّلِ سُورَةِ الْإِسْرَاءِ . وَقَالَ الْقَارِي (١-٥٩١) : وَقَدْ قَالَ بَعْضُهُمْ :
حَدِيثُ رَدِّ الشَّمْسِ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْسَ بِصَحِيحٍ . وَقَالَ ابْنُ تَيْمِيَّةَ : الْمَجِبُ مِنَ الْقَاضِي
مَعَ جَلَالَةِ قَدْرِهِ وَعُلُوِّ خَطَرِهِ فِي عُلُومِ الْحَدِيثِ كَيْفَ سَكَتَ عَنْهُ مَوْهَمًا صَحْتَهُ ، وَنَاقَلًا ثَبُوتَهُ ،
مُوتِقًا رَجَالَهُ .

(١) فِي نَسِيمِ الرِّيَاضِ (٣ - ١٥) : وَقَدْ كَانَ هَذَا مَرَاتٍ كَثِيرَةً ، وَرَوَيْتُ بِطَرِيقٍ مُتَمَدِّدَةٍ
فِي الصَّحِيحِينَ وَغَيْرِهِمَا . (٢) مِنْ ب . (٣) قَالَ النَّوَوِيُّ : إِنَّهَا بَلَغَتْ مَرْتَبَةَ التَّوَاتُرِ .

(٤) قَالَ فِي نَسِيمِ الرِّيَاضِ (٣ - ١٦) : فِي كَلَامِ الْمُنْصِفِ رَحِمَهُ اللَّهُ سَهْوًا مِنْ وَجْهِينَ :
إِذْ لَمَّمَا أَبُو عُمَرَ ، وَهُوَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ . وَفِي قَوْلِهِ : حَدَّثَنَا أَبُو عَيْسَى ، حَدَّثَنَا يَحْيَى ؛ إِذْ أَسْقَطَ

رَاوِيَا بَيْنَ أَبِي عَيْسَى وَيَحْيَى ، وَهُوَ عَيْدُ اللَّهِ أَبُو مَرْوَانَ .

(٥) الْحَدِيثُ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ : ٤ - ٣٣٣ ، وَصَحِيحِ مُسْلِمَ : ١٧٨٣ ، وَسَنَنِ التِّرْمِذِيِّ :

٥ - ٥٩٦ ، وَقَالَ : حَدِيثُ أَنَسٍ حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ .

(٦) حَانَتْ : قَرَبَتْ ، أَوْ دَخَلَ وَقْتَهَا .

(٧) الْتَمَسَ النَّاسُ : طَلَبُوا . وَالْوُضُوءَ - بَفَتْحِ الْوَاوِ : الْمَاءَ الَّذِي يَتَوَضَّأُ بِهِ .

عليه وسلم بوضوءه، فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك الإناء (١) يده، وأمر الناس أن يتوضؤوا منه .

قال : فرأيت الماء ينبع من بين أصابعه ، فتوضأ الناس حتى توضئوا من عند آخرهم (٢) .

ورواه أيضا - عن أنس - قتادة (٣) ، وقال : بإناء فيه ماء بغمر (٤) أصابعه أولا يكاد يغمر .

قال : كم كنتم ؟ قال : كنا زهاء (٥) ثلاثمائة .

وفي رواية عنه : وهم بالزوراء (٦) عند السوق .

ورواه أيضا حميد ، وثابت ، والحسن ، عن أنس .

وفي رواية حميد : قلت : كم كانوا ؟ قال : ثمانين .

ونحوه عن ثابت عنه .

وعنه أيضا : وهم نحو من سبعين رجلا .

وأما ابن مسعود ففي الصحيح من رواية علقمة : بينما نحن مع رسول الله صلى

الله عليه وسلم ، وإيس معنا ماء ، فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(١) في ١ : في ذلك يده . والتثبت في صحيح مسلم أيضا ، وصحيح البخاري : ٤ - ٢٣٣

(٢) من عند آخرهم : جيمهم . قال النووي : « من » هنا بمعنى « إلى » ، وهي لنة .

قال في نسيم الرياض : قالوا : إنه يحتمل أن للاء خرج من أصابعه صلى الله عليه وسلم حقيقة ، وهو الظاهر . ويحتمل أنه كثر من غير نبع منها ؛ وإنما وضع يده فيه سترًا عن الناس حتى لا يروه فيفتتن بعضهم به ، وتأدبا مع الله الذي لا يوجد للمدوم سواه .

(٣) كما في صحيح مسلم : ١٧٨٣ ، وصحيح البخاري : ٤ - ٢٣٣

(٤) يغمر أصابعه : يسترها . (٥) زهاء : مقدار .

(٦) في صحيح مسلم ١٧٦٣ ، وقال : والزوراء بالمدينة عند السوق والمسجد فيها هناك .

اطلبوا مَنْ مِمَّ فَضَّلَ^(١) ماء؛ فَأَتَى بِمَاءٍ فَصَبَّهُ فِي إِيَّاهُ، ثُمَّ وَضَعَ كَفَّهُ فِيهِ، فَجَعَلَ الْمَاءَ [١٠١] يَنْبَعُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وفي الصحيح^(٢)، عن سالم بن أبي الجعد، عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عَطَشَ النَّاسُ يَوْمَ الْخُدَيْبِيَّةِ وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ يَدَيْهِ رَكْوَةٌ^(٣)، فَتَوَضَّأَ مِنْهَا، وَأَقْبَلَ النَّاسُ نَحْوَهُ؛ وَقَالُوا: لَيْسَ عِنْدَنَا مَاءٌ إِلَّا مَا فِي رَكْوَتِكَ؛ فَوَضَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدَهُ فِي الرِّكْوَةِ؛ فَجَعَلَ الْمَاءُ يَفُورُ^(٤) مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ كَأَمْثَالِ الْعَيْوُنِ. وَفِيهِ: قُلْتُ: كَمْ كُنْتُمْ؟ قَالُوا: لَوْ كُنَّا مِائَةَ أَلْفٍ لَكُنَّا نَا؛ كُنَّا خَمْسَ عَشْرَةَ مِائَةً.

وَرَوَى مِثْلَهُ عَنْ أَنَسٍ، عَنْ جَابِرٍ؛ وَفِيهِ أَنَّهُ كَانَ بِالْخُدَيْبِيَّةِ. وَفِي رِوَايَةِ الْوَالِيدِ بْنِ عَبَّادَةَ بْنِ الصَّامِتِ عَنْهُ، فِي حَدِيثِ مُسْلِمِ الْعَلَوِيلِ فِي ذِكْرِ غَزْوَةِ بُوَاطِ^(٥) قَالَ^(٦):

قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَا جَابِرُ، نَادِ، الْوَضُوءَ^(٧)... وَذَكَرَ الْحَدِيثَ بَطُولَهُ، وَأَنَّهُ لَمْ يَجِدْ إِلَّا قَطْرَةً فِي عَزْلَاءَ شَجَبِ^(٨)؛ فَأَتَى بِهِ النَّبِيَّ صَلَّى

(١) فضل ماء: بقية من ماء. أو زيادة منه على حاجته.

(٢) في صحيح البخارى: ٤ - ٢٣٤

(٣) ركوة: إناء للماء من جلد. (٤) في صحيح البخارى: يشور بين أصابعه.

(٥) هي ثانی غزواته. وبواط: اسم لجبال جهينة على أبراد من المدينة.

(٦) الحديث في صحيح مسلم: ٢٣٠٣

(٧) ناد، الوضوء؛ ناد الناس وقل لهم: أعطوا، أو ناولوا الوضوء؛ وهو الماء الذى

يتوضأ به، وفيه حث لهم عليه. وفي صحيح مسلم: ناد بوضوء.

(٨) قطرة: يسيرا. عزلاء: فم الراوية ومصب الماء منها. شجب - بفتح الشين المعجمة

وقيل بكسرهما، وسكون الجيم، وباء موحدة: التقديم من القرب، أو أعواد تعلق عليها القرب ونحوها.

وفي هامش ١: الشجب: القرية البالية، وسميت بذلك لأنها جلد قد شجب؛ أى عطب.

اللهُ عليه وسلم ، فَمَمَرَهُ وتكلم بشيء لا أدري ما هو ، وقال : نادِ بِجَفَنَةِ الرَّكْبِ ، فَأْتَيْتُ بِهَا ، فَوَضَعْتُهَا بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَذَكَرَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَسَطَ يَدَهُ فِي الْجَفَنَةِ (١) ، وَفَرَّقَ أَصَابِعَهُ ، وَصَبَّ جَابِرٌ عَلَيْهِ ، وَقَالَ : بِسْمِ اللهِ [كَمَا أَمَرَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ] (٢) ؛ قَالَ : فَرَأَيْتُ الْمَاءَ يَفُورُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ ، ثُمَّ فَارَتْ الْجَفَنَةُ وَاسْتَدَارَتْ (٣) حَتَّى امْتَلَأَتْ ، وَأَمَرَ النَّاسَ بِالِاسْتِقْمَاءِ ، فَاسْتَقَوْا حَتَّى رَوَوْا .
فقلت : هل بقي أحد له حاجة ؟ فرفع رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يده من الجفنة وهي مملأى .

وعن الشَّعْبِيِّ : أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَمَضِ أَسْفَارِهِ بِإِدَاوَةٍ (٤) مَاءً ، وَقِيلَ : مَا مَعَنَا يَا رَسُولَ اللهِ مَاءٌ غَيْرُهَا ، فَسَكَبَهَا فِي رَكْوَةٍ ، وَوَضَعَ لِأَصْبَعِهِ وَسَطَهَا ، وَغَسَمَهَا فِي الْمَاءِ ، وَجَمَلَ النَّاسُ يُجِثُونَ وَيَتَوَضَّئُونَ ثُمَّ يَقُومُونَ .
قال الترمذى : وفي الباب ، عن عمران بن حصين .

ومثلُ هذا في هذه المواطن الحفلة (٥) والجموع الكثيرة لا تنطرقُ التهمةُ إلى المحدثِ به ؛ لأنهم كانوا أسرعَ شيءٍ إلى تكذيبه ، إِمَّا جُبِلَتْ عَلَيْهِ النُّفُوسُ مِنْ ذَلِكَ ؛ وَلأنهم كانوا ممن لا يسكتُ على باطل ؛ فهؤلاء قد رَوَوْا هذا ، وَأَشَاعُوهُ ، وَنَسَبُوا حُضُورَ الْجَمَاءِ الْفَفِيرِ (٦) لَهُ ، وَلَمْ يُنْكِرْ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِمْ مَا حَدَّثُوا بِهِ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا (٧) وشاهدوه ، فصار كمتصديق جميعهم له .

(١) الجفنة : القصة التي تشعب عشرة فأكثر . والركب : جمع راكب ، والمراد الناس .

(٢) من ب . (٣) في صحيح مسلم : ودارت .

(٤) الإداوة - بكسر الهمزة : إناء صغير من جلد يتخذ للماء ، ويسمى المطهر .

(شرح القارى : ١ - ٥٩٦) .

(٥) الحفلة : المثلثة الملتصقة التزيرة . وفي ب : الحفيلة ، وهي بمعنى الحفلة .

(٦) الجماء الففير : الجمع الكثير . (٧) في هامش ب : خ : فعلوه .

فصل

ومما يُشبهُ هذا من معجزاته تفجيرُ الماءِ ببرِّ كتفه ، وانبعائهُ ^(١) بِسَّهِّ ودَعْوَتِهِ
فِيما رَوَى ^(٢) مالكُ في الموطأ ^(٣) عن مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ فِي قِصَّةِ غَزْوَةِ تَبُوكَ ، وَأَنَّهُمْ
وَرَدُّوا الْعَيْنَ وَهِيَ تَبِيضٌ بِشَيْءٍ مِنْ مَاءِ مِثْلِ الشَّرَاكِ ^(٤) ، فَفَرَّقُوا مِنَ الْعَيْنِ بِأَيْدِيهِمْ
حَتَّى اجْتَمَعَ فِي شَيْءٍ ، ثُمَّ غَسَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهِ وَجْهَهُ وَبَدَنَهُ ، وَأَعَادَهُ
فِيهَا ؛ فَجَرَّتْ بِمَاءِ كَثِيرٍ ، فَاسْتَقَى النَّاسُ ^(٥) .

قال - في حديث ابن إسحاق : فانخرق من الماء ماله حس كحس الصواعق .
ثم قال : يوشك يا معاذ ؛ إن طالت بك حياة أن ترى ها هنا قد ملئ
جنانا ^(٥) .

وفي حديث البراء ^(٦) ، وسَلَّمَ بن الأَكْوَعِ - وحديثه أتم - في قصة الحديبية ،
وهم أربع عشرة مائة ، وبنزها لاترؤي خمسين شاة ، فنزحناها فلم نترك فيها قطرة ،
فقعد رسول الله صلى الله عليه وسلم على جباها ^(٧) .
قال البراء : وأتى بدلو منها ، فبصق [١٠٢] فدعا .
وقال سلمة : فإما دعا ، وإما بصق فيها ، فجاشت ^(٨) ؛ فأزروا أنفسهم
وركابهم ^(٩) .

(١) انبعائه : ثورانه وجريانه . (٢) في ١ : بما روى . (٣) الموطأ : ١٤٤

(٤) تبض : تسيل . والشراك : سير النمل ، ومعناه : ماء قليل جدا .

وفي هامش ب : تبض - بالضاد للمعجمة ، والصاد للهيمه : تقطر .

(٥) الحديث في صحيح مسلم أيضا : ١٧٨٤

(٦) صحيح البخاري : ٤ - ٢٣٤

(٧) جباها : الجبا : ماحول البئر (النهاية) . وفي هامش ب : جيا البئر : جانبها .

(٨) جاشت ؛ أى فارت البئر . (٩) ركابهم : دوابهم .

وفي غير هذه ^(١) الروايتين - في هذه القصة - من طريق ابن شهاب [في المُدَبِّيَّة] ^(٢) : فأخرج سَنَمَا من كِنَانَتِهِ ، فوضع في قَعْرِ قَلْبٍ لَيْس فِيهِ مَاءٌ؟ فَرَوَى النَّاسُ حَتَّى ضَرَبُوا بِعَطْنٍ ^(٣) .

وعن أبي قتادة ^(٤) - وذكر أَنَّ النَّاسَ شَكَّوْا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْعَطَشُ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ ، فَدَعَا بِالْمِيضَاءِ ^(٥) ، فَجَعَلَهَا فِي ضَبْنِهِ ^(٦) ، ثُمَّ التَّمَّمَ فَمَهَا ، فَاللَّهُ أَعْلَمُ - نَفَثَ ^(٧) فِيهَا أَمْ لَا ؛ فَشَرِبَ النَّاسُ حَتَّى رَوَوْا وَمَلْثُوا كُلَّ إِنَاءٍ مَعَهُمْ ؛ فَخِيلَ إِلَى أَنَّهَا كَمَا أَخَذَهَا مِنِّي ، وَكَانُوا اثْنَيْنِ وَسَبْعِينَ رَجُلًا .
وَرَوَى مِثْلَهُ عِمْرَانُ بْنُ حِصِينٍ .

وذكر الطبري حديثَ أَبِي قَتَادَةَ عَلَى غَيْرِ مَا ذَكَرَهُ أَهْلُ الصَّحِيحِ - وَأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ مَعَهُمْ مُدًّا لِأَهْلِ مَوْثَةَ ^(٨) عِنْدَ مَا بَلَغَهُ قَتْلُ الْأَمْرَاءِ ^(٩) :
وذكر حديثاً طويلاً فيسفه مُمَجِّزَاتُ وَآيَاتُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ وَفِيهِ لِإِعْلَامِهِمْ أَنَّهُمْ يَنْقُدُونَ الْمَاءَ فِي غَدْرِ .

وذكر حديثَ الْمِيضَاءِ ^(١٠) ؛ قَالَ : وَالْقَوْمُ زُهَاءٌ ^(١١) ثَلَاثُمِائَةٍ .

(١) هذا في ١ ، ب . (٢) ليس في ١ .

(٣) العطن : منزل الإبل حول الماء لتبرك فيه إذا شربت لتعاد إلى الشرب مرة أخرى .

والمراد : حتى رووا ورويت إبلهم .

(٤) قال القاري (١ - ٥٩٨) : رواه البيهقي عنه .

(٥) الميضة : مطهرة كبيرة يتوضأ منها .

(٦) ضبنة : حضنه بين كشطه وإبطه . (٧) نفث : نفع .

(٨) مددا : معينا . وموثة : قرية بين تبوك وحوران من الشام .

(٩) الأمراء : هم زيد بن حارثة مولاه ، وجعفر بن أبي طالب ، وعبد الله بن رواحة .

(١٠) في هامش ١ : الميضة : مطهرة يتوضأ منها ، مفعلة من الوضوء . وقد تقدم تفسيرها .

(١١) ضبطت الهمزة في « زهاء » بالفتحة في ب ، وبالضمة في ١ . وقال القاري (١ - ٥٩٩) :

زهاء : قدر ، تخميناً . قال المزني : الوجه نصب « زهاء » ، ولكن أهل الحديث يرفعونه .

وفي كتاب مسلم^(١) أنه قال لأبي قتادة : احفظْ عليَّ^(٢) مِصْبَاتِكَ ، فإنه سيكونُ لها نَبَأٌ^(٣) . . . وذكر نحوه^(٤) .

ومن ذلك حديثُ عُمَرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ حينَ أَصَابَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابَهُ عَطَشٌ فِي بَعْضِ أَصْفَارِهِمْ ؛ فَوَجَّهَ رَجُلَيْنِ^(٥) مِنْ أَصْحَابِهِ ، وَأَعْلَمَهُمَا أَنَّهُمَا يَجِدَانِ امْرَأَةً بِمَكَانٍ كَذَا مَعَهَا بَعِيرٌ عَلَيْهِ مَزَادَتَانِ^(٦) . . . الحديث ؛ فوجداهما وَأَتَيَا بِهَا إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ فَجَمَلَ فِي إِثْنَاءِ مَنْ مَزَادَتَيْهَا^(٦) ، وَقَالَ فِيهِ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَقُولَ ؛ ثُمَّ أَعَادَ الْمَاءَ فِي الْمَزَادَتَيْنِ ، ثُمَّ فَتَحَتْ عَزَالِيَهُمَا^(٧) ؛ وَأَمَرَ النَّاسَ فَلْتُوا أَسْقِيَتَهُمْ^(٨) حَتَّى لَمْ يَدْعُوا شَيْئًا إِلَّا مَلْتُوهُ .

قال عُمَرَانُ : وَتَخَيَّلَ إِلَى أَنَّهُمَا لَمْ تَزِدَا إِلا مِثْلًا ، ثُمَّ أَمَرَ فَجُمِعَ لِلرَّأَةِ مِنَ الْأَزْوَادِ^(٩) حَتَّى مَلَأَتْ قَوْسَهَا . وَقَالَ : اذْهَبِي ؛ فَإِنَّا لَمْ نَأْخُذْ^(١٠) مِنْ مَائِكَ شَيْئًا ؛ وَلَكِنَّ اللهَ سَقَانَا . . . الحديث بطوله .

وعن سَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ^(١١) : قَالَ نَبِيُّ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : هَلْ مِنْ وَضوءٍ؟

-
- (١) صحيح مسلم : ٤٧٣ (٢) في صحيح مسلم : احفظ علينا .
 (٣) نبأ : خبر عظيم .
 (٤) وذكر ، أى الطبرى نحوه ؛ أى نحو ما سبق مما ذكر غيره .
 (٥) قال القارى (١ - ٥٩٩) : هما طى بن أبى طالب ، وعمران بن حصين .
 (٦) المَزَادَةُ : ظَرْفٌ مِنْ جِلْدٍ يَحْمَلُ فِيهِ الْمَاءَ ، أَكْبَرُ مِنَ الْقِرْبَةِ .
 (٧) فى ب : عزاليها ، وعزاليها - مما - وعزاليها - بفتح العين للهمله والزاي : ثنية عزلاء ، وهو فمها الأسفل .

(٨) أسقيتهم : جمع سقاء ، وهو إناء من جلد يتخذ للماء .

(٩) الأزواد : جمع زود ؛ أى من جملتها .

(١٠) فى أ : لم نرزا ، وفى هامشه : نأخذ .

(١١) صحيح مسلم : ١٣٥٤

جاء رجلٌ بِإِدَاوَةٍ فِيهَا نُطْفَةٌ ^(١) فَأَفْرَعَهَا فِي قَدَحٍ ، فَهَوَّضْنَا كُلُّنَا نُدْغِفُهُ ^(٢) دَغْفَقَةً
أَرْبَعَ عَشْرَةَ مِائَةً . . . [الْحَدِيثُ بِطَوْلِهِ] ^(٣) .

وَفِي حَدِيثِ عُمَرَ - فِي جَيْشِ الْمُسْرَةِ ^(٤) : وَذَكَرَ مَا أَصَابَهُمْ مِنَ الْعَطَشِ ، حَتَّى
إِنَّ الرَّجُلَ لَيَنْحَرُّ بِعَيْدِهِ ، فَيَعْصِرُ فَرْتَمَهُ ^(٥) فَيَسْرِبُهُ ؛ فَرِغِبَ ^(٦) أَبُو بَكْرٍ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الدَّعَاءِ ^(٧) ، فَرَفَعَ يَدَيْهِ فَلَمْ يَزَجْعْهُمَا حَتَّى قَالَتْ ^(٨) السَّمَاءُ فَانْسَكَبَتْ ؛
فَلْتَوْا مَا مَعَهُمْ مِنْ آيَةٍ ، وَلَمْ تَجَاوِزِ الْمَسْكَرَ ^(٩) .

وَعَنْ عَمْرٍو بْنِ شَعِيبٍ - أَنَّ أَبَا طَالِبٍ قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَهُوَ رَدِيفُهُ
بِذِي الْمَجَازِ ^(١٠) : عَطِشْتُ وَلَيْسَ عِنْدِي مَاءٌ ؛ فَنَزَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،

(١) نطفة : قليل من اللاء .

(٢) فِي هَامِشِ أ : الدَغْفَقَةُ : الصَّبُّ الشَّدِيدُ ، وَيُقَالُ : فُلَانٌ فِي نَيْمٍ دَغْفَقَ ، أَيْ وَاسِعٌ .

(٣) لَيْسَ فِي ب .

(٤) جَيْشِ الْمُسْرَةِ ؛ أَيْ الضِّيقِ وَالشَّدَةِ ، وَهِيَ غَزْوَةُ تَبُوكَ سَنَةَ تِسْعٍ مِنَ الْمُهْجَرَةِ ، وَكَانَتْ

فِي نَهَارِ حَرِّ ، وَقَلَّةِ الثَّمَارِ . . .

(٥) فَرْتَمُهُ : مَا فِي كَرَشِهِ . (٦) فَرِغِبَ أَبُو بَكْرٍ : الرِّغْبَةُ : طَلَبٌ مَا يَجِبُهُ .

(٧) فِي الدَّعَاءِ : فِي دَعَائِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَتَوَجَّهَ لِرَبِّهِ لِيُزِيلَ مَا بِالنَّاسِ مِنَ الْبَأْسِ الَّذِي

عَلِمَهُ مِنْهُمْ .

(٨) قَالَتْ السَّمَاءُ : غِيَمَتْ وَظَهَرَ فِيهَا سَحَابٌ . وَفِي هَامِشِ ب : الْعَرَبُ تَجْمَلُ الْقَوْلَ عِبَارَةً

عَنْ جَمِيعِ الْأَفْعَالِ ، وَتَطْلُقُهُ عَلَى غَيْرِ السَّكَّامِ ، فَتَقُولُ : قَالَ بِيَدِهِ ؛ أَيْ أَخَذَ ؛ وَقَالَ بِرَجْلِهِ ؛ أَيْ
مَشَى ، وَقَالَ بِالْمَاءِ عَلَى يَدَيْهِ ؛ أَيْ قَلْبِهِ ؛ وَقَالَ بِثَوْبِهِ ، أَيْ رَفْعِهِ ؛ قَالَ الشَّاعِرُ :

* وَقَالَتِ الْعَيْنَانُ سَمَا وَطَاعَةَ *

أَيْ أَوْمَاتَ ، وَكُلَّ ذَلِكَ عَلَى الْمَجَازِ وَالِاتِّسَاعِ . وَارْجِعْ فِي ذَلِكَ إِلَى التَّهَابَةِ لِابْنِ الْأَثِيرِ .

(٩) فَانْسَكَبَتْ : انْسَكَبَ مَاؤُهَا . وَلَمْ تَجَاوِزِ الْمَسْكَرَ : أَيْ لَمْ تَجَاوِزِ السَّمَاءَ ، أَوِ السَّحَابَ

أَوْ الْمَطَرَ - الْمَعْلُومُ مِنَ السِّيَاقِ - الْمَسْكَرُ .

(١٠) رَدِيفُهُ : رَاكِبٌ خَلْفَهُ . ذُو الْمَجَازِ : اسْمُ سَوْقٍ بِقَرْبِ عَرَفَةَ ، كَانُوا يَجْتَمِعُونَ فِيهِ

فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، كَمَا كَانُوا يَجْتَمِعُونَ بِمَكَاظَ . وَهَذَا الْحَدِيثُ رَوَاهُ ابْنُ سَمْدٍ عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ الْأَزْرَقِ .

وضربَ بقدَمِهِ الأَرْضَ ، فخرج الماء ، فقال : اشرب .
والحديثُ في هذا الباب كثيرٌ ؛ ومنه الإجابةُ بدعاء الاستسقاء وماجانسه ^(١) .

فصل

ومن معجزاته تكثيرُ الطعام ببركته ودُعائه :

حدثنا القاضي الشهيد أبو علي رحمه الله ؛ حدثنا المُذْرِي ، حدثنا الرازي ، حدثنا
الجُلُودِي ، حدثنا ابن سفيان ، حدثنا مسلم بن الحجاج ، حدثنا سلمة بن شبيب ، حدثنا
الحسن بن أعين ، حدثنا معقل ، عن أبي الزبير ، عن جابر - أن رجلاً أتى النبيَّ
صلى الله عليه وسلم [١٠٣] [يَسْتَطْعِمُهُ ^(٢) ، فَأَطْعَمَهُ ^(٣) شَطْرَ وَسْقِ شَعِيرٍ ^(٤) ؛ فَاذْهَبَ
يَأْكُلُ مِنْهُ وَامْرَأَتُهُ وَضَيْفُهُ حَتَّى كَالَهُ ^(٥) ، فَأَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأَخْبَرَهُ ،
فَقَالَ : لَوْ لَمْ تَكِلْهُ لَأَكَلْتُمْ مِنْهُ وَلِقَامَ بَيْتِكُمْ ^(٦) .

ومن ذلك حديث ^(٧) أبي طلحة المشهور ، وإطعامه صلى الله عليه وسلم ثمانين
أو سبعين رجلاً من أقراصٍ مِنْ شَعِيرٍ جَاءَ بِهَا أَنْسٌ تَحْتَ يَدِهِ ؛ أَيْ إِبْطِهِ ؛ فَأَمَرَ بِهَا
فُقِّتَتْ ، وَقَالَ فِيهَا مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقُولَ .

(١) وما جانسه : وما شابه الاستسقاء .

(٢) يستطعمه : يطلب منه طعاماً له ولأهله ، لشدة احتياجه .

(٣) فأطعمه : أى أعطاه الطعام الذى يطلبه .

(٤) شطر وسق شعير : الشطر : النصف ، أو البعض . والوسق - بفتح الواو وكسرهما :

الحمل ، أو مقدار ستين صاعاً .

(٥) حتى كاله : أى استمر أكلهم منه من غير نقص شيء منه إلى أن كاله ، فظهر نقصه بعد

الكيل مما يأخذه منه ، فكانت البركة في ترك كيله حتى لولم يسكله لم ينفد .

(٦) لأكلتم منه : لاستمر أكلكم منه إلى غير النهاية . ولقام بكم : لسكناكم مدة حياتكم ،

وكان فيه قوام لكم من غير نقص . والحديث في صحيح مسلم : ١٧٨٤

(٧) هذه القصة في صحيح البخارى : ٤ - ٢٣٤

وحديث جابر ^(١) في إطعامه صلى الله عليه وسلم يوم الخندق ألف رجلٍ من صاعٍ شعيرٍ وعناقٍ ^(٢) .
وقال جابر : فأقسمُ بالله لا أكلوا حتى تركوه وانحرفوا ^(٣) ، وإن بُرمتنا لتنفطُ كما هي ^(٤) ، وإن عجيننا ليخبزُ ^(٥) .

وكان رسولُ صلى الله عليه وسلم بصقَ في العَجِينِ والْبُرْمَةِ ، وبارك ^(٦) .
رواهُ ^(٧) عن جابرِ سَعِيدِ بْنِ مِينَاءَ ^(٨) ، وأَيْمَنُ .

[وعن ثابتٍ مثله ، عن رجلٍ من الأنصارِ وامرأته ، ولم يسمهما ؛ قال : وجيءُ بمثلِ الكفِ ^(٩) ، فجعل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يَبْسُطُها في الإِناءِ ويقولُ ما شاء اللهُ ، فأكل منه مَنْ في البيتِ والحِجْرَةِ والِدَّارِ ؛ وكان ^(١٠) ذلك قد امتلأَ يَمَنٌ قَدِيمٌ معه صلى الله عليه وسلم لذلك ؛ وَبَقِيَ بعد ما شَبِعُوا مِثْلَ ما كان في الإِناءِ] ^(١١) .

(١) في صحيح البخارى : ٥ - ١٣٨ ، وسنن الترمذى : ٥ - ٥٩٥
(٢) عناق : العناق : الأنتى من أولاد اللمز ، لم يتم لها سنة . وقيل : هي التي قاربت الحمل ولم تحمل . (٣) وانحرفوا : أى أكلوا حتى شبعوا وقاموا وانصرفوا . وفي البخارى : تركوه .
(٤) البرمة - بضم الباء للوحدة وسكون الراء : القدر مطلقا ؛ أو من حجارة . ونفط : نفط غليانا شديدا يسمع لها صوت . وفي ب : نفط : تقور . كما هي : لم ينقص منها شيء مع كثرة من أكل منها .
(٥) وإن عجيننا ليخبز : أى إنهم استمروا على خبز العجين وإيصاله شيئا فشيئا لمن يأكل منه ، ولم ينقص بركة النبي صلى الله عليه وسلم . وفي ب : بعجينتنا . والثبت في صحيح البخارى أيضا .

(٦) وبارك : دعا فيهما بالبركة ، والزيادة والنمو . (٧) رواه : روى هذا الحديث .
(٨) فى ١ : ابن مينا - مقصور . والثبت فى تهذيب التهذيب : ٤ - ٩١ ، وقال القارى (١ - ٦٠٣) : مينا - بكسر الميم ، ممدودا ويقصر . (٩) بمثل الكف من العجينة .
(١٠) وكان ذلك : الإشارة إلى ما ذكر من الثلاثة ، وهى البيت والحجرة والدار .
(١١) ما بين القوسين ساقط فى ١ . والحديث فى طبقات ابن سعد : ١ - ١١٧ .

وحديثُ أبي أيوب ^(١) أنه صنع لرسولِ الله صلى الله عليه وسلم ولأبي بكرٍ من الطعام زُهَاءً ^(٢) ما يكفِيهما ؛ فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : ادعُ ثلاثين من أشرف الأَنْصار ؛ فدعاهم فأكلوا حتى تركوا ^(٣) ؛ ثم قال : ادعُ ستين ؛ فكان مِثْلُ ذلك ^(٤) ؛ ثم قال : ادعُ سَبْعين فأكلوا حتى تركوا ، وما خرج منهم أحدٌ حتى أسلم ^(٥) وبأبَع . قال أبو أيوب : فأكلَ مِنْ طعامي مائةٌ وثمانون رجلاً .

وعن سَمُرَةَ بن جُنْدُب : أتى النبي صلى الله عليه وسلم بِقِصْعَةٍ فيها لَحْمٌ ، فتعاقَبوها ^(٦) من غُدُوَّةٍ حتى الليل ؛ يقومُ قومٌ ويقعدُ آخرون .

ومن ذلك ^(٧) حديثُ عبد الرحمن بن أبي بكر : كُنَّا مع النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثين ومائة ؛ وذكر في الحديث أنه عُجِنَ صاعٌ من طعام ، وصُنعت ^(٨) شاةٌ ، فشَوِي سَوَادُ بَطْنِهَا ^(٩) ؛ قال : وإيْمٌ ^(١٠) الله ؛ ما مِنْ الثلاثين ومائةٍ إلا وقد حَزَّ له حَزَّةٌ ^(١١) مِنْ سَوَادِ بَطْنِهَا ؛ ثم جعلَ منها قِصْعَتَيْنِ ، فأكلْنَا [منها] ^(١٢) أجمعون ، وفضلَ في القِصْعَتَيْنِ ، فحملتهُ على البَعِيرِ .

(١) رواه عنه الطبراني ، والبيهقي .

(٢) حتى تركوا : أي شبعوا وتركوا الطعام ، أو الأكل منه .

(٣) اللام في « مثل » ضبطت في بالفتح ، وفي ب بالضم .

(٤) أسلموا وباعوا لما رأوا من تلك المعجزة ، ولطفه بهم .

(٥) فتعاقبوا : دخل جماعة من الصحابة بعد جماعة .

(٦) هذا الحديث رواه الشيخان في صحيحهما : صحيح مسلم : ١٦٢٧ ، وصحيح البخاري :

٤ - ٢٣٦ (٨) صنعت شاة : طبخت .

(٩) سواد بطنها : المراد به الكبدة خاصة ، أو حشوها مطلقا ، والأول أظهر .

(١٠) وإيْم الله : قسم .

(١١) حز له حزة : الحز : القطع بالسكين . والحزة - بفتح الحاء ، وتضم : القطعة من

اللحم . وفي صحيح مسلم : إلا حز له رسول الله حزة . . . (١٢) من صحيح مسلم .

وَمِنْ ذَلِكَ حَدِيثُ^(١) عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي عَمْرَةَ الْأَنْصَارِيِّ ، عَنْ أَبِيهِ ، وَمِثْلُهُ لِسَلْمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ ، وَعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ؛ فَذَكَرُوا مَخْمَصَةً^(٢) أَصَابَتْ النَّاسَ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَعْضِ مَعَازِرِهِ ، فَدَعَا بِبَقِيَّةِ الْأَزْوَادِ^(٣) ، فَجَاءَ الرَّجُلُ بِالْحَيْثِيَّةِ^(٤) مِنَ الطَّعَامِ ، وَفَوْقَ ذَلِكَ ؛ وَأَعْلَامَ الَّذِي آتَى بِالصَّاعِ مِنَ التَّمْرِ ؛ فَجَمَعَهُ عَلَى نِطْعٍ^(٥) .

قَالَ سَلْمَةُ : فَحَزَرْتُهُ كَرِبْضَةَ^(٦) الْعَنْزِ ؛ ثُمَّ دَعَا النَّاسَ بِأَوْعِيَّتِهِمْ ، فَمَا بَقِيَ فِي الْجَيْشِ وَعِوَالًا إِلَّا مَلْئُوهُ وَبَقِيَ مِنْهُ^(٧) .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ^(٨) : أَمَرَنِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ أَدْعُوَ لَهُ أَهْلَ الصُّفَّةِ^(٩) ، فَتَنَبَّهْتُهُمْ حَتَّى جَمَعْتُهُمْ ، فَوَضَعْتُ بَيْنَ أَيْدِينَا صَحْفَةً^(١٠) ، فَأَكَلْنَا مَا شِئْنَا ، وَفَرَعْنَا وَهِيَ مِثْلُهَا حِينَ وُضِعَتْ إِلَّا أَنْ فِيهَا أَثَرُ الْأَصَابِعِ .

(١) رواه ابن سعد ، والبيهقي ، وصححاه . طبقات ابن سعد : ١ - ١١٩

(٢) مخمصة : الخمصة : الجوع ، والمجاعة .

(٣) بقية الأزواد : أى طالب من كل رجل منهم أن يأتي بما بقي عنده من زاده .

(٤) الحثية : ما يملأ اليدين مما .

(٥) على نطع : النطع : بساط من جلد . وقد ضبطت النون في كلمة « نطع » بالفتحة

والكسرة ، وعليها « معا » في ب .

(٦) فحزرته كريبضة العنز : حزرته : قدرته بطريق الحدس والتخمين . كريبضة العنز :

مقدار جثة عنز باركة على الأرض .

(٧) في هامش ب : ح : قدر ما جعل وأكثر ، ولو ورده أهل الأرض لكفاهم .

(٨) في حديث رواه ابن أبي شيبة والطبراني بسند جيد .

(٩) الصفة : محل مرتفع في الدار والمسجد وغيره مفرز عن غيره للجلوس فيه ؛ وكان في

مسجده صلى الله عليه وسلم محل لذلك ، فيه المنقطعون عنده صلى الله عليه وسلم من فقراء

الصحابة الأعراب وغيرهم ؛ كسلمان ، وأبي ذر .

(١٠) صحفة : إناء بين الصغير والكبير يمد للطعام .

وعن عليّ بن أبي طالب^(١)، رضى الله عنه : جمع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم
بنى عبد المطلب ، وكانوا أربعين ، منهم قومٌ يأكلون الجذعة ، ويشربون الفرق^(٢) ؛
فصنع لهم مُدًّا من طعام ، فأكلوا حتى شَبِهوا ، وبقيَ كما هو ؛ ثم دعا بُمس^(٣) ،
فشربوا حتى رَوُوا ، وبقيَ كأنه لم يُشرب منه .

وقال أنس^(٤) : إن النبي صلى الله عليه وسلم حين ابتنى بزَيْنَبِ أمره^(٥)
أَنْ يَدْعُوَ لَهُ قوما سَمَّاهُمْ ، وكلَّ من لقيت ، حتى امتلأ البيت والحجرة ، وقدمَ إليهم
تَوْرًا^(٦) ، فيه قدرُ [٤ ١] مُدٍّ مِنْ تَمْرٍ جَبَلٍ حَيْسًا^(٧) ، فوضعه قُدَّامَهُ ، وغس ثلاثَ
أصابعه ، وجعل القومُ يتغدَّون ويخرجون ، وبقيَ التَّوْرُ نحواً مما كان^(٨) ، وكان
القومُ أحداً ، أو اثنين وسبعين .

[وفي رواية أخرى في هذه القِصَّةِ أو مثلها : إنَّ القومَ كانوا زُهَاءً ثلاثمائة^(٩) ،
وأَنهم أكلوا حتى شَبِهُوا . وقال لى : ارفَع ، فلا أذرى حين وَضَعْتُ كانت أكثر
أم حين^(١٠) رَفَعْتُ .

(١) في حديث رواه أحمد ، والبيهقي بسند جيد .

(٢) الجذعة من البفر والنعيم : ماتم له سنة . والفرق - بفتح الراء ، وشكونها : مكيال .
وفي هامش ب : الفرق : اثنا عشر مدا . وقال أبو الهيثم : هو إناء يأخذ ستة عشر رطلا ،
وتلك ثلاثة أصع .

(٣) ثم دعا بمس : المس : قدح من خشب يروى الثلاثة والأربعة . وفي هامش ب : المس :
الإناء الصغير ، والمراد بمس من لبن طليه من أهله لهم .

(٤) في حديث رواه الشيخان ؛ واللفظ لسلم ؛ وقريب منه الحديث الآتي عن أنس ،
وهو في سنن الترمذى : ٥ - ٣٥٧ (٥) ابتنى زينب : تزوج بها . أمره : أمر أنسا .

(٦) وقدم إليهم تورا : التور : إناء من صفر أو حجارة ، كالإجانة ، أو القدح الذى
يشرب منه . (٧) جبل حيسا : الحيس : تمر خلط بسمن وأقط ودقيق .

(٨) نحواً مما كان : لم ينقص نقصاً كثيراً . (٩) زهاء ثلاثمائة : مقدار .

(١٠) هذا حديث طويل في مسلم اختصره المصنف اقتصاراً على محل الشاهد منه .

وفي حديث جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ ، عن أَبِيهِ ، عن عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ^(١) - أَنَّ فَاطِمَةَ طَبَخَتْ قَدْرًا لَعْدَائِهَا وَوَجَّهَتْ عَلَيًّا إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيَتَنَدَّى مَعَهَا ، فَأَمَرَهَا ففَرَفَتْ مِنْهَا لِجَمِيعِ نِسَائِهِ صَفْحَةَ صَفْحَةٍ ^(٢) ، ثُمَّ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلِعَلِّي ، ثُمَّ لَهَا ، ثُمَّ رَفَعَتْ الْقِدْرَ ، وَإِنِهَا لَتَفِيضُ ^(٣) ؛ قَالَتْ : فَأَكُنَّا مِنْهَا مَا شَاءَ اللَّهُ ^(٤) . وَأَمْرٌ ^(٥) عُمرَ بْنِ الْخَطَّابِ أَنْ يَزُوْدَ أَرْبَعًا رَاكِبٍ مِنْ أَحْمَسَ ^(٦) ؛ قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَا هِيَ إِلَّا أَصْوَعٌ ^(٧) . قَالَ : اذْهَبْ ؛ فَذَهَبَ فزُوْدَهُمْ مِنْهُ ، وَكَانَ قَدْرُ الْفَصِيلِ الرَّابِضِ ^(٨) ، مِنَ التَّمْرِ ، وَبَقِيَ بِحَالِهِ . مِنْ ^(٩) ، رَوَايَةٌ دُكَيْنِ الْأَحْمَسِيِّ ، وَمِنْ رَوَايَةِ جَرِيرٍ . وَمِثْلُهُ ^(١٠) مِنْ رَوَايَةِ النُّعْمَانِ بْنِ مُقَرَّنِ الْخَلْبَرِيِّ بِعَيْنِهِ ، إِلَّا أَنَّهُ قَالَ ^(١٠) : أَرْبَعًا رَاكِبٍ مِنْ مُزَيْنَةَ .

-
- (١) رواه ابن سعد (الطبقات : ١ - ١٢٤) .
 (٢) الصفحة : إناء صغير للطعام .
 (٣) وإنها لتفيض : المراد بعد ما غرغ من القدر بقيت مملوءة بطعام كثير يسيل من جوانبها ببركته صلى الله عليه وسلم .
 (٤) في هامش ١ : من الأم بخطه ، وليس من الرواية . وفي هامش ب : هذا العلم عليه من الأم بخطه ، وليس من الرواية .
 (٥) في ب : وأمر - وضبط بالبناء للمعلوم ، وبالبناء للمجهول ، وكتب عليه « معا » .
 (٦) يزودهم : يطمئهم من الزاد ما يكفيهم . أحمس : اسم قوم من العرب ، وهم بطن من ضبيعة يقال لهم بنو أحمس .
 (٧) أصوع : جمع صاع : إناء يشرب فيه ، ومكيال . أى قال عمر : ليس التمر الذى عندي يكفي ، فإنه أصوع قليلة .
 (٨) وكان قدر الفصيل : وكان التمر قدر ولد الناقة الصغير المبارك الرابض على الأرض .
 (٩) من رواية : أى هذا الحديث من رواية . . . وقد رواه أبو داود فى الأدب .
 (١٠) أخرجه أحمد ، والبيهقى .

ومن ذلك حديث جابر^(١) في دَيْنِ أَبِيهِ بعد مَوْتِهِ ، وقد كان بَدَلَ لُغْرَمَاءِ أَبِيهِ أَصْلَ مَالِهِ^(٢) ، فلم يَقْبَلُوهُ ، ولم يكن في تَمْرِهَا^(٣) سنين كَفَافٍ^(٤) دَيْنِهِمْ ؛ فِجَاهُهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد أن أَمَرَهُ بِجَدِّهَا^(٥) ، وَجَعَلَهَا بِيَادِرَ فِي أَصُولِهَا^(٦) ، فَنَشَى فِيهَا ، ودعا ، فَأَوْفَى مِنْهُ جَابِرٌ لُغْرَمَاءَ أَبِيهِ ، وَفَضَلَ مِثْلَ مَا كَانُوا يَجِدُونَ^(٧) كُلَّ سَنَةٍ .

وفي رواية مثل ما أعطاهم ؛ قال : وكان الغُرَماءُ يهودَ ؛ فمَجِبُوا مِنْ ذَلِكَ .
وقال أبو هريرة^(٨) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أَصَابَ النَّاسَ مَخْمَصَةٌ^(٩) ، فقال لي رسولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : هل مِنْ شَيْءٍ ؟ قلتُ : نعم ؛ شَيْءٌ مِنَ التَّمْرِ فِي الْمِزْوَدِ^(١٠) . قال : فَأَتَيْتَنِي بِهِ . فَأَدْخَلَ يَدَهُ فَأَخْرَجَ قَبِيضَةً ، فبَسَطَهَا وَدَعَا بِالْبَرَكَةِ ؛ ثُمَّ قَالَ : ادْعُ عَشْرَةَ . فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا ، ثُمَّ عَشْرَةَ كَذَلِكَ ، حَتَّى أَطْعَمَ الْجَيْشَ كُلَّهُمْ وَشَبِعُوا . قال : خُذْ مَا جِئْتَ بِهِ ، وَأَدْخُلْ بِدَلِّكَ ، وَأَقْبِضْ مِنْهُ وَلَا تَكْتَبْهُ . فَقَبِضْتُ عَلَى أَكْثَرِ مِمَّا جِئْتُ بِهِ ؛ فَأَكَلْتُ مِنْهُ وَأَطْعَمْتُ حَيَاةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَبَى بِكَرِهِ وَعُمَرُ ، إِلَى أَنْ قُتِلَ عُمَانُ ، فَانْتَهَبَ مِنِّي^(١١) ، فَذَهَبَ .

- (١) هذا الحديث رواه البخارى : صحيح البخارى : ٤ - ٢٣٥ ، ٥ - ١٢٣
(٢) قال في نسيم الرياض (٣ - ٤٠) : أراد بأصل ماله : بستانا ونمخلا له كان يتقوت منه .
(٣) في تَمْرِهَا : أى في تمر النخيل .
(٤) كَفَافٍ : ما يفي به ويكفيه .
(٥) بِجَدِّهَا : بقطع الثمار وجمعها .
(٦) بِيَادِرَ : جمع بيدر ، وهو الموضع الذى يوضع فيه التمر لينشف ، والبر ونحوه ليخلص من تبنه ، والسكوم من الطعام والحنطة . والبيدر : الجرن . فى أصولها : أى جعلها كوما كوما فى أصول الثمار ، وهى النخل ، والمراد أنه كومه فى حديقه نخله . وفى ١ : جعلها - فعل ماض .
(٧) مَا كَانُوا يَجِدُونَ : مَا كَانُوا يَقْطَعُونَ مِنْ ثَمَارِهَا . (٨) فى حديث رواه البيهقى مسندا .
(٩) مَخْمَصَةٌ : جوع ، أو مجاعة .
(١٠) فى الميزود : الزود : وعاء الزاد .
(١١) انتهب منى : أى نهبه الناس ، وأغاروا عليه فى زمن الفتنة ، وسلبوه .

وفي رواية^(١): فقد حملت من ذلك التمر كذا وكذا من وسق^(٢) في سبيل الله -
وذكرت مثل هذه الحكاية في غزوة تبوك، وأن التمر كان يضع
عشرة تمره .

ومنه أيضا حديث أبي هريرة^(٣) حين أصابه الجوع، فاستنبحه^(٤) النبي صلى الله
عليه وسلم، فوجد لبناً في قدح قد أعدى إليه، وأمره أن يدعو أهل الصفة .
قال: قلت: ما هذا اللبن فيهم^(٥)؟ كنت أحق أن أصيب منه شربة أتقوى
بها . فدعواهم .

وذكر أمر النبي صلى الله عليه وسلم له أن يستقيهم، فجعلت أعطى الرجل فيشرب
حتى يروى، ثم يأخذه الآخر حتى يروى جميعهم .

قال: فأخذ النبي صلى الله عليه وسلم القدح، وقال: بقيت أنا وأنت، اقمدا
فاشرب فشربت، ثم قال: اشرب، وما زال يقولها وأشرب حتى قلت: لا،
والذي بعثك بالحق، ما أجده^(٦) مسلماً [١٠٥]؛ فأخذ القدح فحمد الله وسمى
وشرب الفضلة .

(١) رواها الترمذى في سننه وختمها، عن أبي هريرة: سنن الترمذى ٥ - ٦٨٥

(٢) الوسق: حمل بعير . في سبيل الله: أى في أسفارى غازيا .

(٣) رواه البخارى صحيح البخارى: ٦ - ١٢٠

(٤) فاستنبحه: طلب منه أن يتبعه .

(٥) ما هذا اللبن فيهم: ما مقداره القليل كاف لهم .

(٦) لا أجده مسلماً: أى لم يبق في جوفى محلا خاليا يدخله .

وفي ب: ما أجده . وفي هامشه: لا أجده .

وفي حديث^(١) خالد بن عبدالمزى أنه أجزر^(٢) النبي صلى الله عليه وسلم شاةً ، وكان عيال خالدٍ كثيرا يذبحُ الشاةَ فلا تُبَدُّ^(٣) عياله عظاماً عظماً^(٤) ؛ وإن النبي صلى الله عليه وسلم أكل من هذه الشاةِ وجعل فضلتها في دلو خالدٍ^(٥) ، ودعا له بالبركة ، فنثر ذلك عياله ، فأكلوا وأفضلوا^(٦) - ذكر خبره الدؤلأبى .

وفي حديث الأجرى في إنكاح النبي صلى الله عليه وسلم لعلى فاطمة - أن النبي صلى الله عليه وسلم أمرَ بلالاً بقصمة^(٧) من أربعة أمدادٍ أو خمسة ، ويذبح جزورا^(٨) لوليمتها^(٩) - قال : فأنته بذلك فطعن في رأسها ، ثم أدخل الناس رُفقةً رُفقةً^(١٠) يأكلون منها حتى فرغوا ، وبقيت منها فضلةٌ ؛ فبرك فيها ، وأمر بحملها إلى أزواجه ؛ وقال : كلن وأطعمن من غشيكُن^(١١) .

وفي حديث أنس^(١٢) : تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فصنعت أُمى

(١) رواه البيهقي مسندا عنه ، ولم يذكره أصحاب الكتب السنة .

(٢) أجزره : أعطاه جزرة ، وهى شاة أو نعجة أو كبش أو عنز ، تعطى لتجزر ؛

أى تذبح .

(٣) لا تبُدُّ عياله : يعنى أن الشاة إذا فرقت عليهم لا تكفيهم . وفى هامش ا : أبد الطعام ،

إذا أعطى كل واحد نصيبه على حدة .

(٤) عظما عظما : أى إذا فرقت عليهم قطعة قطعة وعظمة بعد عظمة لا تكفيهم لكثرتهم .

(٥) دلو خالد : الدلو : وعاء من آدم يستقى به الماء .

(٦) وأفضلوا : أى أبقوا بقية زادت على كفايتهم .

(٧) بقصمة : أن يأتى بقصمة .

(٨) الجزور : رأس من الإبل ناقة أو جملا .

(٩) الوليمة : الدعوة لطعام يصنع فى النكاح خاصة .

(١٠) رُفقة رُفقة : جماعة بعد جماعة .

(١١) من غشيكُن : أى كل من يأتى إليك من غير أهل البيت .

(١٢) سنن الترمذى : ٥ - ٣٥٧

أَمْ سَلَّمِ حَيْسًا ، فَعَمَلَتْهُ فِي تَوْرٍ^(١) ، فَذَهَبْتُ بِهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛
فَقَالَ : ضَعَهُ ، وَادْعُ لِي فَلَانًا وَفَلَانًا ، وَمَنْ لَقَيْتَ .

فَدَعَوْهُمْ ، وَلَمْ أَدْعُ أَحَدًا^(٢) لِقَيْتُهُ إِلَّا دَعْوَتُهُ ؛ وَذَكَرَ أَنَّهُمْ كَانُوا زُهَاءً^(٣)
ثَلَاثِمِائَةَ حَتَّى مَلَأُوا الصَّفَةَ وَالْحَجْرَةَ^(٤) ، فَقَالَ لَهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : تَحَلَّقُوا
عَشْرَةَ عَشْرَةَ^(٥) ، وَوَضِعِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدَهُ عَلَى الطَّعَامِ ، فَدَعَا فِيهِ ، وَقَالَ
مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقُولَ ؛ فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا كُلَّهُمْ ، فَقَالَ لِي : ارْفَعْ ، فَمَا أَدْرَى حِينَ
وُضِعَتْ^(٦) كَانَتْ^(٧) أَكْثَرَ أُمَّ حِينَ رُفِعَتْ .

وَأَكْثَرُ أَحَادِيثِ هَذِهِ الْفُصُولِ الثَّلَاثَةِ فِي الصَّحِيحِ^(٨) . وَقَدْ اجْتَمَعَ عَلَى مَعْنَى
حَدِيثِ هَذَا الْفَصْلِ بِضْعَةٌ عَشْرٌ مِنَ الصَّحَابَةِ ، رَوَاهُ عَنْهُمْ أَضْعَافُهُمْ مِنَ التَّابِعِينَ ، ثُمَّ
مَنْ لَا يَنْعَدُ بَعْدَهُمْ .

وَأَكْثَرُهَا فِي قِصَصِ مَشْهُورَةٍ ، وَجَمَاعَةٍ مَشْهُودَةٍ ؛ وَلَا يُمْكِنُ التَّحَدُّثُ عَنْهَا
إِلَّا بِالْحَقِّ ، وَلَا يَسْكُتُ الْحَاضِرُ لَهَا عَلَى مَا أَنْكَرَ مِنْهَا .

(١) الخيس : طعام من لبن وأقط وعمر وسمن يحاس ؛ أى يخلط بفضه يبعض .

والتور : إناء من صفر أو حجارة واسع رحراح كالصينية القرية القمر .

(٢) ولم أدع أحدا : لم أترك أحدا .

(٣) زهاء : مقدار .

(٤) الصفة : موضع مظال قدام البيت ، أو دكة عليه فيه . والحجرة : البيت الصغير

المفرز من المدار

(٥) تحلقوا : استديروا حول الطعام كالحلقة ، طائفة بعد طائفة من غير ازدحام .

وفي الترمذى : ليتحلق عشرة عشرة .

(٦) هذا الضبط في ١ ، وفي ب ضبط بفتح الواو وضم التاء .

(٧) في ب : كان .

(٨) الفصول الثلاثة : أى نبع الماء من بين أصابعه ، وانفجاره بدعوته ، وتكثير الطعام

ببركته - في الصحيح : من الأحاديث وكتبها المعمدة .

فصل

في كلام الشجرة وشهادتها له بالنبوة وإجابتها دعوته

حدثنا (١) أحمد بن محمد بن غلبون الشيخ الصالح فيما أجازنيه عن أبي عمر الطلمنكي (٢) ، عن أبي بكر بن المهتديس ، عن أبي القاسم البغوي ، حدثنا أحمد بن عمران الأحنسي ، حدثنا أبو حيان التميمي - وكان صدوقاً - عن مجاهد ، عن ابن عمر ، قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفره ، فدنا منه أعرابي ، فقال : يا أعرابي ، أين تريد ؟ قال : إلى أهلي . قال : هل لك إلى خير ؟ قال : وما هو ؟ قال : تشهد أن لا إله إلا الله وخده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله . قال : من يشهد لك على ما تقول ؟ قال : هذه الشجرة السمرة (٣) ، وهي بشاطيء الوادي (٤) ، وادعها فإنها تجيبك (٥) .

فأقبلت تحذ الأرض (٦) حتى قامت بين يديه ، فاستشهدها (٧) ثلاثاً ، فشهدت أنه كما قال ، ثم رجعت إلى مكانها .
وعن بريدة (٨) : سأل أعرابي النبي صلى الله عليه وسلم آية ، فقال له : قل لتلك الشجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوك .

(١) رواه البيهقي ، والبراز ، والدارمي مسندا عن ابن عمر .

(٢) هذا الضبط في شرح الشهاب : ٣ - ٤٧ ، ولب اللباب : ١٦٩ ، قال السيوطي : بفتحات وسكون النون ، نسبة إلى طلمنكة : مدينة بالأندلس . وقال القاري (١ - ٦١٥) :
الطلمنكي : بتشديد لام مفتوحة فميم مفتوحة ونون ساكنة .

(٣) السمرة : شجرة عظيمة ذات شوك .

(٤) شاطيء الوادي : جانبه وطرفه . والوادي : الأرض الواسعة للمستوية .

(٥) هذا في ب ؛ وفي ا : فادعها فإنها تجيب .

(٦) تحذ الأرض : تشقها .

(٧) استشهدها ثلاثاً : طلب منها أن تشهد ثلاث مرات .

(٨) في حديث رواه البراز مسندا .

قال: فالت الشجرة عن يمينها وشمالها وبين يديها وخلفها، فتقطعت عروقها، ثم جاءت [١٠٦] تحذ الأرض تجرُّ عروقها مُنْبَرَةً^(١) حتى وقفت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالت: السلام عليك يا رسول الله.

قال الأعرابي: مرَّها فلترجِعْ إلى منبِتِها، فرجعت، فدلَّت عروقها فاستوت^(٢). فقال الأعرابي: انذَن لي أسجدُ لك.

قال: لو أمرتُ أحدا أن يسجدَ لأحدٍ لأمرتُ المرأةَ أن تسجدَ لزوجها. قال: فأذن لي أن أقبلَ بديكَ ورجليك؛ فأذن له.

وفي الصحيح - في حديث جابر بن عبد الله الطويل^(٣): ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقضى حاجته، فلم يرَ شيئا يستترُّ به، فإذا بشجرتين في شاطئ الوادي، فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى إحداهما، فأخذَ بفضنٍ من أغصانها، فقال: انقادى على^(٤) ياذن الله؛ فانقادت معه كالبعير الخشوش^(٥) الذي يصانع قائده^(٦).

وذكر أنه فعل بالأخرى مثل ذلك، حتى إذا كان بالمنصف^(٧) بينهما قال: التثما على^(٨) ياذن الله؛ فالتثمتا^(٨).

(١) بتشديد الراء . وفي ب : بتشديد الباء .

(٢) دلت عروقها : أدخلتها في الأرض . فاستوت : انتصبت قائمة من غير ميل بها .

(٣) هذا الحديث في صحيح مسلم : ٢٣٠٦ (٤) انقادى على : طاوعني وميلي على .

(٥) كالبعير الخشوش : الخشوش : الذي يوضع في أنفه خشاش . والبعير الذي يسرقوده

يخرق أنفه ويوضع فيه شيء يذلل به ؛ فإن كان عوداً من خشب فهو خشاش ، وإن كان مفتولاً من وبر ونحوه فهو خزام ، وإن كان من نحاس ونحوه فهو برة .

(٦) يصانع قائده : المراد به الملاينة وسهولة الانقياد .

(٧) بالمنصف : أي في وسط المسكن ، أي نصف المسافة . والضبط في ب ، وصحيح مسلم .

(٨) التثما : انضما واجتما .

وضبط في ا بضم اليم .

وفي روايةٍ أخرى : فقال : يا جابرُ ؛ قُلْ لهذه الشجرةِ : يقول لكِ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : الخُلقُ بصاحبِكِ^(١) حتى أُجاسَ خلفَكِ . ففعلتُ ، فرجعتُ حتى لَحِقَتُ بصاحبِها فجلسَ خلفَهما ، ففرجتُ أُحْضِرُ^(٢) ؛ وجلستُ أُحَدِّثُ نفسي ، فالتفتُ فإذا برسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم مُقْبِلًا والشجرتانِ قد افترتا ، فقامتُ كلُّ واحدةٍ منهما على ساقٍ ، فوقفَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم وَفَقَةً ، فقال برأسه هكذا^(٣) يميناَ وشمالا .

ورَوَى أُسَامَةُ^(٤) بنَ زَيْدٍ مَحْوَه ؛ قال : قال رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم في بعضِ مَعَازِرِهِ ، هل تَعْنِي^(٥) مكانا لحاجةِ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم ؟ فقلتُ : إن الوادِيَّ ما فيه موضعٌ بالناسِ^(٦) . فقال : هل ترى من نَحَلٍ أو حجارةٍ ؟ قلتُ : أرى نَحَلاتٍ متقارباتٍ . قال : انطلقِ وقلْ لهنَّ : إن رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يأمرُكنَّ أنْ تَأْتِينَ لمَخْرَجِ رسولِ اللهِ^(٧) صلى الله عليه وسلم ، وقلْ للحجارةِ مِثْلَ ذلكِ .

فقلتُ ذلكِ لهنَّ ؛ فوالذي بعثه بالحقِّ ، لقد رأيتُ النَحَلاتِ يتقاربنَ حتى اجتمعنَ ، والحجارةُ يتماقدنَ حتى صِرْنَ رُكاما^(٨) خَلْفَهُنَّ .

- (١) الخُلقُ بصاحبِكِ : تحركى واذهبي حتى تكوني مع الشجرة الأخرى .
- (٢) أُحْضِرُ : أسرع في العدو . وفي هامش ب : أُحْضِرُ : معناه : أسرع في المشي .
- (٣) فقال برأسه : حركة هكذا .
- (٤) في حديثٍ أخرجه البيهقي في الدلائل ، وأبو يعلى بسند حسن . (٥) تعني : تقصد .
- (٦) ما فيه موضع بالناس : أى ما فيه موضع خال بسبب نزول الناس ؛ فهو مملوء بهم . وقال القاري : (١ - ٦١٧) : إن الوادي ما فيه موضع بالناس ؛ أى ليس فيه مكان مستقر بهم ؛ بل كله خال عنهم .
- (٧) لمخرج رسول الله : أى لمكان يخرج إليه الرسول لقضاء حاجته .
- (٨) يتماقدن : ينضم بعضها إلى بعض حتى يصرن كالبنيان للعقود بعضه ببعض . ركاما : بعضها فوق بعض . خلفهن : خلف النخلات ؛ يعني أن الحجارة اجتمعت مع النخل .

ولما قضى حاجته قال لى : قل لمن يفترقن ، فوالذى نَفَسِي بيده لرأيتهن
والحجارة - يفترقن حتى عدنَ إلى مواضعهن .

وقال يَعْلَى بن سَيَّابَةَ^(١) : كنتُ مع النبي صلى الله عليه وسلم في مَسِيرٍ . . .
وذكر نحواً من هذين الحديثين ، وذكر : فأمر وَدَّيْتَيْنِ^(٢) فانضمتا . وفي رواية :
أَشَاءَتَيْنِ^(٣) .

وعن غَيْلَانَ بن سلمة الثقفي مثله : في شجرتين .

وعن ابن مسعود ، عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله في غَزَاةِ حُنَيْنٍ .

وعن يَعْلَى بن مُرَّةٍ - وهو ابن سَيَّابَةَ^(١) - أيضاً ، وذكر أشياء رآها من رسول
الله صلى الله عليه وسلم ؛ فذكر أن طَلْحَةَ أو سَمْرَةَ^(٤) جاءت فَأَطَافَتْ^(٥) به ،

(١) في حديث صحيح رواه أحمد (مسند أحمد : ٤ - ١٧٠) ، والبيهقي ، والطبراني .
وقد ضبطت السين في سيابة بالفتحة والكسرة في ١ ، وعليها «مما» . وفي الإكمال (٣-٢٩٠) :
سيابة - بسين مهملة بعدها ياء مفتوحة معجمة باثنتين من تحتها وبمد الألف باء معجمة بواحدة .
وفي الاستيعاب : ٦٩١ ، والإصابة ٢ - ١٠١ ، بكسر أوله والتخفيف ، وبمد الألف موحدة .
وفي التبصير (١٣٤) : بمهملة مكسورة . وكذلك ضبطت السين في المؤلف لمجد النبي بن سميء
بالكسر . وضبطه في القاموس بفتح أوله .

ويعلَى بن سيابة أبوه اسمه مرة ، أما سيابة فهو اسم أمه .

(٢) الودية : من صفار النخل التي تخرج من أصول كبارها ، فتنتقل وتفرس ، وتسمى
فسيلا وفراخا . وفي هامش ١ : الودي : صفار النخل ، واحدها ودية ، وكذلك الأشياء ،
واحدها أشاءة .

(٣) أشاءتين : مثني أشاءة ؛ وهي من صفار النخل أيضاً ، لكنها أكبر من الودية
(شرح الشهاب) .

(٤) طلحة ، أو سمرة : نوعان من شجر البرية ذات شوك .

(٥) فأطافت به : دارت حوله ، وألمت به .

ثم رجعت إلى منبئها^(١) ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنها استأذنت أن تسلم^(٢) عليّ .

وفي حديث عبد الله بن مسعود رضى الله عنه^(٣) : آذنت^(٤) النبي صلى الله عليه وسلم بالجن ليلة [١٠٧] استمعوا له - شجرة .

وعن مجاهد ، عن ابن مسعود في هذا الحديث^(٥) : إن الجن قالوا : من يشهد لك ؟ قال : هذه للشجرة . تعالني يا شجرة ؛ فجاءت تجرُّ عروقها لها قعاقع^(٦) . . . وذكر مثل الحديث الأول أو نحوه .

قال القاضي أبو الفصّل^(٧) : فهذا ابن عمر ، وبريدة ، وجابر ، وابن مسعود ، ويعلى بن مـرّة ، وأسامة بن زيد ، وأنس بن مالك ، وعلي بن أبي طالب ، وابن عباس ، وغيرهم - قد اتفقوا على هذه القصة نفسها أو معناها . وقد رواها عنهم من التابعين أضعافهم ؛ فصارت في انتشارها من القوة حيث هي^(٨) .

(١) إلى منبئها : موضعها الأول الذي نبتت فيه .

(٢) قال في نسيم الرياض : المعنى أنها طلبت من الله تعالى أن يعطيها قدرة كقدرة العقلاء من المشي إليه والسلام عليه .

(٣) رواه الشيخان مسندا - صحيح مسلم : ٣٣٣

(٤) آذنت : أعلنت ، والفاعل كلمة شجرة الآتية بعد . بالجن : أى بحضورهم عنده صلى الله عليه وسلم ، واستماعهم منه القرآن ، في الليلة التي استمعوا قراءته .

(٥) رواه الشيخان - صحيح مسلم : ٣٣٣

(٦) قعاقع : صوت قوى كصوت الرجا ؛ وهو جمع قمقة ؛ وهي حكاية صوت الحركة من الأجرام الصلبة .

(٧) هو المصنف . وفي ب : قال المؤلف رحمه الله .

(٨) حيث هي : صارت في مرتبة قوية لا يشك فيها أحد من العقلاء .

وذكر ابن فورك أنه صلى الله عليه وسلم سار في غزوة الطائف^(١) ليلاً، وهو
وسن^(٢)، فاعترضته سدررة^(٣)، فانفجرت له نصفين حتى جاز^(٤) بينهما، وبقيت على
ساقين إلى وقتنا [هذا]^(٥)؛ وهي هناك معروفة معظمة.

ومن ذلك^(٥) حديث أنس رضي الله عنه - أن جبريل عليه السلام قال للنبي
صلى الله عليه وسلم - وراه حزينا^(٦) : أتحب أن أريك آية؟ قال : نعم. فنظر رسول
الله صلى الله عليه وسلم إلى شجرة من وراء الوادي، فقال : ادع تلك الشجرة،
فجاءت^(٧) تمشى حتى قامت بين يديه .

قال : مرها فلترجع، فمادت^(٨) إلى مكانها .

وعن عليٍّ نحو هذا^(٩)؛ ولم يذكر فيها جبريل؛ قال : اللهم أرني آية لا أبالي
من كذبتني بعدها، فدعا شجرة . . . وذكر مثله .

(١) الطائف : اسم بلدة قريبة من مكة كثيرة المياه والأشجار ، وهذه الغزوة كانت في
السنة الثامنة من الهجرة .

(٢) وسن : الوسن : قريب من النعاس .

(٣) جاز : مر ، وسار .

(٤) في ب عليها علامة الصحة ، وهي ساقطة في ا .

(٥) ومن ذلك : ومن معجزاته . وحديث أنس رواه الدارمي ، وابن ماجه ، والبيهقي .

والحديث في سنن ابن ماجه : ١٣٣٦

(٦) حزينا : كان حزينا لعدم إطاعة قومه له في أول البعثة ، إذ عرض نفسه على القبائل .

وفي ابن ماجه : وهو جالس حزين قد خضب بالدماء ، قد ضربه بعض أهله مكة ، فقال : مالك؟

قال : فعل بي هؤلاء وفعلوا . قال : أتحب . . .

(٧) في سنن ابن ماجه : فدعاها فجاءت . . .

(٨) في سنن ابن ماجه : فقال لها فرجمت .

(٩) في نسيم الرياض (٣ - ٥٨) : قال السيوطي : لم أجده عن علي ، وإنما هو عن جابر

رضي الله عنه .

وحُزْنُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَتَكْذِيبِ قَوْمِهِ وَطَلْبِهِ الْآيَةَ لَمْ يَلَهُ (١) .
وذكر ابنُ إسحاقَ (٢) أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرَى رُكَاةً مِثْلَ هَذِهِ
الْآيَةِ فِي شَجَرَةٍ دَعَاها فَأَتَتْ حَتَّى وَقَفَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ ؛ ثُمَّ قَالَ : ارْجِعِي ، فَرَجَعَتْ .
وَعَنِ الْحَسَنِ (٣) أَنَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَكَا إِلَى رَبِّهِ مِنْ قَوْمِهِ وَأَنَّهُمْ يَخَوْفُونَهُ (٤) ؛
وَسَأَلَهُ آيَةَ يَعْلَمُ بِهَا أَلَّا مَخَافَةَ عَلَيْهِ ؛ فَأَوْحَى إِلَيْهِ أَنَّ وَادِي كَذَا فِيهِ شَجَرَةٌ ، فَأَدْعُ
غُصْنًا مِنْهَا يَا نَبِيَّكَ . ففَعَلَ ؛ فَجَاءَ يَخْطُ الْأَرْضَ خَطًّا (٥) حَتَّى انْتَصَبَ بَيْنَ يَدَيْهِ (٦) ،
فحَبَسَهُ مَا شَاءَ اللهُ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ : ارْجِعِي كَمَا جِئْتِ ، فَرَجِعِي ؛ فَقَالَ : يَا رَبِّ ؛ عَلِمْتُ
أَنْ لَا مَخَافَةَ عَلَيَّ .

وَمَخَوْا مِنْهُ عَنِ عُمَرَ (٧) ؛ وَقَالَ فِيهِ : أَرِنِي آيَةَ لَا أَهْلِي مَن كَذَّبَنِي بَعْدَهَا . . .
وَذَكَرَ نَحْوَهُ .

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ (٨) رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِأَعْرَابِيٍّ :
أَرَأَيْتَ إِنْ دَعَوْتَ هَذَا الْعِذْقَ (٩) مِنْ هَذِهِ النَّخْلَةِ أَتَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللهِ ؟ قَالَ : نَعَمْ ،

(١) لَمْ : أَي لِقَوْمِهِ الْمَكْذِبِينَ . لِأَنَّهُ عَلَى يَقِينٍ مِنْ أَمْرِهِ ، وَعِلْمُهُ بِقُدْرَةِ رَبِّهِ .
وَانظُرِ الْهَامِشَ رَقْمَ ٦ فِي الصَّفْحَةِ السَّابِقَةِ .

(٢) مِمَّا رَوَاهُ فِي السِّيَرَةِ ، وَرَوَاهُ أَبُو نَعِيمٍ ، وَابِيهَيْ .

(٣) فِي حَدِيثٍ رَوَاهُ ابِيهَيْ .

(٤) إِنَّمَا شَكَا ذَلِكَ لِأَنَّهُ خَافَ الْقُصُورَ فِي تَبْلِيغِ مَا أُرْسِلَ بِهِ . وَكَانَ ذَلِكَ قَبْلَ الْهِجْرَةِ ، وَقَبْلَ

نَزُولِ قَوْلِهِ تَعَالَى : « وَاللَّهُ يَعْصَمُكَ مِنَ النَّاسِ » .

(٥) يَخْطُ الْأَرْضَ : يَشَقُّهَا شَقًّا .

(٦) انْتَصَبَ بَيْنَ يَدَيْهِ : قَامَ مُنْتَصِبًا عِنْدَهُ .

(٧) رَوَاهُ الْبَزَارُ ، وَأَبُو يَعْلَى ، وَابِيهَيْ بِسَنَدٍ حَسَنٍ . وَفِيهِ عَنْ عُمَرَ . وَفِيهِ عَنْ عُمَرَ .

(٨) فِي حَدِيثٍ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي تَارِيخِهِ ، وَالدَّارِمِيُّ ، وَابِيهَيْ مُسْنَدًا .

(٩) الْعِذْقُ : هُوَ الْمَرْجُونُ مِنَ النَّخْلَةِ وَشِمَارِيحُهَا .

فدعاه فجعل يَنْقِرُ^(١) حتى أتاه . قال : ارجِعْ ؛ فمادَّ إلى مكانه .
وخرَّجه الترمذى^(٢) ، وقال : هذا حديثٌ صحيحٌ .

فصل

في قِصَّةِ حَنِينِ الْجِدْعِ

وَيَعْمُدُ^(٣) هذه الأخبارَ حديثُ أنينِ^(٤) الجِدْعِ ، وهو^(٥) في نفسه مشهورٌ
مُنْتَشِرٌ ، وَالخَبْرُ به متواترٌ ، قد خرَّجه أهلُ الصحيح^(٦) ، ورواهُ من الصحابةِ
بضعةَ عشرَ ؛ منهم أنىُّ بن كعب ، وجابر بن عبد الله ، وأنس بن مالك ، وعبدُ الله
ابن عمر ، وعبدُ الله بن عباس ، وسهلُ بن سعد ، وأبو سعيد الخُدْرِي ، وبريدةُ ،
وأم سلمةُ ، والمطلبُ بن أبي وداعةُ ، كلُّهم يُحدِّثُ بمعنى هذا الحديث .
قال الترمذى : وحديثُ أنسٍ^(٧) صحيحٌ .

قال جابر بن عبد الله [١٠٨] : كان المسجدُ^(٨) مسقوفاً على جُدوعٍ نَحْلٍ ؛
فكان النبيُّ صلى الله عليه وسلم إذا خطبَ يقومُ^(٩) إلى جُدْعٍ منها ؛ فلما صُنِعَ له
المنبرُ سمعنا لذلك الجِدْعِ صوتاً كصوتِ العِشَارِ^(١٠) .

- (١) ينقر : يثبُ صعداً . وروى هذا الحديثُ مفصلاً البيهقي ؛ وقال : إن هذا الأعرابي
من بني عامر . (٢) في سنن الترمذى : ٥ - ٥٩٤ (٣) ويمضد : يقوى ويؤيد .
(٤) الأنين : صوت المريض ، والآنين والحنين متقاربان . وقيل : الأنين فيه زيادة
امتداد الصوت . (٥) وهو : أى حديث الجُدْعِ . والجُدْعُ : أصل الشجرة .
(٦) كالبخارى ، ومسلم : صحيح البخارى : ٤ - ٢٣٧ (٧) سنن الترمذى : ٥ - ٥٩٤
(٨) كان للمسجد : أى مسجد الرسول بالمدينة . والحديث في ابن ماجه : ٤٥٥ ،
وصحيح البخارى : ٤ - ٢٣٧ (٩) يقوم مستنداً .

(١٠) كصوت العِشَارِ : الناقة التي آتى على حماتها عشرة أشهر ، وزال عنها اسم
الحاض ، ثم لا يزال ذلك اسمها حتى تضع وبعد وضعها أيضاً . والمراد خوارها حين وضعها أو
عقبه بزاعماً لولدها إذا لم تره .

وفي رواية أنس : حتى ارتجَّ المسجدُ بجواره ^(١) .
 وفي رواية سهل : وكثُرُ بكاءُ الناسِ لِمَا رَأَوْا به .
 وفي رواية المطلب [وأبي] ^(٢) : حتى تصدَّع وانشقَّ ، حتى جاء النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلم ، فوضع يدهُ عليه فسكتَ .
 زاد غيرهُ : فقال النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلم : إنَّ هذا بكى لِمَا قَدَّ مِنَ الذِّكْرِ ^(٣) .
 وزادَ غيرهُ : والذي نَفَسى بيده : لو لم أَلْتَزِمه ^(٤) لم يزلْ هكذا إلى يومِ القيامة ؛
 تَحْزَانًا على رسولِ اللهِ ^(٥) صَلَّى اللهُ عليه وسلم ؛ فأمر به صَلَّى اللهُ عليه وسلم فدُفِنَ تحتَ المنبرِ .

كذا في حديث المطلب ، وسهل بن سعد ؛ وإسحاق ؛ عن أنس .
 [وفي بعض الروايات عن سهل : فدُفِنَتْ تحتَ منبره ، أو جُمِلَتْ في السقف] ^(٦) .
 وفي حديث أبي : فكان إذا صَلَّى النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلم صَلَّى إليه ^(٧) ؛
 فلما هُدِمَ المسجدُ ^(٨) أخذَه أبي ، فكان عنده إلى أن أكلته الأرضُ ، وعاد رُفَاتَانَا ^(٩) .
 وذكر الإسفرائيني ^(١٠) أن النبيَّ صَلَّى اللهُ عليه وسلم دعاه إلى نفسه ، فجاء يخرقُ الأرضَ ^(١١) ، فالتزمه ^(١٢) ، ثم أمره فعادَ إلى مكانه .

(١) الحوار في الأصل يختص بصياح البقر ، ثم توسعوا فيه في أصوات جميع البهائم .

(٢) ليس في ١ .

(٣) من الذكر : المراد بالذكر ذكر الله ، أو الموعظة ، أو القرآن . وفي ١ : لجواره ، لحواره ، وكتب عليها فيما « معا » . والجوار : رفع الصوت بالدعاء والتضرع والاستغاثة .

(٤) التزمه : إذا اعتنقه وضه .

(٥) علي رسول الله : على مفارقتة .

(٦) كتب أمام هذه العبارة في هامش ١ ، ب : من اللم بخطه من غير الرواية .

(٧) صَلَّى إليه : استقبله ، وجمله كالسترة للمصلي من المارين .

(٨) هدم المسجد : هدمه كان في زمن عمر رضي الله عنه .

(٩) وعاد رفاتنا : عاد : صار . رفاتنا : متكسرا متفرقا . (١٠) والباب .

(١١) يخرق الأرض : يشقها بمشيها فيها . (١٢) فالتزمه : اعتنقه وضه .

وفي حديث بُرَيْدَةَ : فقال - يَعْنِي النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنْ شِئْتَ أَرُدُّكَ إِلَى الْحَائِطِ ^(١) الَّذِي كُنْتَ فِيهِ تَنْبِتُ لَكَ عَرْوَقُكَ ، وَيَكْمُلُ خَلْقُكَ ، وَيُجَدِّدُ لَكَ خُوصًا وَنَمْرَةً ^(٢) .؛ وَإِنْ شِئْتَ أُعْرِسْكَ فِي الْجَنَّةِ ، فَيَأْكُلُ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ مِنْ ثَمَرِكِ ؛ ثُمَّ أَصْنِي لَهُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْمَعُ مَا يَقُولُ .

فقال : تَغْرِسْنِي فِي الْجَنَّةِ ، فَيَأْكُلُ مِنِّي أَوْلِيَاءُ اللَّهِ ، وَأَكُونُ فِي مَكَانٍ لَا أُبَلَى فِيهِ .

فسمعه مَنْ يَلِيهِ ^(٣) .

فقال النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : قد فعلتُ ؛ ثم قال : اختارَ دارَ البقاءِ على دارِ الفناءِ .

فكان الحسنُ ^(٤) إذا حدثَ بهذا بكى ، وقال : يا عبادَ اللَّهِ ؛ الخَشْبَةُ ^(٥) تَمُنُّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَوْقًا إِلَيْهِ لِمَكَانِهِ ؛ فَأَنْتُمْ أَحَقُّ أَنْ تَشْتَأَفُوا إِلَى لِقَائِهِ . رواه - عن جابر - حَفْصُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ ، وَيُقَالُ : عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ حَفْصٍ ، وَأَيْمَنُ ، وَأَبُو نَضْرَةَ ، وَابْنُ الْمُسَيْبِ ، وَسَعِيدُ بْنُ أَبِي كَرِيبٍ ، وَكَرَيْبُ بْنُ أَبِي صَالِحٍ . ورواه عن أنس بن مالك الحسنُ ، وثابتُ ، وإسحاقُ بن أبي طلحة . وراهُ عن ابنِ عُمرٍ : نافعُ ، وأبو حَيَّةَ ؛ ورواه أبو نَضْرَةَ ، وأبو الودَّاعِ ، عن أبي سَعِيدٍ ، وَعَمَّارُ بْنُ أَبِي عَمَّارٍ ، عن ابنِ عَبَّاسٍ ، وأبو حازمٍ ، وعباسُ بن سهلٍ ، عن سهلِ بنِ سعدٍ ، وكَثِيرُ بْنُ زَيْدٍ عن المطلبِ ، وعَبْدُ اللَّهِ بْنُ بُرَيْدَةَ عن أبيه ، والطُّفَيْلُ بْنُ أَبِي عَأْبِيَةَ .

(١) الحائط : البستان الذي فيه الشجر والنخل .

(٢) أى تعود لك خلقتك بتمامها ونضارتها .

(٣) من يليه : من يقرب منه . (٤) الحسن : هو الحسن البصرى .

(٥) الخشب : يريد هذا الجذع .

قال القاضي أبو الفضل^(١) : فهذا حديثٌ كما تراه خرَّجه أهلُ الصحة ، ورواه من الصحابة مَنْ ذكرنا ، وغيرهم من التابعين ضَعْفُهُمْ ، إلى مَنْ لم نذكره ؛ وبِمَنْ^(٢) دونَ هذا المددِ يَقَعُ^(٣) العِلْمُ لِمَنْ اعْتنى بهذا البابِ . واللهُ المَثْبُتُ على الصوابِ .

فصل

ومِثْلُ هذا في سائرِ الجمادات^(٤) :

[١٠٩] حدثنا القاضي أبو عبد الله محمد بن عيسى التَّمِيمِي ، حدثنا القاضي أبو عبد الله محمد بن الرَّاِبِط ، حدثنا المهلب ، حدثنا أبو القاسم ، حدثنا أبو الحسن القاسمي ، حدثنا المرزُوزِي ، حدثنا الفِرَبْرِي ، حدثنا البخاري ، حدثنا محمد بن المثنى ، حدثنا أبو أحمد الزُّبَيْرِي ، حدثنا إسرائيل ، عن منصور ، عن إبراهيم ، عن علقمة ، عن ابن مسعود ، قال : لقد كنَّا نسمعُ تسبيحَ الطَّعامِ وهو يؤكل^(٥) .

وفي غير هذه الرواية عن ابن مسعود^(٦) : كُنَّا نَأْكُلُ مع رسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الطَّعامَ ونحن نسمعُ تسبيحَهُ .

وقال أنس^(٧) : أخذ النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَفًّا من حصيِّ ، فسَبَّحَنَ في يَدِ رَسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى سَمِعْنَا التَّسْبِيحَ ، ثم صَبَّحْنَا في يَدِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فَسَبَّحَنَ ، ثم في أيدينا فما سَبَّحَنَ .

(١) هو عياض المصنف . وفي ب : قال المؤلف رحمه الله .

(٢) وفي هامش ا : وبدون .

(٣) يقع العلم : يوجد العلم وتتفق صحته . (٤) الجماد : ما لا روح فيه .

(٥) وهو يؤكل : أى في حال أكلنا مع النبي صلى الله عليه وسلم .

(٦) هي رواية الترمذى (٥ - ٥٩٧) . والأولى رواية البخارى .

(٧) في حديث أخرجه ابن عساکر في تاريخه .

وَرَوَى مِثْلَهُ ^(١) أَبُو دَرَّزٍ ، وَذَكَرَ أَنَّهُنَّ سَبَّخْنَ فِي كَفِّ عُمَرَ وَعُمَانَ .
 وَقَالَ عَلِيٌّ ^(٢) كُنَّا بِمَكَّةَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَخَرَجَ إِلَيَّ بَعْضُ
 نَوَاحِيهَا فَمَا اسْتَقْبَلَهُ شَجَرَةٌ وَلَا جَبَلٌ إِلَّا قَالَ لَهُ : السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ .
 وَعَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ ^(٣) عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لَمَّا لَأَعْرَفُ حَجْرًا بِمَكَّةَ كَانَ
 يُسَلِّمُ عَلَيَّ ؛ قِيلَ : إِنَّهُ الْحَجَرُ الْأَسْوَدُ .
 وَعَنْ عَائِشَةَ ^(٤) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : لَمَّا اسْتَبَلَنِي جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالرَّسَالَةِ جَعَلْتُ
 لَا أَمْرًا بِحَجَرٍ وَلَا شَجَرٍ إِلَّا قَالَ : السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ .
 وَعَنْ جَابِرِ بْنِ ^(٥) عَبْدِ اللَّهِ : لَمْ يَكُنِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَمُرُّ بِحَجَرٍ
 وَلَا شَجَرٍ إِلَّا سَجَدَ لَهُ .
 وَفِي حَدِيثِ الْعَبَّاسِ ^(٦) ؛ إِذَا اشْتَمَلَ ^(٧) عَلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَى بَنِيهِ
 بِمَلَأَةٍ ، وَدَعَا لَهُمْ ^(٨) بِالسَّخْرِ مِنَ النَّارِ كَسَتْهُ إِيَّاهُمْ بِمَلَأَتِهِ ؛ فَأَمَّنتُ أُسْكُفَةَ الْبَابِ ^(٩)
 وَحَوَائِطُ الْبَيْتِ : آمِينَ آمِينَ .

-
- (١) رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ ، وَابِيهَيْقَى ، وَابِرَّازٍ .
 (٢) فِي حَدِيثِ رَوَاهُ الدَّارِمِيُّ ، وَالتِّرْمِذِيُّ ، بِسَنَدٍ حَسَنٍ (سَنَنِ التِّرْمِذِيِّ : ٥ - ٥٩٣)
 (٣) فِي حَدِيثٍ صَحِيحٍ رَوَاهُ مُسْلِمٌ ، وَهُوَ فِي سَنَنِ التِّرْمِذِيِّ : ٥ - ٥٩٣
 (٤) فِي حَدِيثٍ صَحِيحٍ رَوَاهُ ابِرَّازٍ فِي مَسْنَدِهِ . وَانظُرْ فِي ذَلِكَ أَيْضًا : طَبَقَاتُ ابْنِ
 سَعْدٍ : ١ - ١٠٢
 (٥) فِي حَدِيثِ رَوَاهُ ابِيهَيْقَى . (٦) رَوَاهُ ابِيهَيْقَى أَيْضًا .
 (٧) اشْتَمَلَ عَلَيْهِ : ضَمَهُ . بِمَلَأَةٍ : هِيَ الْإِزَارُ وَالْمَلْحَفَةُ . وَفِي ب : وَهِيَ عَلَى بَنِيهِ . وَفِي
 هَامِشِ ب : الْمَلَأَةُ : الْمَلْحَفَةُ .
 (٨) قَالَ : يَا رَبِّ ؛ هَذَا عَمِي وَصَنُؤَابِي ؛ وَهَؤُلَاءِ بَنُوهُ ، فَاسْتَرَمُّ مِنَ النَّارِ كَسَتْهُ إِيَّاهُمْ
 بِمَلَأَتِي هَذِهِ .
 (٩) أُسْكُفَةُ الْبَابِ : عَتَبَتُهُ . وَفِي هَامِشِ أ : الْأُسْكُفَةُ ، وَالْأَسْكُوفَةُ : الْعَتَبَةُ .

وعن جعفر بن محمد^(١)، عن أبيه: مَرَضَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَتَاهُ جَبْرِيلُ بِطَبَقٍ فِيهِ رُمَانٌ وَعِنَبٌ، فَأَكَلَ مِنْهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَسَبَّحَ .
وعن أنس^(٢): صَعِدَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَعُمَانُ، أَحَدًا، فَرَجَفَ^(٣) بِهِمْ؛ فَقَالَ: اثْبُتْ أَحَدٌ؛ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ نَبِيٌّ وَصِدِّيقٌ، وَشَهِيدَانِ .
وَمِثْلُهُ عَنِ أَبِي هُرَيْرَةَ^(٤) فِي حِرَاءِ^(٥)، وَزَادَ مَعَهُ: عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ، وَالزَّيْبِرُ؛ وَقَالَ: فَإِنَّمَا عَلَيْكَ نَبِيٌّ، أَوْ صِدِّيقٌ، أَوْ شَهِيدٌ .
وَالْخَبْرُ فِي حِرَاءِ^(٥) أَيْضًا عَنْ عُمَانَ؛ قَالَ: وَمَعَهُ عَشْرٌ مِنْ أَصْحَابِهِ أَنَا فِيهِمْ .
وَزَادَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ وَسَعْدًا، قَالَ: وَنَسِيتُ الْاِثْنَيْنِ^(٦) .
وَفِي حَدِيثِ^(٧) سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ أَيْضًا مِثْلُهُ؛ وَزَادَ عَشْرَةً؛ وَزَادَ نَفْسَهُ .

(١) في نسيم الرياض (٣ - ٧٣) : قال السيوطي : لم أجد هذا في كتب الحديث - يعني للشهورة ، فلا ينافي اطلاع المصنف عليها . وقال القاري (١ - ٦٢٩) : قال الدلحي : لم أدر من رواه . قلت : يكفي أنه رواه المصنف ، وهو من أكابر المحدثين ، ولولا أن الحديث له أصل لما ذكره .

(٢) في حديث رواه أحمد ، والبخاري ، والترمذي ، وابن ماجه . سنن ابن ماجه : ٤٨٠ . وفيه : اثبت حراء . والحديث في مسند الطيالسي : ٢ - ١٣٩ أيضا ، وسنن الترمذي : ٥ - ٦٢٤ .

(٣) رجف بهم : تحرك حركة شديدة واضطرب .

(٤) رواه مسلم . وهو سنن ابن ماجه : ٤٨٠ ، ومسند الطيالسي : ٢ - ١٣٩ ، وسنن الترمذي :

٥ - ٦٢٤ ، ٦٢٥ .

(٥) حراء : جبل على ثلاثة أميال من مكة .

(٦) رواه الترمذي ، والنسائي عن عثمان .

(٧) أي تمة المشرة ؛ وهما : طلحة ، والزبير .

(٨) رواه أبو دواد ، والترمذي ، والنسائي ، وابن ماجه .

وقد رُوِيَ أَنَّهُ حِينَ طَلَبْتَهُ ^(١) قُرَيْشٌ قَالَ لَهُ تَمْبِيرٌ ^(٢) : اهْبِطْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؛ فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ يَتَلَوَّكَ عَلَى ظَهْرِي فَيَمْدُبْنِي اللَّهُ ^(٣) .

فَقَالَ حِرَاءٌ : إِلَى ^(٤) يَا رَسُولَ اللَّهِ .

وَرَوَى ابْنُ عُمَرَ ^(٥) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَرَأَ عَلَى الْمُنْبَرِ : ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾ ^(٦) ؛ ثُمَّ قَالَ : يُمَجِّدُ الْجَبَّارُ نَفْسَهُ ^(٧) ؛ أَنَا الْجَبَّارُ ، أَنَا الْجَبَّارُ ، أَنَا الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ ؛ فَرَجَفَ ^(٨) الْمُنْبَرُ حَتَّى قُلْنَا : لِيَخْرُجَنَّ عَنْهُ ^(٩) .

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ^(١٠) : كَانَ حَوْلَ الْبَيْتِ سِتُونَ وَثَلَاثُمِائَةً صَنَمٌ [١١٠] مُشَبَّهَةٌ الْأَرْجُلِ بِالرِّصَاصِ فِي الْحِجَارَةِ ؛ فَلَمَّا دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلسَّجْدِ عَامَ الْفَتْحِ جَعَلَ يُشِيرُ بِقَضِيْبٍ ^(١١) فِي يَدِهِ إِلَيْهَا وَلَا يَمْسُهَا ، وَيَقُولُ : جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ

(١) طلبته قريش لما خرج مهاجرا ، وأرسلوا خلفه من يطلبه منهم .

(٢) تمبر : جبل بالزدلفة عن يسار الذهاب إلى منى . اهبط : انزل من على ظهري ، واذهب إلى مكان آخر تختفي به عنهم .

(٣) قال في نسيم الرياض (٣ - ٧٥) : إنما خاف المذاب بسبب قتله ، لأنه لو لم يذكر له ذلك مع علمه بأنه ليس فيه مكان يستره كان غشا منه يستحق به المذاب ؛ أو لأنه لو قتل على ظهره غضب الله على المسكان الذي يقع فيه مثل هذا الأمر العظيم ؛ كما غضب على أرض ثمود .

(٤) إلى : أقبل .

(٥) في حديث رواه مسلم ، والنسائي ، وأحمد في مسنده (مسند أحمد : ٢ - ٧٢ ، ٨٨) .

(٦) ما قدروا الله حق قدره : ما عظموه حق تمظيمه ، وما عرفوه حق معرفته .

(٧) يمجد الجبار نفسه : يعظم وينزه ذاته .

(٨) رجف المنبر : اهتز واضطرب من مهابة مقال النبي .

(٩) ليخرن عنه : ليقع النبي صلى الله عليه وسلم من شدة اضطراب المنبر من فوقه ،

أو لينهد المنبر .

(١٠) في حديث أخرجه الشيخان ، والبخاري ، والطبراني ، وأبو يعلى عن جابر وابن مسعود .

(١١) بقضيب : بمصا .

والحديث في مسند الطيالسي : ٢ - ١٠٧

الباطلُ إنَّ الباطلَ كانَ زهوقاً^(١)؛ فأشار إلى وَجْه صَنَمٍ إِلَّا وَقَعَ لِقْفَاهُ ، وَلَا لِقْفَاهُ إِلَّا وَقَعَ لَوَجْهِهِ ، حتَّى ما بَقِيَ مِنها صَنَمٌ .

ومثله في حديث ابن^(٢) مسعود؛ وقال: تَجْمَلُ بِطَمَنُهَا ويقول: جاء الحقُّ وما بيديُّ الباطل وما يُعيد^(٣) .

ومن ذلك^(٤) حديثه مع الراهب في ابتداء أمره؛ إذ خرج تاجراً مع عمه؛ وكان الراهبُ لا يخرجُ لأحدٍ؛ ففرج وجعل يتخلَّطهم^(٥)، حتَّى أخذَ بيدِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم؛ فقال: هذا سيِّدُ العالمين؛ يبعثه الله رحمةً للعالمين .

فقال له أشياخُ من قُرَيْشٍ: ما عليك؛ فقال: إنه لم يبقَ شجرٌ ولا حجرٌ إِلَّا خَرَّ ساجداً له، ولا تسجدُ إِلَّا لِنبيِّ . . . وذكر القِصَّةَ، ثم قال: فأقبلَ صلى الله عليه وسلم وعليه عَمَامَةٌ تُظِلُّهُ؛ فلما دنا من القوم وجدهم سبقوه إلى قِيَمِ^(٦) الشجرة؛ فلما جلس مالَ النبيُّ إليه .

فصل

في الآيات في ضروب الحيوانات

حدثنا سراجُ بن عبد الملك، [حدثنا]^(٧) أبو الحسين الحافظ، حدثنا أبي، حدثنا القاضي يونس، قال: حدثنا أبو الفضل الصَّعْلِيُّ، حدثنا ثابت بن قاسم بن ثابت،

(١) الحق: التوحيد، والإسلام. والباطل ضده. وزهوقه: زواله واضمحلاله .

(٢) رواه الشيخان؛ صحيح البخارى: ٥ - ١٨٨

(٣) الحق: الدين الحق، أو التوحيد، أو وعد الله بفتح مكة. الإبداء: الإيجاد ابتداء من غير سبق إيجاد آخر. والإعادة: الإيجاد مرة بعد مرة أخرى؛ أي إن الشرك هلك واضمحل .

(٤) من ذلك: مما ذكر من أمر الجمادات. والحديث رواه الترمذي والبيهقي. والراهب

هو بحيرا. سنن الترمذي: ٥ - ٥٩٠، وطبقات ابن سعد: ١ - ٩٩

(٥) يتخلطهم: يدخل في خلطهم، ويدور بينهم ينظرهم واحدا واحدا .

(٦) القِيَم: الظل. والنعامة: السحابة. (٧) ليس في ب .

من أبيه وجدّه ؛ قالوا : حدثنا أبو العلاء أحمد بن عمران ، حدثنا محمد بن فضّيل ، حدثنا يونس بن عمرو ، حدثنا مجاهد ، عن عائشة رضي الله عنها ؛ قالت : كان عندنا داجنٌ^(١) ، فإذا كان عندنا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قرء^(٢) وثبت مكانه ؛ فلم يجيء ولم يذهب ؛ وإذا خرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم جاء وذَهَبَ . ورؤى عن عمر^(٣) أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم كان في محفلٍ^(٤) من أصحابه إذ جاء أعرابيٌّ قد صادَ ضَبًّا^(٥) ؛ فقال : ما هذا^(٦) ؟ قالوا : نبيُّ الله . فقال : واللّاتِ والمزى^(٧) ، لا آمَنْتُ بك أو يؤمنَ هذا الضَّبُّ ؛ وطَرَحَه بين يدي النبيّ صلى الله عليه وسلم ؛ فقال النبيُّ صلى الله عليه وسلم : يا ضَبُّ ؛ فأجابهُ بلسانٍ مُبينٍ بِسْمِئِهِ الْقَوْمُ جميعاً : لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ^(٨) يَا زَيْنَ مَنْ وَافَى الْقِيَامَةَ^(٩) .

(١) داجن : شاة تألف البيوت وتلف فيها ، وتطلق على غيرها من الحيوانات التي تربي في البيوت ، كالناقة ، والحمام . وفي هامش ب : دواجن البيوت : ما ألفها من الطير والشاء وغيرها . والمراد بقولها « عندنا » منزلها الذي تسكنه .

(٢) قر وثبت مكانه : وقف ، أو ربض في مكانه لا يتحرك .

(٣) في حديث رواه الطبراني ، والبيهقي .

(٤) محفل : مكان يجتمع فيه ناس كثيرون .

(٥) الضب : حيوان برى ، والأعراب تصيده وتأكله .

(٦) هذا في ا ، ب . وفي هامش ا : من هذا .

(٧) اللات والمزى : صنان عبدا في الجاهلية . واللات : كان بنخلة والطائف لقريش

وثقيف . والمزى : شجرة من السمركانت لنعطفان .

(٨) لبيك وسعديك : لبيك ؛ إجابة لك بمد إجابة . وسعديك : مساعدة وطاعة لك

بمد طاعة ، وهما عبارة عن سرعة الإجابة والانقياد والطاعة .

(٩) من وافى القيامة : الموافاة : الحضور والمجيء . وإنما جملة زينا ؛ أي مزينا لأهلها

ومن بها ، لأنه سيدهم وقائدهم ، والشفيح لهم . والعرب تقول : يازين القوم - لأشرفهم وأحسنهم .

قال : مَنْ تَعْبُدُ؟ قال : الذى فى السماء عَرَّشُهُ ، وفى الأرضِ سُلْطَانُهُ ، وفى البحرِ سَبِيلُهُ^(١) ، وفى الجنةِ رَحْمَتُهُ ، وفى النارِ عِقَابُهُ .

قال : فَدَنْ أَنَا؟ قال : رسولُ ربِّ العالمين ، وخَاتَمُ^(٢) النَّبِيِّينَ ، وقد أَفْلَحَ مَنْ صَدَّقَكَ ، وخَابَ مَنْ كَذَّبَكَ .

فَأَسْأَلُ الْأَعْرَابِيَّ^(٣) .

ومن ذلك^(٤) قصة^(٥) كَلامِ الذَّنْبِ المشهورةُ عن أبى سفيانِ الخُدْرِيِّ :

بَيْنَا رَاعٍ يَرَعَى غَنَمًا لَهُ عَرَضَ الذَّنْبُ لَشَاةٍ مِنْهَا ، فَأَخَذَهَا الرَّاعِي مِنْهُ ،

فَأَقْعَى^(٦) الذَّنْبُ ، وَقَالَ لِلرَّاعِي : أَلَا تَتَّقِي اللَّهَ ! حُلَّتْ بَيْنِي وَبَيْنَ رِزْقِي !

قال الرَّاعِي : العَجَبُ مِنْ ذَنْبٍ يَتَكَلَّمُ بِكَلَامِ الْإِنْسِ ! فقال الذَّنْبُ : أَلَا

أُخْبِرُكَ بِأَعْجَبَ مِنْ ذَلِكَ؟ رسولُ اللَّهِ بينَ الحَرَّتَيْنِ^(٧) يُحَدِّثُ النَّاسَ بِأَنْبَاءِ^(٨) مَا قَدْ سَبَقَ .

فَأَتَى الرَّاعِي لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرَهُ ؛ فقال النبيُّ : قُمْ فَحَدِّثْهُمْ ؛

ثم قال : صَدَقَ .

والحديث فيه قصةٌ ، وفى بعضه طُولٌ .

وَرَوَى حَدِيثُ الذَّنْبِ^(٥) عَنْ أُمِّ هُرَيْرَةَ .

(١) سبيله : طريقه التى جعلها مسلوكة لبياده بتسخير الريح ونحوه مما لا يقدر عليه غيره .

(٢) ضببت التاء فى بالكسرة ، وفى ب : بالفتحة . وهو بالفتح بمعنى ختموا به ،

وبكسرهما بمعنى ختمهم . (٣) هذا الحديث طويل رواه البيهقي .

(٤) من ذلك : من معجزاته فى تسخير الحيوانات وإنطافها .

(٥) رواها أحمد ، والبراز ، والبيهقى ، وصححها . وهى فى طبقات ابن سعد : ١-١١٤

(٦) فأقعى الذنب : قعد على عقبيه ناصبا يديه .

(٧) الحرة : ثنية مرتفعة ذات حجارة سود ، كأنها اسودت من الحر . والحرتان بالمدينة .

(٨) بأنباء ماسبق : الأنباء : الأخبار .

وفي بعض الطُّرُقِ عن أبي هريرة رضى الله عنه ، قال الذئبُ : أنتَ أعجبُ ! واقفاً على غنمك ، وتركتَ نبياً لم يبعث اللهُ نبياً قطُّ أعظمَ منه عنده [١١١] قدراً^(١) ، قد فُتِحَتْ له أبوابُ الجنَّةِ ، وأشرف^(٢) أهلها على أصحابه ، ينظرون قتالهم^(٣) ، وما بينك وبينه إلا هذا الشعبُ^(٤) ، فتصير من جنود الله . قال الراعى : مَنْ لى بغنمى ؟ قال الذئبُ : أنا أرهاها حتى ترجع . فأسلم الرجلُ إليه غنمه ومضى .

وذَكَرَ قصته وإسلامه ووجوده النبيَّ صلى الله عليه وسلم يُقاتل ؛ فقال له النبيُّ صلى الله عليه وسلم : عدُّ إلى غنمك تجدها بوَفْرِها^(٥) . فوجدها كذلك ، وذبح للذئب شاةً منها . وعن أهبان^(٦) بن أوسٍ : وأنه^(٧) كان صاحبَ النِّصَّةِ ، والحديثُ بها ، ومكلمَ الذئبِ .

وعن سلمة بن عمرو بن الأكوع : وأنه^(٨) كان صاحبَ [هذه]^(٩) القصة أيضاً ، وسببَ إسلامه بمثلِ حديثِ أبي سعيد . وقد رَوَى ابنُ وهبٍ مثلَ هذا أنه جرى^(١٠) لأبي سفيان بن حرب ، وصَفْوَانَ

(١) قدرا : منزلة .

(٢) الإشراف : النظر من مكان عال .

(٣) ينظرون قتالهم : ينظرون إليهم وهم صفوف واقفون في القتال كصفوف الملائكة .

(٤) الشعب : متفرج بين جبلين ؛ يعنى أنه قريب منك لا عذر لك في التخلف عنه . يريد :

فتخلفك منه هذا أعجب من نطقى الذى تمجبت منه .

(٥) بوَفْرِها : بتامها وكالها ، لم ينقص منها شيء .

(٦) هذا الحديث رواه البيهقي والبخارى في تاريخه .

(٧) وأنه ؛ أى أهبان بن أوس . (٨) وأنه ؛ أى سلمة .

(٩) ليس فى ب . (١٠) جرى : وقع واتفق .

ابن أمية ، مع ذئبٍ وجدهاه أخذ ظبيًا ، فدخل الظبي الحرم ؛ فانصرف الذئب ؛ فمَجِبًا من ذلك ، فقال الذئبُ : أعجبُ من ذلك محمدُ بنُ عبد الله بالمدينة يدعوكم إلى الجنة وتدعونه إلى النار^(١) .

فقال أبو سفيان : واللآتِ والمُزَي ، لئن ذكرت^(٢) هذا بمكة لتتركتها خلوفا^(٣) .

وقد روى مثلُ هذا الخبرِ ، وأنه جرى لأبي جهل وأصحابه .

وعن عباس بن مرداس لما تعجب من كلام ضمارة^(٤) ، وإنشاده^(٥)

الشعر الذي ذكر فيه النبي صلى الله عليه وسلم ، فإذا طائرٌ سقط ، فقال : يا عباس ؛

أتعجبُ من كلام ضمارة ، ولا تعجب من نفسك ؟ إن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم

يدعُو إلى الإسلام وأنت جالسٌ ؛ فكان سببَ إسلامه^(٦) .

(١) يدعونه إلى النار بقولهم له : لم لا توافقنا وتبعد آلهتنا مما هو سبب للخلود في النار .

(٢) لئن ذكرت : أبو سفيان يخاطب صفوان بن أمية .

(٣) خلوفا : المراد تركها خالية من أهلها بأن يسلموا جميعا ، ويرتحلوا إلى النبي بالمدينة ،

لأن من سمع مثل هذا لا يتردد في صحة رسالته . أو المراد : بدعها وأهلها متفيرة فاسدة لما

يقع بين أهلها من الفساد والفتن باختلاف الكلمة وفي شرح القارى (١-٦٣٥) : خلوفا : بلاراع

ولا حام ؛ وكذلك في النهاية . وفي هامش ب : الحى الخلوفا : الذى رحل رجاله وبقي نساؤه .

(٤) الضم : اسمه ضمارة . وكان هذا الضم يعبده مرداس ورهطه . وفي ب : ضمارة -

بالدال المهملة . وفي تاج العروس - ضمير : وضمارة : ضم عبده العباس بن مرداس السلمي ورهطه . وفي التبصير (١٥٧) : وضمارة : اسم ضم عباس بن مرداس .

(٥) في نسيم الرياض (٣ - ٨٥) : هذا الشعر هو :

أودى ضمارة وكان يعبد مرة قبل البيان من النبي محمد

وهو الذى ورث النبوة والهدى بمد ابن مريم من قريش مهتد

قل للقبائل من سليم كلها أودى ضمارة وعاش أهل المسجد

وهذا الشعر أيضا في شرح القارى (١ - ٦٣٥) . وفيه : كان يعبد مدة .

(٦) قال القارى (١ - ٦٣٥) : وهذا الحديث كما فى الطبرانى الكبير بسند لا بأس

به قريب مما هنا .

وعن جابر^(١) بن عبد الله رضي الله عنهما ، عن رجل أتى النبي صلى الله عليه وسلم وآمن به وهو على بعض حصون خيبر ، وكان في عَمَمٍ يرعاها لهم^(٢) ؛ فقال : يارسول الله ، كيف بالنعم^(٣) ؟ قال : احصِبْ وجوهها^(٤) ؛ فإن الله سيؤدّي عنك أمانتك ، ويردّها إلى أهلها .

ففعَلَ ، فسارت كل شاةٍ حتى دخلت إلى أهلها .

وعن أنس^(٥) رضي الله عنه : دخل النبي صلى الله عليه وسلم حائطاً^(٦) أنصاريّ وأبو بكر وعمر ورجل من الأنصار رضي الله عنهم ، وفي الحائط غنم فسجدت له . فقال أبو بكر : نحن أحقّ بالسجود لك منها . . . الحديث .

وعن أبي هريرة^(٧) رضي الله عنه : دخل النبي صلى الله عليه وسلم حائطاً ، فجاء بعيرٌ فسجد له ، وذكر مثله .

ومثله في الجمل^(٨) - عن ثعلبة بن مالك ، وجابر بن عبد الله^(٩) - ويعلّي ابن مِرَّة^(١٠) ، وعبد الله بن جعفر^(١١) ؛ قال : وكان لا يدخل أحدٌ الحائط إلا شدّ

(١) في حديث رواه البيهقي . (٢) لهم : لأهل خيبر .

(٣) كيف بالنعم : كيف أفعل بالنعم إذا أسلمت ، وهي ملك لغيري ، وأنا أجير .

(٤) احصب وجوهها : ارمها في وجوهها بالحصباء ؛ وهي صنار الحجارة ودقاقها .

(٥) في حديث صحيح مسند ، رواه أحمد ، والبخاري .

(٦) حائط : المراد به بستان .

(٧) في نسيم الرياض (٣ - ٨٧) : هذا الحديث رواه البزار بسند حسن . وكذلك

قال القاري (١ - ٦٣٦) .

(٨) رواه أبو نعيم .

(٩) رواه أحمد ، والدارمي ، والبزار ، والبيهقي .

(١٠) رواه أحمد ، والحاكم ، والبيهقي .

(١١) رواه مسلم ، وأبو داود - الحديث في مسند الطيالسي : ٢ - ١٣٤

عليه الجَمَل^(١)؛ فلما دخل عليه النبي صلى الله عليه وسلم دَعَاهُ ، فوضع مِشْفَرَهُ^(٢) ،
على الأرض ، وبرَّكَ بين يديه ، فخطَّمَهُ^(٣) ، وقال : ما بين السماء والأرض شيء
إِلَّا يَعْلَمُهُ أَنِي رَسُولُ اللَّهِ إِلَّا^(٤) عَاصِي الْجِنِّ وَالْإِنْسِ^(٥) .

ومثله^(٦) عن عبد الله بن أبي أوفى .

وفي خبر آخر في حديثِ الجَمَلِ أَنَّ النبي صلى الله عليه وسلم سألهم عن شأنِهِ ،
فأخبروه أنهم أرادوا ذبحَهُ .

وفي رواية أَنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال لهم : إنه شكَّكَا كَثْرَةَ الْعَمَلِ ، وَقَلَّةَ الْعَلْفِ
من صِغَرِهِ ، فقالوا : نَعَمْ .

وقد رُوِيَ [١١٢] في قصة الْعَضْبَاءِ^(٧) وكلامِهَا النبي صلى الله عليه وسلم ،
وتعريفِهَا له بنفسِهَا ، ومبادرَةِ الْعُشْبِ إِلَيْهَا في الرَّعْيِ ، وتجنُّبِ الْوَحُوشِ عَنْهَا^(٨) ،
وندائِمِهِمْ^(٩) لها : إِنَّكَ لِحَمْدِ ، وَأَنَّهَا لَمْ تَأْكُلْ وَلَمْ تَشْرَبْ بَعْدَ مَوْتِهِ حِينَ مَاتَتْ .
ذَكَرَهُ الْإِسْفَرَايِنِيُّ^(١٠) .

(١) شد عليه الجمل : أسرع وحمل عليه . يعني أن هذا الجمل كان عقورا هائجا .

(٢) المشفر في الإبل كالشفة للإنسان .

(٣) خطَّمَهُ : فوضع زمامه الذي يقاد به في رأسه وطي فمه ، وقد انتقاد للنبي متذلا بعد

أن كان لا يطاق . (٤) في ١ : لا يعلم .

(٥) أي إلا من عصى الله ورسوله وكفر ، فإنه ينكر معرفتي .

(٦) رواه أبو نعيم ، والبيهقي .

(٧) العضباء : اسم ناقة النبي صلى الله عليه وسلم . ومعناها للشقوة الأذن .

(٨) أي عدم أذيتها وأكلها لها .

(٩) عليها علامة الصحة في ١ ، وفي هامشه : وقولهم .

(١٠) في شرح القاري (١-٦٣٧) : قال الدجبي : وأما قصة العضباء فلم أدر من رواها ،

ولا حديث حمام مكة .

وروى ابنُ وَهْبٍ^(١)، أنَّ حَمَامَ مَكَّةَ أَظَلَّتْ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ فَتْحِهَا، فَدَعَا لَهَا بِالْبُرْكَهٖ .

وَرَوَى عَنْ أَنَسٍ^(٢)، وَزَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ، وَالْمَغِيرَةَ بْنِ شُعْبَةَ - أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: لَيْلَةَ الْغَارِ أَمَرَ اللهُ شَجْرَةَ^(٣)، فَنبَتَتْ تَجَاهَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسْتَرَتْهُ، وَأَمَرَ حَامَتَيْنِ فَوَقَفَتَا بِقَمْرِ الْغَارِ .

وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ^(٤): وَأَنَّ الْعَنْكَبُوتَ نَسَجَتْ عَلَى بَابِهِ؛ فَلَمَّا أَتَى الطَّالِبُونَ لَهُ، وَرَأَوْا ذَلِكَ قَالُوا: أَوْ كَانَ فِيهِ أَحَدٌ لَمْ تَكُنِ الْحَمَامَتَانِ يَبَايَهُ، وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْمَعُ كَلَامَهُمْ؛ فَاَنْصَرَفُوا .

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ قُرْطٍ^(٥): قُرَّبَ إِلَى رَسُولِ^(٦) اللهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَدَنَاتٌ^(٧) خَمْسٌ أَوْ سِتٌّ أَوْ سَبْعٌ، أَيْنَحَرَهَا يَوْمَ عِيدٍ، فَازْدَلْفَنَ^(٨) إِلَيْهِ بِأَيْمَنِ يَبْدَأُ . وَعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ^(٩): كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي صَحْرَاءٍ، فَنادَتْهُ ظَلْمِيَّةٌ،

(١) في نسيم الرياض (٣-١٩) : وهذا الحديث لم يخرجوه .

(٢) رواه عنه ابن سعد ، والبزار ، والطبراني ، والبيهقي ، وأبو نعيم .

(٣) النار هو غار ثور الذي اختفى فيه النبي صلى الله عليه وسلم لما هاجر .

(٤) رواه ابن سعد ، والبزار ، والطبراني ، والبيهقي ، وأبو نعيم .

(٥) هذا الحديث رواه الحاكم ، والطبراني ، وأبو نعيم مسندا .

(٦) في ١ : إلى النبي . . .

(٧) بدانات : جمع بدنة ؛ وهي ما يمد للنحر من الإبل خاصة . وقال ابن الأثير : إنها

من الإبل والبقر ؛ وسميت بدنة لعظم بدنها .

(٨) ازدلفن إليه : تقدمت كل واحدة منهن إليه رغبة في أن يذبجها ، انقيادا له بإلهام

من الله .

(٩) في حديث رواه الطبراني ، والبيهقي ، وصححه ابن حجر . وقال ابن كثير : إنه لا

أصل له ، لأن في سنده مجاهيل .

يارسولَ الله . قال : ما حاجتُك ؟ قالت : صادتني هذا الأعرابي ، ولي خِشْفَانٌ ^(١) في ذلك الجبل ، فأطْلقتني حتى أذهب فأرْضِهما وأرْجع .

قال : وتَعملين ؟ قالت : نعم . فأطلقها ، فذهبت ورجعت ، فأوثقها ^(٢) ، فانتبه الأعرابي وقال : يارسولَ الله ؛ ألك حاجة ؟ قال : تُطلق هذه الظبية . فأطلقها فخرَجَتْ تَمْدُو ^(٣) في الصحراء ، وتقول : أشهدُ أن لا إلهَ إلا الله ، وأنتك رسولُ الله . ومن هذا الباب ^(٤) ما روى ^(٥) من تسخير الأسد لسفينة مولى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ؛ إذ وجههُ إلى معاذٍ باليمن ، فلقي الأسدَ فمرَّه أنه مولى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، ومعه كتابُ به ، فهمهم ^(٦) وتنحى ^(٧) عن الطريق ، وذكر في مُنصرَفه مثلَ ذلك .

وفي رواية ^(٨) أخرى عنه - أن سفينةً تكسَّرت به ، فخرَج إلى جزيرة فإذا الأسدُ ؛ فقلت له : أنا مولى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ؛ فجعل يغمزني ^(٩) بمنكبه حتى أقامني على الطريق ^(١٠) .

(١) الحشف : الظبي الصغير الذي ولدته أمه .

(٢) أوثقها : ربطها كما كانت . (٣) تمدو : تجرى .

(٤) من هذا الباب : من باب المعجزات بإطاعة الحيوانات .

(٥) في نسيم الرياض (٣ - ٩٢) : قال السيوطي : لم أقف على هذا الحديث هكذا .

وأخرج البيهقي أنه وقع لسفينة حين ضل عن الجيش بأرض الروم ، إلا أن البخاري ذكره في تاريخه ، كما قال المصنف فلا اعتراض عليه .

(٦) المهمة : صوت لا يفهم .

(٧) تنحى عن الطريق : تأخر عنه في ناحية متباعدة عن الطريق إذهاباً لحوفه .

(٨) وهذه الرواية هي التي رواها البيهقي والبراز وصححها السيوطي في تخريجه .

(٩) يغمزني : يدفعني دفماً خفيفاً . وللمنكب : ما بين الكتف والمنقب .

(١٠) أقامني على الطريق : دلني على الطريق .

وأخذ - عليه السلام - بأذنِ شاةٍ لقومٍ من عبد القيس بين إصبعيه ، ثم خلاها (١)
فصار لها ميسماً (٢) ، وبقي ذلك الأثرُ فيها وفي نسلها بعدُ (٣) .
ومارُوى عن (٤) إبراهيم بن حمادٍ بسنده من كلامِ الحمار الذي أصابه (٥) بخيبر ،
وقال له : اسمي يزيدُ بن شهاب .

فسماه النبي صلى الله عليه وسلم يعفوراً ، وأنه كان يوجَّهه إلى دُور أصحابه ،
فيضرب عليهم البابَ برأسه ، ويستدعيهم ؛ وأنَّ النبي صلى الله عليه وسلم لما مات
تردَّى (٦) في بئرٍ جزعاً وحزناً ، فات .

وحديثُ الناقة (٧) التي شهدت عند النبي صلى الله عليه وسلم لصاحبها أنه ماسرقتها ،
وأنها ملكة .

وفي العنز (٨) : التي أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم في عسكره ، وقد أصابهم
عطش ، ونزلوا على غير ماء ، وهم زهاء (٩) ثلاثمائة ، فحلبها رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
فأزوى الجند ، ثم قال لرافع : أملكها وما أراك (١٠) . فربطها فوجدها قد انطلقت .

(١) خلاها : نحى إصبعه عنها وتركها .

(٢) ميسماً : علامة ؛ أي صار أثر إصبعيه لها علامة .

(٣) قال في نسيم الرياض (٣ - ٩٣) : وهذا الحديث لا يعلم من رواه من الحديثين .

(٤) هذا الحديث رواه ابن حبان ، لكنهم قالوا : إنه ضعيف : وقال ابن الجوزي : إنه

كذب موضوع . (٥) أصابه بخيبر : وجده بها لما فتحها . أو أصابه : كان في سهمه .

(٦) تردى : ألقي نفسه وطرحها في بئر .

(٧) رواه الطبراني عن زيد بن ثابت بسند فيه مجاهيل ، والحاكم عن ابن عمر . وقال

الذهبي : إنه موضوع .

(٨) أخرجه ابن سعد ، والبيهقي ، وابن عدى ، عن سعد مولى أبي بكر رضي الله عنه .

(٩) وهم زهاء : أي قريب عددهم من ذلك .

(١٠) أملكها : خذها واتخذها ملكاً لك ، لأنها لا صاحب لها ، إذ وجدت بأرض العدو .

ويحتمل أن يكون معناه : شدتها وأوثقها ، واربطها . وما أراك : ما أظنك تملكها وتحفظها .

راوه ابن قانع وَغَيْرُهُ^(١) ؛ وفيه : فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : إن الذي جاء بها هو الذي ذهب بها^(٢) [١١٣] .

وقال لفرسه - عليه السلام - وقد قام إلى الصلاة في بعض أسفاره : لا تَبْرَحْ^(٣) ، بَارِكْ اللهُ فِيكَ حَتَّى تَنْفِرَ مِنْ صَلَاتِنَا ، وَجَمَلَهُ قِبَلَتَهُ ، فَمَا حَرَكَ^(٤) عُضْوًا حَتَّى صَلَّى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

[وَيَلْتَحِقُ بِهَذَا مَا رَاوَهُ الْوَاقِدِيُّ - أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا وَجَّهَ رُسُلَهُ إِلَى الْمَلُوكِ ، فَخَرَجَ سِتَّةَ فَرَاسٍ مِنْهُمْ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ ، فَأَصْبَحَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ يَتَكَلَّمُ بِلِسَانِ الْقَوْمِ الَّذِينَ بَعَثَهُ إِلَيْهِمْ]^(٥) .

والحديثُ في هذا الباب كثير، وقد جئنا منه بالشهور، وما وقع في كتب الأئمة .

فصل

في إحياء الموتى وكلامهم ، وكلام الصبيان والمرضع^(٦)

وشهادتهم له بالنبوة صلى الله عليه وسلم

حدثنا أبو الوليد هشام^(٧) بن أحمد الفقيه بقراءتي عليه ، والقاضي أبو الوليد محمد

ابن رشد ، والقاضي أبو عبد الله محمد بن عيسى التميمي ، وَغَيْرُ وَاحِدٍ سَمَاعًا وَإِذْنًا ؛

(١) رواه أيضا البيهقي ، وابن عدي ، عن جماعة من الصحابة .

(٢) يعني الله ، أو الملك .

(٣) لا تَبْرَحْ : لا تزل من مكانك الذي أوقفتك فيه ، ولا تفارقه .

(٤) جملته : جملة في جهة قبلته سائرا وما نعال من يمر بين يديه .

(٥) في هامش ١ ، ب : من الأم ، من غير الرواية .

(٦) الصبيان : الذين في المهد ، الذين لم يصلوا إلى سن يتكلم فيه مثلهم . والمرضع :

جمع مرضع اسم مفعول ؛ وهو الولد الصغير . وقال القاري (١ - ٦٦٢) : جمع راضع ،

على خلاف للقياس .

(٧) هذا الحديث أورده أبو داود مسندا عن أبي هريرة .

قالوا : حدثنا أبو علي الحافظ ، [قال : (١)] حدثنا أبو محمد (٢) الحافظ ، حدثنا أبو يزيد عبد الرحمن بن يحيى ، حدثنا أحمد بن سعيد ، حدثنا ابن الأعرابي . . .
 حدثنا أبو داود (٣) ، حدثنا وهب بن بَقِيَّة ، عن خالد - هو الطَّحَّان ، عن محمد ابن عمرو ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة رضى الله عنه - أن يهوديةً أهدت للنبي صلى الله عليه وسلم بخَيْرِ شاةٍ مَصْلِيَّةٍ (٤) سَمَّتْهَا ، فأكل رسول الله صلى الله عليه وسلم منها ، وأكل القَوْمُ ، فقال : ارفَعُوا أَيْدِيَكُمْ ، فإنما أخبرتني أنها مسمومة .
 فمات بِشَرِّ البَرَاءِ .

وقال لليهودية : ما حلكِ على ما صنعتِ ؟ قالت : إن كنتَ نبيًّا لم يضرَّك الذى صنعتُ ، وإن كنتَ ملكًا أرحتُ الناسَ منك .
 قال : فأمر بها فقتلت .

وقد روى هذا الحديث أنس ، وفيه : قالت : أردتُ قَتَلَكَ . فقال : ما كان اللهُ لِيُسَلِّطَكَ (٥) على ذلك . فقالوا : نقلتها ؟ قال : لا .
 وكذلك روى عن أبي هريرة - من رواية غير وهب ، قال : فما عرض (٦) لها .
 ورواه أيضا (٧) جابر بن عبد الله ، وفيه : أخبرتني هذه الدَّرَاعُ - قال : ولم يعاقبها .

(١) من ب . (٢) هو ابن عبد البر .

(٣) الإمام صاحب السنن . وحديث الشاة المسمومة فى سنن أبى داود : ٢ - ١٥٩ ، وصحيح البخارى : ٣ - ٢٠٢ ، وصحيح مسلم : ١٧٢١ ، وطبقات ابن سعد : ١ - ١١٣ ،
 (٤) مصلية : مشوية . ستمتها : وضعت فيها السم . وفى النهاية : شاة مصلية بفتح الليم : مشوية ، يقال : صليت اللحم - بالتخفيف ؛ أى شويته ، فهو مصلى . وهذا الضبط فى ب . وفى اضطت اللحم بالضمه .

(٥) ليسطك : يقدرك ويمكنك . (٦) فما عرض لها : أى إنه تركها .

(٧) كما فى سنن أبى داود ، والبيهقى .

[وفي رواية الحسن أن فخذها تكلمني أنها مسمومة .

وفي رواية أبي سلمة بن عبد الرحمن قالت : إني مسمومة]^(١) .

وكذلك ذكر الخبير ابن إسحاق ، وقال فيه : فتجاوز^(٢) عنها .

وفي الحديث الآخر^(٣) ، عن أنس ، قال : فما زلتُ أعرِفُها في لهواتِ^(٤) رسول

اللهِ صلى الله عليه وسلم .

وفي حديث أبي هريرة^(٥) - أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال - في وجعِهِ

الذي مات فيه : ما زالتُ أأَكَلُهُ^(٦) خَيْبَرُ تُعَادُنِي^(٧) ؛ فالآن أوانَ قَطَعَتْ أَبْهَرِي^(٨) .

وحكى ابن إسحاق : إن كان المسلمون ليرونَ أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم

مات شهيدا^(٩) مع ما أكرمه اللهُ به من النبوة .

وقال ابنُ سُحْنُون : أجمع أهلُ الحديث أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم

قتلَ اليهوديةَ التي سَمَّتُهُ .

(١) في هامش ١ ، ب : من أصله بخطه من غير الرواية .

(٢) في سيرته . وتجاوز عنها : عفا عنها ولم يقتلها في أول الأمر . ثم لما مات بشر بن البراء

قتلها به . وفي شروح البخارى اختلاف في هذا .

(٣) رواه الشيخان .

(٤) لهوات : جمع لهاة ، وهى لحمة في أقصى سقف الفم تنطبق على آخر اللسان ، وأول

الحلق . وكأنه يريد بها الفم ؛ أى كان لها أثر ظاهر في فمه . وقيل المراد بها أنها أثرت في صوته

تأثيرا قليلا يظهر لمن تأمله . والحديث في البخارى كما تقدم .

(٥) رواه عنه ابن سعد بسند صحيح . (٦) أكلة : ما يؤكل .

(٧) تعادنى : تعود إلى مرة بعد مرة في أوقات معلومة . أو تعنادنى .

(٨) الأهر : عرق كبير متصل بالقلب . وفي هامش ب : الأهر : العرق الذى في وسط

الظهر إذا انقطع لا يتصور معه حياة . وفي شرح القارى (١ - ٦٤٤) : الأهر : عرق

يكتنف الصلب والقلب إذا قطع لم تبق معه حياة .

(٩) مات شهيدا : أى بسم الشاة .

وقد ذكرنا اختلاف الروايات في ذلك عن أبي هريرة، وأنس، وجابر .
[وفي رواية ابن عباس ^(١) رضى الله عنهما - أنه دفعها لأولياء بشر بن البراء
فقتلواها .

وكذلك قد اختلف في قتله للذى سحره ^(٢) ؛ قال الواقدي : وعَفُوهُ عنه أثبت
عندنا .

وروى عنه أنه قتله [^(٣)] .

وروى الحديث ^(٤) البزار ، عن أبي سعيد ، فذكر مثله ، إلا أنه قال في آخره :
فبسط يده وقال : كلوا بسم الله ، فأكلنا ، وذكر اسم الله ؛ فلم تضرنا أحدا ^(٥) .
قال القاضي أبو الفضل ^(٦) : وقد خرج حديث الشاة المسمومة أهل الصحيح ،
وخرجه الأئمة ، وهو حديث مشهور ^(٧) .

واختلف أئمة النظر في هذا الباب ؛ فمن قائل يقول : هو كلام يُخلقه الله تعالى
في الشاة [١١٤] الميئة ^(٨) ، والحجر ، أو الشجر ، وحروف وأصوات يُحدثها الله
فيها ، وبُسمها منها دون تغيير أشكالها ، ونقلها عن هيئتها .

(١) رواها ابن سعد .

(٢) الذى سحره يهودى من بنى زريق يقال له لبيد بن الأععم .

(٣) في هامش ١ : من الام ، من غير الرواية .

(٤) أى حديث الشاة المسمومة السابق .

(٥) في نسيم الرياض (٣ - ١٠٣) : قال السيوطى ؛ نقلا عن الشيخ ابن حجر : إن
هذا الحديث منكر . وقال القارى (١ - ٦٤٥) : ولعل وجه الإنكار عموم نفي الإضرار ،
مع أنه ثبت في الصحيح موت البراء منه ، كاسبق به التصريح ؛ وكذلك تقدم أنه - صلى الله
عليه وسلم تضرر منها حتى إنها كانت لتعاوده .

(٦) هو مصنف الكتاب . (٧) تقدم تخريجه .

(٨) في ١ : في الشاة والميئة . والمثبت في ب .

وهو مذهبُ الشيخِ أبي الحسنِ (١) ، والقاضي أبي بكرٍ (٢) رَحِمَهُمَا اللهُ .

وآخرون ذهبوا إلى إيجاد الحياةِ بها ، ثم الكلامِ بعده .

وحكى هذا أيضا عن شيخنا أبي الحسن (١) ؛ وكلُّ محتمل ، والله أعلم ؛

إذ لم يجعل الحياةَ شرطا لوجود الحروف والأصوات ؛ إذ لا يستحيل وجودها مع

عدم الحياة بمجردها . فأما إذا كانت عبارة عن الكلام النفسى فلا بُدَّ من شرط

الحياة لها ؛ إذ لا يوجد كلامُ النفسِ إلا من حَيٍّ ، خلافا للجَبَّانِي (٣) من بين سائرِ

متكلمي الفِرَقِ في إحالة (٤) وجودِ الكلامِ اللفظيِّ والحروف والأصواتِ إلا من

حَيٍّ مركَّبٍ على تركيبٍ من يصحُّ منه النطقُ بالحروف والأصوات .

والتزم ذلك في الحصى ، والجذع ، والذراع ؛ وقال : إنَّ اللهَ خلقَ فيها حياةً ،

وخرقَ لها فمًّا - ولسانا ، وآلةً أمكنها بها من الكلامِ .

وهذا لو كان لكان نقله (٥) والتهمُّ (٦) به آكدُ من التهمُّ بنقلِ تسبيحه

أو حنينه ، ولم ينقل أحدٌ من أهل السِّيرِ والرِّواية شيئا من ذلك ؛ فدلَّ على سقوط

دَعْوَاهُ ، مع أنه لا ضرورةَ إليه في النظر ؛ والموفق اللهُ .

وروى وكيعٌ - رَفَعَهُ عن فِهْدٍ (٧) بن عطية - أن النبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُتِيَ

بصبيٍّ قد شبَّ (٨) لم يتكلم قطُّ ؛ فقال : مَنْ أَنَا ؟ فقال : رسولُ اللهِ .

(١) هو الأشعري . (٢) هو الباقلاني . (٣) شيخ المعزلة توفي سنة ثلاث وثلاثمائة .

(٤) إحالة : عده محالا عقلا وعادة . (٥) لكان نقله : لوجد نقله وسمع .

(٦) التهمم به : الاهتمام والاعتناء به .

(٧) هذا في ١ ، ب . وفي هامش ب : فهر . وقال القارى (١ - ٦٤٧) : فهد - بالدال

في آخره ، وفي نسخة بالراء ، وكلاهما لا يعرف ، غلى ما ذكره الدلجى . وفي اللواهب : عن مهد -

بالميم والدال ، ولعله تصحيف ؛ وإنما روى البيهقى عن سمر بن سمر بن عطية - بكسر السين المهملة

وسكون الليم ، في آخره راء ، عن بعض أشياخه .

(٨) شب : كبر ، وصار شابا .

وروى عن معرّض^(١) بن معيقيب: رأيتُ منَ النبيِّ صلى اللهُ عليه وسلم عَجَبًا؛ جِيَّ بِصَبِيٍّ يَوْمَ وُلِدَ . . . فذَكَرَ مِثْلَهُ .

وهو حديثُ مُباركِ اليمامةِ ، ويُعرفُ بحديثِ شاصونة : اسمُ رَاوِيهِ ، وفيه : فقال له النبيُّ صلى اللهُ عليه وسلم : صدقتَ ، باركَ اللهُ فيكَ^(٢) .
ثم إنَّ الغلامَ لم يتكلمَ بعدها حتى شبَّ ، فكانَ يسمَى مُباركِ اليمامةِ .
وكانت هذه القصةُ بمكة في حجةِ الوداعِ .

وعن الحسنِ : أتى رجلٌ النبيَّ صلى اللهُ عليه وسلم ، فذكرَ أنه طرحَ^(٣) بُنْيَةَ له في وادِي كذا ، فانطلقَ معه إلى الوادِي ، وناداهَا باسمها : يافلانةُ ، أُجِيبِي بإذنِ اللهِ ؛ فخرجت وهي تقول : كَبَيْكِ وَسَعْدَيْكِ^(٤) ! فقال لها : إنَّ أبويكِ قد أسلما ؛ فإنَّ أُحْبَبْتَ أن أردكَ عليهما ؟ قالت : لا حاجةَ لي فيهما ؛ وَجَدْتُ اللهُ خيرا منهما^(٥) .
وعن أنسٍ^(٦) أنَّ شابًا من الأنصارِ توفِّيَ ولا أمٌّ تُعْجِزُ عَمِيَاءَ ، فسَجَّيناهُ^(٧) ،

(١) في ب : ضبطت الراء المشددة بالفتحة والكسرة ، وكتب عليها « معا » . وقال القارى (١ - ٦٤٧) : وروى معرّض - بكسر أوله ، كأنه آلة .

(٢) في نسيم الرياض (٣ - ١٠٦) : قال السيوطي : قد وقعت روايته من طرق ؛ فهو حديث حسن . وقد وقع في حجة الوداع ، وكانت سنة ست عشرة من الهجرة ، مع كثرة الناس ؛ فكان حقه أن يشتهر .

(٣) طرح بنية له : رماها فماتت . وقيل : إنه وأدها على عادة الجاهلية .

(٤) كَبَيْكِ وَسَعْدَيْكِ : إجابة لك بعد إجابة ، وإسعادا لك بعد إسعاد . وممنه سرعة الإجابة والانتقاد .

(٥) قال في شرح القارى (١ - ٦٤٩) : والحديث عن الحسن لم يعلم من رواه .

(٦) في حديث رواه البيهقي ، وابن عدى ، مسندا . ورواه أيضا ابن أبي الدنيا ، وأبو نعيم .

(٧) سجّيناه : غطيناه .

وعزَّ ينهاها، فقالت : مات ابني ؟ قلنا : نعم . قالت : اللهم إن كنت تعلم أني هاجرتُ إليك وإلى نبيك رجاء أن تُعِينَنِي على كل شدةٍ فلا تَحْمِلَنَّ عَلَيَّ هذه المصيبة .
فا برحناً أن كشفَ الثوبَ عن وجهه ، فَطَمَّ وَطَعِمْنَا (١) .

ورَوَى (٢) عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيِّ : كُنْتُ فِي مَنْ دُفِنَ ثَابِتُ بْنُ قَيْسِ بْنِ شِمَاسٍ ، وَكَانَ قَتَلَ بِالْإِمَامَةِ (٣) ؛ فَسَمِعْنَاهُ حِينَ أَدْخَلْنَاهُ الْقَبْرَ يَقُولُ : مُحَمَّدُ رَسُولُ اللَّهِ ، أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ ، عُمَرُ الشَّهِيدُ ، عُمَانُ الْبَرُّ (٤) الرَّحِيمُ ؛ فَنَظَرْنَا فَإِذَا هُوَ مَيِّتٌ . وَذُكِرَ (٥) عَنِ الثُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ أَنَّ زَيْدَ بْنَ خَارِجَةَ خَرَّ مَيِّتًا (٦) فِي بَعْضِ أَرْقَةَ الْمَدِينَةِ (٧) ؛ فَزُفِعَ وَسَجِّيَ (٨) إِذْ سَمِعُوهُ بَيْنَ الْعِشَاءِ (٩) وَالنِّسَاءِ بَصْرُخُنَ حَوْلَهُ يَقُولُ : أَنْصِتُوا ، أَنْصِتُوا ؛ فَحَسَرَ عَنْ (١٠) وَجْهِهِ ؛ فَقَالَ : مُحَمَّدٌ [١١٥] رَسُولُ اللَّهِ ، النَّبِيُّ الْأُمِّيُّ ، وَخَاتَمُ النَّبِيِّينَ ؛ كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ الْأَوَّلِ ؛ ثُمَّ قَالَ : صَدَّقَ ، صَدَّقَ (١١) ؛ وَذَكَرَ أَبُو بَكْرٍ ، وَعُمَرُ ، وَعُمَانُ ؛ ثُمَّ قَالَ : السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ ؛ ثُمَّ عَادَ مَيِّتًا كَمَا كَانَ (١٢) .

- (١) قَالَ فِي شَرْحِ الْقَارِي (١ - ٦٤٩) : هَذَا لَيْسَ فِيهِ صَرِيحٌ دَلَالَةٌ عَلَى إِحْيَائِهِ بَعْدَ إِمَاتِهِ ، لِاحْتِمَالِ إِعْمَائِهِ ، لَسَكَنِ زَالِ النَّمِّ بَدْعَاءِ الْأُمَّةِ . (٢) الرَّاوي له هو البيهقي .
(٣) كَانَتْ وَقْعَةُ الْإِمَامَةِ سَنَةَ ١٢ فِي خِلَافَةِ الصِّدِّيقِ أَبِي بَكْرٍ .
(٤) الْبَارِ لِقَوْمِهِ عَامَةً . وَفِي ١ : وَعُمَانُ
(٥) وَهَذَا مِمَّا رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ ، وَأَبُو نَعِيمٍ ، وَابْنُ مَنْدَةَ ؛ وَرَوَاهُ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا عَنْ أَنَسٍ أَيْضًا .
(٦) خَرَّ مَيِّتًا : سَقَطَ مَيِّتًا .
(٧) أَرْقَةُ : جَمْعُ زَقَاقٍ ؛ وَهُوَ الطَّرِيقُ . (٨) سَجَّى : غَطَّى .
(٩) الْعِشَاءُ : مِنَ الْمَغْرَبِ وَالْعِشَاءُ . (١٠) حَسَرَ عَنْ وَجْهِهِ : كَشَفَ غِطَاءَهُ .
(١١) هَذَا الضَّبْطُ فِي ١ .
(١٢) ذَكَرَ صَاحِبُ الْأَسْتِمْبَابِ (٥٤٧) أَنَّ زَيْدَ بْنَ خَارِجَةَ بْنَ زَيْدٍ هُوَ الَّذِي تَسَكَّمُ بَعْدَ الْمَوْتِ ، لَا يَحْتَلِفُونَ فِي ذَلِكَ . وَقَالَ فِي أَسَدِ النَّابَةِ (٢ - ٢٣٧) : وَهُوَ الَّذِي تَسَكَّمُ بَعْدَ الْمَوْتِ فِي أَكْثَرِ الرِّوَايَاتِ . وَهُوَ الصَّحِيحُ .

فصل

في إِبْرَاهِ الْمَرَضِيَّ وَذَوِي الْعَاهَاتِ (١)

أخبرنا أبو الحسن علي بن مُشَرَّف فيما أجازنيه وقرأته على غيره ؛ قال : حدثنا أبو إسحاق الحَبَال ، [قال] (٢) : حدثنا أبو محمد بن النجاس ، حدثنا ابن الورْد ، عن البرقي ، عن ابن هشام ، عن زيادِ البَكَّائِي ، عن محمد بن إسحاق ، حدثنا ابنُ شهاب ، وعاصمُ بنُ عُمر بن قَتَادَةَ وجماعةٌ ذكرهم بقضية أحدٍ (٣) بطولها ؛ قال : وقالوا (٤) : قال سعد بن أبي وقاص : إنَّ رسولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم آتينا ولني السهمَ لا نصل (٥) له ، فيقول : ازم به ؛ وقد رمى رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم يومئذٍ عن قوسه حتى اندقت (٦) ، وأصيب يومئذٍ عينُ قَتَادَةَ - يعني ابن النعمان - حتى وقعت على وجنته (٧) ، فردّها رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم ؛ فكانت أحسنَ عَينيه .

وروى قصةَ قَتَادَةَ عاصِمُ بنُ عُمر بن قَتَادَةَ ، ويزيد بن عياض بن (٨) عُمر ابن قَتَادَةَ .

ورواها أبو سَمِيعِ الخُدْرِيَّ (٩) عن قَتَادَةَ .

(١) إِبْرَاهِ الْمَرَضِيَّ : زوال مرضهم ، وحصول الشفاء لهم . والعَاهَات : جمع عاهة ، وهي الآفة .

(٢) من ا (٣) يريد غزوة أحد .

(٤) في ب : قالوا . وهذا الخبر في سيرة ابن هشام : ٣ - ٣٠ .

(٥) النصل : حديدة في طرف السهم والرمح .

(٦) عن قوسه : بقوسه . اندقت : انكسرت .

(٧) الوجنة : أعلى الحد ، وما يلي العين من الوجه ، ويطلق على الحد كله .

(٨) هذا في ا ، ب . وقال القاري (١ - ٦٥٢) : لم يعرف في رواية الحديث ، بل ولا

في حملة العلم أحد يقال له يزيد بن عياض بن عمر بن قَتَادَةَ . وقال الحلبي : الصواب يزيد ابن عياض ، عن ابن عمر بن قَتَادَةَ .

(٩) روى ذلك البيهقي ؛ وهي في الاستيعاب : ١٢٧٦ ، والإصابة : ٥ - ١٧٧

وَبَصَّقَ ^(١) عَلَى أَثَرِ سَهْمٍ فِي وَجْهِ أَبِي قَتَادَةَ فِي يَوْمِ ذِي قَرْدٍ ^(٢) ؛ قَالَ : فَاضْرِبْ عَلَيَّ وَلَا قَاحَ ^(٣) .

وَرَوَى النَّسَائِيُّ ^(٤) ، عَنْ عُمَانَ بْنِ حُنَيْفٍ - أَنْ أُنْعِمَى قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ؛ اذْعُ اللَّهُ أَنْ يَكْشِفَ لِي عَنْ بَصْرِي .

قَالَ : فَانْطَلِقْ فِتْوَسًا ؛ ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ ؛ ثُمَّ قَلَ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ وَأَتَوَجَّهُُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّ مُحَمَّدٍ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ ؛ يَا مُحَمَّدُ ؛ إِنِّي أَتَوَجَّهُُ بِكَ إِلَى رَبِّكَ أَنْ يَكْشِفَ عَنِّي بَصْرِي ، اللَّهُمَّ شَفِّعْهُ فِي ^(٥) .

قَالَ : فَرَجَعَ وَقَدْ كَشَفَ اللَّهُ عَنْ بَصْرِهِ .

وَرُوِيَ ^(٦) أَنَّ ابْنَ مَلْعَبِ الْأَسْنَةِ أَصَابَهُ اسْتِسْقَاءٌ ^(٧) ، فَبِعَثَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(٨) ، فَأَخَذَ بِيَدِهِ حَثْوَةً ^(٩) مِنَ الْأَرْضِ ، فَتَقَلَّ عَلَيْهَا ؛ ثُمَّ أَعْطَاهَا رَسُولَهُ ،

(١) على أثر سهم : أى جعل ريقه على جراحة في وجه أبي قتادة .

(٢) ذى قرد : اسم ماء بينه وبين المدينة مسافة يوم وليلتين من جهة خير .

(٣) ما ضرب على : ما آلتى ، ولا أوجفى . ولا قاح : ما سال منه قيح ومدة . والقيح :

الصيد ، وهو شئ كاللحم أصفر يخالطه قليل دم .

قال في نسيم الرياض (٣ - ١١٣) : وهو حديث حسن صحيح ، رواه الترمذى والبيهقى .

(٤) والترمذى ، والحاكم ، والبيهقى ، وصححوه .

(٥) اللهم شفعه في : أى اقبل شفاعته في .

(٦) الراوى هو الواقدى ، وأبو نعيم عن عروة . وملاعب الأسنه : هو عامر بن مالك .

والخبر في الواقدى : ١ - ٣٥٠

(٧) في نسيم الرياض (٣ - ١١٥) : هو اسم مرض ، وهو أن يقع الماء الأصفر في بطنه .

(٨) أى أرسل إليه من يلتمس له الدعاء ليشفيه الله ببركته .

(٩) حثوة : ملاء يده أو يديه من التراب . وقد ضبطت بالضم فى ا ، وفى ب ضبطت

بالضمة والفتحة ، وعليها « معا » . وفى الواقدى : حبوبة .

فأخذها متمجّبا؛ يَرَى أَنْ قَدْ هُزِيَ بِهِ؛ فَأَتَاهَا بِهَا، وَهُوَ عَلَى شَفَاً^(١)، فَشَرِبَهَا، فَشَفَاهُ اللَّهُ.

وذكر العُقَيْلِيُّ^(٢)، عن حَبِيبِ بْنِ فُدَيْكٍ؛ وَيُقَالُ فُرَيْكٌ^(٣) - أَنْ أَبَاهُ ابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ؛ فَكَانَ لَا يُبْصِرُ بِهِمَا شَيْئًا، فَنفث^(٤) رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي عَيْنَيْهِ، فَأَبْصَرَ، فَأَرَاتُهُ يَدْخُلُ الْخَيْطَ فِي الْإِبْرَةِ؛ وَهُوَ ابْنُ ثَمَانِينَ.

وَرُمِيَ كَلْتُومُ بْنُ الْحَصِينِ يَوْمَ أَحُدٍ فِي نَحْرِهِ^(٥)؛ فَبَصَقَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهِ، فَبَرَأَ^(٦).

وَتَفَلَّ^(٧) عَلَى شَجَّةٍ^(٨) عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَنَيْسٍ فَلَمْ تُمِدَّ^(٩).

وَتَفَلَّ فِي عَيْنِي عَلَى^(١٠) يَوْمِ خَيْبَرَ، وَكَانَ رَمِدًا، فَأَصْبَحَ بَارِئًا.

وَنَفَثَ عَلَى^(١١) ضَرْبَةٍ بِسَاقِ سَلْمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ يَوْمَ خَيْبَرَ فَبُرْتُ؛ وَفِي رِجْلِ زَيْدِ بْنِ مُعَاذٍ حِينَ أَصَابَهَا السَّيْفُ إِلَى السَّكْمِ، حِينَ قَتَلَ ابْنَ الْأَشْرَفِ، فَبُرْتُ. وَعَلَى سَاقِ عَلِيٍّ^(١٢) بِنِ الْحَكَمِ يَوْمَ الْخَنْدَقِ إِذَا انْكَسَرَتْ، فَبُرِيَ مَكَانَهُ، وَمَا نَزَلَ عَنْ فَرْسِهِ.

(١) وهو على شفا: أى قريب من الموت.

(٢) أخرج هذا الحديث البيهقي، والطبراني، وابن أبي شيبة، في مسنده.

(٣) في ب: فويك.

(٤) نفث: تفل ريقه. وفي هامش أ: النفث بالضم: شبيه بالنفخ، وأما التفل فلا يكون

إلا ومعه شيء من الريق.

(٥) في شرح القارى (١ - ٦٥٤): قال الدلجى: لا أدرى من رواه.

(٦) رواه الطبراني.

(٨) الشجة: جراحة ضربة في الوجه أو الرأس.

(٩) لم تمد: أى لم يكن فيها مدة وقبح.

(١٠) في حديث رواه الشيخان: صحيح مسلم: ١٤٤١، وصحيح البخارى: ٥ - ١٧١

(١١) في صحيح البخارى: ٥ - ١٧٠، ومسنند الطيالسى: ٢ - ١٢٤

(١٢) هذا الحديث أخرجه البغوى في معجمه، كما قال السيوطى (نسيم الرياض: ٣-١١٨).

واشتكى على^(١) بن أبي طالب ، فجعل يدعو ؛ فقال النبي صلى الله عليه وسلم :
اشفه ، أو عافه ؛ ثم ضرب برجله ، فما اشتكى ذلك الوجع بعد .
وقطع أبو جهل يوم بدر يد معاوية بن عفراء [١١٦] ، فجاء يحمل يده ، فبصق
عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وألصقها فلصقت . رواه ابن وهب .
ومن روايته^(٢) أيضا أن خبيب بن يساف أصيب يوم بدر مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم بضربة على عاتقه^(٣) حتى مال شقه ؛ فردّه رسول الله صلى الله
عليه وسلم ، ونفث عليه حتى صح .

وأنته^(٤) امرأة من خثعم ، معها صبي به بلا لا يتكلم ؛ فأنى بقاء فمضمض
فأه ، وغسل يديه ، ثم أعطاها^(٥) إياه ، وأمرها بسقيه ومسّه به ، فبرأ الغلام ، وعقل
عقلا يفضل عقول الناس .

وعن^(٦) ابن عباس : جاءت امرأة بابن لها به جنون ؛ فسح صدره ، فثع^(٧)
نعة فخرج من جوفه مثل الجرو^(٨) الأسود ؛ فثني^(٩) .
وانكفات^(١٠) القدر علي ذراع محمد بن حاطب وهو طفل ، فسح عليه ودعا له ،
ونقل فيه فبرأ حينه^(١١) .

(١) رواه البيهقي في الدلائل .

(٢) أى رواية ابن وهب التى رواها ابن إسحاق ، والبيهقى عنه ، كما نقله السيوطى .

(٣) عاتقة : كتفه . (٤) رواه ابن أبي شيبة .

(٥) أى أعطى المرأة ذلك الماء الذى رده فى إنائه بعد المضمضة وغسل اليدين منه .

(٦) وهذا الحديث رواه أحمد فى مسنده بسند متصل بابن عباس (السند : ١ - ٢٥٤) .

وكذلك رواه البيهقى ، وابن أبي شيبة . (٧) ثع ثمة : أى قاء مرة واحدة . وقيل ثع : سمل .

قال فى نسيم الرياض (٣ - ١٢١) : وروى هذا الحديث من طرق متعددة .

(٨) الجرو : ولد الكلب والسبع . (٩) فى ١ : فسمى .

(١٠) فى حديث رواه البيهقى ، والنسائى ، والطيالسى ، مسندا مصححا فيه .

(١١) حينه : من غير بطء .

وكانت في كفت شَرَحَيْبِيلَ الْجُعْفَى سَلْعَةً^(١) تَمْنَمُهُ الْقَبْضُ عَلَى السَّيْفِ وَعَيْنَانِ الدَّابَّةِ^(٢)؛ فَشَكَاهَا لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ، فَمَا زَالَ يَطْحَنُهَا بِكَفِّهِ حَتَّى رَفَعَهَا^(٣)، وَلَمْ يَبْقَ لَهَا أَثَرٌ.

وَسَأَلَتْهُ^(٤) جَارِيَةٌ طَعَامًا، وَهُوَ يَأْكُلُ، فَنَاقَوْهَا مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ^(٥)، وَكَانَتْ قَلِيلَةَ الْحَيَاءِ؛ فَقَالَتْ: إِنَّمَا أُرِيدُ مِنَ الَّذِي فِي فَيْكِ؛ فَنَاقَوْهَا مَا فِي فِيهِ؛ وَلَمْ يَكُنْ يُسْأَلُ شَيْئًا فَيَمْنَعَهُ.

فَلَمَّا اسْتَقَرَّ فِي جَوْفِهَا أَتَى عَلَيْهَا مِنَ الْحَيَاءِ مَا لَمْ تَكُنْ امْرَأَةً بِالْمَدِينَةِ أَشَدَّ حَيَاءً مِنْهَا.

فصل

في إجابة دعائه صلى الله عليه وسلم

وهذا بابٌ واسعٌ جدًّا؛ وإجابةُ دعوةِ^(٦) النبيِّ صلى الله عليه وسلم لجماعةٍ بما دعا لهم وعليهم متواترٌ على الجملةِ، معلومٌ ضرورةً.

وقد جاء في حديثٍ حُدَيْفَةَ^(٧) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا دَعَا لِرَجُلٍ أَدْرَكَتْ^(٨) الدَّعْوَةَ وَوَلَدَهُ وَوَلَدَ وَلَدِهِ.

-
- (١) سلعَة: زيادة بين الجلد واللحم كالقعدة. وتفتح سينه؛ وتحرك لامه. وفي هامش
١: السلعة: الشجعة - بفتح السين واللام.
- (٢) عنان الدابة: ما تقاد به.
- (٣) يطحنها: يدير كفه عليها بقوة كما تدور الرحا. حتى رفعها: حتى أزالها من كفه.
- (٤) في حديث رواه الطبراني.
- (٥) من بين يديه: أى من طعامه الذى كان بين يديه.
- (٦) أى دعائه للناس وعليهم.
- (٧) رواه أحمد بن حنبل.
- (٨) أدركت: وصلت وأثرت.

حدثنا ^(١) أبو محمد العتّابيُّ بقراءتي عليه ، حدثنا أبو القاسم حاتم بن محمد ، حدثنا أبو الحسن القايسيُّ ، حدثنا أبو يزيد المرّوزيُّ ، حدثنا محمد بن يوسف ، حدثنا محمد بن ^(٢) إسماعيل ، حدثنا عبدُ الله بن أبي الأسود ، حدثنا حرّميُّ ، حدثنا شُعْبة ، عن قتادة ، عن أنسٍ رضيَ اللهُ عَنْهُ ؛ قال : قالت أمي : يا رسولَ اللهِ ، خادمُك أنسٌ ؛ ادعُ اللهُ له . قال : اللهم أكْثِرْ مالَه وولَدَه ، وبارِكْ له فيما آتَيْتَه ^(٣) .

ومِنْ رواية ^(٤) عِكْرِمَةَ : قال أنسٌ : فواللهِ ، إنَّ مالي لكثيرٌ ؛ وإنَّ وُلْدِي وولَدَ وُلْدِي ليعاؤون ^(٥) اليومَ على نحوِ المائة .

وفي رواية ^(٦) : وما أعلمُ أحداً أصابَ مِنْ رَحَاءِ العيشِ ما أصبْتُ ، ولقد دَفَنْتُ بِيَدَيَّ هاتينِ مائةً مِنْ وُلْدِي ، لا أقولُ سِقْطاً ^(٧) ولا وُلْدَ وُلْدٍ .

ومنه دعاؤه ^(٨) لعبدِ الرحمنِ بنِ عَوْفٍ بالبركة ؛ قال عبدُ الرحمنِ : فلورفعتُ حجراً لرجوتُ أنْ أصيبَ تحتهُ ذهباً ، وفتحَ اللهُ عليه ، وماتَ فحَفِرَ الذهبُ مِنْ تركتهِ بالنفوسِ ^(٩) حتى سَجَلَتْ ^(١٠) فيه الأيدي ، وأخذت كلُّ زوجةٍ ثمانينَ ألفاً وكنَّ أرْبعا .

(١) من حديث في الصحيحين عن أنس . صحيح مسلم : ١٩٢٨

(٢) هو البخاري .

(٣) فيما آتيته : فيما أعطيته من المال والولد . والحديث في الترمذي أيضا : ٥ - ٦٨٢

(٤) أخرجه مسلم (صحيح مسلم : ١٩٢٩) .

(٥) يعاؤون : يزيدون .

(٦) في نسيم الرياض (٣ - ١٢٤) : قالوا : هذه الرواية لا يعرف من رواها .

(٧) سقطا : ماسقط من بطن أمه قبل مدة تمام حملها ، وأوان ولادته .

(٨) رواه البيهقي .

(٩) كان عنده من الذهب قطع كثيرة لما أريد قسمتها كسرت .

(١٠) سجلت : الجمل : تنير يكون في اليد من كثرة العمل . فيه : في الحفر ؛ أي حتى خرج

في أيديهم نفاطات وجراحات من كثرة عملهم . وقد ضبطت الجيم بالفتحة والكسرة في ١ .

وقيل مائة ألف . وقيل : بل صولحت إحداهن ؛ لأنه طلقتها في مرضه على نيف^(١) وثمانين ألفاً ، وأوصى بمسكين ألفاً بعد صدقائه الفاشية^(٢) في حياته ، وعوارفه^(٣) العظيمة : أعتق يوماً ثلاثين عبداً ، وتصدق مرةً بعير فيها سبعمئة بعير^(٤) ، وردت عليه تحمّل من كل شيء [١١٧] ، فتصدق بها وبما عليها ، وبأقاربها وأحلاسها^(٥) . ودعا لماوية بالتمسكين في البلاد ، فنال الخلافة . ولسعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أن يجيب الله دعوته ، فما دعا على أحدٍ إلا استجيب له . ودعا^(٦) بعز الإسلام بعمر رضي الله عنه ، أو بأبي جهل ، فاستجيب له في عمر .

قال ابن مسعود رضي الله عنه : مازلنا أعزّة منذ أسلم عمر . وأصاب الناس^(٧) في بعض مغاربه عطش ، فسأله عمر الدعاء ؛ فدعا ؛ فجاءت سحابة ، فسقّتهم حاجتهم ، ثم أقلمت^(٨) . ودعا^(٩) في الاستسقاء ، فسُقوا ، ثم شكوا إليه المطر ؛ فدعا ، فصحوا^(١٠) .

-
- (١) النيف : مازاد على المقدر إلى أن يبلغ ما فوقه من العقود .
 (٢) الفاشية : الظاهرة المشهورة .
 (٣) عوارفه : جمع عارفة ؛ وهي ما يعتاد الإنسان من الإحسان والعطايا .
 (٤) العير : الجمال التي تحمل الليرة ، بمعنى قافلة .
 (٥) الأقتاب : جمع قتب ؛ وهو إكاف صنير يوضع على سنام البعير ليقيه من الأذى . والأحلاس : جمع حلس ؛ وهو كساء يوضع تحت الإكاف على ظهر البعير .
 (٦) في حديث رواه الترمذي عن ابن عمر (سنن الترمذي : ٥ - ٦١٧) .
 (٧) رواه البيهقي ، والحاكم ، وصححه عن عمر .
 (٨) أقامت : انجلت وكفت عن المطر بعد قضاء حاجتهم من الماء الذي يزيل عطشهم .
 (٩) في حديث رواه الشيخان عن أنس رضي الله عنه . وأحاديث الاستسقاء في صحيح مسلم : ٦١٢ - ٦١٥ ، وصحيح البخاري : ٢ - ٣٣ .
 (١٠) فصحوا : أي صحت السماء وانكشف غيمها .

[وقال لأبي قتادة : أفلح وجهك ^(١) ، اللهم بارك له في شعره وبشره ^(٢) ،
فمات وهو ابن سبعين سنة ، وكان ابن خمس عشرة ^(٣) سنة] ^(٤) .
وقال للنابغة ^(٥) : لا يفضض الله فاك ^(٦) ؛ فما سقطت له سن .

وفي رواية : فكان أحسن الناس نفراً ^(٧) ؛ إذا سقطت له سن نبتت له أخرى ،
وعاش عشرين ومائة سنة ؛ وقيل : أكثر من هذا .

ودعا لابن عباس ^(٨) : اللهم فقهه ^(٩) في الدين ، وعلّمه التأويل ^(١٠) . فسمى
بمعد الخبز وترجمان القرآن ^(١١) .

ودعا لعبد الله ^(١٢) بن جعفر بالبركة في صفقة يمينه ^(١٣) ، فما اشتري شيئا
إلا ربح فيه . ودعا ^(١٤) للمقداد بالبركة ؛ فكانت عنده غرائر المال ^(١٥) .

(١) الفلاح : الظفر وإدراك البنية .

(٢) البشر : ظاهر الجلد والبدن ، وكفى بذلك عن جملة ، وجميع بدنه ؛ فدعا له صلى
الله عليه وسلم بأن يبقى معمرا على أحسن تقويم ، كاملا جميع أعضائه .

(٣) رواه البيهقي .

(٤) في هامش ا : من الأم بخطه ، من غير الرواية . وفي هامش ب : للمسلم عليه من
الأم بخطه .

(٥) للنابغة الجمدي .

(٦) لا يفضض الله فاك : تقول العرب في الدعاء عليه : فض الله فاه . وفي الدعاء له :
لا يفضض الله فاه .

(٧) الثغر : ماتقدم من الأسنان ، ويطلق الثغر على الفم أيضا .

(٨) في حديث صحيح رواه الشيخان : صحيح مسلم ١٩٢٧ ، صحيح البخاري ٥-٣٤

(٩) فقهه في الدين : فهمه وعلّمه .

(١٠) التأويل : التفسير .

(١١) الخبر - بكسر الحاء وفتحها : العالم المتقن الذي تبقى آثاره بعمده .

والترجمان : من يفسر لسانا بلسان ، ويطلق الترجمان على من يبلغ الكلام .

(١٢) في حديث رواه البيهقي .

(١٣) صفقة يمينه : في بيعه وشرائه ومعاملته .

(١٤) في حديث رواه البيهقي في الدلائل ، وأبو نعيم .

(١٥) غرائر : جمع غرارة .

ودعا بمثله^(١) لعروة بن أبي الجعد ؛ فقال : فلقد كنت أقومُ بالكُنَاسَةِ^(٢) ،
فما أُرْجِعُ حتى أربحَ أربعين ألفاً .

وقال البخارى فى حديثه : فكان لو اشترى الترابَ رَبِحَ فيه .
وروى مثله هذا لعروة أيضا .

وندت له ناقة^(٣) ، فدعا فجاءه بها إعصار^(٤) ربيح ، حتى ردها عليه .
ودعا^(٥) لأمِّ أبي هريرة فأسلمت .

ودعا^(٦) لعلّى أن يكفَى الحرَّ والقرَّ^(٧) ؛ فكان يابسُ فى الشتاء ثيابَ الصيفِ ،
وفى الصيف ثيابَ الشتاء ، ولا يصيبه حرٌّ ولا برّد .

ودعا^(٨) لفاطمة ابنته الله ألا يُجِيعَها ؛ قالت : فما جُعْتُ بعد .

وسأله^(٩) الطُّفيل بن عمرو آية لقومه ؛ فقال : اللهم نورِّ له ؛ فسَطَعَ نورٌ بين
عَيْنَيْهِ ؛ فقال : أخاف أن يقولوا : مُثَلَّةٌ^(١٠) ؛ فتحول^(١١) إلى طَرْفِ سَوْطِهِ ؛ فكان
يُضِيءُ فى الليلة المظلمة ؛ فسمّى ذا النور .

(١) فى حديث رواه البخارى ، والدارقطنى ، وأحمد فى مسنده .

(٢) الكُنَاسَة : القمامة ، ثم صارت علما لسوق مشهور بالكوفة . وقيل : يجوز أن يراد
به حقيقته ؛ أى أقوم بمقام حقير يستبعد الكسب فى مثله ، فما أعود . . .

(٣) ندت : نفرت وشردت حتى غابت عن نظره فلا يراها . له : للنبي صلى الله عليه وسلم .

(٤) الإعصار : ربح شديدة تثير غبارا يرتفع إلى السماء كأنها عمود .

قال فى نسيم الرياض : وهذا الحديث لم يخرجوه .

(٥) فى حديث رواه مسلم : صحيح مسلم : ١٩٣٨ ، وهو حديث طويل .

(٦) فى حديث رواه البيهقى ، وابن ماجه ، بسند صحيح : سنن ابن ماجه : ٤٣

(٧) القر : البرد . (٨) فى حديث رواه البيهقى ، عن عمران بن حصين .

(٩) فى حديث رواه ابن إسحاق بلا سند ، والبيهقى عنه ، وابن جرير من طريق الكلبي .

(١٠) المثلثة : التنكيل والمقوبة ؛ أى خشى أن يمدوه عارا لتوهم أنه برص ونحوه .

(١١) فتحول ذلك النور .

ودَعَا^(١) على مُضْرٍ فَأَفْحَطُوا^(٢) ، حتى اسْتَعَطَفْتَهُ قَرِيشٌ ، فدعا لهم فسُقُوا^(٣) .
ودعا^(٤) على كِسْرَى حين مَرَّقَ كِتَابَهُ أَنْ يَمْرُقَ اللَّهُ مُلْكَهُ ؛ فلم تَبْقَ له باقية ،
ولا بَقِيَّتْ لِفَارِسَ رِيَّاسَةً فِي أَقْطَارِ الدُّنْيَا .

ودعا^(٥) على صَبِيٍّ قَطَعَ عَلَيْهِ الصَّلَاةَ أَنْ يَقْطَعَ اللَّهُ أَمْرَهُ ، فَأَقْعِدَ .
وقال^(٦) لِرَجُلٍ رَأَاهُ يَأْكُلُ بِشِمَالِهِ : كُلْ بِيَمِينِكَ . فقال : لا أَسْتَطِيعُ . فقال :
لا اسْتَطَعْتَ . فلم يَرْفَعْهَا إِلَى فِيهِ^(٧) .

وقال^(٨) لِعُتْبَةَ بْنِ أَبِي لَهَبٍ : اللَّهُمَّ سَلِّطْ عَلَيْهِ كَلْبًا^(٩) مِنْ كَلَابِكِ ؛ فَأَكَلَهُ الْأَسَدُ .
[وقال لامرأةٍ : أَكْلاكِ الْأَسَدُ . فَأَكَلَهَا]^(١٠) .

وحديثه المشهور^(١١) ، من رواية عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فِي دَعَائِهِ

-
- (١) فِي حَدِيثٍ صَحِيحٍ رَوَاهُ الشَّيْخَانُ وَالنَّسَائِيُّ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، وَابِيهِقَى عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ .
(٢) أَفْحَطُوا : أَصَابَهُمُ الْقَحْطُ لِاحْتِبَاسِ الْمَطَرِ عَنْهُمْ حَتَّى كَادُوا يَهْلِكُونَ وَتَهْلِكُ دَوَابُّهُمْ .
(٣) فسُقُوا : سَقَاهُمُ اللَّهُ تَمَالِي وَأَمْطَرَ أَرْضَهُمْ ، فَزَالَ عَنْهُمْ الْقَحْطُ بِدَعَائِهِ .
(٤) فِي حَدِيثٍ رَوَاهُ الشَّيْخَانُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ . وَنَصَ الْكِتَابُ فِي نَسِيمِ الرِّيَاضِ (٣-١٣٦) .

وصحيح البخارى : ٦ - ١٠

(٥) فِي حَدِيثٍ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ ، وَابِيهِقَى . وَقَالَ الذَّهَبِيُّ : أَظْنَهُ مَوْضُوعًا ؛ لِأَنَّهُ أَشْكَلُ
عَلَيْهِ بَأَنَّ الصَّغِيرَ غَيْرَ مَكْلَفٍ فَكَيْفَ يَدْعُو عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَ رَأْفَتِهِ بِهِ ؟ وَقَطَعَ عَلَيْهِ
صَلَاتِهِ : بِمَرُورِهِ بَيْنَ يَدَيْهِ . فَأَقْعِدَ : صَارَ مَقْعِدًا لَا يُمْكِنُهُ لِلشَّيْءِ .

(٦) فِي حَدِيثٍ رَوَاهُ مُسْلِمٌ عَنْ سَلْمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ . صَحِيحٌ مُسْلِمٌ : ١٥٩٩

(٧) لِأَنَّهَا شَلَّتْ وَبَطَلَ عَمَلَهُ بِهَا .

(٨) فِي حَدِيثٍ رَوَاهُ الْحَاكِمُ ، وَابِيهِقَى ، وَابْنُ إِسْحَاقَ مِنْ طَرِيقِ صَحِيحَةِ مُسْنَدِهِ .
وَكَانَ عُتْبَةُ هَذَا عِنْدَهُ ابْنَةُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَطَلَّقَهَا فَأَذَاهُ فَدَعَا عَلَيْهِ فَأَقْرَسَهُ الْأَسَدُ
بِالزَّرْقَاءِ مِنْ أَرْضِ الشَّامِ .

(٩) الْأَسَدُ يُسَمَّى كَلْبًا ؛ لِأَنَّهُ يُشْبِهُهُ فِي بَعْضِ أَحْوَالِهِ .

(١٠) فِي هَامِشٍ ١ : مِنْ الْأَمِّ بِخَطِّهِ ، مِنْ غَيْرِ الرِّوَايَةِ .

(١١) الَّذِي رَوَاهُ مُسْلِمٌ ، وَابِيهِقَى : صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ : ٤ - ٥٣

على قُرَيْشٍ حِينَ وَضَعُوا السَّلَا^(١) عَلَى رَقَبَتِهِ وَهُوَ سَاجِدٌ مَعَ الْفَرَثِ^(٢) وَالْأَمِّ ، وَسَمَّاهُمْ .
قَالَ : فَلَقَدْ رَأَيْتُهُمْ قُتِلُوا يَوْمَ بَدْرٍ .

وَدَعَا^(٣) عَلَى الْحَكَمِ بْنِ أَبِي الْعَاصِ ، وَكَانَ يَخْتَلِجُ بِوَجْهِهِ ، وَيَنْعَمُ^(٤) عِنْدَ
النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ أَيْ لَا ؛ فَرَأَاهُ ؛ فَقَالَ : كَذَلِكَ كُنْ^(٥) ، فَلَمْ يَزَلْ يَخْتَلِجُ
إِلَى أَنْ مَاتَ .

وَدَعَا عَلَى مُحَمَّدٍ^(٦) بْنِ جَثَامَةَ فَاتَ لَسْبَعِ ، فَلَفِظَتْهُ الْأَرْضُ^(٧) ؛ ثُمَّ وَوَرِي فَلَفِظَتْهُ
مَرَّاتٍ ، فَأَلْقَوْهُ بَيْنَ صُدَيْنَ^(٨) ، وَرَضَمُوا^(٩) عَلَيْهِ بِالْحِجَارَةِ .
وَالصَّدَّةُ : جَانِبُ الْوَادِي [١١٨] .

وَجَعَدَهُ^(١٠) رَجُلٌ يُبَيْعُ فَرَسًا - وَهِيَ الَّتِي شَهِدَ فِيهَا خُزَيْمَةُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ ؛ فَرَدَّ الْفَرَسَ بَعْدُ^(١١) النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الرَّجُلِ ، وَقَالَ : اللَّهُمَّ إِنْ
كَانَ كَاذِبًا فَلَا تَبَارِكْ لَهُ فِيهَا . فَأَصْبَحَتْ شَاصِيَةً بِرَجْلِهَا ؛ أَيْ رَافِعَةً .
وَهَذَا الْبَابُ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ يُحَاطَ بِهِ .

- (١) السلا : جلد رقيق يخرج مع الولد من بطن أمه ملفوفا فيه .
- (٢) الفرت : السرجين مادام في الكرش .
- (٣) في حديث رواه البيهقي مسندا من طرق صحيحة .
- (٤) يختلج بوجهه : يحرك وجهه . وينعمز : يحرك عينيه مشيرا بهما وهو جالس .
- (٥) دعا عليه بأن لا يزال وجهه يختلج .
- (٦) في حديث رواه البيهقي ، وابن جرير .
- (٧) لفظته الأرض : قذفته وطرحته وأخرجته من بطنها لمدم قبولها له .
- (٨) صدين : مثنى صد ؛ وهو ناحية الوادي ، أو الشعب ، أو الجبل .
- (٩) رضموا : الرضم : وضع الصخور بعضها فوق بعض كالبناء ، أى كوموا عليه .
- (١٠) جعده رجل بيع فرس : أنكره : وكان النبي اشتراها منه .
- (١١) بمد : بمد جعده .

فصل

في كراماته وبركاته وانقلاب الأعيان له فيما لمسه أو باشره

أخبرنا أحمد بن محمد ، حدثنا أبو ذرّ الهروي ، إجازة ؛ حدثنا القاضي أبو عليّ سماعا ، والقاضي أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن وغيرهما ؛ قالوا : حدثنا أبو الوليد القاضي ، حدثنا أبو ذرّ ، حدثنا أبو إسحاق ، وأبو الهيثم ؛ قالوا : حدثنا الفربري ، حدثنا البخاري ، حدثنا يزيد بن زريع ^(١) ، حدثنا سعيد ، عن قتادة ، عن أنس ابن مالك رضي الله عنه - أن أهل المدينة فرّعوا ^(٢) مرة ، فركب رسول الله صلى الله عليه وسلم فرسا لأبي طلحة كان يقطف ، أو به فطاف ^(٣) . وقال غيره : يبظأ ^(٤) ؛ فلما رجع قال : وجدنا فرسك بحرا ^(٥) ؛ فكان بعد لا يجارى ^(٦) .

ونخس ^(٧) جمل جابر ، وكان قد أعيا ^(٨) ، فذسط حتى كان ما يملك ^(٩) زمامه .

(١) في نسيم الرياض (٣ - ١٤٤) : كذا في النسخ هنا ؛ وصوابه : حدثنا البخاري ، حدثنا عبد الأعلى بن حماد ، حدثنا يزيد بن زريع ، وهكذا هو في صحيح البخاري ؛ فسقط منه راو من قلم المصنف . وفي هامش ١ : سقط بين البخاري ويزيد بن زريع رجل ؛ وهو عبد الأعلى بن حماد التريسي ، قاله يحيى بن علي القرشي ، عفا الله عنه .

(٢) فرعوا : وقع بهم فرع . والفرع : أشد الخوف .

(٣) يقطف : يبظأ . أو هو الضيق الشئ ؛ وهو عيب في الخيل .

(٤) قال في نسيم الرياض (٣ - ١٤٥) : الظاهر أن اللراد به هنا أنه كان يوصف بالبطء

وينسب إليه ذلك .

(٥) بحرا : كالبحر في شدة جريه وعدوه بسهولة .

(٦) لا يجارى : لا يسبق . وهذا الحديث رواه البخاري ؛ صحيح البخاري : ٤ - ٣٧

(٧) رواه الشيخان . والنخس : أن يطعمه في جنبه يعود أو نحوه . والحديث في صحيح

مسلم : ١٢٢٣ ، وصحيح البخاري : ٧ - ٢٦

(٨) أعيا : تمب وقتل حركته .

(٩) معناه أنه لا يقدر على ضبطه وحبسه لأنه لشدة نشاطه يجذبه من يده وينازعه .

وصنع^(١) مثل ذلك بفرس بلجعييل الأشجعي؛ خفقها بمخفقة^(٢) معه ، وبرك^(٣) عليها ، فلم يملك رأسها نشاطاً^(٤) ؛ وباع من بطنها بائني عشر ألفاً .
[وركب^(٥) حاراً قطوفا لسعد بن عبادة فردّه هملاجاً^(٦) لا يسائر^(٧)] .
وكانت^(٨) شعرات من شعره في قلنسوة خالد بن الوليد ، فلم يشهد بها قتالا
إلا رزق النصر .

وفي الصحيح^(٩) - عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها - أنها أخرجت جبة^(١٠)
طيالسة ، وقالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبسها ، فنحن نفسلها
للرضى يستشفى بها^(١١) .
وحدثنا القاضي أبو علي ، عن شيخه أبي القاسم بن المأمون : قال : وكانت عندنا
قصة من قصاع النبي صلى الله عليه وسلم ، فكنا نجعل فيها الماء للرضى ،
فيستشفون بها .

-
- (١) وهذا الحديث رواه عنه عبد الله بن أبي الجعد . والحبر في الاستيعاب : ٢٤٦ .
(٢) خفقها : ضربها . والمخفقة : الدرة ، أو العصا . وهذا رواه النسائي .
(٣) برك عليها : دعا مرارا بالبركة فيها .
(٤) أي لم يقدر على ضبط رأسها بلجامها لقوة سيرها ومجاذبتها له .
(٥) في حديث رواه ابن سعد .
(٦) قطوفا : قبيل السير متقارب الخطا . والهملاج من البراذين : ما يسرع في مشيه ويكثر
نقله على هيئته مخصوصة ، والعامية يسمونه « الرهوان » .
(٧) في هامش ١ : ما بين القوسين من الأم من غير الرواية . (٨) رواه البيهقي .
(٩) هذا الحديث رواه مسلم ، والنسائي ، وابن ماجه : صحيح مسلم : ١٦٤١ .
(١٠) الجبة : ثوب مخيط . طيالسة : جمع طيايسان . والطيالسة : نوع من الأكسية ، قيل :
إنها ذات أعلام خضر . وقيل : الطيايسان : كساء أخضر . وقيل : رداء صوف تستعمله المعجم .
(١١) بها : بمائها ، بأن يشرب منه ويمسح به الابدان تيمنا بآثاره صلى الله عليه وسلم ،
فيرزقهم الله الشفاء ببركته .

وأخذ جَهْجَاهَهُ الْفِقَارَى الْقَضِيبَ ^(١) من يد عثمان رضي الله عنه لَيْسَكِسِرَهُ على ركبته؛ فصاح الناسُ به، فأخذتهُ فيها الآكلةُ فقطعها ^(٢)، ومات قبل ^(٣) الحول .

وسكب ^(٤) من فضل وضوئه في بئر قُبَاءَ فما نَزَفَتْ ^(٥) بعد .

وبزق ^(٦) في بئر كانت في دار أنس، فلم يكن بالمدينة أعذب منها .

ومرَّ على ماء، فسأل عنه؛ فقيل له: اسمه بَيْسَان ^(٧)، وماؤه مِلْحٌ، فقال: بل هو نَعْمَان ^(٨) وماؤه طيب . فطاب .

وأبى ^(٩) بدلو من ماء زمزم، فنج فيه، فصارت أطيبَ من المسك .

وأعطى ^(١٠) الحسنَ والحسينَ لسانَه فضاه، وكانا يبكيان عطشا، فسكتا .

وكان لأم ^(١١) مالك عَمَكَةٌ ^(١٢) تُهْدِي فيها للنبي صلى الله عليه وسلم سَمْنَاً؛ فأمرها النبي صلى الله عليه وسلم ألا تعصرها ^(١٣)؛ ثم دفعها إليها، فإذا هي مملوءةٌ سَمْنَاً؛ فبأتمها

(١) القضيبي: عصا قصيرة . وقال القاري (١ - ٦٦٨) : القضيبي : عصا النبي التي كان الخلفاء يتداولونها .

(٢) الآكلة : داء يصيب بعض الأعضاء فيتآكل؛ أي يتفتت ويتقطع . فقطعها؛ أي ركبته .

(٣) هذا الخبر رواه ابن عبد البر في الاستيعاب : ٢٦٩

(٤) رواه البيهقي، عن أنس بن مالك .

(٥) بئر قباء : قرب للمدينة . فما نَزَفَتْ البئر؛ أي ما انقطع ماؤها .

(٦) رواه أبو نعيم في دلائله . (٧) بيسان : موضع بالحجاز .

(٨) نعمان : من النعمة - بكسر أولها، أو بفتحها .

(٩) رواه ابن ماجه، والبيهقي : سنن ابن ماجه ٢١٦ (١٠) رواه الطبراني .

(١١) في حديث رواه مسلم : صحيح مسلم : ١٦١٢

(١٢) العمكة : وعاء من جلد يوضع فيه السمن غالباً .

(١٣) العصر : الضفط للظرف ليخرج مافيه مما قل .

بَنُوها يَسْأَلُونَهَا (١) الْأَذْمُ ، وَلَيْسَ عِنْدَهُمْ شَيْءٌ ، فَتَعَمَّدُ (٢) إِلَيْهَا ، فَتَجِدُ فِيهَا سَبْتًا ؛ فَكَانَتْ تُقِيمُ أَدْمَهَا (٣) حَتَّى عَصَرَ سَبْتَهَا .

وَكَانَ يَتَمَلُّ فِي (٤) أَفْوَاهِ الصَّبِيَّانِ الْمِرَاضِعِ فَيَجْزِمُهُمْ رِبْقَهُ إِلَى اللَّيْلِ (٥) .

وَمِنْ ذَلِكَ بَرَكَةٌ يَدُهُ فِيمَا لَسَهُ وَغَرَسَهُ ، وَلَسَلْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حِينَ (٦) كَاتَبَهُ مَوَالِيَهُ عَلَى ثَلَاثَةِ (٧) وَوَدِيَّةٍ يَفْرُسُهَا لَهُمْ ، كُلُّهَا تَعَلَّقُ وَتُطْعِمُ (٨) . وَعَلَى أَرْبَعِينَ أُوقِيَّةً مِنْ ذَهَبٍ ؛ فَقَامَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَغَرَسَهَا لَهُ بِيَدِهِ إِلَّا وَاحِدَةً [١١٩] غَرَسَهَا غَيْرُهُ ؛ فَأَخَذَتْ (٩) كُلُّهَا إِلَّا تِلْكَ الْوَاحِدَةَ ، فَقَلَعَهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَرَدَّهَا ، فَأَخَذَتْ .

وَفِي كِتَابِ الْبَرِّارِ : فَأَطْعَمَ النَّخْلُ مِنْ عَامِهِ إِلَّا الْوَاحِدَةَ ، فَقَلَعَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَغَرَسَهَا فَأَطْعَمَتْ مِنْ عَامِهَا . وَأَعْطَاهُ (١٠) مِثْلَ بَيْضَةِ الدَّجَاجَةِ مِنْ ذَهَبٍ بَعْدَ أَنْ أَدَارَهَا عَلَى لِسَانِهِ ، فَوَزَنَ مِنْهَا لِمَوَالِيهِ أَرْبَعِينَ أُوقِيَّةً ، وَبَقِيَ عِنْدَهُ مِثْلُ مَا أَعْطَاهُمْ .

(١) الأذم : جمع إدام ، وهو ما يؤتدم به مع الخبز ، كالسمن والمسل .

(٢) تعمد : فتقصد .

(٣) فكانت تقيم أدمها : أى تجمله قائما ، أى باقيا على حاله ، أى تديم ذلك الإدام .

(٤) فى حديث رواه البيهقى .

(٥) فيجزئهم : أى يكفيهم عن الرضاعة النهار كله .

(٦) رواه البيهقى . (٧) الودية : صغار النخل .

(٨) تعلق : تئبت بعد غرسها ، ويتم غراسها . وتطعم : يوجد فيها ما يؤكل ؛ يعنى تعطى

الثمره ، أو تدرك .

(٩) فأخذت كلها : أى طلعت وأدركت .

(١٠) وأعطاه : وأعطى سلمان .

وفي حديث حنّس بن عَقِيل (١) : سقاني رسولُ الله صَلَّى اللهُ عليه وسلم شربةً من سَوِيْقٍ (٢) شَرِبَ أَوْأَهَا وشَرِبْتُ آخِرَهَا ، فما برحتُ أَجِدُ شِبَعَهَا إِذَا جُعْتُ ، وربّها إِذَا عَطِشْتُ ، وبرَدَهَا إِذَا ظَمْتُ .

وأعطى (٣) قَتَادَةَ بنَ النعمان ، وصَلَّى معه العشاءَ في ليلةٍ مُظْلَمَةٍ مَطِيرَةٍ - عُرْجُونًا ، وقال : انطلق به ؛ فإنه سُبِيضٌ لك من بين يديكَ عَشْرًا (٤) ومن خَلْفِكَ عَشْرًا ؛ فَإِذَا دَخَلْتَ بَيْتَكَ فَسْتَرِ سَوَادًا (٥) فَاضْرِبْ به حتى يَخْرُجَ ، فإنه الشيطانُ .

فانطلق فأضأه له العُرْجُونُ حتى دخل بيته ، ووجد السَّوَادَ فضرِبْ به حتى خرج .
ومنها (٦) دَفَعَهُ لِعُكَّاشَةَ جِدَلِ حَطَبٍ (٧) ، وقال : اضْرِبْ به حين انكسر سيفه يوم بَدْرَ ، فعاد في يده سيفاً صارماً (٨) ، طويلَ القامة ، أبيض ، شديدَ المَتَنِ ، فقاتل به ، ثم لم يزلْ عنده يشهدُ به (٩) المواقِفَ إلى أن استشهد في قتالِ أهلِ الرِّدَّةِ (١٠) .

وكان هذا السيف يسمى « العَوْن » .

(١) هذا الحديث رواه قاسم بن ثابت في الدلائل . وضبطت المين في عقيل بالفتح في ا ، وبالضمة في ب . وقال في شرح القاري (١ - ٦٧١) : ولم أر له أثراً في كتاب الصحابة لابن عبد البر ولا خبراً ، فعلى من رآه أن يرسمه هنا .

(٢) السويق : قمح يقلى ويطحن ثم يجعل في ماء ونحوه من المائعات ويشرب ؛ فهو طعام وشراب .

(٣) في حديث صحيح رواه أحمد في مسنده (للسند : ٣ - ٦٥) .

(٤) أى مقدار عشرة أذرع في طريقك حتى تبصرها .

(٥) سوادا : المراد جسم أسود . (٦) من كراماته .

(٧) الجذل : عود غليظ ، أو أصل من أصول الشجر . والحطب : ما يبس من أعصان الشجر .

(٨) صارماً : قاطماً . (٩) المواقِف : قتال الكفرة .

(١٠) رواه البيهقي . وهو في الاستيعاب : ١٠٨٠ .

ودَفَعُهُ^(١) لعبد الله بن جَعَش يوم أُحُد ، وقد ذهب سيفه - عَسِيبَ^(٢) نَخْلٍ ؛
 فرجع في يده سيفاً .
 ومنه برَكَتُهُ في دُرُورِ الشِّيَاهِ الحَوَائِلِ^(٣) بالابن الكثير ؛ كَقِصَّةِ شَاةٍ أُمِّ مَعْبِدِ ،
 وَأَعْنُزِ مَعَاوِيَةَ^(٤) بنِ ثَوْرٍ ، وشَاةِ أَنَسِ^(٥) ، وَغَنَمِ حَلِيمَةَ^(٦) مَرَضَعَتِهِ وشَارِفِيهَا^(٧) ،
 وشَاةِ^(٨) عبد الله بن مسعود ؛ وكانت لم يَنْزُ عَلَيْهَا فَحَلَّ^(٩) ؛ وشَاةِ المِقْدَادِ^(١٠) .
 ومن ذلك نَزِيدَةُ أَصْحَابِهِ سِقَاءَ ماءٍ بَعْدَ أَنْ أُوكَاهُ^(١١) ، ودَعَا فِيهِ ، فلما حضرتهُم
 الصَّلَاةُ نَزَلُوا حُلُوهُ ، فإذا به لَبَنٌ طَيِّبٌ وَزُبْدَةٌ فِيهِ^(١٢) - من رواية حَمَادِ بنِ سَلَمَةَ .
 ومسح على رَأْسِ عُمَيْرِ بنِ سَعْدٍ ، وَبِرَّكَ ، فَمَاتَ وهو ابنُ ثَمَانِينَ ، فما شاب .
 وَرُؤْيٍ مِثْلُ هَذِهِ القِصَصِ عن غير واحدٍ ؛ منهم السائبُ بنُ يزيدٍ ، ومَدْلُوكُ .
 وكان^(١٣) يَوجَدُ لَعُتْبَةَ بنِ فَرَقدٍ طَيِّبٌ يُقَلِّبُ طَيِّبَ نَسَائِهِ ؛ لِأَنَّ رَسولَ اللَّهِ صَلَّى
 اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مسح بيده على بَطْنِهِ وظَهْرِهِ .

- (١) أى من كراماته دفعه . . . والخبر في الاستيعاب : ٨٧٩
 (٢) عسيب نخل : قيل : هى جريدة النخل لاخوص عليها . وقيل : العسيب من السعف
 ما فوق السكر لم يثبت عليه خوص .
 (٣) درور الشياه الحوائل : درت الشاة : سال لبنها من ضرعها بكثرة . والدر : اللبن .
 والحوائل : جمع حائل ؛ وهى التى لم تحمل مطلقاً . (٤) وقصته رواها ابن سعد .
 (٥) لم يذكرها السيوطى فى تخريجها لعدم الوقوف عليها .
 (٦) رواها أبو يعلى ، والطبرانى ، وغيرها بسند حسن .
 (٧) الشارف : الناقة المسنة . (٨) روى قصتها البيهقى ، وابن مسعود .
 (٩) نزا الذكر على الأنثى إذا علاها . يريد لم تلقح ، ولم تلد .
 (١٠) قصتها رواها مسلم ، والبيهقى .
 (١١) أوكاه : شده بالوكاء ، وهو ما يربط به القرية ونحوها . وقد رواه ابن سعد ، عن
 سالم بن أبي الجعد . (١٢) فى فمه : فى فم ذلك السقاء .
 (١٣) رواه الطبرانى ، والبيهقى . ورواه ابن عبد البر فى الاستيعاب : ١٠٢٩

وسَلَتَ (١) الدَّمَ عن وَجْهِ عَائِذِ بْنِ عَمْرٍو ، وكان خَرَجَ يَوْمَ حُنَيْنٍ ، ودَعَا لَهُ ، فَكَانَتْ لَهُ غُرَّةٌ (٢) كَغُرَّةِ الْفَرَسِ .

وَمَسَحَ عَلَى رَأْسِ قَيْسِ بْنِ زَيْدِ الْجَذَامِيِّ ، ودَعَا لَهُ ، فَهَلَكَ وَهُوَ ابْنُ مِائَةِ سَنَةٍ ، ورَأْسُهُ أبيضٌ ، ومَوْضِعُ كَفِّ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَا مَرَّتْ يَدُهُ عَلَيْهِ مِنْ شَعْرِهِ أَسْوَدٌ ؛ فَكَانَ يُدْعَى الْأَغْرَةَ (٣) .

ورَوَى (٤) مِثْلُ هَذِهِ الْحِكَايَةِ لِعَمْرِو بْنِ نَعْلَبَةَ الْجَهَنِيِّ .

وَمَسَحَ وَجْهَ آخَرَ ، فَمَا زَالَ عَلَى وَجْهِهِ نُورٌ .

وَمَسَحَ وَجْهَ قَتَادَةَ بْنِ مِلْحَانَ ، فَكَانَ لَوْجُهُ بَرِيقٌ حَتَّى كَانَ يُنْظَرُ فِي وَجْهِهِ كَمَا يُنْظَرُ فِي الْمَرَاةِ .

وَوَضَعَ يَدَهُ عَلَى رَأْسِ حَنْظَلَةَ بْنِ حَذِيمٍ (٥) ، وَبَرَكَ عَلَيْهِ ؛ فَكَانَ حَنْظَلَةُ يُوتَى بِالرِّجْلِ قَدِ وَّرِمَ وَجْهَهُ ، وَالشَّاةِ قَدِ وَّرِمَ ضَرْعُهَا ، فَيَوْضَعُ (٦) [١٢٠] عَلَى مَوْضِعِ كَفِّ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَذْهَبُ الْوَرَمُ .

وَنَضَحَ (٧) فِي وَجْهِ زَيْنَبِ بِنْتِ أُمِّ سَلَمَةَ نَضْحَةً (٨) مِنْ مَاءٍ ، فَمَا يُعْرَفُ كَانَ فِي وَجْهِهِ امْرَأَةٌ مِنَ الْجَمَالِ مَا بَهَا .

(١) سلت الدم : أى مسح النبي صلى الله عليه وسلم وجهه بيده متسكنا عليه حتى أخرج

ما عليه من الدم .

(٢) الغرة : بياض منتشر طولاً وعرضاً في وجهه .

(٣) يدعى الأغر لما في وجهه من البياض .

(٤) الذى رواه البيهقى . ورواه ابن عبد البر فى الاستيعاب : ١١٦٨

(٥) فى حديث رواه البيهقى .

(٦) فيوضع : أى محل الورم من الوجه والضرع . وفى ب : فيضع .

(٧) رواه ابن عبد البر فى الاستيعاب : ١٨٥٥

(٨) نضح : رش بالماء ونحوه .

ومسح على رأس صبي به عاثة^(١) ، فَبَرَأَ ، واستوى شعره^(٢) ، وعلى غير واحدٍ من الصَّبِيَّانِ والمرضى والمجانين ، فَبَرَهُوا .
وأناه^(٣) رجل به أذرة^(٤) ، فأمره أن يَنْضَحَهَا^(٥) بماء من عَيْنِ مَجِّ فِيهَا ، ففعل ؛ فَبَرَأَ .

وعن طاوس^(٦) : لم يُؤْتِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَحَدٍ بِهِ مَسٌّ ، فَصَكَ^(٧) فِي صَدْرِهِ إِلَّا ذَهَبَ .
والمَسُّ : الجنونُ .

ومَجِّ فِي دَلْوٍ مِنْ بَثْرٍ ، ثُمَّ صَبَّ فِيهَا^(٨) ، ففاح منها ريحُ المِسْكِ .
وأخذ^(٩) قَبِيضَةً مِنْ تُرَابٍ يَوْمَ حُنَيْنٍ ، وَرَمَى بِهَا فِي وَجْهِهِ السُّكْفَارَ ، وَقَالَ :
شَاهَتِ^(١٠) الْوُجُوهُ ، فَانصرفُوا يَمْسُحُونَ الْقَذَى^(١١) عَنْ أَعْيُنِهِمْ .

(١) عاثة : آفة ومرض ، والمراد أنه كان أقرع .

(٢) استوى شعره : نبت وتم وحسن .

قال في نسيم الرياض (٣ - ١٦٤) : وهذا الحديث لم يخرج به السيوطي ولا غيره .

وفي شرح القاري (١ - ٦٧٥) : هذا الحديث لا يعرف من رواه بهذا اللفظ .

(٣) في حديث لم يخرجوه . وفي شرح القاري (١ - ٦٧٥) : قال الدلجي : لا أعلم

من رواه .

(٤) الأذرة : انتفاخ في الخصيتين . (٥) ينضحها : يرشها .

(٦) روى عن ابن عباس ، وأبي هريرة ، وغيرهما .

(٧) صك في صدره : ضرب صدره بيده المباركة .

(٨) مج : صب من فيه . ثم صب فيها : أى في البثر الذي مج فيه ريقه . وقال القاري :

رواه أحمد عن وائل بن حجر . (مسند أحمد : ٤ - ٣١٥) .

(٩) في حديث مشهور رواه مسلم : صحيح مسلم : ١٤٠٢ .

(١٠) شاهت الوجوه : جملة دعائية معناها قبحت وقبحها الله .

(١١) القذى : ما يقع في العين من التراب .

[وشكا إليه أبو هريرة رضى الله عنه النسيان ، فأمره ببسط^(١) ثوبه ، وعرف بيده فيه^(٢) ؛ ثم أمره بضمه ، ففعل ؛ فما نسي شيئا بعد .
وما برؤى عنه في هذا كثير .

وضرب صدر^(٣) جريير بن عبدالله ، ودعاه له ؛ وكان ذكر له أنه لا يثبت على الخليل ، فصار من أفرس^(٤) العرب وأثبتهم .
ومسح على رأس عبد الرحمن^(٥) بن زيد بن الخطاب وهو صغير ، وكان دميا ، ودعاه بالبركة ، ففرع الرجال^(٦) ، طولا وتاماً^(٧) .

فصل

ومن ذلك^(٨) ما أُطِيعَ عليه من الفيوب وما يكون^(٩) . والأحاديث في هذا الباب بجز لا يدرك قعره^(١٠) ، ولا ينزف^(١١) عمره .
وهذه المعجزة من جملة معجزاته المعلومة على القطع الواصل إلينا خبرها على التواتر ، لكثرة رواياتها ، واتفاق معانيها على الاطلاع على الغيب :
حدثنا الإمام أبو بكر محمد بن الوليد الفهرى إجازة ، وقرأته على غيره : قال

(١) يبسط ثوبه : أى بأن يضعه على الأرض ويفرشه .

(٢) أى فعل فعلا شبيها بمن يفرف من شيء ما يضعه في الآخر . وضمير « فيه » للثوب .

(٣) رواه ابن عبد البر في الاستيعاب : ٢٣٨

(٤) أفرس العرب : أقوامهم . (٥) رواه ابن عبد البر في الاستيعاب : ٨٣٤

(٦) فرع الرجال : زاد عليهم في الطول .

(٧) في هامش ١ ، ب - أمام ما بين القوسين : من الأم من غير الرواية .

(٨) ومن ذلك : ومن خصائصه وكراماته .

(٩) وما يكون : وما يحصل في المستقبل .

(١٠) لا يدرك قعره : لا يصل أحد إلى نهايته . وقعره : قراره وأرضه .

(١١) لا ينزف : لا يفنى ، ولا يتفد .

أبو بكر : حدثنا أبو علي التستري ، حدثنا أبو عمر الهاشمي ، حدثنا اللواتي ،
حدثنا أبو داود ، حدثنا عثمان بن أبي شيبة ، حدثنا جرير ، عن الأعمش ، عن أبي
وائل ، عن حذيفة ، قال ^(١) : قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاماً ^(٢) ؛
فما ترك شيئاً يكون في مقامه ذلك إلى قيام الساعة إلا ^(٣) ، حدثه ؛ حفظه من حفظه ،
ونسبه من نسبه ، قد علمه أصحابي هؤلاء ، وإنه ليكون منه الشيء ^(٤) فأعرفه فأذكره
كما يذكر الرجل وجه الرجل إذا غاب عنه ؛ ثم إذا رآه عرفه .

ثم قال حذيفة : ما أدري ، أنسى أصحابي أم تناسوه ^(٥) . والله ما ترك رسول
الله صلى الله عليه وسلم من قائد فقتة إلى أن تنقضي الدنيا يبلغ من معه ثلاثمائة
فصاعداً إلا قد سماه لنا باسمه ، واسم أبيه ، وقبيلته ^(٦) .

وقال أبو ذر ^(٧) : لقد تركنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يحرك طائر
جناحيه في السماء ^(٨) ، إلا ذكرنا منه علماً ^(٩) .

(١) الحديث في صحيح مسلم : ٢٢١٧ ، و سنن أبي داود : ٢ - ١٣٠ .

(٢) قام فينا مقاما : المراد أنه خطبهم يوماً .

(٣) هذا في ا ، ب . وفي صحيح مسلم : إلا حدث به . والمثبت في سنن أبي داود .

(٤) ليكون منه الشيء : أي يوجد شيء مما حدثنا به في ذلك المقام في الخارج قد نسيته

لطول العهد بحديثه ، فأراه بعيني بعد ما وجد .

(٥) تناسوه : أظهروا نسيانه . وفي سنن أبي داود : أم تناسوا .

(٦) وهذا الحديث روى من طريق آخر ذكره ابن الجوزي وغيره . وفي سنن أبي داود :

واسم قبيلته .

(٧) في حديث رواه أحمد (المسند : ٥ - ١٥٣) ، والطبراني ، وغيرهما ، بسند صحيح .

(٨) كناية عن بيان كل شيء .

(٩) أي تذكرنا وفهمنا من طيرانه علماً يتعلق به ، فكيف بنيره مما بهمننا في الأرض ؛

وهذا تمثيل لبيان كل شيء تفصيلاً تارة وإجمالاً أخرى . وفي المسند : أذكرنا .

وقد خرَّجَ أهلُ الصحيحِ والأئمةُ ما أعلمُ به أصحَّابه صلى اللهُ عليه وسلم بما
وَعَدَمَ به من الظهورِ على أعدائه ، وفتحِ مكةَ ، وبيتِ المقدسِ ، واليمنِ ، والشامِ ،
والعراقِ ، وظهورِ الأَمَنِ ، حتى تظنَّ المرأةُ من الحيرةِ إلى مكةَ ^(١) ، لا تخافُ
إلا اللهَ . وأنَّ المدينةَ ^(٢) ستُغزَى ، وتُفتحَ خيبرُ على يدي عليٍّ في غَدِ يومِهِ ^(٣) ، وما يفتحُ
اللهُ على أُمَّته من الدنيا ^(٤) ، ويؤتُونَ من زَهْرَتِهَا ، وقسمَتِهم كنوزَ كسرى وقيصَرَ ،
وما يحدثُ بينهم من الفتونِ ^(٥) والاختلافِ والأهواءِ ، وسلوكِ سبيلِ مَنْ قَبْلَهُمْ ،
وافتراقِهِمْ [١٢١] على ثلاثِ وسبعينَ فرقةً ؛ الناجيةُ منها واحدةٌ ، وأنها ستكونُ لهم
أَمانًا ^(٦) ؛ وَيَقْدُوا أَحَدَهُمْ فِي حِلَّةٍ ، ويروحُ في أُخْرَى ^(٧) ، وتوضَعُ بينَ يديه

(١) تظن : تسافر وحدها وترحل ؛ وذكر المرأة للمبالغة في الأمان ؛ لأنها مع ضعفها
وشدة خوفها إذا أمنت علم أمن غيرها بالطريق الأولى .

(٢) قال في نسيم الرياض : هو إشارة إلى وقعة الحرة ؛ فإنها وقعة عظيمة قتل بها المسلمون
حتى تركت الصلاة في الحرم ، والحرة : أرض بظاهر المدينة ذات حجارة سود . والحديث في
صحيح مسلم (١٠٠٩) . وفي شرح القاري (١ - ٦٧٨) : ستغزى من الغزو ، أى ستحارب
وتقتل . وفي رواية بمهملتين ؛ قال الحافظ للزى : الرواية في الحديث بالمعنى المهمة والراء ،
يعنى من المرى ، أى تصير عراء . والمعنى : ستخرب ، ليس فيها أحد . فقد رواه الشيخان عن
أبي هريرة رضى الله تعالى عنه بلفظ : يتركون المدينة على خير ما كانت لا ينشأها إلا العوائق .
وهذا لم يقع بمد كما اختاره النووي ، وتفسيره : وإنما يقع قرب الساعة . صحيح مسلم : ١٠٠٩
(٣) لما كانت وقعة خيبر وتمسر فتحها قال رسول الله صلى عليه وسلم : لأعطين الراية غدا
رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يفتح الله تعالى على يديه ، فدعا عليا . . . وفتحها
الله على يديه : صحيح البخارى : ٥ - ١٧١

(٤) الفتون : جمع فتنة ؛ تطلق على كل ما يقع بين الناس من النزاع والحروب . وفي ب :
من الفتن .

(٥) أمان جمع نطم ، وهو البساط . يعنى أن أُمَّته صلى اللهُ عليه وسلم يتوسعون في الدنيا
حتى يتخذوا الفرش النفيسة لبسط الله لهم الرزق بمد ما كانوا فيه من الفقر وضيق المعيشة .

(٦) من حديث رواه الترمذى عن عليٍّ وحسنه : سنن الترمذى : ٥ - ٥٢٦

صَحْفَةٌ^(١) وَتُرْفَعُ أُخْرَى ، وَيَسْتُرُونَ بِيوتَهُمْ كَمَا تُسْتَرُ السَّكْمَةُ^(٢) .

ثم قال آخر الحديث^(٣) : وَأَنْتُمْ الْيَوْمَ خَيْرَ مِنْكُمْ يَوْمَئِذٍ ، وَأَنْتُمْ إِذَا مَشَوْا الْمُطَيْطَاءَ^(٤) ، وَخُدَمَتَهُمْ بَنَاتُ فَارِسَ وَالرُّومِ^(٥) رَدَّ اللَّهُ أَسْمَهُمْ^(٦) بَيْنَهُمْ ، وَسَلَطَ شِرَارَهُمْ عَلَى خِيَارِهِمْ .

وقتالهم^(٧) الفُرسُ ، وَالخَزَرُ^(٨) ، وَالرُّومُ ، وَذَهَابَ كَسْرَى وَفَارِسَ حَتَّى لَا كَسْرَى وَلَا فَارِسَ بَعْدَهُ ، وَذَهَابَ قَيْصَرَ حَتَّى لَا قَيْصَرَ بَعْدَهُ^(٩) .
وَذَكَرَ أَنَّ الرُّومَ ذَاتُ قُرُونٍ إِلَى آخِرِ الدَّهْرِ^(١٠) .

(١) الصفحة : إناء الطعام .

(٢) وهذا كما تفعله الأُمراء والمُعلماء الذين اتسمت دنياهم حتى كسوا الحجارة والجران .

(٣) الحديث الذي رواه الترمذى وغيره .

(٤) ورد في حديث رواه الترمذى عن ابن عمر ، إلا أن الذهبي قال في ميزانه : إنه لم يصح .

والمطيطاء : مشية فيها مد اليدين ، والمراد به التبختر .

(٥) أى اتخذوا الجوارى والخدم منهم .

(٦) البأس : الخوف الشديد ، والمراد به المداوة ووقوع القتال بينهم ؛ لأن الله كان أعطى

نبيه صلى الله عليه وسلم النصره بإيقاع الرعب في قلوب أعدائه الكفرة ، وبقى من ذلك أثر

فيمن اقتدى به من الخلفاء ؛ فلما اشتعلوا بزخرف الدنيا تزع الخوف من قلوب الأعداء وصار

بعضهم يعادى بعضاً ويقاتله لما بينهم من التحاسد والتباغض وطلب كل منهم ما في يد الآخر .

(٧) وأخبرهم بقتالهم الفرس . وجاء ذلك في حديث رواه الشيخان .

(٨) قيل المراد بهم الأكراد . وقيل هم من الترك ، أو من المعجم ، أو التتار . وقد ضبطت

الزاي في الافتحة .

(٩) وهذا ما رواه الشيخان : صحيح مسلم : ٢٢٣٧ ، وسنن الترمذى : ٥ - ٤٩٧

(١٠) قرون : جمع قرن ، وهو الجماعة في عصر واحد . أى كلما مضى قرن خلفه قرن

وقوم يملك ما كان ملكهم منهم . وقيل القرن : السيد ؛ أى كلما هلك ملك ملك بعده غيره . وقيل :

المراد بهم قرون شعورهم التى كانوا يطولونها ويعرفون بها .

وبذهابِ الأُمثَلِ فالأُمثَلِ مِنَ النَّاسِ (١) ، وتَقَارُبِ الزَّمَانِ (٢) ، وَقَبْضِ الْعِلْمِ (٣) ، وظهورِ الفِتَنِ ، والهَرَجِ (٤) .

وقال (٥) : وَيَلُحُّ الْعَرَبُ مِنْ شَرِّ قَدِ اقْتَرَبَ .

وَأَنَّهُ زُوِيَتْ (٦) لَهُ الْأَرْضُ فَأَرِي مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا ، وَسَيَبْلُغُ مُلْكُ أُمَّتِهِ مَارُؤِيَّ لَهَا مِنْهَا .

وكذلك كان (٧) ؛ امتدت (٨) في المشرق والمغرب مما بين أرض الهند أقصى المشرق إلى بحر طنجة حيث لا عمارة وراءه ؛ وذلك ما لم تملكه أمة من الأمم ، ولم تمتد في الجنوب ولا في الشمال مثل ذلك .

(١) الأُمثَلُ هنا : الأشراف ؛ لأنه أكثر مماثلة ومشابهة لأهل الحق ، والصدر الأول .
(٢) في حديث رواه الترمذى عن أنس : السنن : ٤ - ٥٦٧ ؛ والمراد قصره وقتله . وقيل : المراد أنهم يوسع عليهم من الدنيا فيستلذون معيشتهم ، ويكونون مسرورين ، وما زال الناس يصفون الأيام الهنية بالقصر . أو المراد نزع البركة من كل شيء حتى من الزمان . وقال البيضاوى : المراد تسارع انقضاء الدول وانقراضها .

قال في نسيم الرياض (٣ - ١٧٥) : وهنا وجه قريب من الأول ؛ وهو أنه لكثرة الظلم والأحزان والاشتغال بأمور الدنيا وكثرة الحرص على تحصيلها ينفلون عن أوقاتهم ولا يشعرون بها .

(٣) قبض العلم : أخذه ونزعه من الناس ، وذلك بموت العلماء حتى لا يبقى إلا أناس جهلة إذا استفتوا أفتوا بنير علم . وحديثه في ابن ماجه : ٨٣ .

(٤) الهرج : القتل . أو اختلاط الناس بعضهم ببعض . وحديثه في مسلم : ٢٢١٥ ، وصحيح البخارى : ٨ - ٦١ ، وسنن الترمذى : ٥ - ٤٨٩ .

(٥) في حديث رواه الشيخان : صحيح مسلم : ٢٢٠٧ ، وصحيح البخارى : ٨ - ٦٠ ، ٧٦ .

(٦) زويت : جمعت وضم بعضها لبعض حتى يطلع على جميعها : صحيح مسلم : ٢٢١٥ .

(٧) كان : وقع . وفي ١ : فكذلك .

(٨) امتدت : أى مملكتهم ، واتسعت .

وقوله^(١) : لا يزال أهلُ الغَرْبِ ظاهرين على الحقِّ حتى تقومَ الساعةُ - ذهب ابنُ المديني إلى أنهم العَرَبُ ؛ لأنهم المختصون بالسُّقْيِ بالغَرْبِ - وهي الدَّلْوُ . وغيره يذهبُ إلى أنهم أهلُ المَغْرِبِ ؛ وقد ورد للغرب كذا في الحديث بمعناه^(٢) .
وفي حديثٍ آخر^(٣) ، مِنْ رواية أبي أُمَامَةَ : لا تزالُ طائفةٌ من أمتي ظاهرين على الحقِّ ، قاهرين لِعِدُوِّهم ، حتى يَأْتِيَهُمُ أَمْرُ اللَّهِ وهم كذلك .
قيل : يا رسولَ اللَّهِ ؛ وأين هم ؛ قال : بيت المقدس .

وأخبر بملكِ بني أمية^(٤) ، وولاية معاوية ؛ ووصاه^(٥) ؛ واتخاذِ بني أمية مالَ اللَّهِ^(٦) دُولًا ، وخروجِ ولدِ العباسِ بالراياتِ السُّودِ^(٧) ، ومُنكِبِهِم أضعافَ ما ملكوا ، وخروجِ المهديِّ ، وما ينالُ أهلَ بيتهِ وتقتيلهم وأشْرَ يدِهم ؛ وقَتْلِ عليٍّ ، وأنَّ^(٨)

-
- (١) في حديث رواه مسلم : صحيح مسلم ١٣٧
(٢) قال القاري (١ - ٦٨٢) : لكن فيه أنه لا يعلم من رواه .
(٣) رواه الطبراني ، وعبد الله بن أحمد بن حنبل (السند : ٥ - ٢٦٩) . ورواه أيضا الترمذی في سننه : ٥١٤ - ٥ (٤) رواه البيهقي .
(٥) ووصاه : وصى معاوية ، إذا ملك ، بالعدل والرفق ، لما قال له : إذا ملكت فانصح .
(٦) في حديث رواه الترمذی ، والحاكم ، والبيهقي .
دولا : يتداولونه ويأخذونه واحدا بعد واحد . وللراد أنهم استأثروا به ومنعوا حقوقه فأسرفوا وبذروا .

- (٧) في حديث رواه أحمد ، والبيهقي بسند فيه ضعف وانظر أيضا سنن الترمذی : ٥٣١ - ٥
(٨) خروج المهدي في آخر الزمان ، كما ورد في حديث رواه أصحاب السنن وغيرهم من طرق كثيرة إلا أنه قيل إن أسانيدَهُ لا تخلو من ضعف : سنن أبي داود : ٢ - ١٣٥ ، وسنن الترمذی : ٥٠٦ - ٥

- (٩) أي مما أخبر به صلى الله عليه وسلم أن أشقاها ؛ أي أشقى الخلائق . أو الدنيا . . .
و«هذه» الأولى إشارة إلى لحيته . و«من هذه» إشارة إلى رأسه ؛ أي يضربه على رأسه ضربة يسيل بها دمه حتى يبيل لحيته . والحديث في مسند أحمد : ١ - ٩١

أَشْقَاهَا الَّذِي يَخْضِبُ هَذِهِ مِنْ هَذِهِ؛ أَيْ لِحْيَتَهُ مِنْ رَأْسِهِ؛ وَأَنَّهُ قَسَمَ النَّارَ^(١)، يَدْخُلُ أَوْلِيَاؤُهُ النَّارَ؛ فَكَانَ فِيمَنْ عَادَاهُ الْخَوَارِجُ وَالنَّاصِبَةُ^(٢)؛ وَطَائِفَةٌ مِمَّنْ يُنْسَبُ إِلَيْهِ مِنَ الرُّوَافِضِ كَفَرُوهُ^(٣).

وَقَالَ: يُقْتَلُ عُمَانٌ وَهُوَ يَقْرَأُ فِي الْمَصْحَفِ؛ وَأَنَّ اللَّهَ عَسَى أَنْ يُبْلِغَهُ قَمِيصًا، وَأَنَّهُمْ يُرِيدُونَ خَلْعَهُ، وَأَنَّهُ سَيَقْطُرُ دَمَهُ عَلَى قَوْلِهِ: «فَسَيَكْفِيكُمْ اللَّهُ»^(٤)؛ وَأَنَّ الْفِتْنَ لَا تَظْهَرُ مَا دَامَ عُمرُ حَيًّا^(٥).

وَبِمَحَابَرَةِ الزُّبَيْرِ لَعْلَى^(٦)؛ وَبِنُبْحَاحِ كَلَابِ الْحَوَّابِ عَلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ^(٧)،

(١) وَأَنَّهُ؛ أَيْ عَلَى كَرَمِ اللَّهِ وَجْهَهُ. قَسَمَ النَّارَ: مَعْنَاهُ: عَلَى وَمَنْ مَعَهُ قَسَمَ لِأَهْلِ النَّارِ؛ أَيْ مُقَابِلَ لَهُمْ؛ لِأَنَّهُ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ.

وَقَالَ الْخَفَاجِيُّ (٣ - ١٨٢): ظَاهِرُ كَلَامِهِ أَنَّ هَذَا مِمَّا أَخْبَرَ بِهِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ إِلَّا أَنَّهُمْ قَالُوا: لَمْ يَرَوْهُ أَحَدٌ مِنَ الْمُحَدِّثِينَ، إِلَّا أَنَّ ابْنَ الْأَثِيرِ قَالَ فِي النِّهَايَةِ: أَلَا إِنَّ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَنَا قَسَمَ النَّارَ - بِمَعْنَى أَرَادَ أَنَّ النَّاسَ فَرِيقَانِ: فَرِيقٌ مَعِيَ؛ فَهُمْ عَلَى هُدًى، وَفَرِيقٌ عَلَى؛ فَهُمْ عَلَى ضَلَالٍ؛ فَنُصِفُ مَعِيَ فِي الْجَنَّةِ، وَنُصِفُ فِي النَّارِ. قُلْتُ: ابْنُ الْأَثِيرِ ثِقَةٌ.

(٢) الْخَوَارِجُ: الَّذِينَ خَرَجُوا عَلَى عَلِيٍّ عِنْدَ التَّحْكِيمِ. وَالنَّاصِبَةُ: قَوْمٌ تَدِينُوا بِبَيْضِ عَلِيٍّ كَرَمَ اللَّهُ وَجْهَهُ؛ وَهُمْ مِنَ الْخَوَارِجِ أَيْضًا.

(٣) الرُّوَافِضُ: مِنَ الرَّفْضِ، وَهُوَ التَّرْكُ؛ سَمَوْا بِذَلِكَ لِتَرْكِهِمُ السَّنَةَ وَالْجَمَاعَةَ. كَفَرُوهُ: نَسَبُوهُ إِلَى الْكُفْرِ.

(٤) وَهَذَا رَوَاهُ الْمَحَبُّ الطَّبْرِيُّ فِي كِتَابِهِ الرِّيَاضُ النَّضْرَةَ، وَرَوَاهُ الْحَاكِمُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ؛ وَقَالَ الْأَعْمَشِيُّ: إِنَّهُ مَوْضُوعٌ، وَتَبِعَهُ السِّيُوطِيُّ.

(٥) رَوَى الْبَيْهَقِيُّ هَذَا الْحَدِيثَ عَنِ ابْنِ عَمْرٍو، وَالشَّيْخَانُ عَنْ حَذِيفَةَ.

(٦) فِي حَدِيثٍ رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي دَلَائِلِ النُّبُوَّةِ، مِنْ طَرَقٍ؛ وَهُوَ مِمَّا أَخْبَرَ بِهِ مِنَ الْمَغْيِبَاتِ.

(٧) الْحَوَّابُ: مَوْضِعٌ بَيْنَ الْبَصْرَةِ وَالْكُوفَةِ، نَزَلَتْهُ عَائِشَةُ لَمَّا تَوَجَّهَتْ لِلصَّالِحِ بَيْنَ عَلِيٍّ وَمَعَاوِيَةَ

فَلَمْ تَقْدِرْ، فَكَانَتْ وَقْمَةَ الْجَلِّ. قَالَ الْخَفَاجِيُّ (٣ - ١٨٥): وَهُوَ حَدِيثٌ صَحِيحٌ رَوَاهُ الْبِزَارُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ.

وأنه يُقتل حولها^(١) قتلى كثيرٌ ؛ وتنجو بعد ما كادت^(٢) ؛ فنبحت على عائشة عند خروجها إلى البصرة . وأنَّ عمَّاراً تقتله الفئة الباغية ، فقتله أصحاب معاوية^(٣) . وقال لعبد الله بن الزبير^(٤) : ويلُّ للناس منك ، وويلُّ لك من الناس [١٢٢] . وقال في قُزَّمان^(٥) - وقد أُبلى مع المسلمين : إنه من أهل النار ؛ فقتل نفسه^(٦) . وقال^(٧) - في جماعة فيهم أبو هريرة ، وسمرّة بن جندب ، وحذيفة : آخركم موتاً في النار^(٨) ؛ فكان بعضهم يسأل عن بعض ؛ فكان سمرّة آخرهم موتاً ؛ هَرِمَ وخَرِفَ ، فاصطلى بالنار فاحترق فيها .

[وقال في حَنْظَلَةَ النَّسِيلِ^(٩) : سلُّوا زوجتَه عنه ؛ فإنِّي رأيتُ الملائكةَ تفسُّله ؛ فسألوها فقالت : إنه خرج جُنُباً ، وأعجمه الحالُ عن الغُسلِ . قال أبو سَعِيدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : وَوَجَدْنَا رَأْسَهُ يَنْطَرُ مَاءً]^(١٠) .

- (١) حولها : حول بعض الأزواج ، وهي عائشة رضى الله عنها .
- (٢) بمد ما كادت : بمد ما قاربت عدم النجاة .
- (٣) عمار بن ياسر الصحابي المشهور . الباغية : من البنى ، وهو الخروج بنير حق على الإمام . والحديث في صحيح مسلم : ٢٢٣٦ . فقتله أصحاب معاوية وهو مع علي بصفين .
- (٤) قال له هذا لما شرب دما من فضل دمه صلى الله عليه وسلم ؛ وكان النبي قد احتجم ، وأعطاه دمه ، وقال له : أرقه في محل لا يرى ، فلما رجع قال له النبي : لملك شربته ؟ فقال : نعم ، فقال له ذلك .
- (٥) قزمان : مولى لبعض الأنصار ، وكان شجاعا ، لسكنه منافق ، وكان قاتل قتالا شديدا أعجب الصحابة .
- (٦) قال الخفاجي (٣ - ١٨٦) : هذا الحديث متفق على صحته لرواية الشيخين له عن أبي هريرة . وقد روى ذلك الواقدي في المنازى : ١ - ٢٦٣ (٧) رواه الطبراني ، والبيهقي .
- (٨) رجح للسيوطي أن المراد أنه يحترق في الدنيا حريقا يموت به ، لأنه يدخل نار جهنم . وقال الشهاب : إن سمرّة احترق من ماء حار كان يستدفئ به ، وسيأتي .
- (٩) في حديث رواه ابن إسحاق (سيرة ابن هشام : ٣ - ٢٠) . وسُمي النسيل ، لأن الملائكة غسلته لما استشهد بأحد . وهو حنظلة بن أبي عامر الأنصاري . ورواه الواقدي أيضا في المنازى : ١ - ٢٧٤ (١٠) في هامش ١ ، ب : من الام بخطه من غير الرواية .

وقال^(١) : الخلافةُ في قُرَيْشٍ .
ولن يزالَ هذا الأمرُ في قُرَيْشٍ ما أقاموا الدِّينَ^(٢) .
وقال^(٣) : يكونُ في تَقْرِيفِ كَذَّابٍ ومُبِيرٍ ؛ فَرَأَوْهَا : الحِجَّاجُ ، والمُخْتَارُ^(٤) .
وَأَنْ مَسِيلَةَ^(٥) يَعْتَرُهُ اللهُ .
وإِنَّ فَاطِمَةَ أَوَّلَ أَهْلِ لِحْوَقًا^(٦) بِهِ .
وَأَنْذَرَ^(٧) بِالرَّدَّةِ ، وَبِأَنَّ الخِلافةَ بَعْدَهُ لثَلَاثُونَ^(٨) سَنَةً ، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا ؛
فَكَانَتْ كَذَلِكَ بِتَدَةِ الحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ .
وقال^(٩) : إِنَّ هَذَا الأَمْرَ بَدَأَ^(١٠) نُبُوَّةَ رَحْمَةٍ ، ثُمَّ يَكُونُ رَحْمَةً وَخِلافةً ،

(١) في حديث رواه أحمد ، والترمذى . سنن الترمذى : ٥ - ٥٠٣ .

(٢) في حديث آخر رواه البخارى : صحيح البخارى : ٤ - ٢١٨ .

(٣) في حديث رواه مسلم ، والبيهقى : صحيح مسلم : ١٩٧٢ ، وسنن الترمذى : ٥ - ٤٩٩ .

(٤) مبير : مهلك ، يكثر القتل بغير حق . والحجاج : هو ابن يوسف ، وهو المبير . وأما

الكذاب فهو المختار بن أبي عبيد الثقفى بن مسمود ؛ وكان يزعم أن جبريل يأتيه ، وكان يظهر مدح ابن الزبير ، ومحمد بن الحنفية ، واستحوذ على الكوفة ، وأظهر التشيع واجتمع عليه ناس كثيرون ، وطلب الأخذ بثأر الحسن ، فقتل كثيرا من قتلته ، وعظم أمره . وكان يتسكنهن ويزعم أنه يوحى إليه .

(٥) رواه الشيخان عن ابن عباس . وفي النهاية : أنه قال لمسيلة الكذاب ؛ ولئن أدبرت

ليعقرنك الله ؛ أى ليهلكنك . والحديث في صحيح مسلم : ١٧٨٠ .

(٦) أى أول من يموت بعمده صلى الله عليه وسلم .

فمات بعمده بستة أشهر ، وقيل بثمانية ، وقيل مائة يوم . والحديث في صحيح مسلم : ١٩٠٥ .

(٧) وهو مما رواه الشيخان عن ابن عمر .

(٨) رواه أصحاب الكتب الستة مسندا .

(٩) في حديث رواه البزار ، والبيهقى .

(١٠) بدا : ظهر وبرز .

ثم يكون مُلْكًا عَضُوضًا^(١)، ثم يكون عُمُوتًا وجَبْرُوتًا وفسادًا في الأمة^(٢).
وأخبر بِشَأْنِ^(٣) أُوَيْسِ الْقَرَنِيِّ؛ وبأَمْرَاءِ بُوَءَخْرُونَ الصَّلَاةَ عَنْ وَقْتِهَا،
وسَيَكُونُ فِي أُمَّتِهِ ثَلَاثُونَ كَذَّابًا فِيهِمْ أَرْبَعُ نِسْوَةٍ .
وفي حديث آخر^(٤): ثَلَاثُونَ دَجَالًا كَذَّابًا، آخِرُهُمُ الدَّجَالُ الْكَذَّابُ، كُلُّهُمْ
بِكُذِّبٍ عَلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ .

وقال^(٥): يُوَشِّكُ أَنْ يَكْثُرَ فِيكُمْ الْعَجَمُ، يَا كَلُونَ^(٦) فَيُثَكِّمُكُمْ، وَيَضْرِبُونَ رِقَابَكُمْ .
ولا^(٧) تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَسُوقَ النَّاسَ بِعِصَاهُ رَجُلٌ مِّنْ قَحْطَانَ .
وقال: خَيْرُكُمْ قَرَنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يُلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يُلُونَهُمْ . ثُمَّ يَأْتِي
بَعْدَ ذَلِكَ قَوْمٌ يَشْهَدُونَ وَلَا يُسْتَشْهَدُونَ^(٨)، وَيَخُونُونَ وَلَا يُؤْتَمَنُونَ، وَيُنْذِرُونَ
وَلَا يُؤْفُونَ، [وَيُظْهِرُ فِيهِمُ السَّمْنَ]^(٩) .
وقال^(١٠): لَا يَأْتِي زَمَانٌ إِلَّا وَالَّذِي بَعْدَهُ شَرٌّ مِنْهُ .

-
- (١) عضوضا : سلطنة خالية عن الرحمة والشفقة على الرعية ؛ فكأنهم يمضون بالنواجذ فيه
عضا ، حرصا على الملك ، ويمض بعضهم بمضا بسببه .
(٢) عتوا : العتو : الخروج عن طاعة الله تعالى . والحجيرية - بفتح الحيم والموحدة ،
وتسكن أيضا ؛ من الجبر ؛ وهو الإكراه والقهر .
(٣) في حديث رواه مسلم : صحيح مسلم : ١٩٦٨ . وأويس هذا خير التابعين مطلقا
بشهادة النبي له . وكان أدرك زمن النبي صلى الله عليه وسلم ولم يره لاشتغاله بامرأته .
(٤) رواه الشيخان عن أبي هريرة ، صحيح البخاري : ٧٤-٨ ، وصحيح مسلم : ٢٢٤٠ .
(٥) في حديث رواه البزار ، والطبراني بسند صحيح .
(٦) النبيء : أصله الغنيمة من الكفار بغير قتال ، ويطلق على مطلق الغنيمة . والأكل فيه
مجاز عن الاستيلاء عليه وأخذه قهرا ومنع المستحقين منه بغير وجه .
(٧) في حديث رواه الشيخان : صحيح البخاري : ٨ - ٧٣ ، ٤ - ٢ ، وسنن الترمذي :
٥ - ٥٠١ ، وصحيح مسلم : ٢٢٣٢ (٨) أى يؤدون الشهادة قبل أن تطلب منهم .
(٩) ليس في ١ . (١٠) في حديث رواه البخاري : صحيح البخاري : ٨ - ٦٢

وقال: (١) هلاك أمتي على يدي أغيلة (٢) من قريش .
قال أبو هريرة رايه (١) : لو شئتُ ستميتهم لكم : بنو فلان ، وبنو فلان .
وأخبر (٣) بظهور القدرية والرافضة (٤) ، وسب (٥) آخر هذه الأمة أولها ،
وقلة الأنصار حتى يكونوا كالمِلح في الطعام ، فلم يزال أمرهم يتبدد حتى لم يبق لهم
جماعة .

وأنهم سيقون بعده أئمة (٦) .
وأخبر بشأن الخوارج (٧) وصفتهم ، والمخدج الذي فيهم ، وأن سيام
التحليق (٨) .

-
- (١) في حديث رواه الشيخان : صحيح البخارى : ٩ - ٦٠ .
(٢) أغيلة : تصغير أغلة ، وهو جمع قلة ، يجوز فيه التصغير على لفظه ، وهو في حكم
المفرد . وفي القاموس : جمع غلام غلمة وأغلة وغلمان . والفلام : الشاب قد طر شاربه ، وهو
المراد . قال الشهاب (٣ - ١٩٦) : والمراد بهلاكهم ضياع أمورهم وهلاك بعضهم .
(٣) في حديث رواه الترمذى ، وأبو دواد ، والحاكم .
(٤) القدرية : قال الشهاب (٣ - ١٩٦) : سموا قدرية ، لإبانتهم للبعد قدرة ، لا لإنكار
قدرة الله على أماله . وشبههم بالمجوس ؛ لأنهم أثبتوا خالقين : خالق الخير ، وهو النور .
وخالق الشر ، وهو الظلمة .
والرافضة : التاركون لحب جل الصحابة (شرح القارى : ١ - ٦٩٤) .
(٥) في حديث رواه البغوى .
(٦) أئمة : استبدادا . والحديث في الصحيحين : صحيح البخارى : ٩ - ٥٩ .
(٧) الخوارج : الذى خرجوا على أمير المؤمنين على بن أبى طالب . وحديثهم رواه
الشيخان : صحيح مسلم : ٧٥٠ .
(٨) مخدج اليد : ناقص اليد . التحليق : أى بجلحة شعور رهوسهم ؛ ولم يكن فى الصدر
الأول حلق الرهوس إلا فى النسك . وقيل : المراد جلوسهم حلقة حلقة . قال الخفاجى :
وليس بشيء .

وَيُرَى رِعَاءُ الْغَنَمِ رِءُوسَ النَّاسِ ^(١) ، وَالْعِرَاءُ الْخِفَاءُ يُتَبَارَوْنَ فِي الْبُنْيَانِ .
 وَأَنَّ تَلِدَ الْأُمَّةُ رَبَّتَهَا ^(٢) .
 وَأَنَّ قَرِيشًا وَالْأَحْزَابَ لَا يَفْزُونَ أَبَدًا ؛ وَأَنَّهُ هُوَ يَفْزُومُ ^(٣) .
 وَأَخْبَرَ ^(٤) بِالْمُوتَانِ الَّذِي يَكُونُ بَعْدَ فَتْحِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ ^(٥) .
 وَمَا وَعَدَ ^(٦) مِنْ سُكْنَى الْبَصْرَةِ ، وَأَنَّهُمْ يَفْزُونَ فِي الْبَحْرِ كَالْمَلُوكِ
 عَلَى الْأَسِيرَةِ ^(٧) ...

- (١) رءوس الناس : رؤسائهم ، والحديث في الصحيحين بمعناه وبعض ألفاظه . وهو في صحيح مسلم : ٣٩
- (٢) ربتها : سيدتها . وهو من حديث مشهور رواه الشيخان (صحيح مسلم : ٣٩) وغيرهما ؛ وهو من الغنيمات ، وأشرط الساعة التي أخبر بها النبي صلى الله عليه وسلم . وفي مسلم : ربا - بدل ربها . وفي رواية أخرى له : بملها .
- (٣) رواه الشيخان : (صحيح البخارى : ٥ - ١٤١) وأنه هو الذى يفزوم بعد إخباره بذلك فى الأحزاب ، وهى غزوة الخندق ، وبعد أحد والخندق لم تفزه قريش ، وهو صلى الله عليه وسلم غزاهم حين فتح مكة . قال الواقدي : إنه صلى الله عليه وسلم قال هذا لسبع بقين من ذى القعدة .
- (٤) فى حديث رواه الشيخان أيضا . والموتان - بضم الميم ، بوزن بطلان . وفتحتها وسكون الواو ، وهو مصدر بمعنى الموت الكثير .
- (٥) وكان ذلك فى خلافة عمر بعمواس : قرية بين الرملة وبيت المقدس ؛ إذ كان أول طاعون فى الإسلام . وكان ذلك سنة ست عشرة من الهجرة .
- (٦) فى حديث رواه أبو داود . والحديث فى شرح الخفاجى أيضا : ٣ - ٢٠١
- (٧) الأسيرة : جمع سرير ؛ وهو مقعد يمد للملوك يجلسون عليه ترهما وتمظما . قال الخفاجى (٣ - ٢٠١) : ومؤخر المراكب المعدة للفرار الذى يقعد عليه رئيسهم يعمل على هيئة سرير الملك بيمينه ، كما يعرفه من شاهد ذلك ؛ فهو من الأعلام العجيبة ؛ لأنه لم يكن ذلك بديار العرب ، ولم يره أحد منهم ؛ فتوصيفه صلى الله عليه وسلم له كمن عرفه وجلس عليه مما تجار فيه المقول .

وأن الدَّيْنِ (١) لو كان مَنُوطًا بالثَرِيَّا لَنَالَهُ رَجَالٌ من أبنَاءِ قَارِسٍ .
 وَهَاجَتِ (٢) رَجِحٌ فِي غَزَاةٍ ، فَقَالَ : هَاجَتِ لِمَوْتِ مَنَافِقِي (٣) ؛ فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى الْمَدِينَةِ
 وَجَدُوا ذَلِكَ .

وَقَالَ (٤) اتُّومٌ مِنْ جِلْسَانِهِ : ضَرَسُ أَحَدِكُمْ فِي النَّارِ أَعْظَمُ مِنْ أَحَدٍ (٥) .
 قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ (٦) : فَذَهَبَ التُّومُ - بِمَعْنَى مَاتُوا - وَبَقِيْتُ أَنَا وَرَجُلٌ ، فَقُتِلَ
 مَرْتَدًّا يَوْمَ الْبِيَامَةِ .

وَأَعْلَمَ (٧) بِالَّذِي غَلَّ خَرَزًا مِنْ خَرَزِ يَهُودَ ، فَوُجِدَتْ فِي رَحْلِهِ . وَبِالَّذِي غَلَّ (٨)
 الشَّمْلَةَ ، وَحَيْثُ هِيَ (٩) .

وَنَاقَتُهُ (١٠) حِينَ ضَلَّتْ ، وَكَيْفَ تَعَلَّقَتْ [١٢٣] بِالشَّجَرَةِ بِخِطَامِهَا (١١) .

(١) من حديث رواه الشيخان أيضا . منوطا : معلقا . ورواه الترمذى فى سننه : ٥-٣٨٤ ،
 وفيه لتناوله .

(٢) رواه مسلم ، عن جابر بن عبد الله : صحيح مسلم : ٢١٤٥

(٣) أى لرجل من المنافقين ؛ وهو رفاعة بن زيد . وقيل غيره .

(٤) فى حديث رواه الطبرانى بسند صحيح . وجلساؤه هم : أبو هريرة الدوسى ، وفرات

ابن حيان المجلى ، والرحال بن عنقوة اليمامى . وهو المراد بقوله : أحدمكم .

(٥) وهو عبارة عن أن أحدم يموت كافرا ؛ لحديث : ضرس الكافر فى النار مثل أحد

(رواه مسلم : ٢١٨٩)

(٦) وقد كان من جلسائه كما تقدم ، وهو أبو هريرة الدوسى .

(٧) هذا الحديث رواه أبو داود ، والنسائى ، عن زيد بن خاله الجهنى . وغل : من

التناول ؛ أى السرقة خفية . سنن أبي داود : ١ - ٢٦٩

(٨) الشملة : كساء صغير يشتمل به الإنسان . وهذا بعض من حديث رواه الشيخان عن

أبي هريرة : صحيح مسلم : ١٠٨

(٩) وحيث هى : أى وبالمكان الذى هى فيه .

(١٠) رواه البيهقى .

(١١) الخطام : الزمام .

وبشأن كتاب حاطب إلى أهل مكة^(١) .
 وبفضية عمير مع صفوان حين سارّه وشارطه^(٢) على قتل النبي صلى الله عليه وسلم . فلما جاء عمير للنبي صلى الله عليه وسلم قاصدا لقتله ، وأطلعته رسول الله صلى الله عليه وسلم على الأمر والسرّ أسلم^(٣) .
 وأخبر^(٤) بالمال الذي تركه عمه العباس رضي الله عنه عند أم الفضل بعد أن كتمه ؛ فقال : ما علمه غيرى وغيرها ، فأسلم .
 وأعلم بأنه سيقتل أبي بن خلف^(٥) .
 وفي عتبة بن أبي لهب يأكله كلب من كلاب الله^(٦) .
 وعن^(٧) مصارع أهل بدر ، فكان كما قال .
 وقال^(٨) في الحسن : إن ابني هذا سيدٌ ، وسيصريح الله به بين فئتين^(٩) .

-
- (١) هو حاطب بن أبي بلتعة . وكان حاطب كتب إليهم بمكة يخبرهم بأن النبي توجه إليهم بجيش . . . وأعطى الكتاب امرأة من مزينة ، وجعل لها جملا على أن توصله قريشا .
 وخبر كتاب حاطب في المنازى (١ - ١٩٧) . (٢) شارطه : جعل له جملا .
 (٣) والحديث رواه ابن إسحاق ، والبيهقي ، والطبراني . والخبر في منازى الواقدي : ١٢٦ ، وروى أيضا في سنن الترمذى : ٥ - ٤١٠ .
 (٤) والحديث رواه أحمد ، عن ابن عباس ، والحاكم وصححه ، والبيهقي عن الزهري . وأم الفضل : هي زوجة عمه العباس .
 (٥) رواه البيهقي . وقد جرحه النبي بأحد في عنقه ، فمات بسرف .
 (٦) فأكله الأسد ، وهو ذاهب إلى الشام . والأسد يسمى كلبا . وفي ب : عتية .
 (٧) وأصل هذا الحديث في صحيح مسلم : ٢٢٠٣ .
 (٨) في حديث صحيح رواه الشيخان وغيرهما . صحيح البخارى : ٩ - ٧١ .
 (٩) الفئة : الجماعة . والمراد بالفئتين : من كان معه ومن كان مع معاوية .

وَنَسَعِدِ (١) : املك تخلف حتى ينتفع بك أقوام ويستضر بك آخرون .
وأخبر (٢) بقتل أهل مؤتة (٣) يوم قتلوا وبينهم مسيرة شهر أو أزيد .
وبوت (٤) النجاشي يوم مات بأرضه .

وأخبر (٥) فيروز إذ ورد عليه رسولاً من كسرى بموت كسرى ذلك اليوم ،
فلما حثق فيروز القصة أسلم .

وأخبر (٦) أبا ذر رضي الله عنه بتطريده (٧) كما كان ، ووجده في المسجد نائماً ،
فقال له : كيف بك إذا أخرجت منه ؟ قال : أسكن المسجد (٨) الحرام . قال :
فإذا أخرجت منه . . . الحديث .
وبعيشه وخذاه ، وموته وخذاه .

وأخبر (٩) أن أسرع أزواجه به لحوفاً أطولهن بدأ (١٠) ؛ فكانت زينب لطول
يدها بالصدقة .

(١) في حديث رواه الشيخان (صحيح البخارى : ٥ - ٨٧) وهو سمد بن أبي وقاص .
وتخلف : تبقى بعد هذا الزمان . قال الخفاجي (٣ - ٢٠٩) : فكان كما قال النبي صلى الله
عليه وسلم ؛ فإنه عاش بعد ذلك نحو خمسين سنة ونفع الله به المسلمين ، لما كان على يديه من
الفتوح ، وهدى الله به أناساً أسلموا على يديه ، وغنموا معه ؛ وضر الله به ناساً من الكفار
جاهدوا وقتل منهم ، وسبوا .

(٢) في حديث صحيح رواه البخارى ، عن أنس . صحيح البخارى : ٥ - ١٨٢
(٣) مؤتة : اسم موضع بالشام كانت فيه غزوة مشهورة . وفي هامش ١ : مؤتة - بالهمز ؛
أرض بالشام . وموتة - بغير همز : شبه الجنون . وموتة - بفتح الميم : الواحدة من الموت .
(٤) رواه الشيخان ، عن أبي هريرة . (٥) في حديث رواه البيهقي .

(٦) رواه أحمد في مسنده . والحديث في شرح الخفاجي (٣ - ٢١٢)

(٧) لطريده : نفيه من المدينة . (٨) يعنى مكة .

(٩) فيما رواه مسلم . صحيح مسلم : ١٩٠٧

(١٠) قال الخفاجي (٣ - ٢١٣) : وهذا يحتمل أن يكون من الطول : ضد القصر ؛

وأن يكون من الطول - بالفتح ؛ وهو الجود والإنعام .

وأخبر^(١) بقتل الحسين بالطف^(٢) ، وأخرج بيده تربة^(٣) ، وقال : فيها مضجعه .
وقال^(٤) في زيد بن صوحان : يسقه عضو^(٥) منه إلى الجنة ؛ فقطعت يده
في الجهاد .

وقال^(٦) في الذين كانوا معه على حراء^(٧) : اثبتت ، فإنما عليك نبي وصديق
وشهيد ؛ فقتل علي^(٨) ، وعمر ، وعثمان ، وطلحة ، والزبير ؛ وطعن سعد .

وقال^(٩) لسراقة : كيف بك إذا ألبست سوارى كسرى ؟ فلما أتى بهما عمر
ألبسهما إياه ، وقال : الحمد لله الذي سلهما كسرى وألبسهما سراقة .

وقال^(١٠) : تبنى مدينة بين دجلة ودجيل وقطر بل والصرارة ، تُجبي إليها
خزائن الأرض ؛ يُحسف بها - يعني بغداد^(١١) .

وقال^(١٢) : سيكون في هذه الأمة رجل يقال له الوليد^(١٣) ؛ هو شر لهذه الأمة
من فرعون لقومه .

-
- (١) في حديث رواه البيهقي . (٢) الطف : مكان بناحية الكوفة .
(٣) في حديث رواه ابن عدي ، والبيهقي مسندا . والخبر في الاستيعاب : ٥٦٦ ، وقال :
أصابت يد زيد يوم جلولاء ، ثم قتل يوم الجمل مع علي .
(٤) في حديث رواه مسلم : صحيح مسلم : ١٨٨٠ .
(٥) حراء : اسم جبل معروف بقرب مكة . قال في صحيح مسلم : وعليه النبي ،
وأبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وطلحة ، والزبير ، وسعد بن أبي وقاص .
(٦) في حديث رواه البيهقي . وسراقة : هو سراقة بن مالك . وهو الذي كان قد خرج في
طلب النبي صلى الله عليه وسلم فساخت به فرسه . وقد أسلم بعد ، وتوفي سنة أربع وعشرين .
(٧) في حديث رواه أبو نعيم في الدلائل ، والحطيب في تاريخه .
(٨) قال القاري (١-٧٠٣) : لسكن قال أحمد بن حنبل : لم يحدث بحديث بغداد ثقة ، ومداره
على عمار بن سيف . وقال الذهبي - في ميزانه (٣-١٦٥) : له حديث منكر جدا ، وذكر
حديث بغداد هذا . (٩) في حديث رواه الإمام أحمد ، والبيهقي ، عن سعيد بن المسيب .
(١٠) يقال : إنه الوليد بن يزيد بن عبد الملك الجبار الذي كان مفتاح أبواب الفتن على
هذه الأمة ، وكان ماجنا سفيا (شرح الحفاجي : ٣-٢١٧) .

وقال ^(١) : لا تقوم الساعة حتى تقتل فتان دعواهما واحدة ^(٢) .

وقال ^(٣) لعمة في سهيل بن عمرو : عسى أن يكون يوم مقاماً يسرك يا عمر ! فكان كذلك ؛ قام بمكة مقام أبي بكر ^(٤) يوم بلغهم موت النبي صلى الله عليه وسلم ، وخطب بنحو خطبته ، وثبتهم وقوى بصائرهم .

وقال ^(٥) لخالد حين وجهه لأبي بكر : إنك تجده يصيد البقر ؛ فوجدت هذه الأمور كلها في حياته وبعد موته كما قال صلى الله عليه وسلم .

إلى ما أخبر به جلساءه من أسرارهم وبواطنهم ، وأطلع عليه من أسرار المنافقين وكفرهم ، وقولهم فيه وفي المؤمنين ، حتى إن كان بعضهم ليقول لصاحبه : اسكت ، فوالله لو لم يكن عنده من يخبره لأخبرته حجارة البطحاء ^(٦) .

وإعلامه بصفة السحر الذي سحره به لبيد ^(٧) بن الأعصم ، وكونه في مشط ومشاقفة ^(٨) ، في [١٢٤] جف ^(٩) طلع نخلة ذكرك ، وأنه ألقى في بئر ذروان ^(١٠) ؛ فكان كما قال ، ووجد على تلك الصفة .

(١) في حديث رواه الشيخان : صحيح مسلم : ٢٢١٤

(٢) قال الخفاجي : وقد وقع هذا في صفين في وقعة على ومعاوية .

(٣) في حديث رواه البيهقي ، والحاكم .

(٤) أي مثل مقام أبي بكر في المدينة ، وخطب خطبة مثل خطبته .

(٥) رواه ابن إسحاق ، والبيهقي .

(٦) البطحاء : أرض مستوية يسيل فيها الماء . والمراد بحجارتها ما فيها من الحصباء .

(٧) لبيد بن الأعصم : يهودي من بني زريق . وقد سبق حديث سحره .

(٨) هذا في ١ ، ب . وفي هامشها : ومشاقفة . والصحيح . والمشاقفة : الشعر الذي يسقط

من اللحية عند التسريح . والحديث في صحيح مسلم : ١٧٢٠ ، وفيه أيضاً : ومشط ، ومشاقفة .

(٩) الجف : وعاء الطلع الذي عليه كالنشاء .

(١٠) بئر بالمدينة . وفي صحيح مسلم : ذي أروان .

وإعلامه^(١) قُرَيْشًا بِأَكْلِ الْأَرْضِ^(٢) مَا فِي صَحِيفَتِهِمُ الَّتِي تَفَاهَرُوا^(٣) بِهَا عَلَى بَنِي هَاشِمٍ ، وَقَطَعُوا بِهَا رَحِمَهُمْ ، وَأَنَّهَا أَبَقَتْ فِيهَا كُلَّ اسْمٍ لَللَّهِ ؛ فَوَجَدُواهَا كَمَا قَالَ .

ووصفه^(٤) لكفار قريش بيت المقدس حين كذبوه في خبر الإسراء ، ونعته إياه نعت من عرفه .

وأعلمهم بعيرهم^(٥) التي مرَّ عليها في طريقه ؛ وأنذرهم بوقت وصولها ؛ فكان كله كما قال .

إلى ما أخبر به من الحوادث التي تكون ولم يأت بعد^(٦) ؛ منها ما ظهرت مقدماتها^(٧) ؛ كقوله^(٨) : عُمرانُ بيت المقدس خرابٌ يثرب^(٩) ؛ وخرابٌ يثرب خروجُ الملحمة^(١٠) ، وخروجُ الملحمة فتوحُ القسطنطينية^(١١) .

(١) رواه البيهقي ، عن الزهري ، في الدلائل .

(٢) الأرضة: دودة تأكل الورق، ومنها ما تأكل الخشب . (٣) تظاهروا بها : تعاونوا .

(٤) في حديث الإسراء . وقد تقدم . (٥) بعيرهم : بقائلهم .

(٦) أي لم يقع عقب إخباره ، بل بعده بأزمان متباعدة ، بعضها ظهرت مقدماتها وبعضها

لما تظهر ؛ فإذا جاء الإبان تجي ؛ فإن خبره صلى الله عليه وسلم لا يتخلف .

(٧) علاماتها المتقدمة عليها .

(٨) في حديث رواه أبو داود في سننه: سنن أبي داود: ٢-١٣٦ (٩) يثرب: اسم المدينة .

(١٠) خروج الملحمة : ظهور . والملحمة : موضع المعركة والقتال ، وتسكون بمعنى

الحرب . وفي الصحاح : الملحمة : الوقعة العظيمة في الفتنة ؛ والمراد الفتن العظيمة ، والمهراج الذي يكون في آخر الزمان .

(١١) قال في نسيم الرياض (٣ - ٢٢٣) : والذكور في هذا الحديث كله يكون إذا قرب

نزول عيسى عليه السلام ، وكذا ما معه من الأشراف .

وبقية الحديث - كما في سنن أبي داود : وفتح القسطنطينية خروج الدجال ، ثم ضرب

بيده على خخذ الذي حدث أو منكبته . ثم قال : إن هذا لحق كما أنك هاهنا ، أو كما أنك

قاعد - يعني معاذ بن جبل .

وَمِنْ أَسْرَاطِ^(١) السَّاعَةِ وَأَيَّاتِ حُلُولِهَا ، وَذِكْرِ النَّشْرِ^(٢) وَالْحَشْرِ ، وَأَخْبَارِ
الْأَبْرَارِ وَالنَّجَّارِ ، وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ ، وَعَرَصَاتِ^(٣) الْقِيَامَةِ .
وَبِحَسَبِ هَذَا الْفَصْلِ أَنْ يَكُونَ دِيْوَانًا^(٤) مُفْرَدًا يَشْتَمَلُ عَلَى أَجْزَاءِ وَحْدَةٍ ؛
وَفِيهَا أَشْرُنَا إِلَيْهِ مِنْ نُسْكَتِ^(٥) الْأَحَادِيثِ الَّتِي ذَكَرْنَا كِفَايَةً ، وَأَكْثَرُهَا فِي الصَّحِيحِ ،
وَعِنْدَ الْأُمَّةِ .

فصل

في عصمة^(٦) الله تعالى له من الناس وكفايته من آذاه

قال الله تعالى^(٧) : ﴿ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ .
وقال تعالى^(٨) : ﴿ وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ .
وقال^(٩) : ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ ﴾ .

- (١) الأشراط : العلامات والمقدمات .
- (٢) النشر للميت أن يجيأ فيقوم من قبره . والحشر : سوق الناس إلى المحشر للحساب .
- (٣) عرصات : جمع عرصة : كل موضع واسع لابناء فيه ؛ أي مما أخبر به صلى الله عليه وسلم من النبيات ماورد في الحديث من بيان موافق القيامة وعرصاتها ووصفها بصفاتنا .
- (٤) ديوانا : كتابا مدونا مستقلا .
- (٥) نسكت الأحاديث : لطائفها ودقائقها النفيسة .
- (٦) العصمة : أصل معناها التمسك ، ثم صار حقيقة في المنع عن ارتكاب المعاصي وفي الحفظ عن نيل المضرة من الأعداء ؛ والمراد هنا المعنى الأخير .
- (٧) سورة المائدة ، آية ٦٧
- (٨) سورة الطور ، آية ٤٨ ، أمره بالصبر على أعباء الرسالة ومشقة تبليغ ما أمر بتبليغه ، ثم سلاه بأنه لا يخاف من أحد ، فإنه محفوظ بعين العناية من الله . وإنك بأعيننا : أي برأى مني ، ومرعى في حفظنا .
- (٩) سورة الزمر ، آية ٣٦

وقيل : بكاف محمداً صلى الله عليه وسلم أعداءه المشركين . وقيل غير هذا ^(١) .
وقال ^(٢) : ﴿ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴾ .

وقال ^(٣) : ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ،
وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ ، وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾ .

أخبرنا القاضى الشهيد أبو على الصّدقى بقراءتى عايه ، والفقيه الحافظ أبو بكر
محمد عبد الله المعافرى ^(٤) ؛ قالوا : حدثنا أبو الحسين الصيرفى ؛ قال : حدثنا أبو يعلى
البنغدادى ، حدثنا أبو على السنجى ، حدثنا أبو العباس اللّوزى ، حدثنا أبو عيسى
الحافظ ، حدثنا عبد بن حميد ، حدثنا مسلم بن إبراهيم ، حدثنا الحارث بن عبيد ،
عن سعيد الجربى ، عن عبد الله بن شقيق ، عن عائشة رضى الله عنها ؛ قالت : كان
النبي صلى الله عليه وسلم يُحْرَس ^(٥) حتى نزلت هذه الآية ^(٦) : ﴿ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ
النَّاسِ ﴾ - فأخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه من القبة ^(٧) ؛ فقال لهم : يا أيها
الناس ، انصرفوا ؛ فقد عصمتى ربى عز وجل .

(١) قيل : المراد أنه تعالى تكفل بارزاق جميع عباده . أو غير هذا : غير القول بقصر
الكفاية على محمد ؛ بل كافي غيره ، فتكون الإضافة للجنس قال القارى (١-٧٠٨) :
ويؤيده قراءة حمزة واللكسائى : أليس الله بكاف عباده - بصيغة الجمع .

(٢) سورة الحجر ، آية ٩٥ . والهزؤ : السخرية والتهم على سبيل التحقير . والمراد نقر
من قريش كانوا يؤذونه صلى الله عليه وسلم ويهزءون به ، فأهلكهم الله لما اشتدت أذيتهم ،
ودعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(٣) سورة الأنفال آية ٣٠ . والمكر : الحيلة والخداع ، ولا يوصف به الله سبحانه - إلا
على طريق المشاكلة . وهو إشارة إلى ما كان منهم بدار الندوة .

(٤) هذا فى ا ، ب . وانفرد الشهاب بالنص على أنه بنين معجزة ، ولم نثر على ما يؤيده
فيا لدينا من المراجع . والمعافرى هذا هو ابن العربى . وقد توفى بفاس سنة ٥٤٣ هـ .

(٥) كان يحرسه الصحابة . (٦) سورة المائدة ، آية ٦٧

(٧) القبة : كل مرتفع من البناء أو الحيمة والخباء . والمراد هنا : خباء كان فيه النبي صلى

وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا نزل منزلاً اختار له أصحابه شجرةً يقيل^(١) تحتها ، فاتاه أعرابيٌّ فاخترط^(٢) سيفه ثم قال : مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي ؟ فقال : اللهُ عزَّ وجل ؛ فرُعِدَتْ^(٣) يدُ الأعرابيِّ ، وسقط سيفه ، وضرب برأسه الشجرة^(٤) حتى سال دماغه ؛ فنزلت الآية^(٥) .

وقد رُوِيَت هذه القصةُ في الصحيح^(٦) ، وأن غُورَثَ بن الحارث صاحبُ هذه القصة ، وأن النبي صلى الله عليه وسلم عفا عنه ؛ فرجع إلى قومه ، وقال : جِئْتُكُمْ مِنْ عِنْدِ خَيْرِ النَّاسِ .

وقد حُكِيَت مِثْلُ هذه الحِكَايَةِ ، وأنها جرت له يوم بدر ؛ وقد انفرد من أصحابه لقضاء حاجته ، فتبعه رجلٌ من المنافقين . . . وذكُرَ مِثْلُه .

= الله عليه وسلم في بعض أسفاره . وقيل : إنه بيت صنير مستدير من الخيام وبيوت العرب . والحديث رواه الترمذى : ٥ - ٢٥١ ، وابن كثير : ٣ - ١٤٤ ، وقال : هذا حديث غريب فيه نكارة ، فإن هذه الآية مدنية ، وهذا الحديث يقتضى أنها مكية . وقال الترمذى في سننه (٥ - ٢٥١) . قال أبو عيسى : هذا حديث غريب .

(١) يقيل : ينزل وقت القائلة ، وهى الظهيرة وما قاربها للاستراحة ، سواء نام أم لا .
(٢) اخترط سيفه : سله وأخرجه من قرابه ليضربه به .
(٣) أصابها رعدة ، وهى اهتزاز اليد واضطرابها من غير قصد لشدة الخوف . وفى : فأرعدت .

(٤) إنما فعل ذلك لما اعتراه من ذهاب عقله ، فلم يزل ينطحها .
(٥) قال فى نسيم الرياض (٣ - ٢٢٩) : وهذا الحديث بهذا اللفظ قالوا : لم يوجد فى السكتب المعتبرة عند أهل الأثر ، ولم يذكره فى أسباب النزول . وقال القارى (١ - ٧١٠) : وما رواه من الزيادة فغير معروف عند أرباب الدراية .

(٦) وهذا الحديث رواه البخارى : ٥ - ١٤٧ ، ٤ - ٧٤ . ورواه ابن إسحاق فى سيرة ابن هشام : ٣ - ٣١٦

وقد رُوِيَ^(١) أنه وَقَعَ له مِثْلُهَا في غزوة غَطَفَانَ بذي أَمَر^(٢) ، مع رجل اسمه دُعُثُور بن الحارث ، وأن [١٢٥] الرجلَ اسْلَمَ ؛ فلما رجع إلى قومه الذين أُغْرَوْهُ - وكان سيدهم وأشجعهم - قالوا له : أين ما كنتَ تقولُ ، وقد أمكنك^(٣) ؟ فقال : إني نظرتُ إلى رجلٍ أبيضٍ طويلٍ دَفَعَ في صَدْرِي ، فوَقَعْتُ لظَهْرِي ، وسقطَ السيفُ ، فمَرَفْتُ أنه مَلَكٌ ، وأسلمتُ^(٤) .

وفيه نزلت^(٥) : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذْ كُفِّرُوا بِنِعْمَةِ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ مُّذِرُونَ أَنْ يَسْتُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ ، فَكفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ ، وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ .

وفي رواية الخطَّابِيِّ أَنَّ غُورثَ بنَ الحارثِ المُحَارِبِي أَرَادَ أَنْ يَفْتِكَ^(٦) بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَلَمْ يَشْعُرْ بِهِ إِلَّا وَهُوَ قَائِمٌ عَلَى رَأْسِهِ مُنْتَضِيًا سَيْفَهُ^(٧) ، فَقَالَ : اللَّهُمَّ اكْفِنِيهِ بِمَا شِئْتَ^(٨) ، فَانْكَبَ^(٩) مِنْ وَجْهِهِ مِنْ زُلْخَةٍ^(١٠) زُلْخَهَا بَيْنَ كَتْفَيْهِ ، وَنَدَرَ سَيْفَهُ^(١١) مِنْ يَدِهِ .

- (١) رواه ابن إسحاق في سيرته : سيرة ابن هشام : ٣ - ٢١٦
 (٢) ذو أمر : موضع غزاه رسول الله صلى الله عليه وسلم . ورويت هذه الحادثة في الواقدي أيضا : ١ - ١٩٥
 (٣) أمكنه الأمر : إذ لم يمنعه مانع ، فصار تمكنًا له . أو المراد : تمكنت منه لمصادفته له وحده ، ومعه سيف مسلول في يده .
 (٤) أسلم لما شاهده مما يدل على نبوته .
 (٥) سورة المائدة ، آية ١١ ، وانظر في ذلك أيضا تفسير ابن كثير : ٢ - ٥٩
 (٦) يريد أن يقتله .
 (٧) منتضيا سيفه : جرد سيفه وسله ، ليضربه به .
 (٨) بما شئت : بالأمر والسبب الذي شئت وأردته ، والمراد تفويض أمر كفائته إلى الله وتسليم أمره له .
 (٩) انكب : سقط لوجهه : سقط على وجهه .
 (١٠) زلخة : وجع في الظهر لا يتحرك الإنسان من شدته (النهاية) . زلخها : أوجدها الله حين سل السيف .
 (١١) ندر سيفه : سقط .

الرُّزْخَةَ : وجع الظهر .

وقيل في قصته غيرُ هذا، وذُكِرَ فيه ^(١) نزلت ^(٢) : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ مُّبْذُورُونَ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ ، فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ ، وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ .

وقيل : كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يخافُ قريشا ، فلما نزلت هذه الآيةُ استلقى ^(٣) ، ثم قال : مَنْ شَاءَ فَلْيَخِذْ لِي ^(٤) .

وذكر عبد بن حميد ، قال : كانت حَمَّالَةَ الحَطَبِ ^(٥) تَضَعُ العِضَاءَ ^(٦) - وهي جَمْرٌ - على طريق رسولِ الله صلى الله عليه وسلم فكانما يَطَوُّهَا كَثِيبًا أَهِيلَ ^(٧) .

وذكر ابنُ إسحاق عنها أنها لما بلغها نزولُ ^(٨) : ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾ ، وذِكرُها بما ذَكَرَها اللهُ مع زَوْجِهَا من الذم - أَتَتْ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس في المسجد ومعه أبو بكر ، وفي يَدِهَا فَهْرٌ ^(٩) من الحجارة .

(١) فيه : في غورث .

(٢) سورة المائدة ، آية ١١

(٣) استلقى : نام واضعا ظهره على الأرض ، لأمنه أعداءه واطمئنان قلبه .

(٤) الخذلان : ترك النصره . يريد أنى غنى عن اللعين والحرس ، لأن الله حماني وضمن لى ألا يضرنى أحد يصل إلى . ولذلك استلقى على ظهره ، وأظهر هيئة الآمن ، والمتبرى من حوله وقوته اعتمادا على وعد الله .

(٥) حمالة الحطب : هى أم جميل زوجة أبى لهب .

(٦) العضاء : شجر له شوك إذا أوقد كان شديد الاحتراق .

(٧) كانت تقصد بذلك أن يمشى الرسول عليه فيؤذيه ويؤثر في قدميه ، فكان النبي يضع قدمه على تلك العضاء فيجدها كثيبا - رملا مجتمعا - أهيل : سائلا . أى يجده سهلا لا يؤذيه .

(٨) سورة المسد ، آية ١

(٩) الفهر : حجر ملء الكف .

فلما وقفت عليهما لم ترَ إلا أبا بكر، وأخذ الله تعالى يبصرها^(١) عن نبيه صلى الله عليه وسلم؛ قالت: يا أبا بكر، أين صاحبك؟ فقد بانني أنه يهجوني^(٢)، والله لو وجدته لضربت بهذا الفهر فاه^(٣).

وعن^(٤) الحَكَم بن أبي العاصي: تواعدنا^(٥) على النبي صلى الله عليه وسلم حتى إذا رأيناه سمعنا صوتنا خلفنا ما ظننا أنه بقي بتهامة أحد^(٦)؛ فوقعنا مفضيا علينا، فإفقتنا حتى قضى صلاته ورجع إلى أهله.

ثم تواعدنا ليلة أخرى، فجننا حتى إذا رأيناه جاءت^(٧) الصفا والمروة، فحالت بيننا وبينه.

وعن عمر رضي الله عنه: تواعدت^(٨) أنا وأبو جهم بن حذيفة ليلة قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجننا منزله، فسمعنا له، فافتتح وقرأ^(٩): ﴿الحاقة. ما الحاقة...﴾ إلى: ﴿فهل ترى لهم من باقية﴾.

فضرب أبو جهم على عضد عمر، وقال: انج؛ وفرأ هاربين؛ فكانت من متدمات إسلام عمر رضي الله عنه.

-
- (١) أخذ الله يبصرها: قبض وحبس نظرها.
 (٢) يهجوني: يذمني.
 (٣) خصت الفم، لأنه محل النطق بذيها. وهذا رواه البيهقي، كما رواه ابن إسحاق.
 وارجع إليه أيضا في تفسير ابن كثير: ٨ - ٥٣٧
 (٤) رواه أبو نعيم في الدلائل، والطبراني، بسند جيد.
 (٥) أي تواعد هو وبعض الكفرة على قتله والفتك به في بعض الليالي.
 (٦) أي لم يبق بتهامة أحد إلا وقد هلك بتلك الصيحة. أو أراد أن جميع أهل تهامة صاحوا علينا صيحة واحدة وقد لحقونا ليقتلونا. فالعنى أنا تيقنا وجودهم خلفنا.
 (٧) المراد بمعنى الصفا والمروة تحركهما من مكانهما حتى كانا بينهما وبين النبي.
 (٨) في نسيم الرياض (٣ - ٢٣٥): هذا الحديث لم يوجد بهذا اللفظ إلا في مسند أحمد بما يقرب منه.
 (٩) سورة الحاقة، الآيات من ١ - ٨

ومنه (١) العبرة المشهورة ، والكفاية التامة (٢) عندما أخافته قريش ، وأجمعت على قتله وبيئته (٣) ؛ فخرج عليهم من بيته ؛ فقام على رؤوسهم ، وقد ضرب الله تعالى على أبصارهم (٤) ، وذَرَّ الترابَ على رؤوسهم ، وخلص (٥) منهم .

وحايته (٦) عن رؤيتهم في الغار بما هيأ الله له من الآيات ، ومن المنكبات الذي نسج عليه ، حتى قال أمية بن خلف - حين قالوا : ندخل الغار : ما أَرُبُّكم (٧) فيه ، وعليه من نسج المنكبات ما أرى (٨) أنه قَبِلَ أن يُوَادَّ محمد .

ورقت حَمَاتان على فمِ الغارِ ، فقالت قريش : لو كان فيه أحدٌ لما كانت هناك الحَمَام .

وقصته (٩) مع سُرَاقَةَ بن مالك بن جُشم حين الهجرة ، وقد [١٢٦] جعلت قريش فيه وفي أبي بكر الجمائل (١٠) ، فأندِر به (١١) ، فركب فرسه واتبعته حتى إذا قُرِب منه دعا عليه النبي صلى الله عليه وسلم ، فساخت (١٢) قوائمُ فرسه ، فخرَّ عنها (١٣) ،

(١) ومنه : بما يشهد لأن الله تعالى عصمه من أعدائه .

(٢) العبرة : الأمر العجيب الذي يعتبر به ويتمتع . والكفاية التامة : أى كون الله تعالى عصمه وصانه صيانة تامة ليست ككفاية غيره . (٣) بيئته : قصدوا قتله ليلا في خفية . (٤) ضرب الله على أبصارهم : لم يحسوا به ويرهوا لاستغراقهم بالنوم وحجب عيونهم عنه ؛ وقد كانوا أحاطوا ببيته ليقتلوه .

(٥) ذر التراب : ثره . خلس منهم : نجا منهم . وفي ب : ذرأ . (٦) حايته : حفظه . (٧) الأرب : الحاجة المطلوبة ؛ أى ليس لكم مطلوب ولا حاجة . (٨) ما أرى : ما أظن وأعتقد .

(٩) القصة في الصحيحين : صحيح مسلم : ١٥٩٢ ، وفي سيرة ابن هشام : ٢ - ١٠٢ .

(١٠) الجمائل : الجمل : الأجرة على الشيء فعلا أو قولاً (النهاية) .

(١١) أندر به : أعلم سراقته بالنبي .

(١٢) ساخت قوائم فرسه : غاصت في الأرض ودخلت فيها حتى كادت تبتلعها وتنخسف من تحتها .

(١٣) خر عنها : سقط من فوق ، ورمى نفسه عنها خوفا من أن تخسف به الأرض فيهلك .

واستقسم^(١) ، بالأزلام ؛ فخرج له ما يكره .
ثم ركب ودنا حتى سمع قراءة النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو لا يلتفت^(٢) ؛
وأبو بكر رضى الله عنه يلتفت ، فقال^(٣) للنبي صلى الله عليه وسلم : أتينا^(٤) .
فقال : لا تحزن إن الله معنا . فساخت ثانية^(٥) إلى ركبتهما ، وخر عنها ؛ فزجرها^(٦)
فنهضت ولقواؤها مثل الدخان^(٧) ؛ فناداهم بالأمان^(٨) ؛ فكتب له النبي صلى الله عليه
وسلم أماناً ؛ كتبه ابن فهيرة^(٩) ، وقيل أبو بكر ؛ وأخبرهم بالأخبار^(١٠) ؛ وأمره
النبي صلى الله عليه وسلم ألا يترك أحداً يلحق بهم .
فانصرف يقول للناس : كفيتم ما هاهنا^(١١) ،

- (١) الأزلام : جمع زلم : وهى قداح ، أى سهام لا ريش لها ولا نصل ، كانوا فى الجاهلية يكتبون على بعضها أفعل ، وعلى بعضها لا أفعل ، ويضعونها فى متاعهم إذا سافروا ، فإذا عرض لهم مهم أخرجوا منها زلماً يتفألون به فيفعلون أو يتركون . ومعنى الاستقسام : طلب ما قسم وقدر له . (٢) وهو لا يلتفت : والنبي لا يلتفت إليه لعدم مبالاته ولا اعتداده على ربه .
(٣) القائل : هو أبو بكر وفى ١ : وقال .
(٤) أتينا : أتانا العدو ، وأدركنا من يطلبنا .
(٥) فساخت ؛ أى قوائم فرس سراقه .
(٦) زجرها : صاح عليها .
(٧) ولقواؤها مثل الدخان : أى غبار مرتفع فى الجو كأنه دخان .
(٨) بالأمان : أى رفع صوته قائلاً لهم : الأمان . الأمان . والمراد تأمينهم منه ، وأنه لا يلحقهم منه ضرر وخوف بإخباره الأعداء . أو طلب منهم الأمان ؛ أى أن يمطوه أماناً فلا يلحقه ضرر لخوفه منه — صلى الله عليه وسلم ، ومن دعائه عليه .
(٩) ابن فهيرة : عامر بن فهيرة ؛ وكان برعى غنماً لآبى بكر رضى الله عنه ويحىء لهما كل ليلة فى النار باللبن يتنذياته .
(١٠) وأخبرهم : أى أخبر سراقه النبي وأبا بكر وابن فهيرة — بالأخبار . أى بأخبار قريش ، وما جرى منهم بعد خروجهم من مكة وجعلهم الجمائل . . .
(١١) كفيتم ما هاهنا : معناه ارجعوا كفيتم الطلب ؛ فإنى لم أجدهم .

وقيل : بل قال لها^(١) : أراكما دعوتما على ، فادعوا لى .
 فنجا ، ووقع فى نفسه ظهورُ النبىِّ صلى الله عليه وسلم^(٢) .
 وفى^(٣) خبر آخر : أن راعياً عرفَ خَبرَهما ، فخرج يشتم^(٤) ، يُعلمُ قريشا ؛
 فلما ورد مكةَ ضُرب^(٥) على قلبه ، فما بدرى ما يصنع ؛ وأنسى ما خرج له حتى رجع
 إلى موضعه .

وجاءه^(٦) - فيما ذكر ابنُ إسحاق وغيره - أبو جهل ، بصخرةٍ وهو ساجدٌ ،
 وقريش ينظرون ، ليطرأَها عليه ، فلزقت بيده ، وبيست يدها إلى عنقه ، وأقبل
 يرجعُ القهقري إلى خلفه ؛ ثم سأله أن يدعوه له ؛ ففعل ؛ فانطلقت يدها ؛ وكان
 قد تواعد مع قريش بذلك ، وحلف لئن رآه ليدمغنه^(٧) ؛ فسألوه عن شأنه ،
 فذكر أنه عرض لى دونه فحل^(٨) ، ما رأيت مثله قط ، همم بى أن يأكلنى .
 فقال النبىُّ صلى الله عليه وسلم : ذاك جبريل ، لو دنا لأخذه^(٩) .

وذكر السمرقندى أن رجلا من بنى المغييرة أتى النبىَّ صلى الله عليه وسلم
 ليقتله ، فطمس الله على بصره^(١٠) ؛ فلم ير النبىَّ صلى الله عليه وسلم ، وسمع قوله ،
 فرجع إلى أصحابه فلم يره حتى نادوه .

(١) لهما : للنبي وأبي بكر . (٢) سيرة ابن هشام : ٢ - ٩٩

(٣) قيل : إنه لا يعرف من رواه (نسيم الرياض : ٣ - ٢٤١) . وقال القارى (١ - ٧١٥) :

غير معروف عند أهل الأثر .

(٤) يشتم : يسرع فى مشيه .

(٥) ضرب طى قلبه : منع من الإدراك وذهل عما جاء له .

(٦) وهذا فى دلائل أبى نعيم عن ابن عباس .

(٧) ليدمغنه : ليضربنه بصخرة يكسر رأسه ويخرج دماغه ؛ يقال : دمغه ، إذا أصاب

دماغه فقتله . (٨) حل : جل عظيم هائج .

(٩) لأخذه : لأهلكه . (١٠) طمس الله طى بصره : غطاه وغشاه حتى لم يره .

وذكر أن في هاتين القصتين (١) ، نزلت (٢) : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فِيهِمْ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ ﴾ (٣) . وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً ، فأغشىناهم فهم لا يبصرون ﴾ .

ومن ذلك ما ذكره ابن إسحاق (٤) ، وغيره في قصته ، إذ خرج إلى بني قريظة (٥) ، في أصحابه ، فجلس إلى جدار بعض أطامهم (٦) ، فانبث عمرو (٧) بن جحاش أحدهم ليترجح عليه رحي ، فقام النبي صلى الله عليه وسلم فانهرف إلى المدينة وأعلمهم بقصتهم (٨) .

وقد قيل : إن قواة تعالى (٩) : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ لَّا يَدَّبُسُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ في هذه القصة نزلت .

(١) القصتين : يريد قصة أبي جهل ، وقصة هذا الرجل . والخبران في تفسير ابن كثير :

(٢) سورة يس ، آية ٨ ، ٩

٦ - ٥٥٠

(٣) الإقحاح : رفع الرأس وغض البصر .

(٤) ذكره ابن إسحاق في : سيرة ابن هشام : ٢ - ١٩٢

(٥) من يهود خيبر . (٦) الآطام : جمع أطم ، وهو الحصن هنا .

(٧) انبث : توجه ، أو أسرع واندفع ، وعمرو بن جحاش : من بني قريظة .

(٨) أى أخبر بني قريظة في نبذ عهدهم .

قال في نسيم الرياض (٣ - ٢٤٣) : وقد اعترض على المصنف بأن هذه القصة ليست مع

بني قريظة كما في السير ، وسيأتي أيضاً في هذا الكتاب - وإنما هي مع بني النضير ، وسبب غزوة بني النضير .

وأما سبب غزوة بني قريظة فهو وقعة الخندق وتظاهروا مع قريش وتقصم المهدي .

وهو الصواب .

(٩) سورة المائدة ، آية ١١

وحكى السمرة فندى أنه خرج إلى بنى النضير يستعين في عقل الكلابيين^(١)
الذين قتلها عمرو بن أمية^(٢)، فقال له حبي بن أخطب: اجلس يا أبا القاسم
حتى نطعمك ونعطيك ما سألتنا .

فجلس النبي صلى الله عليه وسلم مع أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، وتوأم^(٣)
حبي معهم على قتله ، فأعلم جبريل عليه السلام النبي صلى الله عليه وسلم بذلك ؛
فقام كأنه يريد حاجته حتى دخل المدينة^(٤) .

وذكر أهل التفسير والحديث^(٥)، عن أبي هريرة رضي الله عنه - أن أبا جهل
وعد قريشا أن رأى محمدا يصلى ليظان^(٦) رقيبته .

فلما صلى النبي صلى الله عليه وسلم أعلموه^(٧) ؛ فأقبل ؛ فلما قرب منه ولى هاربا
ناكصا على [١٢٧] عقبية ، متقيا بيديه^(٨) ؛ فسئل فقال: لما دنوت منه أشرفت^(٩)
على خندق مملوء نارا كذت أذوى فيه^(١٠) ، وأبصرت هولا عظيما^(١١) ، وخفق
أجنحة^(١٢) قد ملأت الأرض .

(١) يستعين : يطلب أن يعينوه في الدية . عقل الكلابيين : ديتهما .

(٢) توأم : تشاور .

(٣) ثم سار إليهم وحاصرهم ست ليال ، وهم داخل حصنهم فقطع نخيلهم وحرقها
تتـكـيـلا لهم .

(٤) رواه مسلم ، والنسائي صحيح مسلم : ٢١٥٤ . وفي ١ : ومعنى الحديث . . .

(٥) ليظان رقبته : أى يدوس على عنقه الشريف برجله . (٦) أى أعلموا أبا جهل .

(٧) ناكصا : متأخرا راجعا لحلف . والعقب : مؤخر القدم . ونكص على عقبية : ولى

بخفاف العاقبة . متقيا بيديه : مادا يديه كمن يدفع أمرا يتقيه .

(٨) أشرفت : اطلعت قريبا منى .

(٩) أهوى : أقع وأسقط . (١٠) هولا عظيما : أمرا مخوفا عظيما لم أر مثله .

(١١) خفق أجنحة : أجنحة تضرب لها أصوات هائلة .

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : تلك الملائكة ، لودنّا لا تختطفتهُ عَضْوًا عَضْوًا (١) .

ثم أنزل على النبي صلى الله عليه وسلم (٢) : ﴿ كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَافٍ ﴾ . أن رآه استغنى . إن إلى ربك الرجعى . أرايت الذى بنهى . عبداً إذا صلى . أرايت إن كان على الهدى . أو أمر بالتقوى . أرايت إن كذب وتولى . ألم يعلم بأن الله يرى . كلا لئن لم ينته لنسفنا بالناصية . ناصية كاذبة خاطئة . فلیدع ناديه . سندع الزبانية . كلا لا تطعهُ واسجد واقترب ﴿ .

وروى (٤) أن شيبه بن عثمان الحجبي أدركه (٥) يوم حنين ، وكان حمزة قد قتل أباه وعمه ، فقال : اليوم أدركُ نأرى من محمد .

فلما اختلط الناس أتاه من خلفه ، ورفع سيفه ليصبه عليه (٦) ؛ قال : فلما دنوت منه ارتفع إلى شواظ (٧) من نارٍ أسرع من البرق ، فوليت هاربا ؛ وأحس بي النبي صلى الله عليه وسلم فدعاني ، فوضع يده على صدرى ، وهو أبفض الخلق إلى ؛ فما رفعها إلّا وهو أحب الخلق إلى ؛ [وقال لى : ادن (٨) فقاتل ؛ فتقدمت أمامه أضرب بسيفى وأقيه بنفسى (٩) ، ولو لقيت أبى تلك الساعة لأوقعت به (١٠) دونه] (١١) .

(١) عضوا عضوا : أى مزقته وفرقت أعضاءه . والأثر فى تفسير ابن كثير : ٨ - ٤٦١ ،

وتفسير الطبرى : ٣٠ - ١٦٥

(٢) سورة الملق من آية ٦ إلى آخر السورة . (٣) ليطغى : طغيانه : تجاوز حده .

(٤) الراوى هو أبو نعيم فى الدلائل . (٥) أدركه : أدرك النبي ولحق به .

(٦) ليصبه عليه : ليضر به ويقتله ويأخذ بثأره ويشقى غليله بمن كان سببا فى قتل

أبيه وعمه . (٧) شواظ : لهب . (٨) ادن : من المدو أو منى .

(٩) أقيه بنفسى : أجعل نفسى وقاية له . (١٠) لأوقعت به سيفى وقتلته .

قال فى نسيم الرياض (٣ - ٢٤٨) : والحديث مفصل فى سيرة ابن سيد الناس بسند صحيح .

(١١) ما بين القوسين كتب أمامه فى هامش ١ : صح ، من الأم ، من غير الرواية .

وعن فضالة بن عمرو^(١) : أردتُ قتلَ النبيِّ صلى الله عليه وسلم عامَ الفتح ، وهو يطوفُ بالبيت ؛ فلما دنوتُ منه قال : أفضالة ؟ قلتُ : نعم . قال : ما كنتُ تحدِّثُ به نفسَكَ ؟ قلتُ : لا شيء . فضحك واستغفر لي ، ووضع يده على صدرى ، فسكن قلبي ، فوالله ما رفعها حتى ما خلق الله شيئاً أحبَّ إلىَّ منه .

ومن مشهور^(٢) ذلك خبرُ عامر بن الطفيل ، وأرشد بن قيس - حين وفدا على النبيِّ صلى الله عليه وسلم ، وكان عامرٌ قال له : أنا أشغلُ عنك وجهَ محمد^(٣) فاضرب به أنت . فلم يره فعل شيئاً ؛ فلما كلمه في ذلك قال له : والله ما هممتُ أن أضربه إلا وجدتُك بيني وبينه ؛ أفأضربك !

ومن عصمته له تعالى أن كثيراً من اليهود والكهنة أنذروا به^(٤) وعينوه لقريش ، وأخبروهم بسطوته بهم^(٥) ، وحضوهم على قتله ؛ فعصمه الله تعالى حتى بلغ فيه أمره^(٦) .

ومن ذلك نصره بالرعب^(٧) أمامه مسيرة شهر ؛ كما قال صلى الله عليه وسلم^(٨) .

(١) رواه ابن إسحاق ، وابن سيد الناس . وفي سيرة ابن هشام : فضالة بن عمير الليثي .

والخبر في سيرة ابن هشام : ٤ - ٣٧

(٢) رواه ابن إسحاق ، والبيهقي ، وأبو نعيم في الدلائل : سيرة ابن هشام : ٤ - ٢٣٣

(٣) أشغل عنك وجه محمد : ألهيه حتى تبطش به .

(٤) أنذروا به : أخبروا وأعلموا .

(٥) بسطوته بهم : أى إنه ينزوهم ويقتلهم .

(٦) بلغ فيه أمره : حفظه ، ونصره ؛ وأظهر دينه على جميع الأديان .

(٧) بالرعب : بإلقاء الخوف منه في قلوب أعدائه ، وفي قلوب من لم يتبعه .

(٨) هو في الصحيحين ، وفي مسند أحمد : صحيح مسلم : ٣٧١ ، ٣٧٢

فصل

[من معجزاته الباهرة]

ومن معجزاته الباهرة^(١) ما جمعه الله له من المعارف والعلوم ، وخصه به من الإطلاع على جميع مصالح الدنيا والدين ، ومعرفته بأمر شرائعه^(٢) ، وقوانين دينه ، وسياسة عبادته ، ومصالح أمته ، وما كان في الأمم قبله ، وقصص الأنبياء والرسل والجبارة^(٣) ، والقرون الماضية من لدن آدم إلى زمنه ، وحفظ شرائعهم وكتبهم ، ووعى^(٤) سيرهم ، وسرد أنبيائهم ، وأيام الله^(٥) فيهم ، وصفات أعيانهم^(٦) ، واختلاف آرائهم ، والمعرفة بمدد أعمارهم ، وحكم حكماهم ، ومحااجة كل أمة من الكفرة^(٧) ، ومعارضة كل فرقة^(٨) من الكتائب بين بما في كتبهم ، وإعلامهم بأسرارها ومخبرات علومها ، وإخبارهم بما كتبتوا من ذلك وغيره .

إلى الاحتواء^(٩) على لغات العرب ، وغريب ألفاظ فرقها ، والإحاطة بضروب فصاحتها^(١٠) ، والحفظ لأيامها وأمثالها ، وحكمها ومعاني أشعارها ، والتخصيص^(١١) بجوامع كلماتها .

(١) الباهرة : البالغة الظاهرة على غيرها .

(٢) شرائعه : التي شرعها الله له ولعباده على لسانه .

(٣) الجبارة : الجبار - في صفة الإنسان : الذي يجبر نفسه بادعاء منزلة من اتعالى

لا يستحقها . ويقال للقاهر لغيره جبار .

(٤) الوعى : الحفظ ، والجمع .

(٥) أيام الله فيهم : أى وقائمهم التي قدرها الله لهم . والأيام تطلق على الوقائع والحروب

كأيام العرب .

(٦) أعيانهم : كبارهم ورؤساؤهم . وقيل : ذواتهم .

(٧) محااجة كل أمة من الكفرة : أى ذكر حججه وبرهانه ، وما حاج به غيره .

(٨) معارضته : مخالفته ورده .

(٩) الاحتواء : الاشتمال والحفظ .

(١٠) هذا فى ا ، ب .

(١١) والتخصيص : أى تخصيص الله إياه بنطقه بجوامع كلام العرب ؛ أى بالألفاظ الحسنة

البيغة الجامعة للمعاني الكتيرة فى الفاظ قليلة .

إلى المعرفة بضرَبِ الأمثالِ الصحيحة ، والحكَمِ البيِّنَةِ لتَقَرِّيبِ التَّفْهِيمِ للغامضِ ، والتَّعْبِيهِنِ المُشْكَلِ ، إلى تَمْهِيدِ^(١) قواعدِ الشَّرْعِ الَّذِي لَا تَنَاقُضَ فِيهِ وَلَا تَخَاذُلَ ، مَعَ اشْتِمَالِ شَرِيْعَتِهِ عَلَى مَحَاسِنِ الْأَخْلَاقِ وَمَحَامِدِ الْأَدَابِ [١٢٨] وَكُلِّ شَيْءٍ مُسْتَحْسَنٍ مُنْضَلٍّ ، لَمْ يُنْكَرْ مِنْهُ مُلْحَدٌ^(٢) ذُو عَقْلِ سَلِيمٍ شَيْئًا إِلَّا مِنْ جِهَةِ الْخِذْلَانِ^(٣) .
بَلْ كُلُّ جَاحِدٍ لَهُ وَكَافِرٍ مِنَ الْجَاهِلِيَّةِ بِهِ إِذَا سَمِعَ مَا يَدْعُو إِلَيْهِ صَوَّبَهُ^(٤) ، وَاسْتَحْسَنَهُ دُونَ طَلَبِ إِقَامَةِ بُرْهَانٍ عَلَيْهِ .

ثُمَّ مَا أُحِلَّ لَهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ، وَحُرِّمَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْخَبَائِثِ^(٥) ، وَصَانَ بِهِ أَنْفُسَهُمْ وَأَعْرَاضَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ مِنَ الْمُعَاقِبَاتِ وَالْحُدُودِ^(٦) عَاجِلًا ، وَاتَّخَوْفِ بِالْفَارِ آجِلًا] تَمَّا لَا يَعْطَلُهُ ، وَلَا يَقُومُ بِهِ ، إِلَّا مَنْ مَارَسَ الدَّرْسَ^(٧) وَالْمَكُوفَ عَلَى السُّكُتِ ، وَمُتَأَنِّئًا^(٨) بَعْضِ هَذَا^(٩) .

إِلَى الْاِحْتِوَاءِ^(١٠) عَلَى ضُرُوبِ الْعُلُومِ ، وَفُنُونِ الْمَعَارِفِ ؛ كَالطَّبِّ ، وَالْعِبَارَةِ^(١١) ، وَالْفَرَائِضِ^(١٢) ، وَالْحِسَابِ ، وَالنَّسَبِ ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْعُلُومِ تَمَّا اتَّخَذَ أَهْلُ هَذِهِ الْمَعَارِفِ كَلَامَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهَا قُدُورَةً وَأَصُولًا فِي عِلْمِهِمْ ؛

(١) تمهيد : بسطه والتوطئة له . (٢) ملحد : مائل عن الحق زنديق .

(٣) أصل الخذلان : عدم النصر ، والمراد به عدم التوفيق .

(٤) صوبه : اعتقد أنه صواب .

(٥) الخبائث : كالبئرة والدم ، ولحم الخنزير .

(٦) المعاقبات والحدود ؛ كالحُدِّ ، والتمزير ، والحبس ، وكحد الزنا والسرقة ، والقتل ،

وشرب الخمر .

(٧) مارس الدرس : لازم دراسة الكتب واجتهد فيها . والمعكوف : الإقبال على الشيء

وملازمته . (٨) ومتأنئًا : ومتابعة . (٩) ما بين القوسين ساقط في أ .

(١٠) إلى الاحتواء : أى مع اشتغالها أو مضمومًا إلى الاشتغال .

(١١) العبارة : أى تعبير الرؤيا .

(١٢) الفرائض : جمع فريضة ؛ وهو النصيب من الميراث .

كقوله صلى الله عليه وسلم^(١) : الرؤيا لأول عابر^(٢) . وهى^(٣) على رجل طائر^(٤) .
وقوله : الرؤيا ثلاث ؛ رؤيا حق ، ورؤيا يحدث بها الرجل نفسه ، ورؤيا تخزين
من الشيطان^(٥) .

وقوله^(٦) : إذا تقارب الزمان لم تكذب رؤيا المؤمن تكذب .

-
- (١) فى حديث رواه ابن ماجه (سنن ابن ماجه : ١٢٨٨) .
(٢) الرؤيا : ما يرى من المنام من الأحلام . لأول عابر : أى مصادفة وموافقة لأول
تفسير تفسر به . والماير : هو الذى يبين الرؤيا ويفسرها .
(٣) رواه أبو داود ، والترمذى ، وصححه (سنن الترمذى : ٤ - ٥٣٦) .
ومسند الطيالسى : ١ - ٣٤٩ .

(٤) رجل طائر : أى إنها على رجل قدر جار وقضاء ماض من خير أو شر ؛ وإن ذلك
هو الذى قسمه الله لصاحبها . وكل حركة من كلمة أو شئ يجرى لك فهو طائر . والمراد أن
الرؤيا التى يبرها المعبر الأول فكأنها كانت على رجل طائر فسقطت ووقعت حيث عبرت
كما يسقط الذى يكون على رجل الطائر بأدى حركة (النهاية) . وفى هامش ا : قوله عايه السلام :
على رجل طائر : على رجل قدر جار ، وقضاء ماض من خير أو شر (من الغريبين) . وقال
ابن قتيبة : أرى أنها غير مستقرة . يقال لاشئ إذا لم يستقر : هو على رجل طائر . وبين
مخالب طائر ، وعلى قرن ظي .

- (٥) تخزين من الشيطان : بأن يلقى له ما يكره ويخاف بوسوسته .
قال السيوطى : هذا الحديث رواه الشيخان وغيرهما (صحيح مسلم : ١٧٧٣) .
(٦) فى حديث رواه الشيخان عن أبى هريرة مسندا (صحيح مسلم : ١٧٧٣) .
تقارب الزمان : قال فى نسيم الرياض (٣ - ٢٥٩) : اختلف فى المراد به هنا ؛ فقيل : المراد
به زمان الربيع وقرب الليل والنهار من التساوى ، وهو زمان تدرك فيه الثمار ، وتفتح الأزهار
ويرق النسيم ، فتعتدل الطباع البشرية فيه ، فتقوى على تلقى ما يفاض عليها . ولذا قال أهل
التعبير : أصدق زمان لوقوع الرؤيا زمان الربيع .

وقيل : المراد به آخر الزمان إذا قربت الساعة ، وتقاربه قصره ، والتقصير إما حقيقة كما
فى الحديث : فى أيامه السنة كشمس ، والشهر كجمعة ، والجمعة كيوم ، واليوم كساعة .
وقيل : إنه لكثرة اشتغال الناس بالدنيا لسمتها عليهم أو لغير ذلك .

وقوله ^(١) : «أصلُ كلِّ داءِ البردَةِ .

وماروي ^(٢) عنه في حديث أبي هريرة رضى الله عنه من قوله : «المعدةُ حوضُ البدنِ ، والمروقُ إليها وارِدَةٌ . وإن كان هذا حديثاً لاصحَّحهُ لضعفه وكَوَّنَه موضوعاً تكلم ^(٣) عليه الدارقطني .

وقوله ^(٤) : «خَيْرُ ما تداوَيْتُمْ به السَّعُوطُ واللدُّودُ ، والحِجَامَةُ ، والمَشِي .

وخَيْرُ الحِجَامَةِ يومَ سبعِ عشرة ، وتسعِ عشرة ، وإحدى وعشرين ^(٥) .

وفي العودِ الهِنْدِيِّ سبعةُ أَشْفِيَةٍ ^(٦) ، [منها ذاتُ الجَنْبِ] ^(٧) .

وقوله ^(٨) : « ما ملأَ ابنُ آدمَ وعاءٌ شراً من بَطْنٍ ، فإن كان لا بُدَّ فثَلثُ للطعامِ ، وثَلثُ للشرابِ ، وثَلثُ للنَّفْسِ .

وقوله ^(٩) - وقد سُئِلَ عن سبأ : أرجلُ هو أم امرأة ؛ أم أرض ؟ فقال : رجلُ

وَلَدَ عشرةً : تِيَامَن ^(١٠) منهم ستةٌ ، وتشام أربعة . . . الحديث بطوله .

(١) في حديث رواه الدارقطني وضعفه .

والبردَة : الإكثار من الطعام ، حتى لا تقدر المعدة على هضمه .
والمراد بكونه أصلاً لذلك أنه منشؤه ومبدؤه في الغالب .

(٢) الراوى له الطبراني في الأوسط . (٣) تكلم عليه الدارقطني ؛ أى مضعفاً له .

(٤) في حديث رواه الترمذى . (سنن الترمذى : ٤ - ٣٨٨) .

والسعوط : ما يجعل في الأنف ويستنشق به . واللدود : ما يجعل في أحد شقي الفم ويتفرغرغ به لدفع ورم به يمتري الصبيان غالباً والشى : للسَّهل .

(٥) وهذا الحديث رواه الحاكم عن ابن عباس وصححه ، وأبو داود عن أبي هريرة (سنن أبي داود : ٢ - ٩٩) .

(٦) الأشفية : جمع شفاء . والحديث في صحيح البخارى : ٧ - ١٦٥ .

(٧) ما بين القوسين ليس في ١ ، ب ، وهو في صحيح البخارى .

(٨) رواه الترمذى ، وابن ماجه ، والحاكم : سنن الترمذى ٤ - ٥٩٠ .

(٩) في حديث رواه الترمذى : ٥ - ٣٦١ ، وفي اضطت همزة « سبأ » بالفتحة ممنوعاً ،

وبكسرتين ، وعليها « معا » . (١٠) تيامن : سكن اليمن . تشام : سكن الشام .

وكذلك^(١) جوابه في نسب قضاة ، وغير ذلك مما اضطرت العربُ على شغلها بالنسب إلى سؤاله عما اختلفوا فيه^(٢) من ذلك .
وقوله^(٣) : خَيْرُ رَأْسِ الْعَرَبِ وَنَابِهَا^(٣) . وَمَذْحِجٌ هَامَتُهَا وَغَلَصَمَتُهَا^(٤) .
وَالْأَزْدُ كَاهِلُهَا وَجُجَمَتُهَا^(٥) ، وَهَمْدَانٌ غَارِبُهَا وَذِرْوَتُهَا^(٦) .
وقوله^(٧) : إِنَّ الزَّمَانَ قَدِ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ .
وقوله^(٨) في الحوض : زَوَايَاهُ سَوَاءٌ .
وقوله^(٩) - في حديث الذُّكْرِ : وَإِنَّ الْحَسَنَةَ بَمِشْرٍ أَمْثَالُهَا ؛ فَتِلْكَ مِائَةٌ وَخَمْسُونَ عَلَى اللِّسَانِ ، وَأَلْفٌ وَخَمْسِمِائَةٌ فِي الْمِيزَانِ^(١٠) .

-
- (١) في حديث رواه أحمد ، والطبراني .
(٢) أى مشكل أنسابهم ومعرفة ما أشكل عليهم .
(٣) في حديث رواه البزار . رأس العرب : منزلتهم من الشرف في العرب بمنزلة الرأس من الجسد . ونابها : أى هم عمدتهم ، ومن أشدهم .
(٤) هامتها : رأسها . وغلصمتها : الفصمة : لحمة بين الرأس والعنق . أو رأس الحلقوم .
(٥) الكاهل : ما يلي العنق من أعلى الظهر . والجمجمة : المراد بها الرأس .
(٦) الغارب : ما بين السنام والعنق . وذروتها : أعلاها وسنامها .
(٧) في حديث رواه الشيخان . صحيح البخارى : ٦ - ٨٣ . استدار : عاد لما كان عليه .
(٨) في حديث راه الشيخان : صحيح مسلم : ١٧٩٣
سواء : متساوية ؛ معناه طوله كمرضه .
(٩) في حديث رواه أبو داود ، وابن ماجه ، سنن ابن ماجه : ٢٩٩ ، وسنن الترمذى :

٤٧٨ - ٥

(١٠) وهو أنه صلى الله عليه وسلم قال : خصاتان لا يحصيها رجل مسلم إلا دخل الجنة ، وهما يسير ، ومن يعمل بهما قليل : تسبىح الله عز وجل دبر كل صلاة عشرا ، وتحمده عشرا ، وتسكبه عشرا ؛ قال : فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يعقدها بيده فذلك خمسون ؛ فهى مائة باللسان ، وألف وخمسمائة فى الميزان . فإذا أوى إلى فراشه سبح وحمد ، وكبر مائة ؛ فتلك مائة باللسان وألف فى الميزان فأبكم يعمل فى اليوم ألفين وخمسمائة سيئة .

وقوله ^(١) وهو بموضعٍ : نِعَمَ موضِعُ الحَمَامِ هذا .

وقوله ^(٢) : ما بين المشرق والمغرب قِبَلَةٌ .

وقوله ^(٣) لُمَيِّنَةٌ ، أو الأقرع : أنا أفرسُ بِالخَيْلِ مِنْكَ .

وقوله لِكَاتِبِهِ ^(٤) : ضَمَّ القَلَمَ عَلَى أَذُنِكَ ، فَإِنَّهُ أَذَكَرَ لِلْمُعَلِّمِ .

هذا مع أنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ لَا يَكْتُبُ ؛ وَلَكِنَّهُ أُوتِيَ عِلْمَ كُلِّ شَيْءٍ ، حَتَّى
قَدْ وَرَدَتْ آثَارُهُ بِمَعْرِفَتِهِ حُرُوفَ الخَطِّ وَحُسْنَ تَصْوِيرِهَا :

كقوله : لَا تَمْدُوا بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ^(٥) ، رَوَاهُ ابْنُ شَعْبَانَ مِنْ طَرِيقِ
ابْنِ عَبَّاسٍ ^(٦) .

وقوله فِي الحَدِيثِ الآخِرِ الَّذِي يُرَوَّى عَنْ مُعَاوِيَةَ أَنَّهُ كَانَ يَكْتُبُ بَيْنَ يَدَيْهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ لَهُ : أَلِيقِ الدَّوَاةَ ، وَحَرِّفِ القَلَمَ ، وَأَقِمِ البَاءَ ، وَفَرِّقِ السَّيْنَ ،
وَلَا تَعْمُورِ المِمْ ^(٧) ، وَحَسِّنِ اللَّهَ ، وَمُدِّ الرَّحْمَنَ ، وَجَوِّدِ الرَّحِيمَ ^(٨) .

(١) فِي حَدِيثِ رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ .

(٢) فِي حَدِيثِ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ ، وَصَحَّحَهُ . سَنَنَ التِّرْمِذِيُّ : ٢ - ١٧١ ، وَابْنُ مَاجَةَ : ١ - ٣٢٣ .

(٣) فِي حَدِيثِ ذَكَرَهُ ابْنُ الأَثِيرِ فِي النِّهَايَةِ ، وَلَمْ يَخْرُجْهُ السَّيُوطِيُّ لِأَنَّهُ لَمْ يَقِفْ عَلَيْهِ .
أَفْرَسُ بِالخَيْلِ : أَبْصَرَ ، وَأَعْرَفَ .

(٤) فِي حَدِيثِ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ (سَنَنَ التِّرْمِذِيُّ : ٥ - ٦٧) وَفِيهِ : أَذَكَرَ لِلْمُعَلِّمِ ،

وَهَذَا بِمَعْنَى . (٥) لَا تَجْعَلِ السَّيْنَ مَدَّةً طَوِيلَةً مِنْ غَيْرِ بَيَانٍ لِأَسْنَانِهَا .

(٦) فِي نَسِيمِ الرِّيَاضِ (٣ - ٢٦٧) : وَضَعَهُ ابْنُ حَزْمٍ . وَقَالَ السَّيُوطِيُّ : حَدِيثُ ابْنِ عَبَّاسٍ

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : لَا تَمْدُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ - لَمْ أَجِدْهُ .

(٧) ضَبَطْتَ المِمْ فِي أَوَّلِ السَّكُونِ وَالوَاوِ بِالسَّكْرَةِ مِنْ غَيْرِ تَشْدِيدٍ .

(٨) أَلِيقِ الدَّوَاةَ : اجْعَلْ لَهَا لَيْقَةً ، وَأَصْلِحْ مَدَادَهَا . وَحَرِّفِ القَلَمَ : اجْعَلْ قَطْعَهُ مَحْرَفًا ،

وَطَرَفِ شِقِّهِ الأَيْمَنِ أَزِيدَ مِنَ الطَّرْفِ الآخِرِ قَلِيلًا ، فَإِنَّهُ أَعْوَنَ عَلَى تَصْوِيرِ السَّنَاتِ . وَأَقِمِ البَاءَ :

اجْعَلْهَا مُسْتَقِيمَةً ، أَوْ طَوِّلْهَا قَلِيلًا ، لِأَنَّهَا عَوِضٌ عَنْ أَلْفِ اسْمٍ . وَفَرِّقِ السَّيْنَ : اجْعَلْ أُسْنَانَهَا

مُنْفَصِلًا بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ . وَلَا تَعْمُورِ المِمْ : لَا تَجْعَلْ دَائِرَتَهَا مَطْمُوسَةً . وَحَسِّنِ اللَّهَ : أَيُّ كِتَابَتِهِ

وَصُورَةَ لَفْظِهِ تَعْظِيمًا لِسَمَاءِهِ . وَجَوِّدِ الرَّحِيمَ : حَسِّنْ كِتَابَتَهُ .

وهذا ، وإن لم تصح الرواية أنه صلى الله عليه وسلم كتب فلا يبعد [١٢٩] أن يرزقَ عِلْمَ هذا ويُمْنَعَ القراءة والكتابة .
وأما علمه صلى الله عليه وسلم بلغات العرب ، وحفظه معاني أَسْمَارِها ، فأمرٌ مشهورٌ ، قد نَبَّهْنَا على بعضه أول الكتاب .
وكذلك حفظه لكثيرٍ من لغاتِ الأُمم ؛ كقوله في الحديث ^(١) : سَفَهٌ ، سَفَهٌ .
وهي حَسَنَةٌ بالحبشية .

وقوله ^(٢) : ويكثر الهَرْجُ ، وهو القتلُ بها ^(٣) .

وقوله - في حديثِ أبي هريرة ^(٤) : أَشْكَنتِ دَرْدُ ؛ أَي وَجَعُ البَطْنِ بالفارسية .
إلى غير ذلك مما لا يعلمُ بعضُ هذا ولا يقوم به ولا يبعثه إلا مَنْ مارَسَ الدَّرْسَ والأَكُوفَ على الكُتُبِ ومثاقفة أهلها عُمَرَه ^(٥) .

وهو رجلٌ كما قال ^(٦) اللهُ تعالى - أُمِّي ، لم يكتب ولم يقرأ ، ولا عُرِفَ بِصُحْبَةٍ مِنْ هَذِهِ صِفَتُهُ ، ولا نَشَأَ بَيْنَ قَوْمٍ لَمْ يَلْمِ عِلْمٌ وَلَا قِرَاءَةٌ لشيءٍ من هذه الأمور ، ولا عُرِفَ

(١) الحديث رواة البخارى : صحيح البخارى : ٨ - ٨

(٢) في حديث رواه الشيخان : صحيح البخارى : ٨ - ١٧ ، وفيه : قالوا : وما الهرج ؟

قال : القتل . القتل . وهو في الترمذى أيضا : ٤ - ٤٨٩

(٣) بها : أى بلنة الحبشة .

(٤) رواه ابن ماجه . سنن ابن ماجه : ١١٤٤ ، وهو فيه : اشكتت درد . وقال في شرحه :

بالفارسية : اشكم ، أى بطن . درد ؛ أى وجع . والثناء للخطاب ، والهزمة همزة وصل .
كذا حققه الدكتور حسين الهمداني . ومعناه : أتشتكى بطنك ؟ ولكن جاء في تكملة مجمع بحار الأنوار صفحة ٧ : اشكتب درم ، وفي رواية بسكون الباء ، وفي : اشكتب دردم - بضم الدالين ، وفي ب : بفتح الدالين .

(٥) المكوف على الكُتُبِ : ملازمة مطالعتها ومذاكرتها والنظر فيها .

مثاقفة أهلها : مجالستهم وملازمتهم . وفي ب : مثاقبة . والمثاقبة : الباحثة .

(٦) في قوله تعالى : فأمنوا بالله ورسوله النبي الأمي . . . (سورة الأعراف ، آية ١٥٨) .

هو - قَبْلُ شَيْءٍ مِنْهَا ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى (١) : ﴿ وَمَا كَفَتْ تَتَلَوُ مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَحْطُهُ بِيَمِينِكَ إِذَا لَارْتَابَ (٢) الْبَطْلُونَ ﴾ .

إِنَّمَا كَانَتْ غَايَةُ مَعَارِفِ الْعَرَبِ النَّسَبَ وَأَخْبَارَ أَوَائِلِهَا ، وَالشَّعْرَ ، وَالْبَيَانَ ؛ وَإِنَّمَا حَصَلَ ذَلِكَ لَمْ يَمُدَّ التَّفَرُّغَ لِعِلْمِ ذَلِكَ ، وَالِاشْتِفَالَ بِطَلْبِهِ ، وَمُبَاحَثَةَ أَهْلِهِ عِنْدَهُ . وَهَذَا الْفَنُ (٣) تَقَطُّةٌ مِنْ بَحْرِ عِلْمِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وَلَا سَبِيلَ إِلَى جَعْدِ الْمُلْحَدِ لَشَيْءٍ مِمَّا ذَكَرْنَاهُ (٤) ، وَلَا وَجَدَ الْكُفْرَةَ حِيَلَةً فِي دَفْعِ مَا نَصَّصْنَاهُ (٥) إِلَّا قَوْلَهُمْ : أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ : ﴿ إِنَّمَا يَعْلَمُهُ بَشَرٌ (٦) ﴾ .

فَرَدَّ اللَّهُ قَوْلَهُمْ بِقَوْلِهِ (٧) : ﴿ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ ، وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ﴾ (٨) .

ثُمَّ مَا قَالُوهُ مَكَابِرَةَ الْعِيَانِ (٩) ؛ فَإِنَّ الَّذِي نَسَبُوا تَعْلِيمَهُ إِلَيْهِ إِذَا سَلَّمَ ، أَوِ الْعَبْدَ الرَّؤُومِيَّ (١٠) ؛ وَسَلَّمَ إِنَّمَا عَرَفَهُ بِمَسَدِ الْهَجْرَةِ ؛ وَنَزُولِ الْكَثِيرِ مِنَ الْقُرْآنِ ، وَظُهُورِ مَا لَا يَنْعَمُدُ مِنَ الْآيَاتِ .

(١) سورة المنسكوت ، آية ٤٨

(٢) ارتاب البطلون : شكوا ، وقالوا تعلمه ممن قرأه وكتبه .

(٣) الفن : النوع من العلم الذي كانت العرب تعرفه وتعتق به .

(٤) أى لا يمكن الكفرة المائنين عن الطريق المستقيم إنكاره .

(٥) نصصناه : حكيناها وبيناه . (٦) أى هى أحاديث مما سطره من قبله وأكاذيب .

(٧) سورة النحل ، آية ١٠٣

(٨) الذى يلحدون إليه : لسان من ادعوا أنه تعلم منه لسان عجمي فكيف يمكن

تعليمه أو التعلم منه ؟ ومعنى يلحدون : يميلون عن الحق بمقاتلتهم هذه .

(٩) المكابرة : الإنكار من غير دليل . والعيان : المعاينة والشاهدة .

(١٠) سلمان : هو سلمان الفارسي . والعبد الرومي : هو غلام حويطب بن عبد العزى ،

أسلم وكان ذا كتب .

وأما الرومى فكان أسلم وكان يقرأ على النبي صلى الله عليه وسلم^(١)، واختلف في اسمه .

وقيل : بل كان النبي صلى الله عليه وسلم يجلسُ عنده عند البروة^(٢) ، وكلاهما أعجميُّ اللسان ؛ وهم الفصحاء اللد^(٣) ، والخطباء اللسن^(٤) ، قد عجزوا عن مُعارضة ما أتى به^(٥) ، والإتيانِ بمثله ؛ بل عن فهم رصفه ، وصورة تأليفه ونظامه ؛ فكيف بأعجميٍّ أنكن^(٦) !

نعم ، وقد كان سلمانُ ، أو بلعامُ الرومى^(٧) ، أو يعيش ، أو جبر ، أو يسار - على اختلافهم في اسمه - بين أظهرهم^(٨) يكلمونه مدى أعمارهم ؛ فهل حكي عن واحدٍ منهم شيءٌ من مثل ما كان يحيى به محمدٌ صلى الله عليه وسلم ؟ وهل عرف واحدٌ منهم بمعرفة شيءٍ من ذلك ؟ وما منع العدو حينئذ على كثرة عدده ، ودُوب طلبه ، وقوة حسده - أن يجلسَ إلى هذا فيأخذ عليه أيضا ما يُعارضُ به ويتعلمُ منه ما يحتاجُ به على شغبه^(٩) ؛ كفعل النضر بن الحارث بما كان يُمخرق^(١٠) به من أخبار كُتبه .

-
- (١) أى ويتعلم منه . (٢) أى مع الناس فكيف قالوا إنه تعلم منه وهو لم يجلس به ؟
 (٣) اللد : جمع لد ؛ وهو الشديد الحصومة .
 (٤) اللسن : جمع لسن ؛ وهو الفصيح اللسان ، الطلق البيان .
 (٥) معارضة ما أتى به : مقاباته بكلام يحكيه .
 (٦) أنكن : من اللكنة ؛ وهى المعجمة فى اللسان ، والمعنى فى النطق والبيان .
 (٧) اسم التلام الأعجمى . وقد سبق أنه مختلف فى اسمه ، فهذه هى الأسماء التى قيل إنه يسمى بها .
 (٨) بين أظهرهم : مقبلا بينهم يعرفونه .
 (٩) دُوب طلبه : من الدأب وهو الجد والتعب .
 (١٠) شغبه : عناده فى خصومته . وفى ا : على شيعته .
 (١١) يمخرق : يكذب . والمخرقة : افتعال الكذب يتلهم به . وقال القارى (١-٧٣٢):
 هى كلمة مولدة ، كما ذكره الجوهري ؛ أى يزخرف .

ولا غاب النبي ﷺ عليه وسلم عن قَوْمِهِ ، ولا كثرت اختلافاته^(١) إلى بلادِ أهل الكتابِ ؛ فيقال : إنه استمد منهم ؛ بل لم يزل بين أظهرهم يرعى في صغره وشبابه ، على عادةِ آبائهم ؛ ثم لم يخرج عن بلادهم إلا في سفرةٍ أو سفرتين^(٢) ، لم يطلُ فيهما مَكنُهُ مدةً يُحتملُ فيها تعليمُ القليل ، فكيف الكثير !

بل كان في سفره في صحبة قومه ورفاقه^(٣) عشيرته ، لم يغب عنهم ، ولا خالف^(٤) حاله [١٣٠] مدةً مُتأمةً بمكة من تعليم واختلاف^(٥) إلى حبر أو قس^(٦) ، أو منجمٍّ أو كاهن .

بل لو كان^(٧) هذا بمدُّ كلِّه لكان مجيئه ما أتى به في مُعجز القرآنِ قاطعاً لكلِّ عُدْر ، ومدُّ حِضاً لكلِّ حجّةٍ ، ومُجلياً^(٨) لكلِّ أمر .

(١) اختلافاته : رواحه ومجيئه مرارا عديدة .

(٢) سافر مرة إلى بلاد الشام مع عمه أبي طالب ، ورده من الطريق بإشارة بغير الراهب . ثم سافر مرة أخرى في تجارة لأم المؤمنين خديجة رضى الله عنها مع غلامها ميسرة فلم ينفرد عن أهل بلده أبدا سفرا وإقامة .

(٣) رفاقة : مرافقة .

(٤) ولا خالف حاله : أى حاله التى نشأ عليها وعرف بها .

(٥) واختلاف : أى مجيء وذهاب .

(٦) الحبر : العالم من علماء اليهود . والمنجم : العالم بالانجوز وأحكامها . والقس : رئيس علماء النصارى . والكاهن من العرب : من يجبر عن اللعنات بواسطة جن ونحوه .

فاستوفى أقسام من يمكن التعلم منه من أنواع الناس .

(٧) لو كان هذا : أى لو فرض خلاف ما ذكر من حاله بأن فرضنا أمفارا كثيرة له

ومكثا مع أهل الكتاب واختلافا للتسيبين والأخبار . . .

(٨) مدحضا : مزبلا ومبطلا . ومجليا : موضعا وكاشفا .

فصل

ومن خصائصه صلى الله عليه وسلم ، وكراماته ، وباهر آياته أنباؤه^(١) مع الملائكة والجن ، وإمداد^(٢) الله له بالملائكة ، وطاعة^(٣) الجن له ، ورؤية كثير من أصحابهم لهم ؛ قال الله تعالى^(٤) : ﴿ وَإِنْ تَطَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةَ بَمَدِّ ذَلِكَ ظَهِيرٌ ﴾ .

وقال^(٥) : ﴿ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنْ مَعَكُمْ ؛ فَثَبَّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ .

وقال^(٦) : ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنْى يُمِدُّكُمْ بِالْفِئِ مِنْ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ . وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ .

وقال^(٧) : ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ ، فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا : أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ ﴾ .

-
- (١) أنباؤه : جمع نبا ، وهو الخبر .
 - (٢) إمداد الله : إرسال الله للملائكة مددا له صلى الله عليه وسلم ، وإيادته .
 - (٣) طاعة الجن له : بانقيادهم وإسلامهم .
 - (٤) سورة التحريم ، آية ٤ . وإن تطاهرا : تعاونا . هو موله : ناصره .
 - (٥) سورة الأنفال ، آية ١٢ ، فثبتوا الذين آمنوا بالقتال معهم وتقوية قلوبهم بوعدهم بالنصر وظهورهم على أعدائهم ، وهذا كان ييدر .
 - (٦) سورة الأنفال ، آية ٩ ، ١٠ .
 - تستغيثون ربكم : تطالبون غوثه وإيادته . فاستجاب لكم : أجب دعاءكم وأجز وعده لكم . مردفين : متتابعين .
 - (٧) سورة الأحقاف ، آية ٢٩ .
 - صرفنا إليك : أمدناهم وأوصلناهم إليك . والنفر : مادون العشرة . وهؤلاء جن نصيبين ، وهذا كان يبطن نخلة في منصرفه صلى الله عليه وسلم من الطائف .

حدثنا سُفْيَانُ بن العاصِ الفقيهِ بسَمَاعِي عليه، حدثنا أبو الليثِ السمرقندي؛ قال :
حدثنا عبد الغافر الفارسي ، حدثنا أبو أحمد الجلودي ، حدثنا ابنُ سفيان ، حدثنا
مُسلم ، حدثنا عبيدُ الله بن معاذ ، حدثنا أبي ، حدثنا شعبة ، عن سليمان الشيباني ،
سمعَ زَرَّ بنَ حَبِيش ، عن عبدِ الله ؛ قال : لقد رأيتُ من آياتِ ربِّه الكُبرى - قال (١) :
رأى جبريلَ عليه السلام في صورته ، له ستمائة جناح .

والتَّخَبُّرُ في محادثته مع جبريل وإسرافيل وغيرهم من الملائكة ، وما شاهده من
كثرتهم وعِظَمِ صُورِ بعضهم ليلة الإسراء مشهورٌ .

وقد رآهم بِحَضْرَتِهِ (٢) جماعةٌ من أصحابه في مَوَاطِنَ مختلفة ؛ [فَرَأَى أَصْحَابُهُ
جبريل عليه السلام في صورة رجلٍ يسأله عن الإسلام والإيمان] (٣) .

ورأى ابنُ عباسٍ ، وأَسَامَةُ بن زيد ، وغيرُهما عنده جبريلَ في صورةٍ دحية (٤) .
ورأى سعد (٥) عن يمينه ويساره جبريلَ وميكائيلَ في صورةِ رجلين عليهما

ثيابٌ بيض .

ومثله عن غير واحد .

وسمعَ بعضهم زَجْرَ (٦) الملائكة خيلها يوم بدرٍ .

وبعضهم رأى تطايرَ الرءوس (٧) من الكفار ، ولا يروُن الضارب .

(١) قال : أي مسعود . والحديث في البخاري : ٦ - ١٧٦

(٢) بحضرته : في مجلسه .

(٣) ما بين التوسين أمامه في ١ : من غير الرواية .

(٤) هو دحية بن خليفة الكلبي الصحابي الجليل المشهور .

(٥) في حديث رواه الشيخان : صحيح البخاري : ٥ - ١٢٤

(٦) زجر الملائكة : حسها خيلها على الجري بصوت .

(٧) تطاير الرءوس : سرعة وقوعها بخفة كطائر طار عن مقره . وهذا رواه البيهقي .

ورأى أبو سفيان بن الحارث يومئذ^(١) رجلاً بيضا على خيلٍ بَاقٍ^(٢) بين السماء والأرض ، ما يقوم لها^(٣) شيء .

وقد كانت الملائكة تصفحُ عمران بن الحصين .

وأرى^(٤) النبي صلى الله عليه وسلم لحزة جبريل في الكعبة ، نخر مفضيا عليه .

ورأى^(٥) عبدُ الله بن مسعود الجن ليلة الجن ، وسمع كلامهم ، وشبههم برجال الزُّط^(٦) .

وذكر ابنُ سميْد^(٧) أن مُضْعَب بن عُمر لما قُتِل يوم أحد أخذ الراية ملكاً على

صورتِه ، فكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول له : تقدّم يا مُضْعَب ؛ فقال له الملك : لستُ بمُضْعَب ، فعلم أنه ملك .

وقد ذكر غيرُ^(٨) واحدٍ من المصنِّفين عن عُمر بن الخطاب رضى الله عنه - أنه

قال : بينما نحن جلوسٌ مع النبي صلى الله عليه وسلم إذ أقبل شيخٌ بيده عصا ، فسلم على

النبي صلى الله عليه وسلم ، فردّ عليه ، وقال^(٩) - صلى الله عليه وسلم : نعمةُ الجن^(١٠) .

(١) يومئذ : يوم بدر .

(٢) خيل بلق : فيها بياض ولون آخر . أو فيها سواد وبياض .

(٣) ما يقوم لها شيء : أى لا يمكن أن يقاوم شدتها وقتالها شيء غيرهم قل أو أكثر لما رآه من بطشها وسرعتها .

(٤) في حديث رواه البيهقي عن عمار بن ياسر .

(٥) في حديث رواه البيهقي .

(٦) الزط : قوم من السودان طوال . وقيل : إنهم جيل بالهند .

(٧) الطبقات : ٢ - ٢٩

(٨) كاليهقي ، وابن ماكولا في إكاله .

(٩) في ب : فقال .

(١٠) نعمة الجن : أى هذه نعمة الجن . أو نعمتك نعمة الجن وصوتهم .

مَنْ أَنْتَ؟ قال : أنا هامةُ بنِ الهَيْمِ بنِ لاقِسِ بنِ إبليس ؛ فذكر أنه لَقِيَ نوحاً
وَمَنْ بَعْدَهُ في حديث طويل^(١) ؛ وَأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَّمَهُ سُورًا
مِنَ الْقُرْآنِ^(٢) .

وذكر^(٣) الواقدي قَتَلَ خَالِدٍ عِنْدَ هَذْمَةَ الْعُرَيِّ لِلسُّودَاءِ الَّتِي خَرَجَتْ لَهُ نَاشِرَةً
شَعْرَهَا عُرْيَانَةً ، فَجَزَلَهَا^(٤) بِسَيْفِهِ ، وَأَعْلَمَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ فَقَالَ لَهُ : تَلِكِ
الْعُرَيِّ .

وقال^(٥) صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنَّ شَيْطَانًا [١٣١] تَفَلَّتَ^(٦) الْبَارِحَةَ لِيَقْطَعَ
عَلَيَّ صَلَاتِي ؛ فَأَمْسَكَنِي اللَّهُ مِنْهُ ، فَأَخَذْتُهُ فَأَرَدْتُ أَنْ أَرْبِطَهُ إِلَى سَارِيَةِ^(٧) مِنْ
سَوَارِي الْمَسْجِدِ حَتَّى تَنْظُرُوا إِلَيْهِ كَلِّكُمْ ؛ فَذَكَرْتُ دَعْوَةَ أَخِي سَلِيمَانَ^(٨) : ﴿ رَبِّ

(١) في شرح القاري (١ - ٧٣٧) : قال بعضهم إنه موضوع .

(٢) والحديث عن عمر .

قال في نسيم الرياض (٣ - ٢٨٧) : واعلم أنهم اختلفوا في هذا الحديث ؛ فقال ابن الجوزي :
إنه حديث موضوع لا أصل له . وخالفه فيه غيره ، وقال : إن تمدد أطرافه تدل على صحته .
وابن الجوزي له مجازفة في موضوعاته أكثرها مردودة . وقد روى هذا الحديث من
يعتمد عليه كالبيهقي ، وابن عساكر وغيرهما .

(٣) وهذا حديث صحيح رواه البيهقي ، والنسائي وغيرهما ، وهو مذكور في أكثر
التفاسير . والخبر في « المنازي » للواقدي : ٨٧٢ ، والبداية والنهاية : ٤ - ٣١٦ ، والطبقات :
١٠٥ - ٢ (٤) جزلها : جعلها جزلين ؛ أي قطعتين .

(٥) في حديث صحيح رواه الشيخان عن أبي هريرة : صحيح البخاري : ٦ - ١٥٦

(٦) تفلت : وثب بسرعة بفتة . (٧) سارية : عمود ، أو أسطوانة من عمد المسجد .

(٨) سورة ص ، آية ٣٥ . لا ينبغي لأحد من بعدى : لا يتيسر لأحد غيري .

قال في نسيم الرياض (٣ - ٢٨٨) : وليس هذا حرصاً منه عليه الصلاة والسلام على
الملك وسعة الدنيا ، وإنما طلب عظمة يتفرد بها لتكون خارقة للعادة ، دالة على نبوته ، مقدوة
له على تنفيذ أوامر ربه وإظهار دينه .

اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي ، إنك أنت الوهابُ . فردّه
الله خاسئا (١) .

وهذا بابٌ واسعٌ .

فصل

ومن دلائل نبوته وعلامات رسالته ما ترادفت (٢) به الأخبارُ عن الرهبان
والأخبار (٣) وعلما أهل الكتاب ، من صفته وصفة أمته ، واسمه وعلاماته (٤) ،
وذكر الخاتم (٥) الذي بين كتفيه ، وما وجد من ذلك في أشعار الموحدين المتقدمين ؛
من شعر تبع (٦) ، والأوس بن حارثة ، وكمب بن لوئى ، وسفيان بن مجاشع ، وقس
ابن ساعدة .

(١) فرد الله ذلك الشيطان بإفدارى عليه ، وتمكنى منه خاسئا : خائبا حقيرا مطرودا .
وفي صحيح البخارى : قال روح : فرده الله خاسئا .

(٢) ترادفت : تتابعت ، فجاء بعضها يتبع بعضه بمضا من غير انفصال .

(٣) الأخبار : جمع خبر : وهو العالم من أهل الكتاب ، واشتهر في علماء اليهود .

(٤) فى التوراة - عن كمب : محمد رسول الله عبدي المختار . . . وأمه الحمادون . وفى

الزبور - عن وهب بن منبه : سيأتى من بعدك نبى يسمى أحمد أو محمدا ، أمته مرحومة ،
أعطيتهم مثل ما أعطيت الأنبياء ، إلى غير ذلك مما نقله الثقات ؛ كقوله فى علامته فى الإنجيل :
صاحب المدرعة والمهامة والمراوة ، الجمد الرأس ، الصلت الجبين . إلى آخر ما ذكره من حليته فيه .

(٥) الخاتم : يعنى خاتم النبوة .

(٦) تبع : اسم لملك اليمن . ومن الشعر :

شهدت على أحمد إنه	نبى من الله بارىء النسم
فلو مد عمرى إلى عمره	لكنت وزيرا له وابن عم
وجاهدت بالسيف أعداءه	وفرجت عن صدره كل غم
له أمة سميت فى الزبور	وأمه هى خير الامم

وماذُكِرَ عن سَيْفِ بنِ ذِي يَزَنَ^(١) وغيرهم ، وعَرَفَ به من أَمْرِهِ زَيْدُ بنِ عَمْرٍو
ابنُ نَفِيلٍ ، وَوَرَقَةَ بنِ نَوْفَلٍ ، وَعُثْمَانَ كِلَانَ^(٢) الحِمَيْرِي ، وَعُلَمَاءُ يَهُودٍ ، وَشَامُولُ
عَامِئِهِمْ صَاحِبُ تَبَعٍ - مِنْ صِفَتِهِ وَخَبْرِهِ .

وما أَلْفِي^(٣) مِنْ ذَلِكَ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ مَا قَدْ جَمَعَهُ الْعُلَمَاءُ وَيَبْنُوهُ ، وَنَقَلَهُ عَنْهُمَا
ثِقَاتٌ مَنْ أَسْلَمَ مِنْهُمْ ؛ مِثْلُ ابْنِ سَلَامٍ ، وَابْنِ سَعْيَةَ ؛ وَابْنِ^(٤) يَامِينَ ؛ وَنَحْبَرِيْقُ ؛
وَكَعْبُ ، وَأَشْبَاهُهُمْ مَنْ أَسْلَمَ مِنْ عُلَمَاءِ يَهُودٍ ، وَبَحْرِيَاءُ ، وَنَضَطُورِ الحَبَشَةِ^(٥) ، وَصَاحِبِ
بُصْرَى^(٦) ، وَضَفَاطِرِ^(٧) ، وَأَسْقَفِ الشَّامِ ، وَالْجَارُودِ ، وَسَلْمَانَ ، وَالنَّجَاشِي ، وَنِصَارِي
الحَبَشَةِ ، وَأَسَاقِفِ^(٨) بَجْرَانَ ، وَغَيْرِهِمْ مَنْ أَسْلَمَ مِنْ عُلَمَاءِ النِّصَارِيِّ .

وَقد اعْتَرَفَ بِذَلِكَ^(٩) هِرَقْلُ ، وَصَاحِبُ رُومَةَ عَالِمُ النِّصَارِيِّ ، وَرَثِيْسَامُ ،
وَمُتَوَقِسُ^(١٠) صَاحِبُ مِصْرَ ، وَالشَّيْخُ^(١١) صَاحِبُهُ ، وَابْنُ صُورِيَا^(١٢) ، وَابْنُ أَخْطَبِ ،

(١) سيف بن ذي يزن : من ملوك حمير .

(٢) قصة عثكلان رواها ابن عساكر . وانظر نسيم الرياض : ٣ - ٢٩٦ إن شئت تجدها .

(٣) ما ألفتى : ما وجد .

(٤) من بني النضير . وفي شرح القارى (١ - ٧٤٤) : وبنيامين .

(٥) نسطور - بالسين والصاد .

(٦) بصرى : بلدة بالشام ؛ وهى بين المدينة والشام ؛ وقيل إنها حوران . وصاحب

بصرى : ملكها الذى أرسل إليه النبي صلى الله عليه وسلم دحية بكتابه .

(٧) ضفاطر : أسقف من كبار الروم أسلم على يد دحية لما أرسله رسول الله صلى الله عليه

وسلم إلى هرقل . (٨) أساقف : جمع أسقف ؛ أى علمائهم ورؤسائهم .

(٩) بذلك : بيمثته ، وأنه بشر به فى السكتب القديمة . هرقل : ملك الروم .

(١٠) صاحب مصر : ملكها .

(١١) صاحبه : أى صاحب المقوقس . قال القارى (١ - ٧٤٥) : وهذا لا يعرف اسمه .

(١٢) يهودى لم يكن فى زمانه أعلم منه بالتوراة . وفى ١ : صورياء - ممدود . والثبت فى

ب . وهو يمد ويقصر .

وأخوه ، وكعب بن أسد ، والزُّبَيْر بن باطِياً ، وغيرهم من علماء اليهود ، ممن حمّله الحسدُ والنَّفَاسَةُ^(١) على البقاء على الشقاء^(٢) .

والأخبارُ في هذا كثيرة لا تنحصر .

وقد قرّع^(٣) أسمعَ اليهودِ والنصارى بما ذكر أنه في كتبهم من صفته وصفة أصحابه ، واحتج عليهم بما انطوت عليه من ذلك صحفهم ، وذمهم بتحريف ذلك وكتمانه ، وليهم^(٤) ألسنتهم ببيان أمره ، ودعوتهم إلى المباهلة^(٥) على الكاذب ؛ فامنهم إلا من نفر^(٦) عن معارضته ، وإبداء ما ألزمهم من كتبهم إظهاره .

ولو وجدوا خلاف قوله لكان إظهاره أهون عليهم من بَدْلِ النفوس والأموال وتخريب الدِّيار^(٧) ونَبذ القتال^(٨) ، وقد قال لهم^(٩) : ﴿ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّورَةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ .

(١) النفاسة : المنافسة .

(٢) أى إصراره على كفره أو ارتداده عنادا .

(٣) القرع : الضرب والصدم بما يسمع له صوت . ويكون بمعنى التوبيخ والتمهير .

(٤) ليهم ألسنتهم : صرفها إلى غيرها حسدا وبغيا ، فتركوا بيانه وعدلوا عنه إلى غيره .

ويقال : لوى لسانه بكذا : أى كذب .

(٥) المباهلة : للملاعنة ؛ بأن يقول كل منهما : لعنة الله على الظالم والكاذب منا .

(٦) نفر : أعرض وهرب . وفي ب : فر .

(٧) وتخريب الدار : كما وقع لليهود خيبر وبنى النضير .

(٨) نبذ القتال : تركه .

(٩) سورة آل عمران ، آية ٩٣ ، وقد قال لهم ذلك لما قرع أسمعهم بقوله تعالى : ﴿ فبظلم

من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم ﴾ ؛ وقوله تعالى : ﴿ وعلى الذين هادوا حرمنا

كل ذى ظفر ﴾ ؛ فقالوا : لسانا بأول من حرمت عليه ، فقد حرم على إبراهيم ومن معه حتى

انتهى الأمر إلينا ، فقال لهم : قل فأتوا بالتوراة . . . ليظهر أنها لم تحرم إلا عليهم لظلمهم

وبغيتهم .

إلى ما أنذَرَ به السكّهان؛ مِنْ شافع بن كُليب^(١)، وشِقّ، وسَطِيح^(٢)، وسَوَادِ ابن قَارِب، وخُنَافِر، وأَفْعَى نَجْرَان^(٣)، وجِذَل بن جِذَل الكِنْدِي^(٤)، وابن خَلَصَة الدَّوْسِي، وسُعْدَى بنت كُرَيْز، وفاطمة بنت النعمان، وَمَنْ لَا يَنْعَدُ كَثْرَةً .

إلى ما ظهر على ألسنة الأصنام من نبوته، وحُلُولِ وقتِ رسالته؛ وَسَمِيعٍ مِنْ هَوَاتِفِ^(٥) الجان، ومن ذبائح النُصْبِ^(٦)، وأجوافِ الصُّورِ^(٧)؛ وما وُجِدَ مِنْ اسْمِ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والشهادة له بالرسالة مكتوبا في الحجارة والتُّبُورِ بِالْخَطِّ القديم ما أَكْثَرُهُ مشهورٌ؛ وإِسْلَامُ مَنْ أَسْلَمَ بسبب ذلك معلوم مذكور .

فصل

وَمِنْ ذَلِكَ ما ظهر من الآيات [١٣٢] عند مَوْلَدِهِ، وما حَكَّتْهُ أُمُّهُ وَمَنْ حضره من المعجائب، وكونه رافعا رأسه عند ما وضَعَتْه شاخصاً ببصره إلى السماء^(٨)؛ وما رَأَتْهُ مِنَ النُّورِ الذي خرج معه عند ولادته^(٩)، وما رَأَتْهُ إِذْ ذَاكَ أُمُّهُ

(١) شافع بن كليب : كاهن من كهان العرب ، أخبر تبعا بنجر النبي صلى الله عليه وسلم ، وبمهاجرته إلى المدينة .

(٢) شق وسطيح : وسواد بن قارب ، من كهان العرب .

(٣) أفعى نجران : ملك من ملوك نجران . (٤) جذل : ضبطت الجيم في ا بالفتحة .

(٥) الهواتف : جمع هاتف ، من الهتف ؛ وهو الصوت العالي مطلقا ، ثم خص بصوت يسمع بمن لا يرى شخصه ؛ ولذا خص بالجن عند العرب .

(٦) ومن ذبائح النصب : ماسم منها إذا قربت للذبح . والذبائح : جمع ذبيحة ؛ وهي ما يذبح من بقر ونحوه . والنصب : جمع نصب ؛ وهو ما ينصب من الحجارة والأصنام للعبادة . وذلك مثل ماسم عمر رضى الله عنه من عجل قربه رجل ليذبحه قربانا لصنم ؛ فقال : يا آل ذريج . أمر نجيح . رجل فصيح . يقول : لا إله إلا الله . . .

(٧) أجواف الصور : أى ماسم من الأصنام التي كانوا يصورونها والمراد أجواف التماثيل .

(٨) شاخصا يبصره إلى السماء : هذا إشارة إلى تعلقه صلى الله عليه وسلم بالملأ الأعلى وتوجهه لذلك من أول أمره .

(٩) رواه أحمد ، والبيهقى .

عثمان بن أبي العاص من تدلّي النجوم^(١)، وظهور النور عند ولادته، حتى ما تنظر إلا النور^(٢).

وقول الشفاء أم عبد الرحمن بن عوف: لما سقط صلى الله عليه وسلم على يدي واستهل^(٣) سمعت قائلا يقول: رحك الله؛ وأضاء لي ما بين المشرق والمغرب حتى نظرت إلى قصور الروم^(٤).

وما تعرفت به حليلة وزوجها ظفراه^(٥) من بركته، ودُرُورِ لبنها له، وابن شارفها^(٦) وخضب غنمها^(٧)، وسرعة شبابه^(٨)، وحسن نشأته؛ وما جرى من العجائب ليلة مولده؛ من ارتجاج إيوان كسرى، وسقوط شرفاته^(٩)، وغيبض بحيرة طبرية^(١٠)، وخود نار فارس، وكان لها^(١١) ألف عام لم تحمد.

(١) روى عنها أنها شهدت مولده، ورأت مارأته.

(٢) أى لانرى شيئا غير النور ورواه أيضا البيهقي والطبراني، ودلائل النبوة لأبي نعيم: ١٦٨

(٣) لما سقط على يدي: لما وضعته أمه فترز على يديها. واستهل: رفع صوته بأن عطس.

(٤) رواه أبو نعيم في الدلائل: ١٦٩، وفيه: حتى نظرت إلى بعض قصور الشام،

وكذلك في طبقات ابن سعد: ١ - ٩٦

(٥) الظئر: المرضعة. وقد يطلق على أبي الرضاة أيضا كما هنا.

(٦) ائشارف: الناقة المسنة. وانظر في ذلك دلائل النبوة لأبي نعيم: ١ - ١٩٨

(٧) كناية عن سمنها وكثرة لبنها. (٨) سرعة شبابه: سرعة نمو خالقه ونمو قامته.

(٩) شرفات: جمع شرفة: أعاليه. أو هي ما يبني على أعلى الحائط منفصلا بفضه من بعض:

دلائل النبوة لأبي نعيم: ١٧٤

(١٠) غيبض: مصدر غاض: إذا قل وذهب. وطبرية: بالشام معروفة من الأرض المقدسة:

دلائل النبوة: ١٧٤

وفي نسيم الرياض (٣ - ٣١٤): قال البرهان: المعروف بالغيض بحيرة ساوة. ثم قال:

أقول ما قاله غير صحيح، والمعجب بمن تابعه على هذا مع ظهوره وسأوة: بلدة أخرى بينها

وبين الرى اثنان وعشرون فرسخا. والجواب الحق أن للراد بحيرة طبرية. وقد روى الحديث

البيهقي، وابن أبي الدنيا، وابن السكن، كما نقله السيوطي وغيره. وكذلك رواه أبو نعيم

في الدلائل (١٧٤) وفيه: بحيرة ساوة. (١١) وكان لها: تلك النار: دلائل أبي نعيم: ١٧٤

وأنه كان^(١) إذا أكل مع عمه أبي طالب وآله وهو صغير شَبِمُوا ورووا؛ فإذا غاب فأكلوا في غَيْبَتِهِ لم يَشْبُمُوا .

وكان سائرُ وَلَدِ أَبِي طَالِبٍ يُصْبِحُونَ شُعْمًا^(٢) وَيُضْبِحُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَقِيلًا دَهِينًا كَحِيلًا^(٣) .

[قَالَتْ أُمُّ أَيْمَنٍ حَاضِنَتُهُ^(٤) : مَا رَأَيْتُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَكَا جُوعًا قَطُّ وَلَا عَطْشًا صَغِيرًا وَلَا كَبِيرًا]^(٥) .

ومن ذلك حراسة السماء بالشَّهْبِ^(٦) ، وَقَطْعُ رَصَدِ الشَّيَاطِينِ^(٧) ، وَمَنْعُهُمْ اسْتِرَاقَ السَّمْعِ^(٨) .

وما نشأ عليه مِنْ بُغْضٍ^(٩) الْأَصْنَامِ ، وَالْعَفَّةِ عَنْ أُمُورِ الْجَاهِلِيَّةِ ؛ وَمَا خَصَّهُ اللهُ بِهِ مِنْ ذَلِكَ وَحَمَاهُ حَتَّى فِي سِتْرِهِ^(١٠) فِي الْخَبْرِ الْمَشْهُورِ عِنْدَ بِنَاءِ الْكَعْبَةِ ؛ إِذَا أَخَذَ

(١) رواه ابن سعد وغيره عن ابن عباس : طبقات ابن سعد : ١ - ١١١

(٢) شعثا : جمع أشعث ، وهو النفر المتغير لونه .

(٣) صقيلا : رائق اللون غير متغير البشرة . دهينا : أى كأن وجهه دهن بما جعل وجهه يبرق . كحيفا : مكحل العين . وهذا كله من غير صنع أحد .

(٤) حاضنته : هى التى كانت تربيته طفلا ، واسمها بركة .

(٥) فى هامش ١ : من غير الرواية .

(٦) الشهب : شعل النار المرئية فى نجوم السماء . جمع شهاب .

(٧) رصد الشياطين : ترصدهم وترقبهم لسباع ماتفوله الملائكة فتحفظه وتلقيه للكهنة .

(٨) استراق السمع : أن يمتحنى أحد ليسمع كلام من لم يرد سماعه ، فكأنه يسرق الكلام

الذى سمعه .

(٩) بغض : كره .

(١٠) فى ستره : أى ستر بدنه حتى لا يرى أحد منه صلى الله عليه وسلم ما لا ينبغى رؤيته

كالمورة ؛ فكان لا يتعمى عند أحد .

إِزَارَهُ ^(١) لِيَجْعَلَهُ عَلَى عَاتِقِهِ ^(٢)، لِيَحْمَلَ عَلَيْهِ الْحِجَارَةَ وَتَعَرَّى؛ فَسَقَطَ إِلَى الْأَرْضِ حَتَّى رَدَّ إِزَارَهُ عَلَيْهِ .

فَقَالَ لَهُ عَمَّهُ : مَا بِأَلَيْكَ ^(٣)؟ فَقَالَ : إِنِّي قَدْ نَهَيْتُ عَنْ التَّعَرِّيِّ .

وَمِنْ ذَلِكَ إِظْلَالُ اللَّهِ لَهُ بِالْعَمَامِ فِي سَفَرِهِ ^(٤) .

وَفِي ^(٥) رِوَايَةٍ أَنَّ خَدِيجَةَ وَنِسَاءَهَا رَأَيْنَهُ لَمَّا قَدِمَ ^(٦)، وَمَلَكًا كَانِ يُظَلِّلُهُ؛ فَذَكَرَتْ

ذَلِكَ لَمَيْسِرَةَ؛ فَأَخْبَرَهَا أَنَّهُ رَأَى ذَلِكَ مِنْذُ خُرُوجِ مَعَهُ فِي سَفَرِهِ .

[وَقَدْ رُوِيَ ^(٧) أَنَّ حَلِيمَةَ رَأَتْ غَمَامَةً تُظِلُّهُ، وَهُوَ عِنْدَهَا .

وَرُوِيَ ذَلِكَ عَنْ أَخِيهِ مِنَ الرَّضَاعَةِ] ^(٨) .

وَمِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ نَزَلَ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ قَبْلَ مَبْعَثِهِ تَحْتَ شَجَرَةٍ يَابِسَةٍ،

فَاعْتَشَوْشَبَ ^(٩) مَا حَوْلَهَا وَأَيْنَعَتْ ^(١٠) هِيَ فَأَشْرَقَتْ ^(١١) وَتَدَلَّتْ عَلَيْهِ أَغْصَانُهَا بِحَضْرَةِ

مَنْ رَأَاهُ ^(١٢) .

(١) إزاره : ملحفته التي كان مؤتزرا بها . والحديث في صحيح البخاري : ٥ - ٥١

(٢) عاتقه : ما بين للئسك والعنق الذي يضع عليه الحجارة حتى لا تؤذي .

(٣) ما باللك : ما شأنك؟ وما حالك الذي عرض لك حتى سقطت؟ وهذا الخبر في

الطبقات : ١ - ٩٣

(٤) كما رآه بجيرا لما سافر إلى الشام مع عمه ، ورآه ميسرة غلام خديجة لما سافر معه

إلى الشام . (٥) لابن سعد : في الطبقات : ١ - ٨٣

(٦) لما قدم من سفره إلى الشام في تجارة لها .

(٧) للذي رواه الواقدي ، وابن سعد ، وابن عساکر في تاريخه .

(٨) في هامش ١ : من غير الرواية .

(٩) يابسة : ليست مخضرة ، وليس لها ورق . اعشوشب : ظهر به عشب لم يكن قبله .

(١٠) أينعت : ظهرت خضرة ورقها وزهرها ؛ أو ثمرها .

(١١) فأشرفت : نمت وعلت أغصانها .

(١٢) في شرح القاري (١ - ٧٥٣) : قال الدلجي : لم أدر من رواه .

وَمَيَّلَ فِيهِ^(١) الشَّجَرَةَ إِلَيْهِ فِي الْخَبْرِ الْآخِرِ حَتَّى أَظَلَّتْهُ .
 وما ذُكِرَ مِنْ أَنَّهُ كَانَ لَا ظِلَّ لِشَخْصِهِ فِي شَمْسٍ وَلَا قَمَرٍ ؛ لِأَنَّهُ كَانَ نُورًا .
 وَأَنَّ الذُّبَابَ كَانَ لَا يَقَعُ عَلَى جَسَدِهِ وَلَا ثِيَابِهِ^(٢) .
 وَمِنْ ذَلِكَ تَخْيِيبُ الْخَلْوَةِ^(٣) إِلَيْهِ حَتَّى أُوحِيَ إِلَيْهِ ؛ ثُمَّ إِعْلَامُهُ بِمَوْتِهِ وَدُنُو^(٤)
 أَجَلِهِ ، وَأَنَّ قَبْرَهُ فِي الْمَدِينَةِ وَفِي بَيْتِهِ ، وَأَنَّ بَيْنَ بَيْتِهِ وَمِنْبَرِهِ^(٥) رَوْضَةٌ مِنْ رِياضِ
 الْجَنَّةِ^(٦) ؛ وَتَخْيِيرِ اللَّهِ لَهُ عِنْدَ مَوْتِهِ^(٧) ؛ وَمَا اشْتَمَلَ عَلَيْهِ حَدِيثُ الْوَفَاةِ مِنْ كَرَامَاتِهِ ؛
 وَتَشْرِيفُهُ ، وَصَلَاةُ الْمَلَائِكَةِ عَلَى جَسَدِهِ عَلَى مَا رَوَيْنَاهُ فِي بَعْضِهَا^(٨) .
 وَاسْتِثْنَاءُ مَنْ مَلَكَ الْمَوْتَ عَلَيْهِ ، وَلَمْ يَسْتَأْذِنْ عَلَى غَيْرِهِ قَبْلَهُ . وَنَدَاؤُهُمُ^(٩) الَّذِي
 سَمِعُوهُ إِلَّا يَنْزِعُوا الْقَمِيصَ عَنْهُ عِنْدَ غُسْلِهِ .
 وَمَا رَوَى مِنْ تَمْزِيَةِ الْخَضِرِ وَالْمَلَائِكَةِ^(١٠) أَهْلَ بَيْتِهِ عِنْدَ مَوْتِهِ .
 إِلَى مَا ظَهَرَ عَلَى أَصْحَابِهِ مِنْ كَرَامَتِهِ وَبَرَكَتِهِ فِي حَيَاتِهِ وَمَوْتِهِ ، كَاسْتِثْنَاءِ
 عُمَرُ بَعْمَهُ^(١١) ، وَتَبَرُّكَ غَيْرِ وَاحِدٍ بِذُرِّيَّتِهِ [١٣٣] .

(١) النوى : الظل .

(٢) في شرح القارى (١ - ٧٩٣) : قال الدلجى : لا علم لى بمن رواه . وفي شرح
 الخفاجى : وهذا رواه صاحب الوفا عن ابن عباس .

(٣) الخلو : الوحدة والافتراد عن الناس للعبادة .

(٤) دنو : قرب . وهذا مما رواه الشيخان .

(٥) فى ١ : وأن بين بيته وبين منبره ... (٦) كما رواه أبو نعيم .

(٧) أى لما قرب موته خيره الله بين البقاء فى الدنيا والرحيل للآخرة . وقد رواه البيهقى

فى دلائله .

(٨) فى بعضها : فى بعض طرق حديث الوفاة .

(٩) ونداؤهم : نداء الملائكة لهم . (١٠) رواه البيهقى فى دلائله .

(١١) بعمه : أى العباس ؛ أى تقديمه فى دعاء الاستسقاء ، رواه البخارى (صحيح

البخارى : ٢ - ٣٣) .

فصل

قال التامزي أبو الفضل^(١): قد آتينا في هذا الباب على نُكْتٍ مِنْ مُعْجَزَاتِهِ واضِحَةٍ ، وَجَمَلٍ^(٢) مِنْ عِلَامَاتِ نُبُوْتِهِ مُقْنَعَةٍ ، فِي وَاحِدٍ مِنْهَا الْكِفَايَةُ وَالغُنْيَةُ^(٣) ، وَتَرَكَنَا السَّكْثِيرَ سِوَى مَا ذَكَرْنَا ، وَاقْتَصَرْنَا مِنَ الْأَحَادِيثِ الطَّوَالِ عَلَى عَيْنِ الْفَرَاغِ وَفَصِّ^(٤) الْمَقْصِدِ ، وَمِنْ كَثِيرِ الْأَحَادِيثِ وَغَرِيبِهَا عَلَى مَا صَحَّ وَاشْتَهَرَ الْإِسْبِرَا مِنْ غَرِيبِهِ^(٥) ، مِمَّا ذَكَرَهُ مَشَاهِيرُ الْأُمَّةِ ، وَحَذَفْنَا الْإِسْنَادَ فِي جُمْهُورِهَا^(٦) ، طَلِبًا لِلْإِخْتِصَارِ .

وَبِحَسَبِ هَذَا الْبَابِ لَوْ تَقَصَّى^(٧) أَنْ يَكُونَ دِيْوَانًا جَامِعًا^(٨) يَشْتَمِلُ عَلَى مَجَلَّدَاتٍ عَدَّةٍ .

وَمُعْجَزَاتُ نَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَظْهَرُ مِنْ سَائِرِ مُعْجَزَاتِ الرُّسُلِ بَوَاجِهَيْنِ : أَحَدُهَا — كَثْرَتُهَا ، وَأَنَّهُ لَمْ يُبَوِّتْ نَبِيٌّ مُعْجَزَةً إِلَّا وَعِنْدَ نَبِيِّنَا مِثْلُهَا ، أَوْ مَا هُوَ أَبْلَغُ^(٩) مِنْهَا .

وَقَدْ نَبَّهَ النَّاسُ عَلَى ذَلِكَ ؛ فَإِنْ أَرَدْتَهُ فَتَأَمَّلْ فُصُولَ هَذَا الْبَابِ ، وَمُعْجَزَاتِ مَنْ تَقَدَّمَ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ — تَقِفْ عَلَى ذَلِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

(١) هُوَ الْمَصْنَفُ . وَفِي ب : قَالَ الْمَوْلَى أَبُو الْفَضْلِ رَحِمَهُ اللَّهُ .

(٢) النُّكْتُ : جَمْعُ نَكْتَةٍ ، وَهِيَ الْأَمْرُ الدَّقِيقُ الَّذِي يَحْصُلُ بِفِكْرٍ يِقَارَنُهُ . وَجَمَلٌ : جَمْعُ جَمَلَةٍ ، وَهِيَ الْأَمْرُ الْمَجْمَلُ .

(٣) الْغُنْيَةُ : الْإِسْتِفْنَاءُ ، وَالْإِكْتِفَاءُ عَنْ غَيْرِهِ ؛ لِأَنَّهُ يَدُلُّ دَلَالَةً قَوِيَّةً .

(٤) فَصُّ الْمَقْصِدِ : الْفَصُّ : الْأَصْلُ ، وَالْمَقْصِدُ : الْأَمْرُ الْمَقْصُودُ وَالْمُرَادُ زُبْدَةُ الْمَقْصُودِ .

(٥) وَغَرِيبِهَا : مِمَّا انْفَرَدَ رِوَايَاتُهَا بِهَا . مِنْ غَرِيبِهِ : أَيُّ مَا يَمُدُّ مُسْتَقْرَبًا غَيْرَ مَمْهُودٍ ،

أَوْ غَيْرِ مَشْهُورٍ . (٦) جُمْهُورِهَا : فِي مَعْظَمِ الْأَحَادِيثِ وَأَكْثَرِهَا .

(٧) تَقَصَّى : اسْتَوْفَى ، وَاسْتَقْصَى . (٨) دِيْوَانًا جَامِعًا : كِتَابًا مُسْتَقِلًا مَدُونًا .

(٩) أَبْلَغُ مِنْهَا : أَعْظَمُ وَأَقْوَى .

وأما كونها كثيرة فهذا القرآن ، وكلُّهُ مُعْجَزٌ ؛ وأقلُّ ما يقعُ الإعجازُ فيه عند بعض أئمة المحققين سورةٌ : ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴾ ؛ أو آيةٌ ^(١) في قدرها . وذهب بعضهم إلى أن كلَّ آيةٍ منه كيف ^(٢) كانت معجزةً . وزاد آخرون أن كلَّ جملةٍ مُنْتَظِمةٍ ^(٣) منه معجزةٌ ، وإن كانت من كلمة أو كلمتين .

والحقُّ ما ذكرناه أولاً ^(٤) ؛ لقوله تعالى ^(٥) : ﴿ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ ﴾ ؛ فهو أقلُّ ما تحدَّاهمُ به ، مع ما ينصر ^(٦) هذا من نظر ^(٧) وتحقيقٍ يطولُ بسطُهُ . وإذا كان ^(٨) هذا ففي القرآن من الكلمات نحو من سبعةٍ وسبعين ألفَ كلمةٍ ونيفٍ ^(٩) على عددٍ بعضهم ، وعددُ كلماتٍ : « إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ » - عَشْرُ كَلِمَاتٍ ، فتجزؤ ^(١٠) القرآن على نسبة عددٍ « إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ » أزيدُ من سبعةِ آلافِ جزءٍ ، كلُّ واحدٍ منها مُعْجَزٌ في نفسه .

ثم إعجازه - كما تقدّم - بوجهين : طريقِ بلاغته ، وطريقِ نظمه ^(١١) ؛ فصار

-
- (١) آية في قدرها : أي مساوية لها في الحروف والكلمات .
 - (٢) كيف كانت : طويلة بمقدار سورة أم لا . (٣) كل جملة منتظمة : مفيدة تامة .
 - (٤) ما ذكرناه أولاً : من أن المعجز أقصر سورة أو مقدارها .
 - (٥) سورة يونس ، آية ٣٨ . والضمير في « مثله » للقرآن .
 - (٦) ينصر هذا : يقويه ويؤيده . (٧) من نظر : أي من فكر وتدبر .
 - (٨) وإذا كان هذا : وإذا ثبت أن ما تحداهم به هو هذا المقدار الأقل .
 - (٩) ونيف : وزيادة . (١٠) هذا في ١ ، ب .
 - (١١) طريق بلاغته : أي مافيه من مراعاة الوجوه التي بها يطابق اللفظ مقتضى الحال . وطريق نظمه : أي أسلوبه وكونه على نسق لا يشبه غيره من الكلام نظاماً وسجعاً ونثراً ، وتناسب كামانه وجمله ، وإيتاء كل كلمة منه ما يستحقه ، وتنزيلها في محل لا يليق بها غيره ، كما يعرفه من ذاق طعم البلاغة ؛ فقارته لا يمله وإن كرره كما لا يخفى على من تأمله حق التأمل ، ونظر فيه بنور الإيمان .

في كلِّ جزءٍ من هذا المددِ مُعْجِزَاتان ، فتضاعفَ المددُ من هذا الوجهِ .
ثم فيه وجوهٌ إعجازٍ أُخْر من الإخبارِ بعلوم الغيب ؛ فقد يكونُ في السورةِ
الواحدةٍ من هذه ^(١) التجزئةُ الخَبْرُ عن أشياء من الغيبِ ، كلُّ خَبْرٍ منها بنفسه
معجزٌ ؛ فتضاعفَ المددُ كَرَّةً أُخرى .

ثم وجوهُ الإعجازِ الأخر التي ذكرناها ^(٢) توحبُ التضعيفَ ، هذا في حقِّ
القرآنِ ، فلا يكادُ يأخذُ المددُ ^(٣) معجزاته ، ولا يحوي الحَصْرُ بَرَاهِينَهُ .

ثم الأحاديثُ الواردةُ ، والأخبارُ الصادرةُ عنه صلى الله عليه وسلم في هذه
الأبوابِ ^(٤) وعمادٌ على أمره ^(٥) مما أشرنا إلى إجماله يبلغُ نحواً من هذا .

الوجهُ الثاني - وضوحُ معجزاته صلى الله عليه وسلم ؛ فإنَّ معجزاتِ الرُّسُلِ
كانت بتدريجهم أهلِ زمانهم ، وبحسبِ الفنِّ الذي سما فيه قرَّنه ^(٦) .

فلما كان زمنَ موسى غايَةً عِلْمِ أهله السَّعْرَ بُعث إليهم موسى بمعجزة تُشبهه
ما يدعون قُدْرَتَهُمْ عليه ، فجاءهم منها ما خرق عاداتهم ، ولم يكن في قُدْرَتِهِمْ [١٣٤] ،
وأبطل سِحْرَهُمْ .

وكذلك زمنُ عيسى أغنى ^(٧) ما كان الطبُّ ، وأوفر ما كان أهله ^(٨) ؛ فجاءهم

(١) من هذه التجزئة : أى الأجزاء المذكورة المضاعفة من جهة الإعجاز .

(٢) لقي ذكرناها : وهى ذكر للنبيات . (٣) فى ١ : المدد .

(٤) فى هذه الأبواب : أى أبواب إعجاز القرآن والتحدى به ، وأبواب معجزاته عليه السلام .

(٥) على أمره : على نبوته وعلو شأنه .

(٦) وبحسب الفن : بمقدار النوع . سما : اشتهر . قرنه : عصره . والمراد به أهله .

(٧) أغنى ما كان الطب : أى أوفى وأعظم ما كان فى عصره وعهد رسالته علم الطب .

(٨) وأوفر ما كان : أى أكثر ما كان فى زمانهم .

أمرٌ لا يقدرُونَ عليه ، وأتاهم ما لم يحتسبوه^(١) من إحياء الميت ، وإبراء الأكمه^(٢) والأبرص دون معالجةٍ ولا طبِّ .

وهكذا سائرُ معجزاتِ الأنبياء .

ثم إنَّ الله تعالى بعثَ محمداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وجملةُ معارفِ العربِ وعلومها أربعة : البلاغةُ ، والشعرُ ، والخبرُ^(٣) ، والكهانةُ^(٤) ؛ فَأَنْزَلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ الخارقَ لهذه الأربعة فصولٍ^(٥) من النصيحة ، والإيجاز ، والبلاغةِ الخارجةِ عن نمطٍ^(٦) كلامهم ؛ ومن النظمِ الغريبِ ، والأسلوبِ العجيبِ الذي لم يهتدُوا في المنظومِ إلى طَرِيقِهِ ، ولا علِمُوا في أساليبِ الأوزانِ مَنَهْجَهُ ؛ ومن الأخبارِ عن السكواتِ^(٧) والحوادثِ والأسرارِ والمحَبَّاتِ والضمائرِ^(٨) ؛ فتوجدُ على ما كانت ، ويعترفُ المُخْبِرُ عنها بصحةِ ذلك وصدقِهِ ، وإن كان أعدَى العدوِّ .

فأبطلَ الكهانةَ التي تصدِّقُ مرةً وتكذبُ عَشْرًا ؛ ثم اجتمعا^(٩) من أصلها برَجْمِ الشَّهْبِ^(١٠) ، ورَصْدِ النجومِ .

(١) ما لم يحتسبوه : ما لم يحظر بياهم ، وقدرة حسابهم ، وما لم يترقبوه ، ويظنوه لديه .

(٢) الأكمه : الذي ولد أعمى مطبوس العين .

(٣) والخبر : أى الخبر عما ساف ، وما لهم من الوقائع والأيام والأنساب والمنازل .

(٤) الكهانة : معاناة علم النيب ب تلقينها عن الجن . وتكسر الكاف ، وتفتح . وفى ا ،

ب كتب عليها « معا » .

(٥) الخارق : الخالف . والأربعة فصول : هى المقدمة ، وهى البلاغة ، والشعر ، والخبر ؛

والكهانة .

(٦) النمط : الجنس والطريقة ؛ أى لا يعرفون مثل بلاغته لخروجها عن جنس بلاغتهم

وما يمهّدونه فى مخاطباتهم ومحاوراتهم .

(٧) السكواتن : جمع كائن ؛ أى عما سيكون فى المستقبل من الميبيات .

(٨) والضمائر : أى ما أضمره فى أنفسهم كقصة مسجد الضرار .

(٩) اجتمعا : اقلما بعد إبطالها ؛ أى أزالها بالسكالية .

(١٠) برجم الشهب : أى برمى الشياطين بشهب تمنهم من استراق السمع .

وجاء^(١) من الأخبار عن القرون السالفة ، وأنباء الأنبياء ، والأمم البائدة^(٢) ،
والحوادث الماضية - ما يُعجزُ مَنْ تفرَّغَ لهذا العلم عن بعضه على الوجوه التي بسطناها
وبينا المعجزَ فيها .

ثم بقيت هذه المعجزة^(٣) الجامعة لهذه الوجوه إلى الفصول الأخرى التي ذكرناها
في معجزات القرآن ثابتة إلى يوم القيامة بينة الحجية لكل أمة تأتي ، لا يخفى
وجوه ذلك على مَنْ نظرَ فيه ، وتأملَ وجوه إعجازه .

إلى ما أخبر به^(٤) من الغيوب على هذه^(٥) السبيل ؛ فلا يمرَّ عَصْرٌ ولا زَمَنٌ
إلا ويظهر فيه صدقُه بظهور مُخبره^(٦) على ما أخبر ؛ فيتجددُ الإيمانُ ، ويتظاهر^(٧)
البرهان ؛ وليس الخبر كالإيمان^(٨) كما قيل .

وللمشاهدة زيادة في اليقين ، والنفسُ أشدُّ طمأنينة^(٩) إلى عين اليقين منها إلى
علم اليقين ؛ وإن كان كلُّ عندا حقاً .

وسائر معجزات الرسل انقرضت بانقراضهم ، وعدمت بذواتها^(١٠) ؛

(١) وجاء : أى في القرآن .

(٢) البائدة : الهالكَة الفانية في الزمن السابق .

(٣) هذه المعجزة : أى القرآن . (٤) أى مع ما أخبر به من المنبيات .

(٥) فى ا ، ب : هذه . والسبيل يذكر ويؤنث .

(٦) صدقه : أى صدق القرآن ، أو النبي . مخبره : ما أخبر به ، أو خبره .

(٧) ويتظاهر البرهان : ويقوى الدليل ويزيد قوة .

(٨) الإيمان - بكسر الميم : المعاينة والمشاهدة .

(٩) النفس أشد طمأنينة إلى ما تتيقنه بالمعينة والمشاهدة منها إلى العلم التيقن بالبرهان
القاطع .

(١٠) انقرضت : انقطعت ، وذهبت معهم بسبب ذهابهم . بعدم ذواتها: أى تلك المعجزات

لمدم فتقرض عند ذهاب الأنبياء من الدنيا .

ومعجزة نبينا صلى الله عليه وسلم لا تنبئ^(١) ولا تفتقع، وآياته تتجدد ولا تضمحل؛ ولهذا أشار صلى الله عليه وسلم بقوله فيما حدثنا القاضى الشهيد أبو عليّ، حدثنا القاضى أبو الوليد، حدثنا أبو ذرّ، حدثنا أبو محمد، وأبو إسحاق، وأبو الهيثم؛ قالوا: حدثنا الفربري، حدثنا عبد العزيز بن عبد الله، حدثنا الليث، عن سعيد، عن أبيه، عن أبي هريرة رضى الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم؛ قال^(٢): مامن الأنبياء نبيّ إلا أعطى من الآيات ما مثله آمن عليه البشر؛ وإنما كان الذى أوتيت وحياً أوحاه^(٣) الله إلىّ؛ فأرجو أنّي أكثرهم تابعا يوم القيامة.

هذا معنى الحديث عن بعضهم؛ وهو الظاهر والصحيح إن شاء الله.

وذهب غير واحد من العلماء فى تأويل هذا الحديث وظهور معجزة^(٤) نبينا صلى الله عليه وسلم إلى معنى آخر من ظهورها بكونها وحياً وكلاما لا يمكن التخيل فيه، ولا التحيل عليه، ولا التشبيه^(٥)؛ فإن غيرها من معجزات الرسل قد رام^(٦) المعاندون لها بأشياء طمعوا فى التخيل بها على الضعفاء كإلقاء السحرة حبالهم وعصيتهم [١٣٥] وشبهه هذا بما يخيل الساحر، أو يتحيل فيه.

(١) لا تنبئ: لا تنفى.

(٢) فى حديث رواه البخارى، ومسلم، والنسائى. واللفظ للروى هنا للبخارى:

صحيح البخارى: ٩ - ١١٣

(٣) أى ليس نبى منهم إلا أعطاه الله من المعجزات شيئا ألجا من شاهده إلى الإيمان به.

(٤) يعنى القرآن المعجز.

(٥) التخيل: من الخيال. والتحيل: من الحيلة. أى لا يمكن الواقف عليه أن يقول إنه تخيل وتمويه لا أصل له، ولا أن يعمل حيلة فى الإتيان بمثله، كما فعل سحرة موسى بحبالهم إذ جعلوها تتحرك كمصاه.

(٦) رام: قصد، وطلب.

والقرآنُ كلامٌ ليس للحيلةِ ولا للسحرِ، ولا للتخييل فيه عملٌ^(١)؛ فكان من هذا الوجه عندم^(٢) أظهرَ من غيره من المعجزات^(٣)، كما لا يتمُّ لشاعرٍ ولا لخطيب أن يكون شاعرا أو خطيبا بضربٍ من الخيلِ والتَّمويهِ^(٤).
والتأويلُ الأولُ أخلصُ وأرضى^(٥).

وفي هذا التأويل الثاني ما يفضُّ عليه الجفنُ، ويُفضى^(٦).
ووجهُ ثالث^(٧) على مذهبٍ من قال بالصرِّفةِ^(٨)، وأنَّ المعارضةَ^(٩) كانت

(١) عمل : تأثير . فإن ساحرا لو أتى عاميا لا قدرة له على كلام حسن ، ثم سحره بجميع أنواع سحره ، لا يمكنه أن يقوم في ناد منشدا أو خطيبا ؛ فذلك أمر لا يمكن إيجاده لغير خالق القوى ؛ فنجد الجلف الأعرابي يتكلم بكلام عند أعتق الناس وأظرفهم لا يمكنه أن يأتي بشيء منه .

(٣) وذلك لعدم قبول التخييل والتمويه .

(٤) التمويه : مأخوذ من قولهم : موه النحاس بذهب أو فضة ليوم من رآه أنه ذهب أو فضة .

(٥) الأول : الذي قال إنه الظاهر الصحيح . وأخلص : أصفى من الكدر ، أى الإشكال . أو المراد : أجود ، وأكثر سلامة . وأرضى : أكثر رضا وقبولا عند العقول السليمة .

(٦) ما يفضُّ : ضبطلت في افتتاح الميم ، وفي ب بفتحها مشددة ، أى يفضى . ويفضى : من أغضى الجفن ، إذا أطبقه ، أو بمعنى سكت .

(٧) ووجه ثالث : في إعجاز القرآن ، وأنه أعظم معجزاته صلى الله عليه وسلم . وفي هامش ا : رابع .

(٨) بالصرِّفة : أى إن إعجازه بصرف الله قدرتهم وتمكنهم من معارضته ، مع أنهم بحسب الجبلة قادرون على الإتيان بمثله لولا ما ذكر .

وإلى ذلك ذهب النظام ، وكثير من المعتزلة ، والشريف المرتضى من الشيعة .

(٩) المعارضة له : الإتيان بمثله .

في مقدور البشر؛ فصرّفوا عنها^(١)، أو على أحدِ مذهبي أهل السنة من أن الإتيانَ بمثله من جنس مقدورهم؛ ولكن لم يكن ذلك قبلاً، ولا يكون بعد؛ لأن الله تعالى لم يُقدِرهم، ولا يُقدِرهم عليه .

وبين المذهبين فرقٌ بيّن^(٢)، وعليهما جميعاً^(٣) قترَكُ العرب الإتيانَ بما في مقدورهم، أو ما هو من جنس مقدورهم^(٤)، ورَضَاهُم بالبلاء والجلَاء، والسبَاء^(٥) والإذلال، وتغيير الحال، وسلب النفوس والأموال^(٦)، والتفريع والتوبيخ، والتعجيز والتهديد والوعيد أبينُ آيةٍ للمعجزِ عن الإتيانِ بمثله، والنكول^(٧) عن معارضته؛ وأنهم مُنعوا عن شيء هو من جنس مقدورهم .

وإلى^(٨) هذا ذهب الإمامُ أبو الماعلى الجويني^(٩) وغيره؛ قال: وهذا عندنا

(١) فصرّفوا عنها: إما بسبب قدرتهم ودواعيهم، أو بطلب علمهم بتأليف كلام مثله وتمكّنهم منه .

(٢) هذا الفرق ظاهر لتمكّنهم على الأول من الإتيان بمثله، لكن صرفوا عنه . ولعدم تمكّنهم منه على الثاني مع أنه من جنس مقدورهم، ومثله في الجملة .

(٣) وعابهما جميعاً: على هذين القولين، والمذهبين .

(٤) الإتيان بما في مقدورهم على المذهب الأول؛ وتركهم ما هو من جنس مقدورهم على المذهب الثاني .

(٥) البلاء: ما ابتلوا به من الحن بسبب عنادهم، والجلاء: إخراجهم من ديارهم وأوطانهم . والسبأ: سبي أولادهم وأهلهم واسترقاقهم .

(٦) سلب النفوس: بالقتل والفتك بهم، وأخذ الأموال في الغنائم .

(٧) النكول: النكوص، والرجوع، والإعراض، والامتناع .

(٨) وإلى هذا المذهب؛ وهو أنهم قادرون على شيء من جنسه عاجزون عن مثله

لا بالصرة . (٩) الإمام الجويني: هو عبد الملك بن عبد الله بن يوسف النيسابوري

الشافعي إمام الحرمين أعلم أئمة الشافعية، وهو إمام أهل السنة عرباً وعجماً، فرد الأمة . توفي سنة ٥٤٧٨ هـ .

أبلغ في خرقِ العادةِ بالأفعالِ البدیعةِ في أنفسها^(١) ، كقلبِ العصا حيةً ونحوها ، فإنه قد يسبقُ إلى بالِ الناظرِ بداراً^(٢) أن ذلك من اختصاصِ صاحبِ ذلكِ بمزيةِ معرفة^(٣) في ذلك الفنِّ ، وفَضْلِ علمٍ إلى أن يردَّ ذلك صحيح^(٤) النظرِ .

وأما التحدُّى للخلائقِ مئين من السنينِ بكلامٍ من جنسِ كلامهم ليأتوا بمثله فلم يأتوا ، فلم يبقَ بعد توفُّرِ الدواعي^(٥) على المعارضة ثم عَدَمها إلا مَنعُ اللهُ الخلقَ^(٦) عنها بمثابة^(٧) ما لو قال نبيٌّ: آتيني أن يمنعَ اللهُ القيامَ عن الناسِ مع مقدرتهم عليه ، وارتفاعِ الزمَانَةِ^(٨) عنهم ؛ فكان ذلك ؛ وعَجَزَهُمُ اللهُ تعالى عن القيامِ — لكان ذلك من أبهَرِ آيةٍ^(٩) ، وأظهرِ دلالةٍ . والله التوفيق .

وقد غاب عن بعضِ العلماءِ وجهُ ظهورِ آيتهِ على سائرِ آياتِ الأنبياءِ ، حتى احتاج المُعذِرُ عن ذلكِ بدقَّةِ أفهامِ العربِ ، وذكاءِ ألبابِها^(١٠) ، ووفُورِ عقولِها ، وأنهم أدركوا المعجزةَ فيه بفطنتهم^(١١) ، وجاءهم^(١٢) من ذلك بحسبِ إدراكهم ، وغيرهم

(١) البدیعة : المبتدعة الغريبة . في أنفسها : أي في حد ذاتها .

(٢) بدارا : أول نظرة .

(٣) صاحب ذلك الأمر الذي ظهر على يديه . بمزية معرفة : بزيادة معرفة امتيازها

عمن لم يقدر عليه .

(٤) صحيح النظر : أي يرده بالتأمل والتدبر فيه حتى يعلم إعجازه .

(٥) توفُّرِ الدواعي : كثرة ما يدعُوهم إلى معارضته ويحثهم عليها ، من الحمية الجاهلية . . .

(٦) منع اللهُ الخلقَ عنها : بالصرفة ، أو بدمم القدرة على نوعه دون جنسه كما تقدم في

(٧) بمثابة : بمنزلة .

للذہبين .

(٨) ارتفاع الزمَانَةِ عنهم : ألا يكونوا مقمدين ؛ وهو بيان لقدرتهم على القيام .

(٩) أبهَرِ آية : أقوى وأظهر معجزة .

(١٠) ألبابها : عقولها .

(١١) بفطنتهم : قوة ذكائهم .

(١٢) وجاءهم من ذلك : أي حصل في نفوسهم من معرفة إعجازه وظهوره على غيره ، على

مقدار إدراكهم وقوته .

مِنَ الْقِبْطِ وَبَنِي إِسْرَائِيلَ وَغَيْرِهِمْ لَمْ يَكُونُوا بِهَذِهِ السَّبِيلِ ؛ بَلْ كَانُوا مِنَ الْغَبَاوَةِ
 وَقِلَّةِ الْفِطْنَةِ بِمِثِّ جَوْزَ عَلَيْهِمْ فِرْعَوْنُ أَنَّهُ رَبُّهُمْ ، وَجَوْزَ عَلَيْهِمُ السَّامِرِيُّ^(١) ذَلِكَ فِي
 الْعِجْلِ بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ، وَعَبَدُوا الْمَسِيحَ مَعَ إِجْمَاعِهِمْ عَلَى صَلْبِهِ ؛ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ
 وَلَكِنْ شُبِّهَ^(٢) لَهُمْ ؛ فِجَاءَتِهِمْ مِنَ الْآيَاتِ الظَّاهِرَةِ الْبَيِّنَةِ لِلْأَبْصَارِ بِقَدْرِ غِلْظِ أَفْهَامِهِمْ
 مَا لَا يَشْكُونُ فِيهِ ، وَمَعَ هَذَا^(٣) فَقَالُوا^(٤) : « لَنْ نُوْثِنَ لَكَ حَتَّى تَرَى اللَّهَ جَهْرَةً^(٥) .
 وَلَمْ يَصْبِرُوا عَلَى الْمَنِّ وَالسَّلْوَى^(٦) ؛ وَاسْتَبَدَلُوا الَّذِي هُوَ أَدْنَى^(٧) بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ .
 وَالْعَرَبُ عَلَى جَاهِلِيَّتِهَا أَكْثَرُهَا يَمْتَرِفُ بِالصَّانِعِ^(٨) ، وَإِنَّمَا كَانَتْ تَتَقَرَّبُ بِالْأَصْنَامِ
 إِلَى اللَّهِ زُلْفَى^(٩) .

وَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ^(١١) بِاللَّهِ وَحَدَّهَ مِنْ قَبْلِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [١٣٦]
 بِدَلِيلِ عَقْلِهِ وَصَفَاءِ لُبِّهِ .

- (١) السامري : رجل من بني إسرائيل . وقد أوهمهم أن العجل ربهم فعبدوه . قال
 القاري (١ — ٧٦٣) : واسمه موسى بن ظفر .
 (٢) شبه لهم : ألقي شبهه على رجل إسرائيلي ، فظن اليهود أنه عيسى ؛ فصلبوه ؛ أي صلبوا
 من ألقي عليه الشبه .
 (٣) ومع هذا : ومع هذا الظهور . (٤) هذا في ا ، ب .
 (٥) سورة البقرة ، آية ٥٥ .
 (٦) جهرة : معاينة بأبصارنا ، لشكهم فيما أتاهم به .
 (٧) اللن : طل كالمسل ينزل على الأشجار فيجمع ويؤكل . والسلوى : طائر كالمسائي .
 وكانوا لما خرجوا من التيه قالوا لموسى : أخرجتنا من العمران للفقير ، فادع الله أن
 يرزقنا ، فرزقهم اللن . ثم سألوه أن يطعمهم من اللحوم ، فأتاهم بالسلوى ، فكانوا يأخذونها
 بأيديهم ؛ ثم قالوا : لن نصبر على طعام واحد .
 (٨) الذي هو أدنى : أي طلبوا بدلا أدنى مما عندهم ، وهو الفول والمدس والبصل .
 (٩) بالصانع : أي بوجوده تعالى .
 (١٠) زلني : قربي ؛ أي لتتقرب إلى الله .
 (١١) كزيد بن عمرو بن نفيل ، وقس بن ساعدة ، وأميه بن أبي الصلت .

ولما جاءهم الرسولُ بكتابِ الله فهموا حكمتَهُ ، وتَبَيَّنُوا بِفَضْلِ إِدْرَاكِهِمْ لِأَوَّلِ
وَهْلَةٍ ^(١) مَعْجَزَتِهِ ؛ فَآمَنُوا بِهِ ، وَازْدَادُوا كُلَّ يَوْمٍ إِيمَانًا ، وَرَفَضُوا الدُّنْيَا كُلَّهَا فِي
صَحْبَتِهِ ^(٢) ، وَهَجَرُوا دِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ ، وَقَتَلُوا آبَاءَهُمْ وَأَبْنَاءَهُمْ فِي نُصْرَتِهِ ، وَأَتَى ^(٣)
فِي مَعْنَى هَذَا بِمَا يَلُوخُ لَهُ رَوْنَقٌ ، وَيُعْجِبُ مِنْهُ زَبْرَجٌ ^(٤) لَوْ احْتِيجَ إِلَيْهِ [وَحَقَّقَ] ^(٥) ؛
لَكِنَّا ^(٦) قَدَّمْنَا مِنْ بَيَانِ مَعْجَزَةِ ^(٧) نَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَظُهُورِهَا مَا يُغْنِي عَنْ
رُكُوبِ بَطُونِ هَذِهِ الْمَسَالِكِ وَظُهُورِهَا ^(٨) .

وَبِاللَّهِ أَسْتَمِينُ . [وَهُوَ حَسْبِي ، وَنَعْمَ الْوَكِيلُ] ^(٩) .

آخر القسم الأول ، ويليه القسم الثاني

- (١) لأول وهلة : في أول نظرة بالبديهة ؛ يقال : لقينته أول وهلة : أى أول شيء .
- (٢) في صحبته : أى لاختيار صحبته على كل شيء ، أو ببركة متابعتة .
- (٣) وأتى : أى هذا القائل الذى غاب عنه ماتقدم .
- (٤) يلوخ : يظهر . رونق : لفظ حسن . والزبرج : الزينة والوشى الذى هو كالطلاء .
وفي هامش ا : الزبرج : الزينة . وهو أيضا الذهب .
- (٥) حقق : بينت حقيقته . وليس ما بين القوسين في ب .
- (٦) في ب : ولكنا .
- (٧) في ب : معجزات .
- (٨) يريد ما بينى عن ادعاء مثل هذه الأمور .
- (٩) ليس في ا .

رقم الإيداع بدار الكتب ٣٩٦٦ / ١٩٧٧

الشُّكَا

بتعريف جُحَوق المصطفى

للقاضي عيَّاض

أبي الفضل عيَّاض بن موسى بن عيَّاض اليحصبي

٤٧٦ هـ - ٥٤٤ هـ

تحقيق

علي محبت البجاوي

الجزء الثاني

الناشر

دار النايب العربي

ص ١١-٥٧٦٩ بيروت

جميع الحقوق محفوظة
لدار الكتاب العربي
١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م

دار الكتاب العربي

الرملة البيضاء - ملكارت سنتر - الطابق الرابع تلفون: ٨٠٥٤٧٨/٨٠٠٨١١/٨٠٠٨٣٢

تلکس: ٤٠١٣٩ L.E. كتاب برقيا: الكتاب ص.ب: ٥٧٦٩ - ١١ بيروت - لبنان

القِيمُ الثَّانِي

فيما يجب على الأنام من حقوقه صلى الله عليه وسلم^(١)

قال القاضي أبو الفضل رحمه الله : وهذا قِيمٌ لخصنا فيه الكلامَ في أربعة أبواب على ما ذكرناه في أول الكتاب ، ومجموعها^(٢) في وجوب تصديقه واتباعه [في سنته]^(٣) وطاعته ، ومحَبَّته ومُنَاصِحَتِهِ^(٤) ، وتوقيره وبره^(٥) ، وحُكْمِ الصَّلَاةِ عليه والتسليم ، وزيارة قبره صلى الله عليه وسلم :

البَابُ الْأَوَّلُ

في فرض الإيمان به ووجوب طاعته واتباع سنته

إذا تقرر بما قدّمنا ثبوت نبوته وصحة رسالته ، وجب الإيمان به وتصديقه فيما أتى به ؛ قال الله تعالى^(٦) : ﴿ فَاٰمَنُوْا بِاللّٰهِ وَرَسُوْلِهِ وَالنُّوْرَ الَّذِي اُنزَلْنَا ﴾ .
وقال^(٧) : ﴿ اِنَّا اَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيْرًا . لَتَتُوْمِنُوْا بِاللّٰهِ وَرَسُوْلِهِ ﴾ .

-
- (١) الأنام: الخلق والناس . والحقوق : جمع حق ؛ وهو ما يستحقه عليه الصلاة والسلام .
(٢) مجموعها : أى محصلها وإجمالها . (٣) ليس في ب .
(٤) ومحَبَّته : بأن يكون النبي صلى الله عليه وسلم أحب إليه من نفسه وأهله وماله .
ومنَاصِحَتِهِ : إرادة الخير له . وفي قبول نصحه له في أمره ونهيهِ ، ونصحه لرسوله ودينه .
(٥) توقيره : تعظيمه والتأدب معه . وبره : بذل مافي وسعه له من المال وغيره من أمور الدنيا .
(٦) سورة التغابن ، آية ٨ . والنور الذي أنزلنا : أى ما أوحى إليه صلى الله عليه وسلم من الشريعة . وقيل: المراد به القرآن .
(٧) سورة الفتح ، آية ٨ ، ٩ . شاهدا على من صدق وكذب ليثاب أو يعاقب . ومبشرا لمن آمن بسعادة الدارين ، ونذيرا : منذرا ومخوفا لمن عصاك .

وقال^(١): ﴿فَأْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ .

فالإيمان بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم واجبٌ مُتَمَيِّنٌ^(٢) لا يتمُّ إيمانُ^(٣) إلا به ، ولا يصحُّ إسلامٌ إلا معه ؛ قال الله تعالى^(٤) : ﴿ وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا ﴾ .

حدثنا أبو محمد الخَشَنِيّ الفقيه بقراءتي عليه ، حدثنا الإمام أبو علي الطبري ، حدثنا عبد القافر الفارسي ، حدثنا ابن عمّرويه ، حدثنا ابن سُفْيَانَ ، حدثنا أبو الحسين ، حدثنا أمية بن بَسْطَامٍ^(٥) ، حدثنا يزيد بن زُرَيْعٍ ، حدثنا رَوْحٌ ، عن العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب ، عن أبيه ، عن أبي هريرة رضى الله عنه ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ قال^(٦) : أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ^(٧) النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَيُؤْمِنُوا بِي وَبِمَا جِئْتُ بِهِ ؛ فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا^(٨) مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِمَحْقِهَا ، وَحَسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ^(٩) .

(١) سورة الأعراف ، آية ١٥٨ . الأُمِّيُّ : المنسوب إلى أم القرى ، وهي مكة المكرمة . أو المنسوب إلى أمة العرب التي غالبها لم يقرأ أو يكتب . أو المنسوب إلى الأم ، يعني على الوصف الذي خرج به من بطن أمه ؛ ما اكتسب شيئاً من القراءة والكتابة ونحوهما (شرح القارى :

٢ — ٤) . وكلماته : أى بما أنزل عليه وطلّى غيره من الرسل .

(٢) متمين : فرض عين ، لا يمكن التخلص من حكمه .

(٣) فى ب : الإيمان . (٤) سورة الفتح : آية ١٣ . أعتدنا : أعددنا .

(٥) ضبطت اليم فى « بسطام » بالفتح والكسرة وفوقها « معا » .

(٦) حديث رواه مسلم ، والبخارى : صحيح مسلم : ٥٢ ، ٥٣ ، وصحيح البخارى :

١ — ١٤ (٧) أمرت : أمرنى الله ، إذ لا أمر له صلى الله عليه وسلم سواه . أن

أقاتل الناس : أى بمقاتلة الكفار ؛ أى إلا من أقر بالجزية .

(٨) عصموا : صانوا ، وحفظوا ، ومنعوا .

(٩) إلا بمحقتها : إلا أن تستحق إباحتها دماهم بقتل نفس ظلماً أو نحوه ؛ أو تستحق أموالهم

=

بمنح الزكاة أو ثبوت حق عليهم .

قال القاضي أبو الفضل^(١) :

والإيمانُ به — صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو تصديقُ نُبُوَّتِهِ ورسالةِ اللهِ له ، وتصديقُهُ في جميع ما جاء به وما قاله ، ومطابقةُ تصديقِ القلبِ بذلك شهادةَ اللسانِ^(٢) بأنه رسولُ اللهِ ؛ فإذا اجتمع التصديقُ به بالقلبِ ، والنطقُ بالشهادةِ بذلك باللسانِ ، ثمَّ الإيمانُ به والتصديقُ له كما وردَ في الحديثِ نَفْسِهِ^(٣) مِنْ رِوَايَةِ عَبْدِ اللهِ ابنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا : أَمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ^(٤) .

وقد زادهُ وُضوحاً في حديثِ جبريل^(٥) ؛ إذ قال^(٦) : أَخْبَرَنِي عَنِ الْإِسْلَامِ ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ . . . وذكرَ أركانَ الإسلامِ . . .

فقد قرَّرَ^(٧) أَنَّ الْإِيمَانَ بِهِ مَحْتَاجٌ إِلَى الْعَقْدِ بِالْجَنَانِ^(٨) ، وَالْإِسْلَامَ بِهِ مَضْطَرٌ إِلَى النَّطْقِ بِاللِّسَانِ^(٩) [١٣٧] .
وهذه الحالُ^(١٠) المحمودَةُ التامةُ .

= وحسابهم على الله ؛ أى أمرهم — بعد ما ذكر — موكلون إلى الله تعالى إذا شاء حسابهم على ما أسروه في أنفسهم ، وما لم يقف أحد عليه من الكفر والمعاصي ؛ فيثيب من يشاء ويعاقب من يشاء .
(١) هو المؤلف . وفي ب : قال المؤلف رحمه الله .

(٢) شهادة اللسان : بنطقه واعترافه .

(٣) الحديث السابق الذى رواه المصنف عن أبى هريرة . (٤) هذه رواية مسلم .

(٥) الذى رواه الشيخان : صحيح البخارى : ١ — ٢٠ ، وصحيح مسلم : ٣٩ ، ومسنده

أحمد : ١ — ٥٢ (٦) إذ قال له جبريل .

(٧) قرر : بين . (٨) العقد : الاعتقاد الجازم . الجنان : القلب .

(٩) مضطر : محتاج إليه ضرورة ، لأنه لا يظهر الانقياد بدونه إلى النطق باللسان : ليعلم

مافى قلبه . (١٠) وهذه الحالة : أى اعتقاد الجنان ، والنطق باللسان .

وأما الحال المذمومة فأنشهادةُ باللسانِ دونَ تصديقِ القلبِ ، وهذا هو النفاقُ ^(١) ؛ قال الله تعالى ^(٢) : ﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا : نَشْهَدُ بِإِنَّكَ لِرَسُولِ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لِرَسُولِهِ ؛ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴾ ؛ أى كاذبون فى قولهم ذلك ^(٣) عن اعتقادهم وتصديقهم ، وهم لا يمتدونه ؛ فلما لم تُصدّق ذلك ضمائرهم لم ينفخهم أن يقولوا بألسنتهم ما ليس فى قلوبهم ؛ فخرجوا عن اسمِ الإيمان ، ولم يكن لهم فى الآخرة حُكْمُهُ ^(٤) ؛ إذ لم يكن معهم إيمان ، ولَحِقُوا بالكافرين فى الدركِ الأسفلِ ^(٥) من النار ، وبقي عليهم حكمُ الإسلامِ ^(٦) ، بإظهار شهادةِ اللسانِ ، فى أحكامِ الدنيا المتعلقةِ بالأئمةِ وحكامِ المسلمين الذين أحكامهم على الظواهرِ ، بما أظهر رُوءهُ من علامةِ الإسلامِ ؛ إذ لم يُجعل للبشرِ سبيلٌ إلى السرائرِ ، ولا أمرُوا بالبحثِ عنها ؛ بل نهى النبيُّ صلى اللهُ عليه وسلم عن التحكّمِ عليها ^(٧) ؛ وذمَّ ذلك ، وقال : هَلَّا شَفَقْتَ عَن قَلْبِهِ ^(٨) .

وللفرقِ بين القولِ والعقدِ ^(٩) ما جُعلَ فى حديثِ جبريلَ ^(١٠) : الشَّهادةُ من الإسلامِ ، والتصديقُ من الإيمانِ .

(١) النفاق : إبطان الكفر وإظهار الإيمان . (٢) سورة « المنافقون » ، آية ١

(٣) فى قولهم ذلك : أى قولهم : إنك لرسول الله عن اعتقاد وتصميم .

(٤) حكمه : وهو دخول الجنة ؛ فهم فى الدرك الأسفل من النار مع الكفار .

(٥) الدرك الأسفل : الطبقة السفلى من دركاتِها .

(٦) حكم الإسلام ؛ أى فى الدنيا ، فيعاملون معاملة المسلمين فيما لهم وما عليهم .

(٧) التحكّم عليها : الحكم على السرائر .

(٨) قال النبي صلى اللهُ عليه وسلم ذلك لأسامة بن زيد فى حديث صحيح الأخبار ، حين

قتل واحدا ممن اضطر أن يسلم من الكفار ، لاعتقاده أن إسلامه بلسانه خوفا من القتل .

فقال له : أقتلته بعد أن أسلم . والحديث فى صحيح مسلم : ٩٦ ، وهو نسيم الرياض

(٣ — ٣٤٧) . (٩) أى مجرد التناظر بالشهادة بلسانه وانصديق بقلبه واعتقاده جنانه .

(١٠) حديث جبريل : لئذى تقدم فى سؤاله عن الإسلام والإيمان ، صفحة ٥٣٩

وبقيت حالجان أخريّان بين هذين :

إحداها — أن يصدّق بقلبه ثم يُحترَم^(١) — قبلَ اتّساعِ وقتِ للشهادةِ بلسانه ؛
فاختلف^(٢) فيه ؛ فشرطَ بعضهم من تمامِ الإيمانِ القولَ والشهادةَ به^(٣) ؛ وراه
بعضهم مؤمنا مستوجبا^(٤) للجنة ؛ أقوله صلى الله عليه وسلم^(٥) : « يخرج من النار
من كان في قلبه مثقالُ ذرّةٍ^(٦) من إيمان » ؛ فلم يذكر سوى ما في القلبِ .
وهذا مؤمنٌ بقلبه ، غيرُ عاصٍ ولا مُهرّطٍ بتركِ غيره^(٧) .
وهذا هو الصحيحُ في هذا الوجه .

الثانية : أن يصدّق بقلبه ويَطَوَّلَ مَهَلَهُ^(٨) ، وعيَمَ ما يلزمه من الشهادة ؛
فلم ينطق بها جملة^(٩) ولا استشهد في عمره^(١٠) ولا مرة ؛ فهذا اختلف فيه أيضا ؛
فقيل : هو مؤمن ؛ لأنه مصدّقٌ ، والشهادةُ من جملةِ الأعمال ؛ فهو عاصٍ
بتركِها غيرُ مَخْلِدٍ [في النار]^(١١) .

(١) يقال : اخترمته النية والموت ، إذا أتاه بنتة بسرعة .

(٢) اختلف فيه أمؤمن هو أم لا ؟

(٣) والشهادة به : أى باللسان .

(٤) هذا في ب ، وفي ا : ورواه : مستوجبا : مستحقا .

(٥) في حديث رواه الشيخان : صحيح مسلم : ٩٣ ، وصحيح البخارى : ١ — ١٣

(٦) مثقال ذرة : وزنها ومقدارها في الثقل . والذرة : صنار الثقل ؛ والهباء ، وهو

كناية عن غاية القلة .

(٧) بتركِ غيره : وهو التلفظ بالشهادة .

(٨) الهل ، بيم وهاء مفتوحتين ، ويجوز لسكين هائه مع فتح ميمه وضمها : التؤدة

والتأنى ، والمراد لازمه ، وهو طول الزمن ، والمراد زمان سكوته وعدم نطقه بالشهادة .

(٩) جملة : المراد به مجموعها بأن لم يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والقدر خيره

وشره (١٠) في عمره : مدة حياته .

(١١) من ب .

وقيل : ليس بمؤمن حتى يقارن عقده^(١) شهادة اللسان ؛ إذ الشهادة إنشاء عقدي ، والتزام إيمان ؛ وهي مرتبطة^(٢) مع العقد ، ولا يتم التصديق مع المهلة إلا^(٣) بها .

وهذا هو الصحيح .

وهذا نبذ^(٤) يُفَضَى إلى مَنَسَحٍ من الكلام في الإسلام والإيمان وأبوابهما ، وفي الزيادة فيهما والنقصان ، وهل التجزئى مُمْتَنِع على مجرد التصديق لا يصح فيه جملة ؛ وإنما يرجع إلى ما زاد عليه من عمل ؛ وقد يعرض فيه^(٥) لاختلاف صفاته وتباين حالاته ؛ من قُوَّةِ يَقِين ، وتصميم اعتقاد^(٦) ، ووضوح معرفة ، ودوام حالة ، وحضور قلب .

وفي بسط هذا خروج عن غرض التأليف ؛ وفيما ذكرنا غنية^(٧) فيما قصدنا إن شاء الله .

فصل

[في وجوب طاعته]

وأما وجوب طاعته ، فإذا وجب الإيمان به وتصديقه فيما جاء به وجبت طاعته ؛ لأن ذلك مما أنى به ؛ قال الله تعالى^(٨) : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ .

(١) عقده : اعتقاد قلبه . وكلمة « شهادة » ضبطت في بالضم ، وفي بالفتح .

(٢) مرتبطة مع العقد : ملازمة متصلة بالاعتقاد القابل لاتفاقه ، فلا يكتفى بأحدهما .

(٣) إلاها : إلا بالشهادة والنطق بها . (٤) نبذ : شيء يسير . يفضى : يوصل .

(٥) وقد يعرض فيه : يطرأ على التصديق نفسه زيادة أو نقص أو تجزئة . وفي ب : يعرض -

وضبط الراء بالفتحة والضمة وعليها « مما » . وفي هامشه : قوله : يعرض - هو بفتح الياء

وضم الراء ، كذا قال الأصمى . والجمهور بكسر الراء . والصحيح الأول (من شرح مسلم

للنووي) . (٦) تصميم اعتقاد : الجزم به بحيث لا يقبل الشك ، عن دليل قوى .

(٧) غنية : كفاية مغنية . (٨) سورة الأنفال ، آية ٢٠

وقال ^(١) : ﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ ﴾ .

وقال ^(٢) : ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ .

وقال ^(٣) : ﴿ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا ﴾ .

وقال ^(٤) : ﴿ مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾ .

وقال ^(٥) : ﴿ وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ .

وقال ^(٦) [١٣٨] : ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ

مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴾ .

وقال ^(٧) : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ ؛ فجعل تعالى طاعة

رسوله طاعته ، وقرن طاعته بطاعته ، ووعد على ذلك بجزيل النواب ؛ وأوعد

على مخالفته بسوء العقاب ^(٨) ، وأوجب امتثال أمره ، واجتناب نهيه .

قال المفسرون والأئمة : طاعة الرسول التزام سنته والتسليم لما جاء به .

وقالوا : وما أرسل الله من رسولٍ إلا فرض طاعته على من أرسله إليه .

وقالوا : مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فِي سُنَّتِهِ ^(٩) يُطِيعِ اللَّهَ فِي قَرَأْتِهِ .

وسئل سهل بن عبد الله عن شرائع الإسلام ؛ فقال ^(٥) : ﴿ وَمَا آتَاكُمْ

الرَّسُولُ فَخُذُوهُ ﴾ .

(١) سورة آل عمران ، ٣٣ (٢) سورة آل عمران ، آية ١٣٣

(٣) سورة النور ، آية ٥٤ . جعل هدايتهم متوقفة على طاعته .

(٤) سورة النساء ، آية ٨٠ ، جعل طاعته هي طاعة الله ؛ لأنه لا يأمر إلا بأمره ، ولا ينهى

إلا بنهيه . (٥) سورة الحشر ، آية ٧ (٦) سورة النساء ، آية ٦٩

(٧) سورة النساء ، آية ٦٤

(٨) الجزيل : العظيم أو الكثير . وسوء العقاب : العقاب السيء .

(٩) المراد بالسنة : طريقته وشريعته .

وقال السمرقندي : يقال : أطيعوا الله في فرائضه ، والرسول في سنّته . وقيل :
أطيعوا الله فيما حرّم عليكم ، والرسول فيما بأنّكم .

ويقال : أطيعوا الله بالشهادة له بالرّبوبيّة ، والنبيّ بالشهادة له بالنبوّة .

حدثنا أبو محمد بن عتّاب بقراءتي عليه ، حدثنا حاتم بن محمد ، حدثنا أبو الحسن
عليّ بن محمد بن خاف ، حدثنا محمد بن أحمد ، حدثنا محمد بن يوسف ، حدثنا البخاريّ ،
حدثنا عبدان ، أخبرنا عبد الله ، حدثنا يونس ، عن الزّهريّ ، أخبرني أبو سلّمة
ابن عبد الرحمن - أنه سمع أبا هريرة يقول : إنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
مَنْ أطاعني فقد أطاع الله ، ومَنْ عصاني فقد عصى الله ، ومَنْ أطاع أميرى ^(١) فقد
أطاعني ، ومَنْ عصى أميرى فقد عصاني .

فطاعة الرسول من طاعة الله ؛ إذ الله أمر بطاعته ؛ فطاعته امتثالٌ لما أمر
الله به ، وطاعة له .

وقد حكى الله عن الكفار في دركات ^(٢) جهنم : (يوم ^(٣) نُقلبُ وجوههم في النار
يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولاً) ؛ فتمنّوا طاعته حيث لا ينفعهم التّمنى .
وقال صلى الله عليه وسلم ^(٤) : إذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه ، وإذا أمرتكم
بأمرٍ فأتوا منه ما استطعتم ^(٥) .

(١) أميرى : من جملة هو أو خانهاؤه كما على أمته . والحديث في صحيح مسلم : ١٤٦٦ ،

وصحيح البخاريّ : ٤ - ٦٠ .

(٢) في دركات جهنم : أى في محلهم الأسفل منها . (٣) سورة الأحزاب ، آية ٦٦

(٤) في حديث رواه الشيخان : صحيح مسلم : ٩٧٥ ، صحيح البخاريّ : ٩ - ١١٧

(٥) ما استطعتم : ما قدرتم عليه من غير ترك للواجب بغير عذر . والمراد افعلوا على قدر

استطاعتكم . قال النووي : وهذا الحديث من جوامع الكم وقواعد الإسلام ؛ يدخل

فيه كثير من الأحكام ، كمن عجز عن ركن من أركان الصلاة ، أو شرط من شروطها ، يأتى

بمقدوره ، ولا يسقط عنه مقدوره . ولذا قال الفقهاء : ليسور لا يسقط بالمسور .

وفي حديث أبي هريرة^(١) رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، عَنْهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : كُلُّ أُمَّتِي
يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أْبَى^(٢) .

قالوا : [يارسول الله]^(٣) ؛ وَمَنْ يَأْتِي ؟ قَالَ : مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ ، وَمَنْ
عَصَانِي فَقَدْ أْبَى^(٤) .

وفي الحديث الآخر الصحيح^(٥) عَنْهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَثَلِي وَمَثَلُ مَا بَعَثَنِي
اللهُ بِهِ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَتَى قَوْمًا^(٦) ، فَقَالَ : يَا قَوْمِ ؛ إِنِّي رَأَيْتُ الْجَيْشَ بَعَيْنِي ، وَإِنِّي
أَنَا النَّذِيرُ الْمُرِيانُ^(٧) ، فَالْنَّجَاءُ^(٨) ؛ فَأَطَاعَهُ طَائِفَةٌ مِنْ قَوْمِهِ ، فَأَدْلَجُوا^(٩) ، فَانْطَلَقُوا

(١) رواه الحاكم .

(٢) أبي : امتنع ، وسيأتي تفسير ذلك بعد .

(٣) ليس في أ .

(٤) أبي وامتنع من دخول الجنة ، لأنه بسبب تركه للطاعة باختياره كأنه دعى إلى الجنة
فامتنع .

(٥) رواه البخاري ، ومسلم : صحيح البخاري : ٨ - ١٢٦ ، وصحيح مسلم : ١٧٨٨

(٦) يحذروهم وينذروهم بعد وهم الذي قرب مجيئه لهلاكهم .

(٧) النذير : المنذر المعلم بما يحذر قبل وقوعه . المریان : المجرّد من ثيابه المكشوف جميع
بدنه ؛ وهو مثل تمثل به صلى الله عليه وسلم ، والمراد المبالغة في إنذاره ، ووضوح ما أنذر به ،
وعدم احتمال خلافه . وأصله أن الرجل كان إذا رأى العدو قرب من قومه جدا ، وأيس بينه وبينهم
حجاب يمنعهم من رؤيته ، وخشى أن يسبق خبره ، وقف على مكان عال ونزع عنه ثوبه ، ورفع
يلوح به ؛ أي بادروا إلى الحذر والفرار ؛ فقد جاءكم من العدو مالا تطيقونه . وقال القاري
(٢ - ١٣) : النذير المریان : أي الخوف الذي ليس له غرض في التحذير ؛ بل هو عار عن
التلبس والتدليس في وصف النذير .

(٨) فالنجاء : أي انجوا نجا بسرعة من غير لبث . أو الزموا النجاء .

(٩) أدلجوا : ساروا من أول الليل ، أو ساروا الليل كله هربا من عدوهم . وفي ب :

فادلجوا - بتشديد الدال .

على مهلمهم^(١) فتَجَوَّأُوا؛ وكذبت طائفةٌ منهم فأصبحوا^(٢) مكانهم ، فصبَّحهم^(٣) الجيشُ فأهلكهم واجتأحهم^(٤)؛ فذلك مثلُ مَنْ أَطَاعَنِي ، واتبِع ما جِئْتُ به ، ومثَل مَنْ عَصَانِي وكذَّب ما جِئْتُ به من الحقِّ .

وفي الحديث^(٥) الآخر في مثله : كَثَلِ مَنْ بَنَى دَارًا وجعلَ فيها مَأْدُبَةً^(٦) ، وبمَث دَاعِيًا ؛ فَن أَجَاب الداعِيَّ دخل الدارَ ، وأَكَل من المَأْدُبَةِ ؛ وَمَنْ لَمْ يُجِب الداعِيَّ لَمْ يَدْخُل الدارَ ولم يأْكُلْ من المَأْدُبَةِ ؛ فالدارُ الجنةُ ، والداعِيُ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ فَن أَطَاعَ مُحَمَّدًا فَقَدْ أَطَاعَ اللهُ ، وَمَنْ عَصَى مُحَمَّدًا فَقَدْ عَصَى اللهُ ؛ ومُحَمَّدٌ فَرَقٌ^(٧) بَيْنَ النَّاسِ .

فصل

[في وجوب اتباعه ، وامتنال أمره ، والافتداء بهديه]

وأما وجوبُ اتِّباعِهِ وامتنالِ^(٨) سُنَّتِهِ والافتداءِ^(٩) بهديِهِ ؛ فقد قال تعالى^(١٠) :

﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ .

- (١) على مهلمهم : متمهلين بتؤدة وتأن ، لسمة وقتهم .
 - (٢) أصبحوا مكانهم : مكثوا في مكانهم الذي كانوا فيه حتى دخلوا في الصباح .
 - (٣) صبَّحهم الجيش : أتاهم في وقت الصباح .
 - (٤) اجتأحهم : أهلكهم جميعا واستأصلهم ؛ فلم تبق لهم باقية من الدرارى والأموال .
 - (٥) رواه الشيخان . صحيح البخارى : ٩ - ١١٤
 - (٦) مأدبة : أظعمة كثيرة نفيسة ، أعدت لإكرام الضيوف والأصحاب .
 - (٧) فرق بين الناس : فارق بين المؤمنين والكافرين بإطاعته وعصيانته ؛ فمن آمن به فهو مؤمن ، ومن كذبه فهو كافر . وروى : فرق - بصيغة الماضى وتشديد الراء المهملة ؛ أى فرق بين مؤمنهم وكافرهم ، أو بين من دعى للجنة ومن لم يدع لها . قال في نسيم الرياض (٣-٣٥٩) :
- وهذا أنسب للسياق .
- (٨) ضبطت اللام في كلمة « امتثال » في الكسرة والضمة ، وفوقها « معا » .
 - (٩) سورة آل عمران ، آية ٣١ .

وقال^(١) : ﴿ فَاْمِنُوا بِاللّٰهِ وَرَسُولِهِ الَّذِي الَّذِي بُوْئِنُ بِاللّٰهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوْهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُوْنَ ﴾ [١٣٩] .

وقال^(٢) : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُوْنَ حَتّٰى يُحْكَمُوْكَ فَيَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوْا فِيْ اَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوْا تَسْلِيْمًا ﴾ ؛ أى ينفقون الحُكْمَكَ ؛ يقال : سلم ، واستسلم ، وأسلم ؛ إذا انقاد .

وقال^(٣) : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيْ رَسُولِ اللّٰهِ اُسُوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَنْ كَانَ يَرْجُوْ اللّٰهَ وَالْيَوْمَ الْاٰخِرَ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللّٰهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيْدُ ﴾ .

قال محمد بن علي الترمذى^(٤) : الأُسوةُ في الرسولِ الاقتداء به ، والاتباعُ لسُنَّتِهِ ، وتركُ مخالفتِهِ في قولٍ أو فعل .

وقال غيرُ واحدٍ مِنَ الْمَفْسَّرِيْنَ بِمعْنَاهُ .

وقيل : هو عِتَابُ الْمُتَخَلِّفِيْنَ^(٥) عَنْهُ .

وقال سهل - في قوله تعالى^(٦) : ﴿ صِرَاطَ الَّذِيْنَ اَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ - قال : بمتابعة

السنة ؛ فأمرهم تعالى بذلك^(٧) ، وَوَعَدَهُمُ الْاِهْتِدَاءَ بِاتِّبَاعِهِ ؛ لِأَنَّ اللّٰهَ تَعَالَى أَرْسَلَهُ بِالْهُدَى وَدِيْنَ الْحَقِّ لِيُزَكِّيَهُمْ وَيُعَلِّمَهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ^(٨) ، وَيَهْدِيَهُمْ إِلَى صِرَاطٍ

(١) سورة الاعراف ، آية ١٥٨ . وكلماته : التي نزل بها الوحي عليه ، وما أوحى إلى من قبله من الرسل من الكتب والشرايع .

(٢) سورة النساء ، آية ٦٥ . حتى يحكموك : يرحموا الحُكْمَكَ وترضوا به . شجر بينهم : وقع بينهم من المشاجرة والمخاصمة . والخرج : ضيق الصدر ، أو الشك .

(٣) سورة الممتحنة ، آية ٦ . أسوة : قدوة . حسنة : من حقها أن يؤتى بها ويقتدى .

(٤) هو الحكيم الترمذى الصوفى ، وليس صاحب السنن .

(٥) المتخلفين عنه : ممن لم يخرج مِمَّهْ لِمُحَارَبَةِ اَعْدَائِهِ .

(٦) سورة الفاتحة ، آية ٧ (٧) بذلك : باتباع شريعته .

(٨) ليُزَكِّيَهُمْ : ليُطَهِّرَهُمْ مِنَ الشَّرْكِ وَالْمَعَاصِي وَالْحِكْمَةُ : الْعُلُومُ النَّافِعَةُ الْمَحْكَمَةُ ، وَالشَّرِيعَةُ

التي صيرتهم حكماء متقنين للعلم والعمل .

مستقيم ، ووعدهم محبته تعالى في الآية الأخرى ومفترته^(١) إذا اتبعوه ، وآثروه على أهوائهم^(٢) ، وما تجنح^(٣) إليه نفوسهم ؛ وأن صحة إيمانهم بانهيادهم له ، ورضاهم بحكمه ، وترك الاعتراض عليه .

وروي عن الحسن أن أقواماً قالوا : يا رسول الله ؛ إنا نحب الله . فأزل الله تعالى^(٤) : ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ .

وروي أن الآية نزلت في كعب بن الأشرف وغيره ، وأنهم قالوا : نحن أبناء الله وأحباؤه ؛ ونحن أشد حبا لله ؛ فأزل الله الآية .

وقال الزجاج^(٥) : معناه إن كنتم تحبون الله^(٦) أن تصدوا طاعته ، فافعلوا ما أمركم به ؛ إذ محبة العبد لله والرسول طاعته أهما ، ورضاهما أمرًا ؛ ومحبة الله لهم عفوه عنهم ، وإنعامه عليهم برحمته .

ويقال : الحب من الله عصمة^(٧) وتوفيق ؛ ومن العباد طاعة ؛ كما قال القائل^(٨) :

(١) في قوله تعالى : إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحبكم الله ، ويفر لكم ذنوبكم . . .

(٢) آثروه : قدموه واختاروه . أهوائهم : جمع هوى ، وهو ما تميل إليه النفس وتدعو

إليه ، وهو إذا أطلق يراد به ما ليس بمحمود من الشهوات .

(٣) تجنح : تميل . (٤) سورة آل عمران ، آية ٣١ .

وفي أسباب النزول للواحدى (٥٧) : قال الحسن ، وابن جريج : زعم أقوام على عهد

رسول الله أنهم يحبون الله ، فقالوا : يا محمد ؛ إنا نحب ربنا ، فأزل الله هذه الآية . ثم روى

سببين آخرين لنزولها ، وارجع إليهما إن شئت هناك .

(٥) وقال الزجاج في تفسير هذه الآية .

(٦) هذا في ١ ، ب . وهو تفسير لمحبة العبد ، كما في شرح القارى .

(٧) عصمة : أى حفظ الله لعبده من مخالفة أمره ونهيه .

(٨) زهر الآداب : ١ - ٩٨ ، ونسبه فيه إلى محمود بن الحسن الوراق .

تَعْمَى الإِلهَ وَأَنْتَ تُظْهِرُ حُبَّهُ (١) هَذَا لِعَمْرَى فِي الْقِيَاسِ (٢) بِدَيْعٍ
لَوْ كَانَ حُبُّكَ صَادِقًا لِأَطْعَمْتَهُ إِنَّ الْحُبَّ إِنَّمَا يَجِبُ مُطِيعٌ
وَيُقَالُ : مَحَبَّةُ الْعَبْدِ لِلَّهِ تَعْظِيمُهُ لَهُ وَهَيْبَتُهُ (٣) مِنْهُ ؛ وَمَحَبَّةُ اللَّهِ لَهُ رَحْمَتُهُ لَهُ ، وَإِرَادَتُهُ
الْجَمِيلَ لَهُ ؛ وَتَكُونُ بِمَعْنَى مَدْحِهِ وَثَنَانِهِ عَلَيْهِ (٤) .

قَالَ الْقَشِيرِيُّ : فَإِذَا كَانَ (٥) بِمَعْنَى الرَّحْمَةِ وَالْإِرَادَةِ وَالْمَدْحِ كَانَ مِنْ صِفَاتِ
الذَّاتِ .

وَسَيَأْتِي بَعْدُ فِي ذِكْرِ مَحَبَّةِ الْعَبْدِ غَيْرُ هَذَا بِحَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى .

حَدَّثَنَا أَبُو إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمَ بْنِ جَعْفَرِ الْفَقِيهِ ؛ قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو الْأَصْبَغِ عَيْسَى
ابْنُ سَهْلٍ ، وَحَدَّثَنَا أَبُو الْحَسَنِ يُونُسُ بْنُ مُفَيْثِ الْفَقِيهِ بِقِرَاءَتِي عَلَيْهِ ؛ قَالَ : حَدَّثَنَا
حَاتِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ ؛ قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو حَفْصِ الْجَهَنِّيُّ ، حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ الْأَجْرِيُّ ، حَدَّثَنَا
إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُوسَى الْجَوْزِيُّ ، حَدَّثَنَا دَاوُدُ بْنُ رُشَيْدٍ ، حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ ، عَنْ
ثَوْرِ بْنِ يَزِيدٍ ، عَنْ خَالِدِ بْنِ مَعْدَانَ ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَمْرٍو الْأَسْلَمِيِّ (٦) ، وَحُجْرِ

== وَقَالَ فِي نَسِيمِ الرِّيَاضِ (٣ - ٣٦٣) : وَقِيلَ إِنَّهُ لِمَنْصُورُ الْفَقِيهِ ، وَقَالَ الْقَارِي فِي شَرْحِهِ :
قِيلَ : الْقَاتِلُ : رَابِعَةُ الْمَدْوِيَّةِ . وَفِي الْإِحْيَاءِ : إِنَّ قَاتِلَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ . قَالَ فِي نَسِيمِ الرِّيَاضِ :
وَمَعْنَى الشَّعْرِ أَنَّكَ تَدْعَى مَحَبَّةَ اللَّهِ وَأَنْتَ عَاصٍ لَهُ ، وَلَوْ كُنْتَ صَادِقًا لَمْ تَعْصَ ؛ لِأَنَّ الْحُبَّ لَا يَخَالَفُ
حُبِّيهِ .

(١) فِي شَرْحِ الْقَارِي : وَأَنْتَ تَزْعَمُ حُبَّهُ .

(٢) فِي الْقِيَاسِ : فِي الْفِعَالِ (الْحَفَاجِيُّ) .

(٣) هَيْبَتُهُ : خَوْفُهُ إِذَا تَأَمَّلَ عَظَمَتَهُ .

(٤) عَلَيْهِ : عَلَى الْعَبْدِ . (٥) كَانَ : أَيَّ الْحُبِّ .

(٦) بِحَوْلِ اللَّهِ : بِإِعَانَتِهِ وَقُوَّتِهِ .

(٧) هَذَا فِي ١ ، ب . وَفِي نَسِيمِ الرِّيَاضِ (٣ - ٣٦٤) : كَذَا فِي النُّسخِ ، وَصَوَابُهُ - كَمَا

فِي الْبِرْهَانِ : السُّلَمِيُّ - بَضْمُ السِّينِ الْمُهْمَلَةِ وَقَتْحُ اللَّامِ . وَفِي شَرْحِ الْقَارِي (٢ - ١٧) : بَنِي عَمْرٍو
السُّلَمِيُّ ، كَمَا صَوَّبَهُ الشُّهَابُ الْحَفَاجِيُّ .

الكلّاعي، عن العريّاض بن سارية في حديثه في موعظة النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : فمليكم^(١) بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين ؛ عضوا عليها بالنواجذ^(٢) ؛ وإياكم ومحدثات^(٣) الأمور ؛ فإن كلَّ محدثة^(٤) بدعة ، وكلَّ بدعة ضلالة .

زاد في^(٥) حديث جابر بمعناه : وكلُّ ضلالة في النار .

(١) عليكم : الزموا . والسنة : الطريقة . والخلفاء : جمع خليفة . والمراد بهم الخلفاء الأربعة ، ومن كان على طريقتهم كعمر بن عبد العزيز ، وأئمة الإسلام المجتهدين في إعلاء كلمة الله . والحديث في ابن ماجه : ١٥

(٢) النواجذ : جمع ناجذ : أقصى الأضراس ، وهي أربعة . أو الأنياب . والمراد الاجتهاد في التمسك بها .

وفي هامش ب : النواجذ : الأنياب . وقيل : الأضراس ؛ وهو بالبدال المعجمة .

(٣) المحدثات : جمع محدثة : وهو ما أحدث مما خالف الكتاب والسنة وإجماع المسلمين .

(٤) البدعة : ما لم يمهّد في عصره صلى الله عليه وسلم . وقد خصها الشارع بما هو مذموم ،

لمدم دخوله تحت القواعد الشرعية .

قال في نسيم الرياض (٣ - ٣٦٥) : هي - كما قال العز بن عبد السلام : تنقسم إلى واجبة ،

وحرة ، ومندوبة ، ومباحة ؛ فالندوبة كتدوين الكتب ، وعلم النحو ، واللغة ؛ والاشتغال

بذلك ، وإحداث الربط والمدارس .

ومن المكروه تزويق المصاحف والمساجد ، وتكبير العائم ، وتوسيع الملابس . ومن

الواجب وفرض الكفاية تعلم علم العربية الذي يتوقف عليه فهم كلام الله وكلام رسوله .

قال : ولا ينافي هذا قوله : كل بدعة ضلالة ؛ لأن البدعة لها معنيان : كل ما حدث بعد

المصر الأول ، وهو المقسم للأقسام المذكورة ؛ ولذا قال صلى الله عليه وسلم : من سن سنة

حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها ، وإليه الإشارة بقوله : سنة الخلفاء ، وقد خصها الشارع

بما هو مذموم ، لمدم دخوله تحت القواعد الشرعية ؛ وهذا هو المراد بالبدعة عند الإطلاق ؛

وهو الذي جعل ضلالة .

وفي عوارف المعارف ، وإحياء الفزالي : البدعة المذمومة : ما زاحم السنة الماثورة ، أو

كان يفضى إلى تغييرها .

(٥) رواه مسلم : صحيح مسلم : ٥٩٢ ، وسنن ابن ماجه : ١٨ ، وسنن أبي داود : ٢ - ١٦٩

وفي حديث أبي رافع^(١) عنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لا أَلْفَيْنَ^(٢) أَحَدَكُم مَّتَكِنًا عَلَى أَرِيكَتِهِ^(٣) ، يَأْتِيهِ الْأَمْرُ مِنْ أَمْرِي ، مِمَّا أَمَرْتُ بِهِ ، أَوْ نَهَيْتُهُ عَنْهُ ، فَيَقُولُ : [١٤٠] لا أَدْرِي ، مَا وَجَدْنَا فِي كِتَابِ اللَّهِ اتَّبَعْنَا^(٤) .

وفي حديث عائشة^(٥) رَضِيَ اللهُ عَنْهَا : صَنَعَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْئًا تَرَخَّصَ^(٦) فِيهِ فَتَنَزَّهَ^(٧) عَنْهُ قَوْمٌ ، فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ فَحَمَدَ اللهُ ، ثُمَّ قَالَ : مَا بِالْقَوْمِ^(٨) يَتَنَزَّهُونَ عَنِ الشَّيْءِ أَصْنَعُهُ ؛ فَوَاللَّهِ إِنِّي لَأَعْلَمُهُمْ بِاللَّهِ ، وَأَشَدَّهُمْ لَهُ خَشْيَةً .

وَرَوَى^(٩) عَنْهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : الْقُرْآنُ صَعْبٌ مُسْتَصْعَبٌ عَلَى مَنْ

(١) رواه أبو داود، والترمذي ، وابن ماجه : سنن أبي داود : ٢-١٦٩ ، وابن ماجه : ٦٦ ، والترمذي : ٥ - ٣٧

(٢) لا ألفين : لا أجدن .

(٣) الأريكة : سرير مزين يتخذ في قبة أو بيت . وقيل : هو كل ما اتكأ عليه من سرير أو فراش أو منصة ، أو محدة ، مما يفضله المترفون .

(٤) لا أدري : أي هذا الأمر نقلتموه لنا ، ولا أتبع ، ولا أعرف غير القرآن .
اتبعناه : دون غيره مما روى في الأحاديث ، ولم يعرف أن ما في الحديث عن الله تعالى ، وأن الوحي وحيان : متلو ، وغير متلو ، وأن السنة لا تخالف الكتاب ؛ فهو تحذير عن ترك امتثال أمره واجتناب نهيه ، والعمل بها ، وسنة رسوله ككتابه يجب اتباعها .

(٥) للروى في الصحيحين . وهذا لفظ البخاري : صحيح البخاري : ٩ - ١٢٠

(٦) ترخص فيه : أخذ فيه بالرخصة ، واختارها . والرخصة : الأمر المتخير من صعوبة إلى سهولة ؛ كقصر المسافر صلاته وإفطاره . قال القاري (٢ - ١٨) : والظاهر أن ما ترخص فيه هو الإفطار في السفر ، أو القصر ؛ وهو الأظهر .

(٧) تنزه عنه : تباعد .

(٨) ما بال قوم : ما شأنهم وحالهم ؟

(٩) رواه الديلمي ، وأبو نعيم ، وأبو الشيخ مسندا .

كْرِهَهُ^(١)، وَهُوَ الْحَكْمُ^(٢)؛ فَمَنْ اسْتَمْسَكَ بِحَدِيثِي وَفِيهِمْ وَحَفِظَهُ جَاءَ مَعَ^(٣) الْقُرْآنِ؛ وَمَنْ تَهَاوَنَ بِالْقُرْآنِ وَحَدِيثِي خَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، أَمَرْتُ أُمَّتِي^(٤) أَنْ يَأْخُذُوا بِقَوْلِي، وَيُطِيعُوا أَمْرِي، وَيَتَّبِعُوا سُنَّتِي؛ فَمَنْ رَضِيَ بِقَوْلِي فَقَدْ رَضِيَ بِالْقُرْآنِ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى^(٥): ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ، وَمَا نَهَاكُمُ عَنْهُ فَانْتَهُوا^(٦) وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ .

وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ اقْتَدَى بِي فَهُوَ مِنِّي^(٧)، وَمَنْ رَغِبَ^(٨) عَن سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ^(٩): إِنْ أَحْسَنَ الْحَدِيثَ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ^(١٠)، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا . وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو^(١١) بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ

(١) قد صير الله القرآن صعباً على من كرهه، ولم يرد حفظه وتدبر آياته . وأما من أحبه وتلذذ بتلاوته، وداوم على مدارسته وتأمله فيسهله الله تعالى عليه .

(٢) الحكم : الذي يحكم بين الناس بما تضمنه من الأحكام .

(٣) جاء مع القرآن : أي يوم القيامة .

(٤) أمرت أمتي : أمر الله أمتي . وكلمة « أمتي » ليست في أ .

(٥) سورة الحشر، آية ٧

(٦) أي ارضوا بما رضىه، واكروهوا ما كرهه؛ فإن سننه مبينة موضحة للقرآن؛ فمن

خالفه فقد ضل .

(٧) فهو مني : أي من أتباعي وأشباعي الذين يحشرون معي ويتصلون بي كأنهم بعض

منى لا ينفصل عني .

(٨) ومن رغب عن سنتي : أي تركها وأعرض عنها .

(٩) الحديث رواه ابن ماجه : سنن ابن ماجه : ١٧

(١٠) الهدى : السيرة والطريقة .

(١١) في حديث رواه أبو داود، وابن ماجه : سنن ابن ماجه : ٢١

عليه وسلم: العلم ثلاثة: فاسوَى ذلك فهو فضل^(١): آية مُحْكَمَةٌ^(٢)، أو سنة قائمة^(٣)، أو فريضة عادلة^(٤).

وعن الحسن^(٥) بن أبي الحسن رضي الله عنه: قال صلى الله عليه وسلم: عمل قليل في سنة^(٦) خير من عمل كثير في بدعة.

وقال صلى الله عليه وسلم: إن الله تعالى يدخل العبد الجنة بالسنة تمسك بها^(٧).

وعن أبي هريرة^(٨) رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: المتمسك بسنتي عند فساد أمتي له أجر مائة شهيد.

وقال^(٩) صلى الله عليه وسلم: إن بني إسرائيل افرقوا على اثنتين وسبعين ملة^(١٠)؛ وإن أمتي تفرق على ثلاث وسبعين، كلها في النار إلا واحدة. قالوا: ومن هم يارسول الله؟ قال: الذي أنا عليه اليوم وأصحابي.

(١) فضل: زائد لا حاجة إليه ولا يفتقر إليه.

(٢) محكمة: غير متشابهة، أو غير منسوخة.

(٣) قائمة: دأمة مستمرة، يعني لم تنسخ لدوام العمل بها.

(٤) عادلة: لا جور فيها.

(٥) حديث رواه عبد الرزاق عن معمر مرسلًا، والدارمي، متصلًا عن ابن مسعود.

والحسن: هو الحسن البصري.

(٦) في سنة: موافق للسنة ومصاحب لها.

(٧) تمسك بها: امتثالها وعمل بها مخلصًا. وفي ب: يتمسك بها.

(٨) في حديث رواه الطبراني في الأوسط.

(٩) في حديث رواه الترمذي، وابن ماجه: سنن الترمذي: ٥ - ٢٥، وسنن ابن

ماجه: ١٣٢٠.

(١٠) ملة: مذهبها أو دينها.

وعن أنس^(١) : قال صلى الله عليه وسلم : مَنْ أَحْيَا سُنَّتِي فَقَدْ أَحْيَانِي^(٢) ،
وَمَنْ أَحْيَانِي كَانَ مَعِي فِي الْجَنَّةِ^(٣) .

وعن عمرو بن عَوْفِ الْمَزْنِيِّ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِبِلَالِ بْنِ الْخَارِثِ :
مَنْ أَحْيَا سُنَّةً مِنْ سُنَّتِي فَقَدْ أَمَيْتَ^(٤) بَعْدِي ، فَإِنَّ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلَ مَنْ عَمِلَ بِهَا
مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَجْرِهِمْ شَيْئًا ؛ وَمَنْ ابْتَدَعَ بِدْعَةً ضَلَالَةً لَا تُرْضَى اللَّهُ وَرَسُولَهُ
كَانَ عَلَيْهِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ عَمِلَ بِهَا ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أَوْزَارِ النَّاسِ شَيْئًا^(٥) .

فصل

[فيما ورد عن السلف والأئمة من اتباع سنته والافتداء بهديته وسيرته]

وأما ما ورد عن السلف والأئمة من اتباع سنته والافتداء بهديته وسيرته ،
فحدثنا الشيخ أبو عمر أن موسى بن عبد الرحمن بن أبي تليد الفقيه سماعاً عليه ؛
قال^(٦) : حدثنا أبو عمر الحافظ ، حدثنا سعيد بن نصر ، حدثنا قاسم بن أصبغ ،
ووهب بن مسرّة ؛ قالوا : حدثنا محمد بن وضاح ، حدثنا يحيى بن يحيى ، حدثنا مالك ،
عن ابن شهاب ، عن رجلٍ من آل خالد بن أسيد — أنه سأل عبد الله بن عمر ،
فقال : يا أبا عبد الرحمن ؛ إننا نجدُ صلاةَ الخوفِ ، وصلاةَ^(٧) الحُضْرِ في [١٤١]

(١) رواه الأصفهاني في ترغيبه .

(٢) أحيا سنتي : أظهرها بالعمل بها والحث على اتباعها . فقد أحياي : فقد أظهر

ذكرى ورفع أمرى . (٣) المراد دخوله الجنة وعلو مرتبته لامساواته فيها .

(٤) أميتت : تركت وترك العمل بها .

(٥) قال في نسيم الرياض (٣ - ٣٧١) : وهذا رواه الترمذي ، وابن ماجه ، وحسنه .

سنن الترمذي : ٥ - ٤٣ ، سنن ابن ماجه : ٧٤ ، ٧٥ .

(٦) هذا الحديث من أحاديث الموطأ ، ورواه النسائي ، وابن ماجه : الموطأ : ١٤٥ ،

وسنن ابن ماجه : ٣٣٩ (٧) صلاة الحضر : أي الصلاة من غير قصر .

روى هذا الحديث أيضا الطبري في تفسيره : ٩ - ١٣٣ ، وابن كثير في تفسيره : ١ - ٣٥١

القرآن ، ولا نجدُ صلاةَ السَّفرِ ؟ فقال ابنُ عمرَ : يا ابنَ أخي ، إنَّ اللهَ بعثَ إلينا محمداً صلى اللهُ عليه وسلم ، ولا نعلمُ شيئاً^(١) ؛ فإنما نَعملُ كما رأيناَه يَفعَلُ^(٢) .

وقال عمرُ بن عبد العزيزَ : سنَّ رسولُ اللهُ صلى اللهُ عليه وسلم وولايةَ الأمرِ بعده سنناً ، الأخذُ^(٣) بها تصديقٌ بكتابِ اللهِ ، واستعمالُ بطاعةِ اللهِ^(٤) ، وقوةُ على دينِ اللهِ ، ليس لأحدٍ تَغييرُها ولا تَبديلُها^(٥) ولا النَّظَرُ في رَأْيِ مَنْ خالفها ؛ من اقتدى بها فهو مُهْتَدٍ ، ومن انتصر بها منصورٌ ، ومن خالفها واتَّبَعَ غيرَ سَبيلِ المؤمنين^(٦) ولاءَ اللهِ ما تولى^(٧) ، وأصلاهُ جهنمٌ وساءتُ مَصيرًا .

وقال الحسنُ بنُ أبي الحسنِ^(٨) : عَمَلٌ قَلِيلٌ في سُنَّةٍ خَيْرٌ مِنْ عَمَلٍ كَثِيرٍ في بَدْعَةٍ .

وقال ابنُ شهابَ : بلغنا عن رِجالٍ من أهلِ العلمِ ، قالوا : الاعتصامُ^(٩) بالسُنَّةِ نِجاةٌ .

(١) ولا نعلم شيئاً من أمور الدين ، ومن حقيقة الأحكام .

(٢) أى تقتدى به فيما جاء به . وقصر الصلاة في السفر قد ذكرت في القرآن في قوله تعالى : لا جناح عليكم أن تقصروا من الصلاة ؛ ولكنها مقيدة بقوله : إن خفتهم ... الآية ، ولذا سألوها عنها . وإطلاقها مبين بالسنة ؛ فقد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قصرها ، فقال : تلك صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته .

(٣) الأخذ بها : العمل بها واتباعها .

(٤) لأن طاعتهم طاعة له في الحقيقة ؛ لأنهم لا يقولون شيئاً من عند أنفسهم ، وإنما يقولون ما رووه عنه صلى الله عليه وسلم ، أو ما استنبطوه من الكتاب والسنة .

(٥) تغييرها : تغيير تلك السنن بوجه من الوجوه ، ولا تبدلها بيدل لها يفايرها .

(٦) أى غير ما هم عليه من اعتقاد أو عمل .

(٧) ولاء الله ما تولى : جملة واليا لما تولى من الضلالة ، وخلى بينه وبين ما اختاره من

الضلالة .

(٨) هو الحسن البصرى .

(٩) الاعتصام بالسنة : أى التمسك بها .

وكتب عمر بن الخطاب [إلى عماله] ^(١) بتعلم السنة والفرائض واللحن ؛ أى اللغة ؛ وقال : إن ناساً يجادلونكم — يعنى بالقرآن ، فخذوهم بالسنة ^(٢) ؛ فإن أصحاب السنن أعلم بكتاب ^(٣) الله .

وفى خبره ^(٤) — حين صلى بذي الحليفة ^(٥) ركعتين ، فقال : أصنع كما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصنع .

وعن عليّ — حين قرآن ^(٦) فقال له عثمان : ترى أنى أنهى الناس ^(٧) عنه وتفعله ! قال : لم أكن أدع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لقول أحد من الناس .
وعنه : ألا إني ^(٨) لست بنبيّ ، ولا يوحي إلىّ ، ولكنى أعمل بكتاب الله وسنة محمد صلى الله عليه وسلم ما استطعت .

وكان ابن مسعود يقول ^(٩) : القصد ^(١٠) فى السنة خير من الاجتهاد فى البدعة .

(١) ليس فى ب .

(٢) فخذوهم بالسنة : اغلبوهم وحاجوهم بها ، لأنها مبينة للأحكام .

(٣) أصحاب السنن : علماء للتحديث ونقاده .

أعلم بكتاب الله ؛ أى بمباني القرآن من يتمسك بظاهر القرآن لمعرفتهم بناسخه ومنسوخه ، ومخصه ومؤوله ، فإن تفسير القرآن إنما يعلم من السنة .

(٤) خبر عمر رواه مسلم : ٤٨١ ، وفيه : إنما أفعل كما رأيت رسول الله يفعل .

(٥) ذى الحليفة : مكان على أميال من المدينة من جهة الشام ، وهو ميقات أهل المدينة

والشام الذى يحرمون منه .

(٦) فى أثر رواه البخارى ، والنسائى صحيح البخارى : ٢ - ١٦٧ ، والنسائى : ٦ - ١١٥

حين قرن : أى جمع بين الحج والعمرة فى حجة حجها .

(٧) أنهى الناس عنه : عن القرآن .

(٨) قال القارى (٢ - ٢٥) : وهو غير معروف عنه .

(٩) رواه الدارمى ، والطبرانى ، عن أبى الدرداء .

(١٠) القصد : الاعتدال بين الإفراط والتفريط .

وقال ابنُ مُهرٍ : صلايهُ السفرَ ركعتان ؛ مَنْ خالف السنَّةَ كَفَرَ^(١) .

وقال أبي بن كعبٍ : عليكم بالسبيل^(٢) والسنَّة ؛ فإنه ما على الأرض من عبدٍ على السبيلِ والسنَّةِ ذَكَرَ اللهُ في نَفْسِهِ ففاضت عَمِينَاهُ من خَشْيَةِ رَبِّهِ ، فيعذبهُ اللهُ أبداً ؛ وما على الأرض من عبدٍ على السبيلِ والسنَّةِ ذَكَرَ اللهُ في نَفْسِهِ فاقشعر^(٣) جلدهُ من خشيةِ اللهِ إلا كان مثلهُ كمثلِ شجرةٍ قد يَبِسَ ورَقُها ؛ فهي كذلك إذا أصابها ريحٌ شديدةٌ ، فَتَحَّتْ^(٤) عنها ورَقُها إلا حَطَّ^(٥) اللهُ خطاياها كما تَحَّتْ عن الشجرةِ ورَقُها ؛ فإنَّ اقتصاداً^(٦) في سبيلِ^(٧) وسنَّةٍ خيرٌ من اجتهادٍ^(٨) في خلافِ سبيلِ وسنَّةٍ ، وموافقةٍ بدعةٍ ؛ وانظروا^(٩) أن يكونَ عمَلُكم إنْ كان اجتهاداً واقتصاداً أن يكونَ على منهاجِ الأنبياءِ وسُنَّتِهِمْ^(١٠) .

وكتب بعضُ عمَّالِ عُمرَ بنِ عبدِ العزيزِ إلى عُمرَ بحالِ بلديهِ ، وكثرةِ لُصُوصِهِ ؛ هل يأخذهم بالظنَّةِ أو يَحْمِلُهُمْ على البيئَةِ^(١١) وما جَرَّتْ عليه السنَّةُ ؟

(١) كفر : صار كافراً ، وهذا إن قصد مخالفة فعله صلى الله عليه وسلم عنادا أو أنكر جواز فعله ، وإلا فهو بمجرد الإتمام مبتدع عند أبي حنيفة رحمه الله وبعض الفقهاء . وقيل : الكفر بمعنى كفران النعمة التي أنعم الله بها عليه من إحسانه عليه بتسهيل أمره .

(٢) السبيل : طريق طاعة الله وصراطه المستقيم ، وهو العمل الخالص تقربا إلى الله تعالى .

(٣) اقشعر جلده : أخذته قشعريرة ، وهي الرعدة ، فاتقبض جلده واجتمع .

(٤) تحات : سقط .

(٥) المراد بالحط هنا المنفرة .

(٦) اقتصادا : اعتدالا ؛ وتوسطا .

(٧) في ب : في سبيل الله

(٨) من اجتهاد : أي زيادة وبذل جهد وطاقة .

(٩) المراد بالنظر هنا التدبر والتأمل .

(١٠) على منهاج الأنبياء : على طريقتهم . والنهاج والمنهج : الطريق الواضح .

(١١) بالظنة : أي بمجرد الظن بأنهم لصوص . يحملهم : يطلب منهم ويكلفهم .

فكتب إليه عمر : خذهم^(١) بالبيّنة وما جرت عليه السنّة ؛ فإن لم يصلحهم الحق فلا أصلحهم الله .

وعن عطاء - في قوله^(٢) : ﴿ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ ﴾ :
أى إلى كتاب الله وسنّة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقال الشافعي : ليس في سنّة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أتباعها^(٣) .

وقال عمر^(٤) - ونظر إلى الحجر الأسود : إنك حجرٌ لا تنفع ولا [١٤٢]
تضر ؛ ولولا أنى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يُقبلُك ما قبّلتُك ؛ ثم قبّله .
ورمى عبدُ الله^(٥) بن عمر يُديرُ ناقته في مكان ، فسُئل عنه ، فقال : لا أدرى
إلا أنى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعّله ، ففعلته .

وقال أبو عثمان الخبيري^(٦) : مَنْ أَمَرَ السَّنَةَ عَلَى نَفْسِهِ قَوْلًا وَفِعْلًا نَطَقَ
بِالْحِكْمَةِ^(٧) ، وَمَنْ أَمَرَ الْهَوَى عَلَى نَفْسِهِ نَطَقَ بِالْبِدْعَةِ .

وقال سهل التستري : أصولُ مذهبنا ثلاثة^(٨) : الاقتداء بالنبي صلى الله عليه
وسلم في الأخلاق والأفعال ، والأكل من الحلال ، وإخلاصُ النية في جميع الأعمال .

(١) خذهم : احكم عليهم .

(٢) سورة النساء ، آية ٥٩ . تنازعتم : اختلفتم . فردوه إلى الله والرسول : ارجعوا فيه إلى كتاب الله وسنة رسوله .

(٣) إلا اتباعها : أى اتباع السنة والعمل بها ؛ وكان يقول : إذا صح الحديث فهو مذهبي ، وإذا خالف قولى الحديث فاضربوا به عرض الحائط .

(٤) رواه الشيخان : صحيح مسلم : ٩٢٥ ، وصحيح البخارى : ٢ - ١٧٥ .

(٥) رواه عنه أحمد بن حنبل ، والبرازر بسند صحيح .

(٦) فى ١ : الجنيدى والثبّت فى ب . وأشار فى هامشه إلى أنه فى نسخة : الجنيدى .

(٧) الحكمة : القول الصواب النافع له فى الدنيا والآخرة ؛ وكل كلام وافق الحق فهو حكمة ؛ ونطق بالحكمة ؛ لأنه تبع من لا ينطق عن الهوى ، واختار سبيل الهدى .

(٨) مذهبنا : أى التصوف ؛ أى قواعد التى يدور عليها .

وجاء في تفسير قوله تعالى (١) : ﴿ وَالْعَمَلُ لِلصَّالِحِ يُرْفَعُهُ ﴾ — أنه الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم .

وحكي (٢) عن أحمد بن حنبل ؛ قال : كُنْتُ يَوْمًا مَعَ جَمَاعَةٍ تَجَرَّدُوا (٣) وَدَخَلُوا الْمَاءَ ، فَاسْتَعْمَلْتُ الْحَدِيثَ (٤) : مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يَدْخُلُ الْحَمَّامَ إِلَّا بَمِيْزَرٍ (٥) ، وَلَمْ أَتَجَرَّدْ ؛ فَرَأَيْتُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ قَائِلًا لِي : يَا أَحْمَدُ أَبْشِرْ ؛ فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ غَفَرَ لَكَ بِاسْتِعْمَالِكَ السَّنَةِ ، وَجَمَلِكَ إِمَامًا يُفْتَدَى بِكَ .
قلت : مَنْ أَنْتَ ؟ قال : جبريل .

فصل

[في أن مخالفة أمره وتبديل سنته ضلال]

ومخالفة أمره وتبديل سنته ضلالٌ وبدعةٌ متوعَّد من الله تعالى عليه بالخذلان (٦) والمذاب ، قال الله تعالى (٧) : ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ .

وقال (٨) : ﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ .

(١) سورة فاطر ، آية ١٠ (٢) في ١ : أن . (٣) تجردوا عن ثيابهم ، عريا .

(٤) استعملت الحديث : عملت به . وقيل للمعنى : طلبت ذلك من نفسي ، وقلت : لا توافق

هؤلاء . والحديث رواه مسلم ، والترمذي : سنن الترمذي : ٥ - ١١٣

(٥) للثرز : الإزار ، وهو ما يستر به نصف المرء الأسفل .

(٦) متوعَّد عليها : ورد الوعيد لفاعلها . والخذلان : عدم التوفيق ، وترك النصر له .

(٧) سورة النور ، آية ٦٣ . يخالفون عن أمره : يعرضون عن أمر النبي . والفتنة : ما في

الدنيا من اللصائب ، والحمن ، والبلايا .

(٨) سورة النساء ، آية ١١٥ . يشاقق : يخالف ، ويعادى ويخاصم . تبين له الهدى :

ظهر له الحق . يتبع غير سبيل للمؤمنين : يسلك طريقا غير طريقهم في الاعتقاد والعمل نوله

ما تولى : نجعله متوليا لما تولى من الضلالة والبدع . ونصله جهنم : ندخله فيها ونحرقه بها .

حدثنا أبو محمد عبد الله بن أبي جعفر ، وعبد الرحمن بن عقاب بقراءتي عليهما ؛
 قالا : حدثنا أبو القاسم حاتم بن محمد ، حدثنا أبو الحسن القاسمي ، حدثنا
 أبو الحسين^(١) بن مسرور الدبّاغ ، حدثنا أحمد بن أبي سليمان ، حدثنا سُحْنُونُ
 ابن سَعِيدٍ ، حدثنا ابنُ القاسم ، حدثنا مالك ، عن العلاء بن عبد الرحمن ، عن أبيه ،
 عن أبي هريرة - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ إِلَى الْمَقْبَرَةِ : . . وَذَكَرَ
 الْحَدِيثَ^(٢) فِي صَفَةِ أُمَّتِهِ ؛ وَفِيهِ : فَلْيُذَادَنَّ^(٣) رِجَالٌ عَنْ حَوْضِي كَمَا يُذَادُ الْبَعِيرُ
 الضَّالَّ^(٤) ، فَأَنَادِيهِمْ : أَلَا هَلُمَّ ، أَلَا هَلُمَّ^(٥) ؛ فَيَقَالُ : لِيَنَّهُمْ قَدْ بَدُّوْا بَعْدَكَ^(٦) .
 فَأَقُولُ : فَسُحِقًا ، فَسُحِقًا ، فَسُحِقًا^(٧) .

وَرَوَى أَنَسٌ^(٧) أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : مَنْ رَغِبَ^(٨) عَن سُنَّتِي

فليس مني .

وقال^(٩) : من أدخل في أمرنا ما ليس منه فهو رد^(١٠) .

(١) في ١ : أبو الحسن .

(٢) حديث رواه مسلم والإمام مالك مسندا : صحيح مسلم : ٢١٨ ، وسنن ابن ماجه :

١٤٤٠ ، وللوطأ : ٣٠ .

(٣) الذود هنا : الطرد والمنع . كما يذاد البعير الضال : كما يطرد البعير إذا ضل من صاحبه

وأتى ليدخل في إبل أخرى ليستقي فيطرد من بينها لثلاثا ينتقص شربها .

(٤) هلم : أقبوا .

(٥) بدلوا بصدق : أى غيروا سنتك ، وارتكبوا ما لم تمهد فيههم .

(٦) فسحقا : جعلهم الله في مكان سحق ؛ أى بميد .

(٧) في حديث رواه الشيخان : صحيح البخارى : ٧ - ١ ، وصحيح مسلم : ١٠٢٠ .

(٨) رغب عن سنتي : تركها .

(٩) في حديث رواه الشيخان : صحيح البخارى : ٩ - ١٣٢ ، وصحيح مسلم : ١٤٤٣ .

(١٠) من أدخل في أمرنا : أى أحدث بدعة في الدين . فهو رد . مردود .

ورَوَى ابن أبي رافع^(١) ، عن أبيه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ؛ قال :
لَا أُلْفِينَ أَحَدَكُمْ مَتَكِنًا عَلَى أَرِيكَتِهِ يَأْتِيهِ الْأَمْرُ مِنْ أَمْرِي مِمَّا أَمَرْتُ بِهِ أَوْ نَهَيْتُ عَنْهُ ،
فَيَقُولُ : لَا أَذْرِي ، مَا وَجَدْنَا فِي كِتَابِ اللَّهِ اتَّبَعْنَاهُ .

زاد في حديث المقدم^(٢) : أَلَا وَإِنَّ مَا حَرَّمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
مِثْلُ مَا حَرَّمَ اللَّهُ^(٣) .

وقال^(٤) صلى الله عليه وسلم : وَجِيءَ بِكِتَابٍ فِي كَيْفِ^(٥) : كَفَى بِقَوْمٍ حُخْفًا -
أَوْ قَالَ : ضَلَالًا - أَنْ يَرْتَغِبُوا عَمَّا جَاءَ بِهِ نَبِيُّهُمْ إِلَى غَيْرِ نَبِيِّهِمْ^(٦) ، أَوْ كِتَابٍ غَيْرِ
كِتَابِهِمْ ؛ فَانزَلَتْ^(٧) : ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ^(٨) يُتْلَى عَلَيْهِمْ
إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ .

وقال^(٩) صلى الله عليه وسلم : هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ^(١٠) .

(١) هذا الحديث رواه أبو داود ، والترمذي ، وابن ماجه كما تقدم . وقد تقدم شرحه
وتخرجه صفحة ٥٥١ .

(٢) كما رواه الحاكم .

(٣) لأنه مبلغ عنه ؛ فيجب اجتناب ما حرمه .

(٤) في حديث رواه الدارمي ، وابن المنذر ، وابن جرير ، وأبو داود مرسلًا .

(٥) في كتف : مكتوب في عظم كتف ؛ لأنهم في الصدر الأول كانوا يكتبون فيها وفي

الجلود لثقل الورق إذ ذاك .

(٦) إلى غير نبيهم : أي ناظرين ، وملفتين ومقبلين إلى ما جاء به غير نبيهم - يعني ولو

كان نبيا إلى غيرهم .

(٧) سورة العنكبوت ، آية ٥١ (٨) الكتاب ؛ هو القرآن .

(٩) في حديث رواه مسلم عن ابن مسعود . صحيح مسلم : ٢٠٥٥ .

(١٠) هلك المتنطعون : أي وقعوا في أمر يهلكهم يؤدي إلى غضب الله تعالى وعقابه ؛

من تنطع ؛ أي بالغ وغالى في الأمور وتشدق بكلام لا حاجة إليه .

قال الخطابي : المتنطع : التمتع للتكلف للبحث عن مذاهب أهل الكلام الخائض فيما لم

يبلغه عقله .

وقال [١٤٣] ^(١) أبو بكر الصديق رضى الله عنه : استُ تاركًا شيئًا كان
رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يعملُ به إلا عملتُ به ؛ إني أخشى إن تركتُ شيئًا
من أمره أن أزيغ ^(٢) .

(١) رواه عنه أبو داود، والبخارى . صحيح مسلم : ١٣٨٢
(٢) أزيغ : أميل عن الحق والسنة .

البَابُ الثَّانِي

في لزوم^(١) محبته صلى الله عليه وسلم

قال الله تعالى^(٢): ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ^(٣) وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا^(٤) وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا، وَمَسَاكِينُ رِضْوَانَهَا أَحَبُّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ، فَتَرَبَّصُوا^(٥) حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ .

فكفي بهذا حصاً وتنبهياً ودلالةً وحجّةً على إلزام محبته^(٦)، ووجوب قرّضها، وعظيم خطرِها^(٧)، واستحقاقِها صلى الله عليه وسلم؛ إذ قرع تعالى^(٨) مَنْ كَانَ مَالُهُ وَأَهْلُهُ وَوَلَدُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَأَوْعَدَهُم بقوله تعالى^(٩): ﴿فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾ .

ثم فسّهم^(١٠) بنام الآية، وأعلمهم أنهم ممن ضلّ ولم يهده الله .

حدثنا أبو عليّ النّسائي الحافظ فيما أجازنيّه، وهو بما قرّأه على غير واحد^(١٠)؛ قال: حدثنا سراج بن عبد الله القاضى، حدثنا أبو محمد الأصبلى، حدثنا المروزى،

(١) لزوم محبته: وجوبها على كل مكلف من أمته .

(٢) سورة التوبة، آية ٢٤ (٣) عشيرتكم: أقرباء النسب .

(٤) اقترفتموها: اكتسبتموها وملكتموها .

(٥) ترَبَّصُوا: التربص: الانتظار . (٦) إلزام محبته: إثبات مودته .

(٧) خطرُها: قدرها . (٨) قرع: ونح .

(٩) فسّهم: وصفهم ونسبهم للفسق، وهذا الوصف جاء في آخر الآية في قوله تعالى:

والله لا يهدي القوم الفاسقين . فجماهم فاسقين .

(١٠) وقد رواه البخارى، ومسلم، والنسائي: صحيح مسلم ٦٧، وصحيح البخارى:

حدثنا أبو عبد الله محمد بن يوسف ، حدثنا محمد بن إسماعيل ، حدثنا يعقوب بن إبراهيم ، حدثنا ابن عُمَيْرٍ ، عن عبد العزيز بن صُهَيْبٍ ، عن أَنَسِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : لَا يُؤْمِنُ أَحَدٌ كَمْ حَتَّىٰ أكونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ وَوَالِدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ .

وعن أبي هريرة نحوه .

وعن ^(١) أَنَسٍ ، عنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ ^(٢) فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ : أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا . وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا اللهُ ، وَأَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَبُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقَذَّفَ فِي النَّارِ .

وعن ^(٣) عُمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا نَفْسِي الَّتِي بَيْنَ جَنْبَيْ .

فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لَنْ يُؤْمِنَ أَحَدٌ كَمْ حَتَّىٰ أكونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ نَفْسِهِ .

فَقَالَ عُمَرُ : وَالَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي الَّتِي بَيْنَ جَنْبَيْ .

فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : الْآنَ ^(٤) يَا عُمَرُ .

قَالَ سَهْلٌ : مَنْ لَمْ يَرِ ^(٥) وَلا يَتَذوقُ حَلَاوَةَ سُنَّتِهِ ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مِلْكِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَذُوقُ حَلَاوَةَ سُنَّتِهِ ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : لَا يُؤْمِنُ أَحَدٌ كَمْ حَتَّىٰ يَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ نَفْسِهِ . . .

(١) رواه الشيخان . صحيح البخاري : ١ - ١٢ ، صحيح مسلم : ٦٦

(٢) كُنَّ فِيهِ : وَجَدَن فِيهِ . (٣) فِي حَدِيثٍ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ .

(٤) الْآنَ : الْآنَ نَطَقْتُ بِالْحَقِّ ، أَوْ ظَهَرَ اتِّصَافُكَ بِكُلِّ الْإِيمَانِ .

(٥) مَنْ لَمْ يَرِ : مَنْ لَمْ يَعْلَمْ وَيَتَحَقَّقْ بِقِيَمَتِهِ . وَلا يَتَذُوقُ حَلَاوَةَ سُنَّتِهِ ، نَفِذَ حُكْمَهُ وَسُلْطَانَهُ ، حَتَّىٰ

كَأَنَّهُ مَمْلُوكٌ لَهُ .

فصل

في ثواب محبته صلى الله عليه وسلم

حدثنا^(١) أبو محمد بن عتّاب بقراءة تى عليه ، حدثنا أبو القاسم حاتم بن محمد ، حدثنا أبو الحسن على بن خلف ، حدثنا أبو زيد المرزى ، حدثنا محمد بن يوسف ، حدثنا محمد بن إسماعيل ، حدثنا عبد الله ، حدثنا أبي ، حدثنا شعبة ، عن عمرو بن مرة ، عن سالم بن أبي الجعد ، عن أنس رضى الله عنه — أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : متى الساعة^(٢) يا رسول الله ؟ قال : ما أعددت لها^(٣) ؟ قال : ما أعددت لها من كثير صلاة ولا صوم ولا صدقة ، ولاكنى أحب لله ورسوله .

قال : أنت مع من أحببت^(٤) .

وعن صفوان بن قدامة : هاجرت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأتيته ، فقلت : يا رسول الله ، ناولنى يدك أبايك^(٥) . فناولنى يده ، فقلت : يا رسول الله ؛ إني أحبك . قال : المرء [١٤٤] مع من أحب^(٦) .

وروى هذا اللفظ عن النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله بن مسعود ، وأبو موسى ، وأنس ؛ وعن أبي ذر بمعناه .

(١) هذا الحديث رواه البخارى : صحيح البخارى : ٥ - ١٤ ، وسنن الترمذى : ٤ - ٥٩٥

(٢) سأله عن تعيين زمان وقوعها . والمراد بالساعة يوم القيامة .

(٣) ما أعددت لها : ما هيأت وأحضرت لها من الأعمال الصالحة التى تنفعك فيها إذا قامت .

وفى ب : كبير - بالباء الموحدة .

(٤) أنت مع من أحببت : المراد أنه يدخل الجنة فى زمرة المؤمنين ، وإن كانت مراتبهم

متفاوتة . (٥) للبايعة : الإقرار بما جاء به واتباعه .

(٦) سنن الترمذى : ٤ - ٥٩٥ ، عن أنس ، وعن صفوان بن عسال . وصحيح

البخارى : ٨ - ٤٨ ، ٤٩

وعن عليٍّ أن^(١) النبيَّ صلى الله عليه وسلم أخذَ بيديَّ حَسَنَ وَحُسَيْنَ ، فقال : مَنْ أَحَبَّنِي وَأَحَبَّ هَٰذَيْنِ وَأَبَاهُمَا وَأُمَّهُمَا^(٢) كَانَ مَعِي فِي دَرَجَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ .
 وَرُوِيَ^(٣) أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ؛ لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَهْلِي وَمَالِي ؛ وَإِنِّي لَأَذْكُرُكَ فَمَا أَصْبِرُ حَتَّى أَجِيءَ ، فَأَنْظِرَ إِلَيْكَ ؛ وَإِنِّي ذَكَرْتُ مَوْتِي وَمَوَاتِكَ ، فَعَرَفْتُ أَنَّكَ إِذَا دَخَلْتَ الْجَنَّةَ رُفِعْتَ مَعَ النَّبِيِّينَ ، وَإِن دَخَلْتُهَا لَا أُرَاكَ^(٤) .

فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى^(٥) : ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا ﴾ —
 فَدَعَا بِهِ فَقَرَأَهَا عَلَيْهِ^(٦) .

وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ^(٧) : كَانَ رَجُلٌ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَنْظُرُ إِلَيْهِ لَا يَطْرَفُ^(٨) ، فَقَالَ : مَا بِالْكَ^(٩) ؛ قَالَ : يَا أَبَتِي وَأُمَّتِي ! أَلَا أَمْتَعُ مِنَ النَّظَرِ إِلَيْكَ ، فَإِذَا كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ رَفَعَكَ اللَّهُ بِتَفْضِيلِهِ^(١٠) ؛ فَأَنْزَلَ اللَّهُ الْآيَةَ .

وَفِي حَدِيثٍ أَنَسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : مَنْ أَحَبَّنِي كَانَ مَعِي فِي الْجَنَّةِ .

(١) رواه عنه الترمذى : سنن الترمذى : ٥ - ٦٤١

(٢) أبوهما : علي . وأمهما : فاطمة الزهراء .

(٣) رواه الطبراني وابن مردويه عن عائشة وابن عباس . ورواه ابن كثير في تفسيره : ١ - ٣١٠

(٤) لا أراك : لا أراك بعد الدخول ، لأنك في مقام أعلى لا يصل إليه غيرك .

(٥) سورة النساء ، آية ٦٩ (٦) قرأها عليه جواباً له وتبشيراً .

(٧) قال القارى (٢ - ٣٧) : لا يعرف مخرجه .

(٨) ينظر إليه : يديم النظر إلى وجهه الكريم . لا يطرف : لا يطبق أحد جفنيه على

الآخر . ويفض بصره ، أو يصرفه عنه .

(٩) ما بالك : ما شأنك حتى تحمد النظر إلى وتدبمه .

(١٠) أى فى أعلى الدرجات . بتفضيله ؛ أى بسبب تفضيله سبحانه وتعالى إياك على من

سواك ، وحينئذ لا أراك . (١١) فى ١ : ومن . . .

فصل

فما رَوَى عن السلف والأئمة من محبتهم للنبي صلى الله عليه وسلم وشوقهم له
حدثنا القاضي الشهيد ، حدثنا المُذَرِّي ، حدثنا الرازي ، حدثنا الجلودي ،
حدثنا ابن سفيان ، حدثنا مُسَلِّم ، حدثنا أُمْتِيبة ، حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن ،
عن سهيل ، عن أبيه ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ^(١) - أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال : **مِنَ أَشَدِّ أُمَّتِي لِي حُبًّا نَاسٌ يُكُونُونَ بَعْدِي ؛ يُوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ رَأَى
بِأَهْلِهِ وَمَالِهِ ^(٢)** .

ومثله عن أبي ذر .

وقد تقدم حديث عُمر رضي الله عنه ، وقوله للنبي صلى الله عليه وسلم : **لَأَنْتَ
أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي** . وما تقدم عن الصحابة في مثله .

وعن عمرو بن العاص رضي الله عنه : **مَا كَانَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(٣)** .

وعن عبدة بنت خالد بن معدان ^(٤) ؛ قالت : **مَا كَانَ خَالِدٌ ^(٥) يَأْوِي إِلَيَّ فِرَاشٍ
إِلَّا وَهُوَ يَذْكُرُ مِنْ شَوْقِهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَإِلَى أَصْحَابِهِ مِنْ**

(١) في حديث رواه مسلم : صحيح مسلم : ٢١٧٨

(٢) أي يحب ويرغب ويتفق لو بذل أهله وماله لأجل رؤيته . أو يتمنى لو رآني بدلها .

(٣) هذا من حديث طويل رواه مسلم .

(٤) قال القاري (٢ - ٣٨) : للمروفي : عبدة بنت خالد بن صفوان ، روت عن أبيها ،

ذكرها ابن جبان في ثقافته .

(٥) تسمى أباه .

المهاجرين والأنصار يُسميهم ويقول: **مُ أَصْلِي وَفَصْلِي** ^(١)، وإليهم يحنُّ قلبي، طال شوقي إليهم، فمَجَلَّ رَبَّ قَبَضِي إِلَيْكَ ^(٢) حتى يغلبه النوم.

وروي ^(٣) عن أبي بكر رضي الله عنه أنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم: والذي بمنك بالحق لإسلام أبي طالب ^(٤) كان أقرَّ لعيني ^(٥) من إسلامه - يعني أباه أبا قحافة؛ وذلك أن إسلام أبي طالب كان أقرَّ ^(٥) لعينك.

ونحوه عن عمر بن الخطاب؛ قاله للعباس ^(٦) رضي الله عنه: أن تُسَلِّمَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يُسَلِّمَ الْخَطَّابُ؛ لأنَّ ذلك أحبُّ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وعن ابن إسحاق ^(٧) أن امرأة من الأنصار قُتِلَ أبوها وأخوها وزوجها يوم أُحُدٍ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالت: ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ^(٨)؟ قالوا: خيراً، هو بمحمد الله كأنه محبوبين. قالت: أرونيهِ حتى أنظرَ إليه. فلما رآته قالت: كلُّ مُصِيبَةٍ بَعْدَكَ جَلَلٌ ^(٩).

وسئل علي بن أبي طالب رضي الله عنه: كيف كان حُبِّكم لرسول الله صلى الله عليه [١٤٥] وسلم؟ قال: كان والله أحبَّ إلينا من أموالنا وأولادنا وآبائنا وأُمَّهاتنا، ومن الماء الباردِ على الظَّمَا.

(١) يعني أني أفتخر بهم وأنتسب إليهم دون آبائي وقبائلي. والمراد أن عليهم عمدي، وبهم أفضل وأحکم.

(٢) أي عجل موتي حتى ألقاهم.

(٣) في شرح القاري (٢ - ٣٩): رواه ابن عساکر في تاريخه.

(٤) يعني عم النبي. أقر لعيني: أسر وأحب عندي.

(٥) وهذا الحديث رواه أحمد، وابن إسحاق، وأبو حاتم.

(٦) عم النبي. (٧) ورواه البيهقي.

(٨) تريد السؤال عن سلامته وحياته.

(٩) جلال: شيء هين لا أبالي به ولا أحزن عليه.

وعن زيد بن أسلم : خرج عمر رضي الله عنه ليلة يحرّس الناس ، فرأى مصباحاً في بيت ، وإذا عجوزٌ تنفّس صُوفاً ، وتقول :

على مُحمّدٍ صلاةُ الأبرار^(١) صلى عليه الطيّبُونَ الأخيارُ
قد كنت قواماً بكَ بالأسحار^(٢) باليتِ شعريّ والمنايا أطوارُ

هل تجمّعتني وحبّبي الدارُ

تفني^(٣) النبيّ صلى الله عليه وسلم .

فجلس عمر رضي الله عنه يبكي ؛ وفي الحكاية طول .

وروي أنّ عبد الله بن عمر خدرت^(٤) رجله ، فقيل له : اذكُرْ أحبّ الناس إليك يزلّ عنك .

فصاح : يا مُحمّداه ا فانشرت^(٥) .

ولما احتضر^(٦) بلال رضي الله عنه نادى امرأته : واخرُناه ا فقال : واطرّباه^(٧) ا
غداً ألتقي الأحيّة . محمداً وحزبه .

[ومثله عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما]^(٨) .

(١) الأبرار : جمع بر ، وبار ، وهو كل مطيع لربه ، متق ؛ أي أدعوله بكل ما تدعو به الأبرار .

(٢) قواماً : متهجداً ، أي كثير القيام للعبادة . والأسحار : جمع سحر ؛ وهو آخر الليل .

(٣) أي لمفني بقولها : حبّبي .

(٤) خدرت رجله : أصابها خدر ، وهو أمر يعترى الرجل فيمنع من تحريكها بسهولة

ويزول سريعاً ؛ أي فترت عن الحركة ، وضعفت .

(٥) فانشرت : أي امتدت رجله لزوال خدرها .

(٦) احتضر : حضرته الوفاة ، وقاربه المات .

(٧) الطرب : خفة تعترى المرء لحزن أو سرور . والمراد الثاني هنا .

(٨) وحزبه : الحزب : الجماعة ، والمراد بهم الصحابة . (٩) ليس في ا .

وَيُرَوَى أَنَّ امْرَأَةً قَالَتْ لِعَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : اكْشِفِي لِي قَبْرَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ فَكَشَفَتْهَا لَهَا ، فَبَكَتْ حَتَّى مَاتَتْ .

وَمَا أَخْرَجَ^(١) أَهْلُ مَكَّةَ زَيْدُ بْنُ الدِّمْنَةَ مِنَ الْحَرَمِ لِيَقْتُلُوهُ^(٢) قَالَ أَبُو سَفْيَانَ ابْنُ حَرْبٍ : أُنْشِدُكَ بِاللَّهِ^(٣) يَا زَيْدُ ، أَتُحِبُّ أَنْ مُحَمَّدًا الْآنَ عِنْدَنَا مَكَانَكَ تُضْرَبُ عُنُقُهُ ، وَإِنَّكَ فِي أَهْلِكَ^(٤) ؟

فَقَالَ زَيْدٌ : وَاللَّهِ مَا أَحْبَبُّ أَنْ مُحَمَّدًا الْآنَ فِي مَكَانِهِ الَّذِي هُوَ فِيهِ تُصِيبُهُ شَوْكَةٌ وَإِنِّي جَالِسٌ فِي أَهْلِي .

فَقَالَ أَبُو سَفْيَانَ : مَا رَأَيْتُ مِنَ النَّاسِ أَحَدًا يُحِبُّ أَحَدًا كَحُبِّ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ مُحَمَّدًا !

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ^(٥) : كَانَتِ الْمَرْأَةُ إِذَا أَتَتْ^(٦) النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَلَفَهَا بِاللَّهِ : مَا خَرَجْتُ مِنْ بُغْضِ زَوْجٍ ، وَلَا رَغْبَةٍ بِأَرْضٍ عَنْ أَرْضٍ ؛ وَمَا خَرَجْتُ إِلَّا حَبِيًّا لِلَّهِ^(٧) وَرَسُولِهِ .

وَوَقَفَ^(٨) ابْنُ عُمَرَ عَلَى ابْنِ الزُّبَيْرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا بَعْدَ قَتْلِهِ ، فَاسْتَغْفَرَ لَهُ ، وَقَالَ : كُنْتَ وَاللَّهِ مَاعَلَمْتُ صَوْمًا قَوْمًا تُحِبُّ اللَّهُ وَرَسُولَهُ^(٩) .

(١) رواه البيهقي .

(٢) وكان أسر يوم الرجيع ؛ وإنما أخرجوه منه لأنهم كانوا لا يقتلون فيه كعظما له .

(٣) أنشدك الله : أسألك بالله . (٤) وإنك في أهلك : أى سالما مقبلا .

(٥) رواه ابن جرير ، والبزار .

(٦) أتت النبي صلى الله عليه وسلم مهاجرة إلى المدينة .

(٧) ماخرجت : أى من أرضها وبلدها لشيء من بغض زوج ناشزة ، ولا رغبة في أرض

عن أرض ، وأنها ماخرجت من أرضها إلا حبلا لله ورسوله ؛ فهى هجرة خالصة لله .

(٨) رواه ابن سعد .

(٩) صواما : كثير الصوم . قواما : كثير القيام والتهجد .

فصل

في علامة محبته صلى الله عليه وسلم

اعلم أن من أحب شيئاً آثره وآثر موافقته^(١)، وإلا لم يكن صادقاً في حبه ، وكان مُدْعِيًّا . فالصديق في حب النبي صلى الله عليه وسلم من تظهر علامة ذلك عليه ؛ وأولها الاقتداء به ، واستعمال سنته ، واتباع أقواله وأفعاله ، وامتنال أوامره ، واجتناب نواهيه ، والتأدب بأدابه في عشره وبُسرهِ^(٢) ، ومنشطه ومكرهه^(٣) ، وشاهدُ هذا قوله تعالى^(٤) : ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾ . وإيثارُ ما شرعه^(٥) وحَصَّ عليه على هوى نفسه ، وموافقة شهوته^(٦) ؛ قال الله تعالى^(٧) : ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْتُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ .

وإسقاطُ العبادِ في رضا الله تعالى .

(١) آثره : اختاره وقدمه على غيره . وآثر موافقته في أقواله وأفعاله .

(٢) في عشره وبسرهِ : في الشدة والرخاء ، وفي المحنة والنعمة ، والجوع والشبع .

(٣) منشطه : في نشاطه وخفته . ومكرهه : كراهته لأمر يتحمله من غيره . أى في حال ستمته

وضيقه ، أو حال رضاه وغضبه ، أو وقت فرحه وحزنه ، أو زمن انشراح صدره وانقباض أمره .

(٤) سورة آل عمران ، آية ٣١ (٥) ما شرعه : من أحكامه الواجبة وغيرها .

(٦) هوى نفسه : ما تهواه ويميل إليه . وموافقة شهوته : أى ما تشتهي نفسه ويميل إليه طبعه .

(٧) سورة الحشر ، آية ٩

تبوءوا الدار: سكنوها واستقروا بها ، وهم الأنصار . والمراد بالدار: المدينة . والإيمان: أى

وأخلصوا الإيمان . حاجة مما أوتوا : حاجة : حزاة . مما أوتوا : أى لا يخطر ببالهم ولا تطمح

نفسهم إلى ما أعطى المهاجرون من فء وغيره حسدا وطعما . ويؤثرون على أنفسهم : يقدمون

للمهاجرين على أنفسهم . خصاصة : احتياج وفاقة .

حدثنا القاضي أبو علي الحافظ ، حدثنا أبو الحسين الصيرفي ، وأبو النضر ابن خيرون ؛ قالا : حدثنا أبو يعلى البغدادي ، حدثنا محمد بن محبوب ، حدثنا أبو عيسى ، حدثنا مسلم بن حاتم ، حدثنا محمد بن عبد الله الأنصاري ، عن أبيه [١٤٦] عن علي بن زيد ، عن سعيد بن المسيب ؛ قال : قال أنس بن مالك رضي الله عنه : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا بُنَيَّ ؛ إِنْ قَدَرْتَ أَنْ تُصْبِحَ وَتُمْسِيَ لَيْسَ فِي قَلْبِكَ غِشٌّ (١) لِأَحَدٍ فَافْعَلْ .

ثم قال لي : يا بُنَيَّ ؛ وذلك مِنْ سُنَّتِي ، وَمَنْ أَحْيَا سُنَّتِي فَقَدْ أَحْبَبَنِي ، وَمَنْ أَحْبَبَنِي كَانَ مَعِي فِي الْجَنَّةِ .

فمن اتصف بهذه الصفة (٢) فهو كاملُ المحبةِ لله ورسوله ، ومن خالفها في بعض هذه الأمور فهو ناقصُ المحبةِ ، ولا يخرج عن اسمها (٣) .

ودليله قوله (٤) صلى الله عليه وسلم للذي حده في الخمر فلمعنه بعضهم ، وقال : ما أكره ما يؤتني (٥) به ! فقال النبي صلى الله عليه وسلم : لا تلعنه ، فإنه (٦) يجبُ الله ورسوله .

ومن علاماتِ محبةِ النبي صلى الله عليه وسلم كثرةُ ذِكْرِهِ له ؛ فمن أحب شيئا أكره ذِكْرَهُ .

(١) النش : ضد النصح . والمراد به هنا : غل وحقده .

(٢) أي من اتصف بإحياء السنة واتباعها ، وتحبى بهذه الصفات التي هي علامات المحبة .

(٣) أي لا يخرج بارتكاب بعضها عن الاتصاف بها وتسميته محبا في الجملة .

(٤) في حديث رواه البخاري عن عمر رضي الله عنه : صحيح البخاري : ٨ - ١٩٧ ،

وقال فيه : كان اسم هذا الرجل عبد الله ، وكان يلقب سمارا ، وكان يضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال الدمياطي : إن هذا وهم ؛ فإن صاحب القصة نيمان بن عمرو ، أتى به في شرب الخمر إلى النبي صلى الله عليه وسلم فجلده أربعا أو خمسا ، فقال رجل من القوم : اللهم العنه . وكان صاحب مزاح . (٥) أي وهو سكران .

(٦) في صحيح البخاري : لا تلعنوه ، فوالله - ما علمت - إنه يجب الله ورسوله .

ومنها كثرة شوقه إلى لقائه ؛ فكلُّ حبيبٍ يحبُّ لقاءَ حبيبِهِ .
وفي حديث الأشعرين^(١) عند قدومهم المدينة أنهم كانوا يرتجزون^(٢) :
غَدَا نَلْقَى الْأَحَبَّةَ . مَحْمَدًا وَصَحْبَهُ .
وتقدّم قولُ بلال^(٣) .

ومثله قال عمار قبل قتله^(٤) . وما ذكّرناه من قصة^(٥) خالد بن معدان .
ومن علاماتِه مع كثرة ذِكْرِهِ - تعظيمُهُ له وتوقيرُهُ عند ذِكْرِهِ ، وإظهارُ
الخشوع والانكسار^(٦) مع سماعِ اسمه .

قال إسحاق التُّجِيبِي: كان أصحابُ النبيِّ صلى اللهُ عليه وسلم بعده^(٧) لا يذكرونه
إلاَّ خشعوا واقشعرتْ جلودُهُم وبكّوا .

وكذلك كثير من التابعين منهم مَنْ يفعلُ ذلكَ محبةً له وشوقاً إليه ؛ ومنهم
مَنْ يفعلُهُ تهيباً وتوقيراً^(٨) .

ومنها محبته لمن أحبَّ النبيُّ^(٩) صلى اللهُ عليه وسلم ، ومن هو بسببِهِ^(١٠) من
آل بيته وصحابة من المهاجرين والأنصار ؛ وعداوة مَنْ عاداهم ، وبُغْضُ مَنْ
أبغضَهُم^(١١) وسبهم ؛ فَمَنْ أَحَبَّ شَيْئًا أَحَبَّ مَنْ يَحِبُّهُ^(١٢) .

(١) هم أبو موسى الأشعري وأصحابه ، وكانوا قدموا على النبيِّ صلى اللهُ عليه وسلم سنة
سبع من الهجرة .

(٢) يرتجزون : ينشدون شعرا وكلاما موزونا . أو المراد يصيحون ويصوتون .

(٣) صفحة ٥٦٩ من هذا الكتاب ؛ فقد سبق هناك أنه أنشد نحو هذا الرجز .

(٤) في ب : وكما قال عمار قبل مقتله ، وعليها علامة « صح » . والثبت في ا .

(٥) وقد تقدمت صفحة ٥٦٧

(٦) الخشوع : الخضوع . والانكسار : التذلل والتواضع . (٧) بعده : أى بعد وفاته .

(٨) وتوقيرا : أى لإجلاله وتكريمه . (٩) في ا : النبي - بالنصب .

(١٠) من هو بسببه : من كان بينه وبينه قرابة أو صهر .

(١١) بغض من أبغضهم : أى كرههم . (١٢) في ا : يحب .

وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحسن والحسين : اللهم إني أحبهما فأحبهما^(١) .

وفي^(٢) رواية - في الحسن : اللهم إني أحبه فأحب من يحبّه .

وقال : من أحبهما^(٣) فقد أحبني ، ومن أحبني فقد أحب الله ، ومن أبغضهما فقد أبغضني ، ومن أبغضني فقد أبغض الله .

وقال^(٤) : الله الله في أصحابي ، لا تتخذوهم غرضا^(٥) بعدي ؛ فمن أحبهم فبحبي أحبهم ، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم ، ومن آذاهم^(٦) فقد آذاني ، ومن آذاني فقد آذى الله ، ومن آذى الله يوشك أن يأخذه^(٧) .

وقال^(٨) - في فاطمة رضي الله عنها : إنها بضعة^(٩) مني ، يفضيها ما أغضبها .

وقال^(١٠) لعائشة - في أسامة بن زيد : أحببته فأني أحبه .

(١) رواه البخاري : ٥ - ٣٠ ، ٣٣ . فأحبهما : أى أعطهما كل خير دينوى وأخروى .
وقد رواه الترمذى فى حديث قال : إنه حسن صحيح . وقد سبق أن الحديث فى سنن الترمذى :
٥ - ٦٥٧ ، ٦٦١

(٢) من أحبهما : أى الحسن والحسين .

(٣) فى حديث رواه الترمذى : ٥ - ٦٩٦ . الله الله : اتقوا الله ، واحذروه ، واخشوه .
وفى تكريره تحذير على وجه البالغة .

(٤) غرضا : الغرض : الهدف الذى يرمى بالسهم . والمراد : لا تقصدوا ذكرهم بسوء ولا تبغضوا عما وقع منهم .

(٥) ومن آذاهم بذكر ما يسوءهم . (٦) آذى الله ؛ أى عصاه وفعل مالا يرضاه .

(٧) يوشك أن يأخذه : أى يهلكه سرىما ولا يمهلها فى أخذه أخذ عزيز مقتدر .

(٨) فى حديث رواه البخارى : صحيح البخارى : ٥ - ٣٦

(٩) بضعة : قطعة وجزء منى .

(١٠) فى حديث رواه الترمذى : سنن الترمذى : ٥ - ٦٧٧

وقال^(١) : آيةُ الإيمانِ حبُّ الأنصارِ ؛ وآيةُ النفاقِ بُغْضُهم .
وفي حديث^(٢) ابنِ عمرَ : مَنْ أَحَبَّ العَرَبَ فَيُحِبِّي أَحَبَّهُمْ ، وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ
فَيَبْغِضِي أَبْغَضَهُمْ ؛ فَبِالحَقِيقَةِ^(٣) مَنْ أَحَبَّ شَيْئًا أَحَبَّ كُلَّ شَيْءٍ يَحِبُّهُ .
وهذه سيرةُ السلفِ حتى في المُباحاتِ وشَهواتِ النفسِ .

وقد قال أنسٌ - بين رأى النبي صلى الله عليه وسلم ينتبِعُ الدُّبَاءَ^(٤) من حِوَالِي
القَصْعَةِ : فَاذَلَّتْ أَحَبُّ الدُّبَاءِ مِنْ بَوْمِئِذٍ^(٥) .

وهذا الحسنُ بنُ عليٍّ ، وعبدُ الله بنِ عباسٍ ، وابنُ جعفرٍ - أتوا سُلَيْمِي
وسأَلُوها أَنْ تَصْنَعَ لَهُمْ [١٤٧] طَعَامًا مِمَّا كَانَ يُعْجِبُ رَسولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ^(٦) .
وكان ابنُ عمرَ^(٧) يلبسُ النَّمالَ السَّبْتِيَّةَ ، وَيَصْنَعُ بِالصَّفْرَةِ ؛ إِذْ رَأَى النَّبِيَّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَفْعَلُ نَحْوَ ذَلِكَ .

ومنها بُغْضُ مَنْ أَبْغَضَ اللَّهُ وَرَسُولَهُ ، وَمَعَادَاةُ مَنْ عَادَاهُ ، وَمُجَانَبَةُ مَنْ
خَالَفَ سُنَّتَهُ وَابْتَدَعَ فِي دِينِهِ ، وَاسْتِنْقَالَهُ^(٨) كُلِّ أَمْرٍ يَخَافُ شَرَّ بَعْتِهِ ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى^(٩) :
﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ .

(١) فيما رواه الشيخان . صحيح البخارى : ١ - ١٢ . آية الإيمان : علامة تحققة وصدقه
وكاله .

(٣) فبالحقيقة : أى بسبب النظر للحقيقة ونفس الأمر المحقق عند العقول السليمة .

(٤) نوع من المأكول معروف عند الناس بالقرع ، ومعنى تتبعها أنه يأخذ قطع القرع
من أى محل وجدت فيه . (٥) هذا الحديث أخرجه الشيخان : صحيح البخارى : ٧ - ٨٩
(٦) قال في نسيم الرياض (٣ - ٤١٠) : وإنما سألوها ذلك لأنها كانت تخدمه صلى الله عليه
وسلم ، وتعرف ما كوله ومشروبه .

(٧) فى حديث رواه الشيخان : صحيح مسلم : ٨٤٤ . السبتية : منسوبة إلى السبت ؛ وهو
جلد دبغ وأزيل شعره ، فالنعال السبتية : هى التى ليس فيها شعر .

(٨) استنقاله : عدّه ثقيلًا منفورًا عنه ، غير مقبول . (٩) سورة المجادلة ، آية ٢٢
يوادون : يكون بينهم وبينهم مودة . حاد الله ورسوله : يخالفونه ويمارضونه .

وهؤلاء أصحابه صلى الله عليه وسلم قد قتلوا أحبّاءهم، وقتلوا آباءهم وأبنائهم في مرّضاته .

وقال له عبد الله^(١) بن عبد الله بن أبي: لو شئتَ لأتيتك برأسه - يعني أباه .
ومنها أن يحبّ القرآن الذي أتى به صلى الله عليه وسلم، وهدى^(٢) به واهتدى،
وتخلق به حتى قالت عائشة رضي الله عنها: كان خلقه القرآن^(٣)، وحبّه للقرآن
تلاوته، والعملُ به وتفهمه .

ويحبُّ^(٤) سنته، ويقفُ عند حدودها .

قال سهل بن عبد الله: علامةُ حبِّ الله حبُّ القرآن؛ وعلامةُ حبِّ القرآن حبُّ النبي صلى الله عليه وسلم، وعلامةُ حبِّ النبي صلى الله عليه وسلم حبُّ السنة، وعلامةُ حبِّ السنة حبُّ الآخرة^(٥)، وعلامةُ حبِّ الآخرة بُغضُ الدنيا، وعلامةُ بُغضِ الدنيا ألا يدخِرَ منها إلا زاداً وبلغاً إلى الآخرة^(٦) .

وقال ابن مسعود^(٧): لا يسألُ أحدٌ عن نفسه^(٨) إلا القرآن؛ فإن كان يحبُّ القرآن فهو يحبُّ الله ورسوله .

(١) كان عبد الله بن أبي رئيس أهل يثرب قبل الهجرة، فلما هاجر النبي إلى المدينة وظهر الإسلام بطلت رياسته، فكان لحرصه على الدنيا يكره الإسلام ويظهر النفاق، وهو الذي نزل في حقه سورة المنافقين . وأما ابنه عبد الله فكان من خيار الصحابة الصادقين .

(٢) وهدى به الخلق كلهم، واهتدى هو، وتخلق به: أي اتخذ خلقه يعمل بكل ما فيه .

(٣) كان خلقه القرآن: أي كان دأبه التمسك به، والتأدب بأدابه، والعمل بما فيه من مكارم الأخلاق. وحديث عائشة في سنن أبي داود: ١ - ١٣٤، ومسند أحمد: ٦ - ١١١، وتفسير

ابن كثير: ٨ - ٢١٤ (٤) من علامات حجة الرسول .

(٥) لأن من أحب الرسول واتبعه أحب لقاءه ورغب في الآخرة .

(٦) ألا يدخر: ألا يقتنى منها إلا مقدار ما يتزود ويتقوت، وما يبلغه إلى الدار الآخرة، كالسافر يحمل من الزاد ما يبلغه لقصده ومنزله، فإنما الدنيا دار سفر، لا دار مقر .

(٧) في حديث رواه البيهقي في الأدب، وابن الضريس في فضائل القرآن .

(٨) عن نفسه: عن أحوال نفسه في محبتها لله ورسوله .

وَمِنْ عِلَامَةِ حُبِّهِ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَفَقَتُهُ عَلَى أُمَّتِهِ ، وَنُصْحُهُ لَهُمْ ، وَسَفِيهِ فِي مَصَالِحِهِمْ ، وَرَفْعُ الْمَصَارِّ عَنْهُمْ ؛ كَمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَهْوَفًا رَحِيمًا^(١) .

وَمِنْ عِلَامَةِ تَمَامِ مَحَبَّتِهِ زُهْدَ مُدْعِيهَا^(٢) فِي الدُّنْيَا ، وَإِبْثَارُهُ الْفَقْرَ^(٣) ، وَاتِّصَافُهُ بِهِ .

وَقَدْ قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لِأَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ : إِنَّ الْفَقْرَ إِلَى مَنْ يُحِبُّنِي مِنْكُمْ أَسْرَعُ^(٤) مِنَ السَّيْلِ مِنَ أَعْلَى الْوَادِي ، أَوْ الْجَبَلِ إِلَى أَسْفَلِهِ .

وَفِي حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَعْقِلٍ : قَالَ رَجُلٌ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؛ إِنِّي أُحِبُّكَ . فَقَالَ : انظُرْ مَا تَقُولُ^(٥) . قَالَ : وَاللَّهِ إِنِّي أُحِبُّكَ - ثَلَاثَ مَرَّاتٍ . قَالَ : إِنَّ كُنْتَ تُحِبُّنِي فَأَعِدْ لِلْفَقْرِ تَجْفَافًا^(٦) .

ثُمَّ ذَكَرَ نَحْوَ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ بِمَعْنَاهُ .

(١) رهوفا : الرأفة شدة الرحمة .

(٢) مدعيها : مدعى المحبة .

(٣) إيثاره : اختياره وتقديمه الفقر على النفي وسعة الدنيا .

(٤) أى يصل إليكم بسرعة أقوى من سرعة السيل إذا انحدرت من اللوضع الذى يسيل فيه الماء .

(٥) انظر ماتقول : أى تفكر فيه وتأمل ؛ فإن محبتي أمر عظيم من اختارها صادقاً مخلصاً

ينبئى ألا يجب أمراً من أمور الدنيا ، وهو أمر صعب .

(٦) تجفاف : التجفاف : شئ يوضع على الخيل ليقيها في الحرب الأذى كالدرع للإنسان ،

وقد يلبسه الإنسان ؛ أى أعدله عدة تقيك من أذى الفقر ؛ فإن النفوس لاتحمه ؛ يعنى الصبر

عليه ورياضة النفس فى تحمله . وفى هامش ١ : التجفاف : ما يلبسه الفرس مثل البرقع ، والجمع

تجافيف . ويروى : جلباباً ؛ قال السيبى : معناه : ليرفض الدنيا ويؤهد فيها وليصبر على الفقر

والتقلل ، وكفى بالتجفاف أو الجلباب عن الصبر ، لأنه يستر الفقر كما يستر الجلباب البدن .

والحديث فى سنن الترمذى : ٤ - ٣٧

فصل

في معنى المحبة للنبي صلى الله عليه وحققتها

اختلف الناس في تفسير محبة الله ومحبة النبي صلى الله عليه وسلم ، وكثرت عباراتهم في ذلك ؛ وليست ترجع بالحقبة إلى اختلاف مقال^(١) ، ولكنها اختلاف أحوال^(٢) :

فقال سفيان : المحبة^(٣) اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم ؛ كأنه التفت إلى قوله تعالى^(٤) : ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ، وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ .

وقال بعضهم : محبة الرسول اعتقاد نصرته^(٥) ، والذب عن سنته ، والالتقياد لها ، وهيبة مخالفته .

وقال بعضهم : المحبة : دوام الذكر للمحبوب .

وقال آخر : إيثار المحبوب^(٦) .

وقال بعضهم : المحبة الشوق إلى المحبوب .

(١) إلى اختلاف مقال : أي إلى اختلاف يتعلق باللفظ .

(٢) اختلاف أحوال : أي سبب اختلافهم اختلاف حال الحب ، وحال المحبة قوة وضعفا ؛ فكل نظر إلى حال من أحوالها وفسرها بتفسير يناسبه ، فليس اختلافا حقيقيا ولا لفظيا ، وإنما هو باعتبار المحبوب والمحب وحالاتها .

(٣) المحبة : أي محبة الله . (٤) سورة آل عمران ، آية ٣١

(٥) اعتقاد نصرته : لزوم نصرته بالمجاهدة لينصره ويملى كلمته والذب : الطرد عن سنته وشريعته برد ما يخالفها ودفع الشبهة الواردة عليها .

(٦) إيثار المحبوب : اختياره وتقديمه على ما سواه ؛ بأن يكون أحب إليه من نفسه وأهله

وماله .

وقال بعضهم : المحبةُ مواطاةُ القلبِ ^(١) لِمُرَادِ الرَّبِّ ؛ يُحِبُّ مَا أَحَبَّ ، وَيَكْرَهُ مَا كَرِهَ .

وقال آخر : المحبةُ مَيْلٌ [١٤٨] القَلْبِ إِلَى مُوَافِقِهِ لَهُ .

وأكثرُ العِبَارَاتِ المتقدمة إشارةٌ إلى ثمراتِ المحبةِ دُونَ حَقِيقَتِهَا .

وحقيقةُ المحبةِ الميلُ إلى ما يُوَافِقُ الإنسانَ ، وتكونُ موافقةً له إِمَّا لِاسْتِغْذَاذِهِ بِإِدْرَاكِهِ ؛ كحُبِّ الصُّورِ الجميلةِ ، والأصواتِ الحسنةِ ، والأطعمةِ والأشربةِ اللذيذةِ ، وأشباهِها مِمَّا كُلُّ طَبِيعٍ سَلِيمٍ مَائِلٌ إِلَيْهَا لِموافقتِها له ، أَوْ لِاسْتِغْذَاذِهِ بِإِدْرَاكِهِ بِحَاسَّةِ عَقْلِهِ وَقَلْبِهِ مَعَانِي بَاطِنَةٍ ^(٢) شَرِيفَةٍ ؛ كحُبِّ الصالحينِ والعلماءِ وأهلِ المعروفِ ، والمأثورِ عنهم ^(٣) السَّيْرِ الجميلةِ والأفعالِ الحسنةِ ؛ فَإِنَّ طَبِيعَ الإنسانِ مَائِلٌ إِلَى الشَّفَفِ ^(٤) بِأَمْثَالِ هَؤُلَاءِ حَتَّى يَبْلُغَ التَّمَصُّبُ بِقَوْمٍ ، وَالتَّشْيِيعُ ^(٥) مِنْ أُمَّةٍ فِي آخِرِينَ مَا يُوَدِّي إِلَى الجِلاءِ ^(٦) عَنِ الأوطانِ ، وَهَتَكَ الحُرْمِ ^(٧) ، وَاخْتِرَامِ النُّفُوسِ ^(٨) ؛ أَوْ يَكُونُ حُبُّ إِيَّاهِ لِموافقتِهِ لَهُ مِنْ جِهَةِ إِحْسَانِهِ لَهُ وَإِنْعَامِهِ عَلَيْهِ ؛ فَقَدْ جُبِلَتْ ^(٩) النُّفُوسُ عَلَى حُبِّ مَنْ أَحْسَنَ إِلَيْهَا .

(١) مواطاةُ القلبِ : موافقتُهُ لِمُرَادِ الرَّبِّ ، بِأَلَّا يَرِيدُ إِلَّا مَا أَرَادَهُ اللهُ .

(٢) معاني باطنة : غير مدركة بالحواس الظاهرة .

(٣) المأثور : المنقول . (٤) الشفف : المحبة الزائدة .

(٥) التمصب : إظهار الحمية والمبالغة في الصيانة . والتشييع بمعناه أيضا .

(٦) أمة : طائفة . والجلاء : الخروج .

(٧) هتك الحرم : هتك السرِّ بإزائه وتقطيعه . والحرم : جمع حرمة ؛ وهي

كل ما يصان ويمنع .

(٨) اخترام النفوس : إهلاك الذوات أو الأرواح بسرعة .

(٩) جبيلت النوس : طبعت وخلقت .

فإذا تقرّرَ هذا نظرتَ هذه الأسبابَ كلّها في حقِّه صلى الله عليه وسلم فعلتَ أنه صلى الله عليه وسلم جامعٌ لهذه المعاني الثلاثة الموجبة للمحبة :

أما جمالُ الصورةِ ^(١) والظاهرِ ، وكالُ الأخلاقِ والباطنِ ، فقد قرّرنا منها قبلُ فيما مرَّ في الكتاب ما لا يحتاجُ إلى زيادةٍ .

وأما إحسانُهُ ^(٢) وإنعامُهُ على أمتهِ فكذلك قد مرَّ منه في أوصافِ الله تعالى له من رأفتهِ بهم ، ورحمتهِ لهم ، وهدايتهِ إياهم ، وشفقتهِ عليهم ، واستنقاذهم به من النار ، وأنه بالمؤمنين رهوفٌ رحيمٌ ، ورحمةٌ للعالمين ، ومُبشراً ونذيراً ، وداعياً إلى الله يآذنه وسراجاً منيراً ، ويتلو عليهم آياته ، ويزرّكهم ، ويُعلّمهم الكتابَ والحِكْمَةَ ، ويهديهم إلى صراطٍ مُستقيمٍ .

فأىُّ إحسانٍ أجلُّ قدرًا ^(٣) ، وأعظمُ خطراً ^(٤) من إحسانه إلى جميع المؤمنين ؟ وأيُّ إفضالٍ ^(٥) أعمُّ منفعةً وأكثُرُ فائدةً من إنعامه على كافّةِ المسلمين ؛ إذ كان ذريعتهم ^(٦) إلى الهداية ، ومُنقذهم من العماية ^(٧) ، وداعيتهم إلى الفلاح ^(٨) ، ووسيلتهم إلى ربهم ^(٩) ، وشفيعهم والمتكلم عنهم ، والشاهد لهم ، والموجب لهم البقاء الدائم والنعيم السرممد ^(١٠) .

(١) هو السبب الأول ؛ وهو حب الصورة الحسنة . والصورة : الهيئة .

(٢) هذا هو السبب الثاني . (٣) أجل قدرًا : أرفع رتبة .

(٤) خطراً : قدرًا أو شرفًا . (٥) إفضال : إحسان وتفضل .

(٦) ذريعتهم : وسيلتهم ، والسبب للوصول لهم .

(٧) العماية : النواية والجهالة .

(٨) الفلاح : الفوز والظفر بسعادة الدارين .

(٩) وسيلتهم إلى ربهم : أى موصلهم ومقربهم إليه ، وجاعل لهم منزلة عنده .

(١٠) وللوجب لهم ؛ أى الذى يحقق لهم البقاء الدائم بالخلود فى الجنة ، والنعيم الدائم الذى لا ينقطع فى الجنة .

فقد استبان^(١) لك أنه صلى الله عليه وسلم مستوجبٌ للحجة الحقيقية شرعاً بما قدمناه من صحيح الآثار ، وعادةً وجبة^(٢) بما ذكرناه آنفاً^(٣) ، لإفاضته الإحسان ، وعمومه الإجمال^(٤) ؛ فإذا كان الإنسان يُحبُّ مَنْ منَّعَهُ في دُنْيَاهُ مرَّةً أو مرتين معروفاً ، أو استفدته من هَدَايَةٍ أو مَصْرَفَةٍ مدَّة التَأْدِي بها قليلٌ منقطع^(٥) - فَمَنْ منَّعَهُ ما لا يَبِيدُ^(٦) من النعم ، ووقاه ما لا يَفْنَى من عذاب الجحيم أولى بالحب .

وإذا كان يُحِبُّ بالطَّبَعِ ملكٌ لِحَسَنِ سيرته ، أو حاكمٌ لما يُوَثِّرُ من قَوَامٍ^(٧) طريقته ، أو قاصٌّ بعيدِ الدارِ لما يُشَادُ^(٨) مِنْ عِلْمِهِ أو كَرَمِ شِيمَتِهِ^(٩) - فَنَجْمُ هذه الخصالِ على غايةِ مراتبِ السَّكَالِ أحقُّ بالحبِّ ، وأولى بالميل .

وقد قال^(١٠) عليٌّ رضيَ اللهُ عنه في صفته صلى اللهُ عليه وسلم : مَنْ رَأَاهُ بِدِيهَةٍ هَابَةٍ ، وَمَنْ خَالَطَهُ مَعْرِفَةً أَحَبَّهُ .

وذكرنا عن بَعْضِ الصحابة أنه كان لا يَصْرِفُ بَصَرَهُ عَنْهُ حَبَّةً فِيهِ [١٤٩] .

(١) في ب : فقد بان لك . واستبان : ظهر .

(٢) وجبة : الجيلة بمعنى الطبيعة ، وإنما كان حبه جبلة لأن كل خير وإحسان وصل إلينا

فهو منه صلى اللهُ عليه وسلم ، والنفوس مجبولة على حب من أحسن إليها .

(٣) آنفاً : قريباً .

(٤) إفاضته : إعطائه من بحر كرمه . وعمومه الإجمال : تميم الجليل منه لكل أحد .

(٥) أى زائل في زمن قليل . (٦) ما لا يبيد : ما لا يذهب ويفنى .

(٧) يُوَثِّرُ : ينقل عنه . قوام طريقته : حسن سلوكه . وقوام - بكسر القاف : المهاد والنظام ،

ويفتحها : الاعتدال .

(٨) قاص - بالصاد : واعظ . وفي ب : قاض . لما يشاد : لأجل ما يسمع ويشهر من ذكره

بين الناس .

(٩) شيمته : سجيته وخلقه .

(١٠) من أحاديث الحلية ، وهو في سنن الترمذي : ٥٩٩ . بدية : أى أبصره في أول رؤيته .

فصل

في وجوب مُنَاصَحَتِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

قال اللهُ تَعَالَى (١) : ﴿ وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ .

قال أهلُ التفسير : إذا نصحوا اللهُ ورسوله : إذا كانوا مُخلصين مُسلمين في السرِّ والمُلائيبة .

حدثنا القاضي الفقيه أبو الوليد بقراءتي عليه ، حدثنا حسين بن محمد ، حدثنا يوسف (٢) بن عبد الله ، حدثنا ابن عبد المؤمن ، حدثنا أبو بكر التمار ، حدثنا أبو داود ، حدثنا أحمد بن يونس ، حدثنا زهير ، حدثنا سهيل بن أبي صالح ، عن عطاء بن يزيد ، عن نعيم الداري ؛ قال : قال رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٣) :
إِنَّ الدِّينَ النَّصِيحَةُ . إِنَّ الدِّينَ النَّصِيحَةُ . إِنَّ الدِّينَ النَّصِيحَةُ . قالوا (٤) : لِمَنْ يَا رَسُولَ اللهِ ؟ قال : لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ ، وَأُمَّةٍ لِلْمُسْلِمِينَ وَعَامَتِهِمْ وَاجِبَةٌ .

قال أئمتنا : النَّصِيحَةُ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَأُمَّةٍ لِلْمُسْلِمِينَ وَعَامَتِهِمْ وَاجِبَةٌ (٥) .

قال الإمام أبو سليمان البستي : النَّصِيحَةُ كَلِمَةٌ يُعْبَرُ بِهَا عَنْ جُمْلَةِ إِرَادَةِ الْخَيْرِ .

(١) سورة التوبة ، آية ٩١ . حرج : إثم إذا تخلفوا عن الخروج مع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لفقرهم للمانع لهم . إذا نصحوا اللهُ ورسوله : إذا أخلصوا الإيمانَ بهما والطاعةَ لهما ظاهراً وباطناً ما استطاعوا ، وأخلصوا لهما من قول أو فعل يعود على المسلمين بالصلاح . ما على المحسنين من سبيل : أي ليس عليهم جناح ، ولا إلى معاتبتهم سبيل .

(٢) هو أبو عمر - ابن عبد البر .

(٣) الحديث في صحيح مسلم : ٧٤ ، وسنن الترمذي : ٤ - ٣٢٤

(٤) قالوا : أي بعض الصحابة .

(٥) واجبة : أي فرض عين على كل مكلف . ونقل النووي أنها فرض كفاية ؛ فإن خشي

أذى فهو في سمة من الترك .

للمنصوح له ؛ وليس يمكن أن يعبرَ عنها بكلمةٍ واحدةٍ تحصرُها . ومعناها في اللغة الإخلاصُ ؛ من قولهم : نصحتُ العسلَ ، إذا خلصتَه من شحمه .

وقال أبو بكر بن أبي إسحاق الخنّاف : النصْحُ فعلُ الشَّيءِ الذي به الصَّلَاحُ والملازمة^(١) ، مأخوذ من النَّصَاح ؛ وهو الخليطُ الذي يُخَاطَبُ به التَّوبُ .

وقال أبو إسحاق الزجاجُ نحوه .

فنصيحةُ اللهِ تعالى صِحَّةُ الاعتقادِ له بالوَحدانيةِ ، ووضْفُه بما هو أهله^(٢) ، وتَنزِيهُه عما لا يجوزُ عليه ، والرغبةُ في محابَّته^(٣) ، والبُعدُ من مساخِطِه^(٤) ، والإخلاصُ في عبادته .

والنصيحةُ لكتابه الإيمانُ به ، والعملُ بما فيه ، وتحسينُ تلاوته ، والتخشعُ^(٥) عنده ، والتعظيمُ له ، وتفهمُه والتفهُّمُ فيه ، والذبُّ^(٦) عنه من تأويلِ الغالين ، وطعنُ الملحدِين .

والنصيحةُ لرسوله التصديقُ بنبوّته ، وبذلُّ الطاعةِ له فيما أمرَ به ونهى عنه ؛ قاله أبو سليمان .

وقال أبو بكر : ومؤازرته^(٧) ونصرتُه وحمايته حيا وميتا^(٨) ، وإحياءُ سنّته

(١) الملازمة : الموافقة .

(٢) بما هو أهله : بما يستحق ويليق به .

(٣) في محابه : أى يرغب في كل ما يحبه ويرضاه .

(٤) مساخِطه : كل ما يسخط الله ، ويورث غضبه من الماصي .

(٥) والتخشع عنده : إظهار الخشوع . عنده : عند تلاوته .

(٦) والذب عنه ؛ أى زجر من طمن فيه من الملحدِين .

(٧) مؤازرته : معاضدته ومعاونته .

(٨) حمايته : دفع السوء عنه ، حيا بالمجاهدة معه وخدمته ، وميتا بتقوية دينه وتأيد

شريعته .

بالطلب^(١) ، والذَّبُّ عنها ، ونَشْرُها ، والتخلُّقُ بأخلاقه السَّكرية وآدابه الجميلة .
وقال أبو إبراهيم [إسحاق]^(٢) التَّجِيبِي: نصيحةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
التصديقُ بما جاء به ، والاعتصامُ^(٣) بسنته ، ونَشْرُها ، والحضُّ^(٤) عليها ، والدعوةُ
إلى اللَّهِ وإلى كتابه وإلى رسوله ، وإلىها^(٥) وإلى العمل بها .
وقال أحمد بن محمد^(٦) : من مفروضات القلوب^(٧) اعتقادُ النصيحةِ لرسولِ اللَّهِ
صلى اللَّهُ عليه وسلم .

قال أبو بكر الأَجْرِي وغيره : النصحُ له يَقْتَضِي نُصْحَيْنِ : نُصْحًا فِي حَيَاتِهِ ،
وَنُصْحًا بَعْدَ مَمَاتِهِ ؛ ففِي حَيَاتِهِ نُصْحُ أَصْحَابِهِ لَهُ بِالنَّصْرِ وَالْحَمَامَةِ^(٨) عَنْهُ ، وَمَعَادَاةَ
مَنْ عَادَاهُ ، وَالسَّمْعَ وَالطَّاعَةَ لَهُ ، وَبَدْلَ النُّفُوسِ وَالْأَمْوَالِ دُونَهُ ؛ كَمَا قَالَ
اللَّهُ تَعَالَى^(٩) : ﴿ رَجُلًا صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ، فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَجْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ
يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴾ .

وقال^(١٠) : ﴿ وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أَوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ .
وَأَمَّا نَصِيحَةُ الْمُسْلِمِينَ لَهُ بَعْدَ وَفَاتِهِ فَالتَّزَامُ التَّوْقِيرُ وَالْإِجْلَالُ ، وَشِدَّةُ الْحُبِّ لَهُ ،

-
- (١) بالطلب : بأن يسأل عنها ، ويجتهد في معرفتها ، ويعمل بها .
(٢) ليس في أ . (٣) الاعتصام بسنته : التمسك بها .
(٤) الحضض عليها : حث الناس وتحريضهم على اتباعها .
(٥) وإليها : إلى السنة . (٦) هو ابن حنبل .
(٧) من مفروضات القلوب : أى مما فرض ووجب اعتقاده وجزم القلوب به . واعتقاد :

وجوب .

- (٨) والحمامة عنه : بدفع السوء عنه وعن من يريده .
(٩) سورة الأحزاب ، آية ٢٣ . عاهدوا الله على بذل أرواحهم وأموالهم في سبيل الله
ونصرة رسوله صلى الله عليه وسلم ، فوفوا بهدم . قضى نجبه : مات .
(١٠) سورة الحشر ، آية ٨

والثابرة^(١) على تعلم سنته [١٥٠] ، والتفقه في شريعته^(٢) ؛ ومحبة آل بيته وأصحابه ، ومجانبة من رغب عن سنته وانحرف عنها^(٣) ، وبغضه والتحذير منه ، والشفقة على أمته ، والبحث عن تعرف أخلاقه وسيره وآدابه ، والصبر على ذلك .

فعلى ما ذكره تكون النصيحة إحدى ثمرات المحبة ، وعلامة من علاماتها كما قدمنا .

وحكى الإمام أبو القاسم التستري أن عمرو بن الليث أحد ملوك خراسان ومشاهير الثوار^(٤) را المعروف بالصفار - رُئي في النوم ، فقيل له : ما فعل الله بك ؟ فقال : عُفِر لي ، فقيل : بماذا ؟ قال : صعدت ذرّوة^(٥) جبل يوماً ، فأشرفت^(٦) على جنودي ، فأعجبني كثرتهم ، فتمنيت أني حضرت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعنته ونصرته ؛ فشكر الله لي ذلك وعفّر لي .

وأما النصيح لأئمة المسلمين فطاعتهم في الحق ، ومعاونتهم فيه ، وأمرهم به ، وتذكيرهم إياه على أحسن وجه^(٧) وتنبههم على ما غفلوا عنه وكتّم عنهم من أمور المسلمين ، وترك الخروج عليهم^(٨) ، وتضريب^(٩) الناس وإفساد قلوبهم عليهم .

(١) الثابرة : المداومة .

(٢) التفقه في شريعته : بفهم معانيها والعلم بأحكامها .

(٣) انحرف عنها : مال عنها ، ورغب في غيرها .

(٤) الثوار : الأبطال الشجعان (شرح القارى : ٢ - ٦) .

(٥) ذرة : أعلى كل مرتفع .

(٦) أشرفت على جنودي : رأيتهم في مكان عال واطلمت عليهم .

(٧) على أحسن وجه : برفق وتلطيف القول وتحسينه ؛ فإنه ادعى للائتمال .

(٨) وترك الخروج عليهم بمخالفتهم وعصيان أمرهم .

(٩) تضريب الناس : إغراؤهم وتحريكهم عليهم .

والنُصْحُ لِعَامَّةِ الْمُسْلِمِينَ إِرْشَادُهُمْ إِلَى مَصَالِحِهِمْ ، وَمَعُونَتُهُمْ فِي أَمْرِ دِينِهِمْ
وَدُنْيَاهُمْ بِالْقَوْلِ وَالْفِعْلِ ، وَتَنْبِيهُ غَافِلِهِمْ ، وَتَبْصِيرُ^(١) جَاهِلِهِمْ ، وَرَفْدُ^(٢) مَحْتَاجِهِمْ ،
وَسِتْرُ عَوْرَاتِهِمْ^(٣) ، وَدَفْعُ الضَّارِّ عَنْهُمْ ، وَجَلْبُ الْمَنَافِعِ إِلَيْهِمْ .

(١) تبصير جاهلهم : تعريفه بما جهل ليكون ذا بصيرة في أموره .

(٢) ورفد محتاجهم : إعانة المحتاج منهم .

(٣) ستر عوراتهم : أى يستر عليهم بعض معاصيهم إذا رآها فلا يذكرها حتى لا يفتضح

مرتكبها ؛ فإذا أرشد أحدا لترك معاصيه ذكر ذلك سرا ؛ فإن النصيحة بين الملائم تقريع .

الباب الثالث

في تعظيم أمره ووجوب توقيره وريته

قال الله تعالى^(١) : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾ .

﴿ لِتُؤْمِنُوا^(٢) بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ ﴾ .

وقال^(٣) : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقَدَّمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ .

و : ﴿ يَا أَيُّهَا^(٤) الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا

له بالقول كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ . إِنَّ الَّذِينَ

يَفْضُونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ

وَأَجْرٌ عَظِيمٌ . إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنَ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ .

وقال تعالى^(٥) : ﴿ لَا تَجْمَعُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا ﴾ .

فأوجب الله تعالى تفضيره وتوقيره^(٦) ، والأزم إكرامه وتعظيمه .

(١) سورة الأحزاب ، آية ٤٥

(٢) سورة الفتح ، آية ٩ ، قال في شرح الخفاجي (٣ - ٤٢٧) : واستشهاده بالآية بناء على ما ذهب إليه الضحاك من أن الضمائر كلها له صلى الله عليه وسلم ، وشهادته لهم يوم القيامة بما عملوه من طاعة وغيرها ؛ وعلى هذا فالوقف على قوله : وتوقروه .

(٣) سورة الحجرات ، آية ١

(٤) سورة الحجرات ، آية ٢ - ٤ : أمرهم إذا خاطبوه صلى الله عليه وسلم ألا يجهروا ، بل يخفضوا أصواتهم تأدبا لما في الجهر من الاستخفاف المؤدى إلى الكفر المحبط للأعمال ، لما فيه من الإهانة وعدم الاعتناء بمقام النبوة ، ثم أتى على من غض صوته عنده بأن الله تعالى بمد امتحانه وعده بأن له مغفرة وأجرا عظيما لارتضائه له .

(٥) سورة النور ، آية ٦٣ . لا تجمعوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا : وذلك بأن تتادوه باسمه : يا محمد ونحوه . كما ينادى بعضكم بعضا .

(٦) تفضيره : إجلاله . وتوقيره : التأدب معه .

قال ابن عباس : تُعَزَّرُوه : تُجِلُّوه . وقال البرد : تعزروه : تبالغوا في تعظيمه .
وقال الأخفش : تنصرونه . وقال الطبري : تعينونه .

وقرى : تُعَزَّرُوه - بزايين - من العز .

ونهى عن التقدم بين يديه^(١) بالقول ؛ وسوء الأدب بسبقه بالكلام ، على قول ابن عباس وغيره ؛ وهو اختيار ثعلب .

قال سهل بن عبد الله : لا تقولوا قبل أن يقول ؛ وإذا قال فاستمعوا له وأنصتوا .

ونهى عن التقدم والتمجيل^(٢) بقضاء أمرٍ قبل قضاؤه فيه ؛ وأن يفتانوا^(٣) بشيء في ذلك من قتالٍ أو غيره من أمرٍ دينهم إلا بأمره ، ولا يسبقوه به .

وإلى^(٤) هذا يرجع قول الحسين ، ومجاهد ، والضحك ، والسدي ، والثوري .

ثم وعظهم وحذرم مخالفة ذلك ؛ فقال^(٥) : ﴿ واتقوا الله إن الله سميعٌ عليمٌ ۝ ﴾

قال الماوردي : اتقوه - يعني في التقدم .

وقال السلمي : اتقوا الله في إهمالِ حقِّه^(٦) ونضييعِ حرْمته ، إنه سميعٌ لقولكم ،

عليهم يفعلكم .

ثم نهام عن رفع الصوت فوق صوته ، والجهر له بالنول كما يجهر بعضهم

لبعض ويرفعُ صوته .

وقيل : كما يُنادي بعضهم [١٥١] بعضاً باسمه .

(١) بين يديه : بحضرته . بالقول : بأن يسبقه أحد بالكلام .

(٢) في ١ : والتمجيل .

(٣) وأن يفتانوا : أى يستبدوا ويستقلوا . أو يختلقوا .

(٤) وإلى هذا : أى المذكور في تفسير الآية .

(٥) سورة الحجرات ، آية ١ (٦) إهمال : ترك .

قال أبو محمد مَكِّيّ : أئى لا تُسأَبِقُوهُ بالكلام ، وتُعَلِّظُوا له بِالخِطَابِ (١) ، ولا تُنَادُوهُ بِاسْمِهِ نِدَاءَ بَعْضِكُمْ بَعْضًا ؛ ولكن عَظَمُوهُ وَوَقَّرُوهُ وَنَادُوهُ بِأَشْرَفِ مَا يَجِبُ أَنْ يُنَادَى بِهِ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، يَا نَبِيَّ اللَّهِ .

وهذا كقولاه فى الآيَةِ الأخرى (٢) : ﴿ لَا تَجْعَلُوا دَعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا ﴾ عَلَى أَحَدِ التَّأْوِيلَيْنِ (٣) .
وقال غيره : لَا تَخَاطِبُوهُ إِلَّا مُسْتَهْمِينَ .

ثم خَوَّفَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِجَبْطِ أَعْمَالِهِمْ إِنْ هُمْ فَعَلُوا ذَلِكَ ، وَحَذَّرَهُمْ مِنْهُ .
قيل : نَزَلَتِ الآيَةُ فِي وَفْدِ (٤) بَنِي تَمِيمٍ - وَقِيلَ : فِي غَيْرِهِمْ ؛ أَتَوَا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَنَادَوْهُ : يَا مُحَمَّدُ ، يَا مُحَمَّدُ ؛ أَخْرُجْ إِلَيْنَا . فَذَمَّهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِالْجَهْلِ ، وَوَصَفَهُمْ بِأَنْ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ .

وقيل : نَزَلَتِ الآيَةُ فِي مَحَاوِرَةِ (٥) كَانَتْ بَيْنَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ بَيْنَ يَدَيْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَاخْتِلَافِ جَرَى بَيْنَهُمَا ، حَتَّى ارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُهُمَا .
وقيل : نَزَلَتْ فِي ثَابِتِ بْنِ قَيْسِ بْنِ شِمَّاسٍ (٥) خَطِيبِ (٦) النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

(١) وَتَمَلَّظُوا لَهُ بِالخِطَابِ : أَيْ تَخَاطَبُوهُ بِنِظَازَةٍ .

(٢) سُورَةُ النُّورِ ، آيَةُ ٦٣ ، وَاتَّأْوِيلَيْنِ : أَيْ التَّفْسِيرَيْنِ ؛ وَهُوَ أَنَّ الدُّعَاءَ بِمَعْنَى النِّدَاءِ وَالتَّسْمِيَةِ ؛ أَيْ لِاتِّنَادُوهُ بِاسْمِهِ ، رَافِعِينَ أَصْوَاتَكُمْ بِأَنْ تَقُولُوا : يَا مُحَمَّدُ ، يَا أَبَا الْقَاسِمِ ، كَمَا يُنَادَى بِبَعْضِكُمْ بَعْضًا إِذَا طَلَبَ إِقْبَالَهِ ؛ بَلْ خَاطَبُوهُ بِأَدَبٍ فَقُولُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، يَا نَبِيَّ اللَّهِ ، يَا خَيْرَ خَلْقِ اللَّهِ ، وَنَحْوَهُ .
وَالثَّانِي أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِاللِّدْعَاءِ الدُّعَاءَ عَلَى أَحَدٍ ؛ أَيْ لِاتِّظَانِ أَنْ دُعَاةَ كَدُعَائِكُمْ يَحْتَمِلُ الإِجَابَةَ وَعَدَمَهَا كَدُعَائِكُمْ ، سِوَاهُ كَانَ بِخَيْرٍ أَوْ شَرٍّ ؛ فَإِنَّ اللَّهَ ضَمَّنَ لَهُ إِجَابَةَ دُعَائِهِ ، وَوَعَدَ بِهَا وَهُوَ لَا يَخَافُ الِيمَادَ ؛ وَهَذَا غَيْرُ مَرَادِ هُنَا .

(٣) الْمَوْفِدُ : جَمْعُ وَافِدٍ ، وَهُوَ التَّاقِدُ عَلَى الْعِظْمَاءِ لِأَمْرِ مَا . وَكَانَ ذَلِكَ فِي سَنَةِ تِسْعٍ .

(٤) سَنَنِ التَّرْمِذِيِّ : ٥ - ٣٨٧ (٥) صَحِيحُ مُسْلِمٍ : ١١٠

(٦) خَطِيبِ النَّبِيِّ : مِنَ الْخِطْبَاءِ الَّذِينَ كَانُوا يُخَاطَبُونَ عِنْدَ قُدُومِ الْوَفُودِ عَلَى النَّبِيِّ . وَارْجِعْ

فِي سَبَبِ نَزُولِ هَذِهِ الآيَاتِ إِلَى تَفْسِيرِ ابْنِ كَثِيرٍ : ٤ - ٢٠٦ . وَفِي تَفْسِيرِ الْقُرْطُبِيِّ (١٦ - ٣٠)
ذَكَرَ سِتَّةَ أَقْوَالٍ فِي سَبَبِ نَزُولِهَا . وَانظُرْ فِي ذَلِكَ أَيْضًا سَبَابَ النُّزُولِ لِلْوَاحِدِيِّ : ٢١٨

في مفاخرة بني تميم ، وكان في أذنيه صمم ؛ فكان يرفعُ صوته ؛ فلما نزلت هذه الآية أقام في منزله ، وخشى أن يكون حبطَ عمله ؛ ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا نبي الله ؛ لقد خشيتُ أن أكون هلكتُ ؛ نهانا الله أن نجهرَ بالقول ، وأنا امرؤٌ جهيرٌ (١) الصوت .

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : يا ثابت ؛ أما ترضى أن تعيشَ حميدا (٢) ، وتقتلَ شهيدا ، وتدخلَ الجنةَ ! فقتل يومَ البمامة (٣) .

وروى أن أبا بكر لما نزلت هذه الآية قال : والله يا رسول الله ، لا أكلكَ بعدها إلا كأخى السرار (٤) .

وأن عمر كان إذا حدثه حديثه كأخى السرار ؛ ما كان يُسمعُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بعدَ هذه الآية حتى يستفهمه ؛ فأنزل الله تعالى فيهم (٥) : ﴿ إن الذين يفضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرةٌ وأجرٌ عظيمٌ ﴾ .

وقيل : نزلت (٦) : ﴿ إن الذين يُفادونك من وراء الحجرات . . . ﴾ - في غير بني تميم ؛ نادوه باسمه :

وروى صفوان بن عسال (٧) : بينما النبي صلى الله عليه وسلم في سفرٍ إذ ناداهُ

(١) جهير الصوت : على الصوت .

(٢) حميدا : محمودا عند الله والناس ؛ وهذا يدل على قبول عمله ، وأنه لا يحبط .

(٣) يوم البمامة : في وقعة البمامة في خلافة أبي بكر الصديق ، سنة اثنى عشرة . وهي

وقعة مسيلة المشهورة .

(٤) إلا كأخى السرار : أى إلا كلاما خفيا كالسارة ، وهي السلام يخفيه حتى لا يسمعه

من عنده . وقد أخرجه البزار من طريق طارق بن شهاب .

(٥) سورة الحجرات ، آية ٣ (٦) سورة الحجرات ، آية ٤

(٧) رواه الترمذى ، والنسائى : سنن الترمذى . ٥٠ - ٥٤٥

أعرابى بصوتٍ له جَهْوَرِيٌّ^(١) : أياً محمد، أياً محمد. قلنا له : اغضض من^(٢) صوتِكَ؛ فإنكَ قد نَهَيْتَ عن رَفْعِ الصوتِ .

وقال اللهُ تعالى^(٣) : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا^(٤) ... ﴾ .

قال بعضُ المفسرين : هي لفظةٌ كانت في الأنصارِ ؛ نُهوا عن قولها تعظيماً للنبيِّ صلى اللهُ عليه وسلم ، وتبجيلاً^(٥) له ؛ لأنَّ معناها : ارعنا نزعك^(٦) ؛ فنُهوا عن قولها ؛ إذ مقتضاها كأنهم لا يرعونه إلاَّ برعايته لهم ؛ بل حقه أن يُرعى على كلِّ حال .

وقيل : كانت اليهودُ تُعرِّضُ بها للنبيِّ صلى اللهُ عليه وسلم بالرُّعونة^(٧) ؛ فنُهى المسلمون عن قولها ؛ قطعاً للذريعة^(٨) ، ومنعاً للتشبيه بهم في قولها ، لمشاركة اللفظة .
وقيل غيرُ هذا .

فصل

في عادة الصحابة في تعظيمه صلى اللهُ عليه وسلم وتوقيره [١٥٢] وإجلاله
حدثنا القاضي أبو علي الصدقي ، وأبو بحر الأسدي بسماعي عليهما في آخرين ؛
قالوا : حدثنا أحمد بن عمر ، حدثنا أحمد بن الحسن^(٩) ، حدثنا محمد بن عيسى ، حدثنا

(١) هو جهورى الصوت وجهيره : أى رفيمه .

(٢) اغضض من صوتك : لاترفعه . (٣) سورة البقرة ، آية ١٠٤

(٤) كان المؤمنون يقولون ذلك للرسول إذا خاطبهم ؛ يريدون : تأن في خطابك حتى نفهم كلامك ، فراع مقامنا ؛ فإننا لسنا مثلك فهما ، فانظر لحالنا . فانتهز اليهود الفرصة وقالوها ، لأنها كانت كلمة يتسبون بها . أو قصدوا أن تكون من الرعونة ، وسيأتى .

(٥) وتبجيلاً : تعظيماً له . (٦) ارعنا نزعك : من المراعاة ، أى احفظنا نحفظك .

(٧) الرعونة : الحفة والحماقة .

(٨) الذريعة : الوسيلة والسبب . والمراد دفع كل ما يؤدي إلى فساد في أمر مشروع .

(٩) في ب : الحسين . وفي هامشه : الحسن .

إبراهيم بن سفيان ، حدثنا مسلم ، حدثنا محمد بن مثنى ، وأبو معن الرقاشي ،
وإسحاق بن منصور ؛ قالوا : حدثنا الضحاک بن مخلد ، أخبرنا حيوة بن شريح ،
حدثنا يزيد بن أبي حبيب ، عن ابن شماسه^(١) المهری ؛ قال : حضرنا عمرو
ابن العاص . . .

فذكر حديثاً طويلاً فيه عن عمرو ، قال^(٢) : وما كان أحدٌ أحبَّ إليَّ من
رسولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم ، ولا أجلَّ في عيني منه ، وما كنتُ أطيقُ أن
أملأ عيني منه إجلالاً له ؛ ولو سُئلتُ أن أصِفَه ما أطفتُ ؛ لأنني لم أكنُ أملاً
عيني منه .

ورَوَى التِّرْمِذِيُّ ، عن أنس^(٣) - أن رسولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم كان يخرجُ
على أصحابه من المهاجرين والأنصار وهم جلوسٌ ، فيهم أبو بكر ، وعمر ؛ فلا يرفعُ
أحدٌ منهم إليه بصره إلا أبو بكر وعمر ؛ فإنهما كانا ينظرانِ إليه وينظر إليهما ،
ويتبسمانِ إليه ويتبسمُ إليهما^(٤) .

ورَوَى أسامةُ بن شريك^(٥) ؛ قال : أتيت النبيَّ صلى اللهُ عليه وسلم وأصحابه
حواله كأنما على رؤوسهم الطير^(٦) .

وفي حديث صِفَتِهِ : إذا تكلم أطرق جلساؤه كأنما على رؤوسهم الطير .

وقال عروة بن مسعود - حين وجهته قُرَيْش عامِ القِضْيَةِ^(٧) إلى رسولِ اللهِ

(١) ضبطت في ١ ، ب بضم الشين وفتحها وعليها « معا » .

(٢) صحيح مسلم : ١١٢ (٣) سنن الترمذی : ٥ - ٦١٢

(٤) وذلك لما بينها من الألفة .

(٥) في ١ : شريد ، وعليه علامة للصحة . وفي هامشه : خ شريك . والثبت في ب .

(٦) المراد السكون . وهذا الحديث رواه الأربعة وصححه الترمذی : الثمائل : صفحة ٣

من نسختي المحققة .

(٧) عام القِضْيَةِ : المراد بها قصة الحديدية . وقيل : أراد السنة التي قضى فيها العمرة .

صلى عليه الله وسلم ، ورأى من تعظيم أصحابه له ما رأى ، وأنه لا يتوضأ إلا ابتدرؤا وضوءه^(١) ، وكادوا يفتنون عليه ، ولا يبصق بؤصافا ، ولا ينتخم نخامة^(٢) إلا تلقوها بأكفهم فذلكوا بها وجوههم وأجسادهم ؛ ولا تسقط منه شعرة إلا ابتدرؤوها ؛ وإذا أمرهم بأمرٍ ابتدرؤوا أمره^(٣) ؛ وإذا تكلمم خفضوا أصواتهم عنده ، وما يحدون^(٤) إليه النظر تعظيما له .

فلما رجع إلى قريش قال : يا معشر قريش ؛ إني جئت كسرى في ملكه ، وقيصر في ملكه ، والنجاشي في ملكه ؛ وإني والله ما رأيت ملكا في قوم قط مثل محمد في أصحابه .

وفي رواية : إن رأيت^(٥) ملكا قط يمظمه أصحابه ما يمظم محمد أصحابه . وقد رأيت قوما لا يسألونه^(٦) أبدا .

وعن أنس^(٧) : لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلاق يملقه ، وقد أطاف به أصحابه ، فما يريدون أن تقع شعرة إلا في يد رجلٍ .

ومن^(٨) هذا لما أذنت قريش لثمان في الطواف بالبيت حين وجهه النبي صلى الله

(١) ابتدرؤا : أسرعوا وأخذوا . وضوءه : بقية الماء الذي توضأ به ، وما لساقط منه قبل وصوله إلى الأرض .

(٢) النخامة : ما يخرج من أقصى الحلق .

(٣) ابتدرؤوا أمره بالامتثال .

(٤) ولا يحدون إليه النظر : أى لا ينظرون إليه صلى الله عليه وسلم نظرا حديدا ؛ أى

قويا ، تأدبا . والحديث في صحيح البخارى : ١ - ٦٧ ، والمنازى للواقدي : ٥٩٨

(٥) إن رأيت : ما رأيت .

(٦) أسله لمدوه : إذا أمكنه منه ، وخلي بينه وبينه .

(٧) في حديث رواه مسلم : صحيح مسلم : ١٨١٢

(٨) ومن هذا : من تعظيم الصحابة له .

عليه وسلم إليهم في التَّضِيَّةِ^(١) أَبِي ، وقال : ما كنتُ لأفعلَ حتى يطوفَ به رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم .

وفي حديث^(٢) طلحة : إن أصحابَ رسولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم قالوا لأعرابي جاهلٍ : سَلِّهُ عَنِّي قَضَى نَحْبَهُ^(٣) . وكانوا يَهَابُونَهُ ويوقرونه ؛ فسأله ، فأعرض عنه ، إذ طلع طلحةُ ، فقال رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم : هذا مِنِّي قَضَى نَحْبَهُ .

وفي حديث قَيْلَةَ^(٤) : فلما رأيتُ رسولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم جالسا القُرْفُصَاءَ^(٥) أَرَعِدْتُ مِنَ الْفَرَقِ^(٦) . وذلك [١٥٣] هَيْبَةً لَهُ وتعظيما .

وفي^(٧) حديث المغيرة : كان أصحابُ رسولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم يَقْرَعُونَ بَابَهُ بِالْأُظْفِيرِ^(٨) .

وقال البراء^(٩) بن عازب : لقد كنتُ أُريدُ أن أسألَ رسولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم عن الأمرِ فَأَوْخَرَهُ^(١٠) سِنِينَ مِنْ هَيْبَتِهِ .

(١) حين أرسله النبي صلى اللهُ عليه وسلم إلى أهل مكة وهو بالحديبية ، وقد صدوم عن البيت ، أرسله لإعلامهم بأنهم لم يأتوا لقتالهم ، فلا وجه لصدوم عن دخول الحرم ، فلم يرضوا بذلك ، ولكنهم أذنوا لعثمان في الطواف .

(٢) رواه الترمذى وحسنه : سنن الترمذى : ٣٥٠ .

(٣) في قوله تعالى : من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ؛ فمنهم من قضى نحبه ...

سورة الأحزاب ، آية ٢٣ .

(٤) رواه أبو داود ، والترمذى ؛ وحديثها في الشمائل أيضا ؛ سنن أبي داود : ٢ - ١٩١ .

(٥) هو نوع من الجلوس محتبيا بيديه .

(٦) أرعدت : حصلت لى رعدة واضطراب . والفرق : شدة الخوف .

(٧) رواه الحاكم ، والبيهقى .

(٨) الأظفير : جمع ظفر . وفي أ : بالأظفير .

(٩) في حديث رواه أبو يعلى ، وصححه .

(١٠) في ب : فأؤخره .

فصل

في تعظيم النبي بعد موته

واعلم أنَّ حُرْمَةَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ مَوْتِهِ ، وَتَوْقِيرَهُ وَتَعْظِيمَهُ ، لَا زِمَّ كَمَا كَانَ حَالَ حَيَاتِهِ ؛ وَذَلِكَ عِنْدَ ذِكْرِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَذِكْرِ حَدِيثِهِ وَسُنَّتِهِ ، وَسَمَاعِ اسْمِهِ وَسِيرَتِهِ ، وَمُعَامَلَةِ آلِهِ وَعِزَّتِهِ^(١) ، وَتَعْظِيمِ أَهْلِ بَيْتِهِ وَصَحَابَتِهِ . وَقَالَ أَبُو إِبْرَاهِيمَ التُّجَيْبِيُّ : وَاجِبٌ عَلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ مَتَى ذَكَرَهُ ، أَوْ ذُكِرَ عِنْدَهُ - أَنْ يَخْضَعَ وَيَخْشَعُ ، وَيَتَوَقَّرَ^(٢) وَيَسْكُنَ مِنْ حَرَكَتِهِ ، وَيَأْخُذَ^(٣) فِي هَيْبَتِهِ وَإِجْلَالِهِ بِمَا كَانَ يَأْخُذُ بِهِ نَفْسَهُ^(٤) لَوْ كَانَ بَيْنَ يَدَيْهِ ؛ وَيَتَأَدَّبُ بِمَا آدَبَنَا اللَّهُ بِهِ^(٥) . قَالَ الْقَاضِي أَبُو الْفَضْلِ^(٦) : وَهَذِهِ كَانَتْ سِيرَةَ سَلَفِنَا الصَّالِحِ وَأُمَّتِنَا الْمَاضِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ .

حدثنا القاضي أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن الأشعري ، وأبو القاسم أحمد ابن يحيى الحاكم ، وغير واحد ، فيما أجازوني ؛ قالوا : أنبأنا أبو العباس أحمد بن محمد بن علي بن دلهام^(٧) ؛ قال : حدثنا أبو الحسن علي بن فنهر ، حدثنا أبو بكر محمد بن أحمد ابن الفرج ، حدثنا أبو الحسن عبد الله بن المنتاب ، حدثنا يعقوب بن إسحاق ابن أبي إسرائيل ، حدثنا ابن محمد ؛ قال ناظر أبو جعفر^(٨) أمير المؤمنين مالكا^(٨)

(١) عترته : نسله ورهطه الأذنون . ومعاملتهم : أي مخالطتهم في أمور دينيه أو دنيوية .

(٢) يتوقر : يظهر الوقار والرزانة في هيئته .

(٣) ويأخذ : ويشرع . (٤) يأخذ به نفسه : يكلفها ويلزمها .

(٥) من وجوب تعظيمه وتسكريمه وخفض الصوت ونحوه .

(٦) هو اللؤلؤ . وفي ب : قال للؤلؤ رحمه الله .

(٧) هذا الضبط في ب ، وتاج العروس - دلهام ، وشرح القاري ، وشرح الخفاجي .

وفي أ : ضبطت الدال بالفتحة .

(٨) ناظر : للناظرة : للباحثة في أمر من الأمور . وأبو جعفر هو النصور عبد الله بن

محمد ، ثاني خلفاء بني العباس . ومالك : هو مالك بن أنس .

في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له مالك : يا أمير المؤمنين ؛ لا ترفع صوتك في هذا المسجد ، فإن الله تعالى أدب قوما فقال^(١) : ﴿ لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ، ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبطن أعمالكم وأنتم لا تشعرون ﴾ .

ومدح قوما فقال^(٢) : ﴿ إن الذين يمضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم ﴾ .
وذم قوما فقال^(٣) : ﴿ إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون ﴾ .

وإن حرمته ميتا كحرمته حيا .

فاستكان^(٤) لها أبو جعفر ، وقال : يا أبا عبد الله ، أستقبل القبلة وأدعو أم أستقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة^(٥) أبيك آدم عليه السلام إلى الله تعالى يوم القيامة ؟ بل استقبله واستشفع به ، فيشفعك^(٦) الله ؛ قال الله تعالى^(٧) : ﴿ ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيا ﴾ .

وقال مالك - وقد سئل عن أيوب السخيتياني : ما حدثتكم عن أحد إلا وأيوب أفضل منه :

(١) سورة الحجرات ، آية ٢ (٢) سورة الحجرات ، آية ٣

(٣) سورة الحجرات ، آية ٤ (٤) فاستكان لها : خضع ، وخضع لمقالة مالك .

(٥) الوسيلة : ما يتوصل به إلى إجابة الدعاء . والمراد أنه الشفيع للشفع للتوصل به إلى

الله يوم القيامة .

(٦) استشفع به : اطلب شفاعته ، وصل وسيلته في قضاء حاجتك . فيشفعك : يقبل الله

به شفاعتك لأمرك . (٧) سورة النساء ، آية ٦٤

وقال : وَحَجَّ حَجَّتَيْنِ ، فَكُنْتُ أَرْمُقُهُ ^(١) وَلَا أَسْمَعُ مِنْهُ ، غَيْرَ أَنَّهُ كَانَ إِذَا ذُكِرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَكَى حَتَّى أَرْحَمَهُ ^(٢) .

فَلَمَّا رَأَيْتُ مِنْهُ مَا رَأَيْتُ ، وَإِجْلَالَهُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَتَبْتُ عَنْهُ ^(٣) .
 وَقَالَ مُصََّبُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ : كَانَ مَالِكٌ إِذَا ذُكِرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَغَيَّرُ لَوْنُهُ ، وَيَنْحَنِي حَتَّى يَضَعُ ^(٤) ذَلِكَ عَلَى جُلْسَانِهِ ؛ فَقِيلَ لَهُ يَوْمَافِي ذَلِكَ ^(٥) ،
 فَقَالَ : لَوْ رَأَيْتُمْ مَا رَأَيْتُمْ ^(٦) لَمَا أَنْكَرْتُمْ عَلَيَّ مَا تَرَوْنَ ؛ وَلَقَدْ كُنْتُ أَرَى مُحَمَّدَ
 ابْنَ الْمُنْكَدِرِ ^(٧) ، وَكَانَ سَيِّدَ الْقُرَاءِ لَا نَكَادُ نَسْأَلُهُ عَنْ حَدِيثٍ أَبَدًا إِلَّا يَبْسُكِي
 حَتَّى نَرَحَمَهُ .

وَلَقَدْ كُنْتُ أَرَى جَعْفَرَ بْنَ مُحَمَّدٍ [الصادق] ^(٨) ، وَكَانَ كَثِيرَ الدَّعَابَةِ ^(٩)
 وَالجِبْسِمْ ؛ فَإِذَا ذُكِرَ [١٥٤] عِنْدَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اصْفَرَّ . وَمَا رَأَيْتُهُ
 يَحْدُثُ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا عَلَى طَهَارَةٍ .
 وَقَدْ اخْتَلَفْتُ ^(١٠) إِلَيْهِ زَمَانًا فَمَا كُنْتُ أَرَاهُ إِلَّا عَلَى ثَلَاثِ خِصَالٍ : إِمَامُصَلِّيًّا ،
 وَإِمَامُصَامِتًا ؛ وَإِمَامُ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ ؛ وَلَا يَتَكَلَّمُ فِيمَا لَا يَعْنِيهِ ؛ وَكَانَ مِنَ الْعُلَمَاءِ وَالْعُبَادِ
 الَّذِينَ يَحْشَوْنَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ .

(١) أرمقه : أنظر إليه .

(٢) أرحمه : يرق قلبي عليه رحمة له لما أراه منه .

(٣) كتبت عنه الحديث ورويته عنه . (٤) لحوفهم عليه ، ولشدة عنائه .

(٥) فقيل له في ذلك : أى سئل عنه ، وعن سببه .

(٦) لو رأيتم ما رأيتم مما كان من السلف من خشوعهم وإجلالهم ، أو لو عرفتم ما عرفت
 من جلال مقامه .

(٧) حافظ يروى عن أبيه وعائشة وأبي هريرة . توفي سنة ١٣٠ هـ .

(٨) من ب . (٩) الدعابة : للزاح .

(١٠) أى ذهبت إليه مرارا كثيرة ، وترددت .

ولقد كان عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ الْقَاسِمِ ^(١) يَذْكُرُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيُنْظَرُ إِلَى لَوْنِهِ كَأَنَّهُ نَزْفٌ ^(٢) مِنْهُ الدَّمُ ، وَقَدْ جَفَّ لِسَانُهُ فِي قَهْرِ هَيْبَةٍ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وَلَقَدْ كُنْتُ آتَى عَامِرٍ ^(٣) بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ فَإِذَا ذُكِرَ عِنْدَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَكَى حَتَّى لَا يَبْقَى فِي عَيْنَيْهِ دُمُوعٌ .
وَلَقَدْ رَأَيْتُ الزُّهْرِيَّ - وَكَانَ مِنْ أَهْنَاءِ ^(٤) النَّاسِ وَأَقْرَبِهِمْ ، فَإِذَا ذُكِرَ عِنْدَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكَانَ مَا عَرَفْتُكَ وَلَا ^(٥) عَرَفْتَهُ .

وَلَقَدْ كُنْتُ آتَى صَفْوَانَ بْنِ سُلَيْمٍ ، وَكَانَ مِنَ الْمُتَعَبِّدِينَ الْمُجْتَهِدِينَ ؛ فَإِذَا ذُكِرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَكَى ، فَلَا يَزَالُ يَبْكِي حَتَّى يَقُومَ النَّاسُ عَنْهُ وَيَتْرَكُوهُ .
وَرُوِيَ عَنْ قَتَادَةَ أَنَّهُ كَانَ إِذَا سَمِعَ الْحَدِيثَ أَخَذَهُ الْعَوِيلَ وَالزَّوِيلَ ^(٦) .
وَمَا كَثُرَ عَلَى مَالِكِ النَّاسُ قِيلَ لَهُ : لَوْ جَمَلْتَ مُسْتَمْلِيًا بِسَمْعِهِمْ ^(٧) ؟ فَقَالَ :

(١) عبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق : ورع مكثر ، كان أفضل أهل زمانه .
وقد توفي بالمدينة سنة ست وعشرين ومائة .

(٢) نزف منه الدم : المراد سال دمه فاصفر صفرة مفرطة ؛ لأن حمرة البشرة بما تحتها من الدم .

(٣) العابد الكبير القدر ، توفي بعد عشرين ومائة .

(٤) أهناؤ الناس : أسهلهم وأحسنهم خلقا والينهم عريكة . وهو محمد بن مسلم بن عبيد الله

ابن عبد الله بن شهاب ، وتوفي سنة ١٢٤ هـ .

(٥) وذلك لهشته وإعراضه عن عنده وذهوله عن معرفته لاشتغال قلبه وحواسه بالفكر ؛ لإجلاله له وتمظيمه .

(٦) أخذه : عرض له واستولى عليه . العويل : صياح مع بكاء . الزويل : القلق والانزعاج لشدة الخوف .

(٧) مستمليا : أحدا يجلس قريبا منك وتعلي عليه الحديث فيأخذه عنك فيبلغهم ويسمهم

حين يميده لهم لسكرتهم وبعد بمضهم عنك بمن في آخر الحلقة .

قال الله تعالى^(١) : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ ﴾ ؛
وَحُومَتُهُ حَيًّا وَمِيتًا سِوَاهُ .

[٢] وكان ابنُ سيرين ربما يَضْحَكُ ؛ فإذا ذُكِرَ عنده حديثُ النبيِّ صلى الله عليه وسلم خَشَعُ [٢] .

وكان عَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ مَهْدِيٍّ^(٣) إذا قرأ حديثَ النبيِّ صلى الله عليه وسلم أمرهم بالسكوت ؛ وقال : ﴿ لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ ﴾ ، وَبَتَأْوَلِ^(٤) أنه يجب له من الإنيصات عند قراءة حديثه ما يجب له عِنْدَ سَمَاعِ قَوْلِهِ .

فصل

في سيرة السلف في تعظيم رواية حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسُنَنِهِ
حدثنا الحسين^(٥) بن محمد الحافظ ، حدثنا أبو الفضل بن خَيْرُون ، حدثنا أبو بكر
الْبَرْقَانِي وَغَيْرُهُ ، حدثنا أبو الحسن الدارَقُطْنِي ، حدثنا علي بن مُبَشَّرٍ^(٦) ، حدثنا أحمد
ابن سِنَانِ القَطَّانِ ، حدثنا يزيد بن هارون ، حدثنا المسعودي ، عن مُسْلِمِ البَطِينِ ، عن
عَمْرُو بن مَيْمُون ؛ قال : اختلفتُ إلى ابنِ مسعود^(٧) سَنَةً ؛ فما سمعته يقول : قال

(١) سورة الحجرات ، آية ٢

(٢) ليس في ١ ، وسيأتي بمد .

(٣) عبد الرحمن بن مهدي : أحد الأعلام في الحديث ، روى عنه الإمام أحمد . قال ابن اللديني :
أعلم الناس بالحديث هو عبد الرحمن بن مهدي ، ما رأيت في يده كتابا - يعني كان حافظا .
مات سنة ثمان وتسعين (التقريب : ١ - ٤٩٩)

(٤) فقام منع رفع الصوت في مجالس قراءة الحديث على منعه في مجلسه حال حياته .

(٥) في ١ : الحسن .

(٦) ضبطه في شرح القاري بفتح الميم وسكون الواحدة وكسر المعجمة (٢ - ٧٤)

(٧) اختلفت إليه : ترددت عليه .

رسولُ الله صلى الله عليه وسلم، إلا أنه حدّث يوماً جري على لسانه : قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، ثم علاه كَرْبٌ^(١) ، حتى رأيتُ العرقَ يتحدّرُ^(٢) عن جبهته ، ثم قال : هكذا إن شاء الله ، أو فوقَ ذا ، أو ما دونَ ذا ، أو ما هو قريبٌ منَ ذا^(٣) .

وفي رواية : فتربّدَ وجهه^(٤) .

وفي رواية : وقد تفرّغرت عَيْنَاهُ ، وانتفخت أوداجُه^(٥) .

وقال إبراهيم بن عبد الله بن قُرَيْمٍ الأنصاري قاضي المدينة : مرَّ مالكُ بن أنسٍ على أبي حازم^(٦) ، وهو يحدثُ ، فجازه^(٧) ، وقال : إني لم أجدَ مؤزِماً أجلسُ^(٨) فيه ، فكُرهتُ أنْ آخذَ حديثَ رسولِ الله عليه وسلم وأنا قائمٌ^(٩) .

وقال مالك : جاء رجلٌ إلى ابنِ المسيّبِ ، فسأله عن حديثٍ وهو مُضطجعٌ ، فجلسَ وحدثه ؛ فقال له الرجلُ : ودِدْتُ [١٥٥] أنك لم تتعن^(١٠) ، فقال : إني كُرهتُ أنْ أُحدِّثَكَ عن رسولِ الله صلى الله عليه وسلم وأنا مُضطجعٌ^(١١) .

(١) علاه كرب : ظهر عليه حزن وغم يؤدي لضيق نفس .

(٢) يتحدّر . ينزل سائلاً منه . (٣) هذا احتياط منه .

(٤) تربّد وجهه : تغير لونه لكدوده من شدة الكرب .

(٥) تفرغرت عيناه : امتلأتا بدمع متردد ، كالماء في فم من يتفرغر به . والأوداج : جمع

ودج ، وهو عرق غليظ في العنق ، والودجان : يقطعهما اللداح ؛ وانتفاخهما : كبرهما بفليان الدم بسبب الخوف .

(٦) أبو حازم : هو سلمة بن دينار أحد الأعلام . قال ابن خزيمة : ثقة ، لم يكن في زمانه

مثله ، مات في خلافة المنصور .

(٧) جازه : جاوز مجلسه ولم يقف . (٨) لكثرة الناس .

(٩) صونا لحديثه عن الابتدال والامتحان واستباحه على حال يحل بتعظيمه .

(١٠) لم تتعن : لم تتعب ، ولم تتكلف العناء لنفسك بجولسك .

(١١) تمظياً للحديث وتأديباً معه .

[ورؤى عن محمد بن سيرين أنه قد يكون بضحك ، فإذا دُكرَ عنده حديثُ النبي صلى الله عليه وسلم خَشَعٌ ^(١)] .

وقال أبو مُضْعَب : كان مالكُ بن أنسٍ لا يُحدِّثُ بحديثِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم إلا وهو على وُضوءٍ ^(٢) ، إجلالاً له .

وحكى مالكٌ ذلك عن جعفر بن محمد .

وقال مُضْعَب بن عبد الله : كان مالكُ بن أنسٍ إذا حدِّث عن رسولِ الله صلى الله عليه وسلم تَوْضُأً وَتَهَيَّأً ^(٣) ، وليس ثيابَه ، ثم يحدِّث .

قال مُضْعَب : فسُئِلَ عن ذلك ، فقال : إنه حديثُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم .

قال مُطَرِّف : كان إذا أتى الناسُ مالكا خرجتُ إليهم الجاريةُ فتقول لهم : يقولُ لكم الشيخُ : تُريدون الحديثَ أو المسائلَ ^(٤) ؟ فإن قالوا : المسائلُ خرج إليهم ، وإن قالوا الحديثُ دخل مُغتَسِلهُ ^(٥) ، واغتسل وتطيَّبَ ، ولبس ثياباً جُوداً ، ولبس ساجَهَ ^(٦) وتعمَّمَ ، ووضع على رأسه رداءه ، وتلقَى له مَنَصَّةً ^(٧) ، فيخرج فيجاسُ

(١) خَشَعٌ : أظهر الخشوع والاستكانة تأدباً ومهابة . وفي هامش ب : أثر ابن سيرين هنا موضعه كما أثبتته للمصنف هنا بخطه ، وأسقطه مما تقدم صفحة ٥٩٩

(٢) على وضوء : متوضئاً متطهراً .

(٣) تهياً : أصلح هيئته في ثيابه وجلوسه .

(٤) أتريدون قراءة الحديث وسماعه ، أو تريدون مسائل الفقه ؟

(٥) مفتسله : الموضع المعد للاغتسال والطهارة في بيته .

(٦) الساج : هو الطيلسان ، أو الأخضر ، أو الأسود منه ، وهو شيء كالبرنس . وفي هامش

: الساج : الطيلسان الأخضر ، والجمع سيجان . والساج أيضاً : ضرب من الشجر .

(٧) منصة : شيء عال كالكرسى والسرير .

عليها ، وعليه الخشوع ، ولا يزالُ يبخرُ بالعودِ حتى يفرغَ^(١) مِنْ حَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

قال [غَيْرُهُ]^(٢) : ولم يكن يجلسُ على تلك المنصّةِ إلا إذا حدّث عن رسولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

قال ابنُ أبي أُويسٍ : فقيل لمالك في ذلك ، فقال : أُحِبُّ أَنْ أُعْظَمَ حَدِيثُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ولا أُحدّثُ به إلا عن طهارةٍ مُتَمَسِّكِنَا^(٣) .

قال : وكان يكرهُ أَنْ يحدّثَ في الطريق ، أو وهو قائم ، أو مُسْتَعْجِل .

وقال^(٤) : أُحِبُّ أَنْ أُفْتَمَّ حَدِيثَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

[قال ضِرَارُ بْنُ مُرَّةٍ : كانوا^(٥) يكرهون أَنْ يحدّثوا بحديثٍ على غيرِ وُضوءٍ^(٦) .
ومحوهُ عن قَتَادَةَ .

وكان الأعمشُ إذا حدّث^(٧) وهو على غيرِ وُضوءٍ تيمّم .

وكان قَتَادَةُ لا يحدّثُ إلا على طهارةٍ ، ولا يقرأُ حديثَ النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلا على وُضوءٍ^(٨) .

قال عبدُ الله بن المبارك : كنتُ عند مالك ، وهو يحدّثنا ، فلذغتُه عَقْرَبٌ^(٩)

(١) يأمر بالعود الهندي فيوقد عنده ليمطر مجلسه به . قال في نسيم الرياض (٣-٤٥٠):

يفعل ذلك إجلالا له ، وتكريما ، وتطيبيا ، فإنه صلى الله عليه وسلم كان يحب الرائحة الطيبة ؛ فجعل مجلس حديثه كجلسه حيا .

(٢) ليس في ١ . غيره : غير مطرف .

(٣) متمكنا : جالسا في مكان على هيئة مستقرة ، غير مستوفز .

(٤) وقال : أى مالك في تمليل ذلك .

(٥) كانوا : أى السلف .

(٦) فى ب : إذا أراد أن يحدّث .

(٨) فى هامش ١ ، ب : من الأم بخطه من غير الرواية .

(٩) فى حال قراءته .

ست عشرة مرة ، وهو يتغير لونه ويصفر ولا يقطع حديث^(١) رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فلما فرغ من المجلس ، وتفرق الناس عنه قلت له : يا أبا عبد الله ؛ لقد رأيتُ اليومَ منكَ عجباً . قال : نعم ؛ لدغنتني عقرب ست عشرة مرة ، وأنا صابر في جميع ذلك ؛ وإنما صبرتُ إجلالاً لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن مهدي : مشيت يوماً مع مالك إلى العقيق^(٢) ، فسألته عن حديث ، فانتهرني^(٣) وقال لي : كنت في عيني أجل^(٤) من أن تسأل عن حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نمشي .

وسأله جرير بن عبد الحميد القاضي عن حديث وهو قائم ، فأمر بحبسه ، فقيل له : إنه قاض . قال : القاضي أحق من أدب^(٥) .

وذُكر أن هشام بن هشام بن الغازي^(٦) سأل مالكا عن حديث وهو واقف

(١) احتراماً له وإجلالاً . (٢) العقيق : موضع قريب من المدينة على نحو ميلين منها .

(٣) فانتهرني : زجرني . (٤) أجل : أعظم .

(٥) يعني أن العلماء والأشراف أولى برعاية الأدب ، فإذا تركوه كانوا أحق بالأدب من العوام .

(٦) قال في نسيم الرياض (٣ - ٤٥٢) : قالوا : الحكاية للذكورة إنما وقعت لمالك مع

هشام بن عمار خطيب دمشق كما رواها مسندة البرهان الحلبي . وقيل : إنها تصحفت على الناسخ وصوابها القاري - بالقاف والراء المهملة . وقيل الأصل هو الصواب ؛ وهو هشام بن الغازي بن ربيعة الشامي . وفيه إن الحافظ الحلبي أسند رواية هذه القصة عن هشام بن عمار كما علمت .

وفي هامش ١ ، ب : قوله : « هشام بن الغازي » فيه نظر ، لأنه لا يعلم لهشام بن الغازي رواية عن مالك ، والمشهور في نحو هذه الحكاية هشام بن عمار الدمشقي ، والله عز وجل أعلم . نقلته من خط يحيى بن علي القرشي الحافظ شيخنا .

قال القاري (٢ - ٧٩) : هشام بن القاري يروي عن مكحول وعطاء ، وقد توفي سنة

ست وخمسين ومائة ؛ فهو معاصر لمالك ، وقد توفي قبل مالك ؛ والله تعالى أعلم بذلك .

فَضْرِبَهُ عَشْرِينَ سَوْطًا ، ثُمَّ أَشْفَقَ عَلَيْهِ ، فَخَدَّمَهُ عَشْرِينَ حَدِيثًا ؛ فَقَالَ هِشَامُ : وَرِدْتُ لَوْ زَادَنِي سَيَّاطًا وَيَزِيدَنِي حَدِيثًا .

قال عَبْدُ اللَّهِ بنِ صَالِحٍ : كَانَ مَالِكٌ وَاللَيْثُ لَا يَكْتَبَانِ الْحَدِيثَ إِلَّا وَهِيَ طَاهِرَانِ^(١) .

وكان قتادة يستحبُّ ألاَّ تُقرأ^(٢) أحاديثُ النبيِّ صلى اللهُ عليه وسلم [١٥٦] إلا على وضوء ، ولا يحدثُ إلا على طهارةٍ .
وكان الأعمشُ إذا أراد أن يحدث وهو على غير وضوء تيمم^(٣) .

فصل

[في توقيره ، وبرِّ آله ، وذريته ، وأمّهات المؤمنين أزواجه]

ومن تَوَقَّيره صلى اللهُ عليه وسلم وبرِّه^(٤) - برِّ آله وذريته وأمّهات المؤمنين أزواجه ، كما حض^(٥) عليه صلى اللهُ عليه وسلم ، وسلكه السلفُ الصالحُ رضي اللهُ عنهم .

قال اللهُ تعالى^(٦) : ﴿ إِنَّمَا يَرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ .

وقال تعالى^(٧) : ﴿ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ ﴾ .

(١) أى على طهارة تامة . (٢) تقرأ - بالبناء للمجهول في ا ، والبناء للمعلوم في ب .

(٣) سبق هذا في صفحة ٦٠٢ (٤) توقيره: تعظيمه وتبجيله . وبره : صلته ورعاية جنبابه .

(٥) حض : حث وحرص بطلبه من كل أحد .

(٦) أيد ذلك بدليل من القرآن ، والآية في سورة الأحزاب ، آية ٣٣ . والرجس : الإثم

والذنب . وأراد بأهل البيت نساء النبي ، لأنهن في بيته .

(٧) سورة الأحزاب ، آية ٦ ، تشبيه أزواجه بأمهاتهم في وجوب تعظيمهن واحترامهن

وتحريم نكاحهن بدليل قوله تعالى : « ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبداً » .

أخبرنا الشيخ أبو محمد بن أحمد المدل من كتابه ، وكتبت من أصله^(١) :
حدثنا أبو الحسن المقرئ القرظي ، حدثني أم القاسم بنت الشيخ أبي بكر الخفاف ،
قالت : حدثني أبي ، حدثنا حاتم - هو ابن عقيل ، حدثنا يحيى - هو ابن إسماعيل ،
حدثنا يحيى - هو الحناني ، حدثنا وكيع ، عن أبيه ، عن سعيد بن مسروق ، عن
يزيد بن حيان ، عن زيد بن أرقم ؛ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
أشدكم^(٢) الله أهل بيتي^(٣) ... ثلاثا .

قالنا لزيد : من أهل بيته ؟ قال : آل علي ، وآل جعفر ، وآل عقيل ،
وآل العباس^(٤) .

وقال صلى الله عليه وسلم^(٥) : إني تارك فيكم ما إن أخذتم به لم تضلوا :
كتاب الله ، وعترتي أهل بيتي^(٦) ؛ فانظروا كيف تخلفوني فيهما^(٧) .
وقال صلى الله عليه وسلم^(٨) : معرفة آل محمد صلى الله عليه وسلم براءة

(١) المراد بأصله : نسخته التي قرأ منها ؛ أو الروي عن مشايخه .

(٢) أي أسألكم بالله وأقسم عليكم به .

(٣) أي : وأذكركم أهل بيتي ، فلا تنسوا حقوقهم ورعايتهم ؛ فإن رعايتهم رعاية لي .
أو أسألكم الله في حق أهل بيتي بالإحسان إليهم والشفقة عليهم . أو أقسم عليكم بالله أن تراعوني
في أهل بيتي (شرح القاري : ٢ - ٨١) .

(٤) وهذا كما رواه مسلم في فضائل آل البيت : صحيح مسلم ١٨٧٣

(٥) في حديث رواه الترمذي : سنن الترمذي : ٤ - ٦٦٢

(٦) أهل بيتي تفسير لعتري .

(٧) أي بعد وفاتي انظروا في عملكم بكتاب الله واتباعكم لأهل بيتي ورعايتهم وبرهم

بعدي ؛ فإن ما يبرهم يبرني ، وما يسوءهم يسوءني .

(٨) في شرح القاري (٢ - ٨٢) ؛ لا يعرف راويه .

من النار^(١)، وحب آل محمد جواز^(٢) على الصراط، والولاية^(٣) لآل محمد أمان من العذاب .

قال بعض العلماء : معرفتهم هي معرفة مكانهم من النبي صلى الله عليه وسلم ، وإذا عرفتهم بذلك عرف وجوب حقهم وحرمتهم بسببه .

وعن^(٤) عمر بن أبي سلمة : لما نزلت^(٥) : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ - وذلك في بيت أم سلمة - دعا فاطمة وحسنا وحُسَينا ، فجَلَّهم^(٦) بكساء ، وَعَلِيٌّ خَلْفَ ظَهْرِهِ [فجَلَّه بكسائه]^(٧) ، ثم قال : اللهم هؤلاء أهل بيتي ؛ فأذِيبْ عنهم الرِّجْسَ ، وطَهِّرْهُمْ تَطْهِيرًا^(٨) .

وعن سعد بن أبي وقاص : لما نزلت آية المباهلة^(٩) دعا النبي صلى الله عليه وسلم عليًا وحسنا والحسين وفاطمة ، وقال : اللهم هؤلاء أهلي .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم في علي : مَنْ كَفَتْ مَوْلَاهُ فَعَلَى مَوْلَاهُ ؛ اللهم وَالِ مَنْ وَالَاهُ ، وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ .

(١) أى معرفة مقاديرهم وحرمتهم ورعاية ما يجب من حقوقهم ؛ فإن محبتهم لأجله صلى الله عليه وسلم تدل على خلوص محبتهم له ؛ وتلك مرتبة مستوجبة لذلك تفضلا من الله وكرامة لرسوله .
(٢) جواز على الصراط : أى مرور عليه بسرعة جوازا موصلا إلى الجنة ؛ فإن المرء مع من أحب .
(٣) الولاية : الموالاتة بالنصرة والمودة .

(٤) فى حديث رواه الترمذى : صحيح الترمذى : ٤ - ٦٦٣

(٥) سورة الأحزاب ، آية ٣٣ (٦) جلهم : غطاهم ، وسترهم .

(٧) من سنن الترمذى .

(٨) أى جنبهم الآثام والمعاصى وما يشينهم . وإدخالهم فى الكساء إشارة إلى قربهم منه صلى الله عليه وسلم ، وأن الله سترهم كما سترهم الكساء ، وأنه صانهم وأحرزهم ، تفاعلا بذلك .

(٩) رواه الترمذى فى سننه : ٥ - ٢٢٥ . والمباهلة : الملاعبة . والآية هى قوله تعالى :

« فَمَنْ حَاكَمَكَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْمِلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ » (سورة آل عمران . آية ٦١) .

وقال فيه^(١) : لا يَجْبُكَ إِلَّا مُؤْمِنٌ ، وَلَا يُبْفِضُكَ إِلَّا مُنَافِقٌ .
وقال للعبّاس^(٢) : والذي نفسى بيده ، لا يدخل قلب رجل الإيمان حتى
يُحِبَّكُمْ اللهُ ورسوله . وَمَنْ آذَى عَمَى فَقَدْ آذَانِي ؛ وَإِنَّمَا عَمُّ الرَّجُلِ
صِنُوهُ^(٣) أَبِيهِ .

وقال للعبّاس : اغدُ على ياعم^(٤) مع ولدك ؛ فجمعهم وجلاهم^(٥) بملاءته ،
وقال : هذا عمى وصينو أبى ؛ وهؤلاء أهل بيتى ؛ فاستترهم من النار كسترى إياهم ؛
فأمّنت أسكفة الباب^(٦) وحوائط البيت : آمين . آمين .

وكان^(٧) يأخذ أسامة بن زيد ، والحسن ؛ ويقول : اللهم إني أحبهما فأحبهما .
وقال أبو بكر : ارقبوا^(٨) محمداً في أهل بيته .

وقال أيضاً : والذي نفسى بيده لقرابة [١٥٧] رسول الله صلى الله عليه وسلم
أحب إلى أن أصل من قرابتي^(٩) .

وقال صلى الله عليه وسلم^(١٠) : أحب الله من أحب حسناً وحسيناً .

(١) أى فى طى .

(٢) فى حديث رواه الترمذى ، وابن ماجه : سنن الترمذى : ٥ - ٦٥٢ .

(٣) الصنو : المثل ؛ أى فى المعنى أبوه .

(٤) اغد على ياعم : اتنى . والحديث فى سنن الترمذى : ٥ - ٦٥٣ .

(٥) جلاهم : غطاهم ، وسترهم .

(٦) أسكفة الباب : العتبة التى فى أسفل الباب .

(٧) فى حديث رواه البخارى : صحيح البخارى : ٥ - ٣٠ .

(٨) الحديث فى صحيح البخارى : ٥ - ٢٦ ، ٣٣ والمراد احفظوا محمداً وحقه عليكم .

فى أهل بيته : فى رعايتهم وإكرامهم وبرهم .

(٩) أى من صلة قرابتي . والحديث فى صحيح البخارى : ٥ - ٢٦ .

(١٠) فى حديث رواه ابن ماجه ، والترمذى : سنن الترمذى : ٥ - ٦٥٨ .

وقال : من أحبني وأحب هذين - وأشار إلى حسن وحسين وأبهما وأمهما - كان معي في درجتي^(١) يوم القيامة .

وقال صلى الله عليه وسلم^(٢) : مَنْ أَهَانَ قُرَيْشًا أَهَانَهُ اللَّهُ .

وقال صلى الله عليه وسلم^(٣) : قَدَّمُوا قُرَيْشًا وَلَا تَقَدَّمُواهَا^(٤) .

وقال صلى الله عليه وسلم لأم^(٥) سلمة : لَا تُؤْذِنِي فِي عَائِشَةَ .

وعن عقبه^(٦) بن الحارث : رأيتُ أبا بكر رضى الله عنه ، وجعل الحسن على

عُنُقِهِ وهو يقول : يَا بَنِي شَيْبَةَ يَا نَبِيَّ ، لَيْسَ شَيْبَةً بَعْلَى - وعلى رضى الله عنه يضحك .

وروى عن عبد الله بن الحسن بن حسين ؛ قال : أتيتُ عُمر بن عبد العزيز

في حاجة ، فقال لى : إذا كانت لك حاجةٌ فأرسلِ إلىَّ أو اكتبْ ؛ فإنى أستحي

من الله أن يراك على بابي^(٧) .

وعن الشعبي^(٨) : صلى زيد بن ثابت على جنازة أمه ، ثم قرَّبَتْ له بفلته ليركبها ،

فجاء ابنُ عباس فأخذ برِكابه ؛ فقال زيدُ : خَلِّ عَنْهُ^(٩) يَا بَنَ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ . فقال :

هَكَذَا نَفَعَلُ بِالْمَاءِ . فقبَّل زيدُ يدَ ابنِ عباس ؛ وقال : هَكَذَا أَمَرْنَا أَنْ نَفَعَلَ

بِأَهْلِ بَيْتِ نَبِيِّنَا .

(١) في درجتي : في منزلتي ورتبتي في الجنة .

(٢) في حديث رواه الترمذى ، وحسنه . سنن الترمذى : ٥ - ٧١٤ ، وفيه : من يرد

هوان قريش . . .

(٣) في حديث رواه البزار ، وابن أبي شيبة . (٤) ولا تقدموها : ولا تتقدموا عليها .

(٥) في حديث رواه البخارى . صحيح مسلم : ٥ - ٣٨ ، وبين للناس بذلك محبته لها

وتقدمها عنده .

(٦) في حديث رواه البخارى عنه : صحيح البخارى : ٥ - ٣٣

(٧) وهذا تعظيم منه لآل البيت لمحبة رسول الله وآله .

(٨) رواه الحاكم ، والبيهقى ، وصححه . (٩) خل عنه : دع الركاب وتباعد عنه .

ورأى ابنُ عمرَ محمدَ بنَ أسامةَ بنَ زَيْدٍ ؛ فقال^(١) : لَيْتَ هَذَا عِنْدِي^(٢) ؛
فَقِيلَ لَهُ : هُوَ مُحَمَّدُ بْنُ أَسَامَةَ . فَطَاطَأَ ابْنُ عُمَرَ رَأْسَهُ ، وَنَقَرَ بِيَدِهِ^(٣) الْأَرْضَ ، وَقَالَ :
لَوْ رَأَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَحَبِّهِ .

وَقَالَ الْأَوْزَاعِيُّ^(٤) : دَخَلَتْ بِنْتُ أَسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ صَاحِبَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَمَعَهَا مَوَالِي لَهَا يُمَسِّكُ بِيَدِهَا^(٥) ، فَقَامَ لَهَا عُمَرُ ،
وَمَشَى إِلَيْهَا حَتَّى جَعَلَ يَدَاهَا بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَيَدَاةُ فِي ثِيَابِهِ^(٦) ، وَمَشَى بِهَا حَتَّى أَجْلَسَهَا
عَلَى مَجْلِسِهِ^(٧) ، وَجَلَسَ بَيْنَ يَدَيْهَا ، وَمَا تَرَكَ لَهَا حَاجَةً إِلَّا قَضَاهَا .

وَمَا فَرَضَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ لِابْنِهِ عَبْدِ اللَّهِ فِي ثَلَاثَةِ آلَافٍ ، وَالْأَسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ
فِي ثَلَاثَةِ آلَافٍ وَخَمْسِ مِائَةٍ . قَالَ عَبْدُ اللَّهِ لِلْأَبِيِّ : لِمَ فَضَّلْتَهُ ؛ فَوَاللَّهِ مَا سَبَقَنِي إِلَى
مَشْهَدٍ^(٨) ؟ فَقَالَ لَهُ : لِأَنَّ زَيْدًا كَانَ أَحَبَّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ أَبِيكَ ،
وَأَسَامَةُ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْكَ ؛ فَآتَرْتُ حُبَّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى حُبِّي^(٩) .

(١) هذا الحديث في البخارى : صحيح البخارى : ٥ - ٣٠ .

(٢) تمنى ذلك ليملمه وليؤدبه، ولم يكن عرفه حين رآه. وفي ا : عدى. والمثبت في البخارى.
وقال القارى (٢ - ٨٥) : عدى - بالياء - وهى رواية البيهقى . ثم قال : ورواية الكفاة
ببكر أوله وسكون النون . والأول أوجه . وقال المزى : بالنون هو المشهور . قال الحجازى :
وهو الصحيح في الشفا . وكذا في البخارى . (٣) يتفكر فيما قاله ندما عليه .

(٤) في شرح القارى (٢ - ٨٥) : حكاه ابن عساكر في تاريخ دمشق .

(٥) لكبرها وضمف بصرها .

(٦) ويدها في ثيابه : أى مغطاة يكمه حتى لا يمس بدنه بدن أجنبية لتقواه .

(٧) على مجلسه : على فراشه الذى كان جالسا عليه .

(٨) إلى مشهد : إلى محل شهده الناس من الجهاد وخدمة الدين التى ترتب الوظائف
بقدرها وبالتقدم فيها .

(٩) فآثرت : فقدمت . وقد ضبطت الحاء في « حب » ، و « حى » بالضمه والسكره

في ب ؛ وهى ببكر الباء بمعنى المحبوب . وحديث البخارى في الهجرة : ٥ - ٨٠ ، وفيه : فقال :
إنما هاجر به أبواه . . .

وبلغ معاوية أن كائس بن ربيعة يُشَبَّه برسولِ الله صلى الله عليه وسلم؛ فلما دخل عليه من باب الدارقام عن سريره وتلقاه وقبَّل بين عَيْنَيْهِ، وأقطعهُ المِرغَابَ^(١) لِشَبَّهِهِ صُورَةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

ورُوِيَ أن مالكا رَحِمَهُ اللهُ لَمَّا ضَرَبَهُ جَعْفَرُ بْنُ سَلِيْمَانَ^(٢)، ونال منه ما نال، وَحِلَّ مَفْشِيًّا عَلَيْهِ دَخَلَ عَلَيْهِ النَّاسُ فَأَفْأَقَ، فقال: أَشْهَدُكُمْ أَنِّي جَعَلْتُ ضَارِبِي فِي حِلِّ^(٣) .

فَسُئِلَ بَعْدَ ذَلِكَ، فقال: خِفْتُ أَنْ أَمُوتَ، فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَاسْتَحْيَيْتُهُ مِنْهُ أَنْ يَدْخُلَ بَعْضُ آلِهِ النَّارَ بِسَبِي .

وقيل: إنَّ المَنْصُورَ أَقَادَهُ مِنْ^(٤) جَعْفَرٍ، فقال له: أَعُوذُ بِاللَّهِ وَاللَّهِ مَا ارْتَفَعَ مِنْهَا سِوْطٌ عَنِ جِسْمِي [١٥٨] إِلَّا وَقَدْ جَعَلْتُهُ فِي حِلِّ لِقَرَابَتِهِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وقال أبو بكر بن عيَّاش: لو أَنَا نِي أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعَلِيٌّ لَبَدَأْتُ بِحَاجَةِ عَلِيٍّ قَبْلَهُمَا؛ لِقَرَابَتِهِ^(٥) مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ وَلِأَنَّ أَخْرَجَ^(٦) مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُقَدِّمَهُ عَلَيْهِمَا .

وقيل لابن عباس^(٧): ماتت فلانة - لبعض أزواج النبي صلى الله عليه وسلم،

(١) المِرغَاب: اسم أرض يمر والشاهجان، أو قرية بهراة، كانت ذات غلة كثيرة يرغب فيها. والإقطاع: أن يفوض إليه أرضا بتمليك ونحوه ويسوغه لمن هو أهل له. والضبط في معجم ما استعجم: ١٢١٥

(٢) ضربه جعفر: بقول بعضهم: لأنه لا يرى الأيمان لبيعتة شيئا؛ لأنَّ يمين السكره لا تنزم؛ ففضب جعفر . . . (شرح القارى: ٢ - ٨٧) .

(٣) يقال: هو في حل من كذا: إذا برأ ذمته من عهده .

(٤) أقاده من جعفر: أى أمر أن يقتص للمالك من جعفر، فيضرب كما ضربه .

(٥) في هامش ١: لقرابه، وعليها علامة الصحة . (٦) آخر: أسقط .

(٧) رواه أبو داود، والترمذى، وحسنه: سنن الترمذى: ٤ - ٧٠٨

فسجد؛ فقيل له: أتَسجدُ هذه الساعة؟ فقال: أليس قال رسولُ الله صلى اللهُ عليه وسلم: إذا رأيتمُ آيةً^(١) فاسجدوا؛ وأى آيةٍ أعظمُ^(٢) من ذهابِ أزواجِ النبي صلى اللهُ عليه وسلم.

[وكان أبو بكر وعمر يزورانِ أمِّ أئمنَ مولاةَ النبي صلى اللهُ عليه وسلم، ويقولان: كان رسولُ الله صلى اللهُ عليه وسلم يزورها^(٣).

ولما وردتِ حليلةُ السمديَّةِ على النبي صلى اللهُ عليه وسلم بسط لها رداءه^(٤) وقضى حاجتها؛ فلما توفى وفدت على أبي بكر وعمر فصنعا بها مثلَ ذلك^(٥).

فصل

[من توقيره وبرّه توقيرُ أصحابه وبرّهم]

ومن توقيره وبرّه صلى اللهُ عليه وسلم - توقيرُ أصحابه وبرّهم ومعرفةُ حقّهم، والافتداء بهم، وحسُنُ الثناء عليهم، والاستغفارُ لهم، والإمساكُ عما شجر^(٥) بينهم، ومعاذاةُ مَنْ عادَاهُمْ، والإضرابُ عن أخبارِ المؤرّخين، وجهلةِ الرّؤاةِ، وضلالِ الشّيعة^(٦) والبتدعيين القادحة^(٧) في أحدٍ منهم؛ وأن يُلتَمَسَ لهم فيما نُقلَ [عنهم]^(٨) من مثل ذلك فيما كان بينهم مِنَ الفتنِ أحسن^(٩) العاويلات، ويُخرَجَ

(١) آية: أمر عظيم فيه عبرة، كالكسوف والحسوف.

(٢) وهي آية عظيمة تورث حزنا وأسفا.

(٣) فافتديا به، وأحبا ما أحب.

(٤) ما بين القوسين كتب أمامه في هامش ا، ب: صح، من الأم، من غير الرواية.

(٥) الإمساك: السكوت. شجر بينهم: ما وقع من خلاف وتزاع بينهم.

(٦) ضلال: جمع ضال. والشيعّة: كل فرقة تابعة لأحد؛ ثم خصت بفرقة مخصوصة شايعوا

عليها، وبالنوافيه.

(٧) والبتدعيين: الذي ابتدعوا العقائد الفاسدة القادحة: من القدح؛ وهو النهم والتنعيس.

(٨) ليس في ا، ب. (٩) ضبطت النون في « أحسن » بالفتحة في ا.

لهم أَصُوبُ الْحَارِجِ^(١)؛ إذ هم أهلُ ذلك، ولا يُذَكَّرُ أَحَدٌ مِنْهُمْ بِسُوءٍ، وَلَا يُفْصَلُ^(٢) عَلَيْهِ أَمْرٌ؛ بَلْ تُذَكَّرُ حَسَنَاتُهُمْ وَفَضَائِلُهُمْ، وَحَمِيدُ سِيرَتِهِمْ، وَبُسْكَتُ عَمَّا وَرَاءَ ذَلِكَ؛ كَمَا قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ^(٣) : إِذَا ذُكِرَ أَحْبَابِي فَأَمْسِكُوا .

قال الله تعالى^(٤) : ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيئَاتِهِمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَمْرِ السُّجُودِ، ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ، فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَحَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ .

وقال^(٥) : ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ

(١) أصوب الحارج : بأن يحمل على أمر محمود ، ويؤوله بما يخرج عن عده من العايب

إلى إلحافه بالمحاسن .

(٢) لا يفصل : لا يعاب ولا ينقص في أمر من أموره . وفي هامش ا : غمص الناس :

احتقرم وضمن فيهم . عليه : على أحد منهم .

(٣) في حديث رواه الطبراني . فأمسكوا : امتنوا عن الطمن فيهم ، وذكروهم بما يومرهم قضاة فيهم .

(٤) سورة الفتح ، آية ٢٩ . شطأه : شطء الزرع : فروع الزرع ، وهو ماخرج منه

وتفرع في جانبيه . وقد تضمنت الآية الثناء عليهم كلهم ، وأن الله تعالى وعدم بمنفرتة وأجر

عظيم منه ، وأنهم من ابتداء أمرهم إلى آخره تقع وخير كزرع تكامل شيئاً فشيئاً حتى نمت

سنابله وعم نفعه .

(٥) سورة التوبة ، آية ١٠٠

قال في نسيم الرياض (٣ - ٤٦٧) : وفي هذه الآية مدح عظيم أيضاً لهم ووعد عظيم

بما لهم في العقبة ؛ وهم على طبقات ثلاث : الأولى السابقون الأولون الذي صلوا للقبليتين وشهدوا

بدرأ ، والذين أصلوا قبل الهجرة الثانية ، السابقون الأولون للبيعة وهم الأنصار أصحاب

العقبة الأولى .

والثانية والثالثة الذين اتبعوا هؤلاء بإحسان ، وهم اللاحقون بالسابقين من أهل القبليتين ،

وشمل هؤلاء كلهم الثناء والوعد .

ياحسان رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ، وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١﴾ .

وقال الله تعالى^(١) : ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنْ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ﴾ .

وقال^(٢) : ﴿ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهُ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴾ .

حدثنا القاضي أبو علي ، حدثنا أبو الحسنين ، وأبو الفضل ؛ قالا : حدثنا أبو يعلى ، حدثنا أبو علي السنجعي ، حدثنا محمد بن محبوب ، حدثنا الترمذي ، حدثنا الحسن بن الصباح ، حدثنا سفيان بن عيينة ، عن زائدة ، عن عبد الملك بن عمير ، عن ربيعة بن جراح ، عن حذيفة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ؛ قال : قال^(٣) رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : اقْتَدُوا بِالَّذِينَ مِنْ بَعْدِي : أَبِي بَكْرٍ ، وَعُمَرُ .

وقال^(٤) : أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم .

وعن أنس^(٥) رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَثَلُ أَصْحَابِي كَمَثَلِ الْمَلْحِ فِي الطَّعَامِ ؛ لَا يَصْلِحُ الطَّعَامُ إِلَّا بِهِ^(٦) .

(١) سورة الفتح، آية ١٨ ، وهذه هي قصة الحديبية، وما وقع فيها ، وهذه البيعة تسمى بيعة الرضوان .
(٢) سورة الأحزاب ، آية ٢٣

(٣) هذا الحديث أخرجه الحاكم ، وابن حبان ؛ وهو في سنن الترمذي : ٥ - ٦٠٩

(٤) رواه الدارقطني ، وابن عبد البر في العلم ، من طرق أسانيدھا كلها ضعيفة ، حتى قال ابن حزم : إنه موضوع . وقال الحافظ العراقي : كان يفتنى للمصنف رحمه الله ألا يورده بصيغة الجزم .
(٥) رواه البزار ، وأبو يعلى .

(٦) في نسيم الرياض (٣ - ٤٦٩) : قال الحسن البصري : قد ذهب ملحنا فكيف يصلح . وإصلاحهم بإرشادهم وهديتهم وحشمهم على الطاعات ، وأمرهم بالمعروف ونهيمهم عن المنكر ، وبيان الشريعة وأمور الدين ؛ فعايننا باتباعهم واقتفاء آثارهم .

وقال (١): اللهُ اللهُ في أصحابي؛ لاتتخذوهم غرَضاً بعدى؛ فمن أحبهم فبحبي أحبهم، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم، ومن آذاهم فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى اللهُ (٢)، ومن آذى اللهُ يوشكُ أن يأخذه (٣).

وقال (٤): لاتسبوا أصحابي؛ فلو أنفق أحدكم مثل أحدٍ ذهباً ما بلغ مدَّ أحدِهِم ولا نصيفه.

وقال (٥): [١٥٩] من سبَّ أصحابي فعليه لعنةُ اللهِ والملائكةِ والناسِ أجمعين، لا يقبلُ اللهُ منه صرفاً ولا عدلاً (٦).
وقال: إذا ذُكر أصحابي فأمسكوا (٧).

(١) اللهُ اللهُ: اتقوا اللهُ فيهم. والنرض: الهدف الذي يرمى به السهم، والمعنى: لاتذمومهم ولطعنوا فيهم بإسناد أمور قبيحة لهم.

(٢) آذى اللهُ: فعل ما لا يرضاه.

(٣) يوشك: يقرب ويسرع. يأخذه: يهاككه ويستأصله بمذابه.

(٤) في حديث رواه مسلم وغيره: صحيح مسلم: ١٩٦٧

(٥) ما بلغ: ما وصل، وسأوى ثوابه ثواب مد أحد ولا نصيفه؛ أى الذى يتصدق به من تمر أو شعير أو قمح ونحوه. والمد: ربع صاع، وهو أقل ما يتصدق به عادة. وروى: مد - بفتح الميم؛ أى مداه وغايته. والنصيف: النصف.

والمراد إن أعلى صدقتكم وإنفاقكم لله لا يبلغ أجره وموقمه عند الله أقل صدقتهم لسبقهم في الخير وخلوص نيتهم بدون رياء منهم؛ وقد أنفقوا - رضى الله عنهم - وهم في قلة وفاقه، ومن بعدهم أنفقوا والديناواسمة دارة عليهم، مع شدة الحاجة لما أنفقوه في أول ظهور الإسلام، وقاتل أعداء الدين، مع بذلهم مع مالهم، وأهلهم وأرواحهم في سبيل الله.

(٦) رواه الديلمى، وأبو نعيم في الحلية.

(٧) الصرف: التوبة. والمدل: الفدية.

(٨) أى إذا ذكروا بسوء وغيبة فأتركوا ذلك ولا تخوضوا مع الخائضين فيهم. وقد تقدم.

وقال^(١) .. في حديث جابر : إن الله اختار أصحابي على جميع^(٢) العالمين سيوى النبيين والمرسلين ، واختار لي منهم أربعة : أبا بكر ، ومُحمر ، وعُثمان ، وعليًّا ؛ فجعلهم خيرَ أصحابي ، وفي أصحابي كلُّهم خير^(٣) .

وقال^(٤) : مَنْ أَحَبَّ مُحمرَّ فَقَدْ أَحَبَّنِي ، وَمَنْ أَبْغَضَ مُحمرَّ فَقَدْ أَبْغَضَنِي .

وقال مالك بن أنس ، وغيره : مَنْ أَبْغَضَ الصَّعَابَةَ وَسَبَّهْمَ فَلَيْسَ لَهُ فِيَّ^(٥) المسكين حقٌّ ، وَنُزِعَ بآيَةِ الْحَشْرِ^(٦) : ﴿ وَمَا آفَاءَ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُ فَمَا أُوجِفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَا مَكْنِ اللَّهِ يُسَلِّطْ رَسُولَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ . مَا آفَاءَ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَاللرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُم الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ . . . إلى قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَّوْنَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾^(٧) .

(١) رواه البزار ، والديلمي .

(٢) أى فضلهم على الناس كلهم ، وجعلهم خيرة خلقه عدولا أتقياء كلهم .

(٣) خير : أى فضل وتقوى .

(٤) فى حديث رواه الطبرانى فى أوسطه بسند حسن .

(٥) النية : ما أخذ من غنيمة الكفار .

(٦) أصل معنى النزاع القلع والخروج ، يريد بمد عن النية فلا حق له فيه .

(٧) فى نسيم الرياض (٣ - ٤٧٢) : وجه الاستدلال بالآية أنه جعل ما آفأه الله على رسوله

حقا للفقراء والمهاجرين والفقراء الذين تبوءوا الدار، والفقراء الذين جاءوا من بعدهم مهاجرين بعد ما قوى الإسلام ، والتابعين لهم بإحسان ممن آمن بعد المهاجرين والأنصار إلى آخر الزمان .

والآيات المشار إليها فى سورة الحشر : من آية ٥ - ١٠

وقال : مَنْ غَاظَهُ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ فَهُوَ كَافِرٌ ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى (١) : ﴿ لِيَغِيظَهُمُ الْكُفَّارُ ﴾ .

وقال عبدُ اللهِ بنُ المُبارك (٢) : حَصَلْتَانِ مَنْ كَانَتْ فِيهِ نَجْمَةٌ : الصَّدْقُ ، وَحُبُّ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

قال أيوب السَّخْتِيَّانِي : مَنْ أَحَبَّ أَبَا بَكْرٍ فَقَدْ أَقَامَ الدِّينَ ، وَمَنْ أَحَبَّ عُمرَ فَقَدْ أَوْضَحَ السَّبِيلَ (٣) ، وَمَنْ أَحَبَّ عُثْمَانَ فَقَدْ اسْتَضَاءَ بِنُورِ اللَّهِ ، وَمَنْ أَحَبَّ عَلِيًّا فَقَدْ أَخَذَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى (٤) ، وَمَنْ أَحْسَنَ الثَّنَاءَ عَلَى أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَتَدَبَّرَ مِنْ النَّفَاقِ ، وَمَنْ انْتَقَصَ أَحَدًا مِنْهُمْ فَهُوَ مُبْتَدِعٌ مُخَافٌ لِلسُّنَّةِ وَالسَّلَفِ الصَّالِحِ ؛ وَأَخَافُ إِلَّا يَصْعَدَ لَهُ (٥) عَمَلٌ إِلَى السَّمَاءِ حَتَّى يَجِبَهُمْ جَمِيعًا ، وَيَكُونُ قَلْبُهُ سَلِيمًا (٦) .

وفي حديث (٧) خالد بن سَعِيدٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « أَيُّهَا النَّاسُ ،

(١) سورة الفتح ، آية ٢٩

قال القارى : وعن مالك أيضا أنه قال - حين تلا قوله تعالى : ليغيظهم الكفار - من أصبح وفي قلبه غيظ على أصحاب رسول الله صلى عليه وسلم فقد أصابته هذه الآية .

(٢) فى نسيم الرياض (٣ - ٤٧٣) : ليس هذا من كلام ابن المبارك ؛ وإنما هو حديث رواه ابن مسعود عنه صلى الله عليه وسلم .

(٣) أوضح السبيل : بين طريق الحق لمن أراد سلوك الطريق للمستقيم ، لأنه - بعده صلى الله عليه - أظهر الدين .

(٤) أخذ بالعروة الوثقى : تمسك بها ، لكونه عالما بالحقيقة ، وقائما بالقدب عن حوزة الدين ، لا يلحقه فى الله لومة لائم . وطل - باب العلم ، فمن أحبه فهو مستمسك بالعروة الوثقى - أى بالحق والرأى القويم الذى هو عروة لا تنفصم .

(٥) ألا يصعد له عمل : أى لا يقبله الله تعالى منه ، ولا يشبهه عليه .

(٦) يكون قلبه سليما من بضمهم .

(٧) هذا الحديث رواه الطبرانى ، وابن منده . وقال القارى (٢ - ٩٤) : هو

خالد بن عمرو بن سعيد بن العاص القرشى .

إني راضٍ عن أبي بكر فاعرفوا له ذلك . أيها الناس ؛ إني راضٍ عن عمر ، وعن عليّ ، وعن عثمان ، وطلحة ، والزبير ، وسعدٍ ، وسعيدٍ^(١) ، وعبد الرحمن بن عوف ؛ فاعرفوا لهم^(٢) ذلك .

أيها الناس ؛ إن الله غفر لأهل بدرٍ والحدائبة ؛ أيها الناس ، احفظوني في أصحابي وأصحابي وأختاني^(٣) ، لا يظلمكم أحدٌ منهم بمظلمة ؛ فإنها مظلمةٌ لا توهب في القيامة غداً^(٤) .

وقال رجلٌ للمعاني بن عمران : أين عمر بن عبد العزيز من معاوية ؟ فغضب وقال : لا يُقاسُ بأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أحدٌ ، معاوية صاحبه وصهره^(٥) ، وكاتبه وأمينة كلّي وحي الله .

وأتى^(٦) النبي صلى الله عليه وسلم بجنّازة رجلٍ فلم يُصلِّ عليه ، وقال : كان يُبغض عثمان ، فأبغضه الله .

وقال صلى الله عليه وسلم في الأنصار^(٧) : « اعفوا عن مسيئتهم ، واقبلوا من محسنهم » .

(١) وسعد : هو ابن أبي وقاص . وسعيد : هو ابن زيد بن عمرو بن نفيل .

(٢) المراد بمعرفتهم رعاية حقوقهم وتوقيرهم ومحبتهم .

(٣) احفظوني : احفظوا حقّي وقدرى برعاية ما يجب . في أصحابي : أي وحفظ حقّي يتم

ويتحقق بحفظ أصحابي ومحبتهم وتوقيرهم . والأصهار : جمع صهر : وهم أهل المرأة . والختن : واحد الأختان : وهو كل من كان من قبل المرأة . والمراد بها هنا : من بينه - صلى الله عليه وسلم - وبينه علاقة بتزويجه أو التزوج منه .

(٤) أي لا يهبها الله ؛ لأنها حق العبد ، ما لم يرض صاحبها لانتزاعه .

(٥) صهره : لأنه أخو زوجته أم حبيبة بنت أبي سفيان .

(٦) الحديث في سنن الترمذي : ٥ - ٦٣٠

(٧) في حديث رواه الشيخان : صحيح مسلم : ١٩٤٩ ، وصحيح البخاري : ٥ - ٤٣

وقال (١) : « أَحَقُّونِي فِي أَصْحَابِي وَأَصْهَارِي ؛ فَإِنَّهُ مَنْ حَفِظَنِي فِيهِمْ حَفِظَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَمَنْ لَمْ يَحْفَظْنِي فِيهِمْ تَحَمَّلَى اللَّهُ مِنْهُ (٢) ، وَمَنْ تَحَمَّلَى اللَّهُ مِنْهُ يُوْشِكُ أَنْ يَأْخُذَهُ (٣) » .

وعنه صلى الله عليه وسلم : « مَنْ حَفِظَنِي (٤) فِي أَصْحَابِي كُنْتُ لَهُ حَافِظًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ » .
وقال (٥) : « مَنْ حَفِظَنِي فِي أَصْحَابِي وَرَدَّ عَلَيَّ الْحَوْضَ (٦) ، وَمَنْ لَمْ يَحْفَظْنِي فِي أَصْحَابِي لَمْ يَرِدْ عَلَيَّ الْحَوْضَ ، وَلَمْ يَرَنْنِي إِلَّا مِنْ بَعِيدٍ » .

قال مالك - رحمه الله : هذا النبي مؤدَّب الخلق الذي هدانا الله به ، وجعله رحمة للعالمين ، يخرج في جَوْفِ اللَّيْلِ إِلَى الْبَقِيعِ (٧) فَيَدْعُو لَهُمْ وَيَسْتَغْفِرُ كَأَلْوَدِّعَ لَهُمْ ؛ وَبِذَلِكَ أَمَرَهُ اللَّهُ ، وَأَمَرَ النَّبِيَّ بِحَبِّهِمْ ، وَمَوَالِيهِمْ (٨) ، وَمَعَادَاةَ مَنْ عَادَاهُمْ .
وروي عن كعب (٩) : لَيْسَ أَحَدٌ مِنَ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا لَهُ شَفَاعَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ .

وطلب (١٠) من المغيرة بن نوفل أَنْ يَشْفَعَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ .
قال سهيل بن عبد الله التُّسْتَرِي : لَمْ يُؤْمِنْ بِالرَّسُولِ مَنْ لَمْ يُوقِّرْ أَصْحَابَهُ ، وَلَمْ يُعِزَّ أَوْامِرَهُ (١١) .

-
- (١) في حديث رواه أبو نعيم ، والديلمي .
(٢) تحملى الله منه : أى أعرض عنه ، وتركه في غيبه استدراجاً له .
(٣) أن يأخذه بأن يهلكه ويستأصله .
(٤) من حفظنى في أصحابى : برعاية حقى فيهم . (٥) رواه الطبرانى بسند ضعيف .
(٦) ورد على الحوض : أى وصل إليه وشرب منه حتى لا يظمأ بعده .
(٧) البقيع : اسم موضع بظاهر المدينة ، صار مقبرة لأهل المدينة ؛ وإنما كان يخرج إليه النبي ليناجى ربه متخلياً عن أهله .
(٨) مواليتهم : معاوتهم ونصرتهم .
(٩) رواه ابن سعد . (١٠) وطلب : أى كعب .
(١١) يعز أوامره : ينصرها ويقويها ، ويعجلها ويعظمها .

فصل

[ومن إعظامه وإكباره]

ومن إعظامه وإكباره إعظامُ جميعِ أسبابِهِ^(١)، وإكرامُ مشاهدِهِ^(٢) وأمكنَتِهِ من مكة والمدينة^(٣)، ومعاهدِهِ^(٤)، وما لَمَسَهُ - صلى الله عليه وسلم، أو عُرِفَ به .
ورَوَى عن صَفِيَّةَ بنتِ نَجْدَةَ ؛ قالت : كان لأبي مَخْذُومَةَ قِصَّةٌ^(٥) في مُتَدَمِّمِ رأسِهِ إِذَا قَعَدَ وأرسلها أصابت الأرضَ . فقيل له : أَلَا تَحْلِقُهَا ؟ فقال : لِمَ أَكُنْ بِالذِي أَحْلِقُهَا ، وقد مَنَّمَهَا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بيَدِهِ .

وكانت^(٦) في قَلَنْسُوءَةَ خالدِ بنِ الوليدِ شَعْرَاتٌ من شَعْرِهِ صلى الله عليه وسلم ، فسقطت قَلَنْسُوءَتُهُ في بَعْضِ حُرُوبِهِ ، فشدَّ عليها شَدَّةً^(٧) أَنَكَرَ عليه أصحابُ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم كَثْرَةَ مَنْ قُتِلَ فيها ؛ فقال : لِمَ أَفْعَلْنَا بِسَبَبِ القَلَنْسُوءَةِ ؛ بَلِ إِنَّمَا تَضَمَّنْتَهُ من شَعْرِهِ صلى الله عليه وسلم لثَلَا أُسْلَبَ^(٨) بركتَها وتقع في أيدي المشركين .

(١) الأسباب : المراد كل ما ينسب إليه؛ من فراشه ولباسه بمن لا روح له ، أو له روح ؛ كعبه ودوابه . وقال الراغب : السبب : الحبل الذي يصعد به النخل، ويسمى كل ما يتوصل به سببا ، وتسمى العمامة والحمار والثوب الطويل سببا تشبيها بالحبل في الطول .
(٢) مشاهدته : مشاهد : جمع مشهد ، وهو محل الشهود ؛ أي الحضور ؛ أي مواضعه التي حضرها أو نزل بها .

(٣) المراد به مساكنه ومحال إقامته .

(٤) معاهد : المحال التي عهد إليه صلى الله عليه وسلم بها ؛ كالأساطين التي كان يصلي عندها، ومحل صلواته في المسجد ، والأماكن المباركة ، ومنازله .

(٥) قصة : خصلة من شعر الرأس في مقدم رأسه .

(٦) في حديث رواه أبو يعلى .

(٧) شد عليها شدة : كركرة قوية ، أي رجع لأخذها، وهو يمدو عدوا شديدا سريعا .

(٨) أسلب بركتها : تذهب مني بركتها .

[ورثني ابنُ عمر واضما يده على مَتَعَدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْمُنْبَرِ ،
ثم وضعها على وجهه^(١)] ^(٢) .

ولهذا كَانَ مالِكٌ رَجَمَهُ اللهُ لَا يَرْكَبُ بِالْمَدِينَةِ دَابَّةً ؛ وَكَانَ يَقُولُ : أَسْتَجِي
مِنَ اللهِ أَنْ أَطَأَ تُرْبَةً^(٣) فِيهَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِحَافِرِ دَابَّةٍ .
وَرَوَى عَنْهُ أَنَّهُ وَهَبَ لِلشَّافِعِيِّ كُرَاعًا^(٤) كَثِيرًا كَانَ عِنْدَهُ ؛ فَقَالَ لَهُ الشَّافِعِيُّ :
أَمْسِكْ مِنْهَا دَابَّةً . فَأَجَابَهُ بِمِثْلِ هَذَا الْجَوَابِ .

وقد حكى أبو عبد الرحمن السُّلَمِيُّ عن أحمد بن فضالويه الزَّاهِدِ - وَكَانَ مِنَ
الْفُرَاةِ الرَّثِمَاءِ^(٥) - أَنَّهُ قَالَ : مَا مَسَسْتُ الْقَوْسَ بِيَدِي إِلَّا عَلَى طَهَارَةٍ مِنْذُ بَلَغَنِي أَنَّ
النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخَذَ الْقَوْسَ بِيَدِهِ^(٦) .

وقد أفنى مالكٌ فيمن قال : تربةُ المدينة رديَّةٌ^(٧) - يُضْرَبُ ثَلَاثِينَ دِرَّةً^(٨) ،
وأمر بحبسهِ ، وَكَانَ لَهُ قَدْرٌ ؛ وَقَالَ : مَا أَخْوَجَهُ إِلَى ضَرْبِ عُنُقِهِ ! تربةٌ دُفِنَ فِيهَا
النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يزعمُ أنها غير طيبة .

وفي الصحيح^(٩) أَنَّهُ قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِي الْمَدِينَةِ : مَنْ أَحْدَثَ فِيهَا حَدَثًا^(١٠)

(١) وضعها على وجهه : مسحه بها تبركا .

(٢) أمام ما بين القوسين في هامش ا ، ب : من غير الرواية .

(٣) تربة : أرضا ذات تراب . (٤) كراعا : جمع من الخيل .

(٥) الرماة : الذين يجيدون رمي السهام .

(٦) أخذ القوس بيده : أمسكها ، ورمى بها .

(٧) ردية : غير طيبة ، ذات وباء متعفنة الهواء .

(٨) الدرّة : آلة من جلد غليظ يضرب بها ؛ وهي آلة التمزير .

(٩) رواه الشيخان : صحيح البخاري : ٩ - ١٢٣ ، صحيح مسلم : ٩٩٦

(١٠) من أحدث فيها حدثا : من فعل فيها أمرا قبيحا ابتدعه فيها كالظلم . والمراد البدع

المنكرة شرعا .

أو آوى مُخْدِثًا^(١) فمليه لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ؛ لَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْهُ صَرْفًا وَلَا عَدْلًا^(٢) .

وَحُكِيَ أَنَّ جَهْجَاهَا^(٣) الْغِفَارِي أَخَذَ قَضِيبَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ يَدِ عُمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَتَنَاوَلَهُ لِيَكْسِرَهُ عَلَى رُكْبَتِهِ ، فَصَاحَ بِهِ النَّاسُ ، فَأَخَذَتْهُ الْأَكْلَةَ^(٤) فِي رُكْبَتِهِ فَقَطَعَهَا ، وَمَاتَ قَبْلَ الْحَوْلِ .

وقال^(٥) صلى الله عليه وسلم : « مَنْ حَلَفَ عَلَى مِثْبَرِي كَاذِبًا فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ^(٦) » .

وَحَدَّثْتُ أَنَّ أَبَا الْفَضْلِ الْجَوْهَرِيَّ لَمَّا وَرَدَ الْمَدِينَةَ زَائِرًا ، وَقَرُبَ مِنْ بَيْتِهَا تَرَجَّلَ وَمَشَى بِأَكْيَا مُنْشِدًا^(٧) :

لَمَّا رَأَيْنَا رَسْمَ مَنْ لَمْ يَدْعُ لَنَا فُوَادًا لِعِرْفَانِ الرُّسُومِ وَلَا لُبًّا^(٨)
 نَزَلْنَا عَنِ الْأَكْوَارِ نَمْشِي كِرَامَةً لِمَنْ بَانَ عَنْهُ أَنْ نُلِمَّ بِهِ رَكْبًا^(٩)
 وَحُكِيَ عَنْ بَعْضِ الْمُرِيدِينَ أَنَّهُ لَمَّا أَشْرَفَ عَلَى مَدِينَةِ الرَّسُولِ أَنْشَدَ يَقُولُ
 مَتَمِّلًا^(١٠) [١٦١] :

- (١) آوى محدثا : أدخله وضمه لأهلها . (٢) الصرف : التوبة . والعدل : الفدية .
 (٣) الذي حكى هذا هو ابن عبد البر في الاستيعاب : ١ - ٢٦٩ . وقال القاري (٢-٩٩) :
 جهجها - بفتح أوله : وفي نسخة جهجاه - بلا تنوين .
 (٤) الأكلة : مرض يفسد الأعضاء . وتمد همزته .
 (٥) في حديث رواه مالك ، وأبو داود ، والنسائي ، وابن ماجه ، عن أبي هريرة .
 (٦) يتبوا : يتخذة مباءة ؛ أى مقرا وسكنا : سنن الترمذى : ٤ - ٥٣٤ ، سنن ابن
 ماجه : ١٣ (٧) الشعر للمتنبي : ديوانه : ١ - ٥٦
 (٨) الرسم : آثار الديار الجامعة ، والمراد آثاره صلى الله عليه وسلم في معاهده ومسأكنه .
 والفؤاد : القلب ، والعرفان : المعرفة . واللب : العقل .
 (٩) الأكوار : جمع كور ؛ وهو للابل بمنزلة السرج للفرس . بان : بمد . نلم : نأثيه لزيارته .
 والإلام : الإتيان قليلا . (١٠) الشعر لأبي نواس في مدح محمد الأمين : ديوانه : ٤٠٨

رُفِعَ الْحِجَابُ لَنَا فَلَاخَ لَنَاظِرٍ قَمَرٌ تَقَطَّعُ دُونَهُ الْأَوْهَامُ^(١)
 وَإِذَا الْمَطِيُّ بَنَا بَلَعْنَ مُحَمَّدًا فَظَهْرَهُنَّ عَلَى الرِّجَالِ حَرَامٌ^(٢)
 قَرَبْنَا مِنْ خَيْرِ مَنْ وَطِئَ الثَّرَى وَلَمَّا عَلَيْنَا مُحْرَمَةٌ وَذِمَامٌ^(٣)
 وَحُكِيَ عَنْ بَعْضِ الْمَشَائِخِ أَنَّهُ حَجَّ مَا شِئًا ؛ فَقِيلَ^(٤) لَهُ فِي ذَلِكَ ؛ فَقَالَ : الْعَبْدُ
 الْآبِقُ^(٥) لَا يَأْتِي إِلَى بَيْتِ مَوْلَاهُ رَاكِبًا ! لَوْ قَدَرْتُ أَنْ أَمْشِيَ عَلَى رَأْسِي مَا مَشَيْتُ
 عَلَى قَدَمِي .

قال القاضي^(٦) : وجدير لمواطن^(٧) عُمَرَتْ بِالْوَحْيِ وَالتَّنْزِيلِ ، وَتَرَدَّدَ بِهَا
 جَبْرِيلُ وَمِيكَائِيلُ ، وَعَرَجَتْ^(٨) مِنْهَا الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ ، وَضَجَّتْ عَرَصَاتُهَا^(٩)
 بِالتَّقْدِيسِ وَالتَّسْبِيحِ ، وَاشْتَمَلَتْ تُرْبَتُهَا عَلَى جَسَدِ سَيِّدِ الْبَشَرِ ، وَانْتَشَرَ^(١٠) عَنْهَا
 مِنْ دِينِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ مَا انْتَشَرَ ، مَدَارِسُ آيَاتِ^(١١) ، وَمَسَاجِدُ وَصَلَوَاتُ ،

(١) المراد برفع الحجاب في الشعر : رفع ستائر أبواب السلوك والعظام . وهو هنا بمعنى
 انقضاء المسافة والقرب من المدينة . والقمر : المدوح . وتقطع : تضمحل .

(٢) المطي : جمع مطية : ناقة تمتطي ، وتركب . ولاح : بدا وظهر . دونه : قريبا منه .
 فظهرهن على الرجال حرام : أي إذا أوصلتهم لمقاصدهم كانت لها حرمة تقتضي رعايتها وراحتها
 فلا يركبها بمد ذلك رجل ، ولا يوضع على ظهرها شيء ؛ بل تترك سارحة منعمة في مرعاها .
 (٣) خير من وطئ الثرى : النبي ؛ فهو خير الناس . والحرمة : الحق الذي يلزم احترامه .
 والذمام : ما يلزم احترامه . أو جمع ذمة ؛ وهي العهد ؛ وما يجب الوفاء به . وفي الديوان :
 من وطئ الحصى . (٤) قيل له في ذلك : سئل عن سبب ذلك ؛ لم فعله ؟

(٥) الآبق : الفار من سيده . (٦) هو المؤلف .

(٧) لمواطن : أما كن ومساكن ، يريد مكة والمدينة . (٨) عرجت : صعدت .

(٩) العرصات : جمع عرصة ؛ وهي الأرض ، والساحة الواسعة من غير بناء . والمراد

هنا : الأرض مطلقا وضجت عرصاتها : ارتفعت فيها الأصوات بتوحيد الله وذكره .

(١٠) وانتشر : شاع وتفرق ، واشتهر في الأرض منتقلا .

(١١) مدارس آيات : محال يدرس فيها القرآن .

ومشاهد الفضائل والخيرات^(١)، ومماهد البراهين والمعجزات^(٢)، ومناسك الدين، ومشاعر المسلمين^(٣)، ومواقف سيد المرسلين، وميتوا خاتم النبيين^(٤)، حيث انفجرت النبوة، وأين فاض عبابها^(٥)؛ ومواطن مهبط الرسالة^(٦)؛ وأول أرض مس جلد المصطفى ترابها - أن تعظم عرصاتها، وتتنسم نفحاتها^(٧)، وتقبل ربوعها^(٨) وجدرانها:

يا دار^(٩) خير المرسلين ومن به هدى الأنام وخص بالآيات^(١٠)
عندي لأجلك لوعة وصباية وتشوق متوقد الجمرات^(١١)
وعلى عهد إن ملأت محارجي من تلكم الجدران والعرصات^(١٢)

(١) الشاهد: جمع مشهد؛ وهو محل يشهده الناس ويجتمعون فيه.

(٢) مماهد البراهين والمعجزات: أى عهد فيها ظهور معجزاته، وبراهين نبوته الدالة

على صدقه.

(٣) مناسك: جمع منسك، وهو محل العبادة والنسك. ومشاعر: محال معالمهم التي

يجب القيام بها من الواجبات وغيرها. (٤) ميتوا: مسكنه، ومحل إقامته.

(٥) العباب: الماء الكثير كالسيل، والماء الكثير المتدفق الفائض.

(٦) مواطن مهبط الرسالة: محال نزول الوحي برسالاته وأمره بتبليغ الخلق ما أرسل به

إليهم. والمراد مكة.

(٧) تنسم نفحاتها: المراد مافي النسيم من رائحتها الطيبة. وفي: وتنسم.

(٨) الربوع: جمع ربيع، وهو المنزل في الربيع، ويطلق على المنزل مطلقا، وهو

المراد هنا.

(٩) هذا من شعر المؤلف - كما في نسيم الرياض (٣-٤٨٨). وقال القارى (٢-١٠٢):

قال الحلبي: الذي ظهر لى أن هذا الشعر من قول المصنف.

(١٠) الأنام: الخلق. خص بالآيات: القرآن، أو جميع المعجزات.

(١١) اللوعة: شدة الحب وحرقته. والصابية: رقة الشوق.

(١٢) ملأت محارجي: يريد عيني. والمحاجر: جمع محجر، وهو جوانب المين.

وماؤها: النظر والإبصار.

لَا عَفْرَنَ مَصُونٍ شَيْبِي بَيْنَهَا مِنْ كَثْرَةِ التَّقْبِيلِ وَالرَّشَفَاتِ (١)
 لَوْلَا الْعَوَادِي وَالْأَعَادِي زُرَّتْهَا أَبْدًا وَلَوْ سَحَبًا عَلَى الْوَجَنَاتِ (٢)
 لَكِنْ سَاهَدِي مِنْ حَفِيلٍ تَحِيَّتِي لِقَطَائِنِ تِلْكَ الدَّارِ وَالْحَجَرَاتِ (٣)
 أَزْكَى مِنْ الْمِسْكِ الْمَفْتَقِ نَفْحَةً تَنْشَاهُ بِالْأَصَالِ وَالْبُكْرَاتِ (٤)
 وَتَخْصُهُ بِزَوَاكِي الصَّلَوَاتِ وَنَوَامِي التَّسْلِيمِ وَالْبَرَكَاتِ (٥)

(١) أراد بشيبه : لحيته البيضاء . بينها : بين ترابها وأرضها . والرشفات : جمع رشفة ؛ وهي مص الريق ونحوه ، والمراد به التقبيل أيضا .

(٢) العوادي : جمع عادية ، وهي الأمور التي تمنع من زيارتها ، والعوائق ، أو الظلمة . والأعادي : جمع عدو . الوجنات : جمع وجنة ؛ وهي أعلى الحد ، وهو ما ارتفع منه وغاظ . أي أسحب وجهي على الأرض بذلة وخضوع .

(٣) الإهداء : الإرسال . والحفيل : الكثير النفيس يحتفل به . والقطين : المقيم . والحجرات : إشارة إلى حجراته التي كان بها زوجاته أمهات المؤمنين . أي إن منعت عن زيارتها ، والإقامة بها ، والتضخم بترابها تبركا فإني أهدى لمن سكن بها - يعني النبي وأصحابه الذين دفنوا بها

(٤) أزكى : أكثر طيبا ورائحة طيبة . المفتق : من فتق المسك والطيب إذا خلط بغيره مما يزيد طيبه . نفحة : رائحة . تنشاه : تعرض له . أو تغطيه . والآصال : جمع أصيل : ما قرب من الغروب . والبكرات : جمع بكرة ؛ وهي أول النهار ؛ وخصهما لطيب النسيم ولطافة الهواء فهما . أو المراد بهما الدوام .

(٥) الزواكي : جمع زاكية ، وهي الزائدة ، وبمعناه النوامي . قال القاري (٢-١٠٣) : ولو رويت : بشرائف الصلوات ولطائف التسليم - لكان ألطف .

البَابُ الرَّابِعُ

في حكم الصلاة عليه والتسليم وفروض ذلك وفضيلته

قال الله تعالى^(١) : ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ .

قال ابن عباس : معناه : إنَّ اللهَ وملائكته يُباركون^(٢) على النبيّ .

وقيل : إنَّ اللهَ يترحم^(٣) على النبيّ ، وملائكته يدعون له .

قال المبرد : وأصل الصَّلَاة الترحُّم ، فهي منَ الله رحمةٌ ، ومن الملائكة رِقَّةٌ واستدعاء للرحمة^(٤) من الله .

(١) سورة الاحزاب ، آية ٥٦

وازجع في هذا الموضوع إلى : تفسير ابن كثير : ٦ - ٤٤٧ وما بعدها ؛ وسنن النسائي :

٣ - ٣٧ وما بعدها ، وسنن الترمذي : ٢ - ٣٥٢ وما بعدها ، ٥ - ٥١٧ ، وسنن ابن ماجه :

١ - ٢٩٢ والتمهيد مثله ؛ الموطأ : ١ - ١٦٥ ؛ وصحيح البخارى : ٦ - ١٥١ ، ٨ - ٨٩ ؛

وصحيح مسلم ٢٨٨ ، ٣٠٥ ، ١٩٧٨ ؛ وسنن أبي داود : ١ - ٩٨ ، ٢ - ١٩١ ؛ وتفسير

القرطبي : ١٤ - ٢٣٢ ؛ وأحكام القرآن : ٣ - ١٥٧ ؛ ومسند الطيالسي : ١ - ١٠٣

قال في نسيم الرياض (٣ - ٤٩١) : وهذه الآية مدنية أخبر الله عباده فيها بشرف

منزلته صلى الله عليه وسلم عنده ، وأن الله وملائكته ينون عليه في الملائكة الأُطى ؛ ثم أمر

أهل العالم السفلى بأن يفعلوا كفعالهم .

(٢) يباركون : أى يدعون له بزيادة بركة لائقة بمقامه وشرف قدره . وقال القارى

(٢ - ١٠٣) : أى إن الله يبارك له فى أمره ؛ ويزيد فى قدره ، وتدعو الملائكة ربه أن يرفع

ذكره ، ويظهر أمره .

وقال البخارى (٦ - ١٥١) : قال أبو المالية : صلاة الله ثناؤه عليه عند الملائكة ،

وصلاة الملائكة ، الدعاء . وقال ابن عباس : يصلون : يبركون .

(٣) يترحم على النبي : يدعوه بالرحمة ، أو يببالغ فى إنزال الرحمة عليه ، فكأنه يطلب من

نفسه الرأفة إليه .

(٤) رقة : شفقة عليه ومحبة . واستدعاء للرحمة : طلب لها ودعاء بها .

وقد ورد^(١) في الحديث : صِفَةُ صَلَاةِ الْمَلَائِكَةِ عَلَى مَنْ جَلَسَ يَنْتَظِرُ الصَّلَاةَ :
اللهم اغفر له ، اللهم ارحمه ؛ فهذا دعاء .

وقال^(٢) أبو بكر القشيري : الصَّلَاةُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى لِمَنْ دُونَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَحْمَةٌ ، وَلِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَشْرِيفٌ وَزِيَادَةٌ تَكْرِمَةٌ .

وقال أبو العالية : صَلَاةُ اللَّهِ ثَنَاؤُهُ عَلَيْهِ عِنْدَ الْمَلَائِكَةِ ، وَصَلَاةُ الْمَلَائِكَةِ الدُّعَاءُ .

قال القاضي^(٣) أبو الفضل : وَقَدْ فَرَّقَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَدِيثِ تَعْلِيمِ الصَّلَاةِ بَيْنَ لَفْظِ الصَّلَاةِ وَلَفْظِ الْبِرْكَاتِ ؛ فَدَلَّ أَنَّهُمَا [١٦٢] بِمَعْنَيَيْنِ^(٤) .

وأما التسليمُ الذي أمر اللهُ تعالى به عباده^(٥) فقال القاضي أبو بكر بن بُكَيْرٍ :
نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأَمَرَ اللَّهُ أَصْحَابَهُ أَنْ يَسَلُّوا عَلَيْهِ ؛
وَكَذَلِكَ مَنْ بَعْدَهُمْ أَمَرُوا أَنْ يَسَلُّوا عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ حَضُورِهِمْ
قَبْرَهُ ، وَعِنْدَ ذِكْرِهِ .

وفي معنى السلامِ عليه ثلاثة وجوه :

أحدها : السَّلَامَةُ لَكَ وَمَعَكَ^(٦) ، وَيَكُونُ السَّلَامُ^(٧) مَصْدَرًا كَالَّذِي
وَالَّذِي أَذَى^(٨) .

الثاني - أَيْ السَّلَامُ عَلَى حِفْظِكَ وَرِعَايَتِكَ مُتَوَلِّ لَه ، وَكَفَيْلٌ بِهِ^(٩) ، وَيَكُونُ
هَذَا السَّلَامُ اسْمًا لِلَّهِ .

(١) رواه الشيخان عن أبي هريرة : وهو في مسند أحمد : ١ - ١٤٤ ، وأحكام القرآن :
٣ - ١٥٧٠ ، وانظر هامش رقم ١ في الصفحة السابقة .

(٢) في ١ : قال بكر . (٣) هو المؤلف . (٤) بمعنيين : أي متباينين .

(٥) في الآية المتقدمة : إن الله وملائكته سورة الأحزاب ، آية ٥٦

(٦) ومعك : أي مصاحبة وملازمة لك .

(٧) في ١ : وتكون السلامة . (٨) بمعنى التلذذ باللذة .

(٩) أي إكرامك وعنايته بك ومراقبتك . متول له : قائم به بحيث لا يكل أمرك لغيره .
كفيل به : متكفل ملتزم له .

الثالث - أن السلام بمعنى المسألة له والانتقياذ^(١)؛ كما قال^(٢) : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ
لَا بُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ، ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ
وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ^(٣) 》 .

فصل

[حُكْمُ الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ]

اعلم أن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فرض على الجملة^(٤) ، غير محدد
بوقت؛ لأمر الله تعالى بالصلاة عليه ، وحمل الأئمة والعلماء له على الوجوب ،
وأجمعوا عليه^(٥) .

وحكى أبو جعفر الطبري أن محمل^(٦) الآية عنده على الندب ؛ وادعى فيه
الإجماع ؛ ولعله^(٧) فيما زاد على مرة ؛ والواجب منه الذي يسقط به الحرج ومأثم
ترك الفرض - مرة ؛ كالشهادة له بالنبوة^(٨) ؛ وما عدا ذلك فتندوب مرغّب^(٩) فيه ،
من سنن الإسلام وشعار أهله .

(١) المسألة : التسليم وعدم المخالفة .

(٢) سورة النساء ، آية ٦٥

(٣) يحكموك : يفوضون الحكم إليك . شجر بينهم : وقع من المنازعات . حرجا : ضيقا

لعدم رضام . ويسلموا تسليما : يذعنوا وينقادوا لأمرك مفسرحة صدورهم لقبوله .

(٤) على الجملة : إجمالا ، من غير تعيين زمان أو محل .

(٥) في نسيم الرياض (٣ - ٤٩٤) : والآية السابقة تدل على ذلك عند الجمهور ؛ لأنه

الأصل في الأمر وحقيقته عند الأكثر . وبعضه الأحاديث . قال القرطبي (١٤ - ٢٣٣) :

ولا خلاف في أن الصلاة عليه فرض في العمر مرة . وقال الزمخشري (الكشاف : ٢ - ٢٢٠)
فإن قلت : الصلاة على رسول الله واجبة أم مندوب إليها ؟ قلت : بل واجبة .

(٦) محمل الآية : المراد منها .

(٧) ولعله : أى ما ادعاه من الندب .

(٨) أى فإنها واجبة في العمر مرة ، كما تقدم ، وكما سيأتى من كلام القاضى نفسه .

(٩) مرغّب فيه بكثرة ثوابه وفوائده .

قال القاضي أبو الحسن بن القصار : المشهورُ عن أصحابنا أن ذلك واجبٌ^(١) في الجملة على الإنسان ، وفرضٌ عليه أن يأتي بها مرةً من دهره مع القُدْرَةِ على ذلك . وقال القاضي أبو بكر بن بكير : افترض الله على خلقه أن يصلُّوا على نبيه ، ويسلموا تسليماً ، ولم يجعل ذلك لوقتٍ معلوم ؛ فالواجبُ^(٢) أن يُكثِرَ المرَّةَ منها ، ولا يفتل عنها .

قال القاضي أبو محمد بن نصر : الصلاةُ على النبي صلى الله عليه وسلم واجبةٌ في الجملة .

قال القاضي أبو عبد الله محمد بن سعيد : ذهب مالك وأصحابه وغيرهم من أهل العلم أن الصلاةَ على النبي صلى الله عليه وسلم فرضٌ بالجملة بِعقدِ^(٣) الإيمان ، لاتمتين في الصلاة^(٤) ، وأن مَنْ صَلَّى عليه مرةً واحدةً من عمره سقط الفرضُ عنه . وقال أصحابُ الشافعي : الفرضُ منها الذي أمر الله تعالى به^(٥) ورسوله صلى الله عليه وسلم هو في الصلاة^(٥) .

وقالوا : وأما في غيرها فلا خلافَ أنها غيرُ واجبةٍ .

وأما في الصلاة فحكي الإمامان أبو جعفر الطبري والطحاوي^(٦) وغيرهما إجماعَ

(١) واجب في الجملة : فرض غير موقت بوقت معين .

(٢) قال القاضي : المراد به الوجوب الذي دون الفرض .

(٣) بعقد الإيمان - بفتح الهمزة : أى بتصميمها واعتقادها . أو بكسر الهمزة : أى هي

أول ما يفرض بعد الإيمان بالله ورسوله . وقال القارى (٢ - ١٠٦) : بعقد الإيمان - بكسر

الهمزة : أى بيقيد الإيمان المذكور في القرآن ؛ فلا تجب على أهل الكفر والكفران .

(٤) لاتمتين في الصلاة : يعنى أنها لا تجب فيها ، ولا أنها لا تصح إلا بها ، كما قال الشافعي .

(٥) أى في الآية المذكورة قبل . في الصلاة : عقب التشهد .

(٦) أبو جعفر الطبري من أكابر الشافعية . والطحاوي - محمد بن أحمد بن سلام ، من

أكابر الحنفية .

جميع المتقدمين والمتأخرين من علماء الأمة على أن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في التشهد غير واجبة .

وشد الشافعي في ذلك ؛ فقال : مَنْ لم يُصَلِّ على النبي صلى الله عليه وسلم من بعد التشهد الأخير^(١) وقَبَلَ السلام فصَلَّاتُه فاسدةٌ ، وإن صَلَّى عليه قَبَلَ ذلك لم تجزِه^(٢) ؛ ولا سَلَفَ له^(٣) في هذا القول ولا سنةٌ يَتَّبِعُهَا^(٤) .

وقد بالغ في إنكار هذه المسألة عليه مخالفته فيها مَنْ تقدّمه - جماعةٌ ، وشنعوا عليه^(٥) الخلاف فيها ، منهم [١٦٣] الطبري ، والقشيري ، وغير واحدٍ .

وقال أبو بكر بن المنذر : يستحبُّ ألا يَضَلِّي أحدٌ صلاةً إلا صَلَّى فيها على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ؛ فإن تركَ ذلك فصلَّاتُه مُجزئةٌ^(٦) في مذهب مالك ، وأهل المدينة ، وسفيان الثوري ، وأهل الكوفة من أصحاب الرأى وغيرهم . وهو قولُ جَمَلِ أَهْلِ الْعِلْمِ^(٧) .

وحُكِيَ عن مالك وسفيان أنها في التشهد الأخير مستحبةٌ ، وأن تاركها في التشهد مُسِيءٌ^(٨) .

(١) في ١ : التشهد الآخر .

(٢) لم تجزه : أي صلّاته ، أي لم تصح ، ولم يسقط عنه الفرض ، فيجب عليه إعادة الصلاة .

(٣) ولا سلف له في هذا القول : أي لم يقل به أحد من السلف .

(٤) ولا سنة يتبعها : أي لم يثبت في الأحاديث النبوية ما يكون دليلاً على ما قاله الشافعي .

(٥) شنعوا : قبحوا وطمنوا ؛ أي عدوا ما قاله أمراً قبيحاً ، وقولا مبتدعاً منه .

(٦) مجزئة : كافية له .

(٧) جمل أهل العلم : أكثرهم وجمهورهم .

(٨) مسيء : غير محسن لارتكابها أمراً مكروهاً . وقال القاري (٢ - ١٠٨) : مسيء :

أي ملام بترك السنة .

وشذ الشافعي فأوجب على تاركها^(١) في الصلاة الإعادة؛ وأوجب إسحاق^(٢) الإعادة مع تعمّد تركها دون النسيان .

وحكى أبو محمد بن أبي زيد، عن محمد بن المّواز - أن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فريضة^(٣) .

قال أبو محمد: يريدُ ليست من فرائض الصلاة^(٤)؛ وقاله محمد^(٥) بن عبد الحكم وغيره .

وحكى ابن القصار وعبد الوهاب - أن محمد بن المّواز يراها فريضة في الصلاة كقول الشافعي .

[وحكى أبو يعلى العبدى المالكي عن المذهب^(٦) فيها ثلاثة أقوال في الصلاة]^(٧) :

الوجوب ، والسنة ؛ والندب^(٨) .

(١) على تاركها عمدا أو سهوا .

(٢) هو إسحاق بن إبراهيم بن راهويه الروزي عالم خراسان ، روى عنه الجماعة ، خلا ابن ماجه ، توفي سنة ثمان وثلاثين ومائتين .

(٣) أى في مذهب المالكية ؛ وهذا يحتمل أن يريد مرة ، أو كلما ذكر ، أو في تشهد الصلاة .

(٤) بل إنها فرض في الجملة كما تقدم .

(٥) هو الفقيه المصري صاحب الشافعي ، مات سنة ٢٦٨ هـ .

(٦) للمذهب : مذهب مالك .

(٧) ما بين القوسين ليس في ا ، وأمامه في ب : للعلم عليه ليس من الرواية .

(٨) الوجوب كما قال الشافعي وأشياعه . والسنة ، أى المؤكدة ، كما قال أبو حنيفة

وأبناعه . والندب كما ذهب إليه مالك وبعضهم ؛ ولا فرق - عند أكثر الشافعية بين السنة

والندب ، وأما عند غيرهم فتبايرها بأن السنة : ماواظب عليه صلى الله عليه وسلم . والندب :

مالم يواظب عليه ، وبه قال بعض الشافعية (شرح القارى : ٢ - ١٠٩)

وقد خالف الخطّابيّ من أصحاب الشافعيّ وغيره - الشافعيّ في هذه المسألة ؛ قال الخطّابيّ : وليست بواجبة في الصلاة ؛ وهو قول جماعة الفقهاء إلا الشافعي ؛ ولا أعلم له فيها قدوة .

والدليل على أنها ليست من فروض الصلاة عمل السلف الصالح قبيل الشافعيّ ، وإجماعهم عليه^(١) .

وقد شنع الناس عليه^(٢) في هذه المسألة جدًّا .

وهذا تشهد ابن مسعود الذي اختاره الشافعيّ ، وهو الذي علمه^(٣) له النبيّ صلى الله عليه وسلم ، ليس فيه الصلاة على النبيّ صلى الله عليه وسلم ؛ وكذلك كل من مرّوى التّشهاد عن النبيّ صلى الله عليه وسلم ، كأبي هريرة ، وابن عباس ، وجابر وابن عمر ، وأبي سعيد الخدريّ ، وأبي موسى الأشعريّ ، وعبد الله بن الزبير - لم يذكروا فيه^(٤) صلاة على النبيّ صلى الله عليه وسلم .

وقد قال ابن عباس ، وجابر^(٥) : كان النبيّ صلى الله عليه وسلم يعلمنا التّشهد كما يعلمنا السورة من القرآن . ونحوه عن أبي سعيد .

(١) وإجماعهم عليه : أي على أن ترك الصلاة عليه غير مفسد للصلاة .

(٢) عليه : على الشافعيّ . (٣) علمه : أي التّشهد .

(٤) في شرح القاري (٢ - ١١٠) : وفيه بحث لا يخفى ؛ إذ كل واحد منهما فرض على

حده ، ولا يلزم من ذكر أحدهما ذكر الآخر ، لاسيما وقد اختلف مقام التّعليم ، مع أنه يمكن تأخير وجوب الصلاة بمدّ تقديم فرض التّشهد .

(٥) رواية ابن عباس في مسلم : ٣٠٢ ، ٣٠٣ ؛ ورواية جابر رواها الحاكم ،

وابن ماجه : ٢٩٢ والنسائي : ١ - ١٩٣

وقال ابنُ عمر^(١) : كان أبو بكر يُعلِّمنا التَّشَهُدَ على المِنْبَرِ كما يُعلِّمون الصِّبْيَانَ في السُّكُتَابِ^(٢) .

وعلمه^(٣) أيضا على المِنْبَرِ عُمرُ بن الخطَّابِ رَضِيَ اللهُ عنه .

وفي الحديث^(٤) : لا صلاةَ لِمَنْ لم يُصَلِّ علىَّ .

قال ابنُ القَصارِ : معناه : كاملةً ؛ أو لِمَنْ لم يُصَلِّ علىَّ مرَّةً في عُمره .

وضَعَفَ أهلُ الحديثِ كُلُّهم روايةَ هذا الحديثِ .

وفي حديثِ أبي جعفر ، عن ابنِ مسعود ، عن النبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلم : مَنْ

صَلَّى صلاةً لم يُصَلِّ فيها عليَّ وعلى أهلِ بَيْتِي لم تُقَبَّلْ منه .

قال الدارقُطَني : الصوابُ أنه من قولِ أبي جعفرِ محمد بنِ عليِّ بنِ الحسينِ :

لو صَلَّيتُ صلاةً لم أُصَلِّ فيها على النبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلم ولا على أهلِ بَيْتِهِ لرَأَيْتُ

أنها لا تَمُّ^(٥) .

(١) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه .

(٢) السُّكُتَابُ : موضعُ تعليمِ السُّكُتَابِ . (٣) وعلمه : أى التَّشَهُدِ .

(٤) رواه ابن ماجه ، والحاكم في مستدرَكه ، والطبراني ، والدارقُطَني ، والبيهقي : سنن

ابن ماجه : ١ - ١٤٠

قال في نسيم الرياض (٣ - ٥٠٠) : وهذا الحديثُ يَظْهَرُ دليلاً للشافعي على أن الصلاة

لا تصح بدونها .

(٥) في نسيم الرياض (٣ - ٥٠١) : واعلم أن الإمام الحيزري صنف في هذه المسألة

كتاباً سماه زهر الرياض في رد ما شنمه القاضى عياض ؛ طالعه بتامه وقد قال فيه : ما قصدت به

تنقيص مقداره ، فإنه طراز هذه المصابة . . . ثم ذكر ما قاله المصنف رحمه الله ، وقال :

هذا قول لا ينبغي الاعتماد عليه ، ولا الاستناد إليه ، وقد لحص هذه المسألة في الصفحات

من : ٥٠١ - ٥٠٥

فصل

في المواطن التي يستحب فيها الصلاة والسلام
على النبي صلى الله عليه وسلم ويرغب

من ذلك في تشهد الصلاة كما قدمناه ؛ وذلك بعد التشهد وقبل الدعاء :

[١٦٤] حدثنا القاضي أبو علي بقراءتي عليه ؛ قال : حدثنا الإمام أبو القاسم
البلخى ؛ قال : حدثنا الفارسي ، عن أبي القاسم الخزازي ، عن الهيثم^(١) بن كليب ،
عن أبي عيسى^(٢) الحافظ ، قال : حدثنا محمود بن غيلان ، حدثنا عبد الله بن يزيد
المقري ، حدثنا حنيفة بن شريح ، حدثني أبو هاني الخولاني - أن عمرو بن مالك
الجنبي ، أخبره أنه سمع فضالة بن عبيد يقول : سمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلا
يدعو في صلاته^(٣) ، فلم يوصل على النبي صلى الله عليه وسلم ؛ فقال النبي صلى الله عليه
وسلم : عجل^(٤) هذا ؛ ثم دعاه فقال له ولغيره : إذا صلى أحدكم فليبدأ بتحميد الله
والثناء عليه^(٥) ، ثم ليوصل على النبي ؛ ثم يمدع بعد بما شاء^(٦) .
ويروى من غير هذا السند بتمجيد الله ، وهو أصح^(٧) .

(١) في ب : عن أبي الهيثم . وقال القاري (٢ - ١١١) : وفي نسخة صحيحة : عن
أبي سعيد الهيثم بن كليب .

وفي شرح القاري (٢ - ١١١) : وراوى هذا الحديث : جابر الجعفي ، وهو ضعيف .

(٢) هو الترمذي صاحب المشائل والسنن . (٣) يدعو في صلاته بعد التشهد .

(٤) عجل هذا : أسرع بدعائه ، وأتى به في غير محله قبل أن يصل عليه صلى الله عليه وسلم ؛

لأن الدعاء معلق حتى يصل عليه . وفي ب : عجل - بتشديد الجيم . وللتثبت في سنن الترمذي .

(٥) المراد قوله : التحيات . . .

(٦) الحديث في سنن الترمذي : ٥ - ٥١٧ ، وسنن أبي داود : ١ - ١٤٨

(٧) التمجيد : التعظيم وهو أصح لقوة سنده ، لامن حيث المعنى ؛ فقد ذكر الحنفاجى

أنه رواه ابن ماجه .

وعن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: الدُّعَاءُ وَالصَّلَاةُ مُعَلِّقٌ^(١) بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ؛ فَلَا يَصْعَدُ إِلَى اللَّهِ مِنْهُ شَيْءٌ حَتَّى يُصَلِّيَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .
 وعن^(٢) عليّ ، عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَعْنَاهُ ؛ وَقَالَ : وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ .
 وَرَوَى^(٣) أَنَّ الدُّعَاءَ مُحْجُوبٌ^(٤) حَتَّى يُصَلِّيَ الدَّاعِي عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .
 وعن ابن مسعود^(٥) : إِذَا أَرَادَ أَحَدٌ كَمْ أَنْ يَسْأَلَ اللَّهَ شَيْئًا فَلْيَبْدَأْ بِمَدْحِهِ وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ^(٦) ؛ ثُمَّ يَصَلِّيْ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ ثُمَّ لِيَسْأَلَ ؛ فَإِنَّهُ أَجْدَرُ أَنْ يُنْجَحَ^(٧) .

وعن^(٨) جابر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ؛ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
 لَا تَجْمَلُونِي كَمَدْحِ^(٩) الرَّكْبِ ؛ فَإِنَّ الرَّكْبَ يَمْلَأُ قَدْحَهُ ثُمَّ يَضَعُهُ ، وَيَرْفَعُ مَتَاعَهُ^(١٠) ؛
 فَإِنْ احتاج إلى شراب شربه^(١١) أَوْ الوضوءَ تَوْضُؤًا ، وَإِلَّا هَرَّاقَهُ^(١٢) ؛ وَلَكِنْ

(١) معلق: موقوف قبوله؛ أي كل واحد منهما معلق. والحديث في سنن الترمذي: ٢-٣٥٦.

(٢) رواه البيهقي، وابن عساكر، وغيره.

(٣) رواه عبد الرزاق، والطبراني، بسند صحيح.

(٤) محجوب: أي عن السماء فلا تفتح له، ويلزم أنه لا يقبل.

(٥) في حديث رواه عبد الرزاق، والطبراني، وابن أبي الدنيا بسند صحيح.

(٦) بما هو أهله: بما يستحقه ويليق به.

(٧) ينجح: من أنجح، إذا فاز وبلغ مقصوده ومطلوبه.

(٨) رواه البزار، وأبو يعلى، والبيهقي في شعب الإيمان.

(٩) القدح: إناء صغير من خشب يشرب به، ونحوه؛ أي حيث يعلقه من ورائه، ويلتفت

إليه عند حاجته. قال المروى: معناه لا تؤخروني في الذكر كتأخير الركاب لعليق قدحه

في آخره رحله بعد فراغه من التعبية ويجمله خلفه.

(١٠) يرفع متاعه الذي يريد حمله على راحلته.

(١١) شربه: شرب ماء قدحه الذي وضعه فيه.

(١٢) هراقه: صبه على الأرض لاستغفائه عنه. وفي: أهراقه.

اجعلوني في أول الدعاء وأوسطه وآخره^(١) .

وقال ابن عطاء : للدعاء أركان وأجنحة وأسباب وأوقات^(٢) ؛ فإن وافق أركانه قوى ، وإن وافق أجنحته طار في السماء ، وإن وافق مواعيته^(٣) فاز ، وإن وافق أسبابه أنجح^(٤) ؛ فأركانه حضور القلب ، والرقّة ، والاستكانة والخشوع ، وتعلق القلب بالله ، وقطعه الأسباب^(٥) .

وأجنحته الصدق ، ومواعيته الأسحار^(٦) ؛ وأسبابه^(٧) الصلاة على محمد صلى الله عليه وسلم .

وفي الحديث : « الدعاء بين الصلاتين على لا يرُدُّ » .

وفي حديث آخر : « كلُّ دُعاءٍ محجوبٌ دونَ السماءِ ؛ فإذا جاءت^(٨) الصلاةُ على صعيدِ الدّعاءِ » .

وفي دُعاءِ ابنِ عباسِ الذي رواه عنه حنّس^(٩) ؛ فقال في آخره : واستجِبْ دُعائِي ، ثم تبدأ بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فتقول : اللهم إني أسألك أن

(١) قال ابن الأثير : معناه لا تؤخرني إذا صليت عليّ في الذكر وتجعلوا ذكرى تبعاً لغيره ؛ بل اعتنوا به فقدموه واذكروه في وسطه واختتموا به .

(٢) أركان : أي أمور مهمة لا بد منها . وأجنحة : جناح الطير كاليد للإنسان يحصل بها ما يريد . شبه ما هو مقدمة لقبوله ورفعها إلى السماء بالأجنحة للطائر . وأسباب : وسائل للوصول إلى المطلب والفوز به . وأوقات مخصوصة يكون فيها أسرع إجابة كأوقات الصلاة .

(٣) أي وقع في أوقاته .

(٤) أنجح : ثم وكل نجاحه وسعادته ، وظفر بطلبته .

(٥) حضور القلب : توجهه توجها تاما بجميع فكره وحواسه . والرقّة : رقة القلب . والاستكانة : الخضوع والانقياد . وقطعه الأسباب : بالألا يرجو غيره .

(٦) الأسحار : أواخر الليل . (٧) وأسبابه : أسباب إجابته .

(٨) فإذا جاءت الصلاة على : أي ذكرت معه .

(٩) هو حنّس بن عبد الله ، وثقه أبو زرعة وغيره ، توفي سنة مائة .

تصلى على محمد عبدك ونبيك ورسولك افضل ما صليت على احد من خلقك
انجمعين آمين .

ومن مواطن الصلاة عليه عند ذكره وسماحه اسمه ، أو كتابته (١) ،
أو عند الأذان (٢) .

وقد قال صلى الله عليه وسلم (٣) : « رَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ ذُكِرْتُ عَنْدهُ فَلَمْ
يَصَلِّ عَلَيَّ » .

وكره ابن حبيب ذكر النبي صلى الله عليه وسلم عند الذبيح (٤) .

وكره سحنون الصلاة عليه عند التعجب (٥) ؛ وقال : لا يصلى عليه [١٦٥]
إلا على طريق الاحتساب (٦) وطلب الثواب .

قال أصمغ ، عن ابن القاسم : موطنان لا يُذكَرُ فيهما إلا الله : الذبيحة ،
والعطاس ؛ فلا تقل فيهما بعد ذكر الله : محمد رسول الله . ولو قال بعد ذكر الله :
صلى الله على محمد لم يكن تسمية (٧) له مع الله .

(١) عند كتابة اسمه . وفي ١ : أو كتابه .

(٢) عند الأذان : أى بعده . وهو مستحب للمؤذن وسامعه ؛ لما رواه مسلم أنه عليه
السلام قال : إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ، ثم صلوا على ؛ فإنه من صلى على صلاة صلى الله
عليه عشرا . . .

(٣) فى حديث رواه مسلم ، والترمذى : ٥٠ - ٥٥٠ عن أبى هريرة . ورغم أنه : ذل .

(٤) وهو مذهب مالك ؛ وإنما كرهه لئلا يكون مما أهل به لنير الله ، وإلى هذا ذهب
الحنفية .

وخالفهم الشافعى ، فقال فى الأم : وتسب التسمية على الذبيحة عند الذبح باسم الله ، ولا
أكره أن يقول : وصلى الله على رسول الله ؛ بل أحبه .

(٥) عند التعجب : لرؤية أمر عجيب . وهو مذهب مالك ؛ وإليه ذهب الشافعية .

(٦) على طريق الاحتساب : من غير سبب ، خالصا لوجه الله .

(٧) فى ١ : تسميته .

وقاله أشهب^(١) : قال : ولا ينبغي أن تجمل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فيه استئنا^(٢) .

وروى النسائي^(٣) ، عن أوس بن أوس ، عن النبي صلى الله عليه وسلم : الأمر بالإكثار من الصلاة عليه يوم الجمعة^(٤) .

ومن مواطن الصلاة والسلام دخول المسجد :

قال أبو إسحاق بن شعبان : وينبغي لمن دخل المسجد أن يُصَلِّيَ على النبي صلى الله عليه وسلم ، وعلى آله ، ويترحم عليه ، وعلى آله ، ويبارك عليه وعلى آله ، ويسلم تسليماً ؛ ويقول : اللهم اغفر لي ذنوبي ، وافتح لي أبواب رحمتك .
وإذا خرج فعل مثل ذلك ، وجعل موضع « رحمتك » - فضلك^(٥) .

وقال عمرو بن دينار - في قوله تعالى^(٦) : ﴿ إِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ ﴾ - قال : إن لم يكن في البيت أحدٌ فقل : السلام على النبي ورحمة الله وبركاته ، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين . السلام على أهل البيت ورحمة الله وبركاته .

(١) هو أشهب بن عبد العزيز بن داود ، أبو عمر القيسي المصري ، وهو أحد فقهاء مصر المالكية ، توفي بعد الشافعي بثمانية عشر يوماً ، وله أربع وستون سنة (توفي سنة ثلاث أو أربع ومائتين) .
(٢) فيه : فيما ذكر من الذبيحة وللعطاس . استئنا : سنة واستحساناً وطريقة ؛ لأنه تشريع فيما لم ينقل . وذلك خلافاً للشافعي حيث قال : لا أكره مع التسمية على الذبيحة أن يقول : صلى الله تعالى عليه وسلم على محمد ، بل أحب ذلك .

(٣) وأبو داود ، وابن ماجه ، وابن حبان ، والحاكم ، وصححه .

(٤) لأنه أفضل الأوقات . وحديث إكثار الصلاة على النبي يوم الجمعة في سنن النسائي ٣-٧٥

(٥) في حديث رواه الترمذي وحسنه ، عن فاطمة رضى الله عنها ؛ وهو أيضاً في صحيح

مسلم : ٤٩٤

(٦) سورة النور ، آية ٦١

قال ابن عباس : المرادُ بالبيوتِ هنا المساجدُ ^(١) .

وقال النخعي : إذا لم يسكن في المسجد أحدٌ فقل : السلامُ على رسولِ الله صلى اللهُ عليه وسلم ؛ وإذا لم يكن في البيتِ أحدٌ فقل : السلامُ علينا وعلى عبادِ الله الصالحين .
وعن علقمة : إذا دخلتُ المسجدَ أقول : السلامُ عليك أيُّها النبيُّ ورحمةُ الله
الله وبركاته ، صلى اللهُ وملائكته على محمد ^(٢) .

وتخوُّه عن كعب : إذا دخلَ ، وإذا خرجَ ، ولم يذكر الصلاة ^(٣) .

واحتجَّ ابنُ شعبان لما ذكره ^(٤) بحديثِ فاطمة بنتِ رسولِ الله صلى اللهُ عليه وسلم - أن النبيَّ صلى اللهُ عليه وسلم كان يفعلُه إذا دخل المسجدَ .
ومثله عن أبي بكر بن عمرو بن حزم . وذكر السلامَ والرحمةَ .
وقد ذكرنا هذا الحديثَ ^(٥) آخرَ القسم ، والاختلافَ في ألفاظه .
ومن مواطن الصلاةِ عليه أيضا الصلاةُ على الجنائز ^(٦) .
وذكر عن أبي أمامة أنها من السنة .

(١) في تفسير القرطبي (١٢ - ٣١٨) : بعد أن ذكر هذا الخبر كله عن عمرو بن دينار قال : إذا دخلت المسجد فقل : السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين . وقيل المراد بالبيوت : البيوت للسكونة ؛ أي فسلموا على أنفسكم ؛ ويسلم المرء على نفسه بأن يقول : السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين . قال ابن العربي : القول بالصوم في البيوت هو الصحيح ، ولا دليل على التخصيص ، وأطلق القول ليدخل تحت هذا العموم كل بيت كان للغير أو لنفسه . وارجع في ذلك أيضا إلى أحكام القرآن : ٣ - ١٣٩٦ ، ١٣٩٧

(٢) أي أجمع بين الصلاة والسلام عليه .

(٣) ولم يذكر الصلاة على النبي .

(٤) ذكره فيما سبق صفحة ٦٣٧ من أنه ينبغي لمن دخل المسجد أن يصلي على النبي . . .

(٥) أي حديث فاطمة الزهراء .

(٦) وهي عند الشافعي من أركانها بعد التكبير الثانية .

ومن مواطن الصلاة التي مضى عليها عمل الأمة ، ولم تُنكرها : الصلاةُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وآله في الرسائل ، وما يُكْتَبُ بَعْدَ الْبَسْمَلَةِ ؛ ولم يكن هذا في الصَّدْرِ الْأَوَّلِ ؛ وأُحْدِثَ عِنْدَ وَايَةِ بَنِي هَاشِمٍ ؛ فَضَى بِهِ عَمَلُ النَّاسِ فِي أَقْطَارِ الْأَرْضِ .

ومنهم مَنْ يَحْتَمُّ بِهِ أَيْضًا الْكُتُبُ .

وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ صَلَّى عَلَيَّ فِي كِتَابٍ لَمْ تَزَلِ الْمَلَائِكَةُ تَسْتَغْفِرُ لَهُ مَا دَامَ اسْمِي فِي ذَلِكَ الْكِتَابِ ^(١) » .

وَمِنْ مَوَاطِنِ السَّلَامِ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَشَهُدُ الصَّلَاةُ :

حدثنا ^(٢) أبو القاسم خلف بن إبراهيم المقرئ الخطيب رحمه الله ، وغيره قال : حدثتني كريمة بنت محمد ^(٣) ؛ قالت : حدثنا أبو الهيثم ، حدثنا محمد بن يوسف ، حدثنا محمد بن إسماعيل ، حدثنا أبو نعيم ، حدثنا الأعمش ، عن شقيق بن سلمة ، عن عبد الله بن مسعود ، عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ قال : إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ فَلْيَقُلْ : التَّحِيَّاتُ لِلَّهِ وَالصَّلَاةُ [١٦٦] وَالطَّيِّبَاتُ ^(٤) ، السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ . السَّلَامُ عَلَيْنَا ^(٥) وَعَلَى عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ ؛ فَإِنَّكُمْ إِذَا قَلْتُمُوهَا أَصَابَتْ ^(٦) كُلَّ عَبْدٍ صَالِحٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ .

(١) هذا الحديث رواه الطبراني في الأوسط ، والخطيب في شرف أصحاب الحديث ، والمستفري ، وصاحب الترغيب بسند ضعيف ، وأورده ابن الجوزي في الموضوعات ، وقال ابن كثير : إنه لم يصح . (٢) رواه البخاري : صحيح البخاري : ٦-٣٠١ . (٣) هذا في ب . وفي هامشه : أحمد . وفي ١ : كريمة بنت أحمد ، وعليها علامة الصحة . وفي هامشه : بنت محمد .

(٤) التحيات : الإحياء والإبقاء والملك والبقاء ؛ أى كل تحية يجي بها الملوك والعظماء ثابتة لله لا تليق بغيره . والطيبات : جميع كلمات التناء الطيب لله لا لغيره . (٥) السلام علينا - معاشر الأمة . (٦) أصابت : أى نالت رحمتها وبركتها .

هذا أَحَدُ مواطنِ التَّسْلِيمِ عليه؛ وَسُنَّتُهُ أَوَّلُ (١) التَّشْهِيدِ .
وَقَد رَوَى مالِكٌ (٢) عَنْ ابنِ عُمرَ أَنَّهُ كانَ يَقولُ ذلكَ إِذا فَرَغَ مِنْ تَشْهِيدِهِ
وَأَرادَ أَنْ يُسَلِّمَ .

وَاسْتَحَبَّ مالِكٌ فِي « المَبسُوطِ » أَنْ يُسَلِّمَ بِمِثْلِ ذلكَ قَبْلَ السَّلَامِ .
قالَ مُحَمَّدُ بنُ مَسَلَمَةَ : أَرادَ ما جاءَ عَنِ عائِشَةَ وَابنِ عُمرَ أَنَّهُما كانا يَقولانِ عِنْدَ
سَلَامِهِما (٣) : السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّها النَبِيُّ وَرِحمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ . السَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَى
عِبَادِ اللهِ الصَّالِحِينَ . السَّلَامُ عَلَيْكُمْ .

وَاسْتَحَبَّ أَهلُ العِلْمِ أَنْ يَنْوِي الإِنسانُ حِينَ سَلَامِهِ كُلَّ عَبدٍ صالِحٍ فِي السَّماءِ
وَالأَرْضِ مِنَ الملائِكَةِ وَبني آدَمَ وَالجِنِّ .

قالَ مالِكٌ فِي « المَجْموعَةِ » : وَأَحِبُّ لِلْمَأْمومِ إِذا سَلَّمَ إِمامَهُ أَنْ يَقولَ : السَّلَامُ
عَلَى النَبِيِّ وَرِحمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ ، السَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللهِ الصَّالِحِينَ . السَّلَامُ عَلَيْكُمْ .

فصل

فِي كِيفِيَةِ الصَّلَاةِ عَلَيْهِ وَالتَّسْلِيمِ

حَدَّثنا أَبُو إِسحاقَ إِبراهيمَ بنَ جَعْفَرَ الفقيهِ بِقِراءَتِي عليه ، حَدَّثنا القاضِي
أَبو الأَصْبَغِ ، حَدَّثنا أَبُو عَبدِ اللهِ بنَ عَتابَ ، حَدَّثنا أَبُو بَكْرٍ بنَ وائِدٍ وَغِيرُهُ ، قالوا :
حَدَّثنا أَبُو عِيسَى ، حَدَّثنا عُمَيْدُ اللهِ ، حَدَّثنا يَحْيَى ، حَدَّثنا مالِكُ ، عَنِ عَبدِ اللهِ بنِ
أَبِي بَكْرٍ بنِ حَزَمٍ ، عَنِ أَبِيهِ ، عَنِ عَمْرٍو بنِ سُلَيمِ الزُّرَقِيِّ - أَنَّهُ قالَ : أَخْبَرَنِي
أَبو حُمَيدُ السَّاعِدِيُّ - أَنَّهُمْ (٤) قالوا : يا رَسولَ اللهِ ، كِيفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ ؟ فَقالَ :

(١) أَوَّلُ التَّشْهِيدِ : أَي قَبْلَ أَنْ يَقولَ أَشْهَدُ أَنْ لا إِلهَ إِلا اللهُ ، وَبَعْدَ التَّحِيَّاتِ اللهُ .

(٢) الموطأ : ١ - ٩٠

(٣) عِنْدَ سَلَامِها : أَي قَبْلَ سَلَامِ الخُروجِ مِنَ الصَّلَاةِ .

(٤) أَنَّهُمْ : أَي الصَّحابةُ ، أَوْ بَعْضُهُمْ .

قولوا : اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته ، كما صليت على آل إبراهيم ، وبارك على محمد وأزواجه وذريته كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد^(١) .

وفي رواية مالك^(٢) ، عن أبي مسعود الأنصاري ؛ قال : قولوا : اللهم صل على محمد وعلى آله كما صليت على آل إبراهيم ، وبارك على محمد كما باركت على آل إبراهيم في العالمين ، إنك حميد مجيد . والسلام - كما قد علمتم^(٣) .

وفي رواية كعب^(٤) بن عُجْرَةَ : اللهم صل على محمد وآل محمد كما صليت على إبراهيم ، وبارك على محمد وآل محمد كما باركت على إبراهيم ، إنك حميد مجيد . وعن عقبه بن عمرو في حديثه : اللهم صل على محمد النبي الأُمِّي ، وعلى آل محمد .

وفي رواية أبي سعيد الخدري^(٥) : اللهم صل على محمد عبدك ورسولك . . . وذكر^(٦) معناه .

وحدثنا القاضي أبو عبد الله التيمي سماعاً عليه ، وأبو علي الحسن بن طريف النخوي بقراءتي عليه ؛ قالوا : حدثنا أبو عبد الله بن سعدون الفقيه ، حدثنا أبو بكر المطوعي ، [حدثنا أبو عبد الله الحاكم ، عن أبي بكر بن أبي دارم الحافظ ، عن علي ابن أحمد العجلي]^(٧) ، عن حرب بن الحسن^(٨) ، عن يحيى بن المساور ، عن عمرو

(١) صحيح مسلم : ٣٠٦

(٢) في صحيح مسلم : ٣٠٥ ، وموطأ مالك : ١٦٥ ، وتفسير القرطبي : ١٤ - ٢٣٣

(٣) ضبطت اللام في كلمة « علمتم » بالكسرة وبالشدة المكسورة في ١ .

(٤) في الترمذي : سنن الترمذي ٢ - ٣٥٢ ، وتفسير القرطبي : ١٤ - ٢٣٣ ، وتفسير

ابن كثير : ٦ - ٤٤٩ ، وسنن النسائي : ٣ - ٣٩ (٥) أخرجها الحاكم في المستدرک .

(٦) وذكر معناه : أي معنى الحديث السابق من قوله : كما صليت . . . إلى آخره ، ورواه

البخاري أيضا : صحيح البخاري : ٦ - ١٥١ (٧) ما بين القوسين ساقط في ب .

(٨) في ميزان الاعتدال (١ - ٤٦٩) : ليس حديثه بذلك .

ابن خالد ، عن زَيْدِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ الْحُسَيْنِ ، عن أَبِيهِ عَلِيٍّ ، عن أَبِيهِ الْحُسَيْنِ ، عن أَبِيهِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ؛ قَالَ : عَدَّهْنَ^(١) فِي بَيْدِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَقَالَ : عَدَّهْنَ فِي يَدِي جَبْرَيْلُ ، وَقَالَ : هَكَذَا^(٢) نَزَلَتْ مِنْ عِنْدِ رَبِّ الْعِزَّةِ ؛ اللَّهُمَّ صَلِّ [١٦٧] عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ^(٣) ، اللَّهُمَّ وَتَرَحَّمْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا تَرَحَّمْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ .

اللَّهُمَّ وَتَمَنَّ عَلى مُحَمَّدٍ وَعَلى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا تَمَنَّتَ عَلى إِبْرَاهِيمَ وَعَلى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ^(٤) .

اللَّهُمَّ وَسَلِّمْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا سَلَّمْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلى آلِ إِبْرَاهِيمَ ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ .

وعن أَبِي هُرَيْرَةَ^(٥) ، عن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَكْتَالَ بِالْمَسْكِيَالِ الْأَوْفَى إِذَا صَلَّى عَلَيْنَا أَهْلَ الْبَيْتِ فَلْيَقُلْ : اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ ، وَأَزْوَاجِهِ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَذُرِّيَّتِهِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ^(٦) ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ^(٧) .

(١) عدهن : أى عد كلمات تذكر في التشهد أو صلوات ذكرها النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان في حال ذكرها يمدّها في يدي . (٢) هكذا : أى بهذا العدد .

(٣) قال الفارسي (٢ - ١٢٣) : وهذا المقدار تقدم أنه صحيح رواه أصحاب الكتب الستة عنه صلى الله عليه وسلم .

(٤) في نسيم الرياض (٣ - ٥٢١) : قال السيوطي في الجامع الكبير : قال الحاكم : بلغنا هذا الحديث وإسناده ضيف . وأخرجه الديلمي ، وابن منده ، والترمذي ، وقال العراقي : ضيف جدا . وعمرو بن خالد كذاب وضاع ، وكذا ابن مساور . وحرب بن الحسن أورده الأزدي في الضعفاء . وقال : حديثه ليس بذلك . وقال ابن حجر في أماليه : اعتقادي أنه موضوع . (٥) في حديث رواه أبو داود ، والطبراني ، وغيرهما : سنن أبي داود : ١ - ٩٨ . (٦) في سنن أبي داود : على آل إبراهيم .

(٧) للمسكيال : آلة الكيل . والأوفى : الوافي التام ؛ أى من أحب أن يأتي بأحسن صلاة وأعظمها . أو من أراد أن ينال أجر الأيساويه فيه غيره .

وفي رواية زَيْدٌ^(١) بن خارجة الأنصاري : سألتُ النبيَّ صلى اللهُ عليه وسلم :
كيف نُصَلِّيُ عليك ؟

فقال : صلُّوا واجتهدُوا في الدعاء ، ثم قولوا : اللهمَّ بارِكْ على محمد وعلى آلِ محمد
كما باركتَ على إبراهيمَ إنك حميدٌ مجيدٌ .

وعن سلامة السكندى^(٢) : كان عليٌّ يعلمنا الصلاةَ على النبيِّ صلى اللهُ عليه وسلم :
اللهم داخِي المدخُوَاتِ^(٣) ، وبارِي المسموكَاتِ^(٤) ، اجْعَلْ شرائفَ^(٥) صلواتك ،
ونوامِي^(٦) بركاتك ، ورأفةً تحنُّنِك^(٧) على محمد عبديك ورسولك ، الفاتِحَ لما أُغْلِقُ^(٨) ،
والخاتمَ لما سبق^(٩) ، والمُعَلِنَ الحقَّ بالحق^(١٠) ، والدامِغَ اجبِشَاتِ الأباطيلِ^(١١) ،

(١) أخرجه الديلمي في مسند الفردوس ، وأبونعيم ، والنسائي ، والطحاوي ، والبنوي :
سنن النسائي : ٣ - ٤١

(٢) تفسير ابن كثير : ٦ - ٤٥٢ ، وقبله قال : حديث آخر موقوف روينا من طريق
سميد بن منصور ، وزيد بن الجباب ، وزيد بن هارون ، ثلاثهم عن نوح بن قيس :
حدثنا سلامة السكندى . (٣) داخِي : دحا : بسط ومد . والمدحوات : الأراضى السبع .

(٤) بارِي : خالق طي غير مثال . المسموكات : المرفوعات ، والمراد بها السموات .

(٥) شرائف : أفضل صلواتك ، وأعلاها . جمع شريفة ، بمعنى عالية رفيعة المقدار .

(٦) نوامِي : ما زاد من خيرائك ؛ أي بركاتك النامية .

(٧) رأفة تحنُّنِك : لطفك ورحمتك وعنايتك نازلة متوالية . وفي أ : تحينك .

(٨) المعنى أنه فتح ما كان غير مفتوح من الشرائع لإرساله بمد الفترة الجاهلية ، أو أنه
فتح الله به لمباده أنواع الخيرات وأبواب السمادات الدنيوية والأخروية ؛ أو بين لأمته ما أوحى
إليه بتفسيره وتيسيره وإيضاحه ، وفك قيد إشكاله يلوضح براهينه وحججه وتفسيره بأنه أول
الناس خلقا وآخرهم بمشا .

(٩) الخاتم لما سبق : من النبوة والرسالة ؛ فإنه لا نبي ولا رسول يرسل بعده .

(١٠) المُعَلِنُ : الظاهر . بالحق : بالأمر الحق ؛ لا بالقوة والغلبة . والمراد بالحق : الدين والشرع .

(١١) الدامِغُ : الدافع والمزيل . جبِشَاتُ : جمع جيشة ، وهي المرة من جاش : إذا فار

وارتفع . والأباطيل : جمع أبطولة أو إبطيلة أو إبطالة .

كما مُحَلَّ ، فاضطلع بأمرِك لطاعتك^(١) ، مستوفِراً في مَرَضَاتِكَ^(٢) ، وإعياً لَوْحِيكَ^(٣) ، حافظاً لِعَهْدِكَ ، ماضياً^(٤) على نَفَازِ أَمْرِكَ ، حتى أَوْزَى قَبَساً لِقَابِسِ^(٥) ، آلاءِ^(٦) اللهُ تَصِلُ بِأَهْلِهِ أَسْبَابُهُ^(٧) ، بِهِ هُدَيْتِ الْقُلُوبُ بَعْدَ خَوْضَاتِ الْفِتَنِ وَالْإِثْمِ^(٨) ، وَأَنْهَجَ مُوضِحَاتِ الْأَعْلَامِ ، وَنَائِرَاتِ الْأَحْكَامِ^(٩) ، وَمَنْبِرَاتِ الْإِسْلَامِ ؛ فَهُوَ أَمِينُكَ الْمَأْمُونُ ،

(١) اضطلع : قوى طى حملة ، ونهض به ، لشدة تحمله وقيامه بأعبائه . بأمرِك : المراد بأمره وتيسيره وإعانتة . لطاعتك : لإطاعتك ، فامتثله وأدى ما كلفته به . وفي ١ : بطاعتك .
(٢) مستوفِراً : الاستيفاز : الوثوب ، والانتصاب من قومود ، والمراد به عدم الإهمال ؛ أى مسرعاً مستعجلاً في الإتيان بما أمرته به جادا غير متوان .

(٣) وإعياً : حافظاً ضابطاً . لوحيك : الذى أوحيته إليه ، لم يشغله عنه ما حملة من الأعباء ومالقيه من المشاق في تبليغه الرسالة .

(٤) ماضياً : جارياً ومستمراً .

(٥) أوزى : الإبراء : قذح الزناد لخروج النار شرراً يوقد منه . والقبس : ما يتناول من الشعلة . والاقباس : طلبه . والمراد إظهار الحق وما يهتدى به الناس . وقوله لقابس : أى قابل وطالب لنور الحق والهداية .

(٦) آلاءِ اللهُ : نعمه الإلهية وسعاده الأبدية في الدارين بواسطته صلى الله عليه وسلم .

(٧) السبب : أصل معناه الجبل ، ثم صار بمعنى كل واسطة موصلة ؛ أى ذلك القبس سبب موصل لمن طلبه من أهله الذين أهلهم الله تعالى ، ووقفهم لقبوله ، ونور بصائرهم بأنواره .

(٨) به : بذلك القبس . أو الضمير للنبي صلى الله عليه وسلم . هديت القلوب الخصاله عن طريق الحق في ظلمة الجهل خوضات : جمع خوضة ، وهى المرة من الخوض ، والمراد الشروع والدخول في كل أمر يذم . والإثم : الذنب . والفتن : جمع فتنة ، وهى ما يفتتن به المرء ، وبطلاق على الكفر ، وهو المراد هنا .

(٩) أنهج : أوضح ، وبين ، وسهل . أو هى أبهج : أى أنار وأشرق . موضحات الأعلام : الأعلام : جمع علم ، بمعنى علامة ، ما يستدل به على الطريق . وموضحة : من الإيضاح وهو الكشف والبيان ، والأعلام موضحات الطرق ؛ لأنها تبينها للناس وتكشفها . وفي ابن كثير : وأقام موضحات . . . نائرات الأحكام : نائرات : جمع نائرة ، ظاهرة واضحة .

وَخَازِنُ عِلْمِكَ الْمَخْزُونِ ، وَشَهِيدُكَ يَوْمَ الدِّينِ ^(١) ، وَبِعَيْشِكَ نِعْمَةً ^(٢) ، وَرَسُولِكَ بِالْحَقِّ رَحْمَةً ؛ اللَّهُمَّ أَفْسِخْ لَهُ فِي عَدْنِكَ ^(٣) ، وَاجْزِهِ مَضَاعِفَاتِ الْخَيْرِ مِنْ فَضْلِكَ ^(٤) ، مُهِنَّاتٍ لَهُ غَيْرِ مُكَدَّرَاتٍ مِنْ قَوْزِ ثَوَابِكَ الْمَحْلُولِ ^(٥) ، وَجَزِيلِ عَطَائِكَ الْمَلُولِ ^(٦) .
اللَّهُمَّ أَعْلِ عَلَى بِنَاءِ النَّاسِ بِنَاءَهُ ، وَأَكْرِمْ مَثْوَاهُ لَدَيْكَ وَنَزْلَهُ ^(٧) ، وَأَحْمِ لَهُ نُورَهُ ، وَاجْزِهِ مِنْ ابْتِعَانِكَ ^(٨) لَهُ مَقْبُولَ الشَّهَادَةِ ، وَمَرْضَى الْمَقَالَةِ ، ذَا مَنْطِقِ عَدْلٍ ، وَخُطَّةِ فَضْلٍ ^(٩) ، وَبُرْهَانٍ عَظِيمٍ ^(١٠) .

وعنه ^(١١) أيضا في الصلاة على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا .

-
- (١) يوم الدين : يوم القيامة .
(٢) بعيشك : بمبعوثك . نعمة : أى بعثته ليكون نعمة ورحمة للعالمين .
(٣) الفسحة : التوسعة . وعدن : اسم للجنة .
(٤) أعطه من إنعامك وفضلك ما تضاعفه له من الخيرات الأخروية مما لا عين رأت ولا أذن سمعت .
(٥) مهينات له : من الهنء ؛ وهو السانف ، وكل ما أتى من غير تنقيص وتعب . غير مكدرات : غير منصات . ولاقوز : الظفر بنيل البنية . الثواب : العطاء في مقابلة عمل . المحلول : الكائن في الجنة . أو الذى أوصلته له فصار صفة حالة فيه . وقيل : معناه : الذى استوجبه واستحقه ؛ من حل إذا وجب .
(٦) الملول : المضاعف ؛ والمراد أنه كثير لا ينقطع .
(٧) مثواه : مقامه ومنزله . والنزل : المراد ثوابه وأجره .
(٨) ابتعانك : بعثك له بالنبوة والرسالة . وفى ١ : وأجره . بفتح الهمزة وسكون الجيم . وفى هامشه : واجزه - كما هنا .
(٩) فصل : فاصلة بين الحق والباطل .
(١٠) وبرهان عظيم : دليل نبوته ورسالته ، القوى القاطع من معجزاته الباهرة . وارجع إلى هذا الأثر فى تفسير ابن كثير (٦ - ٤٥٣) .
(١١) وعنه : عن طي . . .

لبيك^(١) اللهم ربّي وسعدّيك ، صلواتُ الله البرّ الرحيم^(٢) والملائكة المقرّبين ،
والنبيّين والصدّيقين ، والشهداء والصالحين ، وما سبّح لك من شيء يا ربّ العالمين ،
على محمد بن عبد الله ، خاتم النبيّين ، وسيّد المرسلين ، وإمام المتّقين ، ورسول ربّ
العالمين ؛ الشاهد البشير^(٣) ، الداعي إليك^(٤) بإذنك ، السراج المنير^(٥) ؛ وعليه السلام .
وعن عبد الله بن مسعود^(٦) : اللهم اجعل صلواتك وبركاتك ورحمتك على
سيّد المرسلين [١٦٨] ، وإمام المتّقين ، وخاتم النبيّين ، محمد عبديك ورسولك ؛
إمام الخير ، ورسول الرحمة .

اللهم ابعثه مقاماً محموداً يفيّضه^(٧) فيه الأوّلون والآخرون .

اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد كما صلّيت على إبراهيم ، إنك حميد مجيد ؛
وبارك^(٨) على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك
حميد مجيد .

وكان الحسن البصري يقول : من أراد أن يشرب بالكأس الأوفى^(٩) من
حوض المصطفى فليقلّ : اللهم صلّ على محمد وعلى آلله وأصحابه وأولاده وأزواجه

(١) أي فيجب علينا أن نقول : لبيك : إجابة بعد إجابة . وسعديك : إسماعيل بعد إسماعيل
في طاعتك وامتنال أمرك . (٢) البر الرحيم : النعم التفضل بأنواع البر والرحمة .
(٣) الشاهد : للأنبيا بأنهم بلغوا أمهم ، وعلى أمهم بما بلغوهم يوم القيامة . البشير للمؤمنين
بسماعة الدارين . (٤) في ا : الداعي إليه . وفي هامشه : خ : إليك .
(٥) شبهه بالسراج المنير ، لإزائه ظلمة الكفر ، وتنويره لقلوب المؤمنين بنور هدايته ،
وتوضيحه لطرق الحق والحقيقة .

(٦) رواه ابن ماجه ، والبيهقي في شعب الإيمان - في كيفية أخرى للصلاة عليه : سنن
ابن ماجه : ٢٩٣ (٧) يفيّضه : أي يتمنون نيل مثله من غير زوال له .

(٨) في سنن ابن ماجه : اللهم بارك .

(٩) بالكأس الأوفى ؛ أي بالخط الأعلی .

وذُرِّيَّتِهِ وَأَهْلَ بَيْتِهِ وَأَصْهَارِهِ وَأَنْصَارِهِ وَأَشْيَاعِهِ^(١) وَمُحِبِّيهِ وَأُمَّتِهِ ؛ وَعَلَيْنَا ، مَعَهُمْ
أَجْمَعِينَ . يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ .

وعن طاوس ؛ عن ابن عباس - أنه كان يقول : اللهم تَقَبَّلْ شِئَاءَ مُحَمَّدٍ
الْكَبْرِيِّ ، وَارْفَعْ دَرَجَتَهُ الْعُلْيَا ، وَآتِهِ سُؤْلَهُ^(٢) فِي الْآخِرَةِ وَالْأُولَى ، كَمَا آتَيْتَ
إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى .

وعن وَهَيْبِ بْنِ الْوَرْدِ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ فِي دُعَائِهِ : اللَّهُمَّ أَعْطِ مُحَمَّدًا أَفْضَلَ
مَا سَأَلْتُكَ لِنَفْسِهِ ، وَأَعْطِ مُحَمَّدًا أَفْضَلَ مَا سَأَلْتُكَ لَهُ أَحَدٌ مِنْ خَلْقِكَ . وَأَعْطِ مُحَمَّدًا
أَفْضَلَ مَا أَنْتَ مُسْتَوِلٌ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ .

وعن ابن مسعود^(٣) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ : إِذَا صَلَّيْتُمْ عَلَى النَّبِيِّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَحْسِنُوا الصَّلَاةَ عَلَيْهِ ؛ فَإِنَّكُمْ لَا تَدْرُونَ ، لَعَلَّ ذَلِكَ يُعْرَضُ عَلَيْهِ ؛
وَقُولُوا : اللَّهُمَّ اجْعَلْ صَلَاتِكَ وَرَحْمَتِكَ وَبَرَكَاتِكَ عَلَى سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ ، وَإِمَامِ الْمُتَّقِينَ ،
وَخَاتَمِ النَّبِيِّينَ ، مُحَمَّدِ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ إِمَامِ الْخَيْرِ وَقَائِدِ الْخَيْرِ ، وَرَسُولِ الرَّحْمَةِ .

اللَّهُمَّ ابْعَثْهُ مِمَّا مَأْمُورًا بِغَيْبِطِهِ فِيهِ الْأَوَّلُونَ وَالْآخِرُونَ ؛ اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ
وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مُجِيدٌ .

اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مُجِيدٌ .
وَمَا يُؤْتِرُ^(٤) فِي تَطْوِيلِ الصَّلَاةِ وَتَكْثِيرِ الثَّنَاءِ عَلَى أَهْلِ الْبَيْتِ وَغَيْرِهِمْ - كَثِيرٌ .

(١) أَشْيَاعِهِ : أَتْبَاعُهُ .

(٢) وَآتَهُ : وَأَعْطَاهُ ، وَأَنْعَمَ عَلَيْهِ . سُؤْلُهُ : مَطْلُوبُهُ وَمَا يَحْبُوهُ وَيَبْتَغِيهِ .

(٣) رَوَاهُ ابْنُ مَاجَةَ ، وَابْنُ أَبِي عَرِينَةَ ، وَالدَّبْلِيُّ ، وَالدَّارِقُطِيُّ . سَنَّ ابْنُ مَاجَةَ : ٢٩٣ ، وَتَفْسِيرُ

ابْنِ كَثِيرٍ : ٦ - ٤٥٣ .

(٤) يُؤْتِرُ : يَنْقُلُ ، وَيُرْوَى .

وقوله^(١) : والسلامُ كما قد علمتم : هو ما علمهم اللهُ في التَّشَهُدِ من قوله : السلامُ عليك أَيُّها النبيُّ وَرَحْمَةُ اللهِ وبركاته ، السلام علينا وعلى عبادِ اللهِ الصالحين .
وفي تشهُدِ علي^(٢) : السلامُ على نبيِّ اللهِ ، السلامُ على أنبياءِ اللهِ ورُسُلِهِ ، السلامُ على رسولِ اللهِ ، السلامُ على محمد بن عبدِ اللهِ ، السلام علينا وعلى المؤمنين والؤمنات ، مَنْ غابَ منهم ومن شَهِدِ^(٣) .

اللهم اغفرْ لمحمدٍ ، وتقبَّلْ شفاعتَهُ ، واغفرْ لأهلِ بيته ، واغفرْ لي ولوالديَّ وما وُلدَا ، وارحمهما .

السلامُ علينا وعلى عِبَادِ اللهِ الصالحين ، السلامُ عليك أَيُّها النبيُّ وَرَحْمَةُ اللهِ وبركاته .

جاء في هذا الحديث عن علي : الدعاءُ للنبيِّ صلى اللهُ عليه وسلم بالفقران^(٤) .
[وفي حديث الصلاةِ عليه [أيضاً]^(٥) قَبِيلُ : الدعاءُ له بالرحمة ؛ ولم يَأْتِ في غيره من الأحاديثِ المرفوعةِ المعروفة .

وقد ذهب أبو حمزة بنُ عبد البر وغيرُهُ إلى أنه لا يُدعى للنبيِّ صلى اللهُ عليه وسلم بالرحمة ؛ وإنما يُدعى له بالصلاةِ والبركةِ التي تختصُّ به ، ويدعى لغيره بالرحمة والمغفرة^(٦) .

(١) وقوله : أي في الحديث المتقدم في التشهد .

(٢) في نسيم الرياض (٣ - ٥٣٣) : هذا لم نر من رواه عن علي . وفي شرح القارى

(٣) من شهد : من حضر . (٢ - ١٣٢) : هذا غير معروف سنده .

(٤) بالفقران : أي بالمغفرة ، وهي كما قال الراغب : إلباس الشيء ما يصونه ؛ فهي من

الله صون عبده عن مس المذاب ، والدعاء بها له صلى اللهُ عليه وسلم من أمته لا يبنغي، لإيهامه

القصور من المدعول بالرحمة . (٥) ما بين القوسين ليس في أ .

(٦) لأن غيره ليس بمعصوم، فهو محتاج لمغفرة الله ورحمته . أما الرسول فهو معصوم، وقد

غفر اللهُ له ما تقدم وما تأخر .

وقد ذكر أبو محمد بن أبي زَيْدٍ في الصلاة على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
اللهم ارحم محمدًا وآلَ محمدٍ كما ترحمت على إبراهيم وآلِ إبراهيم .
ولم يأتِ هذا في حديث صحيح . وحجته قوله في السلام ^(١) : السلامُ عليك أيها
النبيُّ ورحمةُ اللهِ وبركاته ^(٢) [^(٣)] .

فصل

في فضيلة ^(٤) الصلاة على النبي والتسليم عليه والدعاء له

حدثنا أحمد بن محمد الشيخ الصالح من كتابه ، حدثنا القاضي يونس بن مغيث ،
حدثنا أبو بكر بن معاوية ، حدثنا النسائي ، أخبرنا سُويد بن نصر ، أخبرنا عبد الله ،
عن حَيوة بن شريح ؛ قال : أخبرنا كعب بن علقمة - أنه سمع عبد الرحمن بن جبير
مولى نافع - أنه سمع عبد الله بن عمرو ^(٥) يقول : سمعتُ رسولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
يقول ^(٥) : إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ، وصلُّوا [١٦٩] على ؛ فإنه مَنْ
صَلَّى عَلَيَّ مَرَّةً وَاحِدَةً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ عَشْرًا ؛ ثُمَّ سَلُوا ^(٦) لِي الْوَسِيلَةَ فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ
لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللهِ ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ ؛ فَمَنْ سَأَلَ لِي الْوَسِيلَةَ
حَلَّتْ عَلَيْهِ الشَّفَاعَةُ .

(١) أى إن إطلاق الرحمة عليه هنا يدل على جواز الدعاء له صلى الله عليه وسلم بالرحمة ؛
إذ لا فرق بينهما .

(٢) ما بين القوسين كتب أمامه في هامش ١ ، ب : من الأم بخطه من غير الرواية .

(٣) أى ثوابها وفوائدها لمن قالها .

(٤) بالواو وبنيروا ، وهذا الضبط فى ١ ، ب . وعليه فيها « معا » .

(٥) صحيح مسلم : ٢٨٨

(٦) سلوا لى الوسيلة : الوسيلة : ما يتقرب به إلى كل كبير ، وفسرت فى الحديث بقوله :

فإنها منزلة فى الجنة من أعلى منازلها . والمراد أنه يقول : اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة
القائمة ، آت محمد الوسيلة والفضيلة ، وابمته المقام المحمود الذى وعدته . . . فإن من قال ذلك
حلت له شفاعتى يوم القيامة .

وَرَوَى أَنَسٌ ^(١) بِنِ مَالِكٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ عَشْرَ صَلَوَاتٍ ، وَحُطَّ عَنْهُ عَشْرَ خَطِيئَاتٍ ، وَرُفِعَ لَهُ عَشْرَ دَرَجَاتٍ .

وفي رواية : وكتب له عَشْرَ حَسَنَاتٍ .

وَعَنْ أَنَسٍ ^(٢) ، عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنَّ جِبْرِيْلَ نَادَانِي ، فَقَالَ : مَنْ صَلَّى عَلَيْكَ صَلَاةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ عَشْرًا ، وَرَفَعَهُ عَشْرَ دَرَجَاتٍ .

وَمِنْ رِوَايَةِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ ^(٣) ، عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لَقِيتُ جِبْرِيْلَ فَقَالَ لِي : إِنِّي أَبَشِّرُكَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ : مَنْ سَلَّمَ عَلَيْكَ سَلَّمْتُ عَلَيْهِ ، وَمَنْ صَلَّى عَلَيْكَ صَلَّى عَلَيَّ .

وَنَحْوُهُ مِنْ رِوَايَةِ أَبِي هُرَيْرَةَ ، وَمَالِكِ بْنِ أَوْسِ بْنِ الْخَدَّانِ ، وَعُبَيْدِ اللَّهِ ابْنِ أَبِي طَلْحَةَ .

وَعَنْ زَيْدِ بْنِ الْحَبَابِ ^(٤) : سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : مَنْ قَالَ : اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَنْزِلْهُ الْمُنْزَلَ الْمُقَرَّبَ عِنْدَكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَجَبَتْ لَهُ شِفَاعَتِي ^(٥) .

(١) في شعب الإيمان للبيهقي . (٢) في حديث رواه ابن أبي شيبة في مسنده .

(٣) رواها الحاكم ، والبيهقي ، وصححها .

(٤) في هامش ١ ، ب : قال يحيى بن علي القرشي عفا الله عنه : هذا وهم ظاهر ؛ فإن زيد ابن الحباب هذا ليس من الصحابة ولا من التابعين ولا من أتباعهم ، إنما روى عن مالك بن أنس ، والضحاك بن عثمان ، وابن لهيعة وأمثالهم ، وليس له في الصحابة نظير في اسمه واسم أبيه مما . وهذا الحديث محفوظ من رواية رويغ بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد رواه زيد بن الحباب هذا عن ابن لهيعة عن بكر بن سوادة عن زياد بن نعيم عن وفاء بن شريح الحضرمي عن رويغ بن ثابت رضي الله ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، والله عز وجل أعلم . نقلته من خطه كهيئته .

(٥) وجبت له شفاعتي : تمينت وتحققت .

وعن ابن مسعود^(١) : أُولَى النَّاسِ^(٢) بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ أَكْثَرُهُمْ عَلَى صَلَاةٍ .
وعن أَبِي مُرَيْرَةَ ، عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَنْ صَلَّى عَلَيَّ فِي كِتَابٍ^(٣) لَمْ تَنْزَلِ
الْمَلَائِكَةُ تَسْتَفِئِرُ لَهُ مَا بَقِيَ اسْمِي فِي ذَلِكَ الْكِتَابِ^(٤) .

وعن عامر بن ربيعة : سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : مَنْ صَلَّى عَلَيَّ
صَلَاةً صَلَّتْ عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ مَا صَلَّى عَلَيَّ ، فَلْيُقِلِّلْ مِنْ ذَلِكَ عَبْدٌ أَوْ لِيُكْثِرْ .
وعن أَبِي بِنِ كَعْبٍ^(٥) : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا ذَهَبَ رُبْعًا^(٦)
الليْلِ قَامَ فَقَالَ :

أَيُّهَا النَّاسُ ؛ اذْكُرُوا اللَّهَ ، جَاءَتِ الرَّاجِفَةُ تَتَّبِعُهَا الرَّادِفَةُ^(٧) ، جَاءَ الْمَوْتُ بِمَا فِيهِ .
فَقَالَ أَبُو بِنِ كَعْبٍ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ؛ إِنِّي أَكْثَرُ الصَّلَاةِ عَلَيْكَ ، فَكَمْ أَجْعَلُ
لَكَ مِنْ صَلَاتِي^(٨) ؟

(١) فِي حَدِيثٍ صَحِيحٍ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ ، وَابْنُ حِبَانَ : سَنَنِ التِّرْمِذِيِّ : ٢ - ٣٥٤ . وَفِي
تَعْلِيقٍ عَلَى الْحَدِيثِ فِي التِّرْمِذِيِّ : قَالَ ابْنُ حِبَانَ عَقِبَ هَذَا الْحَدِيثِ : فِي هَذَا الْخَبَرِ بَيَانٌ صَحِيحٌ
عَلَى أَنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْقِيَامَةِ أَصْحَابُ الْحَدِيثِ ؛ إِذْ لَيْسَ
فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ أَكْثَرُ صَلَاةٍ عَلَيْهِ مِنْهُمْ .

وَقَالَ غَيْرُهُ : لِأَنَّهُمْ يَصْلُونَ عَلَيْهِ قَوْلًا وَفِعْلًا (سَنَنِ التِّرْمِذِيِّ : ٢ - ٣٥٤) .

(٢) أَوْلَى النَّاسِ بِي : أَحَقُّهُمْ بِشَفَاعَتِي وَعِنَايَتِي .

(٣) فِي كِتَابٍ كَتَبَهُ مِنْ تَأْلِيفٍ ، وَرِسَالَةٍ ، وَغَيْرِهِ .

(٤) قَالَ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ : رَوَاهُ أَبُو الشَّيْخِ فِي الثَّوَابِ ، وَالمُسْتَفْهَرِيُّ ، وَقَالَ العِرَاقِيُّ

فِي تَخْرِيجِ أَحَادِيثِ الْإِحْيَاءِ : رَوَاهُ بِسَنَدٍ فِيهِ ضَعْفٌ . وَمِثْلُهُ يَعْمَلُ بِهِ فِي فُضَائِلِ الْأَعْمَالِ .

(٥) فِي حَدِيثٍ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَحَسَنَهُ : سَنَنِ التِّرْمِذِيِّ : ٤ - ٦٣٦

(٦) فِي التِّرْمِذِيِّ : إِذَا ذَهَبَ ثَلَاثًا اللَّيْلَ .

(٧) الرَّاجِفَةُ - مِنَ الرَّجْفَةِ - وَهِيَ الْحَرَكَةُ بِشِدَّةٍ ، وَالرَّعْدَةُ مَعَاصُوتٌ وَاضْطِرَابٌ . وَالْمُرَادُ

بِالرَّاجِفَةِ مَا يَكُونُ بَيْنَ يَدَيْ السَّاعَةِ مِنَ الْفَتَنِ وَالْمَرْجِ وَالرَّجْزِ وَالزَّلَازِلِ .

وَالرَّادِفَةُ : الْمُرَادُ بِهَا السَّاعَةُ ، أَوِ الصَّيْحَةُ ، أَوِ النَّفْخَةُ . وَالْمُرَادُ إِخْبَارَهُمْ بِقَرْبِ السَّاعَةِ .

(٨) أَيُّ مَا مَقْدَارِ الْوَقْتِ الَّذِي أَصَلَّى عَلَيْكَ فِيهِ .

قال: ماشئتَ . قال: الرُّبْعُ؟ قال: ماشئتَ ، وإن زِدْتَ فهو خَيْرٌ . قال: الثالث؟
قال: ماشئتَ ، وإن زِدْتَ فهو خَيْرٌ .
قال: النصف؟ قال: ماشئتَ ، وإن زِدْتَ فهو خيرٌ .

قال: قال: الثلثين؟ قال: ماشئتَ ، وإن زِدْتَ فهو خيرٌ . قال: يا رسولَ الله ،
فَأَجْمَلُ صَلَاتِي كُلِّهَا لَكَ؟ قال: إِذَا تُسَكَّفِي ^(١) وَيُغْفَرُ ذَنْبُكَ ^(٢) .

وعن أبي ^(٣) طلحة : دخلتُ على النبيِّ صلى اللهُ عليه وسلم فرأيتُ منِ بشره
وطلاقته ^(٤) ما لم أرهُ ، فسألته ، فقال : وما يَمْنَعُنِي وقد خرج جبريلُ آنفًا ^(٥) ،
فأتاني بيشارةٍ من ربي عزَّ وجلَّ : إن الله بعثني إليك أُبشركَ أنه ليس أحدٌ من
أُمَّتِكَ يصلي عليك إلا صلى اللهُ عليه وملائكته بها عشرا .

وعن جابر بن عبد الله ^(٦) ؛ قال : قال النبيُّ صلى اللهُ عليه وسلم : مَنْ قال حين
يسمعُ النداءَ ^(٧) : اللهم ربِّ هذهِ الدعوةِ التامةِ والصلاةِ القائمةِ ^(٨) آتِ محمدًا الوسيلةَ
والفضيلةَ ، وابعثه مقاماً محموداً الذي وَعَدْتَهُ - حَلَّتْ له الشفاعةُ ^(٩) يومَ القيامةِ .

(١) تسكفي : تفنيك عما عداها ، لأن فيها خير الدنيا والآخرة .

(٢) ويغفر ذنبك؟ لأنها مكفرة للذنوب .

قال في نسيم الرياض (٣ - ٥٤١) : هذا الحديث يدل على أن صلواته على رسول الله تنفي
عن دعائه لنفسه ، ولا يقتضى أنها أفضل من سائر العبادات ولا من قراءة القرآن وغيرها .
قال : وهذا الحديث في المعنى كالتحديث القدسي : من شغلته ذكرى عن مسألتي أعطيته أفضل
ما أعطى السائلين .

(٣) هذا الحديث أخرجه النسائي .

(٤) من بشره : مسرته وأشراحه . وطلاقته : بشاشته وسروره .

(٥) آنفًا : قريباً من مجيئك .

(٦) في حديث رواه البخاري : صحيح البخاري : ١ - ١٥١ .

(٧) يسمع النداء : المراد بالنداء الأذان .

(٨) القائمة : الدائمة .

(٩) في صحيح البخاري : شفاعتي . والمثبت في ١ ، ب .

وعن سعد بن أبي وقاص^(١) مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ الْمُؤَذِّنَ: وَأَنَا أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ [١٧٠] لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنْ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، رَضِيْتُ بِاللَّهِ رَبًّا وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا - غُفِرَ لَهُ .

وروى ابنُ وهبٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: مَنْ سَلَّمَ عَلَيَّ عَشْرًا فَكَأَنَّمَا أُعْتِقَ رَقَبَةً^(٢) .

وَفِي بَعْضِ الْأَنْبَاءِ: لَيَرِدَنَّ^(٣) عَلَيَّ أَقْوَامٌ مَا أَعْرِفُهُمْ إِلَّا بِكَثْرَةِ صَلَاتِهِمْ عَلَيَّ^(٤) .
وَفِي آخِرٍ: إِنَّ أَنْجَاكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ أَهْوَالِهَا^(٥) وَمَوَاطِنِهَا أَكْثَرُكُمْ عَلَيَّ صَلَاةً .

وَعَنْ أَبِي بَكْرٍ: الصَّلَاةُ عَلَيَّ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحَقُّ^(٦) لِلذَّنُوبِ مِنَ الْمَاءِ الْبَارِدِ لِلنَّارِ؛ وَالسَّلَامُ عَلَيْهِ أَفْضَلُ مِنْ عِتْقِ الرَّقَابِ .

فصل

فِي ذِمِّ مَنْ لَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَإِنَّمَا حَدَّثَنَا الْقَاضِي الشَّهِيدُ أَبُو عَلِيٍّ رَحِمَهُ اللَّهُ، حَدَّثَنَا أَبُو الْفَضْلِ بْنُ خَيْرُونَ، وَأَبُو الْحُسَيْنِ الصَّبْرِيُّ؛ قَالَا: حَدَّثَنَا أَبُو بَعْلَى، [حَدَّثَنَا] ^(٧) السَّنَجِيُّ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ ابْنِ مَجْبُوبٍ، حَدَّثَنَا أَبُو عَيْسَى^(٨)، حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الدَّوْرَقِيُّ، حَدَّثَنَا رَبِيعٌ

(١) فِي حَدِيثٍ رَوَاهُ مُسْلِمٌ: صَحِيحٌ مُسْلِمٌ: ٢٩٠ .

(٢) رَقَبَةٌ: عَبْدٌ .

(٣) لَيَرِدَنَّ عَلَى أَقْوَامٍ: يَأْتُونَنِي عَلَى الْحَوْضِ .

(٤) يَعْنِي أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَرَى فِي وَجْهِهِ وَرَأَى عِلْمًا مِنَ آثَارِ الصَّلَاةِ عَلَيْهِ .

(٥) مِنْ أَهْوَالِهَا: مِنْ شِدَائِهَا .

(٦) أَحَقُّ لِلذَّنُوبِ: أَشَدُّ إِبْطَالًا وَإِذْهَابًا .

(٨) هُوَ التِّرْمِذِيُّ صَاحِبُ السُّنَنِ .

(٧) لَيْسَ فِيهَا .

ابن إبراهيم ، عن عبد الرحمن بن إسحاق ، عن سعيد بن أبي سعيد ، عن أبي هُريرة ؛ قال : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(١) :

« رَغِمَ ^(٢) أَنْفُ رَجُلٍ ^(٣) ذُكِرَتْ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ ، وَرَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ دَخَلَ رَمَضَانَ ثُمَّ انْسَلَخَ ^(٤) قَبْلَ أَنْ يُفْقَرَ لَهُ ، وَرَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ أُدْرِكَ عِنْدَهُ أَبُوَاهُ الْكَبِيرُ فَلَمْ يَدْخُلْهُ ^(٥) الْجَنَّةَ . »

قال عبد الرحمن : وأظنه قال : أو أحدهما .

وفي حديث آخر ^(٦) : أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَعِدَ الْمِنْبَرَ فَقَالَ : آمِينَ ^(٧) ؛ ثم صعد ، فقال : آمين . ثم صعد فقال : آمين ؛ فسأله معاذٌ عن ذلك ، فقال : إزَّ جبريل أتاني فقال : يا محمد ؛ مَنْ سُمِّيَتْ ^(٨) بَيْنَ يَدَيْهِ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيْكَ فَاتَ فِدْخُلُ النَّارِ ، فَأَبْعَدَهُ اللهُ ؛ قُلْ آمِينَ ؛ فَقُلْتُ آمِينَ .

وقال فيمن أدرك رمضان فلم يقبل منه فات مثل ذلك .

ومن أدرك أبويه أو أحدهما فلم يبرهما فات مثله .

وعن علي بن ^(٩) أبي طالب : عنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال : « البخيلُ كُلُّ الْبَخِيلِ الَّذِي ذُكِرَتْ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ » .

(١) الحديث في صحيح مسلم : ١٩٧٨ ، وسنن الترمذى : ٥٠٠ - ٥٠٠ .

(٢) ضبطت النين في « رغم » بالكسرة والفتحة في ١ ، وعليها « معاً » .

(٣) رغم أنف رجل : أذله الله وأخزاه .

(٤) انسلخ : مضى .

(٥) أى لم يبرهما وبما ملهما بما يرضيهما فلم يدخله الجنة .

(٦) رواه الحاكم ، وصححه . (٧) آمين : استجب .

(٨) من سميت : أى ذكر اسمك .

(٩) من حديث صحيح رواه الترمذى وصححه ، والبيهقى ، والنسائى : سنن

وعن جعفر بن محمد^(١)، عن أبيه ؛ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« مَنْ ذُكِرَتْ عنده فلم يُصَلِّ عَلَىَّ أُخِطِيَّ بِهِ طَرِيقُ الْجَنَّةِ »^(٢) .

وعن علي بن أبي طالب^(٣) : « أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « إِنْ الْبَخِيلَ كَلَّ^(٤) الْبَخِيلِ مَنْ ذُكِرَتْ عنده فلم يصَلِّ عَلَىَّ » .

وعن أبي هريرة^(٥) ، قال أبو القاسم صلى الله عليه وسلم : « أَيَّمَا قَوْمٍ جَلَسُوا مَجْلِسًا ثُمَّ تَفَرَّقُوا قَبْلَ أَنْ يَذْكُرُوا اللَّهَ وَبُصِّلُوا عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَتْ عَلَيْهِمْ مِنَ اللَّهِ تِرَةٌ^(٦) إِنْ شَاءَ عَذَّبَهُمْ وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُمْ » .

وعن أبي هريرة^(٧) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : « مَنْ نَسِيَ الصَّلَاةَ عَلَىَّ نَسِيَ طَرِيقَ الْجَنَّةِ »^(٨) .

وعن قتادة^(٩) ، عنه صلى الله عليه وسلم : « مِنْ الْجَفَاءِ^(١٠) أَنْ أَذْكَرَ عِنْدَ الرَّجُلِ فَلَا يُصَلِّي عَلَىَّ » .

(١) الحديث في شعب الإيمان للبيهقي ، ورواه الطبراني في الكبير متصلا عن الحسين بن علي .
(٢) أُخِطِيَّ بِهِ طَرِيقُ الْجَنَّةِ : أى دخل النار ، لأنه أخطأ طريق الجنة ، فكان طريقه إلى النار ؛ لأنه قد أضله الله عن طريقها . وهذا رواه جماعة من طرق متعددة .

(٣) هذا الحديث أخرجه النسائي والبيهقي والبخاري في تاريخه وهو سنن الترمذى : ٥٥١-٥٥٠

(٤) ضَبَطَتِ اللَّامُ فِي « كَلَّ » بِالْفَتْحَةِ وَالضَّمَّةِ فِي « ا » ، وَكُتِبَ فَوْقَهَا « مَاء » .

(٥) رواه أبو داود ، والترمذى وحسنه ، والحاكم وصححه . سنن أبي داود : ٢-١٩١

وتفسير ابن كثير : ٦-٦٠٤

(٦) تِرَةٌ : الترة لها معان : الظلم ، والذنب ، والنقص ، والتبعة . وقد فسرت أيضا بالحجارة .

وقوله : إِنْ شَاءَ عَذَّبَهُمْ ، وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُمْ - يقتضى أنه بمعنى الذنب والخطيئة .

(٧) فى حديث رواه البيهقى فى الشعب .

(٨) فقد جعل الصلاة على النبي كأنها دليل يرشده لطريق الجنة ، أو مذكّر يذكره بها .

(٩) فى حديث رواه عبد الرزاق عن معمر ، والحديث مرسل يستدل به فى الفضائل

دون الأحكام كما قال الحنفاجى . (١٠) الجفاء : ترك الصلة والبر .

وعن جابر^(١) ، عنه صلى الله عليه وسلم : « ما جلس قومٌ مُجَلِّسًا ثم تفرَّقوا على غير صلاةٍ عَلَى النبي صلى الله عليه وسلم إِلَّا تفرَّقوا عَلَى أَنْتَنِ مِنْ رِيحِ الْجَنِينَةِ^(٢) » .
وعن أبي سَعِيد^(٣) ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : « لا يجلسُ قومٌ مُجَلِّسًا لا يَصُلُّونَ فِيهِ عَلَى النبي صلى الله عليه وسلم [١٧١] إِلَّا كانَ عَلَيْهِمْ حَسْرَةٌ وَإِنْ دخلوا الجنةَ لما يَرَوْنَ مِنَ الثَّوابِ^(٤) » .

وحكى أبو عيسى الترمذى ، عن بَعْضِ أَهْلِ العِلْمِ ؛ قال : إِذَا صَلَّى الرَّجُلُ عَلَى النبي صلى الله عليه وسلم مرَّةً فِي المَجْلِسِ أَجْزَأَ عَنْهُ ما كانَ فِي ذلكِ المَجْلِسِ^(٥) .

فصل

فِي تَخْصِيصِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِتَبْلِيغِ صَلَاةٍ مَنْ صَلَّى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الأَنَامِ
حدَّثنا القاضى عبد الله التيمي ، حدَّثنا الحُسَيْنُ بنُ مُحَمَّدٍ ، حدَّثنا أبو عمر الحافظ^(٦) ،
حدَّثنا ابنُ عبد المؤمن ، حدَّثنا ابنُ داسَةَ ، حدَّثنا أبو داود ، حدَّثنا ابنُ عَوْفٍ ،
حدَّثنا المقرئ^(٧) ، حدَّثنا حَيَّوَةَ ، عن أبي صَخْرٍ حُمَيْدِ بنِ زِيَادٍ ، عن يزيد بن عبد الله
ابن عبد الله بن قُسَيْطٍ ، عن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - أن رسولَ اللهِ صلى اللهُ

(١) فِي حَدِيثِ رَوَاهُ البَيْهَقِيُّ . وَرَوَاهُ أَيْضًا الطَّيَالِسِيُّ ، وَأَبُو دَاوُدَ ، وَالنَّسَائِيُّ . سَنَنَ

أَبِي دَاوُدَ : ٢ - ١٩١ (٢) الجيفة : رمة الحيوان إذا اتفمخت وتغيرت .

قال فِي نَسِيمِ الرِّياضِ (٣ - ٥٤٧) : وَهَذِهِ الرَّائِحَةُ خَبِيثَةٌ يَكْرَهُهَا كُلُّ طَبِيعٍ . قال : وَسَبَبُ ذلكَ أَنَّهُمْ أَتَوْا بِأَمْرٍ مَذْمُومٍ ، وَلِهَذَا تَفَرَّقُوا تَفَرُّوحًا مِنْهُمْ هَذِهِ الرَّائِحَةُ .

(٣) فِي حَدِيثِ رَوَاهُ البَيْهَقِيُّ .

(٤) حَسْرَةٌ : نَدَامَةٌ وَتَأْسَفٌ عَلَى ما فَاتَهُمْ فِيهِ . لما يرون مِنَ الثَّوابِ : أَيْ لِمَنْ صَلَّى عَلَيْهِ .

(٥) أَيْ كَفَّتِ المَرَّةَ عَنْ تَكَرُّرِها ما دامَ فِي ذلكِ المَجْلِسِ .

(٦) هُوَ ابْنُ عَبْدِ البَرِّ .

(٧) فِي شَرْحِ القَارِي (٢ - ١٤٢) : هُوَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَبْدِ اللهِ بنِ زَيْدِ القَصِيرِ مَوْلَى

عمر بن الخطاب .

عليه وسلم قال : « ما من أحدٍ يُسَلِّمُ عَلَيَّ إِلَّا رَدَّ اللَّهُ عَلَيَّ رُوحِي حَتَّى أُرَدَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ ^(١) » .

وذكر أبو بكر بن أبي شَيْبَةَ ، عن أبي هُرَيْرَةَ ^(٢) ؛ قال : قال رسولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ صَلَّى عَلَيَّ عِنْدَ قَبْرِي سَمِعْتُهُ ؛ وَمَنْ صَلَّى عَلَيَّ ^(٣) نَائِيًا بُلِّغْتُهُ » .

وعن أبي ^(٤) مسعود : « إِنَّ لِلَّهِ مَلَائِكَةً سَيَّاحِينَ ^(٥) فِي الْأَرْضِ يَبْلُغُونِي عَنْ أُمَّتِي السَّلَامَ » .

ونحوه عن أبي هُرَيْرَةَ .

وعن ابنِ مُصَرَّرٍ : « أَكْثَرُوا مِنَ السَّلَامِ عَلَيَّ نَبِيِّكُمْ كُلِّ جُمُعَةٍ ؛ فَإِنَّهُ يُؤْتِي بِهِ مِنْكُمْ فِي كُلِّ جُمُعَةٍ ^(٦) » .

وفي رواية : « فَإِنَّ أَحَدًا لَا يَصَلِّي عَلَيَّ إِلَّا عَرِضَتْ صَلَاتُهُ عَلَيَّ حِينَ يَفْرَغُ مِنْهَا » .
وعن الحسن ^(٧) ، عنه صلى الله عليه وسلم : « حَيْثَمَا كُنْتُمْ فَصَلُّوا عَلَيَّ ؛ فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ تَبْلُغُنِي » .

(١) في نسيم الرياض (٣-٥٢٩) : كلام المصنف في تبليغ الصلاة له ، وهذا في تبليغ السلام . ولهذا قيل : المراد بالسلام قولهم : الصلاة والسلام عليك يا رسول الله . والحديث رواه أبو داود ، وأحمد ، والبيهقي ، وسنده حسن : سنن أبي داود : ١-٢٠٢ .

(٢) رواه البيهقي ، وأبو الشيخ .

(٣) نائيا : بعيدا عنى . (٤) هذا في ١ ، ب .

(٥) سياحين ، جمع سياح - بصيغة للبالغة ، من السياحة ، وهي الطواف في الأرض والدوران فيها ، والذهاب إلى البلاد البعيدة .

(٦) فإنه : أي السلام . يؤتى به : يبلغه . قال في شرح القارى (٢ - ١٤٣) : لا يعرف من رواه .

(٧) في حديث رواه ابن أبي شيبة ، والطبراني ، وأبو يعلى ، بسند صحيح .

وعن ابن عباس^(١) : « ليس أحدٌ من أمةِ محمدٍ يسلمُ عليه ويصليُّ عليه إلاَّ بُلِّغَهُ » .

وذكر بعضهم أنَّ العبدَ إذا صَلَّى عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَرِضَ عَلَيْهِ اسْمُهُ .
وعن الحسن بن عليٍّ^(٢) : إذا دخلتَ المسجدَ فسلمَّ على النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ فإنَّ رسولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : « لا تَتَّخِذُوا بَيْتِي عِيداً^(٣) ، ولا تَتَّخِذُوا يُبُوتَكُمْ قُبُوراً^(٤) ، وصالوا عليَّ حيثَ كنتم ؛ فإنَّ صلاتكم تبلغني حيثَ كنتم » .
وفي حديثِ أوس^(٥) : « أَكثِرُوا عَلَيَّ مِنَ الصَّلَاةِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ ؛ فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ مَعْرُوضَةٌ عَلَيَّ » .

وعن سليمان^(٦) بن سُهَيْمٍ : رأيتُ النبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في النومِ ، فقلت : يا رسولَ اللهِ ؛ هؤلاء الذين يأتونك فيسلمون عليك ، أتفقَّه^(٧) سلامهم ؟ قال : نعم ، وأردُّ عليهم .

-
- (١) رواه البيهقي في شعب الإيمان .
(٢) سنن أبي داود : ٢ - ٢٠٢ .
(٣) العيد : الموسم الذي يجتمع فيه . قال في نسيم الرياض (٣ - ٥٥٢) : ونهيه صلى الله عليه وسلم عما كان يفعله اليهود والنصارى عند قبور أنبيائهم من الزينة واللهو والطرب . وقيل : النهي عن تعظيمها لما فيه من الفتنة بها ، حتى لا يتخذ وثناً يعبد . وقيل : المراد لا تتخذوها كالعيد تزورونها في العام مرة ؛ بل أكثرها من زيارتها .
(٤) لا تتخذوا بيوتكم قبوراً : لا تركوا الصلاة والعبادة فيها فتكونوا فيها كأنكم أموات . وقيل : المراد لا تدفنوا في البيوت ، بل في الجبانة .
(٥) هذا الحديث رواه أبو داود ، والنسائي ، وأحمد في مسنده ، والبيهقي ، وغيرهم ؛ وصححه : سنن أبي داود : ١ - ١٥٢ ، وبقية فيه : فقالوا : يا رسول الله ؛ وكيف ترض صلاتنا عليك ، وقد أرمحت ؟ قال : يقولون : بليت . قال : إن الله تبارك وتعالى حرم على الأرض أجساد الأنبياء صلى الله عليهم وسلم .
(٦) رواه ابن أبي الدنيا والبيهقي في حياة الأنبياء ، وفي شعب الإيمان .
(٧) أتفقَّه سلامهم : أتسمعه وتفهمه .

وعن ابنِ شَهَابٍ : بَلَّغْنَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : أُكْتِرُوا
مِنَ الصَّلَاةِ عَلَيَّ فِي اللَّيْلَةِ الزَّهْرَاءِ ، وَالْيَوْمِ الْأَزْهَرِ ^(١) ؛ فَإِنَهُمَا يُوَدِّيَانِ عَنكُمْ ^(٢) ،
وَإِنَّ الْأَرْضَ لَا تَأْكُلُ أَجْسَادَ الْأَنْبِيَاءِ ؛ وَمَا مِنْ مُسْلِمٍ يَصَلِّيَ عَلَيَّ إِلَّا حَمَلَهَا مَلَكٌ
حَتَّى يُوَدِّيَهَا إِلَيَّ وَيُسَمِّيهِ حَتَّى إِنَّهُ لَيَقُولُ : إِنَّ فُلَانًا يَقُولُ كَذَا وَكَذَا .

فصل

في الاختلاف ^(٣) في الصلاة على غير النبي صلى الله عليه وسلم

وسائر الأنبياء عليهم السلام

قال القاضي وقته الله : عامة أهل العلم متفقون على جواز الصلاة على غيره ^(٤)

النبي صلى الله عليه وسلم .

وروي عن ابن عباس ^(٥) أنه لا تجوز الصلاة على غيره النبي صلى الله عليه وسلم .

وروي عنه : لا تنبغي الصلاة على أحد إلا النبيين ^(٦) .

(١) في الليلة الزهراء واليوم الأزهر : ليلة الجمعة ويومها .

(٢) يوديان عنكم : يوصلان صلاتكم على ويبلغانها إلى .

(٣) أى الاختلاف الواقع بين العلماء في جواز الصلاة على غير النبي من المؤمنين غير الأنبياء ،

كالصحابة ونحوهم .

(٤) من الأنبياء والملائكة والمؤمنين . قال الخفاجي (٣ - ٥٥٥) : ودعواه الاتفاق

مطلقا ليست بمسئمة . وقد قال النووي في الأذكار : أجمعوا على طلب الصلاة على نبينا

صلى الله عليه وسلم ؛ وكذلك أجمع من يعتد به على استحبابها على سائر الأنبياء والملائكة

استقلالاً ؛ وأما على غيرهم ابتداء فالجمهور على أنه لا يصلح عليهم . واختاف هذا المنع ؛ فقال

بعض أصحابنا : إنه حرام ؛ والأكثر على أنه مكروه كراهة تنزيه ؛ وذهب كثير إلى أنه

خلاف الأولى ؛ وليس مكروها . والصحيح الذى عليه الأكثر كراهة تنزيه ؛ لأنه شمار

أهل البدع ؛ فدعواه الاتفاق مخالفة للمنقول .

(٥) في شعب الإيمان للبيهقي .

(٦) فكأنه رجع عن قوله الأول ، أو مراده به الجمع بين الصلاة والسلام .

وقال سُفْيَانُ : يُكْرَهُ أَنْ يُصَلَّى إِلَّا عَلَى نَبِيِّ .

ووجدتُ بَحْطَ بَعْضِ شِيُوخِي : مَذْهَبُ مَالِكٍ أَنَّهُ لَا يَجُوزُ أَنْ يُصَلَّى عَلَى أَحَدٍ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ سِوَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَهَذَا [١٧٢] غَيْرُ مَعْرُوفٍ مِنْ مَذْهَبِهِ ؛ وَقَدْ قَالَ مَالِكٌ فِي «الْمَبْسُوطَةِ» لِيَحْيَى بْنِ إِسْحَاقَ : أَكْرَهُ الصَّلَاةَ عَلَى غَيْرِ الْأَنْبِيَاءِ ، وَمَا يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّصِدَّ مَا أَمَرْنَا بِهِ ^(١) .

وَقَالَ يَحْيَى بْنُ يَحْيَى ^(٢) : لَسْتُ أَخْذُ بِقَوْلِهِ ^(٣) ؛ وَلَا بَأْسَ بِالصَّلَاةِ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ كُلِّهِمْ وَعَلَى غَيْرِهِمْ ^(٤) ؛ وَاحْتِجَّ ^(٥) بِحَدِيثِ ابْنِ عُمرَ ، وَبِمَا جَاءَ فِي حَدِيثِ تَعْلِيمِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصَّلَاةَ عَلَيْهِ ؛ وَفِيهِ ^(٦) : وَعَلَى أَزْوَاجِهِ ، وَعَلَى آلِهِ .

[وَقَدْ جَاءَ ^(٧) مَعْلَقًا ^(٨) عَنْ أَبِي عِمْرَانَ الْقَاسِمِيِّ : رَوَى عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا كِرَاهَةَ الصَّلَاةِ عَلَى غَيْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ قَالَ : وَبِهِ نَقُولُ . وَلَمْ تَكُنْ ^(٩) تُسْتَعْمَلُ فِيهَا مَضَى .

وَقَدْ رَوَى عَبْدُ الرَّزَّاقِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ؛ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : صَلُّوا عَلَى أَنْبِيَاءِ اللَّهِ وَرُسُلِهِ ؛ فَإِنَّ اللَّهَ بَعَثَهُمْ كَمَا بَعَثَنِي ^(١٠)] ^(١١) .

(١) لِأَنَّهُ أَمْرٌ لَمُبْدَى لَا يُعْقَلُ مَعْنَاهُ بِالرَّأْيِ ، فَيَقْتَصِرُ فِيهِ عَلَى مَا رَوَى عَنْهُمْ ، وَلَا تَتَجَاوَزُهُ إِلَى غَيْرِهِ . (٢) هُوَ عَالِمُ الْأَنْدَلُسِ ، وَرَوَاهُ الْمَوْطَأُ عَنْ مَالِكٍ .

(٣) بِقَوْلِهِ : أَيْ بِقَوْلِ مَالِكِ السَّابِقِ .

(٤) وَعَلَى غَيْرِهِمْ : مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَالْمُؤْمِنِينَ .

(٥) وَاحْتِجَّ : أَيْ يَحْيَى . وَسَيَأْتِي هَذَا الْحَدِيثُ .

(٦) وَقَدْ تَقَدَّمَ . (٧) فِي ب : وَحَدَّثَ .

(٨) مَعْلَقًا : مَكْتُوبًا فِي بَعْضِ السُّكْتَبِ .

(٩) وَلَمْ تَكُنْ : وَلَمْ تَكُنْ الصَّلَاةُ عَلَى غَيْرِ نَبِينَا اسْتِقْلَالًا تَسْتَعْمَلُ فِيهَا مَضَى مِنْ عَصْرِ

الصَّحَابَةِ فَمِنْ بَدَمِهِمْ . قَالَ الْحَفَّاجِيُّ : وَهُوَ غَيْرُ مُسْلِمٍ بِهِ كَمَا تَقَدَّمَ .

(١٠) هَذَا الْحَدِيثُ رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ ، وَالْقَاضِي إِسْمَاعِيلُ ، وَالتَّيْمِيُّ فِي التَّرْغِيبِ ، وَغَيْرُهُمْ ،

بِسُنَدٍ صَحِيحٍ . (١١) مَا بَيْنَ التَّوَسِينِ سَاقِطٌ فِي أ .

قالوا : والأسانيدُ عن ابن عباسٍ لِيِنَّةً ؛ والصلاةُ في لسان^(١) العرب بمعنى الترحم والدعاء^(٢) ؛ وذلك على الإطلاق^(٣) حتى يمنعَ منه حديثٌ صحيحٌ أو إجماعٌ .

وقد قال تعالى^(٤) : ﴿ هُوَ الَّذِي يُصَلِّيْ عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظَّالِمَاتِ إِلَى النُّورِ ، وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴾ .

وقال^(٥) : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا ، وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ، إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ .

وقال^(٦) : ﴿ أَوْلَيْتَكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ﴾ .

وقال النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : اللهمَّ صَلِّ عَلَى آلِ أَبِي أَوْفَى^(٧) ؛ وكان إذا أتاه قومٌ يصدّقتمهم ، قال : اللهمَّ صَلِّ عَلَى آلِ فُلَانٍ^(٨) .

وفي حديث الصلاة^(٩) : اللهمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ ، وَعَلَى أَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ .

(١) في لسان العرب : في لنتهم . (٢) والدعاء بالرحمة .

(٣) على الإطلاق : أي يجوز مطلقاً على نبينا وعلى غيره .

(٤) سورة الاحزاب ، آية ٤٣

(٥) سورة التوبة ، آية ١٠٣

(٦) سورة البقرة ، آية ١٥٧

(٧) في حديث رواه الشيخان : صحيح البخارى : ٨ - ٩٠

(٨) معنى صل عليهم : ارحمهم ، وطهرهم ، وزكّ أموالهم التي بذلوا فيها زكّاتهم . وآله :

أهله وأتباعه . وأبو أوفى : هو علقمة بن خالد بن الحارث الاسلمى الصحابى ، وهو آخر من مات من الصحابة بالكوفة سنة سبع وثمانين ، قال الحنفى : وهذا الحديث من أقوى

ما استدل به على جواز الصلاة على غير الأنبياء ، استقلالاً . والحديث في اللوط : ١٦٥

(٩) الصلاة : أى الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في التشهد ، وقد تقدم .

وفي حديث آخر^(١) : وعلى آل محمد : قيل^(٢) أتباعه ، [وقيل : آل بيته]^(٣) .
وقيل : أئمة . وقيل : الأتباع ، والرّهط ، والمشيرة . وقيل : آل الرجل ولده .
وقيل : قومه . وقيل : أهله الذين حرّمت عليهم الصدقة .

وفي رواية أنس^(٤) : سئل النبي صلى الله عليه وسلم : من آل محمد ؟ قال :
كلُّ تَتَيٍّ .

ويجىء على مذهب الحسن^(٥) أن المراد بآل محمد - محمد نفسه ؛ فإنه كان
يقولُ في صلّاته على النبي : اللهم اجعل صلواتك وبركاتك على آل محمد - يريدُ
نفسه ؛ لأنه كان لا يُجِلُّ بالفرض ، ويأتى بالنقل ؛ لأنّ النرض الذي أمر الله تعالى
به هو الصلاة على محمد نفسه .

وهذا^(٦) من قولهِ صلى الله عليه وسلم^(٧) : لقد أوتى مزاراً من مزامير
آل داود ؛ يريدُ من مزامير^(٨) داود .

(١) روى في صلاة التشهد .

(٢) تفسير لآله .

(٣) ما بين القوسين ساقط في ب .

(٤) قال الخفاجي : وهذا حديث صحيح روى من طرق : رواه الطبراني ، والديلمي ،
وشيبان ، وغيرهم . قال الخفاجي : وهذا معنى مجازي ، كقوله صلى الله عليه وسلم : سلمان
منا آل البيت ؛ لأن الله طهر أهل البيت ووعدهم بمغفرة ذنوبهم ، فأطلق على كل تتي أكرمه
الله تعالى وغفر سيئاته ، وهذا معروف في لسانهم كما قيل : رب أخ لي لم تلده أمه .

(٥) الحسن : أى البصرى .

(٦) وهذا : أى ذكر الآل وإرادة القدات به .

(٧) قاله النبي في حق أبي موسى الأشعري لما سمعه يتلو القرآن بصوت حسن ، كما رواه

الشيخان عنه : صحيح مسلم : ٥٤٦

(٨) فأله بمعنى نفسه ، لأنه لا يعرف أحد من آله أنه كان له مزار . والمزامير : جمع

مزار ، وهو اسم آلة ؛ ويقال مزموّر أيضاً . والزمرة : النفخ في الزمار ، والصوت الحسن =

وفي حديث أبي حميد الساعدي في الصلاة^(١) : اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته .

وفي حديث ابن عمر أنه كان يُصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ، وعلى أبي بكر وعمر - ذكره مالك في الموطأ^(٢) من رواية يحيى الأندلسي .

والصحيح من رواية غيره : ويدعو لأبي بكر وعمر .

وروى ابن وهب ، عن أنس بن مالك : كنا ندعو لأصحابنا بالغيب^(٣) ؛

فنقول : اللهم اجعل منك على فلان صلوات قوم أبرار الذين يقومون بالليل ويصومون بالنهار .

قال القاضي أبو الفضل^(٤) : والذي ذهب إليه المحققون ، وأميل إليه ما قاله

مالك وسفيان رحمهما الله ، ورؤي عن ابن عباس ؛ واختاره غير واحد من الفقهاء والمتكلمين - أنه لا يُصلي على غير الأنبياء عند ذكركم ؛ بل هو شيء يختص به الأنبياء ، توقيراً لهم وتميزاً^(٥) ، كما يخص الله تعالى عند ذكركم بالتزوية والتقديس والتعظيم ،

= بغير آله ؛ فزاميره بمعنى ترنمته . شبه حسن الصوت ، وحلاوة نعمته ، بصوت اللزمار ، وداود : هو النبي . قال الخفاجي : وأول هذا الحديث أنه صلى الله عليه وسلم مر هو وعائشة رضى الله عنها على بيت أبي موسى ، وهو يقرأ القرآن ليلة ، فوقفوا يستمعان له ؛ وكان من أحسن الناس صوتاً ؛ فلما أصبح أخبره صلى الله عليه وسلم بإنصاته له ، وقال له : لقد أوتيت مزاراً من مزمار آل داود . فقال : لو علمت بذلك لجبرته تحبيراً ؛ أي لزدت في تحسين صوتي لاستماعك لي .

(١) في الصلاة : أى في ألفاظها .

(٢) الموطأ : ١ - ١٦٦

(٣) بالغيب : أى في حال غيبتهم عنا وعدم حضورهم معنا .

(٤) في ب : قال المؤلف رحمه الله .

(٥) تمزيماً : تمظيماً وتبجيلاً بجملة شمارا لهم . وفي ب : تمزيماً . وفي هامشه : تمزيماً .

ولا يشاركه فيه غيره ، كذلك يجب تخصيص النبي صلى الله عليه وسلم وسائر الأنبياء بالصلاة والتسليم ، ولا (١) يشارك فيه سواهم ، كما أمر الله به بقوله (٢) : ﴿ صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ .

ويذكر من سواهم من الأئمة وغيرهم بالفقران والرضا ؛ كما قال تعالى (٣) : ﴿ يَتَوَلَّوْنَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا [١٧٣] وَإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ ﴾ .
وقال (٤) : ﴿ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ﴾ .

وأيضاً فهو (٥) أمر لم يكن معروفاً في الصدر الأول (٦) ؛ كما قال أبو عمران ؛ وإنما أحدثته الرافضة والتشيعة (٧) في بعض الأئمة ؛ فشاركوهم عند الذكر لهم بالصلاة ، وسأوؤهم بالنبي صلى الله عليه وسلم في ذلك .

(١) في ب : ولا يشاركهم .

(٢) سورة الأحزاب ، آية ٥٦

(٣) سورة العنكبوت ، آية ١٠

(٤) سورة التوبة ، آية ١٠٠ ، وفي أ : وقال : والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم .

إحسان : بإيمان وإيقان ، وطاعة إلى يوم القيامة .

(٥) فهو : أى الصلاة على غير الأنبياء .

(٦) في الصدر الأول ؛ أى في عصر الصحابة ومن قرب منهم .

(٧) الرافضة والتشيعة : طائفتان من أهل البدع والأهواء المخالفين لأهل السنة .

والرافضة : اسم جمع لرافضي ؛ وسماوا رافضة ؛ من الرفض ، وهو الترك ؛ لأنهم رفضوا زيد بن علي ابن الحسين لما طلبوا منه أن يتبرأ من الشيخين ، وأن يقول : إما متهما باطلة ، فأبى ، وقال : إن الخلافة فوضت لأبي بكر لمصلحة رأوها من تسكين نائرة الفتنة وتطبيب قلوب العامة ، فتركوه حتى قتل وصلب .

وأصل معنى الشيعة الجماعة مطلقاً ؛ ثم خص هؤلاء الذين يقولون : إن الخلافة حق على

وكلاهما ممن اتفق علي تفضيل علي كرم الله وجهه ، وأن الخلافة حقه . (الخفاجي :

وأبضا^(١) فإن التشبه بأهل البدع منهي عنه؛ فتجيب مخالفتهم فيما التزموه

من ذلك .

وذكر الصلاة على الآل والأزواج مع النبي صلى الله عليه وسلم بحكم التبع

والإضافة إليه لا على التخصيص .

[قالوا]^(٢) : وصلاة النبي صلى الله عليه وسلم على من صلى عليه مجراها

مَجْرَى الدعاء والمواجهة^(٣) ، ليس فيها معنى التعظيم والتوقير .

قالوا : وقد قال تعالى^(٤) : ﴿ لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ

بَعْضًا ۗ ﴾ ؛ فكذلك يجب أن يكون الدعاء له مخالفا لدعاء الناس بعضهم لبعض .

وهذا اختيار الإمام أبي الظفر الإسفرائيني من شيوخنا ، [وبه قال

ابن عبد البر]^(٥) .

(١) أى وبما يدل أيضا على عدم الصلاة على غير الأنبياء . (٢) ليس في ا .

(٣) أى التصود بها الدعاء والرحمة لهم . والمواجهة : حسن المقابلة حال العشرة .

(٤) سورة النور ، آية ٦٣

(٥) ليس في ب . وابن عبد البر هو صاحب الاستيعاب ، وهو حافظ المغرب .

وقال الخفاجى : واعلم أن التصالية والتسليم على نبيينا صلى الله عليه وسلم مطلوبة ، أمرنا

بالتعبد بها ، فهى واجبة له على اختلاف محل الوجوب كما تقدم ، والصلاة على غيره من

الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أيضا استقلالاً مستحبة ، وما نقل عن مالك إنها منهي عنها

مخالف للقول الصحيح . وقال القرطبي : إنه جمع عليه ، والصلاة على غير الأنبياء تبعاً لنبيينا

صلى الله عليه وسلم مستحبة أيضا ، كما في التشهد ؛ فلا عبرة بمن خالف فيه أيضا ؛ فلم يبق محل

الخلاف غير الصلاة على غير الأنبياء بانفرادهم ، فالصحيح أنه مكروه ، وأن كراهته كراهة تنزيه

لا تحريم ؛ لأنه اختص به النبي صلى الله عليه وسلم كما اختص « عز وجل » بالله تعالى . هذا

هو الصحيح ؛ فلا يمتد بخلافه . وقد قيل : إن السلام مثل الصلاة مخصوص بالأنبياء أيضا ؛

فلا يقال في غيرهم ؛ عليه السلام ، كما صرح به الفقهاء ؛ فهو مكروه تنزيها . (الخفاجى :

فصل

في حكم زيارة قبره صلى الله عليه وسلم، وفضيلة من زاره وسلم عليه
وكيف يسلم ويدعو له

وزيارة قبره صلى الله عليه وسلم سنة من سنن المسلمين مجمع عليها، وفضيلة
مرغب^(١) فيها: روى عن ابن عمر رضي الله عنه^(٢).

[حدثنا القاضي أبو علي؛ قال: حدثنا أبو الفضل بن خبزون؛ قال: حدثنا

الحسن بن جعفر؛ قال: حدثنا أبو الحسن علي بن عمر الدارقطني؛ قال: حدثنا

القاضي الحاملي؛ قال: حدثنا محمد بن عبد الرزاق؛ قال: حدثنا موسى بن هلال،

عن عبد الله بن عمر، عن نافع، عن ابن عمر رضي الله عنهما؛ أنه قال [٣]: قال

النبي صلى الله عليه وسلم: من زار قبري وجبت له شفاعتي^(٤). ٦٦٦

(١) أي رغب السلف فيها، وحثوا عليها؛ وزيارة القبور إما ليتذكر بها الموت ويتعظف،

وهذا يجري في جميعها، أو للدعاء لأهلها المسلمين، كما زار النبي صلى الله عليه وسلم البقيع؛

وهذا مستحب، أو للتبرك بمن فيها من الأنبياء والصالحين؛ فينتفع بزيارتهم؛ فذهب بعض

المالكية إلى أنه مخصوص بالأنبياء وأنه في غيرهم بدعة. وأما في الأنبياء فهي مشروعة؛

وتوقف فيه السبكي.

وقد يقصد بالزيارة برهم وإكرامهم؛ كزيارة قبر الوالدين، ومن عليه حق لإكرامه؛

فإن الميت يكرم كالحي.

وقد يقصد بالزيارة تأنيس الميت ورحمته؛ وهو مستحب أيضا، لما روى عنه صلى الله

عليه وسلم: إن للميت آس ما يكون إذا زاره من كان يحبه في دار الدنيا.

وزيارته - صلى الله عليه وسلم - جامعة لهذه المعاني كلها؛ فلماذا كانت سنة، وإن كان غنيا عن

الدعاء؛ وما عدا ذلك بدعة كتقبيل القبور وغيره مما يفعله العوام. (الحفاجي: ٣ - ٥٦٣).

(٢) رواه ابن خزيمة، والبرار، والطبراني. (٣) ما بين القوسين ليس في أ.

(٤) شفاعتي: أي سؤالي الله له أن يتجاوز عنه مكافأة له. ومعنى وجبت: تحققت وثبتت؛

فهي ثابتة بالوعد الصادق لا بد منها وليس المراد به الوجوب الشرعي. وروى: حلت له شفاعتي. =

وعن أنس بن مالك ؛ قال : قال رسولُ الله صَلَّى اللهُ عليه وسلم : مَنْ زَارَنِي فِي الْمَدِينَةِ مُخْتَصِبًا ^(١) كَانَ فِي جِوَارِي ^(٢) ، وَكَانَتْ لَهُ شَفِيعًا ^(٣) يَوْمَ الْقِيَامَةِ ^(٤) .
وفي حديثٍ ^(٥) آخر : مَنْ زَارَنِي بَعْدَ مَوْتِي فَكُنَّا مِمَّا زَارَنِي فِي حَيَاتِي ^(٦) .
وَكَرِهَ مَالِكٌ أَنْ يُقَالَ : زُرْنَا قَبْرَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .
وقد اختلف في معنى ذلك ؛ فنيل : كراهة الاسم ^(٧) ؛ لِمَا وَرَدَ مِنْ قَوْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لَعْنُ اللهِ زَوَارَاتِ الْقُبُورِ ^(٨) .

= ويخصه النبي بشفاعته تناسب عظيم عمله ؛ إما بزيادة النعم ، وإما بتخفيف الأهوال عنه في ذلك اليوم ؛ وإما بكونه من الذين يحشرون بلا حساب ؛ وإما برفع درجات في الجنة ، وإما بزيادة شهود الحق والنظر إليه ؛ وإما بنير ذلك بما لاعين رأته ولا أذن سمته ، ولا خطر على قلب بشر (الحفاجي : ٣ - ٥٦٤) .

(١) محتسبا: أى ناويا بزيارته وجه الله تعالى من غير غرض، مخلصا في نيته، وقصد إكرامه، لا ينوي غيره . والاحتساب : افتعال من الحساب ومعناه الاعتداد .
(٢) كان في جوارى : أى له منزلة رفيعة في الآخرة . أو المراد أنه يكون في أمانه وعهده ، فلا يناله مكروه أصلا .

(٣) المراد به شفاعته خاصة غير الشفاعته العامة .

(٤) في شرح القارى (٢ - ١٤٩) : قال الدلبجى : لا أعرف من رواه . قلت : قدرناه للمقبلى وغيره بلفظ : من زارنى متمدا كان في جوارى يوم القيامة . ورواه البيهقى ولفظه : من زارنى محتسبا إلى المدينة كان في جوارى يوم القيامة . ورواه أبو عوانة : من زارنى بالمدينة محتسبا كنت له شهيدا وشفيعا يوم القيامة .

(٥) رواه البيهقى ، والدارقطنى ، وانطربانى ، وسعيد بن منصور ، وابن عساكر ، عن ابن عمر .

(٦) وذلك لأنه صلى الله عليه وسلم حى في قبره ؛ يدري بمن يزوره ، ويرد سلامه .

(٧) كراهة الاسم ؛ أى اسم الزيارة وإطلاقها .

(٨) فلمن من حيث إنهن زوارات يقتضى ذم الزيارة .

وهذا الحديث رواه أحمد ، والترمذى ، وابن حبان ، عن أبي هريرة . سنن الترمذى :

وهذا يرده قوله ^(١) : نُهَيْتُمْ ^(٢) عن زيارة القبور فزوروها ^(٣) .

وقوله ^(٤) : مَنْ زَارَ قَبْرِي ؛ فقد أطلق اسم الزيارة .

وقيل : لأن ^(٥) ذلك لما قيل إن الزائر أفضل من المزور .

وهذا أيضا ليس بشيء ؛ إذ ليس كل زائر بهذه الصفة ^(٦) ، وليس عموما ^(٧) ؛

وقد ورد في حديث أهل الجنة : زيارتهم لربهم ؛ ولم يُمنع هذا اللفظ في حقه تعالى .

[وقال أبو عمران رحمه الله : إنما كره مالك أن يُقال : طواف الزيارة ، وزُرنا

قَبْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لاستعمال الناس ذلك بينهم بعضهم لبعض ؛ ففكرة

نسوية النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع الناس بهذا اللفظ ؛ وأحب أن يُخصَّ بأن يُقال :

سَلَّمْنَا عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وأیضا فإنَّ الزيارة مُباحةٌ بين الناس ، وواجبٌ شدُّ الرجال إلى قبره صلى الله

عليه وسلم ؛ يريد بالوجوب هنا وجوب ندبٍ وترغيبٍ وتأکید ، لا وجوب

فرضٍ ^(٨) .

(١) قوله : قول النبي صلى الله عليه وسلم : والحديث في سنن ابن ماجه : ١ - ٥٠٣ ،

وسنن الترمذی : ٣ - ٣٦١

(٢) قال الحفاجی : والروایة : كنت نهيتكم . . . وفي ب : فزوروها ولا تقولوا هجرنا .

وفي سنن ابن ماجه : فزوروها ، فإنها تزهّد في الدنيا ، وتذكر الآخرة . وفي سنن الترمذی :

فزوروها فإنها تذكر الآخرة .

(٣) قال الحفاجی : وهذا الدليل وجوابه أوهن من بيت المنكوت ؛ لأن الأول في حق النساء

المسكرات للزيارة ، وهذا لطلق زيارة الرجال ؛ ودخول النساء تلقائيا لا يسلمه المعترض ؛ ولكنه

عهدته على قائله لاعلى المصنف ؛ فإنه ناقل غير مرتض لما نقله .

(٤) في الحديث المتقدم عن ابن عمر .

(٥) أي وجه كراهته .

(٦) بهذه الصفة ؛ وهى الأفضلية ؛ فقد يكون مساويا له ، أو أدنى منه .

(٧) وليس عاما في كل زائر .

(٨) ما بين القوسين ليس في ا . وهو في ب بين علامتين ، وأمامه في هامشه : المعلم عليه

ليس من الرواية .

والأولى عندي أن منعه وكرهه مالك له لإضافته إلى قبر النبي صلى الله عليه وسلم؛ وأنه لو قال: زُرْتُ النبي لم يكرهه^(١)؛ لقوله صلى الله عليه وسلم: اللهم لا تجعل قبري وثناً يُعبَدُ بعدي^(٢)، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد^(٣).

فحسب إضافة هذا^(٤) اللفظ إلى القبر، والتشبه بفعل أولئك^(٥)؛ قطعا للذريعة وحسباً^(٦) للباب. والله أعلم^(٧).

قال إسحاق بن إبراهيم الفقيه: ومما لم يزل من شأن من حج الروم^(٨) بالمدينة، والقصد إلى الصلاة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، والتبرك برؤية

(١) قال الخفاجي: وحديث الزيارة روى على وجوه؛ منها ما رواه أبو نعيم عن علي كرم الله وجهه: إذا سكن أهل الجنة الجنة أتاهم ملك يقول: إن الله تعالى يأمركم أن تزوروه، فيجتمعون، ثم توضع لهم مائدة... الحديث.

ثم قال: قيل: وهو مناف لما قدمه من حديث ابن عمر: من زار قبري وجبت له شفاعتي، إلا أن يقال: إنه ضعيف، وإن الصحيح حديث أنس: من زارني - بدون ذكر القبر؛ إلا أنه غير مسلم؛ لأن عبد الحق رواه في الأحكام ولم يتعبه.

(٢) وثنا: أي كالوثن، وهو الصنم من الحجارة. بعدي: أي بعد موتي ووضعى فيه.

(٣) مساجد: أي يسجدون لها كما يسجدون للأوثان. والحديث في اللوط: ١٧٢، وبعد

الحديث قال في اللوط: قال ابن عبد البر: لا خلاف عن مالك في إرسال هذا الحديث.

(٤) حمى: صان. هذا اللفظ: لفظ الزيارة.

(٥) أولئك؛ أي الكفرة، أو العامة الذين اتخذوا قبور الأنبياء مواطن للسجود.

(٦) وحسباً للباب: قطعا وسداً لباب الذريعة.

(٧) قال القاري في شرحه (٢ - ١٥٠): وفيه أنه وقد ورد - بروايات متعددة -

التصريح بهذه اللفظة، فلا يلتفت إلى هذه العلة؛ منها ما رواه أبو داود الطيالسي: من زار قبري كنت له شفيماً. ومنها حديث على - مرفوعاً: من زار قبري بعد موتي فكأنما زارني في حياتي. ومن لم يزر قبري فقد جفاني.

(٨) في ب: المزور!

مصطلم هذه الأصوار قد بُنِي على غير ما كانه

رَوْضَتِهِ (١) وَمِنْبَرِهِ وَقَبْرِهِ ، وَمَجْلِسُهُ (٢) ، وَمَلَامِسُ (٣) يَدَيْهِ ، وَمَوَاطِي قَدَمَيْهِ ، وَالْعَمُودِ الَّتِي كَانَ يَسْتَنْدُ إِلَيْهِ ، وَيَنْزِلُ جَبْرِيلُ بِالْوَحْيِ فِيهِ عَلَيْهِ ، وَبِمَنْ عَمَرَهُ (٤) وَقَصَدَهُ مِنَ الصَّحَابَةِ وَأُئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ ، وَالِاعْتِبَارِ بِذَلِكَ كُلِّهِ .

[١٧٤] وَقَالَ ابْنُ أَبِي فُدَيْكٍ : سَمِعْتُ (٥) بَعْضَ مَنْ أَدْرَكَتُ يَقُولُ : بَلَقْنَا أَنَّهُ مَنْ وَقَفَ عِنْدَ قَبْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَتَلَا هَذِهِ الْآيَةَ (٦) : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ﴾ - ثُمَّ قَالَ : صَلَّى اللَّهُ عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ - مَنْ يَقُولُهَا سَبْعِينَ مَرَّةً نَادَاهُ مَلَكٌ : صَلَّى اللَّهُ عَلَيْكَ يَا فُلَانُ ؛ وَلَمْ (٧) تَسْقُطْ لَهُ حَاجَةٌ .

وَعَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي سَعِيدٍ الْمُهْرَبِيِّ : قَدِمْتُ عَلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، فَلَمَّا وَدَّعْتُهُ قَالَ لِي : إِلَيْكَ (٨) حَاجَةٌ ؛ إِذَا أُتَيْتَ الْمَدِينَةَ سَتَرَى قَبْرَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأَقْرَهُ (٩) مَنَى السَّلَامِ .

وَقَالَ غَيْرُهُ : وَكَانَ يُبْرَدُ (١٠) إِلَيْهِ الْبَرِيدَ مِنَ الشَّامِ .

(١) رَوْضَةُ الْمَسْجِدِ . (٢) مَجْلِسُهُ . (٣) مَلَامِسُ يَدَيْهِ . (٤) عَمَرَهُ . (٥) سَمِعْتُ . (٦) إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . (٧) لَمْ . (٨) حَاجَةٌ . (٩) فَأَقْرَهُ . (١٠) وَكَانَ يُبْرَدُ .

(٢) مَجْلِسُهُ : مَوْضِعُ جُلُوسِهِ فِي الرَّوْضَةِ .

(٣) مَلَامِسُ يَدَيْهِ : أَيُّ الْمَحَالِّ الَّتِي لَمَسَهَا يَدَيْهِ الشَّرِيفَةِ .

(٤) عَمَرَهُ : سَكَنَهُ . وَقَالَ الْقَارِي (٢ - ١٥١) : مِنْ عَمَرِهِ : أَيُّ عَمَرِ مَسْجِدِهِ مَبْنَى

وَمَعْنَى . وَقِيلَ : مِنْ زَارِهِ .

(٥) هَذَا الْحَدِيثُ رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ .

(٦) سُورَةُ الْأَحْزَابِ ، آيَةٌ ٥٦ (٧) أَيُّ لَا تَرُدُّ وَلَا تَخِيبُ .

(٨) إِلَيْكَ حَاجَةٌ : أَيُّ أَقْدَمُ إِلَيْكَ حَاجَةٌ أَسْأَلُكَ قَضَاءَهَا ، وَهِيَ . . .

(٩) أَقْرَهُ مَنَى السَّلَامِ : أَيُّ بَلَّغَهُ سَلَامِي ، وَأَنَّى مُسَلِّمٌ عَلَيْهِ . وَفِي أ : فَأَقْرَهُهُ .

(١٠) وَكَانَ : أَيُّ عَمَرَ بِنَ عَمْرِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ . يَبْرُدُ : يَرْسَلُ ، وَالْبَرِيدُ : الرَّسُولُ الَّتِي يَكُونُ

مُسْتَعْجَلًا لِتَبْلِيغِ أَمْرِ الْخُلَفَاءِ وَنَحْوِهِمْ . إِلَيْهِ : إِلَى الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِئِبْلَاغِهِ سَلَامَهُ يَقْرَهُهُ السَّلَامَ ، لِأَلْقَصْدِ غَيْرِ ذَلِكَ الْبَتَّةِ . وَفِي أ : يَبْرُدُ - بِتَشْدِيدِ الرَّاءِ .

قال بعضهم : رأيتُ أنس بن مالك أتى قبرَ النبي صلى الله عليه وسلم ، فوقفَ
فرفع يَدَيْهِ^(١) حتى ظننتُ أنه افتتح الصلاة ، فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم ؛
ثم انصرف .

وقال مالك - في رواية ابن وهب : إذا سلم^(٢) على النبي صلى الله عليه وسلم ،
ودعاً ، يقفُ ووجهه إلى القبر الشريف لا إلى القبلة ، ويدنو^(٣) ، ويسلم ، ولا يمسه
القبر بيده .

وقال^(٤) في المبسوط : لا أرى أن يقفَ عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم يدعو ،
ولكن يسلم ويمضي^(٥) .

قال ابن أبي مائة^(٦) : من أحب أن يقوم وجاه^(٧) النبي صلى الله عليه وسلم
فليجعل القنديل الذي في القبلة عند القبر على رأسه^(٨) .

وقال نافع^(٩) : كان ابن عمر يسلم على القبر ؛ رأيتُه مائة مرة وأكثر يحيى إلى
القبر فيقول : السلام على النبي صلى الله عليه وسلم ، السلام على أبي بكر ، السلام
على أبي ، ثم ينصرف^(١٠) .

(١) قال القاري (٢ - ١٥٢) : لا يعرف استحباب رفع اليدين في ذلك للقائم عن أحد
من الأعلام ، ولعله دعا الله سبحانه وتشفع به عليه السلام . ٤٩

(٢) إذا سلم : أي الزائر لقبره الشريف . (٣) ويدنو : أي يقرب من القبر .

(٤) القائل : هو مالك . والمبسوط : اسم كتاب للمالك .

(٥) ويمضي : ينصرف من عنده من غير وقوف . قال القاري (٢ - ١٥٢) : هذا بظاهره

يناقض ما سبق عنه ، إلا أن يقال : هذا بيان الأكل ، فتأمل .

(٦) ابن أبي مائة : تابعي تيمى ، مؤذن ابن الزبير وقاضيه ؛ قال : بعثني ابن الزبير على

قضاء الطائف ، فكنيت أسأل ابن عباس . وأما أبو مائة - أبوه - فصحابي .

(٧) وجه : في مواجهته ومقابلته . وتسكرواوه وتضم . والضبط للثبوت في ، ب .

(٨) القنديل : مصباح من زجاج يعلق . على رأسه : محاذيا لها .

(٩) نافع : هو مولى ابن عمر ، من أئمة التابعين وأعلامهم . (١٠) رواه البيهقي .

[ورئي ابنُ عمر واضعاً يدهُ على مَتمد النبيّ صلى اللهُ عليه وسلم من المنبر ، ثمَّ وضعها على وجهه^(١) .

وعن ابن قُسيط والمُتنبّي : كان أصحابُ النبيّ صلى اللهُ عليه وسلم إذا خلا المسجد جَسُوا^(٢) رُمّانة المنبر التي تلي القَبْرَ بِمَيَامِنِهِمْ^(٣) ، ثم استَقْبَلُوا القِبْلَةَ يَدْعُونَ^(٤) .

وفي الموطأ^(٥) - من رواية [١٧٦] يحيى بن يحيى اللَّيْثِي - أنه كان يقفُ على قَبْرِ النبيّ صلى اللهُ عليه وسلم فيصلي على النبيّ ، وعلى أبي بكر ، وعمر .

وعن ابن القاسم والقمّينيّ : ويدعو لأبي بكر ، وعمر .

قال مالك - في رواية ابنِ وَهْب : يقولُ المَسْأَلُ : السّلام عليك أَيُّها النبيّ ورحمةُ اللهِ وبركاته .

قال في المبسوط : ويُسَلِّمُ على أبي بكر ، وعمر .

قال القاضي أبو الوليد الباجي : وعندى^(٦) أنه يدعو للنبيّ صلى اللهُ عليه وسلم بلفظِ الصّلاة ، ولأبي بكر^(٧) ، وعمر ، كما في حديثِ ابنِ عُمر من الخِلاف^(٨) .

وقال ابنُ حبيب : ويقولُ إذا دخل مسجد الرسول : بسم الله ، وسلام على رسولِ الله عليه السلام ، السلامُ علينا من ربّنا ، وصلى اللهُ وملائكتهُ على محمد .

(١) ورواه ابن سعد عن عبد الرحمن بن عبد القاري أنه رآه واضعاً يده على مقعد النبي صلى اللهُ عليه وسلم .

(٢) جَسُوا: أى مسوا . ورمانة المنبر ؛ أى العقدة المشابهة للرمانة . وفيه : جلسوا بزمانة .

(٣) في ب : تيمنا .

(٤) ليس في ا ؛ وهو في ب ، وأمامه علامة الصحة .

(٥) للوطأ : ١ - ١٦٦ .

(٦) وعندى : أى الراجع عندي .

(٧) يدعو لأبي بكر وعمر بالسلامة من كل مكروه ، ولا يسلم عليهما .

(٨) من الخِلاف : أى مخالفة الدعاء لها للدعاء لرسول الله صلى اللهُ عليه وسلم .

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذُنُوبِي ، وَاَفْتَحْ^(١) لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ وَجَنَّتِكَ ، وَاَحْفَظْنِي مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ، ثُمَّ اقْصِدْ إِلَى الرَّوْضَةِ ؛ وَهِيَ مَا بَيْنَ الْقَبْرِ وَالْمِنْبَرِ فَارْكَعْ^(٢) فِيهَا رَكْعَتَيْنِ قَبْلَ وَقُوفِكَ بِالْقَبْرِ تَحْمَدًا لِلَّهِ فِيهِمَا وَتَسْأَلُهُ تَمَامَ مَا خَرَجْتَ إِلَيْهِ وَالْعَوْنَ عَلَيْهِ . وَإِنْ كَانَتْ رَكْعَتَاكَ فِي غَيْرِ الرَّوْضَةِ أَجْرَأْتَاكَ ؛ وَفِي الرَّوْضَةِ أَفْضَلُ .

وَقَدْ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَا بَيْنَ مَنْبَرِي وَقَبْرِي رَوْضَةٌ^(٣) مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ ؛ وَمَنْبَرِي عَلَى تَرْعَةٍ مِنْ تَرْعِ الْجَنَّةِ^(٤) . »

ثُمَّ تَقِفْ بِالْقَبْرِ مُتَوَاضِعًا مُتَوَقِّرًا^(٥) ، فَتَصَلِّ عَلَيْهِ وَتُنْثِنِي بِمَا يَحْضُرُكَ ، وَتَسَلِّمْ عَلَى أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ ، وَتَدْعُو لهما .

وَأَكْثَرُ مِنَ الصَّلَاةِ فِي مَسْجِدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ، وَلَا تَدْعُ^(٦) أَنْ تَأْتِيَ مَسْجِدَ قُبَاءَ وَقُبُورَ الشَّهْدَاءِ^(٧) .

—— وَقَالَ مَالِكٌ [١٧٥] - فِي كِتَابِ مُحَمَّدٍ^(٨) : وَيَسَلِّمْ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا دَخَلَ وَخَرَجَ^(٩) - يَعْنِي فِي الْمَدِينَةِ - وَفِيمَا بَيْنَ ذَلِكَ^(١٠) .

(١) أى يسرلى ما يوصلنى إليهما : الرحمة ، والجنة .

(٢) اركع فيها ركعتين ؛ تحية المسجد ؛ شكرًا لهذه النعمة .

(٣) قال الحفاجى : معنى كونه روضة من رياض الجنة أنه يؤدى إلى دخولها ، فسكانه منها .

وفى ١ : ما بين بيتي ومنبري .

(٤) الجزء الأول من الحديث فى سنن ابن ماجه : ١ - ١٩٧ ، وهو مسند أحمد : ٣ - ٦٤

وفى هامش ١ : التربة : الباب . والتربة أيضا : الروضة . والتربة : العتبة .

(٥) متواضعا متوقرا : أى بتواضع ووقار ؛ أى سكون ؛ تأدبا بهيبة وإجلال وغطس طرف .

(٦) ولا تدع : لا تترك . (٧) قباء : موضع قريب من المدينة وقبور الشهداء : شهداء أحد .

(٨) يعنى واحدا من أصحابه . قال القارى (٢ - ١٥٤) : ولله محمد بن الحسن ، من أصحاب

أبي حنيفة ، فإنه روى عنه الموطأ . وفى هامش ب . يعنى ابن المواز المصرى .

(٩) إذا دخل وخرج : أى دخل مسجد المدينة وخرج منه بالفعل ؛ لا عند إرادة ذلك .

(١٠) وفما بين ذلك : أى فى أيام إقامته بالمدينة ، وحين لا يدخل المسجد ، ويسلم عليه صلى

الله عليه وسلم كلما دخل وخرج فيه .

وقال محمد : وإذا خرج جعل آخر^(١) عَهْدِهِ الوقوفَ بالقبر ، وكذلك من
خَرَجَ مسافرا .

وَرَوَى ابنُ وَهْبٍ عن فَاطِمَةَ بنتِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أن النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : « إِذَا دَخَلْتَ المَسْجِدَ ^(٢) فَصَلِّ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،
وقل : اللهم اغْفِرْ لِي ذُنُوبِي ، وافتح لي أبوابَ رَحْمَتِكَ . وإذا خَرَجْتَ فَصَلِّ عَلَى النَّبِيِّ
صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وقل : اللهم اغْفِرْ لِي ذُنُوبِي ، وافتح ^(٣) لي أبوابَ فَضْلِكَ ^(٤) » .
وفي روايةٍ أُخرى : فليصلِّ فيه ، ويقول إذا خرج : اللهم إني
أَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ .

وفي أُخرى : اللهم احْفَظْنِي مِنَ الشَّيْطَانِ [الرَّجِيمِ] ^(٥) .
وعن مُحَمَّدِ بْنِ سَيْرِينَ : كان النَّاسُ يَقُولُونَ إِذَا دَخَلُوا المَسْجِدَ : صَلَّى اللهُ وَمَلَائِكَتُهُ
عَلَى مُحَمَّدٍ . السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللهِ ، بِاسْمِ اللهِ دَخَلْنَا ، وَبِاسْمِ اللهِ خَرَجْنَا ،
وَعَلَى اللهِ ^(٦) تَوَكَّلْنَا .

وكانوا يقولون إذا خرجوا مثل ذلك ^(٧) .

-
- (١) إذا خرج : أى أراد الزائر أن يخرج من المدينة .
(٢) فى شرح القارى (٢ - ١٥٥) : قال الدلبى : بفتح تاء الخطاب ، ولا أعلم من رواه .
قلت : بل الصواب أن المراد به عموم الخطاب .
(٣) فتح الباب : كناية عن تسهيل أموره ، وتسهيل مسالكه وأسباب معاشه .
(٤) حديث فاطمة هذا رواه أحمد ، وأبو يعلى ، والترمذى - وحسنه : وارجع إليه تاما
فى سنن ابن ماجه : ٢٥٣ ، وسنن الترمذى : ٢ - ١٢٧ ، وروته فاطمة بنت الحسين عن فاطمة
الكبرى . وقال : الترمذى بمد تخريج هذا الحديث ، أى حديث فاطمة : حديث صحيح ،
وليس إسناده بمتصل . وفاطمة بنت الحسين لم تدرك فاطمة الكبرى ، إنما عاشت فاطمة بمد النبي
صلى الله عليه وسلم أشهرًا . والحديث فى مسلم أيضا : ٤٩٤ (٥) ليس فى ا .
(٦) على الله توكلنا : أى فوضنا له أمورنا كلها .
(٧) قال الحفاجى : وهذا ليس خاصا بمسجد المدينة ؛ بل هو مستحب فى كل مسجد .

وعن فاطمة أيضا^(١) : كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا دخل المسجد قال :
صلى الله على محمد وسلم ؛ ثم^(٢) ذكر مثل حديث فاطمة قبل هذا .
وفي رواية : حمد الله وسمى^(٣) ، وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ،
وذكر مثله .

وفي رواية : باسم^(٤) الله ، والسلام على رسول الله^(٥) .
وعن غيرها^(٦) : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخل المسجد قال :
« اللهم افتح لي أبواب رحمتك ، ويسر لي^(٧) أبواب رزقك » .
وعن أبي هريرة : « إذا دخل أحدكم المسجد فليصل على النبي صلى الله عليه
وسلم ، وليقل : اللهم افتح لي^(٨) » .

وقال مالك في « المبسوط » : وليس يلزم من دخل المسجد وخرج منه من
أهل المدينة^(٩) الوقوف بالقبر ؛ وإنما ذلك للغرباء^(١٠) .

-
- (١) أخرجه البيهقي في الدعوات .
 - (٢) ثم ذكر : أي ابن سيرين .
 - (٣) وسمى : أي سمى الله تيمنا وتبركا ليم ماشرع فيه . وهذه الرواية للترمذي ٣-١٢٨
 - (٤) أي يقول إذا دخل المسجد . . .
 - (٥) قال الخفاجي : فهذا صريح في أن ما فعله الناس فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم
بنفسه ؛ فهم مقتدون به .
 - (٦) عن غيرها : أي عن غير فاطمة .
 - (٧) يسر لي أبواب رزقك : سهل أسبابه .
 - (٨) قال الخفاجي (٣ - ٥٧٦) : حاصله أن هذه الأحاديث تدل على أن من دخل المسجد ،
أو خرج منه ، أو مر به - أي مسجد كان - يستحب له أن يسمي الله ويسلم ويصلي على رسول
الله ، ويدعو بخير من خيري الدنيا والآخرة . وللاأثر أفضل ؛ وهذا مما اتفقوا عليه ، ووردت
فيه أحاديث صحيحة في باب الدعوات .
 - (٩) من أهل المدينة : للقيمين بها .
 - (١٠) للغرباء : الذين جاءوا المدينة للزيارة .

وقال فيه^(١) أيضا : لا بأسَ لِمَنْ قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ^(٢) أَنْ يَقِفَ عَلَى قَبْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَيُصَلِّيَ عَلَيْهِ وَيَدْعُو لَهُ وَلِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ .

فقيل له^(٣) : فَإِنَّ نَاسًا مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ لَا يَتَقَدَّمُونَ مِنْ سَفَرٍ وَلَا يَرِيدُونَهُ^(٤) ، يفعلون^(٥) ذلك في اليوم مرةً أو أكثر ؛ وَرَبَّمَا وَقَفُوا فِي الْجُمُعَةِ أَوْ فِي الْأَيَّامِ الْمَرَّةَ وَالْمَرَّتَيْنِ أَوْ أَكْثَرَ عِنْدَ الْقَبْرِ فَيَسَلِّمُونَ وَيَدْعُونَ سَاعَةً^(٦) !

فقال^(٧) : لَمْ يَبْلُغْنِي^(٨) هَذَا عَنْ أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْفِقْهِ ببلدنا ، وَتَرَكَهُ وَاسِعًا^(٩) ، وَلَا يُصَدِّحُ آخِرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ إِلَّا مَا أَصْلَحَ أَوَّلُهَا ؛ وَلَمْ يَبْلُغْنِي عَنْ أَوَّلِ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَصَدْرُهَا أَنَّهُمْ كَانُوا يَفْعَلُونَ ذَلِكَ ، وَيُكْرَهُ إِلَّا لِمَنْ جَاءَ مِنْ سَفَرٍ أَوْ أَرَادَهُ .

قال ابنُ القاسمِ : وَرَأَيْتُ أَهْلَ الْمَدِينَةِ إِذَا خَرَجُوا مِنْهَا أَوْ دَخَلُوهَا أَتَوْا الْقَبْرَ فَسَلَّمُوا ؛ قَالَ : وَذَلِكَ رَأْيِي^(١٠) .

قال الباجي : فَفَرَّقَ بَيْنَ أَهْلِ الْمَدِينَةِ وَالْغُرَبَاءِ ؛ لِأَنَّ الْغُرَبَاءَ قَصَدُوا لِذَلِكَ^(١١) ؛ وَأَهْلَ الْمَدِينَةِ مُتَقِيمُونَ بِهَا لَمْ يَقْصِدُوهَا مِنْ أَجْلِ الْقَبْرِ وَالتَّسْلِيمِ^(١٢) .

(١) فيه : في كتاب المبسوط . (٢) أي من أهل المدينة .

(٣) فقيل له : أي لملك . (٤) أي هم مقيمون .

(٥) يفعلون ذلك : أي الوقوف عند القبر والصلاة عليه ، والدعاء لصاحبه .

(٦) يسلمون على النبي ، ويدعون لأبي بكر وعمر . (٧) فقال : أي مالك .

(٨) لم يبلغني هذا : أي وقوف المدني من غير سفر عند القبر .

(٩) وتركه واسع : أي أكثر وأولى . وفي شرح القاري (٢ - ١٥٦) : وتركه واسع ؛

أي جائز ، ولو فعله فسائح شائع .

(١٠) في شرح الحفاجي : وذلك رأى : أي قول لملك . قال في نسيم الرياض : وفي نسخة :

رأى - بالإضافة ؛ أي إنه يقوله .

(١١) قصدوا لذلك : أي قصدوا المدينة للزيارة ، فينبغي لهم فعل ذلك في كل حين .

(١٢) في نسيم الرياض : قال السبكي في كتابه «شفاء السقام» - بمد نقل ما هنا : مذهب

مالك أن الزيارة قريبة ؛ لكنه كره الإكثار منهم للمقيم بالمدينة على قاعدته في سد الذرائع . =

وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ^(١) : « اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَنًا^(٢) يُعْبَدُ ؛ أَشْتَدُّ غَضَبُ اللَّهِ عَلَى قَوْمٍ آتَخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ^(٣) » .
وَقَالَ^(٤) : « لَا تَجْمَلُوا قَبْرِي عِيدًا^(٥) » .

_____ ومن كتاب أحمد بن سعيد [١٧٦] الهندي - فيمن وقف بالقبر : لا يَلصِقُ^(٦) به ، ولا يمسُّه ، ولا يقف عنده طويلاً^(٧) .
وفي العتبية^(٨) : يبدأ بالركوع قبل السلام^(٩) في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم ؛ وأحب مواضع التنفل فيه مُصَلِّي^(١٠) النبي حيث العمود المَخَاقِ^(١١) .

= وغيره من أهل المذهب قالوا باستحباب الإكثار منها مطلقاً، واتفقوا عليه، وهو الحق الذي لا شبهة فيه .
١١١٥٤٤٤

(١) في حديث رواه عبد الرزاق ، ومالك في الموطأ ، عن عطاء بن يسار : موطأ مالك : ١٧٢ (٢) وثنا : أى كالوثن ، وهو الصنم . يعبد : أى يتخذ معبوداً .

(٣) مساجد : أى يسجدون لها كما يسجدون لله .

(٤) في حديث رواه ابن أبي شيبة وغيره بسند متصل .

(٥) عيداً : أى كالعيد باجتماع الناس عنده . (٦) لا يَلصِقُ به : أى لا يَلصِقُ صدره به .

(٧) في نسيم الرياض : فلا يقبله ؛ فيكره مسه وتقبيله وإصااق صدره ؛ لأنه ترك أدب ؛ وكذلك كل ضريح يكره فيه ذلك ؛ وهذا أمر غير مجمع عليه ؛ ولقد قال أحمد ، والطبري : لا بأس بتقبيله والتزامه . وروى أن أبا أيوب الأنصاري كان يلتزم القبر الشريف ؛ قيل : وهذا لغير من لم يقبله الشوق والمحبة . وهو كلام حسن .
١١١٥٤٤٤

(٨) العتبية : منسوبة إلى فقيه الأندلس محمد بن أحمد بن عبدالعزيز العتيبي القرطبي مصنفها ،

وهو من موالى عتبة بن أبي سفيان ، أخذ عن يحيى بن يحيى الليثي وطبقته .

(٩) يبدأ بالركوع : المراد الصلاة ؛ أى تحية المسجد إذا دخله . قبل السلام : قبل السلام

على قبره ، وزيارته .

(١٠) مصلى النبي : أى محل صلواته المأثور ؛ وبين محله بقوله : حيث العمود .

(١١) المَخَاقِ : ما عليه الخلق ، وهو نوع من الطيب أصفر ، فيه زعفران ؛ ويسمى العمود

مخلقا ؛ لأنه كان يطيب بالخلق تعظيماً .

وَأَمَّا فِي الْفَرِيضَةِ فَالْتَقَدُّمُ إِلَى الصُّوْفِ وَالتَّنْفُلُ فِيهِ لِلْغُرَبَاءِ أَحَبُّ إِلَى مِنَ التَّنْفُلِ فِي الْبُيُوتِ (١) .

فصل

فِيمَا يَلْزَمُ مَنْ دَخَلَ مَسْجِدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْأَدَبِ سِوَى مَا قَدَّمْنَاهُ ، وَفَضْلِهِ وَفَضْلِ الصَّلَاةِ فِيهِ وَفِي مَسْجِدِ مَكَّةَ ، وَذِكْرِ قَبْرِهِ وَمَنْبَرِهِ ، وَفَضْلِ سُكْنَى الْمَدِينَةِ وَمَكَّةَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى (٢) : ﴿ لِمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّوْحَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ ﴾ .

رُوي (٣) أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُئِلَ : أَيُّ مَسْجِدٍ هُوَ؟ قَالَ : مَسْجِدِي هَذَا . وَهُوَ قَوْلُ ابْنِ الْمُسَيَّبِ ، وَزَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ ، وَابْنِ عَمْرٍ ، وَمَالِكِ بْنِ أَنَسٍ ، وَغَيْرِهِمْ . وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ مَسْجِدُ قُبَاءَ (٤) .

(١) هَذَا مُسْتَشْتَقٌ مِمَّا قَالَ الْفُقَهَاءُ وَأَطَاقُوهُ : إِنَّ الْأَفْضَلَ فِي الْفَرِيضَةِ فِي الْمَسَاجِدِ ، وَالنَّافِلَةِ الْأَفْضَلَ فِيهَا أَنْ تُصَلَّى فِي النَّازِلِ . وَوَجْهُ الْخَالْفَةِ أَنْ الصَّلَاةَ فِي مَسْجِدِ الْمَدِينَةِ أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِي غَيْرِهِ . وَهَذَا مُبْنَى عَلَى أَنَّ الْمَضَاعِفَةَ تَخْتَصُّ بِمَسْجِدِ الْمَدِينَةِ .

وَذَهَبَ بَعْضُهُمْ إِلَى أَنَّ الصَّلَاةَ فِي الْمَدِينَةِ مُطْلَقًا مَضَاعِفَةٌ ، لِأَنَّهَا بَيْنَ فَرِيضَتِهَا وَتَقْلِبِهَا ، وَمَسْجِدِهَا وَغَيْرِهِ ؛ فَمَلَى هَذَا نَافِلَتَهَا كَثِيرًا ، إِلَّا أَنَّ التَّرِييبَ يَسْتَحِبُّ لَهُ الْإِكْثَارَ مِنَ الْمَسْجِدِ فِي الزِّيَارَةِ وَالتَّبَرُّكِ بِمَوَاطِنِ عِبَادَتِهِ ؛ فَلَهُ شَأْنٌ يَخْصُهُ ؛ وَهُوَ الظَّاهِرُ .

(٢) سُورَةُ التَّوْبَةِ ، آيَةُ ١٠٨

(٣) الْحَدِيثُ رَوَاهُ مُسْلِمٌ : ١٠١٥ التِّرْمِذِيُّ : ٥ - ٢٨٠ أَيْضًا .

(٤) قَالَ الْخَفَاجِيُّ : وَهُوَ الَّذِي ارْتَضَاهُ الْفُسْرُونَ ، وَهُوَ الظَّاهِرُ . وَالْأَوَّلُ مَرُورٍ عَنْ كِبَارِ الصَّحَابَةِ مُسْتَدَلٌّ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَرَوَاهُ مُسْلِمٌ وَأَصْحَابُ السُّنَنِ ؛ وَلِذَا قِيلَ : كَانَ يُنْفَعِي لِلْمَصْنَفِ أَنْ يَقُولَ : صَحَّ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَارُوي - بِصِيغَةِ الْمَجْهُولِ الَّتِي يَنْبَغُ اسْتِمَالُهَا فِي الضَّعِيفِ ، فَكَأَنَّهُ إِيمَاءٌ إِلَى أَنَّ الْأَقْوَى مَا قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ . وَانظُرْ أَيْضًا :

حدثنا هشام بن أحمد الفقيه بقرائتي عليه ؛ قال : حدثنا الحسين بن محمد الحافظ ، حدثنا أبو عمر النعمري ، حدثنا أبو محمد بن عبد المؤمن ، حدثنا أبو بكر بن داسة ، حدثنا أبو داود ، حدثنا مسدد ، حدثنا سفيان ، عن الزهري ، عن سعيد بن المسيب ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ؛ قال : لا تُشدُّ الرَّحَالُ (١) إلا إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ، ومسجدي (٢) هذا ، والمسجد الأقصى .

وقد تقدمت الآثارُ في الصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم عند دخول المسجد .

وعن عبد الله (٣) بن عمرو بن العاص - أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا دخل المسجد قال : أعوذُ (٤) بالله العظيم ، وبوجهه الكريم ، وسلطانه القديم (٥) ، من الشيطان الرجيم (٦) .

وقال مالك (٧) رحمه الله : سمعُ عمر بن الخطاب رضي الله عنه صوتا في المسجد ،

(١) الرحال : جمع رحل ، وهو للجمال كالسروج للخيل . وقوله : لا تشد الرحال : كناية عن منع السفر ؛ أي لا ينبغي السفر - وقطع المسافة .

(٢) المسجد الحرام : مسجد مكة . ومسجدي هذا : مسجد المدينة المعروف . والحديث في صحيح مسلم : ١٠١٤ ، وسنن النسائي : ٢ - ٣١

(٣) في حديث رواه أبو داود بإسناد جيد . سنن أبي داود : ١ - ٤٨

(٤) أعوذُ : ألتجئُ في أمور كلها ، وفي التوفيق للعبادة وإخلاصها ، إلى عظيم لا يخاف من التجأ إليه .

(٥) سلطانه : قهره وغلبته القديم : الثابت له في الأزل والقدم .

(٦) الرجيم : المطرود عن رحمة الله وقربه .

قال الخفاجي : وتتمه الحديث : فإذا قال ذلك قال الشيطان : حفظ مني سأر اليوم . وفي

سنن أبي داود : تمامه : قال : أقط ؟ قلت : نعم . قال : فإذا قال ذلك . . .

(٧) في حديث رواه البخاري ، والنسائي : صحيح البخاري : ١ - ١٢٠

فدعا بإحابه ؛ فقال : عَمَّنْ أَنْتَ ؟ قال : رجلٌ مِنْ تَقِيفٍ . قال : لو كُنْتَ مِنْ هَاتَيْنِ الْقَرَيْتَيْنِ ^(١) لَأَدَّبْتُكَ ؛ إِنْ مَسَجَدَنَا لَا يُرْفَعُ فِيهِ الصَّوْتُ .

قال محمد بن مَسَلَمَةَ : لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَمْتَدَّ ^(٢) السَّجْدَ بِرَفْعِ الصَّوْتِ ، وَلَا بِشَيْءٍ مِنَ الْأَذَى ، وَأَنْ يُنْزَهَ ^(٣) عَمَّا يُكْرَهُ .

قال القاضي ^(٤) : حَكَى ذَلِكَ كَلِمَةَ الْقَاضِي إِسْمَاعِيلَ فِي مَبْسُوطِهِ ^(٥) ، فِي بَابِ فَضْلِ مَسْجِدِ النَّبِيِّ صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ وَسَلَّمَ . وَالْعُلَمَاءُ كُلُّهُمْ مُتَّفِقُونَ [عَلَى] ^(٦) أَنَّ حُكْمَ سَائِرِ الْمَسَاجِدِ هَذَا الْحُكْمُ .

قال القاضي إِسْمَاعِيلُ : وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ مَسَلَمَةَ : وَيُكْرَهُ فِي مَسْجِدِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْجَهْرُ عَلَى الْمَصَلِّينَ فِيمَا يَخْلُطُ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتِهِمْ ^(٧) ، وَلَيْسَ مِمَّا تُخَصُّ بِهِ الْمَسَاجِدُ رَفْعُ الصَّوْتِ ^(٨) ، قَدْ كُرِهَ رَفْعُ الصَّوْتِ بِالتَّالِيَةِ فِي مَسَاجِدِ الْجَمَاعَاتِ إِلَّا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ وَمَسْجِدَ مَنِيٍّ ^(٩) .

وقال أَبُو هُرَيْرَةَ ، عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي هَذَا خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيهَا سِوَاهُ ، إِلَّا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ ^(١١) .

(١) من هاتين القرابتين : يعني مكة والمدينة .

(٢) يمتد السجد : يقصده . (٣) ينزه : يبعد .

(٤) هو المؤلف . وفي ب : قال المؤلف رحمه الله .

(٥) في أ : في المبسوطة . (٦) ليس في أ .

(٧) أي بشوش عليهم . (٨) وليس : أي كراهة رفع الصوت .

(٩) مساجد الجماعات : أي التي يجتمع فيها لصلاة الجمعة ونحوها .

(١٠) في ب : ومسجدنا : يعني مسجد المدينة .

(١١) المسجد الحرام : مسجد مكة المشرفة . وسمى حراما لحرمة القتال فيه ، وكذا الصيد ،

وقطع أشجاره . قال الخفافجي : وتمة الحديث : وصلاة في المسجد الحرام أفضل من مائة صلاة

في مسجدى هذا . والحديث في اللوطأ : ١ - ١٩٦ ، وصحيح مسلم : ١٠١٢

قال القاضي^(١) : اختلف الناس في معنى هذا الاستثناء على اختلافهم في المفارقة بين مكة والمدينة ؛ فذهب مالك في رواية أشهب عنه ، وقاله ابن نافع صاحبه ، وجماعة أصحابه - إلى أن [١٧٧] معنى الحديث أن الصلاة في مسجد الرسول أفضل من الصلاة في سائر^(٢) المساجد بألف صلاة إلا المسجد الحرام ؛ فإن الصلاة في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم أفضل من الصلاة فيه بدون الألف^(٣) .
 واحتجوا بما روي^(٤) عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه : صلاة في المسجد الحرام خير من مائة صلاة فيما سواه ؛ فتأتى فضيلة مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم بتسعمائة ، وعلى غيره بألف .

وهذا مَبْنِيٌّ عَلَى تَفْضِيلِ الْمَدِينَةِ عَلَى مَكَّةَ عَلَى مَا قَدَّمَناه ؛ وهو^(٥) قولُ عمر ابن الخطاب ، ومالك ، وأكثر المدنيين^(٦) .

وذهب أهل مكة والسكوفة إلى تفضيل مكة ؛ وهو قول عطاء ، وابن وهب ، وابن حبيب من أصحاب مالك ، وحكاها الساجي عن الشافعي ؛ وحلوا الاستثناء

(١) هو المؤلف . (٢) سائر المساجد : باقيها .

(٣) قال الخفاجي : أى أقل منه . وهو تأويل بعيد ، ومن استبعده من المالكية ابن عبد البر ، وناهيك به ، لما ثبت في مسند أحمد عن عبد الله بن الزبير - أنه صلى الله عليه وسلم قال : صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه من المساجد إلا للمسجد الحرام ، وصلاة في المسجد الحرام أفضل من مائة في مسجدي هذا ، وسيذكره المصنف قريباً ؛ وهو حديث حسن كما ذكره البيهقي . كيف لا وقد مدحه الله تعالى ، وأمر بالحج إليه وفي الحديث أيضاً أنه صلى الله عليه وسلم وقف على راحلته بمكة ، وهو يقول : والله إنك خير أرض الله ، وأحب أرض الله إلى الله ، ولو لآنى أخرجت منك ما خرجت . كما رواه الترمذي والنسائي ، وقال : إنه حديث حسن . وفي هامشه ب : ألف - بدل الألف .

(٤) واحتجوا ؛ أى لما ذهبوا إليه من تفضيل المدينة .

(٥) وهو ؛ أى تفضيلها عليها .

(٦) وأكثر المدنيين : أى علماؤها .

في الحديث المتقدم على ظاهره، وأن الصلاة في المسجد الحرام أفضل؛ واحتجوا بحديث [عبد الله] ^(١) بن الزبير، عن النبي صلى الله عليه وسلم ^(٢) بمثل حديث أبي هريرة؛ وفيه: وصلاة في المسجد الحرام أفضل من الصلاة في مسجدي هذا بمائة صلاة.

وروى قتادة مثله؛ فيأتي فضل الصلاة في المسجد الحرام على هذا على الصلاة في سائر المساجد بمائة ألف.

ولا خلاف ^(٣) أن موضع قبره أفضل بقاع الأرض.

قال القاضي أبو الوليد الباجي: الذي يفتضيه الحديث مخالفة حكم مسجد مكة أسائر المساجد ^(٤)، ولا يعلم منه حكمها مع المدينة ^(٥).

وذهب الطحاوي إلى أن هذا التفضيل إنما هو في صلاة الرض.

وذهب مطرف من أصحابنا إلى أن ذلك في النافلة أيضاً؛ قال: وجمعة خير من جمعة، ورمضان خير من ^(٦) رمضان.

وقد ذكر عبد الرزاق في تفضيل رمضان بالمدينة وغيرها حديثاً نحوه.

وقال صلى الله عليه وسلم ^(٧): ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة.

(١) ليس في ١.

(٢) الذي أخرجه أحمد، وابن حبان.

(٣) قال السبكي: الإجماع على أن قبره صلى الله عليه وسلم أفضل البقاع؛ وهو مستثنى من

تفضيل مكة على المدينة.

(٤) قال الخفاجي: حق مسجد الرسول؛ لأنه ذكر فيه التفاضل بين الصلاة في المسجدين.

(٥) حكمها؛ أي حكم مكة في التفاضل. مع المدينة: بالقياس إليها بالتفاضل.

(٦) وهو ما رواه الطبراني وغيره عن بلال أنه صلى الله عليه وسلم قال: صيام شهر رمضان

في المدينة كصيام ألف شهر فيما سواها.

(٧) الحديث في الموطأ: ١ - ١٩٧، وصحيح مسلم: ١٠١٠.

ومثله عن أبي هريرة، وأبي سعيد؛ وزادا^(١) : ومنبرى على خوضي .

وفي حديث آخر : منبرى على ترعة من ترع الجنة .

قال الطبري : فيه معنيان :

أحدهما - أن المراد بالبيت بيت سُكناه على الظاهر، مع أنه رُوي ما بيّنه^(٢) :

بين حجرتي ومنبرى .

والثاني - أن البيت هنا القبر؛ وهو قول زيد بن أسلم في هذا الحديث، كما

رُوي : بين قبري ومنبرى . قال الطبري : وإذا كان قبره في بيته اتفقت معاني

الروايات، ولم يكن بينها خلاف؛ لأن قبره في حجرته، وهو بيته .

وقوله : ومنبرى على خوضي : قيل يحتمل أنه منبره بيمينه الذي كان في الدنيا؛

وهو أظهر .

والثاني - أن يكون له هناك منبر^(٣) .

والثالث : أن قصد منبره والحضور عنده للملازمة الأعمال الصالحة بورد الحوض،

ويوجب الشرب منه، قاله الباجي .

وقوله : روضة من رياض الجنة يحتمل معنيين :

أحدهما - أنه موجب^(٤) لذلك، وأن الدعاء والصلاة فيه يستحق ذلك من الثواب؛

كما قيل^(٥) : الجنة تحت ظلّال السيوف^(٦) .

(١) في ب : وزاد . صحيح مسلم : ١٠١١

(٢) ما بيّنه وبمين المراد منه، وهو : ما بين حجرتي . . .

(٣) هناك : أى في المحشر عند الحوض . وما تقدم من قوله : « قيل يحتمل . . . » هو الأول .

(٤) موجب لذلك : أى مقتض له اقتضاء محققا .

(٥) في حديث صحيح في الترغيب في الجهاد والشهادة - رواه الحاكم في مستدرکه .

(٦) ظلّال السيوف : كناية عن القتال بها .

والثاني - أن تلك البقعة قد ينقلها الله فتكون في الجنة بعينها ؛
قاله الداودي^(١) .

وروى [١٧٨] ابن عمر^(٢) وجماعة من الصحابة أن النبي صلى الله عليه وسلم
قال في المدينة: لا يبصر على لأوائها^(٣) وشدتها أحد إلا كفت له شهيدا أو شفيما
يوم القيامة .

وقال فيمن تحمل^(٤) عن المدينة: والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون^(٥) .
وقال^(٦): إنما المدينة كالسكير^(٧) تنفي خبثها ، وينصع طيبها^(٨) .

(١) قال ابن حجر: إن معنى قوله: روضة... أنه كروضة من رياض الجنة في نزول
الرحمة وحصول السعادة لمن يلازم حق ذكرها؛ لاسباب في عهده صلى الله عليه وسلم؛ فهو
تشبيه بليغ؛ ومعناه أن العبادة فيه تؤدي إلى الجنة .

(٢) في حديث رواه مسلم: صحيح مسلم: ٩٩٢

(٣) اللأواء: الشدة والمشقة والضيق، وجاءت بمعنى القحط .

(٤) تحمل عن المدينة: رحل عنها وفارقها مختارا لسكنى غيرها .

(٥) الحديث في البخاري .

(٦) في حديث رواه الشيخان: صحيح مسلم: ١٠٠٥ ، والموطأ: ٨٨٦ ، وسنن

الترمذي: ٥ - ٧٢٠

(٧) السكير: آلة للحداد ينفخ بها النار لإيقادها على الحديد .

(٨) أي تخرج ما خبث منها ولا تقبله، كما ينفي السكير خبث الحديد؛ لأن ما فيه من الصدأ

والأجزاء التي ليست خالصة منه تطير عنه مع الشرر وتبقى خالصة ، فكذلك المدينة لا يخرج

عنها ويختار غيرها من غير ضرورة إلا من خبث طويته، فهو لا يترك فيها من في قلبه غل وعدم

صدق؛ فتميزه عن غيره كما يميز الحداد بكيره جيد الحديد من رديته . والحديث في سنن

الترمذي: ٥ - ٥٢٠ ، ٥٢٢ .

وينصع: يخلص ويبقى خالصا فيها ما طاب .

وفى النهاية: وتبضع طيبها، كذا ذكره الزمخشري، وقال: هو من أبضعت بضاعة إذا

دفعتمها إليه، يعني أن المدينة تعطى طيبها ساكنها . والمشهور بالنون والصاد المهملة . وقد روى

بالضاد والخاء المعجمتين، وبالحاء المهملة من الضخ والنضح، وهو رش الماء .

وقال^(١) : لا يخرج أحد من المدينة رغبةً عنها إلا أبدلها الله خيراً^(٢) منه .
وروى^(٣) عنه صلى الله عليه وسلم : من مات في أحد الحرمين حاجاً أو مُعتبراً
بعنه الله يوم القيامة لا حسابَ عليه ولا عذابَ .
وفي طريق آخر^(٤) : بُعث من الآمنين^(٥) يوم القيامة .
وعن ابن عمر^(٦) من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت^(٧) بها ؛ فإنني أشفعُ
لمن يموتُ بها .

وقال تعالى^(٨) : ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى
لِّلْعَالَمِينَ . فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ﴾ .

(١) رواه مسلم عن جابر . قال الخفاجي : رغب عنه إذا كرهه ، فاللهي عنه ذلك ، فلا ينافي
أن بعض الصحابة ارتحل عنها كبلال وغيره . والحديث في الموطأ : ٨٨٧ .
(٢) عليها علامة الصحة في ١ ، وفي هامشه : خير .
(٣) رواه البيهقي ، والدارقطني ، عن عائشة رضي الله عنها بسند ضعيف .
(٤) في هذا الحديث للبيهقي ، والطبراني .
(٥) أي من الآمنين من مناقشة الحساب والمداب .
(٦) في حديث رواه ابن ماجه ، وابن حبان ، والترمذي ، وصححه : سنن الترمذي :
٥ - ٧١٩ ، وقال : هذا حديث حسن غريب من حديث أيوب السخيتاني .
(٧) أن يموت بالمدينة : أي يقيم بها حتى يموت . فليمت بها : أي فليقم بها حتى يأتيه الموت .
قال الخفاجي : والأمر للاستحباب .

(٨) سورة آل عمران ، آية ٩٦ . قال في نسيم الرياض : وهذا شروع في بيان فضل
مكة . وضع للناس : جعل معبداً وقبلة لهم وبكة : هي مكة . مباركاً : بركته : كثرة الخير ،
ومضاعفة ثواب العمل فيه . وسئل صلى الله عليه وسلم عن أول بيت وضع للناس . فقال :
المسجد الحرام ، ثم بيت المقدس . فقيل : كم بينهما ؟ فقال : أربعون سنة . قال الخفاجي : وهو
حديث صحيح ، لكنه مشكل ، لأن وضع المسجد في زمن إبراهيم ، ووضع بيت المقدس في
زمن داود وسليمان ، وبينهما زمان أطول من تلك الأربعين بأضعاف مضاعفة . وأجيب بأن
داود عليه السلام لم يضعه ، وإنما عمره .

قال بعضُ المفسرين : آمناً من النار . وقيل : كان يَأْمَنُ من الطلب مَنْ أحدث^(١) حَدَثًا خارجاً [عن الحرم]^(٢) ، ولجأ إليه في الجاهلية^(٣) ؛ وهذا مثلُ قوله^(٤) : ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا ﴾ - على قول بعضهم .

وحكى أن قوماً أتوا سعدون^(٥) الخولاني بالْمِنْسَتِير^(٦) فأعلموه أن كُتَامَةَ قَتَلُوا رجلاً وأضرموا^(٧) عليه النارَ طولَ الليل فلم تعمل فيه شيئاً ، وبقي أبيض اللون ، فقال : لعله حجّ ثلاثَ حججٍ ؟ قالوا : نعم . قال : حدثت أن من حجّ حجّةً أدّى فرضه ، ومن حجّ ثمانيةً دأب ربه^(٨) ، ومن حجّ ثلاثَ حججٍ حرّم الله شهره وبشره^(٩) على النار .

(١) من أحدث حدثاً : فعل أمر يستحق به العقوبة .

(٢) ما بين القوسين ليس في أ .

(٣) في الجاهلية : زمن الفترة بين عيسى ونبينا صلى الله عليه وسلم ؛ سمي بها لكثرة

الجهل فيه ؛ فكان الرجل إذا جنى جنابةً ودخله لا يمسكه أحد حتى يخرج .

(٤) سورة البقرة ، آية ١٢٥ . مثابة : ملجأ لكل مطلوب .

(٥) في أ : سعدونا قال القارى (٢ - ١٦٧) : والقياس صرف سعدون وحمدون ،

ولكنهما وقعا غير مصرّفين في كتب الحديث من الأصول المعتمدة .

(٦) قال التلمساني ، إنه بضم الميم والنون ، ويجوز كسر نونه ، والعامّة تفتحها . وفي شرح

القارى : بضم الميم وفتح نون وبكسر سين مهملة وفوقية مكسورة وتحتية ساكنة فراء : مكان

بالقيروان وفي هامش ب : هو موضع رباط على ساحل البحر بين القيروان وتونس .

(٧) كُتَامَةُ : قبيلة من البربر . أضرموا عليه النار : أوقدوها إيقاداً شديداً .

(٨) دأب ربه : أقرضه . قال الخفاجي : وتأم الحديث : فينادى غدا ملك من عند الله :

من كان له عند الله دين فليقم - وفي هامش أ : فينادى وبمده : من غير الرواية وفي

هامش ب : فينادى وبمده : هذه الزيادة ثبتت في رواية أخرى ، وبها تم الحديث .

(٩) وبشره ؛ أى ظاهر جلده وبدنه ؛ أى لم يعذبه ولم يدخله نار جهنم . قال الخفاجي :

وهذا الحديث لا يعرف من رواه .

ولما نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الكعبة قال: مَرَّ حَبَابُكَ مِنْ بَيْتِي؛
ما أعظمك وأعظم حرمتك!

وفي الحديث، عنه صلى الله عليه وسلم: ما مِنْ أَحَدٍ يَدْعُو اللَّهَ تَعَالَى عِنْدَ
الرُّكْنِ الْأَسْوَدِ (١) إِلَّا اسْتَجَابَ اللَّهُ لَهُ، وَكَذَلِكَ عِنْدَ الْمِيزَابِ (٢).
وعنه صلى الله عليه وسلم: مَنْ صَلَّى خَلْفَ الْمَقَامِ (٣) رَكَعَتَيْنِ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ
مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، وَحُشِرَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْأَمْنِينِ (٤).

قال الفقيه القاضي أبو الفضل: قرأتُ علي القاضي الحافظ أبي علي رحمه الله،
حدثك (٥) أبو العباس العذري؛ قال: حدثنا أبو أسامة محمد بن أحمد المروري،
حدثنا الحسن بن رشيقي، سمعتُ أبا الحسن محمد بن الحسن بن راشد، سمعتُ أبا بكر
محمد بن إدريس، سمعتُ الحليدي؛ قال: سمعتُ شفيان بن عيينة، قال: سمعتُ
عمر بن دينار قال: سمعتُ ابن عباس يقول: سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول: ما دعا أحدٌ بشيءٍ في هذا الملتزم (٦) إلا استجيب له.

قال ابن عباس: وأنا فإدعوتُ الله بشيءٍ في هذا الملتزم منذُ سمعتُ هذا من
رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا استجيب لي.

(١) المراد الركن الذي فيه الحجر الأسود.

(٢) الميزاب: هو المسمى ميزاب الرحمة؛ وهو مسيل ماء السطح، وهو معروف من
جانب الحجر. وفي شرح القاري (٢ - ١٦٨): لا يعرف مخرجه.

(٣) المقام: مقام إبراهيم الخليل الذي قام عليه لما بنى الكعبة.

(٤) رواه الديلمي؛ ولفظه: من طاف بالبيت سبعا، وصلى خلف المقام ركعتين، وشرب
من ماء زمزم غفر الله له ذنوبه كلها بالغة ما بلغت. لكن قال السخاوي: لا يصح.

ثم قال: وقد ذكره المنوفي في مختصره، وقال فيه: إنه باطل لا أصل له، والله تعالى
أعلم. ثم طي تقدير صحته فهو محمول على تكفير الصغار؛ لقوله تعالى: إن الحسنات يذهبن
السيئات. (٥) هذا في ١، ب. (٦) الملتزم: ما بين باب الكعبة والحجر الأسود.

وقال عمرو بن دينار : وأنا فما دعوتُ الله تعالى بشيء في هذا المُلتزم منذ سمعتُ هذا من ابن عباس إلا استجيبَ لي .

وقال سُفيان : وأنا فما دعوتُ الله بشيء في هذا المُلتزم منذ سمعتُ هذا من عمرو^(١) إلا استجيبَ لي .

قال الحليدي : وأنا فما دعوتُ الله [١٧٩] بشيء في هذا المُلتزم منذ سمعتُ هذا من سُفيان إلا استجيبَ لي .

وقال محمد بن إدريس : وأنا فما دعوتُ الله بشيء في هذا المُلتزم منذ سمعتُ هذا من الحليدي إلا استجيبَ لي .

وقال أبو الحسن محمد بن الحسن : وأنا فما دعوتُ الله بشيء في هذا المُلتزم منذ سمعتُ هذا من محمد بن إدريس إلا استجيبَ لي^(٢) .

قال أبو أسامة : وما أذكر الحسن بن رَشِيق قال فيه شيئاً^(٣) ؛ وأنا فما دعوتُ الله بشيء في هذا المُلتزم منذ سمعتُ هذا من الحسن بن رَشِيق إلا استجيبَ لي من أمرِ الدنيا ، وأنا أرجو أن يُستجاب لي من أمر الآخرة .

قال العذري^(٤) : وأنا فما دعوتُ الله بشيء في هذا المُلتزم منذ سمعتُ هذا من أبي أسامة إلا استجيبَ لي .

(١) عمرو : أي ابن دينار .

(٢) قال الحفاجي : وهذا الحديث مسلسل بالسماع ، رواه البيهقي ، وسعيد بن منصور ، وغيرهما .

(٣) أي مثل ما سبق عن بقية مشايخ السلسلة ؛ قال القاري : وطى هذا فالسلسل هنا منقطع .

(٤) العذري : الراوي عن أبي أسامة .

قال أبو عليّ: وأنا فتد دعوتُ الله فيه بأشياء كثيرة استجيب لي بعضها ،
وأرجو من سمّة فضله أن يستجيب لي بقيتها .
قال القاضي أبو الفضل^(١): ذكرنا نَبْذًا^(٢) من هذه النُّسك في هذا الفصل
وإن لم تكن من الباب^(٣) ، لتعلقها^(٤) بالفصل الذي قبله حرصًا على تمام الفائدة ؛
والله الموفق للصواب برحمته .

(١) هو المؤلف .

(٢) نبذا - بفتح النون وسكون الموحدة وذال معجمة : أى شيئًا قليلًا . ويجوز ضم أوله
وفتح ثانيه على أنه جمع نبذة .

(٣) من الباب : من المعاني التي عقدها الباب ؛ فإنه ممدود للصلاة على رسول الله وتمظيمه ؛
فذكر فضائل مكة وحرمةا ليس منه .

(٤) الفصل الذي قبله : الذي يذكر فيه مسجده صلى الله عليه وسلم وما يتعلق به .

القِسْمُ الثَّالِثُ

فَمَا يَجِبُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَمَا يَسْتَحِيلُ فِي حَقِّهِ أَوْ يَجُوزُ عَلَيْهِ ،
وَمَا يَمْتَنِعُ أَوْ يَصِحُّ مِنَ الْأَحْوَالِ الْبَشَرِيَّةِ أَنْ يُضَافَ إِلَيْهِ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى (١) : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ
أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ ﴾ (٢) وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا ،
وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ .

وَقَالَ تَعَالَى (٣) : ﴿ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ
وَأُمُّهُ صِدْقَةٌ ﴾ (٤) كَانَا يَا كِلَانِ الطَّعَامِ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ
أَنِّي بِؤْفَى كَوْنٍ ﴾ .

وَقَالَ (٥) : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ
وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ ﴾ (٦) .

وَقَالَ تَعَالَى (٧) : ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ
إِلَهُ وَاحِدٌ ﴾ (٨) .

(١) سورة آل عمران ، آية ١٤٤

(٢) الانقلاب على العقب كناية عن الرجوع عما كانوا عليه من الدين .

(٣) سورة المائدة ، آية ٧٥

(٤) أى ليس المسيح إلا رسولا كثيره من الرسل ، له آيات ومعجزات مثلهم ، وليس
بإله . وأمه صديقة: أى صادقة فى أقوالها وأفعالها ، أو صدقة للرسل . وهذا غاية أمرهما دون
ما يزعمون . (٥) سورة الفرقان ، آية ٢٠

(٦) فهو كثيره من البشر ، يصح له ماصح لهم .

(٧) سورة الكهف ، آية ١١٠

(٨) فلا يزيد على البشر إلا بما خصه الله به من الوحي والرسالة والتوحيد .

فحمد صلى الله عليه وسلم وسائر الأنبياء من البشر أرسلوا إلى البشر ، ولولا ذلك لما أطاق الناس مُتآوَمَتهم^(١) ، والقبول عنهم^(٢) ، ومخاطبتهم .

قال الله تعالى^(٣) : ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا ﴾ ؛ أى لما كان إلاً في صورة البشر الذين يمكنهم مخالطتهم^(٤) ؛ إذ لا تطيقون مُتآوَمَةَ المَلَكِ ومخاطبته ورؤيته إذا كان على صورته^(٥) .

وقال تعالى^(٦) : ﴿ قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمشُونَ مَطْمَئِنِينَ لَنَزَلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكَاتًا رَسُولًا ﴾ ؛ أى لا يمكن فى سنة الله إرسال المَلَكِ إِلَّا لِأَنَّ هُوَ مِنْ جِنْسِهِ^(٧) ، أَوْ مَنْ خَصَّهُ اللهُ تَعَالَى وَاصْطَفَاهُ وَقَوَّاهُ عَلَى مُتآوَمَتِهِ ، كالأنبىاء والرسل^(٨) .

فالأنبىاء والرسل عليهم السلام وسائطُ بين الله تعالى وبين خَلْقِهِ يُبَلِّغُونَهُمْ أَوْامِرَهُ وَنَوَاهِيَهُ ، وَوَعْدَهُ وَوَعِيدَهُ^(٩) ، وَيُعْرِفُونَهُمْ بِمَا لَمْ يَعْلَمُوهُ مِنْ أَمْرِهِ وَخَلْقِهِ ، وَجَلَالِهِ وَسُلْطَانِهِ^(١٠) ، وَجَبْرُوتِهِ وَمَلَكَوتِهِ ؛ فَظَوَاهِرُهُمْ وَأَجْسَادُهُمْ وَبَنِيَّتُهُمْ مُتَصِفَةٌ

(١) لما أطاق الناس مقاومتهم ؛ أى مقابلتهم فى الأمور الدنيوية ؛ لقدرة الملائكة على ما لا يقدر عليه غيرهم .

(٢) والقبول عنهم ؛ أى ما بلغوهم عن الله مما أرسلوا به . (٣) سورة الأنعام ، آية ٩

(٤) فى ب : مخاطبتهم . (٥) على صورته : أى الأصلية التى خلق عليها ابتداء .

(٦) سورة الإسراء ، آية ٩٥

(٧) فى سنة الله : فى طريقته وعادته المستمرة . إلا لمن هو من جنسه : حتى يمكنه مخالطته

وتلقيه عنه .

(٨) فإنهم خلقهم الله بأبدان بشرية وأرواح ملكية ، فكانوا - دون غيرهم - مستعدين

لقاومة المَلَكِ ومخالطته ومخاطبته .

(٩) الوعد يستعمل فى الخير ، والوعيد فى الشر .

(١٠) سلطانه : قهره وغلبته ، أو حجته الباهرة . جبروته : كونه جباراً قهاراً . ملكوته :

ملك المَلَكِ الذى لا مرد لقضائه ولا معقب لحكمه .

بأوصاف البشر ؛ طارئٌ عليها ما يَطرأُ على البَشَرِ من الأعراضِ والأسقامِ ^(١) ،
والموتِ والفتنةِ ^(٢) ، ونعوتِ الإنسانيةِ ، وأرواحهمِ وبواطنهمِ متَّصِفَةٌ بأعلى من
أوصافِ البشرِ ، متعاقبةٌ بالملأ الأعلى ^(٣) ، مَشَبَّهَةٌ بصفاتِ الملائكةِ ، سليمةٌ من التغيرِ
والآفاتِ ^(٤) ، لا يلحقها غالباً [١٨٠] عَجْزُ البَشَرِيَّةِ ^(٥) ، ولا ضَعْفُ الإنسانيَّةِ ؛
إذ لو كانتِ بواطنهمِ خالصةً للبَشَرِيَّةِ كظواهرهمِ لما أطاقوا الأخذَ عن الملائكةِ
ورؤيتهمِ ، ومخاطبتهمِ ومُخَالَطَتهمِ ^(٦) ، كما لا يُطِيقُهُ غيرهمِ من البَشَرِ .

ولو كانتِ أجسامهمُ وظواهرهمُ متَّسِمَةٌ بنعوتِ الملائكةِ ^(٧) ، وبخلافِ صفاتِ
البَشَرِ ، آما أطاق البَشَرُ وَمَنْ أُرْسِلُوا ^(٨) إليهمِ مخالطتهمِ ، كما تقدم من قولِ اللهِ
تعالى ^(٩) ؛ فَجُعِلُوا مِنْ جِهَةِ الْأَجْسَامِ وَالظَّوَاهِرِ مَعَ الْبَشَرِ ^(١٠) ، ومن جهةِ الأرواحِ
والبواطنِ مع الملائكةِ ؛ كما قال صلى اللهُ عليه وسلم ^(١١) : « لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ

(١) الأعراض : جمع عرض ؛ أى العوارض فى الأجسام ، والمراد به مطلق الآلام ، أو

الأمراض .

(٢) الموت : ضد الحياة . والفتنة : تفرق الأعضاء وتفتتها حتى تضمحل .

قال الحفاجى : وهذا لا يكون فى الأنبياء عليهم السلام ؛ لأن الله تعالى حرم على الأرض
أن تأكل أجساد الأنبياء .

(٣) بأعلى : بأوصاف أعلى منها : من الفضائل الروحانية ، والتبرى من الملائق الجسمانية ؛

كحب المال والتنعم بالمال كل والمشارب ؛ فأرواحهم وبواطنهم متعاقبة بالملأ الأعلى .

(٤) الآفات : النقائص (٥) عجز البشريّة : كالجبن ، والخوف المفرط .

(٦) مخالطتهم : اتخاذهم أخلاء وأصدقاء .

(٧) متسمة : موصوفة . ونعوت الملائكة : صفاتهم . (٨) ومن أرسلوا : هم الأنبياء .

(٩) هو قوله تعالى : ولو جعلناه ملكاً لجعلناه رجلاً ؛ أى لما كان إلا فى صورة البشر - كما

تقدم . و« قل لو كان فى الأرض ملائكة يمشون مطمئين لنزلنا عليهم من السماء ملكاً رسولا » .

(١٠) البشر : أى موافقين لهم فى صورتهم .

(١١) فى حديث رواه البخارى وغيره : صحيح مسلم : ١٨٥٥

أُمَّتِي خَلِيلًا لَا تَخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا ؛ وَلَكِنَّ أُخُوَّةَ الْإِسْلَامِ ، لَكِنَّ صَاحِبَكُمْ
خَلِيلُ الرَّحْمَنِ (١) .

وكما قال : « تَنَامُ عَيْنَايَ وَلَا يَنَامُ قَلْبِي (٢) » .

وقال (٣) : « إِنِّي لَسْتُ كَهَيْئَتِكُمْ ؛ إِنِّي أَظَلُّ يُطْعَمُنِي رَبِّي وَبَسْتَمِينِي (٤) » .

فبِوَاطِنِهِمْ (٥) مَنْزَهَةٌ عَنِ الْآفَاتِ ، مُطَهَّرَةٌ مِنَ النَّقَائِصِ وَالْاِعْتِلَالَاتِ .

وهذه جملةٌ لَنْ يَكْتَفِيَ بِمَضْمُونِهَا كُلِّ ذِي هِمَّةٍ ؛ بَلِ الْأَكْثَرُ يَحْتَاجُ إِلَى بَسْطِ

وَتَفْصِيلِ عَلَى مَا نَأْتِي بِهِ بَعْدَ هَذَا فِي الْبَابَيْنِ بِعَوْنِ اللَّهِ ؛ وَهُوَ حَسْبِي وَنَعْمَ الْوَكِيلُ :

(١) أخوة الإسلام : أى إن لم يكن خليلي فهو أخى فى محبة الله وفى دين الإسلام لا اشتراك

معى فى محبة الله وطاعته واتباع دينه ، والإخلاص فيه . صاحبكم : يريد النبى نفسه .

(٢) قال الحفاجى : وهذا دليل على أن ظاهره - صلى الله عليه وسلم - بشرى ، وباطنه

ملكى . والحديث فى صحيح البخارى : ٢ - ٦٤

(٣) فى حديث رواه الشيخان فى النهى عن صوم الوصال : صحيح مسلم : ٧٧٤ ، ٧٧٦

(٤) أى يهينى قوة على ذلك ، حتى أكون كأنى أكات وشربت . وليس المراد أنه يطعمه

ويسقيه حقيقة .

(٥) بواطنهم : بواطن الأنبياء .

البَابُ الْأَوَّلُ

فَمَا يَخْتَصُّ بِالْأُمُورِ الدِّينِيَّةِ وَالْكَلَامِ فِي عِصْمَةِ^(١) نَبِيِّنَا

وَسَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ

قال القاضي^(٢) أبو النُّضَلِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : اعْلَمْ أَنَّ الطَّوَارِيءَ مِنَ التَّغْيِيرَاتِ عَلَى أَحَادِ الْبَشَرِ لَا يَخْلُو أَنْ تَطْرَأَ عَلَى جِسْمِهِ ، أَوْ عَلَى حَوَاسِهِ^(٣) بِغَيْرِ قَصْدٍ وَاخْتِيَارٍ ؛ كَالْأَمْرَاضِ وَالْأَسْقَامِ ، أَوْ بِقَصْدٍ وَاخْتِيَارٍ^(٤) ؛ وَكُلُّهُ فِي الْحَقِيقَةِ عَمَلٌ وَفِعْلٌ ؟ وَلَكِنْ جَرَى رِسْمُ الْمَشَايخِ^(٥) بِتَنْصِيهِهِ إِلَى ثَلَاثَةِ أَنْوَاعٍ : عَقْدٌ^(٦) بِالْقَلْبِ ، وَقَوْلٌ^(٧) بِاللِّسَانِ ، وَعَمَلٌ^(٨) بِالْجَوَارِحِ .

وَجَمِيعُ الْبَشَرِ تَطْرَأُ عَلَيْهِمُ الْآفَاتُ وَالتَّغْيِيرَاتُ بِالْإِخْتِيَارِ وَبِغَيْرِ الْإِخْتِيَارِ فِي هَذِهِ الْوُجُوهِ كُلِّهَا .

وَالنَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَإِنْ كَانَ مِنَ الْبَشَرِ ، وَيَجُوزُ عَلَى جِبِلَّتِهِ^(٩) مَا يَجُوزُ عَلَى جِبِلَّةِ الْبَشَرِ ؛ فَتَدَامَتِ الْبَرَاهِينُ الْقَاطِعَةُ ، وَتَمَّتْ كَلِمَةُ الْإِجْمَاعِ عَلَى خُرُوجِهِ عَنْهُمْ ، وَتَنْزِيهِهِ^(٨) عَنْ كَثِيرٍ مِنَ الْآفَاتِ الَّتِي تَقَعُ عَلَى الْإِخْتِيَارِ وَعَلَى غَيْرِ الْإِخْتِيَارِ^(٩) ، كَمَا سَنُبَيِّنُهُ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - فِيمَا يَأْتِي مِنَ التَّفَاصِيلِ .

-
- (١) العِصْمَةُ : تَخْصِيسُ قُدْرَتِهِ بِالطَّاعَةِ دُونَ الْمَعْصِيَةِ ، أَوْ خَلْقُ مَانِعٍ فِيهِ عَنِ الْمَعْصِيَةِ ، لَكِنْ لَا يَبْحِثُ أَنْ يَسْلُبَ إِخْتِيَارَهُ وَيَجْبِرَهُ عَلَى الطَّاعَةِ ؛ بَلْ هِيَ لَطْفٌ مِنَ اللَّهِ يَحْمِلُهُ عَلَى الطَّاعَةِ وَيُزْجِرُهُ عَنِ الْمَعْصِيَةِ ، مَعَ بَقَاءِ الْإِخْتِيَارِ تَحْقِيقًا لِلْإِبْتِلَاءِ وَالتَّكْلِيفِ . (٢) هُوَ الْمُؤَلَّفُ الْقَاضِي عِيَاضُ .
- (٣) حَوَاسِهِ : جَمْعُ حَاسَةٍ ، وَهِيَ مَا يَبْدُرُكَ بِهِ : مِنَ الْبَصَرِ وَالسَّمْعِ وَالتَّمِّ وَاللَّمْسِ وَالدُّوْقِ .
- (٤) كَأَفْعَالِ الْعَبْدِ وَأَعْمَالِهِ . (٥) جَرَى رِسْمُ الْمَشَايخِ : أَي دَأَبُهُمْ .
- (٦) عَقْدٌ بِالْقَلْبِ : نِيَّةٌ وَعِزْمٌ صَادِقٌ . وَقَدْ ضَبَطَتِ الْكَلِمَاتُ الثَّلَاثُ : عَقْدٌ ، وَقَوْلٌ ، وَعَمَلٌ - بِالضَّمِّ وَالسُّكُونِ ، وَعَلَيْهَا كَامَةٌ « مَعَا » . (٧) الْجِبِلَّةُ : الطَّبِيعَةُ وَالخَلْقَةُ الَّتِي خَلَقَ عَلَيْهَا .
- (٨) عَلَى خُرُوجِهِ عَنْهُمْ : أَي خُرُوجِ النَّبِيِّ عَنِ جِنْسِ الْبَشَرِ . وَتَنْزِيهِهِ : أَي بَعْدَهُ .
- (٩) لِتَكْرِيمِ اللَّهِ لَهُ بِالْعِصْمَةِ مِنْ أَمْثَالِهَا .

فصل

في حكم عقْد^(١) قلبِ النبيِّ صلى اللهُ عليه وسلم مِنْ وَقْتِ نُبُوَّتِهِ
اعلم ، منحَحًا اللهُ وإياكَ توفيقَه ، أنَّ ما تعلقَ منه^(٢) بطريقِ التوحيدِ ، والعِلْمِ باللهِ
وصفاته ، والإيمانِ به ، وبما أوحىَ إليه - فعلى غايةِ المعرفةِ^(٣) ، ووُضوحِ العِلْمِ
واليقينِ ، والانتفاءِ عن الجَهْلِ بشيءٍ مِنْ ذلك ، أو الشكِّ أو الرِّيبِ فيه ، والعصمةِ
من كلِّ ما يُضادُّ المعرفةَ بذلك واليقينَ .

هذا ما وقع لإجماعِ المسلمين عليه ، ولا يصحُّ بالبراهين الواضحةِ أن يكونَ
في عقودِ الأنبياءِ سِوَاهُ^(٤) ؛ ولا يُمتَرَضُ على هذا بقولِ إبراهيم عليه السلام^(٥) :
﴿ قال : بلى ، وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ﴾ ؛ إذ لم يشكِّ إبراهيمُ في إخبارِ اللهِ تعالى له
بإحياءِ المَوْتَى ، وَلَكِنْ أَرَادَ طَمَأْنِينَةً^(٦) القلبِ ، وتركَّ المنازعةَ^(٧) لمشاهدةِ الإحياءِ ؛
فحصل له العِلْمُ الأوَّلُ بوقوعه^(٨) ، وأراد العِلْمُ الثاني بكيفيته ومشاهدته^(٩) .

(١) المراد بعقد قلبه : ما انعقد عليه اعتقاده وجزم به بما ثبت عنه يقيناً . فمقد القلب هو
الاعتقاد الجازم الذي لا يحتمل النقيض أصلاً .

(٢) منه : من عقد قلب النبي ، أى اعتقاده وعلمه الجازم الذي اتصف به بعد نبوته .

(٣) فعلى غاية المعرفة : يعنى أن علم الأنبياء التعلق بأصول الدين والمقائد وصل إلى النهاية
والنفاية التي لا يصل إليها سواهم .

(٤) عقود الأنبياء : عقائدهم التي ارتبطت عليها قلوبهم .

(٥) سورة البقرة ، آية ٢٦٠

(٦) قال الخفاجى : قال الراغب : الاطمئنى : السكون بعد الاتزعاج ، فطمأنته زوال

قلقه واتزعاجه من أمر ما . (٧) وترك المنازعة : ترك القلق .

(٨) فحصل له العلم الأول : يتيقن وقوعه من الله إجمالاً من غير شبهة فيه .

(٩) ومشاهدته : أى مشاهدة صدوره عن الله تفصيلاً ، ليزيدعلمه واطمئنانه؛ لا أنه شك

فيه ؛ أى إنه لم يشك ولم يجهل ، وإنما أراد الانتقال من علم اليقين إلى عين اليقين .

الوجه الثاني^(١) : أن إبراهيم عليه السلام إنما أراد اختبار [١٨١] منزلته عند ربه ، وعلم إجابته دعوته بسؤال ذلك من ربه ؛ ويكون قوله تعالى^(٢) : ﴿أولم تؤمن﴾ ؛ أي تصدق بمنزلتك مني ، وخُلتك^(٣) ، واصطفائك ؟

الوجه الثالث - أنه سأل زيادة يقين وقوة طمأنينة ، وإن لم يكن في^(٤) الأول شك ؛ إذ العلوم الضرورية والنظرية^(٥) قد تتفاضل في قوتها ، وطريان^(٦) الشكوك على الضروريات ممتنع ؛ ومجوز^(٧) في النظريات ؛ فأراد الانتقال من النظر والخبر إلى المشاهدة والترقي من علم اليقين إلى عين اليقين^(٨) ؛ فليس الخبر كالمأينة ؛ ولهذا قال سهل بن عبد الله : سأل كشف غطاء العيان ليزداد بنور اليقين تمكنا في حاله .

الوجه الرابع - أنه لما احتج على المشركين بأن ربه يحيي ويميت طلب ذلك^(٩) من ربه ، ليصح احتجاجه عيانا^(١٠) .

(١) الوجه الثاني في جواب الاعتراض على ما وقع من الخليل إبراهيم .

(٢) سورة البقرة ، آية ٢٦٠

(٣) وخلتك : أي تخاذك خليلا . واصطفائك : واختيارك على غيرك تشريفا وتكريما لك .

(٤) في الأول : في علمه الأول الذي كان قبل المشاهدة .

(٥) العلوم الضرورية : التي تحصل من غير استدلال لظهورها . والعلوم النظرية : التي

تتوقف على نظر واستدلال لسكونها غير بديهية . (٦) وطريان : ووقوع .

(٧) يعني أن علم الخليل بذلك أولا كان نظريات يقينا لاشبهة فيه ، ولكن النظريات من

شأنها أنها تختمل الشكوك ؛ فأراد الانتقال إلى رتبة أعلى منها يكون علمه بقدره الله على الإحياء

ضروريا فيها لا يَحتمل خلافه أصلا ليطمئن قلبه بذلك فقط .

(٨) من النظر : من العلم الحاصل من البرهان القطعي اليقيني الذي لا يحتمل النقيض ، أو

الخبر الصادق بالوحى إليه الذي لا شك فيه إلى المشاهدة والنظر بعينه . والترقي ؛ أي الصعود ،

من علم اليقين الحاصل بالنظر أو الخبر ، إلى عين اليقين الحاصل بمشاهدته عيانا .

(٩) طلب ذلك : أي سأل ربه الإحياء وكيفيته .

(١٠) عيانا : مشاهدة ، ليقطع عنادهم ، ويبطل شكوكهم ، وهو في نفسه غير متردد فيه .

الوجه الخامس - قول بعضهم: هو سؤالٌ على طريقِ الادب؛ والمرادُ: أقدرني على إحياء^(١) الموتى، وقوله: ﴿ليطمئن قلبي﴾ - عن هذه الأمنية .
الوجه السادس - أنه أرى من نفسه^(٢) الشكَّ ، وما شكَّ ، لكن ليُجَابَوبَ فيزداد قرُبُهُ^(٣) .

وقولُ نبينا : نحن أحقُّ بالشكِّ من إبراهيم^(٤) - نفى لأن يكون إبراهيم شكَّ ، وإبعادُ للخواطر الضعيفة^(٥) أن تظنَّ هذا بإبراهيم؛ أي نحن موقنون بالبعث، وإحياءِ الله الموتى؛ فلو شكَّ إبراهيمُ لكُنَّا أولى بالشكِّ منه؛ إماماً على طريقِ الأدب ، أو أن يريدَ أُمَّتَهُ الذين يجوزُ عليهم الشكُّ ، أو على طريقِ التواضع والإشفاق^(٦) إن حَمَلتَ قصةَ إبراهيمَ على اختبارِ حالِهِ ، أو زيادةٍ يقينه .

فإن قلتَ : فما معنى قوله^(٧) : ﴿فإن كُنتَ في شكٍّ مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرءون الكتابَ من قبلك لقد جاءك الحقُّ من ربِّك فلا تكوننَّ من المُمترين . ولا تكوننَّ من الذين كذبوا بآياتِ الله فتكون من الخاسرين﴾ .

(١) ليكون معجزة له .

(٢) أرى من نفسه : أى أظهر لغيره من نفسه الشك .

(٣) فيزداد قربه من الله حال مناجاته له وتلذذه بمخاطبه وشرفه بقرب منزلته عنده لاعتنائه

بإجابته .

(٤) في صحيح مسلم (١٨٣٩) : عن أبي هريرة أن رسول الله قال : نحن أحقُّ بالشكِّ من

إبراهيم إذ قال : رب أرني كيف تحيي الموتى . قال : أو لم تؤمن؟ قال : بلى ولكن ليطمئن قلبي .

(٥) قال الحفاجي : وحاصله أنه صلى الله عليه وسلم قصد نفي الشك عنه يبرهان قوى وقياس

منطقي ، تقريره : لو شكَّ إبراهيم كنت أنا شاكا أيضا ؛ بل أحق وأولى به ؛ لأنه لا يجوز على

غيري من الأنبياء ، وما كنت بدعا من الرسل ؛ وقد علم أني لم يقع مني شك ، فكذلك إبراهيم

أيضا ؛ فنفاه بنى لازمه ، إلا أنه صلى الله عليه وسلم أفضل من إبراهيم .

(٦) والإشفاق : أى الخوف من أن يبتلى بما ابتلى به .

(٧) سورة يونس ، آية ٩٤ ، ٩٥

فاحذر - ثَبَّتَ اللهُ قَلْبَكَ - أَنْ يَخْطُرَ بِبَالِكَ مَا ذَكَرَهُ بَعْضُ الْمَفْسَّرِينَ ، عَنْ
ابن عباس أو غيره - مِنْ إِثْبَاتِ شَكِّ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا أُوحِيَ إِلَيْهِ ، وَأَنَّهُ
مِنَ الْبَشَرِ ^(١) ؛ فَمَنْ لَمْ يَجُوزْ عَلَيْهِ جَمَلَةٌ ؛ بَلْ قَدْ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَغَيْرُهُ : لَمْ يَشْكُ
النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَلَمْ يَسْأَلْ ^(٢) .

ونحوه عن ابن جبير ، وَالْحَسَنَ ^(٣) .

وَحِكَى قَتَادَةُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « مَا أَشْكُ وَلَا أَسْأَلُ ، وَعَامَّةُ
الْمَفْسَّرِينَ عَلَى هَذَا ^(٤) » .

وَاخْتَلَفُوا فِي مَعْنَى الْآيَةِ : فَقِيلَ : الْمُرَادُ قَوْلُ يَأْمُرُكَ ^(٥) : ﴿ إِنْ كُنْتُ
فِي شَكٍّ . . . ﴾ الْآيَةِ .

قَالُوا : وَفِي السُّورَةِ نَفْسِهَا مَا دَلَّ عَلَى هَذَا التَّأْوِيلِ قَوْلُهُ ^(٦) : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ
إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ، وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ
الَّذِي يَقِفُكُمْ وَأَمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ .

وَقِيلَ : الْمُرَادُ بِالْخُطَابِ الْعَرَبُ وَغَيْرُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، كَمَا قَالَ ^(٧) :
﴿ أَنْتُمْ أَشْرَكْتُمْ لِيَخْبَطَنَّ عَمَلُكُمْ وَلِتَكُونَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ - الْخُطَابُ لَهُ ،
وَالْمُرَادُ غَيْرُهُ .

(١) فيطراً عليه صلى الله عليه وسلم ما يطراً عليهم .

(٢) ولم يسأل أحداً من أهل الكتاب . وفي ١ : ولم يسأل .

(٣) هو الحسن البصري .

(٤) على هذا : أى متفقون على أنه ليس المراد أنه شك أو سؤال .

(٥) سورة يونس ، آية ٩٤ ، وقد تقدمت .

(٦) سورة يونس ، آية ١٠٤ (٧) سورة الزمر ، آية ٦٥

ومثله^(١) : ﴿ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ^(٢) مِمَّا يَمْبُدُ هَؤُلَاءِ^(٣) ﴾ ؛ ونظيره كثير .
 قال بكر بن العلاء : أَلَا تَرَاهُ يَقُولُ^(٤) : ﴿ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَبُوا
 بآيَاتِ اللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ ؟ وهو صلى الله عليه وسلم كان المكذب فيما
 يدعُو إليه ؛ فكيف يكون ممن كذب به ؟
 فهذا كله يدلُّ على أنَّ المراد بالخطاب غيره .
 ومثله هذه الآية قوله^(٥) : ﴿ الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا ﴾ - المأمورُ ها هنا غَيْرُ
 النبيِّ صلى الله عليه وسلم ، ليسألَ النبيَّ ، والنبيُّ صلى الله عليه وسلم هو [١٨٢]
 الْخَبِيرُ الْمَسْئُولُ ، لا الْمَسْتَجِبُ السَّائِلُ .
 وقال^(٦) : إن هذا الشكَّ الذي أمر به غَيْرُ النبيِّ صلى الله عليه وسلم بسؤال
 الذين يقرءون الكتاب إنما هو فيما قصه اللهُ من أخبار الأمم ، لا فيما دعا إليه من
 التوحيد والشريعة^(٧) .

ومثله هذا قوله تعالى^(٨) : ﴿ وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا : أَجَعَلْنَا
 مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ ﴾ ؟ المراد^(٩) به المشركون ، والخطابُ مواجهة^(١٠) للنبيِّ

(١) سورة هود ، آية ١٠٩ (٢) في مريّة : في شك وريب .

(٣) مما يعبد هؤلاء : أى لا تشك في أنه ضلال باطل مؤد إلى العذاب الشديد .

(٤) سورة يونس ، آية ٩٥ (٥) سورة الفرقان ، آية ٥٩

(٦) وقال : أى بكر بن العلاء . وقوله هذا في آية : فإن كنت في شك . . .

(٧) والشريعة : التى شرعها على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم ، وبلغها لهم ، وأمرهم باتباعها ؛

فإن هذا أمر لا تندفع شبهة المشركين فيه بسؤال أهل الكتاب ؛ وإنما تندفع بالبراهين

والمعجزات الباهرة . (٨) سورة الزخرف ، آية ٤٥

(٩) المراد به ؛ أى بالسؤال . المشركون للوجودون من أهمهم لاستحالة سؤاله من مضى

منهم . والمعنى : أسأل من ألفت من أهمهم : أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون - بالاستفهام

الإنسكارى التكدبى . (١٠) مواجهة للنبي : لأمره به ظاهرا ، والقصود غيره من المشركين .

صلى الله عليه وسلم ؛ قاله العُتبي^(١) .
وقيل معناه : سَلْنَا عَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ ؛ فَحُذِفِ الْخَافِضُ^(٢) ، وَتَمَّ
الْكَلَامُ ؛ ثُمَّ ابْتَدَأَ : ﴿ أَجْعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ . . . ﴾ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ ، عَلَى طَرِيقِ
الْإِنْكَارِ ؛ أَيْ مَا جَعَلْنَا ؛ حَكَاهُ مَكِّي .

وقيل : أَمِيرُ الْعَبِيٍّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَسْأَلَ الْأَنْبِيَاءَ لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ عَنْ ذَلِكَ ؛
فَكَانَ أَشَدَّ يَقِينًا مِنْ أَنْ يَحْتَاجَ إِلَى السُّؤَالِ .

فَرُؤَى أَنَّهُ قَالَ : لَا أَسْأَلُ ؛ قَدْ اكْتَفَيْتُ^(٣) ؛ قَالَ ابْنُ زَيْدٍ .

وقيل : سَلَّ أُمَّمَ مَنْ أَرْسَلْنَا ؛ هَلْ جَاءَهُمْ بِغَيْرِ التَّوْحِيدِ ؟ وَهُوَ مَعْنَى قَوْلِ
مُجَاهِدٍ ، وَالشَّدَى ، وَالضَّحَاكُ ، وَقَتَادَةَ .

والمُرَادُ بِهَذَا وَالَّذِي قَبْلَهُ إِعْلَامُهُ بِمَا بُعِثَتْ بِهِ الرُّسُلُ ، وَأَنَّهُ تَعَالَى لَمْ يَأْذَنْ
فِي عِبَادَةٍ غَيْرِهِ لِأَحَدٍ ؛ رَدًّا عَلَى مُشْرِكِي الْعَرَبِ وَغَيْرِهِمْ ؛ فِي قَوْلِهِمْ^(٤) : إِنَّمَا نَعْبُدُهُمْ
لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى^(٥) .

وكذلك قوله تعالى^(٦) : ﴿ وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْلَهُونَ أَنَّهُ مَنْزَلٌ مِنْ
رَبِّكَ بِالْحَقِّ ، فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴾ ؛ أَيْ فِي عِلْمِهِمْ بِأَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ ، وَإِنْ لَمْ
يُقَرِّبُوا بِذَلِكَ ؛ وَلَيْسَ الْمُرَادُ بِهِ شَكُّهُ فِيمَا ذَكَرَ فِي أَوَّلِ الْآيَةِ^(٧) .

(١) هذا الضبط في ا ، ب . وفي هامش ب : القتي - بالقاف . (٢) الخافض : هو عن .

(٣) قال الخفاجي : وليس فيه مخالفة لأمر الله بالسؤال ؛ لأنه ليس أمر إيجاب ؛ بل إظهار

لعله وشدة يقينه .

(٤) إشارة إلى مافي سورة الزمر ، آية ٣ ، والتلاوة في الآية : ما نصبهم لإليقربونا . . .

(٥) زلفى : قربي . (٦) سورة الأنعام ، آية ١١٤

(٧) أى آية : فإن كنت في شك ؛ إذ المراد به هنا شكهم في كونه رسول الله ، وهناك

الشك فيما أنزل الله تعالى . ولم يقع شك منه صلى الله عليه وسلم . أو المعنى لا يمكن عندك شك ؛

فالمراد ظاهرا نهييه عن الشك ، والمراد نهي غيره ؛ كقوله تعالى : قل يأها الناس إن كنتم في

شك من ديني . . .

وقد يكون^(١) أيضا على مثل ما تقدم^(٢) ؛ أى قل يا محمد لئن أمّرتى فى ذلك : لا تكوننّ من الممتريّن ، بدليل قوله أول الآية : ﴿ أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا ﴾^(٣) ، وهو الذى أنزل إليكم الكتاب مفضلا والذين آتيناكم الكتاب يعلمون أنه منزلٌ من ربك بالحق ، فلا تكوننّ من الممتريّن ؛ وأن النبىّ صلى الله عليه وسلم يخاطبُ بذلك غيره .

وقيل : هو تقرير ؛ كقوله تعالى^(٤) : ﴿ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيِّهِمِ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ - وقد علم أنه لم يقل .

وقيل : معناه ما كنت فى شكّ فاسأل^(٥) تزدّد طمأنينةً وعِلْمًا إلى علمك وبيعتك .
وقيل : إن كنت تشكّ فيما شرّفناك وفضلناك به فسلمهم عن صفتك فى الكتب ونشر^(٦) فضائلك .

وحكى عن أبى عبيدة أن المراد : إن كنت فى شكّ من غيرك فيما أنزلناه^(٧) .
فإن قيل : فامعنى قوله^(٨) : ﴿ حتى إذا استنّاسَ الرّسلُ وظنّوا أنهم قد كذّبوا ﴾ - على قراءة التخفيف ؟

(١) أى قوله تعالى : فلا تكونن من الممتريّن .

(٢) على مثل ما تقدم ؛ أى على طريقته فى التأويل السابق بأن يكون الخطاب له صلى الله عليه وسلم والقصود غيره .

(٣) أى لا أريد حاكما غير الله يحكم بينى وبينكم يميز الحق والمبطل ؛ فهذا صريح فى أنه صلى الله عليه وسلم مبرا عن الشك والريب .
(٤) سورة المائدة ، آية ١١٦

(٥) فى ١ : فسل : أى اسأل الذين يقرءون الكتاب لعلهم بصحة ما أنزل إليك من ربك .

(٦) ونشر فضائلك : ما انتشر فيها وشاع من فضائلك التى فضلك الله بها على غيرك من الرسل .

(٧) من غيرك : من اعتقاد غيرك ؛ فيما أنزلناه عليك من الحق المنقذ من الضلال فاسأل

الذين يقرءون الكتاب حتى يجبروك بما عندهم فيه . وأبو عبيدة : هو معمر بن النخعي من أكابر أئمة اللغة . توفي سنة عشر ومائتين .
(٨) سورة يوسف آية ١١٠

قلنا : المعنى فى ذلك ما قالته عائشة رَضِيَ اللهُ عنها : معاذ الله^(١) أن تظنَّ ذلك الرسل^(٢) ربَّها ؛ وإنما معنى ذلك أن الرسلَ لما استَيَّأَسُوا ظنُّوا أن مَنْ وعدم النصرَ مِنْ أتباعهم كذبوم^(٣) ؛ وعلى هذا أكثرُ المفسرين .

وقيل : إن الضمير فى « ظنُّوا » عائد على الأتباع والأمم ، لا على الأنبياء والرسل ؛ وهو قولُ ابن عباس ، والنخعى ، وابن جُبَيْر ، وجماعة من العلماء .

وبهذا المعنى قرأ مجاهد « كَذَّبُوا » - بالفتح ؛ فلا تَشغَلْ بالكَ من شاذ^(٤) التفسير بسواه مما^(٥) لا يليق بمنصب العلماء ، فكيف بالأنبياء !

وكذلك^(٦) ما وُردَ فى حديث السيرة ، ومُبتدأ الوحي ؛ من قوله صلى اللهُ عليه وسلم لخديجة : « لقد خَشِيتُ على نفسى^(٧) » - ليس معناه الشكَّ فيما آتاه اللهُ بعد رؤية الملك ؛ ولكن لعله خَشِيَ ألاَّ تحمِلَ قُوَّتُه مقاومةَ الملك^(٨) [١٨٣] وأغبياء الوحي ، فينخَلِج قلبه ، أو تزهُق^(٩) نفسه .

-
- (١) معاذ الله : أزهه الله ، وأبرئه .
- (٢) أى أن تظن أن الله أخلفهم ما وعدهم به .
- (٣) كذبوم : أخافوا ما وعدوا رسالهم به من نصرهم على عدوهم ؛ فليس يأسهم وظنهم التكذيب معناه اليأس من نصر الله .
- (٤) شاذ التفسير : غريبه مما لم يشتهر .
- (٥) فى ١ : بما . . .
- (٦) وكذلك : أى مثل ما ذكر مما ظاهره الشك فيما جاءه من الوحي وهو مؤول . أو مثل قوله : استيأس الرسل . . .
- (٧) لقد خَشِيتُ على نفسى : خفت عليها ؛ فإن ظاهره أنه شك فى أنه وحى آتاه به الملك ؛ لأن مثله - صلى اللهُ عليه وسلم - لا يخشى . والخبر فى صحيح مسلم : ١٤١
- (٨) مقاومة الملك : مقاباته ، وألا يقوم بحقه ومكالته .
- (٩) تزهُق نفسه : تخرج روجه من فزعه وخوفه .

وهذا على ما ورد في الصحيح : أنه قاله بعد لقائه الملك ؛ أو يكون ذلك قبل تقيّاه^(١) وإعلام الله تعالى له بالنبوة لأول ما عرضت عليه من العجائب^(٢) ، وسلم عليه الحجر والشجر^(٣) ، وبدأته المنامات والتبشير^(٤) ؛ كما روى في بعض طرق هذا^(٥) الحديث : إن ذلك كان أولاً في المنام ، ثم أرى في اليقظة مثل ذلك ؛ تأنيساً له عليه السلام ؛ ثملاً يفتجأه الأمر مشاهدة ومشاهدة ؛ فلا تحتمله لأول حالة بنية البشرية^(٦) .

وفي الصحيح عن عائشة رضي الله عنها : « أول ما بُدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصادقة^(٧) ؛ قالت : ثم حُببَ إليه الخلاء^(٨) ؛ وقالت :

(١) في ١ : لقائه الملك . والمثبت في ب .

(٢) من العجائب : من الأمور الخارقة للمادة .

(٣) في صحيح مسلم ، من حديث جابر بن سمرة ، قال : إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم على قبل أن أبعث ، إني لأعرفه الآن . والحديث في سنن الترمذي أيضاً : ٥ - ٥٩٣ ، ورواه ابن إسحاق في سيرة ابن هشام : ١ - ٢٥٣ .

(٤) المنامات : ما كان يراه النبي صلى الله عليه وسلم في أول أمره في النوم ، فكان لا يرى مناما إلا جاء مثل فلق الصبح . ورؤيا الأنبياء قسم من الوحي . والتبشير : العلامات المبشرة له صلى الله عليه وسلم بالنبوة والمقدمات الدالة على النتائج .

(٥) أي حديث مبتدأ الوحي : وهو في البخاري : ٦ - ٢١٤ ، وصحيح مسلم : ١٤١ .

(٦) بنية البشرية ؛ أي الإنسان ؛ فإنه لا يطبق رؤية الملائكة ابتداء . قال الحفاجي : وهذا إشارة إلى حديث البخاري من أنه صلى الله عليه وسلم كان في أول أمره يجاور في كل سنة شهراً في غار حراء يتعبد فيه ، وكان ذلك عادة قريش ، فإذا انصرف صلى الله عليه وسلم منه طاف بالبيت ورجع لبيته ؛ فكان يرى في منامه ما يرى ، ثم جاءه جبريل . . .

(٧) فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت كفلق الصبح ، وهكذا رؤيا الأنبياء عليهم والسلام ،

فإنها قسم من الوحي - كما تقدم . وحديث عائشة في صحيح البخاري : ٦ - ٢١٤ .

(٨) أي الانفراد عن الناس ، ليفرغ قلبه مما سوى الله ليتمكن الوحي منه إذا أتاه

فيصادف قلباً خالياً متمكناً .

إلى أن جاءه الحق^(١) وهو في غار حراء^(٢) . . . الحديث .

وعن ابن عباس^(٣) : « مكث النبي صلى الله عليه وسلم بمكة خمس عشرة سنة يسمع الصوت ، ويرى الضوء^(٤) سبع سنين ولا يرى شيئاً ؛ وثمان سنين يُوحى إليه .

وقد روى ابن إسحاق عن بعضهم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال - وذَكَرَ جِوَارَهُ^(٥) بغار حراء ؛ قال : « فجاءني وأنا نائم فقال : اقرأ ، فقلتُ : ما أقرأ ؟ وذكر نحو حديث عائشة في غطّه^(٦) له وإقرائه [إياه]^(٧) : ﴿ اقرأ باسم ربك . . . ﴾ السورة - [ثلاثاً]^(٧) .

قال : فأنصرف عني ، وهببت^(٨) من نومي كأنما صوّرت^(٩) في قلبي ، ولم يكن أبقض إلى من شاعرٍ أو مجنون^(١٠) .

(١) الحق : أى الوحي الذى تحققه ورآه عياناً .

(٢) غار حراء : بينه وبين مكة ثلاثة أميال على يسار السائر لى .

(٣) رواه ابن سعد عنه .

(٤) يسمع الصوت : يسمع صوت ملك يناديه ولا يراه . ويرى الضوء : أى نور الملك من

غير رؤية ذاته ؛ لأن الملائكة أنوار مجردة .

(٥) جواره : مجاورته ، واعتكافه ، وإقامته متمبداً بغار حراء .

(٦) غطه له : شدة ضمه ليمصرفه عن الدنيا ويوقظه لما يلقيه له .

(٧) ما بين القوسين ليس فى ب . والخبر فى سيرة ابن هشام : ١ - ٢٥٥

(٨) هب من نومه : استيقظ .

(٩) صوّرت فى قلبه : مثلت السورة فى قلبه لحفظها .

(١٠) من شاعرٍ أو مجنون : أى من أن يقال لى شاعرٍ أو مجنون .

قال الخفاجى : وإنما بنقض هذا إليه ؛ لأنه إذا أخبر قريشاً أنه جاءه ملك بوحي يتلوه عليهم -

فإنهم من يقول إنه شاعر ، ومنهم من يقول : إنه مجنون .

ثم قلت : لا تَحَدِّثْ عَنِّي قَرِيشَ بهذا أبدأ ؛ لأَعْمِدَنَّ إِلَى حَالِقِ هَذَا الْجَبَلِ
فَلَأَطْرَحَنَّ (١) نَفْسِي مِنْهُ ، فَلَأَقْتَلَنَّهَا (١) .

فبينما أنا عامدٌ (٢) لذلك إذ سمعتُ مُنَادِيًا يُنَادِي مِنَ السَّمَاءِ : يَا مُحَمَّدُ ؛ أَنْتَ
رَسُولُ اللَّهِ ، وَأَنَا جَبْرِيْلُ ؛ فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا جَبْرِيْلُ عَلَى صُورَةِ رَجُلٍ (٣) . . .
وذكر الحديثَ .

فقد بين لك في هذا أن قوله لِمَا قَالَ ، وَقَصْدَهُ لِمَا قَصَدَ ، إِنَّمَا كَانَ قَبْلَ لِقَاءِ
جَبْرِيْلَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ، وَقَبْلَ إِعْلَامِ اللَّهِ تَعَالَى لَهُ بِالنَّبُوَّةِ ، وَإِظْهَارِهِ اصْطِفَاءَهُ لَهُ
بِالرِّسَالَةِ (٤) .

ومثله حديثُ عَمْرُو بْنِ شُرْحَبِيْلٍ (٥) - أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَخَدِيْجَةَ : «إِنِّي
إِذَا خَلَوْتُ وَخَدِيْ سَمِعْتُ نِدَاءً ، وَقَدْ خَشَيْتُ - وَاللَّهِ - أَنْ يَكُونَ هَذَا لِأَمْرٍ (٦) » .

ومن رواية حَمَادِ بْنِ سَلَمَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَخَدِيْجَةَ : «إِنِّي
لَأَسْمَعُ صَوْتًا ، وَأَرَى ضَوْأً ، وَأَخْشَى أَنْ يَكُونَ بِي جُنُونٌ (٧) » .

(١) لأعمدن : لأقصدن . حالق الجبل : المكان المرتفع منه . وفي هامش ب : الحالق :
الجبل المرتفع . فلأقتلنها برميها من الجبل حتى لا ييلنني ما يتحدثون به من أني شاعر أو مجنون
إذا بلنهم ماجرى لي .

(٢) عامد لذلك : قاصد لإلقاء نفسي من أعلى الجبل لأهلكها حتى لا أسمع ما قد يتحدثون
به في حقي . قال الخفاجي : وهذا كان هاجسا خطر على قلبه صلى الله عليه وسلم لشدة حميته
وغيرته على عرضه .

(٣) ممثلا بصورة غير صورته الحقيقية حتى لا يهوله في ابتداء أمره . والخبر في سيرة
ابن هشام : ١ - ٢٥٥

(٤) قال الخفاجي : أما بعد ذلك فلا ؛ فإنه حينئذ لا يخشى أحدا ، ولا يتوهم شيئا يضيق
به صدره . (٥) رواه البيهقي .

(٦) لأمر بصيبي مما لم أحظ به خبرا . قال الخفاجي : فقالت له : ما كان الله ليفعل بك ذلك ،
فوالله إنك لتؤدى الأمانة ، وتصل الرحم ، وتصدق الحديث ؛ فثلك لا يخشى أمرا شيطانيا .
(٧) وهذا كله قبل ظهور الأمر له صلى الله عليه وسلم . ورواية حماد بن سلمة رواها الطبراني .

وعلى هذا يُتأَوَّلُ لو صَحَّ قوله في بعض هذه الأحاديث : إنَّ الأبعدَ شاعرٌ
أو مجنونٌ ؛ وألفاظُ يُفهمُ منها معاني الشكِّ في تصحيح ما رآه ؛ وأنه كان كَلَمَةً
في ابتداء أمره ، وقبل لقاء المَلَكِ له ، وإعلامِ اللهُ أَنه رسوله ؛ فكيف وبعضُ هذه
الألفاظ لا تصحُّ طُرُقُهَا^(١) .

وأما بعدَ إعلامِ اللهُ تعالى له ولقائه المَلَكِ فلا يصحُّ فيه رَبِّبٌ ، ولا يجوز عليه
شكٌّ فيما أُلقيَ إليه .

وقد رَوَى ابنُ إسحاق عن شيوخه أَنَّ رسولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلم كان
يُرْفِقِي^(٢) بِمَكَّةَ من العَيْنِ قبل أن يُنزلَ عليه ، فلما نزل عليه القرآن أصابه نحوه
ما كان يُصِيبُهُ ؛ فقالت له خديجة : أوجَّهْ إليك من يَرْفِيقُكَ ؟ قال : أمَّا الآن فلا^(٣) .

وحديثُ خديجة واختبارُها أمرَ جبريلَ بِكشْفِ رَأْسِهَا^(٤) . . . الحديث -
إنما^(٥) ذلك في حق خديجة لتتحقق صِحَّةُ نبوَّةِ رسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلم ، وأنَّ
الذي يأتيه [١٨٤] مَلَكٌ ، ويزولُ الشكُّ عنها ، لا أنها فعلت ذلك للنبيِّ صَلَّى اللهُ
عليه وسلم ، وليختبرَ هو حاله بذلك .

(١) طرقها : أى أسانيدُها .

(٢) من الرقية المعروفة ؛ أى صيانة له من إصابة العين .

(٣) أى إن أردت أن ترفقني الآن فلا تفعل ذلك ؛ أى لا حاجة لي بالرقى بعد نزول القرآن ؛

فإنه شفاء من كل داء .

(٤) لأن المَلَكَ لا يدخل بيتا فيه عورة مكشوفة ؛ والمرأة الحرة بدنُها كاه عورة . وكانت قد

قالت له صلى اللهُ عليه وسلم : إذا أتاك جبريل فأخبرني به . فلما أتاه وأخبرها كشفت رأسها فرجع ،

فعلت أنه ملك ؛ لأنه لو كان شيطاناً دخل البيت . والخبر في سيرة ابن هشام : ١ - ٢٥٧

(٥) إنما ذلك الاختبار والشك والتردد واقع في حق خديجة ، وليس صادرا منه صلى اللهُ

عليه وسلم حتى يتوهم شك في نزول المَلَكِ عليه .

بل قد وردَ في حديثِ عَبْدِ اللَّهِ بنِ مُحَمَّدِ بنِ يَحْيَى بنِ عُرْوَةَ ، عن هشام ، عن أبيه ، عن عائشة - أن ورقة أمر خديجة أن تخبر الأمر بذلك^(١) .

وفي حديث إسماعيل بن أبي حَكِيم أنها قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم : « يَا بَنَ عَمٍّ^(٢) ؛ هل تستطيع أن تخبرني بصاحبك إذا جاءك ؟ قال : نعم ؛ فلما جاءه جبريل أخبرها ، فقالت له : اجلس إلى شقي^(٣) . . . » وذكر الحديث إلى آخره ؛ وفيه : فقالت : ما هذا بشيطان ؛ هذا الملك يا بنَ عمٍّ ؛ فائتبت وأبشرت ، وآمنت به .

فهذا يدل على أنها مُسْتَشْبِهَةٌ بما فعلته لنفسها ، ومستظاهرة لإيمانها ، لا للنبي صلى الله عليه وسلم^(٤) .

وقول^(٥) مَعْمَرٍ فِي قَتْرَةِ^(٦) الْوَحْيِ : فَحَزَنَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا بَلَّغْنَا حُزْنَ غَدَا مِنْهُ^(٧) مِرَارًا كَادَ يَتَرَدَّى مِنْ شَوَاهِقِ الْجِبَالِ^(٨) - لَا يَقْدَحُ فِي هَذَا الْأَصْلِ^(٩) ، لقول مَعْمَرٍ عَنْهُ فِيمَا بَلَّغْنَا ، وَلَمْ يُسْنِدْهُ ، وَلَا ذَكَرَ رِوَايَتَهُ^(١٠) ، وَلَا مَنْ

(١) بذلك : بكشف رأسها إذا أتاه وهو عندها وفي ب : تختبر .

(٢) هو ابن عم خديجة لاجتماع نسبهما في قصي . والخبر في سيرة ابن هشام : ١ - ٢٥٧ .

(٣) إلى شقي : أي يجنبي ، ملاصقا لي . وفي سيرة ابن هشام : اجلس على نخذي اليمنى .

(٤) لأنه لاشبهة عنده ولا تردد أصلا .

(٥) أي وما يوم وقوع ما تزهه عنه قول مَعْمَرٍ . هو مَعْمَرُ بنِ رَاشِدِ سَكَنِ الْيَمَنِ . وقد روى

هذا القول الإمام أحمد ، والبيهقي .

(٦) قتره الوحى : انقطاعه في ابتداء أمره .

(٧) غدا منه : أي ذهب ومشى بسبب حزنه كي يتردى ويلقى نفسه .

(٨) شواهد الجبال : أعاليها .

(٩) لا يقدح : لا يطمئن فيما قلناه ولا يضره . في هذا الأصل : في هذه القضية الكلية

من أنه في غاية اليقين لأمر الوحى والتوحيد .

(١٠) روايته ، رواية ، وعليها « معا » في ب .

حدّث به ، وَلَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَهُ ؛ وَلَا يُعْرَفُ مِثْلُ هَذَا إِلَّا مِنْ جِهَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، مَعَ أَنَّهُ قَدْ يُحْتَمَلُ عَلَى أَنَّهُ كَانَ أَوَّلَ الْأَمْرِ ^(١) كَمَا ذَكَرْنَا ؛ أَوْ أَنَّهُ فَعَلَ ذَلِكَ لِمَا أَخْرَجَهُ ^(٢) مِنْ تَكْذِيبِ مَنْ بَلَّغَهُ ، كَمَا قَالَ تَعَالَى ^(٣) : ﴿ فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا ﴾ .

وَيُصَحِّحُ مَعْنَى هَذَا التَّوَابِلُ حَدِيثُ رَوَاهُ شَرِيكٌ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَقِيلٍ ^(٤) ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ - أَنَّ الْمُشْرِكِينَ لَمَّا اجْتَمَعُوا بِدَارِ النَّدْوَةِ ^(٥) لِلتَّشَاوُرِ فِي شَأْنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَاتَّفَقَ رَأْيُهُمْ عَلَى أَنْ يَقُولُوا : إِنَّهُ سَاحِرٌ - اشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَيْهِ ، وَتَزَمَّلَ فِي ثِيَابِهِ ، وَتَدَثَّرَ فِيهَا ^(٦) ؛ فَأَتَاهُ جَبْرِيلُ فَقَالَ : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمَزْمَلُ ﴾ ﴿ يَا أَيُّهَا اللَّدَثَّرُ ﴾ .

أَوْ خَافَ أَنْ الْفِتْرَةَ ^(٧) لِأَمْرِ أَوْ سَبَبٍ مِنْهُ ، فَخَشِيَ أَنْ تَكُونَ عِقَابًا مِنْ رَبِّهِ ، فَعَمِلَ ذَلِكَ بِنَفْسِهِ ، وَلَمْ يَرِدْ بَعْدُ شَرْعٌ بِالنَّبِيِّ عَنْ ذَلِكَ ، فَيُعْتَرَضُ بِهِ ^(٨) .

(١) أول الأمر : في أول أمره من قبل أن يلقاه جبريل ، ويعلمه بأنه رسول الله ، وأنه أوحى إليه ، ويتمكن من حمل أعباء النبوة . (٢) أخرجه : أوقفه في حرج وضيق صدر . (٣) سورة الكهف ، آية ٦ . وبإخاع : قاتل . والأسف : الحزن على ما فات . على آثارهم : بعدهم .

قال الخفاجي : فحزنه صلى الله عليه وسلم لم يكن لشك اعتراه ، وإنما كان لتكذيبهم له وعدم طاعتهم له ، وهو حريص على أن يهديهم الله رحمة منه ؛ لما فاتهم من سعادة الدارين .

(٤) ضبطت العين في ب بالفتحة والضمة وعليها « معا » ، وضبطه القاري (٢ - ١٨٨) بفتح العين وكسر القاف . والحديث رواه البزار ، وروى الطبراني نحوه عن ابن عباس . (٥) دار الندوة : دار كانت بمكة تجتمع فيها قريش للمشاورة والحكومة ، بناها قصي ابن كلاب ، فكانت ديوان رؤسائهم .

(٦) تزمّل في ثيابه : تلفف فيها . وتدثّر : تغطى بها فوق لباسه الذي على بدنه وبلى جسده . (٧) الفترة : انقطاع الوحي مدة .

(٨) فيعترض به : أي يكون سبباً لأن يعترض معترض به عليه ، ويمده شبهة في فعله .

ونحو هذا فرارُ يونس عليه السلام خشيةً تكذيبِ قومه له ، لما وَعَدَهُم به من العذاب ؛ وقولُ الله تعالى في يونس ^(١) : ﴿ فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ ﴾ - معناه أَنْ لَنْ نُضَيِّقَ عَلَيْهِ ^(٢) .

قال مكِّي : طِمَعَ فِي رَحْمَةِ اللَّهِ وَأَلَّا يُضَيِّقَ عَلَيْهِ مَسَدَكَ فِي خُرُوجِهِ .

وقيل : حَسَنَ ظَنَّهُ بِمَوْلَاهُ أَنَّهُ لَا يَقْضِي عَلَيْهِ الْعُقُوبَةَ ^(٣) .

وقيل : تَقَدَّرُ عَلَيْهِ مَا أَصَابَهُ ^(٤) .

وقد قرئ : تَقَدَّرَ عَلَيْهِ - بالتشديد .

وقيل : نُوْأَخِذُهُ بِغَضَبِهِ وَذَهَابِهِ ^(٥) .

وقال أبو زيد : معناه : أَفْظَنَ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ - على الاستفهام .

ولا يليقُ أَنْ يُظَنَّ بِنَبِيِّ أَنَّهُ يَجْهَلُ صِفَةَ ^(٦) مِنْ صِفَاتِ رَبِّهِ .

وكذلك ^(٧) قوله ^(٨) : ﴿ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا ﴾ - الصحيحُ مُغَاضِبًا لِقَوْمِهِ لِكُفْرِهِمْ ؛

(١) سورة الأنبياء ، آية ٨٧

(٢) أى ظن أن الله لا يقضى عليه بعقوبة ويجازيه على ذهابه وعدم صبره . قال القارى

(٣ - ١٨٩) : وليس مراده أنه سبحانه وتعالى غير قادر عليه ، لأن هذا لم يخطر ببال كافر

فضلا عن مؤمن لاسيما نبيا ورسولا روى أن ابن عباس دخل على معاوية ، فقال : يا ابن عباس ،

لقد ضربتني أمواج البحر ففرقت ، فما أجد لنفسى خلاصا إلا بك ، ثم قرأ الآية ثم قال : أو

يظن نبي الله ألا يقدر الله عليه ؟ فقال ابن عباس : هذا من القدر - بسكون الدال أو فتحها ،

لا من القدرة .

(٣) لما ورد في الحديث القدسي : أنا عند ظن عبدي بي ، لكنه غفل عن أن حسنات

الأبرار سيئات المقربين (شرح القارى : ٢ - ١٨٩) .

(٤) ما أصابه : من الابتلاء وابتلاع الحوت له .

(٥) وذهابه : مفارقا لهم ، ولم يصبر منتظرا لأمر الله ، فلن يقدر عليه بمعنى لن يؤاخذه

بنضبه وذهابه . (٦) الصفة هنا هي قدرته تعالى ، وتلقاها بكل شيء .

(٧) وكذلك : مثل ما تقدم في أنه مصروف عن ظاهره . (٨) سورة الأنبياء ، آية ٨٧

وهو قولُ ابن عباس ، والضحاك ، وغيرها ؛ لا لِرَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ ؛ إِذْ مُغَاضِبَةٌ اللهُ مُعَادَاةٌ لَهُ ؛ وَمُعَادَاةُ اللهِ كُفْرٌ لا يَلِيْقُ بِالْأَوْثَمِينَ ، فَكَيْفَ بِالْأَنْبِيَاءِ
وقيل : مُسْتَحْيِيًّا مِنْ قَوْمِهِ أَنْ يَسْمُوهُ ^(١) بِالْكَذِبِ أَوْ يَقْتُلُوهُ ، كَمَا وَرَدَ فِي الْخَبَرِ .

وقيل : مُغَاضِبًا لِبَعْضِ الْمُلُوكِ فِيمَا أَمَرَهُ بِهِ مِنَ التَّوَجُّهِ إِلَى أَمْرِ أَمْرِهِ اللهُ بِهِ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّ آخِرٍ ؛ فَقَالَ لَهُ يُونُسُ : غَيْرِي أَقْوَى عَلَيْهِ مِنِّي ؛ فَعَزَمَ ^(٢) عَلَيْهِ [١٨٥] ، فَخَرَجَ لِذَلِكَ مُغَاضِبًا ^(٣) .

وقد رُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ، أَنَّ إِسْرَافِيلَ يُونُسَ وَنُبُوَّتَهُ إِنَّمَا كَانَ بَعْدَ أَنْ نَبَذَهُ ^(٤) الْحَوْتَ ، وَاسْتَدْلَّ مِنَ الْآيَةِ بِقَوْلِهِ ^(٥) : ﴿ فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ . وَأُنْبِتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ . وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ^(٦) ﴾ .
وَيُسْتَدْلُّ أَيْضًا بِقَوْلِهِ ^(٧) : ﴿ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحَوْتَ . . ﴾ وَذَكَرَ الْقِصَّةَ .
ثُمَّ قَالَ ^(٨) : ﴿ فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ ؛ فَتَكُونُ هَذِهِ الْقِصَّةُ إِذَا قَبِلَ نُبُوَّتَهُ .

فَإِنْ قِيلَ : فَمَا مَعْنَى قَوْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(٩) : « إِنَّهُ لِيُنَاقَ عَلَى قَلْبِي ، فَاسْتَغْفِرُ اللهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ » .
وَفِي طَرِيقٍ : فِي الْيَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً .

(١) بِسْمُوهُ : يَصْفُوهُ . (٢) عَزَمَ عَلَيْهِ : أَقْسَمَ عَلَيْهِ أَنَّهُ يَفْعَلُ مَا أَمَرَهُ بِهِ وَلَمْ يَقْبَلْ عَذْرَهُ .

(٣) مُغَاضِبًا : أَيَّ لِلْمَلِكِ ، لِأَنَّ رِبَّهُ ، كَمَا تَوَمَّ .

(٤) نَبَذَهُ : قَالَ الرَّاعِبُ : النَّبَذُ : إِتْقَانُ الشَّيْءِ وَطَرَحُهُ . نَبَذَهُ الْحَوْتَ : أَلْفَاهُ مِنْ بَطْنِهِ .

(٥) سُورَةُ الصَّافَّاتِ ، آيَةُ ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٤٧

(٦) الْعَرَاءُ : الْمَكَانُ لِلتَّسْعِ الْحَالِي مِنَ الْبِنَاءِ وَالشَّجَرِ . سَقِيمٌ : ضَعِيفٌ . يَقْطِينٌ : شَجَرٌ تِينٌ .

وقيل : الْقِرْعُ . (٧) سُورَةُ الْقَلَمِ ، آيَةُ ٤٨ (٨) سُورَةُ الْقَلَمِ ، آيَةُ ٥٠

(٩) رَوَاهُ مُسْلِمٌ : صَحِيحٌ مُسْلِمٌ : ٢٠٧٥

فأخذَ أَنْ يَقَعَ بِبَالِكَ أَنْ يَكُونَ هَذَا الْغَيْنُ^(١) وَسُوسَةَ أَوْ رَبَّنَا^(٢) وَقَعَ فِي قَلْبِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ؛ بَلْ أَصْلُ الْغَيْنِ فِي هَذَا : مَا يَتَغَشَّى الْقَلْبَ وَيُغْطِيهِ ؛ قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ وَأَصْلُهُ مِنَ غَيْنِ السَّمَاءِ ؛ وَهُوَ إِطْبَاقُ الْغَيْمِ عَلَيْهَا .
وَقَالَ غَيْرُهُ : وَالْغَيْنُ شَيْءٌ يُغَشِّي الْقَلْبَ وَلَا يُغْطِيهِ كُلُّ التَّغْطِيَةِ ؛ كَالغَيْمِ الرَّقِيقِ الَّذِي يَمْرُضُ فِي الْهَوَاءِ ، فَلَا يَمْنَعُ ضَوْءَ الشَّمْسِ .

وَكذَلِكَ لَا يُفْهَمُ مِنَ الْحَدِيثِ أَنَّهُ يُفَانُ عَلَى قَلْبِهِ مِائَةَ مَرَّةٍ أَوْ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً فِي الْيَوْمِ ؛ إِذْ لَيْسَ بِتَمْتِضِيهِ لَفْظُهُ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ ؛ وَهُوَ أَكْثَرُ الرِّوَايَاتِ ؛ وَإِنَّمَا هَذَا جِدُّ لِّلْاسْتِغْفَارِ لِّلْغَيْنِ ؛ فَيَكُونُ الرَّادُّ بِهَذَا الْغَيْنِ إِشَارَةً إِلَى غَفَلَاتِ قَلْبِهِ وَقَتَرَاتِ نَفْسِهِ^(٣) ، وَسَهْوِهَا عَنِ مَدَاوِمَةِ الذِّكْرِ وَمَشَاهِدَةِ الْحَقِّ^(٤) بِمَا كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دُفِعَ إِلَيْهِ مِنْ مَقَاسَاةِ الْبَشَرِ^(٥) ، وَسِيَاسَةِ الْأُمَّةِ^(٦) ، وَمُعَانَاةِ الْأَهْلِ^(٧) ، وَمُقَاوِمَةِ الْوَلِيِّ وَالْعَدُوِّ^(٨) وَمَصْلَحَةِ النَّفْسِ^(٩) ؛ وَكُلُّهُ مِنْ أَعْيَابِ أَدَاءِ الرِّسَالَةِ ، وَحَمْلِ الْأَمَانَةِ ؛ وَهُوَ فِي كُلِّ هَذَا فِي طَاعَةِ رَبِّهِ وَعِبَادَةِ خَالِقِهِ ؛ وَلَكِنْ لَمَّا كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرْفَعَ أَنْخَلَقَ عِنْدَ اللَّهِ مَكَانَةً ، وَأَعْلَامَ دَرَجَةٍ ، وَأَتَمَّهُمْ بِهِ مَعْرِفَةً ؛

- (١) الغين : السر والتغطية ؛ أى ترد على قلبه أمور تشغل .
- (٢) هى بالباء : ريباً : شكاً فى شىء من أموره المتعلقة بالوحى . أو بالنون . وربنا : أى حجاباً .
- (٣) قترات نفسه : قنورها وكسائها .
- (٤) ومشاهدة الحق : إن أريد بالحق الله سبحانه وتعالى فالمراد مشاهدته فى مرآة مصنوعاته حتى كأنه يراه بعين عيانه . وإن أريد بالحق ما هو حق ثابت متيقن من العلوم الحقة والأمور اليقينية الدنية فالأمر واضح . (٥) للمقاساة والمكابدة : مباشرة ما فيه مشقة .
- (٦) سياحة الأمة : السياسة : الحكم والتدبير .
- (٧) معاناة الأهل : الاعتناء بأمرهم والتقيد بما فيه معاشهم .
- (٨) ومقاومة الولي ؛ أى القيام بالأمر الذى يتعلق بالولي والمدور . والولي : من يواليه ويقيمه .
- (٩) ومصالحة النفس : أى مصالحة نفسه فى أمور معاشه .

وكانت حاله عند خلوص قلبه ، وخلق همة ، وتفريده بربه ، وإقباله بكلية عليه ، ومقامه (١) هنالك أرفع حاله (٢) رأى صلى الله عليه وسلم حال فقرته عنها ، وشفله (٣) بسواها ، غضا (٤) من عليّ حاله ، وخفضا من رفيع مقامه ؛ فاستغفر الله من ذلك .

وهذا أولى وجوه الحديث وأشهرها .

ولم يرده (٥) . وإلى معنى ما أشرنا به مال كثير من الناس ، وحام حوائه ؛ فقارب ولم يرد (٥) .

وقد قربنا غامض معناه ، وكشفنا للمستفيد حياه (٦) ؛ وهو مبنى على جواز الفترات ، والغفلات ، والسهو في غير طريق البلاغ (٧) ، كما سيأتي .
وذهبت طائفة من أرباب القلوب (٨) ، ومشيخة التصوفة ، ممن قال بتزبه النبي صلى الله عليه وسلم عن هذا جملة ، وأجله أن يجوز عليه في حال سهو أو فترة -

(١) مقامه : إقامته في حظيرة قدس قربه .

(٢) حاله : حال اشتغاله بالظاهر ، وحال كونه مع الله عالم السرائر ، وكل منهما رفيع ، ولكن هذه الحالة أرفع .

(٣) شفله : اشتغاله .

(٤) غضا : نقصانا . وخفضا : حطا وتزيلا .

(٥) ولم يرد : ولم يصل إليه . وفي ب : ولم يزد .

(٦) حياه : وجهه .

(٧) في غير طريق البلاغ : أى في غير ما أمر بقبليغه لأتمته من الشرائع .

وقال الخفاجي : وفي كلامه نظرا لبحنى ؛ فإنه جعل الغفلة والفترة والسهو عبارة عن اشتغاله بأمر أمته وأهله ؛ ولا غفلة ولا فترة ولا سهو حقيقة ؛ فكيف بناه على غير أساسه ؛ فتأمله فإنه غريب .

(٨) من أرباب القلوب : أولياء الله الذين نور الله قلوبهم وطهرها حتى صاروا من

أرباب الكشف .

إلى أن معنى الحديث : ما يُهِمُّ^(١) خَاطِرُهُ ، وَيَنْمُ فِكْرُهُ من أَمْرِ أُمَّتِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ لاهتمامه بهم ، وكثرة شفقتهم عليهم ؛ فيستغفر لهم^(٢) .

قالوا : وقد يكونُ الْفَيْنُ هنا على قلبه السَّكِينَةُ^(٣) التي تَتَفَشَّاهُ ؛ لقوله تعالى^(٤) :

﴿ فَأَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ ﴾ ، ويكونُ استغفاره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عندها إظهاراً للعبودية والافتقار^(٥) .

وقال ابنُ عطاء : استغفاره وفعله [١٨٦] هذا تعريف^(٦) للامةِ بِمَحَلِّهِمْ

على الاستغفار .

وقال غيره : ويستشَمِرُونَ^(٧) الحذرَ ، ولا يَرُ كُنُونَ^(٨) إلى الأَمْنِ .

وقد يُحتمل أن تكونَ هذه الإغانة^(٩) حالةَ خَشْيَةٍ وإِعْظَامِ نَفْسِي قَلْبِهِ ،

فيستغفر حينئذ شُكْرًا لله ، وملازمةً لعبوديته ؛ كما قال في ملازمة العبادة^(١٠) :
أَفَلَا أكونُ عَبْدًا شَكُورًا .

(١) أهمه : أقلقه وأحزنه . وخاطره : قلبه وفكره .

(٢) يدعو لهم بالمغفرة لما صدر منهم ، أو لما سيصدر ؛ فالنبي خواطره فيما يتعلق بهم ؛

واستغفاره صلى الله عليه وسلم إنما هو لهم ؛ فلا إشكال في الحديث أصلاً .

(٣) السكينة : الوقار ، والثأني والطمأنينة في الأمور . (٤) سورة التوبة ، آية ٤٠ .

(٥) قال الخفاجي : وهو ليس بذنب ، بل خضوع وخشوع .

(٦) تعريف للامة : تعليم لها .

(٧) يستشَمرون : يدركون ويعرفون . وفي هامش ب : الحصر . والحصر : الحبس

لا تنقسم على الطاعة .

(٨) ولا يركنون : ولا يميلون ميلاً ما . إلى الأَمْنِ ؛ أي من الوقوع في المصائب والنوب .

(٩) في قوله صلى الله عليه وسلم : إنه ليمان على قلبي .

(١٠) ورد في حديث رواه البخاري : ٦ - ١٦٩ أنه صلى الله عليه وسلم أكثر من قيام

الليل حتى تورمت قدماه ؛ فقال له الصحابة : أتفعل هذا يا رسول الله وقد غفر الله لك ما تقدم

من ذنبك وما تأخر ؟ فقال : أفلا أكون عبداً شكوراً !

وعلى هذه الوجوه الأخيرة يُحمل ما رُوِيَ في بعض طُرُقِ هذا الحديث عنه صلى الله عليه وسلم : إِنَّهُ لَيُنَانُ عَلَى قَلْبِي فِي الْيَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً^(١) ، فَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ .

فَإِنْ قُلْتَ : فَمَا مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى لِحَمْدِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ^(٢) : ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى^(٣) ﴾ فَلَا تَكُونُ مِنَ الْجَاهِلِينَ .

وقوله لَنُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ^(٤) : ﴿ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ .

فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا يَلْتَفَتُ فِي ذَلِكَ إِلَى قَوْلٍ مَنْ قَالَ فِي آيَةِ نَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ أَنْ اللَّهَ لَوْ شَاءَ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى . وَفِي آيَةِ نُوحٍ : لَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ أَنْ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا ؛ لِقَوْلِهِ : ﴿ وَإِنْ وَعَدَكَ الْحَقُّ ﴾ ؛ إِذْ فِيهِ إِثْبَاتُ الْجَهْلِ بِصِنْفٍ مِنْ صِفَاتِ اللَّهِ ؛ وَذَلِكَ لَا يَجُوزُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ .

وَالْمَقْصُودُ^(٥) وَعَظْمُهُمْ أَلَّا يَتَشَبَّهُوا فِي أُمُورِهِمْ بِسِمَاتِ^(٦) الْجَاهِلِينَ ، كَمَا قَالَ : ﴿ إِنِّي أَعِظُكَ ﴾ . وَلَيْسَ فِي آيَةٍ مِنْهُمَا دَلِيلٌ عَلَى كَوْنِهِمْ عَلَى تِلْكَ الصِّنْفِ الَّتِي نَهَاهُمْ عَنِ السُّكُونِ عَلَيْهَا ؛ فَكَيْفَ ؟ وَآيَةُ نُوحٍ^(٧) قَبْلَهَا : ﴿ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ

(١) فيفسر النين بامر ، ويجعل الاستغفار له لامر ؛ أو لأمرته تعابها لهم . والمدد للاستغفار للثنين ؛ لبعده لفظا ومعنى .

(٢) سورة الأنعام ، آية ٣٥

(٣) لجمعهم على الهدى : جعل الناس كلهم مجتمعين متفقين على الهدى : بهدائيتهم للعقائد الحقة ؛ واتباع الشريعة اللازمة ؛ فلا يضل أحد منهم عن الطريق المستقيم .

(٤) سورة هود ، آية ٤٦

(٥) أى المعنى المراد من هاتين الآيتين .

(٦) بسبب الجاهلين : أى لا يتصفون بصفاتهم ؛ من عدم الصبر ، والحرص على سرعة

حصول المراد مما هو شأن الجهلة .

(٧) فى قوله : « إني أعظك » .

عَلِمَ ﴿١﴾ . فَحَقَّ لُ مَا بَعْدَهَا عَلَى مَا قَبْلَهَا أَوَّلَى ؛ لِأَنَّ مِثْلَ هَذَا قَدْ يَحْتَاجُ إِلَى إِذْنٍ ﴿٢﴾ .

وقد يجوزُ إِبَاحَةُ السُّؤَالِ فِيهِ ابْتِدَاءً ؛ فَهَاهُ اللهُ أَنْ يَسْأَلَهُ عَمَّا طَوَى عَنْهُ ، وَأَكْنَهُ ﴿٣﴾ مِنْ غَيْبِهِ مِنَ السَّبَبِ الْوَجِبِ لِهَلَاكِ ابْنِهِ .

ثُمَّ أَكْمَلَ اللهُ تَعَالَى نِعْمَتَهُ عَلَيْهِ بِإِعْلَامِهِ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ ﴿٤﴾ : ﴿ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ ﴾ . حَكَى مَعْنَاهُ مَكِّيٌّ .

كَذَلِكَ أَمِيرَ نَبِيْنَا فِي الْآيَةِ الْآخَرَى ﴿٥﴾ بِالتَّزَامِ الصَّبْرِ عَلَى إِعْرَاضِ قَوْمِهِ ؛ وَلَا يَمْرُجُ عِنْدَ ذَلِكَ ؛ فَيُقَارِبُ حَالَ الْجَاهِلِ بِشِدَّةِ التَّحَسُّرِ ﴿٦﴾ . حَكَاهُ ابْنُ فُورَكَ .

وَقِيلَ : مَعْنَى الْخُطَابِ لِأُمَّةِ مُحَمَّدٍ ؛ أَيْ فَلَا تَكُونُوا مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٧﴾ . حَكَاهُ أَبُو مُحَمَّدٍ مَكِّيٌّ ؛ وَقَالَ : مِثْلُهُ فِي الْقُرْآنِ كَثِيرٌ .

فَهَذَا الْفَضْلُ ﴿٨﴾ أَوْجِبَ الْقَوْلَ بِعِصْمَةِ الْأَنْبِيَاءِ مِنْهُ بَعْدَ النَّبُوَّةِ قَطْعًا .

(١) هي مؤذنة بأن المراد نهيهِ عن التشبه بالجهلة لنهيهِ عن السؤال عما لا يحتاج إليه .

(٢) إلى إذن من الله .

(٣) طوى عنه : أخفى . وأكنه : ستره .

(٤) سورة هود ، آية ٤٦ ، وهو ليس من أهله ؛ لانقطاع الولاية بكفره وخروجه عن دينه .

(٥) هي قوله تعالى : « ولو شاء الله لجمعهم على الهدى . . . » . وقد تقدمت .

(٦) التحسر : التأسف والندم على عدم إطاعة قومه له .

(٧) في قوله : « فلا تكونون من الجاهلين » .

(٨) فهذا الفضل الذي قرر في حق الأنبياء عليهم السلام من تأويل ما يوم نسبتهم مما

لا يليق بعلى مقامهم . وفي هامش ب : فهذا الفضل واجب . . .

قال الخفاجي : وحاصله أن معنى الآية الأولى أنه تعالى لما رأى اشتداد حرصه صلى الله عليه

وسلم على إيمانهم ، وشق عليه حتى كاد يهلك نفسه لم يرض تهالكه ؛ فقال له : إن كان عظم

ذلك عليك فإن أمكنتك أن تنوص في الأرض لتطلع منها آية لهم أو تنصب سلما تصمد به =

فإن قلت : فإذا قررت عصمتهم من هذا ، وأنه لا يجوز عليهم شيء من ذلك ،
فما معنى إذا وعيدُ الله^(١) لنبينا صلى الله عليه وسلم على ذلك إن فعله ، وتحذيره منه ؛
كقوله^(٢) : ﴿ لئن أشركت ليحبطن عملك واتكونن من الخاسرين ﴾^(٣) .

وقوله تعالى^(٤) : ﴿ ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فإن فعلت
فإنك إذا من الظالمين ﴾ .

وقوله تعالى^(٥) : ﴿ ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلا . إذا
لأذقناك ضعف الحياة وضعف المات ثم لا تجد لك علينا نصيرا ﴾ .

== إلى السماء لتأنيبهم بآية منها حتى يؤمنوا ؛ أى وأنت لا تستطيع ذلك ، فما فائدة هذا الحرص ،
ولو أراد الله هدى جميع الخلق ؛ فلا تحرص على ما لم يرد .

وقيل : كانوا يقترحون عليه آيات يود لو أجيبوا لها حرصا على إيمانهم ؛ فقليل له : إن
استطعت أن تفعل هذا لتأنيبهم بما اقترحوا فافعل ليؤمنوا .

وقيل : ابتغاء النفق والسلم هو الآية نفسها .

فهذه ثلاثة أوجه : الأول - بيان لشدة حرصه عليه الصلاة والسلام ، وأنه لو قدر على
المحال ففعله .

والثاني - بيان لحرصه على تثبيت مطلوبهم ومقترحهم .

والمثال - حرصه على جعل الصمود والهبوط آية لهم حتى يؤمنوا به .

وترك القاضي عياض الأخيرين ؛ لأن عادة الله أن من أجيب لما اقترح عجل هلاكه ، وهو
مناف لحرصه على إيمانهم ؛ لأن التبادر من الآية النفق والسلم غير الآية ، مع ما فيه من النزعة
الاعتزالية .

وقصة نوح وهلاك ابنه بعد ما سأل الله نجاته ، فقليل له : إنه سبق القول بهلاك الكفرة .

(١) وعيد الله : تخويفه بتقدير صدور شيء من ذلك منه وتهديده .

(٢) سورة الزمر ، آية ٦٥

(٣) حبوط العمل : بطلانه بالكلية بحيث لا يثاب عليه ، ولا يبقى له عمل .

(٤) سورة يونس ، آية ١٠٦ . والدعاء فى الآية بمعنى العبادة .

(٥) سورة الإسراء ، آية ٧٤ ، ٧٥ ؛ أى يضاعف له عذاب الدنيا والآخرة .

وقوله ^(١) : ﴿لَا خَذَنَّا مِنْهُ بِالْيَمِينِ﴾ .
 وقوله ^(٢) : ﴿وَإِنْ تُطِيعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ بِيُضْلُوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ .
 وقوله ^(٣) : ﴿فَإِنْ يَشَأْ اللَّهُ يُخْتَمْ عَلَى قَلْبِكَ﴾ .
 وقوله ^(٤) : ﴿وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ مَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ .
 وقوله ^(٥) : ﴿اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِيعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ .
 فاعلم - وقفنا الله وإياك - أنه صلى الله عليه وسلم لا يصح ، ولا يجوز عليه ،
 ألا يُبلَّغ ، وأن يخالف أمر ربه ، ولا أن يُشرك به ، ولا يتأول ^(٦) على الله [١٨٧]
 ما لا يُحِب ، أو يفترى عليه ، أو يضل أو يُختم على قلبه ^(٧) ، أو يُطِيع الكافرين ؛
 لكن الله يسر أمره بالكاشفة والبيان ^(٨) في البلاغ للمخالفين ، وأن إبلاغه إن لم
 يكن بهذه السبيل فكانه ما بلغ .

وطيب نفسه ، وقوى قلبه بقوله ^(٩) : ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ ؛ كما قال

(١) سورة الحاقة ، آية ٥٥

(٢) سورة الانعام ، آية ١١٦ . والمراد بقوله : أكثر من في الارض ، الكفرة الجبهة ، وإطاعتهم بموافقتهم ما هم عليه .

(٣) سورة الشورى ، آية ٢٤

(٤) سورة المائدة ، آية ٦٧ ، وفي ب : فإن لم تفعل . وهو خلاف التلاوة .

(٥) سورة الأحزاب ، آية ١ . اتق الله ، ولا تخف من أحد . ولا تطع الكافرين والمنافقين فإنا يؤدي إلى التفريط في شيء من أمر الدين .

(٦) أن يتقول على الله ما لا يجب : يتقول على الله : يكذب عليه ويفترى . ما لا يجب : ما لم يرد . ولم يأذن له فيه . وفي ب : ما لا يجب .

(٧) يختم على قلبه : يطبع عليه ما يمنعه عن قبول الحق .

(٨) بالكاشفة والبيان : بكشفه له وتبيينه .

(٩) سورة المائدة ، آية ٦٧ . « ويمصمك من الناس » : أى يحميك ويصونك عنهم حتى

لا يقدر أحد على شيء يضرك .

لموسى وهارون^(١) : ﴿ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَ كَمَا ﴾^(٢) ؛ لِتَشْتَدَّ^(٣) بِصَائِرِهِمْ فِي الْإِبْلَاحِ وَإِظْهَارِ دِينِ اللَّهِ ، وَيُذْهِبَ عَنْهُمْ خَوْفَ الْعَدُوِّ الْمُضْعَفِ لِلنَّفْسِ .
 وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى^(٤) : ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ .
 ثُمَّ لَقَطَمْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴾ .

وقوله^(٥) : ﴿ إِذَا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ﴾ - فمعناه أن هذا جزاء مَنْ فَعَلَ هذا ، وجزاؤك لو كنتِ مِمَّنْ يَفْعَلُهُ ، وهو لَا يَفْعَلُهُ .
 وكذلك قوله^(٦) : ﴿ وَإِنْ تَطِيعُ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضَاوِكَ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ ؛
 فالمرادُ غيره ؛ كما قال^(٧) : ﴿ إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَدُوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴾ .

وقوله^(٨) : ﴿ فَإِنْ يَشَأْ اللَّهُ يُخَيِّمِ عَلَى قَلْبِكَ ﴾ و﴿ لَنْ^(٩) أَشْرَكَتَ لِيَحْبِطَنَّ عَمَلُكَ ﴾ - وما أشبهه ، فالمرادُ غَيْرُهُ ، وَأَنْ هَذِهِ حَالُ مَنْ أَشْرَكَ ؛ وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَجُوزُ عَلَيْهِ هَذَا .

وقوله^(١٠) : ﴿ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تَطِيعِ الْكَافِرِينَ ﴾ - فليس فيه أنه أطاعهم ، واللهُ ينهاهُ عَمَّا يَشَاءُ وَيَأْمُرُهُ بِمَا يَشَاءُ ؛ كما قال^(١١) : ﴿ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ

(١) سورة طه ، آية ٤٦

(٢) إني معكما : أى حافظكما وناصركما على أعدائك كما .

(٣) تشتد : تقوى ، وتزيد شدة . بصائرهم : موسى ، وهارون ، ومحمد . أى يكونون على

بصيرة ويقين فى أمورهم .

(٤) سورة الحافة ، آية ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦

(٥) سورة الأنعام ، آية ١١٦

(٦) سورة الشورى ، آية ٢٤

(٧) سورة الأحزاب ، آية ١

(٨) سورة الإسراء آية ٧٥

(٩) سورة آل عمران ، آية ١٤٩

(١٠) سورة الزمر ، آية ٦٥

(١١) سورة الأنعام ، آية ٥٢

بالفداء والعشيّ يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء فقطر دم فتكون من الظالمين ﴿١﴾ .
وما كان طردهم صلى الله عليه وسلم ، ولا كان من الظالمين .

فصل

[في عصمة الأنبياء قبل النبوة من الجهل بالله وصفاته

والتشكك في شيء من ذلك]

وأما عصمتهم من هذا الفن^(١) قبل النبوة فللناس فيه خلاف؛ والصواب أنهم معصومون^(٢) قبل النبوة من الجهل بالله وصفاته والتشكك في شيء من ذلك .
وقد تعاضدت^(٣) الأخبار والآثار عن الأنبياء بتمزيهم عن هذه النقيصة^(٤) منذ ولدوا، ونشأتهم على التوحيد والإيمان؛ بل على إشراق أنوار المعارف^(٥) ،
ونفحات الطاف^(٦) السعادة ، كما نبهنا عليه في الباب الثاني من القسم الأول من كتابنا هذا .

ولم ينقل أحد من أهل الأخبار أن أحدا نبئ واصطفى بمن عرف بكفر وإشراك قبل ذلك . ومُسْتَنْدُ هذا الباب النقل ؛ وقد استدل بعضهم بأن القلوب تنفّر^(٧) عن كانت هذه سبيله^(٨) .

(١) من هذا الفن ؛ أى اعتقاد ما لا يليق في التوحيد والعلم بالله وصفاته وبما أوحى إليه من أمور الدين كما تقدم . (٢) معصومون : محظونون مصونون .

(٣) تعاضدت : تماونت، وتقوت، وتواترت . (٤) النقيصة: الصفة المنقصة لمن اتصف بها .

(٥) المراد معرفة الله تعالى وصفاته وكل ما يتعلق به . وإشراقها : سطوع أنوارها منهم

وشدة ظهورها في أحوالهم وأقوالهم .

(٦) النفحة : الرائحة الطيبة التي تفوح . والسعادة : أى كونهم سعداء الدارين .

(٧) تنفّر : تسكره . (٨) سبيله : طريقه ، والمراد عاداته ودأبه .

وأنا أقولُ إنَّ قُرَيْشًا قد رَمَتْ نَبِيَّنا بكلِّ ما افترته ، وعيَّر كُفَّارُ الامم أنبياءها بكلِّ ما أمكنها واختلقته^(١) ، مما نصَّ اللهُ تعالى عليه ، أو نقلتهُ إلينا الرواةُ ، ولم نجدْ في شيء من^(٢) ذلكَ تَمييزًا لواحدٍ منهم برفضِهِ^(٣) آلهته ، وتقرُّبه^(٤) بذمِّه بتزكِّ ما كان قدَّ جامِعهم^(٥) عليه .

ولو كان هذا لكانوا بذلك^(٦) مُبادرين ، وبتلوُّنه في معبوده محتجِّين ، ولكان توبيخُهم له بِنبيهِم عما كان يعبدُ قبلُ أفضَحَ وأقطعَ في الحجَّة من توبيخه بنبيهِم عن تزكِّهم آلهتهم ، وما كان يعبدُ آباؤهم من قبل .

ففي إطباقهم^(٧) على الإعراضِ عنه دليلٌ على أنهم لم يجدوا سبيلًا إليه ؛ إذ لو كان لُنُقِل ، وما سكتوا عنه ، كما لم يسكتوا عند تحويل القبلة ، وقالوا : ﴿ ما وِلاهُم عن قبلتهم التي كانوا عليها ﴾^(٨) ، كما حكاه اللهُ عنهم .

وقد استدللَّ القاضى القُشَيْرى على تنزيهِهم عن هذا بقوله تعالى^(٩) : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمَنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا ^(١٠) غَلِيظًا ﴾ .

(١) واختلقته : كذبت عليهم بوصفهم بما ليس فيهم ، يريد : اخترعته ، من جميع المثالب .

(٢) في شيء من ذلك : أى من الكتب الإلهية والأخبار المروية .

(٣) رفضه : تركه . (٤) التقرُّب : التوبيخ .

(٥) جامِعهم : وافقهم واجتمع معهم عليه . (٦) بذلك : بتمييره .

(٧) إطباقهم : أى اتفاق كفار الأمم وإجماعهم . يقال : أطبق القوم على كذا : إذا اتفقوا .

(٨) عند تحويل القبلة عن بيت المقدس إلى الكعبة ؛ فإنهم وبخوا به وشنعوا حين سفههم

الله ، فقال : سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها . فى أول أمرهم : سورة

البقرة ، آية ١٤٢ (٩) سورة الأحزاب ، آية ٧

(١٠) الميثاق : العهد . والميثاق الذى أخذ عليهم هو تبليغ الرسالة ودعوة الخلق إلى دين

الإسلام ، وأن يصدق بعضهم بمضا ويبشر به .

وبقوله تعالى^(١) : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ ﴾ .
قال : فطهره^(٢) الله في الميثاق .

وبعيدٌ أن يأخذَ منه الميثاقَ قَبْلَ خَلْقِهِ ، ثم يأخذُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ [١٨٨]
بالإيمان به ونصره قَبْلَ مولده بدُهور ، ويجوزُ عليه الشُّركَ أو غيره من الذنوب .
هذا مالا يجوزُهُ إلا مُلْحِدٌ^(٣) .

هذا معنى كلامه .

وكيف يكون ذلك وقد أتاه جبريلُ عليه السلامُ ، وشقَّ قلبه صغيراً ، واستخرج
منه عِلْقَةً^(٤) ، وقال : هذا حظُّ^(٥) الشيطانِ منك ، ثم غسله مِاءً وحِمْقًا وإيماناً ،
كما تظاهرت^(٦) به أخبارُ المبدأ^(٧) .

ولا يشبهه^(٨) عليكَ بقولِ إبراهيمَ في الكوكبِ والقمرِ والشمسِ^(٩) : ﴿ هَذَا رَبِّي ﴾ ؛ فإنه قد قيل : كان هذا في سِنِّ الطفولية^(١٠) ، وابتداءِ النظرِ والاستدلالِ ؛
وقَبْلَ لزومِ التكليفِ .

(١) سورة آل عمران ، آية ٨١

(٢) فطهره الله : برأه ونزّهه عما لا يليق بعلى قدره .

(٣) ملحد : فاسق العقيدة ، عادل عن طريق الحق ونهج الصواب .

(٤) علقه : قطعة صغيرة من دم متجمد يشبه العلقه المعروفة .

(٥) حظ الشيطان : نصيبه في وسوسته لبني آدم ، فإخراجه لم يبق له عليه سبيل .

(٦) تظاهرت : اشتهرت وقويت .

(٧) أخبار المبدأ : الأحاديث الصحيحة الواردة في ابتداء أمره ونبوته . وحديث شق

صدر النبي صلى الله عليه وسلم في صحيح مسلم : ١٤٧

(٨) ولا يشبهه عليك : لا يشبهه عليك ويوقعك في شبهة .

(٩) سورة الأنعام ، آية ٧٦ - ٧٨

(١٠) سن الطفولية : إذ كان طفلاً ، أى ولداً صغيراً .

وذهب معظمُ الحذاقِ^(١) من العلماء والفسرين إلى أنه إنما قال ذلك مُبَكَّنًا^(٢) لقومه، ومستدلًا عليهم.

وقيل: معناه الاستفهامُ الوارِدُ مَوْرِدَ الإنكارِ؛ والمرادُ: فهذا رَبِّي^(٣)؟ قال الزجاج: قوله: «هذا ربِّي» - أي على قولكم؛ كما قال: «أين سُرَّ كَأَنِّي»؛ أي عندكم^(٤).

ويدلُّ على أنه^(٥) لم يعبُدْ شيئًا من ذلك، ولا أشركَ قطُّ باللهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ^(٦): قولُ الله عزَّ وجلَّ عنه^(٧): ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ﴾ . ثم قال^(٨): ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ . أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ . فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلا رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ .

وقال^(٩): ﴿إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾؛ أي من الشُّركِ .

وقوله^(١٠): ﴿وَاجْتَنِبِي وَابْنِي أَنْ تَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ .

فإن قلت: فما معنى قوله^(١١): ﴿لَنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ﴾؟ قيل: إنه إن لم يُؤَيِّدْنِي اللهُ بمعونته أكنُّ مثلكم في ضلالتكم وعبادتكم،

(١) الحذاق: جمع حاذق، وهو من له ذكاء وفهم.

(٢) مبكَّنًا لقومه؛ لأنهم كانوا يعبدون الكواكب والتبكيك: هو اللوم، والتقريع، والتوبيخ.

(٣) فهذا ربِّي: أي يليق بمثله أن يكون معبودا.

(٤) عندكم: أي كونهم شركاء على زعمهم. والآية في سورة القصص: ٦٣، ٧٤، وغيرها.

(٥) أنه؛ أي الخليل إبراهيم.

(٦) طرفة عين: في أقل الأزمنة.

(٧) سورة الشعراء، آية ٧٠.

(٨) سورة الصافات، آية ٨٤.

(٩) سورة إبراهيم، آية ٣٥. واجتنبِي: باعد بيننا جميعا وبين عبادتها؛ وهذا يدل على

أنه هو وذريته لم يصدر منهم شيء من ذلك.

(١١) سورة الأنعام، آية ٧٧.

على معنى الإشفاقِ والحذر^(١)؛ وإلا فهو معصومٌ في الأزل^(٢) من الضلال .

فإن قلتَ : فما معنى قوله^(٣) : ﴿ وقال الذين كفروا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا ﴾ ؛ ثم قال بعدُ عن^(٤) الرسل^(٥) : ﴿ قد افترَبْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّيْنَا اللَّهَ مِنْهَا ﴾ ؛ فلا تُشَكِّلُ عَلَيْكَ لَفْظَةُ الْعَوْدِ ، وَأَنَّهَا تَقْتَضِي أَنَّهُمْ إِنَّمَا يَعُودُونَ إِلَى مَا كَانُوا فِيهِ مِنْ مِلَّتِهِمْ^(٦) ؛ فقد تَأْتِي هَذِهِ اللَّفْظَةُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ لِغَيْرِ مَا لَيْسَ لَهُ ابْتِدَاءٌ بِمَعْنَى^(٧) الصِّرُورَةِ ؛ كَمَا جَاءَ فِي حَدِيثِ الْجَهَنَّمِيِّينَ^(٨) : « عَادُوا حُمًّا^(٩) » ولم يكونوا قبلَ كَذَلِكَ .

(١) الإشفاق على قومه ، ترحمًا لهم . والحذر ؛ أى الخوف من الله والاحتراز عما هم فيه .

(٢) في الأزل : قديمًا في قضاء الله بالسعادة وتطهير فطرته .

(٣) سورة إبراهيم ، آية ١٣ . فالعود يقتضى أنهم كانوا على دينهم وكفرهم ، وهم معصومون

من ذلك قبل البعثة وبمدها .

(٤) عن الرسل : حاكيا عنهم .

(٥) سورة الأعراف ، آية ٨٩ ، والآيتان ليستا متواليتين ، فكل واحدة منهما في سورة

كما تقدم ، وهما في قصة واحدة ، وهى قصة شعيب (شرح الحفاجى : ٤ - ٩٤) . ومعنى :

« قد افترَبْنَا عَلَى اللَّهِ » التعجب ؛ أى ما أكَذَّبْنَا عَلَى اللَّهِ . ومعنى « نَجَّيْنَا اللَّهَ مِنْهَا » : عصمنا

عن الميل إليها فضلًا عن الدخول فيها .

(٦) من ملتهم : يعنى الكفر .

(٧) بمعنى الصيرورة ؛ وهى وجود الشيء بعد أن لم يكن .

(٨) أى الحديث الذى فى حق أهل جهنم المروى فى الصحيحين عن أبى سعيد الخدرى ؛

وأوله : إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار يقول الله تعالى : من كان فى قلبه حبة خردل

من إيمان فأخرجوه فيخرجون وقد امتحشوا وعادوا حُمًّا فيلقون فى نهر الحياة فينبتون كما

تنبت الحبة فى حميل السيل . امتحشوا : احترقوا . والحديث فى صحيح مسلم : ١٧٢

(٩) حُمًّا : سودًا كالنجم . وعاد هنا بمعنى صار .

ومثله قولُ الشاعر^(١) :

[تلك المسكارم لاقعبانٍ من آبنٍ شيباً بماء]^(٢) فعاداً بعدُ أبو الـ

وما كانا قبيلُ كذلك .

فإن قلتَ : فما معنى قوله^(٣) : ﴿ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى ﴾^(٤) ؛ فليس هو من

الضلال الذي هو الكفر ؛ قيل : ضالًّا عن النبوةِ فهداك إليها^(٥) ؛ قاله الطبري .

وقيل : وجدك بين أهلِ الضلالِ ، فمصمك من ذلك^(٦) ، وهداك للإيمان ،

وإلى إرشادهم .

ونحوه عن السُّدِّي وغيرِ واحدٍ .

وقيل : ضالًّا عن شريعتمك ؛ أي لا تعرفُها^(٧) فهداك إليها .

(١) هو أمية بن أبي الصات من قصيدة يمدح بها سيف بن ذي يزن ملك الحِمْيَر لما ظفر بالحبشة؛

وذلك بعد مولد النبي بستين ، فأتته وفود العرب تهنئه وفيهم قريش وعبد المطلب - ديوانه : ٥٢ وقيل : هو لأبي الصلت ربيعة اللثقي ، وقيل للناضبة الجمدي .

قال الخفاجي : وهذا مثل في الفخر بمالِي الأمور وعدم التنزل لسفاسفها . وشيبا : خلطا

ومزجا . والقعب : إناء معروف ؛ يقول : إنك في معال وقصور ربيعة تجود بالأموال ، لست كعرب البادية الذين جودهم سقى ضيفانهم لبنا بماء مزج به يهود في يوم بولا مراقا ، وجودك بمسكارم وأموال تبقى عند من أنعمت عليه ؛ فشتان بينك وبين غيرك .

(٢) ما بين القوسين ليس في أ .

(٣) سورة الضحى ، آية ٧

(٤) وهذا يقتضى نسبه - صلى الله عليه وسلم - للضلال قبل البعثة ؛ والضلال شرعا إما

بالكفر أو بارتكاب المعاصي ، وهو صلى الله عليه وسلم منزه عنهما وجوابه ما يأتي .

(٥) لأن الضلال معناه المدول عن الطريق المستقيم ، وضده الهداية ؛ فكل عدول ضلال

سواء كان عمدا أم لا ؛ فمعناه غير مهتد لما سبق لك من النبوة .

(٦) من ذلك : أي من الضلال وموافقة أهله .

(٧) لا تعرفها ؛ أي قبل أن أوحى إليك .

والضلالُ هنا التَّحْيِيرُ؛ ولهذا كان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْأُو بِنَارِ حِرَاءٍ فِي طَلَبِ حَابِتُوَجِّهِ بِهِ إِلَى رَبِّهِ^(١)، وَيُنَشِّرُ^(٢) بِهِ حَتَّى هَدَاهُ اللهُ إِلَى الْإِسْلَامِ^(٣)، حَكِي مَعْنَاهُ الْفُشَيْرِيُّ .

وقيل: لَا تَعْرِفُ الْحَقَّ^(٤)، فَهَذَاكَ إِلَيْهِ. وَهَذَا مِثْلُ قَوْلِهِ تَعَالَى^(٥): ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ﴾؛ قَالَهُ عَلِيُّ بْنُ عِيسَى .
قال ابن عباس: لم تكن له ضلالةٌ معصيةٍ .
وقيل: هَدَى؛ أَي بَيَّنَّ أَمْرَكَ بِالْبَرَاهِينِ .
وقيل: وَجَدَكَ ضَالًّا بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ؛ [فَهَذَاكَ إِلَى الْمَدِينَةِ]^(٦) .
وقيل: الْمَعْنَى وَجَدَكَ^(٧) فَهَدَى بِكَ ضَالًّا .
وعن جعفر بن محمد: وَوَجَدَكَ [١٨٩] ضَالًّا عَنْ مَحَبَّتِي لَكَ فِي الْأَزْلِ^(٨)؛ أَي لَا تَعْرِفُهَا، فَفَنَنْتُ عَلَيْكَ بِمَعْرِفَتِي^(٩) .

(١) أي بسبب تصفية باطنه وإعمال فكره في وسيلة توصله إلى الله .

(٢) ينشرع: يتخذ شريعته وعبادة تقربه لربه .

(٣) يعني أنه صلى الله عليه وسلم كان موحدًا في أول أمره طالبًا لإتمام النعمة عليه بهدائه لما يرضيه ويكمله فمن عليه بذلك .

(٤) الحق: الدين الحق؛ لأنه لا يعرف إلا بالوحي . فهذاك إليه: بما أوحاه إليك .

(٥) سورة النساء، آية ١١٣ . ومعناها علمك من الشرع وأحكامه ما لم تكن تعلم؛ أي ما لم يكن في قوتك وقدرتك علمه .

(٦) ما بين القوسين ليس في أ؛ أي كان في حيرة مترددًا في الإقامة بمكة والهجرة إلى المدينة يرجو أن يؤذن له في الهجرة إليها حتى أذن الله تعالى له في ذلك .

(٧) وجدك: أي قائمًا بأعباء الرسالة وتبليغها . وهو عالم بذلك قبل وقوعه، ولكن هو تمثيل وتنويه بأمره وبمحبة الله تعالى له؛ فكأنه أمر مطلوب لعظيم عثر عليه؛ كما يقال: العلم

ضالة المؤمن . (٨) في الأزل: أي في القدم قبل خلقك .

(٩) قال الخفاجي: فعلى هذا لا يتوهم فيه نقص؛ لأن معناه: ليس أكرم على منك .

وقرأ الحسن بن عليّ : وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى ؛ أَى اِهْتَدَى بِكَ ^(١) .
 وقال ابن عطاء : وَوَجَدَكَ ضَالًّا ؛ أَى مُجِبًّا لِمَعْرِفَتِي . وَالضَّالُّ الْمُحِبُّ ؛ كَمَا
 قَالَ ^(٢) : ﴿ إِنَّا لَنَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ ﴾ ؛ أَى مَحَبَّتِكَ الْقَدِيمَةِ ؛ وَلَمْ يَرِيدُوا هَاهُنَا
 فِي الدِّينِ ؛ إِذْ لَوْ قَالُوا ذَلِكَ فِي نَبِيِّ اللَّهِ لَكَفَرُوا .
 وَمِثْلُهُ عِنْدَ هَذَا ^(٣) قَوْلُهُ ^(٤) : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ ؛ أَى مَحَبَّةٍ بَيِّنَةٍ ^(٥) .
 وَقَالَ الْجَنَيْدُ ^(٦) : وَوَجَدَكَ مُتَّحِرًّا فِي بَيَانِ مَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ ^(٧) فَهَذَا كَلِمَةُ بَيِّنَةٍ ؛
 لِقَوْلِهِ ^(٨) : ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ .
 وَقِيلَ : وَوَجَدَكَ لَمْ يَعْرِفَكَ أَحَدٌ بِالنَّبُوَّةِ حَتَّى أَظْهَرَكَ ، فَهَدَى بِكَ السَّعْدَاءُ ، وَلَا
 أَعْلَمُ أَحَدًا قَالَ مِنَ الْمَفْسَرِينَ فِيهَا : ضَالًّا عَنِ الْإِيمَانِ ^(٩) .
 وَكَذَلِكَ ^(١٠) فِي قِصَّةِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ قَوْلُهُ ^(١١) : ﴿ فَعَلَّمْتُهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ ﴾ ؛

(١) على أن « ضال » فاعل : وجد . . . (٢) سورة يوسف ، آية ٩٥

(٣) أى عند ابن عطاء . (٤) سورة يوسف ، آية ٣٠

(٥) بينة : ظاهرة مكشوفة .

(٦) الجنيد : هو أبو القاسم القواريري ، المشهور بسيد الطائفة وشيخ الطريقة ، أصله من نهاوند ، ومولده ومدنوه بالعراق ، كان شيخ وقته وفريد عصره . توفي سنة سبع وتسعين ومائتين .

(٧) ما أنزل إليك من القرآن .

(٨) سورة النحل ، آية ٤٤ . والمراد بالذكر القرآن ، لما ذكر من التذكير والموعظة ؛

لتبيين للناس ما نزل إليهم مما خفي عليهم ؛ فالضلال التحير فيما شق عليه في ابتداء أمره ؛ ومثله لا ضير فيه .

(٩) لأنه صلى الله عليه وسلم وسائر الأنبياء موصومون قبل النبوة وبمدها عن الكفر وكل

ماتفر عنه القلوب .

(١٠) أى مثل آية : ووجدك ضالا « فهدى » وتأويلها . . .

(١١) سورة الشعراء ، آية ٢٠

أى من الخطئين الفاعلين شيئاً بغير قصد^(١)؛ قاله ابن عرفة .

وقال الأزهرى : معناه من الناسين .

وقد قيل ذلك فى قوله^(٢) : ﴿ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى ﴾ ؛ أى ناسياً ؛ كما قال

تمالى^(٣) : ﴿ أَنْ تَصِلَ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكَّرُ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى ﴾ .

فإن قلت : فما معنى قوله^(٤) : ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا

مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ^(٥) ؟

فالجواب أن السمرقندى قال : معناه : ما كنت تدري قبل الوحي أن تقرأ

القرآن^(٦) ، ولا كيف تدعو الخلق إلى الإيمان .

وقال بكر القاضى نحوه ؛ قال : ولا الإيمان الذى هو الفرائض والأحكام ؛ قال :

فكان صلى الله عليه وسلم قبل مؤمناً بتوحيده ؛ ثم نزلت الفرائض التى لم يكن

يدربها قبل ؛ فزاد بالتكليف إيماناً ؛ [وهو أحسن وجوهه^(٨) .

(١) بغير قصد وتعمد لقتل النفس التى قتلها ؛ وهذا معنى جازئ قبل النبوة ؛ فلا يتوهم من

هذه الآية أن فيها نقيصة لموسى عليه السلام ؛ لأن الضلال بمعنى الخطأ ، وضمير « فعلتها » للفعللة

التي فعلها ، وهى قتله قبطياً من أتباع فرعون بمصر قبل نبوته ، وقد وبخه فرعون عليها ، وعدد

نعمه عليه بقوله : ألم نربك فينا وليداً ... فأجابه بقوله : « فعلتها إذا وأنا من الضالين » ؛ فوصف

نفسه بالضلال ؛ فالضلال بمعنى الخطأ وعدم القصد لقتله ؛ وإنما أراد دفعه فوكزه فمات من وكزه ،

ومثله لاضرير فيه لأنه خطأ .

(٢) سورة البقرة ، آية ٢٨٢ . وتضل : تنسى . (٣) سورة الشورى ، آية ٥٢

(٥) قال الخفاجى : ووجه السؤال أنه نفى عنه - صلى الله عليه وسلم - معرفته بالقرآن

المنزل عليه ، وبالإيمان . والأول صحيح لأن عدم معرفته بالقرآن قبل الوحي أمر مقرر . والمشكل

إنما هو الثانى ؛ لأنه يقتضى أنه - صلى الله عليه وسلم - لم يكن مؤمناً قبله ، وهو مصوم عن

الكفر قبل النبوة وبمدها ؛ ولذا قيل : إن المراد به الإيمان بما يجب الإيمان به من أحكام

الشريعة ، لا مجرد التوحيد والتصديق . (٦) أى لا تعرف قراءته ولا دراسته .

(٧) من هنا ساقط فى (٨) أى أحسن ما وجهت به الآية .

فإن قلت : فما معنى قوله^(١) : ﴿ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴾ ؟ فاعلم أنه ليس^(٢) بمعنى قوله^(٣) : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ ﴾ ؛ بل قد حكى أبو عبيد^(٤) المرّوى أن معناه لَمِنَ الْغَافِلِينَ عن قصة يوسف ؛ إذ لم تعلمها إلا بوَحِينَا^(٥) .

وكذلك^(٦) الحديث الذي يرويه عثمان بن أبي شَيْبَةَ بسنده عن جابر رضى الله عنه - أن النبي صلى الله عليه وسلم قد كان يشهدُ مع المشركين مشاهدتهم^(٧) ، فسمعَ مَلَائِكِينَ خَلْفَهُ ، أحدهما يقولُ لصاحبه : اذهب حتى تقومَ خَلْفَهُ . فقال الآخر : كيف أقومُ خَلْفَهُ وَعَهْدُهُ باستلامِ الأصنام ؛ فلم يشهدهم^(٨) بعد .

فهذا حديثٌ أنكره أحمد بن حنبلٌ جدًّا ، وقال : هو موضوع ، أو شبيهٌ بالموضوع .

وقال الدارقطنى : يقال إن عثمان وهم في إسناده .

والحديثُ بالجملة مُنْكَرٌ غَيْرُ مُتَّفَقٍ عَلَى إِسْنَادِهِ ؛ فَلَا يُلْتَمَتُ إِلَيْهِ .

(١) سورة يوسف ، آية ٣

(٢) قال الخفاجى : فإن الغفلة في هذه الآية غفلة عن العلم بالله وصفاته ، وهو صلى الله عليه وسلم معصوم عن هذه الغفلة .

(٣) سورة يونس ، آية ٧ (٤) الضبط في ب . (٥) ما بين القوسين ساقط في ا .

(٦) ومثل ذلك الذى يوم ما لا يليق بمصمته قبل النبوة .

(٧) يشهد : يحضر . ومشاهدتهم : محال اجتماعهم عند أصنامهم . قال الخفاجى : وهذا هو محل الإنكار من هذا الحديث ؛ فإنه لم ينقل ذلك عنه إلا في رواية ذكرها السهيلي ، وقال : إنها مرة واحدة على ما فيها ، وكان ذلك بإلحاح عليه من عمه أبي طالب ، ثم لم يمد لها .

(٨) أى لم يشهد المشركين في مشاهدتهم بعد ما سمع من الملئكين ما قاله .

قال الخفاجى : وهذا الحديث مشكل ؛ لما تقرر من أنه لم يكن على شيء مما كان عليه المشركون من ولادته إلى وفاته . وانظر ما يأتى من كلام المصنف . وانظر أيضا : ميزان الاعتدال : ٣ - ٣٥ ، في إنكاره .

والمعروف عن النبي صلى الله عليه وسلم خلافه عند أهل العلم^(١) من قوله :
« بَغِضْتُ إِلَى الْأَصْنَامِ »^(٢) .

وقوله في الحديث الآخر الذي رَوَتْهُ أُمُّ أَيْمَنَ^(٣) حين كَلَّمَهُ عَمَّهُ وَأَلَّهُ فِي حَضُورِ
بعض أعيادهم ، وعَزَمُوا عَلَيْهِ فِيهِ بَعْدَ كَرَاهَتِهِ لَذَلِكَ ؛ فخرَجَ مَعَهُمْ ، وَرَجَعَ مَرْتَعُوبًا ؛
فَقَالَ : كَلَّمَا دَنَوْتُ مِنْهَا مِنْ صَنَمٍ تَمَثَّلَ^(٤) لِي شَخْصٌ أبيضٌ طَوِيلٌ بِصِيحِ بِي :
وَرَأَيْتُكَ^(٥) ، لَاتَمَسَهُ ؛ فَمَا شَهِدَ بَعْدُ لَهُمْ عِيدًا .

وقوله - فِي قِصَّةِ بَحِيرَا^(٦) حين اسْتَحْلَفَ^(٧) النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِاللَّاتِ
وَالْعُزَّى^(٧) إِذْ لَقِيَهُ بِالشَّامِ فِي سَفَرَتِهِ مَعَ عَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ وَهُوَ صَبِيٌّ ، وَرَأَى فِيهِ
عَلَامَاتِ النَّبُوَّةِ ، فَاخْتَبَرَهُ بِذَلِكَ ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لَا تَسْأَلْنِي بِهِمَا^(٨) ،
فَوَاللَّهِ مَا أَبْغَضْتُ شَيْئًا قَطُّ بَغْضَهُمَا .

فَقَالَ لَهُ بَحِيرَا : فَبِاللَّهِ إِنْ مَا أَخْبَرْتَنِي عَمَّا [١٩٠] أَسْأَلُكَ عَنْهُ . فَقَالَ : سَلْ
عَمَّا بَدَا لَكَ^(٩) .

وَكذَلِكَ^(١٠) الْمَعْرُوفُ مِنْ سِيرَتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَوْفِيقِ اللَّهِ لَهُ أَنَّهُ كَانَ
قَبْلَ نَبُوَّتِهِ يَخَالِفُ الْمُشْرِكِينَ فِي وَقُوفِهِمْ مُزْدَلِفَةَ فِي الْحَجِّ ؛ فَكَانَ يَقِفُ هُوَ بِعَرَفَةَ ،
لأنه كَانَ مَوْقِفَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ .

(١) خلافه : ما يخالفه . عند أهل العلم بالحديث وبأحواله صلى الله عليه وسلم .

(٢) أى جعلنى الله مجبولاً على عدم حبها .

(٣) أم أيمن : حاضنته صلى الله عليه وسلم ؛ واسمها بركة . وحديثها هذا رواه ابن سعد

عن ابن عباس ، في الطبقات : ١ - ١٠٣ (٤) تمثل : ظهر وتصور . (٥) وداءك : ارجع .

(٦) بحيرا : الراهب . والقصة في طبقات ابن سعد : ١ - ١٠٠ ، ١٠١ وغيرها .

(٧) استحلف : أقسم عليه ، أو طلب منه أن يحلف . واللات والعزى : اسم صنيتين

معروفين . (٨) لا تسألني بهما : لا تقسم على بها لما فيه من الشرك وتعظيم الأصنام .

(٩) عما بدالك : عن كل شئ خطر ببالك .

(١٠) وكذلك : أى مثل ما تقدم من نزاهته صلى الله عليه وسلم عما كان عليه أهل الجاهلية .

فصل

في حكم عقْد النبي في التوحيد والشرع والمعارف والأُمور الدينية

قال القاضي (١) أبو الفضل رضی الله عنه : قد بان بما قدمناه عقود (٢) الأنبياء

في التوحيد والإيمان والوحي وعصمتهم في ذلك على ما بينناه .

فأما ما عدّا هذا الباب من عقود (٣) قلوبهم فجماعها أنها (٤) مملوءة علماً و يقينا

على الجلالة ، وأنها قد احتوت من المعرفة والعلم بأُمور الدين والدنيا ما لا

شئ فوقه (٥) .

ومن طالع الأخبار ، واعتنى بالحديث ، وتأمل ما قلناه وجدّه .

وقد قدمنا منه في حق نبينا في الباب الرابع (٦) أول قسم من هذا الكتاب

ما بينه على ما وراءه ، إلا أن أحوالهم في هذه المعارف تختلف .

فأما ما تعلق منها (٧) بأمر الدنيا فلا يشترط في حق الأنبياء العصمة من عدم

معرفة الأنبياء ببعضها أو اعتقادها على خلاف ما هي عليه ، ولا وضم (٨) عليهم

[فيه] (٩) ؛ إذ همهم متعلقة بالآخرة وأنبائها ، وأمر الشريعة وقوانينها .

(١) هو القاضي عياض - المؤلف .

(٢) عقود : جمع عقد ؛ وهو الجزم والتصميم وعدم الشرك .

(٣) عقود قلوبهم : جزمها .

(٤) أنها : أي قلوبهم .

(٥) ما لا شئ فوقه : أي يزيد عليه ويفضله .

(٦) في الباب الرابع فيما أظهره الله على يديه من المعجزات ، وشرفه به من الخصائص

والكرامات في القسم الأول صفحة ٣٤١

(٧) منها : أي العلوم والمعارف .

(٨) لا وضم : لا عيب ، ولا نقص ، ولا تقصير .

(٩) ليس في ا .

وأُمُورُ الدُّنْيَا تَضَادُّهَا^(١) ، بخلافِ غيرهم من أهلِ الدُّنْيَا الَّذِينَ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ، كَمَا سَنُبَيِّنُ هَذَا فِي الْبَابِ الثَّانِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ ؛ وَالْكِنَّةُ لَا يُقَالُ : لِمَنْهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ يُؤَدِّي إِلَى الْغَفْلَةِ وَالْبَلَهَةِ^(٢) ، وَهُمْ الْمَنْزَهُونَ عَنْهُ^(٣) ؛ بَلِ قَدْ أُرْسِلُوا إِلَى أَهْلِ الدُّنْيَا ، وَقُلُّوا سِيَاسَتَهُمْ وَهَدَايَتَهُمْ وَالنَّظَرَ فِي مَصَالِحِ دِينِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ ؛ وَهَذَا لَا يَكُونُ مَعَ عَدَمِ الْعِلْمِ بِأُمُورِ الدُّنْيَا بِالْكَلْبَةِ ؛ وَأَحْوَالُ الْأَنْبِيَاءِ وَسَيْرُهُمْ فِي هَذَا الْبَابِ مَعْلُومَةٌ ، وَمَعْرِفَتُهُمْ بِذَلِكَ كَلَّةٌ مَشْهُورَةٌ .

وَأَمَّا إِنْ كَانَ هَذَا الْعَقْدُ^(٤) مِمَّا يَتَعَلَّقُ بِالَّذِينَ فَلَا يَصِحُّ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا الْعِلْمُ بِهِ ، وَلَا يَجُوزُ عَلَيْهِ جَهْلُهُ جَمَلَةً ؛ لِأَنَّهُ لَا يَخْلُو أَنْ يَكُونَ حَصَلَ عِنْدَهُ ذَلِكَ عَنْ وَحْيٍ مِنَ اللَّهِ ، فَهُوَ لَا يَصِحُّ الشُّكُّ مِنْهُ فِيهِ عَلَى مَا قَدَّمْنَا ، فَكَيْفَ الْجَهْلُ ؛ بَلِ حَصَلَ لَهُ الْعِلْمُ الْيَقِينُ . أَوْ يَكُونُ فَعَلَ ذَلِكَ^(٥) بِاجْتِهَادِهِ فِيمَا لَمْ يَنْزَلْ عَلَيْهِ فِيهِ شَيْءٌ عَلَى الْقَوْلِ بِتَجْوِيزِ وَقُوعِ الْجَاهِدِ مِنْهُ فِي ذَلِكَ^(٦) عَلَى قَوْلِ الْمُحَقِّقِينَ^(٧) ؛ وَعَلَى مَقْتَضَى حَدِيثِ أُمِّ سَلَمَةَ : إِنْ لَمْ يَأْتِ بِرَأْيٍ فِيمَا لَمْ يَنْزَلْ

(١) تضادها : تخالفها .

(٢) الغفلة والبله : أى شدة البلاة ، وعدم الإدراك .

(٣) قال الخفاجي : والحاصل أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كلهم لا بد لهم من العلم بالمعائد والشرائع والوحي يقينا من غير شك وشبهة ؛ وأما أمور الدنيا ، لبخسها ، فلا يأنم العلم بها ، لكنهم عليهم الصلاة والسلام لكونهم أكمل الناس فطنة وعقلا لا يكثر عدم علمهم بها ، وإنما يكون ذلك في النادر .

(٤) هذا العقد : أى عقد قلوبهم بالاعتقاد الجازم .

(٥) فعل ذلك الأمر المتعلق بالدين ببيان أحكامه حلا وحرمة ونحوه .

(٦) في ذلك : فيما لم ينزل عليه وحى فيه .

(٧) على قول المحققين : الداهيين لجواز اجتهاده ؛ وهو القول الصحيح .

عَلَىٰ فِيهِ شَيْءٌ^(١) . خَرَّجَهُ الثَّقَاتُ^(٢) .

وَكِقْصَةَ أُسْرَىٰ بَدْرٍ^(٣) ، وَالإِذْنَ لِلْمُتَخَلِّفِينَ^(٤) عَلَىٰ رَأْيٍ بَعْضُهُمْ ، فَلَا يَكُونُ أَيْضًا مَا يَعْتَقِدُهُ مِمَّا يُسْمَرُهُ اجْتِهَادُهُ^(٥) إِلَّا حَقًّا وَصَحِيحًا^(٦) .

هذا هو الحق الذي لا يُلتَفَتُ إلى خلافِ مَنْ خالف فيه [مَنْ أجاز عليه الخطأ في الاجتهاد]^(٧) ، لا على القولِ بِتَصْوِيبِ الْمُجْتَهِدِينَ الذي^(٨) هو الحق والصواب

(١) أى فيما لم ينزل من الله فيه شيء من وحيه .

(٢) الثقات : كآبى داود وغيره ، فهو حديث صحيح دال على صحة اجتهاده صلى الله عليه وسلم ؛ وهو فى سنن أبى داود : ٢ - ٢٧٥ ، وفى سنن أبى داود : برأى .

(٣) القصة فى صحيح مسلم ١٣٨٥ . وفيه أنه صلى الله عليه وسلم قال لأبى بكر والصحابة ما ترون فى هؤلاء؟ فقال أبوبكر رضى الله عنه : بنو العم والمشيرة ؛ أرى أن تأخذ منهم فدية يكون لنا بها قوة على الكفار ، فعسى الله أن يهديهم إلى الإسلام . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما تقول يا عمر ؟ فقال : أرى أن تضرب أعناقهم ؛ فإنهم أئمة الكفر وصناديده ، فنزل : ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يشخن فى الأرض . فجلس رسول الله هو وأبو بكر بيكيان ؛ فقال لهما عمر : لم تبيكيان ؟ أخبرانى ، فإن وجدت بكاء بكيت وإلنبا كيت . فقال صلى الله عليه وسلم : أبكى لما عرض من الفداء ، لقد عرض على عذابهم أذى من هذه الشجرة - لشجرة عنده . قال الحفاجى : فهذا دليل على وقوع الاجتهاد منه صلى الله عليه وسلم .

(٤) كان ذلك فى غزوة تبوك ؛ فإنه أذن لجماعة استأذنوه فى القعود عنها فأذن لهم باجتهاد منه ولم ينتظر الوحي ؛ فعاتبه الله على ذلك مع لطفه فى تقديم العفو عنه بقوله : « عفا الله عنك لم أذنت لهم » .

(٥) أى يترتب عليه ويكون ثمرة له .

(٦) قال الحفاجى : وهذا بناء على أنه صلى الله عليه وسلم لا يخطئ فى اجتهاده أصلاً كما ارتضاة النزالى ؛ وبني عليه أنه يجوز القياس على ما اجتهد فيه ؛ وهو اللائق بمقام النبوة .

(٧) ما بين التوسين فى هامش ب ، وعليه علامة الصحة . وهو ليس فى ا .

(٨) أى ما اعتقده كل موافق للحق والصواب ؛ فكل مجتهد مصيب .

عندنا ؛ ولا على القول الآخر^(١) بأن الحق في طرفٍ واحدٍ لعصمة النبي صلى الله عليه وسلم من الخطأ في الاجتهاد في الشرعيات ؛ ولأن القول في تحمُّلة المجتهدين إنما هو بعد استقرار الشرع ؛ ونظر النبي صلى الله عليه وسلم واجتهاده إنما هو فيما لم ينزل عليه فيه [١٩١] شيء ، ولم يُشرع له قبل ؛ هذا فيما عَدَّ^(٢) عليه صلى الله عليه وسلم قلبه ، فأما ما لم يُعَدَّ عليه قلبه من أمر النوازل^(٣) الشرعية ؛ فقد كان لا يعلم منها أولاً إلا ما علّمه الله شيئاً شيئاً حتى استقر^(٤) علم جميعها عنده ؛ إماماً بوحي من الله ، أو إذن له أن يُشرع في ذلك^(٥) ويحكم بما أراه الله^(٦) .

وقد كان ينتظر الوحي في كثير منها^(٧) ؛ ولكنه لم يمت حتى استقرَّ علم جميعها عنده صلى الله عليه وسلم ، وتقررت معارفها لديه على التحقيق^(٨) ، ورفع الشك والريب ، وانتفاء الجهل .

(١) الذي ذهب إليه الجمهور . قال الحفاجي : بأن الحق في طرف واحد غير معين ؛ فالآخر خطأ إلا أنه لا إثم عليه فيه ؛ وهذا في غير النبي صلى الله عليه وسلم ؛ لأنه لا يخطئ أو لا يقر على الخطأ .

(٢) عقد : علمه ما جازما .

(٣) النوازل : جمع نازلة ، وهي القضية التي تحدث له وتحتاج لبيان الحكم فيها . والنوازل الشرعية : التي يتعلق بها حكم شرعي من حل وحرمة .

(٤) في ١ : استفرغ .

(٥) يشرع في ذلك : أي يأخذ في بيانه ، أو يبين ما حكم الشرع فيه برأيه واجتهاده .

(٦) بما أراه الله : بما عرفه وعلمه بوحي منه أو إلهام ونظر فيما أنزل عليه ، كما قال تعالى : « إنا أنزلنا إليك الكتاب لنتحكم بين الناس بما أراك الله » - والآية دالة على اجتهاده للأذن له فيه ، وأنه مصيب فيه .

(٧) منها : من النوازل الواقعة ليبين الله له الحكم فيها ، ويجتهد في قليل منها أحيانا .

(٨) على التحقيق : أي متيقنة محققة بلا تردد .

وبالجملة فلا يصح منه الجهلُ بشيءٍ من تفاصيل الشرع الذي أمر بالدعوة إليه ؛ إذ لا تصح دعوته إلى ما لا يعلمه^(١) .

وأما ما تعلق بمقدّمه من ملكوت السموات والأرض ، وخالق الله^(٢) تعالى ، وتعيين أسمائه الحسنی وآياته الكبرى^(٣) ، وأمور الآخرة ، وأشراط الساعة^(٤) ، وأحوال السعداء والأشقياء ، وعلم ما كان وما يكون مما لم يعلمه إلا بوحي - فعلى ما تقدّم من أنه معصوم فيه ، لا يأخذه فيما أعلم منه شك^(٥) ولا ريب ؛ بل هو فيه على غاية اليقين ؛ لكنه لا يشترط له العلم بجميع تفاصيل ذلك ، وإن كان عنده من علم ذلك ما ليس عند جميع البشر ؛ لقوله^(٦) : «إني لا أعلم إلا ما علمني ربي» .
ولقوله^(٧) : «ولا خطر على قلب بشر»^(٨) ، ولا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين .

(١) قال الخفاجي : فكان صلى الله عليه وسلم أعلم الناس بأحكام ربه ، وله الولاية العامة على جميع خلقه ، والإمامة العظمى ؛ فكان يحكم بالقضاء والسياسة والإفتاء ، ويحكم بالظاهر والباطن كالخضر عليه السلام .

(٢) بمقدّمه : يجزم قلبه فيما بصره الله تعالى به من علمه صلى الله عليه وسلم بحقيقة الأجرام العلوية ، وأنها حادثه مستغنى عنها وما فيها من الملائكة الموكلين بها ، والكواكب التي خلقت فيها زينة لها وهداية لخلقها ، وعلامات لحكم الهيئة ؛ وكذلك الأرض التي جعلها الله مقر العبادة وعلمه بما فيها علما اطلع به على حقيقتها وما أودعه فيها ، ومخلوقات الله التي بثها فيها وأبدعها حكما تحار فيها العقلاء .

(٣) أسمائه الحسنی : الدالة على ذاته وبديع صفاته . قال الخفاجي : وتعيين - إشارة إلى أنها توقيفية ، فلا يطلق عليه إلا ما ورد به إذن شرعي . (٤) أشراط الساعة : علاماتها الدالة عليها . (٥) لا يأخذه : لا يمرض له ، ولا يطرأ عليه . فيما أعلم - أي فيما أعلمه الله به . (٦) في حديث رواه البيهقي .

(٧) في حديث روى في الصحيحين . صحيح مسلم : ١٧٦ ، وسنن الترمذي : ٥ - ٣٤٦ ، وصحيح البخاري : ٩ - ١٧٦ . قال الخفاجي : وهو حديث قدسي ، أوله : أعددت لمبادي ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ؛ بله ما اطلعتم عليه ، اقرأوا إن شئتم : «فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون» ؛ فقيه دليل على أن من أحوال السعداء ما لم يطلع عليه صلى الله عليه وسلم . (٨) ولا خطر : ولا طرأ عليه .

وقول موسى للخضر^(١) : ﴿ هل أتبعك على أن تُعلِّني مما علّمت رشداً ﴾ .
وقوله صلى الله عليه وسلم^(٢) : « أسألك بأسمائك الحسنى ، ما علّمت منها
وما لم أعلم^(٣) » .
وقوله : « أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك ، واستأثرت^(٤) به
في علم الغيب عندك » .
وقد قال الله تعالى^(٥) : ﴿ وفوق كل ذي علمٍ عليمٌ ﴾ - قال زيد بن أسلم
وغيره : حتى ينتهي العلم إلى الله .
وهذا^(٦) مالا يخفاه به ؛ إذ معلوماته تعالى لا يحاط بها ولا منتهى لها .
هذا حكم عقده النبي صلى الله عليه وسلم في التوحيد والشرع والمعارف
والأمور الدينية .

فصل

[في إجماع الأمة على عصمة النبي صلى الله عليه وسلم من الشيطان]
واعلم أن الأمة مجمعة على عصمة النبي صلى الله عليه وسلم من الشيطان
وكفايته^(٧) منه ، لا في جسمه بأنواع الأذى ، ولا على خاطره بالوساوس^(٨) .

-
- (١) سورة الكهف ، آية ٦٦
 - (٢) في حديث صحيح رواه الديلمي عن أنس رضى الله عنه .
 - (٣) قال الخفاجي : وهذا الحديث يدل على أن الله أسماء لم يعلمها النبي صلى الله عليه وسلم
عما لا يعلمه إلا الله ؛ ولا ضير في مثله .
 - (٤) استأثرت به : انفردت بعلمه دون غيرك .
 - (٥) سورة يوسف ، آية ٧٦
 - (٦) وهذا : أى انتهاء العلم إليه تعالى . (٧) وكفايته منه : وحميته منه .
 - (٨) خاطره : فسكره وقلبه . بالوساوس : وهو ما يليق الشيطان في نفسه . وفي ب :
بالوساوس .

وقد أخبرنا القاضى الحافظ أبو على - رَحِمَهُ اللهُ - قال : حدثنا أبو الفضل بن خَيْرُونِ المَدَلِّ ، حدثنا أبو بكر البرقانى وَغَيْرُهُ ، حدثنا أبو الحَسَنِ الدارَقُطْنى ، حدثنا إِسْمَاعِيلُ الصَّفَّارُ ، حدثنا عَبَّاسُ التَّرْقُفَى ، حدثنا مُحَمَّدُ بْنُ يَوْسُفَ ، حدثنا سُفْيَانُ ، عن منصور ، عن سالم بن أبى الجَعْدِ ، عن مسرور ، عن عبد الله بن مسعود ؛ قال ^(١) : قال رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَكَلَّ ^(٢) بِهِ قَرِينُهُ مِنَ الْجِنِّ ، وَقَرِينُهُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ ^(٣) » .

قالوا : وإياك ^(٤) يا رسولَ اللهِ ؟ قال : وإيائى ؛ ولكنَّ اللهُ تعالى أعاننى عليه فَأَسْلَمَ .

زاد غيرُهُ - عن مَنْصُورَ : فلا يأمرنى إِلَّا بخير .
وعن عائشة بِمعناه .

ورَوَى ^(٥) : فَأَسْلَمُ - بضم الميم ؛ أى فَأَسْلَمُ أنا منه .
وصحَّح بعضهم هذه الروايةَ وَرَجَّحَهَا .

ورَوَى ^(٦) : فَأَسْلَمَ ^(٧) - يعنى - القَرِينِ - أنه انتقل من حالِ كُفْرِهِ إلى الإسلامِ ؛ فصار لا يأمرُ إِلَّا بخير ، كالمَلَكِ .
وهو ظاهر الحديث .

(١) فى حديث رواه مسلم . صحيح مسلم : ٢١٦٧

(٢) وكل : عين للمازمة ، كالحفيظ للملازم لمن يحفظه . قرينه : الذى يكون مقارنا له .
وفى ب : وقد وكل به .

(٣) قال الخفافى : أما قرين الجن فإنه موكل بوسوسته وإغوائه . وأما قرينه من الملائكة فهو من الحفظة .

(٤) وإياك يا رسول الله : يعنى أو كل بك قرين من الجن كنيك يا رسول الله ؟

(٥) فى ١ : روى .

(٧) بصيغة الماضى .

(٦) والرواية فى صحيح مسلم : ٢١٦٨

ورواه بعضهم : فاستسلم^(١) .

قال القاضي أبو الفضل : فإذا [١٩٢] كان هذا حُكْمُ شَيْطَانِهِ وَقَرِيبِهِ الْمُسْلِمِ عَلَى بَنِي آدَمَ ، فَكَيْفَ بَيْنَ بَعْدَ مِنْهُ ، وَلَمْ يَلْزَمْ صُحْبَتَهُ ، وَلَا أُقْدِرَ عَلَى الدَّوْنِ مِنْهُ . وَقَدْ جَاءَتِ الْآثَارُ بِتَصَدُّى الشَّيَاطِينِ لَهُ فِي غَيْرِ مَوْطِنٍ^(٢) ؛ رَغْبَةً فِي إِطْفَاءِ نُورِهِ وَإِمَانَةٍ نَفْسِهِ ، وَإِدْخَالِ شُغْلِ عَلَيْهِ ؛ إِذْ يَنْسُوا مِنْ إِغْوَانِهِ فَأَتَقَلَّبُوا خَاسِرِينَ^(٣) ، كَتَمَرُضِهِ^(٤) لَهُ فِي صَلَاتِهِ ؛ فَأَخَذَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَسْرَهُ^(٥) .

فِي الصَّحَاحِ^(٦) : قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ ، عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّ الشَّيْطَانَ عَرَضَ لِي » .

قال عبد الرزاق : في صورة هريرة ، فشد^(٧) على يقطع على الصلاة فأمكنني الله منه ، فدعته^(٨) . ولقد همت أن أوثقه إلى سارية^(٩) حتى تُصَبِّحُوا تَنْظُرُونَ إِلَيْهِ ،

(١) استسلم : انقاد وكف عن الوسوسة .

(٢) تصدى : تعرض . . . في غير موطن : في مواطن كثيرة .

(٣) فاتقلبوا : رجعوا عما تصدوا له . خاسرين : خائبين ؛ لعدم قدرتهم عليه وعلى الإقرب منه .

(٤) كتمرضه : أى تعرض الشيطان له وهو مستغرق بالتوجه إلى الله .

(٥) أسره : أى أخذه وقهره باستيلائه عليه قهرا .

(٦) الصحاح : الأحاديث الصحيحة المروية في البخارى ومسلم وغيرهما : والحديث في صحيح

مسلم : ٣٨٤ ، ومسند أحمد : ١ - ٢٩٧

(٧) شد على : حمل ، ووثب وثبة على .

(٨) دعته : خنقته . والدعت ، والدعت - بالدال والدال : الدفع العنيف . والدعت أيضا :

للملك في التراب (النهاية) . وفي هامش ا : دعته يدعته ذعتا : معك ، كأنه ينفطه في الماء .

وقيل : هو أشد الخنق (من المحكم لابن سيده) . وفي صحيح مسلم : وأما ابن أبى شيبة

فقال في روايته : فدعته . ودعته : دفمته دفما شديدا .

(٩) أوثقه : أربطه . والسارية : العمود للنصب ليوضع عليه سقف ونحوه .

فذكرت قول أخى سليمان (١) ﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي ﴾ ، فرده الله خاسئاً (٢) .

وفى حديث أبى الدرداء عنه صلى الله عليه وسلم (٣) : « إِنْ عَدَّ اللَّهُ إِبْلِيسَ جَاءَ فِي شَهَابٍ (٤) مِنْ نَارٍ لِيَجْمَعَهُ فِي وَجْهِهِ ، وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الصَّلَاةِ ، وَذَكَرَ (٥) تَمَوُّذَ اللَّهِ مِنْهُ ، وَكَعْنَهُ لَهُ ؛ ثُمَّ أَرَدَتْ أَخْذَهُ ، وَذَكَرَ نَحْوَهُ ؛ وَقَالَ : لِأَصْبَحَ مُوثِقًا (٦) بِتِلْعَابِ بِهِ وَوَدَانَ أَهْلِ الْمَدِينَةِ (٧) .

وكذلك فى حديثه فى الإسراء ، وطلب عفریت له (٨) بشعلة نار ، فعلمه جبریل ما یعمودُ به منه (٩) - وذكره فى الوطأ ؛ ولما لم یقدر على أذاه بمباشرة تسبب بالتوسط إلى عداة (١٠) ؛ كقضيته مع قریش فى الائتمار (١١) بقتل النبى صلى الله عليه وسلم وتصوره فى صورة الشیخ النجدى .

(١) سورة ص ، آية ٣٥ ، والملک الذى أعطاه الله له ملك الإنس والجن والدنيا كلها .

(٢) خاسئاً : خائبا حقیرا ، لعدم ظفره بما أراد .

(٣) رواه البيهقى ، ومسلم : صحيح مسلم : ٣٨٥ .

(٤) شهاب : شملة . لیجمعه فى وجهى ؛ ليلقيه على ليقطع صلاتى .

(٥) الذى ذكره هو أبو الدرداء . (٦) موثقاً : مربوطاً .

(٧) ولدان أهل المدينة : ولدان : جمع وليد ، وهو الصبى الصغير .

(٨) طلب عفریت : توجه عفریت نحوه ليرميه بشعلة من نار .

(٩) قال الحفاجى : وما علمه له جبریل هو قوله : أعوذ بوجه الله الكرىم ، وكلمات الله

التامات التى لا یجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما ينزل من السماء وشر ما یرج فيها ، وشر ما ذرأ فى الأرض ، وشر ما ینخرج منها ، وشر فتن الليل والنهار ، وشر طوارق الليل ، إلا طارقا یطرق بخیر . وقال له : إذا قتلتن أطفأت ناره .

(١٠) أى جعل الأعداء سبباً وواسطة لإیصال الأذى إليه بإغوائهم وتحريضهم على أذيته وإغرائهم علیه .

(١١) الائتمار : المشاورة فى المهم . وقد كان ذلك حین اجتمعهم بدار الندوة بمكة حین

بلنهم إسلام الأنصار ، فاجتمعوا للتشاور فى أمر النبى الذى انتشرت دعوته . . .

ومرّة أخرى في غزوة بدر في صورة^(١) سُرّاقة بن مالك ، وهو قوله^(٢) :
﴿ وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس ﴾ .
ومرّة يُنذِرُ بشأنه عند بيعة العقبة^(٣) .
وكلُّ هذا فقد كناه اللهُ أمره ، وعصمهُ ضرة^(٤) وشره .
وقد قال صلى اللهُ عليه وسلم^(٥) : « إن عيسى عليه السلام كُفِيَ مِنْ لَمْسِهِ^(٦) ،
فجاء لِيَطْمَنَ بيده في خاصرته لحين وُلِدَ ، فطمَن في الحجاب^(٧) » .

(١) في نسيم الرياض ، وشرح القارى (٢ - ٢١٦) : وكان من أمره مارواه البيهقي في
دلّاه : إن الشيطان تمثّل لكفار قريش بيدر في صورة سُرّاقة بن مالك بن جشم الكنانى ،
وكانت قريش تخاف من بنى بكر أن يأتوا لهم من خلفهم ؛ لأنهم كانوا قتلوا رجلا منهم ، فقال
لهم : ما أخبر الله به من إلقاء الشيطان لهم أنهم لا يهزمون وهم يقاتلون عن دين آبائهم ، وكان
تمثّل مع جنده لهم بصورة قوم من بنى مدلج فيهم سُرّاقة أتوا لإمدادهم ، فقال الشيطان لهم :
لا غالب لكم اليوم من الناس ، وإنى جار لكم ؛ فأمدهم الله بمجنود من الملائكة ؛ فلما رأهم
إبليس ولى عنهم فقالوا له : إنك جار لنا . فقال : إنى أرى مالا ترون ؛ إنى أخاف الله ؛ أى
إهلاكه لى ولجندي ؛ وهو أحد الوجوه في الآية . وانظر في ذلك أيضا تفسير ابن كثير :

٣ - ١٦ ، وتفسير الطبرى : ١٤ - ٧

(٢) سورة الأنفال ، آية ٤٨

(٣) ينذر بشأنه : يخبر بحاله صلى اللهُ عليه وسلم ؛ ليخوف الناس منه . وكان الانصار
قد بايعوه صلى اللهُ عليه وسلم بها بحل فيه الآن مسجد يسمى مسجد البيعة ، فلما رأى ذلك
الشيطان صرخ بأعلى صوته : هذا محمد ومعه الصبابة قد أجمعوا على حربكم . فقال صلى اللهُ عليه
وسلم لما سمعه : هذا أذب العقبة ؛ أى شيطانها .

وأصل الأذب : السكثير الشعر ؛ سمى به الشيطان .

(٤) ضره - بفتح الضاد ؛ أى ضرره .

(٥) في حديث رواه الشيخان عن أبي هريرة . صحيح مسلم : ١٨٣٨ ، وتفسير الطبرى : ٦ - ٣٣٨

(٦) لمسه : الضمير يعود على الشيطان .

(٧) أى فى شىء حجبته عن الوصول للمس جسده . وقيل : الحجاب : المشيمة ، وهى

الغشاء القدى يكون الجنين فى داخله .

وقال صلى الله عليه وسلم حين لُدَّ^(١) في مَرَضِهِ ، وقيل له : خَشِينَا أَنْ يَكُونَ بِكَ ذَاتُ الْجَنْبِ^(٢) - فقال : إنها من الشيطان ، ولم يكن الله يُسَلِّطُهُ عَلَيَّ .
فإن قيل : فما معنى قوله تعالى^(٣) : ﴿ وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ - فقد قال بعضُ المفسرين : إنها راجعةٌ إلى قوله^(٤) : ﴿ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ ؛ ثم قال : وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ ؛ أي يستخفّنك غضبٌ يحمّلك على تركِ الإعراض عنهم فاستعِذْ بالله تعالى .
وقيل : النَّزْغُ هاهنا الفسادُ ، كما قال تعالى^(٥) : ﴿ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي ﴾ .

وقيل : يَنْزَغَنَّكَ : يفرينك^(٦) ويُحَرِّكَنَّكَ . والنزغُ : أدنى الوسوسة ، فأمره الله تعالى أنه متى تحرك^(٧) عليه غضبٌ على عدوّه ، أو رامَ الشيطانُ من إغرائه به وخواطِر أداني وسأوسيه ، لم يُجْعَلْ له سبيلٌ إليه - أن يستعِيدَ منه ، فيُكْفِي أمره ، ويكون سببَ تمامِ عِصْمَتِهِ ، إذ لم يُسَلِّطْ عليه بأكثر من التعرُّضِ له ، ولم يُجْعَلْ له قدرةٌ عليه .
وقد قيل في هذه الآية غيرُ هذا .

-
- (١) لد : من اللدود : دواء يوضع في أحد شقي النعم يتفرغر به ثم يشرب .
(٢) ذات الجنب : اسم لمرض يكون في باطن الجنب .
(٣) سورة الأعراف ، آية ٢٠٠
(٤) أصل معنى النزغ لمة إدخال شيء مفسد كالظمن . فأصل انزغ الظمن ، ثم شاع في كل مفسد .
(٥) سورة الأعراف ، آية ١٩٩
(٦) سورة يوسف ، آية ١٠٠ ، ونزغ الشيطان : أفسد .
(٧) يفرينك : من الإغراء ، وهو الحث والتحرير على أمر ما .
(٨) تحرك : طرأ عليه وعرض عليه .

وكذلك لا يصح أن بتصوّر له الشيطان في صورة الملاك ، ويُبلس^(١) عليه ،
لا في أول الرسالة ولا بعدها .

والاعتدād في ذلك^(٢) دلائل المعجزة ؛ بل لا يشك [١٩٣] النبي أن يأتيه من الله
الملاك ورسوله حقيقة^(٣) ، إِمَّا بِعِلْمٍ ضَرُورِيٍّ يَخْلُقُهُ اللهُ لَهُ ، أو ببرهان يُظْهِرُهُ لَدَيْهِ ،
لَتَقِيْمٌ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ، لا مُبَدَّلَ لِكَلِمَاتِهِ^(٤) .

فإن قيل : فما معنى قوله تعالى^(٥) : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ
إِلَّا إِذَا تَمَتَّى أَتَى الشَّيْطَانَ فِي أَمْنِيَّتِهِ^(٦) ، فينسخ الله ما يأتي الشيطان ثم يحكم الله آياته
والله عليم حكيم ﴾ .

فاعلم أن للناس في معنى هذه الآية أقاويل منها السهل والوعث^(٧) ، والسمين
والفث^(٨) ؛ وأولى^(٩) ما يقال فيها ما عليه الجمهور من التفسيرين : أن التمتي هاهنا
التلاوة ، وإتاء الشيطان فيها شغله^(١٠) بخواطر وأذكار من أمور الدنيا للتألي حتى
يُدْخَلَ عَلَيْهِ الوَهمَ والنسيانَ فيما تلاه ، أو يُدْخَلَ غَيْرَ ذَلِكَ على أفهام السامعين من

(١) ويابس عليه : يخلط عليه .

(٢) في ذلك : أي في عدم تلبس الشيطان عليه وتصوره بصورة الملك .

(٣) حقيقة : لاعتوينا ولا تلبسنا عليه .

(٤) لا مبدل لكلماته : أي لا يمكن تغييرها ، ولا تنسخ بعد ما بلغت غاية لا تقبل الزيادة

عليها . (٥) سورة الحج ، آية ٥٢

(٦) التمتي : بمعنى التلاوة ، والقراءة . والأمنية : الكلام المتلو .

(٧) أي ما هو ظاهر سهل فهمه ، ومنها ما هو خفي يعسر فهمه . وأصل الوعث : المكان

الكثير الرمل الذي يشق المشي فيه : ثم استعمل بمعنى المشاق .

(٨) السمين : مستعار من السمن ؛ وهو الممتلئ من اللحم والشحم . والفث ضده .

(٩) أولى : أحق ، أو أقرب .

(١٠) في هامش أمامها : اشتغاله .

التحريف وسوء التأويل ما يزيله الله وينسخه ، ويكشف^(١) لئسه ، ويحكم آياته .
وسياتى الكلام على هذه الآية بأشبع من هذا إن شاء الله .
وقد حكى السمرقندى إنكار قول من قال بتسليط الشيطان على ملك سليمان ،
وغلبته عليه ، وأن مثل هذا لا يصح .

وقد ذكرنا قصة سليمان مبينة بمد هذا ، ومن قال : إن الجسد^(٢) هو الولد
الذى ولد له .

وقال أبو محمد مكي في قصة أيوب وقوله^(٣) : ﴿ أُنِي مَسْنِي الشَّيْطَانُ بِنُضْبٍ
وَعَذَابٍ ﴾ - إنه لا يجوز لأحد أن يتأول أن الشيطان هو الذى أمرضه ، وألقى
الضر في بدنه ، ولا يكون ذلك إلا بفعل الله وأمره ، ليبتليهم^(٤) ويثبتهم .

قال مكي : وقيل : إن الذى أصابه به الشيطان ما وسوس به إلى أهله .
فإن قلت : فما معنى قوله تعالى - عن يوشع^(٥) : ﴿ وَمَا أَنسَانِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ ﴾ .
وقوله - عن يوسف^(٦) : ﴿ فَأَنسَأَهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ ﴾ .

وقول نبيينا صلى الله عليه وسلم ، حين نام عن الصلاة يوم الوادى : « إن هذا
واد^(٧) به شيطان » .

(١) يكشف : يزيل خلطه ، ويبين غلطه .

(٢) الجسد الذى ذكره الله تعالى فى قوله : « وألقينا على كرسيه جسدا » .

(٣) سورة ص ، آية ٤١ . بنصب وعذاب : تعب وألم ومشقة عظيمة .

(٤) ليبتليهم : يوقع بهم بلاء من مرض وغيره ؛ ليختبرهم .

(٥) سورة الكهف ، آية ٦٣ (٦) سورة يوسف ، آية ٤٢

(٧) هو واد بقرب مكة ؛ وكان صلى الله عليه وسلم لما نزل أمر بلالا أن ينبهه إذا طلع

الفجر ، فنفل عنه ، فنام صلى الله عليه وسلم وحق أدركه حر المحبس .

وانظر فى ذلك الوطأ ، والبخارى : للوطأ : ١٤

قال فى نسيم الرياض : فإن قلت : كيف هذا مع قوله صلى الله عليه وسلم : تمام عيناي

ولا ينام قلبي ؟

وقول موسى عليه السلام في وَكْرَتِهِ ^(١) : ﴿ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ ﴾ ؟
 فاعلم أن هذا الكلام قد يردُّ في جميع هذه على مؤرِّدٍ مستعيرٍ ^(٢) كلام العرب
 في وصفهم كلَّ قبائحهم ، من شَخْصٍ أو فعلٍ بالشيطانٍ أو فعله ^(٣) ؛ كما قال تعالى ^(٤) :
 ﴿ طَاعَهَا كَأَنَّه رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴾ .

وقال صلى الله عليه وسلم ^(٥) : « فَلْيُقَاتِلْهُ فَإِنَّمَا هُوَ شَيْطَانٌ » .
 وأيضاً فإنَّ قولَ بُوْشَعٍ ^(٦) لا يَلْزَمُنَا الجوابُ عنه ؛ إذ لم يثبت له في ذلك
 الوَقْتِ نبوءة موسى ؛ قال الله تعالى ^(٧) : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ ﴾ .

= قلت : أجاب عنه المصنف بأن القلب لا يدرك ما تدركه الحواس الظاهرة كالعين والأذن ،
 وأنه صلى الله عليه وسلم كان له حالان : في أحدهما - وهو الأكثر - أن قلبه لا ينام ، وفي بعض
 الأحيان تنام عينه وقلبه لعارض كتمب سفر ونحوه .
 ثم قال : والجواب الثاني هو الأولي ، وهذا الحديث له أصل أيضاً في مسلم عن أبي هريرة ،
 وله طرق أخرى .

(١) ١٥٠ - القصص ، آية ١٥ . والوكز : الضرب والدفع بجمع الكف . ووكزه : المراد
 به وكر القبطي المذكور في القرآن . (٢) أي على طريق معروف في استعمال كلام العرب .
 (٣) فإذا رأوا شخصاً قبيحاً قالوا : هذا شيطانٌ بالتشبيه البليغ ؛ وإذا رأوا فعلاً قبيحاً
 قالوا : هذا فعل شيطان . (٤) سورة الصافات ، آية ٦٥ ، وطاعها : ثمرها .
 (٥) في حديث رواه الشيخان : صحيح مسلم : ٢٦٣ ، وروايته عن أبي سعيد الخدري ،
 وفيه : إذا صلى أحدكم إلى شيء يستره ، فأراد أحد أن يجتاز بين يديه فليدفع في نحره ، فإن
 أبي فليقاتله فإنما هو شيطان .

قال الحفاجي : والأمر للندب للوجوب ، فإنما يندب إذا كان بين يديه ستره ، وإنما يفعل
 ذلك إذا لم يرتد بأسهل الوجوه . وذكر المقاتلة مبالغة في شدة الدفع ، وإلا فالمقاتلة أفعال كثيرة
 لا تجوز في غير صلاة الخوف . وإنما كره ذلك لأنه شغل عن خدمة ربه وتوجهه إليه .
 (٦) قوله هو : « وما أفسانيه إلا الشيطان أن أذكره » الذي حكاه الله عنه .
 (٧) سورة الكهف ، آية ٦٠ .

والمَرَوِيُّ أنه إنما نُبِيَ بعد مَوْتِ موسى ، وقيل : قَبِيل مَوْتِهِ (١) .
وقولُ موسى كان قَبِيلَ نَبُوْتِهِ بدليل القرآن (٢) .
وقصةُ يوسف قد ذُكِرَ أنها كانت قَبِيلَ نَبُوْتِهِ (٣) .

وقد قال المفسرون في قوله تعالى (٤) : ﴿ فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ﴾ - قَوَائِن : أحدهما : أنَّ
الذي أنساهُ الشيطانُ ذِكرُ رَبِّهِ أَحَدُ صَاحِبِي السَّجْنِ ، وَرَبُّهُ الْمَلِكُ ؛ أَى أَنسَاهُ أَنْ
يَذْكَرَ لِلْمَلِكِ شَأْنَ يَوْسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ .

وأيضاً فَإِنَّ مِثْلَ هَذَا مِنْ فِعْلِ الشَّيْطَانِ لَيْسَ فِيهِ تَسَلُّطٌ عَلَى يَوْسُفَ وَبُوشَعَ
بِوَسَاوِسٍ وَزَنْبِجٍ ؛ وَإِنَّمَا هُوَ بِشْغَلِ خَوَاطِرِهَا بِأُمُورٍ أُخَرَ ، وَتَذْكَيرِهَا مِنْ أُمُورِهَا
مَا يُنْسِيهَا مَا نَسِيًا .

وَأَمَّا قَوْلُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنَّ هَذَا وَاوَدِ بِهِ شَيْطَانٌ [١٩٤] فَلَيْسَ فِيهِ ذِكَرُ
تَسَلُّطِهِ عَلَيْهِ ، وَلَا وَسْوَاسَتِهِ لَهُ ؛ بَلْ إِنْ كَانَ بِمَقْتَضَى ظَاهِرِهِ فَقَدْ بَيَّنَّ أَمْرَ ذَلِكَ

(١) قال الخفاجي : وقيل الأصح أنه نبي بعد موسى .

(٢) فإنه قص فيه القصة بما يدل على أنه نبي بعد ذلك ، كما يعرفه من عرف الآية وتفسيرها
في سورة القصص ، فإنها قبل خروجه لمدين واستئجار شعيب له ومكثه عنده ، فإنه صرح في
الآية بأنه نبي بعد ذلك .

(٣) أى قبل نبوة يوسف عليه السلام ، فلا يمتنع قبلها أن يخطر عليه خاطر ينسى ذكر
ربه المشار إليه بقوله : فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكرُ رَبِّهِ ؛ وَهَذَا أَحَدُ الْقَوْلَيْنِ فِيهِ . وَقِيلَ : إِنَّهُ نَبِيٌّ
فِي الْجَبِّ ، وَهُوَ عَلَى حَجَرٍ مَرْتَعٍ ، بِدَلِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى : وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنْبِئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا . وَقِيلَ :
قَبْلَ حِجْيَتِهِ لِمِصْرَ ؛ وَهُوَ قَوْلُ الْحَسَنِ ، وَمُجَاهِدٍ ، وَالضَّحَّاكِ ، وَقَتَادَةَ - وَهُوَ ابْنُ ثَمَّانٍ عَشْرَةَ سَنَةً ؛
فَعَلَى هَذَا يَجِبُ بَأَنَّهُ إِيمَانًا كَانَ اسْتِمَاعًا بِمَخْلُوقٍ ، وَمِثْلُهُ جَائِزٌ وَإِنْ لَمْ يَلِقْ بِمَنْصِبِ النُّبُوَّةِ ، فَأُضَافَ
مَا هُوَ خِلَافُ الْأَوَّلَى إِلَى الشَّيْطَانِ تَأْدِيبًا ، وَلَا ضَمِيرَ فِيهِ . وَهَذَا بِنَاءٌ عَلَى أَنَّ ضَمِيرَ الشَّأْنِ رَاجِعٌ
لِيُوسُفَ .

(٤) سورة يوسف ، آية ٤٢

الشیطان بقوله (١) : « إِنَّ الشَّيْطَانَ أَتَى بِلَالًا ، فَلَمْ يَزَلْ يَهْدِيهِ كَمَا يَهْدِي الصَّبِيُّ حَتَّى نَامَ (٢) » .

فاعلم أنَّ تسلُّطَ الشَّيْطَانِ فِي ذَلِكَ الْوَادِي الَّذِي عَرَّسَ بِهِ إِعْمَا كَانَ عَلَى بِلَالٍ الْمُوَكَّلِ بِكَلَاءَةِ (٤) النَّجْر .

هَذَا إِذْ جَعَلْنَا قَوْلَهُ : إِنَّ هَذَا وَادٍ بِهِ شَيْطَانٌ ؛ تَنْبِيْهًا عَلَى سَبَبِ النَّوْمِ عَنِ الصَّلَاةِ (٥) .

وَأَمَّا إِذْ جَعَلْنَاهُ تَنْبِيْهًا عَلَى سَبَبِ الرَّحِيلِ عَنِ الْوَادِي ، وَعِلَّةً لِتَرْكِ الصَّلَاةِ بِهِ ، وَهُوَ دَلِيلٌ مُسَاقٍ حَدِيثِ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ . فَلَا اعْتِرَاضَ بِهِ فِي هَذَا الْبَابِ (٦) ؛ لِبَيَانِهِ ، وَارْتِفَاعِ إِشْكَالِهِ .

فصل

[فِي عَصْمَةِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ]

وَأَمَّا أَقْوَالُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَامَتِ الدَّلَائِلُ الْوَاضِحَةُ بِصِحَّةِ الْمُعْجَزَةِ عَلَى

(١) بقوله صلى الله عليه وسلم في رواية مالك والبيهقي عن زيد بن أسلم . وقد تقدم .

(٢) أتى بلالا بعد أن أمره رسول الله أن ينتظر طلوع الفجر ، ويوقظه صلى الله عليه وسلم من نومه ، فلم يزل الشيطان . . . وقد تقدم هذا الحديث ، وتخريجه .

(٣) نام بلال فلم يستيقظ حتى أصابه صلى الله عليه وسلم حر الشمس فاستيقظ وقال : ما هذا يا بلال ! فقال : أخذ بنفسى الذى أخذ بنفسك يا رسول الله . . . الحديث .

(٤) كلاءة : حراسة ، ومراقبة ؛ أى مراقبة طلوع الفجر ليو قظهم .

(٥) وذلك بناء على أن المراد أن الشيطان تسلط على من غفل عن الصلاة حتى فات وقتها بطريق من الطرق ، لكن ليس المسلط عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ بل بلال ، وإن الشيطان تحيل عليه في غلبة النوم كما تنحيل الأمام على طفلها ليستغرق في نومه .

(٦) في هذا الباب الذى عقد لبيان أن الشياطين لا تسلط لهم على الأنبياء عليهم السلام بوسوسة ونحوها .

صِدْقُهُ^(١) ، وأجمعت الأمة فيما كان طريقه البلاغ^(٢) أنه معصوم فيه من الإخبار عن^(٣) شيء منها بخلاف ما هو به ، لا قَصْدًا وَعَمْدًا ، ولا سَهْوًا وَغَلَطًا .
أَمَّا تَمَمُّدُ الْخُلْفِ فِي ذَلِكَ^(٤) فَمُمْتَنَفٍ ، بِدَلِيلِ الْمَعْجَزَةِ الْقَائِمَةِ مَقَامَ^(٥) قَوْلِ اللَّهِ
فِيمَا قَالِ اتِّفَاقًا ، وَيُطَبِّقُ أَهْلَ الْمِلَّةِ إِجْمَاعًا .

وأما وقوعه على جهة الغلط في ذلك فهذه السبيل^(٦) عند الأستاذ أبي إسحاق
الإسفراني ومن قال بقوله^(٧) ؛ ومن جهة الإجماع فقط^(٨) ، وورود الشرع بانتفاء ذلك ،
وعصمة النبي صلى الله عليه وسلم لا من مقتضى المعجزة نفسها عند القاضي أبي بكر
الباقلاني ومن وافقه لاختلاف بينهم في مقتضى دليل المعجزة لا نظوّل بذكره ،
فنخرج عن غرض الكتاب ؛ فلنتمد على ما وقع عليه إجماع المسلمين - أنه لا يجوز

(١) الواضحة : الظاهرة القاطمة ، العقلية والنقلية ، من الآيات والبراهين المتضدة بصحة
معجزاته على صدقه .

(٢) عن شيء منها : أى عما طريقه البلاغ .

(٣) فى ذلك : فى الإخبار عما طريقه البلاغ . والحلف : الكذب فى إخباره عن أمر
مستقبل ؛ وهو منتف عنده ، لأنه غير لائق بمقامه .

(٤) مقام قول الله لمن بعث إليهم الرسول : صدق رسولى ونبى فيما قال لكم وبلغكم عنى
بدليل معجزته التى هى برهان قاطع على صدق مدعاه .

(٥) على طريق الغلط فى ذلك من غير عمد وقصد منه ؛ بل بسهو منه ونحوه . فهذه السبيل :
أى طريق انتفائه كطريق انتفاء الهمد فيه ؛ فإن الدليل الدال عليه دال على انتفاء هذا أيضا ؛
إلا أن الأول متفق عليه ، وهذا مختلف فيه .

(٦) من قال بقوله ، واتبعه فى هذه المسألة ، يعنى أن المعجزة تدل على صدقه صلى الله عليه
وسلم فيما قاله ، وأنه لا يصدر عنه ما يخالف الواقع لا قصدا ولا غلطا ولا سهوا بطريق من الطرق ؛
فمعجزته - صلى الله عليه وسلم - كما دلت على نبوته دلت على صدقه . وهذا القول ارتضاه المصنف .

(٨) أى ومن جهة الإجماع الدال على أنه لم يصدر عنه صلى الله عليه وسلم الكذب لا قصدا
ولا سهوا . ومن جهة الإجماع : معطوف على قوله : فهذه السبيل ؛ أى الدال على ذلك إنما هو
للمعجزة والإجماع لا دليل عقلى غيرهما .

عليه خُلف^(١) في القول في إبلاغ الشريعة، والإعلام بما أخبر به عن ربّه، وما أوحاهُ إليه من وحيه، لا على وجه العمد، ولا على غير عمد^(٢)، ولا في حال الرضا والسخط^(٣)، والصحة والمرض.

وفي حديث عبد الله بن عمرو^(٤) : قلتُ يا رسول الله ! أكتب كل ما أسمعُ منك ؟ قال : نعم . قلت : في الرضا والنضب ؟ قال : نعم ؛ فإنّي لا أقولُ في ذلك كلمة^(٥) إلا حقاً .

ولنزيد ما أشرنا إليه من دليل المعجزة^(٦) عليه بيانا ؛ فنقول : إذا قامت المعجزة على صدقه، وأنه لا يقول إلا حقاً، ولا يبلغ عن الله إلا صدقاً، وأن المعجزة قائمة مقام قول الله له : صدقتَ فيما تذكُرُه عنى؛ وهو يقول : إني رسولُ الله إليكم لأبلغكم ما أرسلتُ به إليكم، وأبين لكم ما نزلَ عليكم، ﴿وما ينطقُ عن الهوى﴾ . إن هو إلا وحي^(٧) يوحي . ﴿وقد^(٨) جاءكم الرسولُ بالحقِّ من ربِّكم﴾ . ﴿وما^(٩) آتاكم الرسولُ فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾ ؛ فلا يصحُّ أن يوجد منه في هذا الباب^(١٠) خبرٌ بخلاف مُخبره^(١١) على أى وجه كان .

-
- (١) خلف في القول : أى ما يخالف الحق والواقع .
 (٢) ولا غير عمد : من خطأ ونسيان . (٣) السخط : كراهة ذلك الأمر المخبر به .
 (٤) رواه الإمام أحمد ، وأبو داود ، والحاكم ، وصححه .
 (٥) كاه : من حالى الرضا والنضب .
 (٦) من دليل المعجزة عليه : أى دلالتها على ما ذكر .
 (٧) سورة النجم ؛ آية ٣ ، ٤ . وما ينطق عن الهوى : أى لا يصدر عنه أمر بمجرد هوى نفسه وتشبيهه .

- (٨) سورة النساء ، آية ١٧٠ . فلا يصدر عنه صلى الله عليه وسلم ما يخالف الواقع .
 (٩) سورة الحشر ، آية ٧ . فخذوه : تمسكوا به . وما نهاكم عنه فانتهوا عنه ولا تقربوه ؛
 لأنه إنما يأمركم بما أمر الله تعالى ، وينهاكم عما نهى الله تعالى عنه .
 (١٠) في هذا الباب : وهو ما طريقه البلاغ عن الله تعالى .
 (١١) أى لا يصدر عنه خبر يخالف للواقع .

ولو جَوَّزْنَا عليه الغَلَطَ والسَّهْوَ لما تَمَيَّزَ لنا من غيره^(١)، وَلَا اخْتَلَطَ الحقُّ بالباطل؛ فالمعجزةُ مشتملةٌ على تصديقه جُمْلَةً واحدةً من غير خصوص^(٢)؛ فتنزيهُ النبي عن ذلك كلِّه واجبٌ برهاناً وإجماعاً^(٣) كما قاله أبو إسحاق.

فصل

وقد توجَّهتُ هنا لبعض الطاعنين^(٤) [١٩٥] سوالات؛ منها:

ما رُوي من أن النبي صلى الله عليه وسلم لما قرأ «والنجم»، وقال^(٥): ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى . وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى﴾ - قال^(٦): تلكَ الغَرَائيقُ العِلا ، وإن شفاعتها تُرتجى - ويروى: تُرتضى^(٧). وفي رواية: إن شفاعتها تُرتجى ، وإنها لَمَعَ الغَرَائيقُ^(٨) العِلا . وفي أخرى: والغرانةُ العِلا ، تلكَ للشفاعة تُرتجى .

(١) أى ما تميز صوابه الواجب اتباعه من غيره ، أو خبره عن خبر غيره .

(٢) مشتملة على تصديقه : أى ثبوت صدقه فيما أخبر به عن ربه . جملة واحدة : أى فى جميع ما جاء به من جميع أخباره وما يبلغه عن الله تعالى . من غير خصوص : أى تخصيص لأمر دون آخر ، إلا بدليل يقوم على التخصيص .

(٣) برهاناً : بطريق البرهان العقلى المعلوم من المعجزة والتحدى بها . وإجماعاً : من جميع أهل الملل الإسلامية وعلماء الدين . (٤) الطاعنين : للمترضين .

(٥) قرأ ؛ أى فى صلاته . سورة النجم ، آية ١٩ ، ٢٠ .

واللات : صنم كان لقريش ، أو ثقيف . والعزى ، سمرة كانت لثقفان تبعدها . ومناة : صخرة كانت خزاعة وهذيل تبعدها . والثالثة الأخرى ؛ بمعنى للتأخرة . (الأصنام للسكبي) .

(٦) قال : أى قائل سمع ما قاله عند تلاوته صلى الله عليه وسلم . تلك : المذكورة من اللات وما بعدها . الغرائيق : جمع غرنوق أو غرنيق ؛ وهو طير من طيور الماء كبير طويل العنق أبيض ، وأصله الشاب الناعم - استعير للأصنام . والعِلا : التى ترفع للسما . وإن شفاعتها تُرتجى وتؤمل وتنتظر . (٧) ترتضى : تقبل عند الله بزعمهم .

(٨) وإنها لمع الغرائيق العِلا : يعنون الملائكة . وارجع فى هذا إلى صحيح البخارى :

٦ - ١٧٧ ، وتفسير ابن كثير : ٧ - ٤٤٤ ، وتفسير القرطبي : ٧ - ١٢٤ ، ١٢ - ٨٢ ، وقد نقل القرطبي كلام القاضى عياض بنصه هناك .

فلما ختم السورة سجداً، وسجد معه المسلمون والكفار لما سموه أئمتي^(١) على آلهتهم .

وما وقع في بعض الروايات أَنَّ الشيطانَ ألقاها^(٢) على لسانه، وأنَّ النبي صلى الله عليه وسلم كان تمتمى^(٣) أن لو نزلَ عليه شيء يُقاربُ بينه وبين قومه .

وفي رواية أُخرى : ألا ينزلَ عليه شيء ينفرُّهم عنه ؛ وذكر^(٤) هذه القصة ، وأنَّ جبريلَ عليه السلامُ جاء فعرض^(٥) عليه الشُّورةَ ، فلما بلغَ السكَّمتين قال له :

ما جئتُك بهاتين^(٦) . فحزِنَ لذلك النبيُّ صلى الله عليه وسلم ، فأُنزلَ اللهُ تعالى تسليمةً له^(٧) : ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسولٍ ولا نبيٍّ إلا إذا تممى ألقى الشيطانُ في أمْنيتِهِ فَيَنْسَخُ اللهُ ما يَبْقَى الشيطانُ ، ثم يُحْكِمُ اللهُ آياته ، واللهُ عليمٌ حكيمٌ ﴾^(٨) .

وقوله^(٩) : ﴿ وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذَا لَا تَأْخُذُوكَ خَلِيلًا . وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا ﴾ .

(١) أئمتي على آلهتهم بقوله المتقدم : تلك الفرانيق الملا ، وإن شفاعتها لترتجى .

(٢) ألقاها : ألقى هذه السكَّات ، على لسانه : فسبق لسانه بها سهواً منه ، ثم تنبه ونبهه جبريل لها ، وكان ذلك ابتلاءً من الله تعالى ليعلم من ثبت على ذلك أو تزلزل .

(٣) كان تمتمى : لحرصه على إيمان قومه . (٤) وذكر : أى صاحب تلك الرواية .

(٥) عرض عليه السورة : قرأها عليه . (٦) ما جئتُك : من الله .

(٧) التسليمة : إذهاب حزنه بتطبيب خاطره .

(٨) سورة الحج ، آية ٥٢

(٩) سورة الإسراء ، آية ٧٣، ٧٤ . كادوا : قاربوا أن يخذعوك عما أوحيناه إليك حتى تقول

مالم تقله بما أرادته قريش حتى تركزن إلى الكفرة لتستميل قلوبهم للإسلام ، فبين الله لك ذلك ، وثبتك على الحق ، وأغناك عن المداورة .

فاعلمَ - أكرمك الله أن لنا في الكلام على مُشكِـل هذا الحديثِ مأخذينِ :
أحدهما : في توهين أصله ، والثاني على تسليمه ^(١) .

أما المأخذُ الأولُ فيحكفك أن هذا حديثٌ لم يُخرجه أحدٌ من أهل الصحة ،
ولا رواه ثقةٌ بسندٍ سليمٍ ^(٢) متصلٍ ؛ وإنما أولع ^(٣) به وبمثله المفسِّرون والمؤرِّخون
المولِّمون بكل غريب ، المتلقِّفون ^(٤) من الصحف كلَّ صحيحٍ وسقيمٍ .

وصدق القاضي بكر بن العلاء المالكي حيث قال : لقد بلي ^(٥) الناسُ ببعض
أهل الأهواء ^(٦) والتفسير ؛ وتعلَّقَ بذلك المُلحدون ^(٧) مع ضعف نقلته واضطراب
رواياته ، واقتطاع إسناده ، واختلاف كلماته ؛ فقاتلٌ يقول : إنه في الصلاة ؛ وآخر
يقول : قالها في نادى قومِه حين أنزلت عليه السورة ؛ وآخر يقول : قالها وقد أصابته
سنةٌ ^(٨) ؛ وآخر يقول : بل حدَّثَ نفسه فسأها ؛ وآخر يقول : إن الشيطانَ قالها على
لسانه ، وإن النبيَّ صلى الله عليه وسلم لما عرضها على جبريل قال : ما هكذا أقرأتك ؛
وآخر يقول : بل أعلمهم ^(٩) الشيطانُ أن النبيَّ صلى الله عليه وسلم قرأها ؛ فلما بلغ
النبيَّ صلى الله عليه وسلم ذلك قال : والله ما هكذا نزلتْ - إلى غير ذلك من
اختلاف الرواة .

(١) توهين أصله : تضعيف روايته . على تسليمه : أى التسليم بروايته ؛ تنزلاً وإرخاء
للعمان لمن أورده .

(٢) لم يخرجه : لم يروه بسنده . بسند سليم : بسند سالم من الطعن والعلّة والجرح من
نقاد السلف .

(٣) أولع به : يقال : أولع بكذا ، فهو مولع ، إذا لهج به وأكثر من ذكره .

(٤) تلقفه : إذا تناوله بسرعة .

(٥) بلى الناس : من الابتلاء ، وهو الامتحان ، أى صار لهم بلاء وحنة .

(٦) الأهواء : أصحاب الآراء الفاسدة ، والمذاهب الباطلة .

(٧) الملحدون : جمع ملحد ، وهو من لم تكن عقيدته حقاً ، وللاثلون عن الحق .

(٨) سنة : السنة أول النوم ، وهو النامس . (٩) أعلمهم الشيطان : أى وسوس لهم .

وَمَنْ حَكَيْتَ هَذِهِ الْحِكَايَةَ عَنْهُ مِنَ الْمَفْسَّرِينَ وَالتَّابِعِينَ لَمْ يَسْنَدْهَا أَحَدٌ مِنْهُمْ ،
وَلَا رَفَعَهَا إِلَى صَاحِبِ^(١) ؛ وَأَكْثَرُ الطَّرِيقِ عَنْهُمْ فِيهَا ضَعِيفَةٌ وَاهِيَةٌ^(٢) ؛ وَالرَّفْعُ فِيهِ
حَدِيثُ شُعْبَةَ : عَنْ أَبِي بَشِيرٍ ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ فِيهَا أَحْسَبُ^(٣) -
الشك في الحديث - أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ بِمَكَّةَ . . . وَذَكَرَ الْقِصَّةَ .

قال أبو بكر البزار : هذا الحديث لانهله يُرْوَى عن النبي صلى الله عليه وسلم
بإسناد متصل يجوز ذكره إلا هذا ، ولم يُسْنَدْهُ عن شعبة إلا أمية بن خالد ؛
وغيره يُرْسَلُهُ^(٤) عن سعيد بن جبير ؛ وإنما يعرف عن الكلبي^(٥) ، عن أبي صالح ،
عن ابن عباس ؛ فقد بين لك أبو بكر رحمه الله أنه لا يعرف من طريق يجوز
ذكره سوى^(٦) هذا .

وفيه^(٧) من [١٩٦] الضعف ما نبه عليه مع وقوع الشك^(٨) فيه ، كما ذكرناه ،
الذي لا يوثق به ، ولا حقيقة^(٩) معه .
وأما حديث الكلبي فيما لا يجوز الرواية عنه ولا ذكره لقوة ضعفه وكذبه ،
كما أشار إليه البزار رحمه الله^(١٠) .

(١) إلى صاحب : إلى صحابي من أصحاب الرسول ، أو إلى صاحب رواية .

(٢) واهية : ساقطة .

(٣) أحسب : أظن . الشك في الحديث : أي في متنه وأصله ، لافي سنده .

(٤) يرسله : يرويه مرسلًا ، والمرسل : ما سقط من سنده الصحابي .

(٥) الكلبي : هو محمد بن السائب المفسر الأخباري النسابة . والأكثر من طي أنه غير ثقة

خصوصًا إذا روى . (٦) سوى هذا : سوى هذا الطريق الذي رواه شعبة عنه بسند .

(٧) وفيه : في حديث شعبة أيضًا .

(٨) مع وقوع الشك فيه الذي أشار إليه بقوله المار : فيما أحسب .

(٩) ولا حقيقة معه : أي تحقق وتيقن .

(١٠) قال الحفاجي : فإنه أي البزار وغيره من المحدثين قلوا : إنه كذاب وضاع لا يوثق

به ، وإن كان إمامًا في اللغة والتفسير . وفي ميزان الاعتدال (٣ - ٥٥٨) : مذهبه في الدين

ووضوح الكذب فيه أظهر من أن يحتاج إلى الإغراق في وصفه .

والذى منه^(١) فى الصحيح أن النبىَّ صلى الله عليه وسلم قرأ : والنجم - وهو بمكة ؛ فسجد معه المسلمون والمشركون والجن والإنس^(٢) .
هذا توهينه من طريق النقل^(٣) فأما من جهة المعنى فقد قامت الحجة ، وأجمت الأمة على عصمته صلى الله عليه وسلم ونزاهته^(٤) عن مثل هذه الرذيلة^(٥) ؛
إما من تَمَنِّيهِ أن يُنزلَ عليه مثلُ هذا من مدح آله غيرِ الله ، وهو كفر^(٦) ؛
أو أن يدسورَ عليه الشيطان ، وبُشِبَهُ^(٧) عليه القرآن حتى يجعلَ فيه ما ليس منه ،
ويمتدَّ النبىُّ صلى الله عليه وسلم أن من القرآن ما ليس منه حتى يُذَبِّه^(٨) .
جيريلُ عليه السلام ، وذلك كله مُمتنع^(٩) فى حقه صلى الله عليه وسلم ، أو يقول

(١) منه : من هذا الحديث .

(٢) قال السكرمانى : هى أول سورة نزلت فيها سجدة . وإنما سجد الشركون لألهتهم معارضة للمسلمين ، أو وقع منهم ذلك بلا قصد ، أو خافوا من مخالفتهم فى ذلك المجلس ؛ وقد سبق أن هذا فى صحيح البخارى . وهو فى أحكام القرآن : ١٧٢٣

(٣) قال الحفاجى فى نسيم الرياض : وقد قال ابن حجر : قول أبى بكر بن العربى : إن طرق هذا الحديث كلها باطلة ؛ وقول عياض فى الشفاء : إنه لم يخرج له أحد من أهل الصحة وليس له سند متصل مع ضعف ثقافته واضطراب رواياته لاوجه له ؛ فإن له طرقاً متعددة كثيرة متتابعة الخارج ؛ وكل ذلك يدل على أن له أصلاً ؛ وقد ذكرنا له ثلاثة أسانيد منها ما هو على شرط الصحيح ؛ وهى وإن كانت مراسيل محتج بها من محتج بالرسول لا اعتضاد بمضاميع ؛ فتبين بهذا أن مبالغة المصنف - رحمه الله تعالى - فى رد نقله غير مرضية (نسيم الرياض : ٤ - ١٠٠)

(٤) نزاهته : بعده .

(٥) الرذيلة : الخصلة القبيحة الدينية ، وهى - هنا - القول على الله بما لم يقله .

(٦) بقوله : تلك الفرائيق الملا . وهو كفر ؛ لأن الرضا بالكفر كفر .

(٧) يقسور : يتسلط . وبشبهه عليه القرآن ؛ أى يلبسه ويخلط فيه ما ليس منه .

(٨) بقوله له : ليس هذا من الوحى الذى أتيت به إليك .

(٩) لنزاهته عن مثله وحفظ الله له .

ذلك النبي صلى الله عليه وسلم من قِبَلِ (١) نفسه عمداً ، وذلك كُفْرٌ (٢) ؛ أو سَهْوًا ، وهو معصومٌ من هذا كله .

وقد قرّرنا بالبراهين والإجماع عصمته صلى الله عليه وسلم من جرّيان (٣) الكُفْرِ على قلبه أو لسانه ، لا عمداً ولا سهواً ، أو أن يُشَبَّه عليه ما يُلقِيه المَلَكُ بما (٤) يُلقى الشيطانُ ، أو يكون للشيطانِ عليه سبيلٌ (٥) ، أو أن يتقول (٦) على الله ، لا عمداً ولا سهواً ، ما لم ينزلْ عليه ؛ وقد قال اللهُ تعالى (٧) : ﴿ ولو تقول علينا بعض الأقاويل . لأخذنا منه باليمين . ثم لقطعنا منه الوتين ﴾ .

وقال تعالى (٨) : ﴿ إذا لأذقناك ضعفَ الحياةِ وضعفَ الماتِ ثم لا تجدُ لك علينا نصيراً ﴾ .

ووجهُ ثانٍ ؛ وهو استحالةُ هذه النصّة نظراً وعرُفاً (٩) ؛ وذلك أن هذا الكلام

(١) أى من غير إلقاء الشيطان عليه ؛ وهو لا ينطق عن الهوى .

(٢) هو كُفْرٌ ، لأنه افتراء وتبديل لكلام الله تعالى بالزيادة فيه .

(٣) من جرّيان الكُفْرِ : وقوعه منه .

(٤) فى ١ : أو أن يتشبهه . . . مما يلقى . . .

(٥) سبيل : طريق يصل إليه منه مما حماه الله عنه .

(٦) يتقول على الله : يفترى عليه عمداً .

(٧) سورة الحاقة ، آية ٤٤-٤٦ . لأخذنا منه باليمين : لأمسكناه وأهلكناه كما فعل بمن افترى

علينا والوتين : عرق فى العنق إذا قطع مات صاحبه ، وهو الوريد ؛ وقطعه عبارة عن الذبح . وفيه دليل على أن الكذب على الله كُفْرٌ ، وأنه لا يقول على الله ما لم يقله .

(٨) سورة الإسراء ، آية ٧٥ : أى لو قربت من الليل إلى الكفرة . قال الحفاجى :

والآية دليل على عدم تمنيه السابق ، وأنه صلى الله عليه وسلم معصوم من مقارفة شيء من ذلك .

(٩) نظراً : من جهة النظر والفكر الصادر عن عقل مستقيم فى عصمة رسل الله عليهم

السلام فيما طريقه البلاغ . وعرفاً : أى من جهة ما عرف من أحواله وأحوال غيره من الأنبياء ؛ أى أمراً متعارفاً .

لو كان - كما روي لكان بعيد الالتئام^(١) ، لكونه متناقض الأقسام ، مُنْزَجَ المَدْحِ بالذم^(٢) ، متخاذل التأليف والنظم^(٣) . ولما كان النبي صلى الله عليه وسلم ولا من بحضرته من المسلمين وصناديد^(٤) المشركين ممن يخفى عليه ذلك ؛ وهذا لا يخفى على أذى متأمل ، فكيف بمن رجح حله^(٥) ، واتسع في باب البيان ومعرفة فصيح الكلام علمه .

ووجه ثالث أنه علم من عادة المنافقين ، ومُعَانِدِي المشركين^(٦) ، وضعفة القلوب ، والجهلة من المسلمين - نفورهم لأول وهلة^(٧) ؛ وتخليط^(٨) العدو على النبي صلى الله عليه وسلم لأقل فتنة ، وتعيرهم المسلمين ، والشتمات بهم الفينة بعد الفينة^(٩) ،

(١) بعيد الالتئام : المراد أن مناسبته لما وقع فيه من كلام الله الذي هو في أعلى طبقات البلاغة في غاية البعد .

(٢) المدح لآلهمم بجمالها عليه مرجوة الشفاعة ؛ بالذم لها الذي دل عليه سياقه في قوله : إن هي إلا أسماء سميتوها أنتم وآباؤكم ، ما أنزل الله بها من سلطان ، وأنها ليس لها عند الله شأن ولا منزلة ؛ وهذا يناقض علو منزلتها ورجاء شفاعتها .

(٣) متخاذل التأليف : متناثر النظم غير متلائم .

(٤) صنديد : جمع صنديد : السيد الشجاع ، والحليم ، والجواد ، والشريف ، والمراد خواص رؤسائهم وكبرائهم .

(٥) حله : عقله . ورجحانه : زيادته وقوته .

(٦) ومعاندي المشركين ؛ أي المشركين المعاندين .

(٧) لأول وهلة : عند أول شيء يقع في آذانهم وأذهانهم ؛ أي قبل التفكير والتأمل فيما قرع أسماعهم ؛ لأنه ليس متسقا منتظما مع ما وقع في أثنائه من نظم القرآن .

(٨) تخليط العدو من الكفرة والمنافقين بإدخالهم في كلامه ما ليس منه لأقل فتنة يفتن بها المسلمون ؛ لإدخالهم الشبهة عليهم في دينهم .

(٩) والشتمات - بضم الشين المعجمة ، وتشديد الميم : جمع شامت ، من الشماتة ، وهي فرح العدو بما يصيب عدوه من نوائب الدهر . الفينة بعد الفينة : حيناً بعد حين بما امتحنهم الله تعالى من المصائب تمظيها لأجرهم بما امتحنهم به من ذلك . أو هي الشتمات - كما في ، وهم الخائثون بلا واحد (شرح القارى : ٢ - ٢٣٠) .

وارتدادُ مَنْ فِي قلبه مرضٌ يَمُنُّ بأظهر الإسلام لأذنى شُبْهةٍ ، ولم يَمُحِكِ أحدٌ في هذه النِصَّةِ شيئاً سِوَى هذه الروايةِ الضعيفةِ الأصل ، ولو كان ذلك لوجدتُ قريشَ بها على المسلمين الصَّوْلَةَ^(١) ، ولأقامتُ بها اليهودُ عليهم الحجَّةَ ، كما فعلوا مكابرةً في قصةِ الإسراءِ حتى كانت في ذلك لبعض الضعفاءِ رِدةً^(٢) ، وكذلك ما رُوِيَ في قِصَّةِ النِصَّةِ^(٣) ؛ ولا فِتْنَةَ أعظمُ من هذه البيّنة لو وُجِدَتْ ، ولا تَشْفِيبَ^(٤) للمُعَادِي حينئذٍ أشدَّ من هذه الحادثة لو أمكنت^(٥) ؛ فما رُوِيَ عَنْ معانِدٍ فيها كلمةٌ ، ولا عن مسلم بسببها بنتُ شَفَّةٍ^(٦) ؛ فدَلَّ على بطلانها واجتثاث أصلها^(٧) .

ولا شكَّ في إدخال بعض شياطين الإنسِ أو [١٩٧] الجنِّ هذا الحديثَ على بعض مَقْفَلِي الحديثين ، ليُلْبَسَ^(٨) به على ضعفاء المسلمين^(٩) .

- (١) الصولة : الاستطالة والقهر ، وتسلطوا بذلك على ترويح أمرهم ومأم عليه .
 (٢) ردة : رجوع عن الإسلام ؛ لإنكاره واستبعاده لها .
 (٣) القضية : الواقعة التي وقع فيها القضاء بما وقع في صلح الحديبية لما رأى عليه السلام أنه دخل هو وأصحابه مكة ؛ فسار إليها ، ثم رجع إلى المدينة في الواقعة التي قصها الله تعالى في قوله : « وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس » . وهذه القضية مذكورة في الصحيحين ؛ وقد وقع بسببها فتنة للمسلمين لما صدم الكفار عن دخول مكة ، وصالحهم - صلى الله عليه وسلم ، على أن يرجع ويأتي من العام القابل ، وكتب لهم بذلك كتاباً شرط فيه شروطاً فيها شطط على المسلمين ، حتى قال عمر : يا رسول الله ، ألسنت رسول الله حقا ؟ قال : بلى . قال : ألسنت على الحق ، وهم على الباطل ؟ قال : بلى . قال : فلم نمط الدنيا في ديننا
 (٤) التشفيب : تهيبح الشر والفتنة .
 (٥) لو أمكنت وقوعا .
 (٦) كلمة تليق أن يلقي إليها السمع . بنت شفة : كلمة .
 (٧) بطلانها : بطلانها . واجتثاث : قلعها من أصلها .
 (٨) يلبس : يوقمهم في لبس واشتباه .

(٩) قال الخفاجي : هذه القصة لها أصل ثابت في الجملة ، لكنها ليس فيها ما ينقص مقامه صلى الله عليه وسلم ؛ فأبطلها بالكلية - كما قال المصنف - لا ينبغي كما قاله ابن حجر . وقد سبق قول ابن حجر صفحة ٧٥٢

ووجهٌ رابع : ذكر الرواة لهذه القضية أن فيها نزلت^(١) : ﴿ وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أُوْحِيَنا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذًا لَا تُخَذُّوكَ خَلِيلًا . وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدَّتْ تَرَكُنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا ﴾ .

وهاتان الآيتان برؤد ان الخبر الذي رووه ؛ لأن الله تعالى ذكر أنهم كادوا يفتنونك حتى يفتري ، وأنه لولا أن ثبتته^(٢) لسكاد يركن إليهم^(٣) .

فضمون هذا ومفهومه أن الله تعالى عصمه من أن يفتري^(٤) ، وثبته حتى لم يركن إليهم قليلا ؛ فكيف كثيرا ! وهم يرون في أخبارهم الواهية^(٥) أنه زاد على الركون والافتراء بمدح آلهتهم^(٦) ، وأنه قال صلى الله عليه وسلم : افتريت على الله ، وقلت ما لم^(٧) يُقل ؛ وهذا ضد مفهوم الآية^(٨) ، وهي^(٩) تضعف الحديث لو صحح ، فكيف ولا صحه له^(١٠) .

(١) سورة الإسراء ، آية ٧٣ ، ٧٤

(٢) وقد ثبتته الله فلم يقرب أن يميل إليهم أدنى ميل ؛ فلم يتحقق شيء .

(٣) قال الخفاجي : قيل إن الآيتين لم يترلا في هذه القصة ، وإنما الذي نزل فيها قوله تعالى :

« وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيهته ... » وهاتان الآيتان نزلتا في تقيف .

(٤) يفتري عليه ما لم يقله .

(٥) الواهية : الشديدة الضعف .

(٦) مدح آلهتهم بقوله : تلك الغرائيق العلاء .

(٧) قال ذلك حين قال له جبريل : ماجئتك بهذا حين عرض عليه السورة - كما تقدم .

(٨) ضد مفهوم الآية التي ذكروا أن هذه القصة سبب نزولها ؛ لأن عدم ركونه إليهم

قليلا ينافي تصريحه بمدح آلهتهم .

(٩) وهي : أى الآية - تضعف الحديث : تدل على شدة ضعفه لو صح نقله وروايته ؛ لأنه

إذا ورد في الحديث ما ينافي القرآن ، ولم يمكن تأويله ولا الجمع بينه وبينه حكم بضعفه .

(١٠) قال الخفاجي : وقد علمت أن الحديث رواه مسلم .

وهذا مثلُ قوله تعالى في الآية الأخرى^(١) : ﴿ ولولا فضلُ اللهِ عليكَ ورحمتهُ لَهَمَّتْ طائفةٌ منهم أن يَضِلُّوكَ ، وما يُضِلُّونَ إلَّا أنفُسَهُمْ وما يضرُّونكَ مِن شئٍ ﴾ .
وقد رُوِيَ عن ابن عباس : كل ما في القرآن « كاد » فهو ما لا يكون^(٢) ؛ قال الله تعالى^(٣) : ﴿ يكادُ سنأ برفقهِ يذهبُ بالأبصار ﴾ ؛ ولم يذهب . و^(٤) ﴿ أكادُ أخفيها ﴾ ؛ ولم يفعل .

قال القشيري القاضي : ولقد طالبتُه قريش وثقيف إذ مرَّ بأهلهم أن يُقبِلَ بوجهه إليها ، ووعدوه الإيمانَ به إن فعل ، فإفعل ، ولا كان ليفعل .
قال ابن الأنباري : ما قاربَ الرسولُ ولا ركنَ^(٥) .

-
- (١) سورة النساء ، آية ١١٣ . أن يضلوك : يصرفوك عن الحق . وما يضلون إلا أنفسهم : لا يقع ما أرادوه بك إلا بهم ، ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله .
(٢) ما لا يكون : أي لا يقع ، ولا يوجد ، وإنما يدل على أنه قاربه ولم يقع .
(٣) سورة النور ، آية ٤٣ . السنأ : الضوء والنور . ولم يذهب ، أي لم يذهب بها .
(٤) سورة طه ، آية ١٥

قال في شرح القاري (٢ - ١٣٣) : وفيه بحث ، إذ ما أظهرها الله لأحد ، كما يدل عليه سائر الآيات : إن الله عنده علم الساعة . وقوله : يسألونك عن الساعة أيان مرساها . . . إلى ربك منتهاها . وقوله : ويسألونك عن الساعة أيان مرساها . قل إنما علمها عند ربى لا يجليها لوقتها إلا هو . . .

نعم ، قيل في الآية : أكاد أخفيها عن نفسى ، فيصح قوله : ولم يفعل ، لأنه لم يتصور ، وإنما ذكره للمبالغة ، فتدبر .

أو يقال : أكاد أخفى مجيئها ، فلا أقول هي آتية ؛ للمبالغة في إرادة إخفائها ، فيصح قوله : ولم يفعل حينئذ أيضا .

وقد يقال : أخفيها بمعنى أظهرها ، لأنه من الأضداد . والله سبحانه وتعالى أعلم بما أراد . وقال في القاموس : وقد يكون كاد بمعنى أراد ، ومنه قوله : أكاد أخفيها ، أى أريد إخفاءها عن غيرى .

(٥) أى لم يقرب من شئ مما كان عليه الكفرة وأهل الجاهلية ، ولا مال إلى شئ من =

وقد ذُكِرَتْ في معنى هذه الآية تفاسير أخر ما ذكرناه من نص الله على عصمة رسوله يَرُدُّ سَفْسَافَهَا^(١)؛ فلم يَبْقَ في الآية إلا أن الله تعالى امتنَّ على رسوله بعصمته وثبیته بما كادَه به الكُفَّار، ورَامُوا من فِتْنَتِهِ؛ ومُرَادُنَا من ذلك تنزيهه وعِصْمَتُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ وهو مفهوم الآية .

وأما المأخَذُ الثاني فهو مبنىٌّ على تسليم الحديث لوضوحه؛ وقد أعادنا اللهُ من صحته؛ ولكن على كل حال فقد أجاب على ذلك أئمة المسلمين بأجوبة؛ منها الفث والسمين^(٢)؛ فيها ماروى قتادة ومقاتل - أن النبي صلى الله عليه وسلم أصابته سنة^(٣) عند قراءته هذه السورة فجرى هذا الكلام على لسانه بحكم النوم .

وهذا لا يصح؛ إذ لا يجوزُ على النبيِّ مثله في حالة من أحواله، ولا يخلفه اللهُ على لسانه^(٤)، ولا يستولى الشيطانُ عليه في نومه ولا يَهْتَطِئُ لعِصْمَتِهِ في هذا الباب من جميع العمدة والسهو .

وفي قول الكلبى: إن النبي صلى الله عليه وسلم - حدث نفسه؛ فقال ذلك الشيطانُ على لسانه^(٥) .

= أمورهم وما كانوا عليه فضلا على التلبس بها. وابن الأنبارى: هو أبو بكر محمد بن القاسم بن بشار النحوى، كان من أعلم الناس بالأدب والنحو، ولد سنة إحدى وسبعين ومائتين وتوفي سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة .

(١) سفسافها: رديتها .

(٢) الفث: الضميف الركيك . والسمين: القوى المقبول .

(٣) سنة: فتور مع أوائل النوم قبل الاستنراق فيه المانع عن الحس والإدراك قريبة من

النماس . (٤) لا يخلفه: أى لا يوجد جريانه على لسانه .

(٥) حدث نفسه: خطر بباله من غير نطق به . فقال ذلك الشيطان: أى نطق به محاكيا

لصوته ونطقه به في أثناء قراءته، وهو لا يدري؛ فتوهموا أنه صلى الله عليه وسلم قاله، وأنه أوحى به إليه .

وفي رواية ابن شهاب ، عن أبي بكر بن عبد الرحمن ؛ قال : وَسَمَهَا ؛ فَلَمَّا أُخْبِرَ
بذلك قال : إِنَّمَا ذَلِكَ مِنَ الشَّيْطَانِ .

وكله هذا لا يَصِحُّ أَنْ يَقُولَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا سَهْوًا وَلَا قَصْدًا^(١) ،
ولا يَقْتَوْلُهُ الشَّيْطَانُ عَلَى لِسَانِهِ^(٢) .

وقيل : لعلَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَه فِي أُنْمَاءِ تِلَاوَتِهِ عَلَى تَقْدِيرِ التَّزْوِيرِ^(٣)
والتَّوْبِيخِ لِلْكَفَّارِ ؛ كَقَوْلِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ^(٤) : (هَذَا رَبِّي) - عَلَى أَحَدِ التَّأْوِيلَاتِ .
وكقوله^(٥) : (بَلْ فَهَلْ كَبِيرُهُمْ هَذَا) بَعْدَ السَّكْتِ وَبَيَانِ الْفَصْلِ بَيْنَ
الْكَلَامَيْنِ ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى تِلَاوَتِهِ .

وهذا [١٩٨] مُمْكِنٌ مَعَ بَيَانِ الْفَصْلِ وَقَرِينَةٍ تَدُلُّ عَلَى الْمُرَادِ ، وَأَنَّهُ لَيْسَ مِنَ
الْمَتَلَوِّ ، وَهُوَ أَحَدُ مَا ذَكَرَهُ الْقَاضِي أَبُو بَكْرٍ .

ولا يُعْتَرَضُ عَلَى هَذَا بِمَا رُوِيَ أَنَّهُ كَانَ فِي الصَّلَاةِ ؛ فَتَدَّكَانَ الْكَلَامُ قَبْلُ
فِيهَا غَيْرُ^(٦) مَمْنُوعٍ .

والَّذِي يَظْهَرُ وَيَتَرَجَّحُ فِي تَأْوِيلِهِ^(٧) عِنْدَهُ وَعِنْدَ غَيْرِهِ مِنَ الْمُحَقِّقِينَ عَلَى تَسْلِيمِهِ^(٨)
أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ - كَمَا أَمَرَهُ رَبُّهُ - يُرْتَلُّ الْقُرْآنُ تَرْتِيلًا ، وَيُفْصَّلُ

(١) لحفظ الله تعالى له عن مثله . (٢) لمنع الله تعالى له عن تسلطه عليه بمثله .

(٣) أى حملهم على الإقرار . والتوبيخ : أى توبيخهم بعد إقرارهم بعبادة الأصنام ؛ فوصفها

بالعلو ورجاء شفاعتها على هذا تهكم واستهزاء .

(٤) سورة الأنعام ، آية ٧٦ (٥) سورة الأنبياء ، آية ٦٣

(٦) قال الخفاجي : كان الكلام غير محرم لما فرضت الصلاة ، ثم حرم عليهم قبل الهجرة

بثلاث سنين .

(٧) فى تأويله : فى تأويل هذا الحديث : قال الخفاجي : وهذا ما اختاره المراقى .

(٨) على تسليمه : على فرض تسليم وقوعه ، وأنه نطق بذلك .

الآيَ تَفْصِيلاً فِي قِرَاءَتِهِ ، كَمَا رَوَاهُ النَّعْتَاتُ عَنْهُ ^(١) ، فَيُمْكِنُ تَرَصُّدُ ^(٢) الشَّيْطَانِ لِتِلْكَ السَّكِّنَاتِ وَدَسَّهَ فِيهَا مَا اخْتَلَفَهُ مِنْ تِلْكَ السَّكِّنَاتِ مَحَا كَيْباً نَعْمَةَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمِثِّ بِسْمِعِهِ مَنْ دَنَا إِلَيْهِ مِنَ الْكُفَّارِ ، فَظَنُّوْهَا مِنْ قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَشَاعُوهَا ^(٣) ، وَلَمْ يَتَدَخَّ ذَلِكَ عِنْدَ الْمُسْلِمِينَ بِمَحْفُظِ السُّورَةِ قَبْلَ ذَلِكَ عَلَى مَا أَنْزَلَهَا اللَّهُ وَتَحَقُّقِهِمْ مِنْ حَالِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي ذَمِّ الْأَوْثَانِ وَعَيْنِيهَا عَلَى مَا عُرِفَ مِنْهُ .

[وَقَدْ حَكَى مُوسَى ^(٤) بِنَ عُمَيْبَةَ فِي مَعَازِيهِ نَحْوِ هَذَا ، وَقَالَ : إِنَّ الْمُسْلِمِينَ لَمْ يَسْمَعُوهَا ، وَإِنَّمَا أَتَى الشَّيْطَانُ ذَلِكَ فِي أَسْمَاعِ الْمُشْرِكِينَ وَقُلُوبِهِمْ] ^(٥) ؛ وَيَكُونُ حَارُوِيٍّ مِنْ حُزْنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِهَذِهِ الْإِسَاعَةِ وَالشَّبْهَةِ ، وَسَبَبُ هَذِهِ الْفِتْنَةِ .

وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ^(٦) : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَتَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ ، فَعَنَى تَمَنَّى : تَلَا ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ^(٧) : ﴿ لَا يَعْهَدُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيًّا ﴾ ؛ أَي تِلَاوَةً .

(١) قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، وَقَدْ سَأَلْتُ عَنْ قِرَاءَتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لَوْ أَرَادَ سَامِعٌ أَنْ يَمِدَّ حُرُوفَهُ عِدْهَا لِتَأْنِيهِ فِيهَا ، وَتَجْوِيدَ حُرُوفِهَا ، وَيَبَيِّنَ حُرُوكَاتِهَا وَمَدَّهَا .

(٢) تَرَصَّدَ : تَرَقَّبَ وَانْتَظَرَ ؛ أَي يَتَرَقَّبُ وَقَفَهُ وَسَكَنَتَهُ بَيْنَ الْآيَاتِ فِي تَرْتِيلِهِ الْقِرَاءَةَ .

(٣) وَأَشَاعُوهَا : أَي أَظْهَرُوهَا ، وَقَالُوا : إِنَّهُ مَدَحَ آلِهَتَنَا ، وَوَأَفَقَ وَلَمْ يَقْدَحْ .

(٤) فِي ب : مُحَمَّدُ بْنُ عَقِبَةَ . قَالَ الْقَارِي (٢ - ٢٣٦) : وَالْأَوَّلُ هُوَ الصَّوَابُ .

(٥) مَا بَيْنَ الْقَوْسَيْنِ كَتَبَ أَمَامَهُ فِي ١ : بِخَطِّهِ مِنْ غَيْرِ الرَّوَايَةِ . وَهُوَ فِي هَامِشِ ب ، وَلَمْ

يَكْتُبَ أَمَامَهُ أَنَّهُ مِنْ غَيْرِ الرَّوَايَةِ .

(٦) سُورَةُ الْحُجِّ ، آيَةُ ٥٢

(٧) سُورَةُ الْبَقَرَةِ ، آيَةُ ٧٨ ، وَالْمُرَادُ بِالْكِتَابِ التَّوْرَةَ .

وقوله : فينسخ الله ما يُبَلِّغُ الشَّيْطَانُ ؛ أى يذهب به ، ويزيل اللبس به ،
وَيُحْكِمُ آيَاتِهِ .

وقيل : معنى الآية هو ما يَقَعُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ السَّهْوِ إِذَا قَرَأَ
فَيَلْتَبِهَ لِذَلِكَ وَيَرْجِعُ عَنْهُ .

وهذا نحو قول السكبي في الآية : إنه حدث نفسه ، وقال : إِذَا تَمَنَّى ؛ أى
حدث نفسه .

وفي رواية أبي بكر بن عبد الرحمن نحوه .

وهذا السهْوُ في القراءة إنما يَصِحُّ فيما ليس طريقه تغيير المعاني ، وتبديل الألفاظ ،
وزيادة ما ليس من القرآن ؛ بل السهْوُ عن إسقاط آيةٍ منه أو كلمة ؛ ولكنه
لا يُقَرَّرُ على هذا السهو ؛ بل يُنَبَّهُ عليه ، ويذكر به لِلْحَجِينِ ^(١) على ما سنذكره
في حكم ما يجوزُ عليه من السهو وما لا يجوز .

ومما يظهر في تأويله أيضا أن مجاهدا روى هذه القصة ^(٢) : وَالْفَرَانِقَةُ الْعَلَا ؛ فإن
سَلَّمْنَا الْقِصَّةَ قَلْنَا : لا يَبْعُدُ أَنَّ هَذَا كَانَ قُرْآنًا ^(٣) ، والمراد بالفرانقة العلاء ، وأن
شفاعتهنَّ لَتُرْتَجَى : الملائكة على هذه الرواية ^(٤) .

وبهذا فسّر السكبي الفرانقة أنها الملائكة ؛ وذلك أن الكفار كانوا
يعتقدون الأوثان والملائكة بنات الله ، كما حكى الله عنهم وَرَدَّ عَلَيْهِمْ فِي هَذِهِ السُّورَةِ
بِقَوْلِهِ ^(٥) : ﴿ أَلَكُمُ الذَّكْرُ وَلَهُ الْأُنثَى ﴾ ؛ فأنكر الله كل هذا من قولهم ؛

(١) للحجین : أى يبادر به في وقت سهوه من غير إهمال له .

(٢) بالمطف على اللات والمزى ومناة الثالثة الأخرى .

(٣) أى كان قرآنا نزل عليه صلى الله عليه وسلم ، ثم نسخت تلاوته .

(٤) قال في نسيم الرياض : وفسرت الفرانق بالاصنام أيضا ؛ وهى فى الأصل طير من

طيور السماء . (٥) سورة النجم ، آية ٣١ .

ورجاء الشفاعة من الملائكة صحيح ، فلما تأول له المشركون على أن المراد بهذا الذِّكر آلهتهم ، ولَبَسَ^(١) عليهم الشيطان ذلك ، وزينه في قلوبهم وألقاه ، إليهم ، نسخ الله ما ألقى الشيطان ، وأحكم آياته ، ورفع تلاوة تلك اللفظتين اللتين^(٢) وجد الشيطان بهما^(٣) سبيلا للإلباس^(٤) ، كما نُسخ كثير من القرآن ورُفعت تلاوته ؛ وكان في إزال الله تعالى لذلك حكمة ، وفي نسخه حكمة ؛ لِيُضِلَّ به مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ؛ وما يُضِلُّ به إلا الفاسقين ، و ﴿ لِيَجْمَلَ الْبَاقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ [١٩٩] مَرَضٌ ﴾^(٥) والقاسية قلوبهم^(٦) ، وإن الظالمين^(٧) لَنِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ . وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت^(٨) له قلوبهم . وإن الله هادي الذين آمنوا إلى صراطٍ مُسْتَقِيمٍ^(٩) .

وقيل : إن النبي صلى الله عليه وسلم - لما قرأ هذه السورة ، وبلغ ذِكْرَ اللَّاتِ وَالْعُزَّى وَمَنَاةَ الثَّالِثَةِ الْأُخْرَى خَافَ الْكُفَّارُ أَنْ يَأْتِيَ بِشَيْءٍ مِنْ ذَمِّهَا فَسَبَتُوا إِلَى مَدْحِهَا بِتِلْكَ الْكَلِمَتَيْنِ لِيُخْلَطُوا فِي تِلَاوَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَيَشْفَبُوا^(١٠) عليه على عادتهم وقولهم^(١١) : ﴿ لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالنَّوْفَاءِ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ .

- (١) خلط ، وشبه عليهم بوسوسته .
 (٢) في ب : التي .
 (٣) بهما : إذا ثبتا في هذه السورة .
 (٤) في ب : للتلبس .
 (٥) مرض : شك وريبة .
 (٦) والقاسية قلوبهم من المشركين .
 (٧) الظالمون : الكافرون - كما قال : « وإن الشرك لظلم عظيم » .
 (٨) تخبت : تنقاد وتدعن وتخضع مطمئنة من غير شك وتزلزل .
 (٩) سورة الحج ، آية ٥٣ ، ٥٤ (١٠) يشفوا : يشروا الشر ، ويهيجوا الفتنة .
 (١١) سورة فصلت ، آية ٢٦ . والنوفاة : أظهروا اللغو برفع الأصوات تخليطا وتشويشا عليه بما يشغل الخواطر عنه . لعالمكم تفلبون : بأصوات لغوكم على قراءته ؛ من قولهم : هذا غالب هذا ؛ إذا كان زائدا ؛ فكانوا يوصون بذلك من يحضره منهم ، كما قال أبو جهل لعنه الله : إذا قرأ محمد فصيحا حتى لا يدرى ما يقول . وقيل : كان ذلك بالصباح والتصفيق ، وأنهم فعلوا ذلك لما ظهر محجزهم عن معارضته .

وَنُسِبَ هَذَا الْفِعْلَ ^(١) إِلَى الشَّيْطَانِ لِحَلِّهِ لَهُمْ عَلَيْهِ ، وَأَشَاعُوا ذَلِكَ وَأَذَاعُوهُ ^(٢) ،
وَأَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ ؛ فحزِنَ لذلِكَ مِن كَذِبِهِم وافترائِهِم عَلَيْهِ ،
فَسَلَّاهُ اللَّهُ تَعَالَى بِقَوْلِهِ : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِذَا تَمَتَّى
أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ ﴾ ، وَبَيَّنَ لِلنَّاسِ الْحَقَّ مِن ذلِكَ مِنَ الْبَاطِلِ ^(٣) ، وَحَفِظَ
الْقُرْآنَ ^(٤) ، وَأَحْكَمَ آيَاتِهِ ، وَدَفَعَ مَا لَبَسَ بِهِ الْعَدُوُّ ، كَمَا ضَمِنَهُ تَعَالَى مِنْ قَوْلِهِ ^(٥) :
﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ ^(٥) وَإِنَّا لَهُ لِحَافِظُونَ ﴾ .

وَمِنْ ذلِكَ ^(٦) مَا رُوِيَ مِنْ قِصَّةِ يُونُسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ - أَنَّهُ وَعَدَ قَوْمَهُ بِالْعَذَابِ
عَن رَبِّهِ ، فَلَمَّا تَابُوا كُشِفَ عَنْهُمْ الْعَذَابُ ، فَقَالَ ^(٧) : لَا أَرْجِعُ إِلَيْهِمْ كَذَّابًا أَبَدًا ،
فَذَهَبَ مُغَاضِبًا ^(٨) .

فَاعْلَمْ - أ كَرَمَكَ اللَّهُ - أَنَّ لَيْسَ فِي خَبَرِ مِنَ الْأَخْبَارِ الْوَارِدَةِ فِي هَذَا الْبَابِ
أَنَّ يُونُسَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - قَالَ لَهُمْ : إِنَّ اللَّهَ مُهْلِكُكُمْ ^(٩) ، وَإِنَّمَا فِيهِ أَنَّهُ دَعَا عَلَيْهِمْ
بِالْهَلَاكِ ؛ وَالِدَعَاءُ لَيْسَ بِخَبَرٍ يُطَلَّبُ صِدْقُهُ مِنْ كَذِبِهِ ^(١٠) ، لَكِنَّهُ قَالَ لَهُمْ : إِنْ

(١) هذا الفعل : هذا الإلقاء في قوله تعالى : « ما يلقى الشيطان » .

(٢) وأشاعوا ذلك وأذاعوه : جعلوه مشهورا منتشرا .

(٣) الحق من ذلك من الباطل : أى من الوحي الذى أنزل على لسانه من الباطل الذى

ألقاه الشيطان فيما تلاه . (٤) وحفظ القرآن من التبديل والتغيير .

(٥) سورة الحجر ، آية ٩ . والذكر : القرآن . وإنا له لحافظون من التبديل ، وأن يزداد

فيه أو ينقص .

(٦) ومن ذلك : ومن جملة أسئلة الطاعنين على الرسل .

(٧) قال يونس : لما رأى تخاف الوعيد لهم بالعذاب .

(٨) مغاضبا : مغاضبا من أجل ربه ؛ أى غضب على قومه من أجل كفرهم بربه . وقيل : إنه

غاضب قومه حين طال عليه أمرهم وتمتعهم ، فذهب فارابنفسه ، ولم يصبر على أذاهم (القرطبي :

١١ - ٣٣٠) . (٩) حتى يتأتى أن يقال : إنه صدر منه الكذب .

(١٠) أى يحتمل الصدق والكذب .

العذاب مُصَبَّحًا وقتَ كَذَا وكَذَا، فكان ذلك^(١)، كما قال؛ ثم رفعَ اللهُ تعالى عنهم العذابَ وتدارَكهم^(٢)؛ قال اللهُ تعالى^(٣): ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرِيبَةً أَمَنْتُ فَنَفَعْنَا بِإِيمَانِهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ﴾ .

ورُوي في الأخبار أنهم رأوا دلائلَ العذابِ ومخآبِهِ^(٤)؛ قاله ابنُ مسعود .

وقال سَعِيدُ بنُ جُبَيْرٍ : غَشَاهُمُ الْعَذَابُ كَمَا يُغَشِّي الثَّوْبُ الْقَبْرَ .

فَإِنْ قُلْتَ : فَمَا مَعْنَى مَارُويٍ مِنْ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي سَرْحٍ كَانَ يَكْتُبُ

لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ ارْتَدَّ مُشْرِكًا، وَصَارَ إِلَى قَرِيشٍ^(٥)، فَقَالَ لَهُمْ :

إِنِّي كُنْتُ أَصْرَفُ مُحَمَّدًا حَيْثُ أُرِيدُ؛ كَانَ يُنْبِئُنِي عَلَى «عَزِيزِ حَكِيمٍ» فَأَقُولُ أَوْ

«عَلِيمِ حَكِيمٍ»؟ فَيَقُولُ : نَعَمْ؛ كُلُّ صَوَابٍ .

وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ : فَيَقُولُ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَا كَتَبْتَ كَذَا، فَيَقُولُ :

أَا كَتَبْتُ كَذَا؟ فَيَقُولُ : أَا كَتَبْتُ كَيْفَ شِئْتَ . وَيَقُولُ : أَا كَتَبْتُ : عَلِيمًا حَكِيمًا،

فَيَقُولُ : أَا كَتَبْتُ : سَمِيمًا بَصِيرًا، فَيَقُولُ لَهُ : أَا كَتَبْتُ كَيْفَ شِئْتَ .

وَفِي الصَّحِيحِ^(٦) - عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ نَصْرَانِيًّا كَانَ يَكْتُبُ لِلنَّبِيِّ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ مَا أَسْلَمَ ثُمَّ ارْتَدَّ، وَكَانَ يَقُولُ : مَا يَدْرِي مُحَمَّدٌ إِلَّا

مَا كَتَبْتُ لَهُ .

(١) مُصَبَّحًا : يَأْتِيكُمْ فِي وَقْتِ الصَّبَاحِ . فَكَانَ ذَلِكَ : أَى وَقَعُ وَتَحَقَّقُ مَجِيئُهُ لَهُمْ فِي

الْوَقْتِ الْمَعِينِ، وَرَأَوْا سَحَابَةً دَنَتْ مِنْهُمْ نَحْوَ مِيلٍ فِيهَا عَذَابٌ وَدُخَانٌ أَسْوَدٌ، فَأَخْلَصُوا التَّوْبَةَ، وَآمَنُوا، وَنَضَرُوا إِلَى اللَّهِ؛ فَاقْبَلَتْ تَوْبَتَهُمْ .

(٢) وَتَدَارَكَهُمْ : أَنْعَمَ عَلَيْهِمْ بِالْخُلَاصِ مِمَّا خَافُوهُ .

(٣) سُورَةُ يُونُسَ، آيَةُ ٩٨ (٤) وَمَخَابِيهِ : عِلَامَاتُهُ، وَمِظَانُهُ .

(٥) صَارَ إِلَى قَرِيشٍ : رَجَعَ إِلَيْهِمْ بِمَسْكَةٍ، وَلِخَلْقِ بِهِمْ، وَوَأْفَقَ عَلَى شِرْكِهِمْ .

(٦) صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ : ٤ - ٢٤٦

فاعلم - ثَبَّنَا اللهُ وإياك على الحق ، ولا جعل للشيطانِ وتبئيدسه^(١) الحق بالباطل
إلينا سبيلا - أن مثل هذه الحكاية أولا لا توقعُ في قلبِ مؤمنٍ ريناً^(٢) ؛
إذ هي حكايةٌ عمن ارتدَّ وكفر بالله ، ونحن لا نقبلُ خبر المسلم المتهم ، فكيف
بكافرٍ افتري هو ومثله على الله ورسله ما هو أعظمُ من هذا !

والمعجبُ لسليم العقل يشغلُ بمثل [٢٠٠] هذه الحكاية سره^(٣) ، وقد صدرت
من عدوِّ كافرٍ مُنفض للدين ، مُفتري على الله ورسوله ؛ ولم تردَّ عن أحدٍ من المسلمين ،
ولا ذكر أحدٍ من الصحابة أنه شاهد^(٤) مآلهُ وافتراه على نبيِّ الله ؛ وإنما يفترى
الكذبَ الذين لا يؤمنون بآيات الله ، وأولئك هم الكاذبون .

[وما وقعَ من ذكرها^(٥) في حديث أنسٍ رضي الله عنه وظاهرِ حكايتها ؛
فليس فيه ما يدلُّ على أنه شاهدُها ، ولعله حكى ما سمع^(٦) .
وقد علَّلَ البزارُ حديثه ذلك ، وقال : رواه ثابتٌ عنه ، ولم يتابع عليه^(٧) ؛
ورواه حميد عن أنس ، قال : وأظنُّ حميدا إنما سمعه من ثابت^(٨) .

(١) تلييسه : خلطه .

(٢) رينا : شكا وترددا في حقيقة ما أوحى إلى النبي وأن الشيطان لا يتسلط عليه .

(٣) سره : المراد فكره أو قلبه .

(٤) مآله : مآقاله رسول الله لها ، أو مآقاله له واحد منهما له .

(٥) من ذكرها : أى ذكر هذه القصة .

(٦) حكى ما سمع من غير جزم به ، ولا قول بصحته .

(٧) ولم يتابع عليه ؛ أى لم يرو من طريق آخر يعضده .

(٨) أى لا من طريق آخر يعضده .

قال في نسيم الرياض : ولا يخفى أن حديثه الذى رواه المصنف أخرجه البخارى ، فقال :
إنه كان رجل نصرانى أسلم وقرأ البقرة وآل عمران ؛ وكان يكتب لرسول الله صلى الله عليه
وسلم ، ثم ارتد فانطلق هاربا حتى لحق بأهل الكتاب فمجبوا به . . . وهو حديث صحيح ؛
فرد المصنف له غير صحيح ؛ والذى ينبئ له أن يقول : إن من قاله كذب وافتري ؛ ولا يقدح
في أصل القصة وصحتها ؛ فإنها مروية في الصحيحين كما تقدم .

قال القاضي أبو الفضل - وفقه الله - ولهذا ، والله أعلم ، لم يخرج أهل الصحيح حديث ثابت ولا حميد . والصحيح حديث عبد العزيز بن رفيع عن أنس رضي الله عنه ^(١) الذي خرجه أهل الصحة وذكرناه ، وليس فيه عن أنس قول شيء من ذلك من قبل نفسه ^(٢) إلا من حكايته عن المرتد النصراني ^(٣) ، ولو كانت صحيحة لما كان فيها قدح ولا توهيم ^(٤) للنبي صلى الله عليه وسلم فيما أوجى إليه ، ولا جواز للنسيان والغلط عليه والتحريف فيما بلغه ، ولا طعن في نظم القرآن ، وأنه من عند الله ؛ إذ ليس فيه لو صحح - أكثر من أن الكاتب قال له : علم حكيم - وكتبه ؛ فقال له النبي - صلى الله عليه وسلم : كذلك هو ، فسبقه لسانه أو قلته لكلمة أو كلمتين مما نزل على الرسول قبل إظهار الرسول لها ؛ إذ كان ما تقدم مما أملاه الرسول يدل عليها ويقضى وقوعها بقوة قدرة الكاتب على الكلام ومعرفته به ، وجودة حسه وفطنته ، كما يتفق ذلك للعارف ^(٥) إذا سمع البيت أن يسبق إلى قافيته ، أو مبتدأ ^(٦) الكلام الحسن ^(٦) إلى ما يتم به ؛ ولا يتفق ذلك في جملة الكلام ، كما لا يتفق ذلك في آية ولا سورة ^(٧) .

(١) وهو مما رواه البخاري ومسلم ، وأخرجه البخاري في علامات النبوة . صحيح

البخاري : ٤ - ٢٤٦

(٢) من ذلك : أي الذي ذكره السائل عن الطاعن . من قبل نفسه : أي لم يرد فيه أنه

صلى الله عليه وسلم قاله من قبل نفسه لم يوح به إليه . (٣) ما بين القوسين ساقط في أ .

(٤) قدح : عيب ونقص في مقام النبوة . ولا توهيم : أي نسبته إلى الوهم ، وهو الغلط .

(٥) للعارف بأساليب الكلام .

(٦) مبتدأ الكلام : أوله . والحسن : الفصيح المنسجم ؛ وقيده به ؛ لأنه هو الذي يرتبط

بعضه ببعض ، وتماثل كلماته وتلازم بخلاف التنافر كلماته .

(٧) في جملة الكلام : أي لا يقع ذلك في الكلام بتمامه بأن يسبق فهمه إلى خطبة أو قصيدة

بتمامها ؛ فإن التوارد في مثله بعيد جدا . كما لا يتفق ذلك في آية ولا سورة ؛ أي بتمامها من

الآيات والسور .

وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم: كلُّ صَوَابٍ إن صح^(١)؛ فقد يكون هذا فيما كان فيه من مقاطع الآي^(٢) وجهان وقراءتان أنزلنا جميعا على النبي صلى الله عليه وسلم، فأملى إحداها، وتوصل الكتاب بفظنته ومعرفة بمقتضى الكلام إلى الأخرى، فدكرها للنبي - صلى الله عليه وسلم كما قدمناه؛ فصولها^(٣) له النبي صلى الله عليه وسلم؛ ثم أحكم الله من ذلك ما أحكم، ونسخ ما نسخ^(٤) كما قد وجد ذلك في بعض مقاطع الآي^(٥)؛ مثل قوله تعالى^(٥): ﴿إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ، وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

وهذه قراءة الجمهور، وقد قرأ جماعة: «فإنك أنت الغفور الرحيم». وليست من المصحف.

وكذلك كلمات جاءت على وجهين في غير المقاطع، قرأ بهما جميعا الجمهور، وثبتتا في المصحف، مثل: وانظر إلى العظام كيف نُشِرْها - ونُشِرْها^(٦). ويَقْضِ الحق - وَيَقْصُ الحق^(٧).

(١) في قصة ابن أبي سرح.

(٢) مقاطع الآي: المقاطع: جمع مقطع، وهو آخر الكلام وفواصله. والآي: جمع آية.

(٣) فصولها له: قال له: إنها صواب، لموافقها لما أوحى إليه.

(٤) قال في نسيم الرياض: وحاصله أن ما قاله ابن أبي سرح لا ضير فيه؛ فإنه سبق النبي

صلى الله عليه وسلم لكلمات وافق فيها لفظه لفظ القرآن، فصوله النبي صلى الله عليه وسلم وأقره

عليها، فلما ارتد وأضله الله قال ما قال، ثم أسلم يوم الفتح، وحسن بإسلامه حاله بعد ذلك،

ومحا الله تعالى عنه ما افتراه حال رده، سواء كان ما قاله موافقا لما أملاه عليه أو مخالفا له على

أنه في قراءة أخرى؛ وقد تتخالف القراءات لفظا أو معنى؛ وإنما المنوع فيها التناقض.

(٥) سورة المائدة، آية ١١٨

(٦) سورة البقرة، آية ٢٥٩. نشرها: نحيبها. ونشزها: نحرها ورفع بعضها على بعض.

(٧) سورة الأنعام، آية ٥٧. يقضى الحق: يقضى القضاء الحق في كل ما يقضيه. ويقص

الحق: أى يتبع الحق فيها بحكم به ويقدره.

وكلُّ هذا لا يوجبُ رَيْناً ، ولا يَنْسَبُ للنبيِّ - صلى اللهُ عليه وسلم - غَلَطُهُ
ولا وَهْمًا .

وقد قيل : إن هذا يحتملُ أن يكونَ فيما يكتبهُ عن النبيِّ - صلى اللهُ عليه وسلم -
إلى الناسِ غَيْرِ القرآنِ ، فيصف اللهُ وبسميِّهِ في ذلك (١) كيف يشاء .

فصل

[فيما يتصل بأمور الدنيا وأحوال نفسه]

هذا القولُ فيما طريقُهُ البَلَاغُ ، وأمَّا ما ليس سبيلُهُ سبيلَ البَلَاغِ (٢) من الأخبارِ
التي لا مُسْتَنَدَ لها إلى الأحكامِ ، ولا أخبارِ المعادِ (٣) ، ولا تُضَافُ (٤) إلى وَحْيٍ ؛
بل في أمورِ الدنيا وأحوالِ نَفْسِهِ - فالذي يجبُ اعْتِمَادُهُ تَنْزِيهِهُ النبيِّ - صلى اللهُ
عليه وسلم - أنْ يَقَعَ خَبْرُهُ في شيءٍ من ذلك بخلافِ مُخْبَرِهِ (٥) ، لا عَمْدًا ولا سَهْوًا
ولا غَلَطًا ، وأنه معصومٌ مِنْ ذلك في حالِ رِضَاةٍ وفي سَخَطِهِ (٦) ، وجدِّهِ ومَرْزُوحِهِ ،
وصِحَّتِهِ ومرَضِهِ .

ودليلُ ذلك اتِّفَاقُ السَلَفِ وإِجْمَاعُهُمْ عليه ؛ وذلكَ أنا نَعْلَمُ مِنْ دِينِ الصَّحَابَةِ
وعَادَتِهِمْ مُبَادَرَتُهُمْ إلى تصديقِ جميعِ أحوالِهِ ، والثَّقَّةِ بِجميعِ أخبارِهِ في أيِّ بابٍ كانت (٧) ،
وعن أيِّ شيءٍ وَقَعَتْ ، وأنه لم يكنْ لهم تَوْقُفٌ (٨) ولا تَرَدُّدٌ في شيءٍ منها ، ولا

(١) في ذلك : أي في ذلك الكتاب الذي يكتبه ؛ لأنه ليس قرآنا .

(٢) مما أمر ببيانه .

(٣) لا مستند لها إلى الأحكام : لا استناد لها إلى الأحكام الشرعية التي يتعبد بها . وأخبار

المعاد ؛ أي أحوال القيامة والآخرة التي لا تعلم إلا بالوحي .

(٤) تضاف : تسند وتنسب .

(٥) مخبره : ما أخبر به .

(٦) سخطه : كراهته وعدم رضاه .

(٧) كانت : أي أخباره .

(٨) توقف : المراد شك أو ريب .

استنبات^(١) عن حاله عند ذلك ؛ هل وقع فيها سهو أم لا ؟
ولما [٢٠١] احتجّ ابنُ أبي الحقيق اليهودي^(٢) على عمر حين أجلام من
خَيْر^(٣) بإقرار رسول الله - صلى الله عليه وسلم ، واحتجّ عليه عمرُ رَضِيَ اللهُ عنه
بقوله - صلى الله عليه وسلم : كيف بك إذا أُخرجتَ من خَيْر^(٤) ؟ فقال اليهودي :
كانت هزيمةً من أبي القاسم^(٥) . فقال عمر : كذبت يا عدو الله^(٦) .

وأيضاً فإن أخباره وآثاره وسيره وشماله مُعْتَنَى بها مُسْتَقْصَى تفاصيلها^(٧) ،
ولم يرد في شيء منها استدراكه صلى الله عليه وسلم لغلط في قول قاله ، أو اعترافه
بهم^(٨) في شيء أخبر به ، ولو كان ذلك لُنُقِلَ كما نُقِلَ من قصته^(٩) عليه السلام
في رجوعه صلى الله عليه وسلم عما أشار به على الأنصار في تلقيح^(٩) النخل - وكان

(١) الاستنبات : طلب الثبوت بسؤال غيره .

(٢) رواه البخاري في حديث إجلاء يهود خيبر : صحيح البخاري : ٣ - ٢٣٩

(٣) أجلام : أخرجهم وطردهم في زمن خلافته عن خيبر . وهي بقرب المدينة . وكان
صلى الله عليه وسلم أقرم بها على أن تكون ثمارها بينه وبينهم ، ثم أقرم أبو بكر على ما أقرم
عليه رسول الله ، ثم أقرم عمر في أول خلافته على ذلك ؛ ثم لما ظهر له غدرهم أجلام منها ،
وأعطاهم قيمة ما لهم من الثمار والأموال ، وكانت محاجة اليهودي له عند ذلك .

(٤) كيف بك إذا أُخرجت من بلادك خيبر . وهذا من كلام النبي يدل على عدم إقراره
لهم كما ظن .

(٥) هزيمة : تصغير هزلة ، المرة من الهزل : ضد الجد . وأبو القاسم : كنية النبي صلى
الله عليه وسلم ؛ أي إنما قال ذلك على طريق الهزل والمزح ؛ فلا دليل فيه .

(٦) كذبت يا عدو الله : أي لم يقل النبي ذلك هزلاً ، ، ولو كان مزحاً أيضاً ؛ فهو لا يمزح
إلا بحق .

(٧) شماله : صفاته الذاتية . معتنى بها : نقلاً وحفظاً . مستقصى : مستوفاة متممة .

(٨) استدراكه : تداركه بالرجوع عما فرط منه للصواب . بناط : يناط .

(٩) رواه مسلم ؛ وكان - صلى الله عليه وسلم - مر بهم وهم يفعلون ذلك ، فسألهم عنه فأخبروه ؛ =

ذلك رأيا لا خبرا ؛ وغير ذلك من الأمور التي ليست من هذا الباب ؛ كقوله صلى الله عليه وسلم^(١) : والله لا أحلف على يمين^(٢) ، فأرى غيرها خيرا منها إلا فعلت الذي حلفت عليه وكفرت عن يميني .

وقوله^(٣) : إنكم تختصمون إليّ . . . الحديث .

وقوله^(٤) : اسق يا زبير حتى يبلغ الماء الجدر ؛ كما سنبتين كل ما في هذا

= فقال لهم : دعوه . فتركوه امتثالا له صلى الله عليه وسلم فلم يشر نخلمهم في ذلك العام . فلما أخبروه بذلك قال لهم : أتم أعرف بدينياكم . والحديث في صحيح مسلم : ١٨٣٥ .
فعدم معرفته - صلى الله عليه وسلم - بأمر من هذه الأمور لا ينافي عصمته ، وأنه لا يخبر بما يخالف الواقع ؛ لأن جل همته صلى الله عليه وسلم أمور الآخرة ، والشرائع وقوانينها ، وغيره إنما جل قصده العلم بظواهر الحياة الدنيا .

(١) في حديث رواه الشيخان عن أبي موسى الأشعري رضى الله عنه في غزوة تبوك لما سأله صلى الله عليه وسلم بعض الصحابة أن يحملهم ؛ فقال : والله ما عندي ما أحملك عليه ، فأتى بعد ذلك بإبل فأعطاها السائل ، وقال ؛ ما أنا حملتكم ، ولكن الله تعالى حملكم ؛ ثم قال : والله إنى لا أحلف . . . صحيح البخارى : ٦ - ٢ ، وصحيح مسلم : ١٢٦٩

(٢) المراد باليمين هنا : القسم عليه من فعل أو ترك .

(٣) في حديث رواه الشيخان ، عن أم سلمة . . . وهو في صحيح مسلم : ١٣٣٧ ، وتامه : ولعل بعضكم ألحن بحجته من بعض - أى أفصح ، فأقضى له على نحو ما أسمع منه ، فمن اقتطعت له من أخيه شيئا - أى ليس حقا له - فلا يأخذه ، فكأنما اقتطعت له قطعة من النار فليحملها أو يذرها .

قال في نسيم الرياض : وفيه تنبيه على بشريته صلى الله عليه وسلم ، وأنه لا يعلم الغيب ، وإنما يحكم بالظاهر . وهذا تعليم لأئمة .

(٤) في حديث روى في السكتب الستة من أمره صلى الله عليه وسلم للزبير أن يسقى نخله ولا يستوعب الماء ، ثم يرسله لجار له من الأنصار ، فقال له الأنصارى : أن كان ابن عمك ! فقال صلى الله عليه وسلم : اسق يا زبير حتى يبلغ الماء الجدر . . . والجدر : السنة ، وهو ما رفع حول المزرعة كالجدار ، وقيل هو لثة في الجدار . وقيل : هو أصل الجدار . وروى الجدر - جمع جدار ، ويروى بالبدال الساكنة ؛ أى مبلغ تمام الشرب . =

مِنْ مُشْكِلٍ مَا فِي هَذَا الْبَابِ وَالَّذِي بَعْدَهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، مَعَ أَشْبَاهِهَا .
 وَأَيْضًا فَإِنَّ السَّكْذِبَ مَتَى عُرِفَ مِنْ أَحَدٍ فِي شَيْءٍ مِنَ الْأَخْبَارِ بِخِلَافِ مَا هُوَ عَلَى
 أَى وَجْهِ (١) كَانَ اسْتُرِيبَ (٢) بِخَبْرِهِ ، وَأَتَّهَمَ فِي حَدِيثِهِ ، وَلَمْ يَقَعْ قَوَاهُ فِي النُّفُوسِ
 مَوْقِعًا ؛ وَلِهَذَا مَا تَرَكَ الْمُحَدِّثُونَ وَالْعُلَمَاءُ الْحَدِيثَ عَمَّنْ عُرِفَ بِالْوَهْمِ وَالغَفْلَةِ وَسُوءِ
 الْحِفْظِ ، وَكَثْرَةِ الْعَلَطِ ، مَعَ ثِقَتِهِ .
 وَأَيْضًا فَإِنَّ تَعَمُّدَ السَّكْذِبِ فِي أُمُورِ الدُّنْيَا مَعْصِيَةٌ ، وَإِلَّا كَثَارُ مِنْهُ كَبِيرَةٌ
 بِإِجْمَاعٍ ، مُسْقِطٌ لِلرُّوَّةِ .

وَكُلُّ هَذَا مِمَّا يُبْزَعُ عَنْهُ مَنَصَبُ النَّبُوءَةِ ؛ وَالرُّوَّةُ الْوَاحِدَةُ مِنْهُ فِيمَا يُسْتَبْشَعُ
 وَيُسْتَشْنَعُ وَيَشْبَعُ (٣) تَمَّا يُخْلُ بِصَاحِبِهَا ، وَيُزْرَى (٤) بِقَائِلِهَا لِاحْتِقَاقِ (٥) بِذَلِكَ .

== قَالَ فِي نَسِيمِ الرِّيَاضِ : وَحَاصِلُ مَا فِي ذَلِكَ مَا بَاتَى : أَنَّهُ كَانَ رَجُلًا أَنْصَارِيًّا خَاصِمَ الزُّبَيْرِ بْنِ
 عَمْتَةَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي شِرَاجٍ مِنَ الْحَرَّةِ فِي الْمَاءِ الَّذِي يَسْقَى بِهِ النَّخْلَ ، وَقَالَ لَهُ : أَرْسَلِ
 الْمَاءَ إِلَيَّ ؛ فَتَرَفَعَا لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ لَهُ : اسْقِ يَا زُبَيْرُ ثُمَّ أَرْسَلِ لِحَارِكِ . فَقَالَ : أَنْ
 كَانَ ابْنُ عَمْتِكَ . فَتَلَوْنَ وَجْهَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : اسْقِ يَا زُبَيْرُ وَاحْبِسِ الْمَاءَ حَتَّى يَبْلُغَ
 الْجَدْرَ ، وَفِيهِ زَلٌّ : «فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يَحْكُمَكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ» . وَإِنَّ الرَّجُلَ الْخَاصِمَ
 قِيلَ هُوَ حَاطِبُ بْنُ بَلْتَعَةَ ، وَلَا يَصِحُّ لِأَنَّهُ لَيْسَ أَنْصَارِيًّا . وَقِيلَ ثَابِتُ بْنُ قَيْسٍ . وَقِيلَ ثَعْلَبَةُ بْنُ
 حَاطِبٍ . وَقِيلَ حَمِيدٌ . وَقِيلَ : إِنَّهُ بَدْرِيُّ ؛ وَنَقَلَ ابْنُ الْمَلِّقِ أَنَّهُ مُنَافِقٌ مِنَ الْأَنْصَارِ (٤-١٣٠) .

وَالْحَدِيثُ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ : ١٨٣٠ ، وَصَحِيحِ الْبُخَارِيِّ : ٦-٥٨ ، ٣-١٣٨ ، ٣-٣٣٢
 وَمُسْنَدِ أَحْمَدَ : ١-١٦٥ ، ١٦٦ ، وَانظُرْ فِي ذَلِكَ أَيْضًا تَفْسِيرَ ابْنِ كَثِيرٍ : ٢-٢٠٦ .

(١) عَلَى أَى وَجْهِ كَانَ : سِوَاءِ كَانَ جَدًّا أَوْ هَزَلًا .

(٢) اسْتُرِيبَ بِخَبْرِهِ : وَقَعَ النَّاسُ فِي رِيْبَةٍ وَشَكَّ فِيمَا يُخْبَرُ بِهِ حَتَّى لَوْ صَدَّقَ .

(٣) يَسْتَبْشَعُ : يَسْتَبْشِعُ مِنَ الْبِشَاعَةِ ، وَيَسْتَشْنَعُ : مِنَ الشَّنَاعَةِ . وَيَشْبَعُ : بِشَيْعِهِ النَّاسَ لِشَّنَاعَتِهِ .

(٤) وَيُزْرَى : يَعْيبُ وَيَنْقُصُ وَيَحْقِرُ .

(٥) لِاحْتِقَاقِ بِذَلِكَ : أَى بِمَا لَا يَلِيقُ بِمَنْصَبِ النَّبُوءَةِ .

وأما فيما لا يقع هذا الموضع^(١) فإن عدَدَ نَافِها من الصغائر. فهل يجزى على حكمها^(٢) في الخلاف فيها؟ مختلف^(٣) فيه. والصوابُ تَنزِيهُهُ النبوَّةَ عن تليبه وكثيره، سهوه وعَمْدِهِ؛ إذ عَمْدَةُ النبوَّةِ البلاغُ والإعلامُ والتَّبَيُّنُ، وَتَصَدِّقُ ما جاء به النبيُّ صلى اللهُ عليه وسلم. وتجويزُ شيء من هذا قَادِحٌ في ذلك، ومُشَكِّكٌ فيه، مناقِضٌ للمعجزة؛ فلنَقَطِعَ عن يَقِينٍ بأنه لا يجوز على الأنبياء خُلْفٌ^(٤) في القول في وَجْهِهِ من الوجوه، لا بقصدٍ ولا بغير قصدٍ، ولا تتسامح^(٥) مع مَنْ سَامَحَ في تجويزِ ذلك عليهم حالَ السُّهْوِ مما ليس طريقُهُ^(٦) البلاغُ؛ نعم، وبأنه لا يجوزُ عليهم الكذبُ قبل النبوَّةِ، ولا الاتِّسَامُ^(٧) به في أمورهم وأحوالِ دُنْيائهم؛ لأنَّ ذلك كان يُرَى ويريب^(٨)، وينفِرُ القلوبَ عن تصدِّقهم بعدُ.

وانظُرْ أحوالَ أهلِ عَصْرِ النبيِّ صلى اللهُ عليه وسلم من قُرَيْشٍ وغيرها من الأممِ وسُوِّاهِمِ عن حالِهِ في صِدْقِ لِسَانِهِ^(٩)، وما عُرِّفُوا به من ذلك واعترفوا به مما عُرِفَ، واتفقَ النَقْلُ على عِصْمَةِ نَبِيِّنَا صلى اللهُ عليه وسلم منه قَبْلُ وبعْدُ؛ وقد ذكرنا من الآثارِ فيه في البابِ الثاني أولَ الكتابِ ما يبيِّنُ لك صحَّةَ ما أشرنا إليه^(١٠).

(١) وأما الكذبُ فما لا يقع هذا الموضع، ولا يمدُّ بما يستبشع.

(٢) فهل يجزى على حكمها: أي يوافق حكمها حكمها ويتحد.

(٣) وقع خلاف من أئمة الأصول؛ فمنهم من قال: اختاف فيها أيضا. ومنهم من قال: لا خلاف في عدم وقوعها منه، لأنه مما ينفر القلوب عنه، والكذب حرام منه ما هو صغيرة وما هو كبيرة، وقد يقترن به ما يصيره كفرا، وقد يقترن بالصغيرة ما يصيرها كبيرة لكونها تؤدي إلى القتل أو القتال كما قال الجوزي.

(٤) خلف: كذب. (٥) تتسامح: لا تتساهل وتهاون.

(٦) البلاغ: عن الله تعالى لمصمة الله تعالى لهم عن وصته كما تقدم.

(٧) الاتسام: الاتصاف.

(٨) يزرى: يعيب وينقص. ويريب: يوقع في ريب وتهمة. (٩) لسانه: كلامه.

(١٠) قبل وبعد: قبل البعثة وبعدها. وللراد نقل علماء الملة، أو نقل الناس بعضهم عن =

فصل

فإن قلت : فما معنى قوله صلى الله عليه وسلم في حديث^(١) السهو الذي حدّثنا به
الفقيه أبو إسحاق [٢٠٢] إبراهيم بن جعفر ، حدّثنا القاضي أبو الأصمغ بن سهل ،

== بعض عصرًا بعد عصر ، ثم لم يزالوا ينقلون خائفًا عن سلف أنه لم يقع منه ذلك ، وعدم
وقوعه يدل على عدم جوازه عليه ، فالتوقف فيه لا يجوز .

قال الخفاجي : وتحقيقه - كما قال العلامة الملائى ، ومن خطه نقلت ؛ وعبارته : اتفق جميع
أهل الملل والشرائع على وجوب عصمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام عن تعمد الكذب فيما دلت
عليه المعجزة القاطعة على صدقهم فيه ؛ وذلك فيما طريقه البلاغ عن الله من دعوى الرسالة ،
وما ينزل عليهم من الكتب الإلهية ؛ إذ لو جاز ذلك أدى إلى إبطال دلالة المعجزة ؛ وهو
محال .

وأما السهو والنسيان فقال الآمدى : اختلف الناس فيه ؛ فذهب أبو إسحاق الإسفرائي
وكثير من الأئمة إلى امتناعه . وذهب القاضي أبو بكر إلى جوازه ، وادعى الفخر الرازى في
بعض كتبه الإجماع على امتناعه . ونقل الخلاف فيه في بعضها .

وحاصل الخلاف يرجع إلى أن ذلك داخل تحت دلالة المعجزة على التصديق ؛ فمن جملة غير
داخل فيها جوزه لعدم انتقاض الدلالة . وفي كلام إمام الحرمين أن ذلك فيما يتعلق ببيان الشرائع
سواء كان قولاً أو فعلاً نازلاً منزلة قوله في اقتضاء البيان ؛ وميل كلامه إلى جواز السهو فيه .

وقال شيخنا الزملى : إن الذى يظهر أن ما طريقه البلاغ يقطع بدخوله تحت دلالة
المعجزة على الصدق ؛ فهذا لا نزاع فى أنه لا يجوز فيه التحريف ولا الكذب ولا السهو ؛ وما لا يكون
كذلك ؛ وهو ما طريقه التبليغ وبيان الشرائع : فهل يجوز فيه النسيان ؛ وهذا محل الخلاف .

وقال البلاغى فى كتاب الانتصار : المعجزة تدل على صدق النبي صلى الله عليه وسلم فيما
يفكر فيه ، وهو عامد له . وذوول النفس وطريان النسيان ، وبوادر اللسان ، لا يدخل تحت
الصدق الذى هو مدلول المعجزة . ومن زعم أنه فى تجويز ذلك القدر فى الثقة بتبليغ الانبياء
عليهم الصلاة والسلام فليس بشيء ؛ فإنما يكون ذلك لو جوز تقريرهم عليه وهو ممتنع . وأما القاضي
عياض فإنه نقل الإجماع على عدم جواز السهو والنسيان فى الأقوال البلاغية ؛ وخص الخلاف
بالأفعال ؛ وهو يرجع إلى اندراجها تحت دلالة المعجزة كما ذكرنا (نسيم الرياض : ٤ - ١٣٣) .

(١) هذا الحديث رواه الشيخان ومالك والترمذى وغيرهم . صحيح مسلم : ٤٠٠ ، ٤٠٢ .

حدثنا حاتم بن محمد ، حدثنا أبو عبد الله بن الفخار ، حدثنا أبو عيسى ، حدثنا
عبيد الله ، حدثنا يحيى ، عن مالك ، عن داود بن الحصين ، عن أبي سفيان مولى
ابن أبي أحمد أنه قال : سمعتُ أبا هريرة رضى الله عنه يقول : صَلَّى رسولُ الله
صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صلاةَ العصر ، فسَلَّمَ في ركعتين ، فقام ذُو اليَدَيْنِ ^(١) ، فقال :
يا رسولَ اللهِ ؛ أَقْصِرَتِ الصَّلَاةُ أَمْ نَسِيتَ ؟ فقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : كلُّ
ذلك لم يكن .

وفي الرواية الأخرى : ما قُصِرَتْ وما نسيت . . . الحديث بقصته ؛ فأخبره بنفى
الخانيتين ، وأنها لم تكن ؛ وقد كان أحدُ ذلك كما قال ذُو اليَدَيْنِ : قد كان بعضُ
ذلك يا رسولَ اللهِ . . .

فأعلمَ - وَفَقِنَا اللهُ وَإِيَّاكَ - أَنْ للعلماءِ في ذلك ^(٢) أجوبةٌ ، بعضها بصدَدِ ^(٣)
الإِنصافِ ؛ ومنها ما هو بنية ^(٤) التعمُّفِ والاعتسافِ ؛ وهأنا أقول :
أما على القول بتجويز الوهمِ والغَلَطِ فيما ليس طريقُهُ من القول ^(٥) البلاغِ ،
وهو الذى زيفناه ^(٦) من القَوَائِنِ - فلا اعتراض ^(٧) بهذا الحديث وشبهه .

(١) ذُو اليَدَيْنِ : رجل من العرب بالبادية ، وحديثه في صحيح البخارى : ١-١٢٣ ،
١٧٣ ، وصحيح مسلم : ٤٠٣ .

(٢) فى ذلك : أى فى ذلك السهو الذى وقع له عليه السلام فى هذه القضية .

(٣) بصدَدِ الإِنصافِ : قريب من الإِنصافِ ، أو متمسك بطريق الإِنصافِ فى الرجوع إلى
الحق . والإِنصافُ : العدل والاستقامة فى الأمور .

(٤) بنية : بقصد والتعمُّفِ والاعتسافِ : الجور ، والخروج عن الجادة ، وركوب الامر
بالمشقة .

(٥) أى لا يتعلق به حكم ، أو وحي ، أو خبر عن أمر المعاد .

(٦) زيفناه : رددناه ولم نرضه .

(٧) فلا اعتراض على ما تقرر فى عصمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام .

وأما على مذهب من يمنع السهو والنسيان في أفعانه جملة^(١)، ويرى أنه في مثل هذا عامد^(٢) لصورة النسيان ليس^(٣)، فهو صادق في خبره^(٤)؛ لأنه لم ينس ولا قصرت، ولكنه على هذا القول تعدد هذا الفعل في هذه الصورة^(٥) لمن اعتراه مثله^(٦)؛ وهو قول مرغوب عنه^(٧) ونذكره في موضعه.

وأما على إحالة السهو عليه في الأقوال وتجوز السهو عليه فيما ليس طريقه القول^(٨) - كما سذكره - ففيه أجوبة؛ منها:

أن النبي صلى الله عليه وسلم أخبر^(٩) عن اعتقاده وضميره؛ أما إنكار القصر فحق وصدق باطنا وظاهرا^(١٠). وأما النسيان فأخبر - صلى الله عليه وسلم - عن اعتقاده، وأنه لم ينس في ظنه؛ فكانه قصد الخبر بهذا عن ظنه وإن لم ينطق به؛ وهذا صدق أيضا^(١١).

- (١) جملة: جميعا. قال الخفاجي: وهذا القول ذهب إليه كثير من مشايخ الصوفية وبعض المتكلمين، وخصه بعضهم بنبينا صلى الله عليه وسلم. (٢) عامد: قاصد.
- (٣) ليسن: ليعلم الناس سنته في السهو؛ أي إنه نسي قصدا، أي أتى بما هو في صورة النسيان - ليعين حكمه. وقال الإسفرائني: وهذا منحى غير شديد؛ فإن السهو في الأفعال غير مناقض للنبوة، ولا قادح فيها، بخلاف الأقوال في البلاغ. (٤) في قوله: لم أنس ولم تقصر. (٥) هذا الفعل: أي سلامه مقتصر على ركعتين. في هذه الصورة: صورة النسيان.
- (٦) لمن اعتراه: لمن عرض له ووقع منه. مثله: مثل هذا الفعل؛ ليقترن به.
- (٧) قال في نسيم الرياض: وقد قال العلامة الملائي: إن هذا القول خطأ، لأنه صلى الله عليه وسلم أخبر عن نفسه بوقوع النسيان منه في حديث ابن مسعود المتفق عليه، إنما أنا بشر أنسى كما تنسون.
- (٨) من الأفعال كسهوه في الصلاة.
- (٩) حين قال: كل ذلك لم يكن، مع أن بمضه كان وحصل.
- (١٠) وقع هذا الإنكار ظاهرا لتصريجه به، وباطنا لاعتقاده له؛ إذ لم يوح إليه خلافه وما ينطق عن الهوى.
- (١١) هذا صدق مطابق للواقع، لأنه في نفس الأمر لم يظن أنه نسي، ولم يخطر ذلك بباله.

وَوَجْهٌ ثَانٍ : أَنْ قَوْلَهُ : وَلَمْ أَنْسَ - رَاجِعٌ إِلَى السَّلَامِ ؛ أَي لِمَا سَلَّمْتُ قَضَاءً ،
 وَسَهْوَتُ عَنِ الْمَدَدِ ؛ أَي لَمْ أَسْتَهْ فِي نَفْسِ السَّلَامِ ؛ وَهَذَا مُحْتَمَلٌ ؛ وَفِيهِ بُعْدٌ .
 وَوَجْهٌ ثَالِثٌ - وَهُوَ أَبَعْدُهُمَا - مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ بَعْضُهُمْ ، وَإِنْ احْتَمَلَهُ اللَّفْظُ مِنْ
 قَوْلِهِ : كُلُّ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ : أَي لَمْ يَجْتَمِعِ الْقَصْرُ وَالنِّسْيَانُ ؛ بَلْ كَانَ أَحَدَهُمَا (١) .
 وَمَفْهُومُ اللَّفْظِ خِلَافُهُ مَعَ الرَّوَايَةِ الْأُخْرَى الصَّحِيحَةِ ، وَهُوَ قَوْلُهُ : مَا قَصَّرْتَ الصَّلَاةَ
 وَمَا نَسَيْتُ .

هَذَا مَا رَأَيْتُ فِيهِ (٢) لِأَمْتِنَا ؛ وَكُلُّ مَنْ هَذِهِ الْوُجُوهُ مُحْتَمَلٌ لِلْفِظِّ عَلَى بُعْدِ بَعْضِهَا
 وَتَمَثُّفِ الْآخِرِ (٣) مِنْهَا .

قَالَ الْقَاضِي أَبُو الْفَضْلِ رَحِمَهُ اللَّهُ : وَالَّذِي أَقُولُ - وَيُظَاهِرُ لِي أَنَّهُ أَقْرَبُ مِنْ هَذِهِ
 الْوُجُوهِ كُلِّهَا - أَنَّ قَوْلَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لَمْ أَنْسَ إِنْكَارٌ لِلْفِظِّ الَّذِي نَفَاهُ عَنْ
 نَفْسِهِ ، وَأَنْكَرَهُ عَلَى غَيْرِهِ بِقَوْلِهِ : بِنَسِ مَا لِأَحَدِكُمْ أَنْ يَقُولَ : نَسَيْتُ آيَةَ كَذَا
 وَكَذَا ، وَلَكِنَّهُ نُسِيَ (٤) .

وَبِقَوْلِهِ فِي بَعْضِ رَوَايَاتِ الْحَدِيثِ الْآخِرِ (٥) : لَسْتُ أَنْسِي ، وَلَكِنْ أَنْسَى (٦) .
 فَلَمَّا قَالَ لَهُ السَّائِلُ : أَقَصَّرْتَ الصَّلَاةَ أَمْ نَسَيْتَ ؟ أَنْكَرَ قَصْرَهَا كَمَا كَانَ ، وَنَسِيَ أَنَّهُ
 هُوَ مِنْ قَبْلِ نَفْسِهِ (٧) ، وَإِنَّمَا إِنْ كَانَ جَرَى شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ فَقَدْ نُسِيَ حَتَّى سَأَلَ

(١) أَحَدُهُمَا : هُوَ النِّسْيَانُ . (٢) فِيهِ : فِي الْحَدِيثِ لِلتَّقَدُّمِ .

(٣) تَمَثُّفِ الْآخِرِ مِنْهَا : تَكَلَّفَهُ وَبَعَدَهُ عَنِ الطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمِ .

(٤) نَسِيَ : أَنْسَاهُ اللَّهُ ، لِأَنَّهُ فَعَلَ اللَّهُ لَا فَعَلَهُ ؛ فَلَا يَنْبَغِي إِضَافَتَهُ لَهُ ، فَأَرَادَ إِرْشَادَهُ إِلَى نِسْبَةِ
 الْأَفْعَالِ لِخِلَافِهَا وَإِقْرَارِهِم بِالْعُبُودِيَّةِ وَالِاسْتِسْلَامِ . وَالْحَدِيثُ فِي مُسْلِمٍ ، وَابْنِ خَالْتِجَةَ : صَحِيحٌ

مُسْلِمٌ : ٥٤٤ (٥) رَوَاهُ مَالِكٌ فِي الْمَوْطَأِ : ١٠٠

(٦) أَنْسَى ، يَنْسِيهِ اللَّهُ الْحِكْمَةَ ؛ كَالْتَشْرِيحِ وَتَعْلِيمِ الْأُمَّةِ .

(٧) كَمَا كَانَ : تَحَقَّقَ فِي الْوَاقِعِ . مِنْ قَبْلِ نَفْسِهِ : أَي إِنَّهُ فَعَلَ ذَلِكَ بِكَسْبِهِ ، وَتَمَاطَى أَسْبَابَهُ

مِنْ غَيْرِ إِجْبَادِ اللَّهِ تَعَالَى فِيهِ ، وَخَلَقَهُ لِمَا لَمْ يَكُنْ فِي جِبَلْتِهِ كَفِيرَهُ .

غَيْرِهِ^(١)؛ فَتَحَقَّقَ أَنَّهُ نُسِيَ، وَأُجْرِيَ عَلَيْهِ ذَلِكَ [٢٠٣] لَيْسَنَ؛ فَقَوْلُهُ عَلَى هَذَا: لَمْ أُنْسَ وَلَمْ تُقْصِرْ؛ وَكُلُّ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ - صِدْقٌ وَحَقٌّ؛ لَمْ تُقْصِرْ، وَلَمْ يَنْسَ حَقِيقَةً^(٢)، وَلَكِنَّهُ نُسِيَ .

وَوَجْهُ آخِرِ اسْتِثْنَائِهِ^(٣) مِنْ كَلَامِ بَعْضِ الشَّايِخِ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُ قَالَ^(٤): إِنْ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَسْهُوُ وَلَا يَنْسِي^(٥)؛ وَلِذَلِكَ نَفَى عَنِ نَفْسِهِ النَّسْيَانَ؛ قَالَ: لِأَنَّ النَّسْيَانَ غَفْلَةٌ وَأَافَةٌ؛ وَالسَّهْوُ إِنَّمَا هُوَ شُغْلٌ بِالْأَيْدِي؛ فَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْهُوُ فِي صَلَاتِهِ وَلَا يَغْفُلُ عَنْهَا؛ وَكَانَ يَشْغَلُهُ عَنْ حَرَكَاتِ الصَّلَاةِ مَا فِي الصَّلَاةِ، شُغْلًا بِهَا لَا غَفْلَةً عَنْهَا .

فَهَذَا إِنْ تَحَقَّقَ عَلَى هَذَا الْمَعْنَى لَمْ يَكُنْ فِي قَوْلِهِ: مَا قُصِرَتْ وَلَا نَسِيَتْ خُلْفٌ^(٦) فِي قَوْلِهِ .

[وَعِنْدِي أَنَّ قَوْلَهُ: مَا قُصِرَتْ الصَّلَاةُ وَمَا نَسِيَتْ بِمَعْنَى التَّرْكِ الَّذِي هُوَ أَحَدُ وَجْهَيْ^(٧) النَّسْيَانِ؛ أَرَادَ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - أَنِّي لَمْ أُسَلِّمْ مِنْ رَكْعَتَيْنِ تَارِكًا لِأَكْمَالِ الصَّلَاةِ، وَلَكِنِّي نَسِيْتُ^(٨)، وَلَمْ يَكُنْ مِنْ تَلْقَاءِ نَفْسِي .

(١) سَأَلَ غَيْرَهُ مِنَ الصَّحَابَةِ الْحَاضِرِينَ عَنْهُ بِقَوْلِهِ: أَحَقُّ مَا يَقُولُهُ ذَوَالْيَدَيْنِ؟ فَقَالُوا: نَعَمْ .
(٢) لَمْ تُقْصِرِ الصَّلَاةَ حَقِيقَةً فِي نَفْسِ الْأَمْرِ، وَلَمْ أُنْسَ نَسْيَانًا صَدْرَ مِنْ صُدُورِ حَقِيقَتِهَا، وَأَنَا الْفَاعِلُ لَهُ صُورَةً؛ وَإِنَّمَا الْفَاعِلُ لَهُ حَقِيقَةً هُوَ اللَّهُ، وَأَنَا آتَةٌ لَهُ نَسْبَتُهُ إِلَى كُنْسَبَةِ الْقَطْعِ لِلسَّكِينِ كَمَا هُوَ مَذْهَبُ الْأَشْعَرِيِّ فِي أَعْمَالِ الْعِبَادِ الْمُضَافَةِ إِلَيْهِمْ .

(٣) اسْتِثْنَائِهِ: اسْتِخْرَجْتَهُ بِفَهْمِي . (٤) الْقَائِلُ بَعْضُ الشَّايِخِ .

(٥) قَالَ الْخُفَّاجِيُّ: لِأَنَّ السَّهْوَ مَا يَقَعُ بِأَدْنَى غَفْلَةٍ، وَيَتَذَبُّ لَهُ بِأَدْنَى تَنْبِيهِ؛ وَالنَّسْيَانَ: مَا يَزُولُ عَنِ الْحَافِظَةِ بِالسَّكِينَةِ حَتَّى يَحْتَاجَ لِتَذْكَيرٍ كَثِيرٍ .

(٦) قَالَ الْخُفَّاجِيُّ: وَهَذَا مُخَالَفٌ لِمَا رَوَى مِنْ قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنِّي أَنْسِي كَمَا تَنْسُونَ» - كَمَا تَقْدَمُ . (٧) أَحَدُ وَجْهَيْ النَّسْيَانِ: أَحَدُ مَعْنِيَيْهِ .

(٨) نَسِيْتُ: أَيْ سَهَوْتُ عَنْ إِتْمَامِهَا؛ وَالنَّفْيُ فِي كَلَامِهِ التَّرْكِ عَمْدًا؛ وَلَمْ يَكُنْ تَرْكُ الْإِتْمَامِ مِنْ تَلْقَاءِ نَفْسِي .

والدليلُ على ذلك قوله في الحديث الصحيح : **إِنِّي لَأَنْسَى أَوْ أَنْسَى لِأَسْنٍ** ^(١) .
وأما قصةَ كلماتِ إبراهيمِ المذكورة في الحديث ^(٢) أنها كذباته الثلاث
المنصوصة ^(٣) ، في القرآن منها اثنتان : قوله ^(٤) : **﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾** . وقوله ^(٥) : **﴿قَالُوا**
أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بَالِهْتَنَا يَا إِبْرَاهِيمُ ؟ قَالَ : بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا﴾ . وقوله الذي
عن زوجته ^(٦) : **﴿إِنهَا أُخْتِي - فاعلم - أكرمك الله أن هذه كلها خارجة عن الكذب ؛**
لا في الفصد ولا في غيره ^(٧) ؛ وهي داخلة في باب المعارض ^(٨) التي فيها مندوحة ^(٩)
عن الكذب .

أما قوله : **إِنِّي سَقِيمٌ** - فقال الحسن ^(١٠) وغيره : معناه سَأْسَقَمَ ؛ أي إن كلَّ
مخلوقٍ معرضٌ لذلك ، فاعتذر لثومهِ من الخروج معهم إلى عيدِهِم بهذا .
وقيل : بل سَقِيمٌ بما قُدِّرَ علىَّ من الموت ^(١١) .

-
- (١) ما بين القوسين ليس في ١ ، وهو هامش ب تحت كلمة : نسخة .
(٢) الحديث رواه الشيخان عن أبي هريرة أنه صلى الله عليه وسلم قال : إنه لم يكذب
إبراهيم إلا ثلاث كذبات . . . صحيح البخارى : ٦ - ١٠٦ ، وصحيح مسلم : ١٨٤٠
(٣) المنصوصة : المذكورة صريحاً .
(٤) سورة الصافات ، آية ٨٩
(٥) سورة الأنبياء ، آية ٦٢ ، ٦٣
(٦) زوجته سارة . وهذه الثالثة واردة في الحديث .
(٧) ولا في غيره : من السهو والنسيان .
(٨) للمعارض : خلاف التصريح ، بأن يتكلم بما يؤم خلاف مراده ؛ كقوله أختي المحتمل
لعنيين : هما أنها أخته حقيقة ، أو أنها أخته في الإسلام .
(٩) فيها مندوحة عن الكذب ؛ أي في المعارض سمع بها عن الكذب ؛ أي في سمع
القول ما ينفي عن تعدد الكذب ؛ فهو صدق لا كذب فيه .
(١٠) الحسن : هو الحسن البصرى .
(١١) يعني أنه أراد بسقيم أنه حزين مشغول الفكر بعلمه أنه لا بد من الموت . والنعم :
مرض من الأمراض القلبية ، ومن كان كذلك لا يلبق به أن يفرح بالأعياد ، ولا يكون في
محال اللهو واللعب .

وقيل : سَقِمَ القَلْبُ بما أَشَاهَدُهُ من كُفْرِكُمْ وَعِنَادِكُمْ .

وقيل : بل كانت اَلْحَمَى تأخُذُهُ عند طُلوع نَجْمٍ معلومٍ ؛ فلما رآه اعتذر

بمادته (١) .

وكلُّ هذا ليس فيه كَذِبٌ ؛ بل هو خَبْرٌ صحيحٌ صِدْقٌ .

وقيل : بل عَرَضَ بِسَقَمِ حِجَّتِهِ عَلَيْهِمْ (٢) ، وَضَعَفَ ما أَرَادَ بَيَانَهُ لَهُم مِّنْ جِهَةِ

النَّجُومِ الَّتِي كَانُوا يَشْتَغِلُونَ بِهَا (٣) ، وَأَنَّهُ أَتَمَّ نَظْرَهُ فِي ذَلِكَ ، وَقَبِلَ اسْتِقَامَةَ

حِجَّتِهِ عَلَيْهِمْ فِي حَالِ سَقَمٍ وَمَرَضٍ حَالٍ ، مَعَ أَنَّهُ لَمْ يَشَكَّ هُوَ وَلَا ضَعَفَ إِيمَانُهُ ،

وَلَكِنَّهُ ضَعَفَ فِي اسْتِدْلَالِهِ عَلَيْهِمْ وَسَقَمَ نَظْرُهُ (٤) ، كَمَا يُقَالُ : حِجَّةٌ سَقِيمَةٌ ، وَنَظْرٌ

مَعْلُولٌ (٥) ، حَتَّى أَلَمَهُ اللهُ بِاسْتِدْلَالِهِ وَصَحَّةِ حِجَّتِهِ عَلَيْهِمْ بِالْكَوَاكِبِ وَالشَّمْسِ

وَالْقَمَرِ - مَا نَصَّهُ اللهُ تَعَالَى ؛ وَقَدْ قَدَّمْنَا بَيَانَهُ .

وَأَمَّا قَوْلُهُ : ﴿ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطَفِقُونَ ﴾ (٦) - فَإِنَّهُ

عَلَّقَ خَبْرَهُ بِشَرْطِ نُطْقِهِ ، كَأَنَّهُ قَالَ : إِنْ كَانَ يَنْطَقُ فَهُوَ فَعَلَهُ عَلَى طَرِيقِ التَّبَكُّيْتِ (٧)

لِقَوْمِهِ . وَهَذَا صِدْقٌ أَيْضًا ، وَلَا خُأَفُ فِيهِ .

وَمَا قَوْلُهُ : أَخْتِي - فَقَدْ بَيَّنَّ فِي الْحَدِيثِ (٨) ، وَقَالَ : فَإِنَّكَ أَخْتِي فِي الْإِسْلَامِ ؛

(١) بمادته : من السقم الذي يمرض له إذا طلع ذلك النجم .

(٢) بسقم حجته : بضعف دليله الذي أقامه عليهم .

(٣) يشتغلون بها : أي بمباداتها وتمظيمها وإسناد الأمور إليها .

(٤) نظره : ما ناظرهم به حتى لم يتم حجته التي أقامها عليهم .

(٥) ونظر معلول : وفكر ودليل ضعيف .

(٦) وكبير الأصنام لم يفعل ، ولا قدرة له على الفعل ، فهو مخالف للواقع .

(٧) فهو يوبخهم بأنهم يمددون الجماد الذي لا ينطق ولا يقدر على شيء ، فلو قدروا دفعوا

عن أنفسهم ، ففيه تجميل لهم واستهزاء بهم ، لتمظيمهم ما لا يضر ولا ينفع .

(٨) الحديث رواه الشيخان عن أبي هريرة . صحيح مسلم : ١٨٤٠ ، وسنن الترمذي : ٥ - ٣٢١

وهو صدق؛ والله تعالى يقول^(١) : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ .

فإن قلت : فهذا النبي صلى الله عليه وسلم قد سماها كذبات ، وقال : لم يكذب إبراهيم إلا ثلاث كذبات . وقال - في حديث الشفاعة^(٢) ؛ ويذكر كذباته - فعناه^(٣) أنه لم يتكلم بكلام صورته صورة الكذب وإن كان حقا في الباطن إلا هذه الكلمات .

ولما كان مفهوم ظاهرها خلاف باطنها أشفق^(٤) إبراهيم عليه الصلاة والسلام من مؤاخذته بها .

وأما الحديث^(٥) : كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أراد غزوة ورى^(٦) غيرها - فليس فيه خلف^(٧) في القول ؛ إنما هو ستر مقصده ، لئلا يأخذ عدوه حذره ؛ وكنتم وجه ذهابه بذكر السؤال عن موضع آخر والبحث عن أخباره

(١) سورة الحجرات ، آية ١٠ ، أى إخوة في الدين . وفي الحديث : المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله .

(٢) بشير إلى مافي الصحيحين عن أبي هريرة رضى الله عنه أنهم يأتون إبراهيم عليه السلام ويقولون له : أنت نبي الله وخليته اشفع لنا إلى ربك ؛ ألا ترى مانحن فيه ! فيقول لهم : إن ربي قد غضب اليوم غضبا شديدا لم ينضب قبله ولا بعده مثله ؛ وإنى قد كنت كذبت ثلاث كذبات - ويذكرهن ؛ اذهبوا إلى غيري .. الحديث . فقد صرح الحليل نفسه بأن هذا وقع ؛ كذبا منه . صحيح البخارى : ٦ - ١٠٦

(٣) فعناه : معنى قوله صلى الله عليه وسلم : لم يكذب إبراهيم إلا ثلاث كذبات .

(٤) أشفق : خاف - وهذه العبارة جواب عما في حديث الشفاعة .

قال في نسيم الرياض : والحاصل أنه لم يصدر عنه كذب ؛ وإنما سمي كذبا باعتبار ظاهر العبارة قبل التأمل فيها من سامعها ؛ وإنما خاف إبراهيم ذلك لجلالة قدره ، لأنهم مصيبة صدرت منه .

(٥) رواه الشيخان عن كعب بن مالك : صحيح مسلم : ٢١٢٨

(٦) التورية : أن يقول ما يظهر منه خلاف مراده ، ويحتمله احتمالا بعيدا .

(٧) خلف في القول : ليس في قوله ذلك كذب .

والتعريض بذكره ، لا لأنه [٢٠٤] يقول : تَجَهَّزُوا إِلَى غَزْوَةِ كَذَا ، أَوْ وَجَّهْتُنَا إِلَى مَوْضِعٍ كَذَا خِلَافَ مَقْصَدِهِ ؛ فِهَذَا لَمْ يَكُنْ ؛ وَالأَوَّلُ (١) لَيْسَ فِيهِ خَبْرٌ يَدْخُلُهُ الْخُلْفُ .
فَإِنْ قُلْتَ : فَمَا مَعْنَى قَوْلِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ - وَقَدْ سُئِلَ : أَيُّ النَّاسِ أَعْلَمُ ؟
فَقَالَ : أَنَا أَعْلَمُ (٢) ؛ فَعَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ ذَلِكَ (٣) ؛ إِذْ لَمْ يَرُدَّ الْعِلْمَ إِلَيْهِ - الْحَدِيثَ ؛ وَفِيهِ
قَالَ (٤) : بَلْ عَبْدٌ لَنَا يَجْمَعُ الْبَحْرَيْنِ أَعْلَمُ مِنْكَ .
وَهَذَا خَبْرٌ قَدْ أَنْبَأَنَا اللَّهُ أَنَّهُ (٥) لَيْسَ كَذَلِكَ .

فَاعْلَمْ أَنَّهُ قَدْ وَقَعَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ مِنْ بَعْضِ طُرُقِهِ الصَّحِيحَةِ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ :
هَلْ تَعْلَمُ أَحَدًا أَعْلَمَ مِنْكَ (٦) ؟

فَإِذَا كَانَ جَوَابُهُ عَلَى عِلْمِهِ فَهُوَ خَيْرٌ حَقٌّ وَصِدْقٌ لَا خُلْفَ فِيهِ وَلَا شُبْهَةَ .
وَعَلَى الطَّرِيقِ الْآخِرِ (٧) فَمَحْمَلُهُ عَلَى ظَنِّهِ وَمُعْتَقَدِهِ ، كَمَا لَوْ صَرَّحَ (٨) بِهِ ؛ لِأَنَّ

(١) الأول : هو سؤاله عن غير مقصده . ليس فيه خبر يدخله الخلف : أى يمرض له كذب ، لعدم مطابقته للواقع ، وإنما هو تعريض وإيهام بنير مقصده لاضر فيه .
قال الحفاجي : وهذا هو الأغلب من أحواله ، وقد يقتضى الحال خلافه ، كما ورد في الصحيحين : لم يكن صلى الله عليه وسلم يريد غزوة إلا ورى بغيرها حتى كانت غزوة تبوك في حرس شديد إلى مكان بعيد وعدو كثير فحلبى للمسلمين أمرها ليتأهبوا لها ، فأخبرهم بوجهه الذى يريد .

(٢) هذا الحديث رواه الشيخان : صحيح مسلم : ١٨٤٧ . أنا أعلم : أى بمن على وجه الأرض جميعا . (٣) عتب عليه ذلك : لآمه بسبب ذلك الذى قاله : أنا أعلم .

(٤) قال : القائل هو الله لموسى . والعبد : هو الحضرة . والبحران : بحر الأردن ، وبحر القلزم . وقيل بحر المغرب وبحر الزقاق . وقيل بحر الروم وفارس .

(٥) وهذا : أى قول موسى . ليس كذلك : فيكون خلفا منه ، وهو معصوم عن مثله .

(٦) فالسؤال عما يملكه ، لا عما فى الواقع .

(٧) الطريق الآخر الذى فيه إطلاق أعليته من غير تقييد بملكه واعتقاده للفيدلنى الأعلية .

(٨) كأنه قال : أنا أعلم فى ظنى أو معتقدى ، لآفى نفس الأ ر ، وطفى هذا لا يرد عليه شىء .

حالَهُ فِي النُّبُوَّةِ وَالِاصْطِفَاءِ بِتَقْضَى ذَلِكَ^(١)؛ فَيَكُونُ إِخْبَارُهُ بِذَلِكَ أَيْضًا عَنْ اعْتِقَادِهِ وَحِسْبَانِهِ^(٢) صِدْقًا لَا خُفَّ فِيهِ .

وَقَدْ يُرِيدُ بِقَوْلِهِ: أَنَا أَعْلَمُ بِمَا تَقْتَضِيهِ^(٣) وَظَائِفُ النُّبُوَّةِ مِنْ عِلْمِ التَّوْحِيدِ ، وَأُمُورِ الشَّرِيعَةِ ، وَسِيَاسَةِ الْأُمَّةِ ، وَيَكُونُ الْخَضِرُ أَعْلَمُ مِنْهُ بِأُمُورٍ^(٤) أُخْرَى مِمَّا لَا يَعْلَمُ أَحَدٌ إِلَّا بِإِعْلَامِ اللَّهِ مِنْ عِلْمِ غَيْبِيهِ ؛ كَالْقَصَصِ^(٥) الْمَذْكُورَةِ فِي خَبْرَيْهَا ، فَكَانَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ أَعْلَمَ عَلَى الْجِلَّةِ بِمَا تَقَدَّمَ . وَهَذَا^(٦) أَعْلَمُ عَلَى الْخَصُوصِ بِمَا أَعْلَمُ .

وَيَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى^(٧): ﴿ وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا ﴾ .

وَعَتَبُ اللَّهِ ذَلِكَ عَلَيْهِ - فِيمَا قَالَه الْعُلَمَاءُ - إِنْكَارُ هَذَا الْقَوْلِ عَلَيْهِ ، لِأَنَّهُ لَمْ يَرُدِّ الْعِلْمَ إِلَيْهِ ، كَمَا قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ^(٨): ﴿ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا ﴾ ، أَوْ لِأَنَّهُ لَمْ يَرْضَ قَوْلَهُ شَرْعًا^(٩) ، وَذَلِكَ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - لِثَلَاثِ تَقْتَضِيٍّ بِهِ فِيهِ مَنْ لَمْ يَبْلُغْ كَمَالَهُ فِي تَرْكِيهِ نَفْسِهِ وَعُلُوِّ دَرَجَتِهِ مِنْ أُمَّتِهِ ؛ فَيَهْلِكُ لِمَا تَضَمَّنَهُ مِنْ مَدْحِ الْإِنْسَانِ نَفْسَهُ ،

(١) أَيْ إِنَّمَا اخْتَارَهُ اللَّهُ لِأَنَّهُ أَعْلَمُ أَهْلَ عَصْرِهِ ، إِذْ لَوْ لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ لَمْ يَحْتَرَهُ لِتَلْبِيغِ رِسَالَتِهِ وَسِيَاسَةِ خَلْقِهِ وَرَجُوعِهِمْ إِلَيْهِ فِي كُلِّ أَمُورِهِمْ ، وَهُوَ كَلِيمُهُ وَأَمِينُ وَحْيِهِ ، وَمِثْلُهُ لَا يَكُونُ دُونَ غَيْرِهِ أَوْ مَسَاوِيًا فِي الْعِلْمِ .

وَيَحْتَمِلُ أَنْ مَعْنَاهُ أَنْ نُبُوَّتَهُ وَاصْطِفَاءَهُ يَقْتَضِيَانِ أَيْ يَسْتَلْزِمَانِ الْإِقْوَالِ قَوْلًا غَيْرَ مُطَابِقٍ لِلْوَاقِعِ ، فَيَحْتَمِلُ كَلَامَهُ عَلَى مَا يَطَابِقُهُ ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ مَا يَبْدُلُ عَلَيْهِ .

(٢) حِسْبَانُهُ : ظَنُّهُ . (٣) تَقْتَضِيهِ : تَسْتَلْزِمُهُ .

(٤) بِأُمُورٍ أُخْرَى : غَيْرِ الشَّرِيعَةِ وَالسِّيَاسَةِ . . .

(٥) قِصَّةُ مُوسَى وَالْخَضِرِ فِي سُورَةِ الْكَهْفِ . (٦) وَهَذَا : أَيْ الْخَضِرُ .

(٧) وَيَدُلُّ عَلَيْهِ : أَيْ عَلَى أَنَّهُ أَعْلَمُ بِعِلْمِ اخْتِصَاصِهِ بِهِ . سُورَةُ الْكَهْفِ ، آيَةٌ ٦٥

(٨) سُورَةُ الْبَقَرَةِ ، آيَةٌ ٣٣

(٩) لِتَرْكِهِ الْأَوَّلِي ، وَإِنْ كَانَ صَادِقًا فِي مَقَالِهِ هَذَا . وَالْأَوَّلِي أَنْ يَرُدَّ الْعِلْمَ إِلَى اللَّهِ .

وَيُورِثُهُ^(١) ذَلِكَ مِنَ السَّكْبَرِ وَالْمُعْجَبِ وَالتَّعَاطَى^(٢) وَالدَّعْوَى ؛ وَإِنْ نُزِّهَ عَنْ هَذِهِ الرِّذَائِلِ^(٣) الْأَنْبِيَاءَ فَفَيْرُهُمْ بِمَدْرَجَةِ سَبِيلِهَا وَدَرَكِ كَلِيَامِهَا^(٤) إِلَّا مَنْ عَصَمَهُ اللَّهُ ؛ فَالتَّحْفِظُ مِنْهَا^(٥) أَوْلَى لِنَفْسِهِ ، وَلِيُقْتَدَى بِهِ ؛ وَلِذَا قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - تَحْفِظًا مِنْ مِثْلِ هَذَا بِمَا قَدْ أَعْلِمَ بِهِ : أَنَا سَيِّدُ وَالِدِ آدَمَ وَلَا فَخْرُ^(٦) .

وهذا الحديث^(٧) إِحْدَى حُجَجِ الْقَائِلِينَ بِنُبُوءَةِ الْخَضِرِ ؛ لِتَوَلُّهِ فِيهِ : أَنَا أَعْلَمُ مِنْ مُوسَى . وَلَا يَكُونُ الْوَلِيُّ أَعْلَمَ مِنَ النَّبِيِّ .

وَأَمَّا الْأَنْبِيَاءُ فَيَتَفَاضَلُونَ فِي الْمَعَارِفِ .

وَبِقَوْلِهِ^(٨) : ﴿ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ﴾ ؛ فَذَلِكَ أَنَّهُ بَوَّخِي . وَمَنْ قَالَ : إِنَّهُ لَيْسَ بِنَبِيٍِّّ قَالَ : يَحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ فَعَلَهُ بِأَمْرِ نَبِيٍّ آخَرَ .

وهذا^(٩) يَضَعُفُ ؛ لِأَنَّهُ مَا عَلِمْنَا أَنَّهُ كَانَ فِي زَمَنِ مُوسَى نَبِيًّا غَيْرَهُ إِلَّا أَخَاهُ هَارُونَ ؛ وَمَا نَقَلَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْأَخْبَارِ فِي ذَلِكَ شَيْئًا يُعْوَلُ عَلَيْهِ .

(١) ويورثه : يكسبه ويعقبه ما يتصف به .

(٢) التعاطى : الأخذ في تزكية نفسه .

(٣) هذه الرذائل : الصفات الذميمة .

(٤) ففيرهم بمدرجة سبيلها : أى غير الأنبياء يتصف بها ، ولا ينزه عنها ، لاستمداده لها وقبول طبعه لها . والسبيل : الطريق . والدرجة : المدخل والسلوك . ودرك ليلها : شبه ما يمرض له من الصفات الذميمة بظلمة الليل التى تنشأه ؛ والمراد ما لا بد من آثار تلك الصفات .

(٥) التحفظ : الاحتراز . منها : أى من هذه الصفات .

(٦) ولا فخر : أى لم أقل هذا افتخارا وعجبا ؛ وإنما هو تحدث بما أنعم الله به علىّ ؛ أو أنا لا أخفر بهذا فإن الله أنعم علىّ بما هو أجل منه . والحديث فى سنن الترمذى : ٥ - ٥٨٥ .

(٧) وهذا الحديث الروى فى قصة موسى والخضر .

(٨) بقوله : أى الخضر . سورة الكهف ، آية ٨٣ . عن امرى : أى بما أمرته بنفسى ،

فليس برأى واجتهادى .

(٩) وهذا الجواب . يضعف : أى يحكم بضعفه .

وإذا جعلنا « أعلم منك » ليس على العموم؛ وإنما هو على الخصوص، وفي قضايا معينة - لم يحتج إلى إثبات نبوة الخضر؛ ولهذا قال بعض الشيوخ: كان موسى أعلم من الخضر فيما أخذ عن الله، والخضر أعلم فيما رُفِعَ^(١) إليه من موسى.

وقال آخر: إنما أُلجئ موسى إلى الخضر للتأديب^(٢) لا للتعليم.

فصل

وأما ما يتعلق بالجوارح من الأعمال^(٣)، ولا يخرج من جملتها القول باللسان^(٤) فيما عدا الخبر الذي^(٥) وقع فيه الكلام والاعتقاد بالقلب فيما عدا التوحيد^(٦)، وما قدمناه من معارفه المختصة به^(٧) - فأجمع المسلمون على عصمة الأنبياء من الفواحش والكبائر الموبقات^(٨). [٢٠٥] ومستند الجمهور في ذلك الإجماع الذي ذكرناه.

(١) رفع إليه: أي فيما جعله الله تعالى منوطاً به منتهياً إليه علمه مما غيب علمه عن غيره.
(٢) للتأديب: أي ليؤدبه الله تعالى حتى لا ينسب لنفسه الأعلية، وإن كان صادقاً في مقاله ومناسباً لمقامه.

(٣) الجوارح: الأعضاء التي يكسب بها الإنسان ويفعل ما يريد، أي ما يتعلق بمصنمهم في أفعالهم من الأعمال الصادرة بواسطتها.

(٤) فيما عدا الخبر: أي الإخبار بما سببه البلاغ وغيره.

(٥) فيما عدا التوحيد والإيمان وما يتعلق بالوحي.

(٦) به: بالنبي صلى الله عليه وسلم.

(٨) الفواحش: الذنوب التي خُشِ قبحها، وحرّم على هذه الأمة وغيرها (شرح القارى: ٢-).

(٢٥٧). للوقبات: المهلكات؛ وإهلاكها: بيقاعها في المذاب في الدنيا بالقتل، وفي الآخرة بالمذاب الأليم.

قال الحفاجي: وحاصله عصمتهم في أقوالهم وأفعالهم واعتقاداتهم قبل النبوة وبعدها من الكبائر المتوعد عليها.

وهو مذهبُ القاضى أبى بكر؛ ومنعها^(١) غَيْرُهُ بِدليلِ العَقلِ مع الإجماع؛ وهو قولُ الكفاةِ . واختاره الأستاذ أبو إسحاق^(٢) .

وكذلك لا خِلافَ أنهم معصومون مِن كِتْمَانِ الرِّسَالَةِ والتَّقْصِيرِ فى التَّبليغِ ؛ لأنَّ كُلَّ ذلك تَقْتَضِي المِصْمَةَ مِنْهُ المِجْزَةَ^(٣) ، مع الإجماعِ على ذلك من الكفاةِ . [والجمهورُ قائلون بأنهم معصومون^(٤) من ذلك مِن قَبْلِ اللَّهِ^(٥) ، ممتصون

(١) ومنعها : أى الكبائر .

(٢) قال الخفاجى : فذهب الجمهور أن عصمتهم عن الكبائر بدليل سمى . وذهبت طائفة إلى أنه بدليل سمى وعقلى . والمشهور عن الأشاعرة أن المصمة - فيما وراء التبليغ - غير واجبة عقلا لدلالة المعجزة عليه . وأما ما طريقه التبليغ ودعوى الرسالة فالمعجزة دالة على عصمتهم فيه ، وذهب المعتزلة إلى وجوب عصمتهم عن الكبائر عقلا بناء على قاعدتهم فى الحسن والقبح العقليين ووجوب رعاية الأصلاح .

والدليل العقلى من وجوه ؛ منها أنا أمرنا باتباعهم ، فلو صدر عنهم ذلك وجب اتباعهم فما فعلوه ، فيلزم اجتماع الحرمة والوجوب . وأيضا لو صدر عنهم ذلك كانوا معضيين أشد العذاب ؛ لأن عليهم وزرهم ووزر من اقتدى بهم ، وكانت شهادتهم غير مقبولة ، وقد جعلهم الله شهداء على غيرهم

(٣) أى تدل المعجزة على لزومه .

(٤) والجمهور . . . : أكثر الناس ومعظمهم على أنهم لا يكتمون شيئا من الوحي الذى أمروا بتبليغه . وهذا ورد فى حديث رواه مسلم عن عائشة قالت : من حدثكم أن محمدا ؛ صلى الله عليه وسلم كتم شيئا من الوحي فقد كذب . والله يقول : «يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك ، وإن لم تفعل فما بلغت رسالته » . ولو كان كاتما شيئا من الوحي لكتبتم قوله : وإذ تقول للذى أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفى فى نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه (سورة الأحزاب ، آية ٣٧) . وهذه الآية نزلت

فى شأن زينب بنت جحش : سنن الترمذى : ٥ - ٣٥٤

(٥) من قبل الله ؛ أى خلق فى جبهتهم المصمة .

باختيارهم وكسبهم^(١)، إلا حسينا النجار^(٢)؛ فإنه قال : لا قدرة لهم على المعاصي أصلا^(٣) .

وأما الصغائر فجوّزها جماعة من السلف وغيرهم على الأنبياء؛ وهو مذهب أبي جعفر الطبري وغيره من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين . وسنورد بعد هذا ما احتجوا به .

وذهبت طائفة أخرى إلى الوقف^(٤)، وقالوا : العقل لا يحيل^(٥) وقوعها منهم؛ ولم يأت في الشرع قاطع بأحد الوجهين^(٦) .

وذهبت طائفة أخرى من المحققين والمتكلمين إلى عصمتهم من الصغائر كعصمتهم من الكبائر؛ قالوا : لاختلاف الناس في الصغائر وتميئنها^(٧) من الكبائر وإشكال ذلك، وقول ابن عباس وغيره : إن كل ما عصى الله به فهو كبيرة، وإنه إنما سمى منها الصغير^(٨) بالإضافة إلى ما هو أكبر منه؛ ومخالفة الباري في أي أمر كان يجب كونه كبيرة .

(١) معتصمون : متمسكون . باختيارهم وكسبهم : لا أنهم مضطرون لعدم قدرتهم على خلافة .

(٢) تنسب إليه الطائفة النجارية ، وهم فرق من المبتدعة الضالة وافقوا أهل السنة في بعض أصولهم ووافقوا القدرية في نفس الرؤية ، ووافقوا المعتزلة في بعض المسائل (نسيم الرياض : ٤ - ١٥٨) وفي ب : إلا حسنا .

(٣) ما بين القوسين ليس في أ .

(٤) الوقف : أي التوقف وعدم الجزم .

(٥) لا يحيل وقوعها : لا يمهده محالا .

(٦) قاطع : نفي صريح ودليل قطعي . بأحد الوجهين : الجواز وعدمه في صدور

الصغائر منهم .

(٧) وتميئنها : وتمييزها .

(٨) أي أطلق عليه صغيرة .

قال القاضي أبو محمد عبد الوهاب^(١) : لا يمكنُ أن يُقال : إن في معاصي الله صغيرةً إلا على معنى أنها تُتَقَرَّرُ باجتنابِ الكبائر ، ولا يكون لها حُكْمٌ^(٢) مع ذلك ، بخلاف الكبائر إذا لم يُتَبَّ منها فلا يُحِبُّهَا^(٣) شيء . والشبهة في العفو عنها إلى الله تعالى ؛ وهو قولُ القاضي أبي بكر وجماعةِ أئمةِ الأشعرية وكثيرٍ من أئمةِ الفقهاء .

[قال القاضي رحمه الله : و]^(٤) قال بعضُ أئمتنا : ولا يجبُ على القولين^(٥) أن يُختلفَ عنهم معصومون عن تكرار الصغائر وكثرتها ؛ إذ يلحقها ذلك بالكبائر^(٦) ؛ ولا في صغيرة^(٧) أدَّتْ إلى إزالةِ الحِشْمَةِ ، وأسقطتِ المروءة ، وأوجبتِ الإزراء والخساسة^(٨) ؛ فهذا أيضا مما يُعْصَمُ عنه الأنبياء إجماعا ؛ لأن مثلَ هذا يَحِطُّ مَنْصِبُهُ الْمُتَّسِمُ بِهِ ، وَيُزْرَى بِصَاحِبِهِ ، وَيُنْفَرُ الْقُلُوبَ عَنْهُ ؛ وَالْأَنْبِيَاءُ مَنْزَهُونَ عَنْ ذَلِكَ . بل يُلْحَقُ^(٩) بهذا ما كان مِنْ قَبْلِ الْمُبَاحِ ؛ فَأَدَّى إِلَى مِثْلِهِ ؛ وَلَخُوجِهِ بِمَا أَدَّى

- (١) المالكي البندادي ، وهو من شعراء البيئمة . ارتحل إلى مصر ، وتوفى بها ، ودفن قريبا من الإمام الشافعي سنة ٤٠٢ هـ .
- (٢) أى لا يمتد بها ويؤاخذ فاعلها بعقابه عليها .
- (٣) لا يحبها شيء : لا يحبوها .
- (٤) ما بين القوسين ليس في ا .
- (٥) أئمتنا : يعنى المالكية . على القولين : المعصية عن الصغائر وعدمها .
- (٦) ذلك : المراد الكثرة والتكرار . ويلحقها بالكبائر : لما فيه من عدم المبالاة بالمعاصي . قال الخفاجي : قيل إن المختار الملقى به أن من أكثر من فعل الصغائر سواء كانت من نوع واحد أو من أنواع لا يكون فاسقا ولا مرتكبا للكبيرة إن غلبت طاعاته على معاصيه .
- (٧) ولا في صغيرة : أى لا ينبغي أن يختلف في صغيرة . . . والحشمة : الحياء من الناس ؛ لأنها مما يسترذل وتتقبض النفوس منه .
- (٨) الإزراء : القصد . والخساسة : الدناءة .
- (٩) بهذا : بالصغائر التي عصمهم الله منها .

إليه عن اسمِ المباحِ إلى الحظر^(١) .
وقد ذهب بعضهم إلى عصمتهم من مَوَاقِعِ^(٢) المكروه قَصْداً .
وقد استدلل بعضُ الأئمة على عصمتهم من الصفائر بالمصير إلى امثالِ أفعالهم^(٣) ،
وإتباع آثارهم وسيرهم مطلقاً^(٤) .

وجهورُ الفقهاء على ذلك^(٥) من أصحابِ مالكٍ والشافعيِّ وأبي حنيفة من غير
التزام قرينة^(٦) ، بل مطلقاً عند بعضهم ، وإن اختلفوا في حُكْمِ ذلك^(٧) .
وحكى ابنُ خُوَيْرِزَمٍ مَفْذًا ذُو^(٨) أبو الفرج^(٨) ، عن مالك ، التزام^(٩) ذلك

(١) الحظر : النع ، يعنى الحرمة . قال الخفاجي : وفي الشرح الجديد أنه يؤدي إلى
الإضرار بمرتكبه ، والإضرار بالأنبياء كافر ، ففعله يؤدي إلى أن يزرى بهم ، فيحرم عليهم
لاحتيال أن يراهم من يجهل مقامهم فيزدري بهم فيقع في الشقاء الأبدى .
(٢) موقعة للمكروه : الوقوع فيه بأن يفعله .

(٣) بالمصير إلى امثالِ أفعالهم : أى فعل مثلها اقتداء بهم ؛ فلو صدر ذلك منهم أو جاز
فعله الناس وظنوه مشروعاً ؛ فلذا منعه منهم وإن كانت صغيرة ؛ لأن ذنب العظيم عظيم وإن قل .
(٤) مطلقاً : سواء كانت ضرورية أو جبيلة ، كالقيام والقعود والأكل والشرب ؛ فإننا
نتأسى بهم فيه وإن كان مباحاً ، لأن الأصل في أفعالهم أنها حسنة شرعية فينبى اتباعهم في كل
ما يصدر منهم .

قال الخفاجي : وقد اختلف للشافعية في اتباعه صلى الله عليه وسلم فيما علمنا أنه ليس كشرعنا ؛
هل يستحب أم لا ؟ كنهومه واضطجاعه بين سنة الفجر وفرضه .

(٥) على ذلك : على استحباب اتباع آثارهم مطلقاً إن لم نعلم أنه خصوصية لهم .

(٦) التزام قرينة : قيام قرينة تدل على أنه فعله للتشريع والاعتداء به فيه .

(٧) فذهب النزالي إلى أنه يستحب اتباعه في الأمور الجبلية كغيرها ؛ وذهب إليه كثير
من الفقهاء والمحدثين . وقال غيرهم : إنه مباح أحسن من غيره . وفي قول ضعيف : إنه واجب .

(٨) من أهل البصرة . وهو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الله من أئمة المالكية ،

توفى في حدود الأربعمائة . قال القارى (٢ - ٢٥٩) : وهو ضعيف في الرواية . وأبو الفرج

هو عمر بن محمد بن عمر الليثى المالكي صاحب كتاب الحاوى في فقه مالك ، توفى سنة ثلاثين

أو إحدى وثلاثين وثلاثمائة . وضبط خويز منداذ في ا .

(٩) التزام ذلك : اتباع أفعاله وآثاره .

وجوبا ، وهو قولُ الأبهري وابن القصار وأكثر أصحابنا .
وقولُ أكثرِ أهلِ العراقِ وابنِ سُرَيجِ ، والإصطخريِّ ، وابنِ خَيْرانِ من
الشافعية . وأكثُرُ الشافعية على أن ذلك نَدْبٌ ^(١) .
وذهبت طائفةٌ إلى الإباحة .

وقيدَ بعضهم الاتِّباعَ ^(٢) فيما كان من الأمور الدينية وعُلِمَ به مَقْصِدُ القُرْبَةِ .
وَمَنْ قال بالإباحة في أفعاله لم يُقَيَّدْ . قال : فلو جَوَّزنا عليهم الصغائر لم يمكن
الاعتداء بهم في أفعالهم ؛ إذ ليس كلُّ فعلٍ من أفعاله يَتَمَيَّزُ مَقْصِدُهُ [٢٠٦] من
القُرْبَةِ ^(٣) أو الإباحة ، أو الحَظَرِ ، أو المَعْصِيَةِ ^(٤) . ولا يصحُّ أن يُؤَمَّرَ المرءُ بامتنالِ
أمرٍ ^(٥) لعَلَّه مَعْصِيَةٌ ، لا سِيَّما على مَنْ يَرَى مِنَ الأَصُولِيِّينَ تَقْدِيمَ الفعلِ على القولِ
إذا تَمَارَضًا ^(٦) .

وَنَزِيدُ هذا حِجَّةً بأن نقول : مَنْ جَوَّزَ الصغائرَ وَمَنْ نَفَاها ^(٧) عن نبيِّنا
صلى اللهُ عليه وسلم مُجْمِعُونَ على أنه لا يُقَرُّ على مُنْكَرٍ مِنْ قولٍ أو فعلٍ ، وأنه متى
رأى شيئا فسكت عنه صلى اللهُ عليه وسلم دَلَّ على جوازِهِ ، فكيف يكون هذا حاله
في حقِّ غيره ، ثم يُجَوَّزُ وقوعه منه في نفسه ^(٨) .

-
- (١) ندب : أى مستحب لا واجب ولا مباح .
 - (٢) أى اتباعه صلى اللهُ عليه وسلم في أفعاله وجوبا أو ندبا .
 - (٣) مقصده من القربة : قصده التقرب إلى الله بالعبادة .
 - (٤) الحظر : المنع شرعا ، لكونه مكروها أو خلاف الأولى . أو المَعْصِيَةِ : أى الحرام .
 - (٥) بامتنال أمر من الأمور ففعله النبي صلى اللهُ عليه وسلم وصدر منه .
 - (٦) المارضة : المخالفة ومنافاة أحدهما للآخر .
 - (٧) ومن نفاها : قال بعدم جوازها .
 - (٨) وذلك بأن يرضى لنفسه ، مع شرفها وعصمتها ، ما لا يرضاه لغيره من أتباعه .

وعلى هذا المأخذ^(١) تجبُ عصمتهم من مُواقعةِ المكروهِ ، كما قيل .
وإذِ الحَظْرُ أو النَّدْبُ على الاقتداء بفعله يُبْنَى فِي الزَّجْرِ وَالنَّهْيِ عَنِ فِعْلِ
المكروه^(٢) .

وأيضاً فقد عُلِمَ مِنْ دِينِ الصَّحَابَةِ قَطْعاً^(٣) الاقتداء بأفعال النبي صلى الله عليه
وسلم كيف توجّهت ، ومن كل فنّ كالإقتداء بأقواله^(٤)؛ فنَدُّ نَبْدُوا^(٥) خواتيمهم
حين نبذ خاتمهم^(٦) ، وخلصوا نعالهم حين خلع^(٧) ؛ واحتجاجهم برؤية ابنِ عمر إياه

(١) وعلى هذا المأخذ الدال على أنهم لا يقرون غيرهم على المعاصي فضلا عن أنفسهم . . .
يجب عصمتهم .

(٢) قال الخفاجي : وتوضيحه بما يشق الغليل : أنه يجب عصمته صلى الله عليه وسلم عن
المكروه لما مر من أنه لا يرضاه لغيره ، فكيف يتصف به هو من غير مقتض ؛ وهذا معنى قوله :
وعلى هذا للمأخذ . . . ثم بين وجهه بوجه آخر أشار إليه بقوله : وإذ الحظر ؛ أي إذا رأينا
النبي صلى الله عليه وسلم فعل فعلا لم ندر حكمه ؛ فقيل : تمتنع مخالفته ، وقيل : يندب اتباعه ،
وإلى الأول أشار بالحظر ، وإلى الثاني بالندب ؛ وعلى كل منهما لا يفعل مكروها فاعله مزجور .
(٣) دين الصحابة : عادتهم . قطعا : علما لا شك فيه .

(٤) في كل فن : في أي نوع كانت من أمور معاشه وحركاته وتسكامه وغير ذلك . بأقواله :
في أوامره ونواهيه ، فلا يفرقون بين قوله وفعله في الاتباع ؛ فلو فعل مكروها لزم اتباعه فيه ،
وهو لا يصح .

(٥) نبذوا : طرحوا ورموا .

(٦) هذا إشارة إلى حديث : وهو أنه صلى الله عليه وسلم لما كتب إلى الملوك يدعوهم
للإسلام قيل له : إنهم لا يقرءون كتابا غير مختوم ؛ فأخذ خاتما من ذهب للختم ؛ نقشه « محمد
رسول الله » ، ثم أوحى إليه بتحريم خواتم الذهب للرجال دون النساء ، فطرحه وهو على
الذنب ، وأخذ آخر من فضة : والحديث في صحيح مسلم : ١٦٥٥ ، ١٦٥٧ .

(٧) خلعوا نعالهم ، أي في الصلاة . ورواه أحمد ، وأبو داود ، والحاكم عن أبي سعيد
الخدري ؛ قال : بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي بأصحابه إذ خلع نعليه ووضعها عن
يساره ، فلما رأوه ألقوا نعالهم ، فلما قضى أصلاته قال : ما حملكم على هذا ؟ قالوا : رأيناك
خلعتنا فقال : إن جبريل أخبرني أن بها قدرا . (سنن أبي داود : ١ - ٦٦) . =

جالسا لقضاء حاجته مستقبلا بيت المقدس (١) .

واحتجَّ غَيْرُ واحدٍ منهم في غير شيء (٢) مما بابه العبادةُ أو العادة بقوله (٣) :
رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَفْعَلُهُ ؛ وَقَالَ : هَلَّا خَبَّرْتِيهَا أَنِّي أُقْبَلُ
وَأَنَا صَائِمٌ (٤) ! وَقَالَتْ عَائِشَةُ - مَحْتَجَّةٌ (٥) : كُنْتُ أَفْعَلُهُ أَنَا وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وَغَضِبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الَّذِي أَخْبَرَ بِمِثْلِ هَذَا عَنْهُ (٦) ؛ وَقَالَ :

== قَالَ الْخَفَاجِيُّ : وَمَنْ عَلمَ أَنَّ الصَّلَاةَ بِالنَّمْلِ إِذَا عَلمَ طَهَارَتَهَا لَا تَكْرَهُ . أَمَا حَدِيثُ : خَالَفُوا
الْيَهُودَ ، فَهَيْمٌ لَا يَصِلُونَ فِي نَمَلِهِمْ وَخَفَائِهِمْ - فَلَا يَدُلُّ عَلَى اسْتِحْبَابِهِ إِلَّا إِذَا قَصِدَ مَخَالَفَةُ الْيَهُودِ
(سنن أبي داود : ١ - ٦٧)

(١) وما يدل على استحباب الاقتداء بما فعله صلى الله عليه وسلم استدلال الصحابة رضي الله
عنهم الوارد في حديث رواه الشيخان ، عن ابن عمر رضي الله عنه ؛ استدلوا به على أنه يجوز
استقبال القبلة واستدبارها بالبول والنائط ؛ قال : رقيت يوما على بيت حفصة ، فرأيتة صلى الله
عليه وسلم مستقبلا بيت المقدس . واستدل بفعله هذا على جوازه . والحديث في صحيح مسلم : ٢٢٥
(٢) في غير شيء : في أشياء كثيرة .

(٣) مما بابه العبادة : أى مما يتعبد به . أو العادة : أى ما اعتادوا . بقوله : قول ابن عمر .
(٤) إشارة إلى حديث في اللوطا (١ - ٢٩١) عن عطاء بن يسار - أن رجلا قبل امرأته
وهو صائم في رمضان ، خفاف وأرسل امرأته تسأل أمهات المؤمنين ، فسألت أم سلمة ، فقالت :
إن رسول الله صلى الله عليه وسلم فعله ؛ فأنته فأخبرته بما قالت . فقال : لسنا كرسول
الله ، فأنتها وأخبرتها بما قال زوجها ، فوجدت عندها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال :
ما لهذه للمرأة ؟ فأخبرته أم سلمة ، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألا أخبرتني أنى أفعل
ذلك ! فقالت أم سلمة : قد أخبرتني . فذهبت إلى زوجها فأخبرته ، فزاده ذلك بشرا .

(٥) فقالت عائشة عندما سئلت عن تقبيل الصائم زوجته . محتجة لجوازه وعدم إفساده الصوم .

(٦) غضب رسول الله على الرجل الصحابي أن أخبرته زوجته بما أفنته به بعض أمهات
المؤمنين ؛ فقال الصحابي الخبر بذلك : يحل الله لرسوله ما يشاء ، فيجوز أن يكون هذا من خصائصه
صلى الله عليه ، فلا يقاس أمر غيره عليه . (والحديث في اللوطا : ١ - ٢٩١) .

يَحِلُّ اللهُ لِرَسُولِهِ مَا يَشَاءُ؛ إِنْ لَأَخْشَاكُمْ اللهُ وَأَعَلَّكُمْ بِمَجْدُودِهِ^(١) .
والآثارُ في هذا أَكْثَرُ مِنْ أَنْ يُحِيطَ عَلَيْهَا، لَكِنَّهُ يُعَلِّمُ مِنْ مَجْمُوعِهَا عَلَى الْقَطْعِ
اتِّبَاعُهُمْ أَعْمَالَهُ وَاقْتِدَائُهُمْ بِهَا . وَلَوْ جَوَّزُوا عَلَيْهِ الْخِلَافَةَ فِي شَيْءٍ مِنْهَا لَمَا اتَّسَقَ
هَذَا^(٢)، وَلِنَقْلِ عَنْهُمْ وَظَهَرِ بِحُجَّتِهِمْ^(٣) عَنْ ذَلِكَ، وَلَمَّا أَنْكَرَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى
الْآخِرِ قَوْلَهُ وَاعْتِدَارَهُ بِمَا ذَكَرْنَا .

وَأَمَّا الْمُبَاهَاةُ فَجَائِزٌ وَقَوْعُهَا مِنْهُمْ؛ إِذْ لَيْسَ فِيهَا قَدْحٌ^(٤)، بَلْ هِيَ مَأْذُونٌ فِيهَا،
وَأَيْدِيهِمْ كَأَيْدِي غَيْرِهِمْ مَسْلُطَةٌ عَلَيْهَا^(٥)، إِلَّا أَنَّهُمْ بِمَا خُصُّوا بِهِ مِنْ رَفِيعِ الْمَنْزَلَةِ،
وَشَرِيحَتِ لَهُ صِدُورُهُمْ مِنْ أَنْوَارِ الْمَعْرِفَةِ، وَاضْطَقُوا بِهِ مِنْ تَعَلُّقِ هَمِّهِمْ بِاللَّهِ وَاللِّدَارِ
الْآخِرَةِ— لَا يَأْخُذُونَ مِنَ الْمُبَاهَاةِ إِلَّا الضَّرُورَاتِ مَا يَتَّقَوْنَ بِهِ عَلَى سُلُوكِ طَرِيقِهِمْ^(٦)،
وَصَلَاحِ دِينِهِمْ، وَضُرُورَةِ دُنْيَاهُمْ، وَمَا أُخِذَ عَلَى هَذِهِ السَّبِيلِ التَّحَقُّقِ طَاعَةً، وَصَارَ
قُرْبَةً^(٧)، كَمَا بَيَّنَّا مِنْهُ أَوَّلَ الْكِتَابِ طَرَفًا فِي خِصَالِ نَبِيِّنَا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛
فَبَانَ لَكَ عَظِيمُ فَضْلِ اللهِ عَلَى نَبِيِّنَا وَعَلَى سَائِرِ أَنْبِيَائِهِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ بِأَنَّ جَمَلَ أَعْمَالِهِمْ
قُرْبَاتٍ وَطَاعَاتٍ بِمِيدَةٍ عَنْ وَجْهِ الْخِلَافَةِ وَرَسْمِ الْمَعْصِيَةِ^(٨) .

(١) في نسيم الرياض : وهذا كله يدل على اقتدائهم بأفعاله صلى الله عليه وسلم .

(٢) اتسق : انتظم واطرد . هذا : أى اتباعهم أفعاله كلها

(٣) ولظهر بحجتهم عن ذلك ؛ أى فتشوا أفعاله ليقننوا ببعضها ويتركوا بعضها .

(٤) قدح : ذم ونقص حتى تمتنع عليهم .

(٥) أى هم كغيرهم من المكلفين ، لهم فعلها والانصاف بها من غير حرج عليهم في فعلها

والتصرف فيها . (٦) سلوك طريقهم : من تبليغ أمانة ربهم ، وما ينفع في العاش

والمعاد . وصلاح دينهم مما يعين على العبادة .

(٧) أى الأمور المباحة كالأكل والشرب والملبس إذا أخذ منه مقدار الكفاية وما لا يبد

للتقوى على السلوك للآخرة صار عبادة يثاب عليها . فالمباح بالنظر لذاته، ومن حيث هو لا ثواب

فيه ولا عقاب . أما بالنظر لما يقارنه فإنه يصير عبادة ، والأعمال بالنيات .

(٨) رسم المعصية : علامتها وأثرها .

فصل

[في عصمتهم قبل النبوة]

وقد اختلف في عصمتهم من المعاصي قبل النبوة ؛ فمنها قومٌ ، وجوزها آخرون . والصحيحُ إن شاء الله تنزيلهم من كل عيب ، وعصمتهم من كل ما يُوجبُ الرِّيبَ ^(١) ؛ فكيف والمسألة ^(٢) تصوُّرها كالمُتنعِ ؛ فإنَّ المعاصي والنواهي إنما تكون بعد تقرر الشَّرْعِ .

وقد اختلف للناسُ في حال نبينا صلى الله عليه وسلم قَبْلَ أَنْ يُوحَى إليه ؛ هل كان متبِعاً لِشَرْعٍ [٢٠٧] قَبْلَهُ أم لا ؟ فقال جماعة : لم يكن متبِعاً لشيءٍ ^(٣) ؛ وهذا قولُ الجمهور ؛ فالمعاصي على هذا القول غيرُ موجودةٍ ولا مُعْتَبَرةٍ في حقِّه حينئذ ؛ إذ الأحكامُ الشرعية إنما تتعلق بالأوامر والنواهي وتقرُّرِ الشريعة ^(٤) .

ثم اختلفت حججُ القائلين بهذه المقالة عليها ؛ فذهب سيفُ السَّنَةِ ، ومُتَدَرِي فِرْقِ الأُمَّةِ القاضِي ^(٥) أبو بكر إلى أنَّ طريقَ العِلْمِ بذلك النُّقْلُ وموارد الخبر من طريق السَّمْعِ ^(٦) ؛ وحجَّتُه أنه لو كان ذلك لُنُقِلَ ، ولما أمكن كتمُّه وسنُّه في العادة ؛

(١) قال الخفاجي : الريب في الأصل الشك والشبهة ؛ وهو غير مناسب هنا ؛ فكأنه أريد به ما يحط مقدارهم ؛ لأن شأن النبوة الشرف والعلو ؛ فإذا ظهر خلافه ارتاب من عرفهم في نبوتهم ، وحصلت له شبهة فيهم .

(٢) والمسألة : أي وقوع الذنب منهم قبل النبوة . (٣) لشيء : من الشرائع .

(٤) وتقرر الشريعة : أي تحققها وظهورها ؛ ولم تسكن بعد وجوده ، وقبل بعثته ، شريعة

مقررة حتى يتبعها .

(٥) هو أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم الباقلائي ، حامل لواء أهل

السنة الثقة الذي يضرب المثل بسمه علمه وشدة ذكائه . وتوفي سنة ثلاث وأربعمائة .

(٦) طريق العلم بذلك : أي اتباعه صلى الله عليه وسلم لشرع نبي قبل نبوته . موارد الخبر

من طريق السَّمْعِ : أي يعلم من خبر ورد ونقل من طريق السَّمْعِ .

إِذْ كَانَ مِنْ مُهِمِّ أَمْرِهِ ^(١)؛ وَأَوْلَى مَا اهْتَبَلَ بِهِ مِنْ سِيرَتِهِ ^(٢)، وَلَفَخَرَ بِهِ أَهْلُ تِلْكَ الشَّرِيعَةِ، وَلَا حَتْمُجُوا بِهِ عَلَيْهِ؛ وَلَمْ يُؤْثَرِ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ جَمَلَةً.

وذهبت طائفةٌ إلى امتناع ذلك عقلاً؛ قالوا: لَأَنَّهُ يَبْعُدُ أَنْ يَكُونَ مَتَّبِعًا مَنْ عُرِفَ تَابِعًا؛ وَبَنُوا هَذَا عَلَى التَّحْسِينِ وَالتَّقْبِيحِ ^(٣)؛ وَهِيَ طَرِيقَةٌ غَيْرُ سَدِيدَةٍ؛ وَاسْتِنَادُ ذَلِكَ إِلَى النَّقْلِ كَمَا تَقَدَّمَ لِلْقَاضِي أَبِي بَكْرٍ أَوْلَى وَأَظْهَرَ ^(٤).

وَقَالَتْ فِرْقَةٌ أُخْرَى بِالْوَقْفِ فِي أَمْرِهِ ^(٥) صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَتَرَكَ قَطْعَ الْحُكْمِ عَلَيْهِ بِشَيْءٍ فِي ذَلِكَ؛ إِذْ لَمْ يُجَلِّ ^(٦) أَحَدُ الْوَجْهَيْنِ مِنْهَا الْعَقْلَ، وَلَا اسْتِبَانَ فِي أَحَدِهَا طَرِيقُ النَّقْلِ؛ وَهُوَ مَذْهَبُ أَبِي الْمَعَالِي ^(٧).

وَقَالَتْ فِرْقَةٌ ثَالِثَةٌ: إِنَّهُ كَانَ عَامِلًا بِشَرِّعٍ مِنْ قَبْلِهِ؛ ثُمَّ اخْتَلَفُوا: هَلْ يَتَعَيَّنُ ذَلِكَ الشَّرْعُ أَمْ لَا؟ فَوَقَفَ بَعْضُهُمْ عَنِ تَعْيِينِهِ، وَأَحْجَمَ. وَجَسَرَ ^(٨) بَعْضُهُمْ عَلَى التَّعْيِينِ وَصَتَمَ.

ثُمَّ اخْتَلَفَتْ هَذِهِ الْمَعْيِنَةُ فِيمَنْ كَانَ يَتَّبِعُ؛ فَقِيلَ نُوْحٌ، وَقِيلَ إِبْرَاهِيمُ، وَقِيلَ مُوسَى، وَقِيلَ عِيسَى صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ. فَهَذِهِ جَمَلَةُ الْمَذَاهِبِ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ. وَالْأَظْهَرُ فِيهَا مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ الْقَاضِي أَبُو بَكْرٍ، وَأَبْعَدُهَا مَذَاهِبُ الْمَعْيِنِينَ؛

(١) أى تبعده بشرع غيره مهم عظيم عند أهل ذلك الدين .

(٢) وأولى ما اهتبل به من سيرته : أولى : أحق . اهتبل به : اعتنى به .

(٣) أى بنوا هذا القول على أن حسن الشيء وقبحه يعرف بالعقل ويثبت به . وفي شرح الفارسي

(٢ - ١٧٠) : وبنوا هذا على التحسين والتقبيح العقليين .

(٤) قال الحفاجي : وهو القول الصحيح المول عليه .

(٥) فقالوا: لا نعلم حاله قبل البعث ؛ هل كان على شريعة من الشرائع السابقة أم لا ؟

(٦) لم يجز : لم يمهده محالاً ؛ لتساويها عنده في الإمكان .

(٧) أبو المعالي : عبد الملك الجويني المعروف بإمام الحرمين شيخ الإمام الفزالي .

(٨) جسر بعضهم : تجرأ وأقدم .

إذ لو كان شيء من ذلك لُنُقِلَ كما قَدَمْنَا ، ولم يَحْفَ جَمَلَةً ؛ ولا حِجَّةَ لَهُمْ فِي أَنْ عَيْسَى آخِرَ الْأَنْبِيَاءِ ، فَلَزِمَتْ شَرِيْعَتُهُ مَنْ جَاءَ بَعْدَهَا ؛ إِذْ لَمْ يَنْبُتْ عَمُومُ دَعْوَةِ عَيْسَى ؛ بَلِ الصَّحِيْحُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِنَبِيِّ دَعْوَةٍ عَامَةً إِلَّا لِنَبِيْنَا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ وَلَا حِجَّةَ أَيْضًا لِآخِرٍ فِي قَوْلِهِ ^(١) : ﴿ أَنْ أَتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ﴾ ، وَلَا لِآخَرِينَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ^(٢) : ﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا ﴾ ، فَتَحْتَمِلُ هَذِهِ الْآيَةَ عَلَى اتِّبَاعِهِمْ فِي التَّوْحِيدِ ^(٣) ؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى ^(٤) : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللهُ قَبِيْهَاتِهِمْ آفْتَدَهُ ﴾ .

وَقَدْ سَمَّى اللهُ تَعَالَى فِيهِمْ ^(٥) مَنْ لَمْ يُبْعَثْ ، وَلَمْ تَكُنْ لَهُ شَرِيْعَةٌ تَخْصُهُ ؛ كِيُوسُفُ بْنُ يَعْقُوبَ عَلَى قَوْلٍ مَنْ يَقُولُ : إِنَّهُ لَيْسَ بِرَسُولٍ .

وَقَدْ سَمَّى اللهُ تَعَالَى جَمَاعَةً مِنْهُمْ فِي هَذِهِ الْآيَةِ شَرَائِعَهُمْ مُخْتَلِفَةً لَا يُمْكِنُ الْجَمْعُ بَيْنَهَا ؛ فَدَلَّ ^(٦) أَنْ الْمُرَادَ مَا اجْتَمَعُوا عَلَيْهِ مِنَ التَّوْحِيدِ وَعِبَادَةِ اللهِ تَعَالَى .

(١) سورة النحل ، آية ١٢٣ . والملة : الشريعة والدين . حنيفا : مستقيما .

قال الخفاجي : وإنما لم يكن فيه حجة ؛ لأن هذا الأمر بمد ما أوحى إليه صلى الله عليه وسلم ؛ والسلام فيما قبل البعثة ؛ وإنما أمر باتباعه في التوحيد وإقامة الحججة برفق على من خالفه لا في شريعته للمتعلقة بالعبادة .

(٢) سورة الشورى ، آية ١٣

(٣) في التوحيد : أى الإيمان بالله وحده ، وما يتعلق بالعقائد الحقمة مما يشترك فيه جميع الأنبياء ، وليس الكلام في هذا ؛ وإنما الكلام فيما تمبده صلى الله عليه وسلم من الأعمال الصالحة .

(٤) سورة الأنعام ، آية ٩٠ . قال الخفاجي : فالمراد بهداهم ما اتفقوا عليه من التوحيد دون فروع الشرائع ؛ وقد قال الله تعالى : « لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا » ، فلا دليل فيما ذكر يثبت مدعاهم .

(٥) فيهم : أى ذكر الله في جملة الأنبياء المذكورين في هذه الآية (أولئك الذين ...)

(٦) فدل : دل اختلاف أحكام تلك الشرائع المأمور بالاعتداء بها على أن المراد ما اجتمعوا ...

وَبَعْدَ هَذَا^(١) فَهَلْ يَلْزَمُ مَنْ قَالَ بِمَنْعِ الْاِتِّبَاعِ^(٢) هَذَا الْقَوْلُ فِي سَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ غَيْرِ نَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أَوْ يَخَالِفُونَ نَبِيَهُمْ^(٣) ؟
 أَمَّا مَنْ مَنَعَ الْاِتِّبَاعَ عَقْلًا فَيَطْرُدُ أَصْلَهُ فِي كُلِّ رَسُولٍ بِلَا مِرْيَةٍ^(٤) . وَأَمَّا مَنْ مَالَ إِلَى النُّقْلِ فَأَيْنَا نُصَوِّرُ لَهُ وَتَقَرَّرَ اتِّبَعَهُ^(٥) .
 وَمَنْ قَالَ بِالْوُقُوفِ فَعَلَى أَصْلِهِ^(٦) . وَمَنْ قَالَ بِوُجُوبِ الْاِتِّبَاعِ لِمَنْ قَبْلَهُ فَيَلْتزِمُهُ بِمَسَاقِ حُجَّتِهِ فِي كُلِّ نَبِيٍّ^(٧) .

فصل

هَذَا^(٨) حَكْمٌ مَا يَكُونُ الْخَالْفَةُ فِيهِ مِنَ الْأَعْمَالِ عَنِ الْقَصْدِ^(٩) ؛ وَهُوَ مَا يَسْمَى مَعْصِيَةً ، وَيَدْخُلُ تَحْتَ التَّكْلِيفِ . وَأَمَّا مَا يَكُونُ بِغَيْرِ قَصْدٍ وَتَعَمُّدٍ [٢٠٨] ؛ كَالسَّهْوِ وَالنَّسْيَانِ فِي الْوُظَائِفِ^(١٠) الشَّرْعِيَّةِ مِمَّا تَقَرَّرَ الشَّرْعُ بَعْدَ تَعَلُّقِ الْخَطَابِ بِهِ ، وَتَرْكِ الْمُواخَذَةِ عَلَيْهِ ؛ وَأَحْوَالِ الْأَنْبِيَاءِ فِي تَرْكِ الْمُواخَذَةِ بِهِ ، وَكَوْنِهِ أَيْسَ بِمَعْصِيَةِ لَهُمْ مَعَ أُمَّمِهِمْ سِوَاهُ^(١١) . ثُمَّ ذَلِكَ عَلَى نَوْعَيْنِ^(١٢) : مَا طَرِيقُهُ الْبَلَاغُ ، وَتَقْرِيرُ الشَّرْعِ ، وَتَعَلُّقُ

- (١) وبعده هذا القول بأن المراد ما اتفقوا عليه من العقائد .
- (٢) بمنع الاتباع : أى نبينا صلى الله عليه وسلم لشرع من شرائع من قبله .
- (٣) فيقول : إن نبينا لشرف قدره لا يتبع في عبادته شريعة غيره ، أما غيره فيتبع من قبله .
- (٤) بلا مرية : بلا شك وشبهة .
- (٥) فأى شيء نقل من منع أو جوار اتبعه ولم يخالفه ، ولا داعى للخلاف فيه .
- (٦) فعلى أصله : على مذهبه في عدم التمييز لتساويهما ، إذ لا فارق .
- (٧) في ب : في كل شيء .
- (٨) هذا : ما تقدم من المعصية . المخالفة : مخالفة الشرع . عن قصد : عن تعمد .
- (٩) الوظائف الشرعية : ما وُظف وعين من الأعمال المؤقتة ، كالصلاة ، والصوم ، والحج ، ونحوها من العبادات .
- (١٠) سواء : أى هم وأممهم مستوون في عدم المواخذة به ، لأنهم لم يكلفوا به لا قبل الشرع ولا بعده .
- (١١) ذلك : الذى لم يؤخذ به من السهو والنسيان .

الأحكام^(١) ، وتعليم الأمة بالفعل ، وأخذهم^(٢) باتباعه فيه وما هو خارج عن هذا مما يختص بنفسه^(٣) .

أما الأول فحكمه^(٤) عند جماعة من العلماء حكم السهو في التول في هذا الباب^(٥) .

وقد ذكرنا الاتفاق على امتناع ذلك في حق النبي صلى الله عليه وسلم ، وعصيته من جوازه عليه قصداً أو سهواً ؛ فكذلك^(٦) قالوا : الأفعال في هذا الباب لا يجوز طروء^(٧) المخالفة فيها لا عمدًا ولا سهواً ؛ لأنها بمعنى التول من جهة التبليغ والأداء ، وطروء^(٧) هذه العوارض عليها يوجب التشكيك ، ويسبب المطاعين^(٨) .

واعتدروا عن أحاديث السهو بتوجيهات ذكرها بعد هذا . وإلى هذا مال أبو إسحاق^(٩) .

(١) وتلقى الأحكام به أمرا ونهيا .

(٢) وأخذهم : تسليطهم ومؤاخذتهم .

(٣) عن هذا : أى ماخرج عن طريق البلاغ لعدم صدقه عليه واندرجه تحت حكمته .

مما يختص بنفسه : دون أمته ، مما يجب أو يمتنع ونحوه مما يختص بالرسالة أنفسهم .

(٤) أما الأول : وهو ما طريقه البلاغ .

(٥) في هذا الباب : أى باب العصمة وحكمها .

(٦) فكذلك : أى كما قالوا في الأقوال البلاغية .

(٧) هذا في ب . وفي ا : طروء ، وهما بمعنى .

(٨) يوجب التشكيك : يستأنم وقوع الشك في بقية أفعاله ؛ هل فمائها بوحى من الله ، أو

مخالفة للوحى ، أو سهواً ؟ ويسبب للمطاعين : الطعن : التذبح بما يورث نقصا في أفعاله صلى الله عليه وسلم .

(٩) أبو إسحاق الإسفراييني : وهو إبراهيم بن محمد بن إبراهيم ، الإمام المشهور ، توفي

بنيسابور سنة ثمانى عشرة وأربعمائة .

وذهب الأَكثَرُ من الفقهاء والمتكلمين إلى أن المخالفة في الأفعال البلاغية^(١) والأحكام الشرعية سهواً وعن غير قصدٍ منه - جائزةٌ عليه ، كما تقرَّرَ من أحاديث السهْوِ في الصلاة ؛ وفرَّقُوا بين^(٢) ذلك وبين الأقوال البلاغية لقيام المعجزة على الصدق في القول . ومخالفة ذلك يناقضها^(٣) .

وأما السهْوُ في الأفعال فقَبِيْرُ مناقضٍ لها^(٤) ، ولا قاديح في النبوة ، بل غاطات الفعل وغفلات القلب من سمات البشر ، كما قال صلى الله عليه وسلم^(٥) : « إنما أنا بشرٌ ، أنسى كما تنسون ، فإذا نسيتُ فذكروني » ، نعم ، بل حالة النسيان والسهْوِ هنا^(٦) في حقه صلى الله عليه وسلم سببُ إفادةِ علمٍ وتقريرِ شرع ، كما قال صلى الله عليه وسلم^(٧) : « إني لأنسى أو أنسى لأسن^(٨) » .
بل قد رُوِيَ : لست أنسى ، ولكن أنسى .

وهذه الحالةُ زيادةٌ في التبليغ^(٩) ، وتأمُّمٌ عليه في النعمة بعيدةٌ عن سماتِ النقصِ

(١) البلاغية : التي أمرُوا بتبليغها لأمتهم .

(٢) بين ذلك في الأفعال .

(٣) لدلالة معجزة كل نبي من الأنبياء التي تحدى بها على صدقه فيما يقوله ويبلغه عن ربه ، ومخالفة الصدق في القول سهواً من غير قصد تناقض معجزته وتنافيها ؛ فلا تجتمع المعجزة وعدم صدقه فيما يبلغ عن ربه لأتمته ؛ لأن إجراء الله المعجزة على يده في قوة قوله : إنه صادق فيما يلفظكم عنى ، ودلائها على ذلك دلالة التزامية .

(٤) لها : للمعجزة .

(٥) في حديث رواه الشيخان في باب السهو في الصلاة : صحيح البخارى : ١ - ١٠٥ .

(٦) هنا : في حالته البلاغية . (٧) في حديث رواه اللوطأ . وقد سبق .

(٨) لأسن : لأحدث لكم أمراً شرعياً يكون سنة لكم . والحديث في صحيح مسلم :

١٠٠ ، ٤٠٠ ، ٤٠٣ .

(٩) وهذه الحالة ، أى ما يعرض له صلى الله عليه وسلم من النسيان ليسن زيادةً له مخصوصة به في التبليغ للناس ، ولما يحصل لهم من تعلم ما يفعله الساهى في العبادة من أمته .

واعترض الطعن ؛ فإن القائلين بتجوير ذلك يشترطون أن الرسل لا تُقرَّ عَلَى السَّهْوِ
وَالْقَاطِ ؛ بل يَنْبَهُونَ عَلَيْهِ ، وَيُعَرِّفُونَ حُكْمَهُ بِالنُّورِ عَلَى قَوْلِ بَعْضِهِمْ ، وَهُوَ
الصَّحِيحُ . وَقَبْلَ انْقِرَاضِهِمْ عَلَى قَوْلِ الْآخِرِينَ .

وَأَمَّا مَا لَيْسَ طَرِيقَهُ الْبَلَاغَ ، وَلَا بَيَانَ الْأَحْكَامِ مِنْ أَعْمَالِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،
وَمَا يَخْتَصُّ بِهِ مِنْ أُمُورِ دِينِهِ وَأَذْكَارِ قَلْبِهِ مِمَّا لَمْ يَفْعَلْهُ لِيُتَّبَعَ فِيهِ - فَالْأَكْثَرُ مِنْ
طَبَقَاتِ عُلَمَاءِ الْأُمَّةِ عَلَى جَوَازِ السَّهْوِ وَالْمَلَطِ عَلَيْهِ فِيهَا ، وَلِحُوقِ الْفَتَرَاتِ^(١) وَالغَفَلَاتِ
بِقَلْبِهِ ؛ وَذَلِكَ بِمَا كَلَّفَهُ مِنْ مَقَاسَاةِ الْخَلْقِ^(٢) ، وَسِيَاسَاتِ الْأُمَّةِ ، وَمَعَانَاةِ الْأَهْلِ^(٣) ،
وَمِلَاحِظَةِ الْأَعْدَاءِ ؛ وَلَكِنْ لَيْسَ عَلَى سَبِيلِ التَّكْرَارِ ، وَلَا الْإِتِّصَالِ ؛ بَلْ عَلَى
سَبِيلِ النُّدُورِ ، كَمَا قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «إِنَّهُ لَيُعَانُ عَلَى قَلْبِي»^(٤) ، فَاسْتَعْفَرَ اللَّهُ .
وَلَيْسَ فِي هَذَا شَيْءٌ يَحْتُطُّ مِنْ رُبُوبِيَّتِهِ وَيُنَاقِضُ مَعْجَزَتَهُ .
وَذَهَبَتْ طَائِفَةٌ إِلَى مَنَعِ السَّهْوِ وَالنَّسْيَانِ وَالغَفَلَاتِ وَالْفَتَرَاتِ فِي حَقِّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَمَلَةً .

(١) وَلِحُوقِ الْفَتَرَاتِ : عَرُوضُهَا . وَالْفَتَرَاتِ : جَمْعُ فِتْرَةٍ : وَهِيَ سَكُونٌ بَعْدَ حِدَّةٍ ، وَلِيْنٌ
بَعْدَ شِدَّةٍ ، وَضَمْفٌ بَعْدَ قُوَّةٍ .

(٢) مَقَاسَاةُ الْخَلْقِ : بِنَظَرِهِ فِي أَحْوَالِهِمْ وَتَدْبِيرِ أُمُورِهِمْ .

(٣) مَعَانَاةُ الْأَهْلِ : الْإِسْتِمْتَالُ بِهِمْ .

(٤) الْعَيْنُ : غَيْمٌ رَقِيقٌ . وَالرَّادُ بِهِ مَا يَمْرُضُ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْخَوَاطِرِ الَّتِي
تَشْتَلُّهُ عَمَّا يَهْمُهُ مِنْ أُمُورِ الْآخِرَةِ .

وَقَالَ الْقَارِي (٢ - ٢٧٠) : الْمَعْنَى قَدْ يَجِبُ قَلْبِي عَنْ مَشَاهِدَةِ رَبِّي بِالِاسْتِمْتَالِ بِأَمْرِهِ ،
وَالِانْتِقَالِ إِلَى إِمضَاءِ حُكْمِهِ .

قَالَ فِي نَسِيمِ الرِّيَاضِ : وَهُوَ عِبَادَةٌ أَيْضًا ؛ لِأَنَّهُ تَنَسَّرَ فِي أُمُورِ أُمَّتِهِ وَتَدْبِيرِ أَحْوَالِهِمْ ، وَإِنَّمَا
اسْتَعْفَرَ مِنْهُ ، لِأَنَّهُ شَتَلَهُ عَنِ الْأَمِّ عِنْدَهُ ، فَهُوَ بِالنِّسْبَةِ لِعَظِيمِ مَقَامِهِ كَأَنَّهُ ذَنْبٌ ، لِأَنَّهُ اسْتِمْتَالَ بِالْمَالِي
عَنِ الْأَعْلَى ، فَهُوَ حَالَةٌ كَمَا لَا تَقْصُ . وَالْحَدِيثُ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ : ٢٠٧٥ . وَفِيهِ : وَإِنِّي
لَأَسْتَعْفِرُ اللَّهَ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ .

وهو مذهبُ جماعة المتصوفة وأصحابِ علمِ القلوب والمقامات^(١) ، ولهم في هذه الأحاديث مذاهبٌ نذكرها بعد هذا إن شاء الله .

فصل

في الكلام على الأحاديث [٢٠٩] المذكور فيها السهو منه صلى الله عليه وسلم قد قدمنا في الفصول قبل هذا ما يجوز فيه عليه السهو صلى الله عليه وسلم وما يمتنع ، وأحلناه في الأخبارِ جملة^(٢) ، وفي الأقوال الدينية قطعاً ، وأجزنا وقوعه في الأفعال الدينية على الوجه الذي رتبناه ، وأشرنا إلى ما ورد في ذلك ؛ ونحن نبسط القول فيه^(٣) ونقول : الصحيح من الأحاديث الواردة في سهوه صلى الله عليه وسلم في الصلاة ثلاثة أحاديث :

أولها : حديث ذى اليدين في السلام من اثنتين^(٤) .

الثاني : حديث ابن بجمينة^(٥) في القيام من اثنتين .

الثالث : حديث ابن مسعود رضى الله عنه : أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى

الظهر خمسا^(٦) .

(١) وأصحاب علم القلوب : الذين صفوا قلوبهم بالمجاهدة . والمقامات : المراتب التي يعرفها مشايخهم ويقطعونها في سيرهم إلى الله .

(٢) أحلناه : جعلناه محالاً فيما طريقه البلاغ . جملة : من غير استثناء .

(٣) فيه : في هذا الفصل .

(٤) أى ركعتين من الظهر، أو العصر . وحديث ذى اليدين في صحيح البخارى : ١ -

١٧٣ ، وصحيح مسلم : ٤٠٤

(٥) ابن بجمينة : هو عبد الله بن بجمينة ، وبجمينة أمه ، ووالده اسمه مالك . وحديثه في صحيح

البخارى : ١ - ٨١ ، وصحيح مسلم : ٣٩٩

(٦) رواه الشيخان عنه . وهو أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى الظهر خمسا فتبيل له :

أزيد في الصلاة ؟ فقال : وما ذاك ؟ قالوا : صليت خمسا ؛ فسجد بعد ما سلم . وليس قوله « بعد

ما سلم » في رواية البخارى .

وهذه الأحاديثُ مبنيةٌ على السهْوِ في الفعلِ الذي قرَّرناه ، وحكمةُ اللهِ فيه ليُستَنَّ به^(١) ؛ إذ البلاغُ بالفعلُ أجلى منه^(٢) بالقولِ ، وأرفعُ للاحتمالِ ؛ وشرطُهُ ألا يُقرَّ عَلَى السهْوِ ؛ بل يُشعرُ به ليرتفعَ الالتباسُ ، وتظهرَ فائدةُ الحكمةِ فيه كما قدمناه ؛ فإن النسيانَ والسهْوَ في الفعلِ في حقِّه^(٣) صلى اللهُ عليه وسلم غيرُ مُضادِّ المعجزةِ ، ولا قاذِحٍ في التصديقِ^(٤) ؛ وقد قال صلى اللهُ عليه وسلم : « إنا أنا بشرٌ أنسى كما تنسونَ ؛ فإذا نسيتُ فذكروني^(٥) » .

وقال صلى اللهُ عليه وسلم^(٦) : « رَحِمَ اللهُ فلانا^(٧) ، لقد أذَّكرَني كذا وكذا آيةً كنتُ أسقطهنَّ » - ويروى : أنسيتهنَّ .

= وأخرج مسلمٌ من حديثِ الأعمشِ ، ومنصورٍ ، عن علقمةٍ ، عن عبدِ اللهِ بنِ مسعودٍ ؛ قال إبراهيمُ : زاد أو نقص - الشكُّ مني ؛ فلما سلم قيل له : يا رسولَ اللهِ أحدث في الصلاةِ شيءٌ؟ قالوا : صليتُ كذا وكذا ؛ فثنى رجلٌ عليه ، واستقبل القبلةَ ، فسجدَ سجدتينِ ؛ ثم سلمَ ، وأقبل علينا بوجهه ، فقال : إنه لو حدث في الصلاةِ شيءٌ أنبأتكم به ، ولكن إنا أنا بشرٌ أنسى كما تنسونَ ؛ فإذا نسيتُ فذكروني ؛ وإذا شك أحدكم فليتحرر الصوابَ وليتمَّ ثم ليسجدَ سجدتينِ . قال الحفاجي : وفي الحديثِ دليلٌ على تداخلِ سجودِ السهو . وأما كونه بمدِّ السلامِ أو قبله فقد وقع فيه اختلافٌ بين الفقهاء كما اختلفت الروايةُ فيه وقيل سجودُ النقص قبل السلامِ ؛ وسجودُ الزيادة بعده .

وحدِّث ابنُ مسعودٍ في البخاري : ١ - ١٠٦ ، ٢ - ٨١ ، ٨٢ ، وصحيحُ مسلم : ٤٠٠ .

(١) ليستن به : ليتبين للأمة حكمه شرعا بسبب فعله صلى اللهُ عليه وسلم .

(٢) أجلى : أظهر .

(٣) في حقِّه : أي بالنسبةِ إليه صلى اللهُ عليه وسلم إذا صدرَ وتحقق منه ...

(٤) في التصديقِ : في تصديقِ من آمن به من أمته .

(٥) فذكروني : زهوني على سهوي أو نسياني . والحديثُ في صحيحِ البخاري : ١ - ١٠٥ .

(٦) في حديثِ رواه الشيخان عن عائشة رضي اللهُ عنها .. صحيحُ البخاري : ٦ - ٢٣٩ ،

وفيه : أنسيتهنَّ . وصحيحُ مسلم : ٥٤٣ .

(٧) فلانا : كناية عن علم ، وهذا الرجل هو عباد بن بشر الصحابي . وقيل : هو =

وقال صلى الله عليه وسلم^(١) : « إِنِّي لَأَنْسَى ، أَوْ أَنْسَى ، لَأَسُنَّ » .
قيل : هذا اللفظُ شكٌّ من الراوى . وقد روى : « إِنِّي لَا أَنْسَى ، وَلَكِنْ
أَنْسَى لَأَسُنَّ » . .

وزهب ابن نافع ، وعيسى بن دينار أنه ليس بشكٍّ ؛ فإنَّ معناه التَّسِيمُ ؛ أى
أَنْسَى أَنَا ، أَوْ يُنْسِيَنِ اللهُ^(٢) .

قال القاضى أبو الوليد الباجى : يَحْتَمَلُ مَا قَالَاهُ أَنْ يُرِيدَ أَنَّى أَنْسَى فِي الْيَقَظَةِ ،
وَأَنْسَى فِي النَّوْمِ ، أَوْ أَنْسَى عَلَى سَبِيلِ عَادَةِ الْبَشَرِ مِنَ الذَّهْوِ عَنِ الشَّيْءِ وَالسَّهْوِ ؛
وَأَنْسَى مَعَ إِقْبَالِي عَلَيْهِ وَتَفَرُّغِي لَهُ ؛ فَأَضَافَ أَحَدَ النَّسِيَانِينَ إِلَى نَفْسِهِ ؛ إِذْ كَانَ لَهُ
بَعْضُ السَّبَبِ فِيهِ ، وَنَفَى الْآخَرَ عَنِ نَفْسِهِ ؛ إِذْ هُوَ فِيهِ كَالْمُضْطَرِّ .

وزهبت طائفةٌ من أصحابِ المعانى^(٣) والكلامِ عَلَى الْحَدِيثِ إِلَى أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَسْهَوُ فِي الصَّلَاةِ وَلَا يَنْسَى ؛ لِأَنَّ النَّسِيَانَ ذُهُولٌ وَعَقْلَةٌ وَآفَةٌ^(٤) ؛
قَالَ^(٥) : وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُنْزَهُ^(٦) عَنْهَا ؛ وَالسَّهْوُ شُغْلٌ^(٧) ؛ فَكَانَ النَّبِيُّ

== عبد الله بن يزيد الأنصارى، قالت عائشة : سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم صوت قارىء
يقرا ، فقال : من هذا ؟ قالوا : عبد الله بن يزيد، فقال : رحمه الله لقد أذكرنى .. أسقطتهن :
تركت تلاوتهن سهوا منى .

(١) فى حديث رواه الموطأ : ١ - ١٠٠

(٢) قال الخفاجى : المراد أنه قد يكون بسبب تماطاه ، أو بدونه، لحكمة أرادها الله .

(٣) أصحاب المعانى : الذين تقيدوا ببيان معانى الحديث وشرحه .

(٤) آفة : مرض يصيب القوة المدركة بنقص فيها وفي صاحبها .

(٥) قال ؛ أى هذا البعض .

(٦) منزّه عنها ، لأنها نقص يخلقه الله تعالى ، والأنبياء منزّهون عنه .

(٧) والسهْوُ شُغْلٌ بأمر ينمعه عن ملاحظة ما هو فاعله ، وهو غير مذموم، بل قد يمدح

كاشتغال الصلى بتجليات ربه .

صلى الله عليه وسلم يسهو^(١) في صلاته، ويشغله عن حركات الصلاة ما في الصلاة ،
شغلا بها لا غفلة عنها .

واحتج^(٢) بقوله في الرواية الأخرى : إني لا أنسى .

وذهبت طائفة إلى منع هذا كله عنه^(٣) ، وقالوا : إن سهوه عليه السلام
كان عمداً وقصداً ليسن .

وهذا قول مرغوب عنه ، متناقض المقاصد ، لا يُحلى منه بطائل^(٤) ؛ لأنه كيف
يكون متممداً ساهياً في حال^(٥) . ولا حجة لهم في قولهم : إنه أمر بتعمد صورة
النسيان ليسن ؛ لقوله : إني لأنسى أو أنسى . وقد أثبت أحد الوصفين ، ونفى
مناقضة التعمد والقصد ، وقال : إنما أنا بشرٌ مثلكم أنسى كما تنسون ، [فإذا
نسيت فذكروني]^(٦) .

وقد مال إلى هذا عظيم من المحققين من أئمتنا^(٧) ، وهو أبو المظفر الإسفراييني ،
ولم يرتضه^(٨) غيره منهم ، ولا أرتضيه ، ولا حجة لها تين الطائفتين^(٩) في قوله :

(١) يسهو في صلاته ولا ينساها ويذهل عنها .

(٢) واحتج : أي من منع النسيان عليه صلى الله عليه وسلم .

(٣) أي السهو والنسيان .

(٤) متناقض القصد ، لأنه لو فعل في صلاته ما فعل عمداً بطلت وفسدت صلاته ؛ فكيف يسن

بما لا يجوز . لا يحلى منه بطائل : ليس فيه فائدة وكبير أمر حتى ترتكب أموره المتخالفة المتناقضة

له . يقال : ما حليت وما حلوت منه بطائل : ما ظفرت . الطائل : الفائدة .

(٥) أي في حال واحد وزمان واحد .

(٦) ما بين القوسين ساقط في ١ .

(٧) من أئمتنا : أي الأشعرية .

(٨) لم يرتضه غيره : لم يقل بهذا القول أحد غير أبي المظفر ؛ لأنه كيف يؤمر بتعمد ما يبطل

الصلاة من غير ضرورة .

(٩) الطائفتين : القائلتين بأنه صلى الله عليه وسلم يسهو ولا ينسى ؛ وبأن سهوه عمد وقصد .

إلى لا أنسى [٢١٠] ، ولكن أنسى ، إذ ليس فيه نفي حُكْمِ النسيان بالجملة^(١) ، وإنما فيه نفي لفظه وكراهة لقبه^(٢) ، كقوله^(٣) : بئس ما لأحدكم أن يقول : نسبتُ آيةَ كذا ، ولكنه نسي ، أو نفي الغفلة وقلة الاهتمام بأمر الصلاة عن قلبه ، لكن شغل بها عنها^(٤) ، ونسي بعضها ببعضها ، كما ترك الصلاة يوم الخندق حتى خرج وقتها ، وشغل بالتحريز من العدو عنها ؛ فشغل بطاعة عن طاعة^(٥) .
وقيل^(٦) : إن الذي ترك يوم الخندق أربع صلوات^(٧) : الظهر ، والعصر ، والمغرب ، والمساء ، وبه احتج من ذهب إلى جواز تأخير الصلاة في الخوف ،

(١) بالجملة : أى جميعه بالأبصار منه صلى الله عليه وسلم نسيان لصلاة .

(٢) لقبه : المراد اسمه ولفظه .

(٣) رواه البخارى فى صحيحه : ٦ - ٢٣٨ . ورواه مسلم (فى صحيحه :) ٥٤٤ :

نسى - مخففا مع ضم النون . وروى من طرق بتشديد السين وتخفيفها ؛ فعلى التثقيب أنه تعالى خلق فيه النسيان . وعلى التخفيف معناها أن ناسى القرآن نسيه الله ؛ أى تركه لا يلتفت له ؛ كقوله تعالى : « وكذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى » ؛ فأشار إلى أنه لا ينبغي أن ينسب فعلا لنفسه وينسبه لخالقه تأديبا وإن جار ؛ لأنه كسبه ؛ فالنم لهذا ؛ فهو عام فى كل فعل . أو هو لما فيه من عدم الاعتناء بالقرآن ؛ لأن نسيانه لتركه تعهد تلاوته ؛ فهو مخصوص بالقرآن . واختاره القرطبي (تفسير القرطبي : ١١ - ٢٥٩) .

(٤) بها عنها : بالصلاة وما فيها من التجليات عن بعض أعمالها وعدد ركعاتها .

(٥) بطاعة عن طاعة : شغل - بحفظ المدينة وأرواح المؤمنين من بقة العدو - عن أداء

الصلاة فى الوقت ؛ قال الحفاجى : وتلك أهم باعتبار حقوق العباد ؛ إذ لو فاتت لم يمكن تداركها ؛ بخلاف هذه .

وهذه واقعة حال قدم فيها الأهم ، ولم يكن ناسيا ؛ وإنما بدأ بدرء المفسدة الذى هو أهم

من جلب المصلحة ؛ وكان هذا عذرا فى تأخير الصلاة قبل مشروعية صلاة الخوف .

(٦) القائل هو ابن مسعود ، كما رواه الترمذى والنسائى .

(٧) قال فى نسيم الرياض : والصحيح ما فى الصحيحين من أنها صلاة العصر . وفى البوداء

أنه صلى الله عليه وسلم فاتته صلاتان : الظهر ، والعصر . وقال النووى : يجمع بين الروايات ، فالخندق كانت فى أيام ، وتعدد تركه للصلاة فيها .

إِذَا لَمْ يَتِمَّ كُنْ مِنْ أَدَائِهَا إِلَى وَقْتِ الْأَمْنِ ، وَهُوَ مَذْهَبُ الشَّامِيِّينَ ^(١)
 وَالصَّحِيحُ أَنَّ حُكْمَ صَلَاةِ الْخَوْفِ كَانَ بَعْدَ هَذَا ، فَهُوَ نَاسِخٌ لَهُ ^(٢) .
 فَإِنْ قُلْتَ : فَمَا تَقُولُ فِي نَوْمِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الصَّلَاةِ يَوْمَ الْوَادِي ^(٣) ،
 وَقَدْ قَالَ : إِنْ عَيْنِي تَنَامَانِ وَلَا يَنَامُ ^(٤) قَلْبِي .
 فَاعْلَمْ أَنَّ لِلْعُلَمَاءِ فِي ذَلِكَ أَجُوبَةً ، مِنْهَا : أَنَّ الْمُرَادَ بِأَنَّ هَذَا حُكْمُ قَلْبِهِ ^(٥) عِنْدَ
 نَوْمِهِ وَعَيْنِيهِ ^(٦) فِي غَالِبِ الْأَوْقَاتِ ، وَقَدْ يَنْدُرُ ^(٧) مِنْهُ غَيْرُ ذَلِكَ ^(٧) ، كَمَا يَنْدُرُ مِنْ
 غَيْرِهِ خِلَافُ عَادَتِهِ .

(١) أَى بَعْضِ عُلَمَاءِ الشَّامِ وَفَقَهَائِهَا الْمُجْتَهِدِينَ وَالْمُحَدِّثِينَ مِنْهُمْ الَّذِينَ يَرُونَ أَنَّ صَلَاةَ الْخَوْفِ
 كَانَتْ مَشْرُوعَةً قَبْلَ ذَلِكَ .

(٢) حُكْمَ صَلَاةِ الْخَوْفِ : فَرَضِيَّتَهَا . بَعْدَ هَذَا : بَعْدَ غَزْوَةِ الْخَنْدُقِ ، فَهُوَ نَاسِخٌ لَهُ : أَى
 لِحُجُوزِ بَأْخِرِ الصَّلَاةِ عِنْدَ الْخَوْفِ ؛ وَهُوَ مَذْهَبُ أَبِي حَنِيفَةَ .

(٣) الصَّلَاةُ : هِيَ صَلَاةُ الصُّبْحِ . وَالْوَادِي : مَكَّةُ . وَقِيلَ : بَطْنُ تَبُوكَ . وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَرَسَ فِيهِ ، وَوَكَلَ بِلَالًا أَنْ يَقُومَ عِنْدَهُ لِيُوقِظَهُ إِنْ طَلَعَ الْهَجْرُ ؛ فَأَسْنَدَ ظَهْرَهُ لِرَاحَتِهِ
 فَنَلِبَهُ الْيَوْمَ ، وَلَمْ يُوقِظْ رَسُولُ اللَّهِ حَتَّى طَامَتِ الشَّمْسُ

وَلَفِظَ الْبُخَارِيُّ (١ - ١٤٥) : عَنْ أَبِي قَتَادَةَ عَنْهُ ، قَالَ : سَرْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْلَةً ؛ فَقَالَ بَعْضُ الْقَوْمِ : لَوْ عَرَسْتَ بِنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ؛ فَقَالَ : أَخَافُ أَنْ تَامُوا عَنِ
 الصَّلَاةِ . فَقَالَ بِلَالٌ : أَنَا أَوْقِظُكُمْ ، فَاصْطَبِحُوا ؛ وَأَسْنَدَ بِلَالٌ ظَهْرَهُ لِرَاحَتِهِ ، فَنَلِبْتُهُ عَيْنَاهُ ، فَاسْتَيْقِظَ
 النَّبِيُّ وَقَدْ طَلَعَ حَاجِبُ الشَّمْسِ ؛ فَقَالَ : يَا بِلَالُ ، أَيْنَ مَأْقَاتُ ؟ قَالَ : مَا الْقَيْتُ عَلَى نَوْمَةٍ مِثْلَهَا قَطْ .
 فَقَالَ : إِنْ اللَّهُ قَبِضَ أَرْوَاحَكُمْ حِينَ شَاءَ ، وَرَدَّهَا حِينَ شَاءَ ؛ يَا بِلَالُ ، قُمْ فَأَذِّنِ النَّاسَ بِالصَّلَاةِ ،
 فَتَوَضَّأْ ، فَلَمَّا ارْتَمَعَتِ الشَّمْسُ وَابْيَضَّتْ قَامَ النَّبِيُّ فَصَلَّى . وَالْحَدِيثُ فِي الْوَطْأِ أَيْضًا : ١ - ١٤

(٤) هَذَا الْحَدِيثُ فِي الصَّحِيحَيْنِ بِطَوْلِهِ ، وَفِيهِ : إِنْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ : تَامَ
 يَا رَسُولَ اللَّهِ قَبْلَ أَنْ تَوْتِرَ ؟ فَقَالَ : تَامَ عَيْنِي وَلَا يَنَامُ قَلْبِي . وَالْحَدِيثُ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ : ٥٠٩ .
 (٥) هَذَا ، أَى تَيَقُّظَ قَلْبِهِ فِي نَوْمِهِ . حُكْمُ قَلْبِهِ : حَالُهُ وَصِفَتُهُ .

(٦) وَعَيْنِيهِ : أَى وَعِنْدَ نَوْمِ عَيْنِيهِ . قَالَ الْفَارِسِيُّ (٢ - ٢٧٦) : أَوْ الْمَعْنَى : هَذَا حُكْمُ
 قَلْبِهِ وَعَيْنِيهِ حُلْ اجْتِمَاعِهَا . (٧) يَنْدُرُ : يَقُلُ . وَالنَّدْرَةُ : الْقَلَّةُ الْفَرَطَةُ جِدًّا . غَيْرُ ذَلِكَ :
 بِأَنَّ تَنَامَ عَيْنَهُ وَقَلْبَهُ كَنَوْمِ سَائِرِ النَّاسِ .

وَيُصَحِّحُ هَذَا التَّأْوِيلَ (١) قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْحَدِيثِ نَفْسِهِ (٢) : إِنْ اللَّهُ قَبِضَ أَرْوَاحَنَا .

وقولُ بلالٍ فيه : ما أَلْقَيْتَ عَلَى نَوْمَةٍ مِثْلَهَا قَطَّ (٣) ، ولكنْ مِثْلُ هَذَا إِذَا مَا يَكُونُ مِنْهُ لِأَمْرٍ يَرِيدُهُ اللَّهُ مِنْ إِثْبَاتِ حُكْمٍ ، وَتَأْسِيسِ سُنَّةٍ (٤) ، وَإِظْهَارِ شَرِيحٍ ، كَمَا قَالَ فِي الْحَدِيثِ الْآخِرِ : لَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَيَقُظْنَا ، وَلَكِنْ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ لِمَنْ بَعْدَكُمْ .

الثَّانِي (٥) - أَنَّ قَلْبَهُ لَا يَسْتَفْرِقُهُ (٦) النَّوْمُ حَتَّى يَكُونَ مِنْهُ الْحَدَثُ فِيهِ (٧) ، لَمَّا رُوِيَ أَنَّهُ كَانَ مَحْرُوسًا (٨) ، وَأَنَّهُ كَانَ يَنَامُ حَتَّى يَبْذُخَ ، وَحَتَّى يُسْمَعَ غَطِيطُهُ (٩) ، ثُمَّ يُصَلِّي وَلَا يَتَوَضَّأُ (١٠) .

(١) هذا التأويل : أى جملة مقيدا بنائب أمره وما اعتاده .

(٢) فى الحديث : المراد حديث الوادى ، وهو فى اللوطا : ١ - ١٤ ، كما تقدم .

(٣) أى لم يبق نوما ثقيلًا مثل نومته هذه .

قال الحفاجى : فهذا كله يدل على أنه استغرق فى نومه على خلاف معتاده ، لأن قبض الروح يدل على عدم يقظة القلب . وما وقع لبلال أيضا مخالف لمعتاده . والحاصل أنه صلى الله عليه وسلم لنومه حالان ، والأغلب الأول .

(٤) أراد الله بعمد إيقاظنا أن تكون سنة لمن بعدكم من هذه الأمة يقتدون بها فيقضون مآلاتهم من الصلاة ؛ وهذه حكمة أن الله قوى النوم عليه صلى الله عليه وسلم ، ونام قلبه على خلاف عادته لتظهر هذه السنة .

(٥) الثانى من الأجوبة عن هذا السؤال .

(٦) لا يستغرقه النوم : لا يستولى عليه ولا يغطيه عن الإدراك بحيث يفتيب بالسكوية عن إحساسه . والاستغراق فى كل شىء : بلوغ نهايته .

(٧) أى يقع منه لشدة نومه حدث لا يشعر به من خروج شىء من أحد السبيلين ينقض وضوءه .

(٨) كان محروسا : محفوظا فى نومه من أن يصدر عنه مثله . وهذه الرواية

فى سنن الترمذى : ١ - ١١١ ، والحديث فى صحيح مسلم أيضا : ٥٢٧ ، ١٨٧٥ .

(٩) النطيط : ترديد النائم صوتا متواليا مع نفسه .

(١٠) قال الحفاجى : فهذا دليل على أنه - صلى الله عليه وسلم - محروس فى نومه عن الحدث الناقض للوضوء ، ولولا ذلك لزمه الوضوء فيه كغيره من الناس ؛ فقدم نوم قلبه عبارة عن عدم استغراقه فى نومه حتى لا يشعر بالحدث ؛ فليس يقظة حقيقية كما فى الجواب الأول .

وحدث ابن عباس^(١) للذكور فيه وضوءه عند قيامه من النوم ، فيه نومه مع أهله ؛ فلا يمكن الاحتجاج به على وضوئه بمجرد النوم ، إذ لعل ذلك لمأسته الأهل أو لحدث آخر ، فكيف وفي آخر الحديث نفسه : ثم نام حتى سمعت غطيطة ، ثم أقيمت الصلاة فصلى ولم يتوضأ .

وقيل : لا ينام قلبه من أجل أنه بوحي إليه في النوم^(٢) ، وليس في قصة الوادي إلا نوم عينيه عن رؤية الشمس . وليس هذا من فعل القلب ، وقد قال صلى الله عليه وسلم : إن الله قبض أرواحنا ولو شاء لردّها إلينا في حين غير هذا^(٣) .

فإن قيل : فلولا عادته من استغراق النوم^(٤) لما قال ليلاً : اكلاً لنا الصبح^(٥) .

فقيل في الجواب : إنه كان من شأنه - صلى الله عليه وسلم - التفليس بالصبح^(٦) ؛

(١) حديث ابن عباس مروى في الصحيحين .

(٢) فإنه وسائر الأنبياء رؤياهم وحي بلا شبهة ؛ فمعنى قوله : لا ينام قلبه أنه لا ينقطع عنه نبوءه الوحي وأمر النبوة . وهذا لا ينافي استغراقه في نومه وخروجه من هذا العالم .

(٣) قبض أرواحنا في منامها . ولو شاء لردّها إلينا بإيقاظنا من نومنا الذي كان قبل . في حين غير هذا : في وقت لم يوح إليه فيه شيء ، ولم ير رؤياه التي هي وحي .

قال الحفاجي : والروح تقبض في المنام والمات ، ولكنها ترد في الأول ، كما قال تعالى : « فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى » .

(٤) استغراق النوم : باستيلائه على حواسه وقلبه كثيره . اكلاً : من الكلاءة ، وهي المراقبة والحفظ . الصبح : أي وقت طلوعه لتوقفنا للصلاة فلا تفوتنا .

(٥) صحيح مسلم : ٤٧١

(٦) التفليس بالصبح : التذكير فيه ، فيصله بنفس ؛ وهو ظلمة تخالط أفول ضوء الفجر في

آخر الليل .

ومراعاة أول الفجر لا تصح^(١) ممن نامت عينه؛ إذ هو ظاهره يُدْرَك بالجوارح^(٢)؛
فوكّل بلاإمراة أوله^(٣) لِيُعَلِّمَهُ بذلك ، كما لو شغل بشغل غير النوم
عن مُراعاته .

فإن قيل : فما معنى نهيهِ صلى الله عليه وسلم عن القول^(٤) : نسيْتُ ، وقد قال
صلى الله عليه وسلم : إني أنسى كما تنسون ، فإذا نسيْتُ فذكروني . ولقد أذكرني
كذا وكذا آيةً كنتُ أنسيْتُها .

فاعلمْ - أكرمك الله - أنه لا تعارض في هذه الألفاظ ؛ أمّا نهيهِ عن أن
يُقال نسيْتُ آيةً كذا فحصول على ما نُسِخَ حفظُهُ من القرآن ، أى إن الغفلة في هذا
لم تكن منه ، ولكن الله تعالى اضطره إليها ليمحو ما يشاء ويثبت^(٥) ، وما كان
من سهوٍ أو غفلةٍ مِنْ [٢١١] قَبْلَهُ تذكُّرها صحَّح أن يُقال فيه : أنسى .

وقد قيل : إن هذا مِنْهُ صلى الله عليه وسلم على طريق الاستحباب أن
يُضَيَّفَ الفِعْلَ إلى خالقه ، والآخِر^(٦) عَلَى طريق الجواز لا كِتَابِ العَبْدِ فيه ،

(١) لا تصح : لا تيسر .

(٢) بالجوارح الظاهرة : أى لادخل للقلب والحواس الباطنة فيه .

(٣) بمراعاة أوله : بمراقبته والنظر إليه . ليعلمه بذلك : بطولوع الفجر .

(٤) في حديث : لا يقولن أحدكم نسيْتُ آيةً كذا . . . وقد تقدم هذا الحديث وتخرجه .

(٥) قال الخفاجي : وعلى هذا معنى لا يقل أحدكم نسيْتُ : تقديره إني نسيْتُ ؛ أى إذا سمعتموني
تركت في القرآن شيئاً فلا تقولوا : النبي نسي آيةً كذا ؛ أى إن الغفلة في هذا لم تكن منه صلى
الله عليه وسلم ، ولم يقع ذلك اختياراً ، ولكن الله اضطره وألجأه إلى الغفلة ، ليمحو ما يشاء ،
وينسخ ما يريد نسخه فينسيه له ، ويثبت ما لم يرد نسخه ، فلا ينساه . فعلى هذا هو مخصوص
بالرسول صلى الله عليه وسلم ويبيض آيات نسخها الله تعالى بإذائها لا بكل ما نسيه .

(٦) هذا : نهيهِ عن أن يقول : نسيْتُ . على طريقة الاستحباب : أى التعليم والإرشاد . والنهي
ليس نهي تحريم ؛ بل للكرهية . والآخِر : والحديث الآخِر الذي أضيف فيه النسيان للعبد ،
وقوله : نسيْتُ كذا . . .

وَإِسْقَاطَهُ - صلى الله عليه وسلم - لما أسقط من هذه الآيات^(١) جائزٌ عليه بعد بلاغ ما أمرَ ببلاغه ، وتوصيله إلى عباده ، ثم يستدكرُها من أمته ، أو من قبل نفسه ، إلا ما قضى الله نَسَخَهُ وَنَحَوَهُ من القلوب وترك استدكاره^(٢) .

وقد يجوز أن ينسى النبي صلى الله عليه وسلم ما هذا سبيله ككرة^(٣) ؛ ويجوز أن ينسيه منه^(٤) قبل البلاغ ما لا يغيرُ نظاماً ، ولا يختلطُ حكماً ، مما لا يدخلُ خلافاً في الخبر ، ثم يذكُرُه إياه ، ويستحيل دَوامُ نسيانه له ؛ لحفظِ الله كتابه ، وتسكيفه بلاغه .

فصل

في الردِّ على مَنْ أجاز عليهم^(٥) الصفائر، والكلام على ما احتجوا به في ذلك اعلمَ أن المجوزين للصفائر على الأنبياء من الفقهاء والمحدثين ومن شايعهم على ذلك من المتكلمين احتجوا على ذلك بظواهر كثيرة من القرآن والحديث إن التزموا ظواهرها أفضت بهم^(٦) إلى تجويز الكبائر وخرق الإجماع^(٧) ، وهو ما لا يقول به مسلمٌ ، فكيف وكلُّ ما احتجوا به مما اختلف المفسرون في معناه ،

(١) من هذه الآيات : التي قال فيها : أنسيت آية كذا وكذا .

(٢) فينسيه الله له ولا ينبه عليه فيعلم بذلك أنه نسخ لفظه وتلاوته .

(٣) ما هذا سبيله : من القرآن مما يراد نسخه . ككرة : حيناً .

(٤) منه : من القرآن .

(٥) عليهم : على الأنبياء .

(٦) إن التزموا ظواهرها : إن قالوا : يلزم اعتقاد الظاهر منها . وقال القارى : إن التزموا

ظواهرها : من غير أن يؤولوا أكثرها ، واتخذوها مذهبا وطريقة . أفضت بهم : أوصلتهم .

(٧) خرق الإجماع : مخالفة ما أجمع الناس عليه .

وتقابلت الاحتمالاتُ في مُقتضاه^(١)، وجاءت أقاويلُ فيها للسلف بخلاف ما التزموه من ذلك، فإذا لم يكن مذهبهم إجماعاً، وكان الخلافُ فيما احتجوا به قديماً، وقامت الدلالةُ على خطأ قولهم، وصحة غيره، وجب تركه، والمصيرُ إلى ما صحَّ.

وها نحن نأخذُ في النظرِ فيها إن شاء اللهُ :

فمن ذلك قوله تعالى لِنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ^(٢) : ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ .

وقوله^(٣) : ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ .

وقوله^(٤) : ﴿وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ﴾ .

وقوله^(٥) : ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ﴾ .

وقوله^(٦) : ﴿لَوْلَا كِتَابٌ مِنْ اللَّهِ سَبَقَ آتَاكُمْ فَمَا أَخَذْتُمُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ .

وقوله^(٧) : ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى . . .﴾ الآية .

(١) تقابلت الاحتمالات: بخالفت وتعارضت الوجوه المحتملة. في مقتضاه: في مقتضى ما احتجوا

به من تجويز ما خرج به عن صلاحية الاحتجاج .

(٢) سورة الفتح، آية ٢ . ووجه تمسك من جوز عليهم الصفات بهذه الآية نسبة ذنب إليه

(٣) سورة محمد، آية ١٩

مغفور لم يسمه، فالظاهر أنه صغيرة .

(٤) سورة الشرح، آية ٣ . الوضع : الحط، وهو بالمفوء . والوتر : الحمل والثقل . والمراد

الذنب . أنقض : أثقل .

(٥) سورة التوبة آية ٤٣ . المعنى لأي شيء أذنت لهم في القعود حين استأذنوك واعتلوا بأكاذيب،

وهلا توقفت، وذلك في غزوة تبوك سنة تسع، وقد استأذنه من تخاف عنه، فأذن لهم ليمد الشقة

وشدة الزمان، فأذن لقوم منافقين اعتذروا له بأعذار سمجة؛ وهو خلاف الأولى لا ذنب

حقيقي . (٦) سورة الأنفال، آية ٦٨، وقد نزلت في غزوة بدر وأسراها .

(٧) سورة عبس، آية ١ . عبس : قطب وجهه . تولى : أعرض . والأعمى هو عبد الله

ابن أم مكتوم، شهد القادسية، ومعه اللواء فقتل، وقد هاجر إلى المدينة، وكان مؤذنه عليه

الصلاة والسلام، واستخلفه على المدينة ثلاث عشرة مرة . وقيل : مات بالمدينة .

وما قصّ من قصص غيره من الأنبياء ؛ كقوله ^(١) : ﴿ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ﴾ .
 وقوله ^(٢) : ﴿ فَلَا آتَاهُمَا صَالِحًا جَمَلًا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا ، فَتَعَالَى اللَّهُ
 عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ .

وقوله ^(٣) : ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ
 الْخَاسِرِينَ ﴾ .

وقوله - عن يونس ^(٤) : ﴿ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ .
 وما ذكر من قصته وقصة داود ؛ وقوله ^(٥) : ﴿ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ
 رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ . فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِن لَّهُ عِندَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ ﴾ .
 وقوله ^(٦) : ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا ﴾ ؛ وما قصّ من قصته مع إخوته .
 وقوله - عن موسى ^(٧) : ﴿ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ ، قَالَ : هَذَا مِنْ
 عَمَلِ الشَّيْطَانِ ﴾ .

وقول النبي - صلى الله عليه وسلم في دعائه ^(٨) : اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا
 أَخَّرْتُ ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ . ونحوه من أذعيته صلى الله عليه وسلم .
 وذكر الأنبياء في الموقف ذُنُوبَهُمْ في حديث الشفاعة ^(٩) .
 وقوله ^(١٠) : إِنَّهُ لِيَمَانٌ عَلَى قَلْبِي فَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ .

- | | |
|---------------------------|----------------------------|
| (١) سورة طه ، آية ١٢١ | (٢) سورة الأعراف ، آية ١٩٠ |
| (٣) سورة الأعراف ، آية ٢٣ | (٤) سورة الأنبياء ، آية ٨٧ |
| (٥) سورة ص ، آية ٢٤ ، ٢٥ | (٦) سورة يوسف ، آية ٢٤ |
| (٧) سورة القصص ، آية ١٥ | |

- (٨) رواه الشيخان : صحيح مسلم : ٥٣٣ ، وهو سنن الترمذى : ٥ - ٤٨٢
 (٩) في الموقف : يوم القيامة . وحديث الشفاعة رواه مسلم عن أبي هريرة . وقد تقدم .
 (١٠) قوله : القائل هو النبي محمد صلى الله عليه وسلم . وقد تقدم أيضا .

وفي حديث أبي هريرة : إني لأستغفرُ اللهَ وأتوبُ إليه في اليوم أكثر من سبعين مرةً .

وقوله تعالى - عن نوح^(١) : ﴿ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ .
وقد كان [٢١٢] قال الله له^(٢) : ﴿ وَلَا تَحْطَبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ ﴾ .
وقال - عن إبراهيم^(٣) : ﴿ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خِطِيئِي يَوْمَ الدِّينِ ﴾ .
وقوله - عن موسى^(٤) : ﴿ تُبَّتْ إِلَيْكَ ﴾ .
وقوله^(٥) : ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ ﴾ . . . إلى ما أشبه هذه الظواهر^(٦) .

قال القاضي رحمه الله^(٧) : فأما احتجاجهم بقوله : ﴿ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ : فهذا قد اختلف فيه المفسرون ؛ فقيل : المراد ما كان قبل النبوة وبعدها^(٨) .

وقيل : المراد ما وقع لك من ذنب وما لم يقع - أعلمه أنه مغفور له^(٩) .
وقيل : المتقدم ما كان قبل النبوة ، والمتأخر عَصَمْتُكَ بَعْدَهَا ، حكاية أحمد بن نصر .

(١) سورة هود ، آية ٤٧ . فطلبه المنفرة يقتضى سبق ذنب منه .

(٢) سورة هود ، آية ٣٧

(٣) سورة الشعراء ، آية ٨٢ . يوم الدين : يوم الجزاء ، وخطيبته قوله : فعله كبيرهم .

(٤) سورة الأعراف ، آية ١٤٣

(٥) سورة ص ، آية ٣٤

(٦) أى ما ذكرته من الأمور التي يدل ظاهرها على ما قالوه - له أشباه ونظائر كثيرة تركت .

(٧) هو المؤلف .

(٨) المراد أنه لم يصدر منه ذنب قبل النبوة ؛ لأنه لا تكليف قبل النبوة أصلاً ، والعقل

لا يستقل بذلك . وقوله : ما بعدها ذكر للتعميم ، كقولك : أعط من تراه ومن لم تره .

(٩) أنه مغفور له : غير مؤاخذ به لو وقع منه ، لكنه لم يقع منه ذنب لغيره .

وقيل ^(١) : المراد بذلك أمته .

وقيل : المراد ما كان عن سهوٍ وغفلةٍ ، وتأويل ^(٢) ؛ حكاة الطبرى ، واختاره القشيري .

وقيل : ما تقدم لأبيك آدم ، وما تأخر من ذنوب أمتك ؛ حكاة السمرقندی والسلمي عن ابن عطاء .

و**بمثله** والذي قبله **يُتَأَوَّلُ** قوله ^(٣) : ﴿ **وَاسْتَغْفِرْ لَذَنبِكَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ** ﴾ ؛ قال مكّي : مخاطبة النبي صلى الله عليه وسلم ها هنا هي مخاطبة لأُمَّته .

وقيل : إن النبي صلى الله عليه وسلم لما أمر أن يقول ^(٤) : ﴿ **وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ** ﴾ - **سُرَّ** بذلك الكفار ^(٥) ؛ فأنزل الله تعالى : ﴿ **لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ** . . . ﴾ ^(٦) الآية ؛ وبمآل المؤمنين في الآية الأخرى بعدها ^(٧) ؛ قاله ابن عباس ؛ فقصد الآية : إنك مغفور لك غير مؤاخَذٍ بذنب إن لو كان ^(٨) . قال بعضهم : المغفرة ها هنا تبرئة من العيوب ^(٩) .

(١) فالمراد بمخطابه خطاب أمته .

(٢) وتأويل : أى والمراد بما تأخر ما كان صادرا عن تأويل ؛ أى بيان لمعنى يحتمله النص ، فيحمل عليه باجتهاد منه ، ثم يتبين له أن الصواب أو الأولى غيره .

(٣) سورة محمد ، آية ١٩ (٤) سورة الأحقاف ، آية ٩

(٥) فرح الكفار بذلك ، وقالوا : واللوات والمزى ما أمرنا وأمر محمد عند الله إلا واحد ،

وماله علينا مزية ، ولولا أنه ابتدع ما يقول من ذات نفسه لأخبره الذى بعثه بما يفعل .

(٦) قال الخفاجي : أنزل الله تعالى ردا عليهم : ليغفر لك الله فقال الصحابة رضى

الله عنهم : هنيئا لك يا رسول الله ؛ قد علمنا ما يفعل الله بك ، فما يفعل بنا ؟

(٧) الآية التى بعدها هى قوله تعالى : ليدخل المؤمنون والمؤمنات جنات وهى

الآية الخامسة من السورة نفسها . (٨) كان : وجد ؛ حقيقة أو حكما .

(٩) أى المراد منها تنزيه الله له ، وتبعيده عن الذنوب ، أو ما يؤدى إليها ؛ فالمغفرة كناية

عما ذكر .

وأما قوله : ﴿ وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ ﴾ ؛ فقيل : ما سلف من ذَنْبِكَ قبل النبوة ؛ وهو قولُ ابنِ زَيْدٍ^(١) ، والحسن ، ومعنى قول قتادة .
وقيل : معناه أنه حُفِظَ قَبْلَ نُبُوَّتِهِ مِنْهَا ، وَعُصِمَ^(٢) ؛ ولولا ذلك لَأَثَقْتَ ظَهْرَهُ^(٣) ؛ حكى معناه السمرقندي .

وقيل : المرادُ بذلك ما أثقلَ ظَهْرَهُ مِنْ أَعْبَاءِ الرِّسَالَةِ حَتَّى بَأَغَمَهَا ؛ حكاها الماوردي ، والشَّيْخُ .

وقيل : حَطَطْنَا عَنْكَ ثِقَلَ أَيَّامِ الجَاهِلِيَّةِ^(٤) ؛ حكاها مكي .
وقيل : ثَقَلَ شَغْلِ سِرِّكَ وَحَيْرَتِكَ وَطَلَبِ شَرِيْعَتِكَ حَتَّى شَرَعْنَا ذَلِكَ لَكَ^(٥) ،
حكى معناه القشيري .

وقيل المعنى : خَفَفْنَا عَلَيْكَ مَا حَمَلْتَ بِحِفْظِنَا لِمَا اسْتَحْفِظْتَ ، وَحُفِظَ عَلَيْكَ^(٦) .
ومعنى أَنْقَضَ ظَهْرَكَ ؛ أَي كَادَ يَنْقُضُهُ^(٧) ؛ فيكون المعنى^(٨) عَلَى مَنْ جَعَلَ ذَلِكَ

(١) ابن زيد: هو عبد الرحمن بن زيد بن أسلم المفسر الزاهد المتقي المتقن . توفي سنة ١٨٢هـ .

(٢) قال الخفاجي : عصم : حفظه الله تعالى عن الاتصاف به ابتداء ؛ وهو وجه حسن يتحمله اللفظ بلا تكلف .

(٣) أى لولا أنا حفظناك عنها أثقلت ظهرك وهدت قواك .

(٤) أيام الجاهلية كانت خالية من الدين والأمن ، أيام هرج ومرج ؛ فلما بعث الله صلى الله عليه وسلم بالدين القويم سلم هو ومن تبعه ، وشرح الله صدورهم بالإسلام ، وصفاهم من الآثام ؛ تخفت ظهورهم وسددت أمورهم .

(٥) سرك : قلبك . وحيرتك : تحريك في ابتداء أمرك . وطلب شريعتك : أى طلبك من الله شريعة تعمل بها . شرعنا ذلك له : بما أوحيناها فاطمأن قلبه وذهبت حيرته .

(٦) ما حملت : ما كلفت حمل أثقاله من دعوة الخلق ، وتبليغ أمانة الرسالة التي لم تطلق حملها . بحفظنا لما استحففت : أى نحن حفظنا ما أمرناك بحفظه .

(٧) ينقصه : يمييه ويثقله .

(٨) فيكون المعنى : المراد معنى : ووضعنا عنك وزرك .

لما قبل النبوة - اهتمام النبي صلى الله عليه وسلم بأُمُورِ فَعَلَمَهَا قَبْلَ نُبُوَّتِهِ، وَحُرِّمَتْ عَلَيْهِ بَعْدَ النُّبُوَّةِ؛ فَعَمَدًا أَوْزَارًا^(١)، وَتَمَلَّتْ عَلَيْهِ، وَأَشْفَقَ^(٢) مِنْهَا.

أَوْ يَكُونُ الْوَضْعُ عِصْمَةً لِلَّهِ لَهُ وَكِفَايَتَهُ مِنْ ذُنُوبٍ لَوْ كَانَتْ^(٣) لِأَنْ تَقَضَّتْ ظَهْرَهُ.

أَوْ يَكُونُ مِنْ ثِقَلِ الرِّسَالَةِ^(٤)؛ أَوْ مَا أَثْقَلَ عَلَيْهِ وَسُغِلَ قَلْبَهُ مِنْ أُمُورِ الْجَاهِلِيَّةِ، وَإِعْلَامِ اللَّهِ تَعَالَى لَهُ بِمَحْفَظِ مَا اسْتَحْفَظَهُ مِنْ وَحْيِهِ.

وَأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ، لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ﴾ - فَأَمْرٌ لَمْ يَتَقَدَّمَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى نَهْيٌ فِيمَدَّ^(٥) مَعْصِيَةً، وَلَا عَدَّةَ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِ مَعْصِيَةً؛ بَلْ لَمْ يَعِدَّهُ أَهْلُ الْعِلْمِ مَعْأَتِيَةً^(٦). وَغَلَطُوا مَنْ ذَهَبَ إِلَى ذَلِكَ؛ قَالَ نَفْطَوِيهِ [٢١٣]: وَقَدْ حَاشَاهُ^(٧) اللَّهُ تَعَالَى مِنْ ذَلِكَ؛ بَلْ كَانَ مَخْبِرًا فِي أَمْرَيْنِ^(٨)؛ قَالُوا^(٩): وَقَدْ كَانَ لَهُ

(١) قَبْلَ نُبُوَّتِهِ، وَتَزُولُ وَحْيٌ فِيهَا؛ أَيْ اعْتِنَاؤُهُ بَيَانِ اللَّهِ لِحُكْمِهَا حَتَّى لَا يَكُونَ عِنْدَهُ هَمٌّ وَغَمٌّ؛ زُوْلِكُنْهَا حُرِّمَتْ عَلَيْهِ بَعْدَ النُّبُوَّةِ، وَلَمْ يَكُنْ مَكْلَفًا بِهَا قَبْلَهَا، فَعَمَدًا أَوْزَارًا بَعْدَ مَا حُرِّمَتْ عَلَيْهِ، وَخَشَى الْوَأْخِذَةَ بِهَا قَبْلَ ذَلِكَ.

(٢) أَشْفَقَ مِنْهَا: خَافَ مِنَ الْوَأْخِذَةِ بِهَا لِشِدَّةِ مَرَاتِبَتِهِ لِلَّهِ وَخَشْيَتِهِ لَهُ؛ فَعَمَى وَضَمَّهَا عَلَى هَذَا بَيَانِ أَنَّهُ غَيْرُ مَوَأْخِذٍ بِهَا، وَأَنَّهَا لَمْ تَسْكُنْ وَزَرَ عَلَيْهِ بِخَافِهِ.

(٣) لَوْ كَانَتْ: لَوْ وَجَدَتْ وَصَدَرَتْ عَنْهُ.

قَالَ الْخَفَاجِيُّ: فَهُوَ أَمْرٌ عَلَى سَبِيلِ الْفَرْضِ وَالتَّقْدِيرِ لَا التَّحْقِيقِ وَالتَّنْقِيرِ.

(٤) مِنْ ثِقَلِ الرِّسَالَةِ عَلَيْهِ وَمَا فِي تَبْلِيغِهَا مِنَ الْمَشَقَّةِ.

(٥) يَمُدُّ: يَجْمَلُهُ وَيَمْتَدِّدُهُ.

(٦) مَعْأَتِيَةً: بِفِعْلِ خِلَافِ الْأَوَّلَى مِمَّا لَيْسَ مَعْصِيَةً.

(٧) حَاشَاهُ اللَّهُ: بَرَّاهُ وَتَزَهَّه. وَنَفْطَوِيهِ هُوَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَرَفَةَ الْأَزْدِيُّ، إِمَامٌ فِي

النُّحُوِّ، تَوَفَّى سَنَةَ ٣٢٣ هـ.

(٨) فِي أَمْرَيْنِ: هُمَا أَنَّهُ إِنْ شَاءَ أَذِنَ لَهُمْ فِي التَّخْلُفِ. وَإِنْ شَاءَ لَمْ يَأْذِنْ قَطُّ.

(٩) قَالُوا: قَالَ الْعُلَمَاءُ.

أَنْ يَفْعَلَ مَا شَاءَ فِيهَا لَمْ يُنَزَّلْ عَلَيْهِ فِيهِ وَحْيٌ، فَكَيْفَ وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَأَذِّنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ﴾ (١). فَلَمَّا أَذِنَ لَهُمْ أَعْلَمَهُ اللَّهُ بِمَا لَمْ يَطَّلِعْ عَلَيْهِ مِنْ سِرِّهِمْ أَنَّهُ لَوْ لَمْ يَأْذِنْ لَهُمْ لَقَعَدُوا (٢). وَأَنَّهُ لَا حَرَجَ عَلَيْهِ فِيهَا فَعَلَّ، وَبِئْسَ «عَفَا» هُنَا بِمَعْنَى غَفَرَ؛ بَلْ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٣): عَفَا اللَّهُ لَكُمْ عَنْ صَدَقَةِ الْخَيْلِ وَالرَّقِيقِ. وَلَمْ تَجِبْ عَلَيْهِمْ قَطُّ؛ أَي لَمْ يُبْلِزْكُمْ ذَلِكَ.

وَنَحْوُهُ لِلْقَشِيرِيِّ؛ قَالَ: وَإِنَّمَا يَقُولُ الْعَفْوُ: لَا يَكُونُ إِلَّا عَن ذَنْبٍ - مَنْ لَمْ يَعْرِفْ كَلَامَ الْعَرَبِ؛ قَالَ: وَمَعْنَى عَفَا اللَّهُ عَنْكَ - أَي لَمْ يُبْلِزْكَ ذَنْبًا.

قَالَ الدَّوْدِيُّ: رَوَى أَنَّهَا تَكْرِمَةٌ (٤).

وَقَالَ مَكِّي: هُوَ اسْتِفْتَاخُ كَلَامٍ (٥)؛ مِثْلُ أَصْلَحَكَ اللَّهُ وَأَعَزَّكَ.

وَحِكْيُ السَّمْرِ قِنْدِي (٦) أَنْ مَعْنَاهُ عَافَاكَ اللَّهُ.

وَأَمَّا قَوْلُهُ فِي أُسَارَى بَدْرٍ: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَمْرٌ حَتَّى يُشْخِنَ

(١) قَالَ الْخَفَاجِيُّ: وَهَذَا الْأَمْرُ وَتَمَلُّقُهُ بِالْمَشِيئَةِ صَرِيحٌ فِي أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُخْبِرٌ.

وَالآيَةُ مِنْ سُورَةِ النُّورِ: ٦٢

(٢) بِمَا لَمْ يَطَّلِعْ عَلَيْهِ مِنْ سِرِّهِمْ: أَي بِمَا خَفِيَ عَلَيْهِ مِنْ أَمْرِهِمْ؛ أَوْ بِمَا أُسْرُوهُ وَاسْتَرَوْهُ مِنْ ضَمَائِرِهِمْ، وَهُوَ أَنَّهُ لَوْ لَمْ يَأْذِنْ لَهُمْ فِي الْقَمُودِ وَالتَّخْلُفِ عَنْهُ لَقَعَدُوا، وَلَوْ أَمَرُوا بِخِلَافِهِ.

(٣) فِي حَدِيثٍ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ، وَالتِّرْمِذِيُّ، وَالنَّسَائِيُّ، وَصَحِيحٌ مُسَلَّمٌ: ٦٧٦

(٤) إِنَّهَا: أَي قَوْلُهُ تَعَالَى: عَفَا اللَّهُ عَنْكَ. كَانَتْ تَكْرِمَةً مِنَ اللَّهِ فِي خُطَابِ نَبِيِّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ

وَالسَّلَامُ وَتَعْظِيمًا وَتَكْرِيمًا يَبْدَأُ بِهِ الْكَلَامَ.

(٥) اسْتِفْتَاخُ كَلَامٍ: يُوَقَعُ فِي أَوَّلِ خُطَابِهِمْ؛ أَي هِيَ جُمْلَةٌ دَعَائِيَّةٌ يَبْدِءُونَ بِهَا السَّلَامَ

إِكْرَامًا لِمَنْ يُخَاطَبُونَهُ؛ وَهُوَ عَادَةٌ أَهْلِ التَّرْسُلِ فِي مَكَاتِبَاتِهِمْ.

قَالَ الْخَفَاجِيُّ: وَهُوَ قَرِيبٌ مِمَّا قَبْلَهُ، بَلْ مِثْلُهَا وَاحِدٌ، وَهُوَ مَلَاظِفَةٌ فِي الْمَحَاوِرَةِ تَدْعُو

لِاسْتِعَاةِ حَقِّ كَانَهُ بِاسْتِعَاةِ مُسْتَحَقِّ الدَّعَاءِ لَهُ. وَالْقُرْآنُ جَاءَ عَلَى أُسَالِيْبِ الْعَرَبِ، فَهِيَ جُمْلَةٌ

دَعَائِيَّةٌ قَصْدُهَا إِكْرَامُ الْمُخَاطَبِ.

(٦) قَالَ الْخَفَاجِيُّ: قِيلَ إِنَّهُ آخِرُ هَذَا الرَّأْيِ لُضْمِنُهُ.

في الأرض تُريدون عَرَضَ الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم . لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم ﴿ . فليس فيه إلزامٌ ذَنْبِ للنبيِّ اللهُ عليه وسلم ؛ هل فيه بيانٌ ما خُصَّ به وفضِّلَ مِنْ بين سائر الأنبياء ؛ فكأنه قال : ما كان هذا النبيِّ غَيْرِكُ^(١) ؛ كما قال صلى اللهُ عليه وسلم^(٢) : أَحَلَّتْ لِي الْفَنَائِمُ ، وَلَمْ تَحِلِّ لِنَبِيِّ قَبْلِي^(٣) .

فإن قيل : فما معنى قوله تعالى^(٤) : ﴿ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدنيا ، والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم ﴾ .

قيل : اللَّعْنَةُ بِالْخُطَابِ لِمَنْ أَرَادَ^(٥) ذَلِكَ مِنْهُمْ ، وَتَجَرَّدَ غَرَضُهُ لِعَرَضِ الدنيا وَحْدَهُ ، وَالِاسْتِكْتَارِ مِنْهَا ؛ وليس المراد بهذا^(٦) النبيِّ صلى اللهُ عليه وسلم ، وَلَا عَلَيْهِ

(١) أي لم يقع هذا الذي خصصت به من أخذك الفدية ممن أسرته - لني من الأنبياء السابقين غيرك ؛ فإن الله أحل ذلك لك وخيرك فيه بين الفداء والقتل .

(٢) صحيح مسلم : ١٣٦٧ ، وسنن الترمذى : ٥ - ٢٧٢

(٣) قال في نسيم الرياض : وفي المسائل الأربعين للرازي : العتاب وقع هنا على تركه الأولى ، لأن الأفضل في ذلك الوقت الإنحان وترك الفداء ؛ قطعاً للأطماع ؛ ولولا أنه من باب الأولى ما فوضه صلى اللهُ عليه وسلم لأصحابه .

وقال العراقي : الصواب أنه فوض له الاجتهاد في أمر الأسارى ؛ ففوضه لأصحابه ؛ فأفق عمر بالقتل ؛ وكان هو المصلحة ، وهو من إحدى موافقانه ؛ واجتهد الصحابة بما لم يؤد إلى المصلحة ، فخلص عمر ولم يؤخذ النبي صلى اللهُ عليه وسلم لبذل جهده في اجتهاده ، فله أجر . ولذا قال : عرض على عذاب قومك - دون عذابي ، لخروجه من موجب العقاب يبذل جهده . قال الخفاجي : وإلى هذا ذهب فحول العلم ، وجمع بين ظاهر الآية وما يجب لمقامه صلى اللهُ عليه وسلم من العصمة . قال الخفاجي : وهو حسن جدا .

(٤) سورة الأنفال ، آية ٦٧ . والسؤال وارد على ما اختاره من أنه أمر اختص به صلى اللهُ عليه وسلم ، بأنه لو كان كذلك ما عوتب عليه بما ذكر ، من أنهم رجحوا أخذ الفداء ، وهو مال غاد ورائح ، وعرض فان ، لا يبنينى النظر إليه .

(٥) للمعنى : المقصود بالخطاب في قوله : « تريدون » . أراد ذلك : أراد عرض الدنيا .

(٦) بهذا : بالخطاب .

أصحابه ؛ بل قد روي عن الضحَّاك أنها نزلت حين انهزم المشركون يومَ بدرٍ^(١) ،
 واشغفل الناسُ بالسَّلبِ وجمع الغنائمِ عن القتالِ ، حتى خشيَ عمرُ أنْ يعطِفَ عليهم
 العدوُّ^(٢) .

ثم قال تعالى^(٣) : ﴿ لولا كتابٌ منَ اللهِ سبقَ لِمَسِّكُمْ بما أخذتم عذابٌ
 عظيمٌ ﴾ ؛ فاختلف المفسِّرون في معنى الآية ؛ فقيل : معناها لولا أنه سبق مني أنْ
 لا أعذبَ أحداً إلا بعد النهيِ لعذبتُكم .
 فهذا يَنبئني أن يكونَ أمرُ الأَسرىِ معصيةً^(٤) .

وقيل : المعنى لولا إيمانكم بالقرآنِ ، وهو الكتابُ السابقُ^(٥) فاستوجبتُم به
 الصَّحاحَ - لمؤقتيتم على الغنائمِ .

ويزادُ هذا القولُ تفسيراً وبيانا بأنْ يُقالَ : لولا ما كنتم مؤمنين بالقرآنِ ،
 وكنتم بمن أحلت لهم الغنائمُ لمؤقتيتم ، كما عوقبَ من تعدَّى^(٦) .

(١) أي أنها نزلت في أمر آخر غير الفداء ؛ فلا يرد السؤال أصلاً .

(٢) يعطف عليهم العدو : يرجع كارا عليهم .

(٣) سورة الأنفال ، آية ٦٨ ، وهذه الآية في القصة نفسها .

والمراد بالكتاب حكم الله الذي كتبه وقدره . والمعنى : لولا أنه سبق من الله مما أوحاه
 لنبيه صلى الله عليه وسلم أني لا أعذب أحداً إلا بعد النهي وتجرىم أخذ الفداء لعذبتكم على
 ما فعلتم من أخذ الفداء ؛ لأنه لو كان منها عنه محرماً - استحق بمخالفته العذاب . وقيل : المراد
 بالكتاب : القرآن ، وسيأتي في التفسير الثاني .

(٤) لأنه لم ينه الله عنه ولم يحرمه .

(٥) السابق في قوله تعالى : « لولا كتاب من الله سبق » .

(٦) والكتاب على هذا بمعنى القرآن ، وسبقه لقدمه في الأزل ، أو حكم الله الذي كتبه

وقدره .

قال الخفاجي : وحاصله أنه لولا أن الله أنزل القرآن وما فيه من الأحكام وأحل لكم فيه الغنائم
 لمسكم العذاب وحل بكم العقاب ، كما عوقب من قبلكم من الأمم لما تجاوزوا الحدود وتعدوا
 ما نهاهم الله عنه .

وقيل : لولا أنه سبق في اللوح المحفوظ أنها حلالٌ لكم لوقَّيتم .
فهذا كله يَنبئُ الذَّنْبَ والمعصية ؛ لأنَّ مَنْ فَعَلَ ما أُحِلَّ له لم يَعْصِ ؛ قال اللهُ تعالى (١) : ﴿ فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا ﴾ .

وقيل : بل كان صلى اللهُ عليه وسلم قد خيَّرَ في ذلك (٢) ؛ وقد رُوِيَ عن عليٍّ رضِيَ اللهُ عنه ، قال (٣) : جاء جبريلُ عليه السلام إلى النبيِّ صلى اللهُ عليه وسلم يوم بدرٍ ، فقال : خيَّرَ أصحابك في الأسارى ، إن شاءوا القتلَ ، وإن شاءوا الفداء ، على أن يُقتَلَ منهم في العام المُقبِلِ مثلهم . فقالوا : الفداء ويُقتل (٤) مِنّا .

وهذا دليلٌ على صحة ما قلناه ، وأنهم لم يفعلوا إلا ما أُذِنَ لهم فيه ؛ لكن بعضهم مالَ إلى أضعف الوجْهين بما كان الأصْلَحُ غَيْرَهُ من الإِثْمَانِ والقتلِ ؛ فمَوَّتُوا على ذلك (٥) ، وبيَّن لهم ضَعْفُ اختيارِهِم وتصويبُ اختيارِ غَيْرِهِم (٦) ؛ وكلُّهم غَيْرُ عَصَاةٍ ولا مُذْنِبين (٧) ؛ وإلى نحو هذا أشار الطبريُّ .

وقوله - صلى اللهُ عليه وسلم في هذه القضية (٨) : لو نزل من السماء عَذَابٌ ما نجا منه إلا عمر [٢١٤] - إشارةٌ إلى هذا من تصويب رأيه ورأى مَنْ أَخَذَ بِمَأْخِذِهِ ، في إعزازِ الدِّينِ ، وإظهارِ كلمته ، وإبادةِ عَدُوِّهِ ، وأنَّ هذه القضية (٨) لو استوجبتْ

= وهو إما تشريع وامتنان عليهم بما أحله لهم ، ولم يضيق عليهم كما ضيق على الأمم السابقة ؛ أو هو ردع لمن اشتغل بالفنائِمِ والصلب .

(١) سورة الأنفال ، آية ٦٩ . كلوا : المراد انتفعوا به ، وليس المراد خصوص الأكل .

(٢) خير في ذلك : أى في أخذ الفدية من الأسرى وفي قتلهم ؛ فلما أخذها قيل له : كان

الأولى خلافه . (٣) سنن أبي داود : ١ - ٣٦٧

(٤) ويقتل منا : رغبة في الفداء . (٥) على ذلك : إذ اختاروا غير الأصلح .

(٦) اختيار غيرهم : وهو ما اختاره عمر رضي اللهُ عنه .

(٧) لأن كلا منهم قال ما أداه إليه اجتهاده ظاناً أن الخير فيه .

(٨) هذه القضية : قضية أسرى بدر .

عذاباً نجاً منه عمر ومثله^(١) : وعين عمر^(٢) لأنه أول من أشار بقتلهم، ولكن الله لم يقدّر عليهم في ذلك عذاباً لحله لهم^(٣) فيما سبق .

وقال الداودي : والخبر بهذا لا يثبت^(٤) ، ولو ثبت لما جاز أن يُظنَّ أن النبي صلى الله عليه وسلم حكم بما لانص فيه ولا دليل من نصٍّ ، ولا جعل الأمر فيه إليه ؛ وقد نزهه الله تعالى عن ذلك^(٥) .

وقال القاضي بكر بن العلاء^(٦) : أخبر الله تعالى نبيه في هذه الآية أن تأويله وافق ما كتبه له من إحلال الغنائم والفداء ؛ وقد كان قبل هذا فادوا^(٧) في سرية عبد الله بن جحش التي قتل فيها ابن الحضرمي بالحكم بن كيسان (١) مثله : أي نجاً من العذاب مثله من كان على رأيه كسعد بن أبي وقاص كما ورد في الحديث .

(٢) عين عمر: خصه بالذكور مع أن جماعة منهم كانوا على رأيه، لأنه أول من أشار بقتلهم .
(٣) حله لهم : لأن الله أحله لهم، وخيرهم بين أخذ الفداء والأسرى .
(٤) أي لم يثبت المنع من أخذ الفدية .

(٥) أي ولو ثبت المنع لما جاز أن يظن أن النبي صلى الله عليه وسلم حكم بما لانص فيه بوحى نازل عليه ، ولادليل يدل على ما حكم به مستنبط من نص سبق بإجتهاده ، ولا جعل الأمر فيه من الله مفوض إليه ؛ فإنه وقع التفويض إليه صلى الله عليه وسلم في أمور أذن له بالحكم فيها ، وقد نزهه الله عن ذلك بقوله تعالى : وما ينطق عن الهوى . إن هو إلا وحى يوحى . والاجتهاد والتفويض بوحى يوحى .

(٦) إمام مذهب مالك .

(٧) في هذه الآية : الآية التي نزلت في أسارى بدر . أن تأويله : أن تأويل النبي صلى الله عليه وسلم الذي قبله من أبي بكر رضي الله عنه في اختيار عدم القتل وافق ما كتب له ؛ أي حكم به وجوزه بقوله : لولا كتاب من الله سبق في علمه وحكمه .

(٨) قبل هذا : قبل غزوة بدر . فادوا : أخذوا الفداء من المشركين . والسرية : ناس يرسلون للعد ومن خمسة إلى ثلاثمائة وأربعمائة وهذه السرية كانت في رجب في السنة الثانية، أو في جمادى الآخرة ؛ وكانت السرية قبل بدر بشهر أو أكثر وانظر هامش رقم ١ في الصفحة الآتية .

وصاحبه ، فاعتبَ اللهُ ذلك عليهم ؛ وذلك قَبْلَ بَدْرِ بِأزيد من عام^(١) .
 فهذا كُلُّهُ بَدْلٌ عَلَى أَنْ فَعَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي شَأْنِ الْأَسْرَى كَانِ
 عَلَى تَأْوِيلِ وَبَصِيرَةٍ^(٢) ، وَعَلَى مَا تَقَدَّمَ قَبْلُ مِثْلُهُ^(٣) ؛ فَلَمْ يَنْدِكِرْهُ اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ ،
 لَكِنْ اللهُ تَعَالَى أَرَادَ - لِعِظَمِ أَمْرِ بَدْرِ وَكَثْرَةِ أَسْرَاهَا ، وَاللهُ أَعْلَمُ - إِظْهَارَ نِعْمَتِهِ ،
 وَتَأْكِيدَ مَنِّهِ^(٤) بِتَعْرِيفِهِمْ مَا كَتَبَهُ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ^(٥) مِنْ حِلِّ ذَلِكَ لَهُمْ ،
 لِأَعْلَى وَجْهِ عِتَابٍ وَإِنْكَارٍ وَتَذْيِيبٍ^(٦) . هَذَا مَعْنَى كَلَامِهِ .
 وَأَمَّا قَوْلُهُ^(٧) : ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّى أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى . . . ﴾ .
 فَلَيْسَ فِيهِ إِثْبَاتُ ذَنْبٍ لَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ بَلْ إِعْلَامُ اللهِ أَنْ ذَلِكَ الْمُتَصَدِّقِ
 لَهُ يَمُنُّ لَا يَتَزَكَّى^(٨) ، وَأَنَّ الصَّوَابَ وَالْأَوْلَى - أَوْ كُشِفَ لَكَ حَالُ الرَّجَائِنِ^(٩) -
 الْإِقْبَالُ عَلَى الْأَعْمَى .

(١) قَالَ الْخَفَاجِيُّ : كَذَا فِي النَّسَخِ ؛ وَهُوَ سَهْوٌ ، لِأَنَّ بَدْرًا الْأُولَى وَقَعَتْ فِي رَبِيعِ الْأَوَّلِ
 بَعْدَ ثَلَاثَةِ عَشَرَ شَهْرًا مِنَ الْهِجْرَةِ ؛ فَتَكُونُ هَذِهِ الْوَقْعَةُ فِي سَنَةِ اثْنَتَيْنِ مِنَ الْهِجْرَةِ ؛ ثُمَّ فِي
 رَجَبٍ بَعَثَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَذِهِ السَّرِيَّةَ ، ثُمَّ فِي رَمَضَانَ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ وَقَعَتْ
 غَزْوَةُ بَدْرِ الْكُبْرَى فَبَيْنَ هَذِهِ السَّرِيَّةِ وَغَزْوَةِ بَدْرِ نَحْوُ ثَلَاثَةِ أَشْهُرٍ . وَقَالَ الْقَارِي : بَلْ كَانَا
 فِي سَنَةِ وَاحِدَةٍ .

(٢) كَانَ عَلَى تَأْوِيلٍ : بِاجْتِمَاعِهِ مِنْهُ ، وَبَصِيرَةٍ بِالنَّظَرِ الصَّحِيحِ فِي أَنَّهُ فِيهِ إِعَانَةٌ وَرَجَاءٌ لِأَنَّ
 يَهْدِيهِمُ اللهُ فِي الْأَجْلِ إِلَى الْإِسْلَامِ ؛ وَكَانَ كَذَلِكَ .

(٣) قَبْلُ : قَبْلَ بَدْرِ . مِثْلُهُ : مِنْ أَخْذِ الْفَدْيَةِ فِي سَرِيَّةِ عَبْدِ اللهِ بْنِ جَعْفَرٍ ، وَلَمْ يَعَاتِبُوا
 عَلَيْهِ كَمَا تَقَدَّمَ . (٤) مَنِّهِ : نِعْمَتِهِ عَلَيْهِمْ .

(٥) مَا كَتَبَهُ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ بِقَوْلِهِ : لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللهِ سَبَقَ . . .

(٦) لِأَعْلَى وَجْهِ عِتَابٍ : أَي لَمْ يَذْكُرْهُ لِلْوَمُومِ ، بَلْ لِبَيَانِ شُكْرِهِ وَنِعْمَتِهِ . أَوْ تَذْيِيبٍ : أَي
 نَسَبْتَهُمْ لِذَنْبِ ارْتِكَابِهِمْ بِمَا فَعَلُوهُ .

(٧) أَي مَا يَشْعُرُ بِهِ ظَاهِرًا ؛ مِنْ أَنَّهُ صَدَرَ عَنْهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا اسْتَحَقَّ عَلَيْهِ الْعِتَابَ ،
 وَاسْتِدْلَالَ بَعْضُهُمْ بِهَذِهِ الْآيَةِ وَالْقِصَّةِ عَلَى تَجْوِيزِ الصَّفَاثُرِ عَلَيْهِمْ .

(٨) لَا يَتَزَكَّى : لِأَيْسَلِمَ فَيُطَهِّرُهُ اللهُ مِنْ دَنَسِ الشَّرْكِ .

(٩) حَالُ الرَّجَائِنِ : أَي ابْنِ أُمِّ مَكْتُومٍ ، وَمَنْ كَانَ عِنْدَهُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ .

وَفِعَلُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِمَا فَعَلَ ، وَتَصَدَّيْهِ لِدَاكِ الْكَافِرِ ، كَانَ طَاعَةَ اللَّهِ وَتَبْلِيغًا عَنْهُ ، وَاسْتِثْلَافًا^(١) لَهُ ، كَمَا شَرَعَهُ اللَّهُ لَهُ ، لَا مَعْصِيَةَ ، وَلَا مَخَالَفَةَ لَهُ .

وَمَا قَصَّ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ إِعْلَامٌ بِمَجَالِ الرَّجَائِنِ وَتَوْهِينٍ^(٢) أَمْرَ الْكَافِرِ عِنْدَهُ ، وَالْإِشَارَةُ إِلَى الْإِعْرَاضِ عَنْهُ ، بِقَوْلِهِ^(٣) : ﴿ وَمَا عَلَيْكَ إِلَّا بَزْكَئِي ﴾ : وَقِيلَ : أَرَادَ بِهِ « عَبَسَ » ، وَ « تَوَلَّى » - الْكَافِرَ الَّذِي كَانَ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ قَالَ أَبُو تَمَامٍ^(٤) .

وَأَمَّا قِصَّةُ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَقَوْلُهُ تَمَالَى : ﴿ فَأَكَلَا مِنْهَا ﴾ - بَعْدَ قَوْلِهِ^(٥) : ﴿ وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ . وَقَوْلُهُ^(٦) ﴿ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنِ

(١) أى استئالة للكافر وتأييها له رجاء لإسلامه .

(٢) توهين : تضييفه وبيان لحاله ؛ لأنه لا مقدار له يمتد به .

(٣) لأن معناه : لا بأس عليك من أمره ؛ فلا تلتفت إليه ؛ أى لا بأس عليك بدمم إسلامه ؛ فحرصك على إسلامه الحامل لك على الإعراض عن غيره تطيبيا لحاظه - الأولى تركه ؛ لأنه ما عليك إلا البلاغ ، وقد فعلت .

(٤) أبو تمام : قال البرهان : هو حبيب بن أوس الطائي الشاعر المشهور وهو في الطبقة العلية من المولدين ، متقدم العصر والرتبة على المتنبي ، لكن لم نرم من عده من علماء الحديث والتفسير ؛ فهو غلط من اشتراك الاسم .

وقد نقل المصنف في هذا الكتاب كثيرا عن محمد الأبهري من علماء المالكية من أهل طليطلة ، وهو ملقب بأبي تمام ، وهو المراد هنا ؛ وما قاله الشراح هنا وأصحاب الحواشي من أنه أبو تمام الشاعر خطأ ؛ فإننا لم نسمع من نقل عن الشاعر شيئا مما يتعلق بالأموور الشرعية ؛ وإنما غرهم الاشتراك اللفظي ، وهذا مما لا شبهة فيه .

قال الخفاجي : وهو قول في غاية الضعف ، بعيد عن السياق .

(٥) سورة البقرة ، آية ٣٥ (٦) سورة الأعراف ، آية ٢٢

تِلْكَ كَمَا الشَّجَرَةَ ﴿١﴾ ؛ وتصريحه تعالى عليه بالمعصية بقوله تعالى (١) ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾ ؛ أَي جَهَلَ .

وقيل أخطأ ؛ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ أَخْبَرَ بِمُذْرِهِ بِقَوْلِهِ (٢) ﴿وَلَقَدْ عَاهَدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَتَنَى وَلَمْ يُجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾ (٣) ؛ قَالَ ابْنُ زَيْدٍ : نَسِيَ عِدَاوَةَ إِبْلِيسَ لَهُ ، وَمَا عَاهَدَ اللَّهُ إِلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ (٤) بِقَوْلِهِ (٥) ﴿إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَزَوْجُكَ . . .﴾ الْآيَةَ .
وقيل : نَسِيَ ذَلِكَ بِمَا أَظْهَرَ لَهَا (٦) .

وقال ابن عباس : إِنَّمَا سُمِّيَ الْإِنْسَانُ إِنْسَانًا لِأَنَّهُ عَاهَدَ إِلَيْهِ فَتَنَى .
وقيل : لَمْ يَقْصِدِ الْخَالَفَةَ اسْتِحْلَالَهَا (٧) ، وَلَكِنَّمَا اغْتَرَا بِمُحَلِّفِ إِبْلِيسَ لَهَا (٨) :
﴿إِنِّي لَكَا لِمَنِ التَّاصِحِينَ﴾ ؛ وَتَوَهَّأ أَنْ أَحَدًا لَا يَحْلِفُ بِاللَّهِ حَاتِنًا .
وقد رُوِيَ عُدْرُ آدَمَ بِمَثَلِ هَذَا فِي بَعْضِ الْأَثَارِ .

وقال ابن جبير : حَلَفَ بِاللَّهِ لَهَا حَتَّى غَرَّهَا ؛ وَالْأَوْثَمِينَ يُخَدِّعُ (٩) .
وقد قيل : نَسِيَ ، وَلَمْ يَنْوِ الْخَالَفَةَ ؛ فَلِذَلِكَ قَالَ : ﴿وَلَمْ يُجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾ ؛ أَي
قَصْدًا [٢١٥] لِلْمُخَالَفَةِ .

- (١) سورة طه ، آية ١٢١ (٢) سورة طه ، آية ١١٥
(٣) عهدنا إلى آدم : أخذنا عليه وبيننا له ما يلزمه فتركه . من قبل : قبل أكله من الشجرة .
ولم نجد له عزمًا ثابتًا على ما عهد إليه .
(٤) من ذلك : من كون إبليس عدو له وزوجه وولده .
(٥) سورة طه ، آية ١١٧
(٦) لها : لآدم وزوجه من المخالفة .
(٧) استحلالًا لها : لمدحها حلالًا ، حتى لا يكون ذلك معصية .
(٨) سورة الأعراف ، آية ٣١
(٩) قال الخفاجي : لأن للؤمن لا يعمل ذلك ، ليعتقد أن غيره مثله لا ينافق ولا يخادع ولا يكذب .

وأكثرُ المفسرين على أن العزمَ هنا الجزمُ والصبرُ^(١) .

وقيل : كان عنداً كُله سكران^(٢) ؛ وهذا فيه ضعفٌ ؛ لأن الله تعالى وصف خمر الجنة أنها لا تُسكر ؛ فإذا كان ناسيا لم تكن معصية ؛ وكذلك إن كان مُلبساً^(٣) عليه غالطاً ؛ إذ الاتفاقُ على خروج النَّاسِيِ والسَّاهِيِ عن حُكْمِ التَّكْلِيفِ .

وقال الشيخ أبو بكر بن فورك^(٤) وغيره : إنه يمكنُ أن يكونَ ذلك قبل النبوةِ ؛ ودليلُ ذلك قوله تعالى : ﴿ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى . ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى^(٥) ﴾ ؛ فذكر أن الاجتباءَ والهدايةَ كانا بعد العصيانِ^(٦) .
وقيل : بل أكلها متأولاً ، وهو لا يعلمُ أنها الشجرةُ التي نُهيَ عنها ؛ لأنه

(١) الجزم : الأخذ بما فيه سداد بعد النظر التام فيه ، وانصبر حتى يتيسر له مراده من غير قلق واضطراب .

(٢) قال الخفاجي : ورد أن خمر الجنة ليس له سكر ولا خبال كخمر الدنيا ؛ ولا يخفى أن هذا الوجه في غاية الضعف ، والأولى تركه .

(٣) ملبساً عليه : يعني تلبس إبليس الذي غره به ، وقسمه له بأنه ناصح له ، وأنه يريد خلوده في الجنة ، وعدم زوال نعمته عنه ، وأن نهى الله ليس بتحريمي مؤاخذ به .
غالطاً : أى وقع من آدم النلط بقبوله تلبسه وبفرزة له بأنه لا إثم عليه في أكله .

(٤) هو أبو محمد بن الحسين الأصهباني إمام أهل السنة والكلام ، وكان في عصره أجل من تصدر للوعظ والتدريس والتأليف . توفي سنة ٤٠٦ هـ .

(٥) اجتباهه ربه : اختاره لنبوته ؛ فتاب عليه مما صدر منه قبل النبوة . وهدى : وهده الله إلى علمه .

(٦) قال الخفاجي : فالمنى أن الله ارتضاه لنبوته ، وأنه لم يصدر عنه ذنب بعد ما نبىء .
وقد قيل : إنه في غاية البعد ؛ لأن ظاهر الحال من سجود الملائكة لآدم ، وإظهار فضله عليهم ، ومخاطبته في حضرته ، تمتنع هذا الاحتمال ؛ إذ لا معنى للنبوة غير هذا ؛ فلا استدلال به على نبوته أولى مما استدلل به المصنف رحمه الله .

تَأْوَلَ نَهَى اللَّهِ عَنْ شَجَرَةٍ مَخْصُوصَةٍ لِأَعْلَى الْجِنْسِ ^(١)؛ ولهذا قيل: إنما كانت التوبة من ترك التحفظ ^(٢)، لا من المخالفة.

وقيل: تأول أن الله لم ينه عنها نهى تحريم.

فإن قيل: فعلى كل حال فقد قال الله تعالى ^(٣): ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ﴾؛ وقال ^(٤): ﴿فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى﴾. وقوله في حديث ^(٥) الشفاعة: ويذكر ذنبه، وقال: إني نهيتُ عن أكل الشجرة فعصيت؛ فسيأتي الجوابُ عنه وعن أشباهه مجملًا آخر الفصل إن شاء الله.

وأما قصة يونس فقد مضي الكلامُ على بعضها آنفًا؛ وليس في قصة يونس نصٌّ على ذنبٍ؛ وإنما فيها: أبق ^(٦) وذهب مناضبًا ^(٧) وقد تكلمنا عليه.

وقيل: إنما نقيم الله عليه خروجه عن قومه فارًا من نزول العذاب ^(٨).

وقيل: بل لما وعدم العذاب ثم عفا الله عنهم قال: والله لا ألقاهم بوجه كذاب أبدًا.

وقيل: بل كانوا يقتلون من كذب بخاف ذلك ^(٩).

(١) لاطى الجنس: الشامل لجميع أفرادها.

(٢) التحفظ: قلة النغلة. والمراد ترك التيقظ والتنبيه.

(٣) أى أثبت الله له المعصية.

(٤) والتوبة إنما تكون من ذنب.

(٥) وقوله: قول آدم المحسكى عنه. وقد تقدم.

(٦) أبق: فر وهرب.

(٧) ذهب مناضبًا: أى غضبان، وغضبه على قومه لاطى ربه: وقد سبق هذا...

(٨) نعم الله عليه: عاب فعله ولامه عليه وكرهه. من نزول العذاب بهم، وهو بين

أظهرهم؛ فكان ينبغي له الثبات اعتمادًا على أن الله ينجيه كما نجى نوحًا وغيره من الأنبياء حتى يوحى إليه ما يريد.

(٩) أى كان من عادتهم أنهم يقتلون من كذب، فخاف القتل لتخلف ما وعدهم به.

وقيل : ضَمَفَ عَنْ حَمَلِ أَعْبَاءِ الرِّسَالَةِ^(١) . وقد يَقدَمُ الكَلَامُ أَنَّهُ لَمْ يَكْذِبْهُمْ^(٢) .

وهذا كله ليس فيه نصٌّ على معصية إلا على قولٍ مرغوب^(٣) عنه .
وقوله : ﴿ إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴾^(٤) - قال المفسرون تَبَاعَدَ .
وأما قوله : ﴿ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾^(٥) ؛ فالظلمُ وَضْعُ الشَّيْءِ فِي غير موضعه ؛
فهذا اعترافٌ منه عند بعضهم بَدَنِيهِ ؛ فإِذَا أَنْ يَكُونَ لخروجه عن قَوْمِهِ بغير إِذْنِ
رَبِّهِ ، أَوْ لضعفه عما حَمَلَهُ ، أَوْ لدعائه بالعذابِ على قَوْمِهِ^(٦) . وقد دعا نوحٌ بِهَلَاكِ
قَوْمِهِ^(٧) فلم يَأْخُذْ .

وقال الواسطي في معناه : نَزَهَ رَبِّهِ^(٨) عن الظلم ، وأضَافَ الظلمَ إلى نفسه
اعترافاً واستحقاقاً^(٩) . ومِثْلُ هذا قول آدم وحواء : ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا ﴾ ؛
إذ كانا السبب في وَضعهما غير الموضع الذي أنزِلَ فيه ، وإخْرَاجهما من الجنة ،
وإنزَالهما إلى الأرض .

(١) قال في نَسِمِ الرِّيَاضِ : قال وهب : كان في خلقه ضيق ؛ ولذا أخرج الله عن أولى
العزم بقوله : « فاصبر كما صبراً ولو العزم من الرسل ، ولا تكن كصاحب الحوت » .
(٢) فما وعدم به من العذاب نزل بهم حتى رأوا غمامة فيها دخان أظلمتهم ، ولكنهم لما نضرعوا
إلى الله كشفه عنهم .
(٣) مرغوب عنه : متروك لضعفه .

(٤) الفلك : السفينة . المشحون : الملوء .

(٥) فإنه يقتضى أنه صدر منه ذنب .

(٦) قال الخفاجي : وهو توجيه ضعيف ؛ لأن الدعاء على الغير إذا رأى منه ما يسوءه

لا يمد ذنباً .

(٧) وذلك قوله : « رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً » .

(٨) نزه ربه عن الظلم إذ قال : سبحانك . . .

(٩) قال الخفاجي : والحاصل أنه ذكره هضماً وبياناً لاستعداد البشر لثله ؛ وإنما يحفظهم

الله باطفه .

وأما قصة داود عليه السلام فلا يجب أن يلتفت إلى ماسطره فيه الأخباريون^(١) من أهل الكتاب الذين بدّلوا وغيروا؛ ونقله بعض المفسرين . ولم ينص الله على شيء من ذلك ، ولا ورد في حديث صحيح . والذي نص الله عليه قوله^(٢) : ﴿ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ . فَفَعَّرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ ﴾ .

وقوله فيه : ﴿ أَوَابٍ ﴾^(٣) .

فمعنى فتناه : اختبرناه^(٤) . وأواب : قال قتادة : مُطِيع^(٥) .

وهذا التفسير أولى^(٦) .

وقال ابن عباس ، وابن مسعود : ما زاد داود على أن قال للرجل : انزل لي عن امرأتك وأكفليها^(٧) ؛ فعاتبه الله على ذلك ، ونبهه عليه^(٨) ، وأنكر عليه [٢١٦] شغله بالدنيا ، وهذا الذي ينبغي أن يعول عليه من أمره .

(١) الأخباريون : أصحاب القصص .

وماسطروه هو قولهم : إن داود كتب إلى قائد جيشه أن ابعث أوريا - زوج المرأة الحسنة التي رآها داود وهو يصلي في محرابه فتعلق بها قلبه - إلى وجه المدو قبل التابوت ، وكان من يتقدم مع التابوت لا يجوز له أن يرجع حتى يفتح على يديه أو يستشهد ، فتقدم ففتح على يديه ، فكتب له ثانيا : ابثه لموضع كذا مرة بعد مرة ، حتى قتل فتزوج امرأته .

(٢) سورة ص ، آية ٢٤ ، ٢٥ (٣) أواب : كثير الرجوع عما يفعل .

(٤) المراد فعلنا به فعل المتحن ليظهر حاله للناس ؛ من فتنت الذهب ؛ إذا صفيته من غشه ؛

فليست الفتنة هنا بإيقاعه فيما يضره من الآثام كما هو المعنى المتداول في عرف اللغة .

(٥) لكثرة رجوعه إلى ربه .

(٦) أولى من تفسيره بتواب عن الذنوب .

(٧) أكفليها : ضمها لي بالدخول تحت نكاحي قال القاري ؛ وكان أهل زمان داود يسأل

بعضهم بعضا أن ينزل له عن امرأته فيتزوجها ، وكان ذلك متاحا لهم .

(٨) ونبه عليه : لما فيه من خلاف الأولى اللائق بمقامه .

وقيل : خطبها على خطبته .

وقيل : بل أحب بقلبه أن يستشهد^(١) .

وحكى السمرقندى أن ذنبه الذى استغفر منه قوله لأحد الخصمين^(٢) : ﴿ لقد ظلمك ﴾ ، فظلمه^(٣) بقول خصمه .

وقيل : بل إما خشي على نفسه ، وظن من الفتنة بما بسط له من الملك والدينا .

وإلى نفي ما أضيف في الأخبار إلى داود من ذلك ذهب أحمد بن نصر ، وأبو تمام^(٤) ، وغيرهما من المحققين .

وقال الدأودى : ليس في قصة داود وأوريا خبر يثبت ؛ ولا يظن بنبي محبة

قتل مسلم .

[وقيل : إن الخصمين اللذين اختصا إليه رجلان^(٥) في نعاج غنم ، على

ظاهر الآية^(٦)] .

(١) أحب بقلبه أن يستشهد أوريا ليتزوج بامرأته ؛ لا أنه صرح به ، وبأشرف أسبابه ،

وهو ميل قلبى لا يؤاخذ به ؛ لأنه خطر بقلبه أنه لو استشهد تزوجها ، لأنها أعجبتة .

قال الخفاجى : وعلى هذه الوجوه لامصية فيه : أما طالب النزول عن زوجته فكان جائزا

عندنا كما كان في أول الهجرة بين الأنصار والمهاجرين . وأما الخطبة على الخطبة فإنها وإن كانت حراما

عندنا بنير رضا و فراغ فلمه كان جائزا عندنا ، أولم يعلم بما أعلمه الله به فلا حرج عليه . وأما

خطرات القلوب فلا يؤاخذ بها ، وما عداها لا يجوز نسبتها لهم ولا يتحدث به . ولقد قال على رضى

الله عنه : من حدث بقصة داود عليه السلام جلده مائة وستين ، وهو حد الفرية على الأنبياء

عليهم الصلاة والسلام .

(٢) أحد الخصمين : أى الملكين اللذين أنبأه في صورة رجلين متخاصمين له .

(٣) لقد ظلمك بسؤال نعتك إلى نعاجه . فظلمه : نسبه للظلم . يعنى أنه سمع قول المتظلم

فاستمعجل ، ولم يسأل عن ظلمه ؛ ولذا عانبه ولم يرض فعله .

(٤) انظر ٢٧٢ في تحقيق أبى تمام هذا

(٥) رجلان حقيقة ، لا ملكان في صورة رجلين .

(٦) قال الخفاجى : والحاصل أن ما اشتهر بين القصاص وأهل الكتاب لم يثبت ؛ والذى =

وأما قصة يوسف وإخوته فليس على يوسف فيها تعتب^(١) ، وأما إخوته فلم تثبت نبوتهم فيلزم الكلام على أفعالهم . وذكر الأسباب وعدّهم في القرآن عند ذكر الأنبياء ليس صريحاً في كونهم من أهل الأنبياء .

قال المفسرون : يريد من نبي من أبناء الأسباط^(٢) .

وقد قيل : إنهم كانوا حين فعلوا بيوسف ما فعلوه صغار^(٣) الأسنان ؛ ولهذا لم يميزوا يوسف حين اجتمعوا به ؛ ولهذا قالوا : أرسله معنا غداً ترتع ونلعب^(٤) ، وإن ثبت لهم نبوة فبعد هذا ، والله^(٥) أعلم .

وأما قول الله تعالى فيه : ﴿ ولقد هممت به ولم بها لولا أن رأى برهان ربه ﴾ - فعلى طريق كثير من الفقهاء والمحدثين أن هم النفس لا يؤخذ به ؛ وليس سيئة^(٦) ؛ لقوله صلى الله عليه وسلم - عن ربه^(٧) : « إذا هم عبدي بسيئة

== قصه الله تعالى عنه ليس فيه ما ياباه مقام النبوة . وما بين القوسين كتب أمامه في هامش ا : من الأم من غير الرواية .

(١) تعتب : اعتراض ، مما يدل على طعن فيه ، أو نقص ينسب إليه مما لا يناسب مقامه . وفي

ب : تعتب .

(٢) لا أولاده لصلبه . وفي نسيم الرياض : قال ابن كثير : لم يرق دليل على نبوتهم ، وظاهر

القرآن يخالفه .

(٣) صغار الأسنان ؛ أى غير مكانيين .

(٤) واللعب من شأن الصغار ، ولا يليق بالرجال .

(٥) قال الحفاجي : هذه الدلالة بحسب الظاهر المتبادر ، فإن الكبار قد يلعبون ويتسابقون ؛

وكذا عدم معرفتهم له إنما يدل على صغرهم وبعد عهدهم به ؛ لأن مدة مفارقتهم أربعون سنة أو ثمانون ؛ إذ يجوز ألا يعرفوه لتغيير زيه ، وكونه بهيئة الملوك ذوى الهيبة ، ولمدمق قريهم من مجلسه .

(٦) لا يؤخذ به ؛ لأنه أمر اضطرارى . وليس سيئة ؛ أى خطيئة ومعصية . وفي ا :

(٧) فى الحديث القدسى الذى رواه مسلم فى صحيحه : ١١٧

وليس . . .

فلم يملكها كتبت له حسنة^(١)»، فلا معصية في همه إذاً .

وأما على مذهب المحققين من الفقهاء والتكلميين فإنَّ الهمَّ إذا وُطئت^(٢) عليه النفسُ سيئةٌ . وأما ما لم تُوطئن عليه النفسُ من همومها وخَوَاطرها فهو المفقوءُ عنه . وهذا هو الحقُّ ؛ فيكون - إن شاء الله - همُّ يوسف من هذا^(٣) ؛ ويكون

(١) إذا هم عبدى سيئة : أى عزم عليها وقصدها . كتبت له حسنة : لمجاهدته نفسه وصرفها عما تريده .

(٢) وطئت عليه النفس : صمحت وحزمت عليه .

(٣) قال الحفاجي : والحاصل أنه ذهب كثير من العلماء إلى أن هم المرء وخاطر نفسه لا يؤخذ به ؛ فلا معصية في ذلك على هذا . وذهب بعض الفقهاء والمحدثين إلى أن الهم إذا لم توطئن عليه النفس مفقوء عنه ؛ وإذا وطئت عليه النفس وصمحت كتبت سيئة ، والنصوص فيه مختلفة ؛ فما تقدم في حديث مسلم وأحاديث آخر في معناه يدل على أنه لا يؤخذ به . وقوله تعالى : « وإن تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله » ؛ وقوله : « يؤخذكم بما كسبت قلوبكم » ، ونحوه ، يدل على خلافه .

والتوفيق بينها مقاله الغزالي من أن أول ما يرد على القلب كرهية امرأة على الطريق مالت إليها النفس ، ويسمى حديث النفس وخاطرا .

الثانى : ما يتولد منه من الرغبة وإعادة النظر ؛ وهو الميل الطبيعي .

والثالث : حكم القلب بأنه ينبغي أن يفعل وينبى إعادة النظر .

والرابع التصميم على ذلك وترك الصوارف عنه كالحياء .

والأول لا يؤخذ به ؛ لأنه لا يدخل تحت الاختيار ؛ وكذا هيجان النفس والليل والشهوة ؛ لأنها ليست اختيارية ؛ وهو المراد بقوله صلى الله عليه : عني عن أمتى ما حدثت به نفوسها ؛ وهو الخواطر التي لا يتبهاهم ولا عزم .

وأما الاعتقاد وحكم النفس بأنه ينبغي أن يفعل فيكون اضطراريا لا يؤخذ به ؛ واختياريا فيؤخذ به ؛ والرابع يؤخذ به ؛ فإن لم يفعل نظر فيه ؛ فإن تركه خوفا من الله وندما على همه كتبت له حسنة لمجاهدته لنفسه ؛ وإن تركه لمائق وعذر غير خوف من الله كتبت عليه وفي الحديث ما يدل على هذا التفصيل .

قال الحفاجي : وهو كلام حسن ؛ وهم يوسف كان عزمًا وتصميما منعه منه خوف ربه فهو ، حسنة لاسيئة .

قوله : ﴿ وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي ، إن ربِّي غفورٌ رحيمٌ ﴾ .

أى ما أبرئها من هذا الممّ ؛ أو يكون ذلك ^(١) منه على طريق التواضع والاعتراف بمخالفة النفس لما زكّى قَبْلُ وِبُرِّي ^(٢) ، فكيف وقد حكى أبو حاتم عن أبى عبيدة - أن يوسف لم يهيم ^(٣) ، وأن الكلام فيه تقديم وتأخير ؛ أى : ولقد همت به ؛ ولولا أن رأى برهان ربه لم بها ؛ وقد قال الله تعالى - عن المرأة ^(٤) : ﴿ ولقد راودته عن نفسه فاستعصم ﴾ . وقال تعالى ^(٥) : ﴿ كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء ﴾ . وقال تعالى ^(٦) : ﴿ وَعَلَقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ . قَالَ : مِمَّا ذُو اللَّهِ ، إِنْه رَبِّي أَحْسَنَ مَنَوَايَ . . . ﴾ الآية .

قيل فى « ربى » : الله تعالى . وقيل : المَلِك .

وقيل : همّ بها ؛ أى بزجرها ووعظها ^(٧) .

(١) ذلك : أى قوله : وما أبرئ نفسي . . . والآية فى سورة يوسف ، آية ٥٣

(٢) على طريق التواضع بإظهار أنه غير منزّه عما يشين ؛ لأن الكمال لله ؛ لأنه صدر منه

مثله حتى يتمسك به . والاعتراف بمخالفة النفس ؛ أى ما أبرئها من الممّ بالمعاصى ، وقد فعلت ، ولكنى خالفتها وصرفتها عن ههنا ، وهو أمر حسن منه .

(٣) لم يهيم : لم يقع منه هم يمد معصية .

(٤) سورة يوسف ، آية ٣٢ ، والمرادة : الطلب . واستعصم : امتنع لعصمة الله تعالى له .

(٥) سورة يوسف ، آية ٢٤ ، والسوء : الزنا ، أو الذكر القبيح ، أو عقوبة الملك . والفحشاء :

مواقعة للمرأة ونحوه مما يقبح .

(٦) سورة يوسف آية ٢٣ . وعلق الباب : أفله . هيت لك : هلم ، قد تهيأت لك . ممّا ذو

الله : أعوذ بالله منك ومما أردت ، التجئ إلى الله فى دفع ما هممت به . والمثوى : المقام . أحسن

مشواى : أحسن القيام لى وتمهدنى بإكرامه لى وإنعامه .

(٧) فى نسيم الرياض : وقال المفسرون كابن عطية : إنه وجه ضئيف لمخالفته للظاهر .

وقيل : هَمَّ بها ، أى غَمَّها امتناعه عنها^(١) .

وقيل : هَمَّ بها : نظر إليها^(٢) .

وقيل : هَمَّ بضرِّها ودفعها .

وقيل : هذا كله كان قَبْلَ نبوته .

وقد ذَكَرَ بعضهم : ما زال النساء يَمْلَنَ إلى يوسف مَيْلَ شَهْوَةٍ حتى نَبَّأَهُ اللهُ ،

فَأَلْفَى عَلَيْهِ هَيْبَةَ النُّبُوَّةِ ؛ فَشَفَلَتْ هَيْبَتُهُ كُلَّ مَنْ رَأَاهُ عَنْ حُسْنِهِ .

وَأَمَّا خَبَرُ مُوسَى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَ قَتِيلِهِ الَّذِي وَكَرَّهَ^(٣) فَقَدْ نَصَّ اللهُ تَعَالَى

أَنَّهُ مِنْ عَدُوِّهِ^(٤) ، قَالَ^(٥) : كَانَ مِنَ الْفَنِيطِ الَّذِينَ عَلَى دِينِ فِرْعَوْنَ .

وَدَلِيلُ^(٦) السُّورَةِ فِي هَذَا كُلِّهِ أَنَّهُ قَبْلَ نُبُوَّةِ مُوسَى .

وقال قتادة : وَكَرَّهَ بِالْعَصَا ، وَلَمْ يَتَعَمَّدْ قَتْلَهُ ، فَعَلَى هَذَا لَامِ مَعْصِيَةٍ فِي ذَلِكَ .

وقوله^(٧) : ﴿ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ ﴾ . وقوله^(٨) : [٢١٧] ﴿ ظَلَمْتُ نَفْسِي

فَاغْفِرْ لِي ﴾ - قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ : قَالَ ذَلِكَ مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِنَبِيِّ أَنْ يَقْتُلَ

حَقِي يُؤْمَرُ .

(١) امتناعه عنها ، أى عن معاملتها بما أرادته ، فهو من المهم بمعنى النعم .

قال الخفاجى : وهو بعيد للتعميد للضوى فيه ، وقيل إنه بعيد من اللنة ، لأنه بهذا المعنى

متعمد بنفسه ، يقال همه الأمر ، إذا أحزنه .

(٢) قال الخفاجى : وهو فى غاية البعد . (٣) الوكر : الدفع .

(٤) عدوه : كان كافرا . والآية فى سورة القصص ، آية ١٥

(٥) قال : أراد . وفى ب : وقيل .

(٦) ودليل السورة : أى السورة تدل بمنطوقها فى هذا كله أنه قبل نبوة موسى ، فإنه لما قتله

فرخائما ، فكان ما كان له مع شعيب ، وتزوج ابنته ، ثم تنبأ لما فارقه ، كما قصه الله تعالى .

أى إنه قبل النبوة لم يكن معصوما من الخطأ ، فصدر عنه مثل هذا ، وإن لم يكن معصية ،

لأنه لم يضربه بألة حادة ، فهو خطأ شبه عمد ، ولم يكن هناك شرع .

(٧) سورة القصص ، آية ١٥ (٨) سورة القصص ، آية ١٦

وقال النقاش : لم يَقْتُلْهُ عن عَمْدٍ مُرِيدًا لِلْقَتْلِ ، وَإِنَّمَا وَكَّرَهُ وَكَّرَهُ يَرِيدُ بِهَا دَفْعَ ظَلْمِهِ ، قَالَ : وَقَدْ قِيلَ : إِنَّ هَذَا كَانَ قَبْلَ النَّبِوَةِ ؛ وَهُوَ مُقْتَضَى التَّلَاوَةِ ^(١) .
وقوله تعالى - في قصته ^(٢) : ﴿ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا ﴾ ، أَى ابْتَلَيْنَاكَ ابْتِلَاءً بَعْدَ ابْتِلَاءٍ ^(٣) . قِيلَ فِي هَذِهِ الْقِصَّةِ وَمَا جَرَى لَهُ مَعَ فِرْعَوْنَ . وَقِيلَ ^(٤) : إِنْ تَأَوَّاهُ فِي التَّابُوتِ وَالْبَيْتِ ، وَغَيْرِ ذَلِكَ .

وقيل : مَعْنَاهُ أَخْلَصْنَاكَ إِخْلَاصًا ^(٥) ؛ قَالَ ابْنُ جُبَيْرٍ وَمُجَاهِدٌ ؛ مِنْ قَوْلِهِمْ : فَتَنَتُ النَّيْضَةَ فِي النَّارِ إِذَا خَلَصَتْهَا . وَأَصْلُ الْفِتْنَةِ مَعْنَى الْإِخْتِبَارِ ، وَإِظْهَارُ مَا بَطَّنَ ^(٦) ، إِلَّا أَنَّهُ اسْتُعْمِلَ فِي عُرْفِ الشَّرْعِ فِي إِخْتِبَارِ أَدَى إِلَى مَا يُبْكَرُهُ .
وَكَذَلِكَ مَا رَوَى فِي الْخَبَرِ الصَّحِيحِ ^(٧) ؛ مِنْ أَنَّ مَلَكَ الْمَوْتِ جَاءَهُ فَلَطَمَ عَيْنَهُ فَقَالَهَا ... الْحَدِيثُ ..

ليس فيه ما يُحْكَمُ بِهِ عَلَى مُوسَى بِالْتَعَدِّيِّ وَفِعْلٍ مَا لَا يَجِبُ لَهُ ^(٨) ، إِذْ هُوَ ظَاهِرُ الْأَمْرِ ، بَيْنَ الْوَجْهِ ، جَائِزُ الْفِعْلِ ، لِأَنَّ مُوسَى دَافَعَ عَنْ نَفْسِهِ مَنْ أَنَاهُ لِإِتْلَافِهَا ،

(١) مقتضى التلاوة : ما يدل عليه نص القرآن التلاوة .

(٢) في قصته : في قصة موسى (سورة طه ، آية ٤٠)

(٣) الابتلاء : الاختبار .

(٤) هذا معنى آخر للفتون . والتابوت : الصندوق الذي اتخذته له أمه من خشب . والبيم :

البحر ، والمراد النيل .

(٥) أخلصناك إخلاصا : ابتليناك بأمر صرت بعدها خالسا من كل أمر لا يليق برسلكه ،

فقربك واصطفاك .

(٦) ما بطن : ما خفي عن العيان .

(٧) رواه الشيخان . لطم عيته : ضرب وجهه بيده ، ووقعت ضربته على عينه ، فقأها ؛

فأخرج حدقته التي بها يبصر بلمطته .

والحدِيثُ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ : ١٨٤٣ ، وَصَحِيحِ الْبُخَارِيِّ : ٢ - ١٠٨

(٨) ما لا يجب له : أَى وَبِفِعْلِ شَيْءٍ لَا يَجُوزُ ، وَلَمْ يَثْبُتْ شَرْعًا .

وقد تصوّره^(١) في صورةِ آدَمِيٍّ ، ولا يمكنُ أنه علم حينئذ أنه ملك الموت ، فدافعه عن نفسه مدافمةً أدّت إلى ذهاب عَيْنِ تلك الصورة التي تصوّر له فيها الملك امتحانا من الله له ، فلما جاءه بعدُ ، وأعلمه اللهُ تعالى أنه رسولهُ إليه استسلم^(٢) . وللمتقدمين والمتأخّرين على هذا الحديثِ أجوبةٌ هذا أسدّها^(٣) عندي ، وهو تأويلُ شيخنا الإمام أبي عبيد الله المازري^(٤) .

وقد تأوله قديما ابنُ عائشة وغيره على صكِّه^(٥) و لطمه بالحجّة ، وفقَّ عَيْنِ حجّته ، وهو كلامٌ مستعملٌ في هذا الباب في اللغة معروف^(٦) .

(١) تصور له : تصور الملك لموسى .

(٢) استسلم : انتقاد له ، وسلم له فيما أراده بمد ما كان دفعه عنه أشد دفع .

(٣) أسدّها : من السداد ؛ وهو القوة .

(٤) هو الإمام الفقيه المحدث البارع في سائر العلوم ، وهو مالكي المذهب ، واسمه أبو عبد

الله محمد بن طلي بن عمر التيمي شارح المصنوع ، وله شرح مسلم ، وتآليف كثيرة . ومازر - بفتح الزاي المعجمة وتكسر : بلدة بمجزيرة صقلية . توفي سنة ست وثلاثين وخمسمائة .

(٥) أصل الصك واللطم : الضرب بالراحة ؛ أو بشيء عريض .

وابن عائشة : هو عبيدالله بن محمد بن حفص بن عمر بن موسى بن عبدالله بن معمر القرشي

التيمي البصري . وهو أحد العلماء الأشراف المحدثين المحتشمين ؛ وهو ثقة ، روى عنه البغوي وخلق كثير . توفي سنة ٢٢٨ هـ . فهو متقدم على المازري بزمان كثير ؛ فلذلك قال المصنف : قديما .

(٦) يقال في اللنة : لطمه وصكه إذا غلبه في الحاجة . وفقاً عينه وعورها ؛ إذا فضحه بحجته

وألزمه إلزاما لا يمكنه الجواب عنه .

قال الحفاجي : لكن صريح الحديث يأباه ؛ فإن فيه ما يقتضى أنه طلي ظاهره ؛ فإن البخاري

روى عن أبي هريرة رضى الله عنه - أنه صلى الله عليه وسلم قال : أرسل الله ملك الموت إلى موسى ؛ فلما جاءه صكه فقفا عينه ، فرجع إلى ربه وقال : يارب ؛ أرسلتني إلى عبد لا يريد الموت .

فرد الله عينه ، وقال له : ارجع ، وقل له : يضع يده على متن ثور ، وله بكل ما غطت يده من الشعر بكل شمرة سنة . فقال له ذلك . فقال موسى : « ثم ماذا ؟ قال : الموت . فقال : الآن .

وسأل ربه أن يدينه من الأرض المقدسة مقدار رمية حجر ، فقال صلى الله عليه وسلم : =

وأما قصة سليمان وما حكى فيها أهل التفاسير من ذنبه وقوله^(١) : ﴿ ولقد فتنا سليمان ﴾ ؛ فعناه ابتلينا^(٢) ، وابتلاؤه : ما حكى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال^(٣) : لأطوفنَّ الليلة على مائة امرأة أو تسع وتسعين كلهنَّ يأتين بفارسٍ يجاهدُ في سبيل الله . فقال له صاحبه^(٤) : قل إن شاء الله ، فلم يقل^(٥) . فلم تحمِلْ منهنَّ إلا امرأة واحدة جاءت بشقِّ رجل^(٥) .

قال النبي صلى الله عليه وسلم : والذي نفسى بيده لو قال إن شاء الله لجاهدوا في سبيل الله .

قال أصحابُ المعاني^(٦) : والشقُّ هو الجسدُ الذي ألقى على كُرسيِّه^(٧) حين عُرِضَ عليه ، وهى عقوبته ومحنته .

== لو كنت ثمة لأريكم قبره إلى جانب الطريق عند الكثيب الأحمر . ونحوه في مسلم . وهو ينافى هذا التأويل .

قال الخفاجى : وارتضى القرطبي بأن الله تعالى أخبره بأنه لا يموت حتى يخبره الله ويخبره بين الموت والحياة ؛ فلما أتاه الملك بنته ودخل عليه من غير استئذان شق عليه ذلك ، وكان موسى سريع الغضب ؛ ولذا لما رجع إليه وخبره بين الحياة والموت اتقادله واستسلم . . . قال : وهو أصح الوجوه .

(١) ابتليناه : عاملناه معاملة من يختبر حتى يظهر ما خفى من أمره على الناس . والآية في سورة ص ، آية ٣٤ ، كما تقدم .

(٢) وهو حديث صحيح روى في الصحيحين وغيرهما من كتب الحديث : صحيح مسلم : ١٢٧٥ ، ١٢٧٦ ، وسنن الترمذى : ٤ - ١٠٩

(٣) صاحبه : أى ملك كان معه ، أو قرينه ، أو رجل كان يصحبه . وقيل : هو خاطره ؛ وهو بعيد . (٤) فلم يقل ذلك : لم يقله بلسانه اكتفاء بما فى قلبه . أو جزم به ، لقوة رجائه واعتماده على كرم ربه ؛ فليس تركه المشيئة ذنباً يعد عليه .

(٥) شق رجل : برجل غير كامل . والشق بمعنى النصف أو البعض .

(٦) أصحاب المعانى : الذين يسرون الأحاديث ويقفون على معانيها للمرادة بها .

(٧) على كرسية : أى الذى كان يجلس عليه لإجراء أحكام الملك . حين عرضته قابله عليه ثم القته على كرسية .

وقيل : بل مات فَأَلْقَى عَلَى كُرْسِيِّهِ مَيْتًا .

وقيل : ذَنِبُهُ حِرْصُهُ عَلَى ذَلِكَ وَتَمَنِّيهِ .

وقيل : لِأَنَّهُ لَمْ يَسْتَتِنْ ^(١) لِيَا اسْتَفْرَقَهُ مِنَ الْحِرْصِ ، وَغَلِبَ عَلَيْهِ مِنَ التَّمَنَّى .

وقيل : عَقُوبَتُهُ أَنْ سَلِبَ مُلْكَهُ ، وَذَنِبُهُ أَنْ أَحَبَّ بَقْلِبِهِ أَنْ يَكُونَ الْحَقُّ

لَاخْتَانِهِ ^(٢) عَلَى خَصْمِهِمْ .

وقيل : أَوْخِذَ بِذَنْبِ قَارِقَةَ ^(٣) بَمَضُ نَسَائِهِ . وَلَا يَصِحُّ مَا نَقَلَهُ الْأَخْبَارِيُّونَ مِنْ

تَشْبِهِ الشَّيْطَانِ بِهِ ، وَتَسَلُّطِهِ عَلَى مُلْكِهِ ، وَتَصَرُّفِهِ فِي أُمَّتِهِ بِالْجَوْرِ فِي حُكْمِهِ ^(٤) ؛ لِأَنَّ

الشَّيَاطِينَ لَا يُسَلِّطُونَ عَلَى مِثْلِ هَذَا ^(٥) ؛ وَقَدْ عَصِمَ الْأَنْبِيَاءُ مِنْ مِثْلِهِ [٢١٨] .

وإِنْ سُئِلَ إِمَّ لَمْ يَقُلْ سَلِيْمَانُ فِي الْقِصَّةِ الْمَذْكُورَةِ : إِنْ شَاءَ اللَّهُ فَعَنَّهُ أَجُوبَةٌ :

أَحَدَاهَا - مَا رَوَى فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ أَنَّهُ نَسِيَ أَنْ يَقُولَهَا ، وَذَلِكَ لِيَنفُذَ مَرَادُ

اللَّهِ تَعَالَى .

وَالثَّانِي - أَنَّهُ لَمْ يَسْمَعْ صَاحِبَةَ ^(٦) وَسُئِلَ عَنْهُ .

(١) لَمْ يَسْتَتِنْ : لَمْ يَقُلْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ فِي كَلَامِهِ .

(٢) الْأَخْتَانُ : الْأَصْهَارُ ؛ أَوْ كُلُّ مَا يَكُونُ مِنْ قَبْلِ الْمَرْأَةِ ؛ كَالْأَبِّ وَالْأَخِّ .

وَذَلِكَ - كَمَا قِيلَ : إِنَّهُ كَانَتْ لَهُ امْرَأَةٌ يُقَالُ لَهَا جَرَادَةٌ ، وَكَانَ مَنُزِمًا بِجَبْهَا ، فَقَالَتْ لَهُ : إِنْ

فَلَانَا مِنْ أَهْلِ لَهْ حَقٌّ عِنْدَ آخِرٍ ، وَأَنَا أَحَبُّ أَنْ تَحْكُمَ لَهْ إِذَا جَاءَكَ . فَأَجَابَهَا لِذَلِكَ ؛ وَلَسْكَنَهْ لَمْ

يَفْعَلْ ؛ فَمَاقِبَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى مَجْرَدِ الْمَيْلِ ؛ فَسَكَانَ مَا كَانَ مِنْ وَضْعِ خَاتَمِهِ عِنْدَهَا وَأَخَذَ الشَّيْطَانُ لَهْ .

(٣) قَارِقَةُ : أَلِكْتَسِبَهُ .

(٤) فِي نَسِيمِ الرِّيَاضِ : قَالَ السِّيُوطِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ : مَا قَالُ الْمُنْصِفُ إِنَّهُ مِنْ خِرَافَاتِ الْأَخْبَارِيِّينَ

أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ مَوْقُوفًا ، لَسْكَنَهْ مَا أَخُوذُ مِنَ الْإِسْرَائِيلِيَّاتِ

كَأَنَّ بَيْنَتَهُ فِي التَّفْسِيرِ .

قَالَ الْحَفَاجِيُّ : وَفِيهِ نَظَرٌ ؛ لِأَنَّ أَوَّلَ كَلَامِهِ يَنَافِي آخِرَهُ .

(٥) لَا يُسَلِّطُونَ عَلَى مِثْلِ هَذَا : لَا يَقْدِرُ اللَّهُ عَلَيْهِا لِعِصْمَتِهِ تَعَالَى لِأَنْبِيَائِهِ مِنْهَا .

(٦) لَمْ يَسْمَعْ صَاحِبَةَ : الَّذِي قَالَ لَهُ : قُلْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

وقوله^(١) : ﴿وَهَبْ لِي مَلَكًا لَا يُنَبِّئُنِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي﴾ . لم يفعل هذا سليمان
غَيْرَةً عَلَى الدُّنْيَا وَلَا نَفَاسَةً بِهَا^(٢) ؛ وَلَكِنْ مَقْصِدُهُ فِي ذَلِكَ - عَلَى مَا ذَكَرَهُ الْمَفْسُورُونَ -
أَلَّا يَسْلُطَ عَلَيْهِ أَحَدٌ كَمَا سُلِّطَ عَلَيْهِ الشَّيْطَانُ الَّذِي سَلَبَهُ إِيَّاهُ مُدَّةَ امْتِحَانِهِ^(٣) عَلَى
قَوْلٍ مِّنْ قَالِ ذَلِكَ^(٤) .

وقيل : بل أراد أن يكون له من الله فضيلة خاصة يختص بها كاختصاص
غيره من أنبياء الله ورسله بخصوص منه^(٥) .

وقيل : ليكون ذلك دليلاً وحجة على نبوته ؛ كإلانة الحديد لأبيه ، وإحياء
الموتى لعيسى ، واختصاص محمد صلى الله عليه وسلم بالشفاعة ، ونحو هذا^(٦) .

(١) قيل : إن هذا جواب سؤال تقديره : إنك قلت إن الأنبياء معصومون من سائر الذنوب ،
ومنهم سليمان عليه السلام ، فكيف هذا مع ما سألت الله أن يؤتيه ملكاً لا يكون لغيره . وهذا
يقتضى حبه للدنيا ، وتفرد به بملك عظيم لا يتيسر لغيره ؛ وفيه حينئذ حرص لا يليق بزهد الأنبياء
في الدنيا ، وعدم رغبتهم فيها . فأجاب عنه : بأنه لم يفعل سليمان هذا والآية في سورة
ص ، آية ٣٥

(٢) ولا نفاسة بها : أى عداها نفيسة عظيمة يضن بها عن الغير .

(٣) سلبه إياه : سلبه ملكه . مدة امتحانه : مدة ابتلاء الله تعالى له بتسليط الشيطان
لما أخذ خاتمه من زوجته وظهر بصورته ، وتصرف في ملكه حتى أنكر الناس سليمان .

(٤) قال الحفاجي : وقد أخذ هؤلاء للمفسرون من الإسرائيليات المنقولة عن أهل
الكتاب ؛ وفي صحته كلام للمحدثين .

(٥) منه : من الله تعالى ، خصه بها دون غيره .

(٦) في نسيم الرياض : في شرح المواضع : طلب سليمان عليه السلام ملك لا يتيسر لغيره لم
يكن حسداً منه وضئاً بالملك ؛ بل لأن كل نبي كان له ما يفتخر به أهل زمانه ، وكانوا جبارة
يفتخرون بالملك وكثرة الجند والمال وقوة الأعيان ؛ فأراد سليمان أن يكون له من ذلك ما لا يقدر
عليه غيره ؛ فملكه الله ملكاً عظيماً . ولم يجعله شاغلاً له عن زهده وعبادته ؛ ليعلم الناس أن
زخارف الدنيا لا تلهمي خلص عباده عن خدمته ؛ ولذا قدم الاستغفار على طلبه ؛ فقال : رب
اغفر لي وهب لي ملكاً وليكون أدعى للإجابة .

وأما قصة نوح عليه السلام فظاهرة العُذر، وإنه أخذ فيها^(١) بالتأويل وظاهر اللفظ؛ لقوله تعالى: «وأهلك»؛ فطلب مقتضى^(٢) هذا اللفظ، وأراد علم ما طوى عليه^(٣) من ذلك؛ لا أنه شك في وعد الله تعالى^(٤)؛ فبين الله عليه^(٥) أنه ليس من أهله الذين وعده بنجاتهم لكفره وعمله الذي هو غير صالح؛ وقد أعلمه أنه مغرِقُ الذين ظلموا^(٦)، ونهاه عن مخاطبته فيهم؛ فوُؤخذ بهذا التأويل، وعتب عليه، وأشفق^(٧) هو من إقدامه على ربه لسؤاله ما لم يؤذن له في السؤال فيه؛ وكان نوحٌ - فيما حكاه النقاش - لا يعلمُ بكفر ابنه .

وقيل في الآية غير هذا؛ وكل هذا لا يقضي على نوح بمصيبة سوى ما ذكرنا من تأويله وإقدامه بالسؤال فيما لم يؤذن له فيه، ولا نُهي عنه .

وما روى في الصحيح^(٨) من^(٩) أن نبياً قرصته تملة فخرق قرية النمل، فأوحى

(١) أخذ فيها: تمسك فيها، أي قصته بتأويل ما وعده - بأن يريد الله « بأهله » ما

يشمل ابنه .

(٢) مقتضى هذا اللفظ: أي لفظ الأهل؛ وقال: إن ابني من أهلي، وإن وعدك الحق .

(٣) ما طوى عليه: ما خفي عن علمه . من ذلك: من أمر ابنه . ومخالفته في ركوب

السفينة لا ينافيه .

(٤) في وعد الله: بنجاة أهله .

(٥) قال في نسيم الرياض: بين لا يتمدى بعلى؛ فكأنه ضمنه معنى نيه، أو بني؛ أو هو تحريفه

من الناسخ .

(٦) أعلمه بقوله: « ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرِقون » .

(٧) أشفق: خاف .

(٨) رواه الشيخان عن أبي هريرة . وهذا النبي - قال الطبري، والحكيم الترمذي :

إنه موسى عليه السلام . وقال المنذرى: إنه عزير . وقال البرهان: إن في أبي داود - مرفوعاً:

لأدري أعزير نبي أم لا؛ وصححه الحاكم في مستدرکه عن أبي هريرة، لكن ثبت أنه نبي .

والحديث أيضاً في سنن ابن ماجه: ١٠٧٥

(٩) في ١: فيمن .

اللهُ إليه : أن قرصتك نملةٌ أحرقت أمةً^(١) من الأمم تسبحُ . . . فليس في هذا الحديث أن هذا الذي أتى معصيةً ؛ بل فعل ما رآه مصلحةً وصواباً يقتل من يؤذى جنسه^(٢) ، ويمنعُ المنفعةَ مما أباح اللهُ .

ألا ترى أن هذا النبي كان نازلاً تحتَ الشجرة ، فلما آذته النملةُ تمول برجله عنها مخافةً تكرار الأذى عليه . وليس فيما أوحى اللهُ إليه ما يوجبُ معصيةً ؛ بل ندبهُ إلى احتمالِ الصبرِ وتركِ التشفي^(٣) ؛ كما قال تعالى^(٤) : ﴿ وَلئن صبرتمْ لهو خَيْرٌ للصَّابِرِينَ ﴾ ؛ إذ ظاهرُ فعله إنما كان لأجل أنها آذته هو في خاصته ؛ فكان انتقاماً لنفسه ، وقطعَ مضرّةً يتوقعها من بقيةِ النملِ هناك ؛ ولم يأت في كل هذا أمراً نهى عنه ، فيعصى به ، ولا نصّ فيما أوحى اللهُ إليه بذلك ، ولا بالتوبة والاستغفار منه . والله أعلم .

[فإن قيل : فما معنى قوله عليه السلام^(٥) : ما من أحدٍ إلا ألمٌ بذنبٍ أو كاد

(١) الأمة : الطائفة ، وجماعة من جنس واحد من المخلوقات .

قال الخفاجي : ففيه دليل لمن جوز على الأنبياء صدور المعاصي منهم لمعاتبه الله له في ذلك .

قال : وسبب هذه القصة أن موسى عليه السلام مر على قرية أهلك الله أهلها بذنب لهم ، فقال : يارب ، أهلكتهم وفيهم صبيان ودواب لم تذب ، وفيهم الطامع . فأراد الله أن ينبهه على ما خطر بباله ، فاشتد عليه الحر ، ونزل تحت شجرة ، فنام في ظلها ، فسلط الله عليه نملة كبيرة من النمل الذي يقال له نمل سليمان ، ففعل بها ما فعل ؛ فأوحى الله إليه بما ظاهره العتاب إرشاداً له صلى الله عليه وسلم .

(٢) جنسه : بني آدم .

(٣) التشفي : الانتقام بما يشق غيظه ويرد صدره .

(٤) سورة النحل ، آية ١٢٦

(٥) هذا الحديث رواه الإمام أحمد ، عن ابن عباس . مرفوعاً بلفظ : ما من أحد إلا وقد أخطأ أو هم بخطيئة . وسنده ضعيف . وأخرجه البزار عن ابن عمر - مرفوعاً - كما قاله السيوطي في مناهل الصفا .

إلا يحيى بن زكريا، أو كما^(١) قال النبي صلى الله عليه وسلم .
فالجوابُ عنه - كما تقدم من ذنوب الأنبياء التي وقعت عن غير قصدٍ وعن سهوٍ وغفلةٍ^(٢)] .

فصل

[معقود لدفع شبهة نشأت مما قدمه]

فإن قلت: فإذا نفيت عنهم صلوات الله عليهم الذنوب والمعاصي بما ذكرته من اختلاف المفسرين وتأويل المحققين - فما معنى قوله تعالى^(٣): ﴿ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ﴾ ، وما تكرر في القرآن والحديث الصحيح من اعتراف الأنبياء بذنوبهم وتوبتهم واستغفارهم [٢١٩] ، وبكأنهم على ما سآف منهم ، وإشفاقهم^(٤) . وهل يُسْفِقُ وَيُتَابُ وَيُسْتَغْفَرُ مِنْ لاشيء ؟

فاعلم - وقفنا الله وإيالك - أن درجة الأنبياء في الرفعة والعلو والمعرفة بالله ، وسنته^(٥) في عبادته ، وعظم سلطانه ، وقوة بطشه^(٦) ، مما يحملهم على الخوف منه جل جلاله ، والإشفاق من المؤاخذة بما لا يؤاخذ به غيرهم ، وأنهم - في تصرفهم^(٧) بأمر لم ينهوا عنها ، ولا أمروا بها^(٨) ؛ ثم أوخذوا عليها^(٩) ، وعورثوا بسببها ،

(١) أو كما قال . . . إشارة إلى أنه وقع فيه روايات مختلفة .

(٢) قال في نسيم الرياض : ومثله لا يؤاخذ به ، ولا يلزم منه تفضيله على من عداه من الأنبياء . وما بين القوسين أمامه في ١ : من الأم بخطه ، من غير الرواية .

(٣) سورة طه ، آية ١٢١ (٤) وإشفاقهم : وخوفهم من الله تعالى .

(٥) سنته في عبادته : أى معرفتهم بعبادة الله في معاملة عبادته في سخطه ورضاه .

(٦) قوة بطشه : أخذه القوى الشديد إذا أخذ .

(٧) في تصرفهم : بأفعالهم الصادرة منهم .

(٨) لم ينهوا عنها ولا أمروا بها : لأنها أمور مباحة جائزة .

(٩) أوخذوا عليها : أى لامهم الله عليها مع أنها مباحة جائزة .

أو حذروا مِنَ الْمُؤَاخَذَةِ بِهَا^(١) ، وَأَتَوْهَا^(٢) عَلَى وَجْهِ التَّأْوِيلِ أَوْ السَّنْوِ ،
 أَوْ تَزِيدٍ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا الْمُبَاحَةِ^(٣) - خَائِفُونَ وَجِلُونَ ، وَهِيَ ذُنُوبٌ بِالْإِضَافَةِ إِلَى
 عَلِيٍّ مَنصِبِهِمْ ، وَمَعَاصٍ بِالنِّسْبَةِ إِلَى كَمَالِ طَاعَتِهِمْ ، لِأَنَّهَا كَذُنُوبٍ غَيْرِهِمْ
 وَمَعَاصِيهِمْ ؛ فَإِنَّ الذَّنْبَ مَأخُودٌ مِنَ الشَّيْءِ الَّذِي الرَّذْلُ^(٤) ، وَمِنْهُ ذَنْبٌ كُلُّ شَيْءٍ ؛
 أَى آخِرِهِ . وَأَذْنَابُ النَّاسِ رُذَالُهُمْ^(٥) ، فَكَمَا أَنَّ هَذِهِ أَذْنَى أَفْعَالِهِمْ ، وَأَسْوَأُ مَا يَجْرَى
 مِنْ أَحْوَالِهِمْ لِتَطْهِيرِهِمْ وَتَنْزِيهِهِمْ ، وَعِمَارَةِ بَوَاطِنِهِمْ وَظَوَاهِرِهِمْ بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ ،
 وَالسَّكَمِ الطَّيِّبِ ، وَالذِّكْرِ الظَّاهِرِ وَالْحَقِيقِ^(٦) ، وَالخَشْيَةِ لِلَّهِ ، وَإِعْظَامِهِ فِي السِّرِّ
 وَالْعَلَانِيَةِ ، وَغَيْرِهِمْ يَتَلَوَّثُ^(٧) مِنَ السَّكْبَائِرِ وَالْقُبَائِحِ وَالْفَوَاحِشِ^(٨) مَا تَسْكُونُ
 بِالْإِضَافَةِ إِلَيْهِ^(٩) هَذِهِ الْمَهَنَاتُ فِي حَقِّهِ كَالْحَسَنَاتِ ، كَمَا قِيلَ : حَسَنَاتُ الْأَبْرَارِ سَيِّئَاتُ
 الْمُقْرَبِينَ^(١٠) ، أَى يَرَوْنَهَا بِالْإِضَافَةِ إِلَى عَلِيٍّ أَحْوَالِهِمْ كَالسَيِّئَاتِ .

- (١) مِنَ الْمُؤَاخَذَةِ بِهَا : أَى أَنْ يَجَازِبَهُمُ اللَّهُ عَلَيْهَا ؛ كَأَخْذِهِ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ —
 الْفَدْيَةَ مِنْ أَسْرَى بَدْرٍ ، وَإِذْنَهُ لِمَنْ تَخَلَّفَ عَنِ النَّزْوِ — وَهُوَ أَمْرٌ جَائِزٌ ، لَسَكَنَهُ تَرَكَ فِيهِ
 الْأُولَى نَظْرًا لِمَا فِيهِ مِنَ الْفَائِدَةِ ، لِلْمُسْلِمِينَ وَالتَّيْسِيرِ عَلَى الْأُمَّةِ . (٢) وَأَتَوْهَا : فَعَلَوْهَا .
 (٣) أَوْ تَزِيدٍ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا الْمُبَاحَةِ : زِيَادَةٌ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا ، كَطَلْبِ سَلِيمَانَ أَنْ تَحْمَلَ
 جَمِيعَ نَسَائِهِ بِفَرَسَانٍ تَجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ . وَطَلْبِ زِيَادَةَ مَبَاحَةِ لِأَضْرَرِ فِيهِ .
 (٤) الَّذِي : الْحَسِيسِ . الرَّذْلُ : الرَّدَىءُ الْمَحْقَرُ . (٥) رُذَالُهُمْ : أَرْدَالُهُمْ .
 (٦) وَالذِّكْرُ الظَّاهِرُ : أَى ذَكَرَ اللَّهُ جَهْرًا . وَالْحَقِيقُ : بِذِكْرِهِ سِرًّا ، وَجَمَلُهُ دَائِمًا مُرَاقِبًا
 مَلَا حَظًا فِي قُلُوبِهِمْ . (٧) يَتَلَوَّثُ : يَتَدَنَسُ .
 (٨) مِنَ السَّكْبَائِرِ : أَى كِبَائِرُ الذُّنُوبِ . وَالْقُبَائِحُ : مَا يَمْتَقِحُ شَرْعًا مِنَ الذُّنُوبِ كِبَائِرُهَا
 وَصَنَائِرُهَا . وَالْفَوَاحِشُ : مَا زَادَ قَبْحَهُ . وَقَدْ يَرَادُ بِالْفَاحِشَةِ : الزُّنَا وَنَحْوَهُ .
 (٩) هَذِهِ الْأُمُورُ الَّتِي صَدَرَتْ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ؛ وَالْمَهَنَاتُ : جَمْعُ هِنَةٍ ، وَهِيَ
 الْعَثْرَاتُ وَالزَّلَّاتُ ؛ أَى غَيْرُ الْأَنْبِيَاءِ مَتَلَوَّثُ مِنْ أُمُورِهِمْ بِالْإِضَافَةِ لِمَا عَدَّ ذُنُوبًا مِنْهُمْ
 كَالْحَسَنَةِ لِتَغْيِيرِهِمْ .
 (١٠) الْأَبْرَارُ : أَتْقِيَاءُ الْأُمَّةِ . الْمُقْرَبِينَ إِلَى اللَّهِ هُمُ الْأَنْبِيَاءُ وَخَلَصَ الْأَوْلِيَاءُ . وَهَذَا لَيْسَ
 حَدِيثًا وَإِنَّمَا هُوَ مِنْ كَلَامِ أَبِي سَمِيدِ النَّخْرَازِيِّ مِنْ كِبَارِ مَشَايِخِ الصُّوفِيَّةِ .

وكذلك المصيان الترك والمخالفة^(١)؛ فعلى ممتضى اللفظة كيفما كانت من سهو أو تأويل فهي مخالفة وترك^(٢).

وقوله تعالى: «غوى»؛ أي جهل أن تلك الشجرة هي التي نهي عنها؛
والنهي: الجهل.

وقيل: أخطأ ما طلب من الخلود^(٣)؛ إذ أكلها وخابت أمنيته.

وهذا يوسف عليه السلام قد أخذ بقوله لأحد صاحبي السجن: ﴿اذكرني
عند ربك^(٤)، فأنساه الشيطان ذكرك ربّ فلبث في السجن بضع سنين﴾.

قيل: أنسى يوسف ذكرك الله.

وقيل: أنسى صاحبه أن يذكره لسيده الملك؛ قال النبي صلى الله عليه
وسلم^(٥): لولا كلمة يوسف ما لبث في السجن ما لبث.

قال ابن^(٦) دينار: لما قال ذلك يوسف قيل له: اتخذت من دوني وكيلا^(٧)؛

(١) المصيان: الذي اتصف به بعض المقرّبين، كما في قوله تعالى: وعصى آدم ربه فغوى:

الترك والمخالفة لأمر سواء كان واجبا أم لا.

(٢) مخالفة وترك: وإن لم تكن معصية شرعية مذمومة عقلا وشرعا؛ لأنها مغفوة

مغفورة غير مؤاخذ بها كل أحد؛ فليس كل عاص آثما؛ وترك الطاعة أعم من فعل المعصية.

(٣) من الخلود: أي دوام البقاء.

(٤) اذكرني عند ربك: صف له قصتي، وأخبره بحالي فيخلصني من هذه الورطة.

والمراد بربه الملك. سورة يوسف، آية ٤٢

(٥) في حديث رواه ابن جرير، والطبراني، عن ابن عباس، وابن مردويه، عن أبي هريرة،

وأبو الشيخ عن أبي الحسن مرسلا، وكذا عن عكرمة؛ فهو حديث صحيح. تفسير الطبري:

١٦ - ١١٢

(٦) ابن دينار: اسمه محمد بن إبراهيم، أبو يحيى البصرى، أحد الأعلام، الزاهد الثقة.

وهذا رواه الإمام البغوي عنه في تفسيره. وأخرجه ابن أبي حاتم عن أنس - مرفوعا.

(٧) وكيلا: من تسكل إليه أمرك، وتمتد عليه في خلاصك.

لَا طِيلَنَّ حَبْسُكَ . فقال : يَا رَبِّ ، أَنَسَى قَلْبِي كَثْرَةَ الْبَلْوَى ^(١) .
 وقال بعضهم : يُوَاخِذُ الْأَنْبِيَاءَ بِمَثَاقِيلِ الذَّرِّ ^(٢) ، لمكانتهم عنده ، ويجاوزُ
 عن سائرِ أَخْلَاقِ لِقَلَّةِ مُبَالَاتِهِ بِهِمْ فِي أَعْصَافِ مَا أَنْوَأَ بِهِ مِنْ سُوءِ الْأَدَبِ ^(٣) .
 وقد قال المحتجُّ للفرقة الأولى ^(٤) على سِيَّاقِ مَا قُلْنَا : إِذَا كَانَ الْأَنْبِيَاءُ
 يُوَاخِذُونَ بِهَذَا مِمَّا لَا يُوَاخِذُ بِهِ غَيْرُهُمْ مِنَ السَّهْوِ وَالنَّسْيَانِ ، وَمَا ذَكَرْتَهُ ^(٥) ،
 وَحَالَهُمْ أَرْفَعُ فَحَالَهُمْ إِذَا فِي هَذَا أَسْوَأَ حَالًا مِنْ غَيْرِهِمْ ^(٦) .
 فاعلم - أكرمك الله - أَنَّا لَا نُثَبِّتُ لَكَ الْمُواخَاذَةَ فِي هَذَا عَلَى حَدِّ مُوَاخَاذَةِ
 غَيْرِهِمْ ؛ بَلْ نَقُولُ : لِأَنَّهُمْ يُوَاخِذُونَ بِذَلِكَ فِي الدُّنْيَا ، لِيَكُونَ ذَلِكَ زِيَادَةً فِي دَرَجَاتِهِمْ ؛

-
- (١) قال في نسيم الرياض : فهذا ذنب عد عليه ، وعوقب به ، مع أنه ليس بمصيبة شرعية ،
 لكن على مقامه يقتضى ألا يذكر في الشدة غير الله ، ولا يعول على مخلوق .
 (٢) بمثاقيل الذر : المثاقيل : جمع مثقال ، وهو وزن كل شيء ومقداره . والذر : جمع
 ذرة ؛ وهي أصغر النمل ، ويقال للهباء الذي يرى في شعاع الشمس . ولا وزن له أصلاً ؛ فهو
 مبالغة في الخفة والقلة .
 (٣) من سوء الأدب في حق خالقهم المتفضل عليهم بالنعم الجليلة التي حقها أن تقابل بطاعته
 وشكره ، فعصوه وارتكبوا ما لا ينبغي من المعاصي .
 (٤) للفرقة الأولى : القائلة بأن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام معصومون من جميع الذنوب
 وأن السهو والنسيان لا يواخذون به كغيرهم .
 (٥) وما ذكرته من الأمور المباحة لهم .
 (٦) أسوأ من غيرهم عند الله تعالى ، لكثرة مواخذتهم به وتشديده عليهم فيما لم يشدد
 به على غيرهم .

وهذا من سوء الفهم ؛ لتوهم قائله أن الأعظم عند ربه لا يواخذ بترك الأولى ؛ وليس
 كذلك ؛ فإن ذلك لحكمة ، وإلى جواب هذه الشبهة وبيان الحكمة فيها أشار بقوله : فاعلم
 أيها السائل

ويُبتلون بذلك ، ليكون استعمارهم له سببا لِمَنَاءٍ^(١) رُتِبِهِمْ ، كما قال^(٢) : ﴿ نَمَّ
 اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى ﴾ . وقال [٢٢٠] لداود^(٣) : ﴿ ففقرنا له ذلك وإنَّ له
 عندنا لزلزنى وَحُسْنَ مآبٍ ﴾ .

وقال - بعد قول موسى : ﴿ تَبَّتْ إِيَّكَ^(٤) ﴾ : ﴿ إِنِّي^(٥) اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ ﴾ .
 وقال - بعد ذِكْرِ فَتْنَةِ سُلَيْمَانَ وَإِنَابَتِهِ^(٦) : ﴿ فسخرنا له الريحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً
 حيث أصاب . والشياطينَ كلَّ بناءٍ وَغَوَّاصٍ . وَآخِرِينَ مَقَرَّينَ فِي الْأَصْفَادِ . هذا
 عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ . وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مآبٍ ﴾ .
 وقال بعضُ المتكلمين : زَلَّاتُ الْأَنْبِيَاءِ فِي الظَّاهِرِ زَلَّاتٌ ، وَفِي الْحَقِيقَةِ كَرَامَاتٌ
 وَزُلْفٌ^(٧) ؛ وَأشار إلى نحوٍ مما قدَّمناه .

وأيضا فليُنَبِّهْ غيرهم مِنَ الْبَشَرِ مِنْهُمْ^(٨) ، أَوْ يَمُنْ لَيْسَ فِي دَرَجَتِهِمْ^(٩) بِمَوْأَخِذَتِهِمْ

-
- (١) ويبتلون بذلك : بالمؤاخذة به في الدنيا على قدر مراتبهم عنده . والاستعمار :
 طلب الشعور ، والمراد به مقاساته . مناء : نمو ، وزيادة .
- (٢) سورة طه آية ١٢٢ . اجتياه . اصطفاه وقربه بإعلاء رتبته عنده . تاب عليه وهدى :
 قبل توبته ، وأرشده إلى الاعتذار عما صدر منه .
- (٣) سورة ص ، آية ٣٥ . ذلك : ما صدر منه في خطبة امرأة أوريا .
- (٤) سورة الأعراف ، آية ١٤٣ . تبت إليك : من سؤال رؤيتك في الدنيا .
- (٥) سورة الأعراف ، آية ١٤٤ (٦) سورة ص ، آية ٣٦ — ٤٠
- قال الخفاجي : فترتبه على ذلك ما عدده من النعم يقتضى أن الفتنة التي أناب منها ليست
 معصية ؛ لأنها لو كانت كذلك لم يترتب عليها ذلك .
- وقوله : « زلنى » ؛ أى قرب من الله تعالى . وحسن مآب : بمرجه للجنة . وهذا كله
 زيادة في درجاته ومناء لرتبته عند ربه كما لا يخفى .
- (٧) زلات : جمع زلة ؛ من زل ، إذا سقط ، أى ما عد زلة وذنبا وإن لم يكن كذلك .
 كرامات : أكرمهم الله تعالى بها ، لأنه ابتلام بها ليثيبهم عليها . وزلف : جمع زلفة ،
 أى قرب من الله بإعلاء مقاماتهم عنده . (٨) منهم : من الأنبياء المذكورين .
 (٩) ممن ليس في درجتهم : من الأتقياء الذين ليسوا بأنبياء .

بذلك ، فيستشعروا الحذر ؛ ويعتقدوا المحاسبة^(١) ليلتزموا الشكر على النعم ،
وبعدوا الصبر على المحن^(٢) بملاحظة ما وقع بأهل هذا النصاب الرفيع المصوم^(٣) ؛
فكيف بمن سواهم^(٤) ؛ ولهذا قال صالح المرئي : ذكركم داود بسطة للتوايين^(٥) .
قال ابن عطاء^(٦) : لم يكن ما نص الله تعالى عليه من قضية صاحب الحوت^(٧)
تقصّاه ، ولكن استزادة من نبينا صلى الله عليه وسلم^(٨) .
وأياضا فيقال لهم^(٩) : فإنكم ومن وافقكم تقولون بفقران الصغائر
باجتناب الكبائر^(١٠) .

-
- (١) ويعتقدوا المحاسبة على ذلك ؛ لأن مؤاخذة غير الأنبياء تقتضى مؤاخذتهم بالطريق
الأولى ؛ وإن كان ما ارتكبه مباحا ، لكنه خلاف الأولى .
- (٢) ويمعدوا : يحضروا ويهيئوا الصبر ؛ ليستعينوا به على المحن ؛ والمحن : جمع عنة ؛ وهى
البلية التى يمتحن الله بها صبره ورضاه ؛ ويتذكر ما فى الصبر من الثواب ؛ لقوله تعالى : « إنما
يوفي الصابرون أجرهم بغير حساب » .
- (٣) النصاب : اللقار الرفيع من الأنبياء . المصوم : المحفوظ من الذنوب .
- (٤) بمن سواهم : من الأنبياء ؛ فإذا وقع اللوم لهم فيه ؛ فغيرهم بالطريق الأولى ، لأنهم
من خلص عباد الله الذين يمتد بهم .
- (٥) بسطة للتوايين : توسعة لمن يتوب ويكثر التوبة والاستغفار ، لينبها على فضلها . أو
تسلية وسبب انبساط للذين لينتهيوا للتوبة ، ولا يياسوا من الرحمة .
- (٦) ابن عطاء : هو أبو العباس محمد بن سهل بن عطاء الإربلى شيخ الصوفية ، وله فى
فهم القرآن لسان اختص به . توفي سنة تسع أو إحدى عشرة وأربعمائة .
- (٧) صاحب الحوت : يونس .
- (٨) استزادة من نبينا : أى طلبا منه أن يزيد صبره على قومه .
- (٩) فيقال لهم : فى الجواب عما ادعوه من تجويز الصغائر على الأنبياء .
- (١٠) باجتناب الكبائر : أى بسبب تركها ، كما ذهب إليه كثير من أهل السنة تمسكا بظاهر
قوله تعالى : إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم . وذهب كثيرون إلى أنها
مقيدة بالشيئة كغيرها ؛ لقوله تعالى : « ويفر مادون ذلك لمن يشاء » .

ولا خِلافَ في عِصْمَةِ الأنبياء من الكبائر ، فما جَوَزْتُمْ من وقوع الصغار عليهم هي مغفورة على هذا ، فما معنى المؤاخذة بها^(١) إذاً عندكم وخوف الأنبياء وتَوَبَّتْهم منها ، وهي مغفورة لو كانت ؟

فما أجابوا به فهو جواباً عن المؤاخذة بأفعال السهو والتأويل^(٢) .

وقد قيل : إن كثرة استغفار النبي صلى الله عليه وسلم وتوبته وغيره من الأنبياء على وجه ملازمة الخضوع والعبودية^(٣) ، والاعتراف بالتقصير ، شكراً لله عَلَى نِعْمته ؛ كما قال - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وقد أَمِنَ من المؤاخذة بما تقدم وتأخر : « أَفَلَا أكونُ عبداً شكوراً^(٥) » وقال : « إني أخشاكم لله ، وأعلمكم بما أتقى^(٦) » .

(١) بها : بالصنائير .

(٢) بأفعال السهو والتأويل؛ أى بما فعلوه سهواً ونسياناً . والتأويل : أى بما فعلوه لتأويلهم الأوامر والنواهي الواردة فيه ، وارجع إلى شرح القارى (٢ - ٣١١) ، ففيه أحكام هامة في هذا الموضوع .

(٣) ملازمة الخضوع والعبودية ، ولو ازهدما من المسكنة والخشوع .

(٤) قال النبي ذلك في الحديث للشهور الذي فيه أنه أكثر من قيام الليل حتى تورمت قدماء ، فقيل له : أتفعل هذا بإرسول الله وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ! فقال : أفلا أكون عبداً شكوراً .

والحديث في الصحيحين عن المنيرة بن شعبة .

(٥) عبداً شكوراً : كثير الشكر مبالفاً فيه ، لعظم نعمه وكثرتها على ؛ وهو من حديث في صحيح البخارى : ٢ - ٦٠ .

(٦) في حديث رواه البخارى ، والخشية : الخوف مع اللهاية للمظنة . وصحيح

مسلم : ٧٨١

قال الخفاجى : ومن علم مايتقى وجزاءه ، وعظمة من يخشاه ، كان أبمد منه وأحذر .

قال الحارثُ بن أسد^(١) : خوفُ الملائكةِ والأنبياءِ خوفُ إعظامِ وتعبدِ اللهِ ؛ لأنهم آمنون^(٢) .

وقيل : فعلوا ذلك^(٣) ليقتدى بهم ، وتستن بهم أمهم^(٤) ، كما قال صلى اللهُ عليه وسلم : « لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا^(٥) » .

وأبضا فإن في التوبة والاستغفار معنى آخرَ لطيفا أشار إليه بعضُ العلماء ، وهو استدعاءُ محبةِ اللهِ^(٦) ، قال اللهُ تعالى^(٧) : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ .

فإحداثُ الرسلِ والأنبياءِ الاستغفارَ والتوبةَ والإنابةَ والأوبةَ^(٨) في كلِّ

(١) هو المشهور بالمحاسبي ؛ لسكثرة ما كان يحاسب نفسه ، ولزهده . توفي سنة ثلاث وأربعين ومائتين .

(٢) خوف إعظام : أى إجلالا وتعظيما لله . وتعبد لله : أى يقصدون به العبادة . آمنون : من الله لإخباره لهم برضاه عنهم ، وأنه يعطيهم في الدنيا وفي الآخرة من نعمه ما لا عين رأت ولا أذن سمعت .

(٣) وتستن بهم أمهم : يتخذون ذلك سنة وعادة .

(٤) قال في نسيم الرياض : فمن علم أن الموت مودده ، والقيامه موعده ، والوقوف بين يدي الله مشهده ، فحقه أن يطول حزنه ويبكى على نفسه .

وهذا من حديث أخرجه الشيخان . وهو في صحيح البخارى : ٦ - ٦٨ ، وصحيح

مسلم : ١٨٣٢

(٦) استدعاء محبة الله : أى طلب أن يزيد الله رضاه عنهم ومحبته لهم ؛ لما ورد في الحديث : إن الله يفرح بتوبة عبده المؤمن . والفرح فى حقه بمعنى الرضا عنه وإنعامه عليه ، وتوبة الأنبياء عليهم السلام مما صدر منهم من ترك الأولى ، ولما يخطر بقلوبهم من أنهم لم يؤدوا عبادته حقا ، فإذا فعلوا ذلك مع ما هم عليه من الجاهدة زادت نعمه عليهم .

(٧) سورة البقرة ، آية ٢٢٢ . التوابين : المكترين من قولهم : أتوب إليك ؛ وإن لم

يكن لهم ذنب ، هضمنا لأنفسهم ، لتوهمهم التقصير .

(٨) أى إرجاع أمورهم إلى الله تعالى .

حين - استدعاء لمحبة الله ! والاستغفار فيه معنى التوبة ، وقد قال الله لتب إليه - بعد أن غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر^(١) : ﴿ لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ﴾ .

وقال تعالى^(٢) : ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْ لَهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴾ .

فصل

قد استبان لك أيها الناظر بما قررناه ، ما هو الحق من عصمته صلى الله عليه وسلم عن الجهل بالله وصفاته^(٣) ، وكونه على حالة تنافي العلم بشيء من ذلك كله جملة بعد النبوة عقلاً وإجماعاً^(٤) ، وقبلها^(٥) سمعاً ونقلًا ، ولا بشيء مما قرره من أمور الشرع^(٦) ، وأداه عن ربه من الوحي قطعاً عقلاً وشرعاً^(٧) ، وعصمته عن الكذب وخلف القول منذ نبأه الله وأرسله قصداً أو غير قصد ، واستحالة ذلك عليه شرعاً وإجماعاً ، ونظراً وبرهاناً ، وتنزيهه^(٨) عنه قبل النبوة قطعاً ؛ وتنزيهه [٢٢١] عن الكبائر إجماعاً ، وعن الصفات الحقيقية^(٩) ، وعن استدامة

(١) سورة التوبة ، آية ١١٧

(٢) سورة النصر ، آية ٣

(٣) فإن فطرته على التوحيد والعلم به وبصفاته والإقرار بذلك .

(٤) عقلاً وإجماعاً : عقلاً ؛ لاقتضاء العقل السليم له . وإجماعاً من كل المسلمين .

(٥) وقبلها : قبل النبوة . سمعاً ونقلًا ، لوروده في الأحاديث الصحيحة ، ولاتفاق أئمة

الدين على عصمته من ذلك قبلها .

(٦) من أمور الشرع الذي أوحى إليه ببليغه .

(٧) عقلاً وشرعاً ، لأنه مناف لإرساله به وأمره بتبليغه ، فكيف يجوز عليه جهل شيء

منه ! لأن الأنبياء معصومون من ذلك ، لدلالة المعجزة على علمهم وصدقهم فيما بلفوه عن الله ،

لأنه لو لم يكن كذلك كان افتراء على الله ، وهو باطل عقلاً وشرعاً .

(٨) تنزيهه : تبرئته ، وبمده .

(٩) تحقيقاً : أمراً محققاً .

السُّهُوِ وَالغَفْلَةِ ، واستمرارِ الغَلَطِ والنَّسيانِ عليه فيما شرعهُ لِلأُمَّةِ ، وعصمتهِ في كلِّ حالاته ؛ مِنْ رِضًا وَغَضَبٍ ، وَجِدِّ وَمَزْحٍ ؛ فيجب عليك أن تتلقاهُ باليمين ، وتشدَّ عليه بِدَ الضَّئِينِ^(١) ، وتقدِّرَ هذه الفصولَ حقَّ قدرِها ، وتعلمَ عظيمَ فائدتها وخطَرِها^(٢) ؛ فَإِنَّ مَنْ يجهل ما يجبُ للنبي صلى الله عليه وسلم ، أو يجوز له ، أو يستحيل عليه ، ولا يعرفُ صورَ أحكامِهِ^(٣) ، لا يَأْمَنُ أَنْ يعتقدَ في بعضها^(٤) خِلافَ ما هي عليه ، ولا يُنزِّهُهُ عما لا يجب أن يُضَافَ إليه ، فهلاكٌ مِنْ حيثُ لا يدري ، ويستقطُّ في هُوَّةِ الدَّرَكِ الأَسْفَلِ مِنَ النارِ^(٥) ؛ إِذْ ظَنَّ الباطِلَ به ؛ واعتقادهُ ما لا يجوزُ عليه يَحُلُّ بِصاحبه دارَ البَوَارِ^(٦) .

ولهذا^(٧) ما احتاط عليه السلامُ على الرَّجُلَيْنِ اللَّذَيْنِ رَأَيَاهُ لَيْلًا ، وهو معتَكِفٌ في المسجد مع صَفِيَّةَ ، فقال لها : إنها صَفِيَّةُ^(٨) . ثم قال لها : إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنَ

(١) أن تتلقاه باليمين : تأخذ وتقبل ما صدر من مشكاة صدره ، في أى حالة كانت من أمره ، بالقبول واليمين والبركة ، باليمين لأنهم لا يأخذون بها إلا ما يمتنون به : والضئین: البخيل ، أى تحرص على حفظ ما ذكر من تنزيه قدره كحرص البخيل على ما في يده لشدة بخله به وخوفه من ذهابه منه .

(٢) خطرها : شرفها ومزيتها ، وقدرها .

(٣) صور أحكامه ، أى الحكم التصور في حقه من الوجوب والجواز والحرمة .

(٤) في بعضها : في بعض هذه الصور ، أو الأحكام .

(٥) الهوة : الوهدة العميقة . الدرك : ما ينزل به إلى الأسفل من دركات النار .

(٦) يحل : ينزل . دار البوار : جهنم . والبوار : الهلاك .

(٧) ولهذا المذكور كله من عظيم قدره وخطره ووجوب اعتقاد تنزيه النبي صلى الله عليه وسلم عما ذكر ، وأن اعتقاد خلافه يهلك صاحبه ويخلده في الدرك الأسفل لما يؤدي إليه من الكفر إن أراد تنقيصه بما ذكر .

(٨) صفة : أم المؤمنين ، وكانت جارية تتحدث معه صلى الله عليه وسلم ، ثم قامت فقام

معها ليشتعها لبيتها ، فمراه وأبصره فأسرعا .

ابنِ آدمَ تجرى الدمُ ^(١)؛ وإني خشيت أن يقذف في قلوبكم شيئا فهلكا ^(٢) .
 هذه - أكرمك الله - إحدى فوائد ما تكلمنا عليه في هذه الفصول ؛ ولعلَّ
 جاهلاً لا يعلم بجمله إذا سمع شيئاً منها يرى أن الكلام فيها جملة من فضول العلم ^(٣) ،
 وأن السكوت أولى . وقد استبان لك أنه مقمّن للفائدة التي ذكرناها ^(٤) .

وفائدة ثانية يضطرُّ إليها ^(٥) في أصول الفقه ، وتبنى عليها مسائل لا تنمدُّ من
 الفقه ، يُخلَّص بها من تشغيب ^(٦) مختلفي الفقهاء في عدّة منها ؛ وهي الحكم في أقوال
 النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَفْعَالِهِ ؛ وهو بابٌ عظيم ، وأصلٌ كبير من أصول الفقه ؛
 ولا بُدَّ من بنائه على صدق النبي صلى الله عليه وسلم في إخباره وبلاغه ^(٧) ؛ وأنه

= والحديث في الصحيحين ، عن صفية بنت حيي بن الأخطب ، وكانت تحت ابن أبي الحقيق
 اليهودي ، فلما قتله النبي صلى الله عليه وسلم وأسلمت تزوجها . صحيح البخاري : ٣ - ٦٢ ،
 وصحيح مسلم : ١٧١٢

وفي الحديث أنه صلى الله عليه وسلم قال لهما لما أسرعا : طي رسلكما ، أي تمهلا ، إنها
 صفية . فقلا : سبحان الله ! تعجبا من قول النبي صلى الله عليه وسلم ما ذكر ، لظنه أنهما ظنا به
 ما لا يليق بمقامه صلى الله عليه وسلم .

(١) المراد بابن آدم الجنس ؛ فيشمل النساء . وجريانه مجرى الدم : تمثيل لشدة اتصاله
 به ولزومه له .

(٢) يقذف : يلقى ويوقع الشيطان . فهلكا : فتقما في إثم يهلككما الله به بما يحل بكما
 من العقوبة على ذلك الذنب .

فقد خشى النبي صلى الله عليه وسلم عليهما أن ينويهما الشيطان فيلقى في قلوبهما سوء الظن
 به ، وأنه يتكلم مع أجنبية فيؤديهما ذلك إلى تنقيصه صلى الله عليه وسلم ، وهو كفر
 يستحقان به دخول النار ، فهلكان ، فبادر لإعلامهما بما ينقذها من الهلاك .

(٣) فضول العلم : زوائده .

(٤) التي ذكرناها ، وهي أن فيها النجاة من الهلاك ، كما يرشدك إليه حديث صفية -

(٥) يضطر إليها : تحتاج إليها احتياجا شديدا ، لأنها من ضرورات الدين .

(٦) تشغيب : أصل التشغيب تهيبج الشر والسيح في الخصومة .

(٧) وبلاغه : ما يبلغه لأمته ، ومن بعث لهدايته وإرشاده .

لا يجوز عليه السَّهْوُ فيه ، وعِصْمَتُهُ من المخالفة في أفعاله عمداً ؛ وبِحَسَبِ اختلافهم في وقوع الصَّغَائِرِ وَقَع خلافٌ في امتثال الفعلِ ، بسَطُ بيانه في كتب ذلك ^(١) العلم ؛ فلا نظوَّل به .

وفائدةُ ثالثةٌ يحتاجُ إليها الحاكم والمفتي فيمن أضاف إلى النبي صَلَّى اللهُ عليه وسلم شيئاً من هذه الأمور ، ووصفه بها ؛ فمن لم يَعْرِفْ ما يجوزُ وما يمتنعُ عليه ، وما وقع الإجماعُ فيه والخلاف ، كيف يصمُّ في النُّتْيَا في ذلك ^(٢) ؛ ومن أين يدري ؟ هل ما قاله فيه نقصٌ أو مدحٌ ؛ فإمّا أن يجترى ، على سَفَكِ دَمِ مُسْلِمٍ حَرَامٍ ، أو يُسْتَطِ حَقّاً ، أو يُضَيِّعُ حرمةً للنبي صَلَّى اللهُ عليه وسلم ^(٣) .

ولسبيل هذا ما قد اختلف أربابُ الأصولِ وأئمةُ العلماءِ والمحققين في عصمة الملائكة ^(٤) .

فصل

في القول في عصمة الملائكة

أجمع المسلمون على أن الملائكة مؤمنون فضلاء ^(٥) ؛ واتفق أئمةُ المسلمين أن حُكْمَ

(١) في كتب ذلك العلم : يعني كتب الفقه وأصوله .

(٢) يصم في الفتيا : يجزم ، أو يعزم . في ذلك : في أمر الأنبياء عليهم السلام ، وفيما يجب لهم ، أو يجوز ويمتنع إذا رفع السؤال إليه .

(٣) قال الخفاجي : فلا يجوز لمسلم أن ينسب لنبينا صلى الله عليه وسلم وغيره من الأنبياء أمراً ينافي عصمتهم عمداً وسهواً قبل النبوة وبعدها ؛ وهو الذي ارتضاه كثير من أئمة الدين وأهل الأصول .

(٤) في عصمة الملائكة ؛ لأنهم لا يمضون الله ما أمرهم ولا يفعلون إلا ما يؤمرون به ؛ فهم مثلهم في جريان الخلاف فيما هو لازم لهم ، والصحيح والصواب فيه .

(٥) مؤمنون بالله ورسوله وشرائعهم . فضلاء : ذوو قدر معظم مبجل .

المرسلين^(١) منهم حُكْمُ النَّبِيِّينَ سِوَا فِي الْعِصْمَةِ مِمَّا ذَكَرْنَا عِصْمَتِهِمْ مِنْهُ ، وَأَنَّهُمْ فِي حَقِّقِ الْأَنْبِيَاءِ وَالتَّبْلِيغِ إِلَيْهِمْ كَالْأَنْبِيَاءِ مَعَ^(٢) الْأُمَّمِ .

وَاحْتَلَفُوا فِي غَيْرِ الْمُرْسَلِينَ مِنْهُمْ ؛ فَذَهَبَتْ طَائِفَةٌ إِلَى عِصْمَةِ جَمِيعِهِمْ عَنِ الْمَعَاصِي ؛ وَاحْتَجُّوا بِقَوْلِهِ تَعَالَى^(٣) : ﴿ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ . وَبِقَوْلِهِ^(٤) :

﴿ وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ . وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ ﴾ . [٢٢٢]

وَبِقَوْلِهِ^(٥) : ﴿ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ . يُسَبِّحُونَ

الَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴾ . وَبِقَوْلِهِ^(٦) : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ

عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْبَحُونَهُ وَهُمْ لَا يَسْجُدُونَ ﴾ . وَبِقَوْلِهِ^(٧) : ﴿ كِرَامٌ بَرَرَةٌ ﴾ وَ^(٨) ﴿ لَا يَمَسُّهُ

إِلَّا الْمَطَهَّرُونَ ﴾ ؛ وَنَحْوَهُ مِنَ السَّمْعِيَّاتِ .

(١) فِي نَسْمِ الرِّيَاضِ : قَالَ الْوَاحِدِيُّ : لِلْمَلَائِكَةِ مِنْهُمْ رَسُلٌ كَجِبْرِيْلَ وَإِسْرَافِيْلَ وَمِيكَائِيْلَ وَعِزْرَائِيْلَ ، وَمِنْهُمْ غَيْرُ رَسُلٍ . وَقَالَ بَعْضُهُمْ : كُلُّهُمْ رَسُلٌ ، أُرْسِلَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ، وَبَعْضُهُمْ إِلَى النَّاسِ . وَالْمَصْنَفُ تَبِعَ ، فَمَا قَالَهُ ، الْوَاحِدِيُّ . وَهُوَ الشُّهُورُ .

(٢) فِي حَقِّقِ الْأَنْبِيَاءِ . . . : مِنْ حَيْثُ الْوَاسِطَةُ بَيْنَ اللَّهِ تَعَالَى وَبَيْنَهُمْ ، وَالتَّبْلِيغُ إِلَيْهِمْ فِيمَا أَمَرَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يَلْبِغُوهُمُ إِلَيْهِمْ مِنَ الْوَحْيِ ؛ فَخَالَهُمْ مَعَهُمُ كَالْأَنْبِيَاءِ فِي تَبْلِيغِ الْأَحْكَامِ إِلَيْهِمْ وَبَيَانِ الْمَصَالِحِ لَهُمْ حَسَبِ أَمْرِهِمُ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ . وَالْمُرَادُ بِعِصْمَتِهِمْ أَنَّهُمْ لَا يَخَالِفُونَ أَمْرَ رَبِّهِمْ .

(٣) سُورَةُ التَّحْرِيمِ ، آيَةُ ٦

(٤) سُورَةُ الصَّافَاتِ ، آيَةُ ١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٦٦ - الصَّافُونَ : الْوَاقِفُونَ صِفَوْفًا كَصِفْوَفِ

الصَّلَاةِ فِي الْمَقَامِ الْمَعِينِ لَنَا ، الْمُسَبِّحُونَ : الْمَلَايِمَةُ لِتَقْدِيسِ اللَّهِ تَعَالَى وَتَنْزِيهِهِ عَمَّا لَا يَلِيْقُ بِشَأْنِهِ .

(٥) سُورَةُ الْأَنْبِيَاءِ ، آيَةُ ١٩ ، ٢٠ . وَمَنْ عِنْدَهُ : الْمَلَائِكَةُ الْمُقْرَبُونَ مَسْكَنَةً لَا مَسْكَانًا . لَا يَسْتَحْسِرُونَ : لَا يَتَجَبَّرُونَ وَلَا يَمْلُونَ مِنَ الْعِبَادَةِ الَّتِي أَمَرُوا بِهَا .

(٦) سُورَةُ الْأَعْرَافِ ، آيَةُ ٢٠٦

(٧) سُورَةُ عَبَسَ ، آيَةُ ١٦ . وَهُمْ الْكِرَامُ الْكَاتِبُونَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ . وَالْبَرَّةُ : جَمْعُ بَارٍ ، وَهُوَ الْمَطِيْعُ رَبَّهُ .

(٨) سُورَةُ الْوَاقِعَةِ ، آيَةُ ٧٩ . قَالَ الْحَفَّاجِيُّ : وَهَذَا عَلَى أَنْ الْمُرَادُ بِهِ : لَا يَمَسُّ الْقُرْآنَ =

وذهبت طائفة إلى أن هذا خصوصُ للرُّسَلِين منهم والمُقرَّبِين . واحتجوا بأشياء ذكرها أهلُ الأخبارِ والتفاسير ، نحنُ نذكرها إن شاء الله بعدُ ؛ ونُبِّينُ الوجَهَ فيها إن شاء الله .

والصوابُ عِصْمَةُ جَمِيعِهِمْ ، وَتَنْزِيَهُ نِصَابِهِمْ^(١) الرَفِيعُ عن جَمِيعِ ما يَحِطُّ من رُتْبَتِهِمْ وَمَنْزِلَتِهِمْ عن جَلِيلِ مِقْدَارِهِمْ .

ورأيتُ بعضَ شيوخنا أشارَ أن لاجِةً بالفقيهِ إلى الكلامِ في عِصْمَتِهِمْ ؛ وأنا أقولُ : إنَّ للكلامِ في ذلك ما للكلامِ في عِصْمَةِ الأنبياءِ من الفوائد التي ذكرناها ، سِوَى فائِدَةِ الكلامِ في الأقوالِ والأفعالِ ، فهي ساقطةٌ هاهنا^(٢) .

فما احتجَّ به مَنْ لم يُوجِبْ عِصْمَةَ جَمِيعِهِمْ قصةَ هاروتَ وما رُوتَ^(٣) ، وما ذَكَرَ فيها أهلُ الأخبارِ وَنَقَلَهُ المفسِّرِينَ ؛ وما رُوِيَ عن عليٍّ وابنِ عباسٍ في خَبَرِها وابتلائِهما^(٤) .

فاعلمْ - أكرمك الله - أن هذه الأخبارَ لم يُروَ منها شيءٌ لاسقيم^(٥) ولا صحيحٌ

= في اللوح المحفوظ أو في غيره إلا الملائكة المطهرون من الأكدار الجسمانية والملائق البشرية . وقد نسر أيضا بأنه لا يجوز أن يمسه من الناس إلا من تطهر من الحدث . أو لا يمسه الكفرة لنجاسة كفرهم . قال الحفاجي : ولا شاهد فيه على هذا .

(١) نصابهم : كمال مقامهم ؛ أي تبرئة ساحة منصبهم وقدرهم الرفيع عند ربهم .

(٢) ساقطة هنا : أي في حق الملائكة لعدم اطلاعنا على أقوالهم وأفعالهم ؛ ولسنا مكلفين

بإتباعهم فيها كالأنبياء .

(٣) علمان للمكئين .

(٤) وابتلائها : بمحبة المرأة وعقابها على ما فعلها ، وما وقع من السحر فتنة للناس . وارجع

في شأن هذين إلى تفسير ابن كثير : ١ - ١٩٨ ، والسند : ٩ - ٣٥ (بتحقيق الشيخ أحمد

شاکر) ، وتفسير القرطبي : ٢ - ٥٤

(٥) سقيم : ضئيف .

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وليس ^(١) هو شيئا يؤخذ بقياس .
والذي منه في القرآن ^(٢) اختلف المُفسِّرونَ في معناه ؛ وأنكر ما قال بعضهم فيه كثير
من السلف كما سند كره . وهذه الأخبارُ من كتب اليهودِ واقتراهم ^(٣) ، كما نصَّه الله

(١) وليس هو؛ أى ماتضمنته قصتها . يؤخذ بقياس : يستنبط بقياس ؛ أى ليس مما جرى
فيه القياس على غيره ، مما ورد من الآيات والأحاديث الصحيحة ؛ فلا يبنى الحوض فيه نيبا
أو إثباتا .

قال في نسيم الرياض : وهذا الذى ذكره من أنه لم يرد فيه حديث ضيف ولا صحيح
ردوه - كما نقله السيوطى فى مناهل الصفا فى تخرىج أحاديث الشفا - بأنه ورد من طرق كثيرة ؛
منها ما فى مسند أحمد ، عن ابن عمر رضى الله عنها - مرفوعا ؛ ورواه ابن جبان ، والبيهقى ،
وابن جرير ؛ وابن حميد فى مسنده ، وابن أبى الدنيا وغيرهم من طرق عديدة .

وقال ابن حجر فى شرح البخارى : إن له طرقا تفيد العلم بصحته . وكذا فى حواشى
البرهان الحلبى ، وذكره مسندا عن ابن عمر رضى الله عنها - أنه سمعه صلى الله عليه وسلم
يقول : لما أهبط الله تعالى آدم إلى الأرض قالت الملائكة : أتجعل فيها من يفسد فيها ! وقالوا
ربنا نحن أطوع لك من بنى آدم . فقال الله تعالى : هلما بملكين يهبطان الأرض . قالوا :
ربنا هاروت وماروت . فأهبطا ، فتمثلت لهما الزهرة - امرأة حسنة من البشر ؛ فراوداها عن
نفسها ، فقالت : لا ، والله ، حتى تتكلمأ بهذه الكلمة من الشرك ، فأبيا . فذهبت وأنت
بأبن جار لها تحمله ، فراوداها . فقالت : لا ، حتى تقتلا هذا الصبي ؛ فقالا : لا . ثم راوداها
مرة أخرى ، فأنت بقدح خمر ، فقالت : لا ، حتى تشرباه . فشربا وسكرا ، فتكلما بكلمة الكفر ،
وقتلا الصبي ، فخيرهما الله تعالى بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة ، فاختارا عذاب الدنيا ؛
فعلقا بين السماء والأرض . قال الخفاجى : وقد جمع السيوطى طرق هذا الحديث فى تأليف
مستقل فبلغت نيفا وعشرين طريقا .

(٢) فى القرآن : قوله تعالى : « واتبعوا ماتتوا الشياطين على ملك سليمان ، وما كفر سليمان
ولكن الشياطين كفرا يملون الناس السحر ، وما أنزل على الملكين يابيل هاروت وماروت
وما يملان من أحد حتى يقولوا إنما نحن فتنة فلا تكفر » - سورة البقرة ، آية ١٠٢

(٣) هذه الأخبار التى ذكرها بعض المفسرين منقولة من كتب اليهود فى الإسرائيليات
واقتراهم وكذبهم على أنبياء الله تعالى وملائكته .

أول الآيات من افتراءهم بذلك على سليمان وتكفيرهم إياه ^(١) .
وقد انطوت القصة على شنع ^(٢) عظيمة . وهانحن نُحَبِّرُ في ذلك ما يكشفُ غطاء
هذه الإشكالات إن شاء الله :

فاختلِفَ أولاً في هاروت وماروت؛ هل هما مَلَكان أو إنسيان؟ وهل هما المرادُ
بالمَلَكين ^(٣) أم لا؟ وهل القراءة مَلَكين أو مَلَكين ^(٤)؟ وهل ما في قوله :
﴿ وما أنزل على المَلَكين ﴾ . ﴿ وما يعلمان من أحد ﴾ - نافية أو موجبة ؟
فأكثرُ المُفسِّرين أن الله تعالى امتحن الناس بالمَلَكين لتعليم السَّحَر وتبيينه ،
وأن عمله كُفٌّ ؛ فمن تعلمه كفر ^(٥) ، ومن تركه آمن ^(٦) ؛ قال الله تعالى ^(٧) : ﴿ إنما نحن

(١) الذي جاء في قوله تعالى : وما كفر سليمان ، ولكن الشياطين كفروا . يعلمون الناس

السحر

(٢) شنع : جمع شنعة ؛ أى قبيحة شائنة ، من شنع عليه ؛ إذا أشاع قبايح .

(٣) وهل هما المراد بالمَلَكين : يعنى في قوله تعالى : وما أنزل على المَلَكين .

(٤) ومَلَكين - بفتح اللام قراءة السبعة . ومَلَكين - بكسر اللام قراءة شاذة منقولة

عن الحسن البصرى وغيره .

قال في نسيم الرياض : وكونها مَلَكين - بفتح اللام - مذهب الجمهور ، وقراءته متواترة .
وعلى قراءة الكسر يلزم كونهما إنسيين تصوراً بصورتها الأصلية لأنه التبادر . وكونها من
الملائكة أمرهما الله تعالى بالهبوط للأرض ، والحكم بين الناس ، كما تقدم في الحديث ،
فتصورا بصورة البشر ، لقدرتها على التشكل - بعيد من دلالة اللفظ ، والاحتمال البعيد لاممول
عليه ، وإيراده هنا غير متجه . والفاصل بينهما مَلَكين - بالكسر - استدلل بظاهر حديث
روته عائشة رضی الله عنها أن امرأة قالت لها : إنها رأتهما رجلين معلقين برجليهما . وفيه
الاحتمال السابق أيضاً ؛ فالاحتجاج به غير تام .

(٥) من تعلمه وعمل به ممتقدا حله كفر ، لاعتقاد ما هو حرام إجماعاً - حلالاً .

(٦) آمن : أى دام وهو مؤمن على إيمانه؛ إذ الكافر بمجرد تركه السحر لا يصير مؤمناً .

(٧) سورة البقرة ، آية ١٠٢

فَعِنَّةٌ فَلَا تَكْفُرُ . وَتَعْلِيمُهُمَا النَّاسَ لَهُ تَعْلِيمٌ إِذْ بَارِ (١) ؛ أَيْ يَقُولَانِ لِمَنْ جَاءَ يَطْلُبُ تَعْلَمَهُ : لَا تَفْعَلُوا كَذَا : فَإِنَّهُ يُفَرِّقُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ ؛ وَلَا تَتَحَيَّلُوا (٢) بِكَذَا ؛ فَإِنَّهُ سِحْرٌ ، فَلَا تَكْفُرُوا .

فَعَلَىٰ هَذَا فِعْلُ الْمَلَائِكِينَ طَاعَةً (٣) ، وَتَصَرُّفُهُمَا فِيمَا أَمَرَ بِهِ لَيْسَ بِمَعْصِيَةٍ (٤) ؛ وَهِيَ لِغَيْرِهَا فِتْنَةٌ .

وَرَوَى ابْنُ وَهْبٍ ، عَنْ خَالِدِ بْنِ أَبِي عِمْرَانَ (٥) - أَنَّهُ ذَكَرَ عِنْدَهُ هَارُوتُ وَمَارُوتُ ، وَأَنَّهُمَا يَعْلَمَانِ السِّحْرَ ، فَقَالَ : نَحْنُ نُنَزِّهُمَا عَنْ هَذَا .

فَقَرَأَ بَعْضُهُمْ : ﴿ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَائِكِينَ ﴾ . فَقَالَ خَالِدٌ : لَمْ يَنْزَلْ عَلَيْهِمَا (٦) .

فَهَذَا خَالِدٌ عَلَى جَلَالَتِهِ وَعِلْمِهِ نَزَّهَهُمَا عَنْ تَعْلِيمِ السِّحْرِ الَّذِي قَدْ ذَكَرَ غَيْرُهُ أَنَّهَا مَا أُذِنَ لَهَا فِي تَعْلِيمِهِ بِشَرِيطَةٍ أَنْ يُبَيِّنَ أَنَّهَا كُفْرٌ ، وَأَنَّهُ امْتِحَانٌ مِنَ اللَّهِ وَابْتِلَاءٌ ؛ فَكَيْفَ لَا يُنَزِّهُمَا عَنْ كِبَائِرِ الْمَعَاصِي وَالْكَفْرِ الْمَذْكُورَةِ فِي تِلْكَ الْأَخْبَارِ .

وَقَوْلُ خَالِدٍ : [٢٢٣] لَمْ يَنْزَلْ : يَرِيدُ أَنْ « مَا » (٧) نَافِيَةٌ ؛ وَهُوَ قَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ ؛ قَالَ مَكِّيٌّ : وَتَقْدِيرُ الْكَلَامِ : وَمَا كَفَرَ سَلِيمَانُ - يَرِيدُ بِالسِّحْرِ الَّذِي افْتَعَلْتَهُ (٨)

(١) أَيْ إِنَّمَا عَلِمُوهُ لِهَمِّهِمْ لِيَعْرِفُوهُ وَيَحْذَرُوا مِنْهُ ؛ فَهُوَ إِذْ بَارِ وَتَخْوِيفٌ لَهُمْ مِنْ وَبَالِهِ .

(٢) لِاتِّحَالِهِمْ : مِنَ الْحِيلَةِ ؛ أَيْ لِاتِّبَاعِ شُرَاوِحِيلِ السَّحَرَةِ الَّتِي يَفْعَلُونَهَا مِنَ التَّمْوِيهِ وَالنَّفْثِ فِي الْمَقْدِ وَنَحْوِهِ . قَالَ الشَّهَابُ : وَرَوَى : لِاتِّخَالِهِمْ - بِالْخَاءِ الْمَعْجَمَةِ - مِنَ التَّخِيلِ ، وَهُوَ ظَنُّ الشَّيْءِ عَلَى خِلَافِ مَا هُوَ عَلَيْهِ ؛ وَأَكْثَرُهُمْ عَلَى الْأَوَّلِ .

(٣) طَاعَةٌ : لِمَا فِيهِ مِنَ النَّهْيِ عَنِ الْمَذْكَرِ .

(٤) لَيْسَ بِمَعْصِيَةٍ يَسْتَدِلُّ بِهَا عَلَى عَدَمِ عَصْمَةِ بَعْضِ الْمَلَائِكَةِ .

(٥) هُوَ خَالِدُ بْنُ أَبِي عِمْرَانَ التَّجِيبِيُّ التُّونِسِيُّ ، قَاضِي إِفْرِيقِيَّةٍ وَمُحَدِّثُهَا . تَوَفَّى سَنَةَ مِائَةٍ وَسِتِّمِئَةٍ

وِثَلَاثِينَ . أَخْرَجَ لَهُ أَصْحَابُ السُّنَنِ وَوَثَّقُوهُ . وَلَهُ تَفْسِيرٌ .

(٦) يَرِيدُ أَنْ « مَا » فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : وَمَا أُنزِلَ . . . نَافِيَةٌ كَمَا سَيَأْتِي .

(٧) فِي الْآيَةِ : وَمَا أُنزِلَ . . . وَقَدْ سَبَقَ فِي الْهَامِشِ السَّابِقِ .

(٨) افْتَعَلْتَهُ : افْتَرَعْتَهُ ، وَكَذَّبْتَ فِي نَسْبَتِهِ إِلَيْهِ .

الشياطينُ ، فاتَّبَعْتَهُمْ فِي ذَلِكَ الْيَهُودُ ، وَمَا أَنْزَلَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ ؛ قَالَ مَكِّيٌّ : هَا جَبْرِيْلُ وَمِيكَائِيْلُ : ادَّعَى الْيَهُودُ عَلَيْهِمَا الْحِجَى ، بِهِ ^(١) ، كَمَا ادَّعَوْا عَلَى سَلِيْمَانَ ^(٢) ، فَأَكْذَبَهُمُ اللهُ فِي ذَلِكَ .

وَلَكِنَّ الشَّيَاطِيْنَ كَفَرُوا وَابْعَدُوْنَ النَّاسَ السَّحْرَ بِيَابِلَ هَارُوْتَ وَمَارُوْتَ قِيْلَ : هَا رَجُلَانِ ^(٣) تَمَلَّاهُ .

قَالَ الْحَسَنُ ^(٤) : هَارُوْتُ وَمَارُوْتُ عَلِيْجَانِ ^(٥) مِنْ أَهْلِ بَابِلَ ؛ وَقَرَأَ : وَمَا أَنْزَلَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ - بِكَسْرِ اللَّامِ ، وَتَكْوِيْنِ « مَا » إِجْمَاعًا عَلَى هَذَا .
وَكَذَلِكَ قِرَاءَةُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي زَيْدٍ ^(٦) - بِكَسْرِ اللَّامِ ؛ وَلاَ كُنْهَ قَالَ : الْمَلِيْكَانِ هُنَا دَاوُدَ وَسَلِيْمَانَ ، وَتَكْوِيْنِ « مَا » نَفِيًّا عَلَى مَا تَقَدَّمَ .

وقيل : كانا مَلَائِكَةً مِنْ بَنِي إِسْرَائِيْلَ ، فَسَخَّهُمَا اللهُ ، فَحَكَاهُ السَّمْرَقَنْدِيُّ .
وَالْقِرَاءَةُ بِكَسْرِ اللَّامِ شَاذَةٌ ؛ فَحَمَلُ الْآيَةِ عَلَى تَقْدِيرِ أَبِي مُحَمَّدٍ مَكِّيٍّ حَسَنٌ يُنْزَعُ الْمَلَائِكَةَ وَيُذْهِبُ الرِّجْسَ ^(٧) عَنْهُمْ ، وَيَطَهِّرُهُمْ تَطْهِيرًا .
وَقَدْ وَصَفَهُمُ اللهُ بِأَنَّهُمْ مُطَهَّرُونَ ، وَكَرَامٌ بَرَّةٌ ، وَلاَ يَمْضُونَ اللهُ مَا أَمَرَهُمْ ^(٨) .

(١) به : بالسحر ، وتعليقه افتراء عليهما .

(٢) ادعوا على سليمان أنه ساحر اعتقد السحر وعمل به افتراء عليه .

(٣) قال الخفاجي : وهو مردود .

(٤) هو الحسن البصري .

(٥) عليجان : مفردة عليج ؛ وهو الفليظ من كفار المعجم . ويطلق على كل شديد من

الكفار مطلقا .

(٦) قال الخفاجي : وعبد الرحمن هذا صحابي ، كما جزم به النووي .

(٧) الرجس : الإثم . ويطهرهم تطهيرا : يبرئهم عن المعاصي وأوساخها .

(٨) قال في نسيم الرياض : واعلم أن ما ذكره المصنف في قصة هاروت وماروت من أنها لأصل لها

بحسب الرواية ولا من جهة الدراية على ما هو الأصح من ملكيتهم لأنهم معصومون ، ولذلك المعصوم لا يليق أن ينسب إليه ما ذكر من المعاصي ونحوها مما مر - مردود .

وعما يذكرونه^(١) قصة إبليس ، وأنه كان من الملائكة ورثيسا فيهم ، ومن^(٢) خزان الجنة . . . إلى آخر ما حكوه ، وأنه استثناه من الملائكة بقوله^(٣) :
﴿ فسجدوا إلا إبليس ﴾ .

وهذا أيضاً لم يُتفق عليه^(٤) ؛ بل الأكثر يُفنون ذلك ، وأنه أبو الجن ، كما أن آدم أبو الإنس ؛ وهو قول الحسن ، وقتادة ، وابن زيد .
وقال شهر بن حوشب : كان من الجن الذين طردتهم الملائكة في الأرض حين أفسدوا ؛ والاستثناء من غير الجنس شائع في كلام العرب سائغ ؛ وقد قال الله تعالى^(٥) :
﴿ ما لهم به من علم إلا اتباع الظن ﴾ .

= أما الأول فلما عرفته مما مر من أنه ورد في حديث من طرق كثيرة بأسانيد صحيحة ، كما قاله الحافظ ابن حجر ، والسيوطي قال : وجمعت طرقه في جزء مستقل . . . فالتردد فيه لا ينبغي .
وأما ما أنكره من أنه نسب للملائكة ما لا يليق بهم ، ولا يصح نسبه لهم فتحقيق الوجه فيه أن الله تعالى لما جعل آدم عليه السلام خليفة ، والخلافة في أولاده ، قالت الملائكة - سؤال استفسار : أنجماهم خلفاء يفسدون في الأرض ؟ فقال : لوجملت فيكم ما فيهم من الشهوة كنتم مثلهم ؛ فتمجبوا من ذلك ، فأمرهم باختيار من يحكم في الأرض ، فاختروا هذين للكين ، فأودع فيها جيلة شهوة بشرية ، وتمثلا بصورتهم ، فلما أهبطهما ، ورأيا الزهرة فتناها ، وكان ما كان مما قصناه عليك .

فإذا عرفت هذا سقط الاعتراض ؛ لأنهما لما حولا عن الملكية ، وأودع فيها شهوة البشر لا ينكر مثله منها ؛ لأن المعصوم الملك مادام على أصل ملكيته ؛ فإذا خرج عنها التحق بالبشر ، فلا ينكر أن يصدر منها ما يصدر منهم ؛ وهذا هو الحق الحقيقي .

(١) يذكرونه : أي في الاستدلال على ما ادعوه من أن الملائكة غير معصومين ، والمعصوم منهم الرسل فقط . وهذا على القول بأن آدم كان من الملائكة ، وفيه خلاف مشهور .

(٢) خزان : جمع خازن . والمراد بهم حفظتها وحراسها .

(٣) سورة البقرة ، آية ٣٤ (٤) لقوله في آية أخرى : كان من الجن .

(٥) سورة النساء ، آية ١٥٧ . والظن ليس من العلم ، وكذا اتباعه ، وقد أخرج منه ،

وليس من جنسه ، أي لكنهم اتبعوا الظن فيما زعموه .

وَمَا رَوَوْهُ مِنَ الْأَخْبَارِ^(١) أَنَّ خَلْقًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ عَصَوْا اللَّهَ فَحُرِّقُوا^(٢)، وَأَمَرُوا
أَنْ يَسْجُدُوا لِآدَمَ فَأَبَوْا، فَحُرِّقُوا، ثُمَّ آخَرُونَ كَذَلِكَ، حَتَّى سَجَدَ لَهُ مَنْ ذَكَرَ اللَّهَ إِلَّا
لِبَلِيسَ، فِي أَخْبَارٍ لَا أَسْلَ لَهَا تَرْدُهَا صِيحَاخُ الْأَخْبَارِ، فَلَا يُشْتَغَلُ بِهَا. وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

(١) كما رواه ابن جرير عن ابن عباس ، وابن أبي حاتم عن يحيى بن كثير .
(٢) قال الحفاجي : ضبطه بعضهم بالنفاء ، من التحريف ؛ أى طردوا وصرقوا عن مقامهم .
وفي بعض الشروح أنه بالقاف ، من تحريق النار ، والراء الهملة مشددة فيها مع بناء المجهول .

البَابُ الثَّانِي

فَمَا يَخْصُهُمْ فِي الْأُمُورِ الدُّنْيَوِيَّةِ وَيَطْرَأُ عَلَيْهِمْ مِنَ الْعَوَارِضِ ^(١) الْبَشَرِيَّةِ
قَدْ قَدَّمَ مَنْ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَسَائِرُ الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ مِنَ الْبَشَرِ ، وَأَنَّ جِسْمَهُ
وظَاهِرَهُ خَالِصٌ لِلْبَشَرِ ^(٢) ، يَجُوزُ عَلَيْهِ مِنَ الْآفَاتِ وَالتَّغْيِيرَاتِ ، وَالْآلَامِ وَالْأَسْقَامِ ،
وَتَجْرِعُ كَأَسِ الْحِمَامِ ^(٣) مَا يَجُوزُ عَلَى الْبَشَرِ ؛ وَهَذَا كُلُّهُ لَيْسَ بِنَقِيصَةٍ فِيهِ ؛ لِأَنَّ الشَّيْءَ
إِنَّمَا يُسَمَّى نَاقِصًا بِالإِضَافَةِ إِلَى ^(٤) مَا هُوَ أَكْمَلُ مِنْهُ وَأَكْمَلُ مِنْ نَوْعِهِ ؛ وَقَدْ كَتَبَ اللَّهُ
تَعَالَى عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الدَّارِ : فِيهَا تَحْيَوْنَ ، وَفِيهَا تَمُوتُونَ ، وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ؛ وَخَلَقَ جَمِيعَ
الْبَشَرِ بِمَدْرَجَةِ الْغَيْرِ ^(٥) ؛ فَقَدْ مَرَضَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَاشْتَكَى ^(٦) ، وَأَصَابَهُ الْحَرُّ
وَالْقُرُّ ^(٧) ، وَأَدْرَكَهُ الْجُوعُ وَالْعَطَشُ ، وَلَحِقَهُ الْفُضْبُ وَالضَّجْرُ ، وَنَالَهُ الْإِعْيَاءُ وَالتَّعَبُ ،
وَمَسَّهُ الضَّعْفُ وَالْكِبَرُ ، وَسَقَطَ فَجُحِشَ شِقَّةً ^(٨) ، وَشَجَّهَ الْكُفَّارُ ، وَكَسَرُوا رَبَاعِيَّتَهُ ^(٩) ،

(١) أَي يَخْصُ الْإِنْبِيَاءَ مِنَ الصِّفَاتِ وَالسَّمَاتِ الَّتِي تَكُونُ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا ، سِوَاهُ كَانَتْ وَاجِبَةً
أَوْ مَدْرُوبَةً أَوْ مَبَاحَةً . مِنَ الْعَوَارِضِ : الْمُرَادُ مَا يَمْرُضُ وَيَجِدُّ مِنْ سَقَمٍ وَغَيْرِهِ .

(٢) يَعْنِي أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِنَبِيَّتِهِ مَتَمَحِّضٌ لِلْبَشَرِيَّةِ لِإِخْتِلَافِ غَيْرِهِ فِي شَيْءٍ مِنْهَا .

(٣) الْحِمَامُ : اللَّوْتُ . (٤) فِي ١ : إِلَى مِنْ .

(٥) مَدْرَجَةٌ : طَرِيقٌ . وَالتَّغْيِيرُ : غَيْرُ الدَّهْرِ : حَوَادِثُهُ الْمُتَشِيرَةُ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ . وَالرُّادُ

أَنَّهُمْ مُسْتَعْدُونَ مَرْضُونَ لَهَا لِأَعْمَالِهِ .

(٦) اشْتَكَى : مَرَضَ . وَإِسْرَافُ الْمُرَادِ بِهِ مَعْنَاهُ لِلشُّهُورِ ، لِمَا يَبْؤُثَرُ مِنْ صَبْرِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ وَالرِّضَا بِمَا يَفْعَلُهُ اللَّهُ بِهِ .

(٧) الْقُرُّ : شِدَّةُ الْبَرْدِ .

(٨) جُحِشَ : خَدَشَ . شِقَّةٌ : جَانِبُهُ .

وَقَدْ وَرَدَ هَذَا فِي حَدِيثٍ مِنْ أَحَادِيثِ الصَّحِيحِينَ ، وَكَانَ ذَلِكَ فِي ذِي الْحِجَّةِ سَنَةِ خَمْسٍ .

وَفِي الْبُخَارِيِّ عَنْ أَنَسٍ - أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَقَطَ عَنْ فَرْسِهِ فَجُحِشَتْ سَاقُهُ أَوْ كَتَفُهُ . وَهُوَ -

كَذَلِكَ - فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ : ٣٠٨

(٩) رَبَاعِيَّتُهُ : السَّنُ الَّتِي بَيْنَ الثَّنِيَّةِ وَالتَّابِ . وَكَانَ هَذَا فِي وَقْعَةٍ أَحَدٍ ... وَالأَثَرُ فِي صَحِيحِ

مُسْلِمٍ : ١٤١٦

وسُقِيَ السَّمُّ^(١) ، وَسُجِرَ^(٢) ، [٢٢٤] وَتَدَاوَى ، وَاحْتَجَمَ ، وَتَنَشَّرَ وَتَعَوَّذَ^(٣) ،
ثُمَّ قَضَى نَجْبَهُ^(٤) فَتَوَفَّى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَاحْتَجَمَ بِالرَّفِيقِ الْأَعْلَى^(٥) ، وَتَخَاصَّ
مِنْ دَارِ الْأَمْتَحَانِ وَالْبَلَوَى ؛ وَهَذِهِ سِمَاتُ الْبَشَرِ الَّتِي لَا مَحِيصَ عَنْهَا^(٦) ؛ وَأَصَابَ غَيْرَهُ
مِنَ الْأَنْبِيَاءِ مَا هُوَ أَعْظَمُ مِنْهُ ؛ فَفُتِلُوا^(٧) قَتَلًا .

وَرُمُوا فِي النَّارِ^(٨) ، وَوُشِّرُوا بِالْمِيَاشِيرِ^(٩) . وَمِنْهُمْ مَنْ وَقَاهُ^(١٠) اللَّهُ ذَلِكَ
فِي بَعْضِ الْأَوْقَاتِ^(١١) . وَمِنْهُمْ مَنْ عَصَمَهُ كَعَصَمَ بَعْدُ نَبِيَّنَا مِنَ النَّاسِ ؛ فَإِنَّ لِمَنْ يَكْفُرُ

(١) بعد فتح خيبر أهدت له زينب بنت الحارث اليهودية شاة مشوية ، وكانت سألت أى
أعضاء الشاة أحب إليه ؟ فقالوا : الذراع ، فأكثرت من اللحم فيه . وقدمته إليه ، فلما مضته
صلى الله عليه وسلم لم يسغه . وأكل منه بشر بن البراء ، فمات بعد ذلك . وقال صلى الله عليه
وسلم لأصحابه : أمسكوا فإنها مسمومة . وقال لها : ما حاكك على هذا ؟ قالت : إن كنت نبيا
سليت منه فأسلم بك ، وإلا أراح الله الناس منك . فاحتجم النبي صلى الله عليه وسلم على كاهله .
وقد تقدم الحديث وتخريجه .

(٢) كان ذلك في مرجعه من الحديبية . والساحر له : لبيد بن الأعصم . وقد تقدم
أيضا .

(٣) النشرة : الرقية . تعوذ ، من العوذة ، وهى الرقية بأعوذ بالله ونحوه ، ثم عمت .

(٤) قضى نجبته : مات .

(٥) بالرفيق الأعلى : بالأنبياء والملائكة . والرفيق بمعنى المرافق .

(٦) لا محيص عنها : لا يتخلص منها أحد من الخلق نبيا كان أو غيره .

(٧) كما وقع ليحيى بن زكريا .

(٨) كما إبراهيم الخليل .

(٩) الذى نشر هو زكريا لما قتل الملك يحيى فوقع به ما وقع من قتل بنيه ، إذ ساط الله عليه
عدوا فهرب زكريا من الملك ، فأرسل خلفه من يطلبه ، وأدركه الطلاب ، فانشقت له شجرة ،
فدخل فيها ، فأمسك الشيطان هذب إزاره خارجا من الشجرة ، فدلهم الشيطان عليه فنشروا
الشجرة وزكريا . ووشر : نشر . والمياشير : الناشير .

(١٠) وقاه : صانه وحفظه . ذلك : أى القتل والحرق . . .

(١١) كما وقع في يوسف عليه السلام . .

نَبِينًا رَبُّهُ يَدَ ابْنِ قَمِيئَةَ^(١) يَوْمَ أَحُدَ ، وَلَا حَجَبَهُ عَنْ عِيُونِ عِدَائِهِ عِنْدَ دَعْوَتِهِ أَهْلَ الطَّائِفِ^(٢) ؛ فَلَقَدْ أَخَذَ عَلَى عِيُونِ قُرَيْشٍ عِنْدَ خُرُوجِهِ إِلَى ثَوْرٍ^(٣) ، وَأَمْسَكَ عَنْهُ سَيْفَ غَوْرَثَ^(٤) ، وَحَجَرَ أَبِي جَهْلٍ ، وَفَرَسَ سُرَاقَةَ^(٥) ؛ وَلَئِنْ لَمْ يَكُنْ مِنْ سِحْرِ ابْنِ الْأَعْصَمِ^(٥)

(١) هو عبد الله بن قميئة الذي جرح وجهه الشريف صلى الله عليه وسلم لما رماه فدخلت حلقتان من حلق النفر في وجنته ، وقال له : خذها وأنا ابن قميئة . فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : إني أراك الله ؛ أى ذلك ؛ فرماه الله من شاهق جبل معروف لما انصرف ، فتقطع قطما .

(٢) كان هذا سنة عشر من النبوة بصد موت أبي طالب ، وقد نالت منه قریش ؛ فخرج إلى الطائف وحده - أو معه زيد بن حارثة - يلتمس نصرة ثقيف له ، فقام على ناس من أشرفهم ، ودعاهم للإسلام فأبوا ، وأغروا به سفهاءهم ، فأطلوا عليه وحبسوه حتى أدموا ساقيه ؛ ثم كفهم الله عنه وحجبه عنه ، فجلس عند حائط كرم

(٣) ثور : جبل معروف على يمين مكة ؛ وكان ذلك حين تشاوروا في أمره صلى الله عليه وسلم بدار الندوة ثم أجمعوا على قتله ، فأمر عليا كرم الله وجهه بالنوم على فراشه ، فخرج صلى الله عليه وسلم وهم عند داره ، وقد أخذ الله على عيونهم ، وثر على رءوسهم ترايا

(٤) غورث : هو غورث بن الحارث الأعرابي . وكان في بعض غزواته أدركتهم القائلة ، فنزلوا بواد كثير النضا ، فأنزل صلى الله عليه وسلم بظل شجرة علق بها سيفه وترفقوا عنه ، وناموا ، فبعد حين دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتوا ، فإذا أعرابي جالس عنده : فقال : إن هذا أتاني وأنا نائم فاخترط سيفي واستيقنت وهو في يده مصلتا ؛ فقال : من يمنعك مني؟ قلت : الله وها هو ذا جالس ، ولم يماقبة ، وهو من المشركين . والنزوة هي غزوة ذات الرقاع

أما حجر أبي جهل فقد كان قال لقریش : لأرضخنه غدا بحجر أحمله لا أكاد أطيق حمله ، فامنعوني من بني عبد مناف . وأخذ الحجر ومضى له . فلما أراد رميه به صلى الله عليه وسلم بيست عليه يده ، ثم عاد متمير اللون ، فسأله ، فقال : عرض دونه فل لم أرمثله عظما هم أن يأكلني . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ذاك جبريل ، لو دنا لأخذه .

وفرس سراقة : كان سراقة قد ذهب خاف النبي لما خرج مستخفيا للهجرة ، فلما أدرك النبي وأبا بكر ساخت قوائم فرسه في الأرض ، وكادت تبتمله ، فطلب الأمان فأمنه ونجا (٥) هو يهودى وهو ليبد . واليهودية : هي زينب بنت الحارث ، كما تقدم .

فلقد وقاه ما هو أعظم ، من سمِّ اليهودية .
وهكذا سائرُ أنبيائه مُبتلى ومُعاقب ؛ وذلك من تمامِ حكيمته ، ليُظهرَ شرفهم
في هذه (١) المقامات ، ويبيِّن أمرهم ، ويُبيِّنَ كلمته فيهم ، وليحقِّقَ بامتحانهم بشرَّيتهم ،
ويرتفعَ الالتباسُ عن أهلِ الضعفِ فيهم (٢) لئلا يضلُّوا بما يظهرُ من المعائب (٣) على
أيديهم ضلالَ النصراني بعيسى ابنِ مريم ، وليكونَ في محنتهم تسليَّةٌ لأممهم (٤) ، ووفور
لأجورهم عند ربهم تماماً على الذي أحسنَ إليهم (٥) .

قال بعضُ المحققين : وهذه الطواريء والتغيرات المذكورة (٦) إنما تختصُّ
بأجسامهم البشرية المقصود بها مقاومةُ البشرِ ، ومعاناةُ بنى آدمَ لمشاكلةِ الجنسِ (٧) .
وأما بواطنهم فنزَّهةٌ غالباً عن ذلك معصومةٌ منه ، متعلقةٌ بالملا الأعلى والملائكةِ
لأخذها (٨) عنهم ، وتلقاها الوحيَ منهم .

(١) يظهر شرفهم : صبرهم على البليات . في هذه المقامات : في أحوالهم التنفيرة ، والتفاوتة
فيها الحالات .

(٢) عن أهل الضعف فيهم : أى من ضعف عقله من العوام في أنبياء الله ، لتوهمهم - لضعف
عقولهم - أنهم ليسوا كغيرهم ممن ينشأه البلاء ، ويعرض له الموت والفناء ؛ فابتلاهم ليعرف
الناس أنهم كغيرهم في العوارض البشرية .

(٣) من المعائب : أى خوارق العادات ، وبدائع المعجزات التي تظهر على أيديهم ، وتصدر
منهم بأمر الله تعالى تأييداً كانشقاق القمر ، وإحياء الموتى ونحو ذلك ، فيقولون : من يقدر على
على هذا كيف يمرض أو يسحر ويمرض له ما يمرض لضعفاء الخلق ؟

(٤) تسليَّةٌ لأممهم ؛ فيقتدوا بهم إذا نزلت بهم المصائب ويصبروا كما صبروا .

(٥) تماماً على الذي أحسن : أى يتم ذلك بإنعامه على الذي أحسن إليهم أولاً بنعمة الوجود والرحمة
وغيرها من النعم الدينية ، فيزيدها بأعظم منها من النعم الأخروية التي لا يبادلها شيء مجازاة
لصبرهم وشكرهم . (٦) التغيرات المذكورة : من صحة لسقم ، ومن سمة لضيق . . .

(٧) مقاومة البشر : أن يكونوا بطاعهم مساوين لأممهم حتى يقدروا على القيام بأمرهم .
ومعاناة بنى آدم بما شرتهم ومخالطتهم لمشاكلة الجنس ؛ أى لمشابهتهم لهم في الخلق والخلق .

(٨) لأخذها عنهم : لأخذ البواطن وتلقاها عن الملائكة .

قال : وقد قال صلى الله عليه وسلم ^(١) : إن عيني تنامان ولا ينأى قلبي .
 وقال : إني لست كهيئةكم ؛ إني أبيت يطعمني ربي ويسقيني .
 وقال : لست أنسى ، ولكن أنسى ، ليستن بي ^(٢) .
 فأخبر أن سيره وباطنه وروحه بخلاف جسمه وظاهره ^(٣) ، وأن الآفات التي تحل
 ظاهره من ضعف وجوع ، وسهر ونوم ، لا يحل منها شيء باطنه ، بخلاف غيره من
 البشر ^(٤) في حكم الباطن ؛ لأن غيره إذا نام استغرق النوم جسمه وقلبه ؛ ودو
 صلى الله عليه وسلم في نومه حاضر القلب كما هو في يقظته حتى قد جاء في بعض الآثار
 أنه كان محروسا من الحدث ^(٥) في نومه لكون قلبه يقظان كما ذكرناه .
 وكذلك غيره إذا جاع ضعف لذلك جسمه ، وخارت ^(٦) قوته ، فبطلت بالكلية
 جملته ، وهو صلى الله عليه وسلم قد أخبر أنه لا يمتريه ذلك ، وأنه بخلافهم ؛ لقوله ^(٧) :
 لست كهيئةكم : إني أبيت يطعمني ربي ويسقيني .
 وكذلك أقول : إنه في هذه الأحوال كلها ؛ من وصب ^(٨) ومرضى ، وسحر وغضب ،
 لم يجز على باطنه ما يحل به ، ولا فاض منه على لسانه وجوارحه مالا يليق به ،
 كما يفتري غيره من البشر مما نأخذ بعد في بيانه .

(١) صحيح البخارى : ٤ - ٢٣١ ، وقد تقدم .

(٢) أى إنما أذفع إلى النسيان لأسوق الناس بالهداية في الطريق المستقيم ، وأبين لهم ما يحتاجون
 أن يفعلوا إذا عرض لهم النسيان (النهاية) . وقد تقدم الحديثان ، كما سبق تخريجهما .

(٣) بخلاف جسمه وظاهره : كل منها مخالف لسهه ، وباطنه وروحه فيما يمتريهما من
 التغيرات والآلام كغيره من سائر البشر .

(٤) فإنه يمرض له تغيرات في الظاهر والباطن .

(٥) من الحدث : هو ما ينقض الوضوء وطهارته . (٦) خارت : ارتخت وضعت .

(٧) في حديث رواه البخارى في وصاله الصوم ، ونهى غيره عنه : صحيح البخارى :

(٨) الوصب : التعب .

فصل

فإن قلت : فقد جاءت الأخبار الصحيحة أنه صلى الله عليه وسلم سُحِرَ كما حدثنا الشيخ أبو محمد العتّابي بقراءتي عليه ؛ قال : حدثنا حاتم بن محمد ، حدثنا أبو الحسن عليّ بن خلف ، حدثنا محمد بن أحمد [٢٢٥] ، حدثنا محمد بن يوسف ، حدثنا البخاري ، حدثنا عبيد بن إسماعيل ، قال : حدثنا أبو أسامة ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة رضي الله عنها ، قالت ^(١) : سُحِرَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ^(٢) حتى إنه يُخَيَّلُ إليه أنه فعل الشيء وما فعله .

وفي رواية أخرى : حتى كان يُخَيَّلُ إليه أنه كان يأتي النساء ولا يأتين ^(٣) . . . الحديث .

وإذا كان هذا من التباس الأمر على المسحور فكيف حال النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك ^(٤) ؟ وكيف جاز عليه - وهو ممصوم ؟

(١) في حديث رواه البخاري : صحيح البخاري : ٧ - ١٧٧

(٢) الذي سحره هو لبيد بن الأعصم ؛ وهو يهودي ، أو منافق كان حليفا لليهود .

(٣) قال في نسيم الرياض (٤ - ٢٧٧) : وتامه كما هو في الصحيحين عن عائشة : كان صلى الله عليه وسلم ذات يوم أو ذات ليلة وهو عندي دعا ، ثم قال : أشمرت أن الله أفناني فيما استفتيته فيه ؛ أتاني رجلان ، فمعد أحدهما عند رأسي والآخر عند رجلي ، فقال أحدهما لصاحبه : ما وجهه ؟ قال : مطبوب - أي مسحور . قال : من طبه ؟ قال : لبيد بن الأعصم في مشط ومشاطة وجف طلح نخلة ذكر في بئر ذروان .

فأتاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في ناس من أصحابه فدققت ولم يستخرجها . مشط ومشاطة : هي الشعر الذي يسقط من الرأس واللحية عند التسريح بالمشط (النهاية) . جف طلعة : الجف : وعاء الطلع ، وهو النشاء الذي يكون فوقه .

بئر ذروان . بئر في منازل بني زريق بالمدينة (ياقوت) . والحديث في صحيح مسلم أيضا : ١٧٢٠ (٤) في ذلك الالتباس . وطى أى حالة وقع له ؟ وكيف جاز عليه ذلك الأمر الذي جاز

علي غيره من تأثير السحر فيه ؟

فَاعْلَمْ - وَقَعْنَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ - أَنْ هَذَا الْحَدِيثَ صَحِيحٌ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ ؛ وَقَدْ طَعَنَتْ (١) فِيهِ الْمُلْحِدَةُ ، وَتَدْرَعَتْ (٢) بِهِ لِسُخْفِ عَقُولِهَا وَتَلْبِيسِهَا عَلَى أَمْثَالِهَا (٣) إِلَى التَّشْكِيكِ فِي الشَّرْعِ ؛ وَقَدْ نَزَّ اللَّهُ الشَّرْعَ وَالنَّبِيَّ عَمَّا يُدْخِلُ فِي أَمْرِهِ لَبْسًا (٤) وَإِنَّمَا السَّحْرُ مَرَضٌ مِنَ الْأَمْرَاضِ ، وَعَارِضٌ مِنَ الْعِلَلِ ، يَجُوزُ عَلَيْهِ كَأَنْوَاعِ الْأَمْرَاضِ مَا لَا يُنْكَرُ وَلَا يَفْدَحُ (٥) فِي نُبُوَّتِهِ .

وَأَمَّا مَا وَرَدَ أَنَّهُ كَانَ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ فَعَلَ الشَّيْءَ وَلَا يَفْعَلُهُ فَلَيْسَ فِي هَذَا مَا يُدْخِلُ عَلَيْهِ دَاخِلَةً (٦) فِي شَيْءٍ مِنْ تَبْلِيغِهِ أَوْ شَرِيْمَتِهِ ، أَوْ يَقْدَحُ (٧) فِي صِدْقِهِ ؛ لِقِيَامِ الدَّلِيلِ وَالْإِجْمَاعِ عَلَى عِصْمَتِهِ مِنْ هَذَا (٨) ؛ وَإِنَّمَا هَذَا فِيمَا يَجُوزُ طَرْوُهُ عَلَيْهِ فِي أَمْرِ دُنْيَاةٍ الَّتِي لَمْ يُبْعَثْ بِسَبَبِهَا ، وَلَا فَضَّلَ مِنْ أَجْلِهَا ؛ وَهُوَ فِيهَا (٩) عُرْضَةٌ الْآفَاتِ كَسَائِرِ الْبَشَرِ ؛ فَغَيْرُ بَعِيدٍ أَنْ يُخَيَّلَ إِلَيْهِ مِنْ أُمُورِهَا مَا لَا حَقِيقَةَ لَهُ ، ثُمَّ يَنْجَلِي (١٠) عَنْهُ ، كَمَا كَانَ .

(١) أى طعنوا بسببه في مقام النبوة .

(٢) تدرعت : تقوت به وظنته دليلاً ينفعهم .

(٣) أمثالها : أى أشباهها من ضعفاء اليقين في أمر الدين .

(٤) لبسا : شيئاً يصير أمره ملتبساً بغيره مما لا يليق به .

(٥) لا يقدح في نبوته : لا يمد نقصاً ولا عيباً فادحاً .

(٦) داخلة : نقيصة وعيباً وفساداً .

(٧) يقدح : يعيب .

(٨) قال الخفاجى : وهذا برمته من كلام المازرى في « العلم » ؛ قال : أنكر بعض المتدعة

هذا الحديث ، وزعم أنه يحط من منصب النبوة ، وقالوا : كل ما أدى إلى ذلك فهو باطل ؛ وتجوز به الثقة بما شرعه من الشرائع ؛ إذ يحتمل على هذا أنه صلى الله عليه وسلم يرى جبريل وليس هو ، وأنه يوحى إليه بشيء ولم يوح إليه .

وهو مردود ؛ لأن الدليل قام على صدقه صلى الله عليه وسلم فيما بلغه عن الله عز وجل وعلى

عصمته في التبليغ ، والمعجزات شاهدة بصدقه ؛ فتجوز ما قام الدليل على خلافه باطل .

(٩) فيها : في أمور الدنيا .

(١٠) ينجلي عنه : يزول وينكشف .

وأيضاً فقد فسّر هذا الفصل الحديث الآخر من قوله : حتى يُخَيَّلَ إليه أنه يأتي أهله ولا يأتيهن^(١) .

وقد قال سفيان - وهذا أشدُّ ما يكون من السَّحَرِ ، ولم يأتِ في خبرٍ منها أنه نُقِلَ عنه في ذلك قولٌ بخلاف ما كان أخبر أنه فعله ولم يفعلْهُ ؛ وإنما كانت خواطِرُ وتخيُّلات .

وقد قيل : إن المراد بالحديث أنه كان يتخيَّلُ الشيء ، أنه فعله ، وما فعله ، لكنه تخيُّيل لا يَعتَبدُ صحته^(٢) ، فتكون اعتقاداتُه كلها على السَّداد^(٣) ، وأقوالُه على الصحة .

هذا ما وقفتُ عليه لأنتمنا من الأجوبة عن هذا الحديث^(٤) مع ما أوضَحناه من معنى كلامهم ، وزدناه بياناً من تلويحاتهم^(٥) . وكلُّ وجهٍ منها مُتَنَبِّعٌ ؛ لكنه قد ظهر لي في الحديث تأويلٌ أَجَلِيٌّ^(٦) وأبعدُ من مطاعن ذوى الأضاليل يستفاد من نفس الحديث ؛ وهو أنَّ عبد الرزاق قد رَوَى هذا الحديث عن ابن المسيَّب ، وعُروة بن الزبير ، وقال فيه عنهما : سَحَرَ يَهُودُ بنى زريق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجعلوه في بئر حتى كاد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يَنسَكِرَ بصره^(٧) ؛ ثم دَلَّ اللهُ على ما صنعوا فاستخرجه من البئر .

(١) فهو تصريح بأنه من الأمور الدنيوية لا الشرعية .

(٢) وذلك ليقظة قلبه ، وسلامة ذهنه التي لا يؤثر فيها مثل هذه التخيُّلات ، وهي سحابة

صيف عن قريب تقشع .

(٣) السداد : الاستقامة ؛ أى إن أموره كلها مستقيمة كاملة وإدراكه كذلك .

(٤) هذا الحديث الذى روته عائشة ، وقد سبق .

(٥) تلويحاتهم : من إشاراتهم له من غير تصريح به .

(٦) أجلى : أظهر من غيره من التأويلات التى ذكروها .

(٧) ينسکر بصره : أى ما أبصره . أو ينسکر نفس رؤيته لتأثير السحر فيه .

[وُرُوِي نحوه ، عن الواقدي ، وعن عبد الرحمن بن كعب ، وعمر
ابن الحكم]^(١) .

وذكر عن عطاء الخراساني، عن يحيى بن يعمر : حُبِسَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عن عائشة سنةً ، فبَيْنَمَا هو نائمٌ أَنَاهُ مَلَكَانٌ ، فَعَمَدَا أَحَدُهُمَا عِنْدَ رَأْسِهِ وَالْآخَرُ عِنْدَ رِجْلَيْهِ . . . الحديث^(٢) .

قال عبد الرزاق : حُبِسَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عن عائشة خاصة سنةً حتى أنكر بصره .

[وروى محمد بن سعد ، عن ابن عباس : مَرِضَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فحُبِسَ عن النساء والطعام والشراب ، فمَهَبَطَ عليه مَلَكَانٌ . . . وذكر القصة]^(٣) .
فقد استبان لك من مضمون هذه الروايات أَنَّ السَّحْرَ إِنَّمَا تَسَلَّطَ^(٤) على ظاهره وجوارحه [٢٢٦] ، لا على قلبه واعتقاده وعقله ، وأنه إما أنثر في بصره ، وحبسه عن وطء نسائه [وطعامه ، وأضعف جسده وأمرضه]^(٥) ؛ ويكون معنى قوله : يَحْيَلُ

(١) ما بين القوسين ساقط في ١ .

(٢) صحيح البخاري : ٧ - ١٧٧ ، ١٧٨ .

(٣) القصة أنه صلى الله عليه وسلم قال لمائشة : إن الله أخبرني بدائي ، ثم بعث عليا والزبير وعمار بن ياسر رضي الله تعالى عنهم ؛ فنزحوا ماء البئر ، فإذا هو مثل نقاعة الحناء ؛ ثم رفعوا الراعونة - وهي صخرة في قمر البئر ، فأخرجوا جفا ومشاطة - وهو شعر رأسه الشريف وأسنان مشط ، ووتر معقود فيه إحدى عشرة عقدة ، وتثال صورته من شمع غرزيه إبر ؛ فنزل جبريل بالمؤذنين ؛ فكان كما قرأ آية منهما انحلت عقدة ، وكأما نزع إبره وجدلها ألما تعقبه راحة ؛ فاعترف لبيد بأنه وضعه ، فمفا عنه (نسيم الرياض : ٤ - ٢٨٢) وما بين القوسين كتب أمامه في هامش ١ : من الأم من غير الرواية .

(٤) تسلط : تمكن وأثر .

(٥) ما بين القوسين كتب أمامه في هامش ١ : من غير الرواية .

إليه أنه يأتي أهله ولا يأتيهن؛ أي يظهر له من نشاطه^(١) ومقدم عاداته القدرة على النساء؛ فإذا دنا منهن أصابته أخذة^(٢) السحر، فلم يقدر على إتيانهن، كما يعترى^(٣) من أخذ واعترض^(٤).

ولعله لمثل هذا أشار سُفيان بقوله: وهذا أشد ما يكون من السحر. ويكون قول عائشة في الرواية الأخرى: إنه ليُخَيَّلُ إليه أنه فعل الشيء وما فعله، من باب ما اختل من بصره^(٥)، كما ذكر في الحديث؛ فيظن أنه رأى شخصا من بعض أزواجه، أو شاهد فعلاً من غيره، ولم يكن على ما يحيلُ إليه إنما أصابه في بصره وضمف نظره، لا لشيء طرأ عليه في ميزه^(٦).

وإذا كان هذا^(٧) لم يكن فيما ذكر من إصابة السحر له وتأثيره فيه ما يدخل لبسا^(٨) ولا يجذب به للمحدث المعترض أنسا^(٩).

(١) في نسيم الرياض (٤ - ٢٨٢) : هذا جواب سؤال تقديره : إذا قات إن السحر لم يؤثر إلا في ظاهر بدنه يرد عليك أنه تخيل ما لم يقع واقعا يقتضى دخلا في الدهن والإدراك؛ فهو مناف لما قلته .

(٢) الأخذة، أمر يتخذها السحرة بحبس المرء عن انتشار آلة الجماع تسميه العامة رباطا؛ وهو نوع من السحر؛ ويقال : به أخذة من الجن أيضا، كأنها أخذت قوته (النسيم) .

(٣) يعترض : يمرض .

(٤) من أخذ : من صنع له أخذة السحر . واعترض : عرض له عارض من مرض ونحوه .

(٥) ما اختل من بصره ؛ أي قوة نظره لانقس عينه .

(٦) في ميزه : تمييزه ؛ والمراد قوة عقله للميز .

(٧) هذا : ما ذكر من حاله على ما قرره .

(٨) ما يدخل لبسا : بأن يؤثر في عقله وتمييزه ؛ أي يسرى لباطنه .

(٩) أنسا : أمرا يستأنس به أو هامه الفاسدة ؛ أي يحدث عنه علما ينقص به مقام النبوة ؛ من قولهم : آنت منه كذا ، إذا علمته أو أبصرته .

فصل

هذه حاله في جسمه، فأما أحواله في أمور الدنيا فنحن نَسْبُرُها^(١) على أسلوبنا^(٢) المتقدم بالعقد والقول والفعل^(٣).

أما العقد منها فقد يَعْتَقِدُ^(٤) في أمور الدنيا الشيء على وجهٍ ويظهر خلافه، أو يكون منه على شك أو ظن بخلاف أمورِ الشرع^(٥)؛ كما حدثنا^(٦) أبو بحر سُفْيَانُ بن العاصي وغيرُ واحدٍ سَمَاعًا وقراءةً؛ قالوا: حدثنا أبو العباس أحمد بن عمر، قال: حدثنا أبو العباس الرازي، حدثنا أبو أحمد بن عمرو، حدثنا ابن سفيان، حدثنا مسلم، حدثنا عَبْدُ اللَّهِ بن الرُّومِي، وعباس المَنْبَرِي، وأحمد المَعْرِي؛ قالوا: حدثنا النضر بن محمد؛ قال: حدثني عِكْرَمَةُ، حدثنا أبو النجاشي؛ قال: حدثنا رافع بن خديج؛ قال: قدِمَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المدينة وهم يَأْبُرُونَ^(٧) النَّخْلَ، فقال: ما تصنعون؟ قالوا: كُنَّا نَصْنَعُهُ. قال: لعلكم لو لم تفعلوا كان خيرا؛ فتركوه، فنَقَصَتْ^(٨)؛ فذكروا ذلك له؛ فقال: إنما أنا بشرٌ، إذا أمرتكم بشيءٍ من دينكم فخذوا به، وإذا أمرتكم بشيءٍ من رأيي^(٩) فإنما أنا بشرٌ.

(١) نسبها: نخبرها، ونبينها.

(٢) أسلوبها: المقد: الاعتقاد؛ أي نستوفي أقسامها النظرية واللفظية والعملية.

(٣) يعتقد النبي . . .

(٤) فإنه صلى الله عليه وسلم لا يتردد فيها، لأنه معصوم عن الخطأ.

(٥) حديث رواه مسلم: صحيح مسلم: ١٨٣٥

(٦) تأبير النخل: أن يؤخذ من طلع النخلة الذكر ما يوضع في طلع غيرها حين ينشق

فتلقح.

(٧) فنقصت ثمرتها. وفي صحيح مسلم: فنقصت، أو فنقصت.

(٨) في صحيح مسلم: من رأي؛ أي يكون رأيا في أمور الدنيا الصرفة فإنما أنا بشر

مثلكم قد أرى رأيا والأمر بخلافه في أمور الدنيا فلا يجب اتباعه.

وفي رواية أنس : أنتم أعلمُ بأمرِ دُنْيَاكُمْ .

وفي حديث آخر^(١) : إِنْ مَا ظَنَنْتُمْ ظَنًّا ، فَلَا تَوَاضَعُوا لِي بِالظَّنِّ^(٢) .

وفي حديث ابنِ عباسٍ في قصةِ الخِزْرِصِ^(٣) ؛ فقال رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ

وسلم : إِنْ مَا أَنَا بَشَرٌ فَمَا حَدَّثْتُكُمْ عَنْ اللهِ فَهُوَ حَقٌّ ، وَمَا قُلْتُ فِيهِ مِنْ قَبْلِ نَفْسِي

فإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ أَخْطِئُ وَأُصِيبُ .

وهذا على ما قرَّرناهُ فيما قاله مِنْ قَبْلِ نَفْسِهِ فِي أُمُورِ الدُّنْيَا وَظَنَّهُ مِنْ أَحْوَالِهَا ،

لَا مَا قَالَهُ مِنْ قَبْلِ نَفْسِهِ وَاجْتِهَادَهُ فِي شَرْعِ شِرْعِهِ ؛ وَسُئِمَتْ سُنَّاهُ .

وكما حكى ابنُ إسحاقٍ أَنَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّمَا نَزَلَ بِأَدْنَى مِيَاهِ بَدْرِ^(٤)

قال له الحُجَّابُ بنُ المنذرِ : أَهَذَا مَنْزَلُ أَنْزَلَكَ اللهُ لَيْسَ لَنَا أَنْ نَتَقَدَّمَ ، أَمْ هُوَ

الرَّأْيُ وَالْحَرْبُ وَالْمَسْكِدَةُ^(٥) ؟ قال : لا ، بل هُوَ الرَّأْيُ وَالْحَرْبُ وَالْمَسْكِدَةُ . قال :

فإنه ليس بمَنْزَلٍ^(٦) ، انْهَضْ حَتَّى نَأْتِيَ أَدْنَى مَاءٍ مِنَ الْقَوْمِ ، فَنَنْزِلُهُ ، ثُمَّ نَعَوِّرَ

(١) رواه مسلم عن طلحة في هذه القصة : صحيح مسلم : ١٨٣٥

(٢) أى لا تجردوا على في أنفسكم كدرا فيما ظننته خيرا لكم فتبين خلافه .

(٣) الخِزْرِصُ : الحِزْرُ والتخمين لما على الشجر من الرطب تمر ، ومن العنب زبيبا . وقد

رواه البزار بسند حسن . والقصة على ما روى عن أبي حميد ؛ قال : خرجنا مع رسول الله في غزوة

تبوك ، فأتيناه وادى القرى على حديقة لامرأة ، فقال النبي : اخر صوها ، فخرصناها ، وخرص

رسول الله عشرة أوسق ، وقال لها : احصيا حتى ترجع إليك إن شاء الله ثم أقبلنا

حتى قدمنا وادى القرى ، فسأل رسول الله المرأة عن حديقتها : كم بلغ تمرها ؟ فقالت : عشرة

أوسق ، فقال رسول الله . . .

(٤) في غزوة بدر . أدنى مياه : أبعدها وأقلها ماء .

(٥) المسكيدة : المسكيد ، والمسكر ؛ لأن الحرب خدعة .

(٦) ليس بمنزل لبعده عن الماء وكثرة رمله .

ما وراءه من القلب^(١)؛ فنشرب ولا يشربون. فقال: أشرتَ بالرأى،
وفعل ما قاله.

وقد قال له الله [٢٢٧] تعالى^(٢): ﴿وشاورهم في الأمر﴾^(٣).

وأراد مصالحة بعض عدوه على ثلث تمر المدينة^(٤)، فاستشار الأنصار، فلما أخبروه
برأيهم^(٥) رجع عنه.

فمِثْلُ هذا وأشباهه من أمور الدنيا التي لا مدخلَ فيها العلمَ ديانةً ولا اعتقادها^(٦).

(١) نور ما وراءه: نفسه عليهم. أو هي نوره، ومعناها نسده ونظمه وندفنه، حتى
يذهب ماؤه الذي ينتفع به الأعداء. والقلب: جمع قلب؛ وهو البئر لم تطو؛ أى لم تبني
أطرافها بالحجارة. والخبر في سيرة ابن هشام: ٢ - ٢٥٩

(٢) سورة آل عمران، آية ١٥٩

(٣) قال في نسيم الرياض (٤ - ٢٨٧): الأمر للندب لا للوجوب؛ وإنما أمره بذلك
تطبيبا لحاطرهم، ورفعاً لمقدارهم؛ لأن كبراء العرب كانوا إذا لم يشاوروا شق ذلك على نفوسهم،
فأمره بذلك رعاية لهم وتشريعا لمن بعدهم، وإن النبي صلى الله عليه وسلم أكل الناس عقلا
وأسداهم رأيا.

واختلف في ذلك؛ فقليل: كان فيما لم ينزل فيه وحى ليجتهد فيه ويجتهدوا معه؛ فإن
الاجتهاد بحضرة جائز أيضا. وقيل: إنه مخصوص بأمور الدنيا ومصالح الحرب؛ فإنهم جربوها،
وقاسوا شدائدتها. وكلام المصنف يومی لهذا.

(٤) وكان ذلك في غزوة الخندق لما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عيينة بن حصن
وإلى الحارث بن عوف للرى، وهما قائدا غطفان بأن يعطيها ما ذكر.

(٥) وهو ما قاله سعد بن معاذ: يارسول الله؛ قد كنا وهؤلاء القوم على الشرك وعبادة
الأوثان، لا نعبد الله ولا نعرفه، وهم لا يطعمون أن يأكلوا منها ثمرة إلا قرى أو بيما، فحين
أكرمنا الله تعالى بالإسلام وهدانا له، وأعزنا بك وبه نعطيهم أموالنا! ما لنا بهذا من حاجة؛
والله لا نمطيهم إلا السيف، حتى يحكم بيننا وبينهم.

(٦) أى ليس مما أمر صلى الله عليه وسلم باعتقاده وتبليغه لأمته وتعليمه لهم.

ولا تعليمها ، يجوزُ عليه فيه ما ذكرناه^(١) ؛ إذ ليس في هذا كله نقيصةٌ ولا محطّة^(٢) ؛ وإنما هي أمورٌ اعتياديةٌ يعرفها من جربها ، وجعلها همهً ، وشغلَ نفسه بها ، والنبىُّ - صلى الله عليه وسلم - مشحون القلبِ بمعرفة الرّبوبية^(٣) ملآنُ الجوانحِ بعلم الشريعة ، مقيد البالِ بمصالح الأمة الدينية والدنيوية ، ولكن هذا^(٤) إنما يكونُ في بعض الأمور^(٥) ، ويجوز في النادر^(٦) فيما سبيله التدقيق في حراسة الدنيا واستثمارها^(٧) ، لا في الكثير المؤذنِ بالبله^(٨) والغفلة .

وقد تواترَ بالنقل عنه صلى الله عليه وسلم من المعرفة بأمر الدنيا ودقائق مصالحها ، وسياسة فرق أهلها^(٩) ما هو معجزٌ في البشر مما قد نبهنا عليه في باب « معجزاته » من هذا الكتاب^(١٠) .

-
- (١) ما ذكرناه : من أن يعتقد على وجه فيظهر له خلافه ؛ لأنه ليس من مهمات الدين .
 - (٢) أى لا يحط من مقامه ولا يعبه .
 - (٣) مشحون : مملوء ؛ أى لم يبق فيه محل فارغ لغيرها حتى يحظر بياله .
 - (٤) هذا : أى ما يعتقد ويظهر خلافه .
 - (٥) في بعض الأمور : الدنيوية المادية التى تعرف بالتجربة وكثرة اللزاوله .
 - (٦) فسلامة عقله صلى الله عليه وسلم وشدة حذقه تقتضى أنه أعلم الناس بأمر دنياهم أيضا ؛ لأنه أوفر الناس عقلا ؛ وقد أطلعه الله تعالى على أسرار الوجود من مذموم ومحمود .
 - (٧) فيما سبيله التدقيق : أى طريق العلم به تدقيق النظر فيه بتكريره أو صرفه . فى حراسة الدنيا : أى فى حفظ أمور الدنيا وصونها . واستثمارها : أى طلب زيادتها ونمو ثمرتها ، وهو أمر ناشئ عن محبتها والحرص على تحصيلها ، وهو صلى الله عليه وسلم لا يريد حرث الدنيا ، ولا يشغل بها خاطره ، ومع ذلك ما وقع منه عدم العلم بها إلا نادرا .
 - (٨) البله والبلاهة : نقص فى العقل . والغفلة : دون البله .
 - (٩) السياسة : حكم الناس وضبط أمورهم الجارية بينهم حتى لا يعتمدى بعضهم على بعض . فرق أهلها : عربا ، وعجماء على اختلاف عقولهم وطبائهم وعاداتهم وألسنتهم .
 - (١٠) صفحة ٣٤١ وما بعدها .

فصل

وأما ما يُعقَّد في أمورِ أحكامِ البَشَرِ الجاريةِ^(١) على يَدَيْهِ وقَضَايَاهُمْ ، ومعرفةِ الحقِّ من المُبْطَلِ ، وعِلْمِ المُصْليحِ من المُفْسِدِ ، فهذه السَّبِيلُ^(٢) ؛ لقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ^(٣) : « إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ ، وَإِنَّكُمْ تَخْتَصِمُونَ إِلَيَّ ، وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَنْ يَكُونَ أَلْحَنَ^(٤) بِحُجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ ؛ فَأَقْضِي لَهُ عَلَى نَحْوِ مِمَّا أَسْمَعُ^(٥) ؛ فَهَنْ قَضَيْتُ لَهُ مِنْ حَقِّ أَخِيهِ شَيْءٌ فَلَا يَأْخُذُ مِنْهُ شَيْئًا^(٦) ، فَإِنَّمَا أَقْطَعُ لَهُ قِطْعَةً مِنَ النَّارِ^(٧) » .

حدثنا الفقيه أبو الوليد رحمه الله ؛ حدثنا الحسين بن محمد الحافظ ، حدثنا أبو عمر ، حدثنا أبو محمد ، حدثنا أبو بكر ، حدثنا أبو داود ، حدثنا محمد بن كثير ، أخبرنا سفيان ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن زينب بنت أم سلمة ؛ قالت : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . . . الحديث .

وفي رواية الزُّهْرِي ، عن عُرْوَةَ : « فَلَمَلَّ بَعْضَكُمْ أَنْ يَكُونَ أَبْلَغَ مِنْ بَعْضٍ ؛ فَأَحْسِبْ أَنَّهُ صَادِقٌ فَأَقْضِي لَهُ » .

(١) في أمور أحكام البشر : أى ما يحكم به عليهم في أمورهم التي ترفع إليه .
(٢) فهذه السبيل : أى جاء على هذه الطريقة السابقة في أمور الدنيا التي قد يظهر له منها ما الأمر بخلافه أحيانا . وفي شرح القارى (٢ - ٣٤١) : أى ما ذكر هنا من معتقده ومعرفة على الوجه الجميل .

(٣) رواه الشيخان مسندا ، وأبو داود ، وعنه رواه المصنف . صحيح مسلم : ١٣٣٧

(٤) أَلْحَنَ بِحُجَّتِهِ : أعرف بقيام الحجة وأفصح في بيانها ممن يخاصمه .

(٥) بحسب الظاهر منه .

(٦) فلا يأخذ منه شيئا ليس من حقه .

(٧) في نسيم الرياض (٤ - ٢٩١) : وحاصله أن حكم الحاكم بحسب الظاهر صحيح نافذ ،

ولكن إن خالف الواقع لا يحمل حراما ولا يحرم حلالا ؛ لأننا نحكم بالظاهر ، وعند الله

علم السرأر .

وهذا في الأموال والدماء وغيرهما ، فالحكم ينفذ بحسب الظاهر ، ويبقى الباطن في الآخرة .

وَتُجْرَى أَحْكَامُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الظَّاهِرِ وَمُوجِبٌ ^(١) غَايَاتِ الظَّنِّ بِشَهَادَةِ الشَّاهِدِ ، وَبَيْنَ الْخَالِفِ ، وَمِرَاعَاةِ الْأَشْبَهِ ^(٢) ، وَمَعْرِفَةِ الْعِنَاصِ وَالْوِكَاءِ ^(٣) ، مَعَ مُقْتَضَى حِكْمَةِ اللَّهِ فِي ذَلِكَ ^(٤) ؛ فَإِنَّهُ تَعَالَى لَوْ شَاءَ لَأَطَّلَعَهُ عَلَى سِرَائِرِ عِبَادِهِ ، وَمُحَبَّبَاتِ ضَمَائِرِ أُمَّتِهِ ؛ فَتَوَلَّى الْحُكْمَ بَيْنَهُمْ بِمَجْرَدِ يَقِينِهِ وَعِلْمِهِ دُونَ حَاجَةٍ إِلَى اعْتِرَافٍ أَوْ بَيِّنَةٍ أَوْ يَمِينٍ أَوْ شُهْنَةٍ ^(٥) ؛ وَلَكِنْ لَمَّا أَمَرَ اللَّهُ أُمَّتَهُ بِاتِّبَاعِهِ وَالِاقْتِدَاءِ بِهِ فِي أَعْمَالِهِ وَأَحْوَالِهِ وَقَضَايَاهُ وَسِيَرِهِ ؛ وَكَانَ هَذَا لَوْ كَانَ تَمَّا يَخْتَصُّ بِعِلْمِهِ وَيُؤَثِّرُهُ ^(٦) اللَّهُ بِهِ ، لَمْ يَكُنْ لِلْأُمَّةِ سَبِيلٌ إِلَى الْاِقْتِدَاءِ بِهِ فِي شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ ^(٧) ، وَلَا قَامَتْ حُجَّةٌ بَقَضِيَّةٍ مِنْ قَضَايَاهُ لِأَحَدٍ فِي شَرِيعَتِهِ ؛ لِأَنَّا لَا نَعْلَمُ مَا أُطْلِعَ عَلَيْهِ هُوَ فِي تِلْكَ الْقَضِيَّةِ لِحُكْمِهِ هُوَ إِذَا فِي ذَلِكَ بِالْمَكْنُونِ ^(٨) مِنْ إِعْلَامِ اللَّهِ لَهُ بِمَا أُطَّلِعَهُ عَلَيْهِ مِنْ سِرَائِرِهِمْ ؛ وَهَذَا مَا لَا تَعْلَمُهُ الْأُمَّةُ ^(٩) ؛ فَأَجْرَى اللَّهُ تَعَالَى أَحْكَامَهُ عَلَى ظَوَاهِرِهِمُ الَّتِي يَسْتَوِي فِي ذَلِكَ هُوَ وَغَيْرُهُ مِنَ الْبَشَرِ ؛ لِيَتِمَّ اقْتِدَاءُ أُمَّتِهِ بِهِ فِي تَعْيِينِ

(١) موجب : ما يقتضيه . غلبات الظن : ما يوجب تحقيقه في ظنه بحسب ظاهر الحال .

(٢) أى ما هو أكثر شبيهاً بالحق بما فيه من القرائن .

(٣) ومعرفة العناص والوكاء : العناص : وعاء من جلد ونحوه يوجد فيه ما التقطط . والوكاء :

ما يربط به ؛ فإذا عرفها وجاء طلبها يسأل عن أماراتها ، فإذا بينها تدفع له لغلبة الظن بأنه صاحبها .

(٤) اقتضت حكمة الله تعالى لنبيه أن يحكم بالظاهر ، ليقضى به من بعده من حكام أُمَّتِهِ ، وَلَوْ أَرَادَ أَنْ يَطَّلِعَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي كُلِّ قِصَّةٍ عَلَى حَقِيقَتِهَا فَعَلَّ ، وَلَكِنَّهُ لَا يَتَّبِعُ مَنْ يَتَّبِعُهُ مِنْ بَعْدِهِ اتِّبَاعَهُ فِي أَحْكَامِهِ ؛ وَهَذِهِ الْأَحْكَامُ وَإِنْ خَالَفتِ الْوَاقِعَ لِأَخْطَأَ فِيهَا ؛ لِأَنَّهُ مَأْمُورٌ بِالْحُكْمِ مِنْ قِبَلِ اجْتِهَادِهِ حَقٌّ يَقَالُ : إِنَّهُ لَا يَخْطِئُ فِيهِ وَلَا يَقْرَعُ عَلَى الْخَطَأِ فِينَا فِي مَا تَقَدَّمَ ؛ وَهُوَ ظَاهِرٌ جَدًّا (الخفاجى : ٤ - ٢٩٢) .

(٥) شبهة : مشابهة في الأمر للحق .

(٦) يؤثره الله به : يخصه به دون أُمَّتِهِ ، لِأَنَّهُ وَحَى أَوْ إِلهَامٌ .

(٧) لأنه بمن آثره الله تعالى به . (٨) بالمكنون : بالخفى .

(٩) لأنه تعالى لا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول .

قضاياه، وتنزيل أحكامه^(١)، ويأتون ما أتوا من ذلك [٢٢٨] على علمه ويقين من سنته، إذ البيان بالفعل أوقع منه بالقول، وأدفع^(٢) لاحتمال اللفظ وتأويل المتأول؛ وكان حكمه على الظاهر أجلى^(٣) في البيان، وأوضح في وجوه الأحكام، وأكثر فائدة موجبات^(٤) التشاجر والخصام^(٥)، وليقتدى بذلك كله حكم أمته، ويستوثق بما يؤثر عنه، وينضبط قانون شريعته، وطى^(٦) ذلك عنه من علم الغيب الذي استأثر به عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول، فيعلمه منه بما شاء^(٧)، ويستأثر بما شاء، ولا يقدر هذا في نبوته، ولا يفهم عروته^(٨) من عصمته.

فصل

وأما أقواله النبوية من إخباره عن أحواله وأحوال غيره وما يفعله أو فعله - فقد قدمنا أن الخلف فيها تمتنع عليه^(٩) في كل حال، وعلى أى وجه، من عمد أو سهو، أو صحة أو مرض، أو رضاء أو غضب، وأنه معصوم منه صلى الله عليه وسلم.

(١) في تعيين قضاياه التي وقعت في أحكامه بين الناس، وتنزيل أحكامه على قواعد شرعه.

(٢) في ١: وأرفع. (٣) فكان حكمه: أى حكم الفعل. أجلى: أظهر.

(٤) موجبات التشاجر: أى ما يقتضيه التشاجر والخصام.

(٥) قال في نسيم الرياض (٤ - ٢٩٤): وإنما كان الفعل أظهر؛ لأنه مشاهد محسوس. وفي

الحديث: ليس الخبر كالمعاينة؛ فإن الله أخبر موسى بما فعل قومه بعده فلم يلق الألواح، فلما عاين ذلك ألقاها. (٦) طى ذلك: إخفاؤه.

(٧) بما شاء: من وحى، أو إلهام، أو فراسة؛ ليكون معجزة له، أو كرامة أكرمه

الله بها.

(٨) ولا يقدر هذا؛ أى عدم اطلاعه على بعض الغيبات. ولا يفهم: لا يحل.

(٩) أى لا يصدر عنه أمر يخالف ما في نفس الأمر؛ لأنه معصوم في أقواله وأفعاله.

هذا فيما طريقه أَخْبَرَ الْمُحْضُ^(١) مِمَّا يَدْخُلُهُ الصَّدَقُ وَالكَذِبُ ؛ فَأَمَّا الْمَعَارِضُ^(٢) النَّوْمُ ظَاهِرُهَا خِلَافُ بَاطِنِهَا فَجَائِزٌ وَرُودُهَا مِنْهُ فِي الْأُمُورِ الدُّنْيَوِيَّةِ لِاسْمِهَا لِقَصْدِ الْمَصْلَحَةِ ، كَتَوْرِيَّتِهِ عَنْ^(٣) وَجْهِ مَغَازِيهِ لِثَلَايَاخِذِ الْمَدْوُ حِذْرَهُ .

وَمَا رُوِيَ مِنْ مُمَازِحَتِهِ وَدُعَابَتِهِ لِبَسْطِ أُمَّتِهِ^(٤) وَتَطْيِيبِ قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ صَحَابَتِهِ ، وَتَأْكِيدِهَا فِي تَحْبُّبِهِمْ وَمَسْرَّةِ نَفْسِهِمْ ؛ كَقَوْلِهِ^(٥) : لِأَحْمَلِكَ عَلَى ابْنِ النَّاقَةِ . وَقَوْلِهِ لِلرَّأْسَةِ الَّتِي سَأَلْتَهُ عَنْ زَوْجِهَا^(٦) : أَهُوَ الَّذِي بَعَيْنَهُ بِيَاضٍ .

(١) النخب المحض : أى الصريح الذى ليس من قبيل المعارض التى يراد بها التورية .

(٢) المعارض : جمع معراض ، من التعريض ، خلاف الصريح . والصريح : هو النص الذى لا يَحْتَمِلُ التَّأْوِيلَ مِنَ الْقَوْلِ .

(٣) وجه مغازيه : جهته التى يتوجه إليها فى غزواته ، فإن فيها مصلحة . والتورية : أن يكون اللفظ له معنيان قريب وبعيد ، فيقصد البعيد . وقد تقدم .

(٤) لبسط أمته : ليسرهم ويشرح صدورهم .

(٥) فى حديث رواه أبوداود ، والترمذى ، عن أنس رضى الله عنه ، وصحاحاه ، وروى عن أبى هريرة أيضا ؛ وهو أنه صلى الله عليه وسلم قال له رجل كان فيه بله : يا رسول الله ، احملنى . فبسطه صلى الله عليه وسلم بما عساه أن يكون ، ثم قال له : أنا أحملك على ابن الناقة . فسبق لحاظه من لفظ النبوة استصغاره ؛ فقال : يا رسول الله ، ما يعنى عنى ابن الناقة ! فقال له صلى الله عليه وسلم : ويلك ! وهل يلد الجمل إلا الناقة .

وإنما كان صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك معهم إذاها بالوحشتهم ، ولما يعلمه صلى الله عليه وسلم من مهابته فى نفوسهم فيؤنسهم بذلك .

وما ورد من النهى عن المزح فإنما هو عن كثرته المفرطة ، واستعماله مع كل أحد فى غير محله .

والحديث فى سنن الترمذى : ٤ - ٣٥٧

(٦) فى حديث رواه ابن أبى حاتم وغيره ، كما أخرجه ابن أبى الدنيا عن زيد بن أسلم -

أن امرأة يقال لها أم أيمن جاءت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت : زوجى يدعوك . فقال لها : من هو ؟ أهو . . . فقالت له : والله ما بعينه بياض . فقال لها صلى الله عليه وسلم : ما من أحد إلا بعينه بياض - يعنى به البياض المحيط بالحدقة ؛ وهى توهمت غشاوة على حدقته مضرة بالبصر . واللفظ يحتملها .

وهذا كله صدق؛ لأن كلَّ جملِ ابنِ ناقةٍ، وكلَّ إنسانٍ بعينه بياضٌ. وقد قال صلى الله عليه وسلم^(١): إني لأمزحُ ولا أقولُ إلا حقا .

هذا كله فيما بابه الخبر؛ فأما ما بابه غَيْرُ الخبرِ مما صورته صورةُ الأمرِ والنهي في الأمورِ الدنيوية فلا يصح منه أيضا، ولا يجوزُ عليه أن يأمرَ أحدا بشيءٍ أو ينهى أحداً عن شيءٍ وهو يُبطنُ خلافةً .

وقد قال صلى الله عليه وسلم: ما كان لنبى أن تسكون له خائنةُ الأعين، فكيف أن تسكون له خيانة قلبٍ^(٢) .

فإن قلتَ : فما معنى إذاً قوله تعالى في قصة زيد^(٣) : ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ ، وَنُحِفِّي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَيَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ . . . ﴾ .

فأعلمْ - أكرمك الله ، ولا تسترب^(٤) في تنزيهِ النبى صلى الله عليه وسلم عن

- (١) في حديث رواه أحمد ، والترمذى ، والطبرانى : سنن الترمذى : ٤ - ٣٥٧ .
 (٢) خائنة : خيانة . خائنة الأعين : ما تخون فيه بمسارقة النظر والغمز . وخائنة القلب : خيائته ؛ قال في نسيم الرياض : وإذا لم يجزله أن يشير بطرفه لخلاف ما في قلبه فكيف بهذا ؟ وهذا من حديث رواه الحاكم ، والنسائى ، وأبو داود : سنن أبي داود : ١ - ٢٦٦ .
 (٣) سوة الأحزاب ، آية ٣٧ ؛ وكانت زوجة زيد هي زينب بنت عمه النبي ؛ وكانت من أجمل النساء وأشرفهن ، فأثنى صلى الله عليه وسلم زيدا لحاجة فلم يجده ، فوقع نظره عليها فأعجبه حسنها ، ووقعت في قلبه أعظم موقع ؛ فقال : سبجان مقلب القلوب . وانصرف . فلما جاءها زيد أخبرته بذلك ، ففطن زيد لوقوعها في قلبه، وألقى الله تعالى في نفسه كراهيتها، فقال : يا رسول الله ؛ إني أريد مفارقة زوجتى فقال له : مارابك منها ؟ قال : مارابنى منها شيء ، ومارا بنى منها إلا خير ؛ ولكنها تتمطم على وتؤذنى بلسانها . فقال له رسول الله صلى عليه وسلم : أمسك عليك زوجك ، واتق الله في أمرها ؛ فأبى وطلقها .
 (٤) لا تسترب : لاتقع في ريبة وشك في أمره صلى الله عليه وسلم .

هذا الظاهر^(١) وأن يأمر زيدا بإمساکها وهو يجب تطلقته إياها، كما ذكر عن جماعة من المفسرين^(٢).

وأصح ما في هذا ما حكاه أهل التفسير عن علي بن حسين - أن الله تعالى كان أعلم نبيه أن زينب ستكون من أزواجه، فلما شكها إليه زيد قال له: أمسك عليك زوجك، واتي الله^(٣). وأخفى في نفسه ما أعلمه الله به من أنه سيزوجها مما الله مُبديهِ ومُظهِره بتمام التزويج وتطليق زيد لها.

وروى نحوه عمرو بن فائد، عن الزهري؛ قال: نزل جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم يُعلمه أن الله يزوجه زينب بنت جحش^(٤)؛ فذلك الذي أخفى في نفسه. ويصحح هذا قول المفسرين في قوله تعالى بعد هذا: ﴿وكان أمر الله منعوا﴾؛ أي لا يُبدل لك [٢٢٩] أن تزوجها.

ويوضح هذا أن الله لم يُبد^(٥) من أمره معها غير زواجه لها؛ فدل أنه^(٦) الذي

(١) عن هذا الظاهر من الآية؛ أنه صلى الله عليه وسلم أخفى في نفسه أمرا للخشية طعن الناس فيه بجها وإرادة طلاقها وأمره بإمساکها، وهو يريد خلافة.

(٢) قال الخفاجي: وهو غير لائق بمقامه صلى الله عليه وسلم.

(٣) سورة الأحزاب، آية ٣٧؛ لأنه فهم من شكايته أنه يستأذنه في طلاقها. واتي الله: فلا تؤذيها بوصفها بالتكبر وطلاقها بلا سبب.

(٤) في نسيم الرياض (٤ - ٢٩٩): قال ابن العربي: فإن قلت: فلم قال له: أمسك عليك - بعد ما أخبره الله تعالى بأنه سيزوجها له؟ قلت: ليعلمه ما لم يعلمه من كراهة زيد لها ورغبته في طلاقها، حتى لا يبقى في نفسه شيء منها.

وعلى هذا التفسير لم يبق في القصة إشكال أصلا. وانظر - في هذه القصة - تفسير ابن كثير: ٦ - ٤٢٠، وتفسير القرطبي: ١٤ - ١٨٩، وأحكام القرآن: ٣ - ١٥٢٩، وما بعدها.

(٥) لم يُبد: لم يظهر. (٦) أنه: أي تزويجها له بأمر هو الذي أخفاه في نفسه.

أخفاه صلى الله عليه وسلم تماماً كان أعلمه به تعالى .
 وقوله تعالى في القصة (١) : ﴿ ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له سنة الله في الذين خلوا من قبل وكان أمر الله مفعولاً ﴾ .
 فدل أنه لم يكن عليه حرج في الأمر .

قال الطبري : ما كان الله ليؤتم نبيه (٢) فيما أحلّ مثلاً ففعله لمن قبله من الرسل ؛ قال الله تعالى : (١) ﴿ سنة الله في الذين خلوا من قبل ﴾ ؛ أي من النبيين فيما أحلّ لهم ؛ ولو كان على ماروي في حديث قتادة من وقوعها (٣) من قلب النبي صلى الله عليه وسلم عندما أعجبتة ، ومحبتة طلاق زيد لما لكان فيه أعظم الحرج ، وما لا يليق به من مدّ عينيه لِمَا نهي عنه من زهرة الحياة الدنيا (٤) ، ولكان هذا نفس الحسد المذموم الذي لا يرّضاه ولا يتّسم (٥) به الأتقياء ، فكيف سيّد الأنبياء ؟

قال التّشيري : وهذا (٦) إقدام عظيم من قائله ، وقلة معرفة بحق النبي صلى الله عليه وسلم وبفضله .

(١) سورة الأحزاب ، آية ٣٨

والحرج في الأصل : الضيق ، وأريد به الإثم ؛ أي لا إثم عليك فيما قدره لك ، ووسع عليك في أمر النكاح . سنة الله : أي سن ذلك سنة وطريقه شرعية كانت لمن قبلك من الأنبياء . وفرض : قضى وقدر .

(٢) يؤتم نبيه : يوقمه في إثم وذنب .

(٣) وقوعها : أي زينب .

(٤) زهرة الحياة الدنيا : زينتها وزخرفها وبهجتها ، قال تعالى : ولا تمدن عينيك إلى ما متعناه

أزواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا . سورة طه ، آية ١٣١

(٥) لا يتّسم به : لا يتصف به .

(٦) وهذا المنقول عن قتادة من أنه صلى الله عليه وسلم رآها فأعجبتة وأراد طلاقها إقدام :

جراحة - على مقام النبوة .

وكيف يقال : رآها فأعجبتهُ وهي بنتُ عمته ، ولم يزل يراها منذُ وُلِدَتْ ، ولا كان النساءُ يَحْتَجِبْنَ منه صلى اللهُ عليه وسلم ، وهو زَوْجُهَا زَيْدٌ ؛ وإنما جعل اللهُ طلاقَ زَيْدٍ لها ، وتزويجَ النبيِّ صلى اللهُ عليه وسلم إياها ؛ لإزالةِ حُرْمَةِ التَّبَنِّي ، وإبطالِ سُنَّتِهِ ؛ كما قال (١) : ﴿ ما كان محمدٌ أباً أحَدٍ من رجالكم ﴾ . وقال (٢) : ﴿ لكَيْلًا يَكُونُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيائِهِمْ ﴾ .
وَنَحْوُهُ لِابْنِ فُورَكَ .

وقال أبو الليث السمرقندي : فإن قيل : فما الفائدةُ في أمرِ النبيِّ صلى اللهُ عليه وسلم زَيْدٍ بِإِمْسَاكِهَا ؟ فهو (٣) أن الله أعلمُ نبيّه أنها زَوْجَتُهُ ، فنهاه النبيُّ صلى اللهُ عليه وسلم عن طَلَاقِهَا ؛ إذ لم تَكُنْ بينهما أُلْفَةٌ ؛ وأخفى في نفسه ما أعلمه اللهُ به ، فلما طَلَّقَهَا زَيْدٌ خَشِيَ قَوْلَ (٤) النَّاسِ : يَتَزَوَّجُ امْرَأَةَ ابْنِهِ ؛ فأمره اللهُ بِزَوَاجِهَا لِيُبَاحَ مِثْلُ ذَلِكَ لِأُمَّتِهِ ، كما قال تعالى (٥) : ﴿ لكَيْلًا يَكُونُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا ﴾ .

وقد قيل : كان امرؤه لزيدٍ بِإِمْسَاكِهَا قَمْعًا لِلشُّهُوَةِ (٦) ، وردًا للنفس عن

(١) سورة الأحزاب ، آية ٤٠ ، أى ليس أباً حقيقياً لأحد منهم .

(٢) سورة الأحزاب ، آية ٣٧ . أى شرعنا لك ذلك توسيعاً على الأمة لخاصية لك .

والأدعياء : جمع دعى ، بمعنى مدعو ؛ وهو من يلصق نسبه بنسب غيره ، وليس بينها بنوة حقيقية .

(٣) فهو : أى جوابه .

(٤) قال الخفاجى : وإنما خشيهِ - وهو لا يثم فيه - كراهة القيل لمن لا يعرف حقيقة

الحال .

(٥) سورة الأحزاب ، آية ٣٧

(٦) يقال : قمعه فانقمع ، إذا كفه وذلك ؛ أى منعا للشهوة وزجراً لها .

هَوَاهَا^(١). وهذا إذا جَوَزْنَا عليه أَنه رَأَاهَا فِجَاءً وَاسْتَحْسَنَهَا. وَمِثْلُ هَذَا لَا نُنْكِرُهُ^(٢) فِيهِ ، لِمَا طُبِعَ عَلَيْهِ ابْنُ آدَمَ مِنْ اسْتِحْسَانِهِ لِلْحَسَنِ ، وَنَظَرَةُ الْفُجَاءَةِ^(٣) مَعْنَوْهَا عَنْهَا ؛ ثُمَّ قَعَّ نَفْسَهُ عَنْهَا ، وَأَمْرٌ زَيْدًا بِإِمْسَاكِهَا ؛ وَإِنَّمَا تُنْكِرُ تِلْكَ الزِّيَادَاتُ الَّتِي فِي الْقِصَّةِ^(٤) . وَالتَّعْوِيلُ وَالْأَوَّلَى مَا ذَكَرْنَاهُ عَنْ عَلِيِّ بْنِ حُسَيْنٍ ، وَحِكَاةُ السَّمْرَقَنْدِيِّ ؛ وَهُوَ قَوْلُ ابْنِ عَطَاءٍ ، وَصَحَّحَهُ وَاسْتَحْسَنَهُ انْقَاضِي الْقَشِيرِيِّ ، [وَعَلَيْهِ عَوَّلَ أَبُو بَكْرٍ بْنُ فُورِكَ ، وَقَالَ : إِنَّهُ^(٥) مَعْنَى ذَلِكَ عِنْدَ الْمُحَقِّقِينَ مِنْ أَهْلِ التَّفْسِيرِ ؛ قَالَ : وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُنْزَعٌ عَنْ اسْتِعْمَالِ النَّفَاقِ فِي ذَلِكَ ، وَإِظْهَارِ خِلَافِ مَا فِي نَفْسِهِ ؛ وَقَدْ نَزَّهَهُ اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى^(٦) : ﴿ مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ ﴾ ؛ قَالَ : وَمَنْ ظَنَّ ذَلِكَ^(٧) بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَدْ أَخْطَأَ .

قَالَ : وَليْسَ مَعْنَى الْخَشْيَةِ^(٨) هُنَا الْخُوفُ ؛ وَإِنَّمَا مَعْنَاهُ الْاسْتِحْيَاءُ ؛ أَيِ يَسْتَحْيِي مِنْهُمْ^(٩) أَنْ يَقُولُوا : تَزَوَّجَ زَوْجَةَ ابْنِهِ^(١٠) .

(١) قَالَ فِي نَسِيمِ الرِّيَاضِ (٤ - ٣٠٣) وَحِكَاةُ بـ « قِيلَ » إِشَارَةً إِلَى أَنَّهُ غَيْرُ مَرَضِي عِنْدَهُ ؛ فَلَا وَجْهَ لاسْتِحْسَانِهِ ؛ لِأَنَّهُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لَمْ يَكُنْ فِي نَفْسِهِ هَوًى ، وَحَاشَاكَ مِنْ مِثْلِهِ .

(٢) لَا نُنْكِرُهُ فِيهِ : لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ صَحَّتُهُ فِي الْجُمْلَةِ .

(٣) نَظَرَةُ الْفُجَاءَةِ : أَيِ النَّظَرِ الَّذِي وَقَعَ بِنَفْسِهِ مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ .

(٤) تِلْكَ الزِّيَادَاتُ مِنْ أَنَّهُ تَعَلَّقَ قَلْبَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِهَا ، وَأَرَادَ أَنْ يَطْلُقَهَا ، وَأَخْفَى ذَلِكَ فِي نَفْسِهِ ؛ وَنَحْوَهُ مِمَّا لَا يَلِيْقُ بِنِزَاهَتِهِ .

(٥) إِنَّهُ : إِنْ هَذَا الْقَوْلُ الَّذِي اعْتَمَدَهُ .

(٦) سُورَةُ الْأَحْزَابِ ، آيَةٌ ٣٨ . وَفَرَضَ : قَدَرَ وَقَضَى مِنْ تَزْوِيجِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زَيْنَبَ .

(٧) مَنْ ظَنَّ ذَلِكَ : أَيِ ظَنَّ أَنَّهُ وَقَعَ فِي قَلْبِهِ مَحَبَّتُهَا ، وَأَرَادَ أَنْ زَيْدًا يَفَارِقَهَا وَأَخْفَى ذَلِكَ فِي نَفْسِهِ .

(٨) فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : وَتَخَشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ .

(٩) مِنْهُمْ : مِنَ النَّاسِ .

(١٠) أَمَامَ مَا بَيْنَ الْقَوْسَيْنِ فِي هَامِشِ ١ : مَلْحَقٌ فِي الْأُمِّ بِمَخْطُطِهِ مِنْ غَيْرِ الرَّوَايَةِ .

وأن خشيته صلى الله عليه وسلم من الناس كانت من إرجاف المنافقين واليهود
وتشغيهم^(١) على المسلمين بقولهم: تزوج زوجة ابنه بعد نهيهِ عن نِكَاحِ حلائل الأبناء،
كما كان^(٢)؛ فمتبى الله على هذا، ونزّههُ عن الالتفات إليهم فيما أحلّ له، كما عتبه على
مُرَاعاةِ رِضَا أزواجه في سورة التحريم بقوله^(٣): ﴿لَمْ يُحْرَمْ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبَعِي
مِرْضَاةِ أَزْوَاجِكَ، وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾. وكذلك قوله له ها هنا^(٤): ﴿وَتَحْشَى النَّاسَ
وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَحْشَاهُ﴾.

وقد رُوِيَ عن الحسن وعائشة^(٥): لو كنتم رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - شيئاً
كنتم هذه الآية، لما فيه من عتبه [٢٣٠] وإبداء ما أخفاه.

فصل

فإن قلت: قد تقررت عصمته صلى الله عليه وسلم في أقواله في جميع أحواله، وأنه
لا يضح منه فيها خلف ولا اضطراب^(٦) في عمده ولا سهو، ولا صحة ولا مرض، ولا جد
ولا هزل، ولا رِضاً ولا غضب. ولكن مامعنى الحديث^(٧) في وصيته^(٨) صلى الله عليه وسلم
الذي حدثنا به القاضي الشهيد أبو علي رحمه الله؛ قال: حدثنا القاضي أبو الوليد،
حدثنا أبو ذرّ، حدثنا أبو محمد، وأبو الهيثم، وأبو إسحاق؛ قالوا: حدثنا محمد
ابن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا علي بن عبد الله، حدثنا عبد الرزاق

(١) من إرجاف للمنافقين: أي إشاعة ما هو مكروه بزعمهم، والتشبيب: ما يؤدي إلى الشر
من الأكاذيب.

(٢) كما كان: كما وقع.

(٣) سورة التحريم، آية ١

(٤) سورة الأحزاب، آية ٣٧

(٥) وتفسير ابن كثير: ٦ - ٤٢٠

(٦) اضطراب: اختلاف وتناف.

(٧) الحديث الذي روى عنه صلى الله عليه وسلم في الصحيحين: صحيح مسلم: ١٢٥٨،

وصحيح البخاري: ٦ - ١١

(٨) في وصيته لأصحابه رضى الله عنهم في مرض موته.

ابن همام ، أنبأنا معمر ، عن الزهري ، عن عبيد الله بن عبد الله ، عن ابن عباس ؛ قال : لما حضر^(١) رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي البيت رجالٌ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : هلموا أكتب كتاباً لن تضلوا بعده .
فقال بعضهم : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد غلبه الوجع^(٢) ...
الحديث^(٣) .

وفي رواية : ائتوني أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعدى أبداً ؛ فتنازعوا ، فقالوا : ماله أهجر^(٤) ! استفهموه^(٥) ؛ فقال : دعوني ، فإن الذي أنا فيه خير^(٦) .
وفي بعض طرقه : أن النبي صلى الله عليه وسلم يهجر^(٧) .
وفي رواية : هجر . ويروى : أهجر . ويروى : أهجراً .
وفيه^(٨) : فقال عمر : إن النبي صلى الله عليه وسلم قد اشتد به الوجع ، وعندنا

(١) حضر : حضره الموت ، وظهرت علاماته ، ودنا موته .

(٢) غلبه الوجع : اشتد عليه ألم مرضه .

قال الخفاجي : وهذا محل الشبهة والسؤال ؛ لأنه يقتضى أنه صلى الله عليه وسلم في حال مرضه قد يصدر عنه ما يخالف الواقع . وقد تقدم أنه - صلى الله عليه وسلم - معصوم في مرضه وصحته وسائر أحواله .

(٣) والحديث رواه البخاري وغيره . وقد تقدم أنه في صحيح مسلم ، وصحيح البخاري .

(٤) أهجر : اختلف كلامه بسبب المرض . على سبيل الاستفهام ؛ أى هل تنير كلامه ، واختلط

لأجل ما به من المرض

قال في النهاية : وهذا أحسن ما يقال فيه ، ولا يجمل إخباراً ، فيكون إما من الفحش أو

الهديان . والقائل كان عمر ، ولا يظن به ذلك .

(٥) استفهموه : أى قولهم أهجر - بهمزة الاستفهام الإنكارى .

(٦) الذى أنا فيه : من مراقبة الله والتأهب للقائه ، وانتظار رسله الداعين لى للرفيق

الأعلى خير من الاشتغال بأموركم واستماع كلامكم .

(٧) يهجر : أى يأتى بهجر من القول ، وهو على تقدير الاستفهام الإنكارى أيضاً .

(٨) وفيه : في هذا الحديث .

كتابُ اللهِ حَسْبُنَا (١) .

وَكَثْرُ اللَّغَطِ ؛ فَقَالَ (٢) : قَوْمُوا عَنِّي .

وفي روايةٍ : واختلفَ أهلُ البيتِ واختصموا (٣) ؛ ففهمَ مَنْ يقولُ : قَرَّبُوا

يكتبُ لكم رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم كتابا .

ومنهم مَنْ يقولُ ما قالَ عمرُ .

قالَ أئمتنا في هذا الحديثِ : النبيُّ صلى اللهُ عليه وسلم غيَّرَ معصومٍ من الأمراضِ (٤) ،

وما يكونُ مِنْ عَوَارِضِهَا مِنْ شِدَّةٍ وَجَعٍ وَغَشْيٍ (٥) ونحوه مما يطرأ على جسمه ، معصوم

أَنْ يكونَ منه من القولِ أثناء ذلك ما يَطْمَنُ في مُعْجَزَتِهِ ، ويؤدِّي إلى فسادٍ في شريعته

مِنْ هَذَيَانٍ (٦) واختلالِ كلامٍ .

وعلى هذا لا يَصِحُّ ظاهِرُ روايةٍ مَنْ رَوَى في الحديثِ : هَجَرَ (٧) ؛ إذ معناه

هَدَى (٨) ، يقالُ : هَجَرَ هَجْرًا ، إذا هَدَى . وأهَجَرَ هُجْرًا ؛ إذا أفحشَ (٩) ؛ وأهَجَرَ

(١) حَسْبُنَا : كافينا عن غيره .

(٢) اللَّغَطُ : ارتفاع الأصوات واختلاطها حتى لا تكاد تفهم . فقال : أي رسول الله صلى

الله عليه وسلم .

(٣) اختصموا : نازع بعضهم بعضا .

(٤) غير معصوم من الأمراض التي تطرأ عليه في ظاهر جسمه دون باطنه ، إذا لم تسكن

منفرة وما يمرض معها من الآلام والتنويرات . . .

(٥) غشي : إغماء خفيف .

(٦) هذيان : كلام غير مفيد . واختلال كلام : كتناقضه ، ومخالفته للواقع والعقل ؛ لئزاحته

صلى الله عليه وسلم وعصمته وكأله في جميع حالاته .

(٧) بدون استفهام .

(٨) هدى : تكلم بكلام كثير لافائدة فيه .

(٩) أفحش : تكلم بكلام قبيح عن قصد .

تعدية هَجَرَ^(١)؛ وإنما الأصحُّ والأوَّلَى أَهْجَرَ ، على طريق الإنكار^(٢) على مَنْ قال: لانكَبَ^(٣) .

وهكذا روايتنا في صحيح البخارى^(٤) من رواية جميع الرواة في حديث الزهري المتقدم ، وفي حديث محمد بن سلام ، عن عيينة ؛ وكذا ضبطه الأصيلي بخطه في كتابه^(٥) ، وغيره من هذه الطرق، وكذا روايتنا عن مسلم في حديث سفيان ، وعن غيره .

وقد تُحْمَلُ عليه رواية مَنْ رَوَاهُ هَجَرَ على حذفِ أَلِفِ الاستفهام ؛ والتقديرُ: أَهْجَرَ ؛ أو أَنْ يُحْمَلَ قولُ القائلِ هَجَرَ أو أَهْجَرَ دهشةً مِنْ قائلِ ذلك وحيرةً لعظيم ما شاهدَ مِنْ حالِ الرسولِ صلى اللهُ عليه وسلم ، وشِدَّةِ وَجَعِهِ ؛ وهو المقام الذى اختلف فيه عليه ، والأمرُ الذى هَمَّ بِالِكِتَابِ فيه ، حتى لم يَضْبِطْ هذا القائلُ لفظه^(٦) ، وأجرى الهَجَرَ مُجْرَى شِدَّةِ الوَجَعِ ؛ لأنَّهُ اعتقد أنه يجوزُ عليه الهَجَرَ ، كما حملهم الإشفاقُ على حِرَاسَتِهِ^(٧) ؛ واللهُ تعالى يقولُ^(٨) : ﴿ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ ، ونحو هذا .

(١) قال القارى (٢ - ٣٥٤) : هذا وهم من المصنف ، والصواب أنهما لفتان ، وفي معناه مقاربان ، وأنها لازمان لا يتمديان .

(٢) على طريق الاستفهام الإنكارى ، حتى لا ينسب له ما لا يابق به .

(٣) لانكَبَ ما أمرنا به رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتابه .

(٤) أى ثبت عند البخارى روايته بهمزة الاستفهام : صحيح البخارى : ٦ - ١١

(٥) فى كتابه : معنى فى صحيح البخارى الذى رواه وضبطه بقلمه .

(٦) حتى إن القائل لشدة دهشته لم يضبط لفظه بالتحرى ومراعاة حسن تعبيره .

(٧) حملهم : دعاهم وحرّكهم . على حراسته : حذرا عليه من أن يصيبه مكروه أو عدو .

(٨) سورة المائدة ، آية ٦٧ ، فمع هذا لا حاجة لحراستهم له ، لكن شدة محبتهم دعاهم

لذلك .

وأما على [٢٦١] رواية: أهجراً - وهي رواية أبي إسحاق الأستملي في الصحيح^(١) في حديث ابن جُبَيْر ، عن ابن عباس ، من رواية قُتَيْبَةَ - فتد يكون هذا^(٢) راجعاً إلى المختلفين عنده صلى الله عليه وسلم^(٣) ، ومخاطبة لهم من بعضهم ؛ أى جتم باختلافكم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين يديه - هُجْرًا وَمُنْكَرًا من القول .

والمهْجُرُ - بضم الهاء : الفحش^(٤) في المنطق .

وقد اختلف العلماء في معنى هذا الحديث ، وكيف اختلفوا بعد أمره لهم - عليه السلام - أن يأتوه بالكتاب ، فقال بعضهم ؛ أوامر النبي صلى الله عليه وسلم يفهم لإيجابها من نديها من إباحتها^(٥) بقرائن ، فلعلمه قد ظهر من قرائن قوله صلى الله عليه وسلم لبعضهم ما فهموا أنه لم تكن منه عزيمة^(٦) ، بل أمرٌ رده إلى اختيارهم^(٧) ، وبعضهم لم يفهم ذلك ، فقال : استفهموه^(٨) ، فلما اختلفوا كف^(٩) عنه ، إذ لم يكن عزيمة^(١٠) ، ولما رأوه من صواب رأى عمر ، ثم هؤلاء^(١١) قالوا :

(١) أى صحيح البخارى ، لأنه أحد رواته . (٢) هذا : أى الوصف بالمهجر .

(٣) فيكون بعض الصحابة قاله لبعض منهم لما وقع بينهم نزاع بعد طلبه صلى الله عليه وسلم من يكتب .

(٤) الفحش في المنطق : أى التكلم بما يقبح ولا يليق بحضرة الرسول .

(٥) إيجابها : ما أريد به الإيجاب منها . من نديها : أى مندوبها . من إباحتها : أى

مباحها . (٦) عزيمة : أمر عزم عليه عزمًا مصممًا فيجب امتثاله .

(٧) رده إلى اختيارهم ؛ أى فهو مشاورة مخيرة فيه ؛ ولذا اختلفوا فيه وراجعوه .

(٨) استفهموه : استخبروا النبي صلى الله عليه وسلم عما أراد بأمره .

(٩) كف عنه ، فقال : قوموا عنى .

(١٠) لم يكن عزيمة : واجبة الامتثال .

(١١) هؤلاء القائلون بهذا الوجه .

ويكون امتناعُ عمر^(١) إما إشفاقاً على النبي صلى الله عليه وسلم من تكليفه في تلك الحال إملاء الكتاب ، أو أن تدخل عليه مشقة من ذلك ، كما قال: إن النبي صلى الله عليه وسلم اشتد به الوجع^(٢) .

وقيل : خشيَ عمر أن يكتبَ أموراً يعجزون عنها فيحصلون في الحرج^(٣) بالخالفَةِ ، ورأى أن الأرفق بالأمة في تلك الأمور سعة الاجتهاد ، وحكمُ النظر ، وطلبُ الصواب ؛ فيكونُ المصيبُ والمخطئُ مأجوراً^(٤) .

وقد علمَ عمرُ نَقَرُ الشَّرْعِ ، وتأسيسَ المِلَّةِ^(٥) ، وأنَّ اللهَ تعالى قال^(٦) : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ . وقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أُوصِيكُمْ بِكِتَابِ اللهِ وَعِتْرَتِي^(٧) » .

(١) امتناع عمر من كتابة ذلك الكتاب .

(٢) في نسيم الرياض (٤ - ٣١٢) : فهذا صريح في شفقتة عليه من التعب وتأمله ، مع علمه بأنه صلى الله عليه وسلم لم يدع شيئاً إلا أعلمهم به بكتاب الله وسنته ، ولم يكن - صلى الله عليه وسلم - ليؤخر بيان أمر من مهمات الدين ، وقد قال الله تعالى : اليوم أكملت لكم دينكم .

(٣) يحصلون في الحرج : يقعون في الحرج والضيق .

(٤) مأجوراً : مثاباً .

قال في نسيم الرياض (٤ - ٣١٣) : أما الأول فله أجران : أجر اجتهاده ، وإصابته الحق . والثاني له أجر اجتهاده فقط ، لبذله جهده في طلب الصواب والحق .

(٥) تأسيس المِلَّة : أي إحكام قواعدها ، وما ينبى عليه أحكامها المحكمة التي لم يهمل منها شيء .

(٦) سورة المائدة ، آية ٣

(٧) عترته : أهل بيته الأقربون . وفي النهاية : والمشهور المعروف أن عترته أهل بيته الذين حرمت عليهم الزكاة .

وهذا حديث صحيح رواه مسلم في خطبة خطبها صلى الله عليه وسلم ، وسماهما فيه ثقلين ، تعظما لسانهما ، فقال : إني تارك فيكم الثقلين : كتاب الله ، وأهل بيته ، لن يفترقا حتى يردا على الحوض : صحيح مسلم : ١٨٧٣

وقولُ عمر: حَسَبْنَا كِتَابَ اللَّهِ - رَدُّ عَلَيَّ مِنْ نَارِ عَهْ ، لَا عَلَيَّ أَمْرَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وقد قيل : إِنْ عُمَرُ خَشِيَ تَطَرُّقَ الْمُنَافِقِينَ ^(١) وَمَنْ فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ لِمَا كُتِبَ فِي ذَلِكَ الْكِتَابِ فِي الْخَلْوَةِ ، وَأَنْ يَتَقَوَّلُوا فِي ذَلِكَ الْأَقْوِيلِ ، كَادَعَاءَ الرَّافِضَةِ الْوَصِيَّةَ وَغَيْرَ ذَلِكَ ^(٢) .

[وقيل : إنه ^(٣) كان من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لهم على طريق المشورة ^(٤) والاختيار . هل يتفقون على ذلك أم يختلفون ؟ فلما اختلفوا تركه] ^(٥) .

وقالت طائفة أخرى : إِنْ مَعْنَى الْحَدِيثِ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ مُجِيبًا فِي هَذَا الْكِتَابِ لِمَا طُلِبَ مِنْهُ ^(٦) ؛ لَا أَنَّهُ ابْتَدَأَ بِالْأَمْرِ بِهِ ؛ بَلْ اقْتَضَاهُ ^(٧) مِنْهُ بَعْضُ أَصْحَابِهِ ؛ فَأَجَابَ رَغْبَتَهُمْ ، وَكَرِهَ ذَلِكَ غَيْرُهُمْ لِغَلَلِ التِّي ذَكَرْنَاهَا .

وَاسْتَدِلَّ فِي مِثْلِ هَذِهِ الْقِصَّةِ ^(٨) بِقَوْلِ الْعَبَّاسِ لِعَلِيٍّ ^(٩) : أَنْطَلِقُ بِنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ

(١) تطرق المنافقين : ووصلهم من طريق النفاق .

(٢) أى إن النبي صلى الله عليه وسلم أوصى لعلى كرم الله وجهه، وتسميتهم له الوصى لذلك، وإن بعض الصحابة كتب هذا، وغير ذلك مما افتراه الرافضة على رسول الله، وقد ادعوا أن الكتاب الذى أراد النبي صلى الله عليه وسلم كتابته كان فيه الوصية بخلافة على؛ فلماذا منع منه عمر؛ وهو كذب منهم عليه .

(٣) إنه ؛ أى أمره .

(٤) كان على طريق المشورة والتخيير لطيبها لقلوبهم، لا أمر إيجاب لا تجوز مخالفته .

(٥) فى هامش ١ : من غير الرواية .

(٦) أى كانوا سألوه أن يمهّد إليهم بما يكتبونه عنه، فأجابهم بقوله : هلموا . . .

(٧) اقتضاه : طلبه .

(٨) أى قصة الكتاب المذكور .

(٩) فى حديث رواه البخارى (صحيح البخارى : ٨ - ٧٤) .

صلى الله عليه وسلم؛ فإن كان الأمرُ فينا علمناهُ؛ وكراهةِ عليٍّ هذا، وقوله: والله لا أفعل... الحديث^(١).

واستدلّ بقوله: دَعُونِي؛ فإنّ الذى أنا فيه خير؛ أى الذى أنا فيه خير^(٢) من إرسالِ الأمرِ وترزُّكم^(٣) وكتابِ الله. وأنّ تدَعُونِي مِمَّا طَلَبْتُمْ. وذُكِرَ أنّ الذى طُلِبَ كتابُهُ أمرُ الخِلافةِ بَعْدَهُ، وتعيينُ ذلك^(٤).

(١) فى هذا الحديث: إن عاليا خرج من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مرضه الذى توفى فيه، فقال له العباس: كيف أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال: بحمد الله بارئنا؛ فأخذ بيده، وقال له: أنت بمد ثلاث عبد المصا، وإبنى والله أراه متوفيا فى مرضه هذا، وإبنى لأعرف وجوه بنى عبدالمطلب عند الموت. اذهب بنا إليه نسأله فيمن هذا الأمر بعده؛ فإن كان فينا علمنا ذلك، وإن كان فى غيرنا أوصاه بنا. فقال: أنا والله لا أسأله، ولو كان فينا أعطيناه للناس بعمده.

(٢) لأنه لو كان فيه أمر بواجب لم يقل إن تركه خير منه.

(٣) إرسال الأمر: إهماله وتركه، وفى ١: تركهم - وترككم، وعليها «معا» فى ١.

(٤) قال فى نسيم الرياض: واعلم أن هذا هو الصواب كما قاله ابن تيمية فى الرد على الروافض، وأنه ورد مفسرا به فى الحديث للروى فى الصحيحين، فى قوله صلى الله عليه وسلم لعائشة: ادعى لى أباك وأخاك...

ولا يجوز غيره؛ لأنه لا يخلو أن يكون أمرا واجبا أوحى إليه به قبل مرضه، أو أوحى إليه به فى مرضه؛ والأول لا يصح، لأن فيه تأخير البيان عن وقت الحاجة، وهو غير جائز. والثانى لو كان بلنه من غير طلب كتاب ونحوه.

وحينئذ فإتما قال عمر ما قاله، لأنه علمه وعلمه غيره كما نشأ رضى الله عنها وغيرها من كبار الصحابة، ولو ذكره لتذكر بعمده عمر، فربما اشتهرت منه بعض النفوس القاصرة، وقد علم أن الله منجزه، وأن إخفاءه فى حياته أولى، وما سوى هذا القول لا وجه له، فلذا ختم به هذا الفصل، وكرر ذكره فيه، والقول بأنه بعيد لا وجه له أيضا.

فصل

فإن قيل: فما وجه حديثه أيضا الذي حدثناه الفقيه أبو محمد الخشني بقرائه عليه، حدثنا أبو علي الطبري، حدثنا عبد الغافر الفارسي، حدثنا أبو أحمد الجلودي؛ قال: حدثنا إبراهيم بن سفيان، حدثنا مسلم بن^(١) الحجاج، حدثنا قتيبة، حدثنا ليث، عن سميد بن أبي سعيد، عن سالم مولى النصرين؛ قال: سمعتُ أبا هريرة يقول: سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول: اللهم إني محمدٌ بشرٌ [٢٣٢]، يَنْضَبُ كما يَنْضَبُ البَشَرُ، وإني قد اتَّخَذْتُ عندَكَ عَهْدًا^(٢) أن تُخَلِّفَنِيهِ، فأَيُّما مؤمِنٌ آذِيَتْهُ أو سَبَبَتْهُ أو جَلَدَتْهُ فأَجْعَلْهَا كَقَارَةِ لَه، وَقُرْبَةَ تَقَرُّبِهِ بِهَا إِلَيْكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ^(٣).
وفي رواية^(٤): فأَيُّما أَحَدٍ دَعَوْتُ عَلَيْهِ دَعْوَةً.

وفي رواية: ليس لها بأهل^(٥).

وفي رواية: فأَيُّما رَجُلٍ من الْمُسْلِمِينَ سَبَبْتُهُ أو لَعَنْتُهُ^(٦) أو جَلَدْتُهُ فأَجْعَلْهَا لَهُ زَكَاةً^(٧) وَصَلَاةً وَرَحْمَةً.

(١) رواه مسلم، ورواه المصنف من طريقه مسندا: صحيح مسلم: ٢٠١٠.

(٢) يعني أنه صلى الله عليه وسلم عاهد الله عهدا فيما بينه وبينه. لن تخلفينه: يعني أنك وعدتني بإنجاز عهدي، وإنك لا تخاف الميعاد.

(٣) تقربه بها إليك: تشبيه بها ثوابا ترفعه بها منزلة عندك.

(٤) قال في نسيم الرياض: قال في المقتنى: وفيه نظر؛ لأن هذا ليس من حديث أبي هريرة؛ وإنما هو حديث آخر عن أنس رضي الله عنه. ثم قال: قلت: الأمر سهل، وذكر الرواية وتنكيرها يقتضى مخالفتها لما قبلها سندا ومتنا، وهو ظاهر فلا وجه لما قاله.

(٥) ليس لها بأهل: أي مستحق لها؛ أي لهذه الفعلة.

قال الخنجاوي: وهذا هو للشكل؛ لأنه صلى الله عليه وسلم لا يفعل فعلا بأحد إلا ويستحقه. وسيأتي توجيهه.

(٦) لعنته: دعوت عليه دعوة باللعنة.

(٧) زكاة: طهارة من ذنوبه، أو زيادة في حسناته.

وكيف يصحُّ أن يلعن النبيُّ صلى الله عليه وسلم من لا يستحقُّ اللعنَ ، ويسبُّ من لا يستحقُّ السبَّ ، ويجلدُ من لا يستحقُّ الجلدَ ، أو يفعلُ مثل ذلك عند الغضب ، وهو معصومٌ عن هذا كله ؟

فاعلمْ - شرح الله^(١) صدرك - أن قوله صلى الله عليه وسلم أولاً : ليس لها بأهلٍ ؛ أى عندك ياربِّ ، فى باطنِ أمره^(٢) ؛ فإنَّ حكمه صلى الله عليه وسلم على الظاهر ، كما قال^(٣) . وللحكمةِ التى ذكرناها^(٤) ؛ فحكمتكم صلى الله عليه وسلم بجأده ، أو أدبه بسبِّه أو لعنه بما اقتضاهُ عنده حالُ ظاهره ؛ ثم دعا^(٥) صلى الله عليه وسلم لسفقتِهِ على أمتِهِ ، ورافتهِ ورحمتهِ لمؤمنين ، التى وصفهُ اللهُ بها^(٦) ، وحذره أن يتقبَّلَ اللهُ فيمَن دَعَا عليه دَعْوَتَهُ - أن يجعلَ دعاءَهُ وأعنهُ له رحمةً ؛ فهو معنى قوله : ليس لها^(٧) بأهلٍ ؛ لا أنه صلى الله عليه وسلم يجمَلُه الغضبُ ويستفزُّه الضجرُ^(٨) لأنَّ يفعلَ مثلَ هذا بمن لا يستحقُّه من مُسلمٍ .

وهذا معنى صحيح ، ولا يفهم من قوله : أغضبُ كما يفضُّ البشر - أن الغضبَ جمَله على ما لا يجبُ فعله ؛ بل يجوزُ أن يكون المرادُ بهذا أن الغضبَ لله جمَله

(١) شرح الله صدرك : فسح فيه ، ووسمه لقبول الحق فيها نحن فيه ، ونوره بمعرفته .

(٢) باطن أمره : حقيقته التى تخفى على غيره .

(٣) كما قال صلى الله عليه وسلم : إنه إنما يحكم بالظاهر .

(٤) وللحكمة التى ذكرناها من أنه لتقتدى به أمته ، ولو أوحى إليه ما فى نفس الأمر ، وحكم به ، لم يمكن أمته الاقتداء به فى أحكامه .

(٥) دعاؤه ؛ أى بقوله : اللهم اجعله كفارة له .

(٦) وصفه الله بها فى قوله تعالى : بالمؤمنين رءوف رحيم ، وما أرسلناك إلا رحمة

للمالين . ونحوه .

(٧) ليس لها بأهل ؛ أى ليس لها فى علم الله أهلاً مستحقاً للدعا به عليه .

(٨) الضجر : القلق ، وضيق الصدر . ويستفزُّه : يستخفه ويحركه بسرعة .

على معاقبته بلفظه أو سببه^(١)؛ وأنه^(٢) مما كان يحتمل ويجوز عنوه عنه ، أو كان
مما خيّر^(٣) بين المعاقبة فيه والعفو عنه .
وقد يُحمّل على^(٤) أنه خرج نَحْرَجَ الإِسْفَاقِ^(٥) وتعليم أمته الخوفَ والحدَرَ مِنْ
تَعَدَّى حُدُودِ اللَّهِ تَعَالَى .

وقد يُحمّل ما وردَ من دُعَائه هنا ، ومن دعواته على غير واحدٍ في غير مَوْطِنٍ ،
على غير العَقْدِ والقَصْدِ^(٦) ؛ بل بما جرت به عادةُ العرب^(٧) ؛ وليس المراد بها
الإجابة^(٨) ؛ كقوله^(٩) : رَبَّتْ يَمِينُكَ . وَلَا أَشْبِعَ^(١٠) اللَّهُ بَطْنَكَ .

(١) كما ورد في الحديث أنه صلى الله عليه وسلم ما انتقم لنفسه قط ، إلا أن تنتهك حرمة
الله فينتقم لله .

(٢) أنه ؛ أى الذنب الذى عاقبه عليه .

(٣) مما خيره ؛ أى خيره الله تعالى .

(٤) وقد يحمل الدعاء الوارد في هذا الحديث .

(٥) الإِسْفَاقُ والخوف منه صلى الله عليه وسلم على أمته .

(٦) على غير العقد والقصد ؛ أى العزم وتصميم القلب .

(٧) كمادة العرب في محاوراتهم ؛ يدعون على مخاطبهم بنحو : قاتله الله ، وويل أمه ؛

ولا أب له ، لمن قصدوا مدحه وتحسين فعله .

(٨) وليس المراد بهذه الدعوات الدعاء عليهم وطلب الاستجابة فيهم بوقوع مادعوا به .

(٩) في حديث رواه الشيخان : صحيح مسلم : ٢٥٠ ، وصحيح البخارى : ٧ — ٤٥

تربت يمينك : ترب الرجل إذا افتقر ، كأنه التصق بالتراب ؛ وليس المراد به الدعاء عليه .

وقد صدر هذا منه صلى الله عليه وسلم مرارا . فمرة لأم المؤمنين أم سلمة رضى الله عنها —

كما رواه البخارى — أنها قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله لا يستحي من الحق ؛ هل

على المرأة من غسل إذا هي احتلمت ؟ فقال : نعم ، إذا رأت الماء . فنطت وجهها وقالت :

أو تحتلم المرأة ؟ قال : نعم ، تربت يمينك ؛ فميم يشبهها ولدها !

(١٠) رواه مسلم عن ابن عباس ؛ قاله صلى الله عليه وسلم لمعاوية ، والذي رواه مسلم :

لا أشبع الله بطنك . قال البيهقي : فما شبع بعدها أبدا . والحديث في صحيح مسلم : ٢٠١٠ =

وعقري^(١) حلقى . وغيرها من دعواته^(٢) .

وقد ورد في صفة في غير حديث^(٣) - أنه صلى الله عليه وسلم لم يكن فحاشا^(٤) .
وقال أنس^(٥) لم يكن سبابا ، ولا فاحشا ، ولا أمانا^(٦) ؛ وكان يقول لأحدنا عند

= والحديث عن ابن عباس ، ولنظفه ؛ قال : كنت مع الصبيان ، جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتواريت خلف الباب ، فقال : اذهب فادع لي مع وية ؛ قال : فحشته ، وقلت : هو يأكل . فقال - ثانيا - اذهب فادعه ، فحشته وقات : هو يأكل ؛ فأمرني فحشته وقات : هو يأكل ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : لا أشبع الله بطنه .

قال الخفاجي : فيثذ فيها قاله المصنف شيء ؛ لأن الله تعالى استجاب دعاءه فيه ، فإيس هذا من الباب الذي به العادة من غير قصد .

(١) قاله صلى الله عليه وسلم لصفية في حديث رواه مسلم ، عن عائشة رضی الله عنها ، وهو في البخاري أيضا بسنده عن عائشة ، قالت : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم للحج ، فلما كانت ليلة النفر حاضت صفية ، فقال صلى الله عليه وسلم : ما أراها إلا حابستكم ... صحيح البخاري : ٧ - ٤٦ ، وصحيح مسلم : ٨٧٨

قال في نسيم الرياض : وهذا يقال للمتعب بدون قصد الدعاء . وأصله صفة للمرأة المؤذبة المشومة .

واختاف في معناه : فقل معنى حلقى : أصابها وجع في حلقها ، وقيل معناه نجاستهم ؛ أي تستأصاهم ، كما يستأصل الخالق الشعر .

وعقري من العقر ؛ وهو عرقبة الدواب ، أو من العقيرة ؛ أي رفع الصوت .

(٢) من دعواته التي لا يريد بها الدعاء على من خاطبه ، وإنما يريد بها المدح أو التمتع على عادة العرب في مخاطباتهم .

(٣) في غير حديث ؛ أي في أحاديث كثيرة .

(٤) هو في صحيح البخاري وغيره ، وقد تقدم . وفحاشا : من الفحش ، وهو التبع والوقاحة في كلامه ومخاطباته .

(٥) رواه البخاري أيضا ، وقد تقدم .

(٦) سبابا : لا يقول ما هو سب وشتم . فحاشا : لا يتكلم بما يقبح التصريح به . لمانا : يقول اللعنة لأحد .

المُعْتَبَةِ (١) ؛ ماله ! تَرِبَ جَبِينَهُ (٢) !

فَيَكُونُ حَمْلُ الْحَدِيثِ عَلَى هَذَا الْمَعْنَى (٣) ؛ ثُمَّ أَشْفَقَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ مُوَافَقَةِ أَمَنَّا لَهَا إِجَابَةً ، فَمَا هَدَّرَ رَبَّهُ ، كَمَا قَالَ فِي الْحَدِيثِ ، أَنْ يَجْعَلَ ذَلِكَ الْقَوْلَ زَكَاةً وَرَحْمَةً وَقُرْبَةً .

وَقَدْ يَكُونُ ذَلِكَ إِشْفَاقًا عَلَى الْمَدْعُوِّ عَلَيْهِ ، وَتَأْنِيسًا (٤) لَهُ ؛ لِئَلَّا يَلْحَقَهُ مِنْ اسْتِشْهَارِ الْخُوفِ وَالْحَذَرِ مِنْ أَمَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَتَقَبُّلِ دَعَائِهِ ، مَا يَجْمَلُهُ عَلَى الْيَأْسِ وَالْقَنُوطِ .

وَقَدْ يَكُونُ ذَلِكَ سُوءًا لِأَمْنِهِ لِرَبِّهِ (٥) لَمَنْ جَلَدَهُ ، أَوْ سَبَّهُ عَلَى حَقٍّ وَبِوَجْهِ صَحِيحٍ أَنْ يَجْعَلَ ذَلِكَ (٦) لَهُ كَفَّارَةً لِمَا أَصَابَهُ (٧) ، وَتَمْحِيَةً لِمَا اجْتَرَمَ (٨) ، وَأَنْ تَكُونَ عَقُوبَتُهُ لَهُ فِي الدُّنْيَا سَبَبَ الْعَفْوِ وَالغُفْرَانِ ، كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الْآخِرِ (٩) ؛ وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَمُوقِبَ بِهِ فِي الدُّنْيَا فَهُوَ لَهُ كَفَّارَةٌ .

(١) المعتبة : العتاب ، من عتب عليه عند الغضب ، إذا لامه .

(٢) ماله : أى شئ اقتضى مانعه ؟ ترب جبينه : الجبين : واحد الجبينين ، وهما جانبا الجبهة . وهو دعاء فى الأصل بمعنى كبه الله على وجهه ، ولم يرد به الدعاء ، كقولهم : تربت يداه .

(٣) على هذا المعنى : أى إنه جاء على عادة العرب فى ملاطفاتهم .

قال الحفاجى : قيل معنى ترب جبينه : كثر سجوده ، فلا يكون دعاء عليه ، وهذا يقتضى

أن المراد به الجبهة صحيح البخارى : ٧ - ١٨٠٧

(٤) تأنيسا له : تأليفا له ، ليطمئن قلبه .

(٥) قد يكون قوله : اللهم اجمله رحمة . . .

(٦) ذلك : دعاءه عليه .

(٧) لما أصابه : أى فعله من الذنوب التى استحق بها السب .

(٨) تمحية : إزالة . اجترمه : فعله واكتسبه .

(٩) رواه الشيخان عن عبادة بن الصامت أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم =

فإن قلت : فما معنى حديث الزبير^(١) وقول النبي صلى الله عليه وسلم [٢٣٣] حين تخاضعه مع الأنصارى في شراج الحرة^(٢) : اسقى يازبير حتى يباغ^(٣) الكعبين . فقال له الأنصارى : أن كان ابن عمك^(٤) يارسول الله ! فتلون وجهه رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ ثم قال : اسقى يازبير ؛ ثم احبس حتى يبلغ الجدر^(٥) ... الحديث .

فالجواب أن النبي صلى الله عليه وسلم منزّه أن يقع بنفسه مسلم منه في هذه

== ليلة العقبة للأنصار : يابون على ألا تشرکوا بالله شيئاً ، ولا تسرقوا ، ولا تزنوا ، ولا تأتوا بهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ، ولا تصونى في معروف ، فمن وفى بذلك فأجره على الله ، ومن أصاب من ذلك شيئاً فموجب به في الدنيا فهو كفارة له ، ومن أصاب من ذلك شيئاً فستره الله عليه فهو إلى الله إن شاء عاقبه وإن شاء عفا عنه . والحديث في صحيح

البخارى : ١ - ١٢

(١) حديثه هذا رواه البخارى : صحيح البخارى : ٦ - ٥٨

(٢) شراج الحرة : مكان معروف بطيبة كان فيها وقعة يزيد المشهورة .

(٣) حتى يبلغ الماء السائل .

وفي نسيم الرياض (٤ - ٣٢٢) : وقول المصنف : حتى يباغ الماء السائل الكعبين سهو منه كما قيل : لأنه صلى الله عليه وسلم لم يقله ابتداء ؛ وإنما قاله بعد غضبه من كلام الأنصارى ، وكان قال له أولاً لما ترافعا له : اسقى يازبير - فقط ؛ فأمره بمقدار من السقى من غير استيفاء لحقه بتأمه ، كما صرح به البخارى وقاله .

(٤) أن كان ابن عمك : حكمت له لأنه ابن عمك ، فهو ابن صفية بنت عبد المطلب .

(٥) الجدر - بفتح الجيم وسكون الدال ، والراء المهملة : بمعنى الجدار . وروى بضم الجيم ، جمع جدار . وروى بفتح الجيم وكسرها وذال معجمة ، من جذر الحساب ، وجذر كل شيء : أصله ، والمراد به الحائط .

قال الخفاجى :

وحاصل السؤال أنه صلى الله عليه وسلم حكم أولاً بحكم ثم رجع عنه ؛ وهو يناق المعصية

في أقواله . . .

القصة أمرُ برب (١)؛ ولكنه صَلَّى اللهُ عليه وسلم ندب (٢) الزبيرَ أولاً إلى الاقتصار على بعض حقه على طريق التوسط والصلح، فلما لم يرضَ بذلك الآخرُ، واج (٣) وقال ما لا يجب (٤) استوفى النبيُّ صلى اللهُ عليه وسلم الزبيرَ حقه .

ولهذا ترجمَ البخارى على هذا الحديث : باب . إذا أشار الإمامُ بالصلح فأبى حاكمٌ عليه (٥) بالحكم .

وذكر في آخر الحديث : فاستوعى (٦) رسولُ الله صلى اللهُ عليه وسلم حينئذ الزبيرَ حقه .

وقد جعل المسلمون هذا الحديثَ أصلاً في قضيتته (٧) .

وفيه الاقتداء به صلى اللهُ عليه وسلم في كلِّ ما فعله في حالِ غضبه ورضاه ، وأنه - وإن نهى أن يقضى القاضى وهو غضبان ، فإنه في حكمه في حال الغضب والرضا (٨) سواء ، لكونه فيهما معصوما . وغضبُ النبيِّ صلى اللهُ عليه وسلم في هذا إنما كان لله تعالى لا لنفسه ، كما جاء في الحديث (٩) .

(١) أمر برب : يوقع سامعه في ريب وشك في أقواله، ويظن أنه - صلى اللهُ عليه وسلم - يصدر منه قول من غير تأمل وثبت ثم يرجع عنه .

(٢) ندب الزبير أولاً : دعاه وطلب منه .

(٣) ليج : أبدى اللجاج عنادا منه في خصومته للزبير .

(٤) ما لا يجب : ما لا يجوز .

(٥) عليه : على من أبى الصلح . بالحكم : أى بالحكم الحق البين .

(٦) استوعى : استكمل .

(٧) أصلاً : قاعدة . في قضيتته : في قضية الزبير في منازعته مع الأنصارى .

(٨) قال الخفاجى : أما في الرضا فظاهر . وأما في الغضب فامصمته صلى اللهُ عليه وسلم .

ولأنه لم يكن يغضب لنفسه ، وإنما يغضب لانتهاك حرمة الله تعالى ، كما في هذه القضية .

(٩) في الحديث الصحيح أنه إنما كان يغضب لله وانتهاك حرمة الله .

وكذلك الحديث^(١) في إقادته عكاشة من نفسه^(٢) لم يكن اتعدَّ حمله الغضب عليه^(٣)؛ بل وقع في الحديث نفسه أن عكاشة قال له: وضرتَ بتدني بالقبض، فلا أدري

(١) رواه أبو نعيم في الحلية .

(٢) عكاشة: من الصحابة ، وهو عكاشة بن محصن ، وهو الذي قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين ذكر أن سبعين ألفا يدخلون الجنة بغير حساب : ادع الله لي أن يجعلني منهم . فقال : أنت منهم . فقال آخر مثله . فقال له : سبقك بها عكاشة ، فضرب مثلا - كما في الإصابة (٤ - ٥٣٣) . وحديث عكاشة هذا في صحيح البخاري : ٧ - ١٦٣ ، وصحيح مسلم : ١٩٧ . وقصة عكاشة هذا وقعت قبيل وفاته صلى الله عليه وسلم لما أمر بلالا أن ينادي : الصلاة جامعة ، فاجتمع الصحابة في مسجده صلى الله عليه وسلم ، وصلى بالناس ، وصعد المنبر ، وخطب خطبة وجلت منها القلوب ؛ فقال : أيها الناس ، أي نبي كنت فيكم ؟ فقالوا : جزاك الله عنا خيرا ، لقد كنت لنا كالأب الرحيم ، والأخ الشفيق ؛ أدبت رسالة الله ، وبلغت وحيه ؛ فجزاك الله عنا أفضل ماجزى نبيا . فقال : معاشر المسلمين ، أنشدكم بالله عز وجل من كانت له على مظلة فليقم فليقتص مني - وكرره .

فقام شيخ يقال له عكاشة، فتمخطى المسلمين حتى وقف بين يديه ، فقال: لولا أمرك ما كنت لأقدم على شيء، لما انصرفنا من الفتح حاذت ناقتي ناقتك ، فرفعت للقبض فضربت خصرتي ، ولا أدري أعمدا كان ذلك أم لا .

فطلب - صلى الله عليه وسلم - قضيبه ودفعه لعكاشة ، وقال له : اضرب إن كنت ضاربا . فقال : ضربتني وأنا حاسر عن بطني . فكشف له - صلى الله عليه وسلم - عن بطنه ، فقبله ، وقال له : فذاك أبي وأمي ! من يطيق أن يقتص منك ؟ فقال له : إما أن تضرب أو تعفو ؟ فقال : عفوت رجاء أن يعفو الله عني في القيامة .

فقال صلى الله عليه وسلم : من سره أن ينظر إلى رفيق في الجنة فلينظر لهذا .

فجعلوا يقبلون بين عينيه ، ويهشونه بذلك .

قال في نسب الرياض - بعد أن ذكر القصة : وهو حديث طويل ذكره ابن الجوزي في الموضوعات . وقال السيوطي : إنه أخرجه أبو نعيم في الحلية ، ولم يقل إنه موضوع . فهو تعقب له ، وطى هذا اعتماد المصنف .

(٣) لم يكن ما صدر منه صلى الله عليه وسلم في ضرب عكاشة عن عمد منه حمله الغضب

على فعله بغير حق .

أعدا ، أم أردتَ ضَرْبَ النَّاقَةِ ^(١) ؟ فقال النبيُّ صلى الله عليه وسلم : أُعِيدُكَ بِاللَّهِ
يَا عِكَاشَةَ ^(٢) أن يتعمدكَ رسول الله .

وكذلك في حديثه الآخر مع الأعرابي ^(٣) حين طلب عايشة السلام الاقتصاصَ
منه ، فقال الأعرابيُّ : قد عفوتُ عنك . وكان النبيُّ صلى الله عليه وسلم قد ضربه
بالسَّوْطِ لَتَعْمَلَهُ بِزَمَامٍ نَاقَتَهُ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى ^(٤) ، والنبيُّ صلى الله عليه وسلم يَنْهَاهُ
ويقول له : تَدْرِكُ حَاجَتَكَ ^(٥) ، وهو يَأْبَى ؛ فضربه بعد ثلاث مرات ^(٦) .

وهذا ^(٧) منه - صلى الله عليه وسلم - لَمَنْ لَمْ يَبْقِ عِنْدَ نَهْيِهِ صَوَابٌ ^(٨) ومَوْضِعُ
أَدَبٍ ^(٩) ، ولكنه عليه الصلاة والسلام أشفق إذ كان حقَّ نفسه من الأمرِ حتى
عفا عنه .

وأما حديثُ سَوادٍ ^(١٠) بن عمرو : أَنَبْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَا مَتَخَلِّقٌ ^(١١) ؛

(١) أم أردت أن تضرب الناقة فأصابني ذلك . (٢) أعيدك بالله ؛ أي أجملك في حفظه .

(٣) قال الخفاجي : وهذا الحديث لا يعرف من رواه ، ويحتمل أنه حديث عكاشة بعينه .

وقال القاري : قال الحلبي : وهذا الأعرابي لا أعرفه .

(٤) وفي هذا ترك أدب يستحق به الضرب تمزيراً ، فلم يكن ذلك إلا بحق ؛ فلا يستحق

به الاقتصاص ، ولكنه - صلى الله عليه وسلم - فعله كراماً منه ، وتطيباً لقلبه من غير حق له

مضى ؛ فكان تأديباً وتشريفاً مستحقاً للحمد لا للعفو .

(٥) تدرك صاحبك : أي أفضى لك حاجتك ، وتصل إليها ؛ فدع الزمام . . .

(٦) بعد ثلاث مرات : بعد نهيه ثلاث مرات .

(٧) هذا بيان الوجه في ذلك ، وأنه غير مناف لما قرره من عصمته في غضبه ورضاه .

(٨) صواب لا خطأ ولا جور يستحق به القود .

(٩) موضع أدب في الحضور عنده يستحق من لم يتأدب فيه التأديب .

(١٠) رواه أبو القاسم في معجم الصحابة ، وابن سعد ، وعبد الرزاق في جامعه .

(١١) متخلق : متمسك بالخلق ؛ وهو نوع من الطيب يخلط بازعفران ، ولونه بين الحمرة

والصفرة . وهذا مذکور في الاستيماص (٦٧٦) ، وقال : هو سواده بن عمرو . ويقال سواد

ابن عمرو الأنصاري

فقال عليه الصلاة والسلام : وَرَسْنِ ! وَرَسْنِ ! (١) حُطَّ ، حُطَّ ! وَغَشِيَنِي (٢) بِقَضِيْبٍ فِي يَدِهِ فِي بَطْنِي فَأَوْجَعَنِي . قلت : القصاصَ يا رسولَ الله . فكشفت لي عن بَطْنِهِ . وإنما ضربه صلى الله عليه وسلم لِمُنْكَرٍ رآهُ به (٣) ؛ ولعلهُ لم يردُّ بضربه بالقضيب إلا تَذْيِيْبَهُ (٤) ، فلما كان منه إِبْجَاعٌ لم يقصدهُ طلب التحلُّل منه على ما قدمنا .

فصل

وَأَمَّا أفعالُهُ صلى الله عليه وسلم الدُّنْيَوِيَّةُ (٥) فَحُكْمُهُ فِيهَا مِنْ تَوَقِّيِّ الْمَعَاصِي وَالْمَكْرُوْهَاتِ مَا قَدْ قَدَمْنَا (٦) ، وَمِنْ جَوَازِ السَّهْوِ وَالْفَاطِئِ فِي بَعْضِهَا مَا ذَكَرْنَا . وَكُلُّهُ غَيْرُ قَادِحٍ فِي النُّبُوَّةِ ؛ بَلَى ، إِنْ هَذَا فِيهَا عَلَى النُّدُوْرِ (٧) ؛ إِذْ عَامَّةُ أَعْمَالِهِ

(١) فقال : ورس . ورس . الورس : نبت أصفر يصبغ به ويتمطر . حط : أمرله ، كرر تأكيدا . وقد ضبطت السين والطاء في بالسكون . وضمف القارى في شرحه : ٢ - ٣٦٥ سكون الطاء ، وقال : يجوز في طاء « حط » الحركات الثلاث ، لأنه أمر مضمف . (٢) غشيني : ضربني .

(٣) لمنكر رآه منه ؛ وهو تطييبه ، لما فيه من تشبه بالنساء يستحق التمزير عليه . وقيل : إنه كان محرما فيمتنع عليه الطيب ؛ فما فعله - صلى الله عليه وسلم - أمر مشروع له ، زجرا لفاعله بالفعل بعد القول ، ولكنه أجابه للقود تواضعا ولطفا ورحمة منه كما تقدم .

(٤) أى إن النبي أراد الإشارة إليه بقضيب في يده ، ولم يرد ضربه أولا نفسه بشدة ، ولم يقصد ضربه ، فلما وجد منه إِبْجَاعٌ مؤلم له ، وهو لم يقصده بضربه إياه طلب التحلُّل منه بالقود حتى لا يبقى عليه حق ؛ فدفع الشبهة بوجهين : أحدهما أنه تمزير مشروع له ، لكنه تسكرم بإجابته لما علم أنه لم يقصد قوده ، وإنما قصد تقبيل جسده الشريف . والثانى أنه خطأ مفعول عنه ، وفعله صلى الله عليه وسلم تملها لأتمته .

(٥) الدنيوية : المتعلقة بأمور دنياه ، لا بالمعبادة والعقائد .

(٦) توقي المعاصي : اجتناب المحرمات شرعا . والمكروهات : كراهة تنزيه . ما قدمنا : من

من أنه صلى الله عليه وسلم معصوم منها .

(٧) فيها : في أفعاله . على الندور : على قلتها وندرتها .

على السَّدَاد^(١) والصواب ، بل أكثرها أو كلها جارية تُجْرَى العباداتِ والقرب^(٢) على ما بيَّنا ؛ إذ كان صلى الله عليه وسلم لا يأخذُ منها^(٣) لنفسه إلا ضرورته ، وما يُقيم رَمَقَ جسمه^(٤) ، وفيه مصلحة ذاته^(٥) التي بها يعبدُ ربه ، ويُقيم شريعته ، ويسوسُ أمته ، وما كان فيما بينه وبين الناسِ من ذلك فبينَ معروفٍ يصنعه ، أو قهرٍ [٢٣٤] يوسعه ، أو كلامٍ حسنٍ يقوله أو يسمعه ، أو تألفٍ شاردٍ^(٦) ، أو قهرٍ مُعانديٍّ^(٧) ، أو مُداراةٍ حاسدٍ^(٨) ؛ وكلُّ هذا لاحقٌ بصالحِ أعماله^(٩) ، مُنتظمٌ في زاكِي وظائفِ عباداته^(١٠) ؛ وقد كان يُخالفُ في أفعاله الدنيوية بحسبِ اختلافِ الأحوالِ ، ويُعدُّ للأمور أشباهها^(١١) ، فيركبُ - في تصرفه لِمَا قُرب^(١٢) - الحمارَ ،

(١) السداد : الاعتدال ، والقصد ، والاستقامة .

(٢) القرب : جمع قرية ، وهى العمل الصالح الذى يتقرب به إلى الله تعالى .

(٣) منها : من الدنيا وأفعالها .

(٤) ما يقيم رَمَقَ جسمه : أى مابه قوام حياته . والرمق : بقية الروح والحياة .

(٥) مصلحة ذاته : ما يصلحها .

(٦) شارد : نافر عن طاعة الله ورسوله ، كجفأة الأعراب للؤلؤة قلوبهم بالمطاء ، حتى

يذيقه الله حلاوة الإيمان ويهديه الله له .

(٧) أو قهرٍ معاندٍ ، فيردعه ويزجره حتى يرجع لما يريد .

(٨) أو مداراة حاسدٍ بملاطفته وتحمل أذاه والإغضاء عن قبائحها ، كما كان يفعل صلى الله

عليه وسلم مع المنافقين وأهل الكتاب .

(٩) لاحقٌ بصالح أعماله ؛ أى ملحق بعبادته ومعدود منها ، ويثاب عليه لما فيه من المنافع

والمزايا الدينية .

(١٠) زاكِي : نامى . منتظم في زاكِي وظائف عباداته : معدود من عباداته للوظيفة اللازمة

كالصلاة ؛ فهذا ، لشدة حسن منافعه - كأنه من نفائسها للمعدودة منها . وفي سلكها .

(١١) أشباهها : ما يشابهها ويناسبها .

(١٢) في تصرفه : في حركته من مكان إلى آخر . لما قرب : لمكان آخر قريب لمحل إقامته .

الحمار : لسهولة ركوبه ، مع ما فيه من عدم التكبر .

وفي أسفاره الراحلة^(١)، ويركب البغلة في معارك الحرب دليلاً على الثبات^(٢)، ويركب الخيل ويعدّها ليوم الفزع وإجابة الصارخ.

وكذلك^(٣) في لباسه وسائر أحواله بحسب اعتبار مصلحته ومصالح أمته^(٤).

وكذلك يفعل الفعّل من أمور الدنيا مساعدةً لأُمَّته وسياسةً وكراميةً لخِلافها وإن كان قد يرى غير خير آمنه، كما يترك الفعل لهذا؛ وقد يرى فعله خيراً منه. وقد يفعل^(٥) هذا في الأمور الدينية ممالأةً للخيرة في أحد وجهيه، كخروجه من المدينة لأحد، وكان مذهبه^(٦) التحصن بها، وتره كقتل المنافقين، وهو على يقين من أمرهم^(٧) مؤالفةً لغيرهم، ورعايةً للمؤمنين من قرابتهم، وكرامةً لأن يقول الناس^(٨): إن محمداً يقتل

(١) الراحلة من الإبل : ما يقوى على الحمل .

(٢) دليلاً على الثبات ، وأنه لن يفر ، ولا يريد الفرار ؛ إذ لو أراد ركب الخيل ؛ فالبنل

لا يصلح للسكر والفر .

(٣) وكذلك : أى كما أن ما بينه وبين الناس كان على أحسن نظام كان حال لباسه . . .

(٤) كان يضع كل شيء في محله .

(٥) يفعل هذا: أى يفعل ما يرى تركه خيراً من فعله .

(٦) مذهبه : أى كان رأيه المختار عنده التحصن بها وعدم الخروج منها ؛ وذلك لأن بعض

الصحابة رضی الله عنهم الذين لم يحضروا غزوة بدر أحبوا خروجه - صلى الله عليه وسلم - من

للمدينة للقتال ، وكان صلى الله عليه وسلم رأى رؤيا تدل على قتل بعض أصحابه وأمور آخر ،

فقصها عليهم ، وأولها لهم ، وأراد ترك الخروج ؛ فرغبوه فيه ، فدخل بيته فلبس درعه ولأمة

حربه ، فندموا على مخالفته ؛ وقالوا له - لما خرج : الرأى لك ، فقال : ما كان لى إذا لبس

لأُمَّته أن يضمها حتى يحكم الله بينه وبين عدوه، ومضى إلى أحد، فكان ما كان من جراحته،

وقتل حمزة وغيره .

قال البخارجى : فهذه قصة ترك فيها ما أحبه لما رآه أصحابه ؛ وكلاهما أمر جائز .

(٧) على يقين من أمرهم : بإخبار الله تعالى له ، وبما يظهر من أحوالهم ، وما يلقى

عنهم .

(٨) يقول الناس من أعدائه .

أصحابه ؛ كما جاء في الحديث ^(١) ؛ وتزكّه بناء الكعبة على قواعد إبراهيم مراعاةً لقلوب قريش وتمظيمهم لتغييرها ، وحذراً من نفاذ قلوبهم لذلك ، وتحريك متقدم عدّائهم للدين وأهله ؛ فقال لعائشة في الحديث الصحيح ^(٢) : لولا حديثان قومك بالكفر ^(٣) لأتممت البيت على قواعد إبراهيم ^(٤) .

ويجعل الفعل ثم يتركه ؛ ليكون غيره خيراً منه ^(٥) ؛ كانتقاله من أدنى مياه بدر إلى أقربها للعدوّ من قريش ^(٦) ؛ وقوله : لو استقبلتُ من أمرى ما استدبرتُ ما سقتُ الهدى ^(٧) .

(١) رواه البخارى في عبد الله بن أبي بن سلول لما قال في غزوة بني قينقاع : ليخرجن الأعرس منها الأذل ، وبلغه - صلى الله عليه وسلم - ذلك ، فقال بعض الصحابة : نقتله لئلا يفسدنا فقال صلى الله عليه وسلم : فسكيف إذا تحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه ! صحيح البخارى :

١٩٣ - ٦

(٢) رواه الشيخان : صحيح البخارى : ٢ - ١٧١ ، وصحيح مسلم : ٩٦٩

(٣) حديثان : الحدوث ، ضد التقدم ؛ أى تجدده وعدم رسوخه ؛ والمراد به هنا القرب ؛

أى لولا قرب عهدهم بالكفر والشرك .

(٤) قال الحفاجى : وهذا من تركه أحد الجائزين ، تطيباً للخواطر . وكذلك ما بآنى

بمده من هذا الباب . (٥) وإن كانا جائزين .

(٦) كان نزل أولاً على غير الماء ، فقال له الحباب بن المنذر : أبوحى هذا أم رأى ؟

قال : رأى - فأشار عليه بما ذكر .

(٧) قال ذلك في حجة الوداع ؛ كما رواه الشيخان : في صحيح البخارى : ٩ - ١٠٣ ،

وصحيح مسلم : ٨٧٩ ، ٨٨٤ . والهدى : ما يساق من الإبل لينحر في الحرم ويتصدق بلحمه .

وكان صلى الله عليه وسلم أحرم بالحج مفرداً ، وساق معه هدياً ، فلم يحل له أن يلبس

ويحل من إحرامه حتى يبلغ الهدى محله يوم النحر ، وكان أصحابه تمتعوا بالعمرة وفسكوا

إحرامهم ، فلما علموا أنه صلى الله عليه وسلم لم يتمتع كرهوا تمتعهم بلباسهم ونسأهم خلاف رسول

الله ؛ فقال لهم صلى الله عليه وسلم : لو استقبلتُ من أمرى ما استدبرتُ ما سقتُ الهدى

وعقد النية ؛ وهذان أمران جائزان ، فعل أحدهما ، والآخر أحب إليه ؛ بياناً للجواز .

ويَسْطُ وَجْهَهُ لِّلْكَافِرِ وَالْعَدُوِّ رَجَاءً اسْتِثْلَافَهُ (١) .
ويصبر للجاهل، ويقول (٢) : إِنْ مِنْ شِرَارِ النَّاسِ مِنْ اتَّقَاهُ النَّاسُ (٣) لَشِرِّهِ؛ وَيَبْذُلُ
لَهُ الرِّغَائِبَ لِيَجِبَّ (٤) إِلَيْهِ شَرِيْعَتَهُ وَدِينَ رَبِّهِ .
ويتولَّى في مَنْزِلِهِ مَا يَتَوَلَّى الْخَادِمُ مِنْ مَهْنَتِهِ (٥) ، وَيَتَسَمَّتُ (٦) فِي مَلَكْتِهِ ، حَتَّى
لَا يَبْدُو شَيْءٌ مِنْ أَطْرَافِهِ (٧) ، وَحَتَّى كَأَنَّ عَلَى رِءُوسِ جُلَسَائِهِ الطَّيْرَ (٨) ؛ وَيَتَحَدَّثُ مَعَ جُلَسَائِهِ
بِحَدِيثِ أَوْلِيَاهِمُ (٩) ، وَيَتَمَجَّبُ بِمَا يَتَمَجَّبُونَ مِنْهُ ، وَيُضْحِكُ بِمَا يَضْحَكُونَ مِنْهُ ؛ قَدْ وَسَّعَ النَّاسُ

(١) استئلافه : أى أن يؤلف بينه وبينه لهدايته للإسلام، وعدم نقرته؛ لما يراه من لطف
الله تعالى به ، وإظهاره له ما يحبه .

(٢) في حديث رواه الشيخان عن عائشة : صحيح البخارى : ٧ - ١٦ ، ٢١ ، ٣٨ ،

وصحيح مسلم : ٢٠٠٢

(٣) اتقاه الناس : توقوا منه وتجنبوه وسألوه خوفاً منه .

(٤) الرغائب : جمع رغبة ، وهى ما يرغب فيه :

(٥) مهنته : خدمته .

وفي نسيم الرياض : وعن عائشة رضى الله عنها : كان صلى الله عليه وسلم يخفف نعله ،
ويخيط ثوبه ، ويعمل في بيته كما يعمل أحدكم في بيته، ويقم بيته ، ويحلب شاته ، ويأكل مع
الخدوم ، ويعجن ، ويحمل حاجته من السوق . كاه للتواضع ، وتعليمه للأمة .

(٦) ويتسمت : من سمت ؛ وهو التلبس بالهيئة الحسنة . في ملكه : اللأ : جماعة يملئون
العيون مهابة وجلالة ؛ أى كان صلى الله عليه وسلم في منزله على نهج الخادم في خدمته ؛
فإذا برز للملأ من أصحابه وجلسائه من الأشراف برز على هيئة حسنة .

وفي ١ : في ملائحته : قال القارى (٢ - ٣٦٩) : أى في إزاره ، كذا قالوا . والظاهر : في ملابسه .

(٧) من أطرافه : كساقيه وقدميه .

(٨) على رؤوس جلسائه الطير : أى لا يرفع أحد رأسه ، ولا يطيل نظره إليه توقيراً له

وتكريماً ، وذلك كناية عن كمال سكوتهم وسكوتهم ووقارهم .

(٩) بحديث أولهم : أى بما كان لمن قبله من أوائلهم ، أو بحكاية ما كان قبل الإسلام من حروبهم

كيوم بعاث وغيره . وقيل : للراد أنه يتكلم بحديث أول متكلم منهم ، أى بما يناسبه ، لأنه يعيده لهم .

بِشْرُهُ^(١) وَعَدْلُهُ ، لَا يَسْتَفْزُهُ الْغَضَبُ ، وَلَا يُقْصِرُ عَنِ الْحَقِّ ، وَلَا يُبْطِنُ^(٢) عَلَى جِلْسَانِهِ ؛ يَقُولُ : مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ تَكُونَ لَهُ خَائِنَةٌ الْأَعْيُنِ^(٣) .

فَإِنْ قُلْتَ : فَمَا مَعْنَى قَوْلِهِ لِمَا نَشَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فِي الدَّخْلِ عَلَيْهِ^(٤) : بئس ابنُ العشيْرةِ . فلما دخلَ الْآنَ لَهُ الْقَوْلَ وَضَحَكَ مَعَهُ ، فَلَمَّا سَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ قَالَ : إِنَّ مِنْ شَرِّ النَّاسِ مَنْ اتَّقَاهُ النَّاسُ لِشَرِّهِ .

وَكَيْفَ جَازَ أَنْ يُظْهِرَ لَهُ خِلَافَ مَا يُبْطِنُ ، وَيَقُولُ فِي ظَهْرِهِ^(٥) مَا قَالَ ؟ فَالْجَوَابُ أَنَّ فِعْلَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ اسْتِنْلَافًا امْتِثَالًا ، وَتَطْيِيبًا لِنَفْسِهِ ؛ لِتَمَكِّنَ إِيْمَانَهُ ، وَيَدْخُلَ فِي الْإِسْلَامِ بِسَبَبِهِ أَتْبَاعُهُ ، وَيَرَاهُ مِثْلَهُ فَيُنْجَذِبُ بِذَلِكَ إِلَى الْإِسْلَامِ .

(١) البشْر: طلاقة الوجه والبشاشة في وجوههم؛ والمراد أنه يعم جميع من عنده ، ويسوى بينهم في ذلك .

(٢) لا يبطن : لا يخفى في باطن أمره على جلسائه ممن هو عنده شيئاً مما يريد .
(٣) لا يبنني ولا يلبق ولا يصح لني أن يضمر ويشير بطرف عينيه لأحد أن يفعل شيئاً أخفاه ولم يتكلم به .

وفي النهاية : خائنة الأعين : أن يضمر في نفسه ما لا يظهره بلسانه ، فيومئء له بعينه وهو خائنة . والخائنة بمعنى الخيانة . وقد تقدم .

(٤) في حديث رواه الشيخان عنها . والداخل عليه : هو عيينة بن حصن الفزاري . وقد تقدم هذا الحديث ، وتقدم تخريجه . (٥) في ظهره : في غيبته بعد ما ذهب وولى ظهره . قال الخفاجي : وقد كان عيينة هذا من المؤلفة قلوبهم ، وكان قبل إسلامه دخل بغير إذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده عائشة فقال له : بلا إذن ! فقال : ما استأذنت على أحد من مضر ؛ أي لأنه كان رئيساً في قومه ، ويقال له الأحق المطاع في قومه ثم قال له : ما هذه الحميراء ! فقال : أم المؤمنين . فقال : ألا أنزل لك عن أجل منها ! فقالت : يا رسول الله ؛ من هذا ؟ قال : هو الأحق المطاع في قومه ، وهو على ما يرى سيد قومه . قال الخفاجي :

وفي الحديث دليل على غيبة الكافر والفاسق المجاهر . وما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم مداراة لا مداهنة والفرق بينهما مشهور .

ومِثْلُ هذا ^(١) على هذا الوَجْهِ قد خرج من حَدِّ مُدَاراةِ الدنْيا إلى السِياسة الدِّينية ^(٢).

وقد كان النَبِيُّ يَسْتَأْلفُهُم بِأَمْوالِ اللَّهِ العَريضةِ ^(٣) فَكَيْفَ بِالْكَلمةِ اللَّيْثَةِ؟ قال صَفْوان ^(٤): لَقَدْ أَعْطاني [٢٣٥] وَهُوَ أَبْغَضُ الخَلْقِ إِلَيَّ ^(٥)، فَمَا زال يُعْطِينِي حَتَّى صار أَحَبَّ الخَلْقِ إِلَيَّ ^(٦).

وقوله فيه ^(٧): بئس ابنُ العَشيرةِ - هو غَيرِ غَيبَةٍ؛ بل هو تَمْرِيفُ ما علِمه منه لَمَنْ لَمْ يَعْلَمْ، لِيُحذَرَ حالَهُ، وَيُحْتَرَزَ مِنْهُ، ولا يوثقُ بِجانِبِهِ كَلِّ الثَّقَّةِ، ولا سِما وَكان مُطاعاً مَتَّبوعاً ^(٨).

ومِثْلُ هذا إذا كان لَضرورةً وَدَفَعَ مَضَرَّةً لَمْ يَكُنْ بِغَيبَةٍ ^(٩)، بل كان

(١) مثل هذا: من قوله لأحد من الناس في وجهه شيئا وذكره خلافه بعد ذهابه .

(٢) أى من المداراة التي هي لأجل أمور الدنيا . إلى السياسة الدينية : أى التدبير بتأليف القلوب الداعى لدخول الناس في الإسلام من غير ضرر وتعب ؛ فهو في جملة مصالح الدين ومهائمه .
(٣) العريضة : الكثيرة جدا .

قال في نسيم الرياض: وهذا نحو ما وقع له صلى الله عليه وسلم أنه أعطى بعضهم واديا مملوءا بالتمن ؛ فأسلم وأسلم قومه لما قال لهم : يا قوم ؛ إنه يعطى عطاء من لا يخاف الفقر .

(٤) هو صفوان بن أمية بن وهب الجحى الصحابي ، أحد الأشراف الفصحاء الأجواد ، أسلم بعد حنين ، وتوفي سنة اثنتين وأربعين .
(٥) لما كان في قلبه من عداوته له .

(٦) لما رأى من إحسانه إليه من غير امتنان .

(٧) في حق عيينة بن حصن الداخل عليه بغير إذن .

(٨) متبوعا : له أتباع كثيرون من العرب إذا أمرهم أطاعوه فيخشى من شره .

(٩) لم يكن ذلك غيبة منها عنها شرعا حتى يعترض ويقال : كيف يصدر مثله منه صلى

الله عليه وسلم وهو معصوم ؟

جائزا، بل واجبا^(١) في بعض الأحيان كمادة المحدثين في تجريح الرواة والمزكين في الشهود^(٢).

فإن قيل: فما معنى المعضل^(٣) الوارد في حديث بريرة من قوله صلى الله عليه وسلم لعائشة؛ وقد أخبرته أن موالى بريرة^(٤) أبوا بيعها إلا أن يكون لهم الولاء^(٥)؛ فقال لها صلى الله عليه وسلم: اشتريها واشترطى لهم الولاء.

فقلت، ثم قام خطيبا، فقال: ما بال أقوام يشترطون شروطاً ليست في كتاب الله؛ كل شرط ليس في كتاب الله فهو باطل والنبي صلى الله عليه وسلم قد أمرها بالشرط^(٦) لهم، وعليه باعوها، ولولاه - والله أعلم - لما باعوها من عائشة، كما لم يبيعوها قبيل^(٧) حتى شرطوا ذلك عليها؛ ثم أبطله صلى الله عليه وسلم، وهو قد حرّم الفسّ والخديعة^(٨).

(١) كان جائزا منه لتعريف حاله من غير قصد ذمه. بل كان واجبا عليه - صلى الله عليه وسلم - أن يبين بعض عيوبه لأمته.

(٢) تجريح الرواة: بذكر عيوبهم، لثلا يعمل بما رووه. وكما مادة المزكين في تجريحهم للشهود إذا سألهم الحاكم عنهم ليقبل شهادتهم أولا؛ فيجب عليهم ذكر ما يملون من حالهم خيرا أو شرا. وكان هذا واجبا لما فيه من دفع الفساد عن الأحكام الشرعية، وصيانة حقوق الناس.

(٣) المعضل: المشكل المعي - وقد روى هذا الحديث الشيخان: صحيح البخارى: ٣-

٢٣٨، وصحيح مسلم: ١١٤٤

(٤) موالى بريرة: المالكين لها.

(٥) الولاء: أى ولاء العتاقة.

(٦) بالشرط لهم: بشرط الولاء لهم إذا أعتقها.

(٧) قبل: قبل شرط الولاء لهم.

(٨) فقال: من غشنا فليس منا. وقال: ولا خلاية؛ أى لا خداع في المعاملة.

قال الحفاجى: فكيف أمر صلى الله عليه وسلم عائشة بقول ما لا يجوز، ولولاه ما باعوها؛

فيه غش وخبديعة - فدفعه بقوله: فاعلم . . .

فاعلم - أكرمك الله - أن النبي صلى الله عليه وسلم منزهٌ عما يَقَعُ في بالِ الجاهلِ من هذا ، ولتَنزِيهِ النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك ما قد أنكر قومٌ هذه الزيادة : قوله : اشتَرطوا الولاء ؛ إذ ليست في أكثر طرقِ الحديث ؛ ومع ثبوتها فلا اعتراضَ بها ؛ إذ يَقَعُ « لهم » بمعنى « عليهم » ؛ قال الله تعالى ^(١) : ﴿ أولئك لهم اللعنة ﴾ . وقال ^(٢) : ﴿ وإن أسأمتُمْ فلها ﴾ .

فعلى هذا اشترطوا عليهم الولاء لك ، ويكون قيامُ النبي صلى الله عليه وسلم ووعظُهُ لما سلف من شرطِ الولاء لأنفسهم قَبيلَ ذلك ^(٣) .

ووجهُ ثانٍ : أن قوله صلى الله عليه وسلم : اشترطوا لهم الولاء ، ليس على معنى الأمر ، لكن على معنى التسوية والإعلام بأن شرطَهُ لهم لا ينفقُهُم بمدِّ بيانِ النبي صلى الله عليه وسلم لهم قَبيلَ ^(٤) أن الولاء لَمَنْ أعتق ؛ فكأنه قال : اشترطوا أو لا تشترطوا ، فإنه شرطٌ غيرُ نافعٍ ^(٥) .

وإلى هذا ذهب ^(٦) الداودى وغيره ؛ وتوبيخ النبي صلى الله عليه وسلم لهم ؛

(٢) سورة الإسراء ، آية ٧

(١) سورة الرعد ، آية ٢٥

(٣) قال في نسيم الرياض : وهذا التوجيه منقول عن المزني ، وأسنده البيهقي إلى الشافعي

رضي الله عنه ، وجزم به الخطابي وصححه ؛ وأنكره غيره .

وقال النووي : إنه ضعيف ؛ لأنه صلى الله عليه وسلم أنكر اشتراطهم ذلك ، ولو كانت

اللام بمعنى « على » لم ينكره . وقال ابن دقيق العيد : اللام تدل على اختصاص أمر ما ضارا

كان أو ناقما ، كما تقول : المقاب لزيد ، فلا حاجة لجمعها بمعنى على حيث لا لبس . وعلى كل حال

فضمف هذا الجواب ظاهر .

(٤) لا ينفقهم ولا يفيدهم ؛ لعدم ورود ما يجوز . قبل : قبل وقوع هذه القصة .

(٥) فالاشتراط وعدمه سواء .

(٦) الداودى : هو الإمام أبو الحسن عبد الرحمن بن محمد بن المظفر بن داود المعروف

بالداودى . توفي سنة ٤٦٧ هـ (الباب) .

وتقرئهم^(١) على ذلك يدلُّ على علمهم به قبلَ هذا .
 الوجه الثالث : أن معنى قوله : اشتراطى لهم الولاء ؛ أى أظهرى لهم حكمه ،
 وبيئى سنته^(٢) بأن الولاء إنما هو لمن أعتق . ثم بعد هذا قام هو صلى الله عليه وسلم
 مبيئاً ذلك وموَبِّحاً على مخالفة ما تقدّم منه فيه^(٣) .
 فإن قيل : فما معنى فعل يوسف عليه السلام بأخيه ؛ إذ جعل السفاية في رحله^(٤)
 وأخذه باسم سرقتها ، وما جرى على إخوته في ذلك ، وقوله تعالى^(٥) : ﴿ إنكم
 لسارقون ﴾ ؛ ولم يسرقوا^(٥) .
 فاعلم - أكرمك الله - أن الآية تدلُّ على أن فعل يوسف كان عن أمر الله ؛
 لقوله تعالى^(٦) : ﴿ كذلك كدنا ليوسف ، ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك

(١) تقرئهم : لومهم بين الناس .

(٢) سنته : طريقته وما شرعه الله .

(٣) قال في نسيم الرياض : قال الشافعى في الأم : إنهم لما عصوا الله باشتراط ما قضى بخلافه
 أمرها أن تشتراط لهم بحسب الظاهر حتى يزجرهم ويردعهم ؛ لأن توبيخ من ارتكب المعصية
 بعد ارتكابها أقوى من زجره قبله وأعظم في النهى عنه ؛ فقال لها : اشتطيه ليتأتى الردع .

(٤) السفاية : إناء جعل صاعا يسكال به . في رحله : بين أمتعة أخيه ليأخذه بها ، وكان

من شرعهم أخذ من سرق . سورة يوسف ، آية ٧٠ .

(٥) فكيف يقول ما لا أصل له ، وهو نبي معصوم .

قال الحفاجى : ففيه إشكال يشبه ما في قصة بريرة . . .

(٦) سورة يوسف ، آية ٧٦ .

كدنا ليوسف : علمناه ما يكيد به إخوته حتى يأخذ أخاه منهم . والكيده : قريب من
 المكر ، وهو إظهار ما يخالف الباطن للتجميل على أمر يريد . ودين الملك : طاعته بإيقائه ؛ بصر-
 أو ما كان من دينه أن يأخذ من سرق .

وقوله : إلا أن يشاء الله يدل على أن فعله بإرادته ورضاه .

قال الحفاجى : وبهذا سقطت الشبهة المذكورة .

إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِمَّنْ نَشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿١﴾ .

فَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَلَا عِتْرَاضَ بِهِ ، كَانَ فِيهِ مَا فِيهِ ^(١) .

وَأَيْضًا فَإِنَّ يُوسُفَ كَانَ أَعْلَمَ أَخَاهُ بِأَنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ ^(٢) ؛ فَكَانَ

مَا جَرَى عَلَيْهِ بَعْدَ هَذَا مِنْ وَفْقِهِ ^(٣) وَرَغْبَتِهِ ، وَعَلَى يَقِينٍ مِنْ عُمِّي الْخَيْرِ لَهُ بِهِ ،

وإِزَاحَةَ السُّوءِ وَالْمُضْرَّةِ [٢٣٦] عَنْهُ بِذَلِكَ .

وَأَمَّا قَوْلُهُ ^(٤) : ﴿ أَيُّهَا الْعَمِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ ﴾ ؛ فَلَيْسَ مِنْ قَوْلِ يُوسُفَ ^(٥) .

فَيَلْزِمُ عَلَيْهِ جَوَابُ لِحَلِّ شُبُهَيْهِ ^(٦) .

وَلَعَلَّ قَائِلَهُ إِنْ حُسِّنَ لَهُ التَّأْوِيلُ كَأَنَّكَ مَنْ كَانَ ظَنَّ عَلَى صُورَةِ

الْحَالِ ^(٧) ذَلِكَ .

وَقَدْ قِيلَ : قَالَ ذَلِكَ لِعَمَلِهِمْ قَبْلُ بِيُوسُفَ وَبَيْنَهُمْ لَهُ ^(٨) . وَقِيلَ غَيْرَ هَذَا .

وَلَا يَلْزِمُ أَنْ نَقُولَ الْأَنْبِيَاءَ مَا لَمْ يَأْتِ ^(٩) أَنَّهُمْ قَالُوهُ ، حَتَّى يُطْلَبَ الْخِلَاصُ مِنْهُ ، وَلَا

يَلْزِمُ الْعَبْتِدَارُ عَنْ زَلَّاتٍ غَيْرِهِمْ .

(١) وَإِنْ كَانَ فِيهِ مَا فِيهِ : وَإِنْ وَقَعَ فِيهِ مَا يَخَالِفُ ظَاهِرَهُ الْوَاقِعَ ، وَيَقْتَضِي الْحَدِيثَةَ مِمَّا لَا يَلِيقُ

بِمَقَامِ النَّبِيَّةِ .

(٢) لَا تَبْتَئِسْ : لَا تَحْزَنْ ، فَيَكُونُ عِنْدَكَ بؤْسٌ وَشِدَّةٌ حِينَ أَسْنَدَ إِلَيْكَ السَّرْقَةَ ، وَأَخَذَكَ

عِنْدِي ، وَأَمْرَهُ إِلَّا يَعْلَمُهُمْ بِمَا قَالَهُ لَهُ ، فَفَرَضِي ، وَقَالَ : إِذْنٌ لَا أَفَارِقُكَ .

(٣) مِنْ وَفْقِهِ : مِنْ اتِّفَاقِ جَرَى بَيْنَهُمَا سِرًّا .

(٤) سُورَةُ يُوسُفَ ، آيَةٌ ٧٠ أَيُّهَا الْعَمِيرُ ؛ أَيُّ أَصْحَابِ هَذِهِ الدَّوَابِّ وَالْإِبِلِ الْحَامِلَةِ لَكُمْ . . .

(٥) لَيْسَ مِنْ قَوْلِ يُوسُفَ ، وَإِنَّمَا قَالَ غَيْرَهُ مِمَّنْ لَمْ يَقِفْ عَلَى حَقِيقَةِ الْحَالِ .

(٦) قَالَ فِي نَسِيمِ الرِّيَاضِ : وَلَسْكَنَهُ مَحْتِاجٌ لِلْجَوَابِ عَنْ إِقْرَارِ يُوسُفَ لِقَائِلِهِ عَلَى أَمْرِ قَبِيحٍ ،

وَالْإِفْرَارِ عَلَى الْقَبِيحِ قَبِيحٍ كَقَمَلِهِ ؛ فَإِنْ كَانَ يُوسُفَ لَمْ يَسْمَعِهِ لَمْ يَحْتَجِ إِلَى ذَلِكَ .

(٧) أَيُّ رَأْيِ ظَاهِرِ حَالِهِمْ كَحَالِ السَّارِقِ لَوْجُودِ مَا لَيْسَ لَهُمْ بَيْنَ أَمْتَعَتِهِمْ ، فَظَنَّ سَرَقَتِهِمْ

لَهُ ، وَإِنْ جَازَ أَنْ يَكُونَ غَفْلَةً أَوْ سَهْوًا ، أَوْ وَضَعَهُ فِيهَا غَيْرِهِمْ .

(٨) فَإِنَّهُ فِي مَعْنَى السَّرْقَةِ . (٩) مَا لَمْ يَأْتِ أَنَّهُمْ قَالُوهُ : أَيُّ لَمْ يَرَوْهُ ، وَهُوَ غَيْرُ لَائِقٍ بِمَقَامِهِمْ .

فصل

فإن قيل : فما الحكمة في إجراء الأمراضِ وشدتها عليه وعلى غيره من الأنبياء على جميعهم السلام ^(١) ؟ وما الوجهُ فيما ابتلاهم ^(٢) اللهُ به من البلاء ، وامتحنهم بما امتحنوا به ؛ كأيوب ، ويمقوب ، ودانيال ، ويحيى ، وزكريا ، وعيسى ، وإبراهيم ، ويوسف ^(٣) ، وغيرهم ^(٤) . صلواتُ اللهُ عليهم ، وهم خيرته من خلقه وأحبّآؤه وأصفيآؤه .

فاعلم - وفقنا اللهُ وإياك - أن أفعالَ اللهِ تعالى كلها عدلٌ ^(٥) ، وكلما به جميعها صدقٌ ، لا مُبدلَ لِكلماته ، يبدلُ عبادَه كما قال تعالى لهم ﴿ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾ ^(٦) . ﴿ وَلِيَبْلُوَ كُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ ^(٧) - وليعلم اللهُ الذين آمنوا ^(٨) - ولما يعلم اللهُ

(١) يبين في هذا الفصل حكمة ابتلاء بعض الأنبياء بالأمراض ، بعد ما قرر عصمتهم ونزاهة ذواتهم وصفاتهم وأفعالهم وأقوالهم عن كل نقص ؛ لأنه ربما يتوهم جاهل أن الابتلاء بمثله غير لائق بهم أيضا .
(٢) الوجه : الحكمة والسبب .

(٣) أيوب : ابتلاه اللهُ بأمراضٍ شديدة . ويمقوب : في حزنه وشدته بكأنه لفقد ولده حتى ضعف بصره . ويحيى : بقتله أو ذبحه . وزكريا : ابتلى بالقتل . وعيسى : ابتلاه اللهُ باليهود وكيدهم . وإبراهيم ابتلى بالقاء نمرود له بالنار . ويوسف ابتلى بفراق أبيه وإلقائه في السجن والحب . ودانيال : وهو نبي غير مرسل كان في زمن بختنصر ، وكان من أعز الناس عنده ، فوشوا به له ، فألقاه وأصحابه في الأخدود .

(٤) وغيرهم : كنعوح

(٥) أفعاله كلها عدل : فلا يظلم أحدا من خلقه ، وإن كان لا يجب عليه شيء . وكلماته :

أى أخباره ووعدده صدق كلها ، لا مبدل لِكلماته ، ولا يمكن أحدا أن يغير شيئا مما أخبر به .

(٦) سورة يونس ، آية ١٤ . أى ليظهر للناس أعمالكم فيعملوا استحقاقكم لما أنعم به

عليكم ويجازيكم عليه أعظم الجزاء . (٧) سورة هود ، آية ٧ . يبلو : يختبر .

أى أودع فيكم إذ أحياكم بالعقل والإحساس الذى صح فيه تكليف الأحكام ، وأن

يعاملكم معاملة المختبر ، فيجازيكم بما تستحقونه .

(٨) سورة آل عمران ، آية ١٤٠

الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ^(١) . ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ
وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَنَّكُمْ أَخْبَارَكُمْ﴾^(٢) .

فامتحنه إياهم^(٣) بضروبِ المحنِّ زيادةً في مكاتبتهم ، ورفعةً في درجاتهم ،
وأَسبابٍ لاستخراج^(٤) حالاتِ الصبرِ والرضا ، والشكرِ والتسليم ، والتوكلِ ،
[والتفويض ، والدعاء ، والتضرع منهم ، وتأكيدُ لبصائرهم^(٥) في رَحمةِ الْمُتَحَنِّينِ ،
والشفقةِ على المُبْتَلَيْنِ ، وتذكُّرُ لغيرهم ، وموعظةٌ لسواهم ليتأسَّوا^(٦) في البلاءِ بهم]^(٧) ؛

(١) سورة آل عمران ، آية ١٤١

(٢) سورة محمد ، آية ٣١ . ولنبلونكم بالجهد والتكاليف .

قال في نسيم الرياض : وقوله تعالى : لنعلم ، ولننظر ، وما في معناه مع تقدم علمه القديم ؛
وأفعاله تعالى لا تملل بالأغراض عند بضمهم - لبيان ما تعلق به علمه ، وأنه لحكم ترتب عليه ،
كالأغراض الباعثة على الأفعال .

قال الحفاجي : والآيات دالة على أنه تعالى يتبلى بعض عباده ليظهروا صبرهم ، فيجازيهم

أعظم جزاء .

ففيه تسلية لهم ، وحث على الرضا بما قدره لهم .

(٣) إياهم : الضمير لأنبيائه . بضروب : بأنواع من المحن ، والمصائب التي ابتلاهم بها .

(٤) لاستخراج : لإظهار .

(٥) بصائرهم : جمع بصيرة ، وهي القوة المدركة للمعاني ، كالباصرة في المحسوسات ؛ فهم

على بصيرة فيما ذكر ، ولكن الابتلاء لينبئهم لما ذكر مقوموهم ومؤكدوهم وبين لبصائرهم .

(٦) ليتأسوا : ليقعدوا بهم ويكون لهم بهم أسوة في البلاء الذي بهم ، ويتسلوا ؛ فتكون

لهم سلوة تذهب حزنهم في المحن والمصائب بما جرى عليهم ، ووقع بهم ، ويقعدوا بهم في

الصبر على ما أصابهم ؛ فيقولون : إذا كان أنبياء الله وأجباؤه ابتلوا بمثل هذا فما

بالنا نحن ؟

(٧) ما بين القوسين ليس في ا

فَيَسْأَلُوا فِي الْحَجَنِ بِمَا جَرَى عَلَيْهِمْ، وَيَقْتَدُوا بِهِمْ فِي الصَّبْرِ، وَنَحْوُ لَهْنَاتٍ (١) فَرَطَتْ مِنْهُمْ، أَوْ غَفَلَاتٍ سَلَفَتْ لَهُمْ، لِيَلْتَقُوا اللَّهَ طَيِّبِينَ مُهَذَّبِينَ (٢)؛ وَلِيَكُونَ أَجْرُهُمْ أَكْمَلَ، وَثَوَابُهُمْ أَوْفَرَ وَأَجْزَلَ (٣).

حدثنا (٤) القاضي أبو علي الحافظ، حدثنا أبو الحسين الصيرفي وأبو الفضل ابن خيرون؛ قالوا: حدثنا أبو يعلى البغدادي، حدثنا أبو علي السنجي، حدثنا محمد ابن محبوب، حدثنا أبو عيسى الترمذي، حدثنا قتيبة، حدثنا حماد بن زيد، عن عاصم بن بهدأة، عن مضعب بن سعد، عن أبيه؛ قال: قلت: يا رسول الله؛ أيُّ الناس أشدُّ بلاءً؟ قال: الأنبياء، ثم الأمثلُ فالأمثلُ (٥)، يُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ (٦)، فما يبرحُ البلاءُ بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض وما عليه خطيئة.

(١) هذه حكمة أخرى لابن الأثير؛ والهناات: جمع هنة؛ وهي الهفوة اليسيرة. والمعنى أنها كفارة للذنائب، وما يصدر عنهم سهواً، ولأُمور تمد سيئات بالنسبة لهم إذا وقعت منهم بسبب تقريظ يسير منهم؛ تطهروا لهم، ورفعوا لهم عن مثلها.

أَوْ غَفَلَاتٍ: جمع غفلة. وغفلتهم لاشتغال قلوبهم بأُمور أهمهم. وفي: ١. ومحوا...

(٢) مهذبين: مخلصين مما يشينهم.

(٣) أوفر: أكثر. وأجزل: أعظم.

(٤) هذا الحديث يستشهد به المؤلف على كونه - صلى الله عليه وسلم - أشد الناس بلاءً.

وقد رواه الترمذي والنسائي، وابن ماجه، والحاكم. سنن الترمذي: ٤ - ٦٠٢،

وسنن ابن ماجه: ١٣٣٤

(٥) الأمثل: الأفضل. وقال الراغب: الأمثل يعبر به عن الأشبه بالأفضل والأقرب إلى

الخير، وأماثل القوم: خيارهم.

(٦) قال الحفاجي: الدين هنا الطاعة؛ أي بقدر طاعته وتقواه قوة وضعفاً تكون بليته،

فالأنقى أشد وأكثر بلاءً.

وكما قال تعالى^(١) : ﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِيثُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ . وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا : رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبَّتْ أقدامنا وانصُرنا على القوم الكافرين . فاتاهم الله نواب الدنيا وحسن نواب الآخرة والله يحب المحسنين ﴾ .

وعن أبي هريرة^(٢) : ما يزال البلاء بالمؤمن [والمؤمنة]^(٣) في نفسه وولده وماله حتى يلقي الله وما عليه خطيئة^(٤) .
وعن أنس^(٥) ، عنه صلى الله عليه وسلم : إذا أراد الله بعبده الخير عجل له^(٦) العقوبة في الدنيا ، وإذا أراد الله بعبده الشرَّ أمسك عنه بذنبه حتى يوافي به يوم القيامة^(٧) .

(١) سورة آل عمران ، آية ١٤٦ - ١٤٨

وكأين بمعنى كم . والريثيون : جمع ربي ، منسوب إلى الرب . وهنوا : جبنوا . استكانوا : ضعفوا .

قال الخفاجي : في هذه الآيات ما يدل على ابتلاء الأنبياء وصبرهم وكثرة نوابهم عليه . وقال : وهذا تعريض لما أصابهم من الإرجاف بقتل النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد ، وأنه لو كان حيا كان مثل ما وقع لغيرهم ، وأنهم مع شدة جهادهم وصبرهم مدعنون بمغفرة ربهم ، وإن لم يصدر منهم ذنب تواضعا وخشية .

(٢) في حديث رواه الترمذى : سنن الترمذى : ٤ - ٦٠٢ ، وفيه : قال أبو عيسى :

هذا حديث حسن صحيح .

(٣) من سنن الترمذى .

(٤) في حديث رواه الترمذى وحسنه : سنن الترمذى : ٤ - ٦٠١ .

(٥) عجل له العقوبة في الدنيا بما يبتليه فيها مما يحو عنه الذنوب .

(٦) أمسك عنه مصائب الدنيا استدرجاله ، فلا يعاقبه وبيتابه ، بل يتركه بذنبه حتى يوافي

ربه ويلقاه بذنبه يوم القيامة ، فيجازيه عليه إن لم يرد العفو عنه .

وفي حديث^(١) آخَر : إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ عَبْدًا ابْتَلَاهُ لِيَسْمَعَ تَضَرُّعَهُ .
وحكى السمرقندي أن كلَّ مَنْ كَانَ أَكْرَمَ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى كَانَ بَلَاؤُهُ أَشَدَّ كُنَى
يَتَبَيَّنُ فَضْلَهُ ، وَيَسْتَوْجِبُ الثَّوَابَ^(٢) ؛ كَارُؤِي عَنْ لُقْمَانَ أَنَّهُ قَالَ : يَا بَنِيَّ ؛ الذَّهَبُ
وَالْفِضَّةُ يُخْتَبَرَانِ بِالنَّارِ ، وَالْمُؤْمِنُ يُخْتَبَرُ بِالْبَلَاءِ^(٣) .
وقد حُكِيَ أَنَّ ابْتِلَاءَ يَعْقُوبَ بِيُوسُفَ كَانَ سَبَبَهُ التَّفَاتَهُ فِي صَلَوَاتِهِ إِلَيْهِ ،
وَيُوسُفُ نَأَمٌ مُحِبَّةٌ^(٤) [٢٣٧] له .

وقيل : بل اجتمع يوما هو وابنه يوسف على أكلِ حَلِيٍّ مَشْوِيٍّ^(٥) ، وهما
يَضْحَكَانِ ، وَكَانَ لهُمَا جَارٌ يَتِيمٌ ، فَسَمَّ رِيحَهُ وَاشْتَمَاهُ وَبَكَى ، وَبَكَتْ لَهُ جَدَّةٌ لَهُ عَجُوزٌ
لِبُكَائِهِ ، وَبَيْنَهُمَا جِدَارٌ ، وَلَا عِلْمَ عِنْدَ يَعْقُوبَ وَابْنِهِ ؛ فَعُوقِبَ يَعْقُوبُ بِالْبُكَاءِ أَسْفَاءً
عَلَى يُوسُفَ إِلَى أَنْ سَأَلَتْ حَدِيقَتَاهُ ، وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ . فَلَمَّا عَلِمَ بِذَلِكَ
كَانَ بِقَمِيَّةِ حَيَاتِهِ يَأْمُرُ مُنَادِيًا ينادى عَلَى سَطْحِهِ : أَلَا مَنْ كَانَ مُفْطِرًا^(٦) فَلْيَتَفَدَّ
عِنْدَ آلِ يَعْقُوبَ^(٧) .

وَعُوقِبَ يُوسُفَ بِالْمِحْنَةِ الَّتِي نَصَّ اللَّهُ^(٨) عَلَيْهَا .

-
- (١) رواه الديلمي عن أبي هريرة . تضرعه : دعاءه منه متذللًا له لمحبته ومراجمته .
(٢) يتبين فضله في الآخرة أو في الدنيا لمن يصبر . ويستوجب الثواب : يستحقه تفضلاً
من الله بوعده به .
(٣) يختبر إيمانه وقوته بالبلاء ؛ أى بإصابته وصبه عليه ، أو تضجره منه .
(٤) فلما قطع التوجه إلى الله قطعه الله تعالى بفرقة .
وهذا رواه القرطبي في تفسيره غير مسند .
(٥) الحمل : الصنير من الضأن .
(٦) مفطراً : غير صائم .
(٧) في نسيم الرياض : وفي هذا الخبر أيضاً : ومن كان صائماً فليفطر عندهم .
(٨) قال الخفاجي : حكى هذا عن المصنف الدميري في حياة الحيوان ، وقال : لا ينبغي له =

رُوي عن الليث أن سببَ بلاءِ أيوب أنه دخل مع أهل قريته على ملكهم ،
فكلموه في ظلّه ، وأغلظوا له إلا أيوب ، فإنه رفق به مخافةً على زرعه^(١) ، فعاقبه
اللهُ ببلائه^(٢) .

ومحنةُ سليمان لما ذكرناه من نبتةٍ في كونِ الحقِّ في جنبَةِ أصهاره^(٣) ؛
أو للعمل بالمعصية في داره ، ولا علمَ عنده^(٤) .

= ذكره ؛ فإنه لا صحة له ، وإن رواه الطبراني عن أنس ، عن شيخه ابن جهم الباهلي ؛
وهو ضعيف الرواية جدا . ورواه البيهقي في الشعب .
ومما يدل على عدم صحته أن قوله سألت حدثناه لأصل له ، وأنه - مع قوله : لا علم لها -
كيف يصح أن يعاقب على ما لم يعلم - كما أن قوله : ابيضت عيناه بعد قوله : سألت حدثناه
كلام متناقض .

والصحيح أنه لم يعم . وقال القاري (٢ - ٣٧٨) : فيه إشكال ؛ إذ هو كان صغيرا دون
البلوغ حينئذ ، لكن الله سبحانه وتعالى يفعل ما يشاء ، ولعل هذا من الحكم المجهولة عندنا .
(١) على زرعه : زرع يعقوب الذي في مملكته .

(٢) قال الخفاجي : وهذا لا ينبغي أن يقال في حق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، فليت
الصف رحمة الله - تركه .

(٣) جنبه : جانب . والصهر : الختن . وأهل بيت المرأة يقال لهم أصهار .
(٤) من كون الحق في جنبه أصهاره : ذلك أن جرادة التي تزوجها سليمان وأحبها تخاصم
عنده ناس مع آخرين من أقارب امرأته ؛ فحكم بالحق لغيرهم ، وتعي أن يكون الحق لهم ،
وهذا يمد ذنبا بالنسبة لتمامه .

ولا علم عنده بما صدر منهم من الماصي بما افترته اليهود من أنه عليه الصلاة والسلام قتل
ملكاه بنت جميلة تسمى جرادة ، فكانت عنده وأسلمت ، ثم كانت تبسكي على أبيها ، فأمر
الشياطين أن يمثلوا لها صورة ابنتها ، ففعلوا ، ففكسته وأعدت له بيتا ، فكانت تذهب إليه ،
وتسجد لصورته وهو لا يعلم ، واستمر ذلك مدة أربعين يوما ، فسلبه الله تعالى ملكه ، وابتلاه
بما ابتلاه به .

وهذه فائدة شدة المرض والوجع بالنبى صلى الله عليه وسلم ؛ قالت عائشة^(١) :
ما رأيت الوجع على أحدٍ أشدَّ منه على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم .

وعن عبد الله : رأيتُ النبىَّ صلى الله عليه وسلم فى مرضه ، يُوعَكُ وَعَكَا
شديداً ، فقلت : إنك لتُوعَكُ وَعَكَا شديداً ! قال : أَجَلٌ^(٢) ، إني أوعك كما يوعك
رَجُلَانِ مِنْكُمْ . قلت : ذلك أن لك الأجرَ مرتين^(٣) ؛ قال : أَجَلٌ ، ذلك كذلك .

وفى حديث أبي سعيد^(٤) أن رجلاً وضع يده على النبىِّ صلى الله عليه وسلم
فقال : والله ما أطيقُ أضغُ يدى عليك من شدةِ حَمَاكِ^(٥) . فقال النبىُّ صلى الله
عليه وسلم : إنا مَعَشَرُ الْأَنْبِيَاءِ يُضَاعَفُ لَنَا الْبَلَاءُ ، إِنْ كَانَ النَّبِيُّ لِيُبْتَلَى بِالْقَمَلِ
حَتَّى يَقْتَلَهُ ، وَإِنْ كَانَ النَّبِيُّ لِيُبْتَلَى بِالْفَقْرِ ، وَإِنْ كَانُوا لَيَفْرَحُونَ بِالْبَلَاءِ كَمَا
تَفْرَحُونَ^(٦) بِالرَّخَاءِ .

وعن أنس^(٧) ، عنه صلى الله عليه وسلم : « إِنْ عَظَّمَ الْجَزَاءُ مَعَ عِظَمِ الْبَلَاءِ^(٨) ،

(١) فى حديث رواه الشيخان عنها : صحيح مسلم : ١٩٩٠ ، وسنن ابن ماجه : ١-٥١٨ ،
وصحيح البخارى : ٧-١٤٩

(٢) أَجَلٌ : نعم . وعبد الله : هو ابن مسعود . والحديث فى صحيح البخارى : ٧-١٤٩ ،

وصحيح مسلم : ١٩٩١

(٣) أى ليضاعف لك الثواب .

(٤) رواه ابن ماجه ، والحاكم ، عن أبي سعيد الخدرى : سنن ابن ماجه : ٢-١٣٣٥

(٥) من شدة حماك ؛ أى حرارتها .

(٦) أى يسرون بمصائب الدنيا لما يملكون منها رفعة لقد رهم وزيادة لأجرهم ، كما تفرحون بالرخاء
وسعة العيش وحسن الحال ؛ وذلك لشدة يقينهم بربهم ، وعلمهم بما ادخر لهم فى مقابلة ما نزل بهم .

(٧) فى حديث رواه الترمذى ، وحسنه : سنن الترمذى : ٤-٦٠١

(٨) أى من كان بلاؤه أعظم كان جزاؤه أعظم عند ربه .

وإنَّ اللهَ إِذَا أَحَبَّ قوماً ابْتَلاَهُمْ ؛ فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا ، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السَّخَطُ ^(١) .
وقد قال المفسِّرون في قوله تعالى ^(٢) : ﴿ مَنْ يَعْمَلْ سِوَاءَ يُجْزَى بِهِ ﴾ ؛ إِنَّ الْمُسْلِمَ
يُجْزَى بِمَصَائِبِ الدُّنْيَا ، فَتَكُونُ لَهُ كِفَارَةً . وَرُوِيَ هَذَا عَنْ عَائِشَةَ ، وَأَبِيٍّ ، وَمُجَاهِدٍ .
وقال أبو هريرة ^(٣) ، عَنْهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا
يُصِيبْ مِنْهُ ^(٤) » .

وقال في رواية عائشة ^(٥) : « مَا مِنْ مُصِيبَةٍ تُصِيبُ الْمُسْلِمَ إِلَّا يُكْفِرُ اللهُ بِهَا عَنْهُ
حَتَّى الشُّوْكَةِ يُشَاكُّهَا ^(٦) » .

(١) له الرضا من الله بجزيل ثوابه ، ومن سخط وكره قضاء الله ولم يرض به فله السخط ،
وغضب الله تعالى ، وعقابه له ؛ فإذا صبر ولم يجزع بما أصابه رضاء بقضائه كان ذلك مثوبة وأجرًا .
(٢) سورة النساء ، آية ١٢٣ . فتكون كفارة لذنوبه إن كانت ، وزيادة في ثوابه إن
كان غير مذنب . (٣) في حديث رواه البخاري : صحيح البخاري : ٧ - ١٤٩

(٤) يصب منه ؛ أي ينزل به مكروها ومصيبة في الدنيا يثاب عليها .

(٥) في حديث رواه الشيخان : صحيح البخاري . ٧ - ١٤٩ ، وصحيح مسلم : ١٩٩٢

(٦) يشاكها : تدخل في جلده .

وفي نسيم الرياض (٤ - ٣٥٢) : قال العز بن عبد السلام : ظن بعمد الجهلة أن المرء يؤجر
على نفس المصائب ؛ وليس كذلك ؛ فإن الثواب إنما يكون على ما يفعله باختياره ، ولا دخل له في
ذلك ؛ فتوابه إنما هو على صبره ورضائه بما قدره الله تعالى ، وعدم شكايته .

ثم قال : وقال القرافي : وأنا أقول : ما قاله العز لا وجه له ، ولا يليق صدوره منه ؛ فإنه
تعالى له أن يثيبه ابتداء ، وأن يجعل ما انفق له بغير فعله سببًا لذلك .

قال : وفي كلام شيخ والدي ابن حجر الهيتمي نص الشافعي في الأم بما يصرح بأن نفس
المصيبة يثاب عليها .

والحاصل أن من أصيب وصبر حصل له ثوابان غير التكفير لنفس المصيبة ؛ وللصبر عليها ؛
ومن اتقى صبره ، فإن كان لمذركجنون - فهو كذلك ، أو لنحو جزع لم يحصل له من ذنبك
الثوابين شيء .

قال الشهاب : وما قاله القرافي ليس بشيء أيضًا ؛ فإنه قد تقصد الدعاء بما هو حاصل لزيادته
أو تنبيه سامعه وغيره ، ولو قيل بثبته لم تجز الصلاة على النبي والدعاء له بالوسيلة والدرجات
الرفيعة ، وهي محققة له ، وقد أمرنا بالدعاء بها كما تقرر في محله .

وقال في رواية أبي سعيد^(١) : « ما يصيب المؤمن من نصيب^(٢) ولا وصب^(٣) ، ولا هم ولا حزن ، ولا أذى ولا غم ، حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياها . »

وفي حديث ابن مسعود^(٣) : « ما من مسلم يُصيبه أذى^(٤) إلا حاتَّ اللهُ عنه خطاياهُ كما تحاتَّ ورقُ الشجر^(٥) . »

وحكمة أخرى^(٦) أودعها الله في الأمراض لأجسامهم ، وتماقب الأوجاع عليها وشدتها عند ماتهم ، لتضعف قُوَى نفوسهم ، فيسهل خروجها عند قبضهم ، وتخفَّ عليهم مؤنة النزح ، وشدَّة السكرات^(٧) بتقدُّم المرض^(٨) ، وضعف الجسم والنفس لذلك .

وهذا خلاف موت الفجاءة وأخذه^(٩) ، كما يشاهدُ من اختلاف أحوال الموتي في الشدة واللين ، والصعوبة والسهولة . وقد قال صلى الله عليه وسلم^(١٠) : « مثلُ

(١) في حديث رواه الشيخان : صحيح البخارى : ٧ - ١٤٩ ، وصحيح مسلم : ١٩٩٢

(٢) نصب : تعب يناله من سعيه في بعض أمورهِ الجائزة له . ووصب : أى وجع ، أو لزومه ،

أو فتور في بدنه . (٣) رواه الشيخان : صحيح البخارى : ٧ - ١٤٩

(٤) أذى : أمر يؤذيه في بدنه أو نفسه . (٥) حات : حث وأزال .

(٦) حكمة أخرى في ابتلاء الأنبياء بالأمراض وللصائب . أودعها الله : جعلها كالوديعة .

في الأمراض التي تصيب أجسامهم دون بواطنهم وحواسهم .

(٧) مؤنة النزح : إخراج الروح من البدن . وشدَّة السكرات : أى سكرات الموت ، وغمرات

شدائده وما يلحق الميت من النشى الشبيه بالسكر في غيبة الحس .

(٨) بتقدم المرض على الموت والاحتضار . أو بشدة المرض .

(٩) موت الفجاءة : الموت بنته من غير مرض ؛ وأخذه له دفعة واحدة ، لشدَّة قواه المانعة

عن تسليم الروح بسهولة .

(١٠) في حديث رواه الشيخان عن كعب بن مالك وجابر رضى الله عنهما : صحيح البخارى :

المؤمن مثلُ خامَةِ [٢٣٨] الزَّرْعِ تُفَيْئُهَا الرِّيحُ هكذا وهكذا^(١) .
 وفي رواية أبي هريرة^(٢) عنه : « من حيثُ أُنْتَهِيَ الرِّيحُ تَكْفُوْهَا^(٣) ؛ فإذا
 سكنت اعتدلت ؛ وكذلك المؤمنُ يُكْفَأُ^(٤) بالبلاء . ومثلُ الكافرِ كمثلِ
 الأرزِ^(٥) صماءٌ معتدلةٌ حتى يَقْصِمَهُ اللهُ^(٦) » .

معناه أن المؤمنَ مُرْزَأُ^(٧) ، مُصَابٌ بالبلاءِ والأمراضِ ، راضٍ بتصرفه^(٨) بين
 أقدار الله تعالى ، مُنْطَاعٌ^(٩) ، لذلك ، أين الجانب برضاه وقلة سخطه ، كطاعة خامَةِ
 الزَّرْعِ وانقيادها للرياح ، وتمايلها لهبوبها وترجمها^(١٠) من حيث ما أُنْتَهِيَ ؛ فإذا أَرَاخَ
 اللهُ عن المؤمنِ رِيَاحَ البَلَاءِ ، واعتدلَ صحيحاً كما اعتدلتُ خامَةُ الزَّرْعِ عند سكون
 رياحِ الجَوِّ رجع إلى شُكْرِ رَبِّهِ ومعرفةِ نعمته عليه بِرَفْعِ بَلَاءِهِ ، منتظراً رحمة
 وثوابه عليه^(١١) .

-
- (١) الحامة : العود اللين الذي ليس بنليظ، والقصبه الطرية . تفيئها الريح : تميلها .
 - (٢) في صحيح مسلم : صحيح مسلم : ٢١٦٣
 - (٣) تكفوها ؛ المراد تميلها . تمدلت : انتصبت لأنها لا تنكسر للينها وعدم غلظها .
 - (٤) يكفأ : ينقلب من صحته لمرضه كثيراً ثم يبرأ .
 - (٥) الأرز : شجرة الأرز المعروف ، وقيل : هو الصنوبر . صماء : صعبة شديدة اليبس والقوة . معتدلة : قائمة ، منتصبة لا تميل لغلظها وبيسها .
 - (٦) حتى يقصمه الله : يأخذه بفتة من غير تقدم بلاء .
 - (٧) مرزأ : لا تزال تصيبه الرزايا .
 - (٨) بتصرفه : بتغيير أحواله . أو بتصرف الله فيه وله ، وتقلبه بين أقدار الله التي قدرها عليه من صحة ومرض وغيره .
 - (٩) منطاع لذلك : منقاد مدعن مطيع مسلم .
 - (١٠) وترجمها : وتمايلها .
 - (١١) وثوابه عليه ؛ أى على ما ابتلاه ووقفه لشكره وصبره .

فإذا كان بهذه السبيل^(١) لم يصعبُ عليه مَرَضُ الموتِ ، ولا نزولُه ، ولا اشتدَّت عليه سكراته ونزعه^(٢) ، لعادتهِ بما تقدّم من الآلامِ ومعرفةِ ماله فيها من الأجرِ ، وتوطّينه نفسه على المصائبِ ورقمتها^(٣) وضعفها بتوالي المرضِ أو شدّته ؛ والكافرُ بخلاف هذا : مُعاني في غالبِ حاله ، مُتمتّع بصحةِ جسّمه ، كالأرزّةِ الصمّاءِ^(٤) ، حتى إذا أراد الله هلاكه قصمه لحينه على^(٥) غرّةٍ ، وأخذهُ بفتنةٍ من غير لطفٍ ولا رفقٍ^(٦) ؛ فكان موته أشدَّ عليه حسرةً^(٧) ، ومقاساةُ نزعه مع قوّةِ نفسه وصحةِ جسّمه أشدَّ ألماً وعذاباً ، ولعذابُ الآخرةِ أشدُّ ، كانبجافِ الأرزّةِ^(٨) . وكأقال تعالى^(٩) : ﴿ فَأَخَذْنَا مِنْهُمُ بَقْعَةً مِّنْ تَمْرِهِمْ وَمِمَّا يَصْعَقُونَ ﴾ .

وكذلك عادة الله تعالى في أعدائه ، كما قال تعالى^(١٠) : ﴿ فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ ، فَمِنْهُمْ مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا ﴾^(١١) ، ومنهم مَن أخذته الصيحةُ^(١٢) ، ومنهم من خسفنا به الأرض ، ومنهم مَن أغرقنا . . . ؛ ففجأً جميعهم بالموتِ على حالِ عتوّ^(١٣) وغفلةٍ ، وصبتهم به على غير استعدادٍ بفتنةٍ ؛ ولهذا ما كره السافُ موتَ الفجاءة^(١٤) .

-
- (١) فإذا كان المؤمن بهذه السبيل ، وطى هذه الحالة ، من إصابته بالبلايا والأمراض .
 (٢) ونزعه : نزع الروح منه عند موته لضعف قوة نفسه الدافعة له .
 (٣) ورقمتها : ورقة نفسه وضعفها .
 (٤) أى القوية غير المحوفة .
 (٥) على غرة : على غفلة .
 (٦) بل بشدة وعنف .
 (٧) وذلك لمدم تأهبه له .
 (٨) انبجاف الأرزّة : قلمها بشدة .
 (٩) سورة الأعراف ، آية ٩٥ .
 (١٠) سورة المنكبوت ، آية ٤٠ .
 (١١) الحاصب : ريح تآنى بالخصباء ؛ وهى الحصى . وهؤلاء هم قوم لوط .
 (١٢) الصيحة : أصوات هائلة وصواعق أهلكتهم . وهؤلاء هم قوم صالح وشعيب .
 (١٣) عتوّ : تكبر ، وتمرد ، وتجبّر منهم .
 (١٤) لمجيئه على غير استعداد له ، أو لأنه يجيء من غير المرض المكفر للذنوب .

ومنه^(١) في حديث إبراهيم : كانوا يكفرونَ أَخَذَةَ كَأَخَذَةِ الْأَسْفِ : أى الغَضَبِ ؛ يريدُ موتَ النجاة .

وحكمة^(٢) نالته أن الأمراضَ نذيرَ المماتِ ، وبقدَرِ شدتها^(٣) شدةُ الخوفِ من نزولِ الموتِ ؛ فيستعدُّ مَنْ أصابتهُ ، وعَلِمَ تماهدها^(٤) له ، للقاءِ ربِّه ، ويُعْرِضُ عن دَارِ الدنيا الكثريةِ الأنكادِ^(٥) ، ويكونُ قلبُهُ معلقاً بالمعاد^(٦) ، فيتنصّلُ مِنْ كُلِّ ما يَحْشَى تِبَاعتهُ^(٧) مِنْ قِبَلِ الله ، وقِبَلِ العبادِ^(٨) ، ويُوَدِّى الحَقوقَ إلى أهلها ، وبنظرٍ فيما يحتاجُ إليه من وَصِيَّةٍ فيمن يُخالفه أو أمرٍ بعهدِهِ^(٩) .

وهذا نبينا صلى الله عليه وسلم المنورُ له ما تقدّم وما تأخّر ، قد طلب التنصّلَ^(١٠) في مَرَضِهِ مِمَّنْ كان له عليه مالٌ أو حقٌّ في بَدَنِ ، وأقاد^(١١) من نفسِهِ وماله ،

-
- (١) ومنه : ومما ذكر عن السلف .
 (٢) حكمة نالته لمصائب الأنبياء والصالحين .
 (٣) وبقدر شدتها ؛ أى شدة الأمراض .
 (٤) تماهدها له : مجيئها له مرة أخرى .
 (٥) الأنكاد : جمع نكد ، وهو ما يضم للراء ويسوءه .
 (٦) المعاد : الآخرة ، وما بعد الموت .
 (٧) تِبَاعته : تبعته وما يترتب على هذا الأمر ويقبه من المؤاخذات والضرر .
 (٨) من قبل الله ، أى حقوقه التى هى من جانبه . ومن قبل العباد ؛ أى حقوقهم ؛ فيخرج عن عهدها بأدائها لثلاث يماقب عليها .
 (٩) بعهدِهِ : يعرفه فيوصى به كالدين . أو يماهد ورثته عليه .
 (١٠) التنصّل : التخلص والخروج من عهدة ما فى ذمته .
 (١١) أقاد من نفسه وماله : مكن من له حق في بدنه من القود منه ، يفعل مثل ما فعل .

وأمكن من القصاص منه ، على ما ورد في حديث الفضل^(١) ، وحديث الوفاة^(٢) ، وأوصى بالثقلين بعده : كتاب الله ، وعترته^(٣) ، وبالأنصار عينته^(٤) ؛ ودعا إلى كتّيب كتاب لثلاث أضلّ أمته بعده ؛ إما في النصّ على الخلافة ، أو الله أعلم بمراده . ثم رأى الإمساك عنه أفضل وخيرا .

وهكذا سيرة عباد الله المؤمنين وأوليائه المتقين .

وهذا كله يُجرّمه غالبا للكفار ، لإملاء^(٥) الله لهم ؛ ليزدادوا إثمًا ، وليستدرجهم^(٦)

(١) هو الفضل بن العباس رضى الله عنها ؛ من أنه صلى الله عليه وسلم ضرب أعرابيا بقضيب ؛ فلما خطب الناس وقال : من كان له على حق فليطلبه فقام الأعرابي وقال : يا رسول الله ، القصاص . . . فلما كشف له عن بطنه الشريف التزمه وقبله ، وقال : إنما أردت هذا ، وقد تقدم .

(٢) حديث الوفاة : فإنهم رووا فيه أنه صلى الله عليه وسلم استحل الناس فيما لهم عليه من الحقوق .

وفي نسيم الرياض (٤ - ٣٥٩) : والنبي صلى الله عليه وسلم لم يكن لآمته عليه ما يجب عليه التنصل منه ، ولو كان فهو منفور له ؛ ومع ذلك تنصل منه رعاية لظاهر الحال ، ورعاية للمؤمنين ، وهذه أعلى المراتب .

(٣) والمترّة : الأقارب الأدنون ، وأهل البيت .

قال الخفاجي : وحديث الوصية رواه مسلم في صحيحه : ١٨٧٣ ؛ وفيه أنه صلى الله عليه وسلم خطبهم وقال : أيها الناس ، إنما أنا بشر مثلكم ، يوشك أن يأتيني رسول ربي فأجيبه ، وإني تارك فيكم الثقلين : أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور ، فتمسكوا به - وحث على ذلك . ثم قال : وأهل بيتي ، أذكركم الله في أهل بيتي - ثلاثا .

(٤) العمية : ما يجعل المرء فيه نفيس متاعه .

(٥) لإملاء الله لهم : لإمهاله لهم .

(٦) استدرجهم : تقرّبهم من الهلاك درجة درجة . من حيث لا يعلمون ، لنفقتهم بما هم مشغولون به من أمور الدنيا منهمكين في غيهم ، متقلبين في نعم الله الدنيوية التي توهموا استحقاتها ، وإنما هي لقطع معذرتهم ، ومزيد عذابهم بالكفر وكفران النعم ، حتى يأخذهم بفتنة على غرة .

من حيث لا يملون ؛ قال الله تعالى (١) : ﴿ ما ينظرون إلا صيحةً واحدةً تأخذهم وهم يخصمون . فلا يستطيعون [٢٣٩] توصيةً ولا إلى أهلهم يرجعون ﴾ .
ولذلك (٢) قال صلى الله عليه وسلم في رجل مات فجأة (٣) : « سبحان الله ! كأنه على غضبٍ ، المحروم (٤) من حُرْمِ وصيته » .
وقال (٥) : « موتُ النُّجاةِ راحةٌ للمؤمن ، وأخذةٌ أسفٍ للكافر والفاجر (٦) » ؛ وذلك لأن الموت يأتي المؤمن ، وهو غالباً مستعدُّ له مُنتظِرٌ لخلوله ؛ فهان أمرُهُ عليه كيفما جاء ، وأفضى (٧) إلى راحته من نصب (٨) الدنيا وأذاها ؛ كما قال صلى الله عليه وسلم (٩) : مستريحٌ ومُستراحٌ منه . وتأتي الكافر والفاجر منيته على غير استعدادٍ ولا أهبةٍ ولا مقدماتٍ مُنذرةٍ مُزعجةٍ (١٠) ؛ بل تأتيهم بغتةً فتَهْتَمُّ (١١) ، فلا يستطيعون ردّها ولا هم ينظرون (١٢) ؛ فكان الموتُ أشدَّ شيءً عليه .

(١) سورة يس ، آية ٤٩ ، ٥٠ .

والصيحة : النفخة الأولى من الصور . والأخذ : الإهلاك بغتة . وهم يخصمون : يختصمون في معاملاتهم .

(٢) ولذلك : ولكون عادة الأتقياء التنصل من الحقوق والوصية عند الموت .

(٣) في حديث روى عن أنس .

(٤) سبحان الله : تعجب . كأنه على غضب : كأنه مات على غضب من الله . ثم أشار إلى

أن المراد بالنصب عليه أنه محروم من الثواب ، ولطف العزيز الوهاب ، فقال : المحروم . . .

(٥) في حديث رواه أحمد عن عائشة (٦) في نسيم الرياض : المراد بالناجر المنافق .

(٧) أفضى : أوصل . (٨) نصب : نصب .

(٩) في حديث رواه الشيخان في جنازة مرت به ، فقال — تقسيماً للموتى عند موتهم :

منهم مستريحٌ من أذى الدنيا وتعبها ، ومنهم من هو مستراحٌ منه ؛ أي يستريح من ظلمه وأذاه المباد والبلاد صحيح مسلم : ٦٥٦ (١٠) مزعجة : مقلقة محرّكة على تدارك ما يترجمه .

(١١) تهتهم : تدهشهم ، وتذهب عقولهم لخبرتهم .

(١٢) ولا هم ينظرون : لا يملون بعد مجيئها ، ولا يؤخرون ساعة .

وفراق الدنيا أفظعُ أمرٍ صدمه^(١)، وأكروهُ شيءٌ له ؛ وإلى هذا المعنى أشار
صلى الله عليه وسلم بقوله^(٢) : « مَنْ أَحَبَّ لِمَاءِ اللَّهِ أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ ، وَمَنْ كَرِهَ
لِقَاءَ اللَّهِ كَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ » .

(١) صدمه : أصابه بشدة وهو غافل عنه .

(٢) في حديث رواه الشيخان عن عبادة بن الصامت : صحيح مسلم : ٢٠٦٥ ؛

القِسْمُ الرَّابِعُ

في تصرف وجوه الأحكام فيمن تنقصه أو سبّه (١) عليه الصلاة والسلام

قال القاضي أبو الفضل (٢) رضى الله عنه : قد تقدم من الكتاب والسنة وإجماع الأمة ما يجب من الحقوق للنبي صلى الله عليه وسلم ، وما يتمين له من برٍّ وتوقير (٣) ، وتعظيم وإكرام ؛ وبحسب هذا حرّم الله تعالى أذاه في كتابه ، وأجمت الأمة على قتل مُتَنَقِّصِهِ من المسلمين وسابّه (٤) ؛ قال الله تعالى (٥) :

(١) المراد بيان وجوها ، وسبب الاختلاف فيها الذى أوجب تغييرها من قول لآخر .
فيمن تنقصه : بذكر ما فيه تحقير له ، وغض من على مقامه .

(٢) هو المصنف . وفي ب : رحمه الله .

(٣) بر : إحسان قول وفعل يتعلق به صلى الله عليه وسلم . وتوقير : تعظيم وتبجيل .

(٤) في نسيم الرياض (٤ - ٣٦٢) : وقد قيل : إن في دعواه الإجماع في المسلم نظر ؛ لأن مذهب الشافعي أن من تنقصه صلى الله عليه وسلم ، بغير قذف من المسلمين ، وكذا سائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام - يستتاب ؛ فإن تاب لم يقتل ؛ ومن قذفه فيه خلاف أيضا ؛ فقيل : يقتل لأن حد قاذف الأنبياء القتل ، فلا يستتاب . وقيل : إن تاب فوراً وأسلم بعد الردة فيحد حد القذف ، ولا يقتل ، كما حكى عن كثير منهم .

فلا ينبغي دعوى الإجماع فيه ، إلا أن يريد إجماع أهل مذهبه من المالكية ، أو عدم الاعتداد بالخالف فيه .

وأقول : إن مراده الإجماع على وجود موجب القتل فيه لكفره وردته ؛ فإن تاب وقبات توبته خرج عما استوجبه الإجماع . ولو صرح به كان أظهر ؛ إلا أن هذه العبارة عبر بها السلف كلهم ، كما نقله السبكي في كتابه « السيف السلولى على من سب الرسول » ، وأشار إلى أن الإجماع على كفره وردته الموجبة لقتله إجماعاً وإن عرض ما يمنعه بعده .

وقال : إنه لم يخالفه فيه أحد إلا ابن حزم القائل بدمم كفر من استخف به صلى الله عليه وسلم ، ولم يتبمه أحد عليه ؛ ولا عبرة به .

(٥) سورة الأحزاب ، آية ٥٧

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ^(١) لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا ﴾ .

وقال تعالى ^(٢) : ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ .

وقال الله تعالى ^(٤) : ﴿ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تُنْكَرُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ ^(٥) أَبَدًا ، إِنْ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا ^(٦) .

وقال تعالى في تحريم التعريض به ^(٧) : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا ^(٨) وَقُولُوا انظُرْنَا واسموا وللكافرين عذابٌ أليمٌ ﴾ .

وذلك أن اليهود كانوا يقولون : راعينا يا محمد؛ أى أرعنا سمعك، واسمع منا، ويمرضون بالكلمة، يريدون الرعونة ^(٩)؛ فنهى الله المؤمنين عن التشبه بهم ^(١٠)،

(١) قرن أذيته صلى الله عليه وسلم بأذيته تعالى، للدلالة على أن من آذى رسول الله فقد آذى الله .

قال الحفاجى : فما قيل من أنه لا يدل على مدعاه من الإجماع كلام نشأ من عدم العلم بمراده .

(٢) سورة التوبة، آية ٦١

(٣) لهم عذاب أليم : يعنى فى الدنيا بالقتل ، وفى الآخرة بخلود العذاب .

(٤) سورة الاحزاب ، آية ٥٣

(٥) حرمتهن عليهم مؤبدة ؛ لأنهن أمهات المؤمنين .

(٦) كان عند الله عظيمًا ، لقبحه ومنه شرعا ، واستحقاق فاعله الحزى فى الدنيا والآخرة .

(٧) سورة البقرة ، آية ١٠٤ . ويريد بالتعريض له الإيهام والتورية بما يؤم ذلك من غير

تصريح به .

(٨) أى ارفع جانبنا بتوجهك إلينا ، وألق سمعك نحونا .

(٩) أى يقصدون بها الرعونة ، وهى خفة العقل .

(١٠) التشبه بهم : بقولهم مثل مقالتهم له . فأمروا بأن يقولوا ما يؤدى معناها من غير

إيهام ؛ وهو أنظرنا ، واسمع منا .

وقَطَعَ الذرِيعَةَ بَنَى الْمُؤْمِنِينَ عَنْهَا^(١) ، لثَلَا يَتَوَصَّلَ بِهَا الْكَاْفِرُ وَالْمُنَافِقُ إِلَى سَبِّهِ
وَالِاسْتِهْزَاءِ بِهِ .

وقيل : بل لِمَا فِيهَا مِنْ مُشَارَكَةِ^(٢) اللفظ ؛ لأنها عند اليهود بمعنى اسمع لا سمعت^(٣) .

وقيل : بل لما فيها من قَلَّةِ الأَدبِ ، وعدمِ توقيرِ النبي صلى الله عليه وسلم
وتعظيمه ؛ لأنها في لغة الأَنصَارِ بمعنى اِرْعَانًا نَرَعَكَ^(٤) ؛ فَنَهَوْا عَنْ ذَلِكَ ؛ إِذْ مُضْمَنُهُ
أَنَّهُمْ لَا يَرْعَوْنَهُ إِلَّا بِرِعَايَتِهِ^(٥) لَهُمْ ، وَهُوَ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَاجِبُ الرِّعَايَةِ
بِكُلِّ حَالٍ ؛ وَهَذَا هُوَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ نَهَى عَنِ التَّكْنِيَةِ بِكُنْيَتِهِ^(٦) ، فَقَالَ :
تَسَمَّوْا بِأَسْمِي ، وَلَا تَكْنُؤُوا بِكُنْيَتِي ؛ صِيَانَةً لِنَفْسِهِ^(٧) ، وَحِمَايَةً^(٨) عَنْ أَذَاهُ ؛ إِذْ
كَانَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اسْتَجَابَ لِرَجُلٍ نَادَى : يَا أَبَا الْقَاسِمِ ؛ فَقَالَ : لَمْ أَعْنِكَ^(٩) ،
إِنَّمَا دَعَوْتُ هَذَا ؛ فَنَهَى حِينَئِذٍ عَنِ التَّكْنِيَةِ بِكُنْيَتِهِ لِثَلَا يَتَأَذَى بِإِجَابَةِ دَعْوَةِ غَيْرِهِ
لِمَنْ لَمْ يَدْعُهُ ، وَيَجِدَ بِذَلِكَ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُسْتَهْزِئُونَ ذَرِيعَةً^(١٠) إِلَى أَذَاهُ وَالِإِزْرَاءِ بِهِ^(١١) ؛

- (١) بنى المؤمنين عنها : عن هذه الكلمة الموهمة . وقطع الذرِيعَةَ : سد بابها بهذا النهى .
والذرِيعَةَ : هى الوسيلة للوصول لأمر غير محمود .
(٢) مشاركة اللفظ ؛ أى كونه مشتركاً بين معنيين .
(٣) دعاء عليه . قال الراغب : كان ذلك قولاً يقولونه للنبي على سبيل التهنيم ، يقصدون به
وصفه بالرعونة ، ويوهمون أنهم يقولون : راعنا ؛ أى احفظنا .
(٤) أى إن راعيتنا راعيناك ، لأنها صيغة مفاعلة من الجانبين . وسوء الأدب فيها ظاهر .
(٥) مضمنه : مدلوله عندهم أنهم لا يرعون ويحفظون حقه
(٦) الكنية : ما صدرت بأب أو أم . واللقب : ما أشعر بمدح أو ذم .
(٧) صيانة لنفسه عن أن يشاركه غيره فى كنيته المنوّهة برفعة قدره .
والحديث فى سنن الترمذى ٢ - ١٣٦ ، وصحيح مسلم ١٦٨٢ .
(٨) وحماية عن أذاه : وحفظاً من أن يؤذيه غيره .
(٩) لم أعنك : لم أقصدك بنداى هذا .
(١٠) ذرِيعَةَ : وسيلة وطريقاً .
(١١) الإزراء به : الاستخفاف به .

فينادونه ، فإذا التفتَ قالوا: إنما أردنا هذا - لسواه - تعنيته له ، واستخفافاً بحقه^(١) على عادة المجان^(٢) والمستهزئين ، فحَمَى صلى الله عليه وسلم حَمَى أَذَاهُ [٢٤٠] بكل وجه^(٣)؛ فحمل محققو العلماء نهيه عن هذا على مدة حياته ، وأجازوه بعد وفاته لارتفاع العلة .

وللناس في هذا الحديث^(٤) مذاهبٌ ليس هذا موضعها؛ وما ذكرناه هو مذهب الجمهور، والصوابُ إن شاء الله . وإن ذلك على طريق تعظيمه وتوقيره ، وعلى سبيل النذب والاستحباب ، لا على التحريم ؛ ولذلك لم يفته عن اسمه ؛ لأنه قد كان الله مَنَعَ مِنْ نِدَائِهِ به بقوله^(٥): ﴿لَا تَجْمَعُوا دَعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدَعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا﴾؛ وإنما كان المسلمون يدعون برسول الله ، وبنبي الله، وقد يدعونه - بكنيته أبا القاسم - بعضهم في بعض الأحوال^(٦) .

وقد روى^(٧) أنس رضي الله عنه ، عنه صلى الله عليه وسلم ، ما يدلُّ على كراهة

(١) تعنيته له : إيقاعه في العنت : وهو الأمر الشاق . واستخفافاً بحقه : تهاونا وتحقيراً بالمدول عن توقيره .

(٢) المجان : جمع ماجن ، من المجون ، وهو الهزل والسخرية .

(٣) حمى حمى أذاه : منع منه منعاً تاماً بكل وجه يفضى إليه .

(٤) بمعنى حديث : سموا باسمي ، ولا تكنوا بكنيتي . وقد سبق تخريجه صفحة ٩٢٨

(٥) سورة النور ، آية ٦٣ ، أي كما ينادى أحدكم غيره باسمه .

ومنع من نداءه به لما فيه من ترك الأدب .

(٦) قال في نسيم الرياض : نقل عن الشافعي أنه حرم نداؤه صلى الله عليه وسلم بكنيته ،

كما حرم نداؤه باسمه ؛ فسوى بينهما ، لدخولهما تحت قوله تعالى : لا تجمعوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً ؛ لأنهم كانوا يتداعون بينهم بالكنى .

(٧) في حديث رواه الحاكم ، والبيهقي ، وأبو يعلى ، وحسنه . وقال الحافظ ابن حجر :

إنه حديث ضعيف ، ولا دليل فيه لكراهة مطلقاً .

التسمي بأسمه ، وتنزيهه^(١) عن ذلك ؛ إذا لم يوقر ، فقال : تُسمون أولادكم محمداً ثم تلعنونهم .

وروى أن عمر رضي الله عنه كتب إلى أهل الكوفة : لا يسمي أحدٌ باسم النبي صلى الله عليه وسلم ، حكاه أبو جعفر الطبري^(٢) .

[وحكى محمد بن سعد أنه^(٣) نظر إلى رجل اسمه محمد ، ورجلٌ يسبه ويقول له :

فعل الله بك يا محمد وصنع . فقال عمر لابن أخيه محمد بن زيد بن الخطاب : لا أرى

محمداً صلى الله عليه وسلم يسبُّ بك ؛ والله لا تدعى محمداً ما دمتُ حياً ؛ وسماهُ

عبد الرحمن ؛ وأراد أن يمنع أن يسمي أحدٌ بأسماء الأنبياء إكراماً لهم بذلك^(٤) ،

وغير أسماء جماعة تسموا بأسماء الأنبياء ، ثم أمسك^(٥) .

والصوابُ جوازُ هذا كله بعدَه صلى الله عليه وسلم ، بدليل إطباق الصحابةِ

على ذلك .

وقد سمى جماعةٌ منهم ابنة محمداً ، وكناه بأبي القاسم^(٦) .

(١) وتنزيهه : تبعيد اسمه .

(٢) قال في نسيم الرياض : إلا أنه رجيع عنه لما روى له ما يأتي ، من أنه صلى الله عليه

وسلم سمى ابن أبي طلحة محمداً وغيره ؛ فقال : لا سبيل إليكم - يعنى في المنع .

وروى سعيد بن المسيب : أحب الأسماء إلى الله تعالى أسماء الأنبياء ، قال : وإنما كرهه

عمر ، لثلاث يسبب المسمى به .

(٣) أنه : أى عمر .

(٤) بذلك ؛ أى يمنع التسمية بأسمائهم لثلاث يسببوا بما يؤم ذلك .

(٥) في هامش ١ : صح ، من الام بخطه من غير الرواية وهو في ب في هامشه . ويجانبه :

هذا العلم عليه من الام ، وليس من الرواية .

(٦) جمع بين الاسم والكنية ، ولم ينكره أحد منهم ، مع كثرة الصحابة إذ ذاك ؛ فهذا

كله يدل على أنه غير ممتنع شرعاً .

وَرَوَى أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَذِنَ فِي ذَلِكَ لَعَلِّي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (١) .
وقد أخبر صلى الله عليه وسلم أن ذلك اسم المهدي وكنيته (٢) .
[وقد سَمِيَ به النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ محمد بن طلحة ، ومحمد بن عمرو بن حَزْم ،
ومحمد بن ثابت بن قَيْس ، وَغَيْرَ وَاحِدٍ ؛ وَقَالَ : مَا ضَرَّ أَحَدَكُمْ أَنْ يَكُونَ فِي بَيْتِهِ
مُحَمَّدٌ وَمُحَمَّدَانِ وَثَلَاثَةٌ (٣)] .
وقد فصلتُ الكلامَ في هذا القسم على بابين كما قدمناه :

(١) في حديث رواه أبو داود، والترمذي عن علي رضي الله عنه . في ذلك : في الجمع بين الاسم
والكنية ، وذلك أنه قال له : يا رسول الله ، إن ولدي ولد بعدك أسميه باسمك وأكنيه
بكنيتك ؟ فقال له : نعم . (سنن الترمذي : ٥ - ١٣٧) . فهذا دليل على أن المنع مخصوص
بزمانه صلى الله عليه وسلم .

قال في نسيم الرياض : وهذا الحديث رواه أصحاب السنن وصححوه كما قاله البرهان ،
إلا أنه قال : حفظته عن مشايخي أنه روى أنه عليه الصلاة والسلام قال لعلي رضي الله عنه :
سيولد لك ولد بمدي ، وقد نحته اسمي وكنيتي ، ولا يحمل لأحد من أمي بمده .
فعل هذا لا شاهد فيه ، إلا أن كبار الصحابة كأبي بكر ، وابن عوف ، فعلوا ذلك ،
وناهيك به حجة .

(٢) وهذا في حديث رواه أبو سعيد الخدري ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
يصيب هذه الأمة بلاء حتى لا يجد الرجل مانجاً يلجأ إليه من الظلم ، فيبعث الله رجلاً من
عترتي - وفي رواية : من أهل بيتي يوافق - اسمه اسمي . واسم أبيه اسم أبي ، وكنيته كنيتي ،
فيملأ الأرض عدلاً وقسطاً ، ويكثر المطر والنبات ، ويميش سبع سنين أو ثمان أو تسع .
قال الخفاجي : والشاهد فيما ذكر أنه لو لم يكن جائزاً بمده لما أخبر به الرسول صلى الله
عليه وسلم ، وتسمى به من هو أصلح الناس وأعلمهم وأعد لهم في عصره .

(٣) ما بين القوسين ليس في أ . وهو في هامش ب ، وكتب بجانبه : هذا اللطم عليه من
الأم بمخظه ، وليس من الرواية .

البَابُ الْأَوَّلُ

في بيان ما هو - في حقّه صلى الله عليه وسلم - سَبٌّ ، أو نَقْضٌ ،
من تعريض أو نصّ (١)

اعلم - وقفنا الله وإياك - أن جميع مَنْ سَبَّ النبي صلى الله عليه وسلم ، أو عابه ،
أو أَلْحَقَ به نَقْضًا في نفسه أو نَسَبِهِ أو دِينِهِ (٢) ، أو خَصَلَةً من خِصَالِهِ ، أو عَرَضَ
به (٣) ، أو شَبَّهَهُ بشيء على طريق السب له ، أو الإِزْرَاءَ (٤) عليه ، أو التصفيرَ إِشْرَافًا ،
أو الغَضَّ منه ، والعَيْبَ له ؛ فهو سَابٌّ له ؛ والحكمُ فيه حكمُ السابِّ ، يُقْتَلُ كما نُذِيئُهُ ؛
ولا نَسْتَنِي فضلًا من فُصُولٍ (٥) هذا الباب على هذا القصد ، ولا نَمْتَرِي فيه تصريحًا
كان أو تلويحًا (٦) .

وكذلك مَنْ لعنه أو دَعَا عليه ، أو نَمَى مَضْرَّةً له ، أو نَسَبَ إليه ما لا يليقُ
بمَنْصِبِهِ (٧) على طريق الذمِّ ، أو عَيْبَ (٨) في جهته العزيزة بسُخْفٍ من الكلام
وهُجْرٍ (٩) ، ومُنْكَرٍ من القول وزور ، أو عَيْرَةٍ (١٠) بشيء مما جرى من البلاء والمِحْنَةِ
عليه ، أو غَمَصَهُ ببعض العوارض البشرية الجائزة والمعهودة (١١) لَدَيْهِ .

(١) من تعريض : بطريق الكناية والإيماء . أو نص : أى صريح لا يحتمل التأويل .

(٢) أو دينه : أو نقص شريعته .

(٣) أو عرض به : قال في حقه ما لا يليق به تعريضًا لا تصريحًا .

(٤) الإِزْرَاءَ عليه : التنقيص له . (٥) فصلًا : قسمًا وصورة .

(٦) ولا نَمْتَرِي فيه : لانْشِكْ ولا تتردد . تصريحًا كان السب أو تلويحًا ، وكناية وتعريضًا .

(٧) بمنصبه : بأصله وحسبه .

(٨) أو عَيْبَ : أو قاله على طريق الهزل والمجون . في جهته العزيزة ؛ أى بشيء له تعلق

بجانبه الشريف . (٩) هجر : فحش وقبيح .

(١٠) عيره : نسب له صلى الله عليه وسلم ما فيه عار عليه .

(١١) غمصه : نقص من قدره . العوارض البشرية الجائزة عليه كالأعراض ونحوها .

والمعهودة لَدَيْهِ ؛ أى المعتادة بينه وبين سائر الأنبياء عليهم السلام .

وهذا كله إجماع من العلماء وأئمة الفتوى من لدن الصحابة رضوان الله عليهم إلى هلم جرا^(١).

وقال أبو بكر بن المنذر^(٢): أجمع عوام^(٣) أهل العلم على أن من سب النبي صلى الله عليه وسلم يُقتل؛ ويمن قال ذلك مالك بن أنس، والليث، وأحمد، وإسحاق؛ وهو مذهب الشافعي.

قال القاضي أبو الفضل^(٤): وهو مقتضى قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه، ولا تُقيلُ توبته عند هؤلاء المذكورين.

ومثله قال أبو حنيفة، وأصحابه؛ والثوري^(٥) وأهل الكوفة، والأوزاعي^(٦) في المسلم، لكنهم قالوا: هي ردة^(٧).

روى مثله الوليد بن مسلم عن مالك.

وحكى الطبري مثله عن أبي حنيفة وأصحابه فيمن تنقصه^(٨) صلى الله عليه وسلم، أو برى منه أو كذبه.

(١) إلى هلم جرا: إلى آخر الزمان.

(٢) هو محمد إبراهيم النيسابوري.

(٣) عوام أهل العلم: عوام: جمع عامة بمعنى جماعة كثيرة؛ وليس المراد العامي؛ فإنه غير صحيح، إذ لا عبرة بهم وإجماعهم، والعامي لا يكون أهل علم.

(٤) هو المؤلف.

(٥) الثوري: سفيان بن سعيد الكوفي الفقيه سيد أهل عصره في الحديث والتقوى،

لم ير أحفظ منه، ولا أجل وهو منسوب لثور، وهي قبيلة، توفي سنة إحدى وستين ومائة.

(٦) الأوزاعي: عبد الرحمن بن عمرو، الإمام الجليل في الحديث والفقه، والزهد

والعبادة، ونسبته للأوزاع، لقب لأبي بطن من همدان.

(٧) هي ردة: أي يرتد صاحبها، ويكفر بسبه، وطلّى هذا يستتاب كالمترد. وقيل:

إنه يهمل ثلاثة أيام، ونقل هذا عن عمر رضي الله عنه. وإذا قتل يضرب.

وقال الماوردي: يضرب بالحطب ولا يحرق ولا يدفن في مقابر المسلمين ولا المشركين.

(٨) تنقصه: نسب له نقصا دون السب.

وقال سَحْنُونُ ^(١) فيمن سبّه : ذلك رِدَّةٌ كَالزُّنْدَقَةِ ^(٢) .
 وعلى هذا وقع الخلافُ في استِتابته وتكفيره ^(٣) ؛ وهل قَتَلَهُ حَدًّا أو كَفَرًا ^(٤) ،
 كما سُنِّيَتْهُ في الباب الثاني إِنْ شاء اللهُ تعالى ، ولا نعلمُ خلافاً في استباحةِ دَمِهِ ^(٥) بين
 علماء الأُمصارِ وسلفِ الأُمَّةِ ^(٦) ؛ وقد ذَكَرَ غَيْرُ واحدٍ الإجماعَ على قَتْلِهِ وتكفيره ،
 وأشارَ بمضُ الظاهريةِ ^(٧) - وهو أبو محمد ^(٨) على بن أحمد الفارسيُّ إلى الخلافِ
 في تكفيرِ المستخفِّ به ^(٩) .

والمعروفُ ما قدَّمناه ؛ قال محمد بن سَحْنُونُ : أجمع العلماءُ أن شاتمَ النَّبِيِّ صَلَّى

(١) هو عبد السلام بن عهد السلام بن سعيد بن حبيب التنوخي ، أبو سعيد ، الفقيه
 المالكي ، غلب عليه لقبه ، اجتمع فيه من الحِصَالِ ما لم يجتمع في غيره من الفقه والورع ،
 والزهد ، والسباحة . ولد في رمضان سنة ستين أو إحدى وستين ومائة ، وتوفي سنة أربعين
 ومائتين ، وهو ابن ثمانين سنة .
 (٢) الزندقة : الزنديق : من لا يؤمن بالآخرة وبالربوبية . أو من يبطن الكفر ويظهر
 الإيمان (القاموس) .

قال في نسيم الرياض :
 والفرق بين هذا القول وبين القول بأنه ردة عند أبي حنيفة أنه يؤخذ منه الجزية لأنه
 تقبل توبته قبل الأخذ . وعند الشافعي فيه قولان ، فقيل تقبل توبته ، وقيل لا تقبل .

(٣) وتكفيره : أي الحكم بكفره .
 (٤) هل قتله حد ، لأنه لمن قذف الأنبياء وسبهم جزاء عليه كسائر الحدود ؛ أم كفر ،
 لأنه يقتل المرتد بردته . (٥) لاستحقاقه القتل بسببه صلى الله عليه وسلم .

(٦) سلف الأمة : المتقدمون من الصحابة والتابعين ، ومن تبعهم بإحسان .
 (٧) الظاهرية : قوم على مذهب داود الظاهري الذي كان يرى وجوب الأخذ بظاهر
 الحديث والنصوص من غير تأويل .

(٨) هو الإمام العالم المتبحر الحافظ للمروفي بابن حزم . ولد بقرطبة سنة أربع وثمانين
 وثلاثمائة .

(٩) المستخف به : بتصغير شأنه ؛ أو بشيء متملق به ، من غير سب صريح .
 قال الخفاجي : وهو مردود عليه .

اللهُ عليه وسلم المُتَنَقِّصَ له كَافِرًا . والوعيدُ جارٍ عليه بعذابِ اللهِ ؛ وَحُكْمُهُ عند الأُمَّةِ القَتْلُ ؛ وَمَنْ شَكَّ في كُفْرِهِ وَعِذَابِهِ كَفَرَ (١) .

واحتجَّ إبراهيمُ بنُ حسينِ بنِ خالدِ الفقيهِ في مِثْلِ هذا بِقَتْلِ خَالِدِ بنِ الوليدِ مالِكِ بنِ نُؤَيْرَةَ لِقَوْلِهِ - عن النبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلم : صاحبكم (٢) .

وقال أبو سليمان الخطَّابي (٣) : لا أعلمُ أحدًا من المسلمين اختلف في وجوبِ قَتْلِهِ إذا كان مسلمًا .

وقال ابنُ القاسم (٤) - عن مالك في كتاب ابنِ سجنون ، والمبسوط ،

(١) قال الخفاجي : لأن الرضا بالكفر كفر .

وفي نسيم الرياض : قال ابن حجر : وما صرح به من كفر الساب والشاك في كفره هو ما عليه أئمتنا وغيرهم ، لكنه عندنا كالمرتد ، فيسقتاب وجوبا فوراً ، فإن أصر قتل ولو امرأة ؛ فإن أسلم صح إسلامه وترك .

(٢) صاحبكم : يعني به النبي صلى الله عليه وسلم ، وفيه تنقيص له بتعبيره عنه بـ «صاحبكم» دون رسول الله ونجوه ، وإضافته لهم دونه للشعر بالتبري من صحبته صلى الله عليه وسلم واتباعه، واستكافه .

ومالك بن نويرة هذا كان له وفادة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان شجاعاً شاعراً سيداً مطاعاً في قومه بني تميم ، فولاه الرسول عليهم وولى أخذ زكاتهم ، فتمنوها بعده صلى الله عليه وسلم ، فأرسل أبو بكر رضى الله عنه خالد بن الوليد لطلبها ، فقال له مالك ابن نويرة : أنا آتى الصلاة دون الزكاة . فقال له : لا تقبل إحداها بدون الأخرى . فقال : قد كان صاحبكم يقول ذلك . فقال خالد : أما تراه صاحباً لك ! لقد هممت بضرب عنقك ، فقال مالك : أ بذلك أمر صاحبك ؟ فقال له : أهذه بمد تلك ! ينكر عليه خالد تكبير قوله : صاحبكم بعد ما أوعده عليه ، ثم أمر ضرار بن الأزور فضرب عنقه لإنكاره قوله : صاحبكم مرتين استصناراً له صلى الله عليه وسلم .

(٣) هو حميد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب ، إمام جليل ، له تصانيف جليلة ، كعالم السنن وغيره توفي سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة .

(٤) ابن القاسم : الإمام عبد الرحمن المصري ، صاحب الإمام مالك رضى الله عنه .

وَالْمُعْتَبِيَّةُ^(١)؛ وَحُكَاةٌ هُطَّرَتْ^(٢) عَنْ مَالِكٍ فِي كِتَابِ ابْنِ حَبِيبٍ : مَنْ سَبَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ قُتِلَ ، وَلَمْ يُسْتَتَب .
قَالَ ابْنُ الْقَاسِمِ فِي الْمُعْتَبِيَّةِ : مَنْ سَبَّهُ أَوْ شَتَمَهُ أَوْ عَابَهُ أَوْ تَنَقَّصَهُ^(٣) فَإِنَّهُ يُقْتَلُ ، وَحُكْمُهُ عِنْدَ الْأُمَّةِ الْقَتْلُ كَالزُّنْدِيقِ .
وَقَدْ فَضَّلَ اللَّهُ تَعَالَى تَوْقِيرَهُ وَرَبْرَهُ^(٤) . وَفِي الْمَبْسُوطِ - عَنْ عَثْمَانَ بْنِ كِنَانَةَ^(٥) :
مَنْ شَتَمَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ قُتِلَ أَوْ صُلِبَ حَيًّا وَلَمْ يُسْتَتَبْ^(٦) .
وَالْإِمَامُ مُخَيَّرٌ فِي صَلْبِهِ حَيًّا أَوْ قَتْلِهِ^(٧) .
وَمِنْ رِوَايَةِ أَبِي الْمُضْعَبِ^(٨) ، وَابْنِ أَبِي أُوَيْسٍ^(٩) : سَمِعْنَا مَالِكَ يَقُولُ : مَنْ

(١) المعتبية : اسم كتاب منسوب إلى محمد بن أحمد بن عبدالعزيز بن عتبة الأموي القرطبي الفقيه ، أحد أعلام أئمة الأندلس .

(٢) مطرف ابن أخت الإمام مالك .

(٣) قال الخفاجي : المراد بالسب ذكر ما فيه تحقير له من الأمور الذميمة . وشتمه : نسبة ما لا يليق به صلى الله عليه وسلم في ذاته مما لا يحقره ؛ ككونه جبارا قهارا . وتنقصه : أي ينسب له نقصا ، وإن لم يكن شتما ؛ كقوله : غيره أعلم منه أو أعقل .

(٤) توقيره : تعظيمه . وبره : رعاية حقه الواجب على أمته ؛ فمن خالف ما فرض الله تعالى عليه مما علم من الدين بالضرورة كان زنديقا يجب قتله ولا تقبل توبته .

(٥) عثمان بن كنانة : من أئمة المالكية ، له كتاب اسمه للمبسوط . توفي سنة ست وثمانين ومائة ، وهو أحد الرواة عن مالك .

(٦) يصاب حيا على جذع إلى أن يموت تشهيرا به . ولم يستتب : أي لم تقبل توبته .

(٧) أو قتله بضره عنقه .

(٨) أبو مصعب : أحمد بن أبي بكر ، أبو مصعب الزهري ، قاضي المدينة وعالمها الثقة المحدث ، روى عن مالك وغيره ، توفي سنة اثنتين وأربعين ومائتين ، وله ترجمة في ميزان

الاعتدال (١ - ٨٤) .

(٩) ابن أبي أويس : إسماعيل بن عبد الله بن أبي أويس ابن أخت مالك .

سبَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أو شتمه ، أو عابه ، أو تنقَّصه - قُتِلَ مُسْلِمًا كان أو كافرًا ، ولا يُسْتَنْتَابُ (١) .

وفي كتاب محمد (٢) : أخبرنا أصحابُ مالك أنه قال : مَنْ سبَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم أو غيره من النبيين مِنْ مسلم أو كافر قُتِلَ ولم يُسْتَنْتَب .

وقال أصْبَغُ (٣) : يُقْتَلُ على كل حالٍ أَسْرًا أو أظْهَرًا ؛ ولا يُسْتَنْتَابُ ؛ لأنَّ توبته لا تعرفُ (٤) .

وقال عبدُ الله بنُ الحَكَمِ (٥) : مَنْ سبَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم مِنْ مُسْلِمٍ أو كافرٍ قُتِلَ ولم يُسْتَنْتَب .

وحكى الطبريُّ مثله عن أشهب (٦) ، عن مالك .

وروى ابنُ وَهْبٍ (٧) ، عن مالك : مَنْ قال : إنَّ رداءَ النبيِّ صلى الله عليه وسلم -

(١) لا يستتاب، لأنه حد لا يسقط بالتوبة عنده .

وقيل قوله : ولا يستتاب قيد للمسلم ؛ أما الكافر إذا تاب وتوبته إسلامه ، فقبل توبته ولا يقتل؛ لأن الإسلام يجب ما قبله ، قال تعالى : قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف .

(٢) هو محمد بن إبراهيم المعروف بابن اللواز، من أئمة المالكية للشهورين .

(٣) هو أصبغ بن الفرج الطائى الأندلسى المالكى مفتى قرطبة ، الإمام المعروف ، توفى

سنة سبع وتسعين وثلاثمائة .

(٤) لا تعرف هل هي كائنة بإخلاص ، أو هي تقية لخوف القتل .

(٥) هو فقيه مصرى ، ثقة ، يروى عن مالك ، والليث وغيرهما ، توفى سنة أربع عشرة

ومائتين .

(٦) أشهب : هو عبد العزيز بن داود بن إبراهيم ، أبو عمرو والمبسى العامرى للمصرى الفقيه .

وأشهب لقبه . روى عن مالك والليث وغيرهما ، وهو ثقة ، توفى سنة أربع ومائتين .

(٧) ابن وهب : هو أبو محمد وهب بن مسلم الفهرى للمصرى أحد الأعلام ، روى عن

مالك والليث والسفيانين ، وعن كثير ؛ وطلب للقضاء فأخفى ، وانقطع فى بيته ، وكان من

الزهد والعبادة وكثرة حفظ الحديث بمرتبة لم يبلغها غيره ، حتى بلغ حديثه ثمانين ألف حديث .

له تصانيف كثيرة جليلة ، توفى سنة سبع وتسعين ومائة .

ويروى زرّ النبيّ صلى الله عليه وسلم - وسيخّ؛ أراد عيّبه - قُتِلَ (١) .
وقال بعضُ علمائنا (٢) : أجمع العلماء على أنّ مَنْ دَعَا على نبيٍّ من الأنبياء
بالويل (٣) ، أو بشيء من المكروه - أنّه يُقتل بلا استتابة (٤) .
وأفتى أبو الحسن القاسبي (٥) فيمن قال في النبيّ صلى الله عليه وسلم : الحَمَلُ
يقيمُ أبي طالب (٦) [٢٤٢] - بالقتل .

وأفتى أبو محمد (٧) بن أبي زيد بقتل رجلٍ سمِعَ يوماً يتذأكرونَ صنّةَ النبيّ

(١) أراد به عيبه ؛ أى قصد تنقصه والإضرار به قتل ، فإن لم يقصد ذلك لم يقتل .
وفي نسيم الرياض (٤ - ٣٧٦) : قال ابن حجر الهيثمي - بعد سياقه قول المصنف :
ويؤخذ منه أنه لو أطلق ذلك ، أو قصد الإخبار عن تواضعه صلى الله عليه وسلم لا يكثر ، وهو
ظاهر في إرادة التواضع ، ومحتمل عند الإطلاق ؛ لأنه ليس صريحاً في النقص . وإذا قلنا بدم
السكر فظاهر أنه يعزز التمييز البليغ لذكره ما يوهم نقصاً .
واختلفوا فيما لو قال : كان النبيّ صلى الله عليه وسلم طويل الظفر . والذى يظهر أنه لو قال
ذلك احتقاراً له صلى الله عليه وسلم ، أو استهزاء به ، أو على جهة نسبة للنقص إليه كفر ، وإلغافاً ؛
بل يعزز التعزيز الشديد ، - (٢) بمض علمائنا من المالكية .
(٣) بالويل : فقال : ويل له : وهى كلمة يدعى بها ؛ ومعناها الهلاك أو البلاء واللصيبة
والمذاب والمشقة .

(٤) بلا استتابة : لا تطلب توبته ولا تقبل .
(٥) هو أبو الحسن طي بن محمد بن خاف المعفرى القيروانى شيخ الحديث وفقه مالك ،
الزاهد العابد صاحب التصانيف الجليلة فى الفقه والأصول ، توفى سنة ثلاث وأربعمائة .
(٦) الحمال : وذلك لأنه - صلى الله عليه وسلم - كان إذا اشترى شيئاً من السوق حمّله
بنفسه ، فإذا لقيه أحد وأراد أن يحمله قال : رب المتاع أولى بحمله ، كأورد فى كتب الحديث .
يقيم أبى طالب : لأنه ربهام بعد موت أبيه وجده عبد المطلب .
بالقتل : لما فيه من الاستخفاف والتحقير ، وقصد قائله ذلك لقيام قرينة عليه .
(٧) أبو محمد بن أبى زيد : هو عبد الله القيروانى الذى انتهت إليه رئاسة مذهب مالك
بالمغرب ، ورحل إليه من الأقطار ، وكثر الآخذون عنه . وقال عنه المصنف : إنه حاز رئاسة
الدين والدنيا حتى سُمى مالك الأصغر ، وتوفى سنة تسع وثمانين وثلاثمائة .

صلى الله عليه وسلم إذ مرَّ بهم رجلٌ قبيحُ الوجهِ واللحيةِ؛ فقال لهم: تريدون تعرفونَ صِفَتَهُ؟ هي في صِفَةِ هذا المارِّ في خاتَمِهِ وِلحيتِهِ . قال: ولا تُقبَلُ توبَتَهُ (١) .

وقد كَذَبَ - لعنَهُ اللهُ؛ وليس يخرجُ من قَدْبِ سَلِيمِ الإِيمانِ .

وقال أحمد بن أبي سليمان (٢) صاحبُ سَخْنُونِ: مَنْ قال: إنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللهُ عليه وسلم كانَ أسودَ يُقتلُ (٣) .

وقال (٤) في رَجُلٍ قيلَ له: لا، وحقُّ رسولِ (٥) اللهُ . فقال: فعل اللهُ برسولِ اللهِ كذا وكذا (٦) - وذكر كلاماً قبيحاً؛ فقيلَ له: ما تقولُ يا عدُوَّ اللهِ؟ فقال أشدُّ من كلامِهِ الأولِ؛ ثم قال: إنما أردتُ برسولِ اللهِ العَقْرَبِ . فقال ابنُ أبي سليمان للذي سأله (٧): اشهدْ عليه وأنا شريكُكَ - يُريدُ في قَتْلِهِ وثوابَ ذلك .

قال حبيبُ بنِ الربيعِ: لأنَّ ادِّعاءَهُ التَّأويلَ في لفظِ (٨) صُراحٍ لا يُقبَلُ؛ لأنَّهُ امتِهانٌ؛ وهو غيرُ معرَّزٍ (٩) لرسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلم، ولا موقَّرٍ له؛ فوجبَ إباحةُ دَمِهِ .

(١) لا تقبل توبته: لكفره وعظم جرمه . قال ابن حجر: ومذهبننا قاض بذلك .

(٢) أحمد بن أبي سليمان: من علماء المالكية المعروفين عندهم .

(٣) قال في نسيم الرياض (٤ - ٣٧٧): لأنه صلى الله عليه وسلم كان من الحسن وبياض الوجه بصفة لا تخفى؛ فهذا القائل قد كذب وافتري، ووصفه - صلى الله عليه وسلم بما ليس فيه، إسماراً بالتحقير .

(٤) وقال: أي ابن أبي سليمان السابق .

(٥) وحق رسول الله؛ أي عظمته وجلالة قدره عند الله؛ وهو قسم مؤكد لما قبله .

(٦) كذا وكذا: كناية عن كلام قبيح وصف به رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ تركه لاستهجانه .

قال في نسيم الرياض (٤ - ٣٧٨): وهذا مما لا شك في معناه وإنكاره مكابرة، لكنه لا يقبل من قائله ادعاؤه أنه مراده، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يراد به إلا أحد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ولا يخطر غيره ببال أحد؛ فلذا لم يقبل تأويله .

(٧) للذي سأله؛ مستفتياً عنه .

(٨) صراح: صريح .

(٩) امتهان: ابتذال وتحقير . غير معرَّز: غير معظم .

وأفتى أبو عبد الله بن عتاب في عَشَّار^(١) ؛ قال لرجل : أَدُّ واشك^(٢) إلى النبي صلى الله عليه وسلم ؛ وقال^(٣) : إن سألتُ أو جعلتُ فقد جهلُ وسأل النبي صلى الله عليه وسلم - بالقتل^(٤) .

وأفتى فقههاء الاندلس بقتل ابن حاتم المتَّفَقَّه الطَّلِيظِيَّ وصلَّبه بما شُهِد عليه به من استخفافاً فبه بحق النبي صلى الله عليه وسلم^(٥) وتسميته إياه أثناء مناظرته باليتيم^(٦) ، وختن حيدرة^(٧) ، وزعمه أن زُهدَه لم يكن قَصداً ؛ ولو قدَّر على الطيبات أكلها^(٨) ، إلى أشباه هذا .

(١) من علماء المالكية . والمشار : من يأخذ العشر .

(٢) أد واشك ؛ أى أعط ما طلب منك واشك إلى النبي صلى الله عليه وسلم منى ومن ظلمى لك .

قال في نسيم الرياض (٤ — ٣٧٩) : ومثل هذا تحقير للنبي صلى الله عليه وسلم ؛ كأنه يقول : لا قدرة له على دفعه ولو كان حياً موجوداً الآن ؛ فلهذا أفتى فيه بوجوب القتل .

(٣) وقال له ؛ أى المشار لذلك الرجل ، ويحتمل أن يكون القائل ابن عتاب ؛ فهو فتوى

أخرى فيمن قال : إن سألت

(٤) إن سألت أو جهلت أنا أمرا أسأل عنه فقد جهل النبي بعض الأمور ؛ لأن علم جميع

الأمور إنما هو لله ، وقد سأل النبي صلى الله عليه وسلم عما لم يعلمه ؛ فأفتى في هذا أيضاً بالقتل لما فيه من الاستخفاف برسول الله صلى الله عليه وسلم لتسويته بينه وبينه ، وإسناده السؤال والجهل له .

قال الحفاجى : قال ابن حجر : ومذهبنا قاض بذلك أيضاً ، بل الذى يظهر أن مجرد قوله :

أد واشك إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، يقصد عدم المبالاة ، كفر أيضاً .

(٥) من استخفافه بحق النبي ؛ أى بتسكلمه بكلام يشمر بتحقيقه .

(٦) وتسميته ؛ أى تسمية ذلك للعمون النبي صلى الله عليه وسلم باليتيم ؛ أى قوله : إنه

يتيم أبى طالب ، كما كان يقوله الكفرة استخفاً به وإذراء .

قال في نسيم الرياض : ومثل هذا إذا سبق مشمراً بتحقيقه كان كفراً ؛ فإن لم يشمر به جاز .

(٧) الختن : كل قريب لامرأة ، والعامّة تطلقه على زوج البنت . وحيدرة لقب على بن

أبى طالب .

(٨) قال في نسيم الرياض (٤ — ٣٨٠) : وهذا جهل منه بالله تعالى وقدرته وبالنبي

صلى الله عليه وسلم وعزته ؛ ولو أراد صلى الله عليه وسلم أن تكون جبال مكة ذهباً كانت ، وقد عرض عليه ذلك فأباه .

وأفتى فقهاء القَيْرُوانِ وأصحابُ سَحَنونَ بقتل إبراهيم الفَزَارِي، وكان شاعراً مُتَفَنِّناً في كثير من العلوم، وكان مِمَّنْ يَحْضُرُ مَجْلِسَ القَاضِي أبي العباس بن طالب المناظرة^(١)، فَرُفِعَتْ عليه^(٢) أ.و.ر. منكَرَةٌ من هذا الباب في الاستهزاء بالله وأنبيائه ونبيِّنا صلى الله عليه وسلم؛ فأَحْضَرَ له القَاضِي^(٣) يحيى بن عُمر وغيره من الفقهاء، وأمر بقتله^(٤) وصَلَّبه؛ فطُعِنَ بالسكين، وَصُلبَ مُنْكَسَا؛ ثم أنزل وأحرق بالنار.

وحكى بعضُ المؤرخين أنه لما رُفِعَتْ خَشَبَتُهُ^(٥)، وزالت عنها الأيدي استدارت، وحوَّلتهُ عن التَّيْبَلَةِ؛ فكان آيةً للجميع، وكبَّرَ الناسُ، وجاء كُلبٌ فوَلَّغَ في دَمِهِ^(٦)؛ فقال يحيى بن عُمر: صدق رسولُ الله صلى الله عليه وسلم، وذكر حديثاً عنه صلى الله عليه وسلم^(٧) أنه قال: لا يَلْغُ الكُلبُ في دَمِ مسلم.

وقال القَاضِي أبو عبد الله بن المرابط^(٨): مَنْ قال: إن النبي صلى الله عليه وسلم هُزِمَ^(٩)

(١) للمناظرة: للمباحثة في العلوم.

(٢) رفعت: نقات عنه، وضمته معنى شنع، فمداه بـ « على ».

(٣) هو قاضي القيروان.

(٤) وأمر بقتله بعد ما حكم بكفره بما ثبت عليه في ملأ من الناس.

(٥) لما رفعت خشبته التي صلب عليها. (٦) في دمه: القدى طار منه حين طعن بالسكين.

(٧) قال الحفاجي: إلا أنه قيل: لا يعرفه الحفاظ، فالظاهر أنه لا أصل له؛ لأنه لم

ينقله الثقات، ونقل عن ابن حجر أيضاً أنه قال: لا أصل له.

(٨) ابن المرابط هذا هو أبو مصعب، توفي بعد ثمانين وأربعمائة؛ وهو من أجل أئمة

المالكية بالمغرب.

(٩) هزم، من الهزيمة؛ وهي الفرار من الزحف. يستتاب: يطلب عنه أن يتوب بما

ناله ويرجع عنه.

وفي نسيم الرياض (٤ - ٣٨١): وقضية مذهبنا أنه لا يكفر بذلك؛ إلا إن قاله على

قصد التنقيص؛ لأنه ليس صريحاً فيه؛ لأن الهزيمة قد تكون من الجبلات البشرية؛ فإن لم

يقصد ذلك لم يكفر؛ بل يعزر التمزير الشديد.

يُسْتَنْتَابُ، فَإِنْ تَابَ وَإِلَّا قُتِلَ؛ لِأَنَّهُ تَنَقَّصَ (١)؛ إِذْ لَا يَجُوزُ ذَلِكَ عَلَيْهِ فِي خَاصَّتِهِ (٢)، إِذْ هُوَ عَلَى بَصِيرَةٍ مِنْ أَمْرِهِ، وَيَقِينُ مِنْ عَصْمَتِهِ (٣).

وَقَالَ خَبِيبُ بْنُ رَبِيعٍ الْقَرَوِيُّ (٤) : مَذْهَبُ مَالِكٍ وَأَصْحَابِهِ أَنَّ مَنْ قَالَ فِيهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَا فِيهِ نَقَصٌ - قُتِلَ دُونَ اسْتَنْتَابِهِ (٥).

وَقَالَ ابْنُ عَتَابٍ : الْكِتَابُ وَالسَّنَةُ مُوجِبَانِ أَنَّ مَنْ قَصَدَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَذَى أَوْ نَقَصٍ، مَعْرِضًا أَوْ مَصْرَحًا، وَإِنْ قُلَّ - فَمَتَّلَهُ وَاجِبٌ؛ فَهَذَا الْبَابُ كُلُّهُ مِمَّا عَدَّهُ الْعُلَمَاءُ سَبًّا أَوْ تَنَقُّصًا يَجِبُ قَتْلُ قَائِلِهِ، لَمْ يَخْتَلَفِ فِي ذَلِكَ مُتَقَدِّمُهُمْ وَلَا مُتَأَخِّرُهُمْ، وَإِنْ اخْتَلَفُوا فِي حِكْمِ قَتْلِهِ عَلَى مَا أَشْرْنَا إِلَيْهِ [٢٤٣] وَنَبِيْنُهُ بَعْدُ .
وَكذَلِكَ أَقُولُ حَكْمُ مَنْ غَمَصَهُ أَوْ عَيَّرَهُ (٦) بِرِعايةِ الْغَنَمِ (٧) أَوِ السُّهُوِ أَوِ النَّسْيَانِ

(١) لِأَنَّهُ تَنَقَّصَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاسْتِهَانَةَ بِهِ، وَهُوَ كُفْرٌ .

قَالَ فِي نَسِيمِ الرِّيَاضِ (٤ - ٣٨٢) : وَهَذَا مُخَالَفٌ لِمَا قَدَّمَهُ : مِنْ أَنَّ مَتَقَصَّهُ صَلَّى اللَّهُ

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْتُلُ وَلَا يَسْتَنْتَابُ .

(٢) فِي خَاصَّتِهِ : أَيْ إِنْ الْهَزِيمَةُ مِنْهُ مَمْتَنَّةٌ لِأَمْرِ خَصَّهُ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ، وَجِبِلَّهُ عَلَيْهِ؛ لِإِلْقَاءِ

الرَّعْبِ فِي قُلُوبِ أَعْدَائِهِ، وَتَثْبِيتِ اللَّهِ تَعَالَى لَهُ بِقُوَّةِ قَلْبِهِ .

(٣) مِنْ عَصْمَتِهِ؛ أَيْ عَصْمَةِ اللَّهِ لَهُ بِحِفْظِهِ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى : وَاللَّهُ بِعَصْمِكَ مِنَ النَّاسِ .

قَالَ الْخَفَاجِيُّ : فَلَوْ انْهَزَمَ كَانَ شَاكًا فَمَا أَخْبَرَهُ اللَّهُ بِهِ . وَقَدْ كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي

حَرْبِ هَوَازِنَ وَقَدْحَمَى الْوَطَيْسَ عَلَى بَنَاتِهِ الْبَيْضَاءِ، وَكَانَ أَبُو سَفْيَانَ بْنُ الْحَارِثِ آخِذًا بِزِمَامِهَا

وَهُوَ يَقُولُ : أَنَا النَّبِيُّ لَا كَذِبَ . أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ . كَمَا فِي الْبُخَارِيِّ، فَرَكِبَ الْبَنْطَلَةَ، وَهِيَ

لَا تَصْلُحُ لِلسُّكْرِ وَالْفَرِّ، وَنَادَى بِاسْمِهِ إِعْلَامًا لِأَعْدَائِهِ بِمَكَانِهِ لِيَقْصِدَ؛ فَأَيُّ ثَبَاتٍ وَشَجَاعَةٍ

أَقْوَى مِنْ هَذَا! وَقَدْ فَرَّ كَثِيرٌ مِنَ الصَّحَابَةِ لِمَا نَضَحُوهُمْ بِالسَّهَامِ .

(٤) مَنْسُوبٌ لِقَرْيَةٍ، أَوْ لِاقْتِرِوَانِ عَلَى خِلَافِ الْقِيَاسِ .

(٥) هَذَا تَمَقِّيبٌ عَلَى مَا قَالَهُ ابْنُ الْمُرَائِطِ لِخِلَافَتِهِ لِمَذْهَبِهِ .

(٦) غَمَصَهُ : حَقَرَهُ وَعَابَهُ بِمَا لَا يَلِيقُ بِهِ . عَيَّرَهُ : نَسَبَهُ لِمَا فِيهِ عَارٌ .

(٧) فِي نَسِيمِ الرِّيَاضِ : قَالَ السُّيُوطِيُّ فِي كِتَابِهِ « تَنْزِيهِ الْأَنْبِيَاءِ عَنْ تَسْفِيهِ الْأَغْيِيَاءِ »، وَهُوَ

كِتَابٌ جَلِيلٌ يَنْبَغِي الْوُقُوفَ عَلَيْهِ : إِنَّ رِجَالَ سَبِّ آخِرِ بَأَنِهِ رَاعٍ؛ فَقَالَ لَهُ : مَا مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا رَعَى =

أو السَّحَرِ^(١)، أو ما أصابه من جُرْحٍ أو هزيمة لبعض جيوشه^(٢)، أو أذى من عدوه، أو شدة من زمنه^(٣)، أو بالميل إلى نساته؛ فحُكِّمَ هذا كله لمن قصد به نقض القتل. وقد مضى من مذاهب العلماء في ذلك، ويأتي ما يدل عليه^(٤).

== الغنم بمجمع من العامة . فقال قاضي القضاة المالكي : لو رفع لي هذا ضربته بالسياط . فلما سئلت عنه أجبته بأنه يعزر أبلغ تمزير ، لأنه لا ينبغي ضرب آحاد الناس مثلاً لنفسه بالأنبياء . والمستدل بمثله قد يكون في مقام التدريس والإفتاء والتصنيف وبيان العلم لأهله لا ينكر عليه ، أما في مقام الخصام والتبري عن معرفة نقص نسب له أو لغيره فهو محل الإنكار والتأديب لاسيما بحضرة العوام وفي الأسواق ، فهو سب وقذف ، ولكل مقام يناسبه .

(١) قال الخفاجي : أما السحر فلأنه لاشبهة في امتناعه واستحقاق قائله مامر . وأما الأولان فما صدر عنه صلى الله عليه وسلم نادرا ، ولكنه لا يجوز وصفه بهما في سياق يوم تنقيصا لمقامه ، لأنه يصدر منه نادرا ، للتشريع .

(٢) لا يجوز ذكره ، وإن لم يكن في ذاته ، لأن إهانة أصحابه إهانة له ، وذكرها يؤذيه .

(٣) أو شدة من زمنه تصديه ، أو تصيب أصحابه ، كقصة الميمنة ، وضيق الحال ،

وخوف المدو .

(٤) في نسيم الرياض (٤ — ٣٨٣) :

قال السبكي رحمه الله تعالى بعد ما ذكر ماها في هذا الفصل :

إن كان هذا عن سوء عقيدة فلا إشكال فيه ؛ أما إذا صدر عن مؤمن ، وقلنا الإيمان

هو التصديق فقط والكفر الجحود - فكيف يكون هذا كافرا ؟

وأجاب - نقلا عن إمام الحرمين : إن المسلمين أجمعوا على تكفيره ، فكأنه لأنه تعالى

قضى بأنه لا يصدر مثله إلا ممن قضى الله تعالى بانتزاع معرفة الله تعالى من قلبه ؛ والعمل وإن لم يكن

ركن الإيمان فالإقرار والانتقياد والإذعان بترك الاستكبار عن امتثال أوامره لا بد منه ؛

ولذا كفر إبليس بالاستكبار .

والحاصل أن الإيمان بمعنى التصديق لا بد أن يقترن به أمر آخر ؛ هو طمأنينة القلب

لقبول الأوامر والنواهي والانتقياد لها بقلبه ، وهو معنى الطمأنينة ؛ فمن استخف واستهان به

ضاد ذلك ، فانتفى تصديقه الموجود صورة بانتفاء أثره ؛ فصار ذلك كالمدم ؛ فالكفر كفران ؛

كفر جهل وجحود ؛ ككفر النصارى ، وكفر مع التصديق والمعرفة ؛ بوجود ما يمارضه

ويصيره كالمدم ؛ ككفر إبليس واليهود ؛ فإذا نفي عنه التصديق فهو نفي للمعتد به منه ، وكفر =

فصل

في الحجّة في إيجابِ قَتْلِ مَنْ سَبَّهُ أَوْ عَابَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

فمن القرآن لعنه تعالى لمؤذبه في الدنيا والآخرة ، وقرانه تعالى أذاه بأذاه^(١) ، ولا خلاف في قتل مَنْ سَبَّ الله^(٢) ، وأنّ اللعن إنما يستوجب^(٣) مَنْ هو كافرٌ ، وحُكْمُ الكافرِ القتلُ ؛ فقال^(٤) : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا ﴾ .

وقال - في قاتلِ المؤمنِ مِنْهُ^(٥) ذلك ؛ فَمِنْ لَعْنَتِهِ فِي الدُّنْيَا الْقَتْلُ ؛ قال اللهُ تعالى^(٦) : ﴿ لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرضٌ والمرجعون في المدينة لنفركنهم ثم لا يجاورونك فيها إلا قليلا . ماتعون أينا ما تُفُؤوا أُخِذُوا وَتُفُؤوا تَقْتِيلًا ﴾ .

= الساب والتقص من هذا القبيل، فهو كفر جهل استحل أم لا ؛ فمن توقف في التكفير من الفقهاء لمن لم يستحل خفي عليه مأخذه . انتهى .

ثم قال الخفاجي : وهو نفيس جدا ينبغي التنبيه له في تكفير الفقهاء لبعض الناس . فتدبر .

(١) قرانه تعالى أذاه بأذاه ؛ يحمل ما يؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤذيه .

(٢) فإنه كفر باتفاق .

(٣) يستوجبه : يستحقه وجوبا .

(٤) سورة الأحزاب ، آية ٥٧

قال في نسيم الرياض (٤ - ٣٨٤) : وأذية الله تعالى لا تمكن ؛ لأنها إيصال . كروه له ، وهو لا يتصور في حقه ، فذكره تهويلا لأذية الرسول صلى الله عليه وسلم ، فإن من يؤذيه كمن يؤذى الله .

واللعن : الطرد من رحمة الله ، وهو إنما يكون في الدارين للكافرين .

(٥) قاتل المؤمن عمدا بغير حق .

(٦) سورة الأحزاب ، آية ٦٠ ، ٦١ . ثقفوا ؛ وجدوا وقد ظفرتهم بهم .

وقال - في المحاربين ^(١) ، وذكر عقوبتهم ^(٢) : ﴿ إنما جزاء الذين يُحَارِبُونَ اللَّهَ ورسوله وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ ، أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ . ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا ﴾ .
 وقد يقع القتل ^(٣) بمعنى اللعن ؛ قال الله تعالى ^(٤) : ﴿ قَتَلَ الْخِرَاصُونَ ﴾ .
 و ^(٥) ﴿ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنْى يُؤْفَكُونَ ﴾ ؛ أى لعنهم الله ؛ ولأنه فرق بين أذاهما وأذى المؤمنين ؛
 وفي أذى المؤمنين ما دون ^(٦) القتل ؛ من الضرب والنكال ^(٧) ؛ فكان حكمٌ مؤذٍ لله ونبيه أشدَّ من ذلك ؛ وهو القتل . وقال تعالى ^(٨) : ﴿ فَلَارَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ .

(١) المحاربين: الذى حاربوا الله ورسوله .

(٢) سورة المائدة ، آية ٣٣

ويسعون في الأرض فسادا : المراد بهم قطاع الطريق ، جعل محاربتهم للمسلمين محاربة لله ورسوله لخروجهم عن أمرهما .

وذلك : إشارة للقتل وما بعده . والحزى : الذل والفضيحة .

(٣) أى فى القرآن .

(٤) سورة الداريات ، آية ١٠

الخراصون : الكذابين الذين يقولون ما لا يصح تخميننا وتقديرا من أنفسهم ، فالقتل بمعنى الإهلاك ، جرى مجرى اللعن والبهج فى الدعاء وغيره .

(٥) سورة المنافقون ، آية ٤

يؤفكون : يصرفون عن الحق .

(٦) ما دون القتل: ما هو أقل منه .

(٧) النكال : العقوبة بنير قتل ، كقطع يد ونحوه .

(٨) سورة النساء ، آية ٦٥

شجر بينهم : وقع بينهم من الاختلاف والخاصمة .

نقى الإيمان عمن لم يرض حكمه ، لما فيه من الأذية له صلى الله عليه وسلم .

فَسَلَبَ اسْمَ الْإِيمَانِ عَمَّنْ وَجَدَ فِي صَدْرِهِ حَرَجًا^(١) مِنْ قَضَائِهِ ، وَلَمْ يَسْلَمْ لَهُ ؛ وَمَنْ
تَنَقَّصَهُ فَقَدْ نَاقَضَ هَذَا^(٢) .

وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى^(٣) : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْعَوْا أَصْوَاتَكُمْ فَوَقَّ صَوْتَ
النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِاللَّغْوِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ
لَا تَشْعُرُونَ ﴾ .

وَلَا يُحْبِطُ الْعَمَلُ إِلَّا الْكُفْرُ^(٤) ؛ وَالْكَافِرُ يُقْتَلُ^(٥) .

(١) حرجا : ضيقا عن قبول كلمة ، أو قلقا .

قال الخفاجي : المراد من لم يرض بحكمه صلى الله عليه وسلم ، ولم ينقد لهيه وأمره شاك في دينه
غير متحل بيقينه ، ومثله مؤذله مغضب له صلى الله عليه وسلم ، وأذيته كفر حقيقة ، أو مودية
إليه ، ففيها حث على اجتناب ما يكره ، والخوف من عاقبته .

(٢) ناقض هذا المذكور في هذه الآية من الحرج وعدم التسليم بما يجر إلى نقي الإيمان .

(٣) سورة الحجرات ، آية ٢

نهى الله المؤمنين عن رفع الصوت في مخاطبته ، وأن يتأدبوا معه صلى الله عليه وسلم بخفض
أصواتهم تعظيما له وتأديبا .

وجوب الأعمال : سقوطها ، فلا يثاب عليها .

(٤) قال الخفاجي : إنما تتقبل الأعمال من المؤمن ، لأن العمل المقبول ثمرة الإيمان .

وهذا مذهب أهل السنة . والمعزلة يقولون : يحبط بالكبائر .

(٥) الكافر يقتل : يستحق القتل شرعا . والمراد النهي عن المؤذى . ورفع الصوت فوق

صوته صلى الله عليه وسلم فيه أذية له .

وهذا مخصوص بمن قصد إهائته وتحقيره . صلى الله عليه وسلم . فإن لم يقصد كان

خلاف الأولى .

وفي نسيم الرياض (٤ — ٣٨٧) : قال ابن العربي : هذا كما هو في حياته صلى الله عليه

وسلم متحتم بعد وفاته حتى لا ينفى رفع الصوت عند قبره الشريف ، ولا عند قراءة حديثه ،

ولا عند أحد من العلماء الذين ورثوا مقامه صلى الله عليه وسلم ، فهذا كله مكروه أشد كراهة .

ومع قصد الإهانة حرام .

وقال تعالى (١): ﴿وَإِذَا جَاءُوكَ وَكَبَّرُوا بِكَ لِمَ يُحْيِكَ بِهِ اللَّهُ...﴾ ثم قال (١): ﴿حَسْبُكُمْ جَهَنَّمُ يَصَلَوْنَهَا فَبئسَ الْمَصِيرُ﴾ .

وقال تعالى (٢): ﴿وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ: هُوَ أذُنٌ﴾ ثم قال (٢): ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ .

وقال تعالى (٣): ﴿وَلَمَّا سَأَلْتَهُمْ لَيُؤْتُوا لَنَا إِنَّمَا كُنَّا نَحْوُضٍ مُّوْتَعَبٍ ، قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ . لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ، إِنْ نَعَفَ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بَأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ .

قال أهلُ التفسير : كَفَرْتُمْ بِقَوْلِكُمْ (٤) فِي رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وَأَمَّا الْإِجْمَاعُ فَتَدْرِكُهُ ذِكْرُ نَاهِ .

(١) سورة المجادلة ، آية ٨

وَإِذَا جَاءُوكَ : بِمَعْنَى الْيَهُودِ . حَيُّوكَ بِمَا لَمْ يُحْيِكَ بِهِ اللَّهُ : كَانُوا يَقُولُونَ السَّامَ عَلَيْكَ - يَعْنُونَ الدَّعَاءَ عَلَيْهِ بِالْمَوْتِ ، وَيُحَرِّفُونَ تَحْيَةَ اللَّهِ الَّتِي هِيَ السَّلَامُ ، حَسْبُكُمْ جَهَنَّمُ يَصَلَوْنَهَا : يَكْفِي فِي جَزَائِهِمْ مَا أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مِنْ عَذَابِ الْآخِرَةِ الَّذِي يُصِيرُ إِلَيْهِمْ .

(٢) سورة التوبة ، آية ٦١

هُوَ أذُنٌ ، أَيْ يَسْمَعُ كُلَّ مَا يُقَالُ لَهُ ، وَيَقْبَلُهُ مِنْ كُلِّ أَحَدٍ . وَالْقَائِلُونَ : هُمُ الْمُتَنَافِقُونَ .

(٣) سورة التوبة ، آية ٦٥ ، ٦٦

سَأَلْتَهُمْ : أَيْ الْمُتَنَافِقِينَ الَّذِي قَالُوا - وَهُوَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاهِبٌ إِلَى تَبُوكَ : انظُرُوا لِهَذَا الرَّجُلِ بَرِيدٌ فَتَحَّ حِصُونُ الشَّامِ ! هَيْمَاتُ ! فَأَعْلَمَهُ اللَّهُ بِذَلِكَ ؛ فَلَمَّا أَخْبَرَهُمْ بِمَا قَالُوهُ قَالُوا : إِنَّمَا كُنَّا نَحْوُضٍ وَنَلْعَبُ نَحْوُضٌ : أَيْ نَقَطَعَ السَّفَرَ بِالتَّلْهِى بِالْحَدِيثِ . وَنَلْعَبُ تَلْهِيًا مِنْهَا .

قَدْ كَفَرْتُمْ : بِاسْتِهْزَائِكُمْ ، أَيْ لِاتْعَذُرُوا بِمَذْرٍ غَيْرِ مَقْبُولٍ لِكُذْبِكُمْ . وَالْقَائِلُ ذَلِكَ وَدِيمَةُ بْنُ ثَابِتٍ . وَقَوْلُهُ : إِنْ نَعَفَ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً : كَانُوا ثَلَاثَةَ تَسْكَمِ اثْنَانِ وَضَحَكَ اثْنَالِثَ ، وَهُوَ الْمَفْعُوعُ عَنْهُ .

(٤) أَيْ بِقَوْلِهِمْ : هُوَ أذُنٌ ، فَهُوَ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ أَذْيَتَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَفَرَ . وَهَذَا قَوْلُ الْمَفْسِرِينَ فِي كُفْرِهِ ، وَسِيَّاقِي حُكْمِ الْإِجْمَاعِ ، وَحُكْمِهِ فِي الْأَحَادِيثِ .

وَأَمَّا الْآثَارُ (١) فَهِيَ ثَمَانِيَةٌ (٢) الشَّيْخُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ أَحْمَدُ بْنُ غَلْبُونٍ (٣) ، عَنِ الشَّيْخِ أَبِي ذَرٍّ (٤) الْهَرَوِيُّ إِجَازَةً ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو الْحَسَنِ الدَّارِقُطِيُّ (٥) ، وَأَبُو حُمَيْرٍ (٦) ابْنُ حَيَّوَةَ ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ نُوحٍ ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ زَبَالَةَ (٧) ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ (٨) ، عَنِ عَلِيِّ بْنِ مُوسَى ، عَنِ أَبِيهِ ، عَنِ جَدِّهِ ، عَنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ الْحُسَيْنِ ، عَنِ أَبِيهِ ، عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ ، عَنِ أَبِيهِ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : مَنْ سَبَّ نَبِيًّا فَاقْتُلُوهُ ، وَمَنْ سَبَّ أَصْحَابِي فَاضْرِبُوهُ (٩) .

(١) الْآثَارُ : الْإِحَادِيثُ الْمُسْنَدَةُ لِلرُّوْيَةِ فِيهِ .

(٢) رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ وَالدَّارِقُطِيُّ عَنِ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(٣) هُوَ قُرْطُبِيُّ إِسْبِيلِيٌّ زَاهِدٌ ، عَلَامَةٌ فِي جَمِيعِ الْفُنُونِ ، ثِقَةٌ عَابِدٌ ، تُوُفِيَ سَنَةَ ثَمَانٍ وَخَمْسِمِائَةٍ .

(٤) أَبُو ذَرٍّ الْهَرَوِيُّ : هُوَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيُّ الْهَرَوِيُّ الْحَافِظُ الْفَقِيهَ الْمَالِكِيَّ ، نَزَلَ مَكَّةَ وَلَهُ مَعْجَمٌ كَبِيرٌ ، وَهُوَ ثِقَةٌ عَابِدٌ حَافِظٌ عَارِفٌ بِالْفِقْهِ ، وَأَخَذَ الْأَصُولَ عَنِ الْبَاقِلَانِيِّ ، تُوُفِيَ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَثَلَاثِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ .

(٥) أَبُو الْحَسَنِ الدَّارِقُطِيُّ : عَلِيُّ بْنُ عَمْرِو بْنِ أَحْمَدَ الْبِنْدَادِيَّ الْحَافِظَ . كَانَ أَوْحَدَ أَهْلِ عَصْرِهِ فِي الْحِفْظِ وَالْفَهْمِ وَالْوَرَعِ ، وَاتَّمَتَ مَعْرِفَةُ الْحَدِيثِ وَالْمَلَلُ بِهِ . تُوُفِيَ سَنَةَ خَمْسٍ وَثَمَانِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ .

(٦) إِمَامٌ حَبِجَةٌ ، وَهُوَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ زَكَرِيَّا الْبِنْدَادِيَّ ، وَهُوَ إِمَامٌ ثِقَةٌ ، تُوُفِيَ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَثَلَاثِمِائَةٍ .

(٧) مِنْ أُمَّةِ الْحَدِيثِ الْمَشْهُورِينَ . وَفِيهِ : مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ زَبَالَةَ . وَلَهُ

تَرْجُمَةٌ فِي الْمِيزَانِ : ٢ - ٦٣٤

(٨) هُوَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُوسَى الْهَاشِمِيُّ ، وَفِيهِ كَلَامٌ ؛ فَقِيلَ ضَعِيفٌ ، وَقِيلَ ثِقَةٌ ، تُوُفِيَ سَنَةَ أَرْبَعٍ

وَسَبْعِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ .

(٩) فَاضْرِبُوهُ ؛ أَيِ حَدِّ الْقَذْفِ .

قَالَ الْخَفَاجِيُّ : قَالُوا : إِنَّ سَنَدَهُ ضَعِيفٌ ، وَلَمْ يَرُدَّهُ أَصْحَابُ الْكُتُبِ ؛ وَلَسْكَنَهُ اعْتَضَدَ

بِالْإِجْمَاعِ .

وفي الحديث الصحيح^(١) : أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتل كعب^(٢) ابن الأشرف . وقوله : مَنْ لَكَ كَبْ^(٣) بن الأشرف ! فإنه بُؤِذِي الله ورسوله . ووجه إياه مَنْ قَتَلَهُ غِيْلَةً دُونَ دَعْوَةٍ ، بِخِلَافِ غَيْرِهِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ^(٤) ؛ وَعَلَّلَ قَتْلَهُ بِأَذَاهُ لَهُ ؛ فَدَلَّ أَنْ قَتَلَهُ إِيَّاهُ لَغَيْرِ الْإِسْرَافِ ؛ بَلِ لِلْأَذَى^(٥) .

وكذلك قتل^(٦) أبا رافع ؛ قال البراء : وكان بُؤِذِي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَيُعِينُ عَلَيْهِ .

وكذلك أمره يَوْمَ الْفَتْحِ^(٧) بِقَتْلِ ابْنِ خَطَلٍ [٢٤٤] وَجَارِيَتَيْهِ اللَّتَيْنِ كَانَتَا مُتَغَنِّيَانِ بِسَبِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

(١) رواه البخاري وغيره مسندا . صحيح البخاري : ٥ - ١١٥ ، ١١٦

(٢) وهو من يهود خيبر . وقول النبي صلى الله عليه وسلم معناه : من يقوم له ليقته ، وهو حث وحض للأنتصار على الانتقام .

وقد آذى الله ورسوله ؛ لأنه أعان بسب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهجاءه ، ورثى قتلى المشركين بيدرس ، وذهب إلى مكة ليحرض أهلها على حربه وأخذ الثأر ؛ فلما رجع وبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ما فعله قال : من لى بأبن الأشرف .

(٣) غيلة : خفية ، من غير شعور أحد .

دون دعوة : للإسلام والرجوع عن الكفر ، بخلاف غيره من المشركين من مطلق الكفرة ؛ فإنه إنما يقتل بمد الدعوة والإنذار .

(٤) قال الخفاجي : فدلّت هذه القصة على أن من سب النبي صلى الله عليه وسلم وأذاه من الكفار قتل .

(٥) رواها البخاري : صحيح البخاري : ٥ - ١١٧ . وأبو رافع : هو عبد الله بن أبي الحقيق .

(٦) يوم الفتح : يوم فتح مكة .

قال في نسيم الرياض (٤ - ٣٩٢) : إن النبي صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة أمن الناس إلا أربعة رجال وأمر أن يبقوا ، ولودخلوا تحت أستار الكعبة مستجيرين بها ؛ لأنهم كانوا أظهروا عداوته ، وأكثروا من ذمه ، وهجوه صلى الله عليه وسلم ؛ وكان لابن خطل هذا

قبتان تغنيان بهجوه . وحديث قتل ابن خطل في البخاري : ٥ - ١٨٨

وفي حديث آخر (١) أن رجلا كان يسبه - صلى الله عليه وسلم ، فقال : مَنْ
يَكْفِينِي عَدُوِّي ؟ فقال خالدٌ : أنا . فبعثه صلى الله عليه وسلم فقتله .
وكذلك لم يُقل (٢) جماعة ممن كان يؤذيه من الكفار ويسبه (٣) ،
كالنضر بن الحارث (٤) ، وعقبة بن أبي معيط (٥) .
وعهد بقتل جماعة منهم قبل الفتح وبَعْدَهُ ، فقتلوا إلا مَنْ بادر بإسلامه قبل
القدرة عليه (٦) .

وقد روى البزارُ ، عن ابن عباس - أن عقبة بن أبي معيط نادى : يا معشر
قريش ، مالي أقتل من بينكم صبْرًا (٧) ! فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : بكفرك
وافترائك (٨) على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(١) في نسيم الرياض : لا يعرف من رواه .

(٢) لم يقل : لم يترك . وفي ب : وكذلك أمر بقتل جماعة . والثبت في ا .

(٣) قال الخفاجي : فدل هذا على أنه لا فرق بين المسلم والكافر في وجوب قتله بالسب ،

لما روى عن أبي حنيفة وغيره ، من عدم قتل الكافر ؛ لأن كفره أشد منه ، كما يأتي .

(٤) النضر بن الحارث : كان شديد المداوة والإيذاء لرسول الله صلى الله عليه وسلم ،

فقتله صلى الله عليه وسلم في بدر ؛ وهو الذي قالت أخته للنبي صلى الله عليه وسلم بعد قتله له

أبيانا منها :

ما كنت ضرك لو مننت وربما من الفق وهو المنيظ المحنق

(٥) قال الخفاجي : كان عقبة بن أبي معيط قد أسر بيدر ، فقتله النبي صلى الله عليه وسلم

منصرفه من بدر بمرق الظبية ، فقال : يا عاصم ، اضرب عنقه . فضرب عنقه .

ولما قدم للقتل قال : فلم تقتلني يا محمد ؟ فقال : بما دوتك لله ولرسوله . فقال من للصبية ؟

قال : النار . فلما ضربت عنقه قال صلى الله عليه وسلم : الحمد لله الذي قتلك وأقر عينى منك .

(٦) بينكم ؛ من بين الكفار الذين كانوا يؤذونه ويحضون على مقاتلته . قبل القدرة عليه : بأخذه

وأسره كابن أبي سرح ، وكعب بن زهير .

(٧) صبْرًا : الصبر : أصل معناه الحبس ، ويقال لمن قتل في غير حرب ودون غفلة منه بأن

يقدم القتل : قتل فلان صبْرًا . (٨) افتراؤك : تعمدك الكذب .

وذكر عبد الرزاق (١) أن النبي صلى الله عليه وسلم سبه رجلٌ؛ فقال: مَنْ يكفيني عدوى؟ فقال الزبير: أنا؛ فبارزه فقتله الزبير (٢).

وروى أيضا أن امرأةً كانت نَسَبه صلى الله عليه وسلم، فقال: مَنْ يكفيني عدوى؟ فخرج إليها خالد بن الوليد فقتلها (٣).

== قال في نسيم الرياض: من بنى أمية بن عبد شمس، وهو أحد المستهزئين، وهو الذى التى سلاه الجزور عليه صلى الله عليه وسلم، وهو يصلى؛ فدعا عليهم، فألقوا - بلعنة الله - فى قلب بدر .

(١) هو عبد الرزاق بن همام الحافظ، أبو بكر الصغانى .

(٢) المبارزة: أن يخرج رجل من طائفتين تقابلتا، وينادى: من يبرز لى من الصف ليقاتله؟ فيعلم أينما أقوى وأشجع، وأينا القاتل والمقتول. وهذا إنما يفعله من زادت قوة قلبه وشجاعته .

(٣) قال في نسيم الرياض (٤ - ٣٩٥): وقع بتونس أن رجلا قال لآخر: أنا عدوك وعدو نبيك؛ فمقدله مجلس، فأفتى بمض أئمة المالكية بأنه مرتد يستتاب. وأخذ كفره من قوله تعالى: من كان عدوا لله وملائكته ورسوله وجبريل وميكال فإن الله عدو للكافرين. (سورة البقرة، آية ٩٨).

وأفتى بعضهم بأن كفره كفر تقيص، فلا يستتاب، وأخذ ذلك من كلام المصنف هنا فى هذه المرأة السابقة، ومن قضية خالد رضى الله عنه السابقة، ومن إفتاء ابن عتاب رحمه الله السابق. واعترضه بمض أئمتهم ممن مال إلى الأول بأنه نص فى أن كل ساب عدو، ولا شك فيه؛ وإنما الكلام فى عكس هذه القضية؛ وهى لا تنعكس كنفسها، بل قوله: أنا عدوك وعدو نبيك ربما أشمر بترفع القول له، ذلك لأننا نجد الوضاء يحملون لأنفسهم منزلة بذلك، يقول الواحد منهم: أنا عدو الأمير، والأمير عدوى؛ وقصده بذلك رفع نفسه، لأنه فى نسبة من يمدى الأمير، وبأن قتل خالد رضى الله عنه للمرأة المذكورة مذهب صحابى، وإفتاء ابن عتاب إنما هو لأن ما ذكر فى قصته صريح فى التقيص.

فالتحقيق أن قاتل مامر مرتد لامتقص. هذا كله على قواعدهم من التفرقة بينهما، أما على قواعدنا فالذى يظهر أنه ردة، قاله ابن حجر فى الأعلام ملخصا .

وروى ^(١) أن رجلا كذب على النبي صلى الله عليه وسلم ، فبمث عليا والزبير إليه ليقتلاه .

وروى ابن قانع ^(٢) أن رجلا جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله ، سمعت أبي يقول فيك قولاً قبيحاً فقتلته ، فلم يسق ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم ^(٣) .

وبلغ المهاجر ^(٤) بن أبي أمية أمير اليمن لأبي بكر رضى الله عنه أن امرأة هناك في الردة ^(٥) غتت بسب النبي صلى الله عليه وسلم ، فقطع يدها ، ونزع يمينها ^(٦) ، فبلغ أبا بكر رضى الله عنه ذلك ؛ فقال له : لولا ما فعلت لأمرتك بقتلها ، لأن حد الأنبياء ليس يشبه الحدود .

وعن ابن عباس : هجّت امرأة من خطمة النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : من لي بها ^(٧) ؟ فقال رجل من قومه : أنا يا رسول الله . فهض فقتلها ، فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال لا ينتطح فيها عنزان ^(٨) .

(١) رواه عبد الرزاق أيضا في جامعه ، عن سعيد بن جبير .

قال الخفاجي : المراد أنه أسند إليه افتراء فيه نقص له ؛ ككونه ساحرا ونحوه ، وإلا فمجرد الكذب عليه صلى الله عليه وسلم لا يوجب القتل .

(٢) ابن قانع : هو الإمام الحافظ عبد الباقي بن قانع ، أبو الحسين الأموي .

(٣) قال الخفاجي : ولو لم يكن قتله مشروعا كان أكبر كبيرة بعد الكفر ، لما فيه من القتل

والعقوق .

(٤) رواه ابن سعد ، وابن عساكر . وفي ب : وبلغ - بتشديد اللام . وللمهاجر - بضم

الراء .

(٥) في الردة : في زمن ردة بعض أهل اليمن في خلافة الصديق .

(٦) ثنيتها : هي السن المتقدمة .

(٧) من لي بها : من يقوم لأجل حق عليه بقتلها ؟

(٨) لا ينتطح فيها عنزان ؛ أى ذهب دمها هدرا من غير مبالاة أحد به ؛ وهو مثل ضربه =

وعن ابن عباس ^(١) أن أعمى كانت له أمٌ ولِدِ تَسُبُّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَزِجُهَا ^(٢) فلا تَنْزِجِرُ ، فلما كانت ذات ليلةٍ جعلت تَقَعُ في النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَشْتَمُهُ ، ففقتلها ، وأَعْلَمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِذَلِكَ ، فَأَهْدَرَ دَمَهَا ^(٣) .
وفي حديثِ أَبِي بَرَزَةَ ^(٤) الأَسْلَمِيُّ : كُنْتُ يَوْمًا جَالِسًا عِنْدَ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ ، فَغَضِبَ عَلَيَّ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ - وَحَكَى الْقَاضِي إِسْمَاعِيلُ وَغَيْرُهُ وَاحِدًا مِنَ الْأُمَّةِ فِي هَذَا الْحَدِيثِ أَنَّهُ سَبَّ أَبَا بَكْرٍ .

ورواه النَّسَائِيُّ : أُتِيَ أَبُو بَكْرٍ ، وَقَدْ أَغْلَظَ لِرَجُلٍ فَرَدَّ عَلَيْهِ ؛ قَالَ : فَقُلْتُ : يَا خَلِيفَةَ رَسُولِ اللهِ ، دَعْنِي أَضْرِبْ عُنُقَهُ . فَقَالَ : اجْلِسْ ، فَلَيْسَ ذَلِكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

= النبي صلى الله عليه وسلم للأمر الذي يقع من غير خاف فيه ولا نزاع ؛ لا ينتطحن ، وإنما يتشامان ويفترقان ، والنطاح إنما يكون بين التيوس والكباش . وأول من تكلم بهذا المثل هو النبي صلى الله عليه وسلم .

وهذه المرأة هي عصاء بنت مروان، من بنى أمية . وكانت شاعرة تؤذى المسلمين ، وتهجو رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتمحرض عليه .

والمثل في النهاية - نطح . وجمهرة الأمثال : ٢ - ٤٠٣ ، والقصة كلها في منازي الواقدي :

١٣٢ ، ١٧٣ ، ١٧٤

(١) فيما رواه أبو داود ، والحاكم ، والبيهقي ، وصححه .

(٢) يزجرها : يمنها وينهاها .

(٣) فأهدر النبي دمها ؛ أى قال له : إنه هدر لا إثم فيه ولا عقوبة ، ولا شيء يحتسب منه .

(٤) هو فضة بن عبيد بن الحارث ، أسلم قديما ، وشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم

للشاهد ، وتوفي بالبصرة سنة أربع وستين .

وهذا الأثر رواه أبو داود ، والحاكم ، والبيهقي ، وصححه .

قال القاضي أبو محمد بن نصر^(١) : ولم يخاف عليه أحد^(٢) ؛ فاستدل الأمة بهذا الحديث على قتل من أغضب النبي صلى الله عليه وسلم بكل ما أغضبه^(٣) أو آذاه أو سبه .

ومن ذلك كتاب عمر بن عبد العزيز إلى عامله بالكوفة ، وقد استشاره في قتل رجل سب عمر رضي الله عنه ؛ فكتب إليه عمر : إنه لا يحل قتل امرئ مسلم بسب أحد من الناس إلا رجلا سب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فن سبه [٢٤٥] فقد حل دمه .

وسأل الرشيد^(٤) مالكا في رجل شتم النبي صلى الله عليه وسلم ، وذكر له أن فقهاء العراق أفتوه بجلده^(٥) ؛ فغضب مالك ، وقال : يا أمير المؤمنين ؛ ما بقاء الأمة بعد شتم نبيها ! من شتم الأنبياء قتل ، ومن شتم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم جلد^(٦) .

قال القاضي أبو الفضل رحمه الله تعالى : كذا وقع في هذه الحكاية ، رواها غير واحد من أصحاب مناقب مالك^(٧) ومؤاني أخباره وغيرهم ؛ ولا أدري من هؤلاء

(١) هو القاضي عبد الوهاب المالكي البندادي الأديب ، وهو من شعراء اليتيمة .
(٢) ولم يخالف عليه أحد ؛ أي إن أبا بكر رضي الله عنه لما ذكر هذا بمحضر من الصحابة لم يخالفه فيه أحد منهم ؛ فدل على أن قتل من سب النبي صلى الله عليه وسلم اتفقت عليه الصحابة .

(٣) بكل ما أغضبه من قول أو فعل ، قل أو كثر . والحديث في سنن النسائي : ٧-١٨٥ ، وفي مسند الطيالسي : ٣ ، ومسند أحمد : ٦٩ ، ٧٢ .

(٤) الرشيد : هارون الرشيد الخليفة العباسي .

(٥) بجلده ؛ أي بجد القذف .

(٦) قال في نسيم الرياض (٤ - ٣٩٩) : وهذا مذهب من غير فرق بين كافر ومسلم ،

وبين التائب وغيره . (٧) أي ممن اعتنوا بمناقبه ودونوها .

الفتهاء بالعراق الذين أفتوا الرشيد بما ذكر^(١) ! وقد ذكرنا مذهب العراقيين بقتله، ولعلمهم ممن لم يشهر بعلمه، أو من لا يوثق بفتواه، أو يعامل به هواه^(٢)، أو يكون ما قاله يحمل على غير السب؛ فيكون الخلاف: هل هو سب أو غير سب؟ أو يكون^(٣) رجع وتاب من سبه، فلم يقله لمالك على أصله^(٤)؛ وإلا فالإجماع على قتل من سبه كما قدمناه.

وبدل على قتله من جهة النظر والاعتبار^(٥) أن من سبه أو تنقصه صلى الله عليه وسلم فقد ظهرت علامة مرض قلبه، وبرهان سري طويته^(٦) وكفره؛ ولهذا ما حكم له كثير من العلماء^(٧) بالردة، وهي رواية الشاميين عن مالك والأوزاعي^(٨)، وقول الثوري، وأبو حنيفة، والكوفيين.

والقول الآخر أنه^(٩) دليل على الكفر، فمقتله حداً، وإن لم يمنكم له

(١) بما ذكر من جلده وحده كجد غيره مما لم يذهب إليه أحد من أصحاب المذاهب، لاسياً إذا حمل على ظاهر إطلاقه.

(٢) الهوى: ما يجيء من غير تحقيق ونظر للحق.

(٣) أو يكون؛ أي المستقى فيه.

(٤) على أصله: على الوجه الذي ورد، ووقع عليه، واستقى فيه، فأجيب بما قالوه.

(٥) من جهة النظر والاعتبار؛ أي التأمل في موجبات القتل شرعاً، ليعلم من تتبعها أن

النظر والمقل السليم يدل عليه، والمراد به هنا القياس.

أردف به ما تقدم من الآيات والأحاديث وإجماع الأمة؛ ليفيد أنه ثابت بجميع الأدلة؛

والقياس يسمى اعتباراً في القرآن، في قوله تعالى: «فاعتبروا بأولى الأبصار»؛ فإن الأصوليين اثبتوه بهذه الآية.

(٦) سر طويته: ما أخفاه في نفسه، وأضمره في قلبه.

(٧) له؛ أي على الساب وللتقص. والردة: الخروج من الإسلام بقول أو فعل أو اعتقاد

قام عليه دليل؛ وهذا إذا كان مسلماً لا كافراً أصلياً.

(٨) الأوزاعي: عبد الرحمن، أبو عمرو.

(٩) أنه؛ أي السب والتقص.

بالكفرِ إلا أن يكون متنادياً^(١) على قوله ، غير مُنكِرٍ له ، ولا مُقلِّعٍ^(٢) عنه ؛ فهذا كافر ؛ وقوله : إما صريحٌ كُفْرٍ كالتكذيب^(٣) ونحوه ، أو من كلمات الاستهزاء والذم ، فاعترافه بها وتركُ تَوْبَتِهِ عنها دليلٌ استِحْلالٍ لذلك ، وهو^(٤) كُفْرٌ أيضاً ؛ فهذا كافر بلا خلاف^(٥) ؛ قال اللهُ تعالى في مثله^(٦) : ﴿ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ ﴾ .

(١) إلا أن يكون الساب متنادياً ، أى مستمرا في مدى ومدة طويلة .

(٢) مقلع عنه : راجع عنه .

(٣) كالتكذيب له صلى الله عليه وسلم بإنكار نبوته ، أو إنكار ما جاء به للافتراء عليه .

(٤) وهو ؛ أى الاستحلال .

(٥) قال في نسيم الرياض (٤ - ٤٠١) :

بلاخلاف ؛ أى بين المسلمين وأئمة الدين في كفره . وهذا بناء على أنه فرق بين قتل المرتد وقتل الحد المذكور . وقد قال السبكي في « السيف المسلول على من سب الرسول » : المرتد يقتل بالنص والإجماع ؛ وتوبته مقبولة عند الأكثر إن لم يكن زنديقاً ، وليس قتله كقتل الكافر الأصيل كما فصله الفقهاء .

فعلم من هذا أن علة قتله ليس مطلق الكفر ، بل خصوص مطلق الردة ؛ ولذا جعلها الغزالي من الجنايات الموجبة للعقوبة ؛ كالبنى والسرقه . وحكوه عن غيره ؛ وقالوا : قتل المرتد حد يسقط بإسلامه ؛ وهو التحقيق . ومن ظن أن من سماه حدا فهو عنده لا يسقط بالإسلام فهو مخطئ .

والحد : هو العقوبة المقدرة من جهة الشارع ، وهل المعاقب عليه في الردة خصوص الكفر بعد الإسلام ، أو قطع الإسلام بالكفر ؛ وهو معنى غير الأول ؛ فالسب المسلم مرتد فقتله حد ، وكذا الكافر ؛ فالخلاف في قتله ؛ هل هو حد أو كفر — لفظى لم تظهر له فائدة .

(٦) سورة التوبة ، آية ٧٤ ، والذين يحلفون بالله هم المنافقون ، ما قالوا : الاستهزاء الذى قالوه في غزوة تبوك من أن من يزعم أنه سيفتح قصور الشام وحصونه شر من الحجر ، هيات ! هيات !

قال أهل التفسير : هي قولهم : إن كان ما يقول محمد حقا لنحن شر من الحمير (١) .

وقيل : قول بعضهم : ما مثلنا ومثل محمد إلا قول القائل (٢) : سمن كلبك بأأك ؛ وأتينا رجعتنا إلى المدينة ليخرب جن الأعز منها الأذل (٣) .

وقد قيل : إن قائل مثل هذا إن كان مستترا (٤) به إن حكمه حكم الزنديق يقتل ، ولأنه قد غير دينه (٥) ، وقد قال صلى الله عليه وسلم : « من غير

(١) شر من الحمير ؛ أى أجبن منها لحما وبلادنا .

(٢) قول القائل في مثل قديم ، بضرب لمن يحسن لأحد فيسوء إليه . والمثل في جمهرة

الأمثال : ١ — ٥٢٥

(٣) الأعز — يريد نفسه، والقائل هورئيس للنافقين عبد الله بن أبي بن سلول . والأذل :

بعض بهم المؤمنين كلهم .

وكان سبب هذه القالة أن رجلا من المهاجرين ورجلا من الأنصار جرى بينهما أمر ، فصاح الأنصارى : يا للأنصار والمهاجرى : يا للمهاجرين ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : دعوها ، فإنها جاهلية مستقدرة . فقال ابن أبي أبي : أو فعلوها ؟ ثم قال لقومه : ماذا فعلتم بأنفسكم ؛ أنزلتوهم بلادكم ، وقاسمتوهم أموالكم وطعامكم ! أما والله لو أمسكتم عنهم لم يركبوا رقابكم ، وأوشكوا أن يتحولوا عن عهد ، فلا تنفوا عليهم حتى ينفضوا عنه

فلما بلغ زيد رضى الله عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاله أنكر ، وحاف لرسول الله ، فصدقه ، وحزن زيد حتى نزل القرآن بتصديقه .

فقال عمر : دعنى أضرب عنقه . فأبى رسول الله ، وتكرم بكفه عنه لأجل ولده . فلما أراد ابن أبي دخول المدينة منه ابنه رضى الله عنه ، وقال : لا تدخلها حتى تقول : إنك الأذل ، ويأذن لك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإلا ضربت عنقك .

فقال : ويحك ! أأهل أنت ؟ قال : نعم . فلما رأى الجدم منه قال : أشهد أن العزة لله ورسوله وللمؤمنين .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم له : جزاك الله عن رسوله وعن المؤمنين خيرا .

(٤) مستترا به عن المسلمين بحيث لم يظهره لهم ولم يسموه منه .

(٥) يقتل ، لأنه مثل الزنديق في إخفاه الكفر وإظهاره الإيمان بفيه ، فيقتل لذلك . ولأنه

قد غير دينه فصار كالمرتد .

دِينَهُ فَاضْرِبُوا عُنُقَهُ^(١)» ؛ وَلَآنَ لِحُكْمِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْحُرْمَةِ^(٢) مَزِيَّةً عَلَى أُمَّتِهِ ؛ وَسَابُّ الْحُرِّ مِنْ أُمَّتِهِ يُحَدُّ^(٣) ، فَكَانَتْ الْعُقُوبَةُ لِمَنْ سَبَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْقَتْلَ ، لِعَظِيمِ قَدْرِهِ ، وَشَفُوفِ مَنْزِلَتِهِ عَلَى غَيْرِهِ^(٤) .

فصل

فَإِنْ قُلْتَ : فَلِمَ لَمْ يَقْتُلِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْيَهُودِيَّ الَّذِي قَالَ لَهُ : السَّامُ عَلَيْكُمْ ؛ وَهَذَا دَعَاءٌ عَلَيْهِ^(٥) ؛ وَلَا قَتَلَ الْآخَرَ الَّذِي قَالَ لَهُ : إِنَّ هَذِهِ لِنَسْمَةٍ مَا أُرِيدُ بِهَا وَجْهَ اللَّهِ^(٦) ، وَقَدْ تَأَذَّى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ ذَلِكَ ؛ وَقَالَ : قَدْ أُذِيَّ مُوسَى بِأَكْثَرٍ مِنْ هَذَا فَصَبِرَ ؛ وَلَا قَتَلَ الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ كَانُوا يُؤْذُونَهُ فِي أَكْثَرِ الْأَحْيَانِ^(٧) .

فَاعْلَمْ - وَفَقْنَا اللَّهَ وَإِيَّاكَ - أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ أَوَّلَ الْإِسْلَامِ يَسْتَأْتِفُ^(٨) عَلَيْهِ النَّاسَ ، وَيُيْمِلُ قُلُوبَهُمْ ، وَيَجْتَبِئُ إِلَيْهِمُ الْإِيمَانَ ، وَيَزِينُهُ فِي قُلُوبِهِمْ ،

(١) فاضربوا عنقه إن لم يتب . وقيل بقبول توبته برجوعه لدينه .

واستدل بهذا الحديث على قتل الزنديق من غير استتابة . وقال الشافعي : تقبل توبته مطلقا كالمتردد . وعن أبي حنيفة روايتان .

(٢) الحرمة ، أى احترامه وتوقيره وصيانته جانبه . مزية على أمة ، فلا يسوى بينه وبينهم فيما يخصه ؛ فيزاد في جزاء من سبه على حد غيره لرفعة محله .

(٣) يحدد حد قذف بشروطه إن استحقه ، وإلا يعزر .

(٤) شفاف منزلته : زيادة منزلته .

(٥) رواه البخارى وغيره : صحيح البخارى : ٨ - ١٥

(٦) الذى قال ذلك هو ذو الحويصرة التميمى الخارجى ، ويقال له حرقوص ، وكانت

هذه القسمة يوم حنين . وهذا فى حديث رواه البخارى أيضا : صحيح البخارى : ١ - ٣١

(٧) قال الحنفى : فكيف هذا مع ماتقدم من الأدلة والإجماع الذى حكاه المصنف ؟

وقوله : فاعلم - جواب عن هذا الإشكال .

(٨) يستألف : يتألف عليه الناس ؛ أى يطاب ألفتهم وتأنيسهم لقرب عهدهم بالإسلام ،

وفيه الأعراب الجفأة ، حتى يثبته على الإسلام ، فيداوى أمراض قلوبهم بمفوه وكرمه .

ويداريهم^(١) ، ويقول لأصحابه : « إِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُبَشِّرِينَ وَلَمْ تُبْعَثُوا مُنْفِرِينَ^(٢) » .
 ويقول : « يَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا ، وَسَكِّنُوا^(٣) وَلَا تُنْفِرُوا » .
 ويقول [٢٤٦] : « لَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ » .
 وكان صلى الله عليه وسلم يَدَارِي الكَفَّارَ^(٤) وَالمُنَافِقِينَ ، وَيُجْمِلُ صُحْبَتَهُمْ^(٥) ،
 وَيُبْغِضِي^(٦) عَنْهُمْ ، وَيَحْتَمِلُ مِنْ أَذَاهُمْ ، وَيَبْصِرُ عَلَى جَفَائِهِمْ^(٧) مَا لَا يَجُوزُ لَنَا الْيَوْمَ
 الصَّبْرُ لَهُمْ عَلَيْهِ ؛ وَكَانَ يُرْفِقُهُمْ^(٨) بِالْمِطَاءِ وَالْإِحْسَانِ ؛ وَبِذَلِكَ أَمَرَهُ اللهُ تَعَالَى ؛
 فَقَالَ تَعَالَى^(٩) : ﴿ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ ، فَاعْفُ عَنْهُمْ
 وَأَصْفَحْ ، إِنَّ اللهَ يَحِبُّ الْمُحْسِنِينَ^(١٠) ﴾ .

(١) يداريهم : يعاملهم بملاطفته لهم ورفقه بهم .
 (٢) ميسرين : مسهلين مسامحين ، لا معسرين مشددين على من قرب عهده بالإسلام .
 منفرين للناس عن الإسلام ، أى بشدة وغلظة تحمل الناس على نفورهم عنكم بمفارقةهم
 وتشقتهم عنكم .

(٣) وسكنوا ؛ أى أقروا الناس على ما هم عليه ، ولا تسكفوهم بما لم يألفوه : صحيح
 البخارى : ٨ — ٣٦

(٤) يداري الكفار ؛ بتلطفه بهم وإحسانه وعفوه عنهم . (٥) ويجمل : يحسن .

(٦) ويبغضي عنهم : الإغضاء : العفو والتجاوز والسكوت .

(٧) على جفائهم : على غلظة طباعهم المقتضية لعدم الأدب في الأقوال والأفعال .

(٨) يرفقهم : يصلهم وينفهمهم .

(٩) سورة المائدة ، آية ١٣

(١٠) على خائنة منهم ؛ على طائفة خائنة ، أو خيانة تصدر منهم في حقتك ، أو فعلة خائنة ،

أو نفس خائنة . إن الله يحب المحسنين : الذين يجزون السيئة بالحسنة ، ويتجاوزون عما سلف .
 قال الخفاجي : وهذه الآية نزلت في اليهود الذين كانوا في زمن نبينا صلى الله عليه وسلم ؛
 بياناً لأنهم من شأنهم الخيانة ، وأنه موروث آباءهم ؛ وأمره بالعفو عنهم بشرط المعاهدة
 أو نحوها . أو هذه الآية منسوخة .

والقليل المستثنى من آمن به صلى الله عليه وسلم منهم كابن سلام .

وَقَالَ تَعَالَى (١) : ﴿ اذْفَعْ بِالتِّي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ .

وذلك لحاجة النَّاسِ لِلتَّأَلُّفِ أَوْلَى الْإِسْلَامِ ، وَجَمْعِ الْكَلِمَةِ عَلَيْهِ ؛ فَلَمَّا اسْتَقْرَرَتْ وَأَظْهَرَهُ اللهُ عَلَى الدِّينِ (٢) كَلَّهُ قَتَلَ مَنْ قَدَّرَ عَلَيْهِ ، وَاشْتَهَرَ أَمْرُهُ ، كَفِعْلِهِ بِابْنِ خَطَلٍ ، وَمَنْ عَهْدَ بِقَتْلِهِ يَوْمَ الْفَتْحِ (٣) ، وَمَنْ أَمْسَكَهُ قَتَلَهُ غِيْلَةً (٤) مِنْ يَهُودٍ وَغَيْرِهِمْ ؛ أَوْ غَلَبَةً (٥) يَمِّنُ لَمْ (٦) يَنْظُمُهُ قَبْلَ سِلْكِ صُحْبَتِهِ ، وَالْإِنْخِرَاطُ فِي جُمْلَةٍ (٧) مُظْهِرٌ لِلْإِيمَانِ لَهُ يَمِّنُ كَانَ يُؤْذِيهِ ؛ كَابْنِ الْأَشْرَفِ ، وَأَبِي رَافِعٍ ، وَالنَّضْرِ ، وَعُقْبَةَ (٨) . وَكَذَلِكَ نَذَرَ (٩) دَمَ جَمَاعَةٍ سِوَاهُمْ ؛ كَكَعْبِ بْنِ زَهْرٍ (١٠) ،

(١) سورة فصلت ، آية ٣٤

أى لا يزال إحسانك إليه حتى يصيره كالصديق الذى بينك وبينه مصافاة وموالاتة .
والحميم : الصديق المصافي .

(٢) على الدين كله ؛ أى على كل دين وملة .

(٣) وذلك يوم الفتح ؛ حين أمر بقتله يوم فتح مكة ، ولو وجد متملقا بأستار الكعبة ومن عهد بقتله ؛ أى أوصى المسلمين بقتله يوم فتح مكة .

(٤) غيلة : خفية ومخادعة ، كابن الأشرف ، وابن أبي الحقيق .

(٥) أو غلبة ، أى وقتل أيضا من أمكنه قتله من غير إخفاء ، أى بطريق الخفية والقهر ،

كأبي عزة الجمحي .

(٦) لم ينظمه : لم يشمله .

(٧) سلك صحبته : بإسلامه ومتابعتة له صلى الله عليه وسلم . والإنخراط : الدخول .

(٨) النضر بن الحارث ، وعقبة بن أبي معيط .

(٩) نذر : أوجب ، أو هو أهدر .

(١٠) كان كعب بن زهير قد قال بعد إسلام أخيه شعرا يعرض فيه بالنبي صلى الله عليه

وسلم ، فكاتب إليه أخوه كتابا يقول فيه : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أهدر دماء قوم

ككعب بن أبي وهب ، وابن الزبيرى ؛ فإن كان لك حاجة فى نفسك فطر إليه ، فإنه —

صلى الله عليه وسلم — يقبل من أتاه تابئا . فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلى =

وابن الزُّبَيْرِ^(١) وغيرهما ممن آذاه حتى ألقوا بأيديهم^(٢)، ولقوه مسلمين .

وبوَاطِنُ الْمُنَافِقِينَ مُسْتَتِرَةٌ، وَحُكْمُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الظَّاهِرِ^(٣)،
وَأَكْثَرُ تِلْكَ الْكَلِمَاتِ^(٤) إِنَّمَا كَانَ يَقُولُهَا الْقَائِلُ مِنْهُمْ خُفِيَّةً وَبِعِ امْتِثَالِهِ، وَيَحْلِفُونَ
عَلَيْهَا إِذَا نُمِيتَ^(٥)، وَيَنْسَكِرُونَهَا، وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا، وَانْقَادُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ^(٦)؛

== الصبح ، فلما فرغ جلس بين يديه ، ووضع يده في يده ، وقال : يا رسول الله ؛ إن كعبا جاء تابئا مسلما ، أتقبله ؛ قال : نعم — وهو لا يعرفه . فقال : أنا كعب ؛ فوثب عليه رجل من الأنصار ، وقال : يا رسول الله ؛ دعني أضرب عنقه ، فقال : دع ، فإنه جاء تابئا . فنضب كعب على الأنصاري ، لأنه لم يقل فيه أحد من المهاجرين إلا خيرا ، وأنشده — صلى الله عليه وسلم — تصيدته المشهورة ، وألبسه بردته .

(١) ابن الزبيرى : هو عبد الله بن الزبيرى ، كان شاعرا مجيدا شجاعا ، من أشد الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم بطول لسانه وسفهيه .

وكان قد فر هو وزوجته أم هانئ بنت أبي طالب إلى نجران ، فقالوا له : ما وراءك ؛ فقال : إن محمدا قتل قريشا ، وفتح مكة ، وأراه سائرا السك .

ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم في أصحابه ، فلما رآه قال : هذا ابن الزبيرى في وجهه نور الإسلام ، فوقف عنده ، فقال : السلام عليكم ؛ أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله ، والحمد لله الذى هدانا للإسلام ؛ وقد أجلبت على عداوتك حتى هربت إلى نجران ، وأنا أريد ألا أقرب الإسلام أبدا ؛ ثم أراد الله بي خيرا ؛ فألقاه في قلبي ، وحببه إلى ، وكره ما كنت فيه من الضلالة واتباع ما لا ينفع ولا يعقل ؛ من حجر يعبد ويدبح له .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الحمد لله الذى هدانا للإسلام ، إن الإسلام يجب ما قبله .

(٢) ألقوا بأيديهم : انتقادوا له واستسلموا .

(٣) على الظاهر ، وهو الإسلام المانع من قتلهم ؛ وهذا لأجل التشريع لأتمته بعمده ، وإن أطلعه الله على أسرارهم .

(٤) وأكثر تلك الكلمات ؛ هى التى قصد المنافقون بها تنقيصه صلى الله عليه وسلم وذمه .

(٥) إذا نُمِيت : نقلت وبانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

(٦) كلمة الكفر ؛ أى الكلمة التى يكفر بها قائلها ، أو التى إنما تصدر عن الكفرة وأعداء الدين .

وكان مع هذا يَطْمَعُ في قِيَّتِهِمْ ، ورجوعهم إلى الإسلام ، وتَوَبَّيْتِهِمْ ؛ فَيَصْبِرُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على هَنَاتِهِمْ ^(١) وَجَفْوَتِهِمْ ، كما صبر أولو العزم ^(٢) من الرُّسُلِ حتى فاء كثير منهم باطناء ، كما فاء ظاهراً ^(٣) ، وأخلص سيراً كما أظهر جَهراً ، ونفع اللهُ بَعْدُ بكثير منهم ؛ وقام منهم للدين وُزراء ^(٤) وأعوانٌ ومُحَامَةٌ وأنصار كما جاءت به الأخبار .

وبهذا أجاب بعضُ أُمَّتِنَا رَحِمَهُمُ اللهُ عن هذا السؤال ^(٥) .

وقال : لعله لم يَنْبُتْ عنده صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أقوالهم ما رُفِعَ ^(٦) ؛ وإنما نقله الواحدُ وَمَنْ لم يَصِلْ رُتْبَةَ الشَّهَادَةِ في هذا الباب ^(٧) ؛ من صَبِيٍّ أَوْ عَبْدٍ أَوْ امْرَأَةٍ ؛ والدماء لا تُسْتَبَاحُ إِلَّا بَعْدَ آيِنٍ ^(٨) .

وعلى هذا يُحْمَلُ أمرُ الْيَهُودِ في السلام ، وأنهم لَوَا ^(٩) أَسِنَّتَهُمْ ، ولم يبيِّنُوهُ ؛

(١) هَنَاتِهِمْ : يريدُ قبائحهم . وجفوتهم ؛ أي ماصدر عنهم من الأقوال والأفعال القبيحة لفظ طبايعهم وسوء أدبهم .

(٢) أولو العزم من الرسل : هم الذين كانوا ذوي عزيمة قوية وثبات في دعوة الناس إلى الدين . (٣) فاء : رجع عن نفاقه ، غلص إيمانه في قلبه .

(٤) وزراء : أعوان .

(٥) في نسيم الرياض (٤ — ٤١٠) : والحاصل أنه كان الحكمة ؛ وهو أنه وقع والإسلام لم يقو القوة البالغة ، فصبر لعل الله يهديهم ويقوى بهم الدين ؛ وقد وقع ذلك للكثير منهم ، وكان الصبر عليهم والعمو عنهم جائزاً له - صلى الله عليه وسلم .

والجواب الثاني : أنهم كانوا يخفون ويتكلمون به بمجلة وخفض أصوات ، ولا يطلع الناس عليه ، والعقاب على الكفر إنما يكون على الظاهر دون الخفي .

(٦) مارفع : ما وصل إليه وبلغه .

(٧) في هذا الباب ؛ أي النوع المقتضى للقتل .

(٨) بمديلين : ذكرين حرين . وإعلام الله تعالى له بعد حكمه بالظاهر ونفوذ حكمه لا يخالفه .

(٩) اللى : قتل الألسنة ولها بسرعة حتى يخفى ويظن أنهم قالوا : السلام . . . (صحيح

أَلَا تَرَى كَيْفَ نَبَّهَتْ عَلَيْهِ ^(١) عَائِشَةُ ؛ وَلَوْ كَانَ صَرَخَ بِذَلِكَ لَمْ تَنْفَرِدْ بِعِلْمِهِ ؛
 وَهَذَا نَبَّهَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَصْحَابَهُ عَلَى فِعْلِهِمْ ، وَقِلَّةِ صِدْقِهِمْ فِي سَلَامِهِمْ ،
 وَخِيَاتِهِمْ ^(٢) فِي ذَلِكَ لِيَأْ بِالسُّنْتِهِمْ ، وَطَعْنًا فِي الدِّينِ ؛ فَقَالَ : إِنَّ الْيَهُودَ إِذَا سَلَّمَ أَحَدُهُمْ
 فَإِنَّمَا يَقُولُ : السَّامُ عَلَيْكُمْ ، فَقُولُوا : عَلَيْكُمْ .

وَكَذَلِكَ قَالَ بَعْضُ أَصْحَابِنَا الْبَغْدَادِيِّينَ : إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَقْتُلِ
 الْمُنَافِقِينَ بِعِلْمِهِ فِيهِمْ ^(٣) ؛ وَلَمْ يَأْتِ أَنَّهُ قَامَتْ بَيْنَهُ عَلَى نِفَاقِهِمْ ؛ فَلِذَلِكَ تَرَكَهُمْ .

وَأَيْضًا فَإِنَّ الْأَمْرَ كَانَ سِرًّا وَبَاطِنًا ، وَظَاهِرُهُمُ الْإِسْلَامُ وَالْإِيمَانُ ؛ وَإِنْ كَانَ
 مِنْ أَهْلِ الذِّمَّةِ بِالْعَهْدِ وَالْجِوَارِ ^(٤) ، وَالنَّاسُ قَرِيبٌ عَنْهُمْ بِالْإِسْلَامِ ، وَلَمْ يَتَمَيَّزْ
 بَعْدُ الْخَبِيثُ مِنَ الطَّيِّبِ ^(٥) .

وَقَدْ شَاعَ عَنِ الْمَذْكُورِينَ ^(٦) فِي الْعَرَبِ كَوْنُ مَنْ مُتَّبِعَهُمُ بِالنِّفَاقِ ^(٧) مِنْ جَمَلَةٍ

(١) نَبَّهَتْ عَلَيْهِ عَائِشَةُ حَيْثُ رَدَّتْهُ عَلَيْهِمْ بِقَوْلِهَا : عَلَيْكُمْ السَّامُ وَالذَّمُّ وَاللَعْنَةُ ؛ وَنَهَاهَا
 رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَمَرَهَا بِالرَّفْقِ ، وَقَالَ : إِنِّي أُرِدُّ عَلَيْهِمْ فَيَسْتَجِيبُ لِي
 وَلَا يَسْتَجِيبُ لَهُمْ . (٢) وَخِيَاتِهِمْ فِي ذَلِكَ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ .

(٣) يَعْلَمُهُ فِيهِمْ وَبِمَا فِي نَفْسِهِمْ ، مَعَ أَنَّهُ عَالِمٌ بِهِمْ ، وَأَطْلَعَهُ اللَّهُ عَلَى سِرِّهِمْ نِفَاقِهِمْ ، وَإِنْ كَانَ
 لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَقْضَى بِعِلْمِهِ .

قَالَ الْخَفَاجِيُّ : وَإِنَّمَا الْمُنَافِقُ عَنْهُ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَرَ بِالْعَمَلِ بِالظَّاهِرِ فِي أَكْثَرِ
 أَحْوَالِهِ تَشْرِيمًا لِأُمَّتِهِ ، وَكَانَ ذَلِكَ فِي ابْتِدَاءِ الْإِسْلَامِ ، تَأْلِيفًا لِلْقُلُوبِ حَتَّى يَهْدِيَهُمُ اللَّهُ ، وَلَا تَنْفَرُ
 قُلُوبٌ مِنْ يَرِيدُ الدَّخُولَ فِي الْإِسْلَامِ وَتَكْفُفُ السَّنَةَ لِلطَّاعِنِينَ بِقَوْلِهِمْ : إِنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ .

(٤) الْعَهْدُ : الدِّيثَاقُ بِالْأَلْفِ يَنْدُرُ بِهِ . وَالْجِوَارُ : الْأَمَانُ .

(٥) لَمْ يَتَمَيَّزْ بَعْدُ الْخَبِيثُ مِنَ الطَّيِّبِ : أَيُّ لَمْ يَعْلَمْ مِنْ أَخْلَصَ فِي إِسْلَامِهِ فَطَابَتْ سِرِّيَّتُهُ ،
 أَوْ لَمْ يَخْلُصْ فِي إِسْلَامِهِ ، فَفِيهِ بَقِيَّةٌ مِنْ خَبِيثِ الْكُفْرِ لَمْ تَظْهَرْ لِنِيرِهِ .

(٦) لِلْمَذْكُورِينَ : مِمَّنْ كَانَ مُنَافِقًا يَظْهَرُ إِسْلَامَهُ .

(٧) يَتَّبِعُهُمُ بِالنِّفَاقِ : أَيُّ يَتَّبِعُهُمْ خَلَصَ لِلْمُؤْمِنِينَ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ نَوَّرَهُمُ اللَّهُ بِصَافِرِهِمْ .

المؤمنين وصحابة سيد المرسلين، وأنصار الدين بحكم ظاهرهم؛ فلَوْ قتلهم النبي صلى الله عليه وسلم لنفاقهم وما يبدر^(١) منهم، وعلمه بما أسر^(٢)وا [٢٤٧] في أنفسهم لوجد المنفر^(٣) ما يقول، ولارتاب الشارد^(٤)، وأرجف المعاند^(٥)، وارتاع^(٥) من صحبة النبي صلى الله عليه وسلم، والدخول في الإسلام غير واحد، ولزعم^(٦) الزاعم، وظن العدو الظالم — أن القتل إنما كان للعداوة وطلب أخذ الترة^(٧).
وقد رأيت معنى ما حررتُه منسوبا إلى مالك بن أنس رحمه الله؛ ولهذا قال صلى الله عليه وسلم: لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه. وقال: أولئك^(٨) الذين نهاي الله عن قتلهم.

وهذا بخلاف إجراء الأحكام الظاهرة عليهم من حدود الزنا والقتل وشبهه، لظهورها واستواء الناس في علمها.
وقد قال محمد بن المواز^(٩): لو أظهر المنافقون نفاقهم لقتلهم النبي صلى الله عليه وسلم؛ وقاله القاضي أبو الحسن بن القصار.

(١) يبدر منهم: يخرج منهم بمجلة. وفي ب: يندر.

(٢) أسر: الذي يقصد تنفير الناس وصدعهم عن الدخول في الإسلام من المشركين وأعداء الدين.

(٣) ولارتاب الشارد: وقع في ريبة لخوفه من القتل من كان شارداً عن الدين ضالاً من الجاهلية والأعراب أباة الضيم.

(٤) أرجف المعاند: أتى بالأقوال الكاذبة التي يقصد بها التشجيع على الإسلام من كفر عنادا، كبعض المشركين الذين كانوا يحبون إشاعة مثله.

(٥) وارتاع: خاف من يسمع الأراجيف وعلم بالقتل.

(٦) زعم الزاعم: وجد صلة لكذبه من أراد الافتراء على الله ورسوله.

(٧) أخذ الترة: أخذ بثأر له عند العرب.

(٨) أولئك، أي المنافقون الذين لم أقتلهم، مع العلم بنفاقهم.

قال في نسيم الرياض: (٤ — ٤١٥): وهذا الحديث لم يخرجوه.

(٩) من أئمة المالكية.

وقال قتادة في تفسير قوله تعالى (١) : ﴿ اِنَّ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِبَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُحَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا . مَلْعُونِينَ اَيْنَمَا قُتِلُوا اُخِذُوا وَقُتِلُوا تَقْتِيلًا . سَنَةِ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِ وَلَنْ تَجِدَ لِسَنَةَ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾ (٢) .

قال : معناه إذا أظهروا النفاق (٣) .

وذكر محمد بن مسلمة في المبسوط ، عن زيد بن أسلم - أن قوله تعالى (٤) : يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ ، نسخها ما كان قبيلها (٥) .

(١) سورة الأحزاب ، آية ٦٠ - ٦٢

(٢) الذين في قلوبهم مرض ، أي فساد . والمراد المنافقون . والمرجفون في المدينة ، من الإرجاف ؛ وهو إشاعة الافتراء والكذب وهم المنافقون ؛ لأنهم كانوا يشيعون أخبارا تسوء للمؤمنين ؛ كقوة عدوهم ، وإصابة بعض سراياهم . لنغرينك بهم ؛ أي فأمرك بقتلهم ونسكهم . لا يحاورونك فيها ؛ أي لا يتيسر لهم الإقامة بها ، لقتلهم أو طردهم . إلا قليلا : إلا زمانا قليلا ، لموقع ما أغرينا بهم من القتل أو الإجماع . ملعونين : مطرودين مبعدين عن رحمة الله تعالى في الدنيا . تقفوا : أخذوا وتمكن منهم إذا وجدوا .

(٣) في نسيم الرياض (٤ - ٤١٦) : قيل : ما قاله قتادة مخالف للظاهر ؛ وإنما المراد منهم عن أذية رسول الله صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين ؛ ولذا قال الشعبي في تفسيره : إن ابن مسعود قال : جهاد المنافقين الإنكار عليهم ، والتعيب في وجوههم ، وترك الرفق بهم . وقيل : إنها نسخت .

(٤) سورة التوبة ، آية ٧٣

(٥) ما كان قبلها ؛ أي قبل نزولها من العفو والصفح عن أذيتهم له صلى الله عليه وسلم الذي كان قبل في قوله تعالى : فأعرض عنهم وتوكل على الله ؛ فإنه نهي أولا عن قتل المنافقين ، فنسخ بهذه الآية ، كما قاله الواحدى في سورة النساء .

قال في نسيم الرياض (٤ - ٤١٦) :

وجاهدة المنافقين عند الحسن وقتادة إقامة الحدود عليهم ، وعند مجاهد بالوعيد وإفشاء

أسرارهم .

ومن ذكر هذا وقال : لا نسلم أنها منسوخة لم يصب ؛ لأنه منع للقتل وهو خط . ويؤيد تأويل الجهاد في الآية قوله : وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ ، أى شدد وعيدهم ، وأنهم أجمعوا على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقتل أحدا من المنافقين إلى أن توفاه الله تعالى .

وقال بعضُ مشايخنا: لعلَّ القائل: هذه قسمةٌ ما أريدَ بها وَجْهُ اللهِ^(١)؛ وقوله: اعدِل - لم يفهم النبي صلى الله عليه وسلم منه الطعن عليه والتهمة له؛ وإنما رآها مِنْ وَجْهِ الغَاظِ في الرَّأْيِ، وأمور الدنيا، والاجتهادِ في مصالح أهلها؛ فلم ير ذلك سباً^(٢)، ورأى أنه من الأذى الذي له العنْوُ عنه والصَّبْرُ عليه؛ فلذلك لم يماقِبِه .

وكذلك يُقال في اليهود إذا قالوا: السامُ عليكم - ليس فيه صريحُ سَبٍّ ولادعاء إلا بما لا بُدَّ منه من الموتِ الذي لا بُدَّ من لحاقِه جميعَ البَشَرِ^(٣) .
وقيل: بل المرادُ^(٤) تسأمون دينكم . والسامُ والسامةُ: اللال .

وهذا دعاء على سامةِ الدِّينِ ليس بصريحِ سَبٍّ؛ ولهذا ترجم البخاري على هذا الحديث: بابٌ - إذا عرَّضَ^(٥) الذمِّيُّ أو غيره بسبِّ النبي صلى الله عليه وسلم .
قال بعضُ علمائنا: وليس هذا بتعريضٍ بالسبِّ؛ وإنما هو تعريضٌ بالأذى^(٦) .
قال القاضي أبو النضل^(٧): قَدْ قَدَّمْنَا أَنَّ الأذى والسبَّ في حقِّه صلى الله عليه وسلم سواء .

وقال القاضي أبو محمد بن نصرٍ مُجيباً عن هذا الحديث ببعضِ ما تقدّم؛ ثم قال:

(١) صحيح البخارى : ٨ - ٣١

(٢) قال الحفاجي : ويعد هذا أنه تثير وجهه الشريف ، وقال : يرحم الله أخى موسى ، لقد أودى بأكثر من هذا فصر .

(٣) فكل نفس ذائقة الموت .

(٤) المراد : المعنى الذى قصدوه . تسأمون دينكم : يضرجون من مشافهة قتلونه وتتركونه .

(٥) صحيح البخارى : ٩ - ٢٠ ، إذا عرض ؛ أى ذكر بطريق التعريض دون التصريح .

(٦) بالسب : لأنه الدم بصفات النقص التى لا تليق ، وإنما هو تعريض بالأذى ؛ أى بما يؤذى ويؤلم .

(٧) هو المؤلف : القاضي عياض .

ولم يذكر في الحديث: هل كان هذا اليهودي^(١) من أهل العهد والذمة أو الحرب^(٢)، ولا يُتركُ موجبُ الأدلة للأمر المُحتمل .

والأولى في ذلك كله والأظهر من هذه الوجوه مَقْصِدُ الاستتلاف^(٣) والمدارة على الدين لعلهم يؤمنون .

ولذلك تَرَجَّم البخارى على حديثِ القسمةِ والخوارج^(٤) : باب - مَنْ ترك قتالَ الخوارج للتأف .

ولثلاثينَ الناسُ عنه ، ولَمَّا ذَكَرْنَا معناهُ عن مالك^(٥) ، وقرَّرناه قَبْلُ .

وقد صبر لهم صلى الله عليه وسلم على سِحْرِهِ وَسَمِّهِ^(٦) ، وهو أعظمُ مِنْ سَبِّهِ إِلَى أَنْ نَصَرَهُ اللهُ عَلَيْهِمْ ، وَأَذِنَ لَهُ فِي قَتْلِ مَنْ حَبَّيْنَهُ^(٧) مِنْهُمْ وَإِنْزَالِهِمْ مِنْ صِيَابِهِمْ^(٨) ،

(١) هذا اليهودى : الذى صدر عنه ما ذكر .

(٢) من أهل العهد ؛ أى ممن وقع بينه وبين النبي صلى الله عليه وسلم عهد ؛ والذمة : الأمان . أو الحرب ؛ أى من المحاربين وأعداء الدين الذين لا عهد ولا ذمة لهم ، فينتقض عهده أو يهدر ردمه .

(٣) مقصد الاستتلاف ؛ أى قصد تأنيسهم وتأليف قلوبهم .

(٤) حديث القسمة ؛ أى الحديث الذى ذكر فيه قسمة الفنائم ، وقد قال له - صلى الله

عليه وسلم - بعض المنافقين : اعدل ، ما هذه قسمة أريد بها وجه الله .

وحديث الخوارج : كذى الخويصرة . وقد تقدم الحديث وتخريجه .

(٥) ذكرنا عن مالك . من أنه تركه لثلاثينَ رجف الناس ويرتاعوا ، ولثلاثينَ الطاعن في

الدين طريقاً لطمه فيه .

(٦) أى قد صبر صلى الله عليه وسلم على أعظم من السب والأذى ، فصبر لهم على سحره

الذى فطه اليهود . وسمه ؛ أى سم للرأفة اليهودية له ذراع شاة .

(٧) حينه : أهلكته ، من الحين وهو الهلاك .

(٨) وأنزلهم من صياصيمهم : أخرجهم من حصونهم وقلاعهم ومسآكنهم العالية بها . =

وقذف في قلوبهم الرعب، وكتب^(١) [٢٤٨] على من شاء منهم الجلاء، وأخرجهم من ديارهم، وخرّب بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين وكاشفهم^(٢) بالسب؛ فقال: يا إخوة القردة والحنازير^(٣)، وحكم فيهم سيوف المسلمين، وأجلّاهم من جوارهم

= والذين أنزلهم من حصونهم بنو قريظة، كانوا عاهدوه صلى الله عليه وسلم - الأبقانلوه ولايمينوا عليه عدوا، فلما تجمعت الأحزاب نقضوا العهد، وكان ابن أخطب من بني النضير أتى كعب بن أسد القرظي رئيس قريظة الذي عاهد رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فلما أتاه ابن أخطب أقفل باب حصنه، فناداه: افتح، فقال: اذهب فإنك مشتم، وقد عاهدت محمدا عهدا لا أنتضه، وإنه ينهى بعهده؛ فلم يزل يجتال عليه حتى أدخله حصنه، ولم يزل يقتل في الدورة والغارب حتى نقض عهده.

فلما بلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسل جماعة لينظروا هل نقضوا عهدهم أم لا. فلما أتوهم، وقالوا لهم: نبيذتم عهد رسول الله. قالوا: من رسول الله؛ وشأنهم، فأتوه عليه انصلاة والسلام، فأخبروهم بخبر، وأنهم ظاهروا أباسفيان؛ فأتاه جبريل وقال له: انهمض إلي بنى قريظة؛ فأبى تركتهم في زلزال ولبال.

فأتاهم وناداهم: يا إخوة القردة والحنازير؛ فقالوا: يا أبا القاسم؛ ما كنت فحاشا. ثم نزلوا على حكم سعد بن معاذ رضى الله عنه لخلف كان بينه وبينهم؛ فظنوه يتلطف بهم؛ فحكم فيهم بقتل المقاتلة منهم وسبي الذرية، وأن يمطى عقارهم المهاجرين دون الأنصار، لأنهم لاعتقارهم إذ ذاك.

فقال صلى الله عليه وسلم: قضى فيهم بحكم الله.

فأتى بهم سوق المدينة، وضرب أعناقهم، وهم قريب من تسعمائة.

(١) كتب: قدر. الجلاء: خروجهم من بلادهم. والذين أجلّاهم بنو النضير لما نقضوا العهد

إذ هموا أن يلقوا على رسول الله حجرا، فأخبره جبريل بذلك، فقام من عندهم؛ ثم رجع لهم وحاصرهم أياما؛ ثم ألقى الله تعالى في قلوبهم الرعب، فسألوه - صلى الله عليه وسلم - أن يجلبهم ويبيع لهم مقدار ما يحملونه معهم؛ فأجابهم، وفيهم نزلت سورة الحشر، فكان أحدهم يخرب بيته بيده...

(٢) كاشفهم: واجهمهم.

(٣) أى للشاهين لها في الحسة وقبح النظر.

[وأورثهم أرضهم وديارهم وأموالهم ، لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى]^(١) .

فإن قلت : فقد جاء في الحديث الصحيح^(٢) ، عن عائشة رضی الله عنها - أنه صلى الله عليه وسلم ما انتقم لنفسه^(٣) في شيء يؤتى إليه قط ، إلا أن تنتهك حرمة الله ، فينتقم لله^(٤) .

فاعلم أن هذا لا يقتضي أنه لم ينتقم ممن سبه أو آذاه أو كذبه ؛ فإن هذه^(٥) من حرمة الله التي انتقم لها ؛ وإنما يكون ما لا ينتقم له فيما تعلق بسوء أدب أو معاملة من القول أو الفعل بالنفس والمال مما لم يقصد فاعله به آذاه ، لكن مما جُمعت عليه الأعراب من الجفاء ، والجهل^(٦) ، أو جُبيل عليه البشر من الغفلة ، كجَبَذ^(٧) الأعرابي بإزاره حتى أثمر في عنقه ، وكرّفت الآخر^(٨) عنده ،

-
- (١) كلمة الله هي العليا ؛ أي نافذة . وكلمة الذين كفروا السفلى ؛ أي ملئاة مهملة ، فكأنها مرمية على الأرض . وما بين القوسين ساقط في أ .
- (٢) رواه البخاري وغيره : صحيح البخاري : ٨ - ٣٧ .
- (٣) لنفسه ؛ أي لأجل حق له صلى الله عليه وسلم في نفسه .
- (٤) قال الخفاجي : فهذا الحديث يقتضي أنه - صلى الله عليه وسلم - لا ينتقم ممن آذاه أو سبه ؛ وهو مناف لما تقدم .
- (٥) هذه : الأمور المذكورة ؛ من سبه وأذيته وتكذيبه .
- (٦) الجفاء : غلظة الطباع والجهل بحقوق الله وحقوق رسوله ، وعدم معرفتهم بآداب الصحبة .
- (٧) جبذ : جذب .
- (٨) هو ثابت بن قيس بن شماس ، وكان جهير الصوت ؛ فلما نزل قوله تعالى : لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي - لزم منزله ، فانتقده - صلى الله عليه وسلم ؛ فقال سعد بن معاذ : أنا أعلم علته ، وهو خوفه من الله لذلك .
- =

وكجَحَدِ الأعرابي شراءه منه فرَسَه التي شَهِدَ فيها خُزَيْمَةٌ^(١)؛ ولما كان مِن تَظَاهِرِ زَوْجِيهِ^(٢) عليه، وأشباه هذا مما يَحْسَنُ الصَّفْحُ عنه .

[وقد قل بعض علمائنا: إن أذى النبي صلى الله عليه وسلم حرام لا يجوز بفعل مباح ولا غيره . وأما غيره فيجوز بفعل مباح ما لا يجوز للإنسان فعله ، وإن تأذى به غيره . واحتج بمعوم قوله تعالى^(٣): ﴿إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله

= وقيل: إنما هي في وفد بني تميم لما نادوه من وراء حجراته - صلى الله عليه وسلم .
وقيل الأقرع بن حابس، وقيل غير ذلك .

(١) جحد الأعرابي: إنكاره . والأعرابي هو سواد بن قيس المحاربي . كما قال الذهبي وقال الخطيب: إنه سواد بن الحارث . وخزيمة هو ابن ثابت الأنصاري .

وهذا الحديث رواه البخاري وغيره ؛ وفيه أنه تبعه ليقضى حقه وجعل الناس يساومونه فقال: إن كنت مبتاعا فاشتر ، وإلا بعته . فقال له صلى الله عليه وسلم: أو ليس قد ابتعتك منك؟ فقال: هلم بشاهد . فقال خزيمة: أنا أشهد . فقال: بم تشهد؟ قال: بتصديقك يا رسول الله . فجعل شهادته بشهادة رجلين .

(٢) هما عائشة وحفصة . والتظاهر: الاتفاق على معاونة كل منهما للأخرى بتصديقها فيما تقول .

وكان مكثه - صلى الله عليه وسلم - عند زينب بنت جحش ، فسقته عسلا ، فاتفقا على أنه إذا جاء قالت له: أجد منك ريح مغاير - وهو بقل أو صمغ كريبه الرائحة - وكان صلى الله عليه وسلم لا يحب الرائحة الكريهة للقاتل الملك ، فلما سمعه - صلى الله عليه وسلم - قال: لا أعود .

(٣) سورة الأحزاب ، آية ٥٧

قال الخفاجي: استدل بإطلاق ما يؤذى ولمنة فاعله في الدارين على أنه كبيرة . ومثل للباح بقول بعض زوجاته له صلى الله عليه وسلم .

وقد كان الناس يتحرون بهداياهم يوم عائشة ؛ فقال صلى الله عليه وسلم لا تؤذوني في عائشة؛ فإن الوحي منزل على في لحاف امرأة غيرها . فلما علمن تأذيه تركن ذلك . فهو مقيد بمن لم يعلم تأذيه بالمباح ، فإن علم فهو حرام كغيره ، وهو ظاهر .

في الدنيا والآخرة) ، وبقوله صلى الله عليه وسلم في حديث فاطمة : إنها بضعة^(١) مني ، يؤذيني ما يؤذيها ، ألا وإني لأحرم ما أحل الله ، ولكن لا يجتمع ابنة رسول الله وابنة عدو الله عند رجل أبدا^(٢) . أو يكون هذا مما آذاه به كافر^(٣) وجاء بعد ذلك لإسلامه ؛ كعقوفه عن اليهودي الذي سحره^(٤) ؛ وعن الأعرابي^(٥) الذي أراد قتله ، وعن اليهودية التي سمته ؛ وقد قيل : قتلها .

ومثل هذا مما يبلغه من أذى أهل الكتاب والمنافقين ؛ فصفح عنهم رجاء استئلافهم واستئلاف غيرهم كما قررناه قبل ، وبالله التوفيق .

فصل

تقدم الكلام في قتل القاصد لسببه والإضرار به ، وغمضه^(٥) بأى وجه كان من الممكن أو محال^(٦) ؛ فهذا وجه بين لا إشكال فيه .
الوجه الثاني لاحق به في البيان والجلأ ؛ وهو أن يكون القاتل لما قال

(١) في حديث البخاري ، لما أراد علي رضي الله عنه أن يتزوج بنت أبي جهل على فاطمة الزهراء .

وبضعة : قطعة لحم مني كقطعة من بدني . قال الخفاجي : والحديث يدل على أن أذية غيره إذا آذته تحرم أيضا كأذية فاطمة رضي الله عنها ، وكذا أذية أحد من أولادها .

(٢) ما بين القوسين ساقط في ١ ، وهو في ب .

(٣) هو لبيد بن الأعصم . وكان صلى الله عليه وسلم يرجو إسلامه . وقد تقدم .

(٤) الأعرابي الذي أراد قتله فهو غورث بن الحارث . وقيل إنه دعشور . وللهودية التي

سمته هي زينب بنت الحارث .

(٥) الإضرار به : تنقيصه . وغمضه : عيبه .

(٦) من يمكن وجوده ، أو محال ممتنع عادة أو عقلا أو شرعا ، والأول كبعض الموارض

البشرية ، والثاني كنسبة ، الكذب إليه ونحوه مما يمتنع شرعا بدلالة للمعجزة على صدقه صلى الله عليه وسلم .

في جهته^(١) صلى الله عليه وسلم غير قاصدٍ للسبِّ والإزراء^(٢)، ولا معتقدٍ له؛ ولكنه تكلم في جهته صلى الله عليه وسلم بكلمة الكفر^(٣)؛ من نَعَفِه أو سَبَّه أو تكذَّب به أو إضافةً مالا يجوزُ عليه، أو نفى ما يجبُ له مما هو في حقه صلى الله عليه وسلم نقيصة؛ مثل أن ينسبَ إليه إتيانَ كبيرة^(٤)، أو مداهنةً في تبليغِ الرسالة^(٥)، أو في حكمٍ بين الناسِ، أو يفضُّ من مَرَّتَبَتِهِ^(٦)، أو شرفِ نسبه، أو وفورِ علمه أو زُهدِه، أو يكذِّبَ بما اشتهر من أمورٍ أخبر بها صلى الله عليه وسلم وتواترَ الخبرُ بها عنه عن قصدٍ ردِّ خبره، أو يأتي بسفه^(٧) من القولِ، وقبيحٍ من الكلامِ، ونوعٍ من السبِّ في جهته، وإن ظهرَ بدليل حاله أنه لم^(٨) يمتدِّ ذمُّه، ولم يقصدْ سبَّه، إمامًا لجهالة^(٩) حملته على ما قاله، أو لضجَر^(١٠) أو سُكْرٍ اضطرَّه إليه، أو قلةِ مُراقبة^(١١) وضبطِ اللسانِ وعجرفةٍ وتهوُّرٍ في كلامه^(١٢)، فحكَّم هذا الوجهُ

-
- (١) في جهته : في حقه .
 - (٢) والإزراء ؛ أى الانتقاص والاستخفاف .
 - (٣) بكلمة الكفر : الكلمة التي يكفر بها .
 - (٤) إتيان كبيرة ، وقد عصمه الله تعالى عنها وعن سائر النقائص .
 - (٥) مداهنة : مداراة للكفرة .
 - (٦) يفض : ينقص نقصا قليلا .
 - (٧) بسفه : بخفة عقل وسوء أدب .
 - (٨) لم يمتد : لم يقصد .
 - (٩) جهالة : شدة جهل .
 - (١٠) ضجر : قلق ، أو ضيق صدر حمله على مقالته .
 - (١١) قلة مراقبة لله ، لكونه من أهل الخلاعة والنجور المعتاد لبذاءة اللسان .
 - (١٢) العجرفة : المجازفة ، والتكلم من غير تأمل . والتهوُّر : الخروج عن الاعتدال بحدة لنضب ونحوه .

حُكْمُ الْوَجْهِ الْأَوَّلِ الْقَتْلُ دُونَ تَلَعُّمٍ^(١)؛ إِذْ لَا يُعْذَرُ أَحَدٌ فِي الْكُفْرِ بِالْجِهَالَةِ^(٢)، وَلَا بِدَعْوَى زَلَّلِ اللِّسَانَ، وَلَا بِشَيْءٍ مِمَّا ذَكَرْنَاهُ^(٣)، إِذْ كَانَ عَقْلُهُ فِي فِطْرَتِهِ سَلِيمًا، إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ^(٤).

وهذا أفق الأندلسيون على ابن حاتم في نفيه الزُّهْدَ عن رسولِ الله صلى الله عليه وسلم الذي قدمناه .

وقال محمد بن سَخْنُونٍ - فِي الْمَأْسُورِ^(٥) يَسُبُّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَيْدِي الْعَدُوِّ: يُقْتَلُ إِلَّا أَنْ يُعْلَمَ نَفْسُهُ أَوْ إِكْرَاهُهُ .

وعن [٢٤٩] أبي محمد بن أبي زيد^(٦): لَا يُعْذَرُ بِدَعْوَى زَلَّلِ اللِّسَانَ فِي مِثْلِ هَذَا .

وَأَفَقِي أَبُو الْحَسَنِ الْقَاسِمِيُّ - فِيمَنْ شَتَمَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سُكْرِهِ: يُقْتَلُ؛ لِأَنَّهُ يُظَنُّ بِهِ أَنَّهُ يَمْتَقِدُ هَذَا وَيَفْعَلُهُ فِي صَحْوِهِ^(٧) .

وأيضا فإنه حدٌ لَا يُسْقِطُهُ السُّكْرُ؛ كَالْقَذْفِ، وَالْقَتْلِ، وَسَائِرِ الْحُدُودِ؛ لِأَنَّهُ أَدْخَلَهُ عَلَى نَفْسِهِ^(٨)؛ لِأَنَّ مَنْ شَرِبَ اَلْخَمْرَ عَلَى عِلْمٍ مِنْ زَوَالِ عَقْلِهِ بِهَا^(٩)،

(١) دون تلعم: دون توقف وتردد في وجوب قتله شرعا

(٢) لا يعذر أحد في الكفر بالجهالة؛ فإنه يجب عليه علم أمور دينه وتعلمها .

(٣) ولا بشيء مما ذكرناه: من الضجر والتهور والسكر ونحوه .

(٤) الإكراه: حمل الغير على ما لا يريد .

(٥) المأسور: الذي أسره الكفار بدار الحرب . يقتل، ولا يعذر بكونه أسيرا .

قال الحفاجي: يقتل؛ أي من غير أن يستتاب، فإن ارتد ثم سب لا يقتل، بل يستتاب، فإن تاب ترك، وإلا قتل . وكذا لو علم إكراهه لم يقتل أيضا، فإن لم يعلم ذلك، وقال: كنت مكرها ففيه خلاف .

(٦) الإمام المالكي المشهور .

(٧) المراد أنه إذا سكر غاب، فلا يستر ما يضره ويحفيه عن غيره من خير أو شر .

(٨) لأنه أدخله على نفسه؛ لأنه هو الذي شرب باختياره فسكرا سكرًا أوجبه؛ فلا يعذر

كن أغمى عليه أو جن .

(٩) بها: بالخمير .

وإتيان ما يُنكر منه ، فهو كالعامد لما يكون بسببه .
وعلى هذا أزمانه الطلاق والعِتاق ، والقصاص والحدود .
ولا يُعترض على هذا بحديث^(١) حمزة وقوله للنبي صلى الله عليه وسلم : وهل
أتم إلا عبيد لأبي^(٢) !

قال : فعرف النبي صلى الله عليه وسلم أنه سَمِل^(٣) فانصرف ؛ لأن الخمر
كانت حينئذ غير محرمة ، فلم يكن في جنائياتها^(٤) إثم ، وكان حُكْمُ ما يحدث
عنها مَعْفُوا عنه كما يحدث من النوم وشرب الدواء للمؤمن^(٥) .

(١) الحديث رواه البخارى ومسلم وغيرها . وقد قال هذا وهو سكران .
(٢) كان حمزة قد جلس يشرب ، وعند داره ناقتان لملى يريد أن يحمل عليهما إذ خرا
لحاجة له ، وعنده قيتان تفنياه : ألا يا حمز بالشرف النواء . . . نخرج ونجرهما وجب سنامهما
ليأكلوه على شراهم . فأخبر على رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك ، فجاءه ؛ فلما رآه حمزة
رضى الله عنه صعد نظره إليه وقال له : هل أتم معاشر قريش إلا عبيد لأبي : فكل
بإلصق يحمل لى .

قال الخفاجى : وهذا فيه ما ينكر فى حق النبي صلى الله عليه وسلم .

(٣) سَمِل : سكران زائل العقل .

(٤) فى جنائياتها : فيما يجنيه شاربها إثم ، لعدم تمديه بتعاطى سبب محرم .

(٥) وشرب الدواء المزيل للعقل وما يحدث عنه من الجنائيات . للمؤمن : الذى يأمن شاربه

من ضرره وإزالة عقله إذا أزال عقله من غير علم بأنه يزيله ، فإنه إذا أزاله فوقع منه أمر
من الأمور لم يترتب عليه مالم يكاف بالنهى عنه بخطاب الوضع ؛ فلا فرق بينه وبين النائم فى
أنه غير مكاف بضمان وجناية أصلا .

قال الخفاجى : وقيد بالمؤمن ، لأن ما يعل ضرره لا يجوز تناوله ؛ فإن غاب به عقله فكفه

حكم السكران أصلا .

فصل

الوجه الثالث^(١) أن يَقْصِدَ إلى تكذيبه فيما قاله وأتى به، أو يَنْفِي نبوته أو رسالته، أو وجوده، أو يكفُرَ به؛ انتقل بقوله ذلك إلى دين آخر غير مِلَّتِهِ أم لا؛ فهذا كافرٌ بإجماع^(٢)، يجبُ قتلُهُ، ثم يُنْظَرُ فإن كان مُصْرَحًا بذلك^(٣) كان حكمُهُ أشبهَ بِحُكْمِ المرتدِّ^(٤)، وقوى الخلافُ في استتابته^(٥).

وعلى القول الآخر^(٦) لا يُسْقَطُ القتلَ عنه توبته^(٧) لحقِّ النبي صلى الله عليه وسلم، إن كان ذكره بنقيصةٍ فيما قاله من كذبٍ أو غيره؛ وإن كان مُسْتَسِرًّا بذلك فحُكْمُهُ حكمُ الزنديق لا تُسْقَطُ قتلُهُ التوبةُ عندنا^(٨) كما سنبينه.

قال أبو حنيفة وأصحابه: مَنْ بَرِيَءٌ من محمد، أو كَذَبَ به، فهو مُرْتَدٌّ حَلَالٌ الدَّمِ إِلَّا أَنْ يَرْجِعَ^(٩).

(١) الوجه الثالث فيما وقع من سبه صلى الله عليه وسلم أو أذيته وتنقيصه.

(٢) سواء انتقل بقوله ذلك الذي كفر به إلى دين آخر بأن تهود أو تنصر، أم لم ينتقل لمة

أخرى؛ فهذا كافر بإجماع من المسلمين وأصحاب المذاهب.

(٣) بذلك: بذلك الأمر الذي كفر به.

(٤) قال الخفاجي: وإنما جملة أشبه بالمرتد، لأنه لم يتعين أمره.

(٥) في استتابته؛ أى فى أنه هل يستتاب وتقبل توبته أم لا؟

(٦) القول الآخر هو أنه يستتاب.

(٧) لا يسقط القتل عنه بتوبته؛ لأنه حد لا يسقط بالتوبة كالنذف والسرقة، ولكنه يثبت

له حكم المسلمين في ميراثه ودفنه في مقابر المسلمين.

وإنما لا يسقط القتل؛ لأن حق العبد لا يسقط بالتوبة، وإنما يسقط بها حق الله تعالى.

(٨) عندنا: فى مذهب مالك.

(٩) حلال الدم: حلال إراقة دمه؛ أى لزم قتله شرعا. إلا أن يرجع عما قاله

فيتوب ويعترف بخلاف ما قاله أولا، فهو عنده حكمه حكم المرتد فتقبل توبته، لقوله تعالى: إن

يئسوا بقدر لهم ما قد سلف. ولحديث: إذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم.

وقال ابن القاسم^(١) - في المسلم إذا قال : إن محمداً ليس بنبيّ ، أو لم يرسل ، أو لم يُنزل عليه قرآن ؛ وإنما هو شيء تنوّله^(٢) : يُقتل .

قال : ومن كفر برسول الله صلى الله عليه وسلم وأنكره^(٣) من المسلمين ، فهو بمنزلة المرتد^(٤) ، وكذلك من أعلن بتكذيبه أنه كالمُرتدّ يستتاب^(٥) .

وكذلك قال فيمن تنبأ ، وزعم أنه يوحى إليه^(٦) ، وقاله سخنون .

قال ابن القاسم : دعا إلى ذلك سراً وجَهراً .

قال أضحج : وهو كالمُرتدّ ؛ لأنه قد كفر بكتاب الله مع الفرية^(٧) على الله .

وقال أشهب - في يهودى تنبأ أو زعم أنه أُرسِلَ إلى الناس ، أو قال : بعد نبيكم نبيّ - أنه يستتاب إن كان مُعلناً^(٨) بذلك ؛ فإن تاب وإلا قُتل ؛ وذلك لأنه مكذّب للنبيّ صلى الله عليه وسلم في قوله : لا نبيّ بعدى^(٩) ، مُفتَرٍ على الله^(١٠) في دَعَواه عليه الرسالة والنبوة .

وقال محمد بن سخنون : مَنْ شكَّ في حَرَفٍ مما جاء به النبيّ صلى الله عليه وسلم

(١) ابن القاسم : عبد الرحمن المصرى الإمام المشهور ، صاحب مالك .

(٢) تقوله : افتراه على الله تعالى .

(٣) من كفر برسول الله ؛ أى أنكر نبوته ورسالته . وأنكره : أنكر وجوده .

(٤) بمنزلة المرتد : يقتل إن لم يتب .

(٥) من أعلن بتكذيبه ؛ أى أظهره جهراً . يستتاب : أى تقبل توبته ، فإن لم يتب قتل .

(٦) قال في نسيم الرياض : (٤ - ٤٢٩) : ومحل ذلك إذا زعم أنه يوحى إليه بنزول

الملك عليه ، وإلا فالذى ينبغى أنه لا يكفر - كما قاله ابن حجر .

(٧) الفرية : الكذب عليه .

(٨) معلناً بذلك : مظهرها له لا ، إذا أخفاه .

(٩) هذا الحديث رواه البخارى .

(١٠) مفتر : متمم للكذب فيما زعمه .

عن الله فهو كافرٌ جاحِدٌ^(١) .

وقال : مَنْ كَذَبَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ حُكْمُهُ عِنْدَ الْأُمَّةِ الْقَتْلَ .
وقال أحد بن أبي سليمان صاحبُ سَجْنُونِ : مَنْ قَالَ : إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُسْوَدُ - قُتِلَ ؛ لَمْ يَكُنِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَسْوَدَ^(٢) .

وقال نحوه أبو عثمان^(٣) الحدّاد ؛ قال : لو قال : إنه مات قَبْلَ أَنْ يَلْتَحِيَ ،
أو إنه كان بتَاهَرُتْ^(٤) ، ولم يكن بتِهَامَةً قُتِلَ ؛ لِأَنَّ هَذَا نَفْيٌ^(٥) .

قال حبيب^(٦) بن ربيع : تَبْدِيلُ صِفَتِهِ وَمَوَاضِعِهِ^(٧) كُفْرٌ^(٨) ، وَالْمُظْهِرُ [٢٥٠]

(١) الجحد : الإنكار لما يعلمه عنادا وعتوا ، وهو كافر جاحد لشكه في الوحي التواتر .
(٢) في نسيم الرياض (٤ - ٤٣١) : وقال بعض المتأخرين : كلامه هذا يوم أن مجرد الكذب عليه في صفة من صفاته كفر يوجب القتل ، وليس كذلك ؛ بل لا بد من ضميعة ما يشعر بنقص في ذلك ، كما في مسألتنا .

(٣) اسمه سعيد .

(٤) تاهرت : اسم فلاة أو مدينة بنواحي تلسان ، بالمغرب .

(٥) نفي لوجود النبي صلى الله عليه وسلم ، لفيه صفة المعروفة .

قال ابن حجر : وما قاله متجه ، لكن محله - كما يعلم من آخر كلامه - فيمن طالت صحبته للمسلمين حتى ظن به علم ذلك ؛ وبه يعلم رد ما نقله العز بن عبد السلام عن أبي حنيفة وأقره - من أن من قال : أو من بالنبي وأشك في أنه المدفون بالمدينة ، أو الذي نشأ بمكة - لا يكفر ؛ لأنه وإن كان معلوما بالضرورة ، إلا أنه ليس من الدين ، لأننا لم نعبده به ؛ فيكون جاحده كجاحد بغداد ومصر .

قال الخفاجي : ووجه رده أن الشك في ذلك من المخالط للمسلمين يستلزم تضليل الأمة وغير ذلك من العظائم في الدين .

(٦) من أئمة المالكية .

(٧) مواضعه التي كان مقره بها ، كتهامة ، ومكة ، والمدينة .

(٨) قال ابن حجر : وهذا يشمل إنكار الهجرة ، وكونه كان أولاً بمكة وأخيراً بالمدينة ،

وغیر ذلك مما يشاكله .

له كافر ، وفيه الاستتابة^(١) والمُسرُّ له زنديق ، يُقتل دون استتابة .

فصل

الوجه الرابع أن يأتي من الكلام بِمُجْمَلٍ^(٢) ، ويلفظ من القول بِمُشْكَلٍ^(٣) يمكنُ حمله على النبي صلى الله عليه وسلم أو غيره ، أو يتردد^(٤) في المراد به من سلامته من المكروه أو شره ؛ فهانئنا مُتَرَدِّدُ النظر وحيرة العبر ، ومُظَنَّةُ اختلاف المجتهدين^(٥) ، ووقفه استبراء المقلدين^(٦) ، إيهالك من هلك عن بينة ، ويحیی من حى عن بينة^(٧) ؛ فمنهم^(٨) من غلب حُرْمَةُ^(٩) النبي صلى الله عليه وسلم ، وحی

= قال الخفاجي : وهو متجه .

(١) أى إنه تقبل توبته .

(٢) بمجمل : بما لم تتضح دلالته على مراد من تكلم به .

(٣) المشكل : ماله أشكال ؛ أى أشباه ونظائر ؛ وهو أيضا مالا يظهر معناه . والمراد

مافيه التباس بغيره .

(٤) أو يتردد ويشك في المراد به ؛ أى ماقصده التكلم به .

(٥) متردد : محل التردد . وحيرة العبر : جمع عبرة ؛ وهو مايعتبر ليستدل به على غيره .

ومظنة : محل الظن .

(٦) استبراء : طلب براءة . المقلدين لهؤلاء المجتهدين ؛ يعنى أن المجتهدين يعملون النظر

في استخراج حكمه ، ويتحجرون فيه لإشكاله عليهم ، والمقلد لهم يقف حتى يعلم حال من قلده فيتبعه ويبرأ من عهده .

(٧) ليسكون قتل من حكم بكفره بدليل واضح ؛ لأن إراقة الدماء لا يجازف فيها .

وتسكون حياة من لم يقتل بدليل ظاهر ؛ لأنه لا ينبغي الساحة فيما يتعلق بمقام النبوة وحمايتها

من طمن الطاعنين .

(٨) فمنهم : من المجتهدين في مثل هذا .

(٩) حرمة النبي : احترامه وصيافته .

حَمَى عِرْضِهِ ^(١)، فَجَسَرَ ^(٢) عَلَى الْقَتْلِ؛ وَمِنْهُمْ مَنْ عَظَّمَ حُرْمَةَ الدَّمِ، وَدَرَأَ الْحَدَّ بِالشُّبْهَةِ ^(٣) لِاحْتِمَالِ الْقَوْلِ.

وقد اختلف أُمَّتُنَا فِي رَجُلٍ أَغْضَبَهُ غَرِيْبُهُ ^(٤)؛ فَقَالَ لَهُ: صَلَّى عَلَى النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ^(٥)؛ فَقَالَ لَهُ الطَّالِبُ: لَا صَلَّى اللَّهُ عَلَى مَنْ صَلَّى عَلَيْهِ؛ فَقِيلَ لَسَحْنُونَ: هَلْ هُوَ كَمَنْ شَتَّمَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَوْ شَتَّمَ الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ يُصَلُّونَ عَلَيْهِ؛ قَالَ: لَا، إِذَا كَانَ عَلَى مَا وَصَفْتَ مِنَ الْغَضَبِ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ مُضْمِرًا ^(٦) الشُّتْمِ.

وقال أبو إسحاق البرزقي ^(٧)، وَأَصْبَغُ بْنُ الرَّجِّ: لَا يُقْتَلُ؛ لِأَنَّهُ إِذَا شَتَّمَ ^(٨) النَّاسَ؛ وَهَذَا تَحْوُّ قَوْلِ سَحْنُونَ: لِأَنَّهُ لَمْ يَعْذِرْهُ بِالْغَضَبِ فِي شَتْمِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ

(١) وحى حمى عرضه؛ أى منع أن يهجم أحد على مقام النبوة، ولو بالاحتمال؛ فإن من حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه.
(٢) جسر: أقدم من غير مبالاة.

(٣) درأ: منع - بالشبهة فيما قاله، لاحتمال عدم قصده لما يوجبه؛ لاحتمال القول الصادر منه لأمرين: أحدهما يقتضيه، والآخر يمنعه؛ فعمل بالثانى احتياطاً.

(٤) غريمه: يعنى من له عليه حق طالبه به.

(٥) يريد بذلك دفع غضبه بذكره صلى الله عليه وسلم.

(٦) مضمر: ناوياً ومريداً ومسراً.

(٧) هو إبراهيم بن عبد الرحمن بن عمرة بن أبي الفياض. توفي سنة خمس وأربعين ومائة.

(٨) شتم الناس لا النبي ولا الملائكة؛ لأن «من» وإن عم يخص باعتبار متعارف الناس فى قصد جنسهم دون غيرهم ممن لا يخطر بباله فى عرف التخاطب؛ وليس ثمة قرينة تصرف الشتم له صلى الله عليه وسلم ولا إلى الملائكة الذين يصلون عليه.

قال الخفاجى: وقد يقال: إن المتبادر من قوله: «من صلى عليه» الأمر له، أو نفسه إن صلى عليه لتسكين غضبه، فكأنه قال: إن صليت أنا أو أنت لدفع الغضب فلا صلى الله عليك أو على، وهو فى غاية الظهور.

عليه وسلم ، ولكنه لما احتمل الكلامُ عنده ، ولم تكن معه قرينةٌ على شتمِ
الذي صلى الله عليه وسلم ، أو شتمِ الملائكةِ صلواتُ الله عليهم ؛ ولا مُقدِّمةً^(١)
يُحْمَلُ عليها كلامُه ؛ بل القرينةُ تدلُّ على أن مراده الناسُ غيرُ هؤلاء ، لأجلِ
قولِ الآخر له : صَلَّى عَلَى النَّبِيِّ ، فحمل قوله وسبُّه لمن يُصَلَّى عليه الآنَ لأجلِ أمرِ
الآخر له بهذا عند غضبه^(٢) .

هذا معنى قولِ سَحْتُونَ ؛ وهو مُطَابِقٌ لَعَلَّةِ صاحبيه .

وذهب الحارثُ بنِ مسكين^(٣) القاضى وغيرُه في مثلِ هذا إلى القتل^(٤) .

وتوقف أبو الحسن القاسبيُّ في قتلِ رَجُلٍ قال : كلُّ صاحبِ فُنْدُقٍ قرنان^(٥) ،
ولو كان نبيًّا مُرْسَلًا ؛ فأمر بشدِّه بالقيودِ والتضييقِ عليه حتى نُستفهم^(٦) البيئَةَ عن
جملةِ ألفاظه ، وما يدلُّ على مقصده ؛ هل أراد أصحابَ الفنادقِ الآنَ ؛ فمعلومٌ أنه

(١) ولا مقدمة ؛ أى أمر مقدم على كلامه ؛ أى قرينة وأمر بأنه قصد النبي أو الملائكة .

(٢) فمن أين يخطر بباله عند المنصف النبي أو الملائكة ؛ وهو في غاية الظهور في

عرف الناس .

(٣) الحارث بن مسكين المحدث المالكي الثقة الحجة ، أخرج له أصحاب السنن ، وحمل

لبنداد في محنة خلق القرآن فحبس إلى أن تولى المتوكل ، فأطلقه وولاه قضاء مصر ، فلم يزل
قاضيًا بها إلى أن توفى سنة مائتين وخمسين .

(٤) وذلك لشموله ذكر النبي والملائكة .

وفي نسيم الرياض (٤ — ٤٣٤) : قال ابن حجر : واللائق بقواعدنا الأول ؛ لأن

اللفظ ليس صريحًا في شتم الملائكة ولا الذات المقدسة ، وإنما هو ظاهر في شتم نفسه إن صلى
هو أو غيره من الناس .

ومع عدم التكفير يمزج التعزير البليغ .

(٥) الفندق : الحان الذي ينزله أبناء السبيل ، والتجار ، والغرباء . له قرنان : بمعنى

الديوث ؛ وهو الذي يجمع الرجال الأجانب مع زوجته أو بعض محارمه .

(٦) يستفهم البيئَةَ : يسأل عما قاله .

ليس فيهم نبيٌ مرسلٌ؛ فيكون أمرُهُ أخفَّ .

قال : وتَكِينُ ظَاهِرُ لَفْظِهِ الْعُمُومُ لِكُلِّ صَاحِبِ فُنْدُقٍ مِنَ الْمُعْتَمِدِينَ وَالتَّأَخَّرِينَ .

وقد كان فيمن تقدّم من الأنبياء والرُّسل مَنْ اكنسبَ المالَ (١) .

قال : ودمُ المسلمِ لا يُقدّمُ عليه إلا بأمرِ بَيْنٍ . وما تردُّ إليه التَّأويلاتُ (٢) لا بُدَّ

مِنْ إِنْطِامِ النَّظَرِ فِيهِ . هذا معنى كلامه (٣) .

وحكى عن أبي محمد بن أبي زَيْدٍ رحمه الله - فيمن قال : لَعَنَ اللهُ الْعَرَبَ ،

ولعن اللهُ بنى إسرائيل ، ولعن اللهُ بنى آدمَ ، وذكر أنه لم يُردِ الأنبياءَ ، وإنما

أردتُ الظالمين منهم - أن عليه الأَدَبَ بِقَدْرِ اجْتِهَادِ السُّلْطَانِ (٤) .

وكذلك أفتى - فيمن قال : لعن اللهُ مَنْ حَرَّمَ الْمُسْكَرَ ، وقال : لم أعلمَ

مَنْ حَرَّمَهُ .

وفيمن لعنَ حديث : لا يَبِيعُ حَاضِرٌ لِبَادٍ (٥) . ولعن مَنْ جاء به - أنه إن كان

يُعذَرُ بِالْجَهْلِ (٦) وَعَدَمِ مَعْرِفَةِ السُّنَنِ فَعَلِيهِ الْأَدَبُ الْوَجِيعُ ؛ وذلك أن هذا لم يَقْصِدْ

بظَاهِرِ حَالِهِ سَبَّ اللهِ وَلَا سَبَّ رَسُولِهِ ؛ وإنما لعنَ مَنْ حَرَّمَهُ مِنَ النَّاسِ عَلَى تَمْخُورِ

(١) ارجع إلى هامش رقم ٥ من الصفحة السابقة . ففيه أن صاحب الفندق كناية عن

له مال كثير كتسبه ، لأنه لا يبيعه ويملكه إلا من هو كذلك .

(٢) المراد تدقيق النظر وإطالة التدبر والتفكير .

(٣) في نسيم الرياض (٤ - ٤٣٥) : قال ابن حجر بعده : والظاهر أن لفظه ليس

صريحاً في ذم الأنبياء ولا سبهم ، فلا يكفر بمجرد هذا اللفظ ، بل يمزر التمزير الشديد .

(٤) أن عليه الأدب ، أو التمزير والترجر ، لما في كلامه من الإيهام .

بقدر اجتهاد السلطان : بقدر ما يؤدي إليه اجتهاده من ضرب وغيره دون القتل .

(٥) الحاضر : المقيم . والبادى : من يأتى من البادية كالبدوى . والحديث في صحيح

مسلم : ١١٥٥

(٦) يعذر بالجهل ، لقرب عهده بالإسلام .

فَتَوَى سَحْنُونَ وَأَصْحَابَهُ فِي الْمَسْأَلَةِ الْمُتَقَدِّمَةِ (١) .

وَمِثْلُ هَذَا مَا يَجْرَى فِي كَلَامِ سَفَهَاءِ النَّاسِ [٢٥١] فِي قَوْلِ بَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ :
يَا بَنُ أَلْفِ خَنْزِيرٍ (٢) ، وَابْنَ مَائَةِ كَلْبٍ ، وَشِبْهَهُ مِنْ هُجْرٍ (٣) الْقَوْلِ .
وَلَا شَكَّ أَنَّهُ يَدْخُلُ فِي مِثْلِ هَذَا الْعَدَدِ مِنْ آبَائِهِ وَأَجْدَادِهِ جَمَاعَةٌ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ ؛
وَلَعَلَّ بَعْضَ هَذَا الْعَدَدِ مُنْقَطِعٌ (٤) إِلَى آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَيَنْبَغِي الزُّجْرُ عَنْهُ (٥) ،
وَتَبْيِينُ مَا جَهِلَ قَائِلُهُ مِنْهُ (٦) وَشِدَّةُ الْأَدَبِ فِيهِ .

وَلَوْ عَلِمَ أَنَّهُ قَصْدَ سَبِّ مَنْ فِي آبَائِهِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَى عِلْمِهِ لَقَتِلَ .

وَقَدْ يَضِيقُ الْقَوْلُ فِي نَحْوِ هَذَا (٧) لَوْ قَالَ لِرَجُلٍ هَاشِمِيٌّ : لَعَنَ اللَّهُ بَنِي هَاشِمٍ -
وَقَالَ : أَرَدْتُ الظَّالِمِينَ مِنْهُمْ ؛ أَوْ قَالَ لِرَجُلٍ مِنْ ذُرِّيَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَوْلًا
قَبِيحًا فِي آبَائِهِ أَوْ مِنْ نَسَلِهِ أَوْ وَلَدِهِ عَلَى عِلْمِهِ مِنْهُ أَنَّهُ مِنْ ذُرِّيَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

(١) المسألة المتقدمة في قول القائل : لا صلى الله على من صلى عليه .

(٢) وأراد بالخنزير من تقدم من آبائه وأجداده .

(٣) هجر القول : خُشَّ فِي الْمَنْطِقِ .

(٤) منقطع : منتهى أو متصل .

(٥) فينبغي لما ذكر من احتمال دخول بعض الأنبياء فيه ، وأن الحامل على ذكره

سفاهة قائله .

(٦) وتبيين ما جهله قائله منه ، ليزول عذره ، فيقال له : إنه يدخل في كلامك بعض الأنبياء

عليهم السلام ، فتاب عنه ولا تمد لمثله .

قال في نسيم الرياض : وحاصل ما ذكره أنه لا يكثر بهذا اللفظ ؛ وارجع في هذا إلى

صفحة ٤٣٧ من النسيم إن أردت .

(٧) يضيق القول في مثل هذا ؛ أي يزداد في التشديد على قائله فيما لو قال أحد من الناس

لرجل من بني هاشم - جد النبي : لعن الله ...

وضيق فيه لدخول النبي صلى الله عليه وسلم وأهل بيته فيه دخولا متبادرا صريحا ، فليس

كالذي قبله ؛ ولذلك شدد على قائله .

وسلم، ولم تكن قرينة في المسألتين^(١) تقتضي تخصيص بعض آباءه، وإخراج النبي صلى الله عليه وسلم بمن سببه منهم^(٢).

[وقد رأيت لأبي موسى عيسى بن مناس^(٣) - فيمن قال لرجل : لعنك الله إلى آدم عليه السلام - أنه إن ثبت عليه ذلك قُتِلَ]^(٤).

وقد كان اختلف شيوخنا^(٥) فيمن قال لشاهدٍ شهد عليه بشيء ثم قال له : تَتَّهَمُنِي^(٦) ؟ قال له الآخر : الأنبياء يُتَّهَمُونَ ، فكيف أنت ؟ فكان شيخنا أبو إسحاق بن جعفر يَرَى قَتْلَهُ ، لِبَشَاعَةِ ظَاهِرِ اللَّفْظِ .

وكان القاضي أبو محمد بن منصور^(٧) يتوقف عن القتل لاحتمال اللفظ عنده

(١) في المسألتين : مسألة بنى هاشم ، ومسألة الذرية .

(٢) في نسيم الرياض (٤ - ٤٣٨) : قال ابن حجر : وظاهر كلامه أنه لا يقبل تخصيصه بإرادة غير النبي صلى الله عليه وسلم من غير قرينة ؛ وهو محتمل لمعوم لفظه ، لكن الأقرب إلى قواعدنا قبوله مطلقا ؛ لأن اللفظ بوضعه لا ينافي تلك الإرادة ، لكن يبالغ في التعزير .

(٣) هو من أصحاب سجنون ، ومن أهل قيروان . ويقال : مياس - بمشاة تحمية .

(٤) قتل لدخول بعض الأنبياء ، كنوح .

قال في نسيم الرياض (٤ - ٤٣٨) : قيل الظاهر أنه يؤدب ولا يقتل ، لاحتمال أن يريد أن اللعنة تستمر عليه إلى أن يلقى آدم ، لاسيما ودخول الغاية غير متعين .

قال ابن حجر ، بعد كلام المصنف : وقضية قواعدنا خلافه ، لما قدمته من أن لفظه ليس صريحا في سب نبي ، لاحتماله إلى أن يلقى آدم في يوم القيامة ؛ بل لو قال : لعن الله آباءه إلى آدم كان عدم التكفير أقرب أيضا إن ادعى إرادة غير الأنبياء منهم ، لاحتمال ما ادعاه ، وعدم صريح يدل على خلافه ؛ ولا يقال : كلام يتناول آدم ، للاختلاف المشهور في دخول الغاية . وما بين القوسين ساقط في ١ .

(٥) شيوخنا : من علماء المغرب المالكية .

(٦) أتتهمني : أنتسب لي سوءا وأمرأ يقتضي عدم قبول شهادتي ؟

(٧) اسمه عبدالله بن محمد بن منصور ، إمام محدث مالكي ، المذهب ، توفي سنة ثلاث

عشرة وخمسةائة .

أَنْ يَكُونَ خَبْرًا عَمَّنْ أَتَمَّهُمْ مِنَ التَّكْفَارِ^(١) .

وَأَفْتَى فِيهَا قَاضِي قُرْطُبَةَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ابْنَ الْحَاجِّ بَنَجُو^(٢) هَذَا .
وَشَدَّدَ الْقَاضِي أَبُو مُحَمَّدٍ تَصْفِيدَهُ^(٣) ، وَأَطَالَ سَجْنَهُ ، ثُمَّ اسْتَحْلَفَهُ بَعْدُ عَلَى
تَكْذِيبِ مَا شَهِدَ بِهِ عَلَيْهِ^(٤) ؛ إِذْ دَخَلَ فِي شَهَادَةِ بَعْضِ مَنْ شَهِدَ عَلَيْهِ وَهَنْ^(٥) ،
ثُمَّ أَطْلَقَهُ^(٥) .

وَشَاهَدْتُ شَيْخَنَا الْقَاضِي أَبَا عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدَ بْنَ عَيْسَى^(٦) أَيَّامَ قَضَائِهِ أُتِيَ بِرَجُلٍ
هَاتِرٍ^(٧) رَجُلًا ، ثُمَّ قَصَدَ إِلَى كَلْبٍ فَضْرَبَهُ بِرِجْلِهِ وَقَالَ لَهُ : قُمْ يَا مُحَمَّدُ^(٨) ، فَأَنْكَرَ
الرَّجُلُ أَنْ يَكُونَ قَالَ ذَلِكَ ، وَشَهِدَ عَلَيْهِ لَفِيفٌ مِنَ النَّاسِ^(٩) ؛ فَأَمَرَ بِهِ إِلَى السَّجْنِ ،

(١) قال الخفاجي : وهذا مما وقع وقائله لا يمتد ما قالوه . قال ابن حجر : وهذا الثاني

هو الأوجه .

(٢) من التوقف فيه .

وهو محمد بن أحمد بن خلف بن إبراهيم التجيبي المالكي العلامة المحدث ، قتله مجنون وهو

ساجد بجامع قرطبة .

(٣) تصفيده : جملة في صدد ، وهو القيد .

(٤) أى أمره أن يحلف على أنه ما قال ما نسب إليه .

(٥) وهن : ضعف ؛ فيحلفه ؛ وهذا احتياط في حق النبوة ، وإلا فكونه إخبارا بما

وقع من الكفرة من غير اعتقاد لما قالوه - وهو أمر واقع - يكفي في عدم استحقاقه القتل .

ثم أطلقه لحكمه براءته .

(٦) ولد سنة تسع وعشرين وأربعمائة ، وتوفي سنة خمسين وخمسمائة .

(٧) المهاترة : السفاهة في القول ، يقال : تهاثر الفتيان إذا تفاحشا في القول .

(٨) قصد بذلك تحقير خصمه المسمى بهذا الاسم ، لكن لمشاركته له صلى الله عليه وسلم

في الاسم لا ينبغي ذكره لإيهامه ما لا يليق .

(٩) لفيف من الناس : جماعة اجتمعوا ليشهدوا عليه بما وقع منه .

وتقصي^(١) عن حاله ، وهل يصحب من يُستَراب^(٢) بدينه ؟ فلما لم يجد ما يَقْوَى الرِّبِيَّةَ باعتقاده ضربه بالسَّوْطِ وأطلقه^(٣) .

فصل

الوجه الخامس ألا يَقْصِدَ نَقْصًا ، ولا يَذْكر عَيْبًا ولا سَبًّا ، لكنه يَنْزِعُ^(٤) بِذِكْرِ بعضِ أوصافه ، أو يَسْتَشْهَدُ ببعضِ أحواله صَلَّى اللهُ عليه وسلم الجائِزَةَ عليه في الدنيا على طريقِ ضَرْبِ المَثَلِ ، والحِجَّةِ لِنَفْسِهِ أو لغيره^(٥) ، أو على التَّشْبِهِ به ، أو عند هَضِيمَةٍ^(٦) نالته ، أو غَضَاضَةٍ^(٧) لحِقَّتْهُ ، ليس على طريقِ التَّأْسِي^(٨) وطريقِ التَّحْقِيقِ ؛ بل على مَقْصِدِ التَّرْفِيعِ لِنَفْسِهِ أو لغيره ، أو على سبيلِ التَّمْثِيلِ^(٩) وَعَدَمِ التَّوْقِيرِ لِنَبِيِّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلم ، أو على قَصْدِ الهَزْلِ والتَّنْذِيرِ^(١٠) بقوله ، كقولِ القائلِ : إِنْ قِيلَ فِي السَّوِّ فَقَدْ قِيلَ فِي النَّبِيِّ ، وَإِنْ كُذِّبْتُ فَقَدْ كُذِّبَ

(١) التقصي : البحث والتميش الشديد .

(٢) من يستراب بدينه : هل يصحب من الناس من في دينه ريبية وشك ، ومن يتهم بالإلحاد ، فإن المرء على دين خليله ، فإن كان كذلك يعلم أنه قصد بكلامه حقيقة ، فأكثر السؤال عنه وعن مخالفه .

(٣) ضربه تمزيرا له وزجرا عن العود لمثله ، وأطلقه .

قال ابن حجر : وما دل عليه كلامه من عدم كفره بذلك هو الصواب .

(٤) ينزع : يميل .

(٥) ليتأسى به ، يقتدى .

(٦) هزيمة : مظلة .

(٧) غضاضة : لتقيص .

(٨) التأسي : الاقتداء به في مثله ، ولا على طريق التحقيق ، لالصاف النبي صلى الله عليه وسلم

به على مقصد الترفيع والتعظيم لنفسه ، إن كان ذلك وقع منه .

(٩) على سبيل التمثيل به ، أي جملة مثلا فيما اتفق له .

(١٠) التنذير : الإتيان بأمر نادر شاذ وقوعه ، فيذكره على سبيل الشذوذ ، لا التشهير

والترفيع .

الأنبياء^(١)، أو إن أذنبتُ فقد أذنبوا^(٢)، أو أنا أسلمُ من ألسنةِ الناسِ ولم يَسلمَ منهم أنبياءُ اللهِ ورُسُلُهُ؛ أو قد صبرتُ كما صبر أولو العزم، أو كَصَبْرِ أيوب، أو قد صبر نبيُّ اللهِ عن عِدَاهُ، وحَمُّ^(٣) على أكثر مما صبرتُ؛ وكقول المتنبي^(٤) :
أنا في أُمَّةٍ تداركها اللهُ غريبٌ كصالحٍ في ثمودِ^(٥)

(١) وهذا فيه تسوية لنفسه بهم .

(٢) وهذا سوء أدب ، فإنهم عليهم السلام معصومون .

(٣) عاملهم - مع ما وقع منهم - بالحلم والنفو عنهم .

قال الحفاجي : ففي كل هذا من ترك الأدب ما لا يخفى .

قال ابن حجر : فمیل كلامه ، بل صريحه ، عدم السكر في هذه المسائل ، وهل يحرم ذلك الذي يظهر أنه إن قصد به الترفع ، وأنه شاركهم في أصل هذه الفضائل - كان حراما شديد التحريم ؛ وإن قصد هضم نفسه على طريق المبالغة ، بمعنى أنه لا نسبة لى باتباعهم ، وقد وقع لهم ذلك ، فوقعه لى أولى - لم يكن حراما .

وطى هذا يحمل ما وقع لبعض الأكارم من استمهادهم على ما حصل لهم بنحو هذه الكلمات في خطب كتبهم وغيرها .

نعم ، قوله : إن أذنبت فقد أذنبوا - شديد التحريم ، لا يجوز الاستمهاد به بحال .

وقال بعض المالكية : من قال : إن كان قيل فى حقى أو حق فلان ؛ أو إن جرى له

كذا - فقد قيل فى حق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، أو جرى لهم - حرم عليه إطلاق ذلك ، لأن ما انتقص به يضيفه للأنبياء فيؤدب .

وفهم بمضمون من كلام المصنف رحمه الله أنه يكفر بذلك ؛ وليس كما فهم ؛ وليس فى مذهبنا ما يوافق القول فى التكفير لا تصريحا ولا تلويحا ، وليس لمن قال به دليل ؛ وتعليقه بأن القصد الكشبه والاتقاص فاسد ؛ إذ لا يقصد ذلك من فى قلبه إسلام ، بل للراد كيف لا يتكلم فى حقير مثل وقد تكلم فى الأكارم .

قال بعض المتأخرين : بل إطلاق التحريم فى ذلك بحسب مذهبنا منظور فيه .

والوجه عدم التحريم حيث كان المراد ما ذكر ، أو أطلق .

(٤) المتنبي : أبو الطيب أحمد بن الحسين الشاعر المشهور .

=

(٥) البيت فى ديوانه : ١ - ٣٢٤

ونحوه من أشعار المتمجرفين^(١) في القول، المتساهلين في الكلام؛ كقول
المعري^(٢) :

كنتَ موسىَ وافقته بنتُ شعيبَ غير أن ليس فيكما من فقير
على أن آخرَ البيت شديد، وداخلٌ في باب الإزراء والتحقير^(٣) بالنبي [٢٥٢]
صلى الله عليه وسلم، وتفضيل حال غيره عليه .
وكذلك قوله^(٤) :

لولا انقطاع الوحي بعد مُحَمَّدٍ قُلْنَا مُحَمَّدٌ من أبيه بديلُ
هو مثله في الفضلِ إلا أنه لم يأتِه رسالةُ جبريلُ
فصدرُ البيت الثاني من هذا الفصل شديدٌ، لتشبيهه غيرَ النبي في فضله بالنبي،

= والأمة : أقوام في أزمان نبي بعث إليهم . وتكون بمعنى الجماعة مطلقا، ومعنى تداركها
الله بلطفه أو بهلاكه ، فهو دعاء لهم أو عليهم . أى تداركها الله بالإصلاح ؛ أو تداركها
بالانتقام والاستئصال حتى لا يبقى منهم أحد . وصالح : نبي الله - ونمود أمته . والغربة : الخروج
عن الأهل والوطن ، والمراد عدم المناسبة والآلفة .

قال ابن حجر : وكلامه محتمل لقصد تشبيه حاله في الغربة بحال صالح عليه السلام ؛ فيكون
من قصد الترفع ، أو تشبيه حال من هو فيهم بحال نمود : من المشاققة وعدم الطواعية ؛ فيكون
مستلزما للدفع وصريحا في سبهم . وعلى كل فهو غير كافر .
وقيل : إنه لقب بالمتنبي لهذا البيت .

(١) المعجرفة : تجاوز الحد والخروج عنه ؛ وهى أيضا : ارتكاب مالا يليق من غير
مبالاة به .

(٢) المعري : أحمد بن عبد الله بن سليمان التنوخى الشاعر المشهور . توفي سنة تسع
وأربعمائة . والبيت في ديوانه : ٣

(٣) لأنه لم يرض لممدوحه أن يكون مثل نبي الله ؛ إذ مراده : لولا هذا شبتك به .

(٤) أى للمعري . وهو في ديوانه : ٩ ، ١٨٥

والعجز محتمل لوجهين : أحدهما أن هذه النضيلة نقتصت المدوح ، والآخر استغناؤه عنها . وهذه أشد .

ونحو منه قول الآخر (١) :

وإذا ما رُفِعَتْ راياته صَفَّتْ بين جناحي جبرين

وقول الآخر من أهل العصر :

فَرَّ مِنَ الْخُلْدِ وَاسْتَجَارَ بِنَا فَصَبَّرَ اللَّهُ قَلْبَ رِضْوَانَ (٢)

وكتول حسان المصيصي (٣) من شعراء الأندلس في محمد بن عباد المعروف بالمعتد

ووزيره أبي بكر بن زيدون (٤) :

كَانَ أبا بَكْرٍ أَبُو بَكْرٍ الرِّضَا وَحَسَانُ حَسَانُ وَأَنْتَ مُحَمَّدٌ (٥)
إلى أمثال هذا (٦) .

(١) من قصيدة لزيد بن عبد الرحمن المغربي من شعراء الدخيرة .
وجبرين لثة في جبريل .

قال الخفاجي : وفيه أنه ليس فيه ذكر له صلى الله عليه وسلم ؛ وما قيل من أن فيه اجترأ على ملك معظم فيه أيضا أنه قصد أنها رايات رفعت للجهاد ونصرة الدين ؛ فصحبة جبريل لها ليس فيه تحقير له .

(٢) قال الخفاجي : فيه عجرفة . لجله رضوان - وهو من الملائكة المقربين - كأنه يهوى هو الحورى بحيث لا يقدر على فراقه

(٣) وهو الوزير الكاتب حسان المصيصي رفيق الوزير بن عمار ، من عظام الدولة العبادية ، وله أشعار بدعية ، أكثر قصائده في مدائح المتمد .

(٤) وابن زيدون : هو ذو الوزارتين ، والشاعر البليغ الأندلسي المعروف .

(٥) أي كأن وزيرك أبو بكر بن زيدون أيها المدوح - أبو بكر الصديق . وكان حسان

المصيصي شاعرك حسان بن ثابت الأنصاري شاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال الخفاجي : وهذا من جهله بمقام النبوة ومجازفته ، وإن كان المشبه دون المشبه به ، لسكن لا وجه للتشبيه بمن ليس له شبيه .

(٦) في ١ : إلى مثل هذا .

وإنما أكثرنا شاهداً^(١) مع استئقنا حكايتها لتعريف أمثاتها ولتساهل كثير من الناس في ولوج هذا الباب الضنك^(٢)، واستخفافهم فادح هذا العبء، وقلة علمهم بمعظم ما فيه من الوزر^(٣)، وكلامهم منه بما ليس لهم به علم، ويحسبونه هيناً وهو عند الله عظيم^(٤)؛ لاسيما الشعراء. وأشدُّهم فيه تصرُّحاً، وللسانته تسريحاً ابن هاني الأندلسي^(٥)، وابن سليمان المرسي؛ بل قد خرج كثير من كلامهما إلى حد الاستخفاف والنقص وصريح الكفر^(٦).

وقد أجبنا عنه، وغرضنا الآن الكلام في هذا الفصل الذي سبقنا أمثاله؛ فإن^(٧) هذه كلها وإن لم تتضمن سباً، ولا أضافت إلى الملائكة والأنبياء نقصاً. ولست أعني عجزى بيتي المعري، ولا قصد قائلها إزرأء وغضاً^(٨)؛ فما وقر النبوة، ولا عظم الرسالة، ولا عزز حرمة الاصطفاء^(٩)، ولا عزز حظوة الكرامة^(١٠) حتى

- (١) شاهداً: المراد بما يشهد لما ادعاه، من أن الناس يتساهلون في أمثالها بما لا ينبغي.
- (٢) ولوج: دخول. الضنك: الضيق الذي لا ينبغي دخوله لمن له دين.
- (٣) الوزر: الإثم والخطيئة.
- (٤) هيناً: سهلاً. وهو عند الله عظيم؛ لأنه من الكبائر.
- (٥) هو محمد بن هاني الأندلسي الإشبيلي، كان يميل لمذهب الفلاسفة؛ ولد بمدينة إشبيلية، ونشأ بها، وارتحل إلى مصر، ثم عاد منها فلما نزل ببرقة وجد ميتاً لم يعرف من قتله، وكان ذلك لسبع بقين من رجب سنة اثنتين وسبعين وثلاثمائة.
- (٦) لحوضهم في حق الأنبياء ونحوهم.
- (٧) في ١: في.
- (٨) إزرأء: ازدراء. غضاً: نقصاً؛ لأنه إنما ضرب به المثل بأمور ذكرها قبل هذا.
- (٩) عزز: قوى حرمتها واحترامها. الاصطفاء: اختيار الله لهم لرسالته وأداء أمانته.
- (١٠) عزز: جعلها عزيزة محترمة. والحظوة: القرب؛ أي قربهم من الله بسبب كونهم مكرمين عنده بالرسالة.

شَبَّهَ مَنْ شَبَّهَ فِي كِرَامَةِ نَالِهَا ، أَوْ مَعْرِتَةِ قَصْدِ الْإِنْتِفَاءِ مِنْهَا ^(١) ، أَوْ ضَرْبِ مِثْلِ لِطَيْبِ مَجْلِسِهِ ، أَوْ إِغْلَاءِ ^(٢) فِي وَصْفِ إِتْحَاسِ كَلَامِهِ بِمَنْ عَظَّمَ اللَّهُ خَطَرَهُ ^(٣) ، وَشَرَفِ قَدْرِهِ ، وَالزَّمِ تَوْقِيرَهُ وَبِرَّهُ ، وَنَهَى عَنِ جَهْرِ الْقَوْلِ ^(٤) لَهُ ، وَرَفَعَ الصَّوْتِ عِنْدَهُ .

فَخُقُّ هَذَا إِنْ دُرِيَ ^(٥) عَنْهُ الْقَتْلُ الْأَدَبُ وَالسَّجْنُ وَقُوَّةُ تَعَزُّزِهِ بِمَحَسَبِ شُنْعَةٍ ^(٦) مِمَّا لَهُ ، وَمَقْتَضَى فُتُوحِ مَا نَطَقَ بِهِ ، وَمَأْلُوفِ عَادَتِهِ لِمِثْلِهِ ، أَوْ نُدُورِهِ ^(٧) ، وَقَرِينَةِ كَلَامِهِ ، أَوْ نَدْمِهِ عَلَى مَا سَبَقَ مِنْهُ ؛ وَلَمْ يَزَلِ الْمُتَقَدِّمُونَ يُنْكَرُونَ مِثْلَ هَذَا مَنْ جَاءَ بِهِ ؛ وَقَدْ أَنْكَرَ الرَّشِيدُ عَلَى أَبِي نُوَّاسٍ قَوْلَهُ ^(٨) :

فَإِنْ يَكُ بَاقِي سِجْرِ فِرْعَوْنَ فِيكُمْ فَإِنَّ عَصَا مُوسَى بِكَفِّ خَصِيبِ

(١) فِي كِرَامَةِ : بِسَبَبِ كِرَامَةِ . مَعْرِتَةُ : مَنَقَصَةٌ أَوْ مَشَقَّةٌ . قَصْدُ الْإِنْتِفَاءِ . مِنْهَا ، أَيُّ أَرَادَ التَّخْلُصَ وَالتَّبَرُّيَ مِنْهَا .

(٢) إِغْلَاءٌ : غُلُوٌّ وَمِبالَنَةٌ .

(٣) خَطَرُهُ : الْخَطَرُ : الْقَدْرُ وَالْمَنْزَلَةُ .

(٤) بِقَوْلِهِ تَعَالَى : وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ .

(٥) دُرِيَ : دَفَعٌ

(٦) شُنْعَةٌ مَقَالُهُ : قَبِيحُهُ .

(٧) أَيُّ إِنْ أَلْفَهُ وَاعْتَادَهُ بِتَكَرُّرِ صُدُورِهِ مِنْهُ ، أَوْ وَقَعَ مِنْهُ نَادِرًا قَلِيلًا ، فَكَثَّرْتَهُ تَدَلُّ

عَلَى سُوءِ اعْتِقَادِهِ وَعَدَمِ مِبالَاتِهِ بِهِ . وَقَلْتَهُ تَدَلُّ عَلَى أَنَّهُ خَطَأٌ وَغَفْلَةٌ مِنْ غَيْرِ اعْتِقَادِهِ لَهُ .

(٨) هُوَ الْحَسَنُ بْنُ هَانِيءِ الشَّاعِرِ الْمَرْوُوفِ ، وَلَدٌ بِالْبَصْرَةِ وَنَشَأَ بِهَا ، ثُمَّ ارْتَحَلَ لِبَنْدَادِ ،

وَاتَّصَلَ بِالْخُلَفَاءِ وَمَدَحَهُمْ . وَتُوفِيَ بِمَدَنِ تَسْمِينِ وَمِائَةِ سَنَةٍ وَخَمْسٍ . وَالْبَيْتُ فِي دِيْوَانِهِ : ٤٨٤ ،

وَرِوَايَتُهُ فِيهِ :

فَإِنْ يَكُ فِيكُمْ إِفْكُ فِرْعَوْنَ بَاقِيَا

وَقَالَ فِي هَامِشِ الدِّيْوَانِ : وَكَانَ الْبَيْتُ فِي الْأَصْلِ هَكَذَا :

=

فَإِنْ يَكُ بَاقِي إِفْكُ فِرْعَوْنَ فِيكُمْ

وقال له : يا بن الأخنأ (١) ، أنت المستهزئ بمصا موسى ! وأمر بإخراجه عن
عسكره من ليلته (٢) .

وذكر القتيبي (٣) أن مما أخذ عليه أيضا ، وكثر فيه ، أو قارب - قوله في محمد
الأمين وتشبيهه إياه بالنبي صلى الله عليه وسلم ، حيث قال (٤) :
تنازع الأحمدان الشبه فاشتبهها خلقاً وخلقاً كما قد الشرا كان
[٢٥٣] وقد أنكروا عليه أيضا قوله (٥) :

كيف لا يُدنيك من أملٍ من رسول الله من نقره
لأن حق الرسول وموجب تظيمه وإنافة (٦) منزلته أن يُصاف إليه ،

= قال : ولا يخفى ما في هذه الرواية من ضرورة لا يابجا إليها شاعر مثل أبي نواس ،
وعنده عنها مدسع من الكلام .

قال الخفاجي : ومعنى البيت أنه خاطب أهل مصر لما تولى عليهم فقال : يا أهل مصر ، إن كان
عندكم بقية من سحر فرعون فقد ولي عليكم أمير المؤمنين من يبطله ، فاستعمار سحر فرعون
لسكيدهم وتجيرهم على حكاهم ، وعصا موسى لسياسة حاكمهم وقع ظلمهم .

قال : وهذا فيه تشبيه بديع ، لكن فيه سوء أدب لما فيه من جعل العصا التي هي معجزة
لرسول بكف عبد من عبيد الخلفاء ، وجعل ذلك العبد كرسول من أولى العزم .

ورواية البيت في الشعر والشعراء (٧٨٣) كرواية المؤلف .

(١) هذا مما تشتم به العرب .

(٢) قال الخفاجي : ولكن أبو نواس لم يقصد بما ذكر سبا وتنقيصا ، واتبع الناس في

قولهم لسكل فرعون موسى .

(٣) عبد الله بن مسلم بن قتيبة . وفي هامش ب : القتيبي . وللثب في ١ ، ب .

(٤) الشعر والشعراء : ٧٨٢ ، والصناعتين : ١١٦

(٥) ديوانه : ٤٣٠

(٦) إنافة منزلته : رفعها على غيرها .

ولا يُضاف^(١).

(١) أن يضاف إليه ، فيقال : هو من نهر رسول الله ، ولا يضاف هو إلى غيره .
قال الخفاجي : قال ابن عبد ربه في المقدم : قالوا من حق رسول الله أن يضاف إليه ولا يضاف
هو إلى غيره ، ولو اتسع متسع لكان له مجاز حسن ؛ وذلك لأنه كقول القائل من بني هاشم
لغيره من أبناء قريش : منا رسول الله ؛ يريد أنه من القبيلة التي نحن منها ، كقول حسان بن ثابت :
وما زال في الإسلام من آل هاشم دعائم عز لاترام ومفخر
فقال : من آل هاشم ، كما قال هذا : من نهره .

وقال شارح ديوان أبي نواس (٤٣) ، عابوا على النواصي هذا البيت ؛ ويقول البرد : وهو
لعمري كلام مستهجن موضوع في غير موضعه ؛ لأن حق رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يضاف
إليه ولا يضاف إلى غيره . ولو اتسع متسع فأجراه في باب الحيلة لخرج على الاحتيال ، ولكنه
عسر موضوع في غير موضعه .

ثم تطف للبرد في الدخول إلى باب الاحتيال الذي ذكره ، واعتذر عن أبي نواس ،
فأورد من الشواهد ما يرى أبا نواس مما عابوه به ؛ قال حسان :

وما زال في الإسلام من آل هاشم دعائم عز لاتنال ومفخر
بها ليل منهم جعفر وابن أمه علي ، ومنهم أحمد للتخير
وقال جرير :

إن الذين ابتنوا مجدا ومكرمة تلصكم قريش والأنصار أنصاري
قال في نسيم الرياض (١ - ٤٤٨) :

أقول : يعني أن اللوم إنما جاءه من قوله : من نهره ؛ لفرة السمع عنها ، لكن من عرف
نهرج أبي نواس في إلباس كلامه ديباج غيره من القدماء عرف أنه لا فرق بينه وبين قول
حسان المذكور .

وقال أبو هلال العسكري في الصناعتين (١١٦) :

وقد تبع في هذا القول حسان بن ثابت في قوله :

أكرم بقوم رسول الله شيعتهم إذا تفرقت الأهواء والشيع
وقال السهيلي في الروض الأنف :

قال علي بن الأصغر وكان من رواة أبي نواس : لما عمل أبو نواس هذه القصيدة وأتى بهذا
البيت وفعلى أنه كلام مستهجن ؛ إذ حق رسول الله أن يضاف إليه ولا يضاف إلى أحد ؛ فتلث =

فالحكم في أمثال هذا ما بسطناهُ في طريق الفتيا^(١) على هذا المنهج جاءت
فتياً إمام مذهبنا مالك بن أنس رحمه الله وأصحابه :

ففي النوادر من رواية ابن أبي مریم^(٢) عنه في رجلٍ عَيَّرَ رجُلًا بالفقر ؛ فقال :
تُعَيِّرُنِي بالفقرِ وقد رَعَى النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ العَنَمَ ؟ فقال مالك : قد عَرَضَ^(٣)
بذِكْرِ النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في غير مَوْضِعِهِ ؛ أَرَى أَنْ يُؤَدَّبَ^(٤) ؛ قال : ولا
ينبغي لأهل الذنوبِ^(٥) إذا عوتبوا أَنْ يقولوا : قد أخطأتِ الأنبياءَ قَبْلَنَا^(٦) .

وقال عمر بن عبد العزيز لرجلٍ : انظرْ لنا كاتبًا يكون أبوه عَرَبِيًّا . فقال

له : أعرفت هذا البيت ؟ فقال : ما يعيبه إلا جاهل بكلام العرب ؛ إنما أردت أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم من القبيل الذي هذا المدوح منه ؛ أما سمعت قول حسان :

أكرم بقوم رسول الله شيعتهم . . .

وليس هذا بهيب ؛ لأنها إضافة تشريف لالتعريف ؛ بخلاف قول أبي نواس ؛ لأنه ذكر
واحدًا وأضاف إليه .

(١) في طريق الفتيا ؛ أى يفتى فيه بما يستحقه على قدر شناعة قوله .

(٢) النوادر : اسم كتاب في فنه مالك .

وابن أبي مریم هو أبو بكر سعيد بن الحكم بن أبي مریم الجمحى البصرى الحافظ الثقة ،
روى عنه البخارى ، توفى سنة أربع وعشرين ومائتين .

(٣) عرض : نقص تمرىضا .

(٤) يؤرب : يعزر لينزجر غيره عن مثله .

(٥) لأهل الذنوب ؛ أى من صدر منهم ذنب .

(٦) في هذه العبارة تشبيه أنفسهم بالأنبياء ، ونسب الأنبياء لصدور الذنوب منهم ؛ وكلاهما

مما لا يليق التسلّم به ، ومثله لا يصدر ممن يعرف مقام الأنبياء الذين هم معصومون من الذنوب
كبائرهما وصنائرهما .

كاتب له : قد كان أبو النبي كافرا^(١) ، فقال : جعلت هذا مثلاً لعزله ؛ وقال : لا تكتب لي أبداً^(٢) .

وقد كرهه سَخْنُونُ أَنْ يَصِلَى عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ التَّمَجُّبِ^(٣) إِلَّا عَلَى طَرِيقِ الثَّوَابِ وَالِاحْتِسَابِ ؛ تَوْقِيرًا لَهُ وَتَعْظِيمًا^(٤) ؛ كَمَا أَمَرَنَا اللَّهُ .

وَسُئِلَ الْقَاسِمِيُّ عَنْ رَجُلٍ قَالَ لِرَجُلٍ قَبِيحٍ كَأَنَّهُ وَجْهُ نَكِيرٍ ، وَلِرَجُلٍ عَبُوسٍ كَأَنَّهُ وَجْهُ مَالِكِ النَّضْبَانِ^(٥) ؛ فَقَالَ : أَى شَيْءٍ أَرَادَ بِهَذَا ؛ وَنَكِيرٌ أَحَدُ فَقَاتِي^(٦) الْقَبْرِ ، وَهِيَ مَلَكَانٍ ، فَمَا الَّذِي أَرَادَ ! أَرَوَعُ^(٧) دَخَلَ عَلَيْهِ حِينَ رَأَاهُ مِنْ وَجْهِهِ ، أَمْ عَافٍ^(٨) النَّظَرَ إِلَيْهِ لِدِمَامَةٍ خَلَقَهُ ؛ فَإِنْ كَانَ هَذَا فَهُوَ شَدِيدٌ ، لِأَنَّهُ جَرَى تَجْرِي الْجَحْتِيرِ وَالتَّهْوِينِ ؛ فَهُوَ أَشَدُّ عَقُوبَةً ؛ وَلَيْسَ فِيهِ تَصْرِيحٌ بِالسَّبِّ الْمَلَكِ ؛ وَإِنَّمَا السَّبُّ وَاقِعٌ عَلَى الْمُخَاطَبِ . وَفِي الْأَدَبِ بِالسَّوْطِ وَالسَّجْنِ نَكَالٌ لِلسَّفَهَاءِ^(٩) ؛ قَالَ :

(١) قال الخفاجي : إنما أجابه بهذا ، وهو لم يقل له : يكون أبوه مسلماً ، لأن الكتابة في العصر الأول كانوا من الروم ، والمعجم نصارى وصابئة ؛ لمعرفةم بالحساب .
(٢) وهذا تأديب له وتمزير حتى ينزجر أمثاله عن أمثال هذه المقالة .
(٣) عند التعجب من أمر مستحسن يتمجب منه ، كما هو عادة العوام .
(٤) أى يقصد بصلاته عايه الثواب والاحتساب ؛ أى أن يقوله امثالاً لأمر الله بقوله تعالى : صلوا عليه ؛ فيفعله توقيراً للنبي صلى الله عليه وسلم وتعظيماً كما أمرنا الله تعالى ، لا لتقصده التعجب ، ولا لدفع عينى عما تمجب منه ؛ فإنه ليس محلاً لذلك .
(٥) اسم ملك خازن النار ، ويوصف بالنضب ؛ لأنه موكل بمن غضب الله تعالى عليه ، فيتلقاهم بصورة النضب .

(٦) الفتانان : هما ملكا السؤال ، سميان فتانين في الحديث ؛ من الفتنة ، وأصل معناها الامتحان والاختبار ، لأنها يجتبران مافى قاب الميت من عقيدته وإيمانه .

(٧) الزوع : الخوف والفرع .

(٨) عاف النظر : كرهه واستقذر منظره ، فكره النظر إليه .

(٩) وفى الأدب ، أى التأديب بالسوط : بالضرب به . والنكال العقوبة .

وأما ذا كَرُّ مَالِكٍ خَازِنِ النَّارِ فقد جَفَا^(١) الذي ذكره عند ما أفكر حاله من عبوس الآخر إلا أن يكون المعبس له يد^(٢) فيُرهبُ بعَبْسَتِهِ ، فيشبهه القائل على طريقِ الذمِّ لهذا^(٣) في فعله ، ولزومه في ظلِّه صفةَ مَالِكِ الْمَلِكِ الْمُطِيعِ لِرَبِّهِ في فعله؛ فيقول كأنه لله يَفْضُبُ غَضَبَ مَالِكٍ ؛ فيسكون أخف ؛ وما كان ينبغي له التعرضُ لمثلِ هذا ؛ ولو كان أثنى على العَبُوسِ بعَبْسَتِهِ^(٤) ، واحتجَّ بصفةِ مَالِكٍ كان أشدَّ ، ويعاقبُ المعاقبةَ الشديدةَ ؛ وليس في هذا ذمُّ الْمَلِكِ ، ولو قصد ذمَّةً لتتلى^(٥) .

وقال أبو الحسن^(٦) أيضا في شابٍّ معروفٍ بالخير قال لرجلٍ شيئا ، فقال الرجلُ : اسكُتْ ؛ فإنك أُمِّيُّ^(٧) . فقال الشابُّ : أليس كان النبيُّ صلى الله عليه وسلم أُمِّيًّا ! فشنع عليه مقالَه ، وكفَّرَه الناسُ ؛ وأشنعَ الشابُّ بما قال ، وأظهر الندمَ عليه ؛ فقال

(١) جفا : غلظ طبعه ، وقل أدبه .

(٢) له يد : له قدرة وتسلط بالقهر كالسلطان .

(٣) لهذا ، أى لهذا الذي له يد ، أو لهذا الأمر ، شر الناس من يخاف الناس شره .

(٤) وهى عبوسه .

(٥) قال الخفاجى : هذا مذهب مالك . وعند غيره يؤدب ويستتاب ، فإن تاب وإلا قتل .

ولا يخفى ما فى كلام المصنف هنا ، وأنه كلام مشوش محتاج للتنقيح والتهديب بأن يقول : وعن القابسى فيمن قال لقبيح : كأنه وجه نكبير ، ولعبوس : كأنه وجه مالك النضبان : إنه لا يكفر ، إذ لا تصريح فيه بسب الملك ، وإنما السب فيه للمخاطب ، بل يعاقب العقاب الشديد ، فإن قصد ذم الملك قتل .

قال : ويؤخذ من كلامه هنا أن ذم بعض الملائكة وتنقيصه كذم الأنبياء وتنقيصهم ؛ وصرح به فى آخر الكتاب .

(٦) هو القابسى السابق .

(٧) هو الذى لا يكتب ولا يقرأ الخط ، نسبة إلى أمة العرب لاشتهارهم بذلك . أو نسبة

إلى الأم ، كأنه كما خرج من بطن أمه .

أبو الحسن : أمّا إطلاقُ الكُفْرِ عليه ^(١) فخطأٌ ، لكنه مُحطٌّ في استشهاده ^(٢) بصفةِ النبيِّ صلى اللهُ عليه وسلم ؛ وكونُ النبيِّ أمياً آيةٌ ^(٣) له ؛ وكونُ هذا أمياً نقيصةٌ فيه وجِهالةٌ .

ومن جهالته احتجاجُهُ ^(٤) بصفةِ النبيِّ صلى اللهُ عليه وسلم ؛ لكنه إذا استغفر وتاب ، واعترف ولجأ إلى اللهِ فُتْرَكَ ^(٥) ؛ لأنَّ قوله لا ينتهي ^(٦) إلى حدِّ القتل ؛ وما طريقُهُ الأدبُ فطَوَّعُ ^(٧) فاعله بالندمِ عليه يوجبُ الكفَّ عنه .

ونزلت ^(٨) أيضاً مسألةٌ استفتي فيها بعضُ قضاةِ الأندلسِ شيخاً القاضى أبا محمد ابن منصور رحمه الله في رجلٍ تنقَّصَه [٢٥٦] آخِرُ بشيءٍ ؛ فقال له : إنما تُريدُ تنقِصِي ببولك ، وأنا بشرٌ ؛ وجميعُ البشرِ يُلحِثُهُمُ النِّقْصُ حتى النبيُّ صلى اللهُ عليه وسلم ؛

(١) خطأ ، لأن الله وصفه صلى اللهُ عليه وسلم به في قوله تعالى : الذين يتبعون الرسول النبي الأمي . وهو لم يقصد بذلك ذماً ولا تنقيصاً .

(٢) في استشهاده ، في إثباته بشاهد ونظير لحاله .

(٣) آية له : معجزة باهرة ، وفضيلة ظاهرة .

(٤) احتجاجه على حسن أميته ، وعدم منافاتها للخوض في العلوم . وهذه الجهالة ظاهرة في استشهاده وتمثيله ، فكيف تستوى أميته بأمة غيره ، وقد أتى بعلوم لا تحصى ، وأخبر عما سلف من أحوال الأمم ، وعمما هو آت ، وهو في أمة أمية ، ولم يخرج من بينهم ، ولا نعلم من أحد ، ولذا كانت ذلك من أعظم معجزاته صلى اللهُ عليه وسلم .

قال الخفاجي : فإن استشهد بذلك فهو ممدور لا يكفر بقوله هذا .

(٥) فترك ، ولا يعاقب ويجزر .

(٦) لا ينتهي : لا يصل .

(٧) طوع : تطوع فاعله بالندم عليه معترفاً بخطئه . والتوبة والندامة توجب الكف عنه

وتركه من غير معاقبة له .

(٨) نزلت : وقعت .

فَأْتَاهُ بِإِطَالَةِ سَجْنِهِ ، وَإِجْمَاعِ أَدَبِهِ ^(١) ؛ إِذْ لَمْ يَقْصِدِ السَّبَّ ، وَكَانَ بَعْضُ فُقَهَائِهِ
الْأَنْدَلُسِ أَقْتَى بَقْتَلِهِ .

فصل

الْوَجْهَ السَّادِسَ أَنْ يَقُولَ الْقَائِلُ ذَلِكَ حَاكِيًا عَنْ غَيْرِهِ ، وَآثِرًا ^(٢) لَهُ عَنْ سِوَاهُ ؛
هَذَا يُنْظَرُ فِي صُورَةِ حِكَايَتِهِ وَقَرِينَةِ مَقَالَتِهِ ؛ وَيَخْتَلِفُ الْحُكْمُ بِاخْتِلَافِ ذَلِكَ عَلَى
أَرْبَعَةِ وُجُوهِ : الْوَجُوبُ ، وَالنَّدْبُ ، وَالسُّكْرَاهَةُ ، وَالتَّحْرِيمُ ؛ فَإِنْ كَانَ أَذْبَرَهُ عَلَى
وَجْهِ الشَّهَادَةِ وَالتَّعْرِيفِ بِقَائِلِهِ ، وَالْإِنْكَارِ وَالْإِعْلَامِ بِقَوْلِهِ ، وَالتَّنْفِيرِ مِنْهُ ، وَالتَّجْرِيحِ
لَهُ - فَهَذَا مِمَّا يَنْبَغِي امْتِثَالُهُ ^(٣) ، وَيُحْمَدُ فَعَالُهُ ؛ وَكَذَلِكَ إِنْ حَكَاهُ فِي كِتَابٍ
أَوْ فِي مَجْلِسٍ عَلَى طَرِيقِ الرَّدِّ لَهُ وَالتَّنْقِضِ ^(٤) عَلَى قَائِلِهِ ، وَلِلْأَمْتِيَا بِمَا يَلْزَمُهُ .

وَهَذَا مِنْهُ مَا يَجِبُ ، وَمِنْهُ مَا يَسْتَحَبُّ بِسَبَبِ حَالَاتِ الْحَاكِي لِذَلِكَ وَالْحَاكِي
عَنْهُ ؛ فَإِنْ كَانَ الْقَائِلُ لِذَلِكَ مِمَّنْ تَصَدَّقَى لِأَنَّ بُوْخَذَ عَنْهُ الْعِلْمُ أَوْ رِوَايَةُ الْحَدِيثِ ،
أَوْ يُقَطَّعُ بِحُكْمِهِ أَوْ شَهَادَتِهِ ، أَوْ دُعْيَاهُ فِي الْحَقُوقِ - وَجِبَ عَلَى سَامِعِهِ ^(٥) الْإِشَادَةُ
بِمَا سَمِعَ مِنْهُ وَالتَّنْفِيرُ لِلنَّاسِ عَنْهُ ، وَالشَّهَادَةُ عَلَيْهِ بِمَا قَالَه ^(٦) ، وَوَجِبَ عَلَى مَنْ بَلَّغَهُ

(١) بِإِطَالَةِ سَجْنِهِ : زَجْرًا لَهُ وَلِامْتِثَالِهِ . وَإِجْمَاعِ أَدَبِهِ : إِضَافَةُ الْإِجْمَاعِ وَهُوَ الْإِيلَامُ بِضَرْبِهِ
تَعْزِيرًا لَهُ - إِلَى تَأْدِيئِهِ .

(٢) آثِرًا : نَاقِلًا لَهُ . وَفِي أ : وَإِزَالَهُ .

(٣) طَى وَجْهَ الشَّهَادَةِ ؛ إِثْبَاتًا أَوْ نَفْيًا ، وَالتَّعْرِيفِ بِحَالِ قَائِلِهِ وَصِفَتِهِ ، وَالْإِنْكَارِ عَلَيْهِ فِيمَا
قَالَه ، وَالْإِعْلَامِ بِقَوْلِهِ ، لِجُحْمِ عَلَيْهِ بِمَا يَقْتَضِيهِ ، وَالتَّنْفِيرِ مِنْهُ حَتَّى يَجْتَنِبَ وَيَطْرُدَ ، وَالتَّجْرِيحِ لَهُ
بِالطَّمَنِ فِيهِ وَبَيَانِ عِيُوبِهِ ، فَهَذَا النِّقْلُ عَلَى هَذِهِ الْوُجُوهِ مِمَّا يَنْبَغِي امْتِثَالَهُ وَالْإِقْيَادُ لَهُ وَقَبُولُ نَقْلِهِ .

(٤) النِّقْضُ عَلَى قَائِلِهِ ؛ أَى الْإِبْطَالُ لِمَقَالِهِ بِالْحُجْجِ . وَفِي أ : وَالتَّنْقِصُ - بِالضَّادِ .

(٥) لِلرَّادِّ بِهِ الشَّهْرَةَ مَطْلَقًا .

(٦) وَالشَّهَادَةُ عَلَيْهِ بِمَا قَالَه لِجَعْنَبِ ، أَوْ لِجَعْرَى عَلَيْهِ أَحْكَامُهُ .

ذلك من أئمة المسلمين إنكاره، وبيان كُذْرِهِ، وفسادُ قَوْلِهِ؛ لقطعِ ضَرَرِهِ عن المسلمين، وقياماً بحقِّ سيِّدِ المرسلين؛ وكذلك إن كان ممنَ يَعِظُ العامةَ، أو يُوَدِّبُ الصبيانَ فإنَّ مَنْ هذه سريرته ^(١) لا يُؤْمَنُ على إلقاء ذلك في قلوبهم ^(٢)، فيتأكد ^(٣) في هؤلاء الإيجابُ لحقِّ النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولحقِّ شريعته ^(٤).

وإن لم يكن القائلُ بهذه السبيلِ ^(٥) فالقيامُ بحقِّ النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واجبٌ، وحمايةُ عِرْضِهِ مُتَعَيِّنٌ ^(٦)، ونَصْرَتُهُ عن الأذى حياً وميتاً مستحقٌّ ^(٧) على كل مؤمن؛ لكنه إذا قام ^(٨) بهذا من ظهر به الحقُّ، وفُصِّلَتْ به القضيةُ، وبأن به الأمرُ سقط عن الباقي الفَرَضُ، وبقي الاستحبابُ في تكثير الشهادةِ عليه، وعَضُدٍ ^(٩) التحذير منه.

وقد أجمع السلفُ ^(١٠) على بيان حالِ التَّهْمِ في الحديثِ، فكيف بمثل ^(١١) هذا؟ وقد سئل أبو محمد بن أبي زَيْدٍ عن الشاهدِ يَسْمَعُ مِنْهُ هذا في حقِّ اللهِ تعالى:

(١) سريرته: ما يضر في نفسه.

(٢) في قلوبهم؛ أي لوب من ذكر من العامة والصبيان الذين يقبلون ما يلقي إليهم لعدم

معرفةهم وقد بصيرتهم.

(٣) الإيجاب: أي إيجاب إنكاره وإشاعة فساده.

(٤) لحق النبي على كل أحد، لاسباب الحكم؛ ولحق شريعته التي يجب الذب عنها وحمايتها ما أمكن.

(٥) بهذا السبيل؛ أي لم يكن مما يؤخذ عنه العلم والحديث والفتوى.

(٦) متعين: لا يتهاون فيه مسلم.

(٧) مستحق: واجب.

(٨) قام بهذا المذكور من الحماية والذب عنه.

(٩) عضد: نصر وتقوية.

(١٠) السلف: المتقدمون من العلماء.

(١١) بمثل هذا التهم بالفض من مقام النبوة وتقيصها، لافاعتناء بذاته الشريفة ألزم منه

بجدته.

أَيْسَعَهُ أَلَّا يُؤَدِّيَ^(١) شهادته؟ قال: **إِنْ رَجَا نَفَاذَ الْحُكْمِ بِشهادته فليشهد.**
وكذلك إن علم أن الحاكم لا يرى القتل بما شهد به، ويرى الاستتابة
والأدب فليشهد، ويلزمه ذلك^(٢).

وأما الإباحة لحكاية قوله لغير هذين المقصدين^(٣)، فلا أرى لها مدخلا في هذا
الباب^(٤)، فليس التنفك به عرض رسول الله صلى الله عليه وسلم، والتمضمض^(٥)
بسوء ذكركه لأحد^(٦)، لا ذا كرا ولا آثرا^(٧) لغير عرض شرعى بمباح.
وأما للأغراض المتقدمة^(٨) فتردد بين الإيجاب والاستحباب^(٩).

وقد حكى الله تعالى مقالات المفترين عليه وعلى رسوله في كتابه على وجه الإنكار
لقولهم، والتحذير من كفرهم، والوعيد عليه، والرد عليهم بما تلاه الله علينا في محكم
كتابه.

وكذلك وقع من أمثاله في أحاديث النبي الله صلى الله عليه وسلم الصحيحة
على الوجوه المتقدمة، وأجمع السلف والخلف من أئمة الهدى على حكايات مقالات

(١) أيسعه: أي يجل له ويجوز؟

(٢) قال الحفاجي: وهذا مذهب مالك. ومذهب غيره أنه يلزمه الشهادة مطلقا، وإن
لم يدع، لأنه لا يلزم طاب الشهادة في حقوق الله، وما ورد من الدم في حق من شهد ولم يستشهد
محمول على حقوق العباد.

(٣) لحكاية قوله الذي فيه سب وتحقير للأنبياء لغير هذين المقصدين؟ من الإنكار
والتنفير منه، والتجريح والنقص والإقتاء.

(٤) مدخلا في هذا الباب الذي يجب به صيانة مقام النبوة.

(٥) التنفك: التحدث على طريق التناهي به. والتمضمض: أي إجراؤه على فمه ولسانه.

(٦) لأحد؛ أي جائزا لأحد؛ لأنه يجب تعظيمه واحترام مقامه.

(٧) لا ذا كرا له بلفظه، ولا ناقلا وراويا له عن غيره.

(٨) للأغراض المتقدمة، من الشهادة عليه عند الحاكم، أو الإنكار ونحوه مما تقدم بيانه.

(٩) بين الإيجاب والاستحباب: بين كونه واجبا عليه أو مستحبا.

الكفارة والمُحْدِثِينَ^(١) في كتبهم ومجالسهم لِيُدَبِّنُوهَا لِلنَّاسِ ، وَيَنْقُضُوا شُبُهَهَا عَلَيْهِمْ^(٢) [٢٥٥] ، وَإِنْ كَانَ وَرَدَ لِأَحَدِ بْنِ حَنْبَلٍ إِنْكَارٌ لِبَعْضِ هَذَا عَلَى الْحَارِثِ بْنِ أَسَدٍ^(٣) ؛ فَقَدْ صَنَعَ أَحْمَدُ مِثْلَهُ فِي رَدِّهِ عَلَى الْجَهْمِيَّةِ^(٤) وَالْقَائِلِينَ بِالْمَخْلُوقِ^(٥) .
هذه الوجوهُ السائفةُ الحِكَايَةُ^(٦) عنها ؛ فَأَمَّا ذِكْرُهَا عَلَى غَيْرِ هَذَا^(٧) مِنْ حِكَايَةِ سَبِّهِ وَالْإِزْرَاءِ بِمَنْصِبِهِ عَلَى وَجْهِ الْحِكَايَاتِ وَالْأَسْمَارِ وَالطَّرْفِ^(٨) وَأَحَادِيثِ النَّاسِ وَمَقَالَتِهِمْ فِي الْفِثِّ وَالسَّمِينِ^(٩) ، وَمُضَاحِكِ الْمُجَانِ^(١٠) ، وَنَوَادِرِ السُّخْفَاءِ ، وَالخُوضِ فِي قِيلٍ وَقَالَ ، وَمَالَا يَمْنَى^(١١) - فَكُلُّ هَذَا مَمْنُوعٌ ، وَبَعْضُهُ أَشَدُّ فِي الْمَنَعِ وَالْعُقُوبَةِ مِنْ بَعْضٍ ، فَمَا كَانَ مِنْ قَائِلِهِ الْحَاكِي لَهُ عَلَى غَيْرِ قَصْدٍ أَوْ مَعْرِفَةٍ

(١) للمُحْدِثِينَ : المائلين عن الحق من الزنادقة والمنافقين .

(٢) وينقضوا شُبُهَهَا : ويبطلوا شُبُهَهَا ويردوها .

(٣) هو المعروف بالحاسبي .

(٤) الجهم بن صفوان وأصحابه من المبتدعة وأصحاب المذاهب الباطلة والمعائد الفاسدة .

وهو سمر قندي ، ركان جبريا ، يرى أن الإنسان لا يقدر على شيء ولا استطاعة له ، ولا اختيار ، أفعله يخلقها الله فيه ، وتنسب إليه مجازا .

وجهم هذا هلك في آخر عصر التابعين .

(٥) أى بالقرآن المخلوق ، أو بالعمل المخلوق للإنسان ، أى هو يخلق .

(٦) السائفة : الجائزة الحِكَايَةُ عنها .

(٧) على غير هذا الوجه ؛ من الرد والإبطال ونحوه .

(٨) الحِكَايَاتُ : القصص التي يقصها عوام الناس . والأسمار : إجماع سمر ؛ وهو الحديث ليلا

للعنادمة والمهاورة . والطرف : جمع طرفة ؛ وهو الأمر للستطرف ؛ أى المستحسن للمستجاد .

(٩) في الفث والسمين ؛ أى المعتد به وغيره . وأصل الفث : المهزول ضد السمين .

(١٠) المجان : جمع ماجن ؛ وهو الذى يمتاد المهزل والسخرية من غير مبالاة .

(١١) مالا يمنى : ما لا يهيم ويعتنى به .

بمقدار ما حكاه ، أو لم تكن عادته ، أو لم يكن الكلام من البشاعة حيث^(١) هو ، ولم يظهر على حاكبه استحسانه واستصوابه - زجر^(٢) عن ذلك ، ونهى عن العودة إليه ؛ وإن قوم ببعض الأدب فهو مستوجب له^(٣) ، وإن كان لفظه من البشاعة حيث هو كان الأدب أشد .

وقد حكى أن رجلا سأل مالكا عن بقول : القرآن مخلوق . فقال مالك : كافر فاقبلوه . فقال : إنما حكيتُه عن غيري . فقال مالك : إنما سمعناه منك . وهذا من مالك على طريق الزجر والتغليظ ، بدليل أنه لم ينفذ قتله^(٤) . وإن اتهم هذا الحاكى فيما حكاه أنه اختلقه ، ونسبه إلى غيره ، أو كانت تلك عادة له ، أو ظهر استحسانه لذلك ، أو كان مؤلما بمثله ، والاستخفاف^(٥) له ، أو التحفظ^(٦) له ، وطلبه ، ورواية أشعار هجوه صلى الله عليه وسلم وسبه^(٧) ؛ فحكمكم

(١) حيث هو : حيث هو كربه ومستقيح .

(٢) زجر عن ذلك : وبنح عن حكايته له .

(٣) قوم : أرشد للاستقامة فيما يحكيه ببعض الأدب ؛ بتعزيز خفيف يلبق به غير الزجر .

(٤) قال الخفاجى : لم ينفذ قتله ؛ أى لم يحكم به حكما قطعيا ؛ فإن المذهب أنه لا يقتل

مثله ، وإنما يقتل من أنكر أمرا معلوما من الدين بالضرورة .

ومن روى من حديث : من قال القرآن مخلوق - فهو كافر - لم يثبت مع أنه لو ثبت

فهو مؤول عندهم .

(٥) الولوج بالشيء : الإكثار منه مع إظهار الميل إليه وأنه يحبه - والاستخفاف له : أى عده

هينا عنده لا محذور فيه .

(٦) أو التحفظ له : أى حفظه كثيرا .

(٧) أى القول عن الشركين من ذلك .

هذا حُكْمُ السَّابِّ نَفْسِهِ ، يُوَاخِذُ بِقَوْلِهِ ، وَلَا تَنْفَعُهُ نِسْبَتُهُ إِلَى غَيْرِهِ ، فَيُبَادِرُ بِقَتْلِهِ ^(١) وَيَجْعَلُ إِلَى الْهَاطِيَةِ أُمَّه ^(٢) .

قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ الْقَاسِمِ بْنِ سَلَامٍ - فِيمَنْ حَنِظَ شَطْرَ بَيْتِ مِمَّا هُجِيَ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَهُوَ كَثْرٌ ^(٣) .

وَقَدْ ذَكَرَ بَعْضُ مَنْ أَلْفَ ^(٤) فِي الْإِجْمَاعِ - إِجْمَاعَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى تَحْرِيمِ رِوَايَةِ مَا هُجِيَ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَكِتَابَتِهِ ^(٥) وَقِرَائَتِهِ ، وَتَرْكِه مَتَى وَجِدَ دُونَ نَحْوِ ^(٦) ؛ وَرَحِمَ اللَّهُ أَسْلَافَنَا الْمُتَّقِينَ الْمُتَحَرِّزِينَ ^(٧) لَدَيْهِمْ ؛ فَقَدْ أَسْقَطُوا مِنْ أَحَادِيثِ الْمَغَازِي وَالسِّيَرِ مَا كَانَ هَذَا سَبِيلَهُ ، وَتَرَكَوا رِوَايَتَهُ إِلَّا أَشْيَاءَ ذَكَرُوهَا بِسِيرَةٍ وَغَيْرِ مُسْتَبْشَعَةٍ ^(٨) ، عَلَى نَحْوِ الْوَجْهِ الْأَوَّلِ ، لِيُرُوا ^(٩) نِقْمَةَ اللَّهِ مِنْ قَائِلِهَا ، وَأَخَذَهُ الْمُفْتَرِي عَلَيْهِ بِذَنْبِهِ ^(١٠) .

وَهَذَا أَبُو عُبَيْدٍ الْقَاسِمِ بْنِ سَلَامٍ رَحِمَهُ اللَّهُ قَدْ تَحَرَّى فِيمَا اضْطُرَّ إِلَى الْاسْتِشْهَادِ بِهِ

-
- (١) فِي نَسِيمِ الرِّيَاضِ : قَالَ ابْنُ حَبِجْرٍ : وَمَا ذَكَرَهُ مِنَ الْمُبَادَرَةِ بِقَتْلِهِ ؛ أَيْ إِنْ لَمْ يَنْبِ .
 - (٢) الْهَاطِيَةُ : مِنْ أَسْمَاءِ جَهَنَّمَ ؛ أَيْ مَأْوَاهُ وَمَصِيرُهُ ، كَمَا أَنَّ الْأُمَّ مَأْوَى الْوَالِدِ وَمَفْزَعُهُ .
 - (٣) قَالَ فِي نَسِيمِ الرِّيَاضِ : مَا ذَكَرَهُ مِنَ الْكُفْرِ ظَاهِرٌ عِنْدَ الرِّضَا بِذَلِكَ وَاسْتِحْسَانُهُ ، إِلَّا إِنْ قَصِدَ بِهِ غَيْرُ ذَلِكَ .
 - (٤) فِي ١ : الْف .
 - (٥) فِي ١ : وَكِتَابَهُ . وَلِلثَبْتِ فِي ب .
 - (٦) قَالَ الْحَفَاجِيُّ : مَا ذَكَرَ مِنَ الْإِجْمَاعِ مَعَهُ فِي رِوَايَتِهِ لِنَعْرِضَ غَرَضًا مَسْوُوعًا لِذَلِكَ .
 - (٧) الْمُتَحَرِّزِينَ : الَّذِي يَحْذَرُونَ مِثْلَهُ خَوْطًا مِنْهُ .
 - (٨) بَسِيرَةٌ : قَلِيلَةٌ . غَيْرُ مُسْتَبْشَعَةٍ : لَا قَبِيحَ فِيهَا وَلَا سَبًّا وَلَا هُضْمًا لِمَقَامِهِ .
 - (٩) لِيُرُوا : لِيُظْهِرُوا بِمَا ذَكَرَ مَعَهَا انْتِقَامَ اللَّهِ مِنْ قَائِلِهَا ، كَأَصْحَابِ الْقَلِيبِ وَغَيْرِهِمْ .
 - (١٠) فِي نَسِيمِ الرِّيَاضِ : قَالَ بَعْضُ التَّأَخَّرِينَ : فُخِرَ مِنْ كَلَامِهِ أَنَّ ذِكْرَ الْأَحْوَالِ الْمُدْخُولَةِ حِكَايَةٌ كَانَتْ أَوْ اسْتِشْهَادًا - غَيْرَ مَمْتَنَعٍ إِذَا اقْتَرَنَ بِالذِّكْرِ قَصْدُ جَمِيلٍ كَالنَّاسِي ، وَالتَّحْقِيقُ فِي الْاسْتِشْهَادِ ، وَالرَّدُّ ، وَتَبْيِينُ مَا لَّهُ عِزٌّ وَجَلٌّ فِي ذَلِكَ مِنَ الْحِكْمَةِ فِي الْحِكَايَةِ .

من أهاجى أشعار العرب في كتبه ، فكفى عن اسم المهجوة بوزن اسمه ؛ استبراء لدينه ^(١) ، وتحفظاً من المشاركة في ذم أحد بروايته أو نشره ؛ فكيف بما يتطرق إلى عرض سيد البشر صلى الله عليه وسلم ^(٢) .

فصل

الوجه السابع أن يذكر ما يجوز على النبي صلى الله عليه وسلم ، أو يختلف في جوازه عليه ، وما بطراً من الأمور البشرية به ، وتمكين إضافتها إليه ، أو يذكر ما امتحن به ، وصبر في ذات الله ^(٣) على شدته من مناساة أعدائه ^(٤) ، وأذاهم له ؛ ومعرفة ؛ ابتداء حاله وسيرته ، وما أقيمه من بؤس ^(٥) زمنه ، ومر عليه من معاناة ^(٦) عيشه ؛ كل ذلك على طريق الرواية ، ومذاكرة العلم ، ومعرفة ما صحّت منه العصمة للأنبياء ، وما يجوز عليهم ^(٧) - فهذا فنٌ خارجٌ عن هذه الفنون الستة ^(٨) ؛ إذ ليس فيه غمضٌ ولا نقصٌ ، ولا إزراءٌ ولا استخفافٌ ^(٩) ، لا في ظاهر اللفظ [٢٥٦] ولا في متصد الألفاظ ؛ لكن يجب أن يكون الكلام

-
- (١) استبراء لدينه : طلباً لأن يكون دينه بريئاً من تنقيص أحد والخوض في عرضه .
 - (٢) في نسيم الرياض : وهذا - كما يقال - سبك من بلنك ، والحاكي أحد الشاعرين .
 - (٣) في ذات الله : لأجل الله ابتغاء لرضاه ، لا معجزاً منه ، ولا لفرص آخر .
 - (٤) أى صبر على شدائد قاسية من أعداء الدين .
 - (٥) بؤس زمانه : شدائده .
 - (٦) معاناة : تعب .
 - (٧) أى يذكر ذلك لمعرفة لا للإزراء به عليهم .
 - (٨) الفنون : الأنواع الستة ، وهى الوجوه السابقة التى ذكرت قبل هذا الوجه السابع .
 - (٩) إزراء واستخفاف : إهانة وتحقير .

فيه مع أهل العلم وفهماء طلبية الدين ممن يفتهم مقاصده ، ويحققون فوائده (١) ؛
ويجنب ذلك من عساه لا يفتقه ، أو يخشى به فتنته (٢) ؛ فقد كره بعض السلف تعليم
النساء سورة يوسف ، لما انطوت عليه من تلك القصص (٣) لضعف معرفتهن ،
ونقص عقولهن وإدراكهن ؛ فقد قال صلى الله عليه وسلم - مخبراً عن نفسه
بأستيجاره (٤) لرعاية الغنم في ابتداء حاله ؛ وقال : ما من نبي إلا وقد
رعى الغنم .

وأخبرنا الله تعالى بذلك عن موسى عليه السلام (٥) ؛ وهذا لاغضاضة فيه جملة
واحدة (٦) لأن ذكره على وجهه (٧) ، بخلاف من قصد به الغضاضة والتحقير ؛
بل كانت عادة جميع العرب (٨) .

(١) ويحقق فوائده : يتحققها ، لأنه على بصيرة في مقامات الأنبياء وجلالة قدرهم .

(٢) يجنب ذلك : يبعد ويقص عن ذكر ذلك من أحوال الأنبياء .

وفي نسيم الرياض : قال ابن حجر : وما اقتضاه كلامه من حرمة ذكر مامر للعوام ظاهر
إن ظن بقريئة حالم تولد فتنة لهم منه ، أو استخفاف ، أو نحوهما ؛ وإلا فالذي ينبغي
الكرهه .

(٣) من تلك القصص ؛ أى ما فيها من ذكر شنف النساء بالصور الجميلة ومرادتهن ،
والتحيل منهن للمواصلة لمن يحب .

(٤) بأستيجاره : إيجاره نفسه لتريش في صغره .

(٥) في رعيه لشعيب عليه السلام في قوله : إني أريد أن أنكحك إحدى ابنتي هاتين على
أن تأجرني ثمانى حجج .

(٦) جملة واحدة : ليس في شيء منه أصلاً غضاضة .

(٧) على وجهه ؛ من مذاكرة أهل العلم .

(٨) بل كانت عادة جميع العرب : بل كانت رعاية الغنم عادة جميع العرب ، حتى أولاد

أشرافهم .

نعم ، في ذلك للأنبياء حكمةٌ بالغةٌ ، وتدرّيجٌ لِّ اللهُ تعالى لهم إلى كرامته (١) ،
وتدريبٌ برعايتها لسياسة أمهم من خَلِيَّتِهِ (٢) بما سبق لهم من الكرامة في الأزل ،
ومتقدم العلم (٣) .

وكذلك قد ذكر اللهُ بِتَمِّهِ وَعَيْلَتِهِ على طريق المِنَّة (٤) عليه ، والتعريفِ
بكرامته له ؛ فذكرُ الذاكر لها على وجهِ تعريفِ حاله ، والخبرِ عن مُبْتَدئه ،
والتعجبِ مِنْ مَنَحِ اللهُ قَبْلَهُ ، وعظيمِ مَنِّهِ عنده ليس فيه غَضَاضَةٌ ؛ بل فيه
ذلالةٌ على نبوته وصحة دعوته ؛ إذ أظهره اللهُ تعالى بعد هذا على صناديدِ (٥) العربِ
وَمَنْ نَاوَأَهُ (٦) من أشرفهم شيئا فشيئا ، ونَمَى أَمْرَهُ (٧) حتى قهرهم ، وتمكَّن من

(١) إلى كرامته ؛ أي إكرامهم بالنبوة والرسالة .

(٢) فيسوس الأمم كما يسوق الغنم ، ويضبط أمورها ويحفظها .

(٣) في نسيم الرياض :

قال ابن حجر في شرح البخاري : حصل لهم عليهم الصلاة والسلام الخرن برعيها على ما يكفون
به من القيام بأمر الأمة والشفقة عليها ، كما يصبر الراعي على سوق غنمه وجمعها إذا تفرقت
وحفظها من سبع وذئب وسارق ، وسوقها لما فيه نفعها في مرعاه ، وتفرده بأمرها منقطعا
عن الناس غير مشارك في أمره ، ولا متوان ؛ فيقيس أمور الناس بعد الرسالة على هذا النوال ؛
ولذا قال : كلهم راع ومستول عن رعيته ؛ مع ما فيه من تواضعه وكسبه .

(٤) عيلته : كونه في القيام على أهل وعائلته من قلة معيشته ، في قوله تعالى : ألم يجدك
يتيمًا فآورى ، ووجدك ضالًا فهدى ، ووجدك عائلا فأعنى . . . والمنة عليه : تمديد النعمة
عليه ، لاحتقيرها له - صلى اللهُ عليه وسلم .

(٥) صناديد : جمع صنديد ، وهو السيد الشريف في قومه الجامع بين الشجاعة والحماسة
والجود ، الغالب لمن عاداه وعارضه .

(٦) ناوَأَهُ : عاداه . وفي ١ : ناوَأَهُ . وهو بمنه .

(٧) نَمَى أَمْرَهُ : زاد واشتهر شأن نبوته .

مَلِكٍ مَتَأَلِيدِهِ^(١) ، واستباحة ممالك كثيرٍ من الأمم غيرهم ؛ بإظهارِ اللهِ تعالى له ، وتأْييدهِ بِنَصْرِهِ وبالمؤمنين ، وأَلف^(٢) بين قلوبهم ، وإمدادهِ بالملائكةِ المسوِّمين^(٣) ؛ ولو كان ابنُ مَلِكٍ أو ذَا أَشْيَاعٍ متقدِّمين^(٤) لِحِسْبِ كثيرٍ من الجهَّالِ أَنَّ ذَلكَ مُوجِبٌ ظهورِهِ ، ومُقْتَضَى عُلُوِّهِ ؛ ولهذا قال هِرَقْلُ^(٥) - حينَ سألَ أبا سفيانَ عنه : هل في آباءه مِن مَلِكٍ ؟ فقال : لا . ثم قال : ولو كان في آباءه مَلِكٌ لَنَلُنَا : رجلٌ يَطْلُبُ مَلِكَ أبيه ، وإِذِ اليَتَمُ من صِفَتِهِ وإحدى علاماته في الـكُتُبِ المتقدمة وأخبارِ الأممِ السالِفةِ .

وكذا وقع ذِكْرُهُ في كتابِ أَرْمِيَا ؛ وبهذا وصفه ابنُ ذِي يَزَنَ لعبدِ المطلب^(٦) ، وبجِرا لأبي طالب^(٧) .

وكذلك إِذا وُصِفَ بِأَنه أُمِيٌّ كما وصفَهُ اللهُ به^(٨) - فهي مِدْحَةٌ له وفضيلةٌ

(١) مقاليد : جمع مقلاذ ؛ وهو المفتاح .

(٢) في ١ : والف . والثبت في ب .

(٣) وإمداده : إرساله مددا يوم بدر وغيره . السومين : الذين لهم سمة وعلامة تميزهم عن غيرهم .

(٤) ذَا أَشْيَاعٍ : صاحب جنود وأتباع ؛ جمع شيعه ؛ وهي الهرقة العظيمة من الناس . متقدمين :

على زمن ظهوره ؛ بأن كانوا أتباعه من أبيه وجده .

(٥) هِرَقْلُ : ملك الروم ، سأل عنه - لما بلغه خبره - أبا سفيان ؛ وأبو سفيان هو صخر

ابن حرب ، أسلم ليلة الفتح ، وشهد الطائف حنيناً واليرموك ، وتوفي بالمدينة سنة إحدى وأربع وثلاثين . والحديث في الصحيحين : صحيح البخارى : ١ - ٧

(٦) ابن ذِي يَزَنَ : ملك اليمن . لعبد المطلب جد النبي حين ذهب إليه مع أشرف قريش

ليهبشوه بأخذ ملكه من الحبشة ، فاختلف به وبشره بقدم نبي عظيم ، وأنه لا أب له ، وإنما

يكفله جده وعمه .

(٧) وبجِرا لأبي طالب حين ذهب معه للشام . وفي كلامه : يموت أبوه وأمه ويكفله جده .

(٨) أُمِيٌّ : لا يقرأ ولا يكتب ، كما وصفه الله تعالى في قوله : فَأَمْنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ أُمِيٌّ ...

ثابتة فيه ، وقاعدة مُعْجَزَتِهِ ^(١) ؛ إذ مُعْجَزَتُهُ العظمى من القرآن العظيم إنما هي متعلقة بطريق المعارف والعلوم ^(٢) ، مع ما مُنِحَ صلى الله عليه وسلم ، وفُضِّلَ به من ذلك ، كما قدَّمناه في القسم الأول ^(٣) .

وجودٌ مِثْلُ ذلك من رَجُلٍ لم يقرأ ولم يكتب ولم يدرس ^(٤) ولا تُقَنَّ - مُتَقَضَى العَجَب ، ومُنْتَهَى العِبَر ، ومُعْجَزَةُ البَشَرِ ^(٥) .

وليس في ذلك نَقِيصَةٌ ؛ إذ المطلوبُ من الكتابة والقراءة المعرفة ؛ وإنما هي آلة لها ، وواسطةٌ موصَّلةٌ إليها غيرُ مُرادَةٍ في نفسها ؛ فإذا حصلتِ الثمرةُ والمطلوبُ استغنى عن الوسطةِ والسببِ .

والأُمِّيَّةُ في غيره نَقِيصَةٌ ^(٦) ؛ لأنها سببُ الجهالةِ ، وعنوانُ الفبْكَوَةِ ؛ فسبحانَ مَنْ بَايَنَ أَمْرَهُ من أَمْرٍ غيره ، وجعلَ شرفَهُ فيما فيه محطَةٌ سِوَاهُ ^(٧) ، وجعلَ حياتَهُ فيما فيه هلاكٌ مَنْ عَدَاهُ ؛ هذا شقُّ قلبِهِ ، وإخراجُ حُشْوَتِهِ ^(٨) ، كان تمامَ

(١) قاعدة معجزته : أساس معجزته .

(٢) بطريق المعارف والعلوم التي وصلت إليه مما لم يتفق ولا يمكن لغيره .

(٣) من الباب الرابع .

(٤) ولم يدرس : لم يقارن أحدا يدرس عنده ما يتعلمه من الأفواه .

(٥) ومُعْجَزَةُ البَشَرِ التي أعجزتهم عن مثله .

(٦) في ا : وليس فيه ذلك نقيصة . والمثبت في ب .

(٧) محطَّة : نقص وتنزيل . والمراد أن بعض ما زاد به شرفه صلى الله عليه وسلم فيه نقص

وتنزيل لغيره .

قال في نسيم الرياض (٤ - ٤٦٧) : وهو إشارة لما قدمه ؛ من يتمه الذي بين به أن ربه أدبه فأحسن تأديبه ، ورباه من غير منة لخلق عليه ، فكان - صلى الله عليه وسلم - بهذا ما بينا لغيره ممن تربى يتما ؛ وجمله ذا عيلة ليعلم أنه غنى بالله ، وأنه لم يتبعه من تبعه لأمْر دنيوى ؛ وجمله أميا ليعلم أن علمه لدنى ؛ وهذا غاية الشرف ؛ وهو في غيره نقص وشين .

(٨) المراد ما كان في داخله من العلقة السوداء .

حياته^(١)، وغاية قوة نفسه، وثبات روعه^(٢)؛ وهو فيمن سواه مُفتهى هلاكه وحتْمُ موته وفنائه، وهلمَّ جراً إلى سائر ما روى من أخباره وسيره، وتقلُّه من الدنيا [٢٥٧] ومن الملبس والطعم والزرَّكَب، وتواضعه ومهنته نفسه^(٣) في أموره، وخدمة بيته زهداً ورغبةً عن الدنيا، وتسويةً بين حقيرها وخطيرها^(٤)؛ لسرعة فناء أمورها، وتقلب أحوالها؛ كلُّ هذا من فضائله ومآثره وشرفه كما ذكرناه؛ فن أورد شيئاً منها^(٥) مَوْرَدَه وقصد بها مقصده^(٦) كان حسناً، ومن أورد ذلك على غير وجهه^(٧)، وعلم منه بذلك سوء قصده لِحَقِّ بالفصول التي قدمناها . وكذلك ماورد من أخباره وأخبار سائر الأنبياء عليهم السلام في الأحاديث مما في ظاهره إشكالٌ يقتضى أموراً لا تليقُ بهم بحالٍ، ويحتاج إلى تأويلٍ وتردُّدٍ^(٨) احتمالٍ؛ فلا يجب أن يُتحدَّثَ منها إلا بالصحيح، ولا يُروى منها إلا المعلومُ الثابت .

ورحِمَ اللهُ مالكا؛ فلقد كرهَ التحدُّثَ بمثل ذلك من الأحاديث الموهمة

(١) كان تمام حياته؛ لأنه أخرج منه ما يتعلق به وسوسة الشيطان، وملىء علماً وحكمة؛ ففيه تمام الحلقة الحقيقية .

(٢) روعه : قلبه .

قال الخفاجي : أريد بشقه أن يجعل فيه ما يثبت على تاقى الوحي وملاقة الملائكة .

(٣) مهنته نفسه : خدمته نفسه .

(٤) الخطير : العظيم .

(٥) موره : في محله الذي ينبغي .

(٦) مقصده : الذي يليق بقدره وشرفه .

(٧) على غير وجهه اللائق به لإيهامه تحقيراً وتنقيصاً .

(٨) تردد احتمال : تردد سامعها ، لاحتمالها لوجوه أخر .

للتشبيه^(١) والمشكلة المعنى؛ وقال : ما يدعُو الناسَ إلى التحدُّثِ بِمِثْلِ هذا؟
فَقِيلَ لَهُ : إِنَّ ابْنَ عَجَلَانَ^(٢) يحدِّثُ بِهَا ؛ فقال : لم يكن من الفقهاء ، وليت
الناس واقفوه على تركِ الحديثِ بها ، وساعدوه على طيِّبها ؛ فأكثرها ليس
تحتَه عمل .

وقد حُكِيَ عن جماعةٍ من السَّلفِ ، بل عنهم على الجملة - أنهم كانوا يكرهون
الكلامَ فيما ليس تحتَه عملٌ^(٣) ، والنبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أوردَها على قومٍ
عَرَبٍ بِفَهْمٍ عَرَبِيٍّ كَلَامَ الْعَرَبِ عَلَى وَجْهِهِ ، وَتَصَرُّفَاتِهِمْ فِي حَقِيقَتِهِ وَتَجَاوُزِهِ ، وَاسْتِعَارَتِهِ ،
وَبَلِيغِهِ وَإِيجَازِهِ ؛ فَلَمْ تَكُنْ فِي حَقِّهِمْ مُشْكَلَةً ، ثُمَّ جَاءَ مَنْ غَلَبَتْ عَلَيْهِ الْمُعْجَمَةُ^(٤) ،
دَاخَلَتْهُ الْأُمِيَّةُ^(٥) ؛ فَلَا يَكَادُ يَفْهَمُ مِنْ مَقَاصِدِ الْعَرَبِ إِلَّا نَعْمًا وَصَرِيحًا ،
وَلَا يَتَحَقَّقُ بِإِشَارَاتِهَا إِلَى غَرَضِ الْإِيجَازِ ، وَوَحْيِهَا^(٦) وَتَبْلِيغِهَا ، وَتَلْوِيحِهَا^(٧) ؛

(١) للتشبيه : أى تشبيهه الله بغيره .

(٢) ابن عجلان : الإمام الثقة المحدث أبو عبد الله محمد بن عجلان النخعي المدني ، توفي
سنة ثمان وأربعين ومائة .

قال الخفاجي : وكان مالك لا يرى التكلم في التشابهات ؛ وهذا محمول على نقلها عند العوام
الذين لا يعرفون مثلها ؛ فلا وجه للإشكال بأنه كيف يجوز أن يكتم ما صح عنه صلى الله عليه
وسلم من غير نهى عن نقله . ولو كان مما يجب تركه لم يحدث به أصحابه .

وقيل : إنه لم يوافق عليه أحد ؛ فإنه لو كان كذلك لم يحدث بها النبي صلى الله عليه وسلم
أصحابه ، ولم يقل : بلغوا عني ؛ وإنما هو ابتلاء الراسخين في العلم ؛ ليتبعوا أفسارهم ويعملوا
أنظارهم فيها حتى يطبقوها على المحكم . وقد فعلوا جزاءهم الله كل خير .

(٣) مما ليس تحتَه عمل : مما لا يشتمل على الأحكام الشرعية .

(٤) المعجمة : عدم الفصاحة .

(٥) الأمية : يريد الجهل بلسان العرب .

(٦) وحيا : رمزها .

(٧) التلويح : التعريض والإشارة .

فتفرقوا من تأويلها [وحمليها على ظاهرها] شذر مذر^(١)؛ فهم من آمن به ،
ومنهم من كفر .

فأما ما لا يصح من هذه الأحاديث فواجب ألا يذكر منها شيء في حق الله
ولا في حق أنبيائه، ولا يتحدث بها، ولا يتكلف الكلام على معانيها. والصواب
طرحها^(٢)، وترك الشغل بها إلا أن تذكر على وجه التعريف بأنها ضعيفة^(٣) للمقادير
واهية الإسناد^(٤).

وقد أنكر الأشياخ على أبي بكر بن فورك^(٥) تكلفه في مشكله^(٦) الكلام
على أحاديث ضعيفة موضوعة لا أصل لها ، أو منقولة عن أهل الكتاب الذين
يلبسون^(٧) الحق بالباطل كان يكفيه طرحها^(٨) ، ويغنيه عن الكلام التنبه على
ضعفها ؛ إذ المقصود بالكلام على مشكل ما فيها إزالة اللبس ، واجتنائها^(٩) من
أصلها ، وطرحها أو كشف اللبس وأشفي للنفس^(١٠) .

(١) شذر مذر : ذهبوا في التشابه إلى مذاهب وجهات ؛ تفرقوا ؛ فمن قائل : نؤوله ،
ومن قائل نقيه على ظاهره ، ومن قائل : نؤمن به من غير تعرض لمعناه وكشف القناع
عنه . وفي هامش ب : قوله شذر مذر معناه أخذوا في كل وجه . وما بين القوسين في هامش ب .
(٢) طرحها : تركها .

(٣) ضعيفة المقادير : ضعيفة طريق الرواية .

(٤) واهية الإسناد : إسنادها شديد الضعف ساقط عن درجة الاعتبار .

(٥) هو الإمام محمد الحسن بن فورك الشافعي المحدث الأصولي ، توفي سنة ست وأربعمائة .

(٦) في مشكله : في كتابه الذي سماه « مشكل الحديث » في التشابه .

(٧) يلبسون : يخاطبون .

(٨) طرحها : ترك ذكرها .

(٩) اجتنائها : قلمها وقطمها .

(١٠) قال الخفاجي : فإنها بعد شيوعها لا بد من بيانها حتى لا يفتربها الجهلة .

وفي كتاب ابن فورك فوائد جلية ومعان بديعة يعرفها من وقف عليه ، مع أن في كتابه

أحاديث منها ما هو صحيح ، ومنها ما هو ضعيف نبه على ضعفه .

فصل

ومما يجبُ على المتكلم فيما يجوزُ على النبي صلى الله عليه وسلم وما لا يجوز ؛
والذَّاكِرُ من حالاته ما قدّمناه في الفصل قَبْلَ هذا على طريق المذاكرة والتعليم^(١) -
أن يلتزمَ في كلامه - عند ذِكْرِهِ صلى الله عليه وسلم ، وِذِكْرِ تلكَ الأحوالِ -
الواجبَ من توقيره وتعظيمه ، وِراقبَ حالَ لسانه ، ولا يُهمَله^(٢) ، وتظَهَّرَ عليه
علاماتُ الأدبِ عند ذِكْرِهِ ؛ فإذا ذَكَرَ ما قاساه من الشدائد ظهر عايبه الإشفاقُ
والارتماضُ^(٣) ، والغَيْظُ على عدوّه ، ومودةُ الفِداءِ^(٤) للنبي صلى الله عليه وسلم لو قدَر
عليه ، والنُصرةُ له لو أمكنته .

وإذا أخذ^(٥) في أبوابِ العصمةِ ، وتكلمَ على مجارى أعماله^(٦) وأقواله صلى الله
عليه وسلم تحمّسى أحسنَ [٢٥٨] اللفظِ وأدبَ العبارةِ ما أمكنه ، واجتنبَ بشيخ
ذلك^(٧) ، وهجرَ^(٨) من العبارةِ ما يقبُح ؛ كلفظةِ الجَهْلِ والكذبِ والعصيةِ ؛
فإذا تكلمَ في^(٩) الأقوالِ قال : هل يجوزُ عليه الخُلفُ^(١٠) في القولِ والإخبارِ بخلافِ

(١) المذاكرة مع أقرانه ، والتعليم لمن هو دونه .

(٢) يراقب حال لسانه بتعبيره بمباراة حسنة . ولا يهمله ؛ أى لا يترك توقيره .

(٣) الإشفاق ؛ بإظهار شفقتك عليه بما أصابه . والارتماض ؛ أى احتراقه ولوعته ؛ من

ارتخض الرجل من كذا ، إذا اشتد عليه وأقلقه .

(٤) مودة الفداء : تمنى أن يكون فدية له بنفسه وأهله وماله من جميع للكراهة ؛ أى أن

يسلم النبي صلى الله عليه وسلم ويحل به هو ما حل بالنبي عوضاً عنه .

(٥) إذا أخذ : شرع في التكلم .

(٦) على مجارى أعماله : على ما جرى من أعماله .

(٧) بشيخ ذلك : ما فيه بشاعة وقباحة يجعها السمع .

(٨) هجر : ترك .

(٩) في الأقوال : فيما يتعلق بأقواله صلى الله عليه وسلم .

(١٠) الخلف : المخالفة .

ما وقع سهواً أو غلطا ، ونحوه من العبارة ، ويتجنب لفظة الكذب جملة^(١) واحدة .
وإذا تكلم على العلم قال : هل يجوز ألا يعلم إلا ما علم^(٢) ؟ وهل يمكن ألا
يكون عنده علم من بعض الأشياء حتى يوحى إليه ؛ ولا يقول^(٣) : يجهل ؛ لقبح
اللفظ وبشاعته^(٤) .

وإذا تكلم في الأفعال^(٥) قال : هل يجوز منه المخالفة في بعض الأوامر
والنواهي^(٦) ومواقفة بعض الصغائر ؟ فهو أولى وآدب من قوله : هل يجوز أن
بعضي أو يذنب أو يفعل كذا وكذا ، من أنواع المعاصي ؟ فهذا من حق توقيره
صلى الله عليه وسلم ، وما يجب له من تمييز^(٧) وإعظام .
وقد رأيت بعض العلماء لم يتحفظ من هذا ، فتبجح منه^(٨) ، ولم استصوب^(٩)
عبارة فيه .

(١) جملة واحدة ؛ أي بجميع ألفاظه .

(٢) ما علم : ما علمه الله تعالى .

(٣) ولا يقول - في التعبير عن هذا : « يجهل » ؛ وإن كان الجهل عدم العلم .

(٤) في نسيم الرياض (٤ - ٤٧٢) : قال البافلاني : يجوز عقلا كون النبي صلى الله

عليه وسلم غير عالم ببعض شرائع من قبله ، وكونه غير عالم ببلغات غير قومه ، وبعض أمور الدنيا
كالخرف والصنائع .

(٥) في الأفعال : في أفعاله صلى الله عليه وسلم .

(٦) في بعض الأوامر التي أمر الله بها . والنواهي : التي نهاه الله عنها .

ومواقفة : ووقوع .

(٧) تمييز : تعظيم في نفسه ، وإعظام عند غيره .

(٨) في ١ : فتبجح - بالبناء للمعلوم .

(٩) لم استصوب : لم أعدده صوابا .

ووجدتُ بعضَ الجائرين قَوْلَهُ^(١) لَأَجَلَ تَرَكَ تَحْفُظُهُ فِي الْعِبَارَةِ مَا لَمْ يَقُلْهُ ؛ وَشَتَّعَ عَلَيْهِ بِمَا يَأْبَاهُ ، وَيُكْفِرُ^(٢) قَائِلَهُ .

وَإِذَا كَانَ مِثْلُ هَذَا بَيْنَ النَّاسِ مُسْتَعْمَلًا فِي آدَابِهِمْ وَحُسْنِ مُعَاشَرَتِهِمْ وَخِطَابِهِمْ ؛ فَاسْتَعْمَالُهُ فِي حَقِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْجِبُ ، وَالزَّمَامُ آ كَد .

فجودةُ العبارةِ تَقْبِيحُ الشَّيْءِ ، أَوْ تَحْسِنُهُ^(٣) ، وَتَحْرِيرُهَا^(٤) وَتَهْذِيبُهَا تُعْظِمُ الْأَمْرَ أَوْ تَهْوِّنُهُ ؛ وَلِهَذَا قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لِمَنْ مِنَ الْبَيَانِ لِسْحَرًا »^(٥) .

فَأَمَّا مَا أُورِدَهُ عَلَى جِهَةِ الشَّقِيِّ عَنْهُ وَالتَّنْزِيهِ فَلَا حَرَجَ فِي تَسْرِيحِ^(٦) الْعِبَارَةِ وَتَصْرِيحِهَا فِيهِ ؛ كَقَوْلِهِ : لَا يَجُوزُ عَلَيْهِ الْكُذِبُ جَمَلَةً ، وَلَا إِتْيَانُ الْكِبَائِرِ بَوَاجِهِ ،

(١) الجائرين : المائلين عن الإنصاف . قوله : من التقول ؛ وهو تكلف القول والافتراء عليه .

(٢) ويكفر قائله : هذا الضبط في ا . وفي ب : ضبطت الفاء بالشدة والفتحة .

(٣) تقبيح الشيء : تجمل الحسن قبيحا . أو تحسنه ؛ أي تجمله حسنا .

(٤) وتحريرها : أي جعل العبارة محررة منقحة وتهذيبها ؛ أي تخليصها مما لا يحسن قوله . يعظم الأمر : يصيره عظيما وإن كان هينا . أو يهونه : يجعله هينا وإن كان عظيما في نفسه .

(٥) في الحديث الصحيح : صحيح مسلم : ٥٩٤ ، وسنن الترمذي : ٤ - ٣٧٦ ، والبيان بمعنى الفصاحة واللسن ، بمنزلة ذكاء وفطنة . وقيل : هو الكلام المنقح القريب إلى الأفهام الملبين له أحسن تبين وأقربه . لسحرا ؛ أي كالسحر في صرف العقول ؛ أي يميل به القلوب ويرضى به الساخط ، ويستدل به الصمب . قال في نسيم الرياض : واعلم أن ما ذكره المصنف باب عظيم من أبواب البلاغة ؛ وهو أن الكلام المتحد المعنى باختلاف العبارة ؛ كما حكى عن الرشيد أنه رأى في منامه أن أسنانه كلها وقمت ، وتمبيره ذهاب الأعوان والأنصار ، فطلب معبرا يمبر رؤياه ، فأتى له برجل عابر ؛ فقال له : يموت أولادك وأحبائك ، وترى مصيبتهم . فأمر بقلع أسنانه كلها . ثم أتى بآخر فقال : عمرك أطول من عمر أهلك وحواشيك وأجائلك . فأمر أن يحشى فؤاده درا .

(٦) تسريح العبارة : إطلاقها من غير احتراز .

ولا الجور في الحكم على حال ؛ ولكن مع هذا يجب ظهور توقيره وتعظيمه عند ذكره مجرداً ؛ فكيف عند ذكر مثل هذا .
وقد كان السلف تظهروا عليهم حالات شديدة عند مجرد ذكره ، كما قدمناه في القسم الثاني .

وقد كان بعضهم يلتزم مثل ذلك عند تلاوة آي من القرآن ، حكى الله تعالى فيها مقال عداه ؛ ومن كفر بآياته ، وافترى عليه الكذب ؛ فكان يخفض بها صوته إظماماً لربه ، وإجلالاً له ، وإشفاقاً من التشبه بمن كفر به .

البَابُ الثَّانِي

في حُكْمِ سَابِئَةٍ وَشَانِئَةٍ (١) وَمُتَنَقِّصَةٍ وَمُؤَذِّيهِ وَعُقُوبَتِهِ وَذِكْرِ اسْتِقَابَتِهِ وَوَرَامَتِهِ
 قَدْ قَدَّمْنَا مَا هُوَ سَبٌّ وَأَذَى فِي حَقِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَذَكَرْنَا لِإِجْمَاعِ الْعُلَمَاءِ
 عَلَى قَتْلِ فَاعِلِ ذَلِكَ وَقَائِلِهِ (٢) ، أَوْ تَخْيِيرِ الْإِمَامِ فِي قَتْلِهِ أَوْ صَلْبِهِ (٣) عَلَى مَا ذَكَرْنَاهُ ،
 وَقَرَّرْنَا الْحُجَجَ (٤) عَلَيْهِ .

وبعد فاعلم أن مشهور مذهب مالك وأصحابه ، وقول السلف وجمهور العلماء
 قتلُهُ حَدًّا لَا كُفْرًا إِنْ أَظْهَرَ التَّوْبَةَ مِنْهُ (٥) ؛ وَلِهَذَا لَا تُقْبَلُ عِنْدَهُمْ تَوْبَتُهُ (٦) ،
 وَلَا تَنْفَعُهُ اسْتِقَابَتُهُ وَلَا فَيْئَتُهُ (٧) كَمَا قَدَّمْنَاهُ قَبْلُ ، وَحُكْمُهُ حُكْمُ الزُّنْدِيقِ ،
 وَمُسِيرِ الْكُفْرِ فِي هَذَا الْقَوْلِ ؛ وَسِوَاهُ كَانَتْ تَوْبَتُهُ عَلَى هَذَا بَعْدَ الْقُدْرَةِ عَلَيْهِ
 وَالشَّهَادَةِ عَلَى قَوْلِهِ ، أَوْ جَاءَ تَائِبًا مِنْ قَبْلِ نَفْسِهِ ؛ لِأَنَّهُ حَدٌّ وَجَبَ لَا تُسْقِطُهُ التَّوْبَةُ
 كَسَائِرِ الْحُدُودِ (٨) .

(١) شَانِئَةٍ : مَبْنِيئَةٍ .

(٢) وَقَائِلِهِ : مَنْ يَقُولُهُ وَيَتَكَلَّمُ بِهِ .

(٣) فِي قَتْلِهِ بِالسَّيْفِ ، أَوْ صَلْبِهِ تَشْبِيرًا لَهُ بَيْنَ النَّاسِ .

(٤) الْحُجَجُ . وَالْبُرَاهِينُ مِنَ الْكِتَابِ وَالسَّنَةِ .

(٥) حَدًّا ؛ لِأَنَّهُ حَدٌّ قَدْ فُضِيَ بِالْأَنْبِيَاءِ لَا كُفْرًا ؛ أَيْ لَا يَقْتُلُ بِسَبَبِ كُفْرِهِ ، لِأَنَّهُ

رَدَّةٌ - إِنْ أَظْهَرَ التَّوْبَةَ مِنْهُ ؛ لِأَنَّهُ إِنْ أَصْرَ عَلَيْهِ يَكُونُ كَافِرًا .

(٦) لَا تُقْبَلُ تَوْبَتُهُ ؛ لِأَنَّ الْحُدُودَ لَا تُسْقِطُ بِالتَّوْبَةِ ؛ وَإِنَّمَا تَنْفَعُهُ تَوْبَتُهُ فِي الْآخِرَةِ إِنْ أَخْلَصَ

فِيهَا وَلَمْ تَكُنْ تَقِيَّةً .

(٧) فَيْئَتُهُ : رَجُوعُهُ عَمَّا صَدْرَ مِنْهُ .

(٨) قَالَ الْحَفَاجِيُّ : وَكَوْنِ الْحُدُودَ لَا تُسْقِطُ بِالتَّوْبَةِ لَيْسَ عَلَى إِطْلَاقِهِ مُتَّفَقًا عَلَيْهِ ؛ وَإِنَّمَا هُوَ

فِيهَا إِذَا كَانَ مَحْضَ حَقِّ الْآدَمِيِّ ؛ أَمَّا مَا هُوَ حَقُّ اللَّهِ فَنَفِيهِ خِلَافًا . وَسَيَأْتِي تَفْصِيلُ هَذَا الْحُكْمِ .

قال الشيخ أبو الحسن القاسبي رحمه الله : إذ أقرَّ بالسبِّ ، وتاب مِنْهُ ، وأظهِرَ التوبة - قُتِلَ بالسَّبِّ ؛ لأنه هو حَدُّهُ (١) .

[٢٥٩] وقال أبو محمد بن أبي زَيْدٍ في (٢) مِنْهُ ، وأما ما بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ فتوبتهُ تَنْفَعُهُ (٣) .

وقال ابنُ سَعْنُونٍ : مَنْ شَمَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْمُوَحِّدِينَ (٤) ، ثُمَّ تاب عن ذلك لم تُزَلْ (٥) توبتهُ عنه القَتْلُ .

وكذلك قد اختلف في الزنديق إذا جاء تائباً ؛ فحكى القاضي أبو الحسن ابن القصار في ذلك قولين :

قال : من شيوخنا من قال : أقتله بإقراره ؛ لأنه كان يَقْدِرُ على سَتْرِ نَفْسِهِ ، فلما اعترف خِفْنَا أَنَّهُ خَشِيَ الظهورَ عليه فبادرَ (٦) لذلك .

ومنهم من قال : أقبِلْ توبته ؛ لأنِّي أُسْتَدِلُّ على صِحِّهَا (٧) بمجيئه ؛ فكأننا وقفنا على باطنه ، بخلاف مَنْ أُسْرَتْهُ البينة (٨) .

قال القاضي أبو الفضل (٩) : وهذا قولُ أصبغ ، ومسألةُ سابِّ النبيِّ صلى الله

(١) حده : حد هذا السب الخاص بالأنبياء .

(٢) هذا في ا ، ب . في مثله : في نظيره .

(٣) فتوبته تنفعه تفضلاً منه ؛ فإنه يقبل التوبة من عباده .

(٤) من الموحدين : المراد من المسلمين ، فيخرج بهم أهل الكتاب .

(٥) لم تزل : لم ترفع .

(٦) بادر لذلك : أسرع قبل أخذه .

(٧) على صحتها : صحة توبته .

(٨) أسرته البينة : شهدت عليه وألزمته حتى كأنه أسير شد في وثاق .

(٩) هو المؤلف .

عليه وسلم أقوى^(١) ، لا يُتَصَوَّرُ فيها الخلافُ على الأصل المتقدم ؛ لأنه حقٌّ متعلِّقٌ للنبيِّ صلى الله عليه وسلم ولأمته بسببِهِ لا تسقطُهُ التوبةُ كسائر حقوقِ الآدميين .
والزُّنْدِيقُ إذا تاب بعد القُدْرَةِ عليه فعمد مالك، والليث^(٢)، وإسحاق، وأحمد، لا تُقبَلُ توبتهُ .

وعند الشافعي تُقبَلُ .

واختلف فيه عن أبي حنيفة وأبي يوسف .

وحكى ابنُ المنذر ، عن علي بن أبي طالب رضى اللهُ عنه : يُسْتَكَابُ^(٣) .
قال محمد بن سُحنون : ولم يَزَلِ القَتْلُ عن المسلم بالتَّوْبَةِ مِنْ سَبِّهِ صلى الله عليه وسلم ؛ لأنه لم يَنْتَقِلْ مِنْ دِينِ إِلَى غَيْرِهِ^(٤) ، وإنما فعل شيئاً حَدَّهُ عندنا القَتْلُ لِعَفْوِ فيه لأحدٍ ، كالزُّنْدِيقِ ؛ لأنه لم يَنْتَقِلْ مِنْ ظَاهِرٍ إِلَى ظَاهِرٍ .

وقال القاضي أبو محمد بن نصرٍ مُحتجاً لسقوطِ اعتبارِ تَوْبَتِهِ : والفرقُ بينه وبين مَنْ سَبَّ اللهَ تعالى على مشهورِ القولِ باستتابته^(٥) - أن النبيَّ صلى الله عليه وسلم بَشَرٌ ، والبَشَرُ جنسٌ تلحقُهُ المَعْرَةُ إِلَّا مَنْ أَكْرَمَهُ اللهُ بِنبُوَّتِهِ ، والباريُّ تعالى مُنَزَّهٌ عن جميعِ المعايِبِ قطعاً ، وليس من جنسِ تلحقُ المَعْرَةُ^(٦) بِجِنْسِهِ ، وليس سَبُّهُ

(١) أقوى في حكم القتل من مسألة الزنديق ؛ لأنه حق الله ، وهذا ترجيح منه للقول الثاني .

(٢) الليث بن سعد ، وإسحاق بن راهويه ، وأحمد بن حنبل .

(٣) يستتاب : تقبل توبته إن تاب بعد القدرة عليه ، وإلا قتل .

(٤) فليس مرتداً ، وإنما هو على دين الإسلام ، لكنه صدر منه ما يوجب الحد عليه .

(٥) باستتابته وقبول توبته .

(٦) للمرة : النقيصة التي يلحق صاحبها عار . وهي أيضاً للساءة والإثم .

صلى الله عليه وسلم كالارتداد المقبول فيه التوبة؛ لأن الارتداد معني ينفرد به (١) المرتد، لاحق فيه لغيره من الآدميين؛ فقبلت توبته (٢). ومن سب النبي صلى الله عليه وسلم تعلق فيه حق آدمي، فكان كالهتد يقتل (٣) حين ارتداده أو يقذف (٤)؛ فإن توبته لا تسقط عنه حد القتل والقذف.

وأيضاً فإن توبة المرتد إذا قبلت لا تسقط ذنوبه من زنا وسرقة وغيرها، ولم يقتل سب النبي صلى الله عليه وسلم لكفره، لكن لعني يرجع إلى تعظيم حرمة وزوال المعرفة به، وذلك لا تسقطه التوبة (٥).

قال القاضي أبو الفضل (٦): يريد - والله أعلم: لأن سبه لم يكن بكلمة تقتضى الكفر، ولكن بمعنى الإزاء والاستخفاف؛ أو لأن توبته وإظهار

(١) ينفرد به المرتد: يختص به في نفسه.

(٢) توبته، أي المرتد.

(٣) يقتل حين ارتداده، أي يقتل المرتد رجلاً آخر حال ارتداده، فحينئذ يتعين قتله

لحق آدمي الذي قتله قصاصاً.

(٤) أو يقذف المرتد حال رده، فلا بد من إقامة حد القذف عليه لتعلق حق آدمي به.

(٥) لأنه متعلق بمرضه، فهو حق له كحقوق الآدميين.

قال الحفاجي: وهذا هو القول الصحيح عند أبي حنيفة والشافعي وغيرهما.

ثم قال: وفي قول إنها تسقط أيضاً، لقوله تعالى في الزنا: «فإن تابا وأصلحا فأعرضوا عنها».

وفي السرقة: «فمن تاب من بعد ظلمه وأصلح فإن الله يتوب عليه».

ولا خلاف في سقوطها فيما بينه وبين الله بمدم مؤاخذته بها.

وقال النووي في الروضة: سقوط الحدود بالتوبة قول ضعيف.

(٦) هو المؤلف.

(٧) كلمة تقتضى الكفر، كإنكار نبوته ونحوه، فهذا ليس محل خلاف.

لإنابته ارتفع عنه اسم الكُفْرِ ظاهراً ، واللهُ أعلم بسريرته ، وبقيَ حُكْمُ السَّبِّ عليه (١) .

[وقال أبو عمران القاسمي (٢) : مَنْ سَبَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثُمَّ ارْتَدَّ عَنِ الْإِسْلَامِ قُتِلَ وَلَمْ يُسْتَنْبَ ؛ لِأَنَّ السَّبَّ مِنْ حُقُوقِ الْآدَمِيِّينَ الَّتِي لَا تَسْقُطُ (٣) عَنِ الْمُرْتَدِّ] (٤) . وكلامُ شيوخنا هؤلاء مبنيٌّ على القولِ بقتله ؛ حدًّا لا كُفْرًا (٥) ؛ وهو يحتاج إلى تفصيل .

وأما على رواية الوليد بن مسلم عن مالك ومن وافقه على ذلك بمن ذكرناه وقال به من أهل العلم - فقد صرَّحوا أنه رَدَّةٌ ؛ قالوا : وَيُسْتَنْبَأُ مِنْهَا ؛ فَإِنَّ تَابَ نُكِّلَ (٦) ، وَإِنْ أَبِي قُتِلَ ، فَحُكْمُ لَهْ بِحُكْمِ الْمُرْتَدِّ مُطْلَقًا فِي هَذَا الْوَجْهِ .

(١) بقي حكم السب عليه لم يرتفع ، فيقتل حداً ؛ فلو أصر فهو كافر .
قال الحفاجي : وفي قوله إزراء واستخفاف نظر ؛ لأن الإزراء به صلى الله عليه وسلم والاستخفاف به كفر ؛ بل من أعظم الكفر ؛ فاستدراكه ليس في محله .
ثم إنه قيل : إنه إذا كان حداً فكيف يترك ، والحدود لا يتسامح فيها ؛ وقد ترك النبي صلى الله عليه وسلم قتل بعض من سبه وآذاه ؛ إلا أن يقال : إنه من خصائصه - صلى الله عليه وسلم - جواز تركه إذا كان له فيه حق .
(٢) في هامش ب : القاسمي .
(٣) لا تسقط عن المرتد وإن تاب ؛ لكن توبته إن أظهرها وأخلص فيها نفعته في الآخرة .

(٤) ما بين القوسين ليس في ١ ، وهو في هامش ب : وبجانبه : هذا المسلم عليه من الأم بخطه من الرواية .

(٥) حداً لا كفراً ؛ حداً لقتله الأنبياء ، لا كفراً بردته .

(٦) نكّل : عوقب بتعزيره وضربه ونحوه .

والوجه^(١) الأول أشهر وأظهر لما قدمناه، ونحن نبسط الكلام فيه؛
فنعول [٢٦٠] :

من لم يره ردة فهو بوجِب القتل فيه حداً؛ وإنما نقول ذلك مع فصلين^(٢) :
إما مع إنكاره ما شهد به عليه^(٣) ، وإظهاره الإقلاع^(٤) والتوبة عنه ؛ فنقتله
حداً لثبات كلمة^(٥) الكفر عليه في حق النبي صلى الله عليه وسلم^(٦) ، وتحقيره
ما عظم الله من حقه ؛ وأجرينا^(٧) حكمه في ميراثه. وغير ذلك^(٨) حكم الزنديق
إذا ظهر عليه وأنكر أو تاب .

فإن قيل : فكيف تثبتون عليه الكفر ، ويشهد عليه [بكلمة الكفر]^(٩)
ولا تحكمون عليه بحكمه من الاستتابة وتوابعها^(١٠) !
قلنا : نحن وإن أنبتنا له حكم الكافر فلا نقطع^(١٠) عليه بذلك ؛ لإقراره

(١) الوجه الأول ؛ هو أنه يقتل حداً لا كفراً .

(٢) مع فصلين : في وجهين وصورتين مخصوصتين في كل منها فصل وتمييز عن غيره .

(٣) ما شهد به عليه ؛ من سبه صلى الله عليه وسلم ؛ ولأجل إنكاره لم يحكم بكفره ، لكن
قامت البينة العادلة عليه .

(٤) الإقلاع : الترك بالسلبية والرجوع عنه .

(٥) لثبات كلمة الكفر بشهادة أمضاها الحاكم عليه .

(٦) في حق النبي صلى الله عليه وسلم ؛ بسبه له ، فيحد حد قاذف الأنبياء ، وهو القتل .

(٧) وأجرينا حكمه ؛ أى حكم الساب المنكر ذلك في ميراثه ؛ فورثنا وورثته منه لظاهر

إسلامه .

(٨) وغير ذلك من حقوق المسلمين .

(٩) بحكمه : بحكم الكافر المرتد . من الاستتابة وتوابعها : من ترك قتله إذا تاب ونحوه .

وما بين القوسين ليس في ا .

(١٠) لا نقطع عليه بذلك ؛ لانجزم بهذا الحكم .

بالتوحيد والنبوة ، وإنكاره ما شهد به عليه ، أو زعمه^(١) أن ذلك كان منه وهلا ومعصية^(٢) ، وأنه مُقْلِعٌ عن ذلك نادِمٌ عليه ، ولا يَمْتَنِعُ إثباتُ بعضِ أحكام الكُفْرِ^(٣) على بعض الأشخاص وإن لم تثبت له خصائصه ؛ كقتل تارك الصلاة^(٤) .

وأما مَنْ عُلِمَ أَنَّهُ سَبَّهُ مُعْتَقِداً اسْتِحْلَالَه^(٥) فلا شَكَّ في كُفْرِهِ بذلك . وكذلك إن كان سبُّه في نفسه كُفْرًا^(٦) ، كتكذيبه أو تكفيره ونحوه ؛ فهذا

(١) زعمه : ادعاؤه .

(٢) وهلا : خطأ وذهولا . ومعصية : أي زعمه أنه معصية لما سبق إليه وهلا من غير

كعد منه .

(٣) بعض أحكام الكفر ؛ كالقتل .

(٤) قال الحفاجي :

قتل تارك الصلاة عند القائل به ، كالشافعي رضي الله عنه ؛ وهذا إذا تركها كسلا وتهاونا ،

لاجحدا لها فإنه كفر بالاتفاق .

وهي مائة من مذهب الشافعي قال السبكي في طبقاته : للزني فيه إشكال صعب ؛ فإن هذا

لا يتصور ؛ لأنه إما أن يكون على ترك صلاة مضت أولم تأت ؛ والأول باطل ؛ لأن القضية لا يقتل

تاركها ، والثاني كذلك ؛ لأن له التأخير ما لم يخرج الوقت ؛ فعلم يقتل تاركها ؟

وقد أجيب عنه بوجوه :

الأول - أنه وارد في التمزير والضرب ، فالجواب الجواب ؛ وهو جدلي .

الثاني - أنه على الماضية ؛ لأنه تركها بلا عذر .

ورد بأن القضاء لا يجب على الفور ، وبأن الشافعي لا يقتل بالمقضية مطلقا . ومذهب أصحابه

أنه لا يقتل بالامتناع عن القضاء .

الثالث - أنه يقتل باثباته في آخر وقتها ، ويلزمه أن المبادرة إلى القتل لتارك الصلاة أحق

منها إلى المرتد ، إذ يستتاب ، وهذا لا يستتاب ولا يعمل ؛ إذ لو أمهل صارت مقضية .

قال الحفاجي : أقول : قد يقال : مراده من اعتاد ذلك بقطع النظر عن كونها أداء أو قضاء

لما في تهاونه بما هو عماد الإسلام .

(٥) معتقدا استحلاله ؛ أي وهو يعتقد أن سبه يحمل له مع حرمة إجماعا .

(٦) إن كان سبه في نفسه ؛ أي ماسبه به ، فإن أنواع السب متفاوتة .

مما لا إشكال فيه ^(١) ، ويُقتلُ وإن تاب منه ؛ لأننا لا نقبلُ توبته ، ونقتله بعد التوبة ^(٢) حداً ؛ لقوله ، ومتقدم كُفره ^(٣) ؛ وأمره بعد ^(٤) إلى الله المطلع على صحة إقلاعه ، العالم بسرّه .

وكذلك مَنْ لم يُظهر التوبة ، واعترف بما شهده به عليه ، وصمَّ عليه - فهذا كافرٌ بقوله وباستحلاله هتك حرمة ^(٥) الله وحرمة نبيه صلى الله عليه وسلم يُقتل كافرًا بلا خلاف .

فملى هذه التفصيلات خذ كلام العلماء ، ونزل ^(٦) مختلف عباراتهم في الاحتجاج عليها ^(٧) ، وأجر اختلافهم في الموارثة وغيرها على ترتيبها تتضح لك مقاصدُهم إن شاء الله تعالى .

(١) مما لا إشكال فيه : أى فى الحكم بكفره .

(٢) حداً ، لا كفر الرجوع عنه .

(٣) لقوله الذى صدر منه ، ومتقدم كفره قبل توبته ؛ صيانة لمقام النبوة .

قال الخفاجى :

وهذا أحد المذهبين فيه عند الشافعى . والآخر أنه إذا قبلت توبته وإقلاعه لا يقتل ، وهذا

حكمه فى الدنيا .

(٤) وأمره بعد : بعد قبول توبته مفوض إلى الله فى الآخرة .

(٥) الحرمة : ما يجب احترامه وتوقيره . وهتكها بتركها وإظهار ما يخالفها .

(٦) فى ب : وأترك .

(٧) فمدم القتل ينزل ويحمل على بعض الصور ، ووجوبه ينزل على بعض آخر مما فصله .

فصل

إِذَا قُلْنَا بِالْإِسْتِنَابَةِ حَيْثُ تُصِحُّ^(١) فَلَإِخْتِلَافٍ فِيهَا عَلَى الْإِخْتِلَافِ فِي تَوْبَةِ
الْمُرْتَدِّ؛ إِذَا لَافَرَقَ^(٢).

وَقَدْ اِخْتَلَفَ السَّلَفُ فِي وَجُوبِهَا وَصُورَتِهَا وَمُدَّتِهَا^(٣)؛ فَذَهَبَ جُمْهُورُ أَهْلِ الْعِلْمِ
إِلَى أَنَّ الْمُرْتَدَّ يُسْتَنْابُ^(٤).

وَحَكَى ابْنُ الْقَصَّارِ أَنَّهُ إِجْمَاعٌ مِنَ الصَّحَابَةِ عَلَى تَصْوِيبِ قَوْلِ عُمَرَ فِي الْإِسْتِنَابَةِ^(٥)،
وَلَمْ يَنْكِرْهُ وَاحِدٌ مِنْهُمْ؛ وَهُوَ قَوْلُ عُمَانَ، وَعَلِيٍّ، وَابْنِ مَسْعُودٍ؛ وَبِهِ قَالَ عَطَاءُ
ابْنُ أَبِي رَبَاحٍ، وَالنَّخَعِيُّ، وَالثَّوْرِيُّ، وَمَالِكٌ، وَأَصْحَابُهُ، وَالْأَوْزَاعِيُّ، وَالشَّافِعِيُّ،
وَأَحَدٌ، وَإِسْحَاقُ، وَأَصْحَابُ الرَّأْيِ.

وَذَهَبَ طَاوُسُ^(٦)، وَمُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ، وَعُبَيْدُ بْنُ عُيَيْرٍ، وَالْحَسَنُ فِي إِحْدَى الرَّوَابِئِ
عَنْهُ - أَنَّهُ لَا يُسْتَنْابُ؛ وَقَالَ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ أَبِي سَلَمَةَ^(٧)، وَذَكَرَهُ عَنْ مُعَاذٍ؛ وَأَنْكَرَهُ

(١) بِالْإِسْتِنَابَةِ؛ أَي لِمَنْ سَبَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَسَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.
حَيْثُ تُصَحُّ: فِي مَحَلِّ حُكْمٍ بِصَحَّتِهَا فِيهِ الْفُقَهَاءُ.

(٢) فِي تَوْبَةِ الْمُرْتَدِّ، لِاشْتِرَاكِهِمَا فِي السُّكُوفِ بَعْدَ الْإِسْلَامِ. لَا فَرْقَ بَيْنَهُمَا عِنْدَ مَالِكٍ
وَأَصْحَابِهِ.

قَالَ الْحَفَّاجِيُّ: وَلَوْ قَالَ اسْتِنَابَةُ الْمُرْتَدِّ كَانَ أَحْسَنَ؛ لِأَنَّهُ إِذَا جَاءَ تَائِبًا مِنْ نَفْسِهِ لَمْ يَجْرُ فِيهِ
هَذَا الْخِلَافُ.

(٣) صُورَتِهَا؛ أَي كَيْفِيَّةُ الْإِسْتِنَابَةِ عَلَى أَيِّ وَجْهِ تَسْكُونُ. وَمُدَّتِهَا الَّتِي يَمُوتُ فِيهَا.

(٤) يُسْتَنْابُ: تَطَلَّبُ مِنْهُ التَّوْبَةَ عِنْدَ رُدَّتِهِ.

(٥) فِي الْإِسْتِنَابَةِ حِينَ حُكْمِهَا.

(٦) طَاوُسُ بْنُ كَيْسَانَ.

(٧) عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ أَبِي سَلَمَةَ: الْمَعْرُوفُ بِالْمَلَّاحِشُونَ. وَهُوَ إِمَامٌ مَعْظَمٌ مَشْهُورٌ، تُوِّفِيَ سَنَةٌ

أَرْبَعٌ وَعِشْرِينَ وَمِائَةٌ.

سُحْنُونُ عَنْ مُمَادٍ ؛ وَحِكَاةُ الطَّحَاوِيِّ عَنْ أَبِي يُوسُفَ ؛ وَهُوَ قَوْلُ أَهْلِ الظَّاهِرِ ^(١) ؛
قَالُوا : وَتَنْفَعُهُ تَوْبَتُهُ عِنْدَ اللَّهِ ؛ وَلَكِنْ لَا نَدْرَأُ الْقَتْلَ عَنْهُ ^(٢) ؛ لِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ ، [مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ] فَأَقْتُلُوهُ .

وَحِكَايَةُ أَيْضًا عَنْ عَطَاءَ : إِنْ كَانَ ^(٤) مِمَّنْ وُجِدَ فِي الْإِسْلَامِ لَمْ يُسْتَتَبْ ،
وَيُسْتَتَابُ الْإِسْلَامِيَّ ^(٥) .

وَجُمْهُورُ الْعُلَمَاءِ عَلَى أَنَّ الْمُرْتَدَّ وَالْمُرْتَدَّةَ فِي ذَلِكَ سَوَاءٌ .
وَرُوِيَ عَنْ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : لَا تُقْتَلُ الْمُرْتَدَّةُ ، وَتَسْتَرَقُّ ^(٦) ؛ وَقَالَ عَطَاءُ ،
وَقَتَادَةُ .

وَرُوِيَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ : لَا تُقْتَلُ النِّسَاءُ فِي الرِّدَّةِ ؛ وَبِهِ قَالَ أَبُو حَنِيفَةَ .
قَالَ مَالِكٌ : وَالْحُرُّ وَالْعَبْدُ وَالذَّكْرُ وَالْأُنْثَى فِي ذَلِكَ سَوَاءٌ .
وَأَمَّا مُدَّتُهَا ^(٧) فَذَهَبُ الْجُمْهُورِ ، وَرُوِيَ عَنْ عُمَرَ ، أَنَّهُ يُسْتَتَابُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ

(١) أهل الظاهر: من مذهبهم الاخذ بظاهر الأدلة؛ وهو مذهب داود بن محمد الظاهري
ومن تبعه كابن حزم .

(٢) تنفعه توبته - وإن لم يستتب - عند الله في الآخرة ؛ لأنه ليس بكافر ؛ ولكن توبته
لا تدفع عنه القتل عند الحاكمين بقتله حدا ، لقوله صلى الله عليه وسلم . . .

(٣) رواه الشيخان عن ابن عباس . وهو في سنن الترمذى : ٤ - ٥٩ ، وصحيح
البخارى : ٩ - ١٩ ، وما بين القوسين من البخارى .

(٤) إن كان المرتد والساب .

(٥) الإسلامى : من ولد كافرا ، ثم طرأ عليه الإسلام ، لقيام شبهة عنه . بما كان في طبعه
من الكفر ، فيعذر ، ويتألف .

(٦) بما ورد في الحديث عن النهى عن قتل النساء .

(٧) مدتها ؛ أى مدة الاستتابة عند القائلين بها .

يُحْبَسُ فِيهَا ^(١)؛ وقد [٢٦١] اِخْتَلَفَ فِيهِ عَنِ عُمَرَ؛ وَهُوَ أَحَدُ قَوْلِي الشَّافِعِيِّ ^(٢)،
وقولُ أحمد، وإسحاق؛ واستحسنهُ مالك؛ وقال: لا يأتي الاستظهار ^(٣) إلاَّ بغير،
وليس عليه ^(٤) جماعةُ الناس.

قال الشيخ أبو محمد بن أبي زَيْد: يريد في الاستيناء ^(٥) ثلاثاً.
وقال مالك أيضاً: أَخِذْ بِهِ فِي الْمُرْتَدِّ قَوْلُ عُمَرَ: يُحْبَسُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، وَيُعْرَضُ عَلَيْهِ
كُلَّ يَوْمٍ ^(٦)؛ فَإِنْ تَابَ وَإِلَّا قُتِلَ.

وقال أبو الحسن بن القصار في تأخيره ثلاثاً روايتان عن مالك: هل ذلك واجبٌ
أو مستحبٌ؟ واستحسن الاستيناء والاستيناء ثلاثاً أصحابُ الرأى ^(٧).
وروى عن أبي بكر الصديق أنه استتاب امرأةً فلم تنب فقتلها ^(٨)؛ وقاله
الشافعي مرةً ^(٩)، فقال: إن لم يتب قتل مكانه. واستحسنه المزني ^(١٠).

(١) فإن تاب أطلق، وإلا قتل.

(٢) قال الخفاجي: والقول الآخر أنه يستتاب في الحال، فإن تاب وإلا قتل.

(٣) الاستظهار: الاحتياط بالتأخير والتثبت حتى يظهر الأولى؛ أي انتأني وعدم المجلة
خير في مثل هذا.

(٤) عليه: على هذا القول بالتأخير والتأني جماعة من الناس، فالجمهور على خلاف هذا
القول.

(٥) الاستيناء: التأخير.

(٦) ويعرض عليه كل يوم التوبة والرجوع بوعظه ونصيحته.

(٧) أصحاب الرأى: أهل القيلاس؛ والمراد أبو حنيفة وأصحابه.

(٨) استيب امرأة: طلب توبة امرأة ارتدت، واسمها أم قرفة، من بنى فزارة. فقتلها؛

لأنه لا فرق عنده بين الذكر والأنثى.

(٩) مرة: يستتاب مرة واحدة.

(١٠) المزني: من أئمة الشافعية، وهو القول الأصح في مذهبهم.

- وقال الزهري^(١) : يُدعى إلى الإسلام ثلاث مرات ، فإن أبا قُتيل .
وروى عن علي رضي الله عنه : يُستتاب شهرين .
وقال النخعي : يُستتاب أبدا^(٢) ، وبه أخذ الثوري ما رجيت توبته .
وحكى ابن القصار عن أبي حنيفة - أنه يُستتاب ثلاث مرات في ثلاثة أيام
أو ثلاث جمع كل يوم أو جمعة مرة .
وفي كتاب محمد^(٣) ، عن القاسم : يُدعى المرتد إلى الإسلام ثلاث مرات ؛ فإن
أبا ضربت عنقه .
واختلف على هذا هل يهدد أو يشدد عليه أيام الاستتابة ليتوب^(٤) أم لا ؟
فقال مالك : ما علمت في الاستتابة تجوعا ولا تعطيشا ، ويؤتى من الطعام
بما لا يضره^(٥) .
وقال أصبغ : يخوف أيام الاستتابة بالقتل ، ويمرض عليه الإسلام .
وفي كتاب أبي الحسن الطائفي^(٦) : يوعظ في تلك الأيام ، وبذكركم بالجنة ،
ويخوف بالنار .
قال أصبغ : وأى المواضع حبس فيها من السجون مع الناس أو وخذ

(١) الزهري : هو الإمام أبو بكر محمد بن مسلم بن شهاب .
(٢) قال الخفاجي : أبدا : المراد به زمنا طويلا .
(٣) في كتاب محمد المعروف بالمواز ، من المالكية .
(٤) هل يهدد بزجره ووعيده بالقتل ونحوه ، أو يشدد عليه بتضييق حبسه ووضعه في
الأغلال ونحوه في مدة أيام الاستتابة . . .
(٥) ويؤتى من الطعام بما لا يضره ؛ فلا يؤتى بما هو شديد الحرارة ، أو بما هو مستقذر
بكرهه .
(٦) في هامش ب : طابث : قرية على ساحل البحر . وقال الخفاجي : هي قرية قريبة من
البصرة . وهذا من جملة العلماء المشهورين .

إِذَا اسْتَوْتَقَ مِنْهُ ^(١) سِوَاهُ ، وَيُوقَفُ مَالُهُ ^(٢) إِذَا خِيفَ أَنْ يُبْتَلِغَهُ عَلَى السَّلْمِينَ ^(٣) ، وَيُطْعَمَ مِنْهُ ، وَيُسْقَى .

وَكَذَلِكَ يُسْتَتَابُ كَمَا رَجَعَ وَارْتَدَّ أَبَدًا ، وَقَدْ اسْتَتَابَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَبِيَّهَا الَّذِي ارْتَدَّ أَرْبَعَ مَرَاتٍ أَوْ خَمْسًا .

وَقَالَ ابْنُ وَهْبٍ ، عَنْ مَالِكٍ : يُسْتَتَابُ أَبَدًا كَمَا رَجَعَ ؛ وَهُوَ تَوَلَّى الشَّافِعِيُّ ، وَأَحْمَدُ ؛ وَقَالَ ابْنُ الْقَاسِمِ .

وَقَالَ إِسْحَاقُ : يُمْتَلُ فِي الرَّابِعَةِ ^(٤) .

وَقَالَ أَصْحَابُ الرَّأْيِ ^(٥) : إِنْ لَمْ يَتَّبْ فِي الرَّابِعَةِ قَتِيلَ دُونَ اسْتَتَابَةٍ ^(٦) ، وَإِنْ تَابَ ضَرْبَ ضَرْبًا وَجِيمًا ^(٧) ، وَلَمْ يَخْرُجْ مِنَ السِّجْنِ حَتَّى يَظْهَرَ عَلَيْهِ خُشُوعُ التَّوْبَةِ .

قَالَ ابْنُ الْمَذَرِّ : وَلَا نَعْلَمُ أَحَدًا أَوْجَبَ عَلَى الْمُرْتَدِّ فِي الْمَرَّةِ الْأُولَى أَدْبًا إِذَا رَجَعَ . وَهُوَ عَلَى مَذْهَبِ مَالِكٍ وَالشَّافِعِيِّ وَالْكَوْفِيِّ ^(٨) .

(١) إِذَا اسْتَوْتَقَ مِنْهُ : الْمُرَادُ حَفِظَهُ حَتَّى يَتَّبِينَ حَالَهُ ، فَسُكِّلَ سِجْنٌ فِي حَقِّهِ سِوَاهُ .

(٢) فَهُوَ فِي لِرْدَتِهِ .

(٣) قَالَ الْخَفَاجِيُّ : يَعْنِي أَنَّ مَالَهُ مَوْقُوفٌ ، وَلَمْ يَزَلْ مِلْكَهُ عَنْهُ ؛ فَإِنْ أَسْلَمَ تَبَيَّنَ أَنَّهُ بَاقٍ عَلَى مِلْكِهِ ، وَإِلَّا كَانَ فِيهَا كَثِيرٌ مِنْ أَمْوَالِ الْكُفْرَةِ ، فَيُوضَعُ فِي بَيْتِ الْمَالِ .

(٤) فِي الرَّابِعَةِ : دُونَ اسْتَتَابَةٍ ؛ لِأَنَّهُ عَلِمَ بِهَا عَدَمَ ثُبُوتِهِ عَلَى الْإِسْلَامِ .

(٥) أَصْحَابُ الرَّأْيِ : الْخَنَفِيَّةُ ، كَمَا تَقَدَّمَ .

(٦) دُونَ اسْتَتَابَةٍ ، أَيْ لَا تَطْلُبُ تَوْبَتَهُ مِنْهُ ، وَلَا تَعْرَضُ عَلَيْهِ .

(٧) ضَرْبًا وَجِيمًا : شَدِيدًا مَوْلًا زَجْرًا لَهُ عَلَى تَكَرُّارِ رَدَّتِهِ .

(٨) وَالْكَوْفِيُّ : أَبُو حَنِيفَةَ . وَفِي ب : وَالْكَوْفِيَّيْنِ .

فصل

هذا حُكْمٌ مَنْ ثَبِتَ عَلَيْهِ ذَلِكَ^(١) بما يجبُ ثبوتُه من إقرارٍ أو عدولٍ لم يُدْفَعْ فيهم^(٢)؛ فأما مَنْ لم تَتِمَّ الشَّهَادَةُ عَلَيْهِ بما شَهِدَ عَلَيْهِ الْوَاحِدُ أو اللَّفِيفُ من النَّاسِ^(٣)؛ أو ثَبِتَ قَوْلُهُ لَكِنِ احْتَمَلَ ولم يكن صَرِيحًا .

وكذلكَ إِنْ تَابَ عَلَى الْقَوْلِ بِقَبُولِ تَوْبَتِهِ فهذا يَدْرَأُ عَنْهُ الْقَتْلَ ، وَيَتَسَلَّطُ عَلَيْهِ اجْتِهَادُ الْإِمَامِ بِقَدْرِ شُهْرَةِ حَالِهِ ، وَقُوَّةِ الشَّهَادَةِ عَلَيْهِ ، وَضَعْفِهَا^(٤) ، وَكَثْرَةِ السَّمَاعِ عَنْهُ ، وَصُورَةِ حَالِهِ مِنَ التَّهْمَةِ فِي الدِّينِ وَالنَّبْزِ بِالسَّفَةِ^(٥) وَالْجَوْنِ ؛ فَنَزَّ قَوِيٌّ أَمْرُهُ أَذَاقَهُ مِنْ شَدِيدِ^(٦) النَّكَالِ مِنَ التَّضْيِيقِ فِي السِّجْنِ ، وَالشَّدِّ فِي الْغِيُودِ إِلَى الْغَايَةِ الَّتِي [٢٦٢] هِيَ مُنْتَهَى طَاقَتِهِ بِمَا لَا يَمْنَعُهُ الْقِيَامُ لَضَرُورَتِهِ^(٧) ، وَلَا يُقَعِّدُهُ عَنْ صَلَاتِهِ ، وَهُوَ حُكْمٌ كُلٌّ مِنْ وَجِبَ عَلَيْهِ الْقَتْلُ ، لَكِنِ وُقِفَ عَنْ قَتْلِهِ لِمَعْنَى

(١) ذلك ؛ أى السب والردة .

(٢) من إقرار ، واعتراف بما صدر منه . أو عدول . أى شهادة عدول . لم يدفع فيهم : لم يظعن بتهمة في عدالتهم .

(٣) من لم تتم الشهادة عليه ، أى نصابها ، ولم تقبل بما شهد عليه الواحد فقط ، أو اللفيف والجماعة من الناس الذين لم تقبل شهادتهم .

(٤) اجتهاد الإمام ؛ فيفعل ما يقتضيه رأيه من زجر وضرب ونحوه بقدر شهرة حاله قبل ذلك ، بشهرة ديانتها ، وحفظ لسانه ونحوه ، بما علم عنه ؛ وقوة الشهادة عليه ، ككونهم غير معروفين بالكذب والنفلة ونحوها . .

(٥) النبز : أى وصفه بين الناس وشهرة حاله بالسفه ، أى الخفة في العقل والدين وكثرة لفظه بما لا يعنى .

(٦) من شديد النكال : العقوبة الشديدة المانعة له عما فعله .

(٧) لضرورته : أى فعل أموره الضرورية التي لا بد له منها في وجوده .

أَوْجِبَهُ ، وَتُرْبِصَ بِهِ لِإِشْكَالِ (١) وَعَائِقِ اقْتِضَاءِ أَمْرِهِ ؛ وَحَالَاتُ الشَّدَةِ فِي نَسْكَالِهِ
تَخْتَلِفُ بِحَسَبِ اخْتِلَافِ حَالِهِ .

وَقَدْ رَوَى الْوَلِيدُ عَنْ مَالِكٍ وَالْأَوْزَاعِيِّ أَنَّهَا رَدَّةٌ ؛ فَإِذَا تَابَ نُسْكَالٌ (٢) .

وَمَالِكٌ فِي الْعُتْبِيَّةِ وَكِتَابِ مُحَمَّدٍ ، مِنْ رِوَايَةِ أَثْمَبٍ : إِذَا تَابَ الْمُرْتَدُّ فَلَا عِقَابَ

عَلَيْهِ . وَقَالَ سُجْنُونُ .

وَأَفْتَى أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمَّابٍ فِيمَنْ سَبَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَشَهَدَ عَلَيْهِ
شَاهِدَانِ عَدْلٍ أَحَدُهُمَا - بِالْأَدَبِ (٣) الْوَجِيعَ وَالتَّنْكِيلَ وَالسَّجْنَ الطَّوِيلَ حَتَّى
تَظْهَرَ تَوْبَتُهُ .

وَقَالَ الْقُنَابِئِيُّ فِي مِثْلِ هَذَا : وَمَنْ كَانَ أَقْصَى (٤) أَمْرِهِ الْقَتْلَ فَعَائِقُ أَشْكَالِ

فِي الْقَتْلِ لَمْ يَنْبَغِ أَنْ يُطْلَقَ مِنَ السَّجْنِ ؛ وَيُسْقَطُ سَجْنُهُ ، وَلَوْ كَانَ فِيهِ مِنَ الْمُدَّةِ
مَا عَسَى أَنْ يُقِيمَ ، وَيُحْمَلَ عَلَيْهِ مِنَ الْقَيْدِ مَا يُطِيقُ .

وَقَالَ (٥) فِي مِثْلِهِ يَمُنُّ أَشْكَالَ أَمْرِهِ (٦) : يُشَدُّ فِي الْقِيُودِ شَدًّا ، وَيُضَيَّقُ عَلَيْهِ

فِي السَّجْنِ حَتَّى يُنْظَرَ فِيمَا يَجِبُ عَلَيْهِ (٧) .

وَقَالَ (٧) فِي مَسْأَلَةٍ أُخْرَى مِثْلِهَا : وَلَا تُنْهَرَأَقُ الدَّمَاءُ إِلَّا بِالْأَمْرِ الْوَاضِحِ ،

(١) لِإِشْكَالِ : لِأَمْرٍ أَوْجِبَ التَّرَدُّدَ فِيهِ .

(٢) أَنَّهَا ؛ أَي مَقَالَتَهُ غَيْرَ الصَّرِيحَةِ . نَسْكَالٌ : عَوْقَبٌ .

(٣) أَي أَفْتَى بِتَأْدِيهِهِ .

(٤) أَقْصَى أَمْرِهِ : غَايَةُ أَمْرِهِ فِي الْحُكْمِ عَلَيْهِ الْقَتْلَ .

(٥) وَقَالَ ؛ أَي الْقُنَابِئِيُّ .

(٦) يَمُنُّ أَشْكَالَ أَمْرِهِ ، وَلَمْ يَظْهَرْ حَالُهُ .

(٧) فِيمَا يَجِبُ عَلَيْهِ ؛ مِنْ تَنْكِيلٍ ، أَوْ قَتْلِ ، أَوْ إِطْلَاقٍ .

وفي الأدب بالسَّوْطِ والسَّجْنِ نَكَالٌ^(١) للسفهاء، ويعاقبُ عقوبةً شديدةً؛ فأما إن لم يشهد عليه سوى شاهدين، وأثبت من عداوتهما أو جُرْحتهما ما أسقطتهما^(٢) عنه، ولم يُسْمَعْ ذلك من غيرها فأمره أخفُّ لسقوطِ الحُكْمِ عنه^(٣)، وكأنه لم يُشْهَدْ عليه، إلا أن يكون مما لا يليقُ به ذلك^(٤)، ويكون الشاهدان من أهل التَّبْرِيْزِ^(٥) فأسقطهما بعداوة؛ فهو وإن لم ينفذ الحُكْمِ [عليه]^(٦) بشهادتهما فلا يَدْفَعُ الظنَّ صِدْقَهما^(٧)؛ وللحاكم هنا في تَنْكِيلِهِ مَوْضِعُ اجْتِهَادٍ. واللهُ وَلِيُّ الْإِرْشَادِ .

فصل

هذا حُكْمُ الْمُسْلِمِ^(٨)، فَأَمَّا الذَّمِّيُّ^(٩) إِذَا صَرَخَ بِسَبِّهِ أَوْ عَرَّضَ، أَوْ اسْتَخَفَّ بِتَدْرِيهِ، أَوْ وَصَفَهُ بِغَيْرِ الْوَجْهِ الَّذِي كَفَرَ^(١٠) بِهِ - فلا خلافَ عندنا في قَتْلِهِ إِنْ

- (١) نكال للسفهاء؛ رادع لهم عن التكلم بما لا يليق، ممن عن إراقة الدماء، والجرأة على الحدود المدرة بالشبهات.
- (٢) ما أسقطها عنه؛ أي أسقط شهادتهما وعدم قبولها.
- (٣) لسقوط الحكم عنه، بعدم قبول الشهادة عليه شرعا.
- (٤) ممن لا يليق به ذلك الأمر الذي نسبه الشهود إليه؛ لأنه معروف بعدم الديانة والاستخفاف بالدين؛ فيكون مظنة لما شهدوا به.
- (٥) من أهل التبريز؛ أي يكونان معروفين بالعدالة والصدق، ولم يهد لها إهانة أحد من الناس ولو كان عدوا لها.
- (٦) من ب.
- (٧) صدقها فيما شهدا عليه لظهور عدالتها.
- (٨) حكم للمسلم إذا سب الأنبياء.
- (٩) الذمي: الكافر الذي ليس حربيا. ودمه وولده وماله محترم لأدائه الجزية.
- (١٠) الوجه الذي كفر به؛ أي غير الذي كان كافرا بسببه؛ كإنكار بتمته، أو عموم دعوته، بأن وصفه بشيء ممامر.

لم يُسلم؛ لأننا لم نُعطِهِ الدِّمَّةَ أو العَهْدَ على هذا^(١)؛ وهو قولُ عامَّةِ الفقهاء، إلا
أبا حنيفة والثوريّ وأتباعَهما من أهل الكوفة، فإنهم قالوا: لا يُقتل، ما هو عليه
من الشُّركِ أعظم، ولكن يُؤدَّب ويعزَّر^(٢).

واستدلَّ بعضُ شيوخنا على قَتْلِهِ بقوله تعالى^(٣): ﴿وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ
مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أُمَّةَ الْكُفْرِ، إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ
لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ﴾.

ويُستدلُّ عليه أيضا بقتلِ النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لابْنِ الْأَشْرَفِ وَأَشْبَاهِهِ^(٤)؛

(١) طى هذا: أى لم يُرخص له - حين عاهدناه - فى سب النبي صلى الله عليه، أو
الاستخفاف به.

(٢) قال فى نسيم الرياض (٤ - ٤٩٠):

ما ذكره من مذهب أبي حنيفة هو المشهور، وقد خالفه بعض المتأخرين. وقال ابن
تيمية فى كتابه «السيف المسلول طى من سب الرسول»: قال أبو حنيفة وأصحابه: لا ينتقض
العهد بالسب. ولا يقتل الذمى به، لكن يعزر. وحكاية الطحاوى عن الثورى. ومن أصولهم
أن ما لا قتل فيه عندهم للإمام أن يقتل فاعله، ويزيد طى الحدائق إذا رأى المصلحة فى ذلك؛
ويحجون ما جاء من النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه من القتل فى مثله طى ذلك، ويسمون
هذا القتل سياسة، كتقليظ الحد فى الجرائم إذا تسكرت، وشرعوا القتل من جنسها، وبهذا
أفتى أكثرهم، فقالوا: يقتل من أكثر من سب النبي صلى الله عليه وسلم سياسة. وهو متجه
طى أصولهم. انتهى.

ثم قال: وهو كلام حسن.

(٣) سورة التوبة، آية ١٢

نكثوا أيمانهم: نقضوا ما عاهدناهم عليه. وطعنوا فى دينكم: عابوه وذموا. أئمة الكفر:

كبار الكفرة ورؤساءهم.

(٤) وأشباؤه من الكفرة المعاهدين الذى قتلهم النبي صلى الله عليه وسلم لسبهم له.

قال الحنابى: وفى الاستدلال بهذه القضية نظر؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم صالحه

وغيره من اليهود، فنقض ابن الأشرف عهده، ومضى لكفار مكة وحتم طى قتال الرسول، =

ولأننا لم نعهدهم، ولم نُعطيهم الذِّمَّةَ على هذا؛ ولا يجوزُ لنا أن نَقْعَلَ ذلك معهم؛ فإذا أتوا مالم يُعطوا عليه المَهْدَ ولا الذِّمَّةَ فقد نقضوا ذِمَّتَهُمْ، وصاروا كُفَّاراً^(١) يُقْتَلُونَ لِكُفْرِهِمْ.

وأيضاً فإن ذِمَّتَهُمْ لا تُسْقِطُ حدودَ الإسلامِ عنهم؛ من القَطْعِ في سَرَقَةٍ أَمْوَالِهِمْ^(٢)، والقَتْلِ لمن قتلوه منهم، وإن كان ذلك حَالاً لاَ عِنْدَهُمْ^(٣) فكذلك سَبُّهُمُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُقْتَلُونَ بِهِ.

ووردت لأصحابنا ظواهر^(٤) تَقْتَضِي الخِلَافَ إذا ذكره الذميَّ بالوجه الذي

كفر به^(٥)، سَقَفُ عَلَيْهَا من كلام ابنِ القاسمِ وابنِ سَحنونِ بعدُ.

[٢٦٣] وحكى أبو المصعب الخِلافَ فيها^(٥) عن أصحابه اللدنيين.

واختلفوا إذا سَبَّهُ ثم أسلم؛ فقليل؛ يُسْقِطُ إسلامُهُ قَتْلَهُ؛ لأنَّ الإسلامَ يُحِبُّ^(٦) ما قبله، بخِلافِ المسلمِ إذا سَبَّهُ ثم تاب^(٧)؛ لأننا نعلمُ باطِنَةَ الكافرِ في بُغْضِهِ

= وهجا النبي، وآذى المسلمين أشد الأذى؛ فليس قتله بمجرد سبه.

(١) هذا في: ١. وفي ب: وصاروا أهل حرب.

(٢) أموالهم: أي أموال المسلمين.

(٣) عندهم: في اعتقادهم الباطل بإباحة أموال المسلمين ودماهم.

(٤) ظواهر: أمور تدل بحسب الظاهر على ما يقتضيه الخِلاف في قتل الذمي بسبب سبه للنبي

صلى الله عليه وسلم، إذا ذكره الذمي بالوجه الذي كفر به، كإنكار بعثته ونبوته.

(٥) الخِلاف فيها: في مسألة القتل بما كفر به.

(٦) يجب: يقطع ويبطل حكم ما قبله من سائر المعاصي؛ وهذا ورد عنه صلى الله عليه

وسلم في حديث صحيح (السند: ٤ - ١٩٩).

(٧) ثم تاب؛ فإن توبته لا تمنع قتله كإسلام الكافر.

قال الخفاجي: والخِلاف مبني على أن قتله حد، أو لنقض المهد، وفي سقوط بعض

الحدود بالإسلام كالزنا خِلاف لبعض الشافعية؛ وجب الإسلام ما قبله إنما هو في حقوق الله

خاصة، كما مر.

له ، وتنقصه بقلبه^(١) ؛ لكننا منعناه من إظهاره ، فلم يزدنا^(٢) ما أظهره إلا مخالفة للأمر ، ونقصاً للعهد ؛ فإذا رجع عن دينه الأول إلى الإسلام سقط ما قبله ؛ قال الله تعالى^(٣) : ﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ ﴾ .

والمسلم بخلافه ؛ إذ كان ظننا بباطنه حُكْمَ ظاهره ، وخلاف ما بدأ منه الآن ؛ فلم نقبل^(٤) بمد رجوعه ، ولا استئمننا إلى باطنه^(٥) ؛ إذ قد بدت سرائره ، وما ثبت عليه من الأحكام باقية عليه لا يسقطها شيء .

وقيل : لا يسقط إسلام الدمى الساب قتلته ؛ لأنه حق للنبي صلى الله عليه وسلم وجب عليه ؛ لانتهيا كه حرمته ، وقصده إلحاق النقيصة والمعرة^(٦) به ؛ فلم يكن رجوعه إلى الإسلام بالذي يسقطه ، كما وجب عليه من حقوق المسلمين من قبل إسلامه من قتل وقذف ؛ وإذا كنا لا نقبل توبة المسلم فإننا لا نقبل توبة الكافر أولى^(٧) .

(١) إنما منع الإسلام قتله ، لأننا نعلم باطنة الكافر وما في قلبه من الكفر في بنضه وعداوته الدينية للنبي صلى الله عليه وسلم وتنقصه له بقلبه ، لأنه شأن كل كافر .

(٢) فلم يزدنا ما أظهره من كفره بسب ونحوه علماً بحاله ، إلا مخالفة لأمرنا له حقيقة أو حكماً بكم كفره .

(٣) سورة الأنفال ، آية ٣٨

أمر الله نبيه أن يقول لهم هذه المقالة . وما قد سلف : من الكفر ، وما وقع معه من المعاصي .

(٤) فلم تقبل بمد رجوعه بالتوبة .

(٥) استئمننا : اطماننا ؛ أي لم نطمئن ونأمن ونزكن .

(٦) المعرة : المذمة والميب به .

(٧) قال الخفاجي : وما قاله غير متجه ؛ لأن الإسلام يجب ما قبله بنص الحديث ؛ فالفرق

بينه وبين توبة المسلم في غاية الظهور .

بل قالوا : إنه يثاب على كل ما قبله من الحسنات حال كفره إذا أسلم . وسبه للنبي صلى الله عليه وسلم فيه حق لله وللادمي ، فيضلب الأول إذا اعتضد بإسلامه .

وقال مالك في كتاب ابن حبيب^(١)، والمبسوط، وابن القاسم، وابن الماجشون^(٢)، وابن^(٣) عبد الحكم، وأصبغ - فيمن شتم نبينا من أهل الذمة أو أحدا^(٤) من الأنبياء عليهم السلام قُتِلَ إلا أن يُسلم؛ وقاله ابن القاسم في العتبية^(٥)، وعند محمد، وابن سحنون .

وقال سحنون وأصبغ: لا يُقَلُّ له أسلمٌ، ولا لا تُسَلِّمُ؛ ولكن إن أسلم فذلك له توبة^(٦).

وفي كتاب محمد: أخبرنا أصحاب مالك أنه قال: مَنْ سَبَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أو غيره من الأنبياء من مسلم أو كافر قُتِلَ ولم يُسْتَتَبَ .
وروي لنا عن مالك: إلا أن يُسلم الكافر^(٧).

وقد روى ابن وهب، عن ابن عمر - أن راهباً^(٨) تناول النبي صلى الله عليه وسلم فقال ابن عمر: فملاً قتلتموه!

وروى عيسى^(٩) عن ابن القاسم في ذمِّي قال: إن محمداً لم يُرْسَلْ إلينا، وإنما أُرْسِلَ إليكم؛ وإنما نبينا موسى أو عيسى، ونحو هذا: لا شيء عليهم؛ لأن الله

(١) كتاب ابن حبيب يسمى الواضحة .

(٢) ابن الماجشون : هو عبد الملك بن عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة الماجشون التيمي الفقيه صاحب مالك ، توفي سنة اثنين أو أربع عشرة ومائتين . وأخرج له الستة .

(٣) وابن عبد الحكم : هو محمد بن عبد الله بن عبد الحكم بن عبد الله . توفي سنة ثمان أو تسع وستين ومائتين . وهو إمام جليل .

(٤) في ١ : واحدا . والتبث في ب .

(٥) كتاب في فقه مالك .

(٦) توبة مقبولة تدرأ الحد عنه .

(٧) قال الخفاجي : وصحح بمضمون أن المسلم تقبل توبته . وقد تقدم .

(٨) الراهب : العابد المنقطع عن الناس من النصارى .

(٩) عيسى بن إبراهيم النافقي ، الإمام الفقيه المحدث . توفي سنة إحدى وستين ومائتين .

تعالى أقرهم على^(١) مثله .

وأما إن سبه فقال : ليس بنبي ، أو لم يُرسل ، أو لم ينزل عليه قرآن ؛ وإنما هو شيء لا تقوله^(٢) أو محو هذا فيقتل^(٣) .

وقال ابن القاسم : وإذا قال النصراني : ديننا خير من دينكم ، وإنما دينكم دين الحمير^(٤) ، ونحو هذا من القبيح ، أو سمع المؤذن يقول : أشهد أن محمداً رسول الله ، فقال : كذلك يُعطيكم الله^(٥) ؛ ففي هذا الأدب الموجه والسجن الطويل^(٦) .

قال : وأما إن شتم النبي صلى الله عليه وسلم شتماً يُعرف^(٧) فإنه يُقتل إلا أن يُسلم ؛ قاله مالك غير مرة ، ولم يقل يستتاب .

قال ابن القاسم : وتحمل قوله عندى إن أسلم طائماً^(٨) .

وقال ابن سُخْنُونِ فِي سؤالاتِ سُلَيْمَانَ بْنِ سَالِمٍ فِي الْيَهُودِيِّ يَقُولُ لِلْمُؤَذِّنِ ، إِذَا تَشَهَّدَ^(٩) : كَذَبْتَ - يُعَاقَبُ الْعُقُوبَةَ الْوَجِعَةَ مَعَ السُّجْنِ الطَّوِيلِ .

(١) أقرهم على مثله من الكفر ، بضرب الجزية إذا لم يجاروا .

(٢) تقوله : اخترعه .

(٣) قال الخفاجي : لأن هذا للمؤمن كذب الله ورسوله .

(٤) يعني بهذا أنه إنما يتبعه أحق لا عقل له .

(٥) قال الخفاجي : يقول ذلك استهزاء منه بما من الله علينا به في أن جملة رسولنا

صلى الله عليه وسلم ؛ يعني أنه مناسب لثلكم .

(٦) الأدب : التأديب بالضرب الموجه ، والسجن الطويل مدته ، زجراً له ولا مثاله ؛

لأنه ليس صريحاً في الشتم .

(٧) يعرف أنه شتم صريح .

(٨) طائماً : من غير إكراه له .

(٩) إذا تشهد : قال في أذانه : أشهد أن محمداً رسول الله .

وفي النوادر^(١) من رواية سُخْنُونِ عَنْهُ^(٢) : مَنْ شَتَّمَ الْأَنْبِيَاءَ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى بِغَيْرِ الْوَجْهِ الَّذِي بِهِ كَفَرُوا ضُرِبَتْ عُنُقُهُ إِلَّا أَنْ يُسَلِّمَ^(٣) .

نال محمد بن سُخْنُونِ : فَإِنْ قِيلَ : لِمَ قَتَلْتَهُ^(٤) فِي سَبِّ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمِنْ دِينِهِ سَبُّهُ وَتَكْذِيبُهُ^(٥) ؟ قِيلَ : لِأَنَّ لَمْ نُعْطِهِمْ [٢٦٤] الْعَهْدَ عَلَى ذَلِكَ ، وَلَا عَلَى قَتْلِنَا ، وَأَخَذِ أَمْوَالِنَا ، فَإِذَا قَتَلَ وَاحِدًا مَنَا قَتَلْنَا ، وَإِنْ كَانَ مِنْ دِينِهِ اسْتِحْلَالُهُ^(٦) ؛ فَكَذَلِكَ إِظْهَارُهُ لِسَبِّ نَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ^(٧) .

قال سُخْنُونِ : كَمَا لَوْ بَدَلَ لَنَا أَهْلُ الْحَرْبِ الْجِزْيَةَ عَلَى إِقْرَارِهِمْ عَلَى سَبِّهِ لَمْ يَجُزْ لَنَا ذَلِكَ فِي قَوْلِ قَائِلٍ^(٨) .

كذلك يَنْتَقِضُ عَهْدُ مَنْ سَبَّ مِنْهُمْ^(٩) ، وَيَحِلُّ لَنَا دَمُهُ ؛ فَكَمَا لَمْ يُحْصَنِ الْإِسْلَامُ مِنْ سَبِّهِ مِنَ الْقَتْلِ كَذَلِكَ لَا تُحْصَنُهُ الذِّمَّةُ .

(١) النوادر : اسم كتاب لابن زيد صاحب الرسالة المالكي .

(٢) عنه : عن مالك .

(٣) إلا أن يسلم فلا يقتل ؛ لأن إسلامه توبة مقبولة ، والإسلام يجب ما قبله .

(٤) لم قتله ؛ أي الذمى .

(٥) ومن دينه ؛ أي اعتقاده ، وعادته سبه وتكذيبه بإنكار بعثته صلى الله عليه وسلم ،

وهذا مما كفر به .

(٦) استحلاله ؛ أي استحلال قتلنا وأخذ أموالنا .

(٧) فكذلك ينقض عهده إظهاره لسب نبينا صلى الله عليه وسلم ؛ فإننا شرطنا عليهم

الأيظنوا في الدين ، وألا يظهروا كفرهم ، لما فيه من نكابة أهل الإسلام ، وإن كان

ذلك من اعتقادهم الباطل .

(٨) لم يجوز لنا ذلك ؛ أي أخذ الجزية وتقريرهم على سبه . في قول قائل ؛ أي لم يقل بهذا

أحد من المسلمين وأئمة الدين ، وإن كانوا يستحلونه ؛ لكننا لانقرهم على إظهاره .

وهذا مما يوضح أننا لم نعظم العهد على إظهار مثله .

(٩) منهم من أهل الذمة .

قال القاضي أبو الفضل^(١) : ما ذكره ابن سحنون عن نفسه وعن أبيه^(٢) مخالف لقول ابن القاسم فيما خفف عقوبتهم فيه^(٣) مما به كفرُوا ؛ فتأمله .
ويدل^(٤) على أنه خلاف ما روى عن المدنيين في ذلك ؛ فحكى أبو المصعب الزهري ؛ قال : أتيتُ بنصرانيّ قال : والذي اصطفى^(٥) عيسى على محمد ؛ فاختلف على^(٦) فيه ، فضربته حتى قتلتُه ، أو عاش^(٧) يوماً وليلةً ، وأمرتُ من جرّ رجليه ؛ وطرحَ على مزبلةٍ ، فأكلته السِكلابُ^(٨) .

وسئل أبو المصعب عن نصرانيّ قال : عيسى خاق محمدًا . فقال : يُقتل^(٩) .
وقال ابنُ القاسم : سألتنا مالكا عن نصرانيّ بمصرٍ شهد عليه أنه قال : مسكين محمد ، ينجركم أنه في الجنة ؛ ما له لم ينفع نفسه إذ كانت السِكلابُ تأكل ساقته ، لو قتلوه استراح منه الناس .

- (١) هو عياض المؤلف .
- (٢) ما ذكره : من أنه يقتل بمثل ما ذكر ، مما كفر به واستحلّه في دينه .
- (٣) خفف عقوبتهم فيه ؛ أي أفتى فيه بعقوبة خفيفة غير القتل .
- (٤) ويدل مقاله سحنون وابنه .
- (٥) اصطفى : اختار وفضل .
- (٦) فاختلف على فيه ؛ أي اختلف كلام الناس فيه . أو اختلف رأيه فيه واضطرب ، ثم ظهر لى أمره وحكمه .
- (٧) أو عاش ؛ أي بمد ضربه ومات .
- (٨) في نسيم الرياض (٤ — ٤٩٦) : لم يدفن حتى أكلته السِكلاب كما تأكل سائر الجيف . وهذا مما كفر به ؛ فهو مخالف لما تقدم .
- وعدم دفن من قتل من الكفرة مما لا يشرع ؛ فكأن هذا كله مما أدى إليه اجتهاده وتشدده في دينه .
- (٩) خلق عبداً ؛ لزعمه الفاسد في ادعاء ألوهيته . يقتل ؛ لاختلاقه الكذب على الله ، وجعله عيسى عليه الصلاة والسلام أفضل من نبينا صلى الله عليه وسلم ، وقصده تنقيصه ، وليس مما كفر به .

قال مالك : أَرَى أَنْ تُضْرَبَ عُنُقُهُ .

قال : ولقد كِدْتُ أَلَّا أَتَكَلَّمَ فِيهَا [بشيء] ^(١) ؛ ثم رأيتُ أنه لا يسعني

الصَّمْتُ ^(١) .

قال ابن كنانة في المبسوطه ^(٢) : مَنْ شَتَمَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى فَأَرَى لِلْإِمَامِ أَنْ يُحَرِّقَهُ ^(٣) بِالنَّارِ ، وَإِنْ شَاءَ قَتَلَهُ ثُمَّ حَرَّقَ جُثَّتَهُ ^(٤) ، وَإِنْ شَاءَ أَحْرَقَهُ بِالنَّارِ حَيًّا إِذَا تَهَاوَنُوا فِي سَبِّهِ ^(٥) .

ولقد كَتَبَ إِلَى مَلِكٍ مِنْ مِصْرَ - وَذَكَرَ ^(٦) مَسْأَلَةَ ابْنِ الْقَاسِمِ الْمَقْدَمَةِ ؛ قَالَ : فَأَمَرَنِي مَالِكٌ ، فَكَتَبْتُ بِأَنْ يُقْتَلَ ، وَأَنْ يُضْرَبَ عُنُقُهُ ؛ فَكَتَبْتُ ^(٧) ، ثُمَّ قُلْتُ :

(١) ما بين القوسين ساقط في ١ . ولا يسمى الصمت : لا يجوز ولا يحل لي السكوت عن هذه المسألة وعدم التكلم فيها بالحق الذي يستحقه هذا الخبيث .

(٢) في ب : المبسوط .

(٣) قال الخفاجي : وهذا مما لم يجزه علماء الشرع ، لما ورد في الحديث إنه لا يعذب بالنار إلا الله أو خالقه .

(٤) وإن شاء ، أى الإمام قتله ، بضرب عنقه ، ثم حرقت جثته بعد موته .

(٥) تهاوتوا في سبه : وقموا فيه ، والمراد أنهم أكثروا منه علنا .

قال الخفاجي : وهذا مذهب مالك في جواز إحراق من استحق القتل . وغيره من العلماء يأباه ، وهو مثله .

ومذهب الشافعي أنه لا يجوز إلا قصاصا ، لحديث : من حرق حرقناه ، ومن غرق غرقناه .

واستدل مالك لما قاله بأن عليا كرم الله وجهه فعله ، وبقوله عليه السلام في حق من ارتد : إن وجدتموه فأحرقوه .

وغيره يقول : إنه منسوخ كما نسخت المثلة ، لقوله تعالى : « فمابقوا بمثل ما عوقبتم به » ، وهو مذهب أبي حنيفة .

(٦) وذكر ، أى ابن كنانة السابق . . مسألة ابن القاسم للمتقدمة التي سئل عنها في نصراني

شهد عليه أنه قال : مسكين محمد . . .

(٧) فككتبت لأرسله للأسائل .

يا أبا عبد الله ؛ وأكُتِبَ : ثم يُحَرَّقُ بالنار ؟ فقال : إنه حَلِيقٌ بذلك ،
وما أولاه^(١) به .

فكُتِبَتْهُ بيدي بين يديه ، فما أنكره ولا عابه ، ونُفِذَتْ^(٢) الصحيفةُ بذلك
فُقُتِلَ وحُرِّقَ^(٣) .

وأفتى عُبَيْدُ اللَّهِ بنُ يَحْيَى وابنُ لُبَابَةَ^(٤) في جماعةٍ سَلَفِ أصحابنا الأندلسيين
بِقَتْلِ نصرانيةٍ استَهَلَّتْ^(٥) بِنَفْيِ الربوبيةِ وبنوَّةِ عيسى الله ، وبتكذيبِ محمدٍ في النبوةِ ،
وبقبولِ إسلامِها^(٦) ودَرْأِ القَتْلِ عنها به .

وبه قال غيرُ واحدٍ من المتأخرين منهم القاسمي ، وابن السكاتب^(٧) .

وقال أبو القاسم بن الجلاب في كتابه : مَنْ سَبَّ اللهَ ورُسُوأهَ مِنْ مُسْلِمٍ أو كافرٍ
قُتِلَ ولا يُسْتَتَابُ^(٨) .

وحكى القاضي أبو محمد في الذمِّ يَسْبُ - رِوَايَتَيْنِ في دَرْءِ القَتْلِ عنه بإسلامه^(٩) .
وقال ابن سُحْنُون^(١٠) : وَحَدُّ القَذْفِ وشِبْهه^(١١) من حقوقِ العبادِ لا يُسْقَطُهُ عن

(١) وما أولاه به : ما أحقه به . به ، أى بالإحراق .

(٢) نفذت : أرسلت .

(٣) قتل وحررق ، عملاً بما قاله الإمام مالك .

(٤) ابن لبابة : هو محمد بن يحيى بن عمر بن اباباة القرطبي ، توفي سنة أربع عشرة وثمانمائة .

(٥) استهلَّت : صرخت رافعة صوتها ، والمراد أنها أعلنت وأظهرت .

(٦) وقبول إسلامها إذا أسلمت بعد قولها هذا .

(٧) ابن السكاتب : هو أبو القاسم عبد الرحمن بن علي بن محمد الإمام المالكي الجليل .

(٨) ولا يستتاب : لا تطلب منه توبة ، ولا تقبل .

(٩) بإسلامه إذا أسلم .

(١٠) قال ابن سحنون في وجه قتله : إنه حد ، وحد القذف . . .

(١١) وشبهه كحد السرقة والزنا .

الذمىّ إسلامه ؛ وإنما يسقط عنه بإسلامه حدودُ الله .
 فأما حدُّ الذَّفِ فحقُّ للعبادِ ؛ كان ذلك لنبىِّ^(١) أو غيره ؛ فأوجب على الذمىّ^(٢)
 إذا قذفَ النبيَّ صلى اللهُ عليه وسلم ثم أسلم حدَّ القذفِ .
 ولكن انظر ماذا يجبُ عليه^(٣) ؟ هل حدُّ القذفِ في حقِّ النبيِّ صلى اللهُ عليه
 وسلم ، وهو القتلُ^(٤) لزيادة حُرْمَةِ النبيِّ صلى اللهُ عليه وسلم على غيره^(٥) ، أم هل
 يسقطُ القتلُ بإسلامه ، ويُحدَّثُ ثمانين ، فقاممه^(٦) .

فصل

في ميراثِ [٢٦٥] مَنْ قُتِلَ بِسَبِّ النبيِّ صلى اللهُ عليه وسلم

وَعَسَلِهِ وَالصَّلَاةِ عَلَيْهِ

اختلف العلماء في ميراثِ مَنْ قُتِلَ بِسَبِّ النبيِّ صلى اللهُ عليه وسلم ؛ فذهب

(١) في ب : من نبى .

(٢) فأوجب على الذمى القذف ، ولم تسقطه عنه توبته وإسلامه ؛ وقذف الأنبياء حدم

التقل كما تقدم .

(٣) ماذا يجب عليه : طى من قذف الأنبياء .

(٤) وهو القتل ؛ لا الجلد كحد غيره .

(٥) طى غيره : من أمته ، لا غيره من الأنبياء ؛ قال الخفاجى : وإليه ذهب بعض الشافعية ؛

فإن الحدود قد تفاوتت ، كما قال تعالى - في أمهات المؤمنين : من يأت منكنا بفاحشة مبينة
 يضاعف لها العذاب ضعفين .

(٦) في نسيم الرياض (٤ - ٤٩٩) : أمر بالتأمل لما فيه من الشبهة وقوة الخلاف فيه ؛

فذهب كذهب الشافعية ثم قال : قال إمام الحرمين : قذف النبي صلى اللهُ عليه وسلم كفر بالاتفاق . وقال

أبو بكر الفارسى : لوتاب لا يسقط عنه القتل ؛ لأن حد قذف النبي صلى اللهُ عليه وسلم ، وحد

القذف له لا يسقط بالتوبة . وحكى فيه الإجماع ، وخالفه الصيدلانى وغيره ؛ وقال : يحد ثمانين

إذا أسلم ؛ وذكر فيه الإمام مباحث طويلة ، وقال : إن ما قاله الفارسى ، مع بعده ، حسن .

وهذا ما جنح إليه المصنف .

سُخِّتُونَ إِلَى أَنَّهُ لِمَجَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلِ^(١) أَنْ شَتَّمَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُفْرًا يُشْبِهُ^(٢) كُفْرَ الزُّنْدَاقَةِ .

وقال أصبغ: ميراثه لورثته من المسلمين إن كان مُسْتَسِرًّا^(٣) بذلك، وإن كان مُظْهِرًا له مُسْتَهْلًا^(٤) به فميراثه للمسلمين، ويُقتل على كل حال ولا يُسْتَتَابُ^(٥) .

وقال أبو الحسن القاسبي: إن قُتِلَ وهو مُدْبِرٌ للشهادة عليه^(٦) فَالْحُكْمُ في ميراثه على ما أظْهَرَ من إقراره - يعني لورثته^(٧)؛ والقَتْلُ حَدٌّ ثَبَتَ عليه ليس من الميراث في شيء .

وكذلك لو أقرَّ بالسبِّ وأظهر التوبة لَقَبِلَ؛ إذ^(٨) هو حَدٌّ . وحكاه في ميراثه، وسائر أحكامه^(٩) حُكْمُ الْإِسْلَامِ .

ولو أقرَّ بالسبِّ، وتماذى^(١٠) عليه، وأبى التوبة منه، فُقْتِلَ على ذلك كان

(١) من قبل : من جهة .

(٢) في ١ : شبه .

(٣) مستسرا : مخفيا لذلك ؛ أى لم يظهره علنا . والمراد أنه يقوله في خلوته لمن لا ينشى سره لعامة الناس ، حتى لا يطاع عليه الحكم ؛ وهذا كله في المسلم ، فمن توهمه عاماله ولا كفاة فقد غفل .

(٤) مستهلا : معلنا .

(٥) على كل حال ؛ سواء تاب أم لا . ولا يستتاب ، لا تطلب منه توبة ، ولا تقبل .

(٦) للشهادة عليه ، أى لما شهدوا عليه من السب .

(٧) يعنى أنه ، أى الميراث . لورثته : المسلمين ، لأن إنكاره لما شهدوا به عليه إقرار بأنه

مسلم معظم لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

(٨) إذ هو ، أى القتل .

(٩) وسائر أحكامه : من غسله والصلاة عليه . حكم الإسلام ؛ لأنه مسلم كسائر المسلمين .

(١٠) تماذى عليه : استمر .

كافراً ، وميراثه للمسلمين ^(١) ؛ ولا يقتل ولا يصلى عليه ، ولا يكفن وتُستَرُ عَوْرَتُهُ ،
ويُؤَارَى كما يُفَعَلُ بالكفار ^(٢) .

وقولُ الشيخ أبي الحسن ^(٣) في المُجَاهِرِ التَّمَادِي بَيْنَ لَا يُمْكِنُ الخِلافُ فيه ؛ لأنه
كافرٌ مرتدٌّ غَيْرُ تَائِبٍ وَلَا مُتَلِيعٍ ^(٤) .

وهو مِثْلُ قولِ أصبغ ؛ وكذلك في كتاب ابن سُهْنُونِ في الزُّنْدِيقِ بِتَمَادَى
على قَوْلِهِ .

ومثله لابن القاسم في العَتَبِيَّةِ ولِجَمَاعَةٍ من أصحاب مالكٍ في كتاب ابن حبيبٍ
فيمن أعلن كفره مثله .

قال ابنُ القاسمِ : وحكمه حُكْمُ المرتدِّ لا يرثُهُ وَرِثَتُهُ من المسلمين ^(٥) ، ولا من

(١) للمسلمين : كالنبي حق للمسلمين ، لا لورثته ، لأن الكفر من موانع الإرث .

(٢) كما يفعل بالكفار الأصليين ، فلا يدفن في مقابر المسلمين .

قال الخفاجي : وجوز الشافعية غسله وتكفينه ، كما روى أن رسول الله صلى الله عليه أمر
عليها لما مات أبوه أبو طالب أن يغسله ويكفنه ويدفنه .

وقد صغفه البيهقي .

ولا يصلى عليه إجماعاً ، وأما صلاته - صلى الله عليه وسلم على ابن سلول فلأنه منافق ، مع
أنه نهى عن ذلك بعد ، بقوله تعالى : ولا تصل على أحد منهم مات أبداً .

(٣) هو القاسبي . المجاهر : المعلن المظهر للسب . التماذي : المستمر على إظهاره .

وقوله سبق ، وهو أن ميراثه فيء للمسلمين .

(٤) ولا مقلع : غير راجع عن كفره وردته .

(٥) لأنه كافر .

أهل الدين الذي ارتدَّ إليه^(١)، ولا تجوز وصاياه^(٢) ولا عتقته^(٣)؛ وقاله أصبغ^(٤)،
تُقبل على ذلك أو مات عليه^(٥).

وقال أبو محمد بن أبي زيد: وإنما يُختلف في ميراث الزنديق الذي يستهل بالتوبة، فلا تُقبل منه^(٦)؛ فأما المُنادي فلا خلاف أنه لا يورث.

وقال أبو محمد فيمن سبَّ الله تعالى ثم مات ولم تُعدَّل عليه^(٨) بينة، أو لم تُقبل: إنه يصلَّى عليه.

وروى أصبغ عن ابن القاسم في كتاب ابن حبيب فيمن كذَّب برسول الله صلى الله عليه وسلم، وأعلن ديناً^(٩) مما يُفارق به الإسلام - أن ميراثه للمسلمين. وقال بقول مالك: إن ميراث المرتدِّ المسلم، ولا ترثه ورثته - ربيعة^(١٠)،

(١) لأنه فارقهم للدين الحق، فتعلق به حق أهله؛ فلا يعود إليهم بعوده؛ لأنه لا يقر عليه؛ وماله صار فيثا يستحقه المسلمون.

(٢) ولا تجوز وصاياه لأن ماله خرج من ملكه برده.

(٣) قال الخفاجي: وكذا سائر تصرفاته، كبيع وهبه ووقف وغيره؛ فإنه محجور عليه لما ذكر. وهذا كله مذهب الإمام مالك.

(٤) وقاله أصبغ: أى قال ما قاله ابن القاسم من أن حكمه حكم المرتد لا يورث.

(٥) عليه؛ أى على إعلان الكفر.

(٦) يستهل بالتوبة: يظهرها ويمانها.

(٧) لا تقبل منه توبته، لأن توبته لخوف القتل. قال الخفاجي: وهذا مذهب مالك. وذهب

غيره إلى قبول توبته، وأنه تجرى عليه أحكام الإسلام في الميراث وغيره.

(٨) لم تعدل عليه بينة. لم تقم عليه بينة زكيت وعدلت. أو لم تقبل: أى أو أقيمت عليه

بينة ولم تقبل، أو ثبتت زندقته بإقراره لكنه لم يقبل - أنه يصلَّى عليه، ويرثه المسلمون، ويدفن في مقابرهم، فتجربى عليه أحكام المسلمين، لأنه لم يحكم بكفره.

(٩) أعلن ديناً: أظهر اعتقاداً ونحلة. وفي ب: أو أعلن...

(١٠) هو ربيعة بن أبي عبد الرحمن بن فروخ، فقيه المدينة ومحدثها الذي روى عنه مالك

والليث وغيرهما، وأخرج له الستة، ووثقة أحمد وغيره. توفي سنة ست وثلاثين ومائة.

والشافعي، وأبو ثور^(١)، وابن أبي ليلى^(٢)؛ واختُلف فيه عن أحمد^(٣).
وقال عليّ بن أبي طالب رضى الله عنه، وابن مسعود، وابن المسيّب،
والحسن، والشعمي، وعمر بن عبد العزيز، والحكم^(٤)، والأوزاعي، والليث،
وإسحاق، وأبو حنيفة - ترثه ورثته من المسلمين .

وقيل ذلك فيما كسبه قبل ارتدادِه، وما يكسبه في الارتدادِ فلمُسلمين .
قال القاضي أبو النضل^(٥) : وتفصيلُ أبي الحسن في باقي جوابه^(٦) حسنٌ بين،
وهو على رأي أصبغ^(٧)، وخلاف قول سُحنون^(٨)؛ واختلافهما^(٩) على قولِي مالك

(١) أبو ثور : هو إبراهيم بن خالد الكلابي البغدادي ، أحد المجتهدين الثقة المحدث ،
روى عنه خلق كثير ، وأخرج له أصحاب السنن ، وتوفي سنة أربعين ومائتين .
(٢) ابن أبي ليلى : هو القاضي أبو عبد الرحمن محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى الأنصاري ،
أحد أعلام الدين في الفقه والحديث ، وأخرج عنه أربعة من أصحاب السنن وثقوه .
وقال بعضهم : إنه سيء الحفظ . توفي سنة ثمان وأربعين ومائة .
وله ترجمه في اللبزان (٣ - ٦١٣) .
والمراد أنه وافق اجتهادهم اجتهاده ، لا أنهم قلده ، إذ المجتهد لا يقلد غيره .
(٣) عن أحمد بن حنبل ، فقيل : قال بهذا القول ، وقيل : لم يقل به .
(٤) الحكم بن عتيبة . وهو فقيه الكوفة ، الإمام المابد الزاهد ، توفي سنة خمس عشرة
ومائة .

(٥) هو المؤلف .
(٦) يشير إلى قوله : إن قتل وهو منكر للشهادة فالحكم في ميراثه على ما ظهر من إقراره .
(٧) رأى أصبغ : ميراثه للمسلمين إن كان مسرا ، فإن أعلن فهو في .
(٨) وقول سُحنون : إنه في للمسلمين كالزنديق .
(٩) واختلافها : أى اختلاف أصبغ وسُحنون مبنى على قولِي مالك في ميراث الزنديق ،
هل ينظر لظاهر حاله ، أو لباطنه ؟ لأن الله رداه برداء سريرته، فمرة ... وفي : على قول ...
والثبت في ب .

في ميراث الزنديق ؛ فررةً ورثةً وورثته من المسلمين قامت عليه بذلك بينةً فأنكرها ،
أو اعترف بذلك وأظهر التوبة .

وقاله أصبغ ، ومحمد بن مسلمة ، وغير واحد من أصحابه ^(١) ؛ لأنه مظهر الإسلام
بإنكاره أو توبته ^(٢) ؛ وحكمه حكم المنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله
صلى الله عليه وسلم ^(٣) .

وروى ابن نافع ^(٤) عنه في العتبية ، وكتاب محمد - أن ميراثه لجماعة المسلمين ؛
لأن ما له تبع لدمه ^(٥) .

وقال به أيضا جماعة من أصحابه ؛ وقاله أشهب ، والمغيرة ^(٦) ، وعبد الملك ،
ومحمد ، وسخنون .

وذهب [٢٦٦] ابن القاسم في العتبية إلى أنه ^(٧) إن اعترف بما شهد عليه به
وتاب فقتل فلا يورث ^(٨) . وإن لم يُقرّ حتى يُقتل أو مات ورث .

(١) من أصحابه : من أصحاب الإمام مالك .

(٢) ونحن إنما نحكم بالظاهر .

(٣) كان النبي صلى الله عليه وسلم يعامل المنافقين معاملة المسلمين في ميراثهم وغيره ،
تأليفا لقلوبهم وقلوب من قرب عهده بالإسلام ؛ لثلاثيقول الأعداء : إنه يقتل أصحابه حتى
أعلمه الله بذلك ، فكان لا يصلى على بعضهم ، لأن صلاته - صلى الله عليه وسلم - شفاعة لهم .

(٤) هو عبد الله بن نافع الصائغ المدني المحدث ، مولى بني مخزوم ، وهو ثقة . وقيل : في
حفظه شيء . ووثقه ابن معين ، وهو صاحبه الذي كان يلزمه ، وروى عنه كثيرا . وأخرج

له أصحاب السنن . وترجمته في الميزان ٢ - ٥١٣ ، توفي سنة ست ومائتين .

(٥) قال الحفاجي : ودمه هدر ، فما له غنيمة وفيه .

(٦) هو المغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث بن عياش . توفي سنة ثمان وثمانين ومائة .

(٧) أنه ؛ أي المرتد ، أو الزنديق .

(٨) وتاب ؛ أي ولم تقبل توبته . فلا يورث ، لأنه حكم بكفره ، وقتل ، فلا يبقى لتوبته
حكم في الدنيا .

قال : وكذلك كلُّ مَنْ أَسْرَ كُفْرًا فَإِنَّهُمْ يَتَوَارَثُونَ بِوَرَاثَةِ الْإِسْلَامِ (١) .
وسئل أبو القاسم ابنُ الكاتب عن النُّصْرَانِيَّ يَسُبُّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
فَيُقْتَلُ ؛ هل يرثُهُ أهلُ دينه أم المسلمون ؟
فأجاب بأنَّه (٢) للمسلمين ليس على جهة الميراث ؛ لأنه لا توارثَ بين أهلِ مِلَّتَيْنِ ،
ولكن لأنه مِنْ قِيَّتِهِمْ ، لِنَقْضِهِ الْعَهْدِ (٣) ، هذا معنى قوله واختصارُهُ .

(١) يتوارثون بوراثة الإسلام ، فتجري عليهم أحكام الإسلام ، نظراً لظاهر حالهم .

(٢) بأنه ، أى ميراثه فيء للمسلمين .

(٣) لنقضه العهد ، بسبه له صلى الله عليه وسلم ؛ لأنه طعن في الدين ، وليس مما كفر به .

البَابُ الثَّالِثُ

فِي حُكْمِ مَنْ سَبَّ اللَّهَ تَعَالَى وَمَلَائِكَتَهُ وَكُتُبَهُ وَأَنْبِيََاءَهُ
وَأَالَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَزْوَاجَهُ وَصَحْبِهِ

لَا خِلَافَ أَنْ سَابَّ اللَّهَ تَعَالَى مِنَ الْمُسْلِمِينَ كَافِرٌ حَلَالُ الدَّمِ ^(١) . وَاخْتَلَفَ
فِي اسْتِنَابَتِهِ ^(٢) ؛ فَقَالَ ابْنُ الْقَاسِمِ فِي الْمَبْسُوطِ ، وَفِي كِتَابِ ابْنِ سُبْحَانَ ، وَمُحَمَّدٌ ؛
وَرَوَاهُ ابْنُ الْقَاسِمِ عَنِ مَالِكٍ فِي كِتَابِ إِسْحَاقَ بْنِ يَمِينٍ : مَنْ سَبَّ اللَّهَ تَعَالَى مِنَ
الْمُسْلِمِينَ قُتِلَ وَلَمْ يُسْتَنْبَ ^(٣) إِلَّا أَنْ يَكُونَ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ بِارْتِدَادِهِ إِلَى دِينِ دَانَ بِهِ
وَأُظْهِرَهُ فَيَسْتَنْبَ ^(٤) ، وَإِنْ لَمْ يُظْهِرْهُ لَمْ يُسْتَنْبَ ^(٥)
وَقَالَ فِي الْمَبْسُوطِ مُطَرِّفٌ وَعَبْدُ الْمَلِكِ مِثْلَهُ .

وَقَالَ الْخَزَمِيُّ ، وَمُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ ، وَابْنُ أَبِي حَازِمٍ ^(٦) : لَا يُقْتَلُ الْمُسْلِمُ بِالسَّبِّ
حَتَّى يُسْتَنْبَ ^(٧) .

وَكَذَلِكَ الْيَهُودِيُّ وَالنَّصْرَانِيُّ ، فَإِنْ تَابُوا قَبِلَ مِنْهُمْ ، وَإِنْ لَمْ يَتُوبُوا قُتِلُوا ،

-
- (١) حلال الدم ؛ أى مستحق للقتل شرعا .
 - (٢) استنابته ، أى طلب التوبة منه وقبولها .
 - (٣) لم يستنب : لا تطلب منه توبة .
 - (٤) إلا أن يكون سبه افتراء على الله بارتداده إلى دين غير الإسلام دان به ، واتخذة ديناً طاعه وأظهره ولم يحفه . فيستنب ، أى يؤمر بالتوبة ورجوعه إلى الإسلام .
 - (٥) وإن لم يظهره لم يستنب وقتل ، لأنه زنديق لا يوثق بتوبته .
 - (٦) ابن أبي حازم : عبد العزيز بن سلمة بن دينار بن أبي حازم . توفي سنة أربع ، أو خمس ، أو ست ، وثمانين ومائة ، وهو ساجد في مسجد رسول الله .
 - (٧) قال الخفاجى : فإن تاب ، وإلا قتل ، وإليه ذهب الشافعى وغيره .

ولا بُدَّ من الاستتابة^(١) ، وذلك كله كاردة ، وهو الذى حكاه القاضى بن نصر عن المذهب^(٢) .

وأفتى أبو محمد بن أبى زبْد فيما حُكي عنه فى رجل لعن رجلاً ولعن الله ؛ فقال : إنما أردتُ أن ألعن الشيطانَ فزلَّ لسانى ؛ فقال : يُقتلُ بظاهر كفره ، ولا يُقبلُ عُذره .

وأما فيما بينه وبين الله تعالى فمذور^(٣) .

واختلف فقهاء قرطبة فى مسألة هارون بن حبيب أخى عبد الملك^(٤) للفقهاء ، وكان ضيق الصدر ، كثير التبرُّم^(٥) ، وكان قد شهد عليه بشهادتين ؛ منها أنه قال عند استقلاله^(٦) من مرضٍ : لئيتُ فى مرضى هذا ما لو قتلتُ أباً بكر وعمر لم أستوجب هذا كله .

(١) ولا بد من الاستتابة قبل قتلهم .

قال الخفاجى : وهذا حكمهم الآن ، إذ قويت شوكة الإسلام ، بخلاف زمنه صلى الله عليه وسلم ، إذ لم يقتل اليهود الذين قالوا : يد الله مخلولة - لما نزل قوله تعالى : أقرضوا الله قرضاً حسناً . فلم يستنهم دفعا للفتنة .

(٢) عن المذهب : أى مذهب الإمام مالك .

(٣) فمذور إن صدق .

قال الخفاجى : وترك هذا القيد لظهوره : فلا اعتراض عليه .

قال : وبهذا أفتى الشافعى ؛ لأن مخالفة الظاهر الصريح لاتعتبر بدون قرينة ، وهى قاعدة مقررة عند الفقهاء .

هذا ، وفى كلام ابن حجر - بمد قول المصنف : ولا يقبل عُذره : وقضية مذهبنا قبوله .

(٤) قال الخفاجى : وأخوه هارون لا يمد من العلماء ؛ بل من الأمراء .

(٥) التبرُّم : الضجر والقلق مما يصيبه .

(٦) استقلاله ؛ أى فى زمن إفاقتة وقيامه من مرض أصابه .

والمراد أنه برى منه .

فَأَفْتَى إِبْرَاهِيمُ بْنُ حُسَيْنٍ^(١) بِنِ خَالِدٍ بِقَتْلِهِ ؛ وَأَنَّ مُضْمَنَ قَوْلِهِ تَجْوِيرُ اللَّهِ تَعَالَى
وَتَظْلَمُ مِنْهُ ؛ وَالتَّعْرِيفُ فِيهِ كَالْتَصْرِيحِ^(٢) .

وَأَفْتَى أَخُوهُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ حَبِيبٍ ، وَإِبْرَاهِيمُ بْنُ حُسَيْنِ بْنِ عَاصِمٍ ، وَسَعِيدُ بْنُ
سَلِيمَانَ الْقَاضِي بَطْرَحَ الْقَتْلِ^(٣) عَنْهُ ؛ إِلَّا أَنَّ الْقَاضِي رَأَى عَلَيْهِ التَّنْقِيلَ^(٤) فِي الْحَبْسِ ،
وَالشَّدَّةَ فِي الْأَدَبِ ، لِاحْتِمَالِ كَلَامِهِ ، وَصَرَفَهُ إِلَى التَّشْكِي^(٥) ؛ فَوَجَّهَهُ مَنْ قَالَ فِي سَابِقِ

(١) إِبْرَاهِيمُ بْنُ حُسَيْنِ بْنِ خَالِدٍ : مِنْ أَجْلَاءِ فَهَاءِ الْمَالِكِيَّةِ بِقَرْطَبَةَ ، تُوُفِيَ سَنَةَ ثَمَانٍ وَخَمْسِينَ
وَمِائَتَيْنِ .

(٢) تَجْوِيرُ اللَّهِ : أَيُ نَسَبْتَهُ لِلجَّوْرِ . وَالتَّظْلَمُ مِنْهُ ؛ أَيُ الْقَوْلُ بِأَنَّهُ ظَلَمَهُ بِمَا فَعَلَهُ . وَالتَّعْرِيفُ
فِيهِ ؛ أَيُ فِي نِسْبَةِ اللَّهِ تَعَالَى لِمَا لَا يَلِيقُ بِهِ كَالْتَصْرِيحِ ؛ أَيُ حَكَمَهُ كَحَكَمِهِ فِي التَّكْفِيرِ وَإِيجَابِ الْقَتْلِ .
(٣) بَطْرَحَ الْقَتْلَ : بِدَفْعِهِ .

قَالَ الْخَفَاجِيُّ : فِي التَّعْبِيرِ بِهِ إِيمَاءٌ إِلَى أَنَّهُ قَتَلَهُ جَائِزًا ، وَلَسْكَنَهُ دَرِيءًا عَنْهُ .

(٤) التَّنْقِيلُ : أَيُ بَوْضُوعِ الْقَيْودِ وَالْأَغْلَالِ .

(٥) لِاحْتِمَالِ كَلَامِهِ لِمَا ذَكَرَ ؛ مِنْ نِسْبَةِ اللَّهِ تَعَالَى لِلجَّوْرِ وَالظُّلْمِ . وَصَرَفَهُ إِلَى التَّشْكِي :

مِنَ الْمَرَضِ ، لِتَأْلُمِهِ بِهِ ، لَا الشُّكَايَةَ مِنْهُ - وَلِهَذَا الْاحْتِمَالُ دَفَعَهُ عَنْهُ الْقَتْلَ .
قَالَ فِي نَسْمِ الرِّيَاضِ :

وَذَكَرَ النَّوَوِيُّ الْقَوْلَيْنِ فِي الرُّوْضَةِ مِنْ غَيْرِ تَرْجِيحٍ . وَقَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ زَكَرِيَّا فِي شَرْحِ
الرُّوْضِ : الَّذِي رَجَحَهُ الْمَحَبُّ الطَّبْرِيُّ أَنَّهُ لَا يَكْفُرُ . قَالَ ابْنُ حَجْرٍ : وَالَّذِي عِنْدِي أَنَّهُ يَفْصَلُ ؛
فَيُقَالُ : إِنْ أَرَادَ بِذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ شَدَّدَ عَلَيْهِ ذَلِكَ لِذُنُوبٍ سَبَقَتْ لَهُ أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ لَمْ يَكْفُرُ . وَإِنْ أَرَادَ
أَنَّهُ لَمْ يَفْعَلْ مَعَهُ الْأَصْلَحَ فِي حَقِّهِ فَإِنَّ كَانَ مَعَ اعْتِقَادِ أَنَّ مَا فَعَلَهُ مَعَهُ جُورٌ كَفَرَ ؛ أَوْ أَنَّهُ تَعَالَى لَا يَجِبُ
عَلَيْهِ الْأَصْلَحُ ، أَوْ أُطْلِقَ ، لَمْ يَكْفُرُ .

قَالَ الْخَفَاجِيُّ :

وَلَيْسَ مَا ذَكَرَ مَبْنِيًا عَلَى مَسْأَلَةِ وَجُوبِ الْأَصْلَحِ عَلَى اللَّهِ وَعَدَمِ وَجُوبِهِ عَلَى الْخِلَافِ الْمَذْكُورِ
فِي الْأَصْلِ كَمَا تَوَمَّنُ .

وَاعْلَمْ أَنَّ ابْنَ مَفْلُحٍ قَالَ فِي كِتَابِ الْأَدَابِ الشَّرْعِيَّةِ أَنَّ ابْنَ عَقِيلٍ رَحِمَهُ اللَّهُ - قَالَ : الرِّضَاءُ
بِقَضَاءِ اللَّهِ فِي الْأَمْرَاءِ وَنَحْوِهَا مِنَ الْمَصَائِبِ وَاجِبٌ . وَقَالَ الشَّيْخُ تَقِيُّ الدِّينِ : إِنَّهُ لَيْسَ بِوَاجِبٍ
عَلَى الْأَصْحَحِ ؛ وَإِنَّمَا الْوَاجِبُ الصَّبْرُ ؛ وَفِيهِ كَلَامٌ أُطَالَ فِيهِ .

الله بالاستتابة - إنه كفرٌ وردّةٌ مخضّةٌ لم يتعلّق بها حقٌّ لغير الله ؛ فأشبهه (١) قصد الكفرِ بغير سبِّ الله، وإظهار الانتقالِ إلى دينٍ آخر من الأديان المخالفة للإسلام .
 وَوَجْهٌ تَرَكَ اسْتِنَابَتَهُ أَنَّهُ لَمَّا ظَهَرَ مِنْهُ ذَلِكَ بَعْدَ إِظْهَارِ الْإِسْلَامِ قَبِيلُ اتِّهَمَانِهِ وَظَنْنَا أَنَّ لِسَانَهُ لَمْ يَنْطِقْ بِهِ إِلَّا وَهُوَ مُتَقَدِّمٌ لَهُ ؛ إِذْ لَا يَتَسَاهَلُ فِي هَذَا أَحَدٌ ؛ فَحُكْمٌ لَهُ بِحُكْمِ الزُّنْدِيقِ ، وَلَمْ تُقْبَلْ تَوْبَتُهُ ، وَإِذَا انْتَقَلَ مِنْ دِينٍ إِلَى آخَرَ ، وَأَظْهَرَ السَّبَّ بِمَعْنَى الْارْتِدَادِ (٢) فَهَذَا قَدْ أَعْلَمَ أَنَّهُ خَلَعَ رِبْقَةَ الْإِسْلَامِ مِنْ عُنُقِهِ (٣) ، بِخِلَافِ الْأَوَّلِ [٣٦٧] التَّمَسُّكُ بِهِ (٤) ، وَحُكْمٌ (٥) هَذَا حُكْمُ الْمُرْتَدِّ : يُسْتَتَابُ (٦) عَلَى مَشْهُورِ مَذَاهِبٍ أَكْثَرِ أَهْلِ الْعِلْمِ (٧) ؛ وَهُوَ مَذْهَبُ مَالِكٍ وَأَصْحَابِهِ عَلَى مَا بَيَّنَّاهُ قَبْلُ ، وَذَكَرْنَا الْخِلَافَ فِي فُصُولِهِ (٨) .

= والحاصل أن المصائب والأمراض ليست بذنب سبق من العبد ؛ وإنما هي ابتلاء من الله يثيب عبده عليه ، كما ورد في الأحاديث ، وقد تقدم شيء منه فيما يصيب الأنبياء . وقول هذا القائل يمتقد أنها تصيبه بذنوب سلفت منه . وهذا جهل منه .

(١) فأشبهه السب قصد الكفر بغير سب الله في أن كلا منهما ردة .

(٢) بمعنى الارتداد ؛ أي بمعنى أنه صار مرتدًا .

(٣) الربقة : عروة في جبل تربط بها البهائم وتشد، فإذا خلمتها أي رمتها من عنقها شردت وذهبت نافرة . خلع ربقة الإسلام من عنقه : خرج من الإسلام خروجا ظاهرا إلى الكفر .

(٤) التمسك به ؛ أي بالإسلام .

(٥) وحكم هذا الذي انتقل من دين إلى آخر ، وأظهر السب .

(٦) يستتاب : فإن تاب قبلت توبته وإلا قتل .

(٧) أكثر أهل العلم : من أكثر علماء الحنفية والشافعية والحنبلية : وفي : مذاهب

أكثر العلماء .

(٨) في فصوله الآتية بعد .

فصل

وأما مَنْ أضافَ إلى الله تعالى ما لا يليقُ به ليس على طريقِ السبِّ ولا الرِّدَّةِ وقصدِ الكُفْرِ ؛ ولكن على طريقِ التَّأويلِ والاجتهادِ والخطأِ المُفْضِي إلى المَوْىِ والبدعة^(١) ؛ من تشبيه^(٢) أو نعتِ بجارحة^(٣) أو نفي صفة كمالٍ ، فهذا مما اختلفَ السلفُ ، والخلف^(٤) في تكفيرِ قائله ومعتقدِهِ .

واختلف قولُ مالك وأصحابِهِ في ذلك ، ولم يختلفوا في قتالهم إذا تحمَّزوا^(٥) فئةً ، وأنهم يُسْتتابون ؛ فإن تابوا وإلا قتلوا . وإنما اختلفوا في المنفردِ منهم^(٦) ، وأكثُر قولِ مالك وأصحابِهِ تركُ القولِ بتكفيرهم ، وتركُ قتلهم ، والمبالغةُ في عقوبتهم^(٧) ؛ وإطالة سجنهم ، حتى يظهرَ إقلاعُهم ، وتَسْتَبِينَ توبتهم ، كما فعل عمرُ رضِيَ اللهُ عنه بصبيغ^(٨) .

(١) المفضى إلى الموى والبدعة : المؤدى إلى أمر من هوى نفسه من غير نظر للحق وتحقيق له . والبدعة : اختراع أمر لم يسبق إليه ولم يرد في الشرع قال في نسيم الرياض (٤) - (٥٠٨) : وللراد البدعة التي هي ضلالة .

(٢) من تشبيهه ؛ أى تشبيهه الله تعالى بغيره ، كإثبات يده وجسمه ؛ وهذا بيان لما لا يليق .

(٣) أو نعت بجارحة ؛ أى وصف الله سبحانه وتعالى بإثبات جارحة له . والجارحة : المضو .

(٤) السلف : المتقدمون . والخلف : المتأخرون .

(٥) تحمَّزوا فئة : فارقوا أهل السنة وانفردوا بمكان مخصص بهم ؛ لإظهارهم المخالفة ؛

وخشية إضلال العامة والخروج إذا قويت شوكتهم .

(٦) في المنفرد : الذى ليس معه جماعة يتحمَّز بها عن غيره .

(٧) والمبالغة في عقوبتهم ؛ أى تشديد عقوبتهم .

(٨) قال الحفاجى : هو رجل من بنى يربوع اسمه صبيغ بن شريك بن عسل ؛ قال ابن

ما كولا : كان يقتبع مشكل القرآن ومشاكله ، فأمر عمر رضِيَ اللهُ عنه بضربه ، ومنع الناس من مجالسته .

وهذا قول محمد بن المواز في الخوارج^(١) وعبد الملك بن الماجشون ، وقول سُخْنُونِ فِي جَمِيعِ أَهْلِ الْأَهْوَاءِ^(٢) ، وَبِهِ فُتِّرَ قَوْلُ مَالِكٍ فِي الْمَوْطَأِ ، وَمَا رَوَاهُ عَنْ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَجَدَّهُ وَعَمَّهُ ، مِنْ قَوْلِهِمْ فِي الْقَدْرِيَّةِ^(٣) يُسْتَنْابُونَ ؛ فَإِنْ تَابُوا وَإِلَّا قُتِلُوا .

وقال عيسى ، عن ابن القاسم - في أهل الأهواء من الإباضية^(٤) والقدرية وشبههم ممن خالف الجماعة من أهل البدع والتحريف ، لتأويل كتاب الله : يُسْتَنْابُونَ أَظْهَرُوا ذَلِكَ أَوْ أَسْرَوْهُ . فَإِنْ تَابُوا وَإِلَّا قُتِلُوا ، وَمِيرَاثُهُمْ لَوَرَثَتِهِمْ^(٥) .
وقال مثله أيضا ابن القاسم في كتاب محمد في أهل القدر وغيرهم ، قال : وَاسْتَنْابَتْهُمْ أَنْ يُقَالَ لَهُمْ : اِتْرَكُوا مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ .

(١) قال الخنفاجي : هم جماعة كانوا مع علي كرم الله وجهه في صفين ، ثم خالفوه وخرجوا عليه لإنكارهم التحكيم ، وقولهم : لا حكم إلا لله . قال : ولهم عقائد مخالفة للسنة ؛ كتكفير مرتكب الكبيرة ، ووجوب الخروج على الإمام إذا خالف السنة ؛ ومع ذلك كان لهم من العبادة والشجاعة والتصلب فيما يمتدنون أمور عجيبة . وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بهم قبل ظهورهم ، وقصتهم مع علي رضي الله عنه ، وقاتلهم له في التواريخ .

(٢) في جميع الأهواء ؛ من الفرق الضالة للضلة ؛ فتشدد عقوبتهم ، ولا تقتلهم ؛ بل نطيل سجنهم حتى يتوبوا .

(٣) قال في نسيم الرياض (٤ - ٥١٠) وهؤلاء طائفة قالوا بنفى القدر ؛ وهم أصحاب واصل بن عطاء . قال الخنفاجي : وهم مجوس هذه الأمة ؛ شبههم بهم لإضافتهم الأمر لتبشير الله ، من النور والظلمة . تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

(٤) الإباضية : جماعة من الخوارج أصحاب عبد الله بن إباض ، ظهروا في خلافة مروان ابن عبد آخر بن أمية ، زعموا أن من خالفهم كافر غير مشرك تجوز منا كحته .

(٥) لورثتهم من المسلمين ؛ لأنهم يقولون : إنهم على الإسلام ، ويتأولون النصوص الدالة على خلافتهم ؛ وإنما قتلوا لإصرارهم على البدع المخالفة للحق ؛ كما يقتل تارك الصلاة ؛ لالحكم بكفرهم .

ومثله له في اللبسوط في الإباضية والقدرية وسائر أهل البدع ؛ قال : وهم مسلمون ؛ وإنما قتلوا لرأيهم السوء^(١) ، وبهذا عمل عمر بن عبد العزيز .
قال ابن القاسم : مَنْ قال : إنَّ اللهَ لم يكلمْ موسى تكليماً استُتِيب ، فإنْ تاب وإلَّا قُتل .

وابنُ حبيبٍ وغيرُهُ من أصحابنا يرى تكفيرهم وتكفيرَ أمثالهم من الخوارج والقدريَّة والمرجئة^(٢) .

وقد روى أيضاً عن سُحنون مثله فيمن قال : ليس اللهُ ككلامٍ ، إنه كافر^(٣) .
واختلفت الرواياتُ عن مالك ، فأطلق في رواية الشاميين : أبى مُسهر ، ومروان ابن محمد الطاطري^(٤) الكُفْرَ عليهم ، وقد شوَّروا في زواج القدرى ، فقال : لا تزوجهُ ؛ قال اللهُ تعالى^(٥) : ﴿ وَاعْبُدُوا مَوْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ﴾ .
وروى عنه أيضاً : أهلُ الأهواء^(٦) كلُّهم كُفَّار .

وقال : مَنْ وصفَ شيئاً مِنْ ذاتِ اللهِ تعالى ؛ وأشار إلى شيءٍ من جسده :

(١) السوء : السيء ، الخالف لجماعة السنة وأهل الحق .

(٢) للرجئة : هم فرق خمس ذهبوا إلى أنه لا تضر مصيبة مع الإيمان ، كما لا تنفع طاعة مع

الكفر .

قال الحفاجى : وتكفيرهم لإنكارهم النصوص للتواتر ، وما علم من الدين بالضرورة .

(٣) وذلك لإنكاره ما ثبت بالتواتر وما يلزمه من تكذيب الله ورسله .

(٤) إمام محدث ثقة ، أخرج له مسلم وغيره . وله ترجمة في اللبزان (٤ - ٩٣) ، وهو من

زهاد العلماء . توفي سنة ست عشرة ومائتين .

وأطلق الكفر عليهم : قال بكفرهم مطلقاً .

(٥) سورة البقرة ، آية ٢٢١

أى المبد للمؤمن وإن كان فقيراً خيراً من المشرك وإن كان غنياً .

(٦) الأهواء : البدع والمعائد المخالفة لأهل السنة . كفار لمعائدهم الباطلة .

- يَدِي، أَوْ سَمِعَ، أَوْ بَصَرَ، قُطِعَ ^(١) ذَلِكَ مِنْهُ؛ لِأَنَّهُ شَبَّهَ اللَّهَ بِنَفْسِهِ ^(٢).
- وقال فيمن قال: القرآن مخلوق - كافرًا فاقتلوه.
- وقال أيضا - في رواية ابن نافع - يُجَلِّدُ، وَيُوجَعُ ضَرْبًا، وَيُجَبَسُ حَتَّى يَتَوَبَّ.
- وفي رواية بشر بن بكر ^(٣) التَّنْيِيسِي عَنْهُ: يُقْتَلُ وَلَا تُقْبَلُ تَوْبَتُهُ.
- قال القاضي أبو عبد الله البرزَنْكَانِي، والقاضي أبو عبد الله التُّسْتَرِي من أئمة العراقيين: جوابه مُخْتَلَفٌ، يُقْتَلُ ^(٤) الْمُسْتَبْصِرُ الدَّاعِيَةَ ^(٥).
- وعلى هذا الخلاف اختلف قوله في إعادة الصلاة خَلْفَهُمْ ^(٦).
- وحكى ابنُ المُنْذِرِ، عن الشافعي: لا [٢٦٨] يَسْتَنْابُ الْقَدْرِي ^(٧).
- وأكثرُ أقوالِ السَّلَفِ تَكْفِيرُهُمْ؛ وَمَنْ قَالَ بِهِ اللَّيْثُ، وَابْنُ عُيَيْنَةَ وَابْنُ لَهْيَعَةَ؛ وَرَوَى عَنْهُمْ ذَلِكَ ^(٨) فَيَمُنُ قَالَ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ؛ وَقَالَ ابْنُ الْمُبَارَكِ، وَالْأَوْدِيُّ ^(٩)،
-
- (١) قطع ذلك العضو منه .
- (٢) قال في نسيم الرياض (٤ - ٥١٣):
- قيل إن مالكا قصد بكلامه هذا الزجر الشديد لا القطع حقيقة، لأنه عقوبة لم ترد في الشرع. أو أراد الدعاء عليه بذلك؛ فإنه أجل من أن يقول مثله حقيقة.
- ثم قال الخفاجي:
- ولا يخفى أن ما قاله خلاف الظاهر؛ وإذا كان عنده هذا كفرا، وهو مستحق للقتل؛ فأى مانع من عقوبته بمثل ما ذكر؟ وما وجه استيماده؟
- (٣) بشر بن بكر: محدث جليل ثقة أخرج له أصحاب السنن؛ وتوفى سنة خمس ومائتين، وله ترجمة في الميزان: ١ - ٣١٤.
- (٤) أي من له بصيرة في إقامة الأدلة على مراده.
- (٥) الداعية: الذي يدعو الناس لمذهبه ويطلب ظهوره؛ فهذا أشد فتنة؛ فلهذا رأى مالكا قتله دفعا لثائله، بخلاف غيره.
- (٦) خلفهم؛ أي إذا صليت خلفهم؛ اقتداء بإمامهم؛ فتارة قال: يعيد، وتارة قال: لا يعيد.
- (٧) لا يستتاب القدرى؛ لكفره.
- (٨) ذلك؛ أي تكفيرهم.
- (٩) الأودى: هو عثمان بن الحكم.

وَوَكَيْع ، وَحَفْصُ بْنُ غِيَاثٍ^(١) ، وَأَبُو إِسْحَاقَ الْفَزَارِيُّ^(٢) ، وَهُشَيْمٌ^(٣) ، وَعَلِيُّ بْنُ عَاصِمٍ فِي آخِرِينَ ، وَهُوَ مِنْ قَوْلِ أَكْثَرِ الْمُحَدِّثِينَ وَالْفُقَهَاءِ وَالْمُتَكَلِّمِينَ فِيهِمْ^(٤) وَفِي الْخَوَارِجِ وَالْقَدَرِيَّةِ وَأَهْلِ الْأَهْوَاءِ^(٥) الْمُضَلَّةِ وَأَصْحَابِ الْبِدَعِ الْمُتَأَوِّينِ ؛ وَهُوَ قَوْلُ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ ؛ وَكَذَلِكَ قَالُوا فِي الْوَاقِفَةِ وَالشَّاكَّةِ فِي هَذِهِ الْأَصُولِ^(٦) .

وَمِنْ رُؤْيَى عَنْهُ مَعْنَى الْقَوْلِ الْآخِرِ بِتَرْكِ تَكْفِيرِهِمْ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ ، وَابْنَ عُمرَ ، وَالْحَسَنَ الْبَصْرِيَّ ؛ وَهُوَ رَأْيُ جَمَاعَةٍ مِنَ الْفُقَهَاءِ وَالنُّظَّارِ^(٧) وَالْمُتَكَلِّمِينَ ؛ وَاحْتَجُّوا بِتَوْرِيثِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَرِثَةِ أَهْلِ حَرُورَاءَ^(٨) ، وَمَنْ عُرِفَ بِالْقَدَرِ يَمُنُّ مَاتَ مِنْهُمْ ، وَدَفِنِيهِمْ فِي مَقَابِرِ الْمُسْلِمِينَ ، وَجَزَى أَحْكَامَ الْإِسْلَامِ عَلَيْهِمْ .

قَالَ إِسْمَاعِيلُ^(٩) الْقَاضِي : وَإِنَّمَا قَالَ مَالِكٌ فِي الْقَدَرِيَّةِ وَسَائِرِ أَهْلِ الْبِدَعِ :

(١) حَفْصُ بْنُ غِيَاثٍ : قَاضِي الْكُوفَةِ الْإِمَامَ الْحَافِظَ ، أَخْرَجَ لَهُ السُّنَنُ ، وَتَرْجَمَتْهُ فِي الْمِيزَانِ (١ - ٥٦٧) . تَوَفَّى سَنَةَ أَرْبَعِ عَشْرَةَ وَمِائَةً .

(٢) أَبُو إِسْحَاقَ الْفَزَارِيُّ : إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ أَسْمَاءَ بْنِ خَارِجَةَ الْفَزَارِيَّ ، أَحَدَ الْعُلَمَاءِ الْأَعْلَامِ ، أَخْرَجَ لَهُ لِلسُّنَنِ ، وَتَوَفَّى سَنَةَ سِتِّ أَوْ ثَمَانٍ وَثَمَانِينَ وَمِائَةً .

(٣) هُشَيْمُ بْنُ بَشْرِ السُّلَمِيِّ الْوَأَسْطَى الْحَافِظَ الثَّقَةَ ، تَوَفَّى سَنَةَ ثَلَاثٍ وَثَمَانِينَ وَمِائَةً .

وَلَهُ تَرْجَمَةٌ فِي الْمِيزَانِ : ٤ - ٣٠٦ (٤) فِيهِمْ : فِي الْمُبْتَدَعَةِ .

(٥) الْأَهْوَاءُ ؛ أَيُّ الْمُبْتَدِعِينَ لَهْوَى أَنْفُسِهِمْ فِي الْعَقَائِدِ الْفَاسِدَةِ .

(٦) الْمُرَادُ بِالْوَأَقِفَةِ قَوْمٌ تَوَقَّفُوا فِي اتِّبَاعِ الْبِدْعَةِ أَوْ السُّنَنِ لِجَهْلِهِمْ ، أَوْ لِتَعَارُضِ الْأَدَلَّةِ عَلَيْهِمْ . وَالشَّاكَّةُ : قَوْمٌ شَكُّوا فِي ذَلِكَ .

وَقَالَ الْخُفَاجِيُّ : وَيَجُوزُ إِرَادَةُ كُلِّ مَنْ شَكَّ وَلَمْ يَتَّبِعِ الْحَقَّ ، وَلَمْ يَنْظُرْ فِي أَصُولِ السُّنَنِ عِنَادًا مِنْهُ وَإِلْحَادًا . وَفِي أ : الْوَاقِفَةِ .

(٧) وَالنُّظَّارُ ؛ أَيُّ أَصْحَابِ النَّظَرِ وَالْمَعْرِفَةِ بِالْأَدَلَّةِ وَالْقَادِرِينَ عَلَى الْمُنَاطَرَةِ .

(٨) حَرُورَاءُ : قَرْيَةٌ عَلَى مِيلَيْنِ مِنَ الْكُوفَةِ ، اجْتَمَعَ فِيهَا الْخَوَارِجُ الَّذِينَ اجْتَمَعُوا عَلَى حَرْبِ

عَلَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَتَمَاقَدُوا عَلَى آرَائِهِمْ الْفَاسِدَةِ وَعَلَى قِتَالِهِ ؛ فَانْسَبُوا لِحَلْمِهِ .

(٩) هُوَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِسْحَاقَ الْحَافِظِ .

يُسْتَقْتَابُونَ ؛ فَإِنْ تَابُوا وَإِلَّا قُتِلُوا ؛ لِأَنَّهُ مِنَ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ ^(١) ، كَمَا قَالَ فِي الْمَخَارِبِ ^(٢) : إِنْ رَأَى الْإِمَامُ قَتَلَهُ ، وَإِنْ لَمْ يَقْتُلْ ^(٣) ، قَتَلَهُ ؛ وَفَسَادُ الْمَخَارِبِ إِنَّمَا هُوَ فِي الْأَمْوَالِ وَمَصَالِحِ الدُّنْيَا ^(٤) ، وَإِنْ كَانَ قَدْ يَدْخُلُ أَيْضًا فِي أَمْرِ الدِّينِ مِنْ سَبِيلِ الْحِجَّةِ وَالْجِهَادِ ؛ وَفَسَادُ أَهْلِ الْبِدْعِ مُعْظَمُهُ عَلَى الدِّينِ ؛ وَقَدْ يَدْخُلُ فِي أَمْرِ الدُّنْيَا بِمَا يُبْلَقُونَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ مِنَ الْعَدَاوَةِ .

فصل

في تحقيق القول في إكفار المتأولين ^(٥)

قد ذكرنا مذاهب السلف في إكفار أهل البدع والأهواء المتأولين من قال قولاً يؤديه مساقفه ^(٦) إلى كفر ، وهو إذا وقف عليه لا يقول بما يؤديه قوله إليه .

وعلى اختلافهم اختلف الفقهاء والمتكلمون في ذلك ؛ فمنهم من صوّب التكفير الذي قال به الجمهور من السلف ؛ ومنهم من أباه ولم ير إخراجهم من سواد المؤمنين ^(٧) ؛

(١) أي إن حكمه بقتلهم ليس لكفرهم ؛ بل لاعتقادهم الباطل من الفساد في الأرض ، وهو مما يجب دفعه ، فإن لم يندفع إلا بالمقاتلة والقتل قتلوا لما يلزمه من إضلال الناس وإفساد عقائدهم .

(٢) في المخابر ؛ من البناة الخارجين على السلطان .

(٣) وإن لم يقتل أحدا ، وليس قتله لكفره ، بل لدفع فساده .

(٤) في الأموال التي يأخذها أو يفسدها . ومصالح الدنيا ؛ أي بتغلبه على البلاد وأهلها .

(٥) المتأولون ؛ هم أصحاب البدع والأهواء الذين أولوا عقائدهم الباطلة بما يجعلها صحيحة ،

وأولوا بعض النصوص المشكل ظاهرها . (٦) يؤديه مساقفه ؛ يوصله سياقه .

(٧) سواد المؤمنين ؛ جماعتهم .

وهم يعتمدون في ذلك على بعض الأحاديث الواردة في النهي عنه ، كحديث : أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا : لا إله إلا الله ، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم . ونحوه من الأحاديث الصحيحة .

وهو قولُ أكثر الفقهاء والمتكلمين ؛ وقالوا : هم نَسَاقُ عَصَاةٍ ضَلَّالٌ^(١) ،
وَنَوَارِثُهُمْ^(٢) من المسلمين ، ونحکم لهم بأحكامهم ، ولهذا قال سُحْنُونُ : لا إعادةَ
على مَنْ صَلَّى خَلْفَهُمْ ؛ قال : وهو قولُ جميع أصحابِ مالِكِ [كلهم]^(٣) : المُغَيَّرَةُ ،
وابن كنفانة ، وأشهب ؛ قال : لأنه^(٤) مُسْلِمٌ ؛ وذَنبُهُ لم يخرجْه من الإسلام .

واضطرب آخرون في ذلك ، ووقفوا عن القولِ بالتكفيرِ وضِدَّة^(٥) .
واختلاف قولي مالِكِ^(٦) في ذلك ، وتوقفه عن إعادة الصلاةِ خَلْفَهُمْ منه . وإلى نحوِ
من هذا ذهب القاضي أبو بكر إمامُ أهل التحقيق والحق ؛ وقال : إنها من
المُعْصَاتِ^(٧) ؛ إذ القومُ لم يُصِرُّوا بالكفر ؛ وإنما قالوا قولاً يُؤَدِّي إليه .

واضطرب قوله^(٨) في المسألة على نحوِ اضطرابِ قولِ إمامِهِ مالِكِ بنِ أنسٍ حتى
قال في بعض كلامِهِ : إنهم على رَأْيٍ مَنْ كَفَرَهُم بالتأويل لا تَحِلُّ مِنْهُمَا كَتْمُهُمْ^(٩) ،
ولا أَكْلُ ذَبَابِهِمْ ، ولا الصلاةُ على مَيِّتِهِمْ^(١٠) .

وَيُخْتَلَفُ فِي مَوَارِيثِهِمْ عَلَى الْخِلَافِ فِي مِيرَاثِ الْمُرْتَدِّ .

-
- (١) فساق : جمع فاسق . عصاة : لارتكابهم كبار من فساد العقائد والأعمال .
ضلال : جمع ضال .
(٢) نوارثهم : نحكم بإرث المسلمين لهم ومنهم .
(٣) من ب .
(٤) لأنه ؛ أي البتدع .
(٥) اضطرب : تردد . ضده : هو الإسلام .
(٦) لملك قولان في ذلك : قول بتكفيرهم ، وقول بخلافه ؛ فلذا اضطرب بعضهم ؛ وتوقف
آخرون فيهم .
(٧) المعصات : المسائل الصعبة المشككة ، لقوة الآراء المتعارضة فيها .
(٨) قوله : أي قول القاضي أبي بكر .
(٩) منا كتمهم ؛ أي تزويجهم المسلمات .
(١٠) أي لأنهم كفره عنده .

وقال أيضا : نورثُ مَيتَهُم وَرَثَتَهُم من المسلمين ، ولا نورثُهُم هم من المسلمين ؛
وأكثرُ مَيتِهِ إلى تركِ التكفيرِ بالمآل^(١) ؛ وكذلك اضطرب فيه قولُ شيخه
أبي الحسن الأشعري ، وأكثرُ قوله تركُ التكفير ، وأنَّ الكُفْرَ خَصْلَةٌ وَاحِدَةٌ ،
وهو الجهل [٢٦٩] بوجود الباري^(٢) تعالى .

وقال مرةً : مَن اعتقد أنَّ اللهَ جِسمٌ ، أو المسيحُ ، أو بنُ مَن يلقاهُ في الطَّريقِ ،
فليس بعارِفٍ به وهو كافرٌ .

ومثُلُ هذا ذهبَ أبو المَعَالِي^(٣) رَحِمَهُ اللهُ في أجوبته لأبي محمد عبد الحق ،
وكان سأله عن المسألة^(٤) ، واعتذر له بأنَّ الغلطَ فيها يَضْعُبُ ، لأنَّ إدخالَ كافرٍ
في الملةِ ، أو إخراجَ مسلمٍ عنها عظيمٌ في الدين .

وقال غيرهما^(٥) من المحققين : الذي يجبُ الاحترازُ من التكفيرِ في أهلِ التَّأويلِ ؛
فإن استباحةَ الموحِّدين خطأ ، والخطأُ في تركِ ألفِ كافرٍ أهونُ من الخطأِ في سفكِ
مِحْجَمَةٍ^(٦) من دم مسلم واحد .

وقد قال صلى اللهُ عليه وسلم : فإذا^(٧) قالوها - يعني الشهادة - عصموا^(٨) مني
دماءهم وأموالهم إلا بمحجَّتها ، وحسابهم على الله .

(١) بالمآل : بما يؤول إليه كلامهم ؛ لأن لازم المذهب ليس بمذهب عندهم .

(٢) خصلة واحدة : صفة واحدة . الجهل بوجود الباري : لا يعرف الله ، ولا يقربه

ولا بوحدانيته . (٣) أبو المَعَالِي : عبد للثلاث بن يوسف إمام الحرمين .

(٤) عن المسألة المذكورة في أهل البدع . فاعتذر له عن ترك الجواب له بأن الغلط في هذه

للمسألة يصعب ويشكل على من خاف أن يقول في الشرع ما ليس منه : لأن . . .

(٥) غيرهما : غير الأشعري وأبي المَعَالِي .

(٦) المحجمة : آلة يؤخذ بها دم الحجاجمة المروفة .

(٧) في حديث رواه البخاري وغيره : أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله

وأن محمداً رسول الله ويقوموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا قالوها - يعني كلمة الشهادة - صحيح

البخاري : ١ - ١٤ ، وصحيح مسلم : ١ - ٥٢ (٨) عصموا مني : حفظوا وصانوا .

فالعصمة متطوعٌ بها من الشهادة ، ولا ترتفعُ وبُستباحُ خِلافُها إلا بقاطع ،
ولا قاطِعَ من شَرعٍ ولا قياسٍ عليه .

وألفاظُ الأحاديثِ الواردةِ^(١) في البابِ مُعرَّضةٌ للتأويل^(٢) ؛ فما جاء منها
في التصريحِ بكُفْرِ القَدْرِيةِ^(٣) ، وقولُه^(٤) : لا سَنَمَ لهم في الإسلامِ ، وتسميتهُ
الرافضةَ بالشُّركِ ، وإطلاقُ اللَّعنةِ عليهم ، وكذلك في الخوارجِ وغيرهم من أهلِ
الأهواءِ ، فقد يَحْتَجُّ بها مَنْ يَقولُ بالكُفْرِ ، وقد يَجِيبُ الآخَرُ عنها^(٥) بأنَّه قد
وردَ في الحديثِ مِثْلُ هذه الألفاظِ في غيرِ الكُفْرِ^(٦) على طريقِ التَّفليظِ^(٧) ،
وكُفْرِ دونِ كُفْرِ ، وإشراكِ دونِ إشراكِ .

وقد وردَ مِثْلُه^(٨) في الرِّياءِ^(٩) وعقوقِ الوالدينِ ، والزَّوجِ^(١٠) ، والزُّورِ ،
وغيرِ مَعْصيةِ^(١١) .

(١) الدالة على تكفير أهل البدع والأهواء التي تمسك بها من ذهب لتكفيرهم .

(٢) معرضة للتأويل ، فلا تمارض الأدلة القاطعة بخلافه .

(٣) بكفر القدرية ، وأنهم مجوس هذه الأمة . . .

(٤) وقوله صلى الله عليه وسلم . ولا سم لهم : أى نصيب ، والمعنى لا إسلام لهم .

(٥) الآخر : الذاهب إلى عدم تكفيرهم .

(٦) غير الكفرة ؛ أى من عصاة المسلمين ، مع القطع بعدم كفرهم إجماعاً .

(٧) التفلظ ؛ أى المبالغة - والتشديد في الزجر تخويفاً لهم .

(٨) مثله : مثل الحديث الوارد في تكفير الرافضة وغيرهم من أهل البدع .

(٩) الرياء ؛ ويقال له الشرك الخفى .

(١٠) والزَّوج ؛ يعنى ومخالفة المرأة زوجها: وفي الحديث : من بات زوجها ساخطاً عليها

لم ترح رائحة الجنة . وهذا من صفة الكفار .

(١١) وغير معصية ؛ أى جاء في حق معاص كثيرة وصفها في الحديث بأنها كفر وشرك ، مع

علم كل أحد بأن فاعلها لا يكفر ؛ فدل هذا على أن المراد تفلظ زجره ، لا أنه كفر حقيقة ،

فماورد من تكفير البتدعة وأهل الأهواء مثله .

وإذا كان محتَملاً للأمرين فلا يُقَطَّع على أحدها إلا بدليل قاصح .
وقوله في الخوارج : هم من شرِّ البرية ، وهذه صفة الكفار (١) .
وقال : شرُّ قبيلٍ تحت أديم السماء (٢) ، طوبى (٣) لمن قتلهم أو قتلوه .
وقال (٤) : فإذا وجدتموهم فاقتلوهم قتلَ عادٍ .

فظاهرُ هذا الكفرِ لاسيما مع تشبيههم بعادٍ؛ فيحتجُّ به مَنْ يَرَى تكفيرهم (٥) ،
فيقول له الآخرُ : إنما ذلك من قتلهم لخروجهم على المسلمين وبغيتهم عليهم ، بدليل
من الحديثِ نفسه : يقتلون أهلَ الإسلامِ ؛ فقتلهم ها هنا حدٌّ لا كُفْر .
وذا كُرِّ عادٍ تشبيهٌ للقتلِ وحلِّه لا للمقتول ، وليس كلُّ مَنْ حُكِمَ بقتله
يُحْكَمُ بكُفْرِهِ . ويعارضه بقول خالدٍ في الحديث : دَعْنِي أُضْرَبْ مُعَقَّةً يا رسولَ الله .
فقال : لعله يُصَلِّي (٦) .

فإن احتجُّوا بقوله صلى الله عليه وسلم : يَقْرَؤون القرآنَ لا يجاوزُ حناجرَهُمْ (٧) -
فأخبر أن الإيمانَ لم يدخلْ قلوبَهُمْ .

-
- (١) البرية : الخلق . وهذه صفة الكفار ، وصفهم الله بها في القرآن في قوله تعالى : إن الذين
كفروا من أهل الكتاب والمشركين أولئك هم شر البرية . . . فوصفهم بصفة تقتضى كفرهم .
وهذه العبارة في حديث في الصحيحين وغيرها ، ورواه أحمد عن عائشة بلفظ : الخوارج
شرار أمتي يقتلهم خيار أمتي . وفي مسلم : هم أبغض الخلق . . .
(٢) القبيل : الجماعة . تحت أديم السماء : أى تحت السماء ، يريد الأرض .
(٣) طوبى : كلمة مدح ، وقد يقصد بها التبشير بالجنة والسعادة .
(٤) في حديث رواه الشيخان عن أبي سعيد الخدرى . صحيح مسلم : ٧٤١ .
(٥) لأمره صلى الله عليه وسلم بقتلهم وتشبيههم بالكفرة .
(٦) فجعل الصلاة وإظهار شعار الإسلام مانعة من التكفير والقتل . صحيح مسلم : ٥٤٢ .
(٧) لا يجاوز حناجرهم : لا يتعداها ، والمراد أنه لا يصل لقلوبهم ، لعدم العمل والعلم بما فيه
من الإيمان والعقائد . والحديث في ابن ماجه : ١ - ٦٠ ، وصحيح مسلم : ٧٤٢ ، ويفسره
رواية مسلم : لا يجاوز إيمانهم حلقيتهم ، فهم مؤمنون باللسان دون القلب . وهذه الرواية في
صحيح مسلم : ٧٥٠ .

وكذلك قوله : يَمْرُقُونَ ^(١) من الدين مُرُوقَ السَّهْمِ من الرَّمِيَّةِ ،
ثم لا يَعُودُونَ إليه حتى يَعُودَ السَّهْمُ على نُوقِهِ ^(٢) .

وبقوله ^(٣) : سبقَ الفَرثَ والدمَ ؛ يدلُّ على أنه ^(٤) لم يتعلَّقَ من الإسلامِ بشيءٍ .
أجابه الآخرون ^(٥) : إنَّ معنى لا يجاوزُ حَنَا جِرَمَ : لا يفهمون مَعَانِيَهُ بتلوينهم ،
ولا تَنْشَرِحُ له صدورهم ، ولا تعملُ به جَوَارِحُهُم ، وعارضوهم بقوله ، ويتمارَى
في الفُوقِ ^(٦) . وهذا يقتضى التشكُّكَ في حالِهِ ^(٧) .

واحتجُّوا بِقَوْلِ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ في هذا الحديثِ : سمعتُ رسولَ اللهِ صلى
اللهُ عليه وسلم يقولُ : يخرجُ في هذه الأُمَّةِ - ولم يقل : من ^(٨) هذه [٢٧٠] ؛
وتحزيرُ أَبِي سَعِيدِ الروايةَ ، وإتقانه اللفظَ ^(٨) .

(١) يمرقون : يخرجون . (٢) فوقه : الفوق : موضع السهم من الوتر .
والحديث كما في البخارى أنه صلى الله عليه وسلم قال : يخرج ناس من قبل المشرق يقرءون
القرآن لا يجاوز تراقيم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ، ثم لا يعودون إليه حتى يعود
السهم إلى الرمية . . .

(٣) في حديث رواه الشيخان : صحيح مسلم : ٧٤٤ ، وصحيح البخارى : ٩ - ٢٢
سبق ؛ أى السهم . الفرث : مافى السكرش : يعنى أنه لاتعلق لهم بالإسلام ، إيماء لسرعة
خروجهم ، كما أن السهم النافذ من حيوان رمى به يخرج قبل مافى بطنه من الفرث والدم فإنه
يخرج بعده . (٤) على أنه ؛ أى الخارجى . (٥) الآخرون : القائلون بعدم كفرهم .
(٦) ويتمارى ؛ أى يتردد السهم في موضعه من الوتر . وفي صحيح مسلم ٧٤٤ ، وصحيح
البخارى : ٩ - ٢١ : ويتمارى في الفوقة . والفوق والفوقة : هو الحز الذى يجعل فيه الوتر .
والتمارى : تفاعل من الرمية ، وهى الشك ، لا من المراء ، وهو الجدال ؛ أى فيشك . وفى اضبطت
الياء فى « يتمارى » بالضم (٧) يقتضى التشكك فى حاله ، وأنه لا يحكم بكفره .

(٨) إتقانه اللفظ بقوله : « فى » ، دون « من » ، وهو يدل على دقة نظره . ومعناه :
يظهر فى هذه الأمة ، ولم يقل : يظهر من هذه الأمة ، فإنه يقتضى أنهم منهم ، لامفارتهم
بمخالفة دينهم . صحيح البخارى : ٩ - ٢١

أجلهم الآخرون بأن العبارة بـ « في » لا تقتضي تضرُّها بكونهم من غير الأمة ، بخلاف لفظة « من » التي هي للتبويض . وكونهم من الأمة مع أنه قد روى عن أبي ذرٍّ ، وعليٍّ ، وأبي أمامة وغيرهم في هذا الحديث : يخرج من أمتي [وسيكون من أمتي]^(١) ، وحروف المعاني مشتركة ؛ فلا تمويل على إخراجهم من الأمة بـ « في » ، ولا على إدخالهم فيها بـ « من » ؛ لكن أبا سعيد رضي الله عنه أجاد ما شاء في التنبية الذي نبه عليه^(٢) . وهذا مما يدل على سعة فقه الصحابة وتحقيقهم للمعاني^(٣) واستنباطها^(٤) من الألفاظ ، وتحريرهم لها ، وتوقيعهم^(٥) في الرواية هذه المذاهب المعروفة لأهل السنة .

ولغيرهم من الفرق فيها مقالات كثيرة مضطربة سخرية ؛ أقربها قول جهم ، ومحمد بن شيب^(٦) : إن الكفر بالله الجهل به ، لا يكفر أحدٌ بغير ذلك^(٧) . وقال أبو الهذيل^(٨) : إن كل متأول كان تأويله تشبيها لله بخلقه ، وتجويراً^(٩) له في فعله ، وتكذيباً لخبره فهو كافر . وكل من أثبت شيئاً قديماً لا يقال له الله فهو كافر .

(٢) يأتيناه بـ « في » الدالة على إخراجهم .

(١) من ب .

(٤) استنباطها : استخراجها .

(٣) في ب : المعاني .

(٥) توقيعهم : احترازهم واجتنابهم .

(٦) هو جهم بن صفوان من المعتزلة . ومحمد بن شيب من المعتزلة أيضا .

(٧) قال الخفاجي : وهذا قول غير صحيح إن حمل على ظاهره ؛ لأنه يقتضي أن من عرف

الله وحده وأنكر نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، أو أنكر شريعته وكتابه المنزل عليه - لا يكفر . فإن أراد الجهل بالله وما يستلزمه لم يكن مخالفاً لغيره ؛ وكان مراد القائل إنه يلزمه تكفير سائر الفرق الضالة ؛ فإن لم يرد هذا فلا وجه له .

(٨) أبو الهذيل بن أحمد بن العلاف شيخ المعتزلة ، أخذ عن عثمان بن خالد الطويل ، عن

واصل بن عطاء ، وهو بصري ، توفي سنة ست وعشرين ومائتين .

(٩) تجويراله ؛ أي نسبة الجور إلى الله في تأويله .

وقال بعض المتكلمين : إن كان ممن عرف الأضلّ وبني عليه ، وكان فيما هو من أوصافِ الله فهو ^(١) كافر ، وإن لم يكن من هذا الباب ففاسق ^(٢) ، إلا أن يكون ممن لم يعرف الأضلّ فهو مخطئٌ غيرُ كافر .

وذهب عبّيد الله ^(٣) بن الحسن العنبري إلى تصويب أقوال المجتهدين في أصول الدين فيما كان عُرْضةً للتأويل ، وفارق في ذلك فِرَقَ الأمة ؛ إذ أجمعوا سِوَاهُ على أن الحقَّ في أصول الدين في واحدٍ ^(٤) ، والمخطئ في آثمٍ عاصٍ فاسقٍ ^(٥) . وإِنما الخلاف في تكفيره ^(٦) .

(١) وبني عليه تأويله . كثر ؛ لأنه قال ما قاله عن علم به .
(٢) فاسق : غير طائع لله ؛ لارتكابه كبيرة باعتقاد ما ليس بحق .
قال الخفاجي : وهذا كله من كلام المعتزلة ودسائسهم مما يؤهم ظاهره الخير ، وهو شر محض .

(٣) عبّيد الله هذا فقيه بصرى ، تولى قضاء البصرة بمد سوار بن عبد الله ، وكان عالماً ثقة ، روى عنه غير واحد ، وأخرج له مسلم ، توفي سنة ثمان وستين ومائة .
قال الخفاجي : وكان يرى جواز التقليد في العقائد والمقاييس ، وخالف في ذلك العلماء .
(٤) في واحد لا يقبل التعدد لبراهينه القطعية ؛ فليس كالفروع التي هي محل الاجتهاد .
(٥) لمدوله عن الحق برأيه .

(٦) باجتهاده المخطئ فيما ليس محل الاجتهاد ؛ وإنما محله الفروع العملية ؛ فهو مثاب في اجتهاده ، سواء قلنا : للصيب واحد أم لا على ما اشتهر في الأصول . أما في أصول الدين فالصيب واحد قطعاً ، فلا وجه للاجتهاد فيها ، وإن بذل وسعه وجهه .

وذهب الجاحظ والعنبري إلى جواز الاجتهاد فيها ، وأنه إذا أخطأ لا يآثم ؛ لكنه مقيد بالإسلام على الصحيح . قالوا : لأن قصدهم تعظيم الله وتنزيهه ؛ ولذا لم يبحث الصحابة عن الألفاظ الموهمة للتشبيه .

قال الخفاجي : وهو كله واه غير سديد .

وقد حكى القاضي أبو بكر الباقلاني مثل قول عبيد الله عن داود الأصبهاني^(١)؛
قال : وحكى قومٌ عنهما^(٢) أنهما قالا ذلك في كلِّ من علم الله سبحانه من حاله
استفراغ الوُسع^(٣) في طلب الحقِّ من أهل ملَّتينا أو من غيرهم .
وقال نحو هذا القول الجاحظ^(٤)، وُثمامة^(٥)، في أن كثيرا من العامة والنساء
والبُهله^(٦) ومقلدة النصارى واليهود^(٧) وغيرهم لا حجةَ لله عليهم ؛ إذ لم تكن
لهم طبائعٌ يمكنُ معها الاستدلال^(٨) .

(١) هو داود بن علي بن خاف ، أبو سليمان الأصبهاني البندادي وطنا ، صاحب مذهب
الظاهرية . توفي سنة سبعين ومائتين ، وكان إماما جليلا زاهدا ورعا ، قلده الشافعي رضي الله
عنه أولا ، ثم صار صاحب مذهب مستقل . ومن أجل أتباعه ابن حزم .

(٢) عنها : عن داود ، والضبري .

(٣) استفراغ الوُسع ؛ أي بذل قدر جهده وطاقته .

(٤) هو عمرو بن بجر ، أبو عثمان السكافي الليثي البصري ، العالم المعروف . وهو معتزلي ،
صاحب مذهب في أصول الدين . وقد توفي سنة خمس وخمسين ومائتين .

(٥) هو ثمامة بن أشرس بن معن الخيبري ، من كبار المعتزلة ، ورءوس الضلالة ، كما قال
الذهبي (لليزان : ١ - ٣٧٢) .

(٦) البُهله : جمع أبه ؛ والمراد به من قل فهمه ، وغلب عليه الغفلة وقلة العلم .

قال الخفاجي : وما في الحديث من أن أكثر أهل الجنة البُهله فالمراد بهم من غلب عليه سلامة
الصدر وحسن الظن بالناس ، فأغفلوا أمر دنياهم وأقبلوا على آخرتهم .

(٧) ومقلدة النصارى واليهود : الذين كفروا تقليدا من غير معرفة دليل وحجة .

(٨) الاستدلال ؛ أي إقامة دليل وحجة توصلهم لمطلوبهم ؛ فإذا هم مذورون ولا حجة

لله عليهم يماقهم بها .

قال الخفاجي : وهو قول باطل ؛ لأنهم مكلفون عقلا ، لاسيما من نشأ بدار الإسلام . وعلى
كل حال فهم متمكنون من النظر ومعرفة الأدلة والتفكير في خلق السموات والأرض ؛ وقد قرع
أسماعهم ماتواتر من إرسال الله رسله ، وما ظهر من المعجزات الباهرة الظاهرة ظهور الشمس
لمن له عينان ؛ فأى عذر لهم تدحض به حجة الله عليهم ؟

وقد نما الغزاليُّ قريبا من هذا المنحى في كتاب التفرقة ^(١) .
 وقائلُ هذا كله كافرٌ بالإجماع على كُفرٍ من لم يكفر أحدًا من النصارى
 واليهودِ وكلِّ من فارقَ دينَ المسلمين ، أو وقف ^(٢) في تكفيرهم ، أو شكَّ .
 قال القاضي أبو بكر ^(٣) : لأنَّ التوقيفَ والإجماعَ ^(٤) على كُفرهم ؛ فمن
 وقف في ذلك فقد كذبَ النصَّ ، والتوقيفَ ، أو شكَّ فيه . والتكذيبُ أو الشكُّ
 فيه لا يقعُ إلا من كافرٍ ^(٥) .

فصل

في بيان ما هو من المقالات كفر ، وما يتوقف أو يختلف فيه ،

وما ليس بكفر

اعلم أن تحقيق هذا الفصل وكشف اللبس ^(٦) فيه مَوْرِدُهُ الشَّرْعُ ^(٧) ، ولا
 مجالَ للعقل فيه ^(٨) ؛ والفصلُ البينُ في ^(٩) هذا أن كلَّ مقالةٍ صرَّحتْ بنفيِّ

(١) هو أبو حامد محمد بن عبد بن أحمد النزالي صاحب المؤلفات الجليلة . توفي سنة خمس
 وخمسة . وكتاب التفرقة كتاب له في الأصول .
 وفي نسيم الرياض : قال ابن حجر : وما نسبته للمصنف للنزالي صرح النزالي في كتابه
 الاقتصاد بما يرد .

وارجع إلى نسيم الرياض (٤ - ٥٣١) ، ففيه آراء هامة هنا - إن أردت .

(٢) وقف في تكفيرهم : أحجم عنه وتركه نقياً أو إثباتاً .

(٣) هو الباقلائي .

(٤) لأن التوقيف في كفرهم مع أن الإجماع منمقد على كفرهم لا يصح .

(٥) قال الحماجي : وفي عبارته ركاكة وإغلاق يندفع بالتأمل .

(٦) كشف اللبس ؛ أى إزالة ما يلبس على سامعه .

(٧) الشرع : ما شرعه الله تعالى لعباده وبينه من الاعتقاد والعمل .

(٨) أى لا بد من تقيمه من الشارع .

(٩) الفصل البين : الفاصل للميزلة عن غيره الظاهر الذى لا إشكال فيه ولا مجال لردّه .

الربوبية أو الوحدانية أو عبادة أحد غير الله ، أو مع الله - فهو كُفْرٌ ، كقالة
 الدهرية^(١) ، وسائر فرق أصحاب الاثني عشر من الديانانية^(٢) أو المانوية^(٣) وأشباههم
 من الصائين^(٤) والنصارى والمجوس^(٥) [٢٧١] ، والذين أشركوا بعبادة الأوثان^(٦)
 أو الملائكة ، أو الشياطين ، أو الشمس ، أو النجوم أو النار^(٧) أو أحد غير الله من
 مُشْرِكِي العرب ، وأهل الهند والصين والسودان وغيرهم ممن لا يرجع إلى كتاب .
 وكذلك القرامطة^(٨) وأصحاب الحلول والتناسخ^(٩) من الباطنية والطيارية^(١٠)

-
- (١) الدهرية : طائفة من الملحدين ينسبون الأمور للدهر .
 (٢) أصحاب الاثني عشر ؛ أى القائلين بالهين اثني عشر . والديانانية نسبة إلى رجل من المجوس
 نسب له هذا المذهب . وقد ضبطت الدال في ب بفتح وكسرة .
 (٣) المانوية : أصحاب ماني الذي ظهر في زمن شابور بن أردشير بمد عيسى عليه السلام .
 وفي ا : والمانية .
 (٤) الصابئ : من خرج من دين إلى آخر ، ثم خص بطائفة عبدوا الملائكة أو عبدوا
 الكواكب ، وهو المراد هنا .
 (٥) المجوس : عبدة النار ، أو القائلون بالنور والظلمة .
 (٦) الأوثان : جمع وثن ، وهو الصنم وحجارة تعبد . وقيل هناك فرق بين الوثن
 والصنم ؛ فالوثن ماله جثة من جنس الأرض ، أو من خشب ، أو من حجارة بصورة الآدمي ،
 بخلاف الوثن . ومنهم من لم يفرق بينهما .
 (٧) عبدها قوم من المجوس .
 (٨) القرامطة : هم الإسماعيلية المبتنون لإمامة إسماعيل بن جعفر الصادق ، ورأسهم حمدان
 ابن قرمط من قرية من قرى واسط ؛ وكان ظهوره في سنة سبعين ومائتين بقرية من سواد الكوفة .
 (٩) أصحاب الحلول : من النصارى والباطنية وبعض جهة للمتصوفة ، يقولون : الله حل في
 بعض الأجسام ، وهو أمر لا يعقل .
 وأصحاب التناسخ : هم القائلون بأن الأرواح إذا فارقت الأبدان تحل في غيرها .
 (١٠) والباطنية : قوم من الملاحدة ذهبوا إلى أن القرآن له ظاهر وباطن ، وهو المراد
 منه ، وأن للشريعة مقاصد غير ما فهمه الناس .

من الرافضة والجناحية والبيانية والفرابية^(١) .

وكذلك من اعترفَ بالإلهية الله ووجدانيته ، ولكنه اعتقد أنه غير حَيٍّ أو غير قديم ، وأنه مُحَدَّثٌ أو مصوَّر^(٢) ، أو ادَّعى له وُلْدًا أو صاحبة^(٣) أو والدًا^(٤) ، أو أنه متوالِدٌ مِنْ شَيْءٍ ، أو كَأَنَّ عَنْهُ^(٥) ، أو أَنَّ مَعَهُ فِي الْأَزَلِّ^(٦) شيئًا قديمًا غَيْرَهُ ؛ أو أَنَّ تَمَّ صَانِعًا لِلْعَالَمِ سِوَاهُ ، أو مُدَبِّرًا غَيْرَهُ ؛ فذلك كله كُفْرٌ بِإِجْمَاعِ الْمُسْلِمِينَ ؛ كقول الإلهيين من الفلاسفة والمنجمين والطبائمين^(٧) . وكذلك من ادَّعى مجالسةَ اللَّهِ ، والعروجَ إليه ، ومكالمته ، أو حُلُولَهُ فِي أَحَدِ الْأَشْخَاصِ ؛ كقول بَعْضِ الْمُتَصَوِّفَةِ وَالْبَاطِنِيَّةِ ، وَالنَّصَارَى ، وَالْقَرَامِطَةِ .

وكذلك نَقَطَحُ عَلَى كُفْرٍ مَنْ قَالَ بِقِدَمِ الْعَالَمِ ، أو بَقَائِهِ ، أو شَكَّ فِي ذَلِكَ^(٨) عَلَى مَذْهَبِ بَعْضِ الْفَلَسَفَةِ وَالذَّهْرِيَّةِ^(٩) ، أو قَالَ بِتَنَاسُخِ الْأَزْوَاجِ وَانْتِقَالِهَا أَبَدًا

== وَالطَّيَارَةُ : قوم من الغلاة نسبوا لعبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر الطيار ذي الجناحين . لقب بذلك لأنه لما أخذ الراية بمؤتة قطعت يدها واستشهد ؛ فلما بلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن الله أبدله بها جناحين يطير بها في الجنة .

(١) البيانية : نسبة لبيان بن سمان الهنسي ، يقولون : روح الله حلت في علي كرم الله وجهه ثم في ابنه محمد ابن الحنفية ، ثم في ابنه هاشم ، ثم في بيان .

والنرابية : قوم يقولون : إن جبريل عليه السلام نزل بالرسالة من عند الله لعلی ، فأعطاها لمحمد غلطا منه لأنه يشبهه ، كما يشبه التراب التراب . (٢) مصور : جسم ذو صورة .

(٣) صاحبة : زوجة . (٤) قال الحفاجي : هذا لم يقله بشر .

(٥) قال الحفاجي : هذه المقالة لا يعرف لها قائل . (٦) الأزل : القدم ، وأنه لم يزل .

(٧) للنجمون : الباحثون عن النجوم وأحكامها القائلون بأنها مؤثرة في السكون .

والطبائميون : القائلون بأن الطبيعة هي للؤثرة في الإيجاد والتدبير .

(٨) في ذلك البقاء والقدم .

(٩) الدهرية : الذين أسندوا الحوادث كلها لدهر ، وقالوا : ما يهلكنا إلا الدهر ؛

وهم كفرة لإنكارهم الحشر والنشر والآخرة .

الآبادِ في الأشخاصِ ، وتمذيبها أو تنعيمها فيها بِحَسَبِ زكائها^(١) وخُيْبَتِهَا . وكذلك من اعترف بالإلهية والوحدانية ، ولكنه جَعَدَ النبوة من أصلها عموماً ، أو نبوة نبيِّنا صَلَّى اللهُ عليه وسلم خصوصاً ، أو أحدٍ من الأنبياء الذين نصَّ اللهُ عليهم بعد علمه بذلك؛ فهو كافر بلا رَيْبٍ ؛ كالبراهمة^(٢) ، ومُعْظَمِ اليهودِ والأرُوسِيَّةِ^(٣) من النصراني ، والغُرَابِيَّةِ من الروافضِ الزاعمين أن علياً كان المبعوثَ إليه جبريلُ ، وكالمِطَّلَةِ^(٤) والقرامطةِ والإسماعيليةِ والعَنْبَرِيَّةِ^(٥) من الرافضة ، وإن كان بعضُ هؤلاء قد أشركوا في كُفْرٍ آخَرَ مع مَنْ قبلهم .

وكذلك مَنْ دَانَ بِالوَحْدَانِيَّةِ وَصِحَّةِ النبوَّةِ ، وَنُبُوَّةِ نبيِّنا صَلَّى اللهُ عليه وسلم ، ولكن جَوَزَ على الأنبياء الكذِبَ فيما أتوا به ، ادَّعى في ذلك المصلحةَ بَزْعِمِهِ أو لم يَدَّعها فهو كافرٌ بإجماع ؛ كالمفلسين ، وبعض الباطنية ، والروافضِ ، وغَلَاةِ الْمُتَصَوِّفَةِ ، وأصحاب الإباحة^(٦) ؛ فَإِنَّ هؤلاء زَعَمُوا أَنَّ ظواهرَ^(٧) الشَّرِيعِ ، وَأَكْثَرَ ما جَاءت به الرُّسُلُ من الأخبارِ عما كان ويكون مِنْ أُمُورِ الآخِرَةِ

(١) زكائها : طيبها وطهارتها . وفي ١ : تنعيمها .

(٢) البراهمة : قوم من الكفرة ذهبوا إلى إبطال وجود النبوات عقلاً لعدم عقلهم ؛ قالوا : لأن ما يجي به النبي إما أن يقبله العقل أو لا ؛ والأول النقل يدل عليه ، فما الحاجة لغيره ؛ والثاني مردود باطل ، وهو المدعى .

والبراهمة نسبة إلى رجل يقال له برهام ، وهو مؤسس فسادهم ومذهبهم .

(٣) الأرُوسِيَّةِ : قيل إنهم منسوبون لرجل اسمه أريس أو أروس ، ومعناه ملك أو عشار أو صاحب الزراعة . وهو صاحب مذهب في النصرانية . وقال القاري (٢ - ٥١٥) : والأرُوسِيَّةِ بضمين ، أو بفتح أوله . وفي آخره ياء النسبة .

(٤) المِطَّلَةُ : الذين جحدوا الألوهية والرسالة والأحكام .

(٥) العَنْبَرِيَّةِ : هم أتباع عبد الله بن الحسن العنبري .

(٦) أصحاب الإباحة : الذين ذهبوا للإباحة المحرمات ، وأن من كمل نفسه وصل لمرتبة

لا تضره المعاصي . (٧) ظواهر الشريعة : المراد ما يدل عليه نصوصه فيما يتعلق بالمعاد وغيره .

والحشر والقيامة، والجنّة والنار، ليس منها شيء على مقتضى لفظها^(١) ومفهوم خطابها^(٢)؛ وإنما خاطبوا بها الخلق على جهة المصلحة لهم^(٣)؛ إذ لم يمكنهم التصريح لقصور أفهامهم^(٤)؛ فمضمّن مقالاتهم إبطال الشرائع^(٥)، وتعطيل الأوامر والنواهي، وتكذيب الرُّسُل، والارتياب فيما أتوا به .

وكذلك من أضاف^(٦) إلى نبيّنا صلى الله عليه وسلم تَمَعُدَ الكَذِبِ فيما بلغه وأخبر به، أو شكّ في صدّقه، أو سبه، أو قال: إنه لم يبلغ؛ أو استخفّ^(٧) به، أو بأحد من الأنبياء، أو أزرى عليهم^(٨)، أو آذاهم، أو قتل نبيّاً، أو حاربه، فهو كافِرٌ بإجماع .

وكذلك نكفر من ذهب مذهب بعض القدماء في أنّ في كلّ جنس من الحيوان نذيراً^(٩) أو نبيّاً من القردة والخنازير والدواب والدود. ويحتج بقوله تعالى^(١٠): ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ . إذ ذلك بوَدَى إلى أنّ يوصف أنبياء هذه

(١) على مقتضى لفظها : على ظاهر لفظها الذى بلغه الرسل عليهم السلام لأنهم .

(٢) مفهوم خطابها : ما يدل عليه معناها المتبادر منها .

(٣) على جهة المصلحة لهم ؛ أى ليتبعوهم ويكفوا عما لا يليق بهم بما يكمل أنفسهم البشرية .

(٤) كقصور أفهامهم ؛ أى لم يستطع هؤلاء الرسل التصريح بكشف حقيقة الحال لهم لقصور

أفهام الخلق عن إدراك حقيقة ما يريدونه .

قال في نسيم الرياض (٤ - ٥٣٩) : وهذا الذى ادعاه هؤلاء الفلاسفة باطل .

(٥) مضمّن مقالاتهم ؛ أى التى زعموا أنهم لم يريدوا بها ظاهره الدال عليه صراحة .

إبطال الشرائع ؛ لأن ظاهرها غير مراد لهم .

(٦) أضاف : نسب .

(٧) استخفّ به : استهزأ .

(٨) الإزرأ : الاحتقار ؛ أى ذكر ما فيه تحقير وإهانة لهم .

(٩) نذيراً : رسلاً أرسلت إليهم من نوعهم لإبذارهم . (١٠) سورة فاطر ، آية ٢٤

خلا : مضى . نذير : رسول . والأمة : الجماعة . فحملها على العموم لسائر الحيوانات .

الأجناس بصفاتهم المذمومة . وفيه من الإزراء على هذا المنصب [٢٧٢] المنيف ما فيه ^(١) ، مع إجماع المسلمين على خلافه ، وتكذيب ^(٢) قائله .
وكذلك نُكفِّرُ من اعترف من الأصول الصحيحة بما تقدم ^(٣) ، ونبوة نبينا صلى الله عليه وسلم ؛ ولكن قال : كان أسوداً ، أو مات قبل أن يلتجى ^(٤) ، وليس الذي كان بمكة والحجاز ، أو ليس بهرشي ؛ لأنَّ وصفه بغير صفاته الملوحة نفي له وتكذيب به .

وكذلك مَنْ ادَّعى نبوة أحدٍ مع نبينا صلى الله عليه وسلم أو بعده ، كالعيسوية من اليهود ^(٥) القائلين بتخصيص رسالته إلى العرب ^(٦) ، وكأخر مية ^(٧) القائلين بتواتر الرُّسل ، وكأكثر الرافضة القائلين بمشاركة عليٍّ في الرسالة للنبي صلى الله عليه وسلم وبعده ؛ وكذلك كلُّ إمام ^(٨) عند هؤلاء يقوم مقامه في النبوة والحجة ؛ وكالبريمية والبيانية منهم القائلين بنبوة بزيع وبيانٍ وأشباه هؤلاء . أو من ^(٩)

(١) والنصب : المقام . المنيف : العالى الشريف ، وهو مقام النبوة .

(٢) فإن كل أحد يعلم أنه لا فائدة في تكليف غير العقلاء .

(٣) الأصول الصحيحة : الألوهية والوحدانية .

(٤) قبل أن يلتجى : قبل أن تنبت لحيته .

(٥) العيسوية : طائفة من اليهود نسبوا لعيسى بن إسحاق بن يعقوب الأصبهاني اليهودي ، وكان في زمن بنى مروان ، وادعى النبوة في مروان الحمار ، وتبعه كثير من اليهود ، وكان من مذهبه تجويز حدوث النبوة بعد نبينا صلى الله عليه وسلم .

(٦) فهو مع تجويز نبوة نبي بعده منكر لمعوم رسالته .

(٧) هذا في ١ . وفي ب : الحرمية - بكسر الحاء المهملة ، وسكون الراء . وفي شرح القارى

(٢ - ٥١٩) : الحرمية بضم الحاء المعجمة وتشديد الراء للمفتوحة لأنهم تبعوا بابك الخرمي

فنسبوا إليه . وفي نسخة : بجم مفتوحة فراء ساكنة . قال التلمساني : ويجوز كسر الحاء

المهملة وسكون الراء ، لقولهم : ما حرم حلال ؛ لأنهم أباحوا المحرمات .

(٨) كل إمام : كل خليفة . (٩) في ١ : ومن .

ادّعى النبوة لنفسه ، أو جوزَ اكتسابها والبلوغَ بصفاء القلب إلى مرتبتها ؛
كالفلاسفة وعلّة المتصوفة .

وكذلك من ادّعى منهم أنه يُوحى إليه وإن لم يدعِ النبوة ، أو أنه يصعدُ
إلى السماء ويدخل إلى الجنة ، ويأكلُ من ثمارها ، ويعانقُ الحورَ العين ؛ فهؤلاء
كلّهم كفّارٌ مكذّبون للنبي صلى الله عليه وسلم ؛ لأنه أخبر النبي صلى الله عليه وسلم
أنه خاتمُ النبيين ، لا نبيَّ بعده . وأخبر^(١) عن الله تعالى أنه خاتمُ النبيين^(٢) ، وأنه
أرسل كافةً للناس^(٣) .

وأجمت الأمة على حمل هذا الكلام على ظاهره^(٤) ، وأن مفهومه المراد منه
دون تأويل ولا تخصيص ؛ فلا شك في كفر هؤلاء الطوائف كلّها قطعاً
إجماعاً وسمماً .

وكذلك وقع الإجماعُ على تكفير كلِّ من دافع نصَّ الكتاب^(٥) ، أو خصَّ
حديثاً مجمّماً على نقله مقطوعاً به ، مجمّماً على حمله على ظاهره ؛ كتكفير الخوارج
بإبطال الرّجم^(٦) ؛ ولهذا نكفّر من دانَ بغيرِ مِلَّةِ المسلمين من الملل ، أو وقف^(٧)
فيهم ، أو شكَّ ، أو صحّح مذهبهم ، وإن أظهرَ مع ذلك الإسلام ، واعتقده ،
واعتقد إبطال كلِّ مذهبٍ سواه ؛ فهو كافرٌ بإظهاره ما أظهر من خلاف^(٨) ذلك .

(١) وأخبر ؛ أى النبي صلى الله عليه وسلم .

(٢) في قوله تعالى : ولكن رسول الله وخاتم النبيين .

(٣) في قوله تعالى : وما أرسلناك إلا كافة للناس ؛ أى رسالة عامة محيطّة بهم تكف عن أن

يخرج منها أحد . (٤) على ظاهره ، من نفي النبوة بعده وعموم الرسالة .

(٥) دافع نص الكتاب ، أى منع ونازع فيما جاء صريحاً في القرآن .

(٦) بإبطال الرّجم للزاني والزانية المحسنين ، فإنه يجمع عليه ، وصار معلوماً من الدين

بالضرورة . (٧) وقف فيهم : توقف وتردد .

(٨) من خلاف ذلك ، أى ما يخالف الإسلام ، لأنه طعن في الدين وتكذيب .

وكذلك تَقَطَّعُ بتكفير كلِّ قائلٍ قال قولاً يُتَوَصَّلُ به إلى تَضْلِيلِ الأُمَّةِ وتكفير جميع الصحابةِ ؛ كقول الكُمَيْلِيَّةِ من الرافضة بتكفير جميع الأُمَّةِ بِمَدِّ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ إِذْ لَمْ تُقَدِّمُ عَلِيًّا^(١) . وكفرت عليًّا ، إِذْ لَمْ يُتَقَدَّمْ وَيَطْلُبْ حَقَّهُ فِي التَّقْدِيمِ ؛ فَهَؤُلَاءِ قَدْ كَفَرُوا مِنْ وَجْهِ ؛ لِأَنَّهُمْ أَبْطَلُوا الشَّرِيعَةَ بِأَسْرَافِهَا ؛ إِذْ قَدْ انْقَطَعَ نَقْلُهَا وَنَقْلُ الْقُرْآنِ ؛ إِذْ نَاقِلُوهُ كَفَرُوا عَلَى زَعْمِهِمْ ؛ وَإِلَى هَذَا - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - أَشَارَ مَالِكٌ فِي أَحَدِ قَوْلَيْهِ بِقَتْلِ مَنْ كَفَرَ الصَّحَابَةَ .

ثم كَفَرُوا مِنْ وَجْهِ آخَرَ بِسَبِّهِمُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى مُقْتَضَى قَوْلِهِمْ وَزَعْمِهِمْ أَنَّهُ عَهْدٌ إِلَى عَلِيٍّ عَلَى رِضَى اللهِ عَنْهُ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ يَكْفُرُ بِمَدِّهِ^(٢) عَلَى قَوْلِهِمْ ، لَعْنَةُ اللهِ عَلَيْهِمْ ، وَصَلَّى اللهُ عَلَى رَسُولِهِ وَآلِهِ .

وكذلك نُكْفِرُ بِكُلِّ فِعْلٍ أُنْجِعَ الْمُسْلِمُونَ أَنَّهُ لَا يَصْدُرُ مِنْ كَافِرٍ وَإِنْ كَانَ صَاحِبُهُ مُصَرِّحًا بِالْإِسْلَامِ مَعَ فِعْلِهِ ذَلِكَ الْفِعْلُ ؛ كَالسُّجُودِ لِلصَّنَمِ ، وَاللَّشْتَنِسِ وَالْقَمَرِ ، وَالصَّلِيبِ وَالنَّارِ ، وَالسَّعْيِ إِلَى الْكِنَائِسِ وَالْبَيْعِ^(٣) مَعَ أَهْلِهَا بِزِيَّتِهِمْ^(٤) :

(١) إِذْ لَمْ تُقَدِّمِ ، أَيِ الأُمَّةِ .

(٢) يَكْفُرُ بِمَدِّهِ - فِي زَعْمِهِمْ ؛ لِتَرْكِ حَقِّهِ .

(٣) الْبَيْعُ : جَمْعُ بَيْعَةٍ ؛ قَالَ الْخَفَاجِيُّ : وَالْكَنِيسَةُ وَالْبَيْعَةُ يَقَالَانِ لِمَعْبَدِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارِيِّ . وَقِيلَ الْأَوَّلُ لِلْيَهُودِ وَالثَّانِي لِلنَّصَارِيِّ . وَقِيلَ الْأَوَّلُ عَامًّا وَالثَّانِي مَخْصُوصًا بِالنَّصَارِيِّ ، وَهُوَ الشُّهُورُ .

(٤) قَالَ فِي نَسَبِ الرِّيَاضِ (٤ - ٥٤٨) :

المراد أَنَّهُ يَذْهَبُ مَعَهُمْ فِي وَقْتِ ذَهَابِهِمْ لِلْعِبَادَةِ فِيهَا كَمَا يَسْمَى الْمُسْلِمُونَ لِلصَّلَاةِ فِي الْمَسَاجِدِ إِذَا نَوَدَى لِلصَّلَاةِ عَلَى هَيْئَةٍ تَدُلُّ عَلَى مَوَافَقَتِهِ لَهُمْ . وَإِلَّا فَمَجْرَدُ الذَّهَابِ لِلْكَنِيسَةِ وَالِدُخُولِ فِيهَا لَيْسَ بِكُفْرٍ ، وَإِنَّمَا هُوَ مَكْرُوهٌ إِنْ كَانَ لِمَرْضَى صَحِيحٍ . وَقِيلَ : لَا يَجُوزُ إِذَا كَانَ ثَمَّةَ صُورٍ وَنَحْوِهَا مِمَّا لَا يَقْرُونَ عَلَى إِظْهَارِهِ .

من شدَّ الزناهير^(١)، وفحص^(٢) الروس؛ فقد أجمع المسلمون أن هذا [الفاعل]^(٣) لا يوجد [٢٧٣] إلا من كافر، وأن هذه الأفعال علامة على الكفر وإن صرح فاعلها بالإسلام.

وكذلك أجمع المسلمون على تكفير كل من استحلَّ القتل أو شرب الخمر أو الزنا مما حرّم الله بعد علمه بتحريمه؛ كأصحاب الإباحة من القرامطة وبعض غلاة المتصوفة.

وكذلك نقطع بتكفير كل من كذب وأنكر قاعدة من قواعد^(٤) الشرع، وما عرف يقينا بالنقل المتواتر^(٥) من فعل الرسول، ووقع الإجماع للتصلي عليه؛ كمن أنكر وجوب الخمس الصلوات أو عدد ركعاتها وسجدها؛ ويقول: إنما أوجب الله علينا في كتابه الصلاة على الجملة^(٦)؛ وكونها خمسا، وعلى

(١) الزناهير: جمع زنار، أو زنارة، وهو حزام للنصارى يشدونّه في أوساطهم.
قال في نسيم الرياض (٤ - ٥٤٨): حيث لبس زى الكفار سواء داخل دار الحرب أولا بنية الرضا بدينهم أو الليل إليه، أو تهاونا بالإسلام كفر، وإلا فلا.
قال الخفاجي:

واعترض على ما ذكر في مسألة زى الكفار بما نقل عن الشافعي رضى الله عنه: إنه لو سجد لصنم في دار الحرب لم يحكم برده، وإن لبس زى الكفار في دار الإسلام حكم برده.

وأجيب بحمل هذا الإطلاق على التفصيل المذكور.

(٢) فحص روسهم: حلق أوساطها، وهو من شعائرهم المعروفة.

(٣) ليس في أ.

(٤) المراد بالتواعد ما بنى عليه الإسلام؛ كإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان،

والحج.

(٥) النقل المتواتر: الذى يمتنع كذب قائله.

(٦) على الجملة؛ أى إجمالا، من غير بيان عدد.

هذه الصفات والشروط لا أعلمه ؛ إذ لم يرد فيه في القرآن نصٌ جليٌّ ، والخبرُ به عن الرسولِ صلى الله عليه وسلم خبرٌ واحدٌ ^(١) .

وكذلك أجمع المسلمون على تكفير مَنْ قال من الخوارج : إن الصلاة طرَفِي النهار ^(٢) ؛ وعلى تكفير الباطنية في قولهم : إن الفرائض أسماء رجالٍ أمرُوا بولايتهم ^(٣) ، والخبائث والمحارِم أسماء رجالٍ أمرُوا بالبراءة منهم ^(٤) .

وقولُ بعض المتصوفة : إن العبادة وطولُ المُجاهدة ^(٥) إذا صفتُ نفوسهم أفضتُ بهم إلى إسقاطها ^(٦) وإباحة كل شيء لهم ، ورفع عهدِ الشرائع عنهم ^(٧) . وكذلك إن أنكر مُنكرُ مكة ، أو البيت ، أو المسجد الحرام ، أو صفة الحج ، أو قال : الحج واجبٌ ^(٨) في القرآن ، واستقبالُ القبلة كذلك ؛ وليكن كونه على هذه الهيئة المتعارفة ، وأن تلك البُقعة هي مكة والبيتُ والمسجدُ الحرام ، لا أدري هي تلك أو غيرها ؛ ولعل الناقلين أن النبي صلى الله عليه وسلم فسرها بهذه التفاسير غلطوا ووهوا ،

- (١) هو متواتر معنى ؛ وقد وجب علينا العمل به إجماعاً؛ لقوله تعالى : «وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا» ؛ وقوله تعالى : « فليحذر الذين يخالفون عن أمره » .
- (٢) المراد بطرفي النهار أوله وآخره .
- (٢) بولايتهم : بنصرهم واتباعهم .
- (٤) بالبراءة منهم : بالتبري منهم والبعد بمداوتهم ومخالفتهم .
- (٥) المُجاهدة : مخالفة النفس وملازمة الطاعة .
- (٦) إسقاطها : إسقاط الفرائض .
- (٧) عهد الشرائع عنهم : ماعهده الله من التكاليف .
- (٨) الحج واجب في القرآن بقوله تعالى : « والله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً » . واستقبال القبلة جاء في القرآن في قوله تعالى : « فول وجهك شطر المسجد الحرام » .

فهذا ومثله لا مَرِيَّةَ في تكفيره^(١) إِنْ كَانَ مَمَّنْ يُظَنُّ بِهِ عِلْمٌ ذَلِكَ ؛ وَمِمَّنْ يَخَالِطُ الْمُسْلِمِينَ^(٢) ، [وامتدت صحبته لهم ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ حَدِيثَ عَهْدٍ بِإِسْلَامِهِ^(٣) ؛ فَيُقَالُ لَهُ : سَبِيلُكَ^(٤) أَنْ تَسْأَلَ عَنْ هَذَا الَّذِي لَمْ تَعْلَمْهُ بَعْدُ كَافَّةً الْمُسْلِمِينَ]^(٥) ، فَلَا تَجِدُ بَيْنَهُمْ خِلَافًا ، كَافَّةً عَنِ كَافَّةٍ ، إِلَى مَعَاصِرِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَنْ هَذِهِ الْأُمُورَ كَمَا قِيلَ لَكَ ، وَأَنَّ تِلْكَ الْبَقْعَةَ هِيَ مَكَّةُ وَالْبَيْتُ الَّذِي فِيهَا هُوَ الْكَعْبَةُ ، وَالْقِبْلَةُ الَّتِي صَلَّى لَهَا الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْمُسْلِمُونَ ، وَحَجَّجُوا إِلَيْهَا ، وَطَافُوا بِهَا ؛ وَأَنَّ تِلْكَ الْأَفْعَالَ هِيَ صِفَةُ عِبَادَةِ الْحَجِّ ، وَالْمُرَادُ بِهِ ، وَهِيَ الَّتِي فَعَلَهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْمُسْلِمُونَ ، وَأَنَّ صِفَاتِ الصَّلَاةِ الْمَذْكُورَةَ هِيَ الَّتِي فَعَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَشَرَحَ مُرَادَ اللَّهِ بِذَلِكَ ، وَأَبَانَ حُدُودَهَا ؛ فَيَقَعُ^(٦) لَكَ الْعِلْمُ كَمَا وَقَعَ لَهُمْ ، وَلَا تَرْتَابُ بِذَلِكَ^(٧) بَعْدُ ، وَالْمُرْتَابُ فِي ذَلِكَ ، أَوِ الْمُنْكَرُ بَعْدَ الْبَحْثِ وَصُحْبَةِ الْمُسْلِمِينَ كَافِرًا بِاتِّفَاقٍ ، لَا يُعْذَرُ بِقَوْلِهِ : لَا أَدْرِي ، وَلَا يُصَدَّقُ^(٨) فِيهِ ، بَلْ ظَاهِرُهُ التَّسْتُرُ عَنِ التَّكْذِيبِ ، إِذْ لَا يُمْكِنُ أَنْ لَا يَدْرِي^(٩) .

(١) لا مَرِيَّةَ : لاشك في تكفيره ؛ لِإِنْكَارِهِ مَا عَلِمَ مِنَ الدِّينِ بِالضَّرُورَةِ ، وَتَكْذِيبِهِ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ .

(٢) يَخَالِطُ الْمُسْلِمِينَ فِي دَارِ الْإِسْلَامِ .

(٣) حَدِيثَ عَهْدٍ بِإِسْلَامِهِ : أَي قَرِيبَ عَهْدٍ بِأَنْ أُسْلِمَ بَعْدَ كُفْرِهِ فِي غَيْرِ دَارِ الْإِسْلَامِ ، فَهُوَ مَعْذُورٌ لِحَبْلِهِ بِمَا ذَكَرَ .

(٤) سَبِيلُكَ : طَرِيقُكَ الَّذِي يَجِبُ عَلَيْكَ سُلُوكُهُ .

(٥) مَا بَيْنَ الْقَوْسَيْنِ فِي ب وَحَدَّهَا .

(٦) فَيَقَعُ لَكَ بِسُؤَالِكَ عَمَّا لَمْ تَعْلَمْهُ الْعِلْمَ بِمَا ذَكَرَ وَصِفَتَهُ .

(٧) فِي ب : وَلَا تَرْتَبُ فِي ذَلِكَ .

(٨) لَا يُصَدَّقُ فِيهِ ؛ أَي فِي قَوْلِهِ : لَا أَدْرِي .

(٩) أَنْ لَا يَدْرِي ذَلِكَ مَعَ تَوَاتُرِهِ وَثُبُوتِ صِفَاتِهِ .

وأيضاً فإنه إذا جَوَزَ على جميع الأمة الوهمَ والفلط فيما نقلوه من ذلك، وأنجموا أنه قولُ الرسولِ وفِعْلُهُ وَتَفْسِيرُ مُرَادِ اللَّهِ بِهِ—أدخل الاستِرابَةَ^(١) في جميع الشريعة؛ إذ هم الناقلون لها وللقُرْآنَ، وَانْحَلَّتْ عُرَا الدِينِ كَرَّةً^(٢)، وَمَنْ قَالَ هَذَا كَافِرٌ .

وكذلك مَنْ أَنْكَرَ الْقُرْآنَ، أَوْ حَرَّفَا مِنْهُ، أَوْ غَيَّرَ شَيْئًا مِنْهُ، أَوْ زَادَ فِيهِ، كَفِعْلِ الْبَاطِنِيَّةِ وَالْإِسْمَاعِيلِيَّةِ^(٣)، أَوْ زَعَمَ أَنَّهُ لَيْسَ بِحُجَّةٍ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [٢٧٤]، أَوْ لَيْسَ فِيهِ حُجَّةٌ وَلَا مُعْجِزَةٌ؛ كَقَوْلِ هِشَامِ الْفَوْطِيِّ، وَمَعْمَرِ الضَّمْرِيِّ^(٤) : إِنَّهُ لَا يَدُلُّ عَلَى اللَّهِ، وَلَا حُجَّةٌ فِيهِ لِرَسُولِهِ، وَلَا يَدُلُّ عَلَى ثَوَابٍ وَلَا عِقَابٍ، وَلَا حُكْمٍ؛ وَلَا مَحَالَّةً فِي كُفْرِهِمَا بِذَلِكَ الْقَوْلِ .

وكذلك تكفيرهما بإنكارهما أَنْ يَكُونَ فِي سَائِرِ مَعْجَزَاتِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حُجَّةٌ لَهُ، أَوْ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ دَلِيلٌ عَلَى اللَّهِ^(٥)، لِخَالَفَتَهُمُ الْإِجْمَاعَ وَالنَّقْلَ الْمُتَوَاتِرَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِاحْتِجَاجِهِ بِهَذَا كَلَّهُ وَتَصْرِيحَ الْقُرْآنِ^(٦) بِهِ .

(١) الاستِرابَةُ : الشك .

(٢) كَرَّةٌ : دفعة واحدة ، وجملة .

(٣) قال في نسيم الرياض : هم فرقة واحدة ، سموا تارة باطنية لزعمهم أن للنصوص ظاهراً هو تكليف ومشقة ، وباطناً بخلافه فهو رحمة .

وسموا إسماعيلية لانتسابهم لإسماعيل بن جعفر بن محمد الباقر ؛ وقالوا : هو الإمام المعصوم للنصوص على إمامته بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(٤) هو هشام بن عمرو الفوطي من القدرية . ومعمر الضمري - منسوب لضمرة : قبيلة .

وهذا في ١ ، ب . وفي شرح الخفاجي والقاري : الضمري ، منسوب إلى صيمر موضع أو بلدة ، وهو من المعتزلة . وقال الخفاجي (٤ - ٥٥٤) : وفي نسخة : الضمري .

(٥) دليل على الله ؛ لدلالة مصنوعاته - سبحانه وتعالى - عليه من غير شك .

(٦) وتصريح القرآن به ، كقوله تعالى : فأتوا بسورة مثله .

وكذلك مَنْ أنكر شيئاً مما نصَّ فيه القرآن - بعدِ عِلْمِهِ - أنه من القرآنِ الذى فى أيدي الناس ومصاحفِ المسلمين ، ولم يكن جاهلاً به ، ولا قريبَ عَندهِ بالإسلام ؛ واحتجَّ لإنكاره بما بأنه لم يصحَّ النقلُ عنده ، ولا بلغه العلمُ به ؛ أو لتجويزه الوهم على ناقله^(١) ؛ فنكفروه بالطريقين المتقدمين^(٢) ؛ لأنه مكذَّبٌ [للقرآن ، مُكذَّبٌ]^(٣) للنبيِّ صلى اللهُ عليه وسلم ؛ لكنه تَسَتَّرَ بدَعْوَاه .

وكذلك مَنْ أنكر الجنةَ أو النارَ ، أو البعثَ أو الحسابَ أو القيامةَ فهو كافرٌ بإجماعٍ للنصِّ عليه^(٤) ، وإجماعِ الأمة على صحَّةِ نقلِهِ مُتَوَاتِراً ؛ وكذلك من اعترف بذلك ، ولكنه قال : إن المرادَ بالجنةِ والنارِ ، والحشرِ والنَّشْرِ^(٥) ، والثوابِ والعقاب - معنى غيرَ ظاهرِهِ ، وإنها لذاتُ رُوحانيةٍ^(٦) ، ومَمَانٍ باطنيةٍ ؛ كقولِ النصارى والفلاسفةِ والباطنيةِ وبعضِ المتصوفةِ ، وزعمِهِم أن معنى القيامةِ الموتُ أو فناءَ محضٍ^(٧) ، وانتقاضُ هيئةِ الأفلاكِ ، وتحليلُ العالمِ^(٨) ؛ كقولِ بعضِ الفلاسفةِ .

(١) الوهم : الخطأ . وفى ا : أو لتجويزه الوهم عن ناقله .

(٢) بالطريقين المتقدمين ؛ أى مخالفة الإجماع والنقل الصحيح عنه صلى اللهُ عليه وسلم .

(٣) ما بين القوسين ساقط فى ا .

(٤) نص عليه فى قوله تعالى : ونفخ فى الصور فإذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون . وقوله

تعالى : يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا . ونسوق المجرمين إلى جهنم وردا . وقوله تعالى : ونضع الموازين القسط ليوم القيامة . وقوله تعالى : يوم يقوم الحساب .

(٥) والنشر ؛ أى خروجهم من القبور منتشرين .

(٦) روحانية : المراد أنها أمر يتعلق بالروح من اللذة والألم .

(٧) فناء محض : فناء وعدم خالص .

(٨) انتقاض : تفسير . تحليل العالم : إبادة بفضه من بعض .

وكذلك تقطعُ بتكفيرِ غلاةِ الرافضةِ في قولهم : إنَّ الأئمةَ أفضلُ من الأنبياءِ^(١) .
 فأما مَنْ أنكر ماعُرف بالتواتر من الأخبارِ والسِّيَرِ والبلادِ التي لا ترجعُ^(٢) ،
 إلى إبطالِ شريعةِ ، ولا تُنقضى^(٣) إلى إنكارِ قاعدةٍ من الدِّينِ ؛ كإنكارِ غزوةِ
 تبوكِ أو مؤتة^(٤) ، أو وجودِ أبي بكرٍ^(٥) وعُمَرَ ، أو قتلِ عثمانِ ؛ وخِلافَةِ عليٍّ ،
 بما عَلِمَ بالنقلِ ضررَةً ؛ وليس في إنكارِهِ جَعْدُ شريعةٍ ؛ فلا سبيلَ إلى تكذيبِهِ
 بِجَعْدِ ذلكِ ، وإنكارِهِ وقوعَ العلمِ له ؛ إذ ليس في ذلكِ أَكْثَرُ من المباحةِ^(٦) ؛
 كإنكارِ هشامِ^(٧) وعبادِ وقعة^(٨) الجملِ ، ومحاربةِ عليٍّ من^(٩) خالفه .
 فأما إن ضَعَّفَ ذلكَ من أَجْلِ تَهْمَةِ الناقلينِ ، وَوَهَمِ المسلمينَ^(١٠) أجمعِ ، فُنكفَره

(١) الأئمة عندهم على وأولاده رضى الله عنهم الذين يقولون : إن الإمامة حقهم .

قال الحفاجي : وهؤلاء أشد كفرا من النصارى .

(٢) أى البلاد البعيدة كخراسان ، لا يرجع إنكارها إلى إبطال شريعة مما شرعه الله

لمباده .

(٣) لا تنقضى : لا توصل .

(٤) قال في نسيم الرياض (٤-٥٥٧) : وإنما لم يكفر منكرها ؛ لأنه لا يترتب على إنكاره

أمر ديني .

(٥) أو وجود ؛ أى كما لا نكفر من أنكر وجود .

(٦) المباحة : الافتراء والسكذب ، ومثله لا يمد كفرا .

(٧) هشام الفوطي : من غلاة الرافضة ، وقد تقدم صفحة ١٠٧٦ وعباد الضمري ، أو الصيمري ،

وقد تقدم أيضا صفحة ١٠٧٦ ، وقد سبق أنه معمر .

(٨) وقعة الجمل : كانت بالبصرة بين علي ومعاوية ، وكانت سنة ست وثلاثين .

(٩) من خالفه : من الخوارج ..

(١٠) وهم المسلمين أجمع ؛ أى قال : إن جميع المسلمين مخطئون في نقلهم .

بذلك لِسَرَيَانِهِ إِلَى إِبْطَالِ الشَّرِيعَةِ^(١) .

فَأَمَّا مَنْ أَنْكَرَ الإِجْمَاعَ المَجْرُودَ الَّذِي لَيْسَ طَرِيقُهُ النِّقْلَ المتواتر عن الشارع فَأَكْثَرُ المتكلمين من الفقهاء والنظار في هذا الباب قالوا بتكفير كلِّ مَنْ خَالَفَ الإِجْمَاعَ الصَّحِيحَ الجامعَ لشروط الإجماع المتفق عليه عموماً .

وَحُجَّتُهُمْ قَوْلُهُ تَعَالَى^(٢) : ﴿ وَمَنْ يَشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ .

وقوله صلى^(٣) اللهُ عليه وسلم : مَنْ خَالَفَ الجَمَاعَةَ قَيْدًا^(٤) شِبْرًا فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الإِسْلَامِ مِنْ عُنُقِهِ . وَحَكَوْا الإِجْمَاعَ^(٥) عَلَى تَكْفِيرِ مَنْ خَالَفَ الإِجْمَاعَ .

وَذَهَبَ آخَرُونَ إِلَى الوُقُوفِ عَنِ^(٦) القَطْعِ بتكفير مَنْ خَالَفَ الإِجْمَاعَ [الَّذِي يَخْتَصُّ بِنَقْلِهِ العُلَمَاءُ .

وَذَهَبَ آخَرُونَ إِلَى التَّوَقُّفِ فِي تَكْفِيرِ مَنْ خَالَفَ الإِجْمَاعَ]^(٧) الكَائِنَ عَنِ^(٨)

(١) لِأَنَّ الشَّرِيعَةَ إِنَّمَا تَعْلَمُ بِنَقْلِ المُسْلِمِينَ ؛ فَإِذَا جُوزَ انْتِقَاطُهُمْ عَلَى الكَذِبِ لَمْ يُوَثَّقْ بِنَقْلِهِمْ فِي شَيْءٍ أَصْلًا .

وتكفيره لإنكار إجماع المسلمين ، وهو كفر .

(٢) سورة النساء ، آية ١١٥

يشاقق الرسول : يخالفه ويماديه فيكون في شق ، والرسول في شق آخر .

(٣) رواه أبو داود في سننه وصححه .

(٤) قيد شبر : قدر شبر .

(٥) قال في نسيم الرياض : وحكاية المصنف رحمه الله تعالى في تكفير من جحد الإجماع

مناف لما ذكره بعده من التوقف فيه بقوله : وذهب آخرون .

(٦) في ب : طى . والوقوف : التوقف فيه من غير قطع بتكفير وعدمه ، أى عدم الجزم .

(٧) ما بين القوسين في ب وحدها .

(٨) عن نظر : كالقياس الحاصل باجتهاد لا بد له من مستند .

نظر؛ كتكفير النظام^(١) بإنكاره الإجماع؛ لأنه بقوله هذا مخالف لإجماع السلف على^(٢) احتجاجهم به، خارق للإجماع^(٣).

قال القاضي أبو بكر: القول عندى أن الكفر بالله هو الجهل بوجوده؛ والإيمان بالله [٢٧٥] هو العلم بوجوده، وأنه لا يكفر أحد بقول ولا رأي إلا أن يكون هو الجهل بالله، فإن عصي بقول أو فعل نص^(٤) الله ورسوله، أو أجمع المسلمون، أنه لا يوجد إلا^(٥) من كافر، أو يقوم دليل على^(٦) ذلك، فقد كفر، ليس لأجل قوله أو فعله، لكن لما يقارنه من الكفر؛ فالكفر بالله لا يكون إلا بأحد ثلاثة أمور: أحدها الجهل بالله تعالى. والثاني أن يأتي فعلاً أو يقول قولاً يخبر الله ورسوله، أو يجمع المسلمون، أن ذلك لا يكون إلا من كافر؛ كالسجود للصائم، والمشى^(٧) إلى الكنائس بالتزام الزنار مع أصحابها في أعيادهم؛ أو أن يكون ذلك القول أو الفعل لا يمكن معه العلم بالله تعالى.

قال: فهذان الضربان، وإن لم يكونا جهلاً بالله فهماً علم^(٨) أن فاعلهما كافر منسلخ من الإيمان^(٩)؛ فأما من نفي صفة من صفات الله تعالى الذاتية، أو جحدتها

(١) النظام: هو إبراهيم بن سيار، أو ابن شيان، أبو إسحاق، مولى بني الحارث بن قيس ابن ثعلبة، أحد فرسان التكلمين من المعتزلة. كان في دولة المعتصم توفي سنة ٢٢١ هـ.

(٢) في ١: باحتجاجهم.

(٣) خارق للإجماع منهم ومن غيرهم على ذلك.

(٤) نص الله ورسوله: ذكره صريحاً في كتاب أو سنة.

(٥) لا يوجد: لا يصدر؛ كإنكار الشرع، أو رسالة محمد صلى الله عليه وسلم.

(٦) على ذلك؛ أى على أنه لا يصدر إلا من كافر.

(٧) المشى: الذهاب. والزنار: ما يشد بالوسط على هيئة مخصوصة بالكفرة.

(٨) علم: علامة وأمارة.

(٩) منسلخ: خارج من الإيمان بالله تعالى.

مُسْتَبْصِرًا^(١) في ذلك ، كقوله : ليس بعالمٍ ولا قادرٍ ولا مریدٍ ولا مُتَكَلِّمٍ ،
وشبه ذلك من صفات الكمال الواجبة له تعالى ؛ فقد نصَّ أئمتنا على الإجماع على
كُفْرٍ مَنْ نَفَى عَنْهُ تَعَالَى الوصفَ بها ، وأعراه^(٢) عنها .

وعلى هذا حِجْلَ قَوْلِ سُحْنُونٍ : مَنْ قَالَ : لَيْسَ لِلَّهِ كَلَامٌ ، فَهُوَ كَافِرٌ ، وَهُوَ
لَا يُكْفِرُ الْمُتَأَوِّلِينَ كَمَا قَدِمْنَا .

فَأَمَّا مَنْ جَهَلَ صِفَةَ مِنْ هَذِهِ الصِّفَاتِ فَاخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ هَاهُنَا^(٣) ؛ فَكَفَرَهُ
بَعْضُهُمْ^(٤) ، وَحُكِيَ ذَلِكَ عَنْ أَبِي جَعْفَرِ الطَّبْرِيِّ^(٥) وَغَيْرِهِ ، وَقَالَ بِهِ أَبُو الْحَسَنِ
الْأَشْعَرِيُّ^(٦) مَرَّةً .

وذهبت طائفةٌ إلى أَنَّ هَذَا^(٧) لَا يَخْرُجُهُ عَنْ اسْمِ الْإِيمَانِ ؛ وَإِلَيْهِ رَجَعَ الْأَشْعَرِيُّ ؛

= وفي نسيم الرياض (٤ - ٥٦١) :

الإيمان عند الأشاعرة تصديق النبي صلى الله عليه وسلم فيما علم بحجته ضرورة ، ومما
جاء به الإقرار بالله ورسوله وكتبه ، فالكفر حينئذ جحد ذلك . وقد جعل الشرع بعض
الأمور علامة على ذلك .

وقال ابن الهمام : الإيمان نقل شرعا من معناه اللغوي ، وهو التصديق - إلى مجموع أمور
اعتبرت في وضعه شرعا . والتصديق جزء منها ؛ وهو عند الباقلاني ثلاثة ، ثم فصلها كما
فصل للمصنف ...

(١) جحدها : أنكرها مع العلم بها . مستبصرا في ذلك ؛ أي وهو على بصيرة في ذلك ،
دون سهو أو سبق لسان .

(٢) أعراه عنها : جعل ذاته عارية عنها غير متصفة بها .

(٣) هاهنا : أي في تكفيره وعدمه لمدركه بجهله .

(٤) كفره بعضهم ، ولم يجعل الجهل عذرا له ، لوجوب النظر عليه .

(٥) صاحب التفسير المعروف .

(٦) مرة ؛ أي أحد قولين له في المسألة .

(٧) هذا ؛ أي جهله بصفة من صفاته تعالى الذاتية .

قال : لأنه لم يَعتد ذلك^(١) اعتقادا يقطعُ بصوابه ، ويراه دينا وشرعا^(٢) وإنما نكفَرُ مَنْ اعتقد أن مقالَه حقٌ .

واحتج هؤلاء بحديث السَّوَدَاءِ^(٣) ، وأنَّ النبيَّ صلى اللهُ عليه وسلم إنما طلب منها التوحيد^(٤) لا غير ؛ وبحديث القائل : إنَّ قدرَ اللهُ عليَّ - وفي رواية فيه : لَعَلِّي أضلُّ اللهُ^(٥) . ثم قال : ففقر اللهُ له .

(١) اعتقادا يقطع بصوابه : اعتقادا يقوم عليه دليل ؛ وإنما قاله لجهله ؛ فهو معذور .

(٢) ويراه دينا وشرعا : يعتقده برأيه كذلك ؛ وإنما قاله توها وجهلا .

(٣) رواه أبو داود في سننه ؛ وهو أن رجلا ظاهر من زوجته ولزمه عتق رقبة ، فأتى

بجارية نوبية ، وقال : يا رسول الله ، أعتق هذه ؟ فقال : لا تجزيك ، إلا أن تكون مؤمنة . فقال : سألها يا رسول الله . فقال لها : أين الله ؟ فأشارت إلى السماء . وقال لها : من أنا ؟ فقالت : رسول الله . فقال له : اعتقها فإنها مؤمنة .

(٤) طلب منها التوحيد ، فاكتمت بإشارتها الدالة على معرفة ذات الله ، ولم يكلفها بشيء

من الصفات ، فدل على أن الجهل بالصفات لا ينافي الإيمان لمذرها بالخرس والجهل .

(٥) رواه الشيخان عن أبي هريرة .

قال في نسيم الرياض (٤ - ٥٦٤) :

وهذا القائل كان نباشا ، وكان أوصى بنبيه فقال : أحرقوني ، وانظروا يوما شديدا

الريح فذروني فيه ؛ فوالله لئن قدر الله علي ، وفي رواية : لعلي أضل الله .

قدر - بتخفيف الدال من القدرة ، وبتشديدها بمعنى ضيق علي في الحساب والعقاب .

لعلي أضل : هو فعل مضارع ، من ضلني فلان فلم أقدر عليه ؛ أي لم أجده وخنني على لثدا به عنى . وفي النهاية : لعلي أضل الله ؛ أي أفوته ويخني عليه مكاني . وقيل معناه : لعلي أغيب عن عذابه .

قال الخفاجي : والحديث عن حذيفة بن اليمان ، قال : سمعت رسول الله صلى اللهُ عليه

وسلم يقول : إن رجلا حضره اللوت ، فلما يئس من الحياة أوصى أهله إذا أنا مت فاجموا لي

حطبا كثيرا وأوقدوا فيه نارا حتى إذا أكلت لحمي وخلصت إلى عظمي فامتحنشت فخذوها

فاطحنوها ثم انظروا يوما راحا - شديد الريح - فذروها في اليم . ففعلوا ، فجمعه اللهُ

عز وجل وقال له : لم فعلت ذلك ؟ فقال : من خشيتك ؛ ثم قال : ففقر اللهُ له عز وجل . =

قالوا: ولو بُوْحَثَ أَكْثَرُ النَّاسِ عَنِ الصِّفَاتِ وَكُوشِفُوا عَنْهَا^(١) لَمَا وُجِدَ مَنْ يَعْلَمُهَا إِلَّا الْأَقْلَ .

وقد أجاب الآخر^(٢) عن هذا الحديث بوجوه؛ منها أن قَدَرَ بمعنى قَدَّرَ^(٣) ، ولا يكونُ شَكُّهُ فِي الْقُدْرَةِ عَلَى إِحْيَائِهِ؛ بَلْ فِي نَفْسِ الْبَعْثِ الَّذِي لَا يَعْلَمُ إِلَّا بِشَرِّعٍ^(٤)؛ وَلَعَلَّهُ لَمْ يَكُنْ وَرَدَ عِنْدَهُمْ بِهِ شَرِّعٌ يَقْطَعُ عَلَيْهِ^(٥)؛ فَيَكُونُ الشَّكُّ بِهِ حَيْثُذ فِيهِ كُفْرًا .

فَأَمَّا مَا لَمْ يَرُدُّ بِهِ شَرِّعٌ فَهُوَ مِنْ مَجْوزَاتِ^(٦) الْعَقُولِ؛ أَوْ يَكُونُ قَدَرَ بِمَعْنَى ضَيِّقٍ ، وَيَكُونُ مَا فَعَلَهُ بِنَفْسِهِ إِزْرَاءً عَلَيْهَا وَغَضَبًا لِعِصْيَانِهَا^(٧) .

وقيل: قَالَ مَا قَالَهُ وَهُوَ غَيْرُ عَاقِلٍ لِكَلَامِهِ وَلَا ضَابِطٍ لِلْفِظَةِ مِمَّا اسْتَوْلَى عَلَيْهِ مِنَ الْجَزَعِ^(٨) وَالْحَشْيَةِ الَّتِي أَذْهَبَتْ لُبَّهُ ، فَلَمْ يُوَاحِذْ بِهِ .

== قال الخفاجي :

وهذا إنما قاله على سبيل الجزع وشدة الخوف ، وإلا فالله لا يمنى عليه شيء .

(١) عن الصفات : عن معرفتهم صفات الله . وكوشفوا عنها ؛ أى طلب منهم كشف ما فى قلوبهم بإظهاره لما وجد من يعلمها إلا القليل .

(٢) الآخر : الداھب إلى تكفير من نفى صفة من صفات الله ولو جاهلا .

(٣) من تقدير الله ، لا من القدرة .

(٤) لا يعلم إلا بشرع بوحى الله لرسله .

(٥) يقطع عليه : يقتضى علما يقينيا قطعيا .

(٦) مجوزات العقول ؛ أى ما هو جائز عقلا من غير سماع له من صاحب شريعة يجب

اتباعه ؛ بل هو مما تجوزة العقول .

(٧) ما فعله بنفسه ؛ من توصية بنىه بإحراقه إزرأء عليها : تنقيصا وتحقيرا وإهانة

لها . وغضبا على نفسه العاصية ، لا شكافى قدرة الله على إعادة ماتفرق من أجزائه ، فلا يحكم بكفره لذلك .

(٨) استولى عليه من الجزع : غلب عليه من الجزع ، أى من الموت على هذه الحالة .

[وقيل : كان هذا في زَمَنِ الْفِتْرِ^(١) ، وحيث يَنْفَعُ مُجْرَدُ التَّوْحِيدِ^(٢)] .
 وقيل : بل هذا من مَجَازِ كَلَامِ^(٣) الْعَرَبِ الَّذِي صَوَّرْتُهُ الشُّكَّ ، ومعناه
 التَّحْقِيقَ ؛ وَهُوَ يُسَمَّى تِجَاهِلَ الْعَارِفِ ؛ وَهُوَ أَمْثَلُهُ فِي كَلَامِهِمْ ؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى^(٤) :
 ﴿ لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴾ . وَقَوْلُهُ^(٥) : ﴿ وَإِنَّا أَوْ إِبْنَاءُكُمْ أَعْلَىٰ هُدًى أَوْ فِي
 ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ .

فَأَمَّا مَنْ أَثْبَتَ الْوَصْفَ وَنَفَى الصِّفَةَ^(٦) فَقَالَ : أَقُولُ عَالِمٌ وَلَسَكِنَّ لَا عِلْمَ لَهُ ،
 وَمَتَكَلَّمٌ وَلَسَكِنَّ لَا كَلَامَ^(٧) لَهُ . وَهَكَذَا فِي سَائِرِ الصِّفَاتِ عَلَى مَذْهَبِ الْمُعْتَزَلَةِ [٢٧٦] ؛
 فَنَ قَالَ بِالْمَالِ^(٨) لِمَا يُؤَدِّيهِ إِلَيْهِ قَوْلُهُ ، وَيَسْوَغُهُ إِلَيْهِ مَذْهَبُهُ - كَقَوْلِهِ^(٩) ؛ لِأَنَّهُ
 إِذَا نَفَى الْعِلْمَ انْتَفَى وَصْفُ عَالِمٍ ؛ إِذْ لَا يُوصَفُ بِعَالِمٍ إِلَّا مَنْ لَهُ عِلْمٌ ؛ فَكَانَتْهُمْ
 صَرَخُوا عِنْدَهُ^(١٠) بِمَا آدَىٰ إِلَيْهِ قَوْلُهُمْ .

- (١) زمن الفترة : زمن انقطاع الوحي ، وطول الزمان الذي اندرست فيه الشرائع .
 (٢) مجرد التوحيد : معرفة ذات الله دون غيرها من أمور الشرائع ، فإنهم معذرون
 بجهلهم ، وما بين القوسين في ب وحدها .
 (٣) من مجاز كلام العرب : المراد أنه من طرقهم في الكلام التي يتوسعون فيها .
 (٤) سورة طه ، آية ٤٤
 (٥) سورة سبأ ، آية ٢٤
 (٦) الوصف ؛ أى وصف الله بصفاته الذاتية ، ونفى الصفة القائمة بذاته ؛ وهم المعتزلة وبعض
 الفلاسفة القائلين بأن صفاته عين ذاته .
 (٧) أقول إن الله عز وجل عالم بكل شيء ، ولكن لا علم له زائد على ذاته ، كعلم البشر ،
 فعلمه عين ذاته . ومتكلم بكلام ولكن لا كلام له خارج عن ذاته .
 (٨) بالمآل : بما يؤول ويرجع إليه ككلام المعتزلة ، والمراد لازم مذهبهم وكلامهم
 الذي قالوه .

(٩) كفره : كفر القائل بهذا المقال .

(١٠) عنده : عند للكفر لهم .

وهكذا عند هذا^(١) سائر فرقِ أهلِ التأويلِ من المُشَبَّهَةِ^(٢) والقَدَرِيَّةِ وغيرهم .
ومن لم يرَ^(٣) أخذهم بمآلِ قَوْلهم ، ولا أزمهم مُوجِبَ مذهبهم ، لم يرَ
إكْفَارَهُمْ ؛ قال : لأنهم إذا وَقَّفُوا على هذا^(٤) قالوا : لا نقولُ ليس بمالمِ ، ونحن
ننتفي^(٥) من القَوْلِ بالمآلِ الذي أزمتموه لنا ، ونمتقِدُ نحن وأنتم أنه كفرٌ ؛
بل نقول : إن قَوْلنا لا يؤوّلُ إليه على ما أصْلنَاهُ^(٦) .

فعلى هذين المأخِذَيْنِ^(٧) اختلف الناسُ في إكفارِ أهلِ التأويلِ ؛ وإذا فهمتَه
اتَّضح لك الموجبُ لاختلافِ الناسِ في ذلك .

والصوابُ تركُ إكفارِهِم والإعراضُ عن الختمِ^(٨) عليهم بالمُخسِرَانِ وإجراء
حُكْمِ الإسلامِ^(٩) عليهم في قِصَاصِهِم وورائَاتِهِم ، ومُنَا كحَاتِهِم ، وديَاتِهِم ،
والصلاةِ عليهم ، ودَفْنِهِم في مقابرِ المسلمين ، وسائرُ مُعاملاتِهِم ؛ لكنهم يَمْلِظُ عليهم

(١) هذا : الكفر .

(٢) المشبهة : اللبثيين لله صفات أشبه صفات عباده . وغيرهم ؛ من الفرق الضالة المتبدعة .

(٣) أخذهم : مؤخذاتهم . وفي ا : ومن لم يؤخذهم .

(٤) وقفوا - بتخفيف القاف ، في ا ، أى اطلموا على ما لزم مذهبهم . أو وقفوا - بتشديد

القاف ، كما في ب ؛ أى اطلمهم من كفرهم على ما كفرهم به .

(٥) ننتفي : تترأ .

(٦) على ما أصْلنَاهُ : على ما اتخذناه أصلاً وقاعدةً بنينا عليها التفي ؛ فإنه لا محذور فيه ؛

إذ المحذور في القول بأنه لا علم له ؛ ونحن لا نقول به ، بل نقول بعلم هو عين ذاته ، وهكذا

سائر الصفات . (٧) للمأخذين ؛ من النظر لمآل كلامهم ، والنظر لما أصْلوه من تأويلهم .

(٨) الختم : القطع والجزم .

(٩) حكم الإسلام عليهم في الدنيا .

بوجيع^(١) الأدب ، وشديد الزجر والهجر^(٢) ، حتى يَرْجِعُوا عن بدعتهم .
 وهذه كانت سيرة الصِّدْرِ الأوَّلِ فيهم^(٣) ؛ فقد كان نشأ على زمان الصحابة
 وبمَدَمَ في التابعين مَنْ قال بهذه الأقوالِ مِنَ القَدَرِ^(٤) ورأى الخوارج والاعتزال ،
 فما أزاحوا لهم قَبْرًا ، ولا قطعوا لأحدٍ منهم ميراثًا ؛ لكنهم هجروهم وأدَّبُوهم
 بالضرب والتفني والقَتْلَ على قَدَرِ أحوالهم ؛ لأنهم فسَّاقٌ ضَلَالٌ^(٥) عَصَاةُ أصحابِ
 كبارٍ عند المحققين^(٦) وأهل السنة مَنْ لم يَقُلْ بكفرهم منهم خلافاً لِمَنْ رأى غيرَ
 ذلك . والله الموفق للصواب .

قال القاضي أبو بكر^(٧) : وأما مسائلُ الوعدِ والوعيدِ ، والرؤيةِ والمخلوقِ ،
 وخلقِ الأفعالِ ، وبقاءِ الأعراضِ ، والتولدِ^(٨) وشبهها من الدقائق - فالنَّعْ في إكْفَارِ

(١) بوجيع الأدب ؛ من القيد ، والضرب ، والحبس .

(٢) والهجر ؛ أى ترك مجالستهم ومعاشرتهم ونحوه مما يشق عليهم من أنواع الإهانة .

(٣) فيهم : فى معاملتهم والحكم عليهم .

(٤) القدر ؛ وهو رأى المئزلة .

(٥) ضلال : أهل ضلال وبدعة .

(٦) عند المحققين الذين لا يكفرون أحداً من أهل القبلة .

(٧) هو الباقلاني .

(٨) مسائل الوعد والوعيد ، وأنه لا يجوز تخلفه عند المئزلة ، لقولهم : إنه يجب على الله

تمذيب العاصي وإثابة الطائع - على ماقرروه فى قواعدهم .

والرؤية : إنكار المئزلة لرؤية الله فى الآخرة . والمخلوق : قول المئزلة : إن البعد يخلق

أفعاله . وخلق الأفعال ؛ أى قول المئزلة : إن أفعال العباد مخلوقة لهم . والأعراض : جمع

عرض ؛ وهو ما لا يقوم بنفسه كالألوان ، وهذا على مذهب الأشعرى من أن الأعراض لا تبقى ؛

وهو ما ذهب إلى خلافه كثير من أهل السنة . والتولد الذى ذهب إليه المئزلة والحكماء ،

كتولد العلم من الدليل وحصوله عقبه .

المعقولين فيها أوضح^(١)؛ إذ ليس في الجهل بشيء منها جهلٌ بالله تعالى، ولا أجمع المسلمون على إكفار مَنْ جهل شيئاً منها .

وقد قدمنا في الفصل قبله من الكلام وصورة الخلاف في هذا ما أغنى عن إعادته بحول الله تعالى .

فصل

هذا حكمُ المسلمِ السابِّ لله تعالى. وأما الذمى^(٢) فَرَوَى عن عبد الله بن عمر في ذمى تناول من حُرمة الله تعالى^(٣) غير ما هو عليه من دينه، وحاج فيه، فخرج ابنُ عمر عليه بالسيف فطلبه فهرب .

وقال مالك في كتاب ابن حبيب والمبسوطة^(٤)، وابن القاسم في المبسوط^(٥)، وكتاب محمد وابن سُحنون: مَنْ شَتَمَ اللهَ مِنَ اليهودِ والنصارى بغير الوجه الذي به كفروا^(٦) قُتِلَ ولم يُسْتَقْبَ .

قال ابن القاسم: إلا أن يُسَلِّمَ. قال في المبسوطة: طوعاً .

قال أصبغ: لأنَّ الوجهَ الذي به كفروا هو دينهم، وعليه عوهدوا^(٦) من دَعْوَى الصاحبةِ والشريكِ والولدِ .

(١) أوضح من القول بإكفارهم؛ لأنها لا يترتب عليها أمر ديني .

(٢) الذمى: الكافر الذي له ذمة وأمان .

(٣) تناول من حرمة الله تعالى؛ أي تكلم في حق الله بما لا يجوز . والحرمة: ما يجب

احترامه وترك الخوض فيه .

(٤) اسم كتاب .

(٥) بغير الوجه الذي كفروا به؛ كادعاء الولد والشريك .

(٦) هو دينهم: هو عاداتهم ومعتقدهم . وعليه عوهدوا؛ أخذت عليهم اليهود، مع

استقرارهم عليه .

وَأَمَّا غَيْرُ هَذَا مِنَ الْفِرْيَةِ^(١) وَالشَّتْمِ فَلَمْ يُعَاهَدُوا عَلَيْهِ ؛ فَهُوَ نَقْضٌ لِلْعَهْدِ .
قال ابن القاسم في كتاب محمد : وَمَنْ شَتَمَ مِنْ غَيْرِ أَهْلِ الْأَدْيَانِ اللَّهُ تَعَالَى
بغَيْرِ الْوَجْهِ الَّذِي ذُكِرَ فِي كِتَابِهِ قُتِلَ إِلَّا أَنْ يُسْلِمَ^(٢) .
وقال الخزومي في المبسوطة ، ومحمد بن مسلمة ، وابن أبي حازم : لَا يُقْتَلُ حَتَّى
يُسْتَتَابَ مُسْلِمًا كَانَ أَوْ كَافِرًا ، فَإِنْ تَابَ وَإِلَّا قُتِلَ [٢٧٧] .
وقال مطرف وعبد الملك مثل قول مالك .

وقال أبو محمد بن أبي زيد : مَنْ سَبَّ اللَّهَ تَعَالَى بِغَيْرِ الْوَجْهِ الَّذِي بِهِ كَفَرَ
قُتِلَ إِلَّا أَنْ يُسْلِمَ .

وقد ذكرنا قول ابن الجلاب قبْلُ ، وذكرنا قول عبيد الله ، وابن بُبَايَةَ ،
وشيوخ الأندلسيين^(٣) في النصرانية^(٤) وفتيأهم بقتلها لسبها ؛ بِالْوَجْهِ الَّذِي كَفَرَتْ بِهِ ،
لِللَّهِ وَلِلنَّبِيِّ ، وَإِجْمَاعِهِمْ عَلَى ذَلِكَ^(٥) ، وَهُوَ نَحْوُ الْقَوْلِ الْآخِرِ فِيمَنْ سَبَّ النَّبِيَّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْهُمْ^(٦) بِالْوَجْهِ الَّذِي كَفَرَ^(٧) بِهِ ، وَلَا فَرْقَ فِي ذَلِكَ^(٨) بَيْنَ
سَبِّ اللَّهِ وَسَبِّ نَبِيِّهِ ؛ لِأَنَّا عَاهَدْنَا عَلَى الْآلِ بِظَهْرِهِمْ لَنَا شَيْئًا مِنْ كُفْرِهِمْ ، وَالْآلِ

(١) الفرية : الكذب والاختلاق على الله في غير ما كفرُوا به .

(٢) إلا أن يسلم ؛ فإن الإسلام يجب ما قبله .

قال الحفاجي : وهذا كله مذهب مالك . ومذهب الشافعي والحنفية فيه ما يخالفه .

(٣) شيوخ الأندلسيين ، من علماء المالكية .

(٤) في النصرانية : في المرأة النصرانية .

(٥) على ذلك : على قتل من سب بما كفر به .

(٦) منهم : من أهل الذمة .

(٧) بالوجه الذي كفر به : كأنكار نبوته ، فيقتل ، إلا أن يسلم طوعا .

(٨) في ذلك ، أى في قتله بما كفر به .

يسمونا شيئاً من ذلك^(١)، فمتى فعلوا شيئاً معه فهو نقضٌ لعهدهم .
 واختلف العلماء في الذمِّ إذا تزندق^(٢)، فقال مالك، ومطرف، وابن
 عبد الحكم، وأصبغ: لا يُقتل، لأنه خرج من كفرٍ إلى كفر .
 وقال عبد الملك بن الماجشون: يُقتل، لأنه دين^(٣) لا يُقرُّ عليه أحدٌ، ولا
 تؤخذ عليه جزية .
 قال ابن حبيب: وما أعلم من قاله غيره .

فصل

هذا حكمٌ من صرح بسبِّه^(٤) وإضافة ما لا يليق بجلاله وإلهيته؛ فأما مُفتري^(٥)
 الكذب عليه تبارك وتعالى بادعاء الإلهية أو الرسالة^(٦) أو النافي أن يكون الله
 خالقه أو ربه؛ أو قال: ليس ربُّ، أو المتكلم بما لا يُعقل من ذلك في سُكْرِهِ
 أو غمزة^(٧) جنونه فلاخلاف في كفرِ قائل ذلك ومُدعيه مع سلامة عقله كما قدمنا،
 لكنه يُقبل توبته على المشهور، وتنفعه إنابته، وتنجيه من القتل فينته^(٨)، لكنه
 لا يسلم من عظيم النكال^(٩)، ولا يرفه^(١٠) عن شديد العقاب؛ ليكون ذلك زجراً
 لثله عن قوله؛ وله عن العودة لكفره أو جهله، إلا من تكرر منه ذلك، وعُرف

(١) أي من ذلك الكفر الذي كفروا به بأي طريق كان .

(٢) إذا تزندق لظهور علامات تدل على أنه مبطن لما يخالف دينه ويخالف دين الإسلام،

فلم يبق على دين أصلاً .

(٣) قال الخفاجي: وتسميته ديناً تسامح، فإنه لا دين له .

(٤) بسبه عز وجل . (٥) الاقتراء: تعمد الكذب .

(٦) بادعاء الإلهية، أي إنه إله، كفرعون . أو الرسالة؛ كسليمة الكذاب .

(٧) غمزة جنونه: شدة أذهبت عقله . (٨) إنابته وفيئته: رجوعه إلى الله .

(٩) النكال: العقوبة . (١٠) ولا يرفه: لا يخفف .

استهانتُهُ بما أتى به؛ فهو دليلٌ على سُوءِ طَوْبَتِهِ، وَكَذِبِ تَوْبَتِهِ، وصار كالزُّنْدِيقِ^(١) الذي لا نَأْمَنُ بِطَانَتِهِ، ولا نَقْبَلُ رُجُوعَهُ. وَحُكْمُ السُّكْرَانِ فِي ذَلِكَ حُكْمُ الصَّاحِي^(٢).

وأما المجنونُ والمعتوه^(٣) فما عُلِمَ أَنَّهُ قَالَ مِنْ ذَلِكَ فِي حَالِ غَمْرَتِهِ وَذَهَابِ مَبْرَئِهِ^(٤) بِالْكَلِيَّةِ فَلَا نَنْظُرُ^(٥) فِيهِ، وما فعله من ذلك في حال مَبْرَئِهِ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مَعَهُ عَقْلُهُ وَسَقَطَ تَكْلِيفُهُ أَدَبَ عَلَى ذَلِكَ لِيَنْزَجِرَ عَنْهُ، كما يُوَدَّبُ عَلَى قَبَائِحِ الْأَفْعَالِ، وَيُؤَالَى أَدَبُهُ عَلَى ذَلِكَ حَتَّى يَنْكَفَّ عَنْهُ، كما تُوَدَّبُ الْبَهِيمَةُ عَلَى سُوءِ الْخَلْقِ حَتَّى تَرُاضَ^(٦).

وقد حَرَّقَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَنْ ادَّعَى لَهُ الْإِلَهِيَّةَ^(٧)، وقد

-
- (١) الزُّنْدِيقُ : الذي يظهر الإسلامَ ويخفي الكفر .
(٢) حُكْمُ الصَّاحِي فِي مُؤَاخَذَتِهِ بِمَا صَدَرَ مِنْهُ لِمُعْدِيهِ بِسُكْرِهِ ، فَيُحْفَظُ عَلَيْهِ .
(٣) المَعْتُوهُ : من العتاه ، وهو اختلال في العقل دون الجنون ، بحيث يكثر ذهابه ونسيانه ، ويختلط كلامه أحيانا حتى يشبه المجنون ، لكن يقننه بتبنيه غيره له ، وتختل أفعال مماشه .
(٤) غَمْرَتُهُ : أي ذهاب عقله بالكلية . ومبْرَئِهِ : تمييزه وإدراكه .
(٥) لا نَنْظُرُ فِيهِ : لا يتعرض له ، ولا يحكم عليه بكفر ولا غيره ، لأنه غير مكلف ، فلا يؤاخذ بما يصدر عنه .
(٦) تَرُاضُ : تنقاد وتستقيم أفعالها .
(٧) ادَّعَى الْإِلَهِيَّةَ لَهُ : بأن قال له أنت إله ، أي أحرقه بالنار لكفره .
وفي نسيم الرياض (٤ — ٥٧٥) : ثم إن التحريق بالنار لا يجوز ؛ لحديث ابن عباس رضي الله عنهما عنه صلى الله عليه وسلم : إنه لا يمدب بالنار إلا خالقها .
وكان أمر بتحريق ناس ، ثم نهى عنه ، فهو منسوخ .
فإن كان قتلهم ثم أحرقتهم تمثيلا بهم فهو مذهب له ، لأن الصحابة مجتهدون . ومن أحرق رجلا في القصاص بمثل فعله : عن مالك روايتان .
قال الحفاجي : وأروى عن بعض الصحابة من التحريق فيه كلام ليس هذا محله ، فالصحيح المنع منه .

قَتَلَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ الْحَارِثَ^(١) التَّنَبِّيَّ وَصَلَبَهُ ، وَفَعَلَ ذَلِكَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ الْخُلَفَاءِ وَالْمُلُوكِ بِأَشْبَاهِهِمْ .

وَأَجْمَعَ عُلَمَاءُ وَقْتِهِمْ عَلَى صَوَابِ فِعْلِهِمْ ، وَالْمُخَالَفُ فِي ذَلِكَ مِنْ كُفْرِهِمْ كَافِرٌ^(٢) .
وَأَجْمَعَ فُقَهَاءُ بَغْدَادَ أَيَّامَ الْمُقْتَدِرِ مِنَ الْمَالِكِيَّةِ وَقَاضَى قَضَائِهَا أَبُو عَمْرٍو الْمَالِكِيُّ عَلَى قَتْلِ الْحَلَّاجِ وَصَلَبِهِ ؛ لِذَعْوَاهُ الْإِلَهِيَّةِ ، وَالتَّوَلَّى بِالْحُلُولِ^(٣) ؛ وَقَوْلِهِ : أَنَا الْحَقُّ ، مَعَ تَمَسُّكِهِ فِي الظَّاهِرِ بِالشَّرِيعَةِ ، وَلَمْ يَقْبَلُوا تَوْبَتَهُ .

وَكَذَلِكَ حَكَمُوا فِي ابْنِ أَبِي الْفَرَاقِيدِ^(٤) ، وَكَانَ عَلَى نَحْوِ مَذْهَبِ الْحَلَّاجِ بَعْدَ هَذَا أَيَّامَ الرَّاضِي بِاللَّهِ ، وَقَاضَى قَضَاةَ بَغْدَادَ يَوْمَئِذٍ أَبُو الْحُسَيْنِ بْنِ أَبِي عَمْرٍو [٢٧٨] الْمَالِكِيُّ .
وَقَالَ ابْنُ عَبْدِ الْحَكَمِ فِي الْمَبْسُوطِ : مَنْ تَنَبَّأَ^(٥) قُتِلَ .

وَقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ وَأَصْحَابُهُ : مَنْ جَعَدَ^(٦) أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَالَقُهُ أَوْ رَبَّهُ ؛ أَوْ قَالَ : لَيْسَ لِي رَبٌّ ؛ فَهُوَ مُرْتَدٌّ .

(١) هُوَ الْحَارِثُ بْنُ سَعِيدِ الْكُذَّابِ .

قَالَ الْخَفَاجِيُّ : وَعَبَدَ الْمَلِكُ لَيْسَ مِمَّنْ يَسْتَدِلُّ بِأَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ ، فَلَمَلَهُ اسْتِئْذَانُ بِهِ ، لِأَنَّهُ فِي عَصْرِ السَّلَفِ ، وَلَمْ يَنْكُرُوا عَلَيْهِ ذَلِكَ .

(٢) مَنْ خَالَفَ مَكْفُرِهِمْ فِي تَكْفِيرِهِمْ ، فَقَالَ : لَا يَكْفُرُونَ - هَذَا الْمُخَالَفُ كَافِرٌ ، لِأَنَّهُ رَضِيَ بِكُفْرِهِمْ وَتَكْذِيبِهِمْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ .

(٣) الْحُلُولُ ، أَيُّ أَنَّ اللَّهَ يَحِلُّ فِي بَعْضِ النَّاسِ ، وَيُظْهِرُ بِصُورَتِهِ .

(٤) هُوَ مُحَمَّدُ بْنُ طَلْحَةَ بْنِ أَبِي الْفَرَاقِيدِ ، شَاعَ أَمْرُهُ بِبَغْدَادَ وَادَّعَى الْإِلَهِيَّةَ ، وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى ، وَأَحْرَقَتْ جَسَدَهُ فِي سَنَةِ اثْنَتَيْ عَشْرِينَ وَثَلَاثِمِائَةَ . وَهَذَا فِي أ، ب . وَفِي هَامِشِ ب : صَوَابُهُ ابْنُ أَبِي الْمَرَاقِبِ - وَهُوَ مَا فِي شَرْحِ الْقَارِي (٢-٥٣٩) . وَفِي شَرْحِ الْخَفَاجِيِّ : وَرَوَى : بَزَائِ مَعْجَمَةَ بَدَلَ الرِّاءِ وَيَبَاءَ مَشْنَاءً ، وَبَدَوْنَهَا . وَقِيلَ إِنَّهُ أَصُوبٌ . وَقَالَ الْبِرْهَانُ : إِنَّهُ قِيلَ إِنَّ صَوَابَهُ ابْنُ أَبِي الْمَرَاقِبِ . وَالصَّوَابُ الْأَوَّلُ ، وَأَنَّهُ جَمَعَ غُرْقَدَةً ، أَوْ غُرْقَدًا . وَمِنْهُ بَقِيْعُ النَّرْقَدِ . وَالنَّرْقَدُ : شَجَرٌ مَعْرُوفٌ .

(٥) تَنَبَّأَ : ادَّعَى النُّبُوَّةَ .

(٦) جَعَدَ : نَفَى وَأَنْكَرَ .

وقال ابنُ القاسم في كتاب ابنِ حبيب ، ومحمد في العتبية^(١) فيمن تنبأ
يُسْتَقْتَابُ^(٢) أَسْرَ ذَلِكَ أو أعلنه ؛ وهو كالمُرْتَدِّ .

وقاله سُخْنُونُ وَغَيْرُهُ ، وقاله أَشْهَبُ فِي يَهُودِيَّ تَنْبَأُ ، وادَّعَى أَنَّهُ رَسُولٌ
إِلَيْنَا إِنْ كَانَ مُعْلِنًا بِذَلِكَ اسْتُتِيبَ ؛ فَإِنْ تَابَ وَإِلَّا قُتِلَ^(٣) .

وقال أبو محمد بن أبي زيد فيمن لمن بَارِئُهُ^(٤) ، وادَّعَى أَنَّهُ لِسَانَهُ زَلٌّ^(٥) ؛
وإنما أَرَادَ لَعْنَةَ الشَّيْطَانِ - يُقْتَلُ بِكُفْرِهِ ، وَلَا يُقْبَلُ عُدْرُهُ .
وهذا على القولِ الآخرِ^(٦) من أنه لا تُقْبَلُ تَوْبَتُهُ .

وقال أبو الحسن القاسبي في سَكْرَانٍ ؛ قال : أنا الله ، أنا الله ، إن تَابَ أَدَّبَ ؛
فإن عادَ إِلَى مِثْلِ قَوْلِهِ طُولِبَ مَطَالِبَةَ الزُّنْدِيقِ ؛ لِأَنَّ هَذَا كُفْرُ الْمُتْلَاعِبِينَ^(٧) .

فصل

وَأَمَّا مَنْ تَكَلَّمَ مِنْ سَقَطِ الْقَوْلِ وَسُخْفِ اللَّفْظِ^(٨) مِمَّنْ لَمْ يَضْبِطْ كَلَامَهُ
وَأَهْمَلَ لِسَانَهُ^(٩) بما يقتضى الاستخفافَ بعظمة رَبِّهِ وَجَلَالَةَ مَوْلَاهُ ؛ أَوْ تَمَثَّلَ فِي بَعْضِ

(١) في ١ : والعتبية .

(٢) قتل ؛ لأنه أظهر أمرا غير ما كفر به .

(٣) بارئته ؛ خالقه على غير مثال .

(٤) زل ؛ أخطأ ، ولم يرد أن يقول ذلك .

(٥) على القول الآخر ؛ من أحد القولين في مذهب مالك .

(٦) قال في نسيم الرياض (٤ - ٥٧٩) : وهذا مذهب مالك ، وعند غيره فيه خلاف

مبسوط في كتب الفقه .

(٨) السقط ؛ الخطأ والأمر الذى لا يمتد به حتى ليستحق أن يسقط وي طرح . وسخف

اللفظ ؛ المراد به الألفاظ السخيفة الركيكة الدنيئة .

(٩) أهمل لسانه ؛ أطلقه في الكلام ؛ فيتكلم بغير تدبر وفكر . والمراد أنه لم يصن ولم

يحفظ لسانه .

الأشياء ببعض ما عظم الله من ملكوته^(١) ، أو نزع^(٢) من الكلام لخلق بما لا يليق^(٣) إلا في حق خالقه غير قاصد للكفر والاستخفاف ، ولا عامد للإلحاد ، فإن تكرر هذا منه ، وعُرف به ، دلّ على تلاعبه بدينه ، واستخفافه بجرمة ربه ، وجهله بعظيم عزته وكبريائه . وهذا كفر لا مريّة^(٤) فيه .

وكذلك إن كان ما أورده يوجب الاستخفاف والتفصّل لربه .

وقد أفتى ابن حبيب وأصبع بن خليل من فقهاء قرطبة بقتل المعروف بابن أخى عجب^(٥) ، وكان خرج يوما ، فأخذهُ المطر ، فقال : بدأ الخراز يرش جلوده . وكان بعض الفقهاء بها^(٦) : أبو زيد صاحب الثانية^(٧) ، وعبد الأعلى بن وهب ، وأبان بن عيسى ، قد توقّفوا عن سفك دمه ، وأشاروا إلى أنه عبث من القول يكنى فيه الأدب^(٨) .

وأفتى بمثله القاضي حينئذ موسى بن زياد ؛ فقال ابن حبيب : دمه في عنقي^(٩) ، أي شتم ربه عبداً ، ثم لانتصر له ، إننا إذا لعبيد سوء ، وما نحن له بما بدین ؛

(١) أى جملة مثله ، كأن يشبه ممدوحاً له بجبريل ، أو عدواً له بملك الموت ، ونحوه ؛ بما يدل على سخافة عقله ودينه ؛ أو يقول : قصر الملك كعبة يطوف بها .

(٢) نزع : أخذ وذهب في وصفه .

(٣) فى ١ : بمخلوق . . . ما لا يليق . وما لا يليق كأن يقول : إذا الجلال والإكرام ،

نحوه : كعز وجل .

(٤) لامرية فيه : لاشك في كونه كفراً .

(٥) واسمه يحيى بن زكريا ، وقد تجر وعنا .

(٦) فى شرح القارى : لعلها بلدة أو قرية ، وكان أميراً عليها .

(٨) الأدب ؛ أى التأديب والتعزير دون القتل .

(٩) دمه فى عنقي ؛ أى إننا أحكم بقتله وإراقة دمه ؛ فإن كان فيه وزر قتلته ، وعلى وزره

وجزاؤه فى الدنيا والآخرة .

وبكى ، ورفع المجلس إلى الأمير بها عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَكَمِ الْأُمَوِيِّ^(١) .
 وكانت عَجَبٌ عَمَّةٌ هَذَا الْمَطْلُوبِ مِنْ حِظَايَاهُ^(٢) ، وَأَعْلَمُ بِاخْتِلَافِ الْفُقَهَاءِ ،
 فَنَجَّرَ الْإِذْنَ مِنْ عِنْدِهِ بِالْأَخْذِ بِقَوْلِ ابْنِ حَبِيبٍ وَصَاحِبِهِ ؛ وَأَمَرَ بِقَتْلِهِ ، فَتُقْتَلُ وَصُلْبُ
 مَحْضَرَةِ الْفَقِيهَيْنِ^(٣) ، وَعَزَلَ الْقَاضِي لِنَهْمَتِهِ بِالْمَدَاهِنَةِ^(٤) فِي هَذِهِ الْقِصَّةِ ، وَوَبَّخَ بَقِيَّةَ
 الْفُقَهَاءِ وَسَبَّهَمُ .

وَأَمَّا مَنْ صَدَرَتْ عَنْهُ مِنْ ذَلِكَ الْهِنَةُ الْوَاحِدَةُ وَالْفَالَتَةُ الشَّارِدَةُ ، مَا لَمْ تَكُنْ
 تَنْقُصًا وَإِزْرَاءً - فِيمَا قَبُلَ عَلَيْهَا وَبُودَّبَ بِقَدْرِ مَتَضَاهَا وَسُنْعَةِ مَعْنَاهَا ، وَصُورَةِ حَالِ
 قَائِلِهَا ، وَشَرِّحَ سَبَبِيهَا وَمُقَارِنَهَا .

وَقَدْ سُئِلَ ابْنُ الْقَاسِمِ رَحِمَهُ اللَّهُ عَنْ رَجُلٍ نَادَى رَجُلًا بِاسْمِهِ ، فَأَجَابَهُ : لَبَّيْكَ ،
 اللَّهُمَّ^(٥) لَبَّيْكَ .

قَالَ : إِنْ كَانَ جَاهِلًا ، أَوْ قَالَ عَلَى وَجْهِ سَفَهٍ^(٦) فَلَا شَيْءَ عَلَيْهِ .

قَالَ الْقَاضِي أَبُو الْفَضْلِ^(٧) : وَشَرَّحُ قَوْلِهِ^(٨) أَنَّهُ لَا قَتْلَ عَلَيْهِ ، وَالْجَاهِلُ يُزَجَّرُ
 وَيُعَلَّمُ ، وَالسَّفِيهُ يُودَّبُ ، وَلَوْ قَالَهَا عَلَى اعْتِقَادِ إِزْرَالِهِ مَنَزِلَةً رَبَّهُ لَكُفْرٌ^(٩) [٢٧٩] .

(١) هُوَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَكَمِ بْنِ هِشَامِ صَاحِبِ الْأَنْدَلُسِ ؛ وَكَانَ عَادِلًا تَقِيًّا مُجَاهِدًا ،
 تَوَفَّى سَنَةَ ثَمَانٍ وَثَلَاثِينَ وَمِائَتَيْنِ .

(٢) مِنْ حِظَايَاهُ : مِنْ زَوَاجَاتِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَمِيرِ الْأَنْدَلُسِ ، وَأَقْرَبُ حَلَالَتِهِ مِنْهُ ،
 وَأَسْمَدُهُنَّ بِهِ . (٣) الْفَقِيهَيْنِ : ابْنُ حَبِيبٍ ، وَأَصْبَغُ .

(٤) الْقَاضِي مُوسَى بْنُ زِيَادٍ الْقُدِّي قَالَ يُودَّبُ .

لِنَهْمَتِهِ بِالْمَدَاهِنَةِ ؛ أَيِ الْمَسَاحَةِ فِي حُدُودِ اللَّهِ ، لِقُرْبِ الرَّجُلِ مِنْ حِظِيَّةِ الْأَمِيرِ .

(٥) اللَّهُمَّ : يَا اللَّهُ .

(٦) عَلَى وَجْهِ سَفَهٍ ؛ أَيِ خَفَةِ وَطَيْشٍ مِنْ غَيْرِ تَأْمَلٍ وَفَسْكَرٍ .

(٧) هُوَ الْمُؤَلِّفُ . (٨) يَقْصِدُ قَوْلَهُ : لَا شَيْءَ عَلَيْهِ .

(٩) قَالَ : أَيُّ قَالَ : لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ . . .

هذا مقتضى قوله^(١) .

وقد أسرف كثير من سحناء الشعراء ومتهمهم في هذا الباب ، واستغضوا عظيم هذه الحرمة ، فاتوا من ذلك بما نزهه كتابنا ولساننا وأقلامنا عن ذكره ؛ ولولا أننا قصدنا نص مسائل حكيناها ما ذكرنا شيئاً مما يتقل ذكره علينا مما حكيناها في هذه الفصول .

فأما ما ورد في هذا من أهل الجهالة وأغاليط اللسان ؛ كقول بعض الأعراب :
رب العباد مالنا ومالكنا قد كنت تسقينا فما بدأ لك
أنزل علينا الغيث لا أبأ لك
في أشباه لهذا من كلام الجهال^(٢) .

ومن لم يؤتمه ثقاف تأديب الشريعة والعلم^(٣) في هذا الباب^(٤) ؛ فقل ما يصدُرُ إلا من جاهل يجب تعليمه وزجره والإغلاظ له عن العودة إلى مثله^(٥) .

(١) مقتضى قوله ؛ أى قول ابن القاسم في هذه المسألة .

قال الخفاجي : وهذا هو الحكم فيما ذكر عند المالكية . وغيرهم خلفهم فيها ، وقال : لا يمدر إلا قريب عهد بإسلام أو جنون .

(٢) قال في نسيم الرياض : كان قد قاله في سنة مجدبة .

قال : وهذا الذى قاله الأعرابي على عادتهم في مخاطبتهم من التمتعج ، ولم يقصد ظاهره إن كان مسلماً .

وقال : وقد روى أن سليمان بن عبد الملك لما سمع هذا حمله على محمل حسن ، فقال : أشهد أن الله لأب له ، ولا صاحبة ، ولا والد ، ولا ولد .

(٣) الثقاف في الأصل : تقويم الرماح ، والخشب الموعج ، بالنار ونحوه . وفى هامش ب : الثقاف : ما يقوم به الرمح الموعج . تأديب الشريعة والعلم ؛ أى تأديبه بتعليمه وإرشاده لما يجب عليه .
(٤) فى هذا الباب ؛ أى باب السخافة والتهاون .

(٥) أى فيمدر بجهله وكونه من أهل البوادي الذين لم يخالطوا المسلمين . فيجب . . .

قال أبو سليمان الخطّابي : وهذا تهوّر^(١) من القول ، والله منزّه عن هذه الأمور .

وقد رَوَيْنَا عَنْ عَوْنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ^(٢) أَنَّهُ قَالَ : لِيُعْظَمَ أَحَدُكُمْ رَبَّهُ أَنْ يَذْكَرَ اسْمَهُ فِي كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى يَقُولَ : أَخْزَى اللَّهُ الْكَلْبَ ، وَفَعَلَ بِهِ كَذَا وَكَذَا^(٣) .

قال : وكان بعضُ مَنْ أَدْرَكَ كُنَّا مِنْ مَشَائِخِنَا قَلَّ مَا يَذْكَرُ اسْمَ اللَّهِ تَعَالَى إِلَّا فِيمَا يَتَّصِلُ بِطَاعَتِهِ^(٤) . وكان يقول للإنسان : جُزَيْتَ خَيْرًا . وقل ما يقول : جزاك الله خيرا ؛ إعظاماً لاسمه تعالى أن يُمْتَنَ^(٥) فِي غَيْرِ قُرْبَةٍ .

وحدَّثَنَا الثَّقَةُ أَنَّ الْإِمَامَ أَبَا بَكْرٍ الشَّاشِيَّ^(٦) كَانَ يَعْيبُ عَلَى أَهْلِ الْكَلَامِ كَثْرَةَ خَوْضِهِمْ فِيهِ تَعَالَى وَفِي ذِكْرِ صِفَاتِهِ ؛ إِجْلَالًا لِاسْمِهِ تَعَالَى ، وَيَقُولُ : هَؤُلَاءِ يَتَمَنَّدُونَ^(٧) بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ .

وَيَنْزِلُ الْكَلَامَ فِي هَذَا الْبَابِ تَنْزِيلَهُ فِي بَابِ سَابِّ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْوَجْهِ الَّتِي فَصَّلْنَاهَا . وَاللَّهُ الْمَوْفِقُ .

(١) التهوور : مجاوزة الحد بالوقوف بغير مبالاة في منكر عظيم .

(٢) هو الزاهد الفقيه المحدث التابعي ، توفى في حدود العشرين ومائة .

(٣) قال الخفاجي : فإن اقتران الاسم بهذه المحقرات لا يليق ، وإن كان ذلك بحسب المعنى صحيحاً . وكذا اسم النبي صلى الله عليه وسلم ، كقول العامة ذلك في بيع أمور حقيرة ، كما نبه عليه بعض الفقهاء .

(٤) قال في نسيم الرياض (٤ — ٥٨٥) : ولذا لم يضيفوا له الشر والقبائح وخلق المحقرات تأديباً ، وإن كان خالفاً وفاعلاً لسكل أمر .

(٥) يمتن : من المهانة ، وهي الابتذال والحقارة .

(٦) هو الإمام أبو بكر محمد بن علي بن إسماعيل القفال الشاشي ، وهو إمام عظيم له تأليفات جليلة ، وهو عمدة في مذهبه ، توفى سنة ست وستين وثلاثمائة .

(٧) يتمندلون : من المنديل ، وهو خرقة تسمح بها الأيدي ، يريد الابتذال والامتهان . =

فصل

وَحُكْمُ مَنْ سَبَّ سَائِرَ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ تَعَالَى وَمَلَائِكَتِهِ ، وَاسْتَخَفَّ ^(١) بِهِمْ
أَوْ كَذَّبَهُمْ فِيمَا أُتُوا بِهِ ، أَوْ أَنْكَرَهُمْ وَجَحَدَهُمْ ^(٢) ، حُكْمٌ نَبِيْنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
عَلَى مَسَاقٍ مَا قَدَمْنَاهُ ^(٣) ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ^(٤) : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ
وَيُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ
وَيُرِيدُونَ أَنْ يُتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا . أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا ﴾ .

وقال تعالى ^(٥) : ﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ
وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ ، وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ
مِنْ رَبِّهِمْ لَا نَفَرَّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ ، وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ .

وقال ^(٦) : ﴿ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتِبَ عَلَيْهِ وَرُسُلُهُ لَا نَفَرَّقُ بَيْنَ أَحَدٍ
مِنْ رُسُلِهِ ﴾ .

قال مالك في كتاب ابن حبيب ، ومحمد ، وقال ابن القاسم وابن الماجشون

== قال في نسيم الرياض (٤ — ٥٨٦) :

وقد يقال : إن مراده ذكر ما لا حاجة إليه من المباحث الكلامية ؛ وإلا فكيف ينسکر
علم الكلام ، وقد قال صلى الله عليه وسلم : ستفترق أمتي ثلاثا وسبعين فرقة ؛ فهذه الفرق
الضالة لها اعتقادات باطلة قد يظهرونها ويذكرون لها أدلة ؛ فمقابلتهم وإبطال أدلتهم واجب ؛
فكيف يمنع منه مطلقا ! فلكلام المصنف ليس على إطلاقه .

(١) استخف بهم : ذكر ما فيه تحقير وإهانة لهم .

(٢) جحدهم : أنكر وجودهم عنادا مع علمه به .

(٣) على مساق ما قدمناه : على الحكم الذي ستنهه وقدمناه .

(٤) سورة النساء ، آية ١٥٠ ، ١٥١

(٥) سورة البقرة ، آية ١٣٦

(٦) سورة البقرة ، آية ٢٨٥

وابن عبد الحكم وأصنغ وسُحْنُونُ فِيمَنْ شَتَمَ الْأَنْبِيَاءَ أَوْ أَحَدًا مِنْهُمْ أَوْ تَنَقَّصَهُ ^(١) قُتِلَ
وَلَمْ يُسْتَنْبَ ^(٢) . وَمَنْ سَبَّ مِنْ أَهْلِ الذِّمَّةِ قُتِلَ إِلَّا أَنْ يُسْلِمَ .

وَرَوَى سُحْنُونُ عَنْ ابْنِ الْقَاسِمِ : مَنْ سَبَّ الْأَنْبِيَاءَ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى بِغَيْرِ
الْوَجْهِ الَّذِي بِهِ كَفَرَ ضُرِبَ عُنُقُهُ إِلَّا أَنْ يُسْلِمَ .

وَقَدْ تَقَدَّمَ الْخِلَافُ فِي هَذَا الْأَصْلِ .

وَقَالَ الْفَنَاضِيُّ بِقُرْطُبَةَ سَعِيدِ بْنِ سُلَيْمَانَ فِي بَعْضِ أَجْوَابِهِ : مَنْ سَبَّ اللَّهَ
وَمَلَائِكَتَهُ قُتِلَ ^(٣) .

وَقَالَ سُحْنُونُ : مَنْ شَتَمَ مَلَكَاً مِنَ الْمَلَائِكَةِ فَعَلَيْهِ الْقَتْلُ ^(٤) .

وَفِي النُّوَادِرِ ^(٥) عَنْ مَالِكٍ فِيمَنْ قَالَ : إِنَّ جِبْرِيلَ أَخْطَأَ بِالْوَحْيِ ؛ وَإِنَّمَا كَانَ
النَّبِيُّ عَلَىٰ بَنِي أَبِي طَالِبٍ اسْتَيْدَبَ ؛ فَإِنْ تَابَ وَإِلَّا قُتِلَ ^(٦) .

وَنَحْوَهُ عَنْ سُحْنُونِ [٢٨٠] . وَهَذَا قَوْلُ الْغَرَابِيَةِ مِنَ الرَّوَافِضِ ؛ سُمُّوا بِذَلِكَ
لِقَوْلِهِمْ : كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَشْبَهَ بَعْلَىٰ مِنَ الْغَرَابِ بِالْغَرَابِ .

وَقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ وَأَصْحَابُهُ عَلَىٰ أَصْلِهِمْ ^(٧) : مَنْ كَذَّبَ بِأَحَدٍ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ ،
أَوْ تَنَقَّصَ أَحَدًا مِنْهُمْ ، أَوْ بَرَىٰ مِنْهُ فَهُوَ مُرْتَدٌّ .

(١) تنقصه : نسب إلى أحد منهم النقص بما لا يليق به .

(٢) ولم يستب ؛ وإن تاب لم تنفعه توبته ، لأن حده القتل .

(٣) قتل ، لجراته على الله وملائكته .

(٤) فعليه القتل ، لأنهم عباد مكرمون ببرة مبرهون من النقائص .

(٥) كتاب « النوادر » لابن أبي زيد .

(٦) استيذب : عرضت عليه التوبة عما قاله . قتل : لسكذبه على جبريل ونسبته للخطأ ،

وهو لا يفعل إلا ما يؤمر به .

(٧) على أصلهم : على قاعدة مذهبهم .

وقال أبو الحسن النّابسيّ في الذي قال لآخر^(١)، كأنه وَجّه مالك^(٢) النّضبان، لو عُرِف أنه قصد ذمّ الملكِ قُتِل^(٣).

قال القاضي أبو الفضل^(٤) : وهذا كله فيمن تكلم فيهم بما قلناه على جُملة الملائكة والنبيين، أو على مُعَيَّنٍ يَمُنُّ حَقَّقْنَا كونه من الملائكة والنبيين مِمَّنْ نَصَّ اللهُ عليه في كتابه، أو حَقَّقْنَا عَلَيْهِ بالخبر المتواتر، والمشتهر^(٥) المتفق عليه بالإجماع القاطع؛ كجبريل وميكائيل، ومالك، وخزنة الجنة، وجهنم، والزبانية^(٦)، وحملة العرش المذكورين في القرآن من الملائكة، وَمَنْ سُمِّيَ فِيهِ^(٧) مِنَ الْأَنْبِيَاءِ؛ وكعزرائيل، وإسرافيل، ورضوان، والحفظة^(٨)، وَمُنْكَرٍ وَنَكِيرٍ^(٩) من الملائكة المتفق على قَبُولِ الْخَبْرِ بِهِمَا؛ فَأَمَّا مَنْ لَمْ تَثْبُتِ الْأَخْبَارُ بِتَعَيُّنِهِ، وَلَا وَقَعَ الْإِجْمَاعُ عَلَى كَوْنِهِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ أَوْ الْأَنْبِيَاءِ؛ كَهَارُوتَ وَمَارُوتَ فِي الْمَلَائِكَةِ،

(١) لآخر ممن يكرهه .

(٢) يريد مالك خازن النار .

(٣) قتل : فإن لم يعلم ذلك لم يقتل لتصوره أن غضبه امتثالا لأمر ربه في معاملة أهل جهنم بذلك، كالجنان المشدد على من في سجنه بأمر الملك .

قال الخفاجي : وهذا مذهب مالك وأبو حنيفة . وأما عند الشافعي ففيه خلاف في كتبهم .

(٤) هو المؤلف .

(٥) الخبر المتواتر : الذي لا يقبل الكذب . والشهور : وهو ما رواه جمع كثير لم يلبثوا حد التواتر .

(٦) الزبانية : ملائكة المذاب .

(٧) سمى فيه : في القرآن .

(٨) الحفظة : هم الكرام الكاتبون .

(٩) منكر ونكير : للملكان اللذان يأتيان الميت ليسألاه في قبره .

وَالْحِضْر، وَأُقْمَان^(١)، وَذِي الْقَرْنَيْنِ^(٢)، وَمَرْيَمَ^(٣)، وَأَسِيَةَ^(٤)، وَخَالِدِ بْنِ سِنَانِ الْمَذْكُورِ أَنَّهُ نَبِيٌّ أَهْلُ الرَّسِّ^(٥)، وَزَرَادُشْتُ^(٦) الَّذِي بَدَّعَى الْجُوسُ الْمُؤْرَخُونَ نُبُوَّتَهُ ، فَلَيْسَ الْحُكْمُ فِي سَابِقِهِمُ وَالْكَافِرِينَ بِهَمِّ كَالْحُكْمِ فِيهِمْ نَدَمْنَا^(٧) إِذْ لَمْ تَثْبُتْ لَهُمْ تِلْكَ الْحُرْمَةُ ، وَلَكِنْ يُزَجَرُ مَنْ تَنَقَّصَهُمْ وَأَذَاهُمْ ، وَيُؤَدَّبُ بِقَدْرِ حَالِ الْمُقُولِ فِيهِمْ ، لِأَسْبَابٍ مَنْ عُرِفَتْ صِدْقِيَّتُهُ^(٨) وَفَضْلُهُ مِنْهُمْ ؛ وَإِنْ لَمْ تَثْبُتْ نُبُوَّتُهُ^(٩) .

وَأَمَّا لِانْكَارِ نُبُوَّتِهِمْ^(١٠) أَوْ كَوْنِ الْآخِرِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ^(١١) فَإِنْ كَانَ الْمُتَكَلِّمُ فِي ذَلِكَ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ فَلَا حَرَجَ لِاخْتِلَافِ الْعُلَمَاءِ فِي ذَلِكَ ؛ وَإِنْ كَانَ مِنْ عَوَامِّ

(١) لقمان الحكيم .

(٢) قال الخفاجي : واختلف فيه هل كان نبيا أم لا ؟ والأكثر أنه رجل صالح على

دين إبراهيم . (٣) مريم ابنة عمران .

(٤) آسية : امرأة فرعون ، وكانت امرأة مؤمنة سالحة ، ولم تكن نبية على الصحيح .

(٥) هو من بني عيس ، وكان هو وقومه يسكنون عدن ، ولما بعث النبي صلى الله عليه وسلم

جاءته ابنته وأخبرته بأنها ابنته ، فقتل لها : مرحبا بابنة نبي ضيعة قومه .

وانظر في ترجمته - نسيم الرياض : ٤ - ٥٩٢ ، والإصابة : ٢ - ٣٦٩

(٦) كان زرادشت حكيمًا .

قال في نسيم الرياض (٤ - ٥٩٣) : قال نجم الدين الطوفي : زرادشت : متفق على عدم نبوته .

وقال الشهرستاني في الملل والنحل : زرادشت حكيم مجوسى ظهر في زمن موسى عليه السلام

من أذربيجان ، وهو - كما تزعم الصائبة - نبى مرسل .

(٧) فيمن قدمناه ؛ ممن اتفق على أنه نبى أو ملك .

(٨) صديقيته : أى من عرف تصديقه بالله وآياته وشرائعه .

(٩) لم تثبت نبوته ؛ أى كونه نبيا بنص معلوم ، لكنه علم فضله وصديقيته فإنها كافية في

لزوم توقيره . (١٠) فى ب : نبوته .

(١١) الآخر من الملائكة : كهاروت وماروت . من أهل العلم : العالمين بما قاله علماء

السلف الثقات . فلا حرج : لا إثم ولا تضييق عليه بما يقوله نقلا عنهم ؛ لاختلاف العلماء

المجتهدين والمؤلفين الممول عليهم فى ذلك للذكور من كونهم أنبياء أو ملائكة .

الناس زُجِرَ عن الخوضِ في مثلِ هذا^(١)؛ فإن عاد أدبٌ؛ إذ ليس لهم الكلامُ في مثلِ هذا .

وقد كرهَ السلفُ الكلامَ في مثلِ هذا مما ليس تحتَه عملٌ^(٢) لأهلِ العلمِ ، فكيف للعامة .

فصل

اعلمَ أن من استخفَّ بالقرآن أو المصحف^(٣) أو بشيء منه ، أو سبهمَا ، أو جحدَه^(٤) ، أو حرفامنه أو آيةً ، أو كذبَ به^(٥) أو بشيء منه ، أو كذبَ بشيء مما صرَّحَ به فيه من حُكْمٍ أو خبرٍ ؛ أو أثبتَ ما نفاهُ أو نفيَ ما أثبتَه على علمٍ منه بذلك ، أو شكَّ في شيء من ذلك فهو كافرٌ عند أهلِ العلمِ بإجماعٍ ؛ قال اللهُ تعالى^(٦) : ﴿ لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ .

(١) عن الخوض في مثل هذا ؛ أى التسكُّم والمحادثة به ؛ أى نهى ومنع عنه وعن المجادلة فيه والتسكُّم فيما لا يعنيه ، وهو الأمر الذى فيه خلاف من غير علم به ؛ لأنه ليس أهلاً له ؛ فقد يقع في ورطة تجره لما يصعب عليه الخلاص منه .

(٢) في مثل هذا : الأمر الذى اختاف فيه . أى ليس تحتَه ؛ أى فى معناه وما يدل عليه ؛ فكأنه أمر يجب ستره . عمل ، أى من أعمال العبادة والطاعة ؛ فتركة لا يفوت به شيء ، وذكره لا يترتب عليه أمر من الطاعة .

(٣) استخف بالقرآن : تهاون بتعظيمه وتوقيره . أو المصحف : قال الخفاجى : المراد بالمصحف صور ألفاظه المرسومة وما كتب فيه .

(٤) قال الخفاجى : الفرق بين التكذيب والجحد أن الأول مطلق الإنكار ، والثانى الإنكار لما يعلم حقيقته عنادا . (٥) كذب به ؛ أى يجزء منه ملفوظ أو مكتوب . (٦) سورة فصلت ، آية ٤٣

قال الخفاجى : هذا مثل ضربه الله لئنى تعلق الإبطال ، وأنه لا يتوصل إليه ، فلا يجد طمن طاعن إليه سبيلا ؛ لأنه فى غاية الإحكام والرصانة ؛ فلا يتطرق الباطل له من جهة من الجهات ؛ فقولُه : « من بين يديه ولا من خلفه » - كناية عن سائر الجهات .

حدثنا الفقيه أبو الوليد هشام بن أحمد رحمه الله ، حدثنا أبو علي ، حدثنا ابن عبد البر ، حدثنا ابن عبد المؤمن^(١) ، حدثنا ابن داسة ، حدثنا أبو داود ، حدثنا أحمد بن حنبل ، حدثنا يزيد بن هارون ، حدثنا محمد بن عمرو^(٢) ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ؛ قال^(٣) : المرء^(٤) في القرآن ككفره ؛ تؤول^(٥) بمعنى الشك وبمعنى الجدال^(٦) .

وعن ابن عباس ، عن النبي صلى الله عليه وسلم^(٧) : مَنْ جَحَدَ آيَةً مِنْ كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَقَدْ حَلَّ ضَرْبُ عُنُقِهِ ؛ وَكَذَلِكَ إِنْ جَحَدَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَكُتِبَ اللَّهُ الْمَنْزَلَةَ ، أَوْ كَفَرَ بِهَا ، أَوْ لَعَنَهَا ، أَوْ سَبَّهَا ، أَوْ اسْتَخَفَّ بِهَا فَهُوَ كَافِرٌ^(٨) .

وقد [٢٨١] أجمع المسلمون أن القرآن المتأول في جميع أقطار الأرض المكتوب في المصحف بأيدي المسلمين ، مما جمعه الدفتان^(٩) من أول : الحمد لله رب العالمين إلى آخر : قل أعوذ برب الناس - أنه كلام الله ووحيه المنزل على نبيه محمد

(١) هو عبد الله بن محمد بن عبد المؤمن القرطبي .

(٢) هو محمد بن عمرو بن علقمة بن أبي وقاص الليثي ، أخرج له الشيخان وغيرهما ،

توفي سنة مائة وأربعة وأربعين .

(٣) في حديث صحيح رواه أبو داود وأحمد في مسنده : سنن أبي داود : ٢ - ١٦٩

(٤) المرء : من الربة ؛ وهي التردد في الأمر ، وهي أخص من الشك .

(٥) تؤول : تأوله وفسره بعضهم .

(٦) قال الخفاجي : الشك معلوم . والجدال ، من الجدل ، وهو النزاع والمناجاة ، من

جدلت الجبل ؛ إذا أحكمت قتله ، كأن كل واحد منهما يقتل صاحبه عن رأيه ، أى بصرفه .

(٧) في حديث رواه ابن ماجه : سنن ابن ماجه : ٨٤٩

(٨) هو كافر ، لأنها كلها كلام الله تعالى .

(٩) الدفتان : مثنى دفة - بفتح الدال وضمة ، وهو جانب الشيء الذي يقيه من جلد

وخشب ونحوه .

صلى الله عليه وسلم ؛ وأن جميع ما فيه حق ، وأن من نقص منه حرفاً قاصداً لذلك ، أو بدله بحرف آخر مكانه ، أو زاد فيه حرفاً مما لم يشتمل عليه المصحف الذي وقع الإجماع عليه ، وأجمع على أنه ليس من القرآن عامداً لكل هذا - أنه كافر^(١) .

ولهذا^(٢) رأى مالك قتل من سب عائشة رضي الله عنها بالقرية^(٣) ؛ لأنه خالف القرآن ؛ ومن خالف القرآن قتل ؛ لأنه كذب بما فيه .

وقال ابن القاسم : من قال إن الله تعالى لم يكلم موسى تسليماً يقتل^(٤) ؛ وقاله عبد الرحمن بن مهدي^(٥) .

وقال محمد بن سحنون فيمن قال : المودتان^(٦) ليستا من كتاب الله يضرب عنقه إلا أن يتوب .

وكذلك كل من كذب بحرف منه . قال : وكذلك إن شهد شاهد على من قال : إن الله لم يكلم موسى تسليماً ؛ وشهد آخر عليه أنه قال : إن

(١) قال في نسيم الرياض : (٤ - ٥٩٨) :

فإن قلت : ما بين الدفتين يشمل البسمة في أول كل سورة ، فإنها ثابتة في المصحف العثماني ، وبها قرأ بعض القراء السبعة فصلاً ووصلاً ؛ فيلزم تكفير من قال : إنها ليست قرآناً في أوائل السور .

قلت : المراد بما بين الدفتين ما أثبت فيه متفقاً على قرآنيته ، وهذا ليس كذلك ؛ فهو كأسماء السور ؛ وهذا معلوم من قوله : الذي وقع الإجماع عليه ؛ فخرج ما ذكر .

(٢) ولهذا ؛ لأجل أن جميع ما في المصحف حق ، وأن من زاد فيه أو نقص - كافر .

(٣) القرية : الافتراء والكذب عابها بما قاله المنافقون في قصة الإفك المشهورة .

(٤) يقتل ؛ لأنه كذب الله في قوله : وكلم الله موسى تسليماً .

(٥) عبد الرحمن بن مهدي أحد الأعلام في الحديث ؛ قال ابن المديني : كان أعلم الناس بالحديث . ولد في سنة خمس وثلاثين ومائة ، وتوفي سنة ثمان وتسعين ومائة ، وأخرج له الستة .

(٦) المودتان : هما سورتنا « قل أعوذ برب الفلق » ، و « قل أعوذ برب الناس » .

الله ما اتخذ إبراهيم خليلاً ؛ لأنهما اجتمعا على أنه كذب النبي صلى الله عليه وسلم (١) .

وقال أبو عثمان بن الحداد (٢) : جميع من ينتحل التوحيد (٣) متفقون أن الجحد لحرف من التنزيل كفر .

وكان أبو العالية إذا قرأ عنده رجل لم يقل له ليس كما قرأت ، ويقول : أما أنا فأقرأ كذا (٤) ، فبلغ ذلك إبراهيم ؛ فقال : أراه سيع أنه من كفر بحرف منه فقد كفر به كله .

وقال أصبغ بن الفرج : من كذب ببعض القرآن فقد كذب به كله ، ومن كذب به فقد كفر به ، ومن كفر به فقد كفر بالله .

وقد سئل القاسمي عن خصم يهودياً خلف له بالتوراة ، فقال الآخر : لمن الله التوراة ، فشهد عليه بذلك شاهد ؛ ثم شهد آخر أنه سأله عن القضية (٥) فقال : إنما لعنت توراة اليهود ؛ فقال أبو الحسن : الشاهد الواحد لا يوجب القتل ، والثاني علق الأمر بصفة تحتمل التأويل ؛ إذ لعله لا يرى اليهود متمسكين بشيء من عند الله لتبديلهم وتحريفهم .

(١) كذب النبي صلى الله عليه وسلم فيما جاء به من الوحي ؛ من ورود تكليمه ، واتخاذه خليلاً في القرآن مصرحاً به .

(٢) أبو عثمان بن الحداد : القاضى المصرى الشافى الكنانى صاحب التأليف البديمة ، والآثار العجيبة . توفى سنة أربع وأربعين وثلاثمائة .

(٣) ينتحل التوحيد : يدعيه وينسب إليه . قال الخفاجى : ويستعمل كثيراً بمعنى الزعم .

(٤) تفادياً عن الإنكار صريحاً .

(٥) عن القضية التى جرت بينهما .

ولو اتفق الشاهدان على لعن التوراة مجرداً لطاق التأويل^(١) .

وقد انفق فتهاه بغداد على استنابة ابن شنبوذ^(٢) المقرئ أحد أئمة القرنين المتصدرين بها مع ابن مجاهد^(٣) ؛ لقراءته وإقرانه بشواذ من الحروف مما ليس في المصحف ، وعقدوا عليه بالرجوع عنه والتوبة عنه سجلاً^(٤) أشهد فيه بذلك على نفسه في مجلس الوزير أبي علي بن مقلّة سنة ثلاثٍ وعشرين وثلاثمائة ؛ وكان فيمن أفتى عليه بذلك أبو بكر الأبهريّ وغيره .

وأفتى أبو محمد بن أبي زيّد بالأدب^(٥) فيمن قال لصبيّ : لعن الله معلّمك وما علمك . وقال^(٦) : أردتُ سوء الأدب ، ولم أريد القرآن .
قال أبو محمد : وأما من لعن المصحف فإنه يُقتل^(٧) .

-
- (١) لعنا مجرداً عما قاله ثانياً من تمليقه بأمر ، وتقييده بصفة يحتمل إضافتها لليهود .
لطاق التأويل عن صرفه عن ظاهره لأمر آخر .
(٢) ابن شنبوذ : هو أبو الحسن محمد بن أحمد بن أيوب . وهو من مشاهير علماء القراءات ، وكان من أعيان العلماء الرؤساء مع غفلة فيه .
(٣) ابن مجاهد : أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد التيميّ رئيس القراء ، ولد سنة خمس وأربعين ومائتين .

(٤) السجل : اسم لما يكتب فيه .

(٥) بالأدب : بالتأديب والتميز بما يليق به .

(٦) وقال : أي اللاعن . سوء الأدب في حال قراءته ، وعدم تعظيم ما قرأه ووقوعه على

حال غير مستحسنة ؛ فإن للقارئ آداباً ذكرها ، من خالفها ساء أدبه .

(٧) المراد أنه يكفر ويستحق القتل .

فصل

وسب آل بيته^(١) وأزواجه وأصحابه^(٢) صلى الله عليه وسلم وتنفصهم حرام ملعون^(٣) فاعله .

حدثنا^(٤) القاضي الشهيد أبو علي رَحِمَهُ اللهُ ، حدثنا أبو الحسين [٢٨٢] الصِّيرْفِيُّ وأبو الفضل العَدْلُ ، حدثنا أبو يَنَالِي ، حدثنا أبو علي السنجي ، حدثنا ابن محبوب ، حدثنا الترمذي ، حدثنا محمد بن يحيى^(٥) ، حدثنا يعقوب بن إبراهيم^(٦) ، حدثنا عبيدة بن أبي رابطة^(٧) ، عن عبد الرحمن بن زياد ، عن عبد الله بن مُعَقَّل ؛ قال : قال رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم : اللهُ ، اللهُ في أصحابي^(٨) ، لا تتخذوهم غرضاً بعدى^(٩) ؛ فمن أحبهم فبحبي أحبهم ، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم ، ومن

(١) آل النبي صلى الله عليه وسلم للفقهاء فيهم اختلاف ؛ فذهب الشافعي إلى أنهم على وفاطمة وولديهما والعباس وجمهر ، وعقيل ، وآلم ؛ وهم من لا تحل لهم الزكاة من بني عبد المطلب ، لحديث : نحن وبنو عبد المطلب شيء واحد لم نفرق في جاهلية ولا إسلام - وشبك بين أصابعه .
وفي ب : وسب آل النبي صلى الله عليه وسلم وآل بيته .

(٢) أصحابه : جمع صاحب ؛ وهو من لقيه صلى الله عليه وسلم مسلماً .

(٣) ملعون : مطرود مبعد من رحمة الله .

(٤) رواه الترمذي : سنن الترمذي : ٥ - ٦٩٦ .

(٥) هو محمد بن يحيى بن عبد الله بن خالد بن فارس ، أبو عبد الله الذهلي ، توفي سنة خمس

وخمسين ومائتين .

(٦) هو يعقوب بن إبراهيم بن سعد الزهري ، توفي سنة مائتين وثمان ، وأخرج له الستة .

(٧) هو ثقة أخرج له أصحاب السنن .

(٨) الله الله : اتقوا الله . قال الخفاجي : كرره ووضع الظاهر موضع الضمير مبالغة في

التحذير وتأكيداً في تعظيم أمرهم وشأنهم .

(٩) لا تتخذوهم غرضاً بعدى :

الغرض : هو الهدف الذي ينصب ليرمى بالسهم ؛ وشبه به من ينم ويظمن فيه . بعدى :

بعد موتي .

أَذَاهُمْ فَقَدْ آذَانِي ، وَمَنْ آذَى آذَى اللَّهِ ^(١) ، وَمَنْ آذَى اللَّهَ يَوْشِكُ أَنْ يَأْخُذَهُ ^(٢) .

وقال رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم : لا تسبوا أصحابي ، فمن سبهم فعليه لعنةُ اللهِ والملائكةِ والناسِ أجمعين ، لا يقبلُ اللهُ منه صرفاً ولا عدلاً ^(٣) .

وقال صلى اللهُ عليه وسلم : لا تسبوا أصحابي ، فإنه يجيء قومٌ في آخر الزمانٍ يسبون أصحابي فلا تُصأوا عليهم ، ولا تُصلوا معهم ^(٤) ، ولا تناكحوهم ، ولا تجالسوهم ؛ وإن مرضوا فلا تعودوهم ^(٥) .

وعنه صلى اللهُ عليه وسلم : من سب أصحابي فاضربوه .

وقد أعلمَ النبيُّ صلى اللهُ عليه وسلم أن سبهم وأذاهم يُؤذيه ؛ وأذى النبيِّ صلى اللهُ عليه وسلم حرامٌ ؛ فقال : لا تؤذوني في أصحابي ، ومن آذاهم فقد آذاني . وقال : لا تؤذوني ^(٦) في عائشة .

(١) آذى الله : الأذية : إيصال الضرر ؛ فالمراد أنه خالف أمره ونهيه ؛ إذ لا تتصور الأذية في حقه عز وجل .

(٢) يوشك : يقرب . يأخذه : يهلكه .

قال الخفاجي : وفي هذا الحديث إشارة إلى شدة قربهم منه صلى اللهُ عليه وسلم ، وتزليلهم منزلة نفسه ، حتى كأن أذيتهم أذية له وواقعة عليه ؛ ثم أظهر ذلك على وجه أكده بقوله : فقد آذى الله ، إذ لا يضر الله شيء ، فهو إيماء لشدة قربهم - صلى اللهُ عليه وسلم - من الله .

(٣) صرفاً : توبة أو طاعة تصرف وجهه لطاعة الله . ولا عدلاً : العدل : التندية . والحديث

في صحيح مسلم : ١٩٦٧

(٤) لا تصلوا عليهم ، أى بعد موتهم . ولا تصلوا معهم ، أى لا تقندوا بهم .

(٥) قال في نسيم الرياض : وظاهر هذا الحديث أن سب الصحابة كفر مطلقاً ، وليس

كذلك ، فإن فيه تفصيلاً يأتي .

(٦) في ١ : لا تؤذيني .

وقال - في فاطمة : بَضْعَةٌ^(١) مني يؤذيني ما آذاها .

وقد اختلف العلماء في هذا ؛ فمشهورُ مذهب مالك في ذلك الاجتهاد^(٢) والأدبُ الموجه ؟ قال مالك رحمه الله : مَنْ شَتَمَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُتِلَ ؛ وَمَنْ شَتَمَ أَصْحَابَهُ أُدِّبَ .

وقال أيضا : مَنْ شَتَمَ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أبا بكر ، أو عمر ، أو عثمان ، أو معاوية ، أو عمرو بن العاص ؛ فَإِنْ قَالَ : كَانُوا عَلَى ضَلَالٍ وَكُفْرٍ قُتِلَ^(٣) ؛ وَإِنْ شَتَمَهُمْ بِغَيْرِ هَذَا مِنْ مُشَايِمَةِ النَّاسِ نُكِلَ نِكَالًا شَدِيدًا^(٤) .
وقال ابن حبيب : من غلّا من الشيعة إلى بُغضِ عثمان والبراءة^(٥) منه أدبَ أدبًا شديدًا ؛ وَمَنْ زَادَ إِلَى بُغْضِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ فَالْعُقُوبَةُ عَلَيْهِ أَشَدُّ ، وَيَكْرَرُ ضَرْبَهُ ، وَيُطَالُ سِجْنُهُ حَتَّى يَمُوتَ ، وَلَا يُبَلِّغُ بِهِ الْقَتْلُ إِلَّا فِي سَبِّ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وقال سُخْنُونُ : مَنْ كَفَرَ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : عَلِيًّا ، أو عثمان ، أو غيرَهما - بُوِجِعَ ضَرْبًا^(٦) .

(١) البضعة - بفتح الباء ، وقد تكسر : القطعة من اللحم . وحديث فاطمة في سنن

الترمذى : ٥ - ٦٩٩

(٢) الاجتهاد للحاكم ، فيفوض لرايه وما يقتضيه

(٣) قتل ، لأن فيه تكذيبا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولجميع الأمة . وهذا إذا لم يؤوله

بأن قال : أردت : قبل إسلامهم . وهذا مذهب مالك .

(٤) نكل : عوقب . نكالا شديدا بما يوجهه من ضرب مؤلم ونحوه .

(٥) غلا : بالغ . من الشيعة : المفرطين في محبة علي واعتقاد أفضليته ، وانتهى في غلوه

إلى بغض عثمان بن عفان .

(٦) قال الخفاجي : وهذا المذكور عن مذهب مالك مخالف لما تقدم من أن من قال إنهم

كانوا على ضلال وكفر قتل ، ولذا عقبه بقوله : وحكى أبو محمد

وحكى أبو محمد بن أبي زيد ، عن سُخْنُونِ : مَنْ قَالَ فِي أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُمَانُ وَعَلِيٌّ : إِنَّهُمْ كَانُوا عَلَى ضَلَالَةٍ وَكُفْرٍ فُتِلَ . وَمَنْ شَتَمَ غَيْرَهُمْ مِنَ الصَّحَابَةِ بِمِثْلِ ذَلِكَ نَكَلَ النَّكَالَ الشَّدِيدَ ^(١) .

وَرُوِيَ عَنْ مَالِكٍ ^(٢) : مَنْ سَبَّ أَبَا بَكْرٍ جُلِدَ ، وَمَنْ سَبَّ عَائِشَةَ قُتِلَ . قِيلَ لَهُ : لِمَ ؟ قَالَ : مَنْ رَمَاهَا فَقَدْ خَالَفَ الْقُرْآنَ ^(٣) .

وَقَالَ ابْنُ شَعْبَانَ عَنْهُ : لِأَنَّ اللَّهَ يَقُولُ ^(٤) : ﴿ يَعْظُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِإِلَهِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ ؛ فَمَنْ عَادَ لِإِلَهِهِ فَقَدْ كَفَرَ ^(٥) .

وَحَكَى أَبُو الْحَسَنِ الصَّمْعَانِيُّ أَنَّ الْقَاضِيَّ أَبَا بَكْرٍ بْنَ الطَّيِّبِ ^(٦) قَالَ : إِنْ اللَّهُ تَعَالَى إِذَا ذَكَرَ فِي الْقُرْآنِ مَا نَسَبَهُ إِلَيْهِ الْمَشْرُوكُونَ سَبَّحَ نَفْسَهُ لِنَفْسِهِ ^(٧) ؛ كَقَوْلِهِ ^(٨) : ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَہٗ ﴾ . . . فِي آيٍ كَثِيرَةٍ .

(١) بِمِثْلِ ذَلِكَ : بِنَسَبَتِهِمُ لِلضَّلَالِ وَالْكُفْرِ . نَكَلَ النَّكَالَ الشَّدِيدَ : عَوَقَبَ الْعِقَابَ الشَّدِيدَ بِلا قَتْلٍ ؛ لِالْفَرَقِ بَيْنَ كِبَارِ الصَّحَابَةِ وَغَيْرِهِمْ . (٢) فِي قَوْلِ آخِرِ لَهُ .

(٣) مَنْ رَمَاهَا : مَنْ سَبَّهَا وَانْتَرَى عَلَيْهَا بِمَا بَرَّاهَا اللَّهُ مِنْهُ ، فَقَدْ خَالَفَ الْقُرْآنَ ، لِأَنَّ اللَّهَ بَرَّاهَا فِيهِ مِنْ كُلِّ عَيْبٍ فِي قِصَّةِ الْإِفْكِ . (٤) سُورَةُ النُّورِ ، آيَةُ ١٧ .

(٥) قَالَ فِي نَسِيمِ الرِّيَاضِ : وَقَدْ تَقَدَّمَ عَنِ ابْنِ الْعَرَبِيِّ قَرِيبًا أَنَّهُ قَالَ : إِنْ أَصْحَابُ الشَّافِعِيِّ قَالُوا : إِنْ مِنْ سَبِّ عَائِشَةَ أَدَبٌ كَمَا فِي سَائِرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ لَا يَقْتَضِي أَنَّهُ كُفْرٌ ، لِأَنَّهُ تَفْلِيظٌ فِي الزَّجْرِ ، كَقَوْلِهِ : لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي ، وَهُوَ مُؤْمِنٌ . وَأَنَّهُ أَجَابَ بِأَنَّ مَالِكَ سَأَلَ عَمَّنْ رَمَى عَائِشَةَ بِالْإِفْكِ ، فَقَالَ : لَيْسَ هُوَ كَرَمِي غَيْرَهَا ، لِأَنَّ اللَّهَ بَرَّاهَا بِمَا قَالُوهُ ، فَرَامِيهَا مَكْذُوبٌ لِلَّهِ فِيمَا أَخْبِرُ بِهِ مِنْ بَرَاءَتِهَا .

(٦) هُوَ الْبِاقِلَانِيُّ .

(٧) سَبَّحَ : تَزَهَّ ، وَبَرَّأ . نَفْسَهُ : ذَاتَهُ الْمُقَدَّسَةَ . لِنَفْسِهِ : أَيُّ قَالَهُ ابْتِدَاءً مِنْ غَيْرِ نَسَبِهِ لغيره .

(٨) سُورَةُ الْإِنْبِيَاءِ ، آيَةُ ٢٦ .

وَقَدْ نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي خَزَاعَةَ ؛ إِذْ قَالُوا : الْمَلَائِكَةُ بَنَاتُ اللَّهِ .

وذكر تعالى ما نسبته المنافقون إلى عائشة فقال^(١) : ﴿وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ ، هَذَا بَهْتَانٌ عَظِيمٌ﴾ - سَبَّحَ نَفْسَهُ فِي تَبْرِئِهَا^(٢) من السوء ، كما سَبَّحَ نَفْسَهُ فِي تَبْرِئِئِهِ مِنَ السَّوِّءِ^(٣) .

[٢٨٣] وهذا يشهد لقول مالك في قتل من سب عائشة .

ومعنى هذا ، والله أعلم ، أن الله ، لَمَّا عَظَّمَ^(٤) سَبَّهَا كما عَظَّمَ سَبَّهُ ، وكان سَبُّهَا سَبًّا لِنَبِيِّهِ ، وقرآن سب نبيه وأذاه بأذاه تعالى ؛ وكان حُكْمُ مُؤْذِيهِ تَعَالَى القتل كان مُؤْذِي نَبِيِّهِ كذلك كما قدمناه^(٥) .

وشتم رجل عائشة بالكوفة ، فقدم إلى موسى بن عيسى العباسي^(٦) ؛ فقال :

(١) سورة النور ، آية ١٦

هذا بهتان عظيم ، أى افتراء عظيم لا يليق بماعقل التكلم به .

(٢) سبح نفسه : برأها ونزهها مبالغة في نزيه عائشة .

(٣) قال في نسيم الرياض (٤ - ٦١٠) : فيه تنويه بقدرها ورفع مقامها حيث جعل

مالا يليق بالله لا يليق بها .

(٤) أى جملة عظيما في قبحه .

(٥) قال في نسيم الرياض (٤ - ٦١١) :

وأورد عليه أنه على ما قاله ليس قتله بسب عائشة رضى الله عنها ؛ بل للآزمة من سبه النبي

صلى الله عليه وسلم .

وأبضا لوسلم هذا لزم قتل أصحاب الإفك ، ولم يقع .

وأبضا قد تقدم الفرق بين من سب الله وسب رسوله صلى الله عليه وسلم على أقوال تقدمت .

وأبضا يازمه ذلك في سب الصحابة مطلقا ؛ لأنه يؤذيه صلى الله عليه وسلم .

وليس بشيء ؛ لما علمته من أن المراد به أذية عظيمة لما فيه من الشين الذي لا يرضاه أحد

في نسبة أهله للزنا والرضاء به .

وأما عدم قتل أهل الإفك المنافقين في حياته صلى الله عليه وسلم فلحكمة اقتضته من إثارة

الفتن وصد من ضعف إسلامه عنه بإشاعة أنه يقتل أصحابه .

(٦) قال الخفاجى : المعروف في التواريخ أنه عيسى بن موسى بن علي بن عبد الله بن العباس

من حضر هذا؟ فقال ابن أبي ليلى^(١) : أنا ؛ فجلده ثمانين ، وحلق رأسه^(٢) ،
وأسله إلى الحجامين^(٣) .

[وَرَوَى عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ أَنَّهُ نَذَرَ^(٤) قَطْعَ لِسَانِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ ؛
إِذْ شَتَمَ الْمُقَدَّادَ بْنَ الْأَسْوَدِ ، فَكَلَّمَهُ فِي ذَلِكَ ، فَقَالَ : دَعَوْنِي أَقْطَعُ لِسَانَهُ حَتَّى لَا يَشْتَمَ
أَحَدٌ بَعْدُ أَصْحَابَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ^(٥)] .

وَرَوَى أَبُو ذَرٍّ الْهَرَوِيُّ^(٦) أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ أُنِيَ بِأَعْرَابِيٍّ يَهْجُو الْأَنْصَارَ ،
فَقَالَ : لَوْلَا أَنَّ لَهُ صَحْبَةً لَكُفَيْتُمُوهُ^(٧) .

قال مالك : مَنْ انتقص^(٨) أحداً من أصحابِ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فليس

(١) ابن أبي ليلى : محمد بن عبد الرحمن الأنصاري الفقيه المشهور ، وكان أفتة أهل عصره ،
وأعلمهم بالسنة حتى وصل لمرتبة الاجتهاد .

والشتم : المراد به هنا القذف ، فسكأنه يذكر قصة الإفك ، بدليل قوله : فجلده ثمانين ،
لأنه حد القذف .

(٢) حلق رأسه ؛ لأن هذا كان تمزيراً في العصر الأول ؛ لأن العرب كانت لا تحلق الرؤوس
إلا في نكح ، وكان الأسير إذا حلق رأسه عدوه عارا عليه .

قال الخفاجي : وجمع له بين الحد والتمزير ؛ لأنه لا يجوز الجمع بينهما عند الشافعي في
مسائل ذكرها .

(٣) أسله إلى الحجامين : قال الخفاجي : تسليمه لهم إما ليحبس عندهم ، أو ليخرجوا
منه دما يصفه ، أو ليكون معهم في خطمهم ؛ فهو نقي له ، أو هو إهانة له ؛ يسقط قبول شهادته
برذالة صنمته ، وهذا أظهر . وفي ١ : في الحجامين .

(٤) المراد بالنذر هنا : إلتزام نفسه جزماً بفعله .

(٥) وقطع اللسان من المذكور تمزير له لا حد ؛ فإنه لا تجوز الشفاعة فيه بخلاف التمزير .
وما بين القوسين ساقط في ب .

(٦) أبو ذر الهروي : هو عبد الله بن أحمد بن محمد بن عبد الله الهروي الحافظ .

(٧) لكفيتموه : لقتلته وكفيتكم شره وهجوه ؛ ولكن لشرف صحبته عفا عنه .

(٨) انتقص أحداً من أصحاب النبي : ذكروهم بما فيه نقص لهم .

له في هذا النبي حق^(١) ، قد قسم الله النبي في ثلاثة أصناف ، فقال^(٢) : ﴿ للفقراء المهاجرين الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ .

ثم قال^(٣) : ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ ، وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْتُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ .

وهؤلاء هم الأنصارُ .

ثم قال^(٤) : ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ .

فَمَنْ تَنَفَّسَهُمْ فَلَا حَقَّ لَهُ فِي قِيَامِ الْمُسْلِمِينَ .

وفي كتاب ابن شعبان : مَنْ قَالَ فِي وَاحِدٍ مِنْهُمْ إِنَّهُ ابْنُ زَانِيَةٍ وَأُمُّهُ مُسْلِمَةٌ حُدَّ عِنْدَ بَعْضِ أَصْحَابِنَا حَدَيْنِ : حَدًّا لَهُ ، وَحَدًّا لِأُمِّهِ ؛ وَلَا أُجْعَلُهُ كَقَازِفِ الْجَمَاعَةِ فِي كَلِمَةٍ لَفْضَلِ هَذَا^(٥) عَلَى غَيْرِهِ ، وَلَقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ سَبَّ أَصْحَابِي فَاجْلِدُوهُ ؛ قَالَ : وَمَنْ قَذَفَ أُمَّ أَحَدِهِمْ وَهِيَ كَافِرَةٌ حُدَّ حَدًّا الْفَرِيَّةِ^(٦) ؛

(١) فليس له في هذا النبي حق ؛ لا نصيب له في مال يؤخذ فيثا من الكفار . والنبي : ما أخذ من الكفار من غير قتال ، فيدخل فيه الخراج والمشر والغنيمة .

(٢) سورة الحشر ، آية ٨

أى الذين هاجروا من ديارهم للمدينة لنصرة نبيه صلى الله عليه وسلم ، وابتغاء فضل الله ورضوانه .

(٤) سورة الحشر ، آية ١٠

(٣) سورة الحشر ، آية ٩

فهؤلاء يدعون ويستنفرون لهم ويعظمونهم بسبقهم للسعادة في الدارين .

(٦) الفرية : الكذب .

(٥) لفضل هذا على غيره : لزيادة جرمه .

لأنه سبُّه ؛ فإن كان أحدٌ من وُلدِ هذا الصحابيِّ حيًّا قام^(١) بما يجبُ له ،
وإلا فمَن قام به من المسلمين كان على الإمام قبولُ قيامه ؛ قال : وليس هذا كحقوقِ
غيرِ الصحابةِ الحُرمةِ هؤلاءِ بنبيِّهم صلى اللهُ عليه وسلم ، ولو سمِعَ الإمامُ ، وأشهد
عليه ، كانَ وليَّ القِيَامِ^(٢) به ؛ قال : ومن سبَّ غيرَ عائشة من أزواجِ النبيِّ صلى اللهُ
عليه وسلم ففيها قولان :

أحدهما - يُقتل ؛ لأنه سبَّ النبيِّ صلى اللهُ عليه وسلم بسبِّ حليَّته^(٣) .

والآخر أنها^(٤) كسائر الصحابة ؛ يُجند حدُّ المُفترِي ؛ قال : وبالأول أقول .

وروى أبو مصعب^(٥) ، عن مالك - فيمن انتسب^(٦) إلى بيتِ النبيِّ صلى اللهُ

عليه وسلم يُضربُ ضرباً وجميعاً ، ويشهر^(٧) ويُحبس طويلاً حتى تظهر توبته ؛ لأنه
استخفافٌ بحقِّ الرسولِ صلى اللهُ عليه وسلم^(٨) .

(١) قام مقام أبيه بما يجب له ؛ أى بطلب حقه الواجب لسبه ؛ لأنه وارثه في ماله وحقوقه ؛

فليس لغيره حق في هذه الدعوى . (٢) كان ولي القيام به أى : يتولى الحد واستيفاءه .

(٣) حليته : زوجته . (٤) أنها ؛ أى حليته .

(٥) أبو مصعب : أحمد بن أبي بكر القاسم بن الحارث بن زرارة بن مصعب بن عبد الرحمن

الزهري المدني القاضي ، قاضي المدينة .

(٦) بقرابة ، أو ولاء ، قيل : أو صحبة .

(٧) يشهر : يطاف به في الأسواق ليعلم الناس حاله ويشهر ضلاله لئلا يقتدي به غيره .

(٨) في نسيم الرياض (٤ - ٦١٥) : وحاصل قوله : من انتسب... إلى هنا - أن من ادعى

أنه من أهل البيت وهو ليس منهم ، وأثبت له انتساباً لهم ، يستحق النكال والشهير . وقد
ورد في الحديث أنه صلى اللهُ عليه وسلم قال : أيما رجل دعى إلى غير أبيه فقد كفر . وهذا
يدل على عظيم هذا ، وأنه يشدد فيه .

قال الخفاجي : وقد كثر هذا في زماننا ، وتساهلوا فيه ، ودخلوا في هذا النسب الطاهر

وادعاه كثير من الأشرار ، وتسارع القضاة بذلك إلى إثبات الإنساب ، وجعلوا له علامة .

وأفتى أبو طَرْفٍ الشعبيُّ فقيهُ مائةَ^(١) في رَجُلٍ أنكر تحليفَ امرأةٍ بالليل ؛
وقال^(٢) : لو كانت بنتُ أبي بكر الصديقِ ما حلفتَ^(٣) إلا بالنهار ، وصوبَ قوله
بعضُ المتسَمِّينَ بالفِقه ؛ فقال أبو المطرفِ : ذِكرُ هذا لابنةِ أبي بكرٍ في مثلِ هذا
يُوجبُ عليه الضربَ الشديدَ والسجنَ الطويلَ^(٤) .

والفقيهُ الذي صوبَ قوله أحقُّ باسمِ الفسقِ من اسمِ الفقه ؛ فَيُتقدَّمُ^(٥) له
في ذلك ، ويُرَجَرُ^(٦) ، ولا تُقبَلُ فتواه ولا شهادته ، وهي جُرْحَةٌ ثابتةٌ فيه ،
ويُبغَضُ في الله^(٧) .

[وقال أبو عمران^(٨) في رجل قال : لو^(٩) شَهِدَ عليٌّ أبو بكرٍ الصديقِ : أنه إن
كان في مثلِ^(١٠) هذا لا يَجُوزُ فيه الشاهد الواحد ، فلا شيء عليه ؛ وإن كان أرادَ
غَيْرَ هذا فَيُضْرَبُ ضَرْبًا يُبَلِّغُ به حدَّ الموتِ]^(١١) ؛ وذَكَرَها رواية .

* * *

-
- (١) مائة : بلد بالمغرب .
(٢) وقال هذا الذي أنكر تحليفها بالليل .
(٣) في ١ : ما حلفت - بالبناء للمعلوم .
(٤) لجرأته على بنت خليفة رسول الله وأم المؤمنين ؛ فإن للتبادر منها عند الإطلاق عاتشة
رضى الله عنها ، وإن كان له غيرها .
(٥) يتقدم له : يبرز لخالفته وتفسيره بما قاله في ذلك للمقال الذي قاله .
(٦) في ١ : ويؤخر .
(٧) جرحه ؛ من الجرح للسقط للمدالة ؛ فلا يقبل ما قاله . (٨) في ١ : ابن عمران .
(٩) في نسيم الرياض (٤ - ٦١٦) : قال السبكي : النرض من هذا كله أنه فاسق مرتكب
لكبيرة عظيمة لا مخلص له منها بسبيل إلى المدالة ، ومن كان بهذه الصفة لا تقبل له شهادة قطما .
(١٠) إن كان مراده أن شهادة في مثل هذا لا تجوز ولا تكفي وحدها بهذا الشاهد الواحد ؛
لأن شهادة رجل واحد لا تقبل مطلقا فلا شيء عليه .
(١١) (١١) أمام ما بين القوسين في ١ : صح من الأم بخطه من غير الرواية . وهو في هامش (ب) .

قال القاضي أبو الفضل : هنا انتهى القولُ بنا فيما حرّزناه [٢٨٤] ، وانتجز
 الغرضُ الذي انتحيناؤه ، واستوفى الشرطُ الذي شرطناه ، مما أرجو أن يكون في كل
 قسمٍ منه المرید مَفْنَعٌ ؛ وفي كلِّ بابٍ مَنَهَجٌ إلى بُغيته ومَنْزَعٌ .
 وقد سَفَرْتُ^(١) فيه عن نُكْتِ تَسْتَعْرَبُ وتُسْتَبَدَعُ^(٢) ، وَكَرَعْتُ في مَشَارِبَ
 من التحقيق لم يورَدْ لها قَبْلُ في أَكْثَرِ التَّصَانِيفِ مَشْرَعٌ^(٣) ، وأودعتهُ غَيْرَ
 ما فَصَّلَ ، وَدِدْتُ لَوْ وَجَدْتُ مَنْ بَسَطَ قَبْلِي الْكَلَامَ فيه ، أَوْ مَهْتَدَى يُفِيدُنِيهِ عن
 كتابه أَوْ فيه^(٤) ، لَأَكْتَفِي بِمَا أَرَوِيهِ عَمَّا أَرَوِيهِ .

وإلى الله تعالى جزيلُ الصَّراعةِ في المِنَّةِ بقبولِ ما مِنْهُ لوجهه ، وَالْعَفْوِ عما تَخَلَّاهُ
 مِنْ تَزِينٍ وَتَصَنُّعٍ لغيره ، وَأَنْ يَهَبَ لَنَا ذَلِكَ بِجَمِيلِ كَرَمِهِ وَعَفْوِهِ لِمَا أودعناه من
 شَرَفِ مُصْطَفَاهُ^(٥) ، وَأَمِينِ وَحْيِهِ ، وَأَسْهَرْنَا به جفوننا لِتَتَّبِعَ فضائله ، وَأَعْمَلْنَا فيه
 خَوَاطِرَنَا مِنْ إِبْرَازِ خِصَائِصِهِ وَوَسَائِلِهِ ، وَيُجَمِّي أَعْرَاضَنَا عن نارِهِ المَوْقَدَةِ لِجَافِقِنَا
 كَرِيمِ عِزِّهِ ، وَيَجْمَلُنَا بِمَنْ لَا يُذَادُ^(٦) إِذَا ذِيدَ المَبْدُلُ عن حَوْضِهِ ؛ وَيَجْعَلُهُ لَنَا
 وَلِمَنْ تَهَمَّمَ بِاكتتابه^(٧) ، وَاكتسابه سببًا يَصِلُنَا بِأسبابِهِ ، وَذَخِيرَةً نَجِدُهَا يومَ تَجِدُ
 كُلُّ نَفْسٍ ما عَمَلَتْ من خَيْرٍ مُحَضَّرًا^(٨) نَحْوُزُ بِهَا رِضَاهُ ، وَجَزِيلَ ثَوَابِهِ ؛ وَبِخَصْنَا

(١) سَفَرْتُ : كَشَفْتُ ، وَبَيَّنْتُ فِي هَذَا الْكِتَابِ .

(٢) تَسْتَعْرَبُ وَتُسْتَبَدَعُ : تَمَدُّغِيَّةٌ نَادِرَةٌ ، وَبَدِيعَةٌ غَيْرُ مَسْبُوقَةٍ بِالمَثَلِ فِي جِنْسِهَا .

(٣) مَشْرَعٌ : مَحَلٌّ يَسْتَفَادُ مِنْهُ مِثْلُهَا .

(٤) يَرِيدُ : أَوْ اسْمُهُ مِنْهُ .

(٥) مُصْطَفَاهُ : رَسُولُهُ الَّذِي اخْتَارَهُ لِرِسالَتِهِ وَتَبْلِيغِ أَمَانَتِهِ .

(٦) لَا يُذَادُ : لَا يَطْرُدُ .

(٧) تَهَمَّمُ : اعْتَقَى وَاهْتَمَّ . بِاكتتابِهِ : بِكِتَابَتِهِ .

(٨) مُحَضَّرًا : حَاضِرًا عِنْدَهَا .

بِخِصِّي (١) زُمْرَةَ نَبِيَّنَا وَجَمَاعَتِهِ، وَيُحْشِرَنَا فِي الرَّعِيلِ الْأَوَّلِ (٢)، وَأَهْلِ الْبَابِ الْأَيْمَنِ (٣) مِنْ أَهْلِ شَفَاعَتِهِ؛ وَنَحْمَدُهُ تَعَالَى عَلَى مَا هَدَىٰ إِلَيْهِ مِنْ جَمْعِهِ وَأَهْلِهِ، وَفَتَحَ الْبَصِيرَةَ لِدَرْكِ (٤) حَقَائِقِ مَا أَوْدَعْنَاهُ وَفَهَمِ، وَنَسْتَعِيْذُهُ جَلَّ اسْمُهُ مِنْ دَعَاءِ لَا يُسْمَعُ، وَعِلْمِ لَا يَنْفَعُ، وَعَمَلِ لَا يُرْفَعُ؛ فَهُوَ الْجَوَادُ (٥) الَّذِي لَا يَخِيْبُ مَنْ أَمَلَهُ، وَلَا يَنْتَصِرُ مَنْ خَدَّاهُ، وَلَا يَرُدُّ دَعْوَةَ الْقَاصِدِينَ، وَلَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُنْسِدِينَ؛ وَهُوَ حَسْبُنَا وَنِعْمَ الْوَكِيلُ؛ وَصَلَاتُهُ عَلَى سَيِّدِنَا وَنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ، وَسَلِّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

تم الكتاب بعون الله وتوفيقه، وتتلوه الفهارس العامة

(١) خِصِّي : اِخْتِصَاصٌ .

(٢) الرَّعِيلُ الْأَوَّلُ : السَّابِقُونَ مِنَ الْفَرَسَانِ . وَالرَّادُ كُلُّ سَابِقٍ لِلْخَيْرِ وَالْفِعْلُ الْحَسَنُ ، وَمَنْ يَبَادِرُ لِفِعْلِ الْخَيْرِ مِمَّنْ يَكْرَهُهُ اللَّهُ بِدُخُولِ الْجَنَّةِ قَبْلَ غَيْرِهِ . وَهُوَ بِعَدِّ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ الْعُلَمَاءُ الْعَامِلُونَ .

(٣) أَهْلُ الْبَابِ الْأَيْمَنِ : أَصْحَابُ الْيَمِينِ مِمَّنْ يَرْتَوِي كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ .

(٤) دَرْكٌ : إِدْرَاكٌ .

(٥) الْجَوَادُ : الْكَرِيمُ الْكَثِيرُ الْجُودِ ؛ أَيْ الْإِعْطَاءِ .

الفهارس العامة للكتاب

- ١ - فهرس الأبواب والفصول
- ٢ - فهرس الآيات القرآنية
- ٣ - فهرس موضوعات الكتاب مفصلة
- ٤ - فهرس الشعر
- ٥ - فهرس الأعلام والقبائل
- ٦ - فهرس الأماكن
- ٧ - فهرس مراجع الضبط والشرح والتحقق

١ - فهرس الأبواب والفصول

تقديم الكتاب

مقدمة المؤلف

القسم الأول

في تعظيم العليّ الأعلى لقدر هذا النبي قولا وعملا

الباب الأول :

في ثناء الله تعالى عليه وإظهاره عظيم قدره لديه :

الفصل الأول : فيما جاء من ذلك بحجج المدح والثناء وتمداد المحاسن

الفصل الثاني : في وصفه تعالى له بالشهادة وما يتعلق بها من الثناء والكرامة

الفصل الثالث : فيما ورد من خطابه إياه مورد الملائفة والمبرة

الفصل الرابع : في قسمه تعالى بعظيم قدره

الفصل الخامس : في قسمه تعالى جده ، له ، ليحقق مكانته عنده

الفصل السادس : فيما ورد من قوله تعالى في جهته عليه السلام مورد الشفقة

والإكرام

الفصل السابع : فيما أخبر الله تعالى به في كتابه العزيز من عظيم قدره

وشريف منزلته وحظوة رتبته

الفصل الثامن : في إعلام الله تعالى خلقه بصلواته عليه وولايته له ورفع

المذاب بسببه

الفصل التاسع : فيما تضمنته سورة الفتح من كراماته صلى الله عليه وسلم

الفصل العاشر : فيما أظهره الله تعالى في كتابه العزيز من كرامته عليه

ومكانته عنده ، وما خصه الله به من ذلك سوى ما انتظم

فيما ذكرناه قبل

١

١٢ - ١

١٢

١٥

١٥

٢٩

٣٦

٤١

٤٦

٥٦

٥٩

٦٣

٦٧

٧٢

الباب الثاني :

في تكميل الله تعالى له المحاسن خلقا وخلقاً وقرانه جميع الفضائل الدينية

- ٧٧ والديوية فيه نسقا
- ٧٩ فصل : في اجتماع الخصال المحمودة فيه صلى الله عليه وسلم
- ٨١ فصل : في تفصيل هذه الخصال المحمودة : صفاته الجسمية
- ٨٥ فصل : في نظافة جسمه ، وطيب رائحته ، ونزاهته عن الأقدار وعورات الجسد
- ٩١ فصل : وفور عقله ، وقوة حواسه ، وفصاحة لسانه ...
- ٩٥ فصل : فصاحة لسانه ، وبلاغه قوله
- ١٠٧ فصل : شرف نسبه ، وكرم بلده ومنشئه ...
- ١٠٩ فصل : فيما تدعو إليه ضرورة الحياة إليه على ثلاثة ضروب :
- ١٠٩ الضرب الأول : ما التمدح والسكجال بقلته اتفاقا
- ١١٤ فصل : الضرب الثاني : ما يتفق على المدح بكثيرته
- ١٢١ فصل : الضرب الثالث : ما تختلف الحالات في التمدح به
- ١٢٥ فصل : في الخصال المكتسبة من الأخلاق الحميدة
- ١٣٣ فصل : في بيان أصول هذه الأخلاق وتحقيق وصف النبي بها
- فصل : في الفرق بين الحلم والاحتمال ، والعفو مع القدرة ، والصبر على ما يكره ...
- ١٣٥ فصل : في معاني الجود والكرم ، والسخاء والسماحة
- ١٤٤ فصل : في الشجاعة والنجدة
- ١٤٧ فصل : في الحياء والإغضاء
- ١٥٢ فصل : في حسن عشرته وأدبه وبسط خلقه
- ١٥٤ فصل : في شففته ورأفته ورحمته لجميع الخلق
- ١٥٩ فصل : خلقه في الوفاء وحسن العهد ، وصلة الرحم
- ١٦٤

- ١٦٨ فصل : في تواضعه صلى الله عليه وسلم
- ١٧٢ فصل : عدله ، وأمانته ، وعفته ، وصدق لهجته
- ١٧٦ فصل : وقاره صلى الله عليه وسلم ، وصمته ، وتؤدته وحسن هديه
- ١٧٩ فصل : زهده في الدنيا
- ١٨٤ فصل : خوفه ربه ، وطاعته له ، وشدة عبادته
- ١٨٨ فصل : تفضيل الله بعض الأنبياء على بعض
- ١٩٨ فصل : حديث جامع لوصفه
- ٢٠٩ فصل : في تفسير غريب هذا الحديث ومشكلة
- ٢١٥ الباب الثالث : فيما ورد من صحيح الأخبار ومشهورها بعظيم قدره عند ربه
- ٢١٥ الفصل الأول : فيما ورد من ذكر مكانته عند ربه . . .
- ٢٣١ فصل : في تفضيله بما تضمنته كرامة الإسراء من المناجاة والرؤية
- ٢٤٥ فصل : هل كان الإسراء بالروح أو بالجسد ؟
- ٢٥٢ فصل : إبطال حجج من قال إنها نوم
- ٢٥٧ فصل : رؤيته لربه عز وجل واختلاف السلف فيها
- ٢٦٧ فصل : فيما ورد في قصة الإسراء من مناجاته ربه
- ٢٦٩ فصل : فيما ورد في حديث الإسراء من الدنو والقرب
- ٢٧٣ فصل : في ذكر تفضيله يوم القيامة بخصوص الكرامة
- ٢٧٩ فصل : في تفضيله بالحببة والخلة
- ٢٨٩ فصل : في تفضيله بالشفاعة والمقام المحمود
- ٣٠٣ فصل : في تفضيله في الجنة بالوسيلة والدرجة الرفيعة والكوثر والفضيلة
- ٣٠٦ فصل : في بيان شبهة ترد على ما تقدم
- ٣١١ فصل : في أسمائه صلى الله عليه وسلم ، وما تضمنته من فضيلته

- فصل : في تشریف الله تعالى له بما سماه من أسمائه الحسنی ووصفه به
من صفاته العلاء
٣٢٣
- فصل : في بيان أن الله تعالى لا يشبه شيئاً من مخلوقاته
الباب الرابع : فيما أظهر الله تعالى على يديه من المعجزات وشرفه به من
الخصائص والكرامات
٣٢٤
- فصل : في أن الله قادر على خلق المعرفة في قلوب عباده
٣٤٥
- فصل : في معنى تسمية من جاءت به الأنبياء معجزة
٣٤٩
- فصل : في إعجاز القرآن - الوجه الأول
٣٥٨
- فصل : في إعجاز القرآن - الوجه الثاني
٣٦٨
- فصل : في إعجاز القرآن - الوجه الثالث
٣٧٥
- فصل : في إعجاز القرآن - الوجه الرابع
٣٧٩
- فصل : هذه الوجوه الأربعة من الإعجاز لا نزاع فيها ولا مرية
٣٨٢
- فصل : من وجوه الإعجاز : الروعة التي تلتحق قلوب سامعي القرآن
٣٨٤
- فصل : وجوه أخرى للإعجاز
٣٨٩
- فصل : في اشتقاق القمر وحبس الشمس
٣٩٦
- فصل : في نبع الماء من بين أصابعه وتكثيره ببركته
٤٠٢
- فصل : وما يشبه هذا من معجزاته
٤٠٦
- فصل : ومن معجزاته تكثير الطعام ببركته ودعائه
٤١٠
- فصل : في كلام الشجرة وشهادتها له بالنبوة وإجابتها دعوته
٤٢٠
- فصل : في قصة حنين الجذع
٤٢٧
- فصل : ومثل هذا في سائر الجمادات
٤٣٠
- فصل : في الآيات في ضروب الحيوانات
٤٣٤
- فصل : في إحياء الموتى وكلامهم ، وكلام الصبيان والمرضع وشهادتهم له بالنبوة
٤٤٤

- ٤٥١ فصل : في إبراء المرضى وذوى العاهات
- ٤٥٥ فصل : في إجابة دعائه صلى الله عليه وسلم
- ٤٦٢ فصل : في كراماته وبركاته وانقلاب الأعيان له فيما لمسه أو باشره
- ٤٧٠ فصل : فيما أطلع عليه من الغيوب وما يكون
- ٤٨٨ فصل : في عصمة الله له من الناس وكفايته من آذاه
- ٥٠١ فصل : من معجزاته الباهرة
- ٥١١ فصل : من خصائصه وكراماته وباهر آياته أنبأؤه مع الملائكة والجن
- ٥١٥ فصل : من دلائل نبوته وعلامات رسالته
- ٥١٨ فصل : فيما ظهر من الآيات عند مولده
- ٥٢٣ فصل : معجزات نبينا أظهر من سائر معجزات الرسل من وجهين

القسم الثانى

- ٥٣٧ فيما يجب على الأنام من حقوقه صلى الله عليه وسلم
- ٥٣٧ الباب الأول : في فرض الإيمان به ووجوب طاعته واتباع سنته
- ٥٤٢ فصل : في وجوب طاعته
- ٥٤٦ فصل : في وجوب اتباعه ، وامتنال أمره والافتداء بهديه
- ٥٥٤ فصل : فيما ورد من السلف والأئمة من اتباع سنته
- ٥٥٩ فصل : في أن مخالفة أمره وتبديل سنته ضلال
- ٥٦٣ الباب الثانى : في لزوم محبته
- ٥٦٥ فصل : في ثواب محبته صلى الله عليه وسلم
- ٥٦٧ فصل : فيما روى عن السلف والأئمة من محبتهم له وشوقهم إليه
- ٥٧١ فصل : في علامة محبته صلى الله عليه وسلم
- ٥٧٨ فصل : في معنى المحبة للنبي وحقيقتها
- ٥٨٢ فصل : في وجوب مناصحته صلى الله عليه وسلم

الباب الثالث :

- ٥٨٧ في تعظيم أمره ووجوب توقيره وبره
٥٩١ فصل : في عادة الصحابة في تعظيمه وتوقيره وإجلاله
٥٩٥ فصل : في تعظيم النبي بعد موته
٥٩٩ فصل : في سيرة السلف في تعظيم رواية حديث الرسول وسنته
٦٠٤ فصل : في توقيره وبر آله وذريته وأمته المؤمنين أزواجه
٦١١ فصل : من توقيره وبره توقير أصحابه وبرهم
٦١٩ فصل : ومن إعظامه وإكباره

الباب الرابع :

- ٦٢٥ في حكم الصلاة عليه والتسليم وفرض ذلك وفضيلته
٦٢٧ فصل : في حكم الصلاة على النبي
٦٣٣ فصل : في المواطن التي يستحب فيها الصلاة والسلام على النبي
٦٤٠ فصل : في كيفية الصلاة عليه والتسليم
٦٤٩ فصل : في فضيلة الصلاة على النبي والتسليم عليه والادعاء له
٦٥٣ فصل : في ذم من لم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم وإيمه
فصل : في تخصيصه صلى الله عليه وسلم بتبليغ صلاة من صلى عليه وسلم
٦٥٦ من الأنام
٦٥٩ فصل : في الاختلاف في الصلاة على غير النبي صلى الله عليه وسلم وسائر الأنبياء
٦٦٦ فصل : في حكم زيارة قبره صلى الله عليه وسلم وفضيلة من زاره وسلم عليه
٦٧٨ فصل : فيما يلزم مسجد النبي من الأدب

القسم الثالث

- فيما يجب للنبي صلى الله عليه وسلم ، وما يستحيل في حقه أو يجوز عليه
٦٩٠ وما يمتنع أو يصح من الأحوال البشرية أن يضاف إليه

الباب الأول :

- ٦٩٤ فيما يختص بالأمور الدينية والكلام في عصمة نبينا وسائر الأنبياء
- ٦٩٥ فصل : في حكم عقد قلب النبي من وقت نبوته
- فصل : في عصمة الأنبياء قبل النبوة من الجهل بالله وصفاته والتشكك
- ٧١٩ في شيء من ذلك
- ٧٣٠ فصل : في حكم عقد النبي في التوحيد والشرع والمعارف والأمور الدينية
- ٧٣٥ فصل : في إجماع الأمة على عصمة النبي من الشيطان
- ٧٤٥ فصل : في عصمة النبي في أقواله وأفعاله
- ٧٤٨ فصل : سؤالات لبعض الطاعنين
- ٧٦٨ فصل : فيما يتصل بأمور الدنيا وأحوال تنسه
- ٧٧٣ فصل : في حديث السهو
- ٧٨٤ فصل : في عصمة الأنبياء من الفواحش والكبائر الموبقات
- ٧٩٣ فصل : في عصمة الأنبياء قبل النبوة
- ٧٩٦ فصل : في حكم ما تكون المخالفة فيه من الأعمال عن قصد
- فصل : في الكلام على الأحاديث المذكور فيها السهو منه صلى الله
- ٨٠٠ عليه وسلم
- ٨٠٩ فصل : في الرد على من أجاز على الأنبياء الصغائر
- ٨٤٠ فصل : في دفع شبه نشأت مما تقدم
- ٨٤٩ فصل : في تنزيه النبي عما لا يجب أن يضاف إليه
- ٨٥١ فصل : في القول في عصمة الملائكة

الباب الثاني :

- فما يخص الأنبياء من الأمور الدنيوية ويطرأ عليهم من العوارض البشرية
- ٨٦٠ فصل : الأخبار التي وردت في أنه صلى الله عليه وسلم سحر
- ٨٦٥

- ٨٧٠ فصل : في أحواله صلى الله عليه وسلم في أمور الدنيا
٨٧٤ فصل : فيما يمتد في أمور أحكام البشر الجارية على يديا وقضاياهم
٨٧٦ فصل : وأما أقواله الدنيوية
٨٨٣ فصلى : في معنى الحديث في وصيته صلى الله عليه وسلم
٨٩١ فصل : في وجه حديث إنما محمد بشر
٩٠٠ فصل : في أفعاله - صلى الله عليه وسلم - الدنيوية
فصل : بيان الحكمة في إجراء الأمراض وشدتها عليه وعلى غيره من
٩١١ الأنبياء .

القسم الرابع

- ٩٢٦ في تصرف وجوه الأحكام فيمن تنقصه أو سبه صلى الله عليه وسلم
الباب الأول : في بيان ما هو - في حقه صلى الله عليه وسلم - سب أو نقص
٩٣٢ من تعريض أو نص
فصل : في الحججة في إيجاب قتل من سبه أو عابه صلى الله عليه وسلم :
٩٤٤ الوجه الأول
٩٥٨ فصل : لم آمَ يقتل النبي اليهودى الذى قال له : السام عليكم ؟
٩٧٢ فصل : الوجه الثانى : إذا كان غير قاصد للسب . . .
٩٧٥ فصل : الوجه الثالث - أن يقصد إلى تكذيبه فيما قاله وأتى به . . .
فصل : الوجه الرابع - أن يأتى من الكلام بمجمل ويلفظ من القول
٩٧٨ بمشكل يمكن حمله على النبي أو غيره . . .
٩٨٥ فصل : الوجه الخامس - ألا يقصد نقصا . . .
٩٩٧ فصل : الوجه السادس - أن يقول ذلك حاكيا عن غيره
١٠٠٣ فصل : الوجه السابع - أن يذكر ما يجوز على النبي ، أو يختلف في جوازه
١٠١١ فصل : الالتزام عند ذكر النبي بالواجب من توقيره وتعظيمه

- ١٠١٥ الباب الثاني : في حكم سابه وشاتمته ومتنقصه ومؤذبه وعقوبته
١٠٢٣ فصل : استنابة الساب والشاتم كالاستنابة للمرتد
١٠٢٨ فصل : في حكم من لم تم الشهادة عليه . . .
١٠٣٠ فصل : حكم الدمى إذا صرح بسبه ، أو عرض . . .
١٠٤٠ فصل : في ميراث من قتل بسب النبي ، وغسله ، والصلاة عليه

الباب الثالث

- في حكم من سب الله تعالى وملائكته وكتبه ، وأنبياءه ، وآل النبي
١٠٤٧ وأزواجه وصحبه
١٠٥١ فصل : حكم من أضاف إلى الله تعالى ما لا يليق به
١٠٥٦ فصل : في تحقيق القول في إكفار المتأولين
فصل : في بيان ماهو من المقالات كفر ، وما يتوقف أو يختلف فيه ،
١٠٦٥ وما ليس بكفر
١٠٨٧ فصل : في حكم الساب إذا كان ذميا
١٠٨٩ فصل : في مفترى الكذب على الله تبارك وتعالى بادعاء الإلهية . . .
١٠٩٢ فصل : فيمن تكلم بسقط القول وسخف اللفظ ، من لم يضبط كلامه
فصل : في حكم من سب سائر أنبياء الله تعالى وملائكته واستخف بهم
١٠٩٧ أو كذبهم
١١٠١ فصل : في حكم من استخف بالقرآن أو المصحف أو بشيء فيه ، أو سبهما
١١٠٦ فصل : في حكم ساب آل بيت النبي . . .

٢ - فهرس الآيات القرآنية*

سورة الفاتحة

١ - اهدنا الصراط المستقيم . صراط الذين أنعمت عليهم... (٧٠٦) ... ٢٨، ٢٧، ٥٤٧،

سورة البقرة

١ - ألم . ذلك الكتاب لا ريب فيه ... (٢٠١) ... ٤٤

٢ - وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله ... فإن

لم تفعلوا ولن تفعلوا ... (٢٣، ٢٤) ٣٨٤، ٣٦٢

٣ - لا علم لنا إلا ما علمتنا ... (٣٢) ٧٨٢

٤ - فسجدوا إلا إبليس ... (٣٤) ٨٥٨

٥ - ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين (٣٥) ٨٢٢

٦ - لن نؤمن لك حتى ترى الله جهرة ... (٥٥) ٥٣٢

٧ - لا يعلمون الكتاب إلا أماني ... (٧٨) ٧٦٠

٨ - إنما نحن فتنة فلا تكفر ... (١٠٢) ٨٥٥

٩ - يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرونا واسموا ولا كافرين

عذاب ألم (١٠٤) ٩٢٧، ٥٩١

١٠ - وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا ... (١٢٥) ٦٨٦

١١ - ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ... (١٢٩) ٢٢٥

١٢ - قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم ... ونحن له

مسلون (١٣٦) ١٠٩٧

١٣ - ما ولاهم عند قبلتهم التي كانوا عليها ... (١٤٢) ٧٢٠

١٤ - وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون

الرسول عليكم شهيدا (١٤٣) ٣٢٦، ٣١٥، ٣٤

* مرتبة في سورها .

- ١٥ - كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون (١٥١) ٣٣٠ ، ١٧
- ١٦ - أولئك عليكم صلوات من ربهم ورحمة (١٥٧) ٦٦١
- ١٧ - ولكم في القصص حياة (١٧٩) ٣٦٧
- ١٨ - ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو أعجبكم . . . (٢٢١) ١٠٥٣
- ١٩ - إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين (٢٢٢) ٨٤٧
- ٢٠ - تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض . . . (٢٥٣) ٣٠٩ ، ١٨٨ ، ٦٢
- ٢١ - فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم (٢٥٦) ٢٨
- ٢٢ - قال بلى ، ولكن ليظمن قلبي (٢٦٠) ٦٩٦ ، ٦٩٥
- ٢٣ - أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى (٢٨٢) ٧٢٧
- ٢٤ - كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا يفرق بين أحد من رسله (٢٨٥) ١٠٩٧

آل عمران

- ١ - قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم (٣١) ٥٧٨ ، ٥٧١ ، ٥٤٨ ، ٥٤٦ ، ٢٨٦ ، ٢٧
- ٢ - قل أطيعوا الله والرسول فإن تولوا فإن الله لا يحب الكافرين (٣٢) ٥٤٣ ، ٢٨٧ ، ٢٧ ، ٢٤
- ٣ - إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم . . . ذرية بعضها من بعض (٣٤ ، ٣٣) ١٩١
- ٤ - أن الله يبشرك بيحيي مصدقا بكلمة من الله وسيدا وحسورا . . . (٣٩) ٣٣٦ ، ١٩١ ، ١٢٧ ، ١١٥
- ٥ - إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم . . . ومن الصالحين (٤٦ ، ٤٥) ١٩١

- ٦ - فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا
وأبناءكم . . . (٦١) ٣٨٣
- ٧ - وإذا أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة . . . (٨١) ٧٢١، ٥٩
- ٨ - قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين (٩٣) ٥١٧، ٣٨١
- ٩ - فن افتري على الله الكذب من بعد ذلك فأولئك هم الظالمون (٩٤) ٣٨١
- ١٠ - إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة . . . (٩٦) ٦٨٥
- ١١ - لن يضروكم إلا أذى وإن يقاتلوكم يولوكم الأدبار . . . (١١١) ٣٧٧
- ١٢ - وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون (١٢٢) ٥٤٣
- ١٣ - هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين (١٣٨) ٣٩٣
- ١٤ - ول يعلم الله الذي آمنوا وبتخذ منكم شهداء (١٤٠) ٩١١
- ١٥ - ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين (١٤١) ٩١٢
- ١٦ - وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل . . . (١٤٤) ٦٩٠
- ١٧ - وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير . . . والله يحب
المحسنين (١٤٦-١٤٨) ٩١٤
- ١٨ - إن تطيعوا الذين كفروا يردوكم على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين (١٤٩) ٧١٨
- ١٩ - يخفون في أنفسهم ما لا يبدون لك . . . بذات الصدور (١٥٤) ٣٧٧
- ٢٠ - فبإرحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا
من حولك . . . (١٥٩) ٨٧٢، ١٥٧، ٣٣
- ٢١ - لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا منهم . . . لئلا ضلال مبين (١٦٤) ١٦

النساء

- ١ - فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا (٤١) ٣٤
- ٢ - من الذين هادوا يجرفون الكلم عن مواضعه . . . وطعنا في الدين (٤٦) ٣٧٨
- ٣ - فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول . . . (٥٩) ٥٥٨

- ٤ - ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله... (٦٤) ٥٩٦، ٥٤٣
- ٥ - فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم... (٦٥) ٩٤٥، ٦٢٧، ٥٤٧
- ٦ - ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم... (٦٩) ٥٦٦، ٥٤٣
- ٧ - من يطع الرسول فقد أطاع الله (٨٠) ٥٤٣، ٢٧، ١٨
- ٨ - ولولا فضل الله عليك ورحمة لممت طائفة منهم أن يضلوك... (١١٣) ٧٥٧
- ٩ - وعلمك ما لم تكن تعلم (١١٣) ٧٢٥، ٣٣٠، ١٣٤، ٧٦
- ١٠ - ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى... (١١٥) ١٠٧٩، ٥٥٩
- ١١ - من يعمل سوءا يجز به... (١٢٣) ٩١٨
- ١٢ - آمنوا بالله ورسوله (١٣٦) ٢٤
- ١٣ - إن الذين يكفرون بالله ورسوله ويريدون أن يفرقوا... أولئك هم الكافرون حقا... (١٥١، ١٥٠) ١٠٩٧
- ١٤ - ما لهم به من علم إلا اتباع الظن... (١٥٧) ٨٥٨
- ١٥ - إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح... وكفى بالله شهيدا (١٦٦-١٦٣) ٦٠
- ١٦ - قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم... (١٧٠) ٧٤٧

المائة

- ١ - اليوم أكملت لكم دينكم... (٣) ٨٨٨
- ٢ - يأيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ هم قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم... المؤمنون (١١) ٤٩٧، ٤٩٢، ٤٩١
- ٣ - ولا تزال تطلع على خائنة منهم إلا قليلا منهم فاعف عنهم واصفح (١٣) ٩٥٩، ٣٣٢
- ٤ - قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين (١٥) ٣٨٢، ٣٢٦، ٢١
- ٥ - يهdy به الله من اتبع رضوانه سبيل السلام... صراط مستقيم (١٦) ٣٨٢، ٣٣٦
- ٦ - وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه... وإليه المصير (١٨) ٢٨٣

- ٧ - إيماناً جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض
فساداً (٣٣) ٩٤٥
- ٨ - ومن الذين هادوا سماعون للكذب عذاب عظيم (٤١) ٣٧٨
- ٩ - وإن لم تفعل فما بلغت رسالته (٦٧) ٧١٧
- ١٠ - والله يعصمك من الناس (٦٧) ٦٦ ، ٧٢ ، ٣٧٩ ، ٤٨٨ ، ٤٨٩ ، ٧١٧ ، ٨٨٦
- ١١ - ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل . . .
يؤفكون (٧٥) ٦٩٠
- ١٢ - أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله . . . (١١٦) ٧٠١
- ١٣ - إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم (١١٨) ٧٦٧

الأنعام

- ١ - فقد كذبوا بالحق لما جاءهم (٥) ٣٢٥
- ٢ - ولو جعلناه ملكاً لجعلناه رجلاً (٩) ٦٩١
- ٣ - ولقد استهزئُ برسلك من قبلك . . . يستهزئون (١٠) ٥٧
- ٤ - أساطير الأولين (٢٥) ٣٦٣
- ٥ - قد نعلم إنه ليحزنك الذي يقولون يتحدثون (٣٣) ٣٩
- ٦ - ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا للرسالين (٣٤) ٤٠
- ٧ - ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين (٣٥) ٧١٤
- ٨ - ما فرطنا في الكتاب من شيء (٣٨) ٣٩١
- ٩ - ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي . . . فتكون من الظالمين (٥٢) ٧١٨
- ١٠ - وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين (٧٥) ٢٨٧
- ١١ - لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين (٧٧) ٩٢٢
- ١٢ - ووهبنا له إسحاق ويعقوب كلا هدينا فبهذا ما اقتده (٨٤ - ٩٠) ٧٩٥ ، ١٩٢
- ١٣ - قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون (٩١) ٤

- ١٤ - لا تدركه الأبصار... وهو اللطيف الخبير (١٠٣) ٢٦٢، ٢٥٧
 ١٥ - والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق... (١١٤) ٧٠٠
 ١٦ - وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله (١١٦) ٧١٨، ٧١٧

الأعراف

- ١ - إني لكأمن الناصحين (٢١) ٨٢٣
 ٢ - ألم أنهك عن تلكم الشجرة (٢٢) ٨٢٤
 ٣ - ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تنفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين (٢٣) ٨١١
 ٤ - قد افترينا على الله كذبا إن عدنا في ملتكم بعد إذ نجانا الله منها (٨٩) ٧٢٣
 ٥ - فأخذناهم بغتة وهم لا يشعرون (٩٥) ٩٢١
 ٦ - لن تراني... تبت إليك... (١٤٣) ٨١٢، ٢٦٤، ٢٦٢، ٢٦١
 ٧ - إني اصطفتك على الناس برسالاتي وبكلامي (١٤٤) ٨٤٤
 ٨ - الذين يتبعون الرسول النبي الأمي.. قل يأيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا...
 فأمنوا بالله ورسوله النبي الأمي... لعلكم تهتدون (١٥٧، ١٥٨) ٥٤٧، ٥٣٨، ٧٤، ٣٣
 ٩ - فلما آتاها صالحا جملا له شركاء فيما آتاها (١٩٠) ٨١١
 ١٠ - خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلین (١٩٩) ٣٣٢، ١٣٥
 ١١ - وإما يزرغناك من الشيطان نزع فاستمذ بالله... (٢٠٠) ٧٤٠

الأنفال

- ١ - وإذ يمدكم الله لإحدى الطائفتين أنها لكم... (٧) ٣٧٨
 ٢ - إذ تستغيثون ربكم... إن الله عزيز حكيم (١٠، ٩) ٥١١
 ٣ - إذ يوحى ربك إلى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا (١٢) ٥١١
 ٤ - فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى (١٧) ٧١
 ٥ - إن تستنصتوا فقد جاءكم الفتح... (١٩) ٣٢٩
 ٦ - يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله (٢٠) ٥٤٢

- ٧ - وإذ يمكرك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك... والله خير الماكرين (٣٠) ٣٨٩، ٧٢
- ٨ - لو نشاء لقلنا مثل هذا... (٣١) ٣٦٤
- ٩ - وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم... (٣٣) ٦٤، ٦٣
- ١٠ - وما لهم ألا يعذبهم الله... (٣٤) ٦٣
- ١١ - قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لكم ما قد سلف (٣٨) ١٠٣٣
- ١٢ - وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال: لا غالب لكم اليوم من الناس (٤٨) ٧٣٩
- ١٣ - هو الذي أبدك بنصره... (٦٢) ٦٦
- ١٤ - بأيها النبي حسبك الله (٦٤) ٢٨٨
- ١٥ - ما كان انبي أن يكون له أمرى... لولا كتاب من الله سبق... (٦٨، ٦٧) ٨١٨، ٨١٧، ٨١٦، ٨١٠
- ١٦ - فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا... (٦٩) ٨١٩

التوبة

- ١ - وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم... لعلمهم ينتهون (١٢) ١٠٣١
- ٢ - قاتلهم يعذبهم الله بأيديكم... مؤمنين (١٤) ٣٧٧
- ٣ - يبشرهم برحمة منه ورضوان (٢١) ٣٣٦
- ٤ - قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم... الفاسقين (٢٤) ٥٦٣
- ٥ - ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون (٣٣) ٣٧٧، ٣٧٥
- ٦ - إلاتنصروه فقد نصره الله... فأنزل الله سكينته عليه.. والله عزيز حكيم (٤٠) ٧١٣، ٧٢
- ٧ - عفا الله عنك لم أذنت لهم (٤٣) ٨١٠، ٣٦
- ٨ - ومنهم الذين يؤذون النبي... يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم (٦١) ٩٤٧، ٩٢٧، ٣٣٥

- ٩ - وثلاث سألهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب ... إن نعمت عن طائفة
 ٩٤٧ نعتب طائفة بأنهم كانوا مجرمين (٦٦، ٦٥)
- ١٠ - يأبى النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلق عليهم (٧٣) ٩٦٥
- ١١ - وعلى الذين لا يجدون ما ينفقون حرج إذا نصحو الله ورسوله ... (٩١) ٥٨٢
- ١٢ - والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار ... الفوز
 العظيم (١٠٠) ٦٦٤، ٦١٢
- ١٣ - خذ من أموالهم صدقة تطهرهم ... والله سميع عليم (١٠٣) ٦٦١
- ١٤ - لمسجد أسس على التقوى من أول يوم ... (١٠٨) ٦٧٨
- ١٥ - لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار (١١٧) ٨٤٨
- ١٦ - لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم
 بالمؤمنين رؤوف رحيم (١٢٨) ٣٢٥، ٣١٨، ١٥٩، ١٥

يونس

- ١ - وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم (٢) ٣١٥، ٣٥
- ٢ - والذين هم عن آياتنا غافلون (٧) ٧٢٨
- ٣ - لننظر كيف تعملون (١٤) ٩١١
- ٤ - والله يدعو إلى دار السلام ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم (٢٥) ٣٣٣
- ٥ - أم يقولون افتراء قل فأتوا بسورة مثله ... صادقين (٣٨) ٣٦٢
- ٦ - فإن كنت في شك ... (٩٤) ٦٩٨
- ٧ - ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله فتكون من الخاسرين (٩٥) ٦٩٩
- ٨ - فلولا كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها إلا قوم يونس ... (٩٨) ٧٦٤
- ٩ - قل يأبى الناس إن كنتم في شك من ديني ... من المؤمنين (١٠٤) ٦٩٨
- ١٠ - ولا تدع من دون الله مالا ينفعك ولا يضرك (١٠٦) ٧١٦
- ١١ - قد جاءكم الحق من ربكم (١٠٨) ٣٢٥

هـ

- ٩١١ ١ - ليلوكم أيكم أحسن عملا (٧)
٣٦٢ ٢ - قل فاتوا بعشر سور مثله مفتريات (١٣)
٨١٢ ٣ - ولا تخاطبني في الذين ظلموا إهم مفرقون (٣٧)
٣٨٧، ٣٦٧ ٤ - وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء ألقى . . . (٤٤)
٧١٥، ٧١٤ ٥ - فلا تسألن ما ليس لك به علم . . . الجاهلين (٤٦)
٨١٢ ٦ - وإلا تفغر لي وترحمني أكن من الخاسرين (٤٧)
١٩٤ ٧ - وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه . . . (٨٨)
٦٩٩ ٨ - فلانك في مربة مما يعبد هؤلاء (١٠٩)

يوسف

- ٧٢٨ ١ - وإن كنت من قبله لمن الغافلين (٣)
١٣١ ٢ - ولما بلغ أشده آتيناه حكما وعلما (٢٢)
٨٣١ ٣ - وغلقت الأبواب وقالت هيت لك (٢٣)
٨٣١ ٤ - ولقد همت به وهم بها . . . كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء (٢٤) ، ٨١١ ، ٨٣١
٧٢٦ ٥ - إنا لنراها في ضلال مبين (٣٠)
٨٣١ ٦ - ولقد راوته عن نفسه فاستمعصم (٣٢)
٨٤٢، ٧٤٤، ٧٤٢ ٧ - اذكرني عند ربك فأنساه الشيطان ذكر ربه (٤٢)
٨٣١ ٨ - وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء . . . (٥٣)
١٩٤ ٩ - اجعلني على خزائن الأرض . . . (٥٥)
٩١٠، ٩٠٩ ١٠ - إنكم لسارقون (٧٠)
٩٠٩، ٧٣٥ ١١ - كذلك كدنا ليوسف ما كان لأخاه أخاه . . . وفوق كل ذي علم
علم (٧٦)

- ٣٦٥ ١٢ - فلما استيأسوا منه خلصوا نجيا (٨٠)
- ٢٤٤ ١٣ - واسأل القرية (٨٢)
- ١٤٢ ١٤ - لا تريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين (٩٢)
- ٧٢٦ ١٥ - إنك لفي ضلالك القديم (٩٥)
- ٧٤٠ ١٦ - من بعد أن نزع الشيطان بيني وبين إخوتي... (١٠٠)
- ٧٠١ ١٧ - حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا (١١٠)

الرد

- ٩٠٨ ١ - أولئك عليهم اللعنة (٢٥)

إبراهيم

- ٢٢٥، ٧٥ ١ - وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه (٤)
- ٣٣٠ ٢ - لئن شكرتم لأزيدنكم (٧)
- ٧٢٣ ٣ - وقال الذين كفروا لربهم انخرجنكم من أرضنا... (١٣)
- ٢٨ ٤ - وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها (٣٤)
- ٧٢٢، ٢٨٩ ٥ - واجتنبني وبنى أن نعبد الأصنام (٣٥)

الحجر

- ٧٦٣، ٣٨٨، ٣٧٦ ١ - إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون (٩)
- ٤١ ٢ - لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون (٧٢)
- ٧٣ ٣ - ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم (٨٧)
- ٣٢٥ ٤ - وقل إني أنا النذير المبين (٨٩)
- ٤٨٩، ٣٧٨، ٥٧ (٩٧-٩٤) ٥ - فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين... بما يقولون (٩٧-٩٤)

النحل

- ٣٤٠ ١ - إنا قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون (٤٠)

- ٣ - وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلمهم
يتفكرون (٤٤) ٧٢٦، ٣٢٥، ٧٤
- ٣ - ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء (٨٩) ٣٩١
- ٤ - إن الله يأمر بالعدل والإحسان . . . لعلكم تذكرون (٩٠) ٣٦٥
- ٥ - لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين (١٠٣) ٥٠٨
- ٦ - أن اتبع ملة إبراهيم حنيفا (١٢٣) ٧٩٥
- ٧ - ولئن صبرتم لهو خير للصابرين (١٢٦) ٨٣٩

الإسراء

- ١ - سبحان الذي أسرى . . . (١) ٢٥٢، ٢٤٧، ٢٣١
- ٢ - إنه كان عبدا شكورا (٣) ٣٣٠، ١٩١
- ٣ - وإن أسأتم فلها . . . (٧) ٩٠٨
- ٤ - ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض (٥٥) ٣٠٩
- ٥ - وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس (٦٠) ٢٤٥
- ٦ - وإن كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا إليك . . . ولولا أن ثبتناك لقد
كدت تركن إليهم شيئا قليلا . . . نصيرا (٧٣-٧٥) ٧٥٦، ٧٤٩، ٧١٦، ٣٨
- ٧ - إذا لأذقناك ضعف الحياة وضعف المات . . . (٧٥) ٧٥٣، ٧١٨، ٧١٦
- ٨ - عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا (٧٩) ٢٩٠، ٢٨٩
- ٩ - قل ائن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن (٨٨) ٣٦٢
- ١٠ - قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين . . . (٩٥) ٦٩١

الكهف

- ١ - فاعلمك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا (٦) ٧٠٨، ٥٧
- ٢ - قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما ألهمكم إله واحد . . . (١١٠) ٦٩٠
- ٣ - وإذا قال موسى لفتاه . . . (٦٠) ٧٤٣
- ٤ - وما أنسانيه إلا الشيطان (٦٣) ٧٤٢

- ٧٨٢ ٥ - وعلناه من لدنا علما (٦٥)
 ٧٣٥ ٦ - هل أتبعك على أن تعلني بما عدت رشدا (٦٦)
 ١٩٤ ٧ - ستجدني إن شاء الله صابرا (٦٩)
 ٢٢٩ ٨ - وكان تحته كنز لهما (٨٢)
 ٧٨٣ ٩ - وما فعلته عن أمري (٨٢)

مریم

- ٣٤٨ ١ - فأوحى إليهم أن سبحوا بكرة وعشيا (١١)
 ٢ - يا يحيى خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبيا . . .
 ١٩٠ ، ١٢٧ ويوم يبعث حيا . . . (١٢ - ١٥)
 ١٩١ ، ١٢٨ (٣٠) مادمت حيا . . . ما علمني نبيا . . .
 ١٩٣ ٤ - إنه كان مخلصا (٥١)
 ١٩٣ ٥ - إنه كان صادقا الوعد . . . مرضيا (٥٤ ، ٥٥)
 ٢٣٣ ٦ - ورفعناه مكانا عليا (٥٧)

طه

- ٥٦ ١ - طه. ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى (٢ ، ١)
 ٧٥٧ ٢ - أكاد أخفيها (١٥)
 ٨٣٣ ٣ - وفتناك فتونا (٤٠)
 ١٠٨٤ ٤ - لعله يتذكر أو يخشى (٤٤)
 ٧١٨ ٥ - لا تخافا إنني معكما (٤٦)
 ٨٢٣ ٦ - ولقد عهدنا إلى آدم . . . عزمنا (١١٥)
 ٨٢٣ ٧ - إن هذا عدوك ولزوجك . . . (١١٧)
 ٨٤٠ ، ٨٢٣ ، ٨١١ ٨ - وعصى آدم ربه فغوى (١٢١)
 ٨٤٤ ٩ - ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى (١٢٢)

الأنبياء

- ١ - ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون . يسبحون
الليل والنهار لا يفترون (٢٠، ١٩) ٨٥٢
- ٢ - لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا (٢٢) ٣٩١
- ٣ - لا يسأل عما يفعل وهم يسألون (٢٣) ٣٤٠
- ٤ - وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه (٢٦) ١١٠٩
- ٥ - ومن يقل منهم إني إله من دونه... الظالمين (٢٩) ٢٢٥
- ٦ - ولقد آتينا إبراهيم رشده (٥١) ١٢٩
- ٧ - قالوا أتت فعلت هذا بالمتن يا إبراهيم . قال : بل فعله كبيرهم
هذا... (٦٣، ٦٢) ٧٧٩، ٧٧٨، ٧٥٩
- ٨ - ولو طأ آتيناها حكما وعلما (٧٤) ١٩٤
- ٩ - ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما (٧٩) ١٢٨
- ١٠ - إذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر... سبحانه إني كنت
من الظالمين (٨٧) ٨١١، ٧٠٩، ٣٠٨
- ١١ - إنهم كانوا يسارعون في الخيرات... خاشعين (٩٠) ١٩٤
- ١٢ - وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين (١٠٧) ٣١٨، ١٥٩، ٦٤، ١٩، ١٨

الحج

- ١ - وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي (٥٢) ٣٤٧، ٧٤٩، ٧٤١، ٧٦٠
- ٢ - ليجعل ما يلقى الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض...
وإن الله هادي الذين آمنوا إلى صراط مستقيم (٥٤، ٥٣) ٧٦٢
- ٣ - وفي هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس (٧٨) ٣٤

المؤمنون

١ - ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم (٩٦) ١٥٧

النور

١ - ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا... عظيم (١٦) ١١١٠

٢ - وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم... (٢٢) ١٣٦

٣ - الله نور السموات والأرض... والله بكل شيء عليم (٣٥) ٢٠

٤ - يكاد سنا برقه يذهب بالابصار (٤٣) ٧٥٧

٥ - ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فأولئك هم

الفاضلون (٥٢) ٣٦٦

٦ - وإن تطيعوه تهتدوا (٥٤) ٥٤٣

٧ - وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم... (٥٥) ٣٧٥

٨ - فإذا دخلتم بيوتاً فسلوا على أنفسكم (٦١) ٦٣٧

٩ - لا تجمعوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم

بعضاً (٦٣) ٩٢٩ ، ٦٦٥ ، ٥٨٩ ، ٥٨٧

الفرقان

١ - إنا أنزلناه (٤) ٣٦٣

٢ - وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام... (٢٠) ٦٩٠

٣ - الرحمن فاسأل به خبيراً (٥٩) ٦٩٩ ، ٣٢٨

الشعراء

١ - لعلاك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين (٣) ٥٧

٢ - إن نشأ نزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين (٤) ٥٧

٣ - فعلتها إذا وأنا من الضالين (٢٠) ٧٢٦

٤ - فوهب لي ربي حكماً وجعلني من المرسلين (٢١) ١٩٢

- ٧٢٢ ٥ - إذ قال لأبيه وقومه ما تعبدون (٧٠)
- ٧٢٢ ٦ - أفأرى ما كنتم تعبدون... إلّا رب العالمين (٧٥ - ٧٧)
- ٨١٢، ٢٨٨ ٧ - والذي أطعم أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين (٨٢)
- ٢٨٨ ٨ - واجعل لي لسان صدق في الآخرين (٨٤)
- ٢٨٨ ٩ - ولا تخزني يوم يبعثون (٨٧)
- ١٩٢ ١٠ - إني لكم رسول أمين (١٠٧)
- ٩٢، ١٨ ١١ - وتقلبك في الساجدين (٢١٩)

النمل

- ١ - إن هذا القرآن يقص على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون (٧٦) ٣٩٣

القصص

- ٣٦٦، ٣٤٩ ١ - وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه... المرسلين (٧)
- ٢ - فوكره موسى ففضى عليه قال هذا من عمل الشيطان...
قال رب إني ظلمت نفسي... (١٥، ١٦)
- ٨٣٢، ٨١١، ٧٤٣ ٣ - إن خير من استأجرت القوى الأمين (٢٦)
- ١٩٢ ٤ - إنك لا تهدي من أحببت... (٥٦)
- ٣٣٣

العنكبوت

- ٩٢١، ٣٦٨ ١ - فكلا أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا... (٤٠)
- ٥٠٨ ٢ - وما كنت تتلو من قبله من كتاب... المبطلون (٤٨)
- ٥٦١ ٣ - أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم (٥١)

الروم

- ٣٧٥ ١ - وهم من بعد غلبهم سيفعلون (٣)
- ٣٩١ ٢ - ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل (٥٨)

لقمان

١ - واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور (١٧) ١٣٦

الأحزاب

١ - اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين (١) ٧١٨، ٧١٧

٢ - النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم (٦) ٦٠٤، ٣٣٢، ٧٥

٣ - وإذا أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح (٧) ٧٢٠، ٣٣١، ٦٠

٤ - رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه... (٢٣) ٦١٣

٥ - إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت (٣٣) ٦٠٦، ٦٠٤، ٢٨٩، ٢١٦

٦ - وإذا تقول الذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك

زوجك... (٣٧) ٨٨٣، ٨٨١، ٨٧٩، ٨٧٨

٧ - ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له سنة الله في الذين

خلوا من قبل... (٣٨) ٨٨٢، ٨٨٠

٨ - ما كان محمد أبا أحد من رجالكم (٤٠) ٨٨١

٩ - هو الذي يصلي عليكم وملائكته... (٤٣) ٦٦١

١٠ - يأتيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا . وداعيا إلى

الله يذره وسراجا منيرا (٤٥، ٤٦) ٥٨٧، ٣٣٣، ٣٢٦، ٢٩، ٢١

١١ - وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا

أزواجه من بعده أبدا... (٥٣) ٩٢٧، ٢٣٠

١٢ - إن الله وملائكته يصلون على النبي (٥٦) ٦٧٠، ٦٦٤، ٦٢٦، ٦٢٥، ٦٦، ٦٥، ٢٦

١٣ - إن الذين يذون الله ورسوله لعنهم الله... (٥٧) ٩٧٠، ٩٤٤، ٩٢٧

١٤ - لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض... تفتيلا (٦١، ٦٠) ٩٦٥، ٩٤٤

١٥ - يوم تقلب وجوههم في النار يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا

الرسولا... (٦٦) ٥٤٤، ٦٦١

١٦ - يأتيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى... (٦٩) ١٩١

سبأ

- ١٩٦ - وأتناه الحديد . أن اعمل سابغات وقدر في السرد (١١٠ ، ١١)
١٠٨٤ - وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين (٢٤)
٢٣٥ ، ٧٤ - وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا (٢٨)
٣٦٧ - ولو ترى إذ فرعوا فلا فوت وأخذوا من مكان قريب (٥١)

طاهر

- ٥٨ - وإن يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك (٤)
١٠٦٩ - وإن من أمة إلا خلا فيها نذير (٢٤)

يس

- ٤٢ - يس . والقرآن الحكيم (٢ ، ١)
٤٩٧ - إنا جعلنا في أعناقهم أغلالا . . . فهم لا يبصرون (٩ ، ٨)
٩٢٤ - ما ينظرون إلا صيحة واحدة تأخذهم . . . يرجعون (٥٠ ، ٤٩)
٣٩١ - أو ليس الذي خلق السموات والأرض (٨١)

الصافات

- ٧٤٣ - طلمها كأنه روس الشياطين (٦٥)
٦٢ - وإن من شيعته لإبراهيم (٨٣)
٧٢٢ - إذا جاء ربه بقلب سليم (٨٤)
٧٧٨ - إني سقيم (٨٩)
١٩٣ - فبشرناه بغلام حليم (١٠١)
١٩٣ - ستجدني إن شاء الله من الصابرين (١٠٢)

٣٠٨ ٧ - إذ أبق إلى الفلك المشحون (١٤٠)

٨٥٢ ٨ - وما منا إلا له مقام معلوم . . . المسبحون (١٦٤ - ١٦٦)

ص

١٩٤ ١ - إنه أواب (١٧)

٨٤٤ ، ٨٢٧ ، ٨١١ ٢ - وطن داود أما فتناه . . . وحسن مآب (٢٤ ، ٢٥)

٨١٢ ٣ - ولقد فتنا سليمان . . . (٣٤)

٤ - رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من

٨٣٧ ، ٧٣٨ ، ٥١٤ بعدى (٣٥)

٨٤٤ ٥ - فسخرنا له الريح تجري بأمره رخاء . . . وحسن مآب (٣٦ - ٤٠)

١٩٣ ٦ - نعم العبد إنه أواب (٣٠ ، ٤٤)

٧٤٢ ٧ - ألى منى الشيطان بنصب وعذاب (٤١)

١٩٠ ٨ - إنا وجدناه صابرا نعم العبد إنه أواب (٤٤)

١٩٣ ٩ - واذكر عبادنا إبراهيم وإسحاق . . . الأخيار (٤٥ - ٤٨)

الزمر

٣٨٥ ١ - تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم . . . إلى ذكر الله (٢٣)

٢٨ ٢ - والذي جاء بالصدق وصدق به . . . ذلك جزاء المحسنين (٣٣ ، ٣٤)

٤٨٨ ، ٦٦ ٣ - أليس الله بكاف عبده (٣٦)

٢٨٨ ٤ - حسبي الله (٣٨)

٧١٨ ، ٧١٦ ، ٦٩٨ ٥ - لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين (٦٥)

غافر

٢٧٧ ١ - لمن الملك اليوم لله الواحد القهار (١٦)

فصلت

٣٨٧ ١ - حم . تنزيل من الرحيم الرحيم . . . مثل صاعقة عاد وثمود (١ - ١٣)

- ٣٦٤ - في أكنة مما تدعونا إليه ... (٥)
- ٧٦٢، ٣٦٤ - لا تسمعوا لهذا القرآن والفوا فيه لعلكم تغلبون (٢٦)
- ٩٦٠، ٣٦٧ (٣٤) - ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة ...
- ١١٠١، ٣٨٨ - لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ... (٤٢)

الشورى

- ٣٤٠، ٣٣٨ - ليس كمثل شيء (١١)
- ٧٩٥ - شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا (١٣)
- ١٦ - إلا المودة في القربى (٢٣)
- ٧١٨، ٧١٧ - فإن يشأ الله يختم على قلبك (٢٤)
- ١٣٦ - ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور (٤٣)
- ٦ - وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب (٥١)
- ٣٤٩، ٣٤٥، ٢٦٨، ٢٤٥

- ٣٣٣ - وإنك تهدي إلى صراط مستقيم (٥٢)
- ٧٢٧ - وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ... ولا الإيمان (٥٢)

الزخرف

- ٣٢٥ - حتى جاءهم الحق ورسول مبين (٢٩)
- ٦٩٩ - وأسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا : ... (٤٥)

الدخان

- ١٥٣ - ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون ... رسول أمين (١٧، ١٨)
- ١٨٨ - ولقد اخترناهم على علم على العالمين (٣٢)

الأحقاف

- ٨١٣ - وما أدري ما يفعل بي ولا بكم (٩)
- ٥١١ - وإذا صرفنا إليك نفرا من الجن ... منذرين (٢٩)

١٩٢، ١٣٦ ٣ - فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل (٣٥)

محمد

٨١٣، ٨١٠ ١ - واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات (١٩)

٩١٢ ٢ - ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين... (٣١)

الفتح

١ - إنا فتحنا... ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر (٢٤١)

٨١٠، ٣٣٦، ٢٨٨، ٢٢٥، ٦٦

٦٧ ٢ - إنا فتحنا لك فتحا مبينا... فوق أيديهم (١ - ١٠)

٣ - إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا. لتؤمنوا بالله

٥٨٧، ٥٣٧

ورسوله... (٩، ٨)

٥٣٨ ٤ - ومن لم يؤمن بالله ورسوله فإننا أعدنا للكافرين سعيرا (١٣)

٦١٣ ٥ - لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة (١٨)

١٤٣ ٦ - وهو الذى كف أيديهم عنكم... وكان الله بما تعملون بصيرا (٢٤)

٦٣ ٧ - لو تزيلوا العذبة الذين كفروا منهم عذابا أليما (٢٥)

٣٧٥ ٨ - لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين (٢٧)

٩ - محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار... ..

٦١٢، ٣٨١

ذلك مثلهم فى التوراة... (٢٩)

الحجرات

١ - يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي... ..

٩٤٦

لا تشعرون (٢)

٧٨٠ ٢ - إنما المؤمنون إخوة (١٠)

٢١٦ ٣ - وجعلناكم شعوبا... ألقاكم (١٣)

ق

٤٥

١ - ق والقرآن المجيد (١)

٣٢٨ ٢ - وما أنت عليهم بجبار (٤٥)

الذاريات

- ٩٤٥ ١ - قتل المراصون (١٠)
٥٨ ٢ - كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون (٥٢)
٥٨ ٢ - فتول عنهم فما أنت بملوم (٥٤)

الطور

- ١ - أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون ...
٣٨٦ المصيطرون (٣٧-٣٥)
٤٨٨، ٥٨ ٢ - واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا ... (٤٨)

النجم

- ٢٣١، ٤٩، ٤٥ ١ - والنجم إذا هوى (١)
٢٣١ ٢ - والنجم إذا هوى ... ربه الكبرى (١-١٨)
٧٤٧ ٣ - وما ينطق عن الهوى . إن هو إلا وحى بوحي (٤، ٣)
٢٦٩، ٢٦٧ ٤ - دنا فتدلى (٨)
٢٨٧، ٢٦٩، ٢٦٦ ٥ - فكان قاب قوسين أو أدنى (٩)
٢٦٧ ٦ - فأوحى إلى عبده ما أوحى (١٠)
٢٥٨، ٢٥٦، ٢٤١ ٧ - ما كذب الفؤاد ما رأى (١١)
٢٥٨، ٢٤١ ٨ - أفتأرونه على ما يرى (١٢)
٢٥٨ ٩ - ولقد رآه نزلة أخرى (١٣)
٢٤٠، ٢٣٩ ١٠ - إذ يفشى السدرة ما يفشى (١٦)
٢٥٦، ٢٤٨ ١١ - ما زاغ البصر وما طغى (١٧)
٧٤٨ ١٢ - أفرأيتم اللات والعزى . ومناة الثالثة الأخرى (٢٠، ١٩)

القمر

- ١ - اقتربت الساعة وانشق القمر ... سحر مستمر (٢٠١) ٣٩٦، ٣٦٣
٢ - ولقد يسرنا القرآن للذكر ... (١٧) ٣٩٤
٣ - سيهزم الجمع ويولون الدبر (٤٥) ٣٧٧

الواقعة

- ١ - لا يمسه إلا المطهرون . (٧٩) ٨٥٢
٢ - فسلام لك من أصحاب اليمين (٩١) ٢٠

المجادلة

- ١ - وإذا جاءوك حيوك بما لم يحيك به الله ، ويقولون في أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول (٨) ٩٤٧، ٣٧٧
٢ - لا تجحد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون ... (٢٢) ٥٧٥

الحشر

- ١ - وما آفأ الله على رسوله منهم فإ أوجفتهم عليه من خيل ولا ركاب ...
رءوف رحيم (٦ - ١٠) ٦١٥
٢ - وما آتاكم الرسول فخذوه ... (٧) ٧٤٧، ٥٥٢، ٥٤٣
٣ - للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم ... (٨) ١١١٢
٤ - والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم (٩) ١١١٢، ٥٧١
٥ - والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا (١٠) ١١١٢، ٦٦٤
٦ - أو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأبته خاشعا متصدعا ... (٢١) ٣٨٥

المتحنة

- ١ - لقد كان لكم فيها أسوة حسنة (٦) ٥٤٧

الجمعة

- ١ - هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم ... انى ضلال مبين (٢) ١٧

المنافقون

- ٥٤ - إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله... (١)
٩٤٥ - قاتلهم الله أنى يؤفكون (٤)
٣٢٦ - والله العزة لرسوله (٨)

التغابن

- ٥٣٧ - فآمنوا بالله ورسوله والنور الذى أنزلنا (٨)
٢٨٣ - إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم (١٤)

التحريم

- ٨٨٣ - لم تحرم ما أحل الله لك... رحيم (١)
٥١١، ٦٦ - وإن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه... ظهير (٤)
٨٥٢ - لا يمسون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون (٦)
٢٨٨ - يوم لا يخزى الله النبي (٨)

القلم

- ٥٣ - ن والقلم وما يسطرون... على الخراطوم (١ - ١٦)
٣٢٧، ١٢٦ - وإنك لعلى خلق عظيم (٤)
٥٥ - فلا تطع المكذبين... قال أساطير الأولين (٨ - ١٥)
٧١٠ - ولا تكن كصاحب الحوت (٤٨)
٧١٠ - فاجتباه ربه فجعله من الصالحين (٥٠)

الحاقة

- ٤٩٣ - الحاقة . ما الحاقة... من باقية (١ - ٨)
٣٢٧ - إنه لنمول رسول كريم (٤٠)
٧٥٣، ٧١٨ - ولو تقول علينا بعض الأقاويل... اللوتين (٤٤ - ٤٦)
٧١٧ - لأخذنا منه باليمين (٤٥)

نوح

١٣٧ ١ - رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا (٢٦)

الجن

٣٩٠ ١ - إنما سمعنا قرآن عجبا . يهدى إلى الرشدا (٢٠١)

المذثر

٣٧١ ١ - ذرني ومن خلقت وحيدا ... سحر يؤثر (١١ - ٢٤)

٣٦٣ ٢ - إن هذا إلا سحر يؤثر (٢٤)

عبس

٨١٠ ١ - عبس وتولى ، أن جاءه الأعمى (٢٠١)

٨٥٢ ٢ - كرام بررة (١٦)

التكوير

٥٢ ١ - فلا أقسم بالخنس ... شيطان رجيم (١٥ - ٢٥)

٣٣١ ٢ - ذى قوة عند ذى العرش مكين (٢٠)

٣٣٤ ، ١٧٢ ، ٢٠ ٣ - مطاع ثم أمين (٢١)

المطففين

٢٤٤ ١ - كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون (١٥)

الطارق

٥٠ ١ - والسماء والطارق ... النجم الثاقب (١ - ٣)

الفجر

٤٦ ١ - والفجر . وليال عشر (٢٠١)

البلد

٤٣ ١ - لا أقسم بهذا البلد . وأنت حل بهذا البلد (٢٠١)

٤٤ ٢ - ووالده وما ولد (٣)

٣١٨ ٣ - وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة (١٧)
الضحى

٤٧ ١ - ما ودعك ربك وما قلى (٣)

٤٧ ٣ - وللآخرة خير لك من الأولى (٤)

٣٠٥ ، ٤٧ ٣ - ولسوف يعطيك ربك فترضى (٥)

٧٢٧ ، ٧٢٤ ٤ - ووجدك ضالا فهدى (٧)

الشرح

٢٦٠ ١ - ألم نشرح لك صدرك (١)

٨١٠ ٣ - ووضعنا عنك وزرك الذى أنقض ظهرك (٣)

٢١ ٣ - ألم نشرح . . . فأرغب (١ - ٨)

٢٨٨ ٤ - ورفعنا لك ذكرك (٤)

التين

٤٤ ١ - وهذا البلد الأمين (٣)

الكوثر

٧٣ ١ - إنا أعطيناك الكوثر . . . (١ - ٣)

النصر

٨٤٨ ، ٣٧٥ ١ - إذا جاء نصر الله والفتح توأبا (١ - ٣)

المسد

٤٩٢ ١ - تبت يدا أبى لهب وتب (١)

٣ - فهرس موضوعات الكتاب مفصلة*

الكتاب يتضمن التعريف بقدر المصطفى ٤ ، رجاء الثواب للثواب في تأليفه ٦ ،
تسمية الكتاب « الشفا » ٨ ، أقسام الكتاب ٨ ، أقسام الكتاب وأبوابه : ٨-١١
تعظيم العلي لقدر هذا النبي ١٢ ، فضائل النبي ومحاسنه كثيرة ١٣ ، منها ما صرح الله
في كتابه ، ومنها ما أبرزه للعيان ١٣ ، ١٤ ، من حديث الإسراء ١٤
ثناء الله عليه ، وإظهار قدره لديه ١٥ ، ما جاء من المدح والثناء وتعداد المحاسن
في القرآن الكريم ١٥ - ٢٢ ، رفع الله ذكره ٢٣ - ٢٤ ، قرن طاعته بطاعته ٢٤ ، ٢٥
واسمه باسمه ٢٤ ، إرشاده الناس إلى الأدب في تقديم مشيئة الله ٢٥ ، اختلاف المفسرين
في قوله تعالى : إن الله وملائكته يصلون على النبي ٢٦ ، محمد هو الذي جاء بالصدق ٢٨
في وصفه تعالى له بالشهادة وما يتعلق بها من الثناء والكرامة ٢٩ ، هو موصوف
في التوراة والإنجيل ببعض صفته في القرآن ٣٠ - ٣٣ ، ابن جانبه ٣٣ ، أمة محمد ٣٤ ،
شفاعته ٣٥

ما ورد من خطاب النبي مورد الملاحظة والميرة ٣٦ ، عفا الله عنك لم أذنت لهم ٣٦ ،
من إكرامه وبره به ٣٧ ، يجب على المسلم أن يتأدب بأدب القرآن ٣٧ ، عتاب الله
إياه ، وعتاب الأنبياء ٣٨ ، تسليية الرسول وتقرير أنه صادق ٣٩ ، كان يسمى الأمين
٣٩ ، خطابه وخطاب الأنبياء ٤١

قسمه تعالى بمظيم قدره ٤١ ، القسم بمدة حياته ٤١ ، الاختلاف في معنى « يس » .
« لا » في قوله تعالى : « لا أقسم بهذا البلد » ٤٣ ، الحروف التي بدئت بها السور : ٤٤
قسمه تعالى له ليظهر مكانته ٤٦ ، والضحي والليل إذا سجي ٤٦ ، سبب نزول
هذه السورة ٤٦ ، ما تضمنته هذه السورة من كرامة الله له ٤٧ اختلاف المفسرين

* حاولنا في هذا الفهرس أن نبرز أهم المسائل ، وأحاديث الرسول الواردة في الكتاب .

في قوله تعالى : « والنجم إذا هوى » ٥٠ ، ما تضمنته « السماء والطارق » من فضله وشرفه ٥٠ ، ما الذي اشتملت عليه هذه الآيات من تركية جلته وعصمتها ٥١ ، ما اشتملت عليه الآيات « ن ، والقلم » من المبرة في المخاطبة والآداب في المحاورة ٥٣ ما ورد في جهته مورد الشفقة والإكرام ٥٦ ، توجيهه « طه ما أنزلنا عليك القرآن لنشقي » ٥٦ ، فيم نزلت ٥٦ ، الشفقة والمبرة في قوله تعالى : « فلعلك باخع نفسك على آثامهم » ٥٧ ، آيات أخرى في الدلالة على ذلك ٥٧ ، تعزية الله له ٥٨ ما أخبر الله به في القرآن من عظيم قدره وشريف منزلته على الأنبياء ٥٩ ، آيات من القرآن الكريم وشرحها ٥٩ ، حديث قتادة : كنت أول الأنبياء في الخلق .

إعلام الله خلقه بصلواته عليه : ٦٣ ، آيات تظهر مكانته ٦٣ ، حديث : أنزل الله على أمانين لأمتي ٦٤ ، حديث : أنا أمان لأصحابي ٦٤ ، الفرق بين لفظ الصلاة والبركة ٦٥ ، تفسير حروف كهيمص ٦٥

ما تضمنته سورة الفتح من كراماته ٦٧ ، إعلام النبي بما قضاه الله له من ظهوره وغلبته على عدوه ٦٧ ، وأنه مغفور له ٦٨ ، وإتمام نعمته عليه بالفتح . . . ٦٨ ، وعدّ محاسنه وخصائصه : من شهادته على أمته بتبليغه الرسالة ٦٩ ، وتمام النعمة ، والهداية ٦٩ ، ومن نعمته عليه أن جعله حبيبه ٧٠

ما أظهره الله في كتابه من كرامته عليه ومكانته عنده ٧٢ ، قصة الإسراء ٧٢ ، عصمته من الناس ٧٢ ، إعطاؤه الكوثر ٧٣ ، إبتاؤه السبع المثاني والقرآن العظيم ٧٣ ، إرساله إلى الناس كافة ٧٥

تكميل الله تعالى له المحاسن خلقا وخلقاً ٧٧ ، خصال الجلال في البشر نوعان : ٧٧ ، الضروري المحض ٧٧ ، المكتسبة الأخروية ٧٨

اجتماع كل خصال الخير فيه ٧٩ ، تفصيل في ذلك ٨١ ، الصورة وجمالها ٨٢ ،

حديث : كان أزهر اللون ٨٣ ، حديث البراء : ما رأيت من ذئمة... ٨٤ ، حديث
أبي هريرة : ما رأيت أحسن من رسول كأن الشمس تجري في وجهه ٨٤ ، حديث
جابر بن سمرة : كان وجهه مثل السيف ٨٤ ، ووصف أم معبد له : ٨٤

نظافة جسمه وطيب ريحه ٨٥ ، حديث أنس : ما شممت عنبراً قط ولا مسكاً... ٨٦ ،

حديث جابر بن سمرة : أنه صلى الله عليه وسلم مسح خده... ٨٦ ، نومه في دار أنس ففرق
٨٧ ، حديث جابر : لم يكن النبي يمر في طريق فيتبعه أحد إلا عرف أنه سلكه
من طيبه ٨٧ ، حديث جابر : أردفتني النبي خلفه ٨٧ ، عائشة تقول للنبي : إنك تأتي
الخللاء فلا نرى منك شيئاً ٨٨ ، حديث علي في غسله : غسلت النبي ٨٩ ، قول
أبي بكر حين قبيل النبي بعد موته ٨٩ ، شرب مالك بن سنان دمه ٨٩ ، شرب
عبد الله بن الزبير دم حجامته ٨٩ ، امرأة شربت بوله ٩٠ ، النبي ولد مخمونا ٩٠ ،
نومه وصلاته ولم يتوضأ ٩١

وفور عقله وذكاء لبه ٩١ ، قال وهب... قرأت فوجدت في جميعها : أنه أرجح

الناس عقلاً ٩٢ ، قول مجاهد : كان الرسول إذا قام في الصلاة يرى من خلفه ٩٢ ،
في الموطأ : إني لأراكم من وراء ظهري ٩٢ ، عن عائشة : كان يرى في الظلمة ٩٣ ،
رؤيته الملائكة والشياطين ٩٣ ، حديث أبي هريرة : لما نبأني الله لموسى ٩٤... ،
صرع النبي ركاة ٩٥ ، حديث أبي هريرة : ما رأيت أحداً أسرع من رسول الله
في مشيه ٩٥

فصاحة لسانه وبلاغة قوله ٩٥ ، دليل ذلك كلامه مع قريش والأنصار ، وأهل

الحجاز ونجد ، ومع ذئ المشاعر ، وطهفة ٩٦ ، كتابه إلى همدان ٩٧ ، قوله تهجد ٩٨ ،
كتابيه لوائيل بن حجر ٩٩ ، جوامع كلمه وحكمه أنف فيها الناس ١٠١ ، أمثلة من
كلامه ١٠٢ ، وصف أم معبد لكلامه ١٠٦

شرف نسبه وكرم بلده ١٠٧ ، حديث أبي هريرة : بعثت من خير قرون بني

آدم... ١٠٨ ، حديث : إن الله خلق الخلق فجعلني من خيرهم ١٠٨ ، قوله : إن الله اصطفى

من ولد إبراهيم إسماعيل... ١٠٨ ، وحديث ابن عمر : إن الله اختار خلقه... ١٠٨ ،
وعن ابن عباس : إن قريشا كانت نورا ١٠٩
ما تدعو ضرورة الحياة إليه على ثلاثة ضروب ١٠٩ :

الضرب الأول : ما التمدح بقلته اتفاقا ١٠٩ ، حديث : ما ملأ ابن آدم وعاء شرا
من بطنه ١١١ ، حديث عائشة : لم يمتلي جوف النبي شيئا قط ١١٢ ، من حكمة لقمان :
إذا امتلأت المدة ١١٣ ، في الحديث قوله : أما أنا فلا آكل متكئا ١١٣ ، قوله :
إن عيني تنامان ولا ينام قلبي ١١٤

الضرب الثاني : ما يتفق المدح بكثرة ١١٤ ، من ذلك النكاح ١١٤ ، النكاح
سنة مأثورة ١١٤ ، قول النبي : تنا كعوا تناسلوا ١١٥ ، نهى النبي عن التبتل ١١٥ ،
تفسير قوله تعالى في يحيى : إنه كان حصورا ١١٥ ، عن أنس أنه كان يدور على نسائه
١١٨ ، قول سليمان : لأطوفن الليلة على مائة امرأة... ١١٨ ، رزق النبي الحشمة
والسكانة في القلوب ١٢٠ ، مثل تدل على ذلك ١٢٠

الضرب الثالث : ما تختلف الحالات في التمدح به ككثرة المال ١٢١ ، لم يستأثر
النبي بشيء من النبي والغنيمة ١٢٣ ، زهده فيما عدا ما تدعو إليه الضرورة ١٢٤
الخصال المكتسبة من الأخلاق الحميدة ١٢٥ ، قالت عائشة : كان خلقه القرآن ١٢٦ ،
قول الرسول : بعثت لأتم مكارم الأخلاق ١٢٦ ، أمثلة مما تحسلى به النبي والأنبياء
١٢٧ ، قصة المرجومة ١٢٨ ، قصة الصبي ١٢٩ ، ما أخبرت به آمنة بنت وهب عن
النبي حين ولد ١٣٠ ، حديث النبي : بنضت إلى الأوثان... ١٣٠ ، بعض الناس
يطبع على بعض هذه الأخلاق ١٣١ ، كل الخلال يطبع عليها المؤمن إلا الخيانة
والكذب ١٣٢

بيان أصول هذه الأخلاق وتحقق وصف النبي بها ١٣٣ ، أصلها ونقطة دائرتها

مكان النبي من كمال العقل ١٣٣

الفرق بين الحالم والاحتمال . . . ١٣٥ ، حديث : ما خير النبي في أمرين قط إلا اختار أيسرهما . . . ١٣٧ ، لم يدع على قومه ١٣٧ ، رجل قال له اعدل ، فبين له جهله ١٣٨ ، تصدى غورث بن الحارث للفتك به ١٣٩ ، عفوه عن اليهودية التي سمته ١٣٩ ، قوله : لا يتحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه ١٣٩ ، أعرابي يجذبه بردائه . . . وقول الأعرابي له : إنك لا تكافي بالسيئة السيئة ١٤٠ ، حديث عائشة : ما رأيت الرسول منتصرا من مظلمة ظلمها قط ما لم تكن حرمة من محارم الله ١٤٠ ، حديثه مع زيد بن سعنة حين جاءه يتقاضاه ديننا عليه ١٤١ ، حلمه وصبره يتجلى في عفوه عن قریش بعد الفتح ١٤٢ ، كان رسول الله أبعد الناس غضبا وأسرعهم رضا ١٤٣

الجود والكرم والسخاء والسماحة ومما نبيها ١٤٤ ، حديث : ما سئل النبي عن شيء فقال : لا ١٤٥ ، حديث ابن عباس : كان النبي أجود الناس بالخير . . . ١٤٥ ، محمد يعطى عطاء من لا يخشى فاقة ١٤٥ ، أمثلة أخرى لجوده وسخائه : ١٤٦ ، ١٤٧

معنى الشجاعة والنجدة ١٤٧ ، لم يفسر النبي يوم حنين ١٤٨ ، قوله : أنا النبي لا كذب ١٤٩ ، ابن عمر يقول : ما رأيت أشجع ولا أنجد ولا أجود ولا أرضى من رسول الله ١٥٠ ، قول علي : إنا كنا إذا حى البأس . . . ١٥٠ ، حديث أنس : كان النبي أحسن الناس ، وأجود الناس ، وأشجع الناس . . . ١٥١ ، أبي بن خلف يتوعد النبي يوم بدر ، ويحاول قتله يوم أحد ١٥١

معنى الحياء والإغضاء ١٥٢ ، حديث : كان النبي : أشد حياء من العذراء في خدرها ١٥٣ ، حديث عائشة : لم يكن النبي فاحشا ولا متفجشا ١٥٤

حسن عشرته وأدبه وبسط خلقه ١٥٤ ، حديث علي عنه إنه كان أوسع الناس صدرا . . . ١٥٥ ، قول النبي لقيس بن سعد : اركب ، فأبي ، فقال له : إما أن تركب وإما تنصرف ١٥٥ ، كان الرسول بكرم كريم كل قوم . . . ١٥٦ ، كان دائم

البشر ١٥٦ ، أنس يقول : خدمت رسول الله عشر سنين فما قال لي أف قط . . .
١٥٧ ، مثل أخرى له مع أصحابه ١٥٧ ، ١٥٨

خلقه الشفقة والرحمة والرأفة ١٥٩ ، إعطاؤه صفوان بن أمية الغنم . وقول صفوان:
لقد أعطاني ما أعطاني وإنه لأبفض الخلق إليّ . . . ١٦٠ ، حديث الأعرابي الذي
قال له : لا ، ولا أجلت - بعد أن قال له : أحسنت إليك ؟ ١٦٠ ، قول النبي : مثلي
ومثل هذا مثل رجل له ناقة شردت . . . ١٦١ ، قوله : إني أحب أن أخرج إليكم
وأنا سليم الصدر ١٦٢ ، شفقتة على قومه حتى بعد أن كذبوه ١٦٣ ، عرض جبريل
عقابهم ١٦٣

خلقه في الوفاء وحسن العهد وصلة الرحم ١٦٤ ، حديث ابن أبي الحساء : بايعت
النبي ببيع قبل أن يبعث وبقيت منه بقية ١٦٤ ، كان يصل ذوى رحمه من غير أن
يؤثرهم ١٦٥ ، قدم وفد النجاشي فقام يخدمهم ١٦٦ ، حديثه مع أخته من الرضاعة :
الشيء ١٦٦ ، مثل أخرى من بره بذوى رحمه : ١٦٧

تواضعه على علوم منصبه ١٦٨ ، اختار أن يكون نبيا عبدا ١٦٨ ، قوله : لا تقوموا
كما تقوم الأعاجم ١٦٨ ، جلوسه إلى امرأة في عقابها شيء ١٦٩ ، مثل من تواضعه ١٦٩ -
١٧١ ، قوله لرجل هابه : إنما أنا ابن امرأة من قريش تأكل القديد ١٧١

عدله وأمانته . . . ١٧٢ ، كان يسمى قبل نبوته الأمين ١٧٢ ، حكم في وضع
الحجر الأسود ١٧٢ ، شهادة أبي جهل بصدقة ١٧٣ ، صدق لهجته ١٧٤ ، وعدله ١٧٤ ،
النبي جزأ نهاره ثلاثة أجزاء ١٧٥ ، قوله : ما هممت بسوء حتى أكرمني الله برسالته ١٧٥
وقارؤه وصمته وتؤدته ومروءته . . . ١٧٦ ، كان أوقر الناس في مجلسه ١٧٦ ،
مثل من مظاهر وقاره ١٧٧ ، جلوسه ومشيه ١٧٧ ، كلامه ترتيل أو ترسيل ١٧٨ ،
سكوته على أربع ١٧٨

زهده في الدنيا ١٨٩ ، عائشة تقول : ما شبع رسول الله ثلاثة أيام تباعا ١٨٠ ،

مثل أخرى لزهده ١٨١ ، ١٨٢ ، طعامه القليل ، وفراشه حشوه ليف ١٨٣ ، عائشة تقول : كنت أبكي رحمة له ١٨٤ .

خوفه ربه وطاعته له ١٨٤ ، قول الرسول : لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا
١٨٥ ، صلواته حتى تنتفخ قدماه ١٨٥ ، ١٨٦ ، مثل من عبادته ١٨٦ ، ١٨٧ ،

تفضيل الأنبياء في كمال الخلق وحسن الصورة ١٨٨ ، صفة موسى ١٨٩ ، ١٩١ ،
١٩٢ ، ١٩٧ ، صفة أيوب ويحيى ١٩٠ ، صفة نوح ١٩١ ، وصف جماعة من الأنبياء
١٩٢ - ١٩٥ ، صفة سليمان ١٩٥ ، ويوسف ١٩٥ ، ودأود ١٩٦

حديث الحسن عن أبي هالة في وصفه للنبي ١٩٨ - ٢٠٨ ، تفسير غريب هذا
الحديث ومشكله ٢٠٩

ماورد من صحيح الأخبار بعظيم قدره عند ربه ٢١٥ ، ما ورد من ذكر مكانته
عند ربه ٢١٥ ، قول الرسول : إن الله قسم الخلق قسمين ٢١٦ ، عن أبي هريرة :
قالوا : يا رسول الله ، متى وجبت لك النبوة ٢١٦ ، عن وائلة : قال : إن الله اصطنى
من ولد إبراهيم إسماعيل ١٦٠ ، من حديث أنس : أنا أكرم ولد آدم ٢١٧ ، في حديث
ابن عباس : أنا أكرم الأولين والآخرين ٢١٧ ، عن عائشة قال جبريل : قلبت
مشارك الأرض ومغاربها... ٢١٧ ، وعن أنس : أنى النبي بالبراق ٢١٧ ، وعن ابن
عباس : لما خلق الله آدم أهبطني في صلبه ٢١٧ ، شعر للعباس بن عبد المطلب : ٢١٨ ،
٢١٩ ، قول النبي : أعطيت خمسا لم يعطن نبي قبلي ٢١٩ ، عن أبي هريرة : نصرت
بالرعب ٢٢٠ ، عن عقبة : إني فرط لكم... ٢٢١ ، عن ابن عمرو قال : أنا محمد النبي
الأمي ٢٢١ ، ومن رواية ابن وهب : قال الله تعالى : سل يا محمد... ٢٢٢ ، وروى عن
حذيفة : بشرني ربي أول من يدخل الجنة ٢٢٢ ، وعن أبي هريرة : مامن نبي إلا وقد
أعطى من الآيات ما مثله آمن عليه البشر ٢٢٣ ، وعن علي : كل نبي أعطى سبعة
نجباء ٢٢٤ ، وقال النبي : إن الله قد حبس عن مكة الفيل ٢٢٤ ، وعن ابن عباس :
إن الله فضل محمدا على أهل السماء ٢٢٥ ، حديث شق صدره ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، أخبار
عن كرامته ورفعة منزلته : ٢٢٨ ، ٢٢٩

تفضيله بما تضمنته كرامة الإسراء : ٢٣١ ، قصة الإسراء وصحتها ٢٣١ ، حديث

الإسراء ٢٣٢ ، أحاديث أخرى في الإسراء : ٢٣٥ - ٢٤٥

هل كان الإسراء بروحه أو جسده ؟ على ثلاث مقالات ٢٤٥ ، معظم السلف

أن الإسراء بالجسد وفي اليقظة ٢٤٦ ، وقالت طائفة : كان الإسراء إلى السماء بالروح

٢٤٧ ، الحق والصحيح أنه إسراء بالجسد والروح في القصة كلها : ٢٤٨ ، الأحاديث

في ذلك ٢٤٩ - ٢٥٢

إبطال حجج من قال إنها نوم ٢٥٢

رؤيته لربه واختلاف السلف فيها ٢٥٨ ، حديث عائشة : لقد قف شعري . . .

٢٥٧ ، ما روى عن بعض الصحابة في ذلك ٢٥٨ - ٢٦٠ ، رأى المؤلف أن رؤيته تعالى

في الدنيا جائزة عقلا ٢٦١ ، الدليل على جوازها ٢٦١ ، رأى بعض السلف أن الرؤية

في الدنيا ممتنعة ٢٦٣ ، رأى لمالك يؤيد ذلك ٢٦٣ ، قول النبي : نور أنى أراه ٢٦٦

ماورد في قصة الإسراء من مناجاته لله ٢٦٨ ، بعض من نقل ذلك ٢٦٧ ، كلام

الله لمحمد ومن اختصه من أنبيائه جائز غير ممتنع عقلا ٢٦٩

ماورد في حديث الإسراء من الدنو والقرب ٢٦٩ ، آراء في الدنو والقرب ٢٧٠ ،

عن أنس : عرج بي جبريل إلى سدرة المنتهى ٢٧٠ ، تأويل الآية : ثم دنا فتدلى

٢٧١ - ٢٧٢

تفضيله في القيامة بخصوص الكرامة ٢٧٣ ، حديث : أنا أول الناس خروجا

٢٧٣ ، قول الرسول : أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ٢٧٥ ، وعن ابن عباس : أنا حامل

لواء الحمد ٢٧٥ ، وعن أنس : أنا أول الناس يشفع في الجنة ٢٧٦ ، وأحاديث أخرى

في الباب : ٢٧٧ ، ٢٧٨ ، الحوض ٢٧٨

في تفضيله بالحجة والخلة ٢٧٩ ، حديث : لو كنت متخذًا خليلًا ٢٨٠ ، قوله :

ألا وأنا حبيب الله ولا نخر . . . ٢٨١ ، تفسير الخلة ٢٨٢ ، الخلة أقوى من النبوة
٢٨٣ ، أيهما أرفع درجة : الخلة أو المحبة ٢٨٤
أصل المحبة ٢٨٥ ، محبة الله لعبده ٢٨٥ ، مزينة الخلة وخصوصية المحبة حاصلة للنبي ٢٨٦ ،
الفرق بين المحبة والخلة ٢٨٧

في تفضيله بالشفاعة والمقام المحمود ٢٨٩ ، حديث : إن الناس يصيرون يوم القيامة
جُثي ٢٩٠ ، حديث : يحشر الناس يوم القيامة . . . ٢٩٠ ، أحاديث وأخبار في الشفاعة
والمقام المحمود ٢٧١ ، ما للمقام المحمود ؟ ٢٩٣ ، من صفة يوم القيامة ٢٩٤ ، حديث
الشفاعة ٢٩٤ - ٣٠٠ ، حديث : لكل نبوة دعوة ٣٠١ ، ٣٠٢

في تفضيله في الجنة بالوسيلة والدرجة الرفيعة ٣٠٣ ، حديث : إذا سمعتم للؤذن
فتولوا مثل ما يقول ٣٠٤ ، حديث : الوسيلة أعلى درجة في الجنة ٣٠٤ ، الكوثر
٣٠٥ ، ٣٠٤

نهييه عن التفضيل ٣٠٦ ، حديث : ما ينبغي لأحد أن يقول : أنا خير من يونس
ابن متى ٣٠٦ ، خبر اليهودي الذي قال : والذي اصطفى موسى على البشر ٣٠٦ ،
تأويلات في أحاديث التفضيل ٣٠٧ ، النبوة لا تفاضل فيها ، وإنما التفاضل في أمور
آخر زائدة عليها ٣٠٨

في أسمائه صلى الله عليه وسلم ٣١١ ، حديث : لى خمسة أسماء ٣١١ ، سماه الله
في كتابه : أحمد ، ومحمد ٣١٢ ، تفسير هذين الاسمين ٣١٢ ، ٣١٣ ، أول من تسمى بمحمد
من العرب ٣١٤ ، قول النبي : وأنا الماحي ٣١٤ ، قوله : وأنا الحاشر ، والعاقب ٣١٥ ،
بعض أسمائه الأخرى ٣١٦ - ٣١٩ ، من ألقابه في القرآن ٣١٩ ، أسماء أخرى ٣٢٠ ،
ومن أسمائه في الكتب المتقدمة ٣٢١ ، كنيته المشهورة ٣٢٢

في تشریف الله تعالى له بما سماه به من أسمائه الحسنى ٣٢٣ ، خص الله بعض
الأنبياء ببعض الأسماء والصفات ٣٢٣ ، تفضيل النبي بنحو ثلاثين اسما منها ٣٢٤ ،
حديث : أنا أمانة لأصحابي ٣٣٥

صفات الله لا تشبه صفات المخلوقين ٣٣٧ ، ليس كذاته ذات ولا كاسمه اسم ٣٣٨ ،

تفسير للقسيري ٣٣٨ ، حقيقة التوحيد عندى ذى النون المصرى ٣٣٩

فما أظهره الله تعالى على يديه من المعجزات ٣٤١ ، من تأمل حميد سيره ورجاحة

عقله وجميع خصاله لم يشك في صحة نبوته ٣٤٢ ، وقد كفى هذا غير واحد في إسلامه

٣٤٢ ، أمثلة لمن آمنوا به لذلك ٣٤٢ ، معنى الرسول والنبي ٣٤٦ ، معنى الوحي ٣٤٨

المعجزة ٣٤٩ ، هي على ضربين ٣٤٩ ، معجزات نبينا من النوعين ٣٥٠ ، معجزات

النبي على قسمين ٣٥١ ، كثير من الآيات المأثورة عنه معلومة بالقطع ٣٥٣ ، انشقاق

القمر ٣٥٣ ، قصة نبع الماء وتكثير الطعام ٣٥٤ ، إخباره عن الغيوب ٣٥٦

إعجاز القرآن ٣٥٨ ، وجوه إعجازه في أربعة وجوه ٣٥٨ ، أولها حسن تأليفه

٣٥٨ ، الوجه الثانى نظمه العجيب ٣٦٩ ، الوجه الثالث ما انطوى عليه من الإخبار

بالمغيبات ٣٧٥ ، الوجه الرابع : ما أنبأ به من أخبار القرون السالفة والأمم

البائدة ٣٧٩

هذه الوجوه الأربعة بينة لا نزاع فيها ولا مربة ٣٨٢ ، من الوجوه البينة في إعجازه

غير هذه الوجوه ، آى وردت بتعجيز قوم في قضايا ٣٨٢ ، قوله تعالى لليهود : قل إن

كانت لكم الآخرة ، آية المباهلة ٣٨٣ ، قوله تعالى وإن كنتم في ريب مما نزلنا

على عبدنا . . . ٣٨٤

من وجوه إعجازه : الروعة التى تلتحق قلوب سامعوه ٣٨٤ ، قوله صلى الله عليه

وسلم : إن القرآن صعب مستصعب ٣٨٥ ، جبير بن مطعم يسمع قوله تعالى : أم خلقوا

من غير شيء . . . فكاد قلبه أن يطير للإسلام ٣٨٦ ، سمع عتبة بن ربيعة النبي يقول :

حم . تنزيل من الرحمن الرحيم . كتاب فصلت آياته . . . فأمسك بيده على النبي

وناشده الرحم أن يكف ٣٨٧ ، من رام معارضته اعترته روعة وهيبة كف بها عن

ذلك ٣٨٧ ، محاولة ابن المقفع ذلك ٣٨٨ ، طلب يحيى بن حكم الغزال ذلك ٣٨٨

من وجوه إعجازه كونه آية باقية ٣٨١ ، قارئه لا يله ٣٨٩ ، وصف الذي القرآن بأنه لا يخلق على كثرة الرد ... ٣٩٠ ، ومن هذه الوجوه جمعه لمعارف وعلوم لم تعدها العرب ٣٩٠ ، ما حواه من علوم السير وأنباء الأمم ٣٩١ ، قول النبي : إن الله أنزل هذا القرآن أمرا وزاجرا ٣٩٢ ، في الحديث : إني منزل عليك توراة حديثة ٣٩٣ ، وعن كعب : عليكم بالقرآن ٣٩٣ ، ومن وجوه إعجازه جمعه بين الدليل ومدلوله ٣٩٤ ، ومنها أن جملة في حيزه المنظوم الذي لم يعهد ٣٩٤ ، ومنها تيسير حفظه ٣٩٤ ، ومنها مشكلة بعض أجزائه بعضا ٣٩٥

انشقاق القمر وحبس الشمس ٣٩٦ ، عن ابن مسعود : انشق القمر على عهد رسول الله فرقتين ٣٩٧ ، آية القمر كانت ليلا ٤٠٠ ، رد الشمس أو حبسها ٤٠٠ ، عن أسماء بنت عميس أن النبي كان يوحى إليه ورأسه في حجر على ٤٠٠ ، عن أبي إسحاق : لما أسرى رسول الله ٤٠١

نبي الماء من بين أصابعه وتكثيره ببركته ٤٠٢ ، حديث أنس : رأيت رسول الله وحانت صلاة العصر ٤٠٢ ، روى هذا الحديث غير أنس ٤٠٣ ، حديث جابر : عطش الناس يوم الحديدية ٤٠٤ ، وحديث مسلم في ذكر غزوة بواط ٤٠٤ ، عن الشعبي : أتى النبي في بعض أسفاره بإداوة ماء ٤٠٥

تفجير الماء ببركته ٤٠٦ ، عن معاذ في قصة غزوة تبوك ٤٠٦ ، وحديث البراء وسلة في قصة الحديدية ٤٠٦ ، عن أبي قتادة أن الناس شكوا إلى الرسول العطش ٤٠٧ ، حديث عمران حين أصاب النبي وأصحابه عطش في بعض أسفارهم ٤٠٨ ، وعن سلمة : قال نبي الله : هل من وضوء ٤٠٨ ، حديث عمر في جيش العسرة ٤٠٩ ، أبو طالب يقول للنبي بذى الحجاز : عطشت وليس عندي ماء ٤٠٩

تكثير الطعام ببركته ودعائه ٤١٠ ، عن جابر أن رجلا أتى النبي يستطعمه ٤١٠ ، حديث أبي طلحة ٤١٠ ، حديث جابر في إطعامه صلى الله عليه وسلم يوم الخندق

ألف رجل ٤١١ ، حديث أبي أيوب أنه صنع لرسول الله وأبي بكر من الطعام زهاء ما يكفيهما ٤١٢ ، وعن سمرة أتى النبي بقصعة فيها لحم ٤١٢ ، حديث عبد الرحمن بن أبي بكر : كنا مع النبي ثلاثين ومائة ٤١٢ ، حديث عبد الرحمن بن أبي عمرة وغيره : ذكروا من خصصة أصابت الناس ٤١٣ ، عن أبي هريرة : أمرني النبي أن أدعوه له أهل الصفة ٤١٣ ، عن علي : جمع رسول الله بنى عبدالمطلب وكانوا أربعين ٤١٤ ، قال أنس : إن النبي حين ابتنى بزینب ... ٤١٤ ، عن علي أن فاطمة طبخت قدرا لعدائها ٤١٥ ، حديث جابر في دين أبيه بدمه ووته ٤١٦ ، قال أبو هريرة : أصاب الناس من خصصة ٤١٦ ، حديث أبي هريرة حين أصابه الجوع فاستتبعه النبي فوجد ابنا ٤١٧ ، حديث خالد بن عبد العزيز أنه أجزر النبي شاة ٤١٨ ، حديث الأجرى في إنكاح النبي لعلي فاطمة ٤١٨ ، حديث أنس : تزوج رسول الله فصنعت أمي حيسا ٤١٩

في كلام الشجرة وشهادتها له بالنبوة ٤٢٠ ، عن ابن عمر : كنا مع رسول الله في سفره ٤٢٠ ، سأل أعرابي رسول الله آية ٤٢٠ ، حديث جابر الطويل : ذهب رسول الله يقضى حاجته ٤٢١ ، وعن أسامة بن زيد نحوه ٤٢٢ ، حديث يهلى بن سيابة في نحوه ٤٢٣ ، حديث ابن مسعود : إن الجن قالوا : من يشهدك ٤٢٤ ، حديث أنس إن جبريل قال للنبي : أتحب أن أريك آية ٤٢٥ ، عن ابن إسحاق في نحوه ٤٢٦ ، عن الحسن أنه صلى الله عليه شكبا إلى ربه من قومه ٤٢٦ ، حديث عن عمر في نحوه ٤٢٦ ، عن ابن عباس : قال النبي لأعرابي : رأيت إن دعوت هذا المذق ٤٢٦

قصة حنين الجذع ٤٢٧ ، قال جابر : كان المسجد مستوقفا ٤٢٧ ، حديث غيره

٤٢٨ ، في حديث بريدة : فقال النبي : إن شئت أردك إلى العائط ٤٢٩

معجزته في سائر الجمادات ٤٣٠ ، عن ابن مسعود : لقد كنا نسمع تسبيح الطعام

٤٣٠ ، وقال أنس : أخذ النبي كفا من حصي ٤٣٠ ، حديث علي : كنا بمكة مع الرسول فخرج إلى بعض نواحيها ٤٣١ ، وعن عائشة : لما استقبلني جبريل ٤٣١ ، قول النبي : اثبت أحد ٤٣٢ ، ومثله عن أبي هريرة في حراء ٤٣٢ ، حديث ابن عمر : قرأ

على المنبر : وما قدروا الله حق قدره ٤٣٣ ، عن ابن عباس : كان حول البيت ستون
وثلاثمائة صنم ٤٣٣ ، حديث النبي مع الراهب في ابتداء أمره ٤٣٤
الآيات في ضروب الحيوانات ٤٣٤ ، حديث عائشة : كان عندنا داجن ٤٣٥ ،
وعن عمر أن رسول الله كان في محفل ٤٣٥ ، قصة كلام الذئب ٤٣٦ ، ٤٣٨ ، عن
جابر ، عن رجل أتى النبي وآمن به وهو على بعض حصون خيبر ٤٣٩ ، عن أنس :
دخل النبي حائط أنصاري ٤٣٩ ، حديث الجمل ٤٣٩ ، ٤٤٠ ، قصة العضباء وكلامها
النبي ٤٤٠ ، حمام مكة أظلت النبي ليلة الفار ٤٤١ ، حديث الطيبة التي نادته ٤٤١ ،
ماروى من تسخير الأسد لسفينة ٤٤٢ ، كلام الحمار الذي أصابه بخيبر ٤٤٣ ، حديث
الفاقة ٤٤٣ ، حديث العنز ٤٤٣

في إحياء الموتى وكلامهم وكلام الصبيان ٤٤٤ ، عن أبي هريرة أن يهودية
أهدت للنبي بخيبر شاة مصلية ٤٤٥ ، ٤٤٦ ، أتى النبي بصبي قد شب لم يتكلم قط
٤٤٨ ، ٤٤٩ ، عن الحسن أتى رجل إلى النبي فذكر أنه طرح بنية له في وادي
كذا ٤٤٩ ، عن أنس أن شابا من الأنصار توفي وله أم عجوز عمياء ٤٤٩ ، حديث :
كثت فيمن دفن ثابت بن قيس ، وكان قتل باليامة ٤٥٠ ، ذكر عن النعمان بن بشير
أن زيد بن خارجة حز ميتا ٤٥٠ .

إبراء المرضى وذوى العاهات ٤٥١ ، حديث سعد في قصة أحد حين أصيبت عين
قتادة ٤٥١ ، بصق النبي على أثر سهم في وجه قتادة ٤٥٢ ، أعمى قال يارسول الله :
ادع الله أن يكشف لي عن بصري ٤٥٢ ، ابن ملاعب الأسنة حين أصابه استسقاء ٤٥٢
نفث رسول الله في عين حبيب فأبصر ٤٥٣ ، في مثله ٤٥٣ ، ٤٥٤

إجابة دعائه صلى الله عليه وسلم : ٤٥٥ ، حديث حذيفة ٤٥٥ ، عن أنس : قال :
قالت أمي : يارسول الله ، خادمك أنس ٤٥٦ ، دعاؤه لعبد الرحمن بن عوف بالبركة
٤٥٦ ، دعاؤه لماوية بالتمكين في البلاد ٤٥٧ ، ودعا بعز الإسلام بعمر ٤٥٧ ، دعا
في الاستسقاء فسقوا ٤٥٧ ، دعاؤه لأبي قتادة ، وللنابغة ، ولابن عباس ، وعبد الله

ابن جعفر ٤٥٨ ، دعاؤه لغيرهم ٤٥٩ ، سأله الطفيل بن عمرو آية لقومه ٤٥٩ ، دعا على مضر فأقحطوا ٤٦٠ ، قال لرجل رآه يأكل بشماله : كل بيمينك ٤٦٠ ، قال لعقبة : اللهم سلط عليه كلبا من كلابك ٤٦٠ ، دعاؤه على قريش حين وضعوا السلا على رقبتة ٤٦١ ، دعاؤه على الحكم بن أبي العاص ، وكان يحتاج بوجهه ويفعز ٤٦١ ، ودعا على محلم بن جثامة فمات لسبع ٤٦١ ، ججده رجل بيع فرس ٤٦١

كراماته وبركاته وانقلاب الأعيان له ٤٦٢ ، عن أنس أن أهل المدينة فزعوا ٤٦٢ ، نحس جل جابر ٤٣٢ ، ركب حمار قطوفا ٤٦٣ ، عن أسماء : أنها أخرجت جبة طيالة ٤٦٣ ، سكب من فضل وضوئه في بئر قباء ٤٦٤ ، كان لأم مالك عكة تهدي فيها للنبي فأمرها ألا تعصرها ٤٦٤ ، بركته فيما لمسه وغرسه ٤٦٥ ، غرس رسول الله ثلاثمائة ودية إلا واحدة ٤٦٥ ، أعطى قتادة عرجونا .. فأضاء له ٤٦٦ ، بركته في درور الشياه الحوائل ٤٦٧ ، وتزويده أصحابه سقاء ماء بهمد أن أوكاه ٤٦٧ ، مسح على رأس صبي به عاهة فبرأ ٤٦٩ ، أخذ قبضة من تراب يوم حنين ، ورعى بها في وجوه الكفار ٤٦٩

ذكر ما أطلع عليه من الغيوب ٤٧٠ ، عن حذيفة قال : قام فينا الرسول مقاما ٤٧١ ، ما أعلم به أصحابه مما وعدم ؛ من الظهور على الأعداء ٤٧٢ ، وقتالهم الفرس ٤٨٣ ، وغير ذلك ٤٧٤ ، إخباره بملك بني أمية ٤٧٥ ، وبقتل عثمان ٤٧٦ ، وبمخاربة الزبير لعلى ٤٧٦ ، وأخبر عن حنظلة الفسيل ٤٧٧ ، غير ذلك من إخباره بما لم يكن ٤٧٨ ، ٤٨٦ ، إعلامه قريشا بأكل الأرضة مافي صحيفتهم ٤٨٧ ، إعلامه قريشا بعيرهم التي مر بها ٤٨٧

في عصمة الله له من الناس وكفايته من آذاه ٤٨٨ ، عن عائشة : كان النبي يحرس حتى نزل : والله يصدك من الناس ٤٨٩ ، أتاه أعرابي فقال له : من يمنعك مني ٤٩٠ ، وقوع مثلها له يوم بدر ٤٩٠ ، ٤٩١ ، وفي غزوة غطفان ٤٩١ ، حمالة الحطب تضع العضاه في طريقه ٤٩٢ ، حمالة الحطب أنت الرسول وفي يدها فهر تريد

أن تضربه ٤٩٢ ، نجاته من تدبير قريش قتله ٤٩٤ ، وحمايته عن رؤيتهم في الغار ٤٩٤ ، قصته مع سراقه بن مالك حين الهجرة ٤٩٤ ، جاءه أبو جهل بصخرة وهو ساجد ليطرحها عليه ٤٩٦ ، قصة النبي إذ خرج إلى بني قريظة ٤٩٧ ، خروجه إلى بني النضير ومؤامرتهم على قتله ٤٩٨ ، شيبه بن عثمان يقول يوم حنين : اليوم أدرك ثأري من محمد ٤٩٩ ، حديث فضالة بن عمرو مع النبي يوم الفتح ٥٠٠

من معجزاته الباهرة ما جمعه الله له من المعارف والعلوم ٥٠١ ، الاحتواء على لغات العرب ٥٠١ ، المعرفة بضرب الأمثال ٥٠٢ ، الاحتواء على ضروب العلوم وفنون المعارف ٥٠٢ ، ٥٠٣ قوله : خير ما تداويتم به ٥٠٤ ، قوله : ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطنه ٥٠٤ ، قوله : إن الزمان قد استدار ٥٠٥ ، قوله : ألقى الهدواة ٥٠٦ ، علمه بلغات العرب ٥٠٧ ، قوله تعالى : إنما يعلمه بشر . والرد على ذلك ٥٠٨

من خصائصه وكراماته أنبأؤه مع الملائكة والجن ٥١١ ، قوله تعالى : لقد رأى من آيات ربه الكبرى ٥١٢ ، رؤية بعض الصحابة جبريل عنده ٥١٢ ، رأى عبد الله ابن مسعود الجن ٥١٣ ، عن عمر قال : بينما نحن جلوس مع النبي إذ أقبل شيخ ٥١٣ ، قال الرسول : إن شيطاننا تفلت البارحة ليقطع على صلاتي ٥١٤

من دلائل نبوته ما ترادفت به الأخبار عن الرهبان والأخبار ٥١٥ ، وما ألقى من ذلك في التوراة والإنجيل ٥١٦ ، إلى ما أنذر به السكهان ٥١٨ ، وما ظهر على السنة الأصنام من نبوته ٥١٨

من ذلك ما ظهر من الآيات عند مولده ٥١٨ ، قول الشفاء أم عبد الرحمن بن عوف ٥١٩ ، ما تعرفت به حليلة وزوجها من بركته ٥١٩ ، ومن ذلك حراسة السماء بالشهب ٥٢٠ ، ما نشأ عليه من بفض الأصنام واللغة عن أمور الجاهلية ٥٢٠ ، روت حليلة أنها رأت غمامة تظله ٥٢١ ، من ذلك تحبيب الخلوة إليه ٥٢١

معجزات النبي أظهر من سائر معجزات الرسل بوجهين ٥٢٣ ، الأول كثرتها ٥٢٣ ،

إعجاز القرآن بوجهين ٥٢٤ ، الثاني : وضوح معجزاته ٥٢٥ ، معجزة موسى
 ٥٢٥ ، معجزة عيسى ٥٢٥ ، جملة معارف العرب حين مبثته أربعة ٥٢٦ ، سائر معجزات
 الرسل انقضت بانقراضهم ٥٢٧ ، حديث : ما من الأنبياء نبي إلا أعطى من
 الآيات ما مثله آمن عليه البشر ٥٢٨ ، وجه ثالث في إعجاز القرآن على مذهب من
 قال بالصرفة ٥٢٩

ما يجب على الأنام من حقوقه ٥٣٧ ، في فرض الإيمان به ووجوب طاعته واتباع
 سنته ٥٣٧ ، حديث : أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ٥٣٨ ،
 الإيمان به ٥٣٩ ، قول جبريل للنبي : أخبرني عن الإسلام ٥٣٩ ، الحال المذمومة
 هي الشهادة باللسان دون تصديق القلب ٥٤٠ ، الفرق بين القول والعقد ٥٤٠ ،
 الكلام في الإسلام والإيمان ٥٤٢

وجوب طاعته ٥٤٢ ، آيات تدعو إلى ذلك : ٥٤٢ ، ٥٤٣ ، حديث : قال الرسول :
 من أطاعني فقد أطاع الله ٥٤٤ ، حديث : إذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه ٥٤٤ ،
 قول النبي : كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبي ٥٤٥ ، حديث : مثلي ومثل ما بعثني
 الله به ٥٤٥

وجوب اتباعه وامتهال أمره والافتداء به ٥٤٦ ، آيات تدل على ذلك ٥٤٧ ،
 روى عن الحسن أن أقواما قالوا : يا رسول الله ، إنا نحب الله ٥٤٨ ، معنى حب الله
 ٥٤٨ ، عن العرباض بن سارية في حديثه في موعظة النبي : فعليكم بسنتي ٥٥٠ ،
 في حديث أبي رافع : لا ألفين أحدكم متكئا على أريكته ٥٥١ ، في حديث عائشة :
 صنع رسول الله شيئا ترخص فيه ٥٥١ ، قال النبي : القرآن صعب مستصعب ٥٥١ ،
 قول النبي من اقتدى بي فهو مني ٥٥٢ ، وقال : أحسن الحديث كتاب الله ٥٥٢ ، وقال :
 العلم ثلاثة ٥٥٣ ، وقال : عمل قليل في سنة خير ٥٥٣ ، وقال : إن الله يدخل العبد
 الجنة بالسنة ٥٥٣ ، وقال : للمتمسك بسنتي ٥٥٣ ، وقال : إن بني إسرائيل افترقوا
 ٥٥٣ ، وعن أنس : من أحيأ سنتي فقد أحيأني ٥٥٤

ما ورد عن السلف والأئمة من اتباع سنتيه والاعتداء به ٥٥٤ ، سأل رجل
عبد الله بن عمر ، فقال : إنا نجد صلاة الخوف ٥٥٤ ، وقال عمر بن عبد العزيز :
سن رسول الله وولاية الأمر من بعده سننا ٥٥٥ ، وقال الحسن : عمل قليل في سنة
خير ٥٥٥ ، عمر بن الخطاب يكتب إلى عماله بتعلم السنة والفرائض والاحسن ٥٥٦ ،
على يقول : لم أكن أدع سنة رسول الله لقول أحد من الناس ٥٥٦ ، وقال أبي :
عليكم بالسبيل والسنة ٥٥٧ ، وقال الشافعي : ليس في سنة رسول الله إلا اتباعها
٥٥٨ ، وقال عمر : ونظر إلى الحجر الأسود : إنك حجر لا تنفع ولا تضر ٥٥٨ ، وقال
سهل : أصول مذهبنا ثلاثة ٥٥٨ ، حديث : من كان يؤمن بالله واليوم الآخر
فلا يدخل الحمام إلا بمئزر ٥٥٩

مخالفة أمر النبي وتبديل سنته ضلال ٥٥٩ ، الآيات المؤيدة لذلك ٥٥٩ ، عن
أبي هريرة : إن الرسول خرج إلى المقبرة ... وذكر الحديث في صفة أمته ٥٦٠ ، قول
الرسول : كفى يقوم حمقا أن يرغبوا عما جاء به نبيهم ٥٦١
لزوم محبته صلى الله عليه وسلم ٥٦٣ ، الآيات التي تحض على ذلك ٥٦٣ ، حديث :
لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ٥٦٤ ، وعن أنس : ثلاث من كن
فيه وجد حلاوة الإيمان ٥٦٤

في ثواب محبته صلى الله عليه وسلم ٥٦٥ ، عن أنس أن رجلا أتى النبي فقال : متى
الساعة ٥٦٥ ، قول النبي : المرء مع من أحب ٥٦٥ ، أتى رجل النبي ، فقال : يا رسول
الله ، لأنت أحب إلي من أهلي ومالي ٥٦٦ ، وفي حديث أنس : من أحبني كان معي
في الجنة ٥٦٦

ما روى عن السلف من محبتهم للنبي وشوقهم إليه ٥٦٧ ، عن أبي هريرة : أن
الرسول قال : من أشد أمتي حبا لي ٥٦٧ ، قول عمر للنبي : لأنت أحب إلي من نفسي
٥٦٧ ، ونحوه عن عمرو بن العاص ، وعبد بن خالد ٥٦٧ ، وأبو بكر ٥٦٨ ، امرأة

من الأنصار تقول بعد أن رأت النبي سالما يوم أحد: كل مصيبة بعدك جمل ٥٦٨، على
يصف حب الرسول ٥٦٨، قول بلال حين احتضر: واطرباه، غدا ألتى الأحبة ٥٦٩،
قول زيد بن الدثنة: والله ما أحب أن يمدا الآن في مكانه تصيبه شوكة وإني جالس
في أهلى ٥٧٠

علامة محبته صلى الله عليه وسلم: ٥٧١، الصادق في حب النبي ٥٧١، حديث:
إن قدرت أن تصبح وتسمى ليس في قلبك غش لأحد فافعل ٥٧٢، من علامات محبته
٥٧٢، حديث: آية الإيمان حب الأنصار ٥٧٥، بغض من أبغض الله ورسوله ٥٧٥،
ومن علامات محبته حب القرآن والسنة ٥٧٦، وشفقته على أمته، وزهد مدعيها في
الدنيا ٥٧٧

في معنى المحبة وحقيقتها ٥٧٨، حقيقة المحبة ٥٧٩، النبي جامع للمعاني الثلاثة
الموجبة للمحبة ٥٨٠، النبي مستوجب للمحبة ٥٨١

وجوب مناصحته الرسول ٥٨٢، قال الرسول: إن الدين النصيحة ٥٨٢،
نصيحة الله تعالى ٥٨٣، النصيحة لكتابه ٥٨٣، النصيحة لرسوله ٥٨٣، ٥٨٤،
نصيحة المسلمين ٥٨٤، النصيحة لإحدى ثمرات المحبة ٥٨٥، النصيح لأئمة المسلمين ٥٨٥
تعظيم أمره ووجوب توقيره وبره ٥٨٧، آيات تحث على ذلك ٥٨٧، نهينا عن
التقدم بين يديه ٥٨٨، قوله تعالى: لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي، تفسيرها
وسبب نزولها ٥٨٩، كانت اليهود تعرض بالنبي بقولهم: راعنا، فنهى المسلمون عن
قولها ٥٩١

عادة الصحابة في تعظيمه ٥٩١، حديث عمرو بن العاص في ذلك ٥٩٢، كان
أصحابه حوله كأنما على رؤوسهم الطير ٥٩٢، عروة بن مسعود يقول حين رأى من
تعظيم أصحابه: يا معشر قريش، إني جئت كسرى في ملكه. ٣٩٣، أقوال مختلفة
في ذلك ٣٩٤

في تعظيم النبي بعد موته ٥٩٥ ، تعظيم النبي بعد موته لازم كما كان حال حياته
٥٩٥ ، قول أبي إراهيم النخعي في ذلك ٥٩٥ ، مناظرة أبي جعفر مالك في مسجد
الرسول ٥٩٦ ، كان مالك إذا ذكر النبي تغير لونه ٥٩٧ ، وكذلك جعفر بن محمد
٥٩٧ ، وغيرها ٥٩٨ ، ٥٩٩

سيرة السلف في تعظيم رواية حديث الرسول وسنته ٥٩٩ ، عن ابن مسعود حين
يروى اخذت ٥٩٩ ، مالك بن أنس يكره أن يأخذ الحديث وهو قائم ٦٠٠ ، ابن
السيب يقول: كرهت أن أحدث عن رسول الله وأنا مضطجع ٦٠٠ ، كان مالك لا يحدث
بحديث رسول الله إلا وهو على وضوء ٦٠١ ، وقال: أحب أن أعظم حديث الرسول
ولا أحدث به إلا عن طهارة ٦٠٢ ، وكذلك كان حال الأعمش وقتادة ٦٠٢

توقيره وبر آله وذريته وأمته المؤمنين أزواجه ٦٠٤ ، من توقيره هؤلاء جميعا
٦٠٤ . قول الرسول: أنشدكم الله أهل بيتي ٦٠٥ ، قول الرسول: إني تارك فيكم
ما إن أخذتم به لم تضلوا ٦٠٥ ، لما نزلت: إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس . . .
دعا فاطمة وحسنا وحسينا ٦٠٦ ، قول النبي في علي ٦٠٦ ، قوله للعباس ٦٠٧ ، قول
الرسول: أحب الله من أحب حسنا وحسينا ٦٠٧ ، قوله: لا تؤذي في عائشة ٦٠٨ ،
مثل للبر بآل النبي ٦٠٨ - ٦١١

من توقيره وبره توقير أصحابه وبرهم ٦١١ ، قوله تعالى: محمد رسول الله . . .
٦١٢ ، آيات أخرى في الحديث على ذلك ٦١٢ ، حديث الرسول: اقتدوا باللذين من
بمدي ٦١٢ ، أحاديث أخرى في هذا المعنى ٦١٤ ، قول مالك فيمن أبغض الصحابة
٦١٥ ، قال أيوب السختياني: من أحب أبا بكر فقد أقام الدين ٦١٦ ، أخبار أخرى
في نحو ذلك ٦١٧

من إعظامه وإكباره إعظام جميع أسبابه ٦١٩ ، كانت في قلنسوة خالد بن الوليد
شعرات من شعر النبي ٦١٩ ، كان مالك لا يركب بالمدينة دابة ٦٢٠ ، قول النبي:
من حلف علي منبري كاذبا ٦٢١ ، تعظيم مدينة الرسول ٦٢١ - ٦٢٤

حكم الصلاة عليه والتسليم ، وفرض ذلك ٦٢٥ ، دليل ذلك من القرآن ، ومن

قول ابن عباس وغيره ٦٢٥ ، ٦٢٦ في معنى السلام ثلاثة وجوه ٦٢٦

الصلاة على النبي فرض على الجملة ٦٢٧ ، الطبري يقول إنها على الندب ٦٢٧ ،

الشهور أن ذلك واجب في الجملة ٦٢٨ ، آراء للفقهاء في ذلك ٦٢٩ - ٦٣٢

المواطن التي يستحب فيها الصلاة والسلام على النبي ٦٣٣ ، في تشهد الصلاة ٦٣٣ ،

سمع النبي رجلا يدعو في صلاته فلم يصل على النبي ٦٣٣ ، عمر بن الخطاب يقول: الدعاء

والصلاة معلق بين السماء والأرض ... ٦٣٤ ، وعن علي وابن مسعود مثله ٦٣٤ ، عن جابر:

قال الرسول: لا تجمعوني كدح الراكب ٦٣٤ ، قول ابن عطاء: للدعاء أركان

وأجنحة ٦٣٥ ، في الحديث: الدعاء بين الصلاتين على لا يرد ٦٣٥ ، في دعاء ابن

عباس ٦٣٥ ، من مواطن الصلاة عليه عند ذكره وسماع اسمه ٦٣٦ ، حديث: رغم

أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل على ٦٣٦ ، كرامة الصلاة عليه عند الذبح ، والتعجب

٦٣٦ ، روى النسائي الأمر بالإكثار من الصلاة عليه يوم الجمعة ٦٣٧ ، ومن مواطن

الصلاة عليه دخول المسجد ٦٣٧ ، إذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم ٦٣٧ ، للراد

بالبيوت ٦٣٨ ، من مواطن الصلاة عليه الصلاة على الجنائز ٦٣٨ ، وفي الرسائل ٦٣٩ ،

حديث: إذا صلى أحدكم فليقل: التحيات لله والصلاة والطيبات ٦٣٩ ، السلام عليه ٦٤٠

كيفية الصلاة عليه والتسليم ٦٤٠ ، قالوا يا رسول الله كيف نصلي عليك ٦٤٠ ،

كيفية الصلاة عليه ٦٤٢ ، حديث من سره أن يكتب بالمكنى الأوفى ٦٤٢ ، سلامة

السكندی يقول: كان على يملنا الصلاة على النبي ٦٤٣ - ٦٤٥ ، ورواية عبد الله بن

مسعود في الصلاة عليه ٦٤٦ ، وكان الحسن البصري يقول .. ٦٤٦ ، وغيرهم ٦٤٧ - ٦٤٩

فضيلة الصلاة على النبي والتسليم عليه والدعاء له ٦٤٩ ، الرسول يقول: إذا

سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ٦٤٩ ، ثواب هذا العمل ٦٥٠ ، كان رسول الله إذا

ذهب ربع الليل قام فقال: ٦٥١ ، بشارة جبريل للنبي ٦٥٢

في ذم من لم يصل على النبي وإيتمه ٦٥٣ ، حديث : رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل على ٦٥٤ حديث : البخيل كل البخيل ٦٥٤ ، أحاديث وآثار في مثل ذلك ٦٥٥ ، ٦٥٦

تخصيصه صلى الله عليه وسلم بتبليغ صلاة من صلى عليه ٦٥٦ ، حديث : ما من أحد يسم على ... ٦٥٧ ، قول الرسول : من صلى على عند قبري ٦٥٧ ، عن الحسن ابن علي : لاتخذوا بيتي عيداً ٦٥٨

في الاختلاف في الصلاة على غير النبي ٦٥٩ ، يرى ابن عباس أنه لا تجوز الصلاة على غير النبي ٦٥٩ ، مذهب مالك ٦٦٠ ، وروى عن أبي هريرة ، أن الرسول قال : صلوا على أنبياء الله ورسله ٦٦٠ ، الصلاة في لسان العرب ٦٦١ ، آيات وأحاديث تؤيد ذلك ٦٦١ ، آل النبي ٦٦٢ ، رأى المؤلف أنه لا يصل على غير الأنبياء ٦٦٣ ، يذكر من سواهم من الأئمة بالفقران والرضا ٦٦٤ ، ما يؤيد هذا الرأي ٦٦٤

حكم زيارة قبر الرسول ٦٦٦ ، زيارة قبره سنة ٦٦٦ ، قول النبي : من زار قبري وجبت له شفاعتي ٦٦٦ ، قول الرسول : من زارني في المدينة محتسباً ٦٦٧ ، كره مالك أن يقال : زرنا قبر النبي ٦٦٧ ، لما ذكروه مالك أن يقال : طواف الزيارة وزرنا قبر النبي ٦٦٨ ، فضل زيارة المدينة ٦٧٠ ، كيفية الوقوف عند قبر النبي ٦٧١ - ٦٧٧ ، وما يقال حينئذ ٦٧٢ ، قول الرسول : ما بين منبري وقبري روضة من رياض الجنة ٦٧٣ ، ٦٨٢ ، ما يفعله أهل المدينة ٦٧٦ ، قول النبي : اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد ٦٧٧

ما يلزم من دخل مسجد النبي من الأدب ٦٧٨ ، المسجد الذي أسس على التقوى ٦٧٨ ، حديث : لا تشد الرجال إلا إلى ثلاثة مساجد ٦٧٩ ، ما كان يقول النبي إذا دخل المسجد ٦٧٩ ، عمر بن الخطاب ينهى عن رفع الصوت في المسجد ٦٨٠ ، يكره في مسجد الرسول الجهر على المصلين ٦٨٠ ، حديث : صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة ٦٨٠ ، تفضيل المدينة على مكة ٦٨١ ، موضع قبره أفضل بقاع الأرض ٦٨٢ ،

قول الرسول : منبرى على ترعة من ترع الجنة فيه معنيان ٦٨٣ ، المراد بـ « منبرى »
٦٨٣ ، قوله : روضة من رياض الجنة يحتمل معنيين ٦٨٣ ، قال النبي في المدينة :
لا يصبر على لأوائها وشدتها أحد ٦٨٤ ، وقوله : إنما المدينة كالكبير ٦٨٤ ، وقوله :
لا يخرج أحد من المدينة رغبة عنها ... ٦٨٥ ، قول المفسرين في قوله تعالى : إن أول
بيت وضع للناس ٦٨٥ ، حرمة الكعبة ٦٨٧ ، الدعاء عند الركن الأسود ٦٨٧ ، من
صلى خلف المقام ركعتين ٦٨٧ ، قول الرسول : ما دعا أحد بشيء في هذا الملتزم إلا
استجيب له ٦٨٧ ، وتأيد كثير من الصحابة لهذا الحديث عملا ٦٨٨

ما يجب للنبي ، وما يستحيل في حقه أو يجوز عليه ٦٩٠ ، النبي وسائر الأنبياء
من البشر ٦٩١ ، الأنبياء والرسل وسائط بين الله وبين خلقه ٦٩١ ، لو كانوا من
الملائكة ٦٩٢

عصمة نبينا وسائر الأنبياء ٦٩٤ ، النبي نزه عن كثير من الآفات ٦٩٤

حكم عقد قلب النبي من وقت نبوته ٦٩٥ ، ما تعلق منه بطريق التوحيد والعلم
بالله ٦٩٥ ، لا يمرض على هذا بقول إبراهيم : قال بلى ولكن ليطمئن قلبي ٦٩٥ ،
لستة وجوه ٦٩٦ ، نفى الشك عن الرسول ٦٩٧ ، ٧٠١ ، معنى قوله تعالى : حتى إذا
استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا ٧٠١ ، عن عائشة أول ما بدىء به رسول الله
من الوحي الرؤيا الصادقة ٧٠٣ ، حديث النبي في جواره غار حراء ٧٠٤ ، حديث خديجة
واختبارها أمر جبريل بكشف رأسها ٧٠٦ ، فرار يونس خشية تكذيب قومه ٧٠٩ ،
تفسير قوله تعالى : إذ ذهب مغاضبا ٧٠٩ ، ٧١٠ ، ما معنى الحديث ، إنه ليغان على
قلبي ٧١٠ - ٧١٤ ، معنى قول الله لحمد : ولو شاء الله لجمعهم على الهدى ٧١٤ ، وقوله
لنوح ، إنى أعظك أن تكون من الجاهلين ٧١٤ ، عصمة الأنبياء بعد النبوة قطعا
٧١٥ ، ما معنى وعيد الله للنبي في قوله : إنن أشركت ليحبطن عملك ، وغيرها من
الآيات ٧١٦ ، الجواب عن ذلك ٧١٧ - ٧١٩

عصمة الأنبياء قبل النبوة من الجهل بالله وصفاته ٧١٩، الصواب أنهم معصومون قبل النبوة ٧١٩، الدليل على ذلك من القرآن ٧٢٠، شق قلب النبي وهو صغير ٧٢١، معنى قول إبراهيم: هذا ربي ٧٢٢، الدليل على برأته من ذلك ٧٢٢، معنى قوله تعالى: ووجدك ضالا فهدى ٧٢٤ - ٧٢٧، وقوله: وعلمك ما لم تكن تعلم ٧٢٥، وقوله: وإن كنت من قبله لمن الضالين ٧٢٨، في قصة بحيرا ٧٢٩

في حكم عقد النبي في التوحيد والشرع ٧٣٠، قلوب الأنبياء مملوءة علما وبقينا ٧٣٠، ما تعلق بأمر الدنيا فلا يشترط في حق الأنبياء العصمة ٧٣٠، أما ما يتعلق بالدين فلا يصح إلا العلم به ٧٣١، حديث أم سلمة: إني إنما أفضى بينكم برأيي ٧٣١، قصة بدر والإذن للمتخلفين ٧٣٢، أما ما تعلق بمقدمه في التوحيد والشرع ٧٣٤

إجماع الأمة على عصمة النبي من الشيطان ٧٣٥، حديث: ما منكم من أحد إلا وكل به قرينه من الجن ٧٣٦، جاءت الآثار بتصدى الشياطين له في غير موطن ٧٣٧ - ٧٣٩، حديث: إن عيسى بن مريم كفى من لسه ٧٣٩، معنى قوله تعالى: وإما ينزغنك من الشيطان نزع ٧٤٠، معنى قوله تعالى: وما أرسلنا من قبلك... إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمانيته ٧٤١، قول النبي: إن هذا واد به شيطان ٧٤٢، قول المفسرين في قول تعالى: فأنساه الشيطان ٧٤٤

عصمة النبي في أقواله وأفعاله ٧٥٤، قول النبي: إني لا أقول في ذلك كله إلا

حقا ٧٤٧، دليل المعجزة ٧٤٧

سؤالات لبعض الطاعنين ٧٤٨، ما قيل إن النبي: قال: تلك الغرائق العلاء.

٧٤٨، والقول الصحيح في ذلك ٧٥٢ - ٧٦٣، قصة يونس مع قومه وقوله: لا أرجع إليهم كذابا ٧٦٣، عبد الله بن سرح وقوله: إني كنت أصرف محمدا حيث أريد ٧٦٤، والرد على هذا القول ومثله ٧٦٥ - ٧٦٧

ما يتصل بأمور الدنيا وأحوال نفسه ٧٦٨: الذي يجب اعتقاده تنزيه النبي أن

يقع خبره بخلاف مخبره لا عمدا ولا سهوا ٧٦٨ ، الصواب تنزيه النبي عن الفليل
والكثير ٧٧٢

معنى حديث السهو : صلى رسول الله صلاة العصر ٧٧٤ ، أجوبة للعلماء في ذلك
٧٧٤ - ٧٧٨ ، قصة كلمات إبراهيم المذكورة في الحديث : أنها كذباته الثلاث ٧٧٨ ،
تفسير ذلك ٧٧٨ ، قول إبراهيم : بل فعله كبيرهم ٧٧٩ ، وقوله : أختي ٧٧٩ ،
حديث : كان النبي إذا أراد غزوة وزى ٧٨٠ ، سئل موسى أى الناس أعلم ؟ فقال :
أنا أعلم ، فعتب الله عليه ذلك ٧٨١ ، تفسير ذلك ٧٨٢ ، ٧٨٣

ما يتعلق بالجوارح من الأعمال ٧٨٤ ، أجمع المسلمون على عصمة الأنبياء . من
الفواحش والكبائر ٧٨٤ ، وهم معصومون من كتابان الرسالة ٧٨٥ ، أما الصغائر
فجوزها جماعة من السلف ٧٨٦ ، والمحققون يقولون بمصمتهم من الصغائر ٧٨٦ -
٧٨٩ ، الباحات جازر وقوعها منهم ٧٩٢

في عصمتهم قبل النبوة ٧٩٣ ، الصحيح عصمتهم من كل ما يوجب الريب ٧٩٣ ،
هل كان النبي متبعاً لشرع قبله قبل أن يوحى إليه ٧٩٣ ، حجج القائلين بنفى ذلك
٧٩٣ ، وقالت طائفة بأنه كان عاملاً بشرع من قبله ٧٩٤ ، من كان يتبع ٧٩٤
ما يكون بغير قصد وتعمد كالسهو ٧٩٦ ، ذلك على وجهين ٧٩٦ ، ماطريقة البلاغ ،
وما هو خارج من هذا ٧٩٧ ، حكم الأول ٧٩٧ ، حكم الثاني ٧٩٩

الأحاديث المذكور فيها السهو ٨٠٠ ، حديث ذى اليمين ٨٠٠ ، حديث ابن مسعود :
صلى النبي الظهر خمسا ٨٠٠ ، قول النبي : إنما أنا بشر ٨٠١ ، أحاديث في النسيان
والسهو ٨٠٢ ، حديث : إن عيني تنامان ولا ينام قلبي ٨٠٥ ، تفسير ذلك ٨٠٥ - ٨٠٧
الرد على من أجاز عليهم الصغائر ٨٠٩ ، الاحتجاج بالقرآن ٨١٠ ، ٨١١ - ٨١٦ ،
الاحتجاج بالأحاديث ٨١١ ، قصة أسارى بدر ٨١٦ - ٨٢١ ، تفسير قوله تعالى : عبس
وتولى ٨٢١ ، قصة آدم وقوله تعالى : فأكلا منها ٨٢٢ ، وتفسير ذلك ٨٢٣ - ٨٢٦ ،

قصة داود ، وقوله تعالى : وظن داود أنما فتناه ٨٢٧ ، ٨٢٨ ، قصة يوسف وإخوته ٨٢٩ ، قوله تعالى : ولقد همت به وهم بها ٨٢٩ - ٨٣٢ ، وقول يوسف : وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء ٨٣١ ، خبر موسى مع قتيله ٨٣٢ - ٨٣٤ ، قصة سليمان ٨٣٥ ، وتأويل ذلك : ٨٣٥ - ٨٣٧ ، قصة نوح مع ابنه ٨٣٨ ، معنى قول النبي : ما من أحد إلا ألم بذنب أو كاد ٨٤٠

دفع شبهات نشأت عما تقدم ٨٤٠ ، معنى قوله تعالى : وعصى آدم ربه فغوى ٨٤٠ ، ٨٤١ ، قول يوسف : اذكرني عند ربك ٨٤٢ ، قول بعض المتكلمين : زلات الأنبياء في الظاهر زلات وفي الحقيقة كرامات ٨٤٤ ، رأى ابن عطاء في قضية صاحب الحوت ٨٤٥ ، توجيه قول الرسول : أفلا أكون عبدا شكورا ٨٤٦ ، معنى لطيف في التوبة والاستغفار ٨٤٧

عصمة النبي في كل حالاته ٨٤٩ ، لهذا احتاط على الرجلين اللذين رأياه ليلا مع

صفية ٨٤٩ ، فوائد ذلك ٨٥٠

القول في عصمة الملائكة ٨٥١ ، حكم المرسلين منهم حكم النبيين ٨٥٢ ، واختلف

في غير المرسلين ٨٥٢ ، الصواب عصمة جميعهم ٨٥٣ ، اختلف في هاروت وماروت هل هما ملكان أو إنسيان ٨٨٥ ، رأى أكثر المفسرين ٨٨٥ ، قراءة : وما أنزل على الملائكين - بكسر اللام ٨٥٧ ، رأى المفسرين فيها ٨٥٧ ، إبليس من الملائكة أو من الجن ٨٥٨

ما يخص الأنبياء في الأمور الدنيوية ويطرأ عليها من العوارض البشرية ٨٦٠ ،

الرسول والأنبياء من البشر ٨٦٠ ، يجوز عليهم ما يجوز على البشر ٨٦٠ ، حوادث تدل على ذلك : ٨٦١ - ٨٦٣ ، سائر الأنبياء مبتلى ومعافى ٨٦٣ ، الطوارئ والتغيرات تختص بأجسامهم البشرية ٨٦٣ ، قول النبي : إن عيني تنامان . . . وقوله : إني لست كهيتنكم . . . وقوله : لست أنسى ٨٦٤

النبي سحر ٨٦٥ ، كيف جاز عليه وهو معصوم ٨٦٥ ، الرد على ذلك ٨٦٦ - ٨٦٩

النبي وأحوال الدنيا ٨٧٠ ، حديث : قدم رسول الله وهم يأبرون النخل ٨٧٠ ،
وقوله : إذا أمرتكم بشيء من رأيي فإنما أنا بشر ٨٧٠ ، نزوله بأدنى مياه بدر ، ورأى
الحباب بن المنذر في ذلك ٨٧١

بعض أمور البشر الجارية على يديه وقضايهم قد يظهر له منها ما الأمر بخلافه

أحيانا ٨٧٤ ، حديث : إنما أنا بشر ، وإنكم تختصمون إلي ٨٧٤ ، حرمان أحكام
النبي على الظاهر وحكمة ذلك ٨٧٥

أقواله الدنيوية الخلف فيها ممتنع عليه في كل حال ٨٧٦ ، المعارض ٨٧٧ ، ممازحته
ومداعبته ٨٧٧ ، وكذلك ما صورته صورة الأمر والنهي ٨٧٨ ، قصة زيد بن حارثة
٨٧٨ ، أصح ما حكاه أهل التفسير : ٨٧٩ - ٨٨٣

معنى الحديث : لما حضر الرسول وفي البيت رجال قال هلوا أكتب كتابا

٨٨٤ ، روايات الحديث ٨٨٤ ، تفسيره ٨٨٥ - ٨٩٠

ماوجه الحديث : اللهم إنما محمد بشر يفضب كما يفضب البشر ٨٩١ ، روايات

الحديث ٨٩١ ، معناه ٨٩٢ - ٨٩٥ ، حديث الزبير ، وقول النبي حين تخصمه مع
الأنصاري في شراج الحرة : اسق يا زبير ٨٩٦ ، تفسيره ٨٩٧ ، الحديث في إقامته
عكاشة من نفسه ٨٩٨ ، حديث الأعرابي الذي طلب منه الرسول الاقتصاص منه
٨٩٩ ، حديث سواد بن عمرو : أتيت النبي وأنا متخلق ٨٩٩

جواز السهو والغلط في أفعال النبي الدنيوية ٩٠٠ ، صفة أفعاله ٩٠١ ، يفعل الفعل

ثم يتركه - يكون غيره خيرا منه ٩٠٣ ، يصبر للجاهل ٩٠٤ ، يتولى في منزله ما يتولى
الخادم من مهنته ٩٠٤ ، قوله لعائشة في الداخل عليه : بئس ابن المشيرة ، وكيف جاز
أن يظهر خلاف ما يبطن : ٩٠٥ - ٩٠٧ ، قول النبي لعائشة - في بريرة : اشتريها
واشترطى عليها ٩٠٧ ، الرد على ذلك في وجوه ثلاثة ٨٠٨ ، ٨٠٩ ، ما معنى فعل يوسف
بأخيه إذ جعل السقاية في رحله ٩٠٩ ، وقوله : أيتها العير إنكم لسارقون ٩١٠

الحكمة في إجراء الأمراض وشدتها عليه وعلى الأنبياء ٩١١ - ٩١٣ ، أى الناس
أشد بلاء ٩١٣ ، حديث : ما يزال البلاء بالمؤمن ٩١٤ ، حديث : إذا أراد الله بعبده
الخير عجل له العقوبة في الدنيا ٩١٤ ، سبب ابتلاء يعقوب بيوسف ٩١٥ ، سبب بلاء
أيوب ومحنة سليمان ٩١٦ ، فائدة شدة المرض والوجع بالنبي ٩١٧ - ٩١٩ ، للمؤمن
مرزأ مصاب بالبلايا ٩٢٠ ، موت الفجاءة ٩٢٤

تصرف وجوه الأحكام فيمن تنقصه أو سبه ٩٢٦ ، الآيات الدالة على هذه
الأحكام ٩٢٧ ، قول اليهود : راعنا ٩٢٧ ، قول الرسول : تسموا باسمي ولا تكنوا
بكنيتي ٩٢٨ ، للناس في هذا الحديث مذاهب : ٩٢٩ ، من سمي باسم محمد ٩٣١

بيان ما هو سب أو نقص في حقه ٩٣٢ ، جزاء من سب النبي : ٩٣٣ - ٩٣٨ ، من
دعا على نبي من الأنبياء ٩٣٧ ، ٩٣٨ ، تسمية النبي بالينيم ٩٤٠ ، جزاء الاستهزاء
بالرسول ٩٤١ ، جزاء من قصد النبي بأذى أو تنصص معرضا أو مصرحا ٩٤٢

الحجة في إيجاب قتل من سبه أو عابه ٩٤٤ ، من القرآن ٩٤٤ - ٩٤٧ ، من
الآثار ٩٤٨ ، قتل كعب بن الأشرف ، وعبد الله بن أبي الحقيق ٩٤٩ ، قتل ابن
خطل وجاريتيه ٩٤٩ ، حوادث أخرى : ٩٥٠ - ٩٥٤ ، مالك يقول الرشيد : ما بقاء
الأمة بعد شتم نبيها ٩٥٤ ، سبب هذا الجزاء لسانه أو متنقصه ٩٥٥

لم يقتل النبي الذي قال له : السام عليكم ، وغيره ٩٥٨ ، أسباب ذلك ٩٥٨ - ٩٦٢ ،
لم يقتل المنافقين : ٩٦٣ - ٩٦٥ ، القائل الرسول : هذه قسمة ما أريد بها وجه الله
٩٦٦ ، حديث : ما انتقم الرسول لنفسه ٩٦٩

وجه قتل القاصد لسبه ٩٧١ ، إذا كان القائل غير قاصد للسب والإزراء ٩٧٢ ،
إذا قصد سابه تكذيبه ٩٧٥ ، من شك في حرف مما جاء به ٩٧٦ ، إذا أتى من
الكلام بحيل أو بمشكل يمكن حمله على النبي وغيره ٩٧٨ ، دم المسلم لا يقدم عليه
إلا بأمر بين ٩٨١ ، إذا لم يقصد سباً ، لكنه يقصد الترفيع لنفسه ٩٨٥ ، أمثلة لذلك :
٩٨٦ - ٩٩٦ ، حق أمثال هؤلاء ٩٩٠

إذا قال القائل ذلك حاكياً عن غيره ٩٩٧ ، حكمه ٩٩٧ ، حكى الله تعالى مقالات
المفترين عليه وعلى رسوله في كتابه ٩٩٩ وكذلك وقع من أمثاله في أحاديث النبي: ٩٩٩
ذكر ما يجوز على النبي أو يختلف فيه وما يطرأ من الأمور البشرية على طريق
الرواية ومذاكرة العلم ١٠٠٣ ، حكم ذلك ١٠٠٣ ، كره بعض السلف تعليم النساء
سورة يوسف ١٠٠٤ قول النبي - مخبراً عن نفسه - باستئجاره لرعاية الغنم ١٠٠٤ ،
وأخبر الله بذلك عن موسى ١٠٠٤ ، الحكمة في ذلك ١٠٠٥ ، ذكر الله يحمه وعييلته
١٠٠٥ ، وصفه بأنه أمي ١٠٠٧ ، الأمية في غيره نقيصة ١٠٠٧

ما يجب على المتكلم فيما يجوز على النبي وما لا يجوز ١٠١١ ، إذا أخذ في أبواب
المصنعة وتكلم في مجارى أفعاله ١٠١١ ، وإذا تكلم على العلم ١٠١٢ ، وإذا تكلم في
الأفعال ١٠١٢ ، جودة العبارة تقبح الشيء أو تحسنه ١٠١٣

في حكم سابه وشاتمته ومنتقصه ١٠١٥ ، مشهور مذهب مالك ١٠١٥ ، رأى غيره

١٠١٦ - ١٠٢٠ من لم يره ردة ١٠٢٠ ، من علم أنه سبه معتقداً استحلاله ١٠٢١

إذا قلنا بالاستتابة حيث تصح فالاختلاف فيها على الاختلاف في توبة المرتد

١٠٢٣ ، مذهب الجمهور أن المرتد يستتاب ١٠٢٣ ، آراء أخرى ١٠٢٣ ، المرتد والمرتدة

في ذلك سواء ١٠٢٤ ، آراء أخرى ١٠٢٤

حكم من لم تتم الشهادة عليه ، أو احتمل ١٠٢٨ ، إذا تاب المرتد ١٠٢٩

حكم الذي إذا صرح بسبه أو عرض ١٠٣٠ ، يستدل عليه من القرآن ، ويقتل

النبي لابن الأشرف وأشباهه ١٠٣١ ، ذمهم لانسقط حدود الإسلام ١٠٣٢ ،

إذا سبه ثم أسلم ١٠٣٢ ، لا يسقط إسلام الذي سب قتله ١٠٣٣ ، إذا قال

النصراني ديننا خير من دينكم ١٠٣٥ ، من شتم الأنبياء من اليهود والنصارى

ميراث من قتل بسب النبي وغسله والصلاة عليه ١٠٤٠ ، أقوال للعلماء في ذلك

١٠٤١ - ١٠٤٦

حكم من سب الله وملائكته وكتبه وأنبياءه وآل النبي وأزواجه وصحبه

١٠٤٧ ، ساب الله من المسلمين ، كافر حلال الدم ١٠٤٧ ، الاختلاف في استنابته

١٠٤٧ ، اختلاف فقهاء قرطبة في مسألة هارون بن حبيب ١٠٤٨ ، وجه ترك

استنابته ١٠٥٠

حكم من أضاف إلى الله ما لا يليق به على طريق التأويل ١٠٥١ ، اختلاف قول

مالك وأصحابه في ذلك ١٠٥١ - ١٠٥٤ ، من قال : القرآن مخلوق ١٠٥٤ ،

القدرى ١٠٥٤

تحقيق القول في إكفار المتأولين ١٠٥٦ ، من الفقهاء والمتكلمين من صوب

التكفير ١٠٥٦ ، ومنهم من أباه ١٠٥٦ ، اختلاف قولى مالك في ذلك ١٠٥٧ ،

قولهم في الخوارح ١٠٦٠ ، حديث : يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم ١٠٦٠ ،

وتأويله ١٠٦١

بيان ما هو من المقالات كفر وما يتوقف أو يختلف فيه ، وما ليس بكفر

١٠٦٥ ، كل مقالة صرحت بنفي الربوبية أو الوجدانية أو عبادة أحد غير الله - كفر

١٠٦٦ ، أمثال هؤلاء ١٠٦٦ ، من اعترف بإلهية الله ، ولكن وصفه بغير صفاته ١٠٦٧ ،

القطع بكفر من قال بقدم العالم ١٠٦٧ ، من دان بالوجدانية وصحة النبوة ، ولكنه

جوز على الأنبياء الكذب ١٠٦٨ ، حكم من قال : إن في كل جنس من الحيوان

نذيراً أو نبياً ١٠٦٩ ، من ادعى نبوة أحد مع نبينا ١٠٧٠ ، حكم طوائف أخرى :

١٠٧١ - ١٠٧٨ ، من أنكر الإجماع المجرد ١٠٧٩ ، حديث : من خالف الجماعة

١٠٧٩ ، الكفر بالله هو الجهل بوجوده ١٠٨٠ ، من جهل صفة من صفاته ١٠٨١ ،

حديث السوداء ١٠٨٢ ، من أثبت الوصف ونفى الصفة ١٠٨٤ ، مسائل الوعد والوعيد ،

والرؤية والمخلوق ؛ وخلق الأفعال ١٠٨٦

- حكم الذي الساب لله ١٠٨٧ ، اختلاف العلماء في الذي إذا تزندق ١٠٨٩ ،
حكم مفترى الكذب على الله ١٠٨٩ ، حكم المجنون والمعتوه في ذلك ١٠٩٠ ،
حرق علي بن أبي طالب من ادعى له الألوهية ١٠٩٠ ، المتنبى ، والحلاج ، وابن أبي الفراقيد
١٠٩١ ، من ندياً قتل ١٠٩١
حكم من تكلم بسقط القول وسخف اللفظ ، بما يقتضى الاستخفاف بعظمة ربه
١٠٩٢ ، فتيا بعض الفقهاء في أمثال لهؤلاء ١٠٩٣ ، إسراف كثير من الشعراء في
هذا الاستخفاف ١٠٩٥
حكم من استخف بالأنبياء والملائكة ١٠٩٧ ، آراء الفقهاء في أمثال لهؤلاء
١٠٩٨ ، حكم من استخف بمن لم يقع الإجماع على كونه من الملائكة أو
الأنبياء ١٠٩٩
حكم المستخف بالقرآن أو بشيء منه ١١١١ ، حديث : المرء في القرآن كفر ،
وحديث : من جحد آية من كتاب الله ١١٠٢ ، إجماع المسلمين أن القرآن المتلو هو
كلام الله ووحيه ١١٠٢ ، وأن من نقص منه ، أو بدله - كافر ، ١١٠٣ - ١١٠٥
رأى مالك قتل من سب عائشة ١١٠٣
سب آل بيته وأزواجه وأصحابه وتفتصم حرام ملمون فاعله ١١٠٦ ، حديث :
الله الله في أصحابي ١١٠٦ ، حديث : لا تسبوا أصحابي ١١٠٧ ، وقول النبي :
لا تؤذوني في عائشة ١١٠٧ ، مشهور مذهب مالك : ١١٠٨ - ١١١٠ ، أقوال لبعض
الصحابه وفتيا في أمثال هؤلاء ١١١١ ، حديث : من انتقص أحدا من أصحاب
النبي ١١١١ ، من سب غير عائشة من أزواج النبي ١١١٣

٤ — فهرس الشعر

الصفحة	الشاعر	القافية
	(ب)	
٦٢١	أبو الفضل الجوهري	مُلبّا
٩٩٠	أبو نواس	خَصِيبٍ
٦٢٣	الفاضى عياض	بالآياتِ
٩٨٨	حسان المصيبى	محمدُ
	(ر)	
٩٩٢	حسان بن ثابت	ومفخرُ
٣٤٥	ابن رواحة	بالخبرِ
٩٨٧	المعري	فقيرِ
٩٩٢	جرير	أنصارى
٥٦٩	عجوز	الأخيارُ
	(ع)	
٩٩٢	حسان بن ثابت	والشيعُ
٣٥٤	النايفة الديراني	داعي
	(ق)	
٢١٩، ٢١٨	العباس بن عبد المطلب	الورقُ
	(ك)	
٣٥٥	جارية من الأنصار	يمجدونكأ
١٠٩٥	بعض الأعراب	كأ
	(ل)	
٣٥٤	الشنفرى	وأرجلُ

الصفحة	الشاعر	الغاية
٩٨٧	المعري	بدليل
٢٨٦	بعضهم	خليلاً
	(م)	
٦٢١	أبو نواس	الأوهام
	(ن)	
٩٨٨	الآخر	رضوان
٩٩١	أبو نواس	الشراكان
٩٨٨	زيد بن عبد الرحمن المغربي	جبرين
	(هـ)	
٩٩١	أبو نواس	نقرة

٥ - فهرس الأعلام

ابن المقفع ٣٨٧	(١)
ابن المنكدر ١٦٣	آدم ٢٢٨ ، ٨١١ ، ٨١٣
أبو إسحاق بن شيبان ٦٣٧	أمّة بنت وهب ١٣٠
أبو إسحاق البرقي (إبراهيم بن عبد الرحمن)	إبراهيم (عليه السلام) ١٢٩ ، ١٣٠ ، ٢٩٥ ،
٩٧٩	٦٩٦ ، ٦٩٧ ، ٧٧٨ ، ٧٨٠ ، ٧٩٤
أبو أمامة ١٦٨	إبراهيم بن حسين ٩٣٥ ، ١٠٤٩
أبو أيوب ٤١٢	إبراهيم بن حماد ٤٤٣
أبو بردة بن أبي موسى ٦٤	إبراهيم بن عبد الله بن قرين ٦٠٠
أبو برزة الأسلمي ٩٥٣	ابن أبي الحقيق (أبو رافع) ٧٦٩ ، ٩٤٩
أبو بكر الآجري ٤١٨ ، ٥٨٤	ابن ذى يزن ٥١٦ ، ١٠٠٦
أبو بكر بن أبي إسحاق الخفاف ٥٨٣	أبن أبي رافع ٥٦١
أبو بكر بن أبي شيبه ٦٥٧	ابن أبي الفرافيد (محمد بن علي) ١٠٩١
أبو بكر بن بكير ٦٢٨	ابن أبي فديك ٦٧٠
أبو بكر بن زيدون ٩٨٨	ابن أبي مريم ٩٩٣
أبو بكر بن سابق ٨٨	ابن أبي مايكة ٦٧١
أبو بكر بن طاهر ١٨	ابن أبي هالة ٨٥ ، ١٥٦ ، ١٧٨ ، ١٨٧
أبو بكر بن الطيب ١١٠٩	ابن إسحاق = محمد بن إسحاق
أبو بكر بن العلاء ٦٩٩	ابن بحينة (عبد الله) ٨٠٠
أبو بكر بن عمرو بن حزم ٦٣٨	ابن خالويه ١٧٥
أبو بكر بن عياش ٦١٠	ابن سحنون = محمد بن سحنون
أبو بكر بن فورك ٦٥ ، ١٥٩ ، ٢٨٣ ، ٢٨٧ ،	ابن سيرين = محمد بن سيرين
٤٢٥ ، ٨٢٤ ، ١٠١٠	ابن شهاب ١٦٠
أبو بكر بن محمد ٦	ابن عطاء (أحمد بن محمد بن سهل) ٤٥ ، ٢٤ ،
أبو بكر بن المنذر ٥٢٩ ، ٩٣٣	٤٦
	ابن السكبي (محمد بن السائب) ١٧

أبو رمة ٣٤٣	أبو بكر الأبهري ١١٠٥
أبو سعيد الخدري ٢٤ ، ٣٥ ، ١٥٣ ، ١٧٦ ،	أبو بكر الباقلازي ١٠٦٤ ، ١٠٦٥ ، ١٠٨٠ ،
٢٧٥ ، ٢٧٩ ، ٢٨٠ ، ٤٣٦ ، ٤٤٧ ،	١٠٨٦
٤٥١ ، ٤٧٧ ، ٥٧٧ ، ٦٤١ ، ٦٥٦ ،	أبو بكر البزار ٧٥١ ، ٧٦٥ ،
٩١٧ ، ٩١٩ ، ١٠٦١	أبو بكر الشاشي (محمد بن علي) ١٠٩٦
أبو سفيان بن حرب ١٤٣ ، ١٧٣ ، ٤٣٨ ،	أبو بكر الصديق ٨٩ ، ٤٩٤ ، ٤٩٥ ، ٥٦٢ ،
٥٧٠	٥٦٨ ، ٥٨٣ ، ٥٩٠ ، ٥٩٢ ، ٦٠٧ ،
أبو سفيان بن الحارث ٥١٣	٦١٧ ، ٦٥٣ ، ٩٣٣ ، ٩٥٢ ، ٩٧٣ ،
أبو سليمان البستي = الخطابي	١١١٤ ، ١٠٢٥
أبو طالب (عم النبي) ٥٢٠	أبو بكر الهذلي ٢٦٣
أبو الطفيل ١٦٦	أبو تمام (محمد الأبهري) ٨٢٢
أبو طلحة ٤١٠	أبو جعفر المنصور ٥٩٥
أبو العباس المبرد ١٧٤ ، ٦٢٥ ،	أبو جهل ٣٦٩ ، ٤٥٤ ، ٤٩٨ ،
أبو عبد الله بن عتاب ٩٤٠	أبو جهم بن حذيفة ٤٩٣
أبو عبد الله بن المرباط ٩٤١	أبو الحسن الأشعري ٢٦١ ، ٤٤٨ ، ١٠٨١ ،
أبو عبيد القاسم بن سلام ١٠٠٢	أبو الحسن القابسي ٣٤ ، ٥٩ ، ٩٧٣ ، ٩٨٠ ،
أبو عبيدة ٧٠١	٩٩٤ ، ٩٩٥ ، ١٠١٦ ، ١٠٤١ ، ١٠٩٢ ،
أبو عثمان بن الحداد (سعيد) ٩٧٧ ، ١١٠٤ ،	١٠٩٩
أبو عثمان الحيري ٥٥٨	أبو الحسن بن القصار ٦٢٨ ، ٩٦٤ ،
أبو عمر بن عبد البر ٦٤٨	أبو الحسن الماوردي ٢٨
أبو عمر الطلمنكي ٢٦٠	أبو حميد الساعدي ٦٤٠ ، ٦٦٣ ،
أبو الفضل الجوهري ٦٢١	أبو حنيفة النعمان ٩٣٣ ، ٩٧٥ ، ١٠٢٦ ،
أبو القاسم بن الجلاب ١٠٣٩	١٠٤٤ ، ١٠٩١ ، ١٠٩٨ ،
أبو القاسم بن المأمون ٤٦٣	أبو ذر الهروي ١٨٥ ، ٢٥٩ ، ٢٧٨ ،
أبو قتادة ١٦٦	٣٤٨ ، ٣٧١ ، ٤٧١ ، ٤٨٤ ، ٥٦٧ ، ١١١١ ،

٤٧٠ ، ٤٨٠ ، ٤٨٢ ، ٤٩٨ ، ٥٠٤

٥٠٧ ، ٥٣٨ ، ٥٤٤ ، ٥٤٥ ، ٥٥٢

٥٦٠ ، ٥٦٤ ، ٥٦٧ ، ٦٤٢ ، ٦٥٠

٦٥٤ ، ٦٥٥ ، ٦٥٦ ، ٦٥٧ ، ٦٧٥

٦٧٩ ، ٦٨٠ ، ٦٨٣ ، ٧٣٧ ، ٧٧٤

٩١٤ ، ٩١٨ ، ٩٢٠ ، ٩١٠٢

أبو الوليد الباجي ٦٧٢ ، ٦٨٢

أبو يعلى العبدى ٦٣٠

أبي بن خاف ١٥١ ، ٤٨٣

أبي بن كعب ٥٥٧ ، ٦٥١

أحمد بن أبي سليمان ٩٣٩ ، ٩٧٧

أحمد بن بقى ٥٩٥

أحمد بن حنبل ٥٨٤ ، ٥٩٩ ، ٧٢٨ ، ١٠٥٥

أحمد بن خيرون ١٤

أحمد بن سعيد ٦٧٧

أحمد بن صالح ٤٠١

أحمد بن فضالويه ٦٢٠

الأخفش ٥٨٨

الأخفس بن شريق ١٧٣

أربد بن قيس ٥٠٠

أرميا ١٠٠٦

بنو إسرائيل ٥٢٢ ، ٥٥٣

أسامة بن زيد ٤٢٢ ، ٤٢٤ ، ٥١٢ ، ٥٧٤

٦٠٧

أسامة بن شريك ٥٩٢

أبو قحافة ٥٦٨

أبو الليث السمرقندى ٢٨ ، ٦١ ، ٦٢ ، ٢٢٧

٣٩٨ ، ٤٩٨ ، ٥٤٤

أبو محذورة ٦١٩

أبو محمد بن أبي زيد ٦٣٠ ، ٦٤٩ ، ٩٣٨

٩٧٣ ، ٩٨١ ، ٩٨٣ ، ٩٩٨ ، ١٠٤٣

١٠٤٨ ، ١٠٨٨ ، ١٠٩٢ ، ١١٠٥

١٠٢٥ ، ١١٠٩

أبو محمد بن نصر (عبد الوهاب المالكي)

٦٢٨ ، ٧٨٧ ، ٩٥٤ ، ١٠١٧

أبو محمد بن منصور (القاضي) ٩٩٦

أبو محمد الأصيلي ٣٨٣

أبو المظفر الإسفراييني ٤٤ ، ٤٢٨ ، ٦٦٥

أبو المعالي الجويني (عبد الملك بن يوسف إمام

الحرمين) ٣٣٩ ، ٥٣٠ ، ١٠٥٨

أبو موسى الأشعري ٢٩١ ، ٣١٧

أبونواس (الحسن بن هاني) ٩٩٠ ، ٩٩١

أبو الهذيل ١٠٦٢

أبو هريرة ٧ ، ٨٤ ، ٩٤ ، ٩٥ ، ١٠٧ ، ١٤٧

١٧١ ، ١٨٥ ، ١٨٩ ، ١٩٥ ، ٢١٦

٢٢٠ ، ٢٢٣ ، ٢٣٧ ، ٢٣٩ ، ٢٥١ ، ٢٧٥

٢٧٦ ، ٢٨١ ، ٢٩٠ ، ٢٩١ ، ٢٩٣

٢٩٤ ، ٢٩٥ ، ٢٩٧ ، ٢٩٩ ، ٣٠٤

٣٠٦ ، ٣٠٧ ، ٤١٣ ، ٤١٦ ، ٤١٧

٤٣٢ ، ٤٣٦ ، ٤٣٧ ، ٤٣٩ ، ٤٤٥

أنس بن مالك ١٤ ، ٨٦ ، ٩٣ ، ١١٨ ،
١١٩ ، ١٢٦ ، ١٤٠ ، ١٤٣ ، ١٤٥ ،
١٤٧ ، ١٥١ ، ١٥٣ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ،
١٥٩ ، ١٦٥ ، ١٦٩ ، ١٧١ ، ١٨٢ ،
١٩٠ ، ١٩٥ ، ٢١٧ ، ٢٢٥ ، ٢٣٢ ،
٢٣٦ ، ٢٣٧ ، ٢٤١ ، ٢٤٦ ، ٢٧٣ ،
٢٧٦ ، ٢٧٨ ، ٢٧٩ ، ٢٩٣ ، ٢٩٥ ،
٢٩٧ ، ٣٠١ ، ٣٠٢ ، ٣٠٤ ، ٣٢٢ ،
٣٩٩ ، ٤٠٢ ، ٤٠٣ ، ٤٠٤ ، ٤١٤ ،
٤١٨ ، ٤٢٤ ، ٤٢٥ ، ٤٢٧ ، ٤٣٠ ،
٤٣٢ ، ٤٣٩ ، ٤٤١ ، ٤٤٦ ، ٤٤٩ ،
٤٥٦ ، ٤٦٢ ، ٤٦٤ ، ٥٥٤ ، ٥٦٠ ،
٥٦٤ ، ٥٦٥ ، ٥٦٦ ، ٥٧٢ ، ٥٧٥ ،
٥٩٢ ، ٥٩٣ ، ٦١٣ ، ٦٥٠ ، ٦٦٢ ،
٦٦٣ ، ٧٦٥ ، ٧٦٤ ، ٩١٤ ، ٩١٧ ، ٩٢٩
أهبان بن أوس ٤٣٧
أوس بن أوس ٦٣٧
أوس بن حارثة ٥١٥
أوس بن عبد الله ٤١
أويس القرني ٤٧٩
أيوب (عليه السلام) ١٩٠ ، ٧٤٢ ، ٩١٦
أيوب السختماني ٥٩٦ ، ٦١٦
(ب)
الباقلاني = أبو بكر

إسحاق التجيبي (أبو إبراهيم) ٥٧٣ ، ٥٨٤ ،
٥٩٥
إسحاق بن إبراهيم الفقيه ٦٣٩
إسحاق بن راهويه ٨٧
إسحاق بن منصور ١٤
الإسفرايني = أبو المظفر
أسماء بنت أبي بكر ٤٠١ ، ٤٦٣ ،
أسماء بنت عميس ٤٠٠
إسماعيل ١٩٣
إسماعيل بن أبي حكيم ٧٠٧
إسماعيل بن إسحاق القاضي ١٠٥٥
أصبغ بن الفرج ٩٧٩ ، ١٠١٦ ، ١٠٢٦ ،
١٠٤١ ، ١٠٤٢ ، ١٠٤٣ ، ١٠٤٤ ،
١٠٤٥ ، ١٠٨٧ ، ١٠٨٩ ، ١١٠٤
الأصمعي (عبد الملك بن قريب) ٣٦٦
الأعمش ٣٩٧ ، ٦٠٢
كيدر ٤٨٦
أم أيمن ٩٠ ، ٥٢٠ ، ٦١١ ، ٧٢٩
أم حبيبة ٢٩١
أم سلمة ٤٤١
أم عثمان بنت أبي العاص ٥١٩
أم مالك ٤٦٤
أم معبد ٨٤ ، ١٠٦
أم هانئ ٢٤٩
أمية بن خلف ٤٩٤

الجاحظ (عمرو بن بحر) ١٠٦٤
جامع بن شداد ٣٤٣
جبريل ١٤، ١٩، ٢٤، ٥٣، ١٦٣، ١٨١،
١٨٢، ٢٢٦، ٢٣٢، ٢٣٥، ٢٤٤،
٢٦٠، ٢٦٧، ٢٧٠، ٣٠٤، ٤٨٩،
٥١٢، ٥١٣، ٥٣٩، ٥٤٠، ٦٥٠،
٧٢١، ٨١٩، ٨٧٩
جبير بن مطعم ٣١١، ٣١٧، ٣٨٦، ٣٩٩
جذل بن جذل الكندي ٥١٨
ابن جريج ٩٠
جرير بن عبد الحميد ٦٠٣
جرير بن عبد الله ٤٧، ١٥٧
جعفر بن سليمان ٦١٠
جعفر بن محمد ١٨، ٢٠، ٢٤، ٤٢، ٤٥،
٥٠، ٧٠، ٢٣٠، ٢٦٤، ٢٧١، ٤١٥،
٤٣٢، ٥٩٧، ٦٥٥، ٧٢٥
الجائدي ٣٤٤
الجنيدي ٧٢٦
جهجاه الفقاري ٤٦٤، ٦٢١
(ح)
الحارث بن أسد ٨٤٧
الحارث بن مسكين ٩٨٠
حارثة بن وهب ٢٧٩
حاطب بن أبي باتمة ٤٨٣
الحباب بن المنذر ٨٧١

بجيرا الراهب ٧٢٩
البراء بن عازب ٨٤، ١٤٨، ٥٩٤،
بريدة ٤٢٠، ٤٢٩
بريرة (مولاة عائشة) ١١٢، ٩٠٧
بشر بن بكر التميمي ١٠٥٤
بقي بن مخلد ٩٣
بكر بن العلاء ٣٢٨، ٧٥٠، ٨٢٠
بكر القاضي ٧٢٧
بلال بن الحارث ٥٥٤
بلال بن رباح ٥٦٩، ٨٠٦
بلعام الرومي ٥٠٩
(ت)
تميم ٥١٥، ٥١٦
بنو تميم ٥٨٩
تميم الداري ٥٨٢
(ث)
ثابت بن قيس بن شماس ٤٥٠، ٥٨٩، ٥٩٠
ثمامة بن أئرس ١٠٦٤
ثويبة (مولاة أبي لهب) ١٦٧
(ج)
جابر بن سمرة ٨٤، ٨٦، ٨٧، ١٧٧، ٤٣١
جابر بن عبد الله ١٤٥، ١٧٨، ٢٩٣، ٤٠٤
٤١٦، ٤٢١، ٤٢٧، ٤٣١،
٤٣٩، ٥٥٠، ٦١٥، ٦٥٢، ٦٥٦،
٧٠٨

(خ)

خالد بن سعيد ٦١٦

خالد بن عبد العزيز ٤١٨

خالد بن معدان ٢٢٥

خالد بن الوليد ٤٦٣، ٤٨٦، ٥١٤، ٥٦٧

٩٥١، ٦١٩

خبيب بن يساف ٤٥٤

خثعم ٤٥٤

خديجة بنت خويلد ١٦٧، ٥٢١، ٧٠٢، ٧٠٦

الحضر ٥٢٢، ٧٣٥

الخطابي (أبو سايمان البستي) ٢٥، ٢٦،

٩٣٥، ٦٣١، ٥٨٢

ابن خطل ٩٤٩

ابن خوزر منذاذ ٧٨٨

(د)

ابن داسة ٦

داود (عليه السلام) ١١٩، ١٩٤، ٨١١

٨٢٧، ٨٢٨

دعثور بن الحارث ٤٩١

دكين الأحمسي ٤١٥

(ذ)

ذو الفون المصري ٣٣٩

ذو اليدين ٨٠٠

(ر)

رافع بن خديج ٨٧٠

حبيب بن الربيع ٩٣٩، ٩٤٢، ٩٧٧

حبيب بن فديك ٤٥٣

حذيفة بن اليمان ٢٥، ١٨٧، ٢٢٢، ٢٩٢

٤٧١، ٥٦٩، ٦١٣

حسان المصيبي ٩٨٨

الحسن بن علي بن أبي طالب ١٩٩، ٢٠٠

٢٠٣، ٤٢٦، ٤٢٩، ٤٧٨، ٤٨٣،

٥٧٤، ٥٧٥، ٦٠٧، ٦٠٨، ٦٥٧، ٦٥٨

الحسن البصري ٢٢، ٢٧، ٣٥، ٢٤٥،

٢٤٩، ٢٥٩، ٢٧٠، ٢٩١، ٥٥٣،

٥٥٥، ٦٤٦، ٦٦٢، ٧٧٨، ١٠٥٥

الحسين بن علي ٤٨٥، ٥٧٤، ٦٠٦، ٦٠٨، ٧٢٦

الحسين بن محمد ٦

الحسين بن محمد الجبائي ٢٤

الحسين بن محمد الحافظ ١٤

حفص بن غياث ١٠٥٥

حفصة ١٨٣

الحكم بن أبي العاص ٤٦١، ٤٩٣،

حليمة السعدية ٥١٩، ٥٢١، ٦١١،

حماد بن سلمة بن دينار ٧، ٧٠٥

حمير ٥٠٥

حنش بن عبد الله ٦٣٥

حنش بن عقيل ٤٦٦

حنظلة بن حذيم ٤٦٨

حنظلة بن النسيب ٤٧٧

حي بن أخطب ٤٩٨

أبو رافع = ابن أبي الحقيق

الربيع بن أنس ٥٦ ، ٢٥٩ ، ٢٧٤

الربيع بن خثيم ١٧٣

ركانة ٩٥

(ز)

الزبير بن باطيا ٥١٧

الزبير بن العوام ٦١٧ ، ٧٧١ ، ٨٩٦

الزجاج (أبو إسحاق إبراهيم بن محمد) ٤٢

٣٨٣ ، ٥٤٨ ، ٥٨٣ ، ٧٢٢

زياد النميري ٣٠٠

زيد بن أرقم ٦٠٥

زيد بن أسلم ٥٦٩

زيد بن ثابت ٦٠٨ ، ٦٧٨

زيد بن حارثة ٨٨١

زيد بن الحباب ٦٥٠

زيد بن خارجة ٤٥ ، ٦٤٣

زيد بن الدثنة ٥٧٠

زيد بن سحنة ١٤١

زيد بن صوحان ٤٨٥

زيد بن عمرو بن نفيل ٥١٦

زينب بنت أم أسلم ٤٦٨ ، ٨٧٤

زينب بنت جحش ٨٧٩

(س)

سالم بن الجعد ٤٠٤

السائب بن يزيد ٤٦٧

سبأ ٥٠٤

سحنون (عبد السلام بن عبد السلام) ١١٣

٦٣٦ ، ٩٣٤ ، ٩٧٩ ، ٩٨٠ ، ٩٩٤ ،

١٠٣٤ ، ١٠٣٦ ، ١٠٥٣ ، ١٠٨١ ،

١١٠٨ ، ١٠٩٨ ، ١٠٩٢

ابن سحنون = محمد بن سحنون

سراقة بن مالك ٤٨٥ ، ٤٩٤

سريح بن يونس ٢٢٨

سعد بن أبي وقرة ص ٤٥١ ، ٦٠٦ ، ٦٥٣

سعد بن عبادة ٤٦٣

سعدون الخولاني ٦٨٦

سعدى بن كرز ٥١٨

سعید بن جبیر ٢٠ ، ٢٦٠ ، ٣٠٥ ، ٧٥١ ،

٧٦٤

سعید بن زید ٤٣٢

سعید بن سليمان ١٠٩٨

سعید بن المسيب ٦٧٨

سعید بن ميثاق ٤١١

سفيان بن العاص ٥١٢

سفيان بن مجاشع ٥١٥

سفيان الثوري ١١١

سفيان بن وكيع ٢٠٤ ، ٢٠٨ ،

سفينة (مولى النبي) ٤٤٢

سلامة السكندی ٦٤٣

سلمان الفارسي ٤٦٥ ، ٥٠٨ ، ٥٠٩

الشيء (أخت النبي من الرضاة) ١٦٦
(ص)

صفوان بن سليم ١١٨ ، ٥٩٨

صفوان بن عسال ٥٩٠

صفوان بن قدامة ٥٦٥

صفية (زوج النبي) ٨٤٩

صفية بنت مجدة ٦١٩

(ض)

ضرار بن مرة ٦٠٢

(ط)

طاوس ١١٨

الطبرى (أبو جعفر) ٥٢٧ ، ٥٢٨ ، ٦٨٣

٨٨٠ ، ٩٣٣ ، ٩٣٧

الطفيل بن عمرو ٤٥٩

(ع)

عاصم بن عمرو بن قتادة ٤٥١

عامر بن ربيعة ٦٥١

عامر بن الطفيل ٥٠٠

عامر بن عبد الله بن الزبير ٥٩٨

عائذ بن عمرو ٤٦٨

عائشة بنت أبي بكر ٨٨ ، ٩١ ، ١١٢ ، ١٢٦

١٣٧ ، ١٤٠ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٧

١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٧٤ ، ١٧٨

١٨٠ - ١٨٣ ، ١٨٦ ، ١٨٧ ، ٢٢٥

٢٥٦ ، ٢٥٧ ، ٣٠٥ ، ٤٣١ ، ٤٣٥

(٤٢ - العفا / ٢)

سلعة بن الأكوح ٤٠٦ ، ٤٠٨ ، ٤١٣ ،
٤٣٧ ، ٤٥٣

سليمان (عليه السلام) ١١٨ ، ١٩٣ ، ٧٣٨ ،
٧٤٢ ، ٨١٢ ، ٨٣٥ ، ٨٥٦ ، ٩١٦

سليمان بن الأشعث ٧

سليمان بن سحيم ٦٥٨ ، ٦٩٠

سمرة بن جندب ٤١٢

السمرقندى = أبو الليث

سهل بن سعد ١٤٥ ، ٤٢٨

سهل بن عبد الله التستري ٢٠ ، ٣٦ ، ٤٤ ،
٤٧ ، ١١٥ ، ٥٤٣ ، ٥٤٧ ، ٥٥٨ ، ٥٧٦

٥٨٨ ، ٦١٨

سهيل بن عمرو ٤٨٦

سواد بن عمرو ٨٩٩

سواد بن قارب ٥١٨

ابن سيرين = محمد بن سيرين

سيف بن ذى يزن = ابن ذى يزن

(ش)

شافع بن كليب ٥١٨

الشافعي ٥٥٨ ، ١٠٥٤

شداد بن أوس ٢٥٠

شعيب (عليه السلام) ١٩٤

الشفاء أم عبد الرحمن بن عوف ٥١٩

شهر بن حوشب ٨٥٨

شيبه بن عثمان الحجبي ٤٩٩

عبد الله بن الحسن بن حسين ٦٠٨
عبد الله بن الحكم ٩٣٧
عبد الله بن الزبير ٩٦٩
عبد الله بن الزبير ٨٩ ، ٤٧٧ ، ٥٧٠ ، ٦٨٢
عبد الله بن سلام ٣١ ، ٣٤٢
عبد الله بن الشيخير ١٨٧
عبد الله بن صالح ٦٠٤
عبد الله بن عباس ١٦ ، ١٨ ، ١٩ ، ٤٢ ، ٤٤ ،
٩١ ، ١٠٩ ، ١١٨ ، ١٤٥ ، ١٨٢ ،
٢١٥ ، ٢١٧ ، ٢٢٥ ، ٢٢٩ ، ٢٤٩ ،
٢٥٨ ، ٢٥٩ ، ٢٦٥ ، ٢٦٧ ، ٢٧٠ ،
٢٧٥ ، ٢٨٠ ، ٢٩٢ ، ٢٩٩ ، ٣٠٥ ،
٤٢٦ ، ٤٣٣ ، ٤٤٧ ، ٤٥٤ ، ٤٥٨ ،
٥٠٦ ، ٥١٢ ، ٥٧٠ ، ٥٧٥ ، ٥٨٨ ،
٦٠٨ ، ٦١٠ ، ٦٣٥ ، ٦٣٨ ، ٦٤٧ ،
٦٥٨ ، ٦٦٠ ، ٦٨٧ ، ٧٠٤ ، ٧١٠ ،
٧٢٥ ، ٧٥٧ ، ٨٠٧ ، ٨١٣ ، ٨٢٣ ،
٨٢٧ ، ٨٦٨ ، ٨٧١ ، ٨٨٤ ، ٩٥٢ ،
٩٥٣ ، ١٠٢٤ ، ١١٠٢
عبد الله بن عبد الله بن أبي ٧٥٦
عبد الله بن عميد الله الأنصاري ٤٥٠
عبد الله بن عمر ٢٨٩ ، ٤٢٠ ، ٤٣٣ ، ٥٣٩ ،
٥٤٤ ، ٥٥٧ ، ٥٥٨ ، ٥٦٩ ، ٥٧٠ ،
٥٧٥ ، ٦٠٩ ، ٦٢٠ ، ٦٣٢ ، ٦٤٠ ،
٦٥٧ ، ٦٦٣ ، ٦٦٦ ، ٦٧١ ، ٦٧٢ ،
٦٨٥ ، ١٠٥٥

٤٨٩ ، ٥٥١ ، ٥٧٠ ، ٥٧٤ ، ٧٠٣ ،
٧٠٧ ، ٧٣٦ ، ٧٩١ ، ٨٦٥ ، ٩٠٥ ،
٩٦٩ ، ١١٠٧ ، ١١٠٨ ، ١١١٠ ،
العباس بن عبد المطلب ١٠٨ ، ٢١٨ ، ٥٦٨ ،
٦٠٧
العباس بن مرداس ٤٣٨
عبد الباقي بن مرزوق = ابن قانع
عبد الرحمن بن أبي بكر ٤١٢
عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب ٤٧٠
عبد الرحمن بن أبي عمرة ٤١٣
عبد الرحمن بن عوف ١٨٢ ، ٤٥٦ ، ٦١٧ ،
٦٥٠
عبد الرحمن بن القاسم ٢٣٠ ، ٥٩٨ ،
عبد الرحمن بن مهدي ٥٩٩
عبد الرزاق بن همام ٩٥١
عبد العزيز بن أبي سلمة ١٠٢٣
عبد الله بن أبي ١٣٩
عبد الله بن أبي أوفى ٤٤٠
عبد الله بن أبي الحقيق = ابن أبي الحقيق
عبد الله بن أبي الحساء ١٦٤
عبد الله بن أحمد بن حنبل ٢٦٠
عبد الله بن أنيس ٤٥٣
عبد الله بن جحش ٤٦٧ ، ٨٢٠ ،
عبد الله بن جعفر ٤٥٨ ، ٥٧٥ ،
عبد الله بن الحارث ١٥٩

عتبة بن فرقد ٤٦٧
عتكلان الحميري ٥١٦
عثمان بن أبي شيبة ٧٢٨
عثمان بن عفان ٤٦٤ ، ٤٧٦ ، ٦١٧
العرباض بن سارية ٢٢٤ ، ٥٥٠
عروة بن أبي الجعد ٤٥٩
عروة بن مسعود ٥٩٢
عطاء بن أبي رباح ٧
عطاء بن يسار ٣٠
عطاء ٢٥٨ ، ٥٥٨ ، ٨٦٨ ، ١٠٢٤
ابن عطاء (أحمد بن محمد بن سهل بن عطاء)
٢٤ ، ٢٦ ، ٦٩ ، ١٢٩ ، ٦٢٥ ، ٧١٣ ، ٧٢٦ ،
٨٤٥
عطية السعدي ١٠١
عقبة بن أبي معيط ٩٥٠
عقبة بن الحارث ٦٠٨
عقبة بن عامر ٢٢١
عقبة بن عمرو ٦٤١
عكاشة ٨٩٨
علي بن أبي طالب ١٧ ، ٣٩ ، ٦٠ ، ٨٥ ،
٨٩ ، ٩١ ، ١٥٠ ، ١٥٥ ، ١٧٣ ، ١٧٤ ،
١٨٧ ، ٢٢٤ ، ٢٤٢ ، ٢٦٨ ، ٤١٤ ،
٤١٨ ، ٤٢٣ ، ٤٢٥ ، ٤٣١ ، ٤٥٤ ،
٥٥٦ ، ٥٦٦ ، ٥٦٨ ، ٥٨١ ، ٦٠٦ ،
٦٤٢ ، ٦٤٣ ، ٦٤٨ ، ٦٥٤ ، ٦٥٥ ،

عبد الله بن عمرو بن العاص ٢٦١ ، ٢٧٨ ،
٣٠٣ ، ٥٥٢ ، ٦٤٩ ، ٦٧٩ ، ٧٤٧ ،
عبد الله بن قرط ٤٤١
عبد الله بن قميصة ٨٦٢
عبد الله بن المبارك ٦٠٢ ، ٦١٦ ،
عبد الله بن محمد بن عبد المؤمن ٦
عبد الله بن مسعود ١٦٤ ، ١٧٨ ، ٢٥٧ ،
٢٨٠ ، ٢٩٠ ، ٣٩٧ ، ٤٠٣ ، ٤٢٤ ،
٤٣٠ ، ٤٣٤ ، ٤٥٧ ، ٤٦٠ ، ٥١٣ ،
٥٥٦ ، ٥٦٥ ، ٥٧٦ ، ٥٩٩ ، ٦٣١ ،
٦٣٤ ، ٦٣٩ ، ٦٤٦ ، ٦٤٧ ، ٦٥١ ،
٧٣٦ ، ٨٠٠ ، ٨٢٧ ، ٩١٩ ،
عبد الله بن مفضل ٥٧٧ ، ١١٠٦ ،
عبد بن حميد ٤٩٢
عبدة بن خالد بن معدان ٥٦٧
عبد الملك بن حبيب ١٠٤٩
عبد الملك بن الماجشون ١٠٨٩
عبد الملك بن مروان ١٠٩١
عبد الوهاب المالكي = أبو محمد بن نصر
عبيد الله بن أبي طلحة ٦٥٠
عبيد الله بن الحسن العنبري ١٠٦٣
عبيد الله بن عبد الله ٣٩٩
عبيد الله بن يحيى ١٠٣٩
عتبة بن أبي لهب ٤٦٠ ، ٤٨٣ ،
عتبة بن ربيعة ٣٧١ ، ٣٨٦ ، ٣٨٧ ،

عمرو بن الحارث ١٨١
عمرو بن دينار ٦٣٧ ، ٦٨٨
عمرو بن شرحبيل ٧٠٥
عمرو بن العاص ٥٦٧ ، ٥٩٢
عمرو بن عوف المزني ٥٥٤
عمرو بن الليث ٥٨٥
عمرو بن ميمون ٥٩٩
عمير بن سعد ٤٦٧
عوف بن مالك ١٨٦
عون بن عبد الله ٣٦ ، ١٠٩٦
عيسى بن دينار ٨٠٢
عيسى بن مريم ١١٦ ، ١١٩ ، ٢٢٤ ،
٢٢٦ ، ٢٧٦ ، ٢٨٠ ، ٢٨١ ، ٢٩٦ ،
٣٣٩ ، ٥٢٥
عيسى بن مناس (أبو موسى) ٩٨٣
(غ)
الغزالي ١٠٦٥
غطفان ٤٩٩
غوث بن الحارث ١٣٩ ، ٤٩٠ ، ٨٦٢
غيلان بن سلمة ٤٢٣
(ف)
فاطمة بنت الرسول ٤١٨ ، ٤٥٩ ، ٤٧٨ ،
٥٧٤ ، ٦٠٦ ، ٦٧٤ ، ٦٧٥
فاطمة بنت النعمان ٥١٨
فرعون ١٢٩ ، ٩٩٠

١٠٥٥ ، ١٠٤٤ ، ١٠٢٤ ، ١٠١٧ ، ٩٤٨
١٠٩٠
علي بن إسماعيل الأشعري = أبو الحسن
الأشعري
علي بن الحسين ٢٩٢
علي بن الحكم ٧
علي بن عاصم ١٠٥٥
علي بن عيسى ٥٢
عمار بن ياسر ٥٧٣
عمران بن حصين ١٥١ ، ٤٠٥ ، ٤٠٧ ،
٤٠٨ ، ٥١٣
عمر بن أبي سلمة ٦٠٦
عمر بن الخطاب ٢٧ ، ٦٠ ، ١٣٢ ، ١٣٧ ،
١٤٦ ، ١٦٩ ، ٢٥٠ ، ٢٥٢ ، ٣٣٩ ،
٣٦٦ ، ٤١٥ ، ٤٢٦ ، ٤٨٦ ، ٤٩٣ ،
٥١٣ ، ٥٥٦ ، ٥٥٨ ، ٥٦٤ ، ٥٦٧ -
٥٩٢ ، ٥٩٩ ، ٦٠٩ ، ٦١٧ ، ٦٣٤ ،
٦٧٩ ، ٦٨١ ، ٨٢٠ ، ٨٨٤ ، ٨٨٨ ،
٩٣٠ ، ١٠٢٤ ، ١١١١
عمر بن السائب ١٦٧
أبو عمر النخعي (ابن عبد البر) ٦ ، ٢٥ ،
عمر بن عبد العزيز ٥٥٥ ، ٥٥٧ ، ٩٩٣
عمرو بن أمية ٤٩٨
عمرو بن ثعلبة الجهني ٤٦٨
عمرو بن جحاش ٤٩٧

كعب بن أسد ٥١٧
كعب بن الأضراف ٥٤٨ ، ٩٤٩ ، ١٠٣١
كعب بن زهير ٩٦٠
كعب بن عجرة ٦٤١
كعب بن مالك ٢٩٠ ، ٦١٨
كلثوم بن الحصين ٤٥٣
(ل)
ابن لبابة (محمد بن يحيى) ١٠٣٩
لبيد بن الأعصم ١٣٩ ، ٤٨٦ ، ٨٦٢
لقمان ١١٣
(م)
ماروت ٨٥٥ ، ٨٥٧
مالك بن أنس ٢٦٣ ، ٥٩٥ ، ٦٠٠ ، ٦٠٣ ،
٦١٠ ، ٦١٥ ، ٦١٨ ، ٦٢٠ ، ٦٢٩ ،
٦٤٠ ، ٦٤١ ، ٦٦٧ ، ٦٧١ ، ٦٧٣ ،
٦٧٩ ، ٦٧٩ ، ٩٣٣ ، ٩٣٦ ، ٩٣٧ ،
٩٦٤ ، ١٠٠١ ، ١٠٠٨ ، ١٠١٩ ، ١٠٢٥ ،
١٠٢٦ ، ١٠٢٩ ، ١٠٣٤ ، ١٠٣٧ ، ١٠٤٣ ،
١٠٥١ ، ١٠٨٧ ، ١٠٩٨ ، ١١٠٣ ،
١١٠٩ ، ١١١٠ ، ١١١١ ، ١١١٣ ،
مالك بن أوس بن الحدثان ٦٥٠
مالك بن سنان ٨٩
مالك بن صعصعة ٢٦٧
الماوردي ٢٥٨
المبارك بن عبد الجبار ١٤

فضالة بن عبيد ٦٣٣
فضالة بن عمرو ٥٠٠
القابسي = أبو الحسن
القاسم سلام = أبو عبيد
ابن القاسم (عبد الرحمن المصري) ٩٣٥
٩٣٦
ابن قانع (عبد الباقي) ٢٢٨ ، ٤٤٤ ، ٩٥٢
القمط ٥٣٢
قتادة بن ملحان ٤٦٨
قتادة بن النعمان ٤٦٦
قريش ١٧٤ ، ٣٧٠ ، ٤٣٤ ، ٤٨١ ، ٤٨٧ ،
٤٩٢ ، ٤٩٤ ، ٥٠٠ ، ٥٩٢ ، ٥٩٣ ،
٧٢٠ ، ٩٠٣
بنو قريظة ٤٩٧
قس بن ساعدة ٥١٥
القشيري (أبو القاسم) ٣٣٨ ، ٥٤٩ ،
٥٨٥ ، ٦٢٦ ، ٧٢٠ ، ٧٥٧ ، ٨٨٠
قضاة ٥٠٥
قيس بن زيد الجذامي ٤٦٨
قيس بن سعد ١٥٥
قيصر ٤٧٣
(ك)
كابس بن ربيعة ٦١٠
كسرى ١٧٤ ، ٤٦٠ ، ٤٧٣ ، ٤٨٤ ، ٥١٩
كعب الأحبار ٢٠ ، ٣١

محمد بن المواز ٩٦٤ ، ١٠٥٢	المبرد = أبو العباس
مسروق ٢٥٧ ، ٣٩٨	المتنبي ٩٨٦
مسيلة الكذاب ٤٧٨	مجاهد بن جبر ٢٩ ، ٩٢ ، ٣٩٧ ، ٤٢٤ ، ٧٠٢
مصعب بن عبد الله ٥٩٧ ، ٦٠٩	علم بن جثامة ٤٦٩
مصعب بن عمير ٥١٣	محمد بن أحمد بن محبوب ١٤
مضر ٤٦٠	محمد بن إدريس ٦٨٨
معاذ بن جبل ٢٥٩	محمد بن إسحاق ٣١ ، ٤٨ ، ٢٤٥ ، ٢٥٨ ،
المطابق بن عمران ٦١٧	٢٦٠ ، ٤٢٦ ، ٤٤٦ ، ٤٩٢ ، ٤٩٧ ،
معاوية بن أبي سفيان ٤٥٧ ، ٤٧٥ ، ٥٠٦	٥٦٨ ، ٧٠٤ ، ٧٠٦ ، ٨٧١
معرض بن معيقب ٤٤٩	محمد بن الحسن بن محمد بن زياد = النقاش
المعري ٩٨٧	محمد بن الحسن (أبو الحسن) ٦٨٨
معوذ بن عفراء (١) ١٤٦	محمد بن السائب = ابن السكبي
المغيرة بن نوفل ١٨٥ ، ٦١٨	محمد بن سحنون ٤٤٦ ، ٩٧٣ ، ٩٧٦ ، ٩٣٤ ،
المقدام بن معديكرب ١١١	١٠١٦ ، ١٠١٧ ، ١٠٣٥ ، ١٠٣٦ ،
المقوقس ٥١٦	١٠٣٧ ، ١٠٤٧ ، ١٠٨٧ ، ١١٠٣
مكي (أبو محمد) ٥٨ ، ٢٢٧ ، ٢٧٠ ، ٥٨٩	محمد بن سعد ٨٨ ، ٩٣٠
٨١٦ ، ٧٤٢ ، ٧٠٩	محمد بن سعيد ٦٢٨
المهاجر بن أبي أمية ٩٥٢	محمد بن سيرين ٥٩٩ ، ٦٠٩ ، ٦٧٤
موسى (عليه السلام) ١٢٩ ، ١٨٩ ، ٩٩١	محمد بن عجلان (أبو عبد الله) ١٠٠٩
١٩٣ ، ١٩٤ ، ١٩٧ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥ ،	محمد علي بن الحسن ٢٤٣
٢٤٠ ، ٢٦١ ، ٢٦٢ ، ٢٦٤ ، ٢٨١ ،	محمد بن علي الترمذي ٣٦ ، ٥٤٧
٢٩٦ ، ٥٢٥ ، ٧٢٦ ، ٧٣٥ ، ٧٤٣ ،	محمد بن عيسى (أبو عبد الله) ٩٨٤
٧٤٤ ، ٨٣٢ ، ٨٣٣ ، ٨٩١ ، ٧٨١ ،	محمد بن كعب القرظي ٢٥٩ ، ٢٧١
٨٤٤ ، ٩٩٠ ، ٩٩١ ، ١٠٠٤	محمد بن مسلمة ٦٤٠ ، ٦٨٠ ، ٩٦٥ ، ١٠٤٧

(١) صحته الربيع بنت معوذ كما ورد في هامش رقم ٧ في الصفحة نفسها .

(و)

الواسطي ٥٤، ٥٦، ٣٣٨
وائل بن حجر ٩٩
وائل بن الأصقع ١٠٨، ٢١٦
ورقة بن نوفل ١٤٦، ٥١٦، ٧٠٧
الوليد بن عباد بن الصامت ٤٠٤
الوليد بن مسلم ٩٣٣، ١٠١٩
الوليد بن المغيرة ٣٦٥، ٣٦٩
الوليد بن يزيد ٤٨٥
وهب بن منبه ٩٢
وهيب بن الورد ٦٤٧

(ى)

يحيى بن حكم الغزال ٣٨٨
يحيى بن عمر ٩٤١
يحيى بن يحيى الليثي ٦٦٠، ٦٧٢
يزيد بن أبي سعيد المهري ٦٧٠
يعقوب (عليه السلام) ٩١٥
يعلى بن سيابة ٤٢٣
يهود ٤٨٢
يوسف (عليه السلام) ١٣٠، ١٩٤، ١٩٥
٧٤٢، ٧٤٣، ٨٢٩، ٨٣٠، ٨٣٣
٨٤٢، ٩٠٩، ٩١٠، ٩١١، ٩١٥
يوشع ٧٤٢، ٧٤٣
يونس (عليه السلام) ٧٦٣، ٨١١، ٨٢٥
يونس بن بكير ٤٠١

موسى بن إسماعيل ٧

موسى بن زياد (القاضي) ١٠٩٣

موسى بن عقبة ٧٦٠

موسى بن عيسى العباسي ١١١٠

(ن)

النابغة الجعدي ٤٥٨

النجاحشي ٦٣، ١٦٦، ٤٨٤

النضر بن الحارث ١٧٤، ٣٧١، ٥٠٩

بنو النضير ٤٩٨

النعمان بن بشير ٤٥٠

النعمان بن مقرون ٤١٥

نقطويه ٣٤٥

النفقش (محمد بن الحسن) ٤٣، ١١٩، ٢٣٠

٢٦٠، ٢٦٧، ٢٧٠، ٣١٧

نهد ٩٨

نوح ١٩١، ٢٩٥، ٥١٤، ٧١٤، ٧٣٨

٧٩٤، ٨١٢

هاروت ٨٥٥، ٨٥٧

هارون بن حبيب ١٠٤٨

هارون الرشيد ٩٥٤

هامة بن الهيم ٥١٤

هرقل ١٧٣، ١٩٠، ٥١٦

هشام بن أحمد (أبو الوليد) ٦

هشام بن هشام بن النازي ٦٠٣

همدان ٩٧

هوازن ١٤٦، ١٦٦

٦ - فهرس الأماكن والبلاد ونحوها

(خ)	(١)
خراسان ٥٨٥	أحد ١٥١، ٤٥١، ٤٥٣، ٥١٣، ٨٦٢
الخندق ٤٥٣، ٨٠٤	(ب)
خير: ٤٤٣، ٤٤٥، ٤٥٣، ٧٦٩	بحيرة طبرية ٥١٩
(ذ)	بدر ١٥١، ١٧٣، ٤٥٤، ٤٦١، ٤٦٧،
ذو أمر ٤٩١	٤٨٣، ٤٩٠، ٥١٢، ٧٣٢، ٧٣٩،
ذو الحليفة ٥٥٦	٨٢١، ٨١٨، ٨١٦
ذو قرد ٤٥٢	البصرة ٤٨١
ذروان (بئر) ٤٨٦	بنداد ٤٨٥، ١٠٩١، ١١٠٥،
(س)	بواط ٤٠٤
السودان ١٠٦٦	بيت المقدس ٤٨٧، ٧٩١،
(ص)	(ت)
الصين ١٠٠٦	تاهرت ٩٧٧
(ط)	تبوك ٤٠٦، ٤٠٩،
الطائف ٦٨	تهامة ٤٩٣
الطف ٤٨٥	(ث)
(ع)	ثبير ٤٣٣
العراق ٧٨٩	ثور (غار) ٨٦٢
عمان ٣٤٤	(ج)
(ق)	الحديبية ٤٠٦، ٤٠٧،
القسطاطينية ٤٨٧	حرا ٤٣٢، ٤٣٣، ٤٨٥، ٧٠٤،
قرطبة ٩٨٤، ١٠٤٨، ١٠٩٨	الخطيم ٢٥٤
القيروان ٩٤١	حنين ١٤٨، ٤٩٩،
	الحوَاب ٤٧٦

مصر ١٠٣٨،٥١٦
مكة ١٥، ٦٨، ٤٤٩، ٤٨٣، ٤٨٦، ٤٩٦،
٦٨١، ٥٧٠
المنستير ٦٨٦
(أ)
الهند ١٠٦٦
(ب)
يثرب ٤٨٧
البيامة ٤٥٠
اليمن ٩٥٢، ٤٤٢

(ك)

الكمبة ٥٢٠، ٥١٣
الكوفا ٦٨١، ٩٣٣، ١١١٠

(د)

مؤتة ٤٨٤
مالتة ١١١٤
الديفة ٤٦٢، ٥٧٣، ٦٢٠، ٦٢١، ٦٦٩،
٨٧٢، ٦٨١
المروة ٥٠٩

٧ - فهرس مراجع الشرح والتحقيق، والتعليق

- | | |
|--|--------------------------------------|
| مكتبة الحلبي ١٣٧٩ هـ | أسباب النزول للواحدى |
| مكتبة نهضة مصر | الاستيعاب لابن عبد البر |
| مكتبة نهضة مصر ١٩٧٠ م | الإصابة لابن حجر |
| دار إحياء الكتب العربية ١٣٧٦ هـ | أحكام القرآن لابن العربي |
| نسخة المخطوطة المحققة | الإكمال لابن ماكولا |
| المطبعة السلفية | البداية والنهاية لابن كثير |
| دار ليبيا للنشر والتوزيع | تاج العروس للزبيدي |
| طبع القاهرة ١٣٤٩ هـ | تاريخ بغداد للخطيب |
| دار المعارف بالقاهرة ١٩٦٠ م | تاريخ الطبري |
| المؤسسة المصرية العامة للتأليف ١٣٨٣ هـ | تبصير المنقبه بتحرير الشنبة لابن حجر |
| دار إحياء الكتب العربية بالقاهرة | تفسير ابن كثير |
| دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت | تفسير الطبري (جامع البيان) |
| طبع دار الكتب المصرية | تفسير القرطبي |
| المكتبة العلمية بالمدينة المنورة ١٣٨٠ هـ | تقريب التهذيب لابن حجر |
| الهند ١٣٢٥ هـ | تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلانى |
| المؤسسة العربية الحديثة بالقاهرة ١٣٨٤ هـ | جمهرة الأمثال لأبى هلال العسكري |
| المكتبة العربية بحلب ١٣٩٠ هـ | دلائل النبوة لأبى نعيم |
| مطبعة مصر ١٩٥٣ م | ديوان أبى نواس |
| المكتبة التجارية ١٣٤٧ هـ | ديوان حسان بن ثابت |
| مطبعة مصطفى الحلبي بالقاهرة ١٣٥٥ هـ | ديوان المتنبي |
| لجنة التأليف بالقاهرة ١٩٤٢ م | الذخيرة لابن بسام |

- زهر الآداب للحصرى
سقط الزند (التنوير)
سنن ابن ماجه
سنن أبى داود
سنن الترمذى
سنن النسائى
السيرة الحلبية
سيرة ابن هشام
شرح الشفا للقارى
الشعر والشعراء لابن قتيبة
الشمائل المحمدية للترمذى
الشمائل المحمدية (المواهب)
صحيح البخارى
صحيح مسلم
الصناعتين لأبى هلال العسكري
الطبقات الكبرى لابن سعد
الفائق فى غريب الحديث للزنجشبرى
القاموس المحيط للفيروز ابادى
الكشاف للزنجشبرى
لب اللباب فى تحرير الأنساب للسيوطى
اللباب فى تهذيب الأنساب لابن الأثير
لسان العرب لابن منظور
مرصد الاطلاع فى أسماء الأمكنة والبقاع
- دار إحياء الكتب العربية ١٩٥٣ م
مطبعة بولاق ١٢٨٦ هـ
دار إحياء الكتب العربية ١٩٥٢ م
المطبعة الكستلية ، بتصحيح نصر المورينى ١٢٨٠ هـ
مطبعة مصطفى الحلبي بالقاهرة ١٩٣٧ م
مطبعة مصطفى الحلبي بالقاهرة ١٩٦٤ م
المطبعة الأزهرية بالقاهرة ١٩٣٢ م
المكتبة التجارية بالقاهرة ١٩٣٧ م
المطبعة العثمانية بتركيا ١٣١٩ هـ
دار إحياء الكتب العربية ١٣٦٤ هـ
نسختى المخطوطة المحققة
مطبعة السعادة بالقاهرة ١٣٣٢ هـ
طبعة محمد صبيح
دار إحياء الكتب العربية بالقاهرة ١٩٥٥ م
دار إحياء الكتب العربية
دار التحرير بالقاهرة ١٩٦٨ م
دار إحياء الكتب العربية بالقاهرة ١٩٤٥ م
القاهرة ١٩٣٥ م
المطبعة البهية المصرية ١٣٤٣ هـ
طبعة مكتبة المثنى
مكتبة القدسي ١٣٥٦ هـ
الطبعة الأميرية ١٣٠٠ هـ
دار إحياء الكتب العربية ١٩٥٤ م

دار صادر بيروت	مسند أحمد
المطبعة المنيرية بالأزهر	مسند الطيالسي
دار إحياء الكتب العربية بالقاهرة ١٩٦٢ م	المشبه للذهبي
دار إحياء الكتب العربية بالقاهرة ١٩٥١ م	الموطأ لمالك
دار الفكر بالقاهرة ١٩٦٩ م	معترك الأقران في إعجاز القرآن
محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الشعب	المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم
مطبعة بريل - لندن ١٩٦٥ م	المعجم المفهرس لألفاظ الحديث
مطبعة السعادة بالقاهرة ١٣٢٣ هـ	معجم البلدان لياقوت
لجنة التأليف بالقاهرة ١٩٤٥ م	معجم ما استمعتم له للبخاري
مطبعة جامعة أكسفورد ١٩٦٦ م	المغازي للواقدي
مطبعة مصطفى الحلبي بالقاهرة ١٩٦١ م	المفردات في غريب القرآن
طبع حجر بالقاهرة ١٢٧٦ هـ	مناهل الصفا في تخريج أحاديث الشفا للسيوطي
دار إحياء الكتب العربية بالقاهرة ١٩٦٢ م	ميزان الاعتدال للذهبي
المطبعة العثمانية ١٣١٧ هـ	نسيم الرياض (شرح الشفا) للخفاجي
دار الكتب المصرية بالقاهرة	نهاية الأرب للنويري
المطبعة العلمانية بالقاهرة ١٣١١ هـ	النهاية لابن الأثير

تصويبات

وقعت بعض الأخطاء في أثناء الطبع نصوبها فيما يأتي :

الصواب	السطر	الصفحة
في	١٠	٨٥
بن	١٠	٢٧٣
وأصلُ	٥	٣٣٣
٢	٤	٣٤٨
في سنن .	١٧	٤٣٢
أرقام الصفحتين	١	٤٨٤
	١	٤٨٥
غورث	٥	٤٩٠
أبا أيوب	١٧	٦٧٧
فالآخر	١١	٧٣٣
تقتضى	٤	٧٨٥
معذنين	١٣	٧٨٥
جبلهم	٢٤	٧٨٥
الناصحين	٩	٨٢٣
تأيسه وتفريره	١٦	٨٢٤
صمت	٧	٨٣٠
قَبْلُ	٩	٩٠٧
اشترطى	٣	٩٠٨
لييلوكم	٨	٩١١
نسموا	٩	٩٣٠
ومحمد	٩	١٠٢٣
القتل	١٣	١٠٤٠
العُتبية	٧	١٠٤٢
وولداهما	١١	١١٠٦